Estad. f.
81
1971

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي ورجائي

الحمد لله الملك السلام المهيمن العلام مشارع الاحكام ذي الجلال والاكرام الذي انزل القرآن بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستقامة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما فسبحان من استأثر بالاولية والقدم ووسم كل شيء سواه بالحدوث عن العدم ومن علينا ببينا محمد عليه افضل الصلاة والسلام وانعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام والصلاة والسلام على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم محمد النبي الامي المتبت بالعصمة المؤيد بالحكمة وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام عدد ساعات الليالي والايام وعلى اله الاطهار وخلفائه وجميع المهاجرين والانصار وعلى بقية الصحابة الاخيار صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما الليل واطراف النهار اما بعد

فيقول فقير رحمة ربه القوي محمد الشربيني الخطيب ان الله جل ذكره ارسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيرا للمومنين ونذيرا للمعاندين وتدبر اللمعي لعين الجمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة وانزل عليه بفضله كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه ناطقا ببينات حجج قرآنا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية حسانة ظاهرة باهرة في وجه كل زمان دايرا من بين سايرالكتب على كل لسان في كل مكان اعجز به الخليقة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على الخلق مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر وبشر وانذر فهو كلام معجز في براعة منطوقه ودقائق مفهومه وبحر عميق لا نهاية لاسرار علومه وقد الفت ايمة السلف كتبا في معرفة احكامه ونزوله كل على قدر فهمه ومبلغ علمه فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم ثم خطر لي ان اقتفي اثرهم واسلك طريقتهم لعل الله ان يرزقني من مودهم ويعود علي من بركتهم فترددت في ذلك مدة من الزمان لقوله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا وقوله سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برايه وهي رواية بغير علم فليتبوا مقعده من النار وقرا ابي بكر رضي الله تعالى عنه لما سيل عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا اقلت في كتاب الله ما لا اعلم الى ان يسر الله سبحانه وتعالى لي زيارة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى سايرالنبيين والال والصحب اجمعين في اول عام تسعماية احد وستين استخار الله في حضرته بعد ان صليت ركعتين في روضته وسالته ان ييسر لي امري فشرح الله سبحانه وتعالى بذلك صدري فلما رجعت من سفري واستمر ذلك الانشراح معي وكتمت ذلك في سري حتى قال لي شخص من اصحابي رايت في منامي اما النبي صلى الله عليه وسلم او الشافعي اما مي يقول لي قل لفلان يعمل تفسيرا على القرآن

فعن

فعن قليل الا وقد فهرت في وظيفة شيخة تنبيس في البيمارستان ثم سالني بعد ذلك جماعة من اصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين بعد ان راوني فرغت من شرح منهاج الطالبين ان اجعل لهم تفسيرا وسطا بين الطويل الممل والقصير المخل فاجبتهم الى ذلك ممتثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال ان رجالا ياتوكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا واقتدوا بالماضين من السلف في تدوين العلم ابقا على الخلف ولي على ما فعلوه مزيد ولكن لا بد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجد والجهد شبيها للمتوقفين وتحريضا للمتنبطين وليكون ذلك عونا لي وللقاصرين مثلي معتمدا فيه على ارجح الاقوال واعراب ما يحتاج اليه عند السوال وترك التطويل بذكر اقوال غير مرضية واعاريب محلها كتب العربية وحيث ذكرت فيه شيا من القرآن فهو من السبع المشهورات وقد اذكر بعض اقوال واعاريب لقوة مداركها او لورودها ولكن بضيفة قيل ليعلم ان الموضي اولها وسميته السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الكليم الخبير واساله من فضله واحسانه ان يجعله عملا مقرونا بالاخلاص والقبول والاقبال وفعلا متقبلا مرضيا زكيا يعد من صالح الاعمال وقد تلقيت التفسير بحمد الله من نفاسير متعددة رواية ودراية عزيمة ظهرت وبهمة مفاخرهم واشتهرت وانتشرت ماثرهم جمعني الله واياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد واله وصحابته وها انا الان اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير والمعطي كل مسول سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القران لانها مفتتحة ومبتداوه فكانها اصله ومنشاه ولذلك تسمى اساسا ولانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جمل معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز لانها نزلت من كنز تحت العرش والواقية والكافية لانها واقية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها والشافية والشفا لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفا كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات باتفاق لكن من عد البسملة اية منها جعلها السابعة هي صراط الذين الى اخرها ومن لم يعدها اية جعل السابعة غير المغضوب عليهم الى اخرها وسميت مثاني لانها تثنى في الصلاة اي تكرر فيها بان تقرا في كل صلاة وفي كل ركعة وقول بعضهم تثنى في كل ركعة فيه تجوز وهي مكية على قول الاكثر وقال مجاهد مدنية وقيل نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ولذلك سميت مثاني قال البغوي والاول اصح وقال البيضاوي وقوبح انها مكية بقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص انتهى واراد بالنص السنة

ربيب

من فاتحة الدخل في هذا الشان ع

فقد ثبت ذلك عن ابن عباس وقول الصحابي في القرآن حضوصا في التنزيل له حكم المرفوع والقرآن العظيم
والنور والرقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسيلة لسمها على ذلك وسورة المناجاة وسورة
التفويض وفاتحة الكتاب وام الكتاب وسورة الحمد الاولى وسورة الحمد القصوى وسورة السؤال
والصلاة لخبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي
ما سال يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول
الله اثنى علي عبدي يقول العبد ملك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك نعبد
واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الاية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال يقول العبد اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء
لعبدي ولعبدي ما سال ولانها جزؤها فهو من باب تسمية جزء الشيء باسم كله وقوله تعالى بسم الله
اي الملك الاعظم الذي لا تعبد الا اياه الرحمن اي الذي عم بنعمتي ايجاده وبيانه جميع خلقه
الرحيم اي الذي خص من يشاء من اهل وده برضاه اية من الفاتحة وعليه قرا مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن
المبارك والشافعي وقيل ليست منها وعليه قرا المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعي ومالك
ويدل للاول ما روي انه صلى الله عليه وسلم عد الفاتحة سبع ايات وعد بسم الله الرحمن الرحيم اية منها
رواه البخاري في تاريخه وروى الدارقطني عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا
قرأتم الحمد لله فاقرأوا بسم الله الرحمن الرحيم انها ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم
احدى اياتها وروى ابن خزيمة باسناد صحيح عن ام سلمة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم
عد بسم الله الرحمن الرحيم اية والحمد لله رب العالمين اي الى اخرها ست ايات واية من كل سورة الا براءة
لاجماع الصحابة على اثباتها في المصحف بخطه اوائل السور سوى براءة مع المبالغة في تجريد القرآن
عن الاعشار وتراجم السور والتعوذ حتى لم يكتب امين فلو لم تكن قرانا لما اجازوا ذلك لانه يحمل
على اعتقاد ما ليس بقران وايضا هي اية من القرآن في سورة النمل قطعا ثم انا نزاها مكررة بخط
القرآن فوجب ان تكون منه كما انا لما رأينا قوله فباي الاء ربكما تكذبان وقوله ويل يومئذ للمكذبين
مكررا في القرآن بخط واحد وبسورة واحدة قلنا ان الكلام في القرآن فان قيل لعلها ثبتت للفصل
اجيب بانه يلزم عليه اعتقاد ما ليس بقران قرانا ولثبتت في اول براءة ولم تثبت في اول الفاتحة
فان قيل القرآن انما يثبت بالتواتر اجيب بان محله فيما ثبت قرانا قطعا اما ما يثبت قرانا حكما
فيكفي فيه الظن كما يكفي في كل ظني فلانا للقاضي ابي بكر الباقلاني وايضا اثباتها في المصحف بخطه مرغوب
نكير في معنى التواتر وايضا قد يثبت التواتر عند قوم دون اخرين فان قلت لو كانت قرانا لكفر جاحدها
اجيب بانها لو لم تكن قرانا لكفر مثبتها وايضا التكفير لا يكون بالظنيات وقد اوضحت ذلك مع زيادة في

شرحي التنبيه والمنهاج اما براءة فليست البسملة اية منها باجماع فائدة ما اثبت في المصحف الائمة
مراعيا السور والاعشار شيء ابتدعه الحجاج في زمنه والباء في بسم الله متعلقة بمحذوف تقديره
بسم الله اقرا الآن الذي اتلوه مقروء اذ كل فاعل يبدا في فعله ببسم الله فيضمر ما جعل التسمية مبدا
له كما ان المسافر اذا حل او ارتحل قال بسم الله كان المعنى بسم الله احل او ارتحل وذلك اولى
من ان يضمر ابتداء لعدم مطابقته ومما يدل عليه ومن ان يضمر ابتداء ما ذكر فان قيل المصدر لا يعمل
محذوفا اجيب بانه يتوسع في الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع في غيرهما وتقديره موخرا كما
قال الامام الرازي اولى كما في اياك نعبد واياك نستعين لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في
التعظيم واوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فقدم ذكرا فانه
قيل قال الله تعالى اقرا باسم ربك فقدم الفعل اجيب بانه في مقام ابتداء القراءة وتعليمها لانها اول
سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى اهم في نفسه وذكر
اجوبة غير ذلك في مقدمتي على البسملة والحمدلة والباء للاستعانة او للمصاحبة والملابسة على جهة
التبرك والمعنى متبركا بسم الله اقرا والثاني اولى لما فيه من التحاشي عن جعل اسمه تعالى آلة والاحسن
ان يكون لهما اعما اللفظ في حقيقتيه او الحقيقي والمجازي عند من يجوزه كما مشى الشافعي والبسملة
وما بعدها الى اخر السورة مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبركون باسمه ويحمدون على نعمه وسيال من فضله
ويقدر في اول الفاتحة قولوا كما قاله الجلال المحلي ليكون ما قبل اياك نعبد مناسبا له لكونه من مقول العباد
فان قيل قرئ حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد من تبني على الفتحة التي هي اخف السكون نحو واو العطف وفا
اجيب بانها انما كسرت للزومها الحرفية والجر لتشابه حركتها عملها وحذفت الالف من بسم خطا كما حذفت
لفظا دون باسم ربك وان كان وضع الخط على حكم الابتداء دون الدرج لكثرة الاستعمال قالوا طولت
الباء تعويضا من طرح الالف والحق بها بسم الله مجراها ومرساها وانه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم
وان لم تكتب في القرآن الا مرة واحدة لشبهها لها صورة فان قيل لم حذفت في بسم الله دون الله والرحمن
الرحيم اجيب خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط العروضيين ولا تحذف الالف اذا اضيف الاسم لغير
الله ولا مع غير الباء والاسم مشتق من السمو وهو العلو لانه رفعة للمسمى وشعاره فهو من الاسماء المحذوفة
الاعجاز كيد ودم لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون وادخل عليها مبتدا بها همزة الوصل
لتعذر الابتداء بالساكن ولان من دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن وقيل من الوسم
وهو العلامة فوزنه على الاول افع محذوف اللام وعلى الثاني اعل محذوف الفا وفيه عشر لغات نظمها
بعضهم في بيت فقال اسم وسما واسم بتثليث اوله ومع سما عاشر تمت الجلاء والاسم ان اريد به اللفظ
فغير المسمى لانه يتالف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد بتعدد

ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر المعنى وقوله سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر وان اريد به الصفة كما هو راي ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى كالواحد والقديم والى ما هو غيره كالخالق والرازق والى ما ليس هو ولا غيره كالعلم والقدرة فانهما زايدتان على الذات وليستا غير الذات لان المراد بالغير ما ينفك عن الذات وهما لا ينفكان فان قيل لم بوابيسم الله دون بالله اجيب بان التبرك والاستعانة بذكر اسمه وللفرق بين اليمين والتيمن والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد واصله اله قال الرافعي كما مام ثم ادخلوا عليه الالف واللام ثم حذفت الهمزة طلبا للخفة ونقلت حركتها الى اللام فصار اللاه بلامين متحركتين ثم سكنت الاولى وادغمت في الثانية للتسهيل انتهى والاله في الاصل يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا والحق ان اصل بنفسه غير ماخوذ من شيء وضع علما ابتدائيا كما ان ذاته لا يحيط بها شيء ولا ترجع الى شيء فكذا اسمه تعالى وقيل ماخوذ من الاله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته وقيل غير ذلك وهو عربي عند الاكثر وعند المحققين انه اسم الله الاعظم وقد ذكره الله تعالى في الفين وثلثمائة وستين موضعا واختار النووي تبعا لجماعة انه الحي القيوم قال وكذلك لم يذكر في القران الا في ثلاثة مواضع في البقرة وال عمران وطه والرحمن الرحيم صفتان مشتهتان بينتا : للمبالغة من رحم بتنزيله منزلة اللازم او بجعله لازما ونقله الى فعل هـ بالضم والرحمة لغة رقة القلب تقتضي التفضل والاحسان فالتفضل غايتها واسما الله تعالى الماخوذة من ذلك انما توخذ باعتبار الغايات التي هي افعاله دون المبادي التي تكون انفعالات فرحمة الله تعالى ارادة ايصال الفضل والاحسان او نفس ايصال ذلك فهي من صفات الذات على الاول ومن صفات الفعل على الثاني والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع بالتخفيف وقطع بالتشديد فان قيل حذر ابلغ من حاذر اجيب بان ذلك الكثرة الكلي وبان الكلام فيما اذا اتحد المتلاقيان في الاشتقاق متحدي النوع في المعنى كغضبان وغضبان لا كحذر وحاذر للاختلاف وقدم الله عليهما لانه اسم ذات وهما اسما صفة والرحمن على الرحيم لانه خاص اذ لا يقال لغير الله بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم عالم نحرير لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره وكذلك رجح جماعة انه علم ولانه لما دل على جلايل النعم واصولها ذكر الرحيم كالتابع والتتمة والردف ليتناول ما دق منها ولطف فليس من باب الترقي بل من

باب التسمية والتحمل والمحافظة على رؤس الاي وهل الرحمن مصروف او لا فيه قولان مال السهيلي الى الثاني في الجوازات الامور لان شرط منع صرف فعلان صفة وجود فعلى وشرط صرفه وجود فعلا وكلاهما منتف هنا لكن اظهر هما انه ممنوع الصرف لما قاله بما هو الغالب من نظايره في الزيادة والثاني انه مصروف لما قاله بالاصل في مطلق الاسم وهو الصرف هذا مع ان المختار في منع صرف فعلان انتفاء فعلانة لا وجود فعلى والحاصل انه معارض في صرفه وعدم صرفه الاصل والغالب فان قيل هذا اذا لم تدخله ال اجيب بان المختار غير المصروف اذا دخلت عليه ال والعلتان فيه باقيتان على منع صرفه وان جرا بالكسرة فوايد الاولى الوقوف على الله قبيح للفصل بين التابع والمتبوع وعلى الرحمن كذلك وقيل كاف وعلى الرحيم تام الثانية عدد حروف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفا وعدد ملايكة خزنة النار عليها تسعة عشر قال ابن مسعود من اراد ان ينجيه الله تعالى من الزبانية فليقلها ليجعل الله تعالى له بكل حرف جنة اي وقاية من واحد الثلاثة قال النسفي في تفسيره قيل الكتب المنزلة من السما الى الدنيا مايه واربع صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشر والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وجميع كل الكتب مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة ومعاني البسملة مجموعة في بايها ومعناها باي كان ما كان وبي يكون ما يكون زاد بعضهم ومعاني الباء في نقطتها وتخصيص التسمية بهذه الثلاثة التي هي الله والرحمن والرحيم ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في جميع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها واجلها جليلها وحقيرها فيتوجه العارف بجملته حرصا ومحبة الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره هـ والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد اللغوي لغة الثنا باللسان على الجميل الاختياري على قصد التبجيل اي التعظيم سوا تعلق بالفضايل وهي النعم القاصرة ام بالفواضل وهي النعم المتعدية فوخل في الثنا الحمد وغيره وخرج باللسان الثنا بغيره كالحمد النفسي وبالجميل الثنا باللسان على غير الجميل ان قلنا براي بزعبو السلام ان الثنا حقيقة في الخير والشر وان قلنا براي الجمهور وهو الظاهر انه حقيقة في الخير فقط فقايدة ذلك تحقيق الماهية او دفع توهم ارادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوز وبالاختياري الممدوح فانه يعم الاختياري وغيره تقول مدحت اللولوة على حسنها دون حمدتها هـ وظاهر قول الزمخشري الحمد والمدح اخوان انهما مترادفان وبه صرح في الفايق لكن الاوفق بالمحل الاكثر انهما غير مترادفين بل متشابهان معنى او اشتقاقا كبيرا والاشتقاق ثلاثة اقسام كبير واكبر واصغر وقد يعبر عنه بالصغير فالكبيران يشتركا اللفظان في الحروف الاصول مع تغير ترتيب هـ كالحمد والمدح والاكبران يشتركا في اكثر الحروف الاصول كالفلق والفلج والفلذ مع اتحاد في المعنى او تناسب والاصغران يشتركا في الحروف الاصول المرتبة كضرب والضرب وبعلى قصد التبجيل لما كان

على قصد الاستهزاء والسخرية نحو قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وتناول الظاهر والباطن اذ
لو جرد الثناء على الجميل عن مطابقة الاعتقاد او خالفه افعال الجوارح لم يكن حمدا بل تهكم او تمليح وهذا
لا يقتضي دخول الجنان والاركان في التعريف لان المطابقة وعدم المخالفة اعتبرا فيه شرطا لا شطرا
وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم حيث انه منعم على الحامد او غيره سواء كان ذكرا باللسان ام اعتقادا
ومحبة بالجنان ام عملا وخدمة بالاركان كما قيل * افادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا *
فمورد اللغوي هو اللسان وحده ومتعلقه يعم النعمة وغيرها ومورد العرفي يعم اللسان وغيره هو
ومتعلقه يكون النعمة وحدها فاللغوي اعم باعتبار المتعلق واخص باعتبار المورد والعرفي بالعكس والشكر
لغة هو الحمد عرفا وعرفا من العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه من السمع وغيره الى ما خلق الله لاجله
والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقا على جهة التعظيم وعرفا ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع
من الفضايل والشكر اعم من الحمد والمدح من وجه لانه لا يختص باللسان واخص منهما من وجه اخر لانه
يختص بالثناء على الانعام وضد الحمد الذم وضد الشكر الكفران وضد المدح الهجو وجملة الحمد لله خبرية
لفظا انشائية معنى لحصول الحمد بالتكلم بها مع الاذعان لمدلولها ويجوز ان تكون موضوعة شرعا
للانشاء وقيل خبرية لفظا ومعنى قال بعضهم وهو التحقيق اذ ليس معنى كونها انشائية الا انها جملة انشائية الحامد
الثنا بها وذلك لا ينافي كونها خبرية معنى ولام لله للملك او الاستحقاق او الاختصاص وقيل للتعليل
والاولى انها للاختصاص بالمعنى الاعم الصادق بالملك وبالاستحقاق لا بالمعنى الاخص المقابل
لهما وعلى كل فهي متعلقة بمحذوف وهو الخبر حقيقة فالحمد مختص بالله كما افادته الجملة الاسمية سواء
اجعلت لام التعريف فيه للاستغراق كما عليه الجمهور وهو ظاهر ام للجنس كما عليه الزمخشري لان لام
لله للاختصاص كما مر فلا فرد منه لغيره ام للعهد كما التي في قوله تعالى اذ هما في الغار كما نقله بن عبد
السلام واجازه الواحدي على معنى ان الحمد الذي حمد الله به نفسه وحمده به انبياؤه واولياؤه
مختص به والعبرة بحمد من ذكر فلا فرد منه لغيره واولى الثلاثة الجنس زاد بعضهم او للكمال كما
افاده سيبويه في الداخلة على الصفات كالرحمن الرحيم قال البيضاوي اذ الحمد في الحقيقة كله له
اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله انتهى فان قيل بل هو
موليه مطلقا بغير وسط اجيب بان المراد بالوسط من تصل اليه النعمة اولا ثم تنتقل منه
الى غيره لا انه وسط في التاثير فان قيل لم خص الحمد بالله ولم يجعل الحمد للخالق او نحوه من بقية
الصفات اجيب بان لا يتوهم اختصاص استحقاق الحمد بوصف دون وصف قال البيضاوي وفيه
اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه رب العالمين
اي مالك جميع الخلق من الانس والجن والملايكة والدواب وغيرهم اذ كل منها يطلق عليه عالم يقال

عالم

عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وسمي المالك بالرب لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على
غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالمين اسم جمع عالم بفتح اللام وليس جمعا له
لان العالم عام في العقلا وغيرهم والعالمين مختص بالعقلا والخاص لا يكون جمعا لما هو اعم منه
قاله بن مالك وتبعه بن هشام في توضيحه وذهب كثير الى انه جمع عالم على حقيقة الجمع ثم
اختلفوا في تفسير العالم الذي جمع هذا الجمع فذهب ابو الحسن الى انه اصناف الخلق العقلا وغيرهم
وهو ظاهر كلام الجوهري وذهب ابو عبيدة الى انه اصناف العقلا فقط وهم الانس والجن والملايكة
وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظايرها في العالم الكبير
وهو اشتمال الصغير وهو الانسان على نظايرها في الكبير وهو ما سوى الله تعالى ان تفاصيل شبهة
بتفاصيل العالم الكبير اذ الكبير ينقسم الى ظاهر محسوس كعالم الملك وهو ما ظهر للحواس ويكون
بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وتضمنه التغيير والى باطن معقول كعالم الملكوت وهو ما اوجده
سبحانه وتعالى بالامر الالهي بلا تدريج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة ولا نقصان منه والى
عالم الجبروت وهو ما بين العالمين ما يشبه ان يكون في الظاهر من عالم الملك فيحس بالقدرة الا انه
بباطنه هو من عالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم والى
باطن كالروح والعقل والارادة والقدرة والى ما هو مشابه لعالم الجبروت كالادراكات الموجودة
بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن فان قيل لم جمع بجمع قلة مع ان المقام يستدعي الاتيان
بجمع الكثرة اجيب بان فيه تنبيها على انهم وان كثروا قليلون في جنب عظمته وكبريايه تعالى الرحمن
الرحيم ملك يوم الدين ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من اسمايه جملة الله والرب والرحمن
والرحيم والمالك والرب فيه كانه يقول خلقتك اولا فانا الله ثم ربيتك بوجود النعمة فانا رب
ثم عصيت فستر تك عليك فانا رحمن ثم تبت فغفرت فانا رحيم ثم لابد من ايصال الجزا اليك فانا
مالك يوم الدين فان قيل انه تعالى ذكر الرحمن الرحيم في التسمية ثم ذكرهما مرة ثانية دون
الاسما الثلاثة الباقية فما الحكمة في ذلك اجيب بان الحكمة في ذلك كانه قال تعالى اذكروني اله
وربكم مرة واحدة واذكروني رحمن رحيم مرتين ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر منه لسابق الامور
ثم ما بين الرحمة المضاعفة فكانه قال لا تقنطوا من ذلك فاني مالك يوم الدين ونظيره قوله تعالى
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول فراعاهم والكساي مالك بالى بعد اليم يبسط
قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيا والامر يومئذ لله وقرا الباقون بغير الف وبعضده قوله تعالى
ملك الناس وبينهما عموم مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعموم ولاية الملك لولاية المالك التزاما
لمطابقة ولا يقدح فيها ان يقال مالك الدواب والانعام والوحوش والطير دون ملكها لان ذلك

ليس مرجحة عدم شمول حياطة لذلك بل من جهة انه انما يضاف عرفا الى ما فيه انقياد وامتثال وينفذ فيه
التعرف بالامر والنهي تاله السعد التفتازاني وقيل هما بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم
الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وهو يوم
القيامة وخص بالذكر لانه لا ملك ظاهر فيه لاحد الا الله تعالى لمن الملك اليوم لله فان قيل اضاف
اسم الفاعل غير حقيقة فلا يكون معطيه معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة اجيب
بانها انما تكون غير حقيقة اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال وكان في تقدير الانفصال
كقولك مالك الساعة او عدا فاما اذا قصد به معنى الاستمرار الذي هو موصوف بذلك دائما فتكون
الاضافة حقيقية كخالق الذباب فصح وقوعه صفة للمعرفة فان قيل التقييد بيوم الدين ينافي الاستمرار
لكونه مختصا في الاستقبال اجيب بان معناه الثبوت والاستمرار من غير اعتبار حدوث في احد من
الازمنة ومثل هذا المعنى لا يمتنع انه يعتبر بالنسبة الى يوم الدين كانه قيل هو ثابت الملكية في
يوم الدين او المراد انه جعل يوم الدين لتحقق وقوعه بمنزلة الواقع فيستمر مالكيته في جميع الازمنة
تنبيه اجراء هذه الاوصاف على الله مركونه ربا للعالمين موجدا لهم ومنعما عليهم بالنعم كلها
ظاهرها وباطنها عاجلها واجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه تعالى الحقيق بالحمد
لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له اياك
نعبد واياك نستعين اياك ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت
لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب وفيه اقوال اخر ذكرتها في شرح العقائد فان قيل
لم كرر ضمير اياك اجيب بانه كرره للتنصيص على انه المستعان به لا غيره فان قيل لم قدمت
العبادة على الاستعانة اجيب لتتوافق رؤس الآي وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة
ادعى الى الاجابة وايضا مناسب الى المتكلم العبادة الى نفسه او هو ذلك فرحا واعترافا منه بما يصدر
عنه فقيه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا تتم ولا تنتشر الا بمعونة منه
تعالى وتوفيق فان قيل لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب اجيب بان عادة العرب التفنن
في الكلام والعدول من اسلوب الى اخر تحسينا للكلام وتنشيطا للسامع فيكون اكثر اصغاء للكلام فتعدل
من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس فيها فهذه اقسام اربعة ذكرها البيضاوي
والتحقيق كما قاله بعض المتاخرين انها ستة لان الملتفت منه والملتفت اليه اثنان وكل منهما اما
غيبة او خطاب او تكلم من ذلك قوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الاصل بكم فهو التفات
من الخطاب الى الغيبة وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الاصل فساقه فهو التفات
من الغيبة الى التكلم والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية فالضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه

كاقتدار

كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند اجتماع ذلك يوصف الرجل بالاستطاعة
ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر
على المشي ترتب الفاعل الى الفعل وبحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف هو
وتقديم التوقف كما كثر الواجبات المالية تنبيه الضمير المستكن في نعبد ونستعين للقارئ
ومن معه من الحفظة حاضري صلاة الجماعة اوله ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف
عبادتهم وخلط حاجة بحاجتهم لعل عبادته تقبل ببركة عبادتهم وحاجته يجاب اليها ببركة حاجتهم
ولهذا ترغب الجماعة في الصلاة فان قيل لم قدم المفعول اجيب بان تقديمه للتعظيم والاهتمام به
والدلالة على الحصر وبذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو
مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة
لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق
فان العارف انما يحق وصوله او المستغرق في ملاحظة جناب القدس وغائب عما عداه حتى انه لا يلاحظ
نفسه ولا حالا من احواله الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكي عن
حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حين قال الا تحق ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه موسى صلى الله عليه
وسلم حيث قال ان معي ربي سيهدين اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال
كيف اعينكم فقال اهدنا والهداية الدلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير فان قيل قال الله تعالى فاهدوهم
الى صراط الجحيم اجيب بانه ورد على التهكم تنبيه هدى اصله ان يتعدى باللام او الى كقوله تعالى
ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فحمل معاملة اختار في قوله
تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا وقد يتعدى بنفسه كما هنا وهو حينئذ محتمل لاضمار
الحرف ولعدم اضماره وهداية الله تعالى تشتمل انواعا لا يحصيها عدد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء
الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنية والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلايل الفارقة بين الحق
والباطل والصلاح والفساد واليه اشار تعالى حيث قال وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر وقال
واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها
عنى بقوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع
ان يكشف لعقولهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا
القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى تعالى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فان قيل ما معنى طلب الهداية وهم مهتدون اجيب

طلب المعونة في

بانهم طلبوا زيادة ما منحوه من الهدي والثبات عليه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والصراط
من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل
عنه قرا حمزة الصراط المعرف في هذه السورة بالاشمام وهو ان ينطق القاري بحرف متولد بين الصاد
والزاي واشم خلف صراط الثاني كالاول وكذا جميع ما في القران من معرف ومنكر وقرا قنبل جميع
ما في القران بالسين وقرا الباقون بالصاد الخالصة في الجميع وهذه لغة قريش وهي الثابتة في
الامام وهو معنى سبونا عثمان رضي الله تعالى عنه والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل
ملة الاسلام وهذان القولان مرويان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهما متحدان صوقاهو
وان اختلفا مفهوما صراط الذين انعمت عليهم بالهداية بدل من الاول بدل كل من كل والعامل فيه مقدر
على راي الجمهور وقيل العامل فيه هو العامل في المبدل منه وهو ظاهر مذهب سيبويه ٥٥٥٥٥
واختاره ابن مالك فان قيل ما فايدة ذكر صراط الذين انعمت عليهم بدلا تابعا وهلا اقتصر عليه مع انه
المقصود بالنسبة اجيب بان فايدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة
بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان
الطريق المستقيم ما يكون طريق المومنين وهذا هو الموافق لما خرج ابن جرير عن ابن عباس ان المراد
بالذين انعمت عليهم الانبيا والملايكة والصديقون والشهدا ومن اطاعه وعبده وقيل الذين انعمت عليهم
الانبيا خاصة صلوات الله وسلامه عليهم وقيل اصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ تنبيه
اطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته
واشتملت عليه وتبدل المراد في بصلته غير المغضوب عليهم وهم اليهود لقوله تعالى فبهم من لعنه الله
وغضب عليه ولا اي وغير الضالين وهم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا اه
وضلوا الاية ونكتة البدل افادة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى وقيل ان غير صفة على
معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال
وقيل المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وذلك لانه تعالى بدا في اول البقرة
بذكر المومنين والثنا عليهم في خمس ايات ثم اتبعه بذكر الكفار وهو المراد من قوله ان الذين كفروا
ثم اتبعهم بذكر المنافقين وهو قوله ومن الناس من يقول امنا وكذا هنا بدا بذكر المومنين
وهو قوله انعمت عليهم ثم اتبعهم بذكر المنافقين وهو قوله ولا الضالين فان قيل كيف صح ان
يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف اجيب بانه يقع باحدنا ويلين احوالها
اجرا الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى باللام في قول القايل ولقد امر على اللئيم
يسبني اي لئيم يسبني اذ لا مرور على الكل والثاني جعل غير معه بالاضافة لانه اضيف الى ما له ضد

واحد

واحد وهو المنعم عليه فليس في غير اذن الابهام الذي ياتي عليه ان يتعرف بتبيه انما سمي كل من
اليهود والنصارى بما ذكر مع انه مغضوب عليهم وضال لاختصاص كل منهما بما غلب عليه وقال
صلى الله عليه وسلم ان المغضوب اليهود وان الضالين النصارى رواه ابن حبان وصححه وقيل
المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة
الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدي قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل
فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعمل جاهل ضال لقوله
تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فان قيل ما معنى غضب الله لان الغضب ثوران النفس ارادة
الانتقام او تغير يحصل عند ثوران دم القلب ارادة الانتقام وهو محال في حقه تعالى اجيب
بانه اذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهي والغاية فمعناه ارادة الانتقام من العصاة وانزال
العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه وسخطه
رضاه ورحمته فان قيل اي فرق بين عليهم الاولى والثانية اجيب بان محل مجرور الاولى النصب على
المفعولية ومحل مجرور الثانية الرفع لانه نايب مناب الفاعل فان قيل لم دخلت لا في ولا الضالين
اجيب بانها معنى غير كما قررته تبعا للجلال المحلي انها مزيدة كما قاله الزمخشري لتاكيد معنى النفي
غير من معنى النفي كانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين وللتصريح بتعلق النفي بكل من المعطوف
والمعطوف عليه فايدة اول السورة تشتمل على الحمد والثنا عليه والموح له واخرها تشتمل على
الذم للمرضين عن الايمان به والاقرار بطاعته وذلك يدل على ان مطلع الخيرات وعنوان السعادات
هو الاقبال على الله ومطلع الافات وراس المخالفات هو الاعراض عن الله والبعد عن طاعته
والاجتناب عن خدمته فان قيل ما فايدة غير المغضوب الى اخره بعد ذكر انعمت عليهم اجيب بان
الايمان انما يكمل بالرجا والخوف كما قال عليه الصلاة والسلام لو وزنت خوف المومن ورجاه
لاعتدلا فقوله صراط الذين انعمت عليهم يوجب الرجا الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الى اخره يوجب
الخوف الكامل وحينيذ يتقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهي الى حد الكمال وقرا حمزة عليهم غير
المغضوب عليهم بضم الهاء وقفا ووصلا وكذا جميع ما في القران وقرا ابن كثير عليهم بواو بعد
الميم في الوصل فاذا وقف اسقط الواو وكذا يفعل في كل ميم جمع بعدها حرف متحرك واما قالون
فهو مخير في ميم الجمع ان شا وصلها بواو وكان كثير وان شا لا يصلها بواو واما ورش فانه يصل ميم الجمع
بواو وان كان بعدها همزة قطع فيصير عنده مد متصل وقوله ولا الضالين هو ان لازم وعارض فاللازم
هو الذي على الالف بعد الضاد قبل اللام المشددة والعارض هو الذي على الياء قبل النون والسنة للقاري ان يقول
بعد فراغه من الفاتحة امين مفصولا عن الفاتحة بسكتة وهو اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس

الكفار

غير المغضوب عليهم ثم اتبعهم بذكر المنافقين وهو قول

ات

عباس

رضي الله تعالى عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني علي الفتح كاين لا التقا
الساكنين وجاز مواليه وقصرها قال مجنون ليلى يا رب لا تسلبني حبها ابدا ويرحم الله عبدا قال امينا
اي بالمد وقال جبير بن اسيل الاسدي المسمى بقطحل تباعد عني فطحل ان سالته امين فزاد الله ما بيننا بعدا
فذكره مقصورا وكان مرجعه التاخير لان التامين انما يكون بعد الدعا لكن قدمه للضرورة وليس امين
من القرآن اتفاقا بدليل انه لم يثبت في المصاحف كما مرت الاشارة اليه ولكن ختم السورة به
لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة الفاتحة كما رواه البيهقي
وغيره وقال صلى الله عليه وسلم انه كالختم على الكتاب كما رواه ابو داود في سننه وقال علي رضي الله
تعالى عنه امين خاتم رب العالمين ختم به دعا عبده رواه الطبراني وغيره لكن بسند ضعيف يقوله
الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وايل بن حجر انه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرا ولا
الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن الحسن لا يقوله الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة
مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيه والمامور يوفق مع امامه لقوله صلى الله عليه وسلم
اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملايكة تقول امين وان الامام يقول امين فمن
وافق تامينه تامين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد الجرجاني في اماليه وما تاخر واحتج من قال
به هذا الخبر ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال صفوف اهل الارض تلي صفوف اهل السما فاذا وافق
امين في الارض امين في السما غفر للعبد قال ابن حجر ومثل هذا لا يقال بالراي فالمصير اليه اولى وعن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ابي الا اخبرك بسورة لم ينزل في
التوراة والانجيل مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي
اوتيته رواه الترمذي وقال حسن صحيح وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينا نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يوتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة لن تقرا حرفا منهما الا اعطيته وما رواه البيهقي وغيره عن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان القوم يبعث الله عليهم العذاب حتى مختفيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب
فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة حديث موضوع

سورة البقرة مدنية وهي مايتان وسبع وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم الم

قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف التهجي في اوايل السور من المتشابه الذي استاثر الله بعلمه وهي
سر القران فنحن نومن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله سبحانه وتعالى وفايدة ذكرها طلب الايمان بها والتسليم
في ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش والله تعالى استاثر
بعلم لا يقوم عليه عقول الانبيا استاثر وا بعلم لا يقوم عليه عقول العلما والعلما استاثروا بعلم لا يقوم عليه عقول العلمة

وقال

وقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه في كل كتاب سر وسر الله في القران اوايل السور وقال علي رضي الله تعالى عنه
ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي قال داود بن ابي هند كنت اسال الشعبي عن فواتح
السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر القران فواتح السور فدعها وسل عما سوى ذلك وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال معنى الم انا الله اعلم ومعنى الرا انا الله ارى
ومعنى المر انا الله اعلم وارى قال الزجاج وهذا احسن فان العرب تذكر حرفا من كلمة تريد بها الكو
قلت تها في تقول قال اي وقفت وقيل هي اسما السور وعليه الطباق اكثر المتكلمين واختاره الخليل
وسيبويه سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وجبا مر الله تعالى لم ساقطوه
عند معارضتها ونقضه الامام الرازي بانها لو كانت اسما لها لوجب اشتهارها بها وقد اشتهرت
بغيرها كسورة البقرة وال عمران وقيل اسما للقران قاله قتادة والحكمة في الاتيان بهذه الاحرف
الثلاثة ان الالف مراقصى الحلق وهو مبدا المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من
الشفة وهي اخرها جمع الله تعالى بينها ايما الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله
تعالى ولما كثر وقوع الالف واللام في تراكيب الكلم جانا في معظم الفواتح مكررين وهي فواتح سور
البقرة وال عمران والاعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والعنكبوت والروم
ولقمان والسجدة فان قيل هلا عدت هذه الاحرف باجمعها في اول القران وما بالها جاءت مفرقة على السور
اجيب بان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مولف منها لا غير وتكريره في غير موضع واحد افضل الى الغرض
واقرله في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جا في القران فمطلوب به
تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قيل هلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها
فورد من حروف وبعض على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف
والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص وحمعسق على خمسة احرف اجيب بان هذا على عادة افنانهم
في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين
الى خمسة احرف لم تجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح تلك المسالك فان قيل ما وجه اختصاص كل سورة
بالفاتحة التي افتتحت بها اجيب بانه لما كان الغرض هو التنبيه والمباديء كلها في تاديه هذا الغرض سوا
لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والاخر عمرا لم يتجه له ليم
خصصت ولذلك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل بذلك فان قيل هل لهذه الفواتح
محل الاعراب اجيب بان لها محلا فيمن جعلها اسما لانه عندهم كسائر الاسما الاعلام ومحلها يحتمل
ثلاثة اوجه اما الرفع بانها مبتدا او خبر لمبتدا محذوف اي هذه الم او النصب بفعل مقدر كاذكر او اقرا
او اتل الم او الجر بتقدير حذف حرف القسم ذلك الكتاب الذي تقراه يا محمد على الناس لا ريب فيه

لاشك في انه من عند الله تعالى فان قيل لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد اجيب بان الاشارة
وقعت فيه للتفخيم وقد قال الطيبي احسن ما قيل في توجيه ذلك قول صاحب المفتاح قال ذلك
الكتاب ذهابا الى بعده درجة وقيل وقعت الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضي والمتقضي في جميع المنبا
وهذا في كل كلام تحدث الرجل بحديث ثم تقول وذلك ما لاشك فيه ويحسب الحاسب ثم تقول وذلك
كذا وكذا وقال تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال بني الله يوسف صلى الله عليه وسلم لا ياتيكما
طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل اليه انه
وتعالى الى المرسل اليه صلى الله عليه وسلم وقع في حوالبعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيا احفظ
بذلك اي تمسك به وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
او في الكتب المتقدمة لان سورة البقرة مدنية كما مر واكثرها احتجاج على اليهود وعلى بني اسرائيل
وقد كانت بنو اسرائيل اخبروهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ان الله تعالى يرسل محمدا وينزل
عليه كتابا فقال تعالى ذلك الكتاب اي الذي اخبر الانبيا المتقدمون بان الله سينزله على النبي
المبعوث من ولد اسماعيل وقيل انه تعالى لما اخبر عن القران بانه في اللوح المحفوظ بقوله وانه في ام
الكتاب لدينا وقد كان صلى الله عليه وسلم اخبر امته بذلك فغير ممتنع ان يقول تعالى ذلك الكتاب ليعلم
ان هذا المتلو هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ والكتاب مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال
بني للمفعول كالباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الضم والجمع
سمي الكتاب كتابا لانه جمع حرف الى حرف والكتاب جاء في القران على وجوه احدها الفرض قال تعالى
كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام ان الصلاة كانت على المومنين كتابا موقوتا وثانيها الحجة والبرهان
قال تعالى فاتوا بكتابكم ان كنتم صادقين اي برهانكم وثالثها الاجل قال تعالى وما اهلكنا من قرية
الا ولها كتاب معلوم اي اجل ورابعها بمعنى مكاتبة السيد رقيقه قال تعالى والذين يبتغون الكتاب
مما ملكت ايمانكم فان قيل كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه اجيب
بانه تعالى ما نفى ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه لوضوحه
وسطوع برهانه بحيث لا ينبغي لاحد ان يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا
على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه لم ينف عنهم الريب بل ارشدهم الى الطريق المزيح للريب وهو ان
يجتهدوا في معارضة سورة من سوره ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان
ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا والريب في الاصل مصدر رابني الشي اذا احمل فيك الريبة
وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك

الى ما لا

الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة رواه الترمذي لكن بلفظ وان الصدق طمانينة
والكذب ريبة وصحيحه ومعناه اترك ما فيه شك الى ما لا شك فيه فان الرجل اذا ارتاب نفسه في شي فانه
اذا طمانت اليه فافعله فان نفس المومن تطمين الى الصدق وترتاب من الكذب وهذا مخصوص
بذوي النفوس الشريفة القدسية الطاهرة تنبيه جملة النفي خبر مبتدوه ذلك وهو خبر ثان
اي هاد للمتقين الصايرين الى التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لانقيادهم بذلك الناشئ
وتخصيص المتقين بالذكر تشريفا لهم اولانهم هم المنتفعون بالهدى كما قال تعالى انما انت منذر
من يخشاها وقال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وقد كان صلى الله عليه وسلم منذرا لكل الناس لان
هولاء هم الذين انتفعوا بانذاره ولها ثلاث مراتب الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبري
عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يوثم من فعل او
ترك حتى الصغاير عند قوم وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني بقوله
تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا وعلى هذه قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم
الله واداء ما افترض الله فمن رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير والثالثة ان ينزه عما يشغل سره
عن الحق تعالى وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق
تقاته وقال ابن عمر التقوى ان لا تري نفسك خيرا من احد قرا ابن كثير فيهي هدي فيصل الها من قبله
بيا في الوصل لانها مكسورة وقبلها ساكن فان كانت ها الكناية مضمومة وقبلها ساكن وصلها بواو
فان كان قبلها متحرك وبعدها متحرك نحو لجميع القرا يصلونها مكسورة بيا ويصلونها مضمومة بواو
تمثال الكسرة به ان يوصل ومثال المضموم قال له صاحبه وهو يحاوره اشبه ذلك فان كان قبلها متحرك
وبعدها ساكن فالجميع على عدم الصلة مثال ذلك به الله وله الملك وما اشبه ذلك ويوقف ابو عمر
والها في الها بخلاف عنه وكذا الحل مثلين ما لم يكن الحرف المدغم تا متكلم كنت ترابا او تا مخاطب
مثل افانت تذكره الناس او منونا مثل سميع عليم او مشددا مثل فتم ميقات ربه ثم ومن المتقين
بما هو شانهم بقوله الذين يومنون بالغيب اي يصدقون بما غاب عنهم من البعث والجزاء والجنة
والنار والصراط والميزان والايمان لغة التصديق وشرعا قيل التصديق بما علم بالضرورة انه من
دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار
به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج والاصح ان التصديق وحده ويدل
له انه تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقال وقلبه مطمين بالايمان
وقال ولم تومن قلوبهم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان
طايفتان من المومنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى فلو لم يكن الايمان

التصديق فقط بل هو وترك المعاصي لم يكونوا مومنين فان قيل قال الشافعي رضي الله تعالى عنه
وغيره ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص اجيب بان ذلك محمول على الايمان الكامل وقرا ورش
والسوسي بابدال الهمزة الساكنة في يومنون واوا وكذا نافع حمزة في الوقف ويقيمون الصلاة
اي يديمونها ويحافظون عليها في مواقيتها بحدودها واركانها وهيئاتها يقال قام بالامر واقامه
اذا اتى به مستوفيا حقوقه لان الخشوع بالجوارح مراع لحدودها الظاهرة من الفرايض والسنن
وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال على الله تعالى لا المطلون الذين هم عن صلاتهم ساهون
ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلاة وفي معرض الذم فويل للمصلين والمراد بها الصلوات
الخمس ذكر بلفظ الوحدان كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم
الكتاب بالحق يعني الكتب والصلاة في اللغة الدعا قال الله تعالى وصل عليهم اي ادع لهم وفي الشرع
اسم لافعال واقوال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وقرا ورش بتغليظ اللام في الصلاة
حيث جا ومما رزقناهم اي اعطيناهم ينفقون يخرجون المال في طاعة الله فرضا كان او نفلا وخص
بالزكاة ذكرا فضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانها بالصلاة لانهما يذكران معا في
القران ويحتمل ان يراد به الانفاق مما منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويويده ما رواه
الطبراني في الاوسط مرفوعا مثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا
ينفق منه والى هذا فسر فقال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والرزق بالكسر
في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم من القران انكم تكذبون واما
بالفتح فهو مصدر بمعنى اعطا الحظ كما انه بالكسر يكون مصدرا ايضا كما قيل به في قوله تعالى ومن
رزقناه منا رزقا حسنا وفي العرف اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والرقيق والمعتزلة لما اشتقوا
من الله ان يمكن من الحرام لانه تعالى منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول
الحرام الاترى انه تعالى استدرك الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطيب
وان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعضها رزقهم الله تعالى بقوله
تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واجاب اهل السنة عما ذكروه بان
الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم بتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال
للقرينة وتمسكوا الشمول الرزق له بما رواه ابن ماجة وغيره من حديث صفوان بن امية قال كنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاه عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله قد كتب على الشقوة
فلا ارانى ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغنا من غير فاحشة فقال لا اذن لك ولا كرامة
كذبت اي عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان

ما احل

ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرتزقا وليركة لك لقوله تعالى وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها تعهد بارزاقهم على ما يقتضيه الاهتمام به والمحافظة على رووس الاي والدا
من التبعيضية عليه للتنويع او الاشارة الى ان في حق من لم يجد الا بعض ما يسد الرمق والا فليس بمرتزق فقد تصدق ابو بكر رضي
الله عنه بجميع ماله ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم والذين يومنون بما انزل اليك اي القران باسره والشريعة
عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه متوقعا تغليبا للموجود على ما لم يوجد فيكون مجازا
باعتبار تسمية الكل باسم البعض او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع فيكون استعارة باعتبار شبهه غير المتحقق
بالمتحقق وفي كل من هذين الوجهين جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جايز عند الشافعي رضي الله تعالى عنه
وما انزل من قبلك اي التورية والانجيل وغيرهما من سايرالكتب السابقة على القران والايمان بالانزلين
جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان
وجوبه على كل احد يوجب الحرج وتشويش المعاش وهذه الاية في المومنين من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام ه
واشاله فانه روى ان الكتب المنزلة مايه واربعة كتب انزل على السوشيث ستون صحيفة وعلى ابي ابراهيم
ثلاثون وعلى ابي موسى قبل التورية عشر وهي مايه والاربعة الاخرى التورية والانجيل والزبور
والقران العظيم واختلف القرا في مد وقصر ما انزل فقالون والدوري عن ابي عمرو يمدان ويقصران
وابن كثير والسوسي يقصران بلا خلاف وباقي القرا هم ورش وعاصم وحمزة والكسايي يمدون بلا خلاف ه
ويتفاوتون في طول المد فاطولهم مدا ورش وحمزة ودونهما عاصم ودونه ابن عامر والكسايي وهو اكل مد
منفصل وبالاخرة هم يوقنون اي يعلمون انها كاينة لان اليقين هو العلم بالشي بعد ان كان صاحبه شاكا فيه
قاله الامام ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية فلا يقال تيقن الله كذا ولا تيقنت ان الكل اكبر
من الجزء فايدة سميت الدنيا دنيا لدنوها من الاخرة وسميت الاخرة اخرة لتاخرها وكونها بعد فنا الدنيا وهي
تانيث الاخر ضعة العاجل بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة وقرا ورش بنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها
حيث جا وكذا الارض وقد افلح ومرجمون وما اشبه ذلك اولئك الموصوفون بما ذكر على هدى اي رشد من ربهم
وتكرير هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره واكد تعظيمه بان الله ما نحه والموفق له
نتيجة جميع الفرايد دون اولئك بلا خلاف لانه متصل لكن مرتبة بن كثير وابي عمرو دون مرتبة ابن عامر
والكسايي في المتصل والمنفصل واولا كلمة معناها الكناية عن جماعة واكاف للخطاب كما في حرف ذلك واولئك
هم المفلحون اي الفايزون بالجنة والناجون من النار كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك
الصفات يقتضي كل واحد من الاختصاصين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم فلا يحتاجون
فيه الى مجموعهما فان قيل لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله تعالى اولئك كالاتمام لما قبلهم ه
اجيب بان الجملتين هنا مختلفتان باختلاف المسند فيهما اذ على هدى من ربهم

والمغلوب وان تناسبا تقابلا مختلفان مفهوما ووجودا ومقصودا الان الهدي في الدنيا والفلاح في العقبي واثبات كل منهما مقصود في نفسه بخلاف الانعام والغافلين فانهما وان اختلفا مفهوما فهما نحو مقصودا ووجودا اذ لا معني للتشبيه بالانعام الا المبالغة في الغفلة في الدنيا فناسب العطف في الاول دون الثاني تنبيه تامل كيف نبه سبحانه وتعالي علي اختصاص المتقين بنيل ما لا ينال له احد من وجوه شتي بناء الكلام علي اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم واصل الفلاح القطع والشق ومنه سمي الزراع فلاحا لانه يشق الارض فهم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والاخرة وملاذكر الله تعالي خاصة عباده وخالصة اوليايه بصفاتهم التي اهلتهم للهدي والفلاح عقبهم بذكر اضدادهم الغواة للزجر الذي لا ينفع فيهم الهدي ولا تغني عنهم الايات والنذر بقوله تعالي ان الذين كفروا والكفر لغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر والكلام الثمر كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجي الرسول به وينقسم الي اربعة اقسام كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو ان لا يعرف الله اصلا ولا يعترف به وكفر الجحود هو ان لا يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه كفرابليس واليهود قال الله تعالي فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد هو ان يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به كفر ابي طالب حيث يقول ولقد علمت بان دين محمد من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا واما كفر النفاق فهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الاقسام من نفي الله تعالي بواحد منها لا يغفره قال تعالي ان الله لا يغفر ان يشرك به تبين احتجت المعتزلة بما جاء في القران بلفظ المضي نحو ان الذين كفروا انا نحن نزلنا الذكر انا ارسلنا نوحا علي حدوث القران لاستوعاما جاء فيه بلفظ الماضي سابقة المخبر عنها عنه وحدوث متقضي التعلق لا يستلزم عنه والقديم يستحيل ان يكون مسبوقا بغيره واجاب اهل السنة بان ما جاء فيه بلفظ الماضي متقضي تعلق الحكم بالمخبر عنه وحدوث متقضي التعلق لا يستلزم حدوث المخبر عنه فلا يستلزم حدوث كلام الله كما في علمه تعالي فانه قديم ومتقضي تعلقه غير حادث والحاصل انه لا يلزم من حدوث متقضي التعلق وهو الكلام اللفظي حدوث الكلام النفسي سواء عليهم اي متساو لديهم انذرتهم ام لم تنذرهم اي خوفتهم وحذرتهم ام لا والانذار اعلام مع تخويف وتحذير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من حيث ان رفع الضرر اهم من جلب النفع واذا لم ينفع فيهم الانذار كانت البشارة بعدم النفع اولي لا يؤمنون بما جيت به وهذه الاية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله تعالي كابي جهل وابي لهب وغيرهما فلا تطمع في ايمانهم واحتج بهذه الاية من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالي اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا وقع الخلف في كلامه تعالي وهو محال

والحق ان التكليف بالممتنع لذاته جايز عقلا غير واقع بخلاف التكليف بالممتنع لغيره كالذي تعلق علم الله تعالي بعدم وقوعه فانه جايز وواقع اتفاقا تنبيه هنا همزتان مفتوحتان من كلمة تقالون وابو عمرو وهشام لهما التسهيل والثانية ويدخلان بينهما الفا وكذا ورش وابن كثير الا انهما لم يدخلا الفا بينهما هـ ولورش وجه اخر وهو انه يبدل الثانية حرف مد وهشام له وجهان تسهيل الهمزة الثانية وتحقيقها مع ادخال الف بينهما والباقون بالتحقيق والقصر وجميع القراء يحققون الاولي ثم ذكر سبب تركهم الايمان بقوله تعالي ختم الله علي قلوبهم اي طبع واستوثق فلا يدخلها ايمان ولا خير والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له وعلي سمعهم اي مواضعه فلا يتفعون بما يسمعونه من الحق وقوله تعالي وعلي ابصارهم اي اعينهم غشاوة مبتدا وخبر اي علي اعينهم غطاء من عنوا الله فلا يبصرون الحق وعبر الله تعالي عن احوال هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالي اولئك الذين طبع الله علي قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاقفال في قوله تعالي وجعلنا قلوبهم قاسية وهذه الهيئة من حيث ان الممكنات باسرها مستوية الي الله تعالي واقعة بقدرته استوت اليه تعالي ومن حيث انها مسببة عما اقترفوه بدليل قوله تعالي بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالي ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع علي قلوبهم وردت الاية مظهرة عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم فان قيل لم وحد السمع دون القلوب والابصار اجيب بانه علي حذف مضاف مثل وعلي حواسهم سمعهم كما ضمه كما من تقديره او باعتبار الاصل فانه مصدر في اصله والمصدر لا تثني ولا تجمع والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا علي القوة الباصرة وعلي العضو وكذا السمع قال البيضاوي وكل المراد بهما في الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق القلب ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالي ان في ذلك لذكري لمن كان له قلب اي عقل وامالا ابو عمرو والف ابصارهم وكذا كل الف بعدها راء مكسورة متطرفة وانما جاز امالة التهامي الصاد لان الراء المكسورة تقلب المستعلية لما فيها من التكرير ولهم عذاب عظيم اي قوي دايم في الاخرة وهذا وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كل ما يؤلم الانسان ويشق عليه وقال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش وانما وصف العذاب بالعظيم دون الكبير لان العظيم فوقه لان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير واذا كان الحقير مقابلا للعظيم والصغير للكبير كان العظيم فوق الكبير لان العظيم لا يكون حقيرا والكبير قد يكون كذلك اما ان الصغير قد يكون عظيما وتنكير الغشاوة والعذاب للنوعية لانهما ملاقرنا بالختم علي القلوب كان المعني نوعا عظيما منه اي علي ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع لا يعلم كنهه الا الله وترائي المنافقين حكاية لحالهم قوله تعالي ومن الناس امالا ابو عمرو والف قبل السين المكسورة المالة محضة وهذا كل الف مثلها والباقون بالفتح

ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه في قوله تعالي صح

من يقول امنا بالله وباليوم الاخر جمع المفسرون على ان ذلك وصف المنافقين قالوا صنف الله الاصناف
الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين فبدا بذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله واوطأت فيه
قلوبهم الستهم وثنى بامنادهم الذين محصوا الكفر ظاهرا وباطنا وثلث بالصنف الثالث المذبذب بين
الفريقين وهم الذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهذا الصنف اخبثهم
الكفرة وابغضهم الى الله تعالى لما هو بري منه كالولد والزوجة والشريك زادوا عليهم بامور منكرة منها
انهم قصدوا التلبيس ورضوا لانفسهم نسبة الكذب ولبسوا الكفر على المسلمين فخاطبوا به خداعا
واستهزاوا ولذلك طول الله في بيان خبثهم وجهلهم واستهزايهم وتهكم بافعالهم ويجعل على
عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار واللام في
في الناس للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد وكانه قال تعالى ومن الناس ناس يقولون وقيل للعهد هم
والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة يراد بها ابن ابي واصحابه وتظاهروه فانهم من حيث انهم
صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على
الكفر لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان قيل لم خصت من بالموصوفة على تقدير الجنس وبالموصولة
على تقدير العهد اجيب بان الجنس لابهامه يناسب الموصوفة لتنكرها والعهد لتعيينه يناسب
الموصولة لتعرفها واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم
من الايمان وادعاؤهم اياه الايمان بالمبدا والمعاد وايذان بانهم منافقون فيما يظنون
انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق وهو عدم التصديق بالقلب لان القوم كانوا
يهودا وكانوا يؤمنون بالله واليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان
الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغير ذلك ويرون المسلمين انهم امنوا
مثل ايمانهم وفي تكرير الباء دعا الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والمراد باليوم الاخر
من وقت الموت الى ما لا ينتهي الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة
بطرفين وما هم بمؤمنين لابطانهم الكفر وهذا انكار لما ادعوا اثباته ووحد الضمير في
يقول نظرا الى لفظة من لانها صالحة للتثنية والجمع والواحد وجمع فيما بعده نظرا الى معناها
فان قيل كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم امنا بالله فان الاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل
والثاني في ذكر شان الفاعل لا الفعل فكان المطابق له وما امنوا اجيب بانه انما عدل الى ذلك
لرد كلامهم بابلغ وجه واكده لان اخراج ذواتهم عن عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم
في ما في الزمان ولذلك اكد النفي بالباء ونظيره قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين
منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا في الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد

لانهم مع مشاركتهم للكفار الاصليين في انهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان حيث انهم ينسبون الى الله تعالى ما هو منزه عنه

بما قيدوا

بما قيدوا به وهو قوله تعالى بالله وباليوم الاخر لانهم ما هم بمؤمنين جوابه والاية تدل على ان مرادي
الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه
او ينافيه لم يكن مؤمنا يخادعون الله والذين امنوا باظهار خلاف ما ابطنوه من الكفر ليدفعوا عنهم
احكامه الدنيوية ويحقنوا دماءهم ويحفظوا اموالهم واصل الخدع في اللغة الاخفاء ومنه المخدع
في البيت الذي يخفى فيه المتاع فالمخادع اظهر خلاف ما يضمر والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم
مع الله ليس على ظاهره لانه تعالى لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة
رسوله او اوليائه على حذف المضاف لانهم لم يعتقدوا ان الله بعث الرسول اليهم فلم يكن قصدهم في
نفاقهم مخادعته الله فعلم ان خداعهم مع الله ليس المراد ظاهره كما في قوله تعالى واسيل القرية
اي اهلها او على ان معاملة الرسول معاملة الله تعالى من حيث انه خليفته كما قال تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله
من اظهار الايمان واستبطان الكفر وضع الله معهم من اجرا احكام المسلمين عليهم وهم عنده اشد
الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثالا لرسوله والمؤمنين امر الله في اخفاء
حالهم واجراء احكام الاسلام مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون
يخدعون لانه بيان ليقول او استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعل للمبالغة
فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جا بلا مقابلة معارضه
استصحب الزنة ما ذكرت من المبالغة وقال الجلال المحلي والمخادعة هنا من واحد كعاقبت اللص وذكر
الله فيها تحسين وما يخادعون الا انفسهم لان وبال خداعهم راجع عليهم فيفتضحون في الدنيا
باطلاع نبيه على ما ابطنوه ويعاقبون في الاخرة والنفس ذات الشيء وحقيقته وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بضم الياء وفتح الخاء والف بعدها وكسر الدال وقرا الباقون وهم عاصم وابن عامر وحمزة
والكسائي وما يخدعون بفتح الياء وسكون الخاء والف بعدها وفتح الدال والاختلاف بين القراءتين كالتي
الاولى وهي يخادعون الله فالجميع قرؤا بضم الياء وفتح الف بعدها وكسر الدال واما الرسم في المؤمنين
فبغير الف وما يشعرون اي لا يحسون بمعنى لا يعلمون ان خداعهم لانفسهم لتمادي غفلتهم جعل الحس
وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على من فقد الحواس وهو المضاد
لقوله في قلوبهم مرض اي شك ونفاق لان ذلك يمرض قلوبهم اي يضعفها والمرض حقيقة هو فيما
يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجازا في الاعراض النفسانية
التي تخل بكمال افعالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والبغض وجاء المعاصي لانها مانعة عن نيل الفضائل
او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والاية تحتمل الحقيقة والمجاز وعلى المجاز اقتصر المفسرون

دعة

نية

لانه ابلغ من الحقيقة فزادهم الله مرضا بما انزل من القران لانه كلما انزلت اية كفروا بها فازدادوا شكا
ونفاقا واسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انها خلقتها او جدها او الى السورة في قوله تعالى فزادتهم
رجسا الى كونها سببا وقرا حمزة وابن ذكوان بامالة الالف التي بعد الزاي محضة والباقون بالفتح ولهم
عذاب اليم اي مولم بفتح اللام وصف به العذاب للمبالغة اذ الالم انما هو للمعذب حقيقة لا للعذاب
فنسبة الالم الى العذاب حقيقة بما كانوا يكذبون قرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الياء
وفتح الكاف وتشديد الذال اي تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وقرا الباقون بفتح الياء وسكون الكاف
وتخفيف الذال اي بكذبهم في قولهم امنا لان الايمان التصديق بالقلب والكذب هو الخبر عن الشيء
على خلاف ما هو به قاله البيضاوي تبعا للزمخشري وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب
حيث رتب على الكذب وما روي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كذب ثلاث كذبات اي لما روي
البخاري ومسلم في حديث الشفاعة فيقول ابراهيم اني كذبت ثلاث كذبات وذكر قوله في الكوكب هذا ربي
وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم فالمراد التعريض اي وهو اللفظ المشار به الى جانب
والغرض جانب اخر وقيل هو خلاف التصريح وهو تضمين الكلام ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به
انتهى وهذا ليس على اطلاقه فان من الكذب ما هو مباح وما هو مندوب وما هو واجب لان الكلام وسيلة
الى المقصود فكل مقصود محمود ان امكن التوصل اليه بالصدق فالكذب فيه حرام وان لم يكن الا بالكذب
فهو مباح ان كان المقصود مباحا ومندوب ان كان المقصود مندوبا وواجب ان كان المقصود واجبا
وفي حديث الطبراني في الكبير كل الكذب يكتب على ابن ادم الا ثلاثا الرجل يكذب في الحرب فان الحرب خدعة
والرجل يكذب على المراة فيرضيها والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما وفي حديثه في الاوسط الكذب
كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع به عن دين واذا قيل لهم اي لهؤلاء فهو عطف على يكذبون فحمله نصب
لكونه معطوفا على خبر كان فيكون جزاء السبب الذي استحقوا به العذاب الاليم او على يقولون فلا محل
له من الاعراب لكونه معطوفا على صلة من فلا يكون جزاء السبب والقايل هو الله تعالى او رسوله صلى
الله عليه وسلم او بعض المومنين لا تفسدوا في الارض بالكفر والتعويق عن الايمان والفساد خروج الشيء
عن الاعتدال والصلاح ضده والفساد يعم كل ضار والصلاح يعم كل نافع وكان من افسادهم في الارض
اثارة الحروب والفتن بمخادعة المسلمين ومعاونة الكفار المتمض كفرهم على المسلمين فان ما كان
يودي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين
فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب القتل والاختلاط ويخل بنظام العالم لا ان ذلك افساد لان
الافساد جعل الشيء فاسدا وصنعهم لم يكن كذلك فقوله تعالى لا تفسدوا امجاز باعتبار المال اي لا تفعلوا
ما يودي الى الفساد وليس معنى الافساد هنا الايتان بالفساد ليصح حمل الكلام على الحقيقة نبه على

مجاز ويجوز كسر لام مولم
كيبع بمعنى مسمع وعليه
فنسبة الالم جمع

ب

ذلك

ذلك السعد التفتازاني قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد للتامل على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يقع
منا طلبنا بذلك فان شانا ليس الا الاصلاح وان حالنا منافية عن شوايب الفساد لان انما تفيد قصر
ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة
الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا قال الله تعالى ردا عليهم ابلغ
ردا الا انهم هم المفسدون اي بما ذكر ولكن لا يشعرون لا يفطنون بمعنى لا يعلمون انهم مفسدون
بذلك لانهم يظنون ان الذي هم عليه مرابطان الكفر صلاح وقيل لا يعلمون ما اعد الله لهم من العذاب
ووجه الابلغية في ذلك تصديره بالا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار
اذا دخلت على النفي افادت تحقيقا وباب المقدرة للنسبة وتعريف الخبر وتوسط ضمير الفصل والاشعار
بالا يشعرون واذا قيل لهم امنوا هذا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين
الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا
كما امن الناس اي كايمان الناس الكاملين في الانسانية الموافق باطنهم فيه لظاهرهم العاملين
بمقتضى العقل فاللام في الناس للجنس فان اسم الجنس كما يستعمل للمسماه مطلقا يستعمل لما يجمع
المعاني المخصوصة به والمقصودة منه او للعهد والمراد به الرسول ومن معه او عبد الله بن سلام
وغيره من مومني اهل الكتاب وقرا هشام والكسائي قيل باشمام القاف وهو ان تضم القاف قبل الياء
ولو رش في الهمزة من امنوا وامن المد والتوسط والقصر قالوا انومن كما امن السفهاء اي الجهال واللام
في السفهاء للعهد وهم من تقدم او لجنس السفها باسره وانما سفهوهم لاعتقاد فساد رايهم او لتحقيق شانهم
فان اكثر المومنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتخلد وعدم المبالاة بمن منهم ان
فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه قال الله تعالى ردا عليهم ابلغ رد الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون
انهم سفهاء بما فعلوه من ايطان غير ما اظهروه ووجه الابلغية في تجهيلهم ان الجاهل بجهله الجازم على خلاف
ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الايات والنذر
فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقوله ايومن كما امن السفهاء اجيب بان هذا القول كانوا يقولونه
فيما بينهم لا عند المومنين فاخبر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بذلك والسفه خفة
راي يقتضيها نقصان العقل والحلم يقابله فان قيل لم عبر في هذه الاية بلا يعلمون وفي التي قبلها بلا
يشعرون اجيب بان التعبير بلا يعلمون اكثر مطابقة لذكر السفه لان السفه جهل فطابقه العلم ولان
امر الايمان اخروي يحتاج الى دقة نظر فعبر في الاية التي اشتملت عليه بلا يعلمون وامر النبي والفساد
دنيوي فهو كالمحسوس لا يحتاج الى دقة نظر فعبر في الاية التي اشتملت عليه بلا يشعرون وشعر مضارع
شعر يقال شعرت كذا اي حسست به او ادركته اي فطنت له وقد استعمله بالمعنى الاول في قوله وما يشعرك

ف

فة

وفي الثاني بقوله لا يعلمون كما يعلم مما قدرته في الاتيين وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي انها
الا بتحقيق الهمزتين وكذا كل همزتين وقعتا في كلمتين اتفقتا او اختلفتا والباقون وهم نافع وابن كثير
وابو عمرو بابدال الثانية واوا خالصة واذا لقوا الذين امنوا اللقا المصادفة وهي الاجتماع من غير
مواعدة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته واصل لقوا لقيوا حذفت الضمة لاستثقال ثم
الياء لالتقايها ساكنة مع الواو قالوا امنا اي كايمانكم واذا خلوا منهم وبرجعوا الى شياطينهم اي الذين
ماثلوا الشياطين في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين
والقايلون منفاهم قالوا انا معكم اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المومنين بالجملة الفعلية وملئوا
وماثلوا الشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوا حدوث الايمان وقصدوا
بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصوق ورغبة فيما
خاطبوا به المومنين ولا يوقع رواج ادعا الكمال في الايمان على المومنين من المهاجرين والانصار
بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزءون باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اي نسخر بهم باظهارنا
الاسلام لان المستهزى بالشي المستخف به مصور على خلافه فهذا تاكيد لما قبله او بدل منه لان من
حقر الاسلام فقد عظم الكفر واستيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان مع ذلك
نما باكلم نوافقون المومنين ونتوعون الايمان فاجابوا بذلك شبيه بين سبحانه وتعالى بهذه الاية ه
معاملة المنافقين مع المومنين والكفار روي الواحدي وغيره لكن بسند ضعيف ان ابن ابي واصحابه
استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف اردهوا لهما عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله تعالى
عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله ه
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق
القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي رضي الله تعالى عنه
فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه اي زوج بنته عند العامة وعند العرب كل من كان
من قبل المراة وكل منهما صحيح هنا سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وما
صرح به قوله تعالى وهم الناس من يقول امنا فسوق لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم قليس تبكيت الله
يستهزئ بهم اي يجازيهم على استهزايهم سمي جزا الاستهزا باسمه كما سمي جزا السيية سيية بالمقابلة
باللفظ او لكونه مماثلا له في القدر ومثل هذا يسمى مشاكلة او ينزل بهم المخازي والهوان الذي ه
هو لازم الاستهزا والغرض منه او يرجع وبال الاستهزا عليهم فيكون كالمستهزى بهم او يعاملهم معاملة
المستهزى اما في الدنيا فباجراء احكام الاسلام عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة مع
التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا

اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم
يعطف ليدل على انه تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المومنين ان يعارضوهم وان استهزاوهم لا يبالي
به لحقارته ويمدهم في طغيانهم اي ضلالهم يعمهون يترددون متحيرين والطغيان بالضم والكسر
تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر واصله تجاوز الشي عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم
قال البيضاوي والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه
وارض عمهاء لا منار لها انتهى وظاهر كلامه اختصاص العمه بالبصيرة والعمى بالبصر وهو ما ذكره ابن
عطية فبينهما تباين وقال الامام وغيره العمه في البصيرة والعمى عام فيها وفي البصر فبينهما
عموم مطلق واما الدوري عن الكسائي طغيانهم اماله محضة وفتحها الباقون اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى اي اختاروها عليه واستبدلوها به واصل الاشتراء بذل الثمن للتحصيل
ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا
وبذله اشتراء والا فالثمن ما دخلت عليه الباء فباذله مشتر واخذه بايع ثم استعمل
للرغبة عن الشي طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر الناس
عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى واما الى الهدى
همزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح فما ربحت تجارتهم اي ما ربحوا
فيها والتجارة التصرف بالبيع والشرا والربح الفضل على راس المال واسناده الى التجارة وهو
لاربابها على الاتساع كتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران واتفق القراء
على ادغام التا في التا وكذا كل مثلين الا ول منهما ساكت وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود
منها سلامة راس المال والربح وهو لا قد اضاعوا الامرين لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل
الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم راس مال يتوسلون
به الى ادراك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين ابين عن الربح فاقدين للاصل مثلهم اي شبههم ه
وصفتهم في نفاقهم كمثل الذي بمعنى الذين بدليل سياق الاية ونظيره والذي جا بالصدق وصدق به
اولئك هم المتقون وقوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا او قصد به جنس المستوقدا والفوج الذي استوقد
اي اوقد نارا في ظلمة لما جا بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل وهو بيان تصوير تلك الحقيقة وابرازها
في معرض المشاهد المحسوس زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم قال
البيضاوي والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها انتهى والاكثر
على ان استوقد هنا بمعنى اوقد كما قدرته لا بمعنى طلب الوقود فلما اضاءت اي انارت النار واضا لازم
ومتعد يقال اضا الشي بنفسه واضاه غيره ما حوله اي المستوقد فابصر واستوفى وامن ما يخافه

ذهب الله بنورهم اطفاه وهذا جواب لما واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان
الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة
لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه واستكه وما اخذه الله
تعالى واستكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل اذهب
الله بضوءهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم
راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله تعالى وتركهم في ظلمات لا يبصرون ما حولهم متحيرين
عن الطريق خائفين فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وكيف جمع الظلمة وكيف نكرها
وكيف اتبعها ما تدل على انها ظلمة خالصة وهو قوله لا يبصرون وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة يوم القيامة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم وظلمة
الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد وظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة والاية وهي
قوله مثلهم الى اخره مثل لايمان المنافقين من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد
ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره
باهلاكهم وافتضاحالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهابه نورها هذا هو الوارد اخرجه ابن جرير عن
ابن عباس وقيل مثل ضربه الله لمن اتاه ضياء من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي
متحيرا متحسرا تقتير او توضيحا لما تضمنه قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة الى اخره ويدخل
تحت عموم ما تضمنته الاية هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان
الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن اثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه
بعد ما آمن وقرا وترش بر قيتورا يبصرون هم صم عن الحق فلا يسمعونه سماع قبول واصل الصمم صلابة
من اجتماع الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان
سببه ان يكون باطن الصماخ مجتمعا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه بكم خرس عن
الخير فلا يقولونه والخرس في الاصل عدم القدرة على النطق عمي عن طريق الهدى فلا يرونه والعمى
في الاصل عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يبصرون اي لا يعودون الى
الهدى الذي باعوه وضيعوه او الضلالة التي اشتروها او مثلهم كصيب فهو معطوف على الذي هو
استوقد اي كمثل اصحاب صيب لقوله يجعلون اصابعهم في اذانهم وان في الاصل للتساوي للشك ثم
اتسع فيها فاطلق التساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم
اثما او كفورا فانه يفيد التساوي في حسن المجالسة في المثال الاول ووجوب العصيان في الثاني
ومن ذلك قوله او كصيب من السماء ومعناه بقرينة السياق ان قصة المنافقين مشبهة بها بين القصتين

وانهما

وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او باتيهما شئت وان كان الثاني ابلغ كما قاله
الزمخشري قال لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وقطاعته والصيب اصله صيوب من الصوب
وهو النزول يقال للمطر وللسحاب والاية تحتملهما اي ينزل من السماء ذلك فان قدرت الصيب
بالمطر فالمراد بالسماء السحاب او السماء بعينها وان قدرته بالسحاب فالمراد السماء بعينها والسماء علا
كل شيء وهي من اسماء الاجناس تكون واحدا وجمعا فيه اي الصيب وقيل السماء ظلمات جمع ظلمة فان
اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وان اريد به
السحاب فظلماته سواده وتكاثفه مع ظلمة الليل ورعد وهو صوت يسمع من السحاب قال
البيضاوي والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا اقتضاها الريح مراة الارتعاد
وبرق وهو ما يلمع من السحاب من بريق الشيء يريقه هذا ما جرى عليه الجوهري وغيره وهو المناسب
هنا وان اطلق الرعد على الملك ايضا فهو مشترك بين الصوت المذكور والملك الثابت في الاحاديث فمن
بعضها انه ملك موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه الى حيث يشاء الله وصوته
ما يسمع وفي بعضها انه ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بغنمه وفي بعضها انه ملك يسوق السحاب بالتسبيح
كما يسوق الحادي الابل بحدايه وفي بعضها انه ملك مسمى به وهو الذي يسمعون صوته يجعلون اي
اصحاب الصيب اصابعهم اي انامل واتما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة كما في ذلك من
الاشعار بدخول اصابعهم فوق المعتاد وفرارا من شدة الصوت في اذانهم وقوله من الصواعق
متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون وهو جمع صاعقة وهي الصيحة التي يموت من يسمعها او يغشى عليه
ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة وقيل الصاعقة قطعة عذاب ينزلها الله على من شاء وروي عن تالم
ابن عبد الله بن عمر عن ابيه رضي الله تعالى عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع الرعد
والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك واما الدوري عن
الكسائي الالف التي بعد الذال في اذانهم امالة محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى حذر الموت
نصب على العلة كقول الشاعر واغفر عورا الكريم ادخاره واعرض عن شتم اللئيم تكرما
قال البيضاوي والموت زوال الحياة وارد في الطوالع عما من شانه الحياة وفيه تساهل اذ يلزم منه
ان يكون الجنين قبل حلول الحياة فيه ميتا والاظهر كما في شرح المواقف ان يقال عدم الحياة
عما من شانه ان يقبلها لفعل فيهما تقابل العدم والملكة على التفسيري وقيل عرضيا دهما فيهما تقابل
التضاد لقوله خلق الموت والحياة فجعل الموت مخلوقا والعدم لا يخلق ورد بان الخلق بمعنى التقدير
لا بمعنى الايجاد والاعدام مقدرة ولو سلم بانه بمعنى الايجاد فالمعنى خلق اسباب الموت والحياة
وبذلك علم ان القول الاول هو المعتمد وكلام ائمة اللغة طافح به وحاصله ان الموت مفارقة الروح

الجسد وما ورد في الاحاديث من انه جسم حيث قيل في بعضها انه كبش وفي بعضها انه على صورة
كبش لا يمر على احد الا مات نحول بانه لم يقصد بالموت فيها حقيقته بل انه يصور بصورة كبش
كما في خبر الشيخين وغيرهما انه يجاء بالموت يوم القيامة كانه كبش املح فيقوى بين الجنة والنار الى اخره
والله محيط بالكافرين علما وقدرة فلا يفوته كما لا يفوت به المحاط به المحيط لا تخلصهم الخداع
والحيل وقيل مهلكهم دليله قوله تعالى الا ان يحاط بكم اي تهلكوا والجملة اعتراضية لا محل لها قال
ابو حيان لانها دخلت بين هاتين الجملتين وهما يجعلون اصابعهم ويكاد البرق وهما من قصة واحدة
يكاد البرق يفرد لان كاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لحصوله سيه لكنه لم
يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وخبرها شروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه
المقصود بالقرب يخطفوا ابصارهم يختلسها والخطف الاخذ بسرعة كلما اضاء لهم مشوا فيه اي ضوئه
واذا اظلم عليهم قاموا اي وقفوا متحيرين فالله تعالى شبههم في كفرهم ونفاقهم بقوم كانوا في
مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها ان السائر لا يمكنه المشي فيها ورعد
من صفته ان يفزع السامعون اصابعهم الى اذانهم من هوله وبرق من صفته ان يقرب من ان يخطف
ابصارهم ويعميها من شدة توقده فهذا مثل ضربه الله للقرآن وضيع الكافرين والمنافقين فيه
فالمطر القرآن لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الابدان والظلمات ما في القرآن من ذكر الكفر والشرك
والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة
فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراءة القرآن مخافة ميل القلب اليه وانزعاج ما في
القرآن من الحق قلوبهم وانما قال الله تعالى مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي
كلما وجدوا منه فرصة مما يحبون انتهزوها ولا كذلك التوقف فيما يكرهون ومعنى قاموا
وقفوا كما مر ومنه قامت السوق اذا ركدت اي سكنت ويقال قامت السوق بمعنى نفقت فهو
من الاضداد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بمعنى اسماعهم وابصارهم الظاهرة كما ظهر بالباطنة ذهب
اي لو شاء اي يذهب بسمعهم بشدة صوت الرعد وابصارهم بلمعان البرق لذهب بهما فحذف المفعول
وهو ان يذهب لدلالة الجواب وهو لذهب عليه ولقد تكاثر حذف المفعول في شاء واراد اذا
وقعا في حيز الشرط كما ههنا لدلالة الجواب على ذلك المحذوف حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المتعذر
كقول القائل فلو شيء ان ابكي دما لبكيته عليك ولكن ساحة الصبر اوسع فاني فيه
بالمفعول لان بكا الدم مستغرب ونصب دما لتضمنه معنى الصب ولو مر حروف الشرط
قال البيضاوي وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند
انتفاء لازمه انتهى وهذا مذهب ابن الحاجب واما مذهب الجمهور وهو الاصح فانها في الاصل لانتفاء

الثاني

الثاني لانتفاء الاول فمعنى لو حيتني كرمتك ان انتفاء الاكرام لانتفاء المجيء وقيل انها لمجرد الربط كان ومرتبهم
قال التفتازاني ان لو هنا للمجرد الشرط بمنزلة ان لا بمعناها الاصلي وفائدة هذه الجملة الشرطية
ابراز المانع لو هاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه وهو انه تعالى امهل المنافقين فيما هم فيه
ليتمادوا في الكفر والغي والفساد ليكون عذابهم اشد وللتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط
بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته تعالى وقوله تعالى ان الله على كل شيء اي
شاء قدير كالتصريح بما ذكر والتقدير له والشيء يختص بالموجود فلا يطلق على المعدوم فان قيل
لو اختص الشيء بالموجود لما تعلقت به القدرة لان الصفة المؤثرة على وفق الارادة وتاثيرها الايجاد
وايجاد الموجود محال فالذي تتعلق به القدرة معدوم وهي شيء فالمعدوم شيء اجيب بان المحال
ايجاد الموجود هو جوده سابقا وهو غير لازم واللازم ايجاد موجود هو اثر ذلك الايجاد وليس
بمحال والقدرة هو التمكن من ايجاد الشيء وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة التمكن من ايجاد الشيء
الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي
ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والتقدير التقال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قل ما يوصف به غير الباري
تعالى واشتقاق القدير من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه
مشيئته وفي ذلك دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدور ان وان مقدور العبد
مقدور الله تعالى خلافا لابي علي وابي هاشم لانه شيء وكل شيء مقدور واحتج بعض الفرق بان هذه
الاية تدل على ان الله تعالى ليس بشيء قال لانها تدل على ان كل شيء مقدور لله تعالى والله سبحانه وتعالى
ليس بمقدور له فوجب ان لا يكون شيئا واحتج ايضا على ذلك بقوله تعالى ليس كمثله شيء قال لو كان هو
تعالى شيئا فهو تعالى مثل مثل نفسه لكان يكذب قوله تعالى ليس كمثله شيء فوجب ان لا يكون شيئا حتى
لا يناقض هذه واعلم ان هذا الخلاف في الاسم لانه لا واسطة بين الموجود والمعدوم واحتج
اصحابنا بوجهين الاول قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله والثاني قوله تعالى كل شيء هالك
الا وجهه والمستثنى داخل في المستثنى منه فوجب ان يكون شيئا واجيب عن قوله فان هذه الاية
تدل على ان الله قادر على نفسه بان تخصيص العام جائز في الجملة وايضا تخصيص العام جائز بدليل
العقل فان قيل اذا كان اللفظ موضوعا للكل ثم انه تبين انه غير صادق في الكل كان هذا كذبا وذلك
يوجب الطعن في القرآن اجيب بان لفظ الكل كما انه مستعمل في المجموع فقد يستعمل مجازا في
الاكثر فاذا كان ذلك مجازا مشهورا في اللغة لم يكن استعمال اللفظ فيه كذبا ورقوم رئيس الراء
مرتديرو صلا ووقفا وباقي القرا بالترتيق وقفا لا وصلا ولما عدد سبحانه وتعالى فرق المكلفين
وذكر خواتمهم ومعارف امورهم اقبل تعالى عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات بقوله تعالى

يايها الناس اعبدوا ربكم تحريكا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا
لمشقة العبادة بلذة المخاطبة وبامر وفي وضع لفظ البعيد وقد ينادي به القريب تنزيلا له
منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وقلة
فهمه او للاعتناء بالموعوله وزيادة الحث عليه ولفظ الناس يعم الموجود في وقت النزول
لفظا ومن سيوجد تنزيلا للمعدوم منزلة الموجود لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان
مقتضى خطابه واحكامه شامل للفريقين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وان قال الامام
الرازي الاقرب انه لا يتناوله لان يا ايها الناس خطاب مشافهة وخطاب المشافهة مع المعدوم لا يجوز
وتناوله له دليل منفصل وهو ما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام لان احكامه ثابتة في
حق من سيوجد الى قيام الساعة فان قيل روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان كل شيء نزل
فيه يا ايها الناس ويا ايها الذين امنوا مدني فكيف تكون هذه السورة مكية وقد نزلت بالمدينة
اجيب بان المراد بقولهم السورة مكية او مدنية ان غالبها ذلك والاولى ان يقال ان ذلك اكثري
كالعلي فان سورة البقرة والنساء والحجرات مدنيات باتفاق وقد قال تعالى في كل منها يا ايها الناس وسورة
الحج مكية سوى ما استثني وفيها يا ايها الذين امنوا اركعوا ولا يختص ذلك الخطاب بالكفار ولا
يامرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها ه
فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاهتمام بما يجب تقديمه في المعرفة والاقرار بالصانع
فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة والكفر لا يمنع
وجوب العبادة بل يجب رفع الكفر والاشتغال بالعبادة ومن المومنين ازديادهم وثباتهم
عليها وانما قال تعالى ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية وقوله تعالى الذي خلقكم
اي انشاكم ولم تكونوا شيا صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب
بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها ارباب او لخلق ايجاد الشيء على
تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرا ابو عمرو
خلقكم بادغام القاف في الكاف بخلق عنه وخلق الذين من قبلكم وهذا مثال لكل ما يتقوم الانسان
بالذات او الزمان كتقوم الجزء على الكل والواحد على الاثنين وهو منصوب عطف على الضمير المنصوب
في خلقكم كما علم من التقدير والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال تعالى
ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم
من العلم به بادني نظر وقوله تعالى لعلكم تتقون اما حال من الضمير في اعبدوا او كلمة قال اعبدوا
ربكم راجين ان تدخلوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى

نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبرء من كل شيء سوى الله الى الله وان العابد
ينبغي ان لا يفتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجا كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا ويرجون
رحمته ويخافون عذابه واما من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم
في صورة من يرجى منه التقوى ليترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب تعالى
المخاطبين بقوله لعلكم على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا ولعل في الاصل للترجي
وفي كلامه تعالى للتحقيق والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى واتقن بوحدانيته
والعلم باستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه
تعالى ثوابا فانها لما اوجبت عليه شكرا لما عوده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل
العمل وقوله تعالى الذي جعل اي خلق لكم الارض فراشا اي بساطا تقرير صفة ثانية او منصوب بتقدير
امدح او مرفوع خبر مبتدا محذوف ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء حتى
طبع الماء مما في من الاحاطة بها وميزها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيئة
لان يقعدوا وينامو اعليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستوعب كونها مسطحة لان كرية شكلها مع
عظم حجمها واتساع جرمها لا يابى الافتراش عليها فليس في ذلك الا ان الناس يفترشون منها ما يفلو
بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او على شكل الكرة وجعل لكم السما بناء اي قبة مضروبة
عليكم والسما اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء
مصدر سمي به المبني بناء كان او قبة او خباء ومنه بنى على امراته لانهم كانوا اذا تزوج بوا عليها
خباء جديدا وقوله تعالى وانزل من السما ماء معطوف على جعل والمراد بها اما السحاب فان ما علا
سماء واما الفلك فان المطر يبتدا اتمامه من السما الى السحاب ومنه الى الارض كما دلت عليه الظواهر
من الايات كقوله تعالى وانزلنا من المعصرات ماء وقوله تعالى انزل من السما ماء فسلكه ينابيع في الارض
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قال المطر ما يخرج من تحت العرش فينزل من سما الى سما حتى يجتمع في السما
الدنيا فيجتمع في موضع فتجي السحاب السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء واما من
اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اطباق الارض للجو الهوا فتنعقد سحابا ماطرا فاخرج به
من انواع الثمرات رزقا لكم تاكلونه وتعلفون منه دوابكم وخروجها بقدرة الله تعالى ومشيته
ولكن جعل الما الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته
بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او بوع في الماقوة فاعلة وفي الارض قوة
قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو تعالى قادر على ان يوجد الاشيا كلها بلا اسباب ومواد
لما ابوع تقوس الاسباب والمواد ولكن له في انشايها من تقدير مراد الى حال ضابع وحكم يجود فيها

لا وفي الابصار عبرة وكونها الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها رفقة شيء من الاولى للابتداء ومن
الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات لان ثمرات جمع قلة منكر والكتاب المنكر في لها
اعني ما ورزقا لكانه تعالى قال وانزل لناس البعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم
وهذا التبعيض هو الموافق للواقع اذ لم ينزل من السماء الماكله ولا اخرج بالمطر كل الثمرات ولا جعل
بالمطر كل المرزوق ويصح ان يكون من الثانية للتبيين ورزقا مفعول وهو المبين بمعنى المرزوق
كقول القايل انفقت من الدراهم الفا فان من الدراهم بيان لقوله عقبه الفا فان قيل المحل محل
جمع الكثرة فكيف اتى بجمع القلة اجيب بان الجموع يتعاورها بعضها موضع بعض كقوله تعالى كم تركوا
من جنات فاوقع جمع القلة موضع جمع الكثرة بذكر ذكركم وكقوله تعالى ثلاثة قروء فاوقع جمع
الكثرة موضع جمع القلة لان مميز الثلاثة لا يكون الا جمع قلة اولان الثمرات لما كانت محلاة باللام
خرجت عن حد القلة فلا تجعلوا لله انداد اي شركاء في العبادة فان قيل سيتم ما يعبده المشركون من
دون الله انداد امع انهم ما زعموا انها تسويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله اجيب
بانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات
واجبة بالذات قادرة على انها تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرده الله بهم من خير فتهكم الله تعالى
بهم وشنع عليهم بان جعلوا الانداد الممتنع ان يكون له نظير لذلك قال موحد الجاهلية زيد ابن
عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه
ارتبا واحد ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير
الم تعلم بان الله اغنى
رجالا كان شانهم الفجور وابنى اخرى بين قوم فبرئوا منهم الطفل الصغير
وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا او مفعول تعلمون متروكا اي وحالكم انكم
من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات
منفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او مقدر وهو ان الانداد لا تماثله ولا تقدر
على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى كون وانتم تعلمون حالا
فالمقصود منه التوبيخ سواء جعل مفعول تعلمون متروكا او مقدرا وان كان التوبيخ في الاول
اوكد لما صرح به الكشاف لانه تقييد للحكم وقصوره وهو النهي عن جعلهم لله انداد افان العالم والجاهل هم
المتمكن من العلم سواء في التكليف تنبيه قال البيضاوي واعلم ان مضمون الايتين اي ايها الناس
اعبدوا ربكم والذي جعل لكم الارض الى اخرها هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة
الى ما هو العلة والمقتضي اي للامر بالعبادة والنهي عن الاشراك وبيانه انه اي تعالى رتب الامر بالعبادة
على صفة الربوبية اشارة بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما

يحتاجون

يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة اي الارض والسماء والمطاعم والملابس وان الثمرة اعم
من المطعوم اي فتعم الثمرات الملابس كالمطاعم والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه
امور لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه ونعالى اراد
من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيوفيه الكلام الاشارة الى تفضيل خلق الانسان وما
افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البون بالارض والتقن بالسماء والعقل بالماء
وما افاض عليه من الفضايل العلمية والنظرية المحصلة بوساطة اسماء العقل للحواس وازدواج
اي اقتران القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازواج القوى السماوية الفاعلة
والارضية المنفعلة بمقتضى الفاعل المختار فان كلا اية ظهرا وبطنا وكل حد مطلعا انتهى هذا
روي عن الحسن مرفوعا مرسلا وظهر الاية ما ظهر من معانيها لاهل العلم بالظاهر وباطنها ما تضمنته
من الاسرار التي اطلع الله عليها الخواص وقيل ظاهرها تلاوتها وباطنها فهمها والعمل باحكامها الحلال
والحرام والمطلع الاشراف على معرفتها وما قرر سبحانه وتعالى وحدانيته وبين الطريق الموصل الى
العلم بما ذكر عقبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التي غلبت
فصاحة كل بليغ مع كثرتهم وافراطهم في المعاندة وتهالكهم على المغالبة لقوله تعالى وان كنتم في ريب
اي شك مما نزلنا على عبدنا محمد من القران انه من عند الله فاتوا بسورة وانما قال تعالى مما نزلنا لان
نزوله نجما فنجما يجيب او قايع على ما يرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله تعالى بقوله
تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه
ازالة للشبهة والزاما للحجة فان اهل الشعر والخطابة ياتون باشعارهم وخطبهم على قدر الحاجة
شيئا فشيئا ولما كان القران منزلا كذلك طعنوا فيه بانه مثل كلامهم فقيل لهم ان ارتبتم في نزوله
منجما فاتوا بنجم منه لانهم اذا عجزوا عن نجم منه فعجزهم عن كله اولى واضاف العبد الى نفسه
تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه والسورة من القران الطائفة منه المترجمة
التي لها اول واخر اقلها ثلاث ايات والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاخي الاشكال
وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فان القاري اذا ختم سورة فرح عقيبه
ذلك عند بعض كريه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ اذا حفظ سورة اغتبط
انه احرز من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير
من الفوايد وقوله تعالى من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض
او للتبيين وزايدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم وقيل الضمير لعبدنا
ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم والوجه الاول

لانه المطابق لقوله تعالى في سورة يونس فاتوا بسورة مثله ولبيان اية التحدي ولان الكلام في المتراخي
المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم اذ المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند
الله فاتوا باقران من مثله ولان مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى واحد من ابنا جنسهم ابلغ في
التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به عبدنا اخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى
قل لو اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان عود الضمير الى عبدنا يوهم
امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى وادعوا شهداكم من دون الله فانه تعالى امر
ان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم سواه كائنا من كان والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم بالشهادة
ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان
من الشيء ومنه تدوين الكتب لانه ادنا البعض من البعض ودونك هذا اي خذه فاد في مكان منك ثم استعير
للرتب فقيل عمرو دون زيد اي في الشرف ومنه الشيء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى
اخر وتخطي امر الى اخر وان خلي عن الرتبة قال تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين
اي لا ينجاوز ولاية المومنين الى ولاية الكافرين ومن متعلقة بادعوا فهي لابتداء الغاية والمعنى ادعوا
للمعارضة من حضركم او ترجونم معونته من انسكم وجنكم وادعوا الهتكم التي تعبدونها غير الله وتزعمون
انها تشهدلكم يوم القيامة اي استعينوا بهم في الاتيان بما ذكر ان كنتم صادقين في ان محمدا صلى الله عليه وسلم
يقوله من تلقاء نفسه وان الهتكم تشهد لكم بذلك وجواب هذا الشرط محذوف وتقديره فافعلوا اي ما ذكر من
الاتيان بسورة دل عليه قوله تعالى فان لم تفعلوا ذلك والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد
المخبر انه كذلك عرفا لا لغة او اماره لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لعلمه بعدم
مطابقته ورد هذا القول بعرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما علموا
عالمين به وقوله تعالى ولن تفعلوا جملة معترضة اي لا يقع منكم ذلك ابدا لاعجاز القران فاتقوا النار
التي وقودها اي ما تتقد به النار والحجارة التي نحتوها واتخذوها ارباما من دون الله طمعا
في شفاعتها والانتفاع بها ويدل لذلك قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
عذبوا بما هو مشاجر مهم كما عذب الكافرون بما كنزوه او حجارة الكبريت كما رواه الطبراني في عربين
مسعود وللحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعليه اكثر المفسرين وان قال البيضاوي
انه تخصيص بغير دليل لان مثل هذا التغيير الوارد عن الصحابي فيما يتعلق بامر الاخرة له حكم
الرفع وايثر حجارة الكبريت اشوجز او اكثر التهابا وتنويه على غيرها من الاحجار سرعة الايقاد
ونتن الريح وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالابدان وقيل جميع الحجارة تشبيه تفعلوا المجزوم
بلم لا بان لان لم واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمجهول ولانها لما صيرته ماضيا

صارت

صارت كالخبر منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما
وحاصله ان ان تقتضي الاستقبال ولم المضي فوجه ان ما ذكر فيكون المعنى على المضي دون الاستقبال
الاستقبال وقيل ان ان بمعنى اذ ولا اشكال حينيذ وقيل كل منهما على حقيقته والمعنى ان يتبين في
المستقبل عدم فعلكم في الماضي ولن تفعلوا في المستقبل فاتقوا النار ولن كلا في نفي المستقبل غير
انه ابلغ وهو حرف بسيط ثنايي الوضع وقيل اصله لا ان حذفت الهمزة منها لكثرة استعمالها في الكلام ثم
الالف لالتقاء الساكنين ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا
وقودها الناس والحجارة وسمعوه مع تعريف النار ووقوع الجملة صلة فان الصلة يجب ان تكون
معلومة وهي معلومة هنا من سورة التحريم حيث وقعت صفة فان قيل الصفة ايضا يجب ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصوف كالصلة والا لكان لغوا ولهذا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار
كما ان الاخبار بعد العلم بها اوصاف فيا تي في الصفة في اية التحريم ما ذكر في الصلة اجيب بان
الصفة والصلة يجب كونهما معلومين للمخاطب لا لكل سامع وما في التحريم خطاب للمومنين وقد
وقد علموا ذلك لسماعهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمع الكفار ذلك الخطاب ادركوا منه نارا موصو
تلك الجملة فجعلت فيما خوطبوا به اعدت اي هيأت للكافرين وجعلت عدة لعذابهم وفي ذلك دليل
على ان النار مخلوقة معدة لهم الان والجملة استيناف او حال من النار بإضمار قد والعامل في الحال اتقوا
وهي حال لازمة فلا اشكال بان النار اعدت للكافرين اتقوها ام لا تتبيه قاله البيضاوي وفي الايتين
اي اية ان كنتم في ريب واية فان لم تفعلوا ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما اي في مجموعهما
من التحدي والتحريض على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم
الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم
على المعارضة لم يتصدوا للمعارضته والتجاوا الى الحلا الوطن وبذل المهج لان قوله من التحدي راجع للاية
الاولى والباقي راجع الى الثانية والثاني تضمنهما اي مجموعهما الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه
شيء لامتنع خفاوه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر لان ذلك راجع للاية
الثانية والثالث انه عليه الصلاة والسلام لو شك في امره اي نفسه لما دعا الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتذهب حجته وهذا راجع الى الاية الاولى ثم عطف سبحانه وتعالى حال
من امر بالقران ووضع ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على عادة ماجرت به العادة الالهية من
ان شفع الترغيب بالترهيب تنشيطا للاكتساب ما ينبغي وتنبيطا عن اقتراف ما يردي بقوله تعالى وبشر الذين
امنوا وعملوا الصالحات اي الطاعات ان لهم جنات اي حدائق ذات شجر ومساكن وانما امر الله سبحانه
وتعالى الرسول صلى الله عليه وسلم وعالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة ان يبشر الذين امنوا لم كانوا عليه

فة

بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء ان يبشروا ويهنؤا بما اعدلهم والبشارة
الخبر الصدق السار ولا فانه يظهر اثر السرور في البشرة لان النفس اذا سرت انتشر الدم انتشارا ما في البشرة
ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشر مني بقدوم ولدي فهو حر فاخبره
فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا فان قيل ما الجواب عن قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم
اجيب بان ذلك يرد على سبيل التهكم كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم وعطف سبحانه وتعالى العمل
على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع
بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التيقن والتصديق اثر والعمل الصالح كالبناء عليه
ولا نفع تام باثر لا بناء عليه ولذلك قل ما ذكر احدهما دون الآخر وفي عطف العمل على الايمان دليل على ان الاعمال
خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه وجمع سبحانه وتعالى
الجنة لان الجنان على ما ذكر ابن عباس سبع. جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد
وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة من هذه السبع مراتب ودرجات متفاوتة على
حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام في الصالحات للجنس لا للاستغراق اذ لا يكاد المؤمن ان يعمل جميع
الصالحات واللام في لهم يدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليهم من الايمان والعمل الصالح لا لذاته
فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان تقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى
وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن
دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم ولعله سبحانه وتعالى لم يقيدها هنا استغناء بهذه الآية
واشباهها تجري من تحتها اي من تحت اشجارها ومساكنها الانهار كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة
على شواطيها وعن مسروق انهار الجنة تجري من غير اخدود فقال الجوهري الاخدود شق مستطيل في الارض
واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري قال البيضاوي او للعهد والمعهود
هي الانهار المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية انتهى قال التفتازاني انما يصح هذا لو ثبت
سبق قوله تعالى انهار من ماء غير اسن في الذكر انتهى والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول
ودون البحر كالنيل والفرات والمراد بالانهار ماؤها على حذف مضاف او تسمية للماء باسم مجراه مجازا
واسناد الجري اليها مجازا كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا
اي اطعموا من تلك الجنان ثمرة ومن صلة قالوا هذا الذي رزقنا اي اطعمنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا
جعل الله تعالى ثمرة الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما يراه فان الطبايع مائلة الى المألوف
متنفرة عن غيره اي هذا من نوعه لتشابه ما يؤتون به في الصورة كما قال تعالى وأتوا به متشابها
اي في اللون والصورة مختلفا في الطعم وذلك ابلغ في باب الاعجاز والداعي لهم الى ذلك فرط استقرابهم

وافتخارهم

وافتخارهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة وقيل في الجنة لان طعامها
متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يوتى بالصحفة فيأكل منها ثم يوتى باخرى فيراها مثل الاولى
فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف ولما روي انه عليه الصلاة والسلام
قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى
يبدل الله مكانها مثلها وعن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت
ثمرة عاد مكانها اخرى والعنقود اثنا عشر ذراعا فان قيل على الاول التشابه هو التماثل في الصفة
وهو مفقود بين ثمرات الدنيا والآخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء
اجيب بان التشابه بينهما حاصل في الصورة التي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق
التشابه والآية كما قال البيضاوي في محل اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما يرزقون في الدنيا من المطاعم
والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن
تشابههما وتماثلهما في الشرف والرتبة وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله تعالى ذوقوا ما
كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها اي للجنات ازواج من الحور العين والادميات مطهرة مما يستقذر من النساء
ويذم من احوالهن كالحيض والدرن اي الوسخ ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال ومعنى تطهيرهن مما ذكر كما قال التفتازاني انها منزهة عن ذلك مبراة عنه
بحيث لا يعتريهن الا التطهير الشرعي ازالة النجس الحسي او الحكمي كما في الغسل عن الحيض والزوج يقال
للذكر والانثى قال تعالى واصلحنا له زوجه وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل
فايدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفايدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهذه الفوايد
مستغنى عنها في الجنة اجيب بان مطاعم الجنة ومناكحها وساير احوالها انما تشارك نظايرها الدنيوية في
بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمايها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها
حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فايدتها وهم فيها خالدون اي دايمون احياء لا يموتون ولا يخرجون
والاصل في الخلود الثبات المديد دام ام لم يدم اذ لو كان وضعه للدوام لكان التقييد بالتابيد في
قوله تعالى خالدين فيها ابدا تاكيدا لا تاسيسا والاصل خلافه لكن المراد به الدوام في الآية عند الجمهور
لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل الابدان مركبة مزاجا متضادة الكيفية معرضة للاستحالة
المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يتصل خلودها في الجنان اجيب بانه تعالى يبيدها بحيث لا يعتورها
الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر
متفاعلة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد في بعض المعادن ولما كان معظم اللذات
الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات

والدوام وان كل نعم جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية شوايب الالم شبر
المومنين بالمساكن والمطاعن والمناكح فبشر بالاول بقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار ه
وبالثاني بقوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الاية وبالثالث بقوله تعالى ولهم فيها ازواج
مطهرة ومثل ما اعد لهم في الاخرة باحسن ما يتلذ منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليزداد
على حالهم في التنعم والسرور ولما ضرب الله سبحانه وتعالى المثل بالذباب والعنكبوت في قوله تعالى وان
يسلبهم الذباب وقوله تعالى كمثل العنكبوت قالت اليهود ضرب المثل بذلك مما يستحي منه فخسته فليس
من عند الله فرد لهم عليهم ان الله لا يستحيي اي لا يترك ان يضرب مثلا ما بعوضة وهي صغيرة
البق ترك من يستحيي ان مثل بها لحقارتها وان بصلتها مخفوض عند الخليل بإضمار من منصوب بافضا
الفعل اليه بعد حذوف من عند سيبويه ويجوز عندهما في الكشاف نصبه بافضاء الفعل اليه بنفسه فان
استحيى يتعدى بنفسه ايضا يقال استحييت منه واستحييته وما إتا ابهامية تزيد النكرة قبلها
كالتي في قوله تعالى فبما رحمة ولا يراد بالمزيد اللغو الضايع فان القران كله هدى وبيان بل المراد
بالمزيد ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيد له وثاقة وقوة
وهو زيادة في الهدى غير قادح في القران وبعوضة عطف بيان او بدل من مثلا او مفعولا ان لضرب
بمعنى جعل والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراة
على القبايح وعدم المبالاة بها وبين الخجل الذي هو احتصار النفس عن الفعل مطلقا فاذا وصفوا به الباري
سبحانه وتعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حي كريم يستحي
اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك كما قدرته اللازم ه
للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لهما وتحتمل
الاية خاصة ان يكون مجيء الحيا فيها للمشاكلة وهو ان يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ولو
تقديرا كما هنا وهو قول الكفرة اما يستحيي ربه محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت ولما كان
التمثيل يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس
ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة ه
من الوهم لان من طبعه ميل الحس وحب المحاكاة شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت
في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل
اعظم من كل عظيم كما مثل سبحانه وتعالى في الانجيل على الصورة بالنخالة والقلوب القاسية
بالحصاة ومخالطة السفهاء باثارة الزنابير ونقضه على ما حكاه الامام الرازي في الاول لا تكونوا كالمخيل
يخرج منه الوقر الطيب ويمسك النخالة كذلك انتم تخرج الحكمة من افواهكم وتبقون الغل في صدوركم وفي الثاني قلوبكم

ابهاما واما مزيدة للتاكيد معنى معموم الجملة قبلها صح

كالحصاة التي

كالحصاة التي لا تنبطها النار ولا يلينها الماء ولا تنبتها الرياح وفي الثالث لا تثير الزنابير ه
فتلدغكم فكذلك لا تخالطوا السفهاء فيشتموكم وجاء في كلام العرب اسمع من قراد لان
العرب تزعم انه يسمع صوت اخفاق الابل من مسيرة يوم فيتحرك لها وقيل من مسيرة ه
سبع ليال واعز من منح البعوض يضرب لمن يطلق الامور الشاقة فما فوقها اي ما زاد على
البعوضة في الجثة كالذباب والعنكبوت والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوضة فضلا عما هو اكبر
منه او المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام
ضرب جناحها مثلا للدنيا بقوله في خبر الترمذي لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ه
ما سقى كافرا منها شربة ماء ونظره في احتمال الغوتية للجثة والمعنى ما روي البخاري وغيره ان رجلا
بمعنى خر على طنب فسطاط فقالت عايشة رضي الله تعالى عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها درجة ومحيت عنه خطيئة فانه يحتمل ه
ما يجاوز الشوكة في الالم كالسقوط على الطنب وما زاد عليها في القلة كقرصة النملة والطنب
حبل الخباء والفسطاط بيت من شعر فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق اي ضرب المثل بذلك الحق
اي الواقع موقعه من ربهم لان الحق هو الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصايبة والاقوال الصادقة من قولهم حق اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم
النسج واما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويوكد ما به صدر وينضمن معنى الشرط ولذلك يجاب
بالفا قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب
لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفا على الجملة لا الجزء الكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط
فادخلوا الفا على الخبر وعوضوا المبتدا عن جملة الشرط لفظا واما الذين كفروا فيقولون ما ذا ه
يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلة والمجموع خبر ما وان يكون
ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء اراد الله بهذا فهو منصوب المحل على المفعولية لاراد فما واذا
كما في الكشاف في حكم ما واحدة لوقلت ما اراد الله وكان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ه
ليطابق قرينه وهو الذين امنوا ويقابل قسيمه وهو يعلمون انه الحق لكن لما كان قولهم هذا دليلا
واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية عن عدم علمهم ليكون كالبرهان عليه والاشارة
صفة ذاتية قديمة تراي وة على القلم ترجح احد مقدوريه على الاخر وتخصصه بوجه دون وجه
بخلاف القدرة فانها لا تخصص الفعل ببعض الوجوه بل هي موجدة للفعل مطلقا وقوله تعالى مثلا نصب
على الحال من اسم الاشارة والعامل فيه اسم الاشارة او التمييز والمعنى اي فايدة في ذلك فقال تعالى
يضل به كثيرا اما بان يكذبوا به ويهدي به كثيرا اما بان يصدقوا به وكثرة كل واحد من الفريقين بالنظر

الي انفسهم لا بالقياس اي لا بالنظر الي تقابليهم فان المهتدين قليلون بالاضافة الي اهل الضلال
كما قال تعالي وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان تكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهتدين
باعتبار الفضل والشرف كما قال المتنبي في مدح علي بن بسار طير حتي بالفنا ومشايخ كانهم من
طول ما التثموا مرد ثقال اذا لاقوا خفاف اذا دعوا قليل اذا عدوا كثير اذا شوءوا وقال ان
الكرام كثير اي كرماء في البلاد وان قلوا في العدد او اي عدد كما عند غيرهم قل بضم القاف وكسرها اي
قليل كرماء وان كثروا عددا وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان بالكفر لتو
تعالي ان المنافقين هم الفاسقون وتخصيص الاضلال بهم مرتبا علي صفة الفسق يدل علي انه
الذي اعدهم للاضلال وادي بهم الي الضلال بالمثل وبسبب ضلالهم به ان كفروه وعدلوا عن
الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الي حقارة الممثل به حتي سخروا به
جهالتهم واردادت به ضلالتهم فانكروا المثل واستهزوا به واما الفاسق في الشرع فهو الخارج
عن امر الله بارتكاب كبيرة او اصرار علي صغيرة ولم تغلب طاعاته علي معاصيه ولا يخرجه ذلك
عن الايمان الا اذا اعتقد حل المعصية سواء كانت كبيرة ام صغيرة قال تعالي وان طائفتان من
المومنين اقتتلوا والمعتزلة جعلوا الفاسق قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المومن والكافر لمشاركته
كلا واحد منهما في بعض الاحكام ثم بين سبحانه وتعالي صفة الفاسقين بقوله الذين ينقضون
عهد الله وهو اما الماخوذ بالعقل وهو الحجة القايمة علي عباده الدالة علي توحيده وعلي
وجوده وصدق رسوله وعليه يدل قوله تعالي واشهدهم علي انفسهم واما الماخوذ بالرسل عليهم
الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا
حكمه وعليه يدل قوله تعالي واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الاية وقيل عهود الله ثلاثة
ثلاثة عهد اخذه بواسطة العقل علي جميع ذرية ادم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه بواسطة
الملك علي النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه بواسطة الرسل علي العلما
بان يبينوا الحق ولا يكتموه وقوله تعالي من بعد ميثاقه اي توكيده يحتمل عود الضمير للعهد فهو
من اضافة المصدر الي المفعول او لله فهو من اضافة المصدر الي الفاعل قال البيضاوي ويحتمل ان يكون
بمعني المصدر واعترض بان النحويين لم يذكروا مفعالا في صيغ المصادر واصله ان يكون وصفا
كطعام ومسام واجيب بحمل ذلك علي انه اسم واقع موقع المصدر كما يشير اليه قوله بمعني المصدر
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل وهو الرحم لانهم قطعوا رحم النبي صلي الله عليه وسلم
بالمعاداة معه ويحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالي كقطع الرحم والاعراض عن مجاملة
المومنين والتفرقة بين الانبياء عليهم الصلاة والسلام والكتب في التصديق وترك الجماعات ونحو

ما فيه رفق خير او تعالي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من
كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وان
يوصل بدلم امرها وقرا ورش بتغليظ اللام وصلا واذا وقف رقق وغلظ وادغم خلق النون
في الباء بغير غنة ويفسدون في الارض بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلي الله
عليه وسلم والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هو الخاسرون
بفوات الثواب والمصير الي العقوبة باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة الابدية
واستيوال الانكار والطعن في الايمان بالايمان بها والنظر في حقايقها والاقتباس من انوارها
واثر النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب ثم وبخ سبحانه وتعالي الكفار
بقوله كيف تكفرون بالله اي اخبروني علي اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي نطفا في اصلاب ابايكم
لا احساس لكم فاحياكم في الارحام ثم في الدنيا بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفا
لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي وقرا اللساي بالامالة وورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم ثم يحييكم للبعث يوم ينفخ في الصور
او للسوال في القبور قال التفتازاني ولم يجوز ان يراد مطلق الاحياء بعد الاماتة علي ما يعم
الاحياء في القبور والنشور لا بعد قيه لشدة ارتباط الاحياء واتصالهما في الانقطاع عن
امر الدنيا ثم اليه ترجعون تردون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم
للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم
يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون اجيب بان تمكنهم من العلم بما نصب لهم من الدلايل
منزل منزلة علمهم فزاحة عذرهم سيما وفي الاية تنبيه علي ما يدل علي صحتها وهو انه تعالي
لما قدر علي احيايهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدا الخلق ليس باهون عليه من اعادته فان
قيل كيف تقع الاماتة من النعم المقتضية للشكر اجيب بانها لما كانت وصلة الي الحياة الدايمة
التي هي الحقيقة كما قال تعالي وان الدار الاخرة لهي الحيوان يعني الحياة كانت من النعم العظيمة مع
ان المعدود عليهم نعمة هو المعني المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها الاكل
واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح حالا ويصح ان يكون الخطاب
للكفار والمومنين فانه سبحانه وتعالي لما بين دلايل التوحيد والنبوة ووعدهم علي الايمان واوعد علي
الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعمة العامة والخاصة واستبعد صدور الكفر منهم واستجهده
عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم وان يكون مع المومنين
خاصة لتعزيز المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم علي معني كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا

فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم للحياة الحقيقية ثم اليه
ترجعون فيبنيكم بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة في
القوة الحاسة او ما يتقيها وبها يسمى الحيوان حيوانا مجازا في القوة النامية لانها مبادئ نهاما لا يعيها
ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضايل كالعقل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها
والموت بازايها يقابل الاول في كل مرتبة مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم
ومثال ما يقابل المجاز الاول قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها ومثال ما يقابل المجاز
الثاني قوله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري
تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته تعالى ثم
اوحي الى مشيئته وقدرته تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض اي لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم هي
باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسطكم الادوية المركبة او غير وسط كالثمرة والادوية المفردة
وفي دينكم بالاستدلال على موجوكم ففي ذلك نعمة على عباده سبحانه وتعالى وما تعم كل ما في
الارض الا ان اريد بالارض جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وقوله تعالى جميعا حال
من الموصول الثاني وهو ما وهي حال موكدة لما الاتحادهما في العموم وهذا اقرب من جعله حالا من ضمير
لكم لان سياق الآيات انما هو في تعداد النعم لا في تعداد المنعم عليهم ولان المنة بتعداد النعم
اظهر من المنة بتعداد المنعم عليهم لان تعداد النعم يصل الى كل احد ثم استوى الى السماء اي
قصد الى خلقها باراداته واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع
الاجزاء ولا يمكن حمله على الله تعالى لانه من خواص الاجسام وقيل استوى بمعنى استولى كما قيل قد استوى
بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو
ليطابق قوله تعالى فسواهن سبع سموات فجمع الضمير العايد الى السماء لارادة الجنس وقيل لان السماء
جمع سماءة اي جعلهن مستويات لا شقوق فيهن ولا تفاوت قال البيضاوي وثم لعله للتفاوت بين
الخلقين اي في القدر والعظم وفصل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا
لا للتراخي في الوقت فانه مخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو
الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها انتهى واجيب بانه لا يدل على ذلك ولان
تقدم خلق جرم الارض على خلق جرم السماء لا ينافي تاخر دحوها عنه وهو بسطها ورده الفناري
بانه ليس على ما ينبغي لان ثم تدل على تاخر خلق السماء عن خلق ما في الارض من عجايب الصنع
حتى اسباب الذوات والالام وانواع الحيوانات حتى الهوام والاعن مجرد خلق جرم الارض قال
وستذكر في حم السجدة ما يدل على تاخر ايجاد السماء عن خلق الارض ودحوها جميعا حتى قيل انه

خلق

خلق الارض وما فيها في اربعة ايام ثم خلق السماء وما فيها في يومين وكثر ذلك في الروايات فلا هو
يقيد حمل ثم على تراخي الرتبة انتهى والاوجه كما قال بعض المفسرين الموافق لظاهر ما هنا ولما يأتي
في فصلت تاويله مع الايضاح ان يقال ان خلق جرم الارض متقدم على خلق جرم السماء وخلق وصفها
اعني دحوها مقدم على خلق وصف السماء اعني تسويتها سبعا فمرجع الاشارة في قوله تعالى بعد
ذلك لجرم السماء لا وصفها وبذلك علم ان جعل ثم للتراخي في الوقت لا يخالف ما ذكر خلافا لما
زعمه البيضاوي فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا بالبراهين تسعة افلاك وهي كرة
القمر فكرة عطارد فكرة الزهرة فكرة الشمس فكرة المريخ فكرة المشتري فكرة زحل فالفلك
الذي فيه الكواكب الثابتة فالفلك الاعظم وهو محرك كل يوم وليلة على التقريب دورة
واحدة اجيب بان ما ذكروه ليس مستندا الى دليل شرعي فلا ينبغي اعتباره قاله البيضاوي وان
صح فليس في الاية نفي الزايد مع انه ان يضم اليها العرش والكرسي تم بيتي خلاف وقوله تعالى وهو
بكل شيء عليم اي مجملا ومفصلا فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما بكيفية الاشياء كلها خلق ما خلق
على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب
والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع
لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم افلا تعتبرون ان القادر على خلق ذلك ابتداء وهو اعظم
منكم قادر على اعادتكم وقرا حمزة والكسايي ثم استوى وفواهن بالامالة وورش بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح وقرا قالون وابو عمرو والكسايي بسكون الهاء والباقون بضمها واذكر يا محمد
اذ قال ربك للملايكة وقيل اذ زايدة وقال ربك وكل ما ورد في القران من هذا النحو فهو اسيلة وهو
اما مقدر اذكر وهو الاولى من ان يكون اذ زيدة واذ واذا حرفا توقيت الا ان اذ للماضي واذا
للمستقبل وقد يوضع احدهما موضع الاخر قال المبرد اذا اذا مع المستقبل كان معناه ماضيا
كقوله تعالى واذ يمكر بك يعني واذ مكروا واذا اذا مع الماضي كان معناه مستقبلا كقوله تعالى اذا جاء
نصر الله اي يجيء وقرا ابو عمرو بادغام اللام في الراء بخلاف عنه والباقون بالاظهار والملايكة
جمع ملك اصله ملاك والتاء للتانيث للجمع وهو مقلوب مالك من الالوكة وهو الرسالة لانهم وسايط
بين الله وبين الناس منهم رسل الله اوكل لرسل اليهم لتوسط الانبياء بينهم وبين الناس واختلف العقلاء
في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام
لطيفة شفافة ويعبرون عنها بنورانية قادرة على التشكل باشكال مختلفة والله قادر على ذلك وستدل
على ذلك بان الرسل كانوا يرونهم اجساما لطيفة متشكلة باشكال مختلفة وزعم الحكماء يعني الفلاسفة
انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة وقالت طايفة من البصريين هي النفوس الفاضلة

اي المتصفة بفضايل العلم والعمل بخلاف الشريرة فانها عندهم الشياطين البشرية قوله البشرية
وما بعده صفة للنفوس الناطقة المفارقة للابدان يعني ما دامت في الايوان تسمى النفوس
فاذا فارقتها كانت الملايكة والمقول له الملايكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملايكة
الارض وذلك ان الله تعالى خلق السما والارض وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن
الجن في الارض فمكثوا فيها دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا فيها فبعث الله تعالى
اليهم جندا من الملايكة يقال له الجن وهم خزان الجنان اشتق لهم اسم من الجنة رييسهم ابليس
فكان رييسهم وهو اشرهم واكثرهم علما فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى شعوب الجبال وبطون
الاودية وجزاير البحور وسكنوا الارض وخفق الله تعالى عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض
وملك السما الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله
العجب وقال ما اعطاني الله تعالى هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة عليه فقال الله تعالى له ولجنوده اني
جاعل في الارض خليفة وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى
الاستقبال ومعتمد مستند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق فيقتضي لمفعول واحد وهو خليفة والخليفة
من يخلف غيره وينوب به اي جاعله بدلا منكم ورافعكم اني فكر هو ذلك لانهم كانوا اهون الملايكة عبادة
والهاها فيه للمبالغة والمراد به ادم صلى الله عليه وسلم لانه كان خليفة الله في ارضه وكذا كل نبي استخلفهم
في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوب
بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبي ملكا كما قال
تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي في صورة رجل لانه لو ان الانبيا لما فاقت قوتهم وتثقلت
قريحتهم بحيث تطيق بكل من تنبيا عليه ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملايكة ومن كان من الانبيا اعلا رتبة
كلمه بلا واسطة كما كلم موسى صلوات الله عليه في الميقات ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج
وقيل انه خليفة من سكن الارض قبله وقيل المراد ادم وذريته بانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم
بعضا وافراد اللفظ اما للاستغنا بذكره عن ذكر نبيه او على تاويل من يخلق وفايدة قوله هذا للملايكة
تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر تعالى بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل
خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسوالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد
ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها بالمعاصي ويسفك الدما اي بريقها بالقتل كما فعل بنو الجان تعجبوا من ان يستخلف لعمارة الارض
واصلاحها من يفسد فيها وقصدهم استكشاف ما خفي عليهم من الحكمة التي بموجبها ذلك والمفاسد والفتنا
وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلام يغلب بهم بذلك لقوله

تعالى

تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار الله تعالى
او تلقي من اللوح او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين على
الاخر والاظهر انهم كانوا يعلمون الغيب ونحن نسبح ملتبسين بحمدك اي نقول سبحان الله وبحمده
وهذا صلاة ما عدا الادميين وعليها يرزقون قال تعالى وان من شي الا يسبح بحمده اي يقول
سبحان الله وبحمده روي عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال
ما اصطفى الله لملايكته او لعباده سبحان الله وبحمده وقيل ونحن نصلي بامرك قال ابن عباس
كل ما في القران من التسبيح فالمراد منه الصلاة ونقدس لك تنزهك عما لا يليق بك فاللام صلة
والجملة حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الي اعدايك وانا الصديق المحتاج والمعنى
انستخلق عصاة ونحن معصومون حقا بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو
متوقع منهم على الملايكة المعصومين في الاستخلاف لا التعجب والتفاخر وقيل نقدس لك نطهر هو
نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المقترن بالشرك عن قوم بالتسبيح وسفك الدما
الذي هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام قال تعالى اني اعلم ما لا تعلمون من المصلحة
في استخلاف ادم وان ذريته فيهم المطيع والعاصي فيظهر العدل بينهم وقيل اني اعلم ان فيكم من
يعصيني وهو ابليس وجنوده وقيل اني اعلم ان فيهم مؤنبون وانا اغفر لهم وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون وهم على مراتبهم في العلو وعلم ادم الاسما اي اسما المسميات
كلها حتى القصعة والمغرفة وقيل علمه اسم كل شي وما يكون الى يوم القيامة وقيل صيغة كل
شي قال اهل التاويل ان الله عز وجل علم ادم جميع اللغات ثم كل واحد من اولاده بلغة فتفرقوا في
البلدان واختص كل فرقة منهم بلغة وذلك اما بخلق علم ضروري بها فيه او القى في قلبه علمها
او بارسال ملك او بخطاب الله له او بخلق الاصوات في الاجسام المسميات والتعليم فعل يترتب عليه
العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كساير الانبيا الا ما لا ونشه عبيا ولوطا ومحمدا
بل قيل ان ادم ايضا عربي وعلى هذا فاشتقاقه من الادمة بضم الهمزة وسكون الدال بمعنى السمرة
او الادمة بفتح الهمزة والدال بمعنى الاسوة اي القدوة او من اديم الارض اي ظاهرها وبهما روى الحاكم
وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها اي وهو بفتح
الحا المهملة ما غلظ من الارض وصلب اي وعجنت بالمياه المختلفة فخلق منها ادم ونفخ فيه الروح
فصار حيوانا حساسا بعد ان كان جمادا فلذلك ياتي بنوه مختلفين في الالوان والاخلاق والهيات
واما على الاول فلا اشتقاق له لان ذلك انما ياتي في الاسما العربية والاعجمي لا اشتقاق له وكنيته ابو
محمد وابو البشر والمعنى انه تعالى خلقه مزاجا مختلفة وقوى متباعدة مستعدة لادراك انواع المدركا

والمعقولات والمحسوسات والمخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها وانواعها
واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية الالتفاظ وقراءة ورش في الهمزة مرادم بالمد والتوسط
والقصر حيث جاء وقوله تعالى ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا في قوله
تعالى وعلم ادم الاسماء اذ التقدير اسما المسميات كما مر تقديره فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه
وعوض عنه اللام في الاسماء كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا لان العرض للسوال عن اسماء المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسماء اذ العرض لا يصح فيها لانها من المسموعات والعرض يختص بالمحسوسات بالعين
تقول عرضت الجند عرض العين اذا مررتهم عليك ونظرت ما حالهم فان قيل لم قال عرضهم ولم
يقل عرضها اجيب بان الاسماء اذا جمعت جمع من يعقل ومن لا يعقل يكفي عنها بلفظ من يعقل كما يكفي
عن الذكور والاناث بلفظ الذكور وقال مقاتل خلق الله كل شيء للبهائم والجماد ثم عرض تلك الشخوص
على الملائكة والكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم على الملائكة فقال لهم سبحانه وتعالى تبكيتا
لهم وتنبيها على عجزهم عن الخلافة انبئوني اي اخبروني باسماء هؤلاء المسميات ان كنتم صادقين
اني لا اخلق خلقا الا كنتم افضل واعلم منه وذلك ان الملائكة قالوا لما قال اني جاعل في الارض
خليفة ليخلق ربنا ما يشاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله
ورايناه ما لم يره فاظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وجواب الشرط دل عليه ما قبله فقالوا اي الملائكة
اقرارا بالعجز واشعارا بان سوالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما كان خفي
عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار الشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما التبس عليهم
سبحانك تنزيها عن الاعتراض عليك لا علم لنا الا ما علمتنا اياه وفي هذا مراعاة للادب بتفويض
العلم كله اليه سبحانه وتعالى وتصدير الكلام بسبحانك اعتذارا عن الاستفسار والجهل بحقيقة
الحال فانه تعالى منزه عن ان يفعل ما يخرج عن الحكمة ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه
الصلاة والسلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني كنت من
الظالمين تنبيه اجمع في قوله تعالى انبيوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين اربع مرات الاولى
انبيوني والثانية باسماء والثالثة والرابعة هؤلاء ان فالاول موبدل والثاني مد متصل والثالث
مد منفصل والرابع مخير لا متصل قطعا ولا منفصل قطعا عند من يقول باسقاط احدى الهمزتين
كما مر الاول فلورش فيه المد والتوسط والقصر واما الثاني فبالمد للجميع لانه متصل واما الثالث
ففيه المد والقصر كما تقوم لانه منفصل واما الرابع وهو اؤلاء ان ففيه همزتان مكسورتان بنيتا
من كلمتين فقالون والبزي يسهلان الاولى مع المد والقصر وورش وقنبل يسهلان الثانية ويجعلا
حرف مد وابو عمرو يسقط الاولى والثانية فمن قال باسقاط الاولى مد وقصر ومن قال باسقاط

الثانية فبالمد فقط وباقي القراء يحققون الهمزتين وهم على مراتبهم في المد انك انت العليم
الذي لا يخفى عليه خافيه الحكيم المحكم لصنوعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت ضمير
فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ
فيه ما لا يسوغ في المتبوع وقيل مبتدا اخبره ما بعده والجملة خبر ان قال تعالى يا ادم انبئهم
اي اخبر الملائكة باسمائهم اي المسميات فسمى ادم كل شيء باسمه وذكر الحكمة التي لاجلها
خلق فلما انبأهم باسمائهم قال الله تعالى لهم موبخا الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض
اي ما غاب فيهما واعلم ما تبدون اي تظهرون من قولكم اتجعل فيها الى اخره وما كنتم تكتمون اي
تسرون من قولكم لن يخلق اكرم منكم علينا ولا اعلم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسره ابليس
من المعصية والهمزة في الم اقل للانكار بمعنى النفي دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير
تنبيه هذه الايات وهي اية وعلم ادم اية سبحانك اية قالوا يا ادم تود على شرف
الانسان وقربة العلم وفضله على العبادة والا لاظهر فضل ادم بها وان العلم بما يتحلق فيه
شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق
المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل
بينبي ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل ادم من الملائكة والجن فيكون من الله وان مفهوم الحكمة
زايد على مفهوم العلم لتغايرهما والمتعاطفين والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملا
وكما لاتهم تقبل الزيادة وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله
تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وان الانبيا افضل من الملائكة وان كانوا
رسلا كما ذهب اليه اهل السنة وانه تعالى يعلم الاشيا قبل حدوثها لانه اخبر عن علمه تعالى باسما
المسميات جميعها ولم تكن موجودة وقت الاخبار واذ كر اذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم لما
انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله وادا الحق واعذارا عما
قالوا فيه اوامرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله وقضية الاولى تاخير الامر به عن تسويته خلقه بدليل تاخير
عز انبايهم وتعليمهم المستلزمين لتسوية خلقه وعلى الثاني اقتصر بعض المفسرين وهو الظاهر
واجيب عن دليل الاول بان الواو في قوله واذ قلنا لا تقتضي الترتيب والسجود في الاصل تذلل
مع تظامن وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له
بالحقيقة هو الله تعالى وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه اوسببا لوجوبه كما جعلت الكعبة قبلة

للصلاة والصلاة لله فمعنى اسجدوا له اي اليه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا اي مثلا
للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها وجمعها لما في العالم الروحاني والجثماني وذريته الملايكة
الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم
بالسجود تذللا لامره وفيه من عظيم قدرته وباهر اياته وشكرا لما انعم عليهم بواسطته
واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحيه وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له في قوله تعالى
وخروا له سجدا ولم يكن فيه وضع للجبهة بالارض اذ كان الانحناء فلما جاء الاسلام بطل ذلك
بالسلام والكلام في ان المامورين بالسجود الملايكة كلهم او طايفة منهم مثل ما مر فسجدوا
اي الملايكة الا ابليس ابى واستكبر اي امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة في عبادة
ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه وقال انا خير منه هو
والاباء امتناع واختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتبع
وهو التزين باكبر مما عنده يتكبر بذلك ويتزين بالباطل وكان من الكافرين اي في علم الله او
صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل
لا يحسن ان يومر بالتواضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله تعالى انا خير منه جوابا لما
لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا يترك الواجب وهو السجود
وحده والاية تدل على ان ادم افضل من الملايكة المامورين بالسجود له وان ابليس كان من
الملايكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس
كان من الجن لجواز ان يقال كان من الجن قبلا ومن الملايكة نوعا فان قيل له ذرية والملايكة لا ذرية
لهم اجيب ان ابن عباس روى ان من الملايكة نوعا تيوا الدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس وقيل
ان الله تعالى لما اخرجه من الملايكة جعل له ذرية وان من الملايكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب
فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين وهم الانبيا والغالب في الانس عدم العصمة ولمنازعهم
انه لم يكن من الملايكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملايكة وكان مامورا بالاولوف منهم
فغلبوا عليه لقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه وهو اصل الجن كما ان ادم اصل
الانس ولانه خلق من النار والملايكة خلقوا من النور قال البغوي والاول اصح لان خطاب السجود
كان مع الملايكة وقوله تعالى كان من الجن اي من الملايكة الذين هم خزنة الجنة وقال سعيد
ابن جبير هم الذين يعملون في الجنة وقال قوم من الملايكة الذين كانوا يصوغون حلي الجنة وقيل ان
الجن ايضا كانوا مامورين مع الملايكة لكنه استغنى بذكر الملايكة عن ذكرهم فاذا علم ان الاكابر
وهم الملايكة مامورون بالتذلل لادم والتوسل به علم ايضا ان الاصاغر وهم الجن مامورون به

والضمير

والضمير في فسجدوا راجع للقبيلين فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس تنبيه
من فوايد الاية استقباح الاستكبار وانه يفضي بصاحبه الى الكفر ولحث على الايتمار لامره وترك
الخوض فيما لا ينبغي في سر نفسه وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يموت على الكفر
هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الوقت الحاضر موقنا وقلنا يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة اي اتخذ الجنة مسكنا لتستقر فيها لانها استقرار ولبث ولفظة انت
تاكيد للضمير المستكن ليصح العطف عليهما وانما لم يخاطبهما اولا بان يقول اسكنا تنبيها على انه
المقصود بالحكم وهو الامر بالسكنى التي هي الاصل بالنسبة الى ما عطف عليها من الاكل وغيره والعطف
عليه تبع له حتى في الوجود ان لم يكن له من يونسه في الجنة فخلقت حوا بالمد من ضلع الاقصر من
جانبه الايسر وهو نايم فلما استيقظ من نومه سرها جالسة عند راسه كاحسن ما خلق الله فقال
من انت قالت زوجتك خلقني الله لك اسكن اليك وتسكن الي وسميت حوا لانها خلقت من حي
خلقها الله من غير ان يحبر بالدم ولا وجد لخلقها الما ولو وجد له الما لما عطف رجل على امراة قط وانما
صح العطف على المستكن مع ان المعطوف لا يباشر فعل الامر لانه وقع تابعا وينتفي في التابع
ما لا ينتفي في المتبوع والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق
بعد قال ان الجنة بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لادم
وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها اي الجنة رغدا
اي واسعا لذيذا لا حجر فيه فرغدا صفة مصدر محذوف وقيل مصدر في موضع الحال حيث
اي اي مكان من الجنة شيتما وسع الامر عليهما ازالة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي
عنها من بين اشجارها التي لا تحصر وقرا ابو عمرو بادغام الثاني في الشين بخلاف عنه وابدل الكسائي
الهمزة وقفا ووصلا وحمزة في الوقف فقط ولا تقربا هذه الشجرة بالاكل منها وهي شجرة الحبة او الكرم
او شجرة العلم او العنب او التين او شجرة من كل منها احوك والاولى كما قال البيضاوي ان لا تعين
من غير دليل قاطع او ظاهر كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود على التعيين فتكونا
اي فتصيرا من الظالمين اي العاصين تنبيه في هذه الاية مبالغتان الاولى تعليق النهي بالقرب
الذي هو من مقومات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من
الشي يورث داعيته وميلا يا خذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي
ابو داود حبك الشي يعمي ويصم اي يخفي عليك معايبه ويصم اذنيك عن سماع مساويه فينبغي
ان لا يحوم حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه الثانية جعل قربانهما الى الشجرة سببا لان
يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي فازلهما الشيطان اي ابليس سمي به

فوز

لبعده عن الخير وعن الرحمة وقرا حمزة بالف بعد الزاي وتخفيف اللام اي نحاهما والباقون بغير الف بعد الزاي وتشديد اللام اي اذهبهما عنها اي الجنة وازالاه قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثيل لهما فقال لهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وكيفي توصل الى ازالاهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول بعد خروجه الاول على جهة الكرمة كما كان يدخل مع الملايكة ولم يمنع ان يدخل لوسوسته ابتلاء ادم وحوي فلما دخل وقف بين يدي ادم وحوي وهما لا يعلمان انه ابليس فبكي وناح نياحة اخر تنتهما وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال ابكي عليكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه من النعمة وكان ادم لما راي ما في الجنة من النعيم قال لوان خلدا فاغتنم الشيطان ذلك منه فاتاه الشيطان من قبل الخلد فوقع قوله في نفسهما واعتقداه ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد فابي ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا وما ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت حوا ادم حتى اكلها وكان سعيد بن المسيب يحلف بالله ما اكل ادم من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى سكر فادته اليه فاكل وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل وهم بغفلة الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وكانت صديقا لابليس وكانت من احسن الدواب لها اربع قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ابليس ان تدخله الجنة في فمها فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والقى في ذلك كما قاله البيضاوي عند الله فاخرجهما مما كانا فيه من الكرامة والنعيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال الله تعالى لادم اليس فيما اعطيتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط من الجنة وكانا ياكلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع ثم سقي حتى اذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله قال ابراهيم بن ادهم اورثنا تلك الاكلة حزنا طويلا وقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها قال الله عز وجل يا ادم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينة لي حوا قال فاني اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وديتها في الشهر مرتين فرنت حواء عند ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك فلما اكلا منها سقطت عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى وقلنا

اهبطوا

اهبطوا خطاب لادم وحوا وقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الانس فكانهما هما الانس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها سرا او امر السماء لامر الباب على الخلاف المتقدم وقيل هما وابليس والحية فهبط ادم بسرنديب بارض الهند على جبل يقال له نود وحوا بجدة وابليس بالابلة وقيل ببيسان بالبصرة على اميال والحية باصبهان وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال استغني فيها بالضمير عن الواو والمعنى متعادين فان كان الخطاب لادم وحوا فقط فالمراد ببعضكم بعض الذرية اي بعض ذريتكم لبعض عدو من ظلم بعضهم بعضا وان كان الخطاب لهما ولابليس والحية فالمراد العداوة بين المومنين من ذرية ادم والحية وبين ابليس قال الله عز وجل ان الشيطان لكما عدو مبين وروي عكرمة عن ابن عباس انه كان يامر بقتل الحيات وقال من تركهن خشية او مخافة ثاري فليس منا وزاد موسى بن مسلم عن عكرمة في الحديث ما سالمناهن منذ حاربناهن وروي انه نهي عن ذوات البيوت وروي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا فان رايتم منهم شيا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان ولكم في الارض مستقر اي موضع قرار ومتاع ما تتمتعون به من بنائها الى حين اي وقت انقضاء اجالكم فتلقى ادم من ربه كلمات اي استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وهي ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ادم يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت ارا جعي انت الى الجنة قال نعم رواه الحاكم وصححه وقول ادم ارا جعي بتخفيف القاف الياسم فاعل اضيف الى المفعول وانت فاعل لاعتماده على الاستفهام او مبتدا خبره ما قبله وقرا ابن كثير بنصب الميم من ادم ورفع التاء من كلمات على انها تلقته والباقون برفع الميم وكسر التاء والكسر هنا علامة النصب لانه جمع مونث سالم فنصب بالكسرة فتاب عليه اي قبل توبته وانما رتب تاب عليه بالفا على تلقي الكلمات لتضمن تلقى الكلمات معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه ورد المظالم ان كانت والتي يذكر ادم لان حوا كانت تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكرها في اكثر القران والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واذا وصفها الباري اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم البالغ في الرحمة وفي الجمع بين التوبة والرحمة وعد للتايب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها اي من الجنة جميعا كرر

للتاكيد والاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بليته يتعادون فيها ولا يخلدون
والثاني اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك وقيل الهبوط
الاول من الجنة الى السما الدنيا والهبوط الثاني من السما الدنيا الى الارض فاما فيه او غلم او الشرطية
وما المزيدة يأتينكم يا ذرية ادم منى هدى اي رشد وبيان شريعة وقيل كتاب ورسول فمن
تبع هداي بان امن بي وعمل بطاعتي وكرر لفظ الهدي ولم يضمر اما لاظهار شانه وفخامته
خصوصا مع اضافته اليه اولانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه
العقل اي فمن تبع ما اتاه راعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم
مكروه ولا هم يحزنون بفوات محبوب عنهم وهو النظر الى وجهه تقدس فيحزنوا عليه بل يتنعمون
بالنظر الى وجهه تقدس فانه المقصود الاعظم فالخوف على الواقع نفي عنهم العقاب فاثبت لهم
الثواب على اكد وجه وابلغه وقيل لا خوف عليهم في الدنيا ولا هم يحزنون في الاخرة واما الذوق
عن الكسائي انه هدى محضة وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وانما جيء بحرف
الشك وايتان الهدي واقع كاني لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا والذين كفروا اي جحدوا
وكذبوا بايتنا اي كتبنا اولئك اصحاب النار يوم القيامة هم فيها خالدون ماكثون فيها
ابدا لا يخرجون منها ولا يموتون فيها والاية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من
حيث انها تدل على الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة عن غيرها
بفصل تنبيه في هذه الايات دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة
مقبولة وان متبع الهدي مامون العاقبة وان عذاب النار دايم وان الكافر فيه مخلد وان غيره
لا يخلد فيه بمفهوم قوله تقدس هم فيها خالدون واستدل بعض الخوارج بالحشوية وهم قوم
جوز والخطاب بما لا يفهم بها على عدم عصمة الانبيا بوجوه الاول ان ادم عليه السلام كان
نبيا وارتكب المنهي والمرتكب له عاص والثاني انه جعله بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون
لقوله تقدس الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه اسند اليه العصيان والغي وقال وعصى ادم ربه
فغوى والرابع انه تقدس لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه بانه
خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخامس
مر يكون ذا كبيرة والسادس انه لو لم يذنب ما جرا عليه ما جرا واجيب عن ذلك بوجوه
الاول انه لم يكن نبيا حينيذ والمدعي مطالب بالدليل ولا دليل الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي
ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى وانما اجرى الله تقدس عليه ما جرى معلما
على ترك الاولى ووفاء بما قاله تقدس للملايكة قبل خلق ادم اني جاعل في الارض خليفة الا بالاهبا

نبذة له

ليكون خلق
خليفة في

اليها

اليها وامر بالتوبة تلافيا لما فاته الثالث انه فعله ناسيا لقوله تقدس فنسي ولم نجد له عزما ولكنه
عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان اذ رفع الاثم بالنسيان من خصايص هذه الامة كما
ثبت في الاخبار الصحيحة لخبر الصحيحين رفع عن امتي الخطا والنسيان وروى الترمذي وصححه
اشوا الناس بلا الانبيا ثم العلما ثم الصالحون الرابع انه عليه الصلاة والسلام اقوم عليه
بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة الى عين تلك الشجرة فتناول
من غيرها من نوعها وكان المراد بالاشارة الاشارة الى النوع لا الى شجرة معينة كما روي ابو داود
وغيره انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال هذان حرام على ذكور امتي
حل لاناثها فان قيل المجتهد ان اخطا لا يواخذ اجيب بانه انما عوتب على ذلك تعظيما لشا
الخطيئة ليجتنبها اولاده وقرا ورش بامالة الف الناء بين بين وقرا ابو عمرو والدوري عن الكسائي
بالامالة المحضة والباقون بالفتح يا بني اسرايل اي اولاد يعقوب واسرايل لقبه ومعنى اسرا
بالعبرانية عبد وايل الله فمعناه عبد الله وقيل صفوة الله صلى الله عليه وسلم اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم اي بالتكثر فيها والقيام بشكرها والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان
وتقييد النعمة بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله غيره حمله
الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضا والشكر
لله وقيل اراد بها ما انعم على ابايهم من فلق البحر وانجايهم من فرعون باغراقه وتظليل الغمام
عليهم في التيه وانزال المن والسلوى وغير ذلك من النعم التي لا تحصى قال الله تقدس وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها واوفوا بعهدي اي بامتثال امري ومنه ما عهدت اليكم من الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم اوف بعهدكم اي الذي عهدته اليكم من الثواب عليه بدخول الجنة تنبيه للوفا
بالعهد درجات كثيرة فاول مراتبه مناهو الاتيان بكلمتي الشهادتين ومر الله حقن الدما
والمال واخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يفقل عن نفسه فضلا عن غيره ومر الله
تقدس الفوز بالغنا الدايم واما ما روي عن ابن عباس رضي الله تقدس عنهما من ان اوفوا بعهدي في اتباع
محمد اوف بعهدكم في رفع الاصار اي الاثقال والاغلال وعن غير ابن عباس اوفوا باداء الفرايض
وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة
والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسايط وايايَ فارهبون فيما تاتون وتذرون وخصوصا في هم
نقض العهد والرهبة خوف مع تحرز تنبيه الاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر
والوفا بالعهد وان المومن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله وامنوا بما انزلت من القران وقوله
تقدس مصدقا حال موكدة مما انزلت او من ضميره المحذوف لما معكم من التوراة بموافقته له وغيره من

الا مثل في الا مثل ورواه
الحاكم بلفظ اشد الناس
بلا الانبيا صح

ن

الكتب الالهية في القصص ونعت النبي صلى الله عليه وسلم والمواعيد والدعا الى التوحيد والامر
بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزيات الا
بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحد منها حق بالاضافة الى ما قبله من اعني
فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام كما رواه الامام احمد وغيره لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي وفي ذلك تنبيه على
ان اتباع تلك الكتب الالهية لاينافي الايمان بالقران بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا
اول كافر به اي بالقران بل ينبغي ان تكونوا اول مومن به لانكم اهل نظر في معجزاته والعلم بشانه فان
قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب اجيب بان المراد به التعريض
بما يجب عليهم لمقتضى حالهم لا الدلالة على ما ينطق الظاهر كقولك لمن تنشا اما انا فلست بجاهل
او ولا تكونوا اول كافر بين اهل الكتاب لان خلقكم تبع لكم فانتم عليكم او من كفر بما معه فانه مركفر
بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل امر كفر من مشركي مكة تنبيه اول كافر به وقع خبره ضمير
الجمع بتقويم اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل
واحد منا ولا تشتروا تستبدلوا بايات التي في كتابكم من نعت محمد صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا اي
عوضا يسيرا من الدنيا اي لا تكتموها خوف فوات ما تاخذونه من سفلتكم وذلك ان رؤسا اليهود
وعلماءهم كانت لهم مآكل يصيبونها من سفلتهم وجهالهم ياخذون منهم كل سنة شيا معلوما
من زروعهم وثمارهم ونقودهم فخافوا انهم ان بينوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وتابعوه
ان يفوتهم تلك المآكل فغيروا نعته وكتموا اسمه فاختاروا الدنيا على الاخرة فبئس ما اختاروا لانفسهم
خطوظ الدنيا وان جلت قليلة مستزلة بالاضافة الى ما يفوت من حظوظ الاخرة وايايي فاتقون
خافون في ذلك دون غيري ولا تلبسوا اي تخلطوا الحق الذي انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله
عليه وسلم بالباطل الذي تختلقونه وتكتبونه بايديكم من تغيير صفته ولا تكتموا الحق اي لا تكتموا
نعت النبي صلى الله عليه وسلم وانتم تعلمون انكم لابسون الحق بالباطل كاتمون فانه اقبح اذ
الجاهل يعذر واقيموا الصلاة اي الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها واتوا الزكاة اي ادوا
زكاة اموالكم المفروضة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار
مخاطبون بها والزكاة ما خوذة من زكا الزرع اذا نما وكثر او من الزكاة بمعنى الطهارة وكلا
المعنيين موجود في الزكاة فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم
ويطهر المال من الخبث والنفس من البخل وارکعوا مع الراكعين اي صلوا مع المصلين محمد صلى الله عليه
وسلم واصحابه في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة المنفرد اي الفرد بسبع وعشرين ما فيها

مرتظاهر

29

مرتظاهر اي تتابع التفوس وعبر عن الصلاة بالركوع اعتزازا عن صلاة اليهود لان صلاتهم ليس فيها
ركوع اي صلوا مع الذين في صلاتهم ركوع وقيل الركوع للخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الشاعر لا تذل الضعيف ورومي بنهر التفتير علك اي لعلك ان تركع يوما والدهر قد رفعه فيركع
من الركوع وهو الانحنا والميل واراد به الانحطاط من الرتبة وتزل في علما اليهود وكانوا يقولون
لاقربايهم المسلمين سرا اثبتوا على دين محمد صلى الله عليه وسلم فانه حق ولا يتبعونه اتامرون
الناس بالبر اي بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم في ذلك تقريع مع توبيخ وتعجيب والبر شرعا
التوسع في الخير من البر بالفتح وهو الفضا الواسع يتنا ولكل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة
الله وبر في معاملة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم اي تتركونها من البر
كالمنسيان وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وانتم تتلون الكتاب اي التوراة وفيها
الوعيد على الفساد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون سو فعلكم فيصدكم عنه او فلا
عقل لكم ينعكم مما تعلمون من عدم موافقة عاقبته لكم والاية ناهية على من يعظ غيره ولا
يتعظ بنفسه بسو صنيعه وخبث نفسه وان فعل فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن
العقل فان الجامع بين العلم والعقل يابى عن كونه واعظا غير متعظ بنفسه والمراد بها حث
الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لها ليقوم نفسه ثم يقوم غيره لا منع الفاسق
عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالاخر ولكن روي عن
انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت ليلة اسري بي رجالا
تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هولا يا جبريل قال هولا الخطباء من امتك يامرون
الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب وعن اسامة رضي الله تعالى عنه انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجا بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق
اقتابه اي فتقطع امعاوه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه
فيقولون اي فلان ما شانك اليس كنت تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت امركم
بالمعروف ولا اتيه وانهاكم عن المنكر واتبعه وقال شعبة عن الاعمش فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه
واستعينوا اي اطلبوا المعونة على اموركم بالصبر اي الحبس للنفس على ما تكره والصلاة افردها
بالذكر تفخيما لشانها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيها والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية
بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الرحمن وقراة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس
عن الاطيبين وهما الاكل والجماع روي الامام احمد وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه

خ
وبر في مراعات
الخلائق

امر فزع الى الصلاة اي لجا اليها وحرج بحا مهملة وزاي وبا موحدة اهمه وتزلبه وقيل للخطاب
للهود فهو متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض
عن المال امروا بالصبر وهو الصوم ومنه سمي شهر رمضان شهر الصبر لانه يكسر الشهوة ويزهد
في الدنيا والصلاة لانها تورث الخشوع وتنهى الكبر وترغب في الاخرة وقيل الواو بمعنى على
اي واستعينوا بالصبر على الصلاة كما قال تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها ويحتمل
ان يراد بالصلاة الدعاء وانها اي الصلاة رد الكناية اليها لان الصبر داخل فيها لاشتمالها
ض وبامر الصبر كما قال تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه ولم يقل يرضوهما لان رضى الله
الرسول داخل في رضى الله عز وجل ولانها اعم كما في قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله رد الكناية الى الفضة لانها اعم وقيل رد الكناية الى كل منهما وان كل خصلة
منهما لحا قال تعالى كلتا الجنتين اتت اكلها اي كل واحدة منهما وقيل معناه واستعينوا بالصبر
وانها لكبيرة والصلاة وانها لكبيرة فحذف احدهما اختصارا قال الحسين بن الفضل رد
الكناية الى الاستعانة لكبيرة اي ثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا
على الخاشعين اي الساكنين الى الطاعة والخشوع السكون قال تعالى وخشعت الاصوات
للرحمن والخضوع اللين والانقياد ورد وكذا يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذي
يظنون اي يتيقنون واطلق الظن على العلم لتضمنه معنى التوقع انهم ملاقوا ربهم بالبعث
وانهم اليه راجعون في الاخرة فيجازيهم باعمالهم وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم لان
نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتتلذذ بسببه
متابعها ومن ثم قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة يا بني اسرايل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم بالشكر عليها بطاعتي كرره للتوكيد وتذكير التفضل الذي هو اجل
النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تحويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها وعطف على
نعمتي وانى فضلتكم اي اباكم الذين كانوا في عصر موسى صلى الله عليه وسلم وبعده قبل ان يغيروا
على العالمين اي عالمي زمانهم بما منحهم الله من العلم والايمان والعمل وجعلهم انبيا وملوكا
مقسطين وذلك التفضيل وان كان في حق الاباء لكن يحصل به الشرف في الابناء والاحفاد
واستدل بذلك على ان الاصح لا يجب على الله تعالى لان تفضيلهم لو وجب عليه لم يجز جعله
منه عليهم لان من اتى بما وجب عليه مستحق له به على احد واتقوا خافوا يوما اي ما فيه
من الحساب والعقاب وهو يوم القيامة لا تجزي اي لا تقضي نفس عن نفس فيه شيا اي حقا
لزمها تنبيه قول البيضاوي وايراده اي شيا منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلي

تبع فيه الكشاف وهو جار على مذهب المعتزلة من انهم ينكرون الشفاعة للعصاة وسياتي الجواب
عن مذهبهم ولا تقبل بالتا على التانيث كما قرا به بن كثير وابو عمرو وبالياء على التذكير كما قرا
به الباقون منها شفاعة اي من النفس الثانية لقوله تعالى ولا يوخذ منها عدل اي فدا ولا تنصرون
اي يمنعون من عذاب الله اذ الضمير في الجملتين للنفوس العاصية ويصح رجوعه للنفس الاولى
لانها المحدث عنها في قوله تعالى لا تجزي نفس عن نفس والثانية مذكورة على سبيل الفضلة هو
لا العمدة وتذكير ضمير ولا هم ينصرون مع ان الضمير راجع للنفوس وكان المناسب هن بالتانيث
لانه بمعنى العباد او الاناس كما تقول ثلاثة انفس بالتا مع تانيث النفس لتاويل النفوس هو
بالاشخاص او الرجال والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وقد تمسكت المعتزلة
بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكباير واجاب اهل السنة عن ذلك باجوبة منها ان الاية
مخصوصة بالكفار للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويرد هذا ان الخطاب معهم
وعلى هذا يتمشى قوله تعالى البيضاوي المراد حينيذ انه ليس لكافر شفاعة فتقبل كما قال
تعالى حاكيا عنهم فما لنا من شافعين ومنها ان الاية نزلت رد الما كانت اليهود تزعم ان اباهم
يشفع لهم ومنها انها لا تشفع الا باذن الله واذكروا اذ نجيناكم اي اباكم الخطاب به وبما بعده
للموجودين في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما انعم على ابايهم تذكيرا لهم بنعمة الله ليومنوا
من ال فرعون اي اتباعه واهل دينه والمشهور ان اصل الاهل اهل لان تصغيره اهيل وقال الكسا
وغيره اصله اول من اول يوول اي رجع قلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وتصغيره اويل
فان قيل يرد الاول اختلاف اهل وال معنى اذ الاهل القرابة والال من يوول اليه نفرابه
او راي او مذهب ولان الالف لم تثبت ابدالها من الها اجيب بان القليل بالاولى جري
على القول بان اللفظين بمعنى واريد بالاهل احد معاني ال وابدل الواو من الها لتقارب
مخرجا وخص بالاضافة الى اولي القدر والشرف كالانبيا والملوك وانما قيل ال فرعون لتفوق
بصورة الاشراف اولشرفه في قومه عندهم وفرعون هو الوليد بن مصعب بن ريان
وكان من القبط من العمالقة وعمر اكثر من اربعمايه سنة يسومونكم يولمونكم ويذيقونكم سو العذاب
اي اشده والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد
منهما يذبحون ابناكم المولودين ويستحيون نساكم اي يتركونهن احيا هذا بيان ليسومونكم ولذلك
لم يعطف وذكر ان فرعون لعنه الله راى في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر
واحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني اسرايل فهاله ذلك وسال الكهنة عن رويا فقالوا يولد في بني
اسرايل غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرايل

ض

خ
ربهما والبدل الها
من الواو

خ
ولهذا

وجمع القوابل تقال لهن لا يسقط علي ايديكن غلام من بني اسرايل الا قتل ولا جارية الا ترك
وكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قيل انه قتل في طلب موسى اثني عشر الف صبي وقال وهب
بلغني انه ذبح في طلب موسى تسعين الفا قالوا واسرع الموت في مشيخة بني اسرايل فدخل رؤس
القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع في بني اسرايل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم
فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة
التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها وفي ذلكم بلاء ان اشير به الى صنيعهم
فهو محنة او الى الامر فهو نعمة فان البلا يكون بمعنى الشدة وبمعنى النعمة ويجوز ان يشار
بذلكم الى الامر في فانه تقع قد يختبر على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال تعالى ونبلوكم
اي نختبركم بالشر والخير فتنة من ربكم اي بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم او بهما
لقوله تقع عظيم صفة بلا وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله
تقع فعليه ان يتيقظ عند مساءته ويصبر على مضاءته ليكون من خير المختبرين واذكروا اذ فرقنا
فلقنا بكم اي بسببكم البحر حتى دخلتموها سالمين من عدوكم وذلك ان فرعون لما اذنا هلاكه امر الله
تقع موسى عليه الصلاة والسلام ان يسري ببني اسرايل من مصر ليلا فامر موسى قومه ان يسروا
في بيوتهم السراج الى الصبح وخرج موسى في ستماية الف وعشرة الف مقاتل لا يعدون بنيه العشرة
لصغره ولا ابنه الستين لكبره وكانوا يومئذ دخلوا مصر مع يعقوب عليه الصلاة والسلام اثنين
وسبعين انسانا ما بين رجل وامراة فساروا وموسى على ساقتهم وهارون على مقدمتهم ثم علم
بهم فرعون فجمع قومه وامرهم ان لا يخرجوا في طلب بني اسرايل حتى يصيح الديك قال ابن مسعود
فوالله ما صاح ديك في تلك الليلة ثم خرج فرعون في طلبهم وعلى مقدمته هامان في الف الف
وستماية الف وكان فيهم سبعون الف مزدهم للخيل سوى سايرة الشيات وقال محمد بن كعب
وكان في عسكر فرعون مايتا الف حصان ادهم سوى سايرة الشيات وكان فرعون يكون في الدهم
وقيل كان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه مايتا الف نائب ومايتا الف اصحاب حراب
ومايتا الف اصحاب الاعدة فساروا بني اسرايل حتى وصلوا الى البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا
فاذا هم بفرعون حين اشرقت الشمس فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى كيف نصنع واني ما وعدتنا
هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا قال الله تقع فلما تراءى الجمعان
قال اصحاب موسى انا لمدركون قال موسى كلا ان معي ربي سيهدين فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب
بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه تقع ان كنه فضربه وقال انفلق يا ابا خالد باذن الله
فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وارتفع الماء

بين

بين كل طريقين كالجبل وارسل الريح والثمر على قعر البحر حتى صار يبسا فخافت بنو اسرايل
البحر كل سبط في طريق وعز جانبيهم الماء كالجبل الفخم ولا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل
اخواننا فاوحى الله تقع الى جبال الماء ان تشبكي ففعلت شبكا كالطاقات يرى بعضهم بعضا يسمع
بعضهم كلام بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تقع فانجيناكم من ال فرعون واغرقنا
ال فرعون وذلك ان فرعون لما وصل الى البحر فراه منفلقا قال لقومه انظروا الى البحر انفلق
من هيبتي حين ادركه عبيدي الذين ابقوا ادخلوا البحر فهابه قومه ان يدخلوه وقيل قالوا له ان
كنت ربا فادخل البحر كما دخل يعني موسى وكان فرعون على حصان ادهم ولم ير في خيل فرعون
فرس انثى فجاء جبريل على فرس انثى فتقدمهم وخاض البحر فلما شم ادهم فرعون ريحها اقتحم البحر
في اثرها وهم لا يرونه ولم يملك فرعون من امره شيا وهو لا يرى فرس جبريل واقتحمت الخيول
خلفه في البحر وجاء ميكايل على فرس خلف القوم يسوقهم ويسوقهم حتى لا يشذ رجل منهم ويقول لهم
الحقوا اصحابكم حتى خافوا كلهم البحر وخرج جبريل من البحر وهم اولهم بالخروج امر الله البحر ان
ياخذهم جميعا فالتطم عليهم البحر واغرقهم اجمعين وكان بين كل طرق في البحر اربعة فراسخ وهو بحر
فلزم كل طرق من بحر فارس قال قتادة بحر من وراء مصر يقال له اساف وذلك بمراي من بني اسرايل
فذلك قوله تقع وانتم تنظرون في مصارعهم وانطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة
مزلة اوجثثهم التي قذفها البحر الى الساحل وينظر بعضهم بعضا واعلم ان هذه الوقعة من اعظم
ما انعم الله به على بني اسرايل من الايات الملجئة الى العلم بالصانع الحكيم وتصديق موسى
الكليم ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهم بعد ذلك في الغطسة
والفرحان سلامة النفس وحسن الاتباع عرامة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته
امور نظرية مثل القران والتحدي به والفضايل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم وقيقة يدركها الاذكيا واذ وعدنا موسى بغير الف بين الواو والعين
كما قرا ابو عمرو والباقون بالف بين الواو والعين لانه تقع وعد موسى الوحي واوعد موسى
ربه المجي للميقات الى الطور وقيل هذه امر المفاعلة التي تكون من الواحد كما قيت اللص
وطارقت النعل واما حمزة الف موسى محضة وابو عمر بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين
اربعين ليلة اي يعطيه عند انقضايها التوراة ليعملوا بها ومن له ميقاتا ذا القعدة وعشر
ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل لان غير الظلمة اقدم من الضوء وخلق الله
الليل قبل النهار قال تقع واية لهم الليل نسلخ منه النهار وقول البيضاوي اي ان ذلك لما عاد وا
الى مصر بعد هلاك فرعون تبع في ذلك الكشاف ولم يعرف ذلك لغيرهما وانما كانوا بالشام

الوعد

لان اتيان موسى للميقات كان بطور سينا وهو بالشام لا بمصر وقد قالوا انها ابن عقيل في
تفسيره لم يصرح احد من المفسرين والمورخين بانهم دخلوا مصر بعد خروجهم منها فان
قيل قوله تعالى فاخرجناهم من جنات الى قوله تعبه واورثناها بني اسرايل يقتضي انهم عادوا
اليها اجيب بان المعنى ان الله اورثهم وملكهم اياها ولم يردهم اليها وجعل ما
الشام ثم احتوتم قرا ابن كثير وحفص عن عاصم احتوتم باظهار الذال قبل التاء والباقون
بادغام الذال في التاء العجل الذي صاغه السامري لها ومعبودا من بعده اي بعد ذهابه الى
ميقات ربه وذلك ان بني اسرايل لما امنوا من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة يرجعون اليها وعد
الله تعالى موسى ان ينزل عليهم التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب لميقات ربي اتيكم بكتاب فيه
بيان ما تفوقون وما تتورعون واستخلف اخاه هارون فلما اتاه الوعد جاءه جبريل على فرس يقال
له فرس الحياة لا يصيب شيا الا حيي ليذهب بموسى الى ميقات ربه فلما راه السامري فكان رجلا
صايغا من قبيلة يقال لها سامرة راى موضع قوم الفرس يخضر من ذلك وكان منافقا يظهر الاسلام
وكان من قوم يعبدون البقر الى في روعه انه اذا التقى في شيء غيره وكانت بنو اسرايل قد
استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون حين ارادوا الخروج من مصر لعيد لهم فاهلك الله
فرعون وقومه فبقيت تلك الحلي في ايدي بني اسرايل قال السدي فامرهم هارون ان يلقوها
في حفرة حتى يرجع موسى ففعلوا فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلا من ذهب في ثلاثة ايام
مرصعا بالجواهر كاحسن ما يكون ثم القى في فيه القبضة التي اخذها من تراب حافر فرس جبريل
فصار يخور ويمشي فقال السامري هذا الهكم واله موسى فنسي اي فتركه هاهنا وخرج بطلبه وكانت
بنو اسرايل قد اخلفوا الوعد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوما ولم يرجع
موسى وقعوا في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشرة قال تعالى
ووعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر وسيأتي الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في محله فكانت
فتنتهم في تلك العشر فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ورأوا العجل وسمعوا قول السامري عكف منهم
ثمانية الاف رجل على العجل يعبدونه وقيل كلهم عبدوه الا هارون مع اثني عشر الفا ممن لم يقل
النفوي وهو الاصح وقال الحسن كلهم عبدوه الا هارون ولذا قال تعالى وانتم ظالمون اي باتخاذه
لوضعكم العبادة في غير محلها ثم عفونا محونا عنكم ذنوبكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من غير عقاب اذا
دريس من بعد ذلك اي الاتخاذ لعلكم تشكرون اي كي تشكروا انعمتنا عليكم بتنبيه اما قدرت لعل
اخذا مما قيل ان لعل في القران بمعنى كي في غير قوله في الشعرا لعلكم تخلدون فانها بمعنى كان اي كانكم
تخلدون واذكروا اذ اتينا موسى الكتاب اي التوراة والفرقان عطف تفسير اي الفارق بين الحق
وقوله تعالى

والباطل

والباطل والحلال والحرام وقيل اراد بالفرقان معجزات موسى كانفلاق البحر الفارقة بين المحق والمبطل
في الدعوى او بين الكفر والايمان لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الايات
من الضلال واذكروا اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل يا قوم انكم ظلمتم فراوس بن شقلب
اللام والباقون بالتوقيق انفسكم باتخاذكم العجل الها قالوا فاي شيء نصنع قال فتوبوا اي ارجعوا
عن عبادة العجل الى بارئكم اي خالقكم وقرا ابو عمرو باسكان الهمزة وروي عن الدوري عنه
باختلاس الحركة وروي عن السوسي ابدالها باسكانه واماله الدوري عن الكسائي الا ان بعد الباء
الموحدة واذا اوقف حمزة على بارئكم سهل الهمزة بين بين قالوا كيف نتوب قال فاقتلوا انفسكم
اي ليقتل منكم البري من عبادة العجل من عبده وقيل المراد بالقتل قطع الشهوة كما قيل لمن لم
يغلب نفسه لم ينفها ولم تقتلها لم يجاهدها وردهذا اجماعة باجماع المفسرين على ان المراد هنا
القتل الحقيقي ذلكم اي القتل خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحياة
الابدية والنهجة السرمدية فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين وقيل
لهم من دخل جبوته او موطنه الى قائله او انتمى ببيت او رحل فهو ملعون مردود توبته واصلت القوم عليهم
الخناجر فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه فلم يمكنه المضي لامر الله فقالوا يا موسى كيف نفعل فاثار
الله عليهم ضبابة تشبه سحابة تغشى الارض كالدخان وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا فكانوا
يقتلون الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام وبكيا وتضرعا وقالا
يا ربنا هلكت بنو اسرايل البقية البقية فكشف الله تلك السحابة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل
فكشفت عن الوف من القتلى روي عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال لعمود القتلى سبعون الفا
فاشتد ذلك على ذلك فاوحى الله تعالى اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من
قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه وتوبة فوذلك قوله تعالى فتاب عليكم اي فعلتم ما امرتم به فتاب
عليكم اي قبل توبتكم وقبل توبتكم تنبيه ذكر البارئ في قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم وتوبتهم الامر
بالقتل عليه اشعارا بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان
يستبرد منه ما انعم به عليه ولذلك امروا بفك تركيب ذواتهم بالقتل انه هو التواب اي الذي يكثر
قبول التوبة من المذنبين الرحيم اي البالغ في الانعام على خلقه واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى
نرى الله جهرة وذلك ان الله تعالى امر موسى عليه الصلاة والسلام ان ياتيه في نفر من بني اسرايل
يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من قومه من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا
وطهروا ثيابكم ففعلوا ذلك فخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام
ربنا فقال لهم افعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليهم عمود الغمام فغشي الجبل كله فدخل في الغمام وقال

موسى
صح

حتى تركوا عبادة
البقر التي هي مثل
في الغباوة صح

الغاه
سل صح

للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في القمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور
ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى
يامره وينهاه واسمعهم الله تعالى اني انا الله لا اله الا انا اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني
ولا تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل عليهم فقالوا والله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
عيانا وذلك ان العرب تجعل العلم بالقلب رؤية فقالوا جهرة ليعلم ان المراد من العيان يروى عن
السوسي امالة الالف بغير الراء في نوى وترقق اللام من اسم الله ويروى عنه تفخيم اللام مع الامالة
وله وجه ثالث كالجماعة وهو عدم الامالة مع تفخيم اللام فان قيل كيف تمال الالف وهي تسقط
عند التقاء الساكنين اجيب بانه لولا امالتها ما اميلت الراء لان القاري اذا اراد ان يميل الالف
لا يتمكن من الامالة الا بامالة ما قبله فاخذتكم الصاعقة اي الصيحة فمتم وقيل جاءت نار من السما فاحرقتهم
وذلك لفرط الفساد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام فطلبوا رويته
رؤية الاجسام في الجهات والاحيان المقابلة للراي وهي محال بل المراد ان يريهم رؤية منزهة
عن الكيفية وذلك للمومنين في الاخرة والافراد من الانبيا في بعض الاحوال في الدنيا وانتم تنظرون
اي ينظر بعضكم الى بعض حين اخذكم الموت وقيل تعلمون ويكون النظر بمعنى العلم فلما هلكوا اجمل
موسى يبكي ويتضرع ويقول ماذا اقول لبني اسرايل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفها منا فلم يزل ينادي ربه حتى احياهم الله تعالى
رجلا بعد رجل بعد ما ماتوا يوما وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون كما قال تعالى ثم بعثناكم
اي احييناكم والبعث اثارة الشي عن محله يقال بعثت البعير فانبعث وبعثت المنايم فانبعث من بعد
موتكم بسبب الصاعقة قال قتادة احياهم ليستوفوا بقية اجالهم وارزاقهم ولو ماتوا اجالهم
لم يبعثوا وقد البعث بعد الموتة لانه قد يكون عن اغما او نوم كقوله تعالى فضربنا على اذانهم في الكهف
سنين عددا اي نمنعهم السمع فناموا ثم بعثناهم اي من النوم لعلكم تشكرون نعمة البعث وما كفروه من النعم المتتابعة وظللنا عليكم الغمام
في التيه يقيكم حر الشمس والغمام من الغم واصله التغطية والسحاب سمي سحابا لانه يغطي وجه
الشمس وذلك انه لم يكن لهم في التيه كن يسترهم فشكوا الى موسى صلى الله عليه وسلم فامر الله
عليهم غماما ابيض رقيقا طيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم بالليل اذا لم يكن هناك
لهم قمر يسيرون في ضوئه فكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وغلظ ورش اللام المفتوحة بعد
الظا وانزلنا عليكم المن والسلوى في التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين قال مجاهد هو شي كالصمغ
كان يقع على الاشجار طعمه كالشهد وكان يقع كل ليلة على اشجارهم مثل الثلج لكل انسان منهم صاع
فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله عليهم السلوى

جمع

جمع سلواة وهو الطير السماني بتخفيف الميم والقصر جمع سماناة وهو الطاير المعروف وقيل هو طاير
يشبهه بعث الله تعالى سحابة ومطرت السما في عرض ميل وطول رمح في السما بعضه على بعض
فكان الله تعالى ينزل عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فكان كل واحد
منهم ياخذ ما يكفيه يوما وليلة واذا كان يوم الجمعة ياخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه
لم يكن ينزل يوم السبت وقرا السلوى حمزة والكسايي بالامالة محضة وابو عمرو بين بين وورش
بالفتح وبين اللفظين فان قيل لم قدم في الاية المن على السلوى مع انها غذا والمن حلوى هو
والعادة تقديم الغذا على الحلوى اجيب بان نزول المن من السما امر مخالف للعادة فقدم هو
لاستعظامه بخلاف الطيور الماكولة وايضا هو مقدم في النزول عليهم كلوا على ارادة القول
اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تدخروا لغد فكفروا النعمة وادخروا فقطع الله ذلك
عنهم وما ظلمونا اي بذلك فيه اختصار واصله فظلموا بان
كفروا بهذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون لان وباله عليهم روي عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرايل لم يخبث الطعام ولم تخن
اللحم ولولا حوي لم تخن انثى زوجها الدهر واذ قلنا لهم بعد خروجهم من التيه ادخلوا هذه
القرية اي بيت المقدس كما قاله مجاهد او اريحا بفتح الهمزة وكسر الراء وبالحا المهملة كما قاله ابن
عباس وهي قرية الجبارين كان فيها قوم من بقية عاد فيقال لهم العمالقة وراسهم عوج ابن
عنق قال ابن الاثير وهي قرية بالغور قريبة من بيت المقدس وقيل البلقا وقيل الرملة والاردن
وفلسطين وقيل الشام سميت القرية لانها تجمع اهلها ومنه المقراة للحوض لانها تجمع الما فكلوا
منها حيث شيتم رغدا اي واسعا لا حجر فيه وادخلوا الباب اي بابا من ابواب القرية وكان
لها سبعة ابواب سجدا اي متطامنين منحنين او ساجدين والسجود الشرعي لله شكرا على اخراجكم
من التيه وقولوا مسيلتنا حطة اي ان تحط عنا خطايانا كما قال قتادة امروا بالاستغفار وقال
ابن عباس بلا اله الا الله لانها تحيط الذنوب وقيل معناه امرنا حطة اي شاننا ان نحط في هذه
القرية ونقيم فيها حتى ندخل الباب سجدا مع التواضع نغفر لكم خطاياكم اي بسجودكم وحياكم
وقرا نافع بنا مضمومة على البنا للمفعول مع فتح الفا وقرا ابن عامر تغفر بتا مضمومة على التانيث
مع فتح الفا والياقون بالنون مفتوحة مع كسر الفا وقرا الكسايي خطاياكم بالامالة وورش
بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وسنزيد المحسنين بالطاعة ثوابا جعل الله تعالى
امتثال قوله قولوا حطة توبة للمسي وزيادة الثواب للمحسنين فان قيل كيف عطف وسنزيد
مع انه مرفوع على تغفر مع انه مجزوم جوابا للامر اجيب بانه اخرجه عن صورة الجواب

حلا لان صح

التذكير صح

ايها ما بعد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعل الامحالة وسبب اخراج ما ذكر عن
الى الوعد ان الزيادة كانت من وعد الله كانت اعظم مما اذا كانت مسببة عن فعلهم فبدل الذين ظلموا
منهم قولا غير الذي قيل لهم فقالوا حبة في شعرة ودخلوا يزحفون على استاههم مخالفة في
الفعل كما بدلوا القول وروي معمر عن همام بن منبه انه سمع ابا هريرة يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرايل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون
على استاههم وقالوا حبة في شعرة وفي رواية في شعيرة وقوله ففيه فانزلنا على الذين ظلموا
فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان انزال الرجز عليهم لظلمهم
بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا
اي عذابا مقدرا من السما وقيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا
وقيل اربعة وعشرون الفا بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم اي خروجهم عن الطاعة واذ
استسقى موسى طلب السقي لقومه وذلك بانهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي لهم ففعل
فاوحى الله اليه كما قال فقلنا اضرب بعصاك الحجر وكانت من راس الكبة بالمد اي شجرها وهو المرين
ويروي عن ابن عباس انها كانت من عوسج طولها عشرة اذرع على طول موسى وكان لها شعبتان
تشتدان في الظلمة نورا واسمها عليق وقال مقاتل اسمها نبعة حملها ادم من الجنة فتوارثها
الانبيا حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى واللام هي في الحجر للعهد على ما روي انه حجر اطوريا
مكعبا حمله معه كان له اربعة وجوه ينبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط
وكانوا سبعماية الف وسعة العسكر اثنا عشر ميلا وحجرا اهبطه ادم من الجنة ودفع الى شعيب
فاعطاه لموسى مع العصا والحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل ومر به علي ملا من بني اسرايل
وهو حجر حبيق مربع كراس الرجل حمر رخام وكان وراه الله عما موه به من الادرة بضم الهمزة
كبر الانثيين فلما وفى اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ان الله تعالى يقول ارفع هذا الحجر فلي فيه
قدرة ولك فيه معجزة او للتجنس قال البيضاوي وهذا اظهر في الحجة ويدل له قوله وهب لم يكذله حجر
معين بل كان موسى يضرب اي حجر فينفجر الما عيونا لكل سبط عين ثم تسيل كل عين في جدول الى
السبط الذي امرات يسقيهم وكانوا بنو اسرايل اثني عشر سبطا ولكل منا قالوا كيف يتالوا فقينا الى ارض
لا حجارة فيها فعمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه به اذا ارتحل فيبس
فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك العلهم يتفكرون
وقوله تعالى فانفجرت منه اثنا عشرة عينا متعلق بمحذوف اي فضربه فانفجرت اي سال قال ابو عمرو
ابن العلا انبجست عرقت وانفجرت سالت وقال عطا كان يضربه موسى اثنى عشرة ضربة فيظهر على كل
موضع ضربة مثل ثدي المراة فيفرق ثم تنفجر الانهار ثم يسيل قد علم كل اناس اي سبط منهم مشربهم اي

عينهم

اعينهم التي يشربون منها لا يدخل سبط على غيره في شربه وقلنا لهم كلوا واشربوا من رزق الله
اي كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء منه الكلمة من رزق فالله الذي يامرنا بالاكل شكتة ولا تعثوا
اي تفسدوا في الارض مفسدين اي حالا فسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد
يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن اصلاحا راجحا على
الفساد كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة تنبيه من انكر امثال هذه المجزات فلغاية جهله
بالله تعالى وقلة تدبره في عجايب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر كالنورة
ويجذب الحديد كالمغناطيس وينفر الخل كالكهربا فانه اذا وضع في اناء لا يحصل الخل في ذلك الاناء لم
يمتنع ان يخلق الله حجرا يفجر الماء بجذب الماء من تحت الارض او بجذب الهواء من جوانب الارض فيصير
ما تنفره التوبيد وتجذبه ولذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد وذلك انهم
سموا من اكل المن والسلوى وانما عبر عنهما بطعام واحد لعدم تبدلهما كقول العرب طعام مايدة
الامير واحد مرئيون انه انما لا يتفيا الوانه اولان العرب تعبر عن الاثنين بلفظ الواحد كما تعبر عن
الواحد بلفظ الاثنين كقوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج من الملح دون العذب اولانهما كانوا
يجمعون المن بالسلوى فيصيرا واحدا اولانهم كانوا ياكلون احدهما بالاخر فكانا كطعام واحد او اكل
واحد لانهما معا طعام اهل المايدة ذوهم كانوا اهل فلاحة اي اهل زراعات فاشتاقوا الى اصلهم
الروي وعادتهم الخشنة ولذا قالوا فادع لنا ربك اي سل لاجلنا ربك يخرج لنا يظهر لنا ويوجد
وجزمه بانه جواب فادع فان دعوة موسى سبب الاجابة وقوله تعالى مما تنبت الارض اي من الانباد
المجازي واقامة القابل وهي الارض لها قابلة للنبات مقام الفاعل ومن في قولهم مما تنبت لك
للتبعيض ومن في قولهم من بقلها للبيان والبقل ما تنبته الارض من الخضر وهو ما ليس له ساق
والمراد به اطايبه التي تؤكل كالكرفس والنعناع والكراث وقثائها وفومها وهو الحنطة كما قاله ابن
عباس ومنه فوموا لنا اي اخبزوا والحنطة كما قاله عطا او الثوم كما قاله الكلبي وعدسها وبصلها
قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى اي اخس واردا واصل الدنو القرب في المكان
فاستعير للخسة كما استعير البعيد في الشرف والرفعة فقيل بعيد الهمة بعيد المحل بالذي هو خير
اي اشرف وهو المن والسلوى فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اي اتاخذون
هذا بدلا هذا والهمزة للانكار فابوا ان يرجعوا فدعا موسى ربه فقال تعالى اهبطوا اي انزلوا فان
هبط يستعمل متعديا بنفسه كما هنا فيكون بمعنى النزول ويستعمل متعديا بمن فيكون بمعنى الخروج
من مكان الى آخر مسافلا او اعلا منه مصرا من الامصار والمصر البلد العظيم لا المعلم بفتح اللام
وقيل المراد به العلم وهي مصر موسى وفرعون قال البيضاوي ويويده اي القول بان المراد بمصر العلم

الاربعة

انه غلبوسون في مصحف ابن مسعود اي وهي قراة شاذة وانما عرفه على هذا مع ان فيه العلمية
والتانيث لسكون وسطه كما في هند وودع للعادلة احد سببي منع الصرف بخفة الاسم ليكون وسطه
او على تاويل مصر بالمكان فذكره فيبقى فيه سبب واحد فانصرف فاركم فيه ما سالتم من نبات الارض
وضربت عليهم الذلة اي احيطت احاطة القبة بمن ضربت عليه او التصقت بهم من ضرب على الخايط
الذلة اي الذل والهوان وقيل الجزية والمسكنة اي الفقر وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده
عن الحركة وفعل بهم ذلك مجازاة لهم على كفران النعمة ولذلك تجد اليهود في غالب الامر اذلا مساكين
اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وقيل الذلة قفر القلب فلا ترى في اهل الملل اذل
واحرص على المال من اليهود وقراحمزة والكسايي عليهم بضم الهاء والميم وصلا وفي الوقف حمزة على اصله
بضم الهاء والكسايي بكسرها وابو عمرو بكسر الهاء والميم وقفا ووصلا وباقي القراء بكسر الهاء وضم
الميم وصلا وفي الوقف بكسر الهاء وسكون الميم وباءو رجعوا بغضب من الله ولا يقال بالا بشيء
واصل البواو المساواة وقال ابو عبيدة احتملوا واقروا به ومنه الدعا ابوء بنعمتك وابوء بذنبي اي اقر وفي
تبوء ذلك اشارة الى ما مر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم اي بسبب انهم كانوا يكفرون
باياات الله اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التوراة ويكفرون بالانجيل والقران او
بالمعجزات التي جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار
العيون من الحجر ويقتلون النبيين بغير الحق اي ظلما فانهم قتلوا شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم
روي ان اليهود قتلوا سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلهم فان قيل لم قيل بغير الحق وهو
وقتل النبيين لا يكون الا بغير الحق اجيب بانه ذكر وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وتارة
بغير الحق وهو مثل قوله قل ربي احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لان الحكم الى الحق والحق وانه
بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم فان قيل ان الله تعالى قد اخبرهم
بقتل الانبيا وبنصر الرسل فكيف الجمع اجيب بان المحل يختلف اذ الرسول غير النبي وبان المراد بالنصر
الغلبة باظهار الحجة لا العصمة من القتل وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار
اليه بقوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء
الى الكفر بالاياات وقتل النبيين فان صغاير الذنوب اسباب تودي الى ارتكاب كباير فكيف بالكفر
اسباب مودية الى التجري على كبايرها وكرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو
بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدايهم حدود الله وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وعلى
هذا انما جوز ذلك الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تاويل ما ذكر والذي حسن ذلك ان تثنية المبهم
المفردات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وتذكر جا الذي بمعنى الجمع وقرا النبيين نافع

بالهمز

بالهمز والباقون بالياء ورش على اصله في الهمز بالمد والتوسط والقصر ان الذين امنوا بالانبيا
من قبل والذين هادوا اليهود سموا به لقولهم انا هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل لانهم تابوا
من عبادة العجل لانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه الصلاة والسلام وقال ابو عمرو بن
العلا لانهم يتهودون اي يتحركون عند قراة التوراة ويقولون ان السموات والارض تحركت حين
اتى الله موسى التوراة والنصارى جمع نصران كندامى واليائي نصراني للمبالغة سموا بذلك
لانهم نصروا المسيح قال الحواريون نحن انصار الله فان قيل هذا لين جاريا على قواعد الاشتقاق
فانه يقال لواحدهم ناصر وفاعل لا يجمع على فعالى ولانهم معه في قرية يقال لها نصران او ناصر
ضموا باسمها على الاول او من اسمها على الثاني والصابيين هم طايفة من النصارى وقيل من اليهود
وقيل قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم بين نوح عليه الصلاة والسلام وقيل
هم عبدة الملايكة او الكواكب وقرا نافع وحده بالياء اما لانه حقق الهمزة او لانه سهلها ياء
محضة لانهم مالوا عن سايرالادبان الى دينهم او من الحق الى الباطل والباقون بالهمزة بعد الباء الموحدة
من امن منهم بالله واليوم الاخر وعمل صالحا او من كان منهم على دينه قبل ان ينسخ مصدقا قلبه
وبالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن منهم ظهرا الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاولا
دخولا صادقا فلهم اجرهم اي ثواب اعمالهم عند ربهم بان يدخلهم الجنة ولا خوف عليهم في الدنيا
ولا هم يحزنون في الاخرة او حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع الخير
وتفويت الثواب تنبيه روعي في ضمير امن وعمل لفظ من وفيما بعده معناها ومن مبتدا
خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفا لتضمن اسم
المسند اليه هي معنى وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد
بقوله تعالى بقوله تعالى ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم
واذكروا اذ اخذنا ميثاقكم اي عهدكم باتباع موسى والعمل بما في التوراة ورفعنا فوقكم
الطور اي الجبل حين اعطيتم الميثاق روي ان موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة
وراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم لانها كانت ثقيلة وابوا قبولها فامر الله
تعالى جبريل يقطع الطور فظلل فوقهم وكان على قدر عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وفرعه فوق
رووسهم مقدار قامة رجل كالظلة وقال ان لم تقبلوا التوراة ارسلت هذا الجبل عليكم وقال
عبد بن عباس رفع الله فوق رووسهم الطور وبعث نارا من قبل وجوههم واتاهم البحر الملح من
خلفهم وقيل لهم فان قبلتم والا رضختكم بهذا الجبل واغرقتكم في هذا البحر واحرقتم بهذه النار
فلما راوا ان لا مهرب لهم قبلوا ذلك وسجدوا واجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت

احيب بان ذلك كان في الابتداء وان لم يجمع المفرد على فعالى

من صبى

هادوا

الشرط

عطا

سنة في اليهود لا يسبحون الا على انصاف وجوههم ويقولوا بهذا السبت ورفع العذاب عنا فخوا
فهو على ارادة القول اي وقلنا خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه بالعمل
به او تذكروا فيه فانه ذكر بالقلب كما ان الذي ذكره باللسان او ادرسوه ولا تنسوه لعلكم تتقون
لكي تتقون النار المعدة للعاصي ثم توليتم اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك اي بعد اخذه فلولا
فضل الله عليكم ورحمته اي بتوفيقكم للتوبة او بالامهال او الادراج وتاخير العذاب عنكم او بارسال
محمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اي من المغبونين بالانهماك
في المعاصي او بالعقوبة وذهاب الدنيا والاخرة تنبيه لو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره
فاذا دخل على الاثبات افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه
مبتدا خبره واجب الحذف بدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل
فعل محذوف ولقد علمتم اللام موطئة للقسم اي عرفتم الذين اعتدوا اجتازوا الحد منكم
في السبت بصيد السمك وذلك انهم كانوا من مزدلفة ودعليه الصلاة والسلام بارض يقال لها ايلة
حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت في البحر الا حضره
هناك واخرج خرطومه حتى لا يرى الماء لكثرتها فاذا مضى تفرقت ولزمت قعر البحر فذلك قوله
تعالى واتتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فتعدى رجال
فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فاقبل
الموج بالحيتان الى الحياض فلا تقدر على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد اخذوها
فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فقيل واعلى الذنب
وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاكلوا وملحوا وباعوا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية وكانوا نحو
من سبعين الفا ثلاثة اصناف صنف امسك ونهى وصنف امسك ولم ينه وصنف انهمك للحرمة وكان
الناهون اثني عشر الفا فلما ابى المحرمون قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة
فقسموا القرية بجدار فغلبنا لهم لاصرارهم على المعصية كونوا قردة خاسئين اي مبعدين في
فخرج الناهون ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا ابوابهم فلما ابطا
والسور واعلى الحائط فاذا هم جميعا قردة لها اذناب يتعاوون قال قتادة صار الشبان قردة
والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث ممسوخ فوق ثلاثة ايام ولم تتوالد
وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل
الحمار يحمل اسفارا رواه عنه بشر بن عمر برده وقال انه مخالف لظاهر القران والاحاديث والاثار واجماع

المفسرين

المفسرين وقوله تعالى كونوا الين بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم
صاروا كذلك كما اراد بهم فجعلناها اي تلك العقوبة نكالا اي عبرة تنكل المعتبرين بها اي تمنعهم من ارتكاب
مثل ما عملوا ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع لما بين يديها وما خلفها اي للامم التي في زمانها
وبعدها او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم
من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين الله من قومهم او كل متق سمعها وخصوا بالذكر
لانهم المنتفعون بها بخلاف غيرهم واذكروا اذ قال موسى لقومه ان الله يامركم قرا ابو عمرو
بسكون الراء روي عن ابي دوري اختلاس الحركة والباقون بالحركة الكاملة والحركة ضمة ان
تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارات تم فيها واتما فلت عنه وقوعت
عليه لاستقلالهم بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السوال وتركه
المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم رجل غني وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما
طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى فالقاه بفنائها ثم اصبح يطلب ديته وجاب
ناس الى موسى يدعي عليهم القتل فسالهم موسى فجحدوا فاشتبه امر القتل على موسى قال
الطيبي وذلك قبل نزول الغلظة في التوراة فسالوا موسى ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه
فدعا فامرهم الله بذبح بقرة ويضربوا القتيل ببعضها فيحيى فيخبر بقاتله فقال لهم موسى
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي تستهزئ بنا فحذف همزة الاستفهام
وتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك استبعادا لما قاله واستهانة به وقرا حمزة بسكون الزاي في
الوصل واذا وقف قال هزا بنصب الزاي من غير همز وروي عنه الادغام وهو ان يشدد الزاي
وقرا حفص هزوا بضم الزاي بعدها واو مفتوحة وقفا ووصلا والباقون بضم الزاي بعدها همزة
مفتوحة قال اعوذ اي امتنع بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزا في مثل ذلك جهل وسفه
تنزه نفسه ما رماه به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له فلما علم
القوم من ذبح البقرة انه عزم من الله استوهبوه ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها لاجزاة
عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وكان تحته حكمة وذلك انه كان في بني اسرائيل
رجل صالح له ابن طفل وله عجلة اتى بها الى غيضة وقال اللهم اني استودعتك هذه العجلة لابني
حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة اعواما وكانت تهرب من كل من راها فلما كبر الابن
كان بارا بوالدته فكان يقسم الليل ثلاثا يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا هو
اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فياتي به السوق فيبيعه بما شا الله ثم يتصدق بثلثه ويامل هو
ثلثه ويعطي والدته ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك ورثك عجلة بهيم استودعها الله في غيضة

كوا فانطلق واودع الله الله ابراهيم واسماعيل واسحاق ان يردها عليك وعلامتها انك
اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تلك البقرة تسمى
الذهبية لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك بالله
ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها
يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون
عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت البقرة اله بني اسرايل
لو ركبتني ما قدرت على اعوا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان يتقطع من اصله وينطلق معك لفعل
لبرك بامك فسار الفتى الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك وشق عليك الاحتطاب بالنهار
والقيام بالليل فبع هذه البقرة فقال بكم ابيعها قال بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتي وكان
ثمن البقرة ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله ملكا ليريَ خلقه قدرته وليختبر الفتى
كيف برة بوالدته وكان الله به خبيرا فقال الملك له بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير هـ
واشترط عليك رضى والدتي فقال الملك لك ستة دنانير ورضى والدتك فقال الفتى لو اعطيتني
وزنها ذهبا لم اخذه الا برضى امي فردها الى امه فاخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة
دنانير على رضى مني فانطلق بها الى السوق واتى الملك فقال استامرتك فقال الفتى انها امرتني
ان لا اقبضها منك بستة دنانير على ان استامرها فقال الملك فان اعطيتك اثني عشر دينارا على
ان لا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه واخبرها بذلك فقالت ان الذي ياتيك ملك في صورة
ادمي ليختبرك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا فعلت فقال الملك له اذهب
الى الملك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى ابن عمران يشتريها منك لعقيل يقتل في بني اسرايل فلا
تبيعوها الا على مسكها اي جلدها ذهبا دنانير فامسكوها وقدر الله على بني اسرايل ذبح تلك البقرة
بعينها فما زالوا يبتاعون صفون حتى وصفوا لهم تلك البقرة مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه
ورحمة فذلك قوله عز وجل قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما سنها وكان من حقها ان يقول ما
اي بقرة هي او كيف هي لان لفظ ما يسال به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا امره على حال لم يوجد بها
شيء من جنسه اخرجوه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال موسى انه اي ربي يقول انها بقرة
لا فارض اي مسنة وسميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها ولا بكر اي صغيرة عوان
اي بين ذلك اي بين ما ذكر والفارض والبكر فان قيل بين تو بتقضي شيئين فصاعدا فاين جاز دخوله على ذلك اجيب بانه في معنى
شيئين حيث وقع مشارا الى ما ذكر كما تقرر وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل

على ان

على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب بالامر ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها
بقرة من جانب البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسوالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل
فان التخصيص اخبار التخيير الثابت بالنص والحق جواز ذلك خير البيان عن الوقت المذكور هـ
والنسخ قبل الفعل ويويد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه الصلاة والسلام لو
ذبحوا اي بقرة اراد والاجزاتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي
وزجرهم عن المراجعة بقوله فذبحوها وما كادوا يفعلون به مزدجرا قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها
قال موسى انه اي ربي يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اي شديد الصفرة ولذلك توكيد به
الصفرة فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه
فسر قوله تعالى جمالات صفر قال البيضاوي ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانه من متعلقاته
قال النبوي والاول اصح لانه لا يقال اسود فاقع انما يقال اصفر فاقع واسود حالك وايضا
واخضر ناضر تسر الناظرين اليها اي يعجبهم حسنها وصفا لونها والسرور اصله لذة في القلب عند
حصول نفع او توقعه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي اسايمة ام عاملة وعلى هذا فليس
تكرار السوال الاول ان البقر ان جنسه المنعوت كما ذكر تشابه اي البقر واشتبه امره علينا لكثرة
فلم يهتدوا الى المقصودة تنبيه لم يقل تشابهت علينا لان المراد الجنس كما مر ولتذكير لفظ البقرة
كقوله تعالى اعجاز نخل منقعر وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها وفي الحديث لولم يستثنوا لما
بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث باراده الله تعالى وان الامر قد يتخلف عن الارادة
والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة لانها وقعت شرطا
والشرط امر يحدث في المستقبل واجيب بان تعلق الا هنا بالمشية التي هي الارادة باعتبار تعلق
المشية بالاهتداء وهذا التعلق هو الحادث ولا يلزم من ذلك قيام الحوادث به تعالى لان التعلق
امر اعتباري قال موسى انه اي ربي يقول انها بقرة لا ذلول اي غير مذللة بالعمل تثير الارض بقلبها
للزراعة والجملة صفة ذلول داخلة في النفي ولا تسقي الحرث اي الارض المهيئة للزراعة ولا الثانية
مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قال لا ذلول مثيرة وساقية مسلمة من العيوب
واثار العمل لا شية اي لا لون فيها سوى لون جلدها قال مجاهد لا بياض فيها ولا سواد قالوا الان جئت
اي نطقت بالحق اي بالبيان التام الشافي الذي لا اشكال فيه فطلبوها فوجدوها عند الفتى البار بامه
فاشتروها بملء مسكها اي جلدها ذهبا كما قاله الملك وقوله تعالى فذبحوها فيه اختصار والتقدير
فحملوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا اي ما قاربوا يفعلون لتطويلهم وكثرة من اجابتهم هو
والخوف الفضيحة في ظهور القاتل او لغلاء ثمنها ولا نبا في قوله وما كادوا يفعلون قوله فذبحوها لا تعلق

٥

وفيهما اذ المعنى ما قارفوا ما كان يفعلوا حتي انتهت سوالاتهم وانقطعت تعللاتهم فعلوا كالمضطر
الملجأ الي الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب للجميع بوجود القتل فيهم فادارأتم فيه ادغام التاء في الاصل
في الدال اي تخاصمتم وتدافعتم فيها اي في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهم بعضا او تدافعتم
بان مرح كل قتلها عن نفسه الي صاحبه والله مخرج اي مظهر ما كنتم تكتمون فان القاتل
كان يكتم القتل وقوله تعالي فقلنا اضربوه اي القتيل عطف علي ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير
للنفس وتذكير الضمير علي تاويل الشخص او القتيل ببعضها اي ببعض البقرة واختلفوا
في ذلك البعض فقال ابن عباس رضي الله عنهما واكثر المفسرين ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف
وهو ما لان من العظام وقال مجاهد وسعيد بن جبير محل معجب الذنب لانه اول ما يخلق وآخر
ما يبلي ويركب عليه الخلق وقال الضحاك بلسانها قال الحسين بن الفضل لانه اله الكلام وقال
عكرمة والكلبي بفخذها الايمن وقيل بعضو منها لا بعينه ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن
الله تعالي واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط وصاح مكانه فخرج قاتله الميراث
وقتل في الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة وفيه اضمار تقديره فضربوه فحيي قال تعالي
كذلك الاحيا يحيي الله الموتي والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الاية ويريكم آياته
دلايل قدرته لعلكم تعقلون لكي تكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر علي احيا نفس قدر علي احياء
الانفس كلها فتومنون قال البيضاوي ولعله تعالي انما لم يجبه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه
من التقريب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه علي بركة التوكل اي توكل ابي اليتيم والشفقة
علي الاولاد وان من حق الطالب ان يقوم قرنه والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي
عن عمر رضي الله تعالي عنه انه ضحي بنجيبة اي من الابل بثلثمايته دينار وان المورث في الحقيقة
هو الله تعالي اذ لا يتصور حياة ميت من غيره والاسباب امارات لا اثر لها وان من ازاد ان
يعرف اعداءه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة
الشهوية حتي تزايلها اثر الصبا اي عدم التكليف وهو تعليل لا بكر ولم يلحقها ضعف الكبر اي
وهو تعليل لا فارض وكانت مخبة رائقة المنظر اي وهو تعليل تسر الناظرين في غير مذلة
في طلب الدنيا اي وهو تعليل لا ذلول تثير الارض مسلمة عن دنسها لا سمة اي لا علامة بهما مرتبيا بها
بحيث يصل اثره اي النوح الي نفسه فتحيي حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين
العقل والوهم من التوارد والتزاع اي لان العقل يامر بالخير والوهم يامر بالشهوات ثم قست
قلوبكم اي اليهود اي صلبت عن قبول الحق لان القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر
وقساوة القلب مثل في بعده عن الاعتبار ثم لاستبعاد القسوة عن الاحبار الا للتراخي في الزمان

بل

بل للاستبعاد مجاز القرينة ما قبلها بمعني انه يبعد من العاقل قسوة القلب بعد ظهور تلك الاية
العظيمة من بعد ذلك المذكور مما من الاحياء القتيل وما قبله من الايات فان ذلك مما يوجب
لين القلب وهي كالحجارة في قسوتها قرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون
بكسرها او اشد قسوة منه الحجارة وقيل او بمعني الواو كقوله تعالي مائة الف او يزيدون
وانما لم يشبهها بالحديد مع انه اصلب من الحجارة لان الحديد قابل للين فانه يلين بالنار
وقد لان لداود عليه الصلاة والسلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل الحجارة علي القلب
القاسي فقال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي من بعض الحجارة وقيل اراد الحجر الذي
كان يضرب عليه موسي للاسباط وان منها لما يشقق فيه ادغام التاء في الاصل في السين
فيخرج منه الماء اي عيونا دون الانهار وان منها لما يهبط اي يتردي من اعلي الجبل الي اسفله
من خشية الله وقلوبكم لا تتاثر ولا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود فان قيل الحجر جماد
لا يفهم فكيف يخشي اجيب بان الله يفهمه ويلهمه فيخشي بالهامه قال النبوي ومذهب
اهل السنة ان الله علما في الجمادات وسائر الحيوانات تسوء العقلا لا يقف عليها غيره فلها
صلاة وتسبيح كما قال جل ذكره وان من شي الا يسبح بحمده وقال تعالي والطير صافات كل قد علم
صلاته وتسبيحه وقال تعالي الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس
والقمر الاية فيجب علي المرء الايمان به ويكل علمه الي الله سبحانه وتعالي روي ان النبي صلي الله عليه
وسلم كان علي ثبير والكفار يطلبونه فقال للجبل انزل عني فاني اخاف ان توخذ علي فيعاقبني الله
بذلك فقال له جبل حرا الي يا رسول الله وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اني لاعرف
حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الان وروي عن علي قال كنا مع رسول
الله صلي الله عليه وسلم بمكة في حنائي فواجهنا خارج مكة بين الجبال والشجر فلم يمر بجبل ولا
شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروي عن جابر انه قال كان النبي صلي الله عليه وسلم
اذا خطب استند علي الي جذع نخلة من سواري المسجد فلما صنع له المنبر فاستوي عليه اضطربت
تلك السارية وحنت كحنين الناقة حتي سمعها اهل المسجد حتي نزل رسول الله صلي الله عليه وسلم
فاعتنقها فسكنت وقال مجاهد لا يتحجر من اعلي الي اسفل الا من خشية الله ويشهد لذلك قوله تعالي
لو انزلنا علي هذا القران علي جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وما الله بغافل اي بساه
عما تعملون وعيد وتهديد وقيل تبارك عقوبة ما تعملون بل يجازيكم به وقرا ابن كثير بالياء علي هذه
الغيبة والباقون بالتاء علي الخطاب افتطمعون اي افترجون ايها المومنون ان يومنوا اي اليهود
لكم اي لاجل دعوتكم او يصدقوكم بما تخبرونهم به وقد كان فريق اي طائفة منهم اي احبارهم يسمعون

كلام الله اي التوراة ثم يحرفونه يغيرونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وقيل هو لا
من السبعين المختارين ليسمعوا كلام الله حين كلم موسى عليه الصلاة والسلام بالطور ثم قالوا
سمعنا الله يقول في اخرة ان استطعتم ان تقتلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تقتلوا
من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون
والهمزة للانكار اي فلا تطمعوا في ايمانهم فلهم سابقة في الكفر واذا لقوا اي منافقو اليهود
الذين امنوا قالوا امنا باتكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به في التوراة واذا خلا اي رجع بعضهم
بعض قالوا اي رؤساؤهم الذين لم ينافقوا كالكعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن
يهود المنافقين اتحدثونهم ايها المؤمنون بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التوراة من نعت محمد
صلى الله عليه وسلم ليحاجوكم اي ليتخاصموكم به عند ربكم اي بما انزل ربكم في كتابه ويقيموا عليكم
الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه جعلوا محاجتهم في كتاب الله محاجة عند الله كما يقال عند
الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل بين يدي ربكم وقيل عند ربكم في الاخرة وقوله
تعالى افلا تعقلون امن تمام كلام اللائمين وهم خلص اليهود وتقديره افلا تعقلون انهم
يحاجونكم بعقلون حالهم وانه لا مطمع لكم في ايمانهم او لا يعلمون اي اللائمون او المنافقون
او كلاهما ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون من اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء
ما فتح الله عليهم واظهار غيره وغير ذلك فيرعوا عن ذلك ومنهم اي اليهود اميون اي عوام
جهلة لا يعلمون الكتاب اي لا يعرفون التوراة او الكتابة فيطالعون التوراة ويتحققون ما فيها
وقوله تعالى الا اماني استثناء منقطع اي لكن الكاذب تلقوها من رؤسائهم فاعتمدوها وانتهم
اي ما هم الا قوم يظنون ظنا لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راي واعتقاد من غير
قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد وكالزائغ عن الحق بسبب شبهة قامت عنده فويل
اي واد في جهنم كما رواه الترمذي قال سعيد ابن المسيب لو سيرت جبال الدنيا لانماعت من شدة
حره وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو شدة العذاب للذين يكتبون الكتاب اي المحرف والتاويل
الزائغة وقوله بايديهم تاكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به
ثمنا قليلا من الدنيا وهم اليهود غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة واية الرجم وغيرها
وكتبوها على خلاف ما انزل فكانت صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة اكحل العينين ربعة جعد
الشعر حسن الوجه فكتبوها طويلا ازرق العين سبط الشعر وغيروا اية الرجم بالجلد والتجميم
اي تسويد الوجه فويل لهم مما كتبت ايديهم من المحرف وويل لهم مما يكسبون من الرشا وقالوا
اي اليهود لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم النار لن تمسنا اي تصيبنا النار الا اياما معدودة محصورة

قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا
سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة
ايام فان قيل لم وصف الايام مع انها جمع بالمفرد اجيب بانها في معنى الجماعة فيكون مفردا
تقديرا ولان جمع القلة كما قال الرضي في حكم المفرد فيوصف بالمفرد كما هنا ويوصف المفرد به
كما في قوله تعالى من نطفة امشاج وقيل الامشاج مفرد وعلى هذا فلا اشكال ثم كذبهم الله تعالى
بقوله قل لهم يا محمد اتخذتم حذف منه همز الوصل استغنا بهمزة الاستفهام وقرا ابن كثير
وحفص عن عاصم باظهار الذال عند التا والباقون بالادغام عند الله عهدا جواب شرط
مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبر الله
تعالى محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام اما منقطعة بمعنى بل انتقولون على التقرير
والتقريع واما معادلة بهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم
بوقوع احدهما وقوله تعالى بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم فان بلى وبل مرفا استدراك
ومعناها نفي للخبر الماضي واثبات للخبر المستقبل اي بل تمسكم وتخلدون فيها من كسب سيئة
اي قبيحة واحاطت به خطيئته وقرا نافع وحده وخطياته بالجمع اي استولت عليه وشملت
جميع احواله حتى صار كالمحتاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه وهذا انما يصح في شان الكافر
لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه لم تحط الخطيئة ولذلك فسرها
السلف بالكفر وقيل السيئة الكبيرة والاحاطة ان يصر عليها لان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه
استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب فتاخذ
بمجامع قلبه فيصير بطبعه ماثلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها هو
مبغضا لمن ينهاه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السواى
ان كذبوا بايات الله والفرق بين السيئة والخطيئة ان السيئة قد تقال فيما يقصد بالذات
والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطا والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة
على البتكم كقوله تعالى فبشره بعذاب اليم فاولئك اصحاب النار اي ملازموها في الاخرة كما
انهم ملازمون اسبابها في الدنيا هم فيها خالدون اي دائمون روي فيه معنى من والاية
كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة لانها في الكافر كما مر والذين امنوا وعملوا الصالحات
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى ان يشفع وعده بوعيده ليرجي
رحمته ويخشى عذابه تنبيه على ان العمل على الايمان يدل على خروجه عن صماه واذكر اذ اخذنا
ميثاق بني اسرايل في التوراة وقلنا لا تعبدون الا الله هذا الخبار في معنى النهي كقوله تعالى

ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو
مخبر عنه وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وبالوالدين
احسانا اي ببرابهما وعطفا عليهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى قال البيضاوي
وهذا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا الخ ويلزمه ان احسانا في الآية منصوب على
المصدر المؤكد لعامله المحذوف مع ان حذف عامل المؤكد ممنوع او نادر وقوله تعالى وذي
القربى القرابة واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم وهو الطفل الذي لا اب له
كنديم ونوامي وهو قليل وسكين تخفيف من السكون كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في شان محمد صلى الله عليه وسلم والرفق بهم وقيل هو
اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق وقرا حمزة والكسائي بفتح الحاء والسين والباقون
بضم الحاء وسكون السين مصدر وصف به مبالغة واقيموا الصلاة واتوا الزكاة قال البيضاوي
يريد الله بهما ما فرض عليهم في ملتهم ثم توليتم في هذا التفات عن الغيبة قال البيضاوي ولعل
الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم
عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم اي وهم من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم
منهم وانتم قوم معرضون اي عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية كاعراض اسلافكم واذكروا
اذ اخذنا ميثاقكم وقلنا لا تسفكون دماءكم اي لا تريقونها بقتل بعضكم بعضا ولا تخرجون انفسكم
من ديارهم اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وانما جعل غير الرجل نفسه لاتصاله به سببا وديانا
وقيل لا تفعلوا ما يودي بكم ويصيركم عرضة لسخط الله تعالى فان القتل في الحقيقة ولا نفس فوامها متعين
به عن الجنة التي هي دارهم فانه الجلاء الحقيقي ثم اقررتم بهذا العهد انه حق وقبلتم وانتم تشهدون
على انفسكم هذا توكيد كقولك اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل انتم ايها الموجودون تشهدون
على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا انتم انتم يا هؤلاء تقتلون انفسكم فيه
استعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار والشهادة عليه اي كما بعد ذلك يقتل بعضكم بعضا وتخرجون
وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون قرا عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الظاء والباقون
بتشديدها اي تتعاونون عليهم بالاثم اي المعصية والعدوان اي الظلم وان يأتوكم اساري
قرا حمزة بفتح الهمزة وسكون السين والالف بعدها والباقون بضم الهمزة وفتح السين
والف بعدها تفدوهم قرا عاصم والكسائي بضم التاء وفتح الفاء والف بعدها والباقون بفتح التاء
وسكون الفاء ولا الف بعدها اي تفدونهم من الاسر بالمال او غيره وقوله تعالى وهو اي الشان
محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض ومعنى الآية

قال السدي

قال السدي ان الله اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا
من ديارهم وترك المظاهرة عليهم مع اعدائهم وايما عبد او امة وجدتموه في بني اسرائيل فاشتروه
فاشتروه لما قام من ثمنه واعتقوه وكانت قريظة حالفوا الاوس وحالفت النضير الخزرج
فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه ويخرب ديارهم ويخرجهم فاذا اسروا فدوهم وكانوا اذا
سئلوا لم يقاتلونهم وتفدونهم قالوا امرنا بالفداء فيقال فلم تقاتلونهم فيقولون حياء ان يذل
حلفاؤنا ففيهم الله تعالى بقوله افتؤمنون ببعض الكتاب وهو الفداء وتكفرون ببعض وهو
ترك القتل والاخراج والمظاهرة فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي اي هوان وعذاب في
الحياة الدنيا فكان خزي قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي عن منازلهم
اذرعات واريحا من الشام ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب اي عذاب جهنم وانما اد
من فعل منهم ذلك الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وما الله بغافل عما تعملون قرا نافع وابن
كثير وشعبة بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب اولئك الذين اشتروا استبدلوا الحياة
الدنيا بالاخرة بان اثروها عليها فلا يخفف عنهم العذاب في الدنيا بنقصان اجزبة والعذاب
في الاخرة ولا هم ينصرون اي يدفعها عنهم ولقد اتينا اعطينا موسى الكتاب اي التوراة جملة
واحدة وقفينا ارسلنا من بعده بالرسل اي اتبعناهم رسولا في اثر رسول كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا
تترا يقال قفاه اذا اتبعه اياه واتينا عيسى ابن مريم البينات اي المعجزات الواضحات كاحيا
الموتى وابرا الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى اعجمي كموسى وايد ناه اي قويناه بروح القدس قرا ابن كثير باسكان الدال والباقون بضمها وهو اما اضافة الموصوف الى الصفة اي الروح المقدسة وهو جبريل وصف
به لطهارته وتاييده به اذا مر ان يسير معه حيث سار حتى يصعد به الى السما وقيل
روح عيسى عليه الصلاة والسلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان اولانه لم تضمه الاصلاب
والارحام الطمس اي الحيض وقيل اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى ولما سمعت اليهود
ذكر عيسى عليه الصلاة والسلام قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت والا كما نقص علينا من
الانبيا فقلت فاتيتم ما اتى به عيسى ان كنت صادقا فقال الله تعالى افكلما جاءكم يا معشر اليهود
رسول بما لا تهوى اي تحبه انفسكم من الحق وقوله تعالى استكبرتم اي تكبرتم عن اتباعه جواب كلما
وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ ففريقا اي طائفة كذبتم كموسى وعيسى عليهما الصلاة
والسلام والفاء للسببية الاستفهام للتكذيب والتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى فان قيل هلا
قالوا وفريقا قتلتم اجيب بانه انما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس

فان الامر قطيع ومراعاه للفواصل قال الزمخشري او ان يراد وفريقا تقتلونهم بعد اي الان
لانكم درتم حول قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال
صلى الله عليه وسلم عند حوته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالوا للنبي استهزاء قلوبنا غلف تع
اغلف مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جيت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن
كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل اصل غلف بالسكون غلف بالضم فخفف والمعنى انها
اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول اي فما تقوله ليس بعلم او نحن مستغنون
بما فيها عن غيره ثم رد الله تع عليهم ان تكون قلوبهم كذلك بقوله تع بل للاضراب لعنهم
الله بكفرهم اي بسبب كفرهم والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم
بكفرهم فابطل استعدادهم كما قال تع فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن
اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك قليلا ما يؤمنون ما مزيدة لتاكيد القلة اي ايمانهم
ايمانا قليلا جدا وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم وعاجلهم كتاب من عند
الله هو القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وهو التوراة لا يخالفه وكانوا اي اليهود من قبل اي من
قبل مجيئه يستفتحون اي يستنصرون على الذين كفروا اي مشركي العرب اذا قاتلوهم يقولون
اللهم انصرنا عليهم بالرسول المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته ونعته في التوراة ويقولون
لاعدائه من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم
فلما جاءهم اي اليهود ما عرفوا من الحق وهو بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كفروا به حسدا او
خوفا على الرياسة وجواب لما الاولى دل عليه جواب لما الثانية فلعنة الله اي عذابه وطرده
على الكافرين اي عليهم وانما اتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد
ويجوز ان تكون للعموم ويدخلون فيه دخولا اوليا او قصديا لانهم المقصودون بالذات وتناول
الكلام لغيرهم على سبيل التبع فهو كما اظلمك انسان فقلت الا لعنة الله على الظالمين كان ذلك
الظالم اوليا او مقصودا في الدعاء والباقون تجاه بئسما اشتروا اي باعوا به انفسهم اي حظها
من الثواب وما نكرة بمعنى شيا مميزة لفاعل بئس المستكن اي بئس الشي شيا اشتروا به انفسهم
والمخصوص بالذم ان يكفروا اي كفرهم بما انزل الله من القرآن بغيا اي حسدا وطلبا لما ليس لهم
وهو علة لكفرهم قال البيضاوي دون اشتروا وان قاله الزمخشري لفصل المخصوص بين بغيا
الذي هو العلة وبين المعلول وهو اشتروا وحسدوه على ان ينزل الله من فضله اي الوحي على من يشا
للرسالة من عباده وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون نون ينزل وتخفيف
الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي فباؤا اي رجعوا بغضب على غضب اي مع غضب

واختلف

واختلف في معنى ذلك فقال ابن عباس ومجاهد الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلهم والثاني
بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقال السدي الاول لكفرهم بعبادة العجل والثاني بالكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقرآن وللكافرين عذاب مهين اي ذو اهانة بخلاف عذاب العاصي
فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله من القرآن وغيره فيهم يا يهود الكتب
المنزلة قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التوراة ويكفرون ذلك والواو للحال بما وراءه اي
بما سواه من الكتب كقوله تع وهو الحق مصدقا لما معهم اي من التوراة حال ثانية موكدة
تتضمن رد مقالهم فانهم كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ثم اعترض الله تع بقتل الانبيا
مع ادعا الايمان بالتوراة بقوله تع قل لهم يا محمد فلم تقتلون اي قتلتم انبيا الله من قبل ان
كنتم مومنين بالتوراة والتوراة لا تسوغه بل نهيتم فيها عن قتلهم والخطاب للموجود في
زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بما فعل اباهم لرضاهم به وعزمهم عليه قرا نافع وحده انبيا الله ه
بالهمز في كل القرآن والباقون بالبدل وليس لورش الا المد فقط لانه متصل ولقد جاءكم موسى
بالبينات اي الايات التسع في قوله تع ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات كالعصى واليد وفلق البحر
ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي بعد ذهابه الى الميقات وقوله تع وانتم ظالمون اي
باتخاذه حالا اي اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او اعتراض اي وانتم
عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم على العمل بما في التوراة وقد رفعنا فوقكم الطور اي الجبل حين
امتنعتم من قبولها ليسقط عليكم وقلنا خذوا ما اتيناكم بقوة اي بجد واجتهاد واسمعوا ما تؤمرون
به سماع قبول قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك وقيل سمعنا بالاذان وعصينا بالقلوب
قال اهل المعاني انهم لم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا بالاذان وتلقوه بالعصيان
ذلك الى القول اتساعا واشربوا في قلوبهم العجل اي خالط حبه قلوبهم كما يتداخل الشراب
اعماق البدن وفي قلوبهم بيان تمكن الاشراب كقوله تع انما ياكلون في بطونهم نارا اي مادة
قال النبوي في القصص ان موسى عليه السلام امر ان يبرد العجل بالمبرد ثم ينثره في النهر وامر بالشرب
منه فمن بقي في قلبه شي من حب العجل ظهر على ثاربه بكفرهم اي بسبب كفرهم
وذلك انهم كانوا محبة او حلولية ولم يروا حدا اعجب منه تمكن من قلوبهم ما سول لهم السامري
قل لهم يا محمد بئسما اي شيا يامركم به ايمانكم بالتوراة عبادة العجل واضافة الامر الى ايمانهم
تهكم كما قال قوله م شعيب اصلواتك تامرك كذلك اضافة الايمان اليهم في قوله تع ان كنتم
مومنين بعبادة العجل قل لهم ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة اي خاصة من

مرون

قال قتادة ذكر لنا ان كفرهم
بعيسى والانجيل وقتلهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم
صح

دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في قولكم وذلك ان اليهود ادعوا دعاوي باطلة مثل
قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ولن يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابنا الله واحباؤه
فكذبهم الله عز وجل والزمهم الحجة فقال قل لهم يا محمد ذلك لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق
اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوايب كما روي عن المبشر في بالجنة
رضي الله تعالى عنهم فقد كان علي رضي الله تعالى عنه يطوف بين الصفين في علالة فقال له ابنه الحسن
ما هذه زيارة المحاربين فقال له يا بني لا يبالي ابوك على الموت سقط او عليه سقط الموت وعن
حذيفة انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب اي الموت جاء على فاقة اي وقت حاجتي اليه وقيل بل
اراد بالحبيب لقاء الله لا افلح مرتوم يعني على التمني اراد به انه كان يتمنى الموت وما ندم على التمني حين
جاء الموت وقال عمار بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن
اليه روي عن ابن عباس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو تمنى الموت لغص كل انسان منهم
بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات تنبيه خالصة نصبها على الحال من
الدار ومن الضمير في خيرا كان التقدير الى الدار وتعلق بتمنيه الشرطان على ان الاول قيد في الثاني
ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به
وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان
اله لقدرته بها عامة صنايعه ومنافعه عبر بها عن النفس تارة كما هنا وعن القدرة
اخرى كما في قوله تعالى بما قدمت ايديهم وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر به كقوله تعالى
فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فان قلت ما اعلمك انهم لم يتمنوا اجيب بانهم لو تمنوا النقل ذلك
كما نقل سائر الحوادث وكانوا نقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر
من البشر وليس منهم احد نقل ذلك فان قيل التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع احد عليه حتى
اني علمت انهم لم يتمنوا اجيب بان التمني ليس من اعمال القلوب انما هو قول اللسان باللسانة ليتأتى
كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة تمني ومحال ان يقع التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني
بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قيل لم يقولوه لانهم
علموا انهم لا يصدقون ان اجيب بانه كم حكي عنهم من اشياء قالوها للمسلمين من الافتراء على الله وتحريف
كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه وما لا محل له الا الكذب والعرف ولم يبالوا فلم
يمتنعوا من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم
واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا
لانه امر حقي لا يسبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين اي الكاملين في ظلمهم فيجازيهم في ذلك فيه

تهديد

تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوي ما ليس لهم وتنبيه عن هولهم ولتجدنهم اللام
القسم والنون تاكيد القسم تقديره والله لتجدنهم يا محمد اي اليهود احرص الناس على حياة ه
هو من وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين ومفعولاه هو احرص فان قيل لم قال على حياة بالتنكير
اجيب بانه اريد حياة مخصوصة هي فرد من افرادها وهي الحياة المتطاولة واحرص من الذين اشركوا
اي المشركين للبعث عليها لعلمهم بان مصيرهم النار دون المشركين لانكارهم له فان قيل لم يدخل
الذين اشركوا تحت الناس اجيب ببيلي ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد وفيه توبيخ عظيم لان
الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستعد لانها جنتهم فاذا
زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ يود يتمنى احدهم
لو يعمر الف سنة لو مصدرية بمعنى ان وهي بصلتها في تاويل مصدر مفعول يود يقول الله تعالى اليهود
لحرص الناس على الحياة من المجوس الذين يقولون ذلك لان تحية المجوس فيما بينهم عشر الف سنة
وما هو اي احدهم بمزحزحه اي مبعده من العذاب اي النار وقوله تعالى ان يعمر فاعل مزحزحه اي
تعميره والله بصير بما يعملون فيجازيهم به وسال عبد الله بن صوريا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذلك عدو انا عادانا مرارا واشدها انه لما نزل على نبينا ان
بيت المقدس سيخرب بعث نصر واخبرنا بالحين فيه فلما كان وقته بعث رجلا من بني اسرائيل في
طلبه ليقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان
كان ربكم امره بهلاكم فلا يسلطكم والا فبم تقتلونه وكبخت نصر وقوي فقال لهم من كان
عدو الجبريل روي انه كان لعمر رضي الله تعالى عنه ارض باعلا المدينة وكان ممره على مدارس اليهود
وكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لا نطمع فيك فقال والله ما اجلكم
لجلكم ولا اساكلم لاني في شك من ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه
وسلم واريا ثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدو لنا يطلع محمدا على اسرارنا وانه
صاحب كل خسف وعذاب وميكايل صاحب الخصب واللاي السلامة فقال عمر وما منزلتهما من
الله قالوا جبريل عن يمينه وميكايل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كان كما تقولون فليسا بعدوين
اي لقوبت من لتهما عند الله ولانتم اكفر من الحمير اي لان الكفر نتيجة الجهل والبلادة والحمار مثل فيهما
ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو الله تعالى ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الاية وقال عليه الصلاة والسلام لقد وافقك الله ربك يا عمر قال عمر
لقد رايتني في ديني الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقال مقاتل قالت اليهود ان جبريل عدونا لانه
امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا ومعنى جبريل عبد الله فجبر هو الله وايل هو العبد وقرا حمزة ولقد

والكساي بفتح الجيم والراء وهمزة بعد الراء مكسورة ممدودة اي بعدها ياء الغطية وقراشعبة كذلك الا
انه حذف الياء بعد الهمزة وكسر الراء والباقون بكسر الجيم والراء من غير همز بعد الراء ومنع الصرف
فيه للتعليمية والعجمة فانه اي جبريل نزله اي القران ونحو هذا الاضمار اي اضمارما لا يستلزم ذكره
فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل نفوسا شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح
بذكر شيء من صفاته على قلبك يا محمد وقوله تعالى باذن الله اي بامره حال من فاعل نزله مصدقا
اي موافقا لما بين يديه لما قبله من الكتب وهدى من الضلالة وبشرى بالجنة للمومنين هذه الحال
من مفعول نزله وجواب الشرط فانه نزله والمعنى من عاداهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف
او كفر بما معه من الكتاب بعاداته اياك لنزوله عليك بالوحي لانه نزل كتابا مصدقا للكتب
المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته انه نزل عليك
وقيل الجواب محذوف مثل فالية غنيطا او فهو عدو لي وانا عدو له كما قال تعالى من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين والمراد بعاداة الله مخالفته
عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تعالى تفخيما لشانهم كقوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه فان قيل لم افرد الملكين بالذكر مع دخولهما في الملائكة اجيب بان
ذلك لفضلهما فكانهما من جنس اخر وهو ما ذكر ان التغاير في الوصف يترل منزلة التغاير في
الذات وبان المعاداة كانت فيهما والواو فيهما بمعنى او بعين من كان عدوا لاحدهم لان الكفر
بالواحد كفر بالكل وقدم جبريل لشرفه وقدم الملائكة على الرسل كما قدم الله على الجميع لان
عداوة الرسل بسبب نزول الكتب وتزولها بتنزيل الملائكة وتنزيلهم لها بامر الله فذكر البيه
ومن بعده على هذا الترتيب قرا ابو عمرو وحفص ميكال بغير همز ولا ياء بين الالف واللام وقرا
نافع بهمزة بعد الالف ولا ياء بعد الهمزة والباقون بهمزة بعد الالف وياء على مراتبهم في
المد ونزل في ابن صوريا لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما جيتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك
من اية اي زايدة فتتبعك ولقد انزلنا اليك يا محمد ايات بينات واضحات مفصلات بالحلال
والحرام والحدود والاحكام وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا
استعمل في نوع من المعاصي دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده او كلما عاهدوا عهدا نبذه
للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالايات وكلما عاهدوا والله عهد على الايمان
بالنبي وان خرج النبي ان لا يعاونوا عليه المشركين وقوله تعالى نبذه اي طرحه فريق منهم اي اليهود
بنقضه جواب كلما وهو محل الاستفهام الانكاري وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض وقوله تعالى
للاستقبال اكثرهم لا يومنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وقوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله

هو محمد

هو محمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما معهم من التوراة نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب
الله اي التوراة لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ ما فيها من وجوب الايمان
بالرسل الموجود في بالايات وقيل كتاب الله هو القران نبذوه بعد ما الزمهم تلقيه بالقبول وقوله
تعالى وراظهورهم اي لم يعملوا بما فيه من الايمان بالرسل وغيره مثل الاعراض عنه بالكلية
بالاعراض عما يرمي به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون ما فيها من انه نبي حق
او فيه شك يعني ان علمهم بذلك مرضين ولكنهم كابروا وعاندوا وعن سفيان ادرجوه في الزيت
والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه وقوله تعالى واتبعوا عطف على نبذ
ما تتلوا اي ما تلت الشياطين والعرب تضع المستقبل موضع الماضي والماضي موضع
المستقبل وقيل ما كانت تتلوا اي تقرا على عهد ملك سليمان من السحر وكانت وفشته تحتكم به لما
نزع ملكه فلم يشعر بذلك سليمان فلما مات استخرجوه وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا
فتعلموه فاما علماء بني اسرايل وصلحاوهم فقالوا معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان عليه
الصلاة والسلام واما سفلاوهم فقالوا هذا علم سليمان واقبلوا على تعلمه وتركوا كتب انبيائهم
وثبت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل الله عليه
براة سليمان هذا قول الكلبي وقال السدي وكانت الشياطين تسترق السمع فيسمعون كلام
الملايكة فيما يكون في الارض من موت وغيره فياتون الكهنة ويخلطون بما يسمعون في كل كلمة
سبعين كذبة ويخبرونهم بها فاكتتب الناس ذلك وفشى في بني اسرايل ان الجن تعلم الغيب فبعث
سليمان في الناس وجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق ودفنها تحت كرسيه وقال لا اسمع ان احدا
يقول ان الشياطين تعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وهب العلم الذي كانوا يعبرونه
امر سليمان ودفنه الكتب وخلوا من بعدهم خلوف تمثل شيطان على صورة انسان فاتى نفرا
من بني اسرايل فقال هل ادلكم على كنز لا تاكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي
وذهب معهم فاراهم المكان واقام ناحية فقالوا اون فقال لا ولكني ههنا فان لم تجدوه
فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من الشياطين يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا واخرجوا تلك
الكتب قال الشيطان ان سليمان كان بضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار
الشيطان وفشا في الناس ان سليمان كان ساحرا واخذ بنو اسرايل تلك الكتب فلذلك اكثر ما يوجد
السحر في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برا الله سليمان من ذلك وانزل تكذيبا لمن زعم
ذلك واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان اي لم يعمل السحر ويدعو عنه
بالكفر ليدل على انه كفر اذا استحله او احتيج فيه الى تقدم اعتقاد مكفر وهذا مذهب الشافعي وعند

احمد بكفر مطلقا ولكن الشياطين هم الذين كفروا باستعمال السحر وتدوينه وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بكسر نون ولكن مخففة ورفع نون الشياطين والباقون بنصب النون من ولكن مشددة ونصب نون الشياطين يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم والجملة حال من ضمير كفروا وانتصب السحر لانه مفعول ما صرف عن وجهه يقال ما صرفك عن كذا اي ما صرفك عنه واصطلاحا مزاولة النفوس الخبيثة لافعال واقوال يترتب عليها امور خارقة للعادة واختلف فيه هل هو تخييل او حقيقة قال بالاول المعتزلة واستدلوا بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقال بالثاني في اهل السنة ويدل لذلك الكتاب والسنة الصحيحة والساحر قد يأتي بفعل او قول يتغير به حال المسحور فيمرض او يموت به ويفرق به بين الزوجين ويحرم تعليمه وتعلمه قال امام الحرمين ولا يظهر السحر الا على فاسق ولا تظهر الكرامة على فاسق ويحرم ايضا تعليم وتعلم الكهانة والتنجيم والضرب بالرمل والحصا والشعير والشعبذة ويحرم اعطاء العوض واخذه عنها بالنص الصريح في حلوان الكاهن والباقي بمعناه والكاهن من يخبر بواسطة النجوم عن المغيبات في المستقبل بخلاف العراف فانه الذي يخبر عن المغيبات الواقعة كعين السارق ومكان المسروق والضالة قال في الروضة ولا يفتى بحلها من يتعاطى الرمل وان نسب الى علم واما الخط الصحيح كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك فمعناه من علم تم موافقته له فلا بأس وخبر من علم الموافقة فلا يجوز لنا ذلك وقول البيضاوي واما ما يجب منه كما يفعله اصحاب الحيل والالآت كالادوية او بريه صاحب خفة اليد فغير موموم وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة لانه اي السحر في الاصل اي اللغة لما خفي سببه مردود بل هو موموم اي حرام كما صرح به النووي في الروضة وغيرها وقوله تعالى وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمون ما انزل على الملكين او عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل اي ما الهماه وعلماه في السحر فالانزال بمعنى الالهام والتعليم قال البيضاوي وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة قال وما روي اي في كتب السير انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتها على المعاصي والشرك ثم صعدا الى السماء بما تعلمتا منها فمحيت عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله اي الرمز وما روي لا يخفى على ذوي البصائر انتهى قال شيخنا شيخ الاسلام زكريا بان يقال عبور عن العقل والنفس المطمئنة بالملكين وعن النفس الامارة بالسوء بالمرأة زهرة وعن مغارقتها بالموت بالصعود الى السماء وقيل هما رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة وقد طول البغوي في هذه القصة واعتمد ما رده البيضاوي وقال شيخنا المذكور عن شيخه ابن حجر ان

طرقا

طرقا تفيد العلم بصحتها فقد رواها مرفوعا الامام احمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم وموقوفة على علي وابن مسعود وابن عباس وغيرهم باسانيد صحيحة والبيضاوي لما استبعد ما روي ولم يطلع عليه قال ولعله الى اخره وقوله تعالى ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل وهو بلد في سواد العراق وقوله تعالى هاروت وماروت بدل او عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ومرجع ما في ما انزل نافيه ابدلها هاروت وماروت من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وما يعلمان اي الملكان من احد اي احدا من زائدة حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء من الله للناس ليمتحنهم بتعليمه واصل الفتنة الاختبار والامتحان من قولهم فتنت الذهب والفضة اذا اذبتهما بالنار لتميز الجيد من الردي وانما وحد الفتنة لانها مصدر والمصادر لا تثنى ولا تجمع فلا تكفر بتعليمه اي فلا تتعلمه معتقدا حله فتكفر على ما تقدم فان ابى الا التعليم علماه قيل انهما يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر بسحر مرات قال عطاء الخراساني فان ابى الا التعليم قالا له اذهب الى هذا الرماد فبل عليه فيخرج منه نور ساطع في السماء فتلك المعرفة وتنزل شبيه سواد شبه الدخان حتى يدخل مسامعه وذلك غضب الله وعلى القول بانهما رجلان فلا يعلما انه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكفر فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه ما احد اي فيتعلم الناس من الملكين ما اي سحرا يفرقون به بين المرء وزوجه بان يبغض كلا منهما في الاخر بحيلة او ثنوية كالتفشي للعقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفراق ابتلاء منه لان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله تعالى وما هم بضارين به اي السحر من احد اي احدا من زائدة الا باذن الله اي ارادته لان الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بارادته تعالى ويتعلمون ما يضرهم في الاخرة ولا ينفعهم وهو السحر لانهم يقصدون به العمل اولان العلم يجر الى العمل غالبا ولقد اللام لام القسم علموا اي اليهود لمن اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ومن موصولة اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله ماله في الاخرة من خلاق اي نصيب في الجنة ولبئس ما اي شيأ شروا اي باعوا به انفسهم اي الشارفي اي خلهم الاخرة ان تعلموه حيث اوجب لهم النار لو كانوا يعلمون حقيقة ما يصيرون اليه من العذاب ما تعلموه وقيل معناه لو كانوا يعلمون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم كان كمن لا يعلم ولو انهم اي اليهود امنوا بالنبي والقرآن واتقوا عقاب الله بترك معاصيه لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون ثواب الله وجواب لو محذوف اي لاثيبوا دل عليه لمثوبة اي ثواب وهو مبتدا واللام فيه للقسم وقوله تعالى من عند الله خبره اي خير مما اشتروا به انفسهم لو كانوا يعلمون اي ثواب الله خير مما اثروه عليه فجهلهم الله لتركهم التدبر والعمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا امر من المراعاة وكانوا يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم

فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين وكانت كلمة تيابون بها عبرانية او سريانية وهو راعنا
قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان فكانوا يأتون ويقولون يا محمد راعنا وهم
يعنون به تلك السبة ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ فقطن لها وكان يعرف
لغتهم فقال لليهود يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لان سمعتها من احد منكم تقولها
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا ولستم تقولونها فانزل الله تعالى النهي عن ذلك
لكيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وامروا بما هو في معناها وهو قوله
تعالى وقولوا انظرنا اي انظر الينا وقيل اسمع منا قاله مجاهد وقيل لا تجعل علينا قاله بن زيد واسمعوا
ما تؤمرون به سماع قبول لا كسماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم به
جدا حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه فقالوا ولستم تقولونها فانزل الله تعالى النهي عن ذلك من قولكم
راعنا والكافرين اي الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه عذاب اليم اي مولم وهو
النار ونزل في تكذيب جمع من اليهود يظهرون مودة المومنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير
ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب وقوله تعالى ولا المشركين اي من العرب عطف على اهل الكتاب
ومن للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركين كقوله لم يكن الذين كفروا
من اهل الكتاب والمشركين والمودة محبة الشيء مع تمنيه ولذلك تستعمل في كل منهما ان ينزل عليكم من
خير من ربكم فسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم من شيء
منه وفسر بالعلم والنصرة والمراد به ما يعم به ذلك كما قاله البيضاوي ومن الاولى مزيدة
للاستغراق ومن الثانية لابتدا الغاية والله يختص برحمته اي بنبوته كما قاله علي رضي الله
تعالى عنه مجاهد او بالاسلام كما قاله ابن عباس ومقاتل من يشاء ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة
ولا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل وهو ابتداء احسانه بلا علة وقوله
تعالى العظيم فيه اشعار بان ايتان النبوة والاسلام من الفضل العظيم ويدل للاول قوله تعالى
ان فضله كان عليك كبيرا ولما طعن الكفار في النسخ وقالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامرهم بخلافه ما يقوله الا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما اخبر الله
تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر نزل ما ننسخ من اية فبين وجه
الحكمة في النسخ بهذه الاية والنسخ في اللغة شيآن احدهما بمعنى التحويل والنقل ومنه نسخ
الكتاب وهو ان يحول من كتاب الى كتاب فعلى هذا الوجه كل القران منسوخ لانه نسخ من اللوح المحفوظ
والثاني بمعنى الرفع يقال نسخت الشمس الظل اي ذهبت به وابطلته فعلى هذا يكون بعض
القران ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الاية وهذا على وجوه احدها ان تثبت التلاوة

وينسخ

وينسخ الحكم كاية الوصية للاقارب واية عدة الوفاة بالحول والثاني ان ترفع التلاوة ويبقى الحكم
كاية الرجم والثالث ان يرفع الحكم والتلاوة كما روي ان قوما من الصحابة قالوا ليلة لنقرا سورة
فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال صلى
الله عليه وسلم تلك سورة رفعت تلاوتها واحكامها وقيل كانت سورة الاحزاب مثل سورة البقرة
او اطول فيها رجم الثيب ونكال من الله والله عزيز حكيم ومن نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما ان القبلة نسخت من البيت
المقدس الى الكعبة والوصية للاقارب نسخت بالميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول الى اربعة
اشهر وعشر او مصابرة الواحد للعشرة بمصابرته للاثنين قال البغوي والنسخ انما يعترض على
الاوامر والنواهي دون الاخبار انتهى والنسخ اصطلاحا رفع تعلق حكم شرعي بدليل شرعي متاخر
ويفارق التخصيص بان التخصيص لا يرد الا على متعدد وبانه غير مشروط بالنص كما في النسخ عند بعضهم
وبانه يفيد عدم ارادة المخرج في الاصل والنسخ يفيد ارادة المنسوخ في الاصل لكن غير مستمر
وقرا ابن عامر تنسخ بضم النون الاولى وكسر السين من انسخ اي انا مركه او حين ابل بنسخها والباقون
بفتح النون والسين وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية او نساها اي نوخرها
فلا نزل احكامها ونرفع تلاوتها او نوخرها في اللوح المحفوظ وقرا ابن كثير وابو عمرو وبفتح النون
الاولى وفتح السين وهمزة ساكنة بعد السين ولم يبدل هذه الهمزة احد من السبعة وقرا
الباقون بضم الميم وكسر السين ولا همز بعد السين اي ننسها اي نمحها من قلبك وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما نتركها لا ننسخها قال الله تعالى ينسوا الله فنسيهم اي تركوه فتركهم وجواب
الشرط نات بخير منها اي باسهل علينا وانفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجركم وان كان كلام الله كله خيرا
او مثلها في التكليف والثواب والمنفعة وتكون الحكمة في تبديلها بمثلها الاختبار الم تعلم ان الله
على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاثبات بمثل المنسوخ وبما هو خير والاية دلت على جواز هذه
النسخ وتاخير الاتراد اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام
شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف
الاعصار والاشخاص كما يشاهد في المعالج فان النافع في عصر قد يضر في غيره واحتج بها
من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ومن منع نسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو الماتي به بدلا
والسنة ليس كذلك قال البيضاوي والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم والاثقل اصلح والنسخ
قد يقع في غيره والسنة ما اتى به الله واستدل بهذه الاية المعتزلة على حدوث القران فان التغير
والتفاوت من لوازم الحدوث واجاب اهل السنة بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم
بالذات القديم لا من عوارض هذا المعنى وقوله تعالى الم تعلم هنا وفيما مر خطاب لمنكري النسخ

فالهمزة للانكار وقيل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته فالهمزة للتقرير ان الله له ملك
السموات والارض يفعل فيهما ما يشاء ويحكم ما يريد فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على
حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به فمن ناسخ ومنسوخ وهذا كالدليل على قوله تعالى ان
الله على كل شئ قدير او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله اي غيره من ولي
اي وال يحفظكم ومن مثله ولا نصير يمنع عنكم عذابه وفرق بين الولي والنصير بان الولي قد يضعف
من النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فبينهما عموم وخصوص من وجه وتزل لما سيل
اهل ملة النبي صلى الله عليه وسلم ان يوسعها لهم وان يجعل الصفا ذهبا ام تريدون ان تسالوا
رسولكم كما سئل موسى اي ساله موسى من قبل اي من قومهم له ارنا الله جهرة وقيل قالوا له لن نؤمن
لك حتى اتانا بالله والملائكة قبيلا او اتينا بكتاب نقرؤه تنزله من السماء علينا وفجر لنا انهارا حتى نتبعك
وقال عبد الله ابن امية لن نؤمن لك حتى توتي بكتاب فيه من الله رب العالمين الى ابن امية اعلم
اني ارسلت محمدا الى الناس وام اما معاولة للهمزة في الم تعلم اي الم تعلموا انه مالك الامور قادر
على الاشياء كلها يامر وينهى كما اراد وتقترحون بالسوال كما اقترح اليهود على موسى عليه الصلاة
والسلام وام منقطعة والمراد ان يومنهم بالثقة وترك الاقتراح عليه ومن يتبدل الكفر بالايمان
اي ياخذه بدله بترك النظر في الايات البينات واقتراح غيرها فقد ضل سواء السبيل اي اخطاء
الطريق الحق والسواء في الاصل الوسط وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار قد عند الضاد
حيث جاء وادغمها الباقون وتزل في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد
وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف
نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت الله ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت
فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه
وسلم نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخبراه بذلك فقال اصبتما الخير وافلحتما ود اي تمنى كثير من اهل الكتاب من للبيان
لو يردونكم اي يردوكم يا معشر المومنين فلو مصدرية بمعنى ان فان تو تنوب عن ان في المعنى دون
اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وقوله حسدا مفعول له كاينا من عند اي من تلقاء انفسهم
اي لم يامرهم الله بذلك وانما حملتهم عليه انفسهم الخبيثة من بعد ما تبين لهم في التوراة الحق في شان
النبي صلى الله عليه وسلم فاعفوا عنهم اي اتركوهم واصفحوا اي اعرضوا عنهم فلا تجازوهم وكان
هذا قبل اية القتال ولهذا قال تعالى حتى ياتي الله بامره فيهم من القتال وقد اذن في قتالهم وضرب
الجزية عليهم وروي عن ابن عباس وابن مسعود ان هذا منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون

بالله

بالله ولا باليوم الاخر الاية وابى النسخ جماعة من المفسرين والفقهاء واحتجوا بان الله
تعالى لم يامر بالعفو والصفح مطلقا وانما امر به الى غاية وما بعد الغاية خلاف ما قبلها وما هذا
سبيله لا يكون من باب النسخ بل يكون الاول قد انقضت مدته والاخر يحتاج الى حكم اخر ان
الله على كل شئ قدير فهو يقدر على الانتقام من الكفار وقوله تعالى واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
عطف على فاعفوا كانه تعالى امرهم بالصبر والتخلية واللجا اليه بالعبادة والبر وما تقدموا
لانفسكم من خير اي طاعة كصلاة وصدقة تجدوه اي ثوابه عند الله فيجازيكم به ان الله
بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا اي كثير من اهل الكتاب من اليهود والنصارى
لن يدخل الجنة الا من كان هودا جمع هاد كعاد وعود او نصارى قال ذلك يهود المدينة
ونصارى نجران لما تناظروا بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا
اليهود ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا النصارى ولا دين
الا دين النصرانية فجمع الله بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس
لما علم من التعادي بين الفريقين وقضليل كل واحد منهما صاحبه ونحوه تلك الفولة اماني بهم
اي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله تعالى قل لهم يا محمد هاتوا برهانكم اي حجتكم على
امتناعكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم ان كل قول لا دليل عليه فهو غير صحيح
وهذا متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك اماني بهم اعترض به تعالى
تبكيتا لهم اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اي انقاد لامره واخلص الوجه
لانه اشرف الاعضاء الظاهرة فغيره اولى وهو محسن في عمله وقيل مخلص وقيل مومن
فله اجره اي ثواب عمله ثابتا عند ربه لا يضيع ولا يتقص والجملة جواب من ان كانت شرطية
وخبرها ان كانت موصولة والفا فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده وجيئ
الوقف عليه ويصح ان يكون قوله من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم فلا يحسن الوقف
عليه ويصح ان يكون قوله فله اجره عند ربه كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة ولما قدم نصارى اهل نجران على النبي صلى الله عليه وسلم
اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت لهم اليهود ما انتم على شئ
من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود ما انتم على شئ من الدين وكفروا
بموسى والتوراة انزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ اي يعتد به وكفروا بعيسى
والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شئ اي يعتد به وكفروا بموسى والتوراة وهم اي
الفريقان يتلون الكتاب اي المنزل عليهم وفي كتاب اليهود تصويق عيسى وفي كتاب النصارى

تصديق موسى والجملة حال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك
اى كما قال هؤلاء قال الذين لا يعلمون كعبدة الاصنام والمعطلة وهم الذين لا يثبتون الصانع
وقوله تعالى مثل قولهم بيان لمعنى ذلك اى قالوا كلاما دينا ليس اعلى شيء وجهم الله تعالى
على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صوبوا فان كلا الدينين بعد النسخ
ليس شيء اجيب بانهم لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الآخر مع اصله
والكفر بنبيه وكتابه كما مر مع ان ما لم ينسخ حق واجب القبول والعمل به تنبيه اذا وقف
حمزة وهشام على شيء فلهما اربعة وجوه السكون والروم والادغام والروم معه ولمن
حمزة قبل الهمزة بخلاف عن خلاد في الوصل وادغم ابو عمرو والكافي القاف بخلاف عنه
فالله يحكم بينهم اى بين الفرق الثلاثة وهم اليهود والنصارى والذين لا يعلمون يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين فيقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي يستحقه
وعن الحسن يحكم الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار وقرأ ابو عمرو ويحكم بسكون الميم عند الباء
والاخفاء بخلاف عنه ومن اظلم اى لا احد اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه بالصلاة
والتسبيح وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل هو عام في كل من خرب مسجدا او سعى في تعطيله وان
نزل في اهل الروم الذين خربوا بيت المقدس وقد وافيه المجوس وذبحوا فيه الخنازير وقد كان خرابا
الى ان بناه المسلمون في ايام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه او في المشركين لما صدوا النبي صلى
الله عليه وسلم عام الحديبية عن البيت فان قيل كيف قال مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب
على مسجد واحد وهو بيت المقدس او المسجد الحرام اجيب بانه لا يمنع ان يجيء الحكم وان كان
السبب خاصا كمن اذى صالحا وهو اظلم ممن اذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة
والمنزول فيه الاخفش بن شريق او ليك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اى مساجد الله
الا خائفين اى على حال التهيب وارتقاب الغير من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان
يستولوا عليها او يخربوها او يمنع النبي صلى الله عليه وسلم عنها وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت
المقدس الا انهكه ضربا وابلغ اليه من العقوبة وروي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى
الا متنكرا مسارقة وقيل ما دخله رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لما يجب بعد هذا العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان وقيل ان هذا خبر بمعنى الامر اى اخيفوهم بالجهاد فلا يدخلها احد
منا واختلفوا في جواز دخول الكافر المسجد فجوزه حنيفة ومنعه مالك وفرق الشافعي بين المسجد
الحرام وغيره فمنع من الاول وجوز في الثاني بشرط اذن المسلم والحاجة وغلظ ورش اللام من
اظلم بعد الظاء لهم في الدنيا خزي اى هوان بالقتل والسبي والجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم

وظلمهم

وظلمهم وهو النار ونزل لما عيرت اليهود المؤمنين في نسخ القبلة وقالوا ليست لهم قبلة معلومة
فتارة يستقبلون هذا وتارة هذا كما قاله عكرمة او في صلاة النافلة على الراحلة في السفر حيث
ما توجهت به راحلته كما قاله ابن عمر ولله المشرق والمغرب اى نواحي الارض اى له الارض كلها
لا تختص به مكان دون مكان فاينما تولوا فثم منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام والاقصى فقد جعلت لكم الارض
كلها مسجدا فاينما قولوا وجوهكم اى جهة وهو الصريح في الصلاة فثم اى هناك وجه الله اى قبلة
كما قاله مجاهد وقال الكلبي فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة كقوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه اى الا هو
ان الله واسع اى غني يعطي من السعة يسع فضله كل شيء عليم بتدبير خلقه ونزل لما قالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح بن الله وقالت مشركو العرب الملائكة بنات الله وقالوا اتخذ
الله ولدا قال الله تعالى ردا عليهم سبحانه تنزيها له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وهو
القادر لذاته عامر قالوا بغير واو وقبل القاف والباقون بالواو وقبل القاف بل له ما في السموات والارض
ملكا وخلقا وهو من جملة ذلك فكيف يكون ولدا والملائكة والملكية تنافي الولدية وعبر عما يعقل بما لا
يعقل للكثرة كل له قانتون اى منقادون كل بما يراد منه لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وفي
ذلك تغليب للعاقل لشرفه والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه الاول قوله سبحانه
والثاني قوله ما في السموات والارض والثالث كل له قانتون واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده
عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض اى
موجدهما لا على مثال سبق وهذا وجه رابع يشهد بفساد ما قالوه ايضا لان الوالد عنصر الولد
المنفصل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق منزه
عن الصفات فلا يكون والدا واذا قضى امرا اى اراد ايجاد شيء واصل القضاء اتمام الشيء قولا كان
قوله تعالى وقضى ربك او فعلا كقوله تعالى فقضيهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة به
الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجب فانما يقول له كن فيكون وهذا مجاز من الكلام وتمثيل
وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يكون ويوجد من غير امتناع
ولا توقف كما ان المأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل ليتوقف ولا يكون منه الاباء وفيه تقرير لمعنى الابداع
ايضا وهذا وجه خامس يشهد بفساد ما قالوه ايضا لان اتخاذ الولد مما يكون بالتدريج ومهلة وفعله
تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر بنصب النون فيكون جوابا للامر والباقون بالرفع على
معنى فهو يكون فان قيل المعدوم لا يخاطب اجيب بانه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان
كالموجود فصح خطابه وقال الذين لا يعلمون للنبي صلى الله عليه وسلم وهم اليهود كما قاله ابن عباس او النصارى
كما قاله مجاهد او مشركو العرب كما قاله قتادة ونفي عنهم العلم لانهم لم يعلموا به لولا يكلمنا الله

كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او نأتينا اية اي علامة مما اقترحناه على صدقك كذلك
كما قال هؤلاء قال الذين من قبلهم من كفار الامم الماضية لانبيائهم مثل قولهم من التعنت وطلب
الايات تقالوا انرى الله جهرة وهل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم
اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في الكفر والعناد وفي هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قد بينا الايات
لقوم يوقنون الحقائق ولا يقترحون بهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم قالوا ذلك تحكما لخفا
في الايات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك يا محمد بالحق اي القرآن
كما قاله ابن عباس كما قال تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او الاسلام وشرايعه كما قاله ابن كيسان
قال تعالى وقد جاء الحق بشيرا اي مبشرا من اجاب الى ذلك بالجنة ونذيرا اي منذرا من لم يجب اليه
بالنار اي انما ارسلناك لان تبشر وتنذر لا لتحبر الناس على الايمان وهذه تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه كان يهتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصعبهم على الكفر ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم اي النار وهم الكفار ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بينت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله تعالى
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرأ نافع تسأل بفتح التاء وسكون اللام على النهي قال عطاء
عن ابن عباس وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابوايّ فنزلت
هذه الاية فهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعدا الله تعالى لكن الخبر ضعيف والمحاورة
انما نزلت في كفار اهل الكتاب وقرأ الباقون بضم التاء واللام على النفي ولست بمسؤول عنهم كما قال تعالى
فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اي دينهم
اي لن ترضى عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية وفي هذا مبالغة في اقناطه صلى
الله عليه وسلم عن اسلامهم وذلك انهم كانوا يسألونه الهدنة ويطمعونه انه ان امهلهم اتبعوه فهي
فانزل الله تعالى هذه الاية فانهم اذا لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته قال البيضاوي
ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله الذي
هو الاسلام هو الهدى اي هو الذي يجب ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما يؤمنون
الى اتباعه ما هو بهدى انما هو الاتوى الذي في قوله تعالى ولئن اللام لام القسم اتبعت اهواءهم
اي ارائهم الزائغة التي يدعونك اليها الخطاب معه صلى الله عليه وسلم والمراد به امته كقوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين القطعية
مالك من الله من ولي يحفظك ولا نصير ينصرك منه ونزل في جماعة من اهل الكتاب قدموا من الحبشة
واسلموا الذين آتيناهم الكتاب وهو مبتدأ يتلونه حق تلاوته اي يقرؤونه كما انزل لا يحرفونه ولا يغيرون
ما فيه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم والجملة حال مقدرة وحق نصب على المصدر والخبر اولئك يؤمنون

به اي بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به اي بالكتاب الموتى بان يحرفه فاولئك هم الخاسرون
لصيرهم الى النار الموبدة عليهم ولما صدر قصة بني اسرائيل بالامر بتذكر النعم والقيام بحقوقها
والحذر عن اضاعتها والخوف من الساعة واحوالها في قوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي
التي انعمت عليكم واوفوا بعهدي الى اخره كرر ذلك بقوله تعالى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واني فضلتكم على العالمين اي عالمي زمانهم واتقوا اي خافوا يوما لا تجزي اي لا تقضي نفس
عن نفس قضية شيأ ولا يقبل منها عدل اي فداء ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون اي يمنعون
من عذاب الله وختم بالتكرير للاهتمام بهم مبالغة في النصح تنبيه اتقوا القرآن على تحرزه يقبل
هنا بالياء على التذكير واذكر اذ ابتلى اي اختبر ابراهيم ربه بكلمات اي باوامر ونواهي وابتلاء
الله العباد ليس ليعلم احوالهم بالابتلاء لانه عالم بهم ولكن ليعلم العباد احوالهم حتى يعرف بعضهم
بعضا واختلفوا في الكلمات التي ابتلي الله بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقال
عكرمة عن ابن عباس هي ثلاثون من شرايع الاسلام عشر في براءة التائبون العابدون الى
آخرها وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى آخرها وعشر في المؤمنين الى قوله والذين هم
على صلواتهم يحافظون وفي سأل الى قوله والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال طاوس عن ابن عباس
ابتلاه الله بعشرة اشياء هي الفطرة خمس في الرأس وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة
والختان والاستنجاء بالماء وفي الخبر ان ابراهيم اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم
الاظفار واول من رأى الشيب فلما رآه قال يا رب ما هذا قال الوقار قال يا رب زدني وقارا واول
فتاوة هن مناسك الحج اي فرايضه وسننه كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغير ذلك
وقال الحسن ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس فاحسن فيها النظر وعلم ان ربه دائم لا يزول
وبالنار فصبر عليها وبالختان وبذبح ولده وبالهجرة فصبر عليها وقال مجاهد هي الآيات التي
بعدها في قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما الى آخر القصة وقرأ ابن عامر ابراهيم بغير الهاء
والذي بعدها جميع ما في هذه السورة وهي خمسة عشر حرفا وفي النساء ثلاثة احرف وهي الاخيرة
وفي الانعام الحرف الاخير وفي التوبة الحرفان الاخيران وفي ابراهيم حرف وفي النحل حرفان وفي
مريم ثلاثة احرف وفي العنكبوت حرف وفي الشورى حرف وفي الزمر اية حرف وفي النجم حرف
وفي الحديد حرف وفي الممتحنة الحرف الاول فذلك ثلاثة وثلاثون حرفا وقرأ ابن ذكوان في البقرة
خاصة بالوجهين وابراهيم اسم اعجمي ولذلك كان غير معروف وهو بن اترخ كما في سورة الانعام
وكان مولده بالسوس من ارض الاهواز وقيل بابل وقيل حران ولكن نقله ابوه الى بابل ارض نمرود

ابن كنعان والضمير في ذريته لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط تقدمه لفظا ورتبة فاتمهن اي اداهن تاما وقام بهن حق القيام كقوله وابراهيم الذي وفى قال اني جاعلك للناس اماما يقتدي بك في الخير وجاعل مرجعل الذي له مفعولان والامام فريقيم به والامامة ابراهيم عامة موبدة اذ لم يبعث من بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباعه قال ابراهيم صلى الله عليه وسلم ومن ذريتي اي ولدي اجعل ائمة يقتدي بهم في الخير قال الله تعالى لا ينال اي لا يصيب عهدي الامامة الظالمين منهم فني ذلك اجابة الى مطلوبه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امامة من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة والاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل النبوة وان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وقرا حفص وحمزة عهدي بسكون الياء وفتحها الباقون ومن سكن الياء استطلها في الوصل لفظا لالتقاء الساكنين واذكر اذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا وادغم ابو عمرو وهشام ذال اذ في الجيم واظهرها الباقون مثابة اي مرجعا للناس من الحجاج والعمار وغيرهم يثوبون اليه من كل جانب وامنا اي مامنا لهم من الظلم وايقاع الشر والاغارة الواقعة في غيره قال تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم كان الجاني يلوذ اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وهذا على طريق الحكم لا على وجه الخبر فقط فلا ينافي ذلك الوقوع قال القاضي ابو يعلى ومعنى البيت بالامن والمراد جميع الحرم كما قال تعالى هديا بالغ الكعبة والمراد الحرم كله لانه لا ينوح في الكعبة ولا في المسجد الحرام واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وهذا امر استحباب ومقامه الحجر وهو بفتح الحاء والجيم الذي فيه اثر قدميه كان يقوم عليه عند ما ابنى البيت او عند دعا الناس الى الحج وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلاة والسلام اخر بيوم عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمل فلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن ابن عباس انه قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وافقت الله في ثلاث ووافقني ربي في ثلاث فقلت يا رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فانزل الله هذه الاية وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر لو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله اية الحجاب قال وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسايه فدخلت عليهن وقلت لهن ان انتهين اي ليبدلن الله لرسوله خيرا منكن فانزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن وفي الخبر الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا ما مسه ايدي المشركين لاضاءا ما بين المشرق والمغرب وقيل المراد باتخذوا الى اخره الامر بركعتي الطواف للمروي عن ابي حنيفة رضي الله عنه

الصلاة

والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان ارجحهما عدم الوجوب وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل موافق للحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى تنبيه من في مقام ابراهيم للتبعيض وقيل بمعنى في وقيل زايدة وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بفتح الخاء بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذوا الناس من مقام ابراهيم مصلى والباقون بكسرها بلفظ الامر وعهدنا اي امرنا الى ابراهيم واسماعيل قيل سمي به لان ابراهيم كان يدعوا الله ان يرزقه ولدا ويقول اسمع يا ايل وايل هو الله فلما رزق ولدا سماه بذلك اي بان طهرا بيتي من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود جمع راكع وساجد وهم المصلون وقرا نافع وهشام وحفص بيتي بفتح الياء والباقون بالسكون واذكر اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا اي مكة او الحرم بلدا امنا اي ذا امن كقوله تعالى في عيشة راضية او امنا اهله كقول القايل ليل نايم وارزق اهله من الثمرات انما دعى بذلك لانه كان بواد غير ذي زرع وفي القصص ان الطائف كانت قرى موالي الشام باردن فلما دعا ابراهيم بهذا الدعا امر الله تعالى جبريل عليه السلام حتى قطعها من اصلها وادارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها الان فمنها اكثر ثمرات مكة وقوله تعالى من امن منهم بالله واليوم الاخر بدل من اهله قاس ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه الرزق على الامامة حيث قيده بالمومن كما قيدوه به قال تعالى والرزق من كفر لان الرزق رحمة دنيوية تعم المومن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين فامتعه في الدنيا بالرزق وقرا ابن عامر بسكون الميم وتخفيف التا والباقون بفتح الميم وتشديد التا واما الهمزة بعد الالف فالجميع اتفقوا على ضمها قليلا اي مدة حياته والكفر وان لم يكن سببا للتمتع لكنه سبب لقلته بان جعله مقصورا لحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره اي الجيه في الاخرة الى عذاب النار فلا يجد عنها محيصا وبيس المصير اي المرجع المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب قال مجاهد وجد عند المقام انا الله ذو بكة اي صاحبها صنعتها يوم خلقت الشمس والقمر وحفتها يوم خلقت السموات والارض وصففتها بسبعة املاك حنفا يا تيها رزقها مباركة لاهلها في اللحم واللبن واذكر اذ يرفع ابراهيم القواعد اي الاسس او الجدر من البيت حكاية حال ماضية كانه قال اذ كان يرفع فان قلت واي فرق بين العبارتين اجيب بان في ابهام القواعد تنبيا بعد الابهام ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم شان المبين وقوله واسماعيل عطف على ابراهيم يقولان يا ربنا تقبل منا بنا انا انك ان السميع للقول

سمع دعاءنا العليم بالفعل نتعلم بنيانا تاروت الرواة ان الله تعالى خلق موضع البيت قبل الارض
بالفي عام فكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله ادم الى الارض
استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل الله تعالى البيت المعمور من ياقوتة من ياقوت الجنة له بابان
من زمرد واخر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع البيت وقال يا ادم اني اهبطت لك
بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما يصلي حول عرشي وانزل الحجر الاسود وكان
ابيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية فتوجه ادم من ارض الهند الى مكة ماشيا وقيض الله
تعالى له ملكا يدله على البيت فحج البيت واقام المناسك قال ابن عباس حج ادم اربعين حجة من الهند
الى مكة ماشيا وقيض الله على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السما
الرابعة يدخل كل يوم سبعون الفا من الملايكة ثم لا يعودون اليه وبعث جبريل حتى خبا الحجر
الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى ان مر ابراهيم ثم ان
الله تعالى امر ابراهيم بعد ما ولد له اسماعيل واسحاق ببنا بيت يذكر فيه اسم الله تعالى فسال
الله عز وجل ان يبين له موضعه قال ابن عباس فبعث الله سحابة وتعالى على قدر الكعبة كما
فعلت نيرا ابراهيم يمشي في ظلها الى ان وافت به مكة ووقفت على موضع البيت فنودي
منها ابراهيم ان ابن على ظلها ولا تزد ولا تنقص وقيل ارسل الله تعالى جبريل ليدله على موضع البيت
فذلك قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت فبنى ابراهيم واسماعيل البيت فكان ابراهيم
يبنيه واسماعيل يناوله الحجارة ولما كان له موضع في البنا عطف عليه وقيل كانا يبنيان في
طرفين او على التناوب قال ابن عباس بنى البيت من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان
وهو جبل بالشام والجودي وهو جبل بالجزيرة وبنى قواعده من جبل حرا وهو جبل بمكة فلما انتهى
ابراهيم الى موضع الحجر الاسود قال لاسماعيل ائتني بحجر حسن يكون للناس علما فاتاه بحجر فقال
ائتني باحسن من هذا فمضى اسماعيل يطلبه فصاح ابو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة
فخذها فاخذ الحجر الاسود فوضعه مكانه وقيل اول من بنى الكعبة ادم ثم انذر من الطوفان
زمن الطوفان من الطوفان ثم اظهر الله لابراهيم حتى بناه وقيل بنته الملايكة قبل ادم وقد بني لاربعة
يومنا هذا سبع مرات المرة الاولى هل كان البناء الملايكة او ادم ثم ابراهيم ثم العمالقة
ثم جرهم ثم قريش وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم هذا البنا وكان ينقل معهم الحجارة ثم ابنه في
الزبير في خلافته ثم الحجاج الثقفي وهو الموجود اليوم ربنا واجعلنا مسلمين اي منقادين
مخلصين خاضعين لك وانما دطلب الزيادة في الاخلاص والاذعان واجعل من ذريتنا
اي اولادنا امة اي جماعة مسلمة خاضعة منقادة لك ومن للتبعيض اي واجعل بعض ذريتنا

وانما

وانما خصا الذرية بالدعا لانهم احق بالشفقة ولان اولاد الانبيا اذا اصلحوا اصلح بهم الابناء
الاترى ان المتقدمين من العلما والكبرا اذا كانوا على السواكين يتيسون لسواد من ذريتهم
وبرايهم وخصا بعضهم لتقدم قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين فعلما ان في ذريتهما ظلمة
وان الحكمة الالهية لا تقتضي انتقاء الناس كلهم على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه
مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى الذين صرفوا انفسهم الى الدنيا لخربت الدنيا وبيع
ان تكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين
العاطف وهو واو ومن والمعطوف وهو امة كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا علمنا مناسكنا شرايع ديننا واعلام حجنا والنسك
في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن المعتاد كالصيد والتمتع هو
باللباس وغيره والمناسك المابو فاجاب الله تعالى دعاهما وبعث لهما جبريل فاراهما
المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات قال عرفت يا ابراهيم قال نعم فسمي الوقت عرفة والموضع
عرفات وقرا ابن كثير والسوسي ارنا بسكون الرا وقرا الدوري عن ابي عمرو باختلاس حركة
الرا والباقون بالحركة الكاملة وتب علينا سال التوبة مع عصمتهما هضما لانفسهما واستقلالا
لذرياتهما او لما سلف منهما سهوا قبل النبوة انك انت التواب لمن تاب الرحيم به ربنا وابعث فيهم
اي الامة المسلمة من ذريتهما ابراهيم واسماعيل رسولا منهم اي من انفسهم وروي انه قيل له قد
استجبنا لك وهو في اخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم اذ لم يات نبي
من ولد اسماعيل الا النبي صلى الله عليه وسلم والكل من ولد اسحاق فهو المجاب به دعوتهما كما
قال عليه الصلاة والسلام اني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان ادم لمنجدل في طينته وساخبركم
باول امري انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امي التي رات حين وضعتني
وقد خرج لها نور اضات له قصور الشام واراد بدعوة ابراهيم هذا قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما كل الانبيا من بني اسرايل الا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب ومحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين يتلو اي يقرا عليهم
اياتك اي القران ويبلغهم ما يوحى اليه من دلايل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب اي القران
والحكمة اي ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام وقال ابن قتيبة هي العلم والعمل ولا
يكون الرجل حكيما حتى يجمعهما وقال ابو بكر بن دريد كل كلمة وعظتك او دعتك الى مكرمة
او نهتك عن قبيح فهي حكمة وقيل هي فهم القران وقيل الفقه في الدين وقيل السنة ويزكيهم
اي يطهرهم من الشرك وقيل يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة اذا شهدوا هم للانبيا بالتبليغ والتقبل

الملك العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد وقيل هو الذي لا يوجد مثله وقيل هو المنيع
الذي لا تناله الايدي ولا يصل اليه شيء الحكيم في صنعه ومن اي لا يرغب احد عن ملة ابراهيم
فيتركها للظهور بطلانها ووضوحها الا من سفه نفسه اي جهل انها مخلوقة لله تعالى يجب عليه
عبادته وذلك ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد
علمتما ان الله عز وجل قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به
فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله تعالى
هذه الاية قال البيضاوي وغيره قال الاسيوطي اتفق على ذلك في شيء من كتب الحديث ولا التفات
للمنزة والمثبت مقدم على غيره وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه وفي الاخبار ان الله
اوحى الى داود عليه الصلاة والسلام اعرفني فقال يا رب كيف اعرفك نفسي اعرفك
فاوحى الله تعالى اليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء اعرفني بالقوة والبقاء وهذا معنى
من عرف نفسه فقد عرف ربه ولقد اصطفيناه اي اخترناه في الدنيا بالرسالة والخلة وانه في
الاخرة لمن الصالحين الذين لهم الدرجات العلى وفي هذا حجة وبيان لخطا من رغب عن ملته
لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين وكان مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه اوسفه اذ لا نفسه بالجهل والاعراض عن النظر تنبيه
قال الحسين بن الفضل في الاية تقديم وتاخير تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة
وانه لمن الصالحين وقوله تعالى اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اما ظرف لاصطفينا
اي اخترناه في ذلك الوقت واما منصوب باضمار اذكر كانه قال اذكر ذلك الوقت لتعلم انه
المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص الدين
دعاه ربه فكانه قال له كما قال عطا اسلم نفسك الى الله عز وجل وفوض امرك اليه قال اسلمت
اي فوضت قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وقد حقق ذلك حيث لم يلتفت يا حد من الملائكة
حين القي في النار ووصى بها اي بالملة المتقدم ذكرها او اسلمت على تاويل الكلمة او الجملة وقيل
بكلمة الاخلاص وهي لا اله الا الله وقرا نافع وابن عامر ووصى بسكون الواو والثانية وحمزة
مفتوحة بين الواوين والباقون بواو بين مفتوحتين ولا همزة بينهما وهذا ابلغ قال الزجاج
لان اوصى يصدق بالمرة الواحدة ووصى لا تكون الا لمرات كثيرة واما ورش بين بين وحمزة
والكسائي محضة والباقون بالفتح وقوله تعالى ابراهيم بنيه قال مقاتل وهم اربعة اسماعيل
واسحاق ومدين ومداد وقد ذكر غير مقاتل انهم ثمانية وقيل اربعة عشر ووصى بها ايضا
يعقوب بنيه وهم اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهوذا ويشجر وزبولون ويوسف وداذ ون

ويعقوب

ونفتالي وكوذا واوشير وبنيامين ويوسف وسمي بذلك لانه والبعض كانوا من تقدم
عيص في المخرج من بطن امه وخرج يعقوب عقبه وقوله تعالى يا بني على اضمار القول عند هم
البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين ان الله اصطفى لكم الدين اي دين الاسلام الذي هو صفوة
الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون نهي عن ترك الاسلام وامر بالثبات عليه
الى مصادفة الموت وعن الفضيل بن عياض انه قال الا وانتم مسلمون اي محسنون بربكم الظن
الظن اي لما روي جابر رضي الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته
بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدا الا وهو يحسن الظن بربه ولما قالت اليهود للنبي صلى الله
عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية نزل ام كنتم شهداء جمع
شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين وقول الاسيوطي لم اقف على ذلك فيه ما مر اوحضره
يعقوب الموت اي حين احتضر وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل
الثانية بين الهمزة والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى اذ بدل من اذ قبله قال لبنيه ما تعبدون
من بعدي اي بعد موتي اي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ
ميثاقهم على الثبات فلما الاستفهام على حقيقته قال عطا ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى
يخيره بين الموت والحياة فلما خير يعقوب قال انظر في حتى اسال ولدي واوصيهم فجعل الله ذلك
به فجمع ولده وولد ولده وقال لهم قد حضر اجلي فما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله
اباءك وقوله تعالى ابراهيم واسماعيل واسحاق عطف بيان لاباءك وجعل اسماعيل وهو عم
من جملة اباءه تغليبا للاب اسحاق والجد ابراهيم اولان العم اب والخالة ام لاخوتهما وسلك
واحد وهو الاخوة لاتفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلاة والسلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت
بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس هذا بقية اباءي وقالوا تراءى لعلي بن ابي طالب اني اخشى
ان تفعل به قريش ما فعلت تيم بعمرو بن مسعود وقوله تعالى الها واحدا بدل من الهك اباءك
كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وقوله ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد ومن مفعوله او هو
منهما وام منقطعة ومعنى الهمزة فيه للانكار اي لم يحضروه وقد موته فكيف يشهدون اليه ما لاه
يليق به او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهدا وقيل الخطاب للمؤمنين بمعنى هذه
ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقوله تعالى تلك مبتدا والاشارة الى
الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون وانث لتانيث خبره وهو
امة قد خلت اي سلفت وقوله تعالى لها ما كسبت اي من العمل جزاء ايتاءها ولكم الخطاب لليهود
ما كسبتم والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره منقدما كان او متاخرا فكما اذا لم يكن لا يضرهم

الا اما اكتسبوا فلذلك انتم لا ينتفعكم الا ما كسبتم وذلك انهم افتخروا بابائهم ونحوه قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون
عما كانوا يعملون كما لا يسألون عن عملكم والجملة تأكيد لما قبلها وقالوا اي اهل الكتاب كونوا هودا
او نصارى اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى فاللف والنشر التقديري قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما نزلت في رؤساء يهود المدينة وفي نصارى نجران وذلك انهم خاصموا
المسلمين في الدين كل فرقة تزعم انها احق بدين فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبياء وكتابنا
التوراة افضل الكتب ودينا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل وبمحمد والقرآن وقالت
النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب ودينا افضل الاديان وكفرت
بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقال كل فريق للمؤمنين كونوا على ديننا فلا دين الا ذاك
وقوله تعالى تهتدوا جواب الامر وهو كونوا قال الله تعالى قل لهم يا محمد بل نتبع ملة ابراهيم
وقال الكسائي هو نصب على الاغراء اي نكون اتبعوا ملة ابراهيم وقيل معناه بل نكون على ملة ابراهيم
فحذف وعلى قصار منصوبا وقوله تعالى حنيفا حال من المضاف اليه كقولك رأيت وجه هند قائمة
لكن هذا جائز وحقيقه وملة كالبدل والحنيف المائل عن كل دين باطل الى الدين الحق وقوله تعالى وما
كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم وهو على الشرك
قولوا امنا بالله خطاب للمؤمنين وقول الكشاف ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا
على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله تعالى قل بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على تاويل
اتبعوا ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته يرده قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل
الينا اي من القرآن وانما قدم ذكره لانه اول الكتب بالنسبة الينا ولانه سبب للايمان بغيره وما
انزل الى ابراهيم من الصحف العشرة واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط جمع سبط وهو الحفدة
وكان الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد حفدة يعقوب
اولادهم وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحاق فان قيل الصحف انما انزلت على ابراهيم اجيب
بانهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها كانت ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن
منزل الينا وما اوتي موسى من التوراة وما اوتي عيسى من الانجيل فان قيل لم افرد التوراة والانجيل
بحكم ابلغ وهو الايتاء لانه ابلغ من الانزال لكونه مقصودا منه ولم يقل والاسباط وموسى وعيسى
اجيب لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما فلهذا افردا
بالذكر وما اوتي اي اعطي النبيون اي المذكورون من ربهم من الكتب والآيات وقرأ نافع بالهمز
والباقون بالياء ولا فرق في الهمز المد والتوسط والقصر لا فرق بين احد منهم كاليهود والنصارى

فنؤمن

فنؤمن ببعض ونكفر ببعض بل نؤمن بجميعهم فان قيل كيف مع اضافة بين الى احد وهو مفرد
اجيب بانه في معنى الجماعة وعلله السعد التفتازاني بانه اسم لمن يصلح ان يخاطب يستوي
فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث قال ويشترط ان يكون استعماله مع كلمة كل
او في كلام غير موجب ونحن له اي لله مسلمون اي مذعنون اي مخلصون وروي عن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها
بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وما انزل الينا الآية وقوله تعالى فان امنوا اي اليهود والنصارى بمثل ما امنتم
به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فاتوا بسورة من مثله لان دين الحق والحق
لا مثل له وهو دين الاسلام قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه واما ان
مثل صلة اي امنوا بما امنتم به كقوله تعالى ليس كمثله شيء اي ليس كهو شيء وكما في قوله تعالى
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه وقيل الباء صلة كما في قوله تعالى وهزي اليك بجذع
النخلة وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم فقد اهتدوا وان تولوا اي اعرضوا
عن الايمان به فانما هم في شقاق اي في خلاف ومنازعة معكم يقال شاق مشاقة اذا خالف
كان كل واحد من المتخالفين يحرص على ما يشق على صاحبه فسيكفيكهم الله يا محمد شقاقهم في
ذلك تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من عاداهم وقد كفاه اياهم بقتل
بني قريظة ونفي بني النضير وضرب الجزية على اليهود والنصارى وقوله تعالى وهو السميع العليم
اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة واما وعيد
للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه ولا مانع من عمل اللفظ
على الوعد والوعيد معا صبغة الله اي دينه الذي فطر الناس عليه لظهور اثره على صاحبه كالصبغ للثوب او للمشاكلة فان النصارى كانوا اذا ولد لهم ولد واتى عليه سبعة ايام غمسوه
في ماء لهم اصفر يقال له المعمودية ويقولون هو تطهير لهم مكان الختان فاذا فعلوا به ذلك
قالوا الان صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا امنا بالله وصبغنا الله بالايمان
صبغة مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيركم او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان
صبغة ولا نصبغ صبغتكم وهو مصدر مؤكد لامنا ونصبه بفعل مقدر اي صبغنا الله وقيل بنصب
على البدل من ملة ابراهيم وقيل بنصب على الاغراء من اي الزموا صبغة الله ومن الله صبغة اي
لا صبغة احسن من صبغته اي لا دين احسن من دينه وصبغة تمييز وقوله تعالى ونحن له عابدون
عطف على امنا بالله قال الزمخشري وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم

خ
الايتان

نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن الاستقامة واتساقه وانتصابها على انها مصدر موكد هو الذي ذكره بيبويه والقول ما قالت حذام انتهى ان قد قرؤا في بخزله عابدون معطوفا على الزموا آيتقدر الاغراء اواتبعوا ملة ابراهيم تبعد بين البدل لم يلزم ما قاله ولما قالت اليهود للمسلمين نحن اهل الكتاب الاول وقبلتنا اقدم ولم تكن الانبياء من العرب لانهم عبدة الاوثان ولو كان محمد نبيا لكان منا لانا اهل كتاب فنزل قل لهم اتحاجوننا اي تجادلونا اوتخاصمونا في الله اي في شانه ان اصطفى النبي صلى الله عليه وسلم من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله علي احدا لانزل علينا وتزعمون انكم احق بالنبوة منا وهو ربنا وربكم نشترك جميعا في اتباعه وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضي في ذلك لا يختص به عمي دون عزي اذا كان اهلا للكرامة ولنا اعمالنا نجازى بها ولكم اعمالكم تجازون بها اي كما ان كم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك فالعمل هو اساس الامر وبه العبرة وبخزله مخلصون في الدين والعمل دونكم فنحن اولي بالاصطفا فلا تستبعدوا ان يوهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة والهمزة للانكار والجمل الثلاث احوال وقرا ابو عمرو بادغام النون في اللام بخلاف عنه وله فيه الروم والاشمام وقوله تعالى ام تقولون قراه ابن عامر وحفص عنعاصم وحمزة والكسائي بالتا والباقون بالياء على الغيبة فعلى القراة الثانية ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى القراة الاولى يحتمل ان يكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تاتون المحاجة وادعا اليهودية والنصرانية على الانبيا في قولكم ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصاري قل لهم يا محمد انتم اعلم ام الله الله اعلم وقد نفى الله الامرين عن ابراهيم بقوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما واحتج تعالى على ذلك بقوله تعالى وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده والمذكورون معه تبع له فهم اتباعه في الدين وفاقا وهزا لا احد اظلم ممن كتم اي اخفى الناس شهادة عنده كائنة من الله اي شهادة الله لابراهيم بالحنيفية والقرآن عن اليهودية والنصرانية وهم اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة وكتموا شهادة الله تعالى لمحمد بالنبوة في كتبهم وغيرها ومن للابتدا كما في قوله تعالى براة من الله ورسوله اي شهادة كائنة من الله صفة لشهادة وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون تهديد لهم وقوله تعالى تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة في التحذير من الاغترار عا استقر في الطباع من الافتخار بالاباء والانكار عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي هذه الاية لنا هو تحذير عن اقتدائهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبيا وفي الثاني اسلاف اليهود والنصاري سيقول السفهاء اي الجهال الذين خفت احلامهم من الناس وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ ما ولاهم اي اي شي عرف النبي والمومنين عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي بيت المقدس

وقيل

وقيل هم المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزا وقيل المشركون قالوا لقد تاه محمد امره واشتاق الى مولده وقد توجه نحو بلدكم وهو راجع الى دينكم والاتيان بالسين الدالة على الاستقبال امر الاخبار بالغيب فان قيل ما فايدة الاخبار بذلك قبل وقوعه اجيب بان فايدته توطين النفس واعداد الجواب فان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد عن الاضطراب اذا وقع وقيل الرامي يراس السهم والقبلة في الاصل الحالة التي عليها الانسان ماخوذة من الاستقبال وصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة قال الله تعالى قل لهم يا محمد لله المشرق والمغرب اي الجهات كلها ملكا وخلقا عبيده لا يختص به مكان دون مكان بخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما القبلة بالامتثال امر لا يخصوص المكان فيامر بالتوجه الى اي جهة شا لامن افن عليه يهدي من يشا هدايته الى صراط اي طريق مستقيم وهو ما تقتضيه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة وقوله تعالى وكذلك الكاف فيه للتشبيه اي اخترنا ابراهيم وذريته واصطفيناهم جعلناكم يا امة محمد امة وسطا خيارا عدولا قال تعالى قالا وسطهم اي خيرهم واعدلهم وخير الاشيا اوسطها لا افراطها ولا تفريطها لان الافراط المجاوزة لما ينبغي والتفريط التقصير عما ينبغي كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور وهو الوقوع في الشي بقلة مبالاة وبين الجبن لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاوساط محمية محوطة روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر فما ترك شيا الى يوم القيامة الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رووس النخل واطراف الحيطان فقال اما انه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي اخيرها واكرمها على الله عز وجل وقوله تعالى لتكونوا شهدا على الناس اي يوم القيامة ان رسلهم بلغتهم ويكون الرسول عليكم شهيدا اي يزكيكم ويشهد بعدالتكم علة للجعل اي لتعلموا بالتامل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد ولا ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقا على اتباع الشهوات والاعراض عن الاياة فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الله تعالى يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون ويقولون ما جانا من بشير ولا نذير فيقال لامة الانبيا بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين علمتم انهم قد بلغوا وانما اتوا بعدنا فتقال هذه الامة فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا فان قيل هلا قيل لكم شهيدا اذ شهادته لهم لا عليهم اجيب

بان الشهيد لما كان كالرقيب والمهيمن على الشهود له جي بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل
شئ شهيد فان قيل لم اخرت ملة الشهادة اولا وقدمت اخرا اجيب بان الغرض في الاولى اثبات
شهادتهم على الامم وفي الاخرى اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا اي صيرنا القبلة
القبلة الآن وقوله تعالى التي كنت عليها ليس بصفة للقبلة انما هو ثاني مفعولي جعل اي وما جعلنا
القبلة الجهة التي كنت عليها اولا وهي الكعبة وكان صلى الله عليه وسلم يصلي اليها فلما هاجر امر بالصلاة
الى صخرة بيت المقدس تالفا لليهود فصلى اليها ستة او سبعة عشر شهرا ثم حول الى الكعبة الا لنعلم
من يتبع الرسول فيصدقه ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى الكفر شكا في الوفي وظنا ان النبي
في حيرة من امره وفي الحديث ان القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا ارجع
محمد الى دين ابائه فان قيل كيف قال الله تعالى لنعلم وهو عالم بالاشياء كلها اجيب بانه اراد به
علم ظهور وهو العلم الذي تتعلق به الثواب والعقاب فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما
يتعلق بما يوجد معناه اي لنعلم العلم الذي يستحق العامل عليه الثواب والعقاب ونظيره قوله تعالى
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمومنون وانما اسند علمهم الى ذاته تعالى لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه ليتميز
التابع من الناكص كما قال الله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم
به يقع التمييز فالعلم سبب والتمييز مسبب فاطلق السبب وهو العلم على المسبب وهو التمييز تنبيه
العلم في الاية اما بمعنى المعرفة فيتعدى الى مفعول واحد وهو من يتبع واما متعلق لما في حيز
من معنى الاستفهام واما ان يكون مفعوله الثاني ممن ينقلب اي ليعلم من يتبع الرسول ميزا ممن
ينقلب فان قيل على الاول كيف يكون العلم بمعنى المعرفة والله تعالى لا يوصف بها تنتفي بتوقف حصولها
تعالى منزه عن ذلك اجيب بان ذلك لشيوعها فيما يتنفي بكونه مسبوقا بالعدم وليس العلم الذي
بمعنى المعرفة كذلك اذ المراد به الادراك الذي لا يتعدى الى مفعولين بل قال الولي العراقي قد وقع
اطلاق المعرفة على الله تعالى في كلام النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة وكلام اهل اللغة وقوله
تعالى وانها لكبيرة اي وان التولية لكبيرة شاقة على الناس الا
على الذين هدى الله منهم وهم الثابتون على الايمان وما كان الله ليضيع ايمانكم اي ثباتكم على الايمان
لم تزولوا ولم ترتابوا بل شكر سعيكم واعد لكم الثواب العظيم او صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليها
لانه سبب نزولها ان حيي اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم نحو بيت المقدس
ان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله بها ومن مات منكم عليها فقد مات على
الضلالة فقال المسلمون ان الهدى ما امر الله به والضلالة ما نهى الله عنه قالوا فما شأن من مات منكم

منكم على قبلتنا وكان قوم ماتوا قبل ان تحول القبلة من المسلمين اسعد بن زرارة من بني النجار والبرا
ابن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجالا اخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه
وسلم وقالوا يا رسول الله لقومك فلك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون
الى بيت المقدس فانزل الله تعالى هذه الاية ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا
يدع صلاتهم فان قيل لم قدم الرؤف على الرحيم مع انه ابلغ اجيب بانه قدم ما قطع به
الفواصل وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي لرؤف بقصر الهمزة والباقون بمدها ولو ترى
في الهمزة المد والتوسط والقصر على اصله قد للتحقيق نرى تقلب اي تردد وجهك في السماء اي
في جهتها منتظرا الى الوحي ومنشوفا الى الامر باستقبال الكعبة وهذه الاية وان كانت تالية
في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها راس القصة وامر القبلة اول ما نسخ من امور الشرع
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى
المدينة امره الله تعالى ان يصلي الى صخرة بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه
اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدونه مرقومة في التوراة وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها كانت
قبلة ابراهيم ابيه صلى الله عليه وسلم وقال تجاهد كان يحب ذلك مراجل ان اليهود كانوا يقولون
يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال لجبريل عليه الصلاة والسلام وددت لو حولني الله الى
الكعبة فانها قبلة ابي ابراهيم فقال جبريل انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل ان يولك
فانك عند الله بمكان ففرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء
ان ينزل جبريل بما يجب من امر القبلة وذلك ميل على تحمل ادبه حيث انتظر ولم يسال فقوله
تعالى فلنولينك اي فلنحولنك قبلة اي الى قبلة ترضاها اي تحبها وتواها لاغراضك الصحيحة
التي تضمنتها ووافقت مشيئة الله وحكمته فول اي امرف وجهك شطر اي نحو المسجد الحرام اي
الكعبة اي استقبل عينها بصدرك في الصلاة وان كنت بعيدا منها وقول البيضاوي والبعيد يكفيه
مراعاة الجهة فان في استقبال عينها حرج عليه وجه ضعيف والحرام المحرم فيه القتال وممنوع
من الظلمة ان يتعرضوه وقوله تعالى وحيث ما كنتم من بحر او بر شرق او غرب خطاب للامة فولوا
وجوهكم في الصلاة شطره وكان تحويل القبلة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقول
البيضاوي وقد صلى بامحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلاة واستقبل
الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين فيه تحريف فان ظاهره انه
صلى الله عليه وسلم كان اماما في قصة بني سلمة وانه تحول في الصلاة وليس كذلك فقد روى البخاري
عن ابن عمر انه قال بينما الناس يصلون في صلاة الصبح اذ اتاهم اتٍ من بني سلمة فقال ان النبي صلى الله

عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امران يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى
الشام فاستداروا الى الكعبة ولما تحولت القبلة قالت اليهود وما هو الا شيء يبتدعه محمد من
تلقاء نفسه فتارة يصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون
صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه اي التوجه الى الكعبة
الحق اي الثابت من ربهم مما في كتبهم من نعت النبي صلى الله عليه وسلم من انه يحول اليها وقوله تعالى وما
الله بغافل عما تعملون قرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب للمومنين اي وما انا بغافل
عن جزيكم وثوابكم والباقون بالياء على الغيب اي عما يعمل اليهود اي فاجازيهم في الدنيا والاخرة
ففي الاية وعد للمومنين ووعيد للكافرين ولما قالت اليهود والنصارى ائتنا باية على ان
الكعبة قبلة نزل ولين اللام موطية للقسم ائتيت الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى بكل
اية اي برهان وحجة على ان التوجه الى الكعبة هو الحق وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب القسم
المضمر والمعنى ان تركهم اتباعك ليس على شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد
مع علمهم بما في كتبهم من نعتك وانك على الحق بتنبيه كان مقتضى الظاهر ما يتبعون لكنه اتى بما في
لتحقق وقوعه كقوله تعالى اتى امر الله وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم
قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره فتقربوا منهم له وطمانى رجوعه
وما بعضهم بتابع قبلة بعض اي انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون في شان القبلة فان اليهود
تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا ترجى موافقتهم لك لتضليلك كل حزب
فيما هو فيه فان قيل كيف قال تعالى وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى
قبلة اجيب بان كلتي القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا لحكم الاتحاد في البطلان قبلة
واحدة وقوله تعالى ولين اتبعت اهواءهم خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة
او على سبيل الفرض والتقدير من بعد ما جاءك بين لك من العلم بالوحي في القبلة انك اذا ان
اتبعتهم لمن الظالمين اي من المرتكبين الظلم الفاحش وفي هذا الطف للسامعين وزيادة تحذير هم
واستفظاع لحال من ترك الدليل بعد انارته وتتبع الهوى وتهييج للثبات على الحق وقد اكد سبحانه
وتعالى التهديد في ذلك وبالغ فيه قال البيضاوي مرتبته اوجه الاول الاتيان باللام الموطية
للقسم الثاني القسم المضمر الثالث حرف التحقيق اي التاكيد وهي ان الرابع تركيبه من جملة اسمية
الخامس الاتيان باللام في الخبر اي وهو من الظالمين السادس جعله من الظالمين اي تعريض الظالمين
له ال على المعروفين ولم يقل انك ظالم فانه في الاندراج معهما ايما بحصول انواع الظلم لان
الذي للتاليس للاستغراق السابع التقييد بجي العلم تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اتقضايه وتحذير

عن متابعة

عن متابعة الهوى واستفظاعا لظهور الذنب عن الانبيا الذين اتيناهم الكتاب اي علما وهم يعرفونه
اي محمدا صلى الله عليه وسلم لسبق ذكره بلفظ الرسول مرتين وقولا البيضاوي تبعا للزمخشري
وان لم يسبق ذكره ممنوع وقيل القران وقيل التحويل ويرد الاول قوله تعالى كما يعرفون
ابناهم اي مرابين العيان قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لعبد الله بن سلام
رضي الله تعالى عنه كيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما عرفت
ابني ومعرفتي لمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك قال
لست اشك في محمد انه نبي واما ولدي فلعل والدته خانت فقال عمر وفقك الله يا ابن سلام
فان قيل لم خص الابنا من الاولاد اجيب بان الذكور اشهر واعرف وهم لصحبة الابا اللزم
وتطلعهم الصدق وان فريقا منهم اي اهل الكتاب ليكتمون الحق اي صفته صلى الله عليه وسلم وامر
الكعبة وهم يعلمون ولا يظهرونه عنادا وقوله تعالى الحق من ربك كلام مستانف والحق اما
مبتدا خبره من ربك والمعنى ان الحق ما ثبت انه من ربك تعالى كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي
عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق من ربك حالا او خبر بعد خبر والمعنى
ان ما جاءك من العلم او ما يكتمونه هو الحق لا ما يزعمون فلا تكونن من الممترين اي من الشاكين
في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين بما فلا تكونن من هذا النوع هو ابلغ من لا تمترن وليس فيه نهي
الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه بل اما التحقيق الامر وانه بحيث
لا يشك فيه ناظر واما ان المراد به امته ولكل اي امة من الامم وجهة اي قبلة او لكل قوم من
المسلمين جهة وجانب من الكعبة هو موليها وجهه في صلاته وقرا ابن عامر وحده مولاها
بفتح اللام والف بعدها اي هو مولي تلك الجهة قد ولاها والباقون بكسر اللام وما بعدها
وعلى هذا فاحد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه كما مر تقديره والله تعالى موليها
اياها فاستبقوا الخيرات اي بادروا الى الطاعات وقبولها مرامر القبلة وغيره مما تتالون به عظيم
سعادة الدارين اينما تكونوا انتم واهل الكتاب يات بكم الله جميعا يوم القيامة فيجازيكم
باعمالكم ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاحيا والجمع تنبيه ترقى ورئس الرا المفتوحة
بعد الياء الساكنة وائتفق المصاحف على قطع اي من ما ها ومن حيث خرجت اي من اي مكان
خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه اي هذا الامر الحق من ربك
وقوله تعالى وما الله بغافل عما تعملون قراه ابو عمر وبالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره
تنبيه ما متعلقة من حيث في موضعي هذه السورة وكرر سبحانه وتعالى التولي شطر المسجد الحرام ثلاث

كين

مرة لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ مزمظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان فكرر
عليهم ليثبتوا ويتوطنوا ويعتادوا ولانه نيط بكل واحد مالم ينط بالاخر لانه تعالى علق بكل اية فائدة
فتى الاولى انا اهل الكتاب يعلمون ان امر محمد وامر القبلة حق لشاهدتهم له في التوراة والانجيل
وفي الثانية انه تعالى شهد انه حق وشهادة الله مغايرة لعلم اهل الكتاب وفي الثالثة بيان العلة
وهي قطع حجة اليهود ولان الاحوال ثلاثة اولها ان يكون الانسان في المسجد الحرام وثانيها ان
يخرج عنه ويكون في البلد وثالثها ان يخرج عن البلد فالاية الاولى محمولة على الاولى والثانية
على الثانية والثالثة على الثالث وقوله تعالى ليلا يكون للناس اي اليهود والمشركين عليكم حجة
اي مجادلة فالتولي على لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة توافق احتجاج اليهود
بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يحد دينا ويتبعنا في قبلتنا ويوفع احتجاج
المشركين بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته وقرئ بابوال الهمزة مزليليا مفتوحة
وقفا ووصلا وحمزة بين بين وقفا لا وصلا والباقون بهمزة مفتوحة وصلا ووقفا وقوله تعالى
الا الذين ظلموا منهم بدل واستثنا متصل اي ليلا يكون لاحد من الناس حجة الا الظالمين في
منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحب البلدة او بداله فرجع
الى دين ابايه ويوشك ان يرجع الى دينهم فلا تخشوهم اي فلا تخافوا مطاعنتهم في قبلتكم فانهم
لا يضرونكم واخشوني بامتثال امري فلا تخالفوا اوامركم به تنبيه الياهنا ثابتة في التوم
وهي في القراة ثابتة وقفا ووصلا فان قيل اي حجة تكون لهؤلاء الذين ظلموا ولم تحول حتى
احتيج الى ان يستثنى منها الحجة المعاندة فيجاب بانهم كانوا يقولون ما الا يحول الى قبلة
ابيه ابراهيم كما هو مذكور في كتبه في التوراة فان قيل كيف اطلق الحجة على قول المعاندة فيجاب
بانه المراد بالحجة ما يتمسك به حقا كان او باطلا كما قال تعالى حجتهم داحضة وقوله تعالى هو
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون اي الى الحق علة محذوف اي وامرتكم بذلك لاتمام النعمة
عليكم وارادة اهتدائكم او عطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي
عليكم قال الكشاف وقيل هو معطوف على ليلا يكون وجرى عليه البيضاوي والسيوطي قال
البيضاوي تبعا للكشاف وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة اي ورؤية الله تعالى وعن علي رضي الله
تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام قال شيخنا القاضي زكريا روى الحديث الترمذي وذكره مع
الاثر بعده رمايرجح العطف على المقدر وقوله تعالى كما ارسلنا اما متعلق بما قبله وهو اتم اي ولاتم
نعمتي عليكم في امر القبلة او في امر الاخرة اتماما كاتمامها بارسالنا فيكم رسولا منكم وهو محمد صلى
الله عليه وسلم واما متعلق بما بعده وهو فاذكروني اذكركم اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني

يتلوا

56

اي القران صح

يتلوا عليكم اياتنا القران ويزكيكم اي يطهركم من الشرك ويعلمكم الكتاب والحكمة اي ما فيه
الاحكام تنبيه قدم هنا تزكيكم على تعليمكم باعتبار القصة واخر دعوة ابراهيم يزكيهم ويعلمهم
باعتبار الفعل ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون اي بالتفكر والنظر والاطريق لمعرفته سوى الوحي
فاذكروني بالطاعة كالصلاة والتسبيح اذكركم قال ابن عباس بمعونتي وقال حسين بن
فضيل بمغفرتي وقيل اذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلا كما قال تعالى فلولا انه
كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وفي الحديث عن الله تعالى انا عند ظن عبدي
بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته
في ملا خير من ملايه وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا
تقربت منه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى يقول يا ابن ادم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في ملا
ذكرتك في ملا خير منه وان دنوت مني شبرا دنوت منك ذراعا وان دنوت مني ذراعا دنوت
منك باعا وان مشيت الي هرولت اليك وان سالتني اعطيتك وان لم تسالني غضبت عليك وفي
رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي
شفتاه وفي رواية جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الاعمال افضل قال
ان تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله وقرا ابن كثير بفتح الياء والباقون بالسكون وهم علي
مراتبهم في المد واشكروا لي نعمتي بالطاعة ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر فاني
من اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر على الطاعة
والبلا وعن المعاصي وحظوظ النفس والصلاة خصها بالذكر لانها ام العبادات لاشتمالها
على فعل القلب وغيره ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصر واجابة الدعوة
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله امواتا بل هم احيا ولكن لا تشعرون اي لا تعلمون كيف حالهم
في حياتهم قال البيضاوي وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس
من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي انتهى وهو ما عليه اكثر المفسرين قال
ابن عادل ويحتمل ان حياتهم بالجسد وان لم يشاهد وايد بان حياة الروح ثابتة لجميع
الاموات بالاتفاق فلو لم تكن حياة الشهيد بالجسد لاستوى هو وغيره ولم تكن له مزية انتهى
وقد ورد بان الشهدا افضل من غيرهم بانهم يرزقون من مطاعم الجنة ومشاربها وغيرهم من المؤمنين
ممنوعون مما دون ذلك وفي الحديث ارواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في انهار الجنة حيث
شاءت ثم تاوي الى قناديل تحت العرش وعن الحسن ان الشهدا احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواح

حم

فيصل اليهم الروح اي الاستراحة اي التلذذ والتنعم والفرح كما تفوض النار على ارواح الاشرار غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والالم وعلى هذا فتخصيص الشهداء الاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد السرور والكرامة والارواح جواهر قائمة بانفسها تبقى بعد الموت وذرائقة كما عليه جمهور الصحابة والتابعين ونطقت به الايات والسنن ولنبلونكم اي ولنختبرنكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم واللام لجواب القسم تقديره والله لتبلونكم والابتلاء اظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيأ لم يكن عالما به بشيء اي بقليل من الخوف اي خوف العدو والجوع اي القحط وانما قلله بالنسبة لما وقاهم عنه فيتحقق عنهم ويريهم ان رحمته لا تقاربهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الاخرة وانما اخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال بالخسران والهلاك والانفس بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب والثمرات بالجوائح عن الشافعي رضي الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ومن الثمرات موت الاولاد وعن ابي سنان قال دفنت ولدي سنانا وابو طلحة الخولاني في حفرة شفير القبر فلما اردت الخروج اخذ بيدي فاخرجني فقال الا ابشرك حدثني الضحاك بن عروب عن ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله لملائكته اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وقوله تعالى وبشر الصابرين اي على ما يصيبهم من المكروه عطف على ما قبله التفاتا في على ولنبلونكم عطف المضمون على المضمون اي الابتلاء حاصل لكم وكذا البشارة لكن لما صبروا بينهم بقوله هو الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله عبيدا وملكا وانا اليه راجعون في الاخرة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء يؤذي المومن فهو له مصيبة وعن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من مصيبة تصيب عبدا فيقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها الا اجره الله في مصيبته واخلف عليه خيرا منها قالت فلما توفي ابو سلمة استرجعت الله لي فقلت اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها قالت فاخلف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وقال سعيد بن جبير ما اعطي احد ما اعطيت هذه الامة يعني الاسترجاع ولو اعطيه احدا لاعطي يعقوب في قصة فقد يوسف الا تسمع الى قوله يا اسفا على يوسف وليس الصبر بالتوجع باللسان بل باللسان مع القلب بان يتصور ما خلق لاجله فانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه

عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويسلم لربه والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات اي مغفرة من ربهم ورحمة اي لطف واحسان والصلاة في الاصل من الادمي اي ومن الجن تضرع ودعاء ومن الملائكة استغفار ومن الله تعالى رحمة متوسطة بتعظيم وجمع الصلاة للتنبيه على كثرتها كالتثنية في لبيك بمعنى لا انقطاع لمغفرته واولئك هم المهتدون الى الصواب حيث استرجعوا وسلموا القضاء الله قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية وقد ورد اخبار في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين فمنها انه صلى الله عليه وسلم قال من يرد الله به خيرا يثب ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا غم ولا حزن ولا اذى حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه ومنها ان امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم وبها لمم فقالت يا رسول الله ادع الله تعالى ان يشفيني فقال ان شئت دعوت الله ان يشفيك وان شئت فاصبري ولا حساب عليك قالت بل اصبر ولا اضا علي ومنها انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اشد الناس بلاء قال الانبياء والامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا ابتلي على قدر ذلك وان كان في دينه رقة هون عليه فما يزال كذلك حتى يمشي على الارض ماله ذنب ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال البلاء بالمومن والمومنة في نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن كمثل الزرع لا يزال الريح تميله ولا يزال المومن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الارز لا تهتز حتى تحصد ومنها انه صلى الله عليه وسلم قال عجبا للمومن ان اصابه خير حمد الله وشكر وان اصابته مصيبة حمد الله وصبر المومن يوجر في كل امره حتى اللقمة يرفعها الى فيه ومنها ان الصفا والمروة هما علما جبلين بمكة في طرفي المسعى قال القرطبي وذكر الصفا لان آدم وقف عليه وانثى المروة لان حواء وقفت عليه من شعائر الله اي اعلام دينه جمع شعيرة وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته فمن حج البيت او اعتمر اي تلبس بالحج او العمرة والحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين فلا جناح اي لا اثم عليه ان يطوف فيه ادغام التاء في الاصل في الطاء بهما اي بان سعى بينهما سبعا فان قيل كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما اجيب بانه كان على الصفا انسان وعلى المروة مثله وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا

سموهما فلما جاء الاسلام وكرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية فانزل
الله تعالى فيه وخبر انه من شعائر الله والاجماع على ان السعي بين الصفا والمروة مشروع في
الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه ففي احدهما انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله تعالى
فلا جناح عليه فانه ينفهم منه التخيير قال البيضاوي وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل
على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعند ابي حنيفة انه واجب يجبر بدم وعند
مالك والشافعي انه ركن لقوله صلى الله عليه وسلم اسعوا فان الله كتب عليكم السعي رواه
البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم ابدوا بما بدا الله به يعني الصفا رواه مسلم ومن تطوع
خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف
ونصب خيرا على انه صفة مصدر محذوف اي تطوعا او بحذف الجار وايصال الفعل اليه
اي بخير وقرا حمزة والكسائي يطوع بالياء على التذكير وتشديد الطاء والواو وسكون العين
واصله يتطوع فادغم مثل يطوف والباقون بالتاء على التانيث وتخفيف الطاء وفتح العين
فان الله شاكر لعمله بالاثابة عليه عليم بنيته تنبيه الشكر من الله ان يعطي العبد فوق ما يتمنى
فانه يشكر اليسير ويعطي الكثير وترل في علماء اليهود ان الذين يكتمون الناس كما عاب اليهود
ما انزل لنا من البينات كاية الرجم ونعت محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اي ما يهدي الى
وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم والايمان به من بعد ما بيناه او ضحناه للناس في الكتاب
اي التوراة اي لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فمدوا الى ذلك التبيين
الواضح فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله واصل اللعن الطرد والبعد ويلعنهم اللاعنون
اي يسالون الله ان يلعنهم ويقولون اللهم العنهم تنبيهان احدهما اختلف في هؤلاء اللاعنين
فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم جميع الخلائق الا الجن والانس وقال عطاء الجن والانس
وقال الحسن جميع عباد الله وقال مجاهد البهائم تلعن عصاة بني ادم اذا امسك المطر وتقول
هذا من شؤم ذنوب بني ادم ثانيهما هذه الاية توجب اظهار علوم الدين منصوصة ومستنبطة
وتدل على امتناع اخذ الاجرة على ذلك وقد روي للاعرج عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال
كلكم تقولون اكثر ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وايم الله لولا اية في كتاب الله ما حدثت
احدا شيئا ابدا وتلا ان الذين يكتمون الاية الا الذين تابوا اي رجعوا عن الكتمان وسائر ما يجب
ان يتاب منه واصلحوا افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم
فكتموه فاولئك اتوب عليهم اتجاوز عنهم واقبل توبتهم وانا التواب اي الرجاع لعطوف عباده
المنصرفة عني الي الرحيم بهم بعد اقبالهم علي ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي من لم

يتب

يتب من الكاتمين حتى مات اولئك عليهم لعنة الله ولعنة الملائكة ولعنة الناس اجمعين لعنهم
الله احياء لعنهم اموات وقال ابو العالية هذا يوم القيامة يوقف الكافر فيلعنه الله ثم تلعنه
الملائكة ثم تلعنه الناس فان قيل قد قال الله تعالى والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر
واهل دينه لا يلعنونه اجيب باجوبة منها ان المراد منهم من يعتد بلعنه وهم المؤمنون
قاله ابن مسعود وعلى هذا فيكون من العام الذي اريد به الخاص ومنها انهم يلعنونه
في القيامة قال تعالى يلعن بعضكم بعضا وقال كلما دخلت امة لعنت اختها ومنها ان اللعن
من الاكثر يطلق عليها لعنة عند جميع الناس تغليبا لحكم الاكثر على الاقل ومنها انهم يلعنون
الظالمين والكافرين ومن لعن الظالمين او الكافرين وهم منهم فقد لعن نفسه ومعنى
لعنة الله لهم تبريه منهم وطردهم وتبعيدهم عن الرحمة والثواب او دعاؤه عليهم بذلك
خالدين فيها اي اللعنة او النار المدلول بها عليها لا يخفف عنهم العذاب طرفة عين ولا هم ينظرون
عن الانظار اي لا يمهلون ولا يوجلون او لا ينتظرون ليعتذروا كقوله تعالى ولا يوذن لهم
فيعتذرون او لا ينظر اليهم نظرة رحمة ولما قال كفار قريش يا محمد صف لنا ربك وانسبه لنا
نزل والهكم اله واحد وسورة الاخلاص والواحد هو الذي لا نظير له ولا شريك وقوله تعالى
لا اله الا هو تقرير للوحدانية ودفع لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم
العبادة وقوله تعالى الرحمن الرحيم كالدليل على الوحدانية فانه لما كان مولي النعم كلها اجملها
بقوله الرحمن فانه مولي جلايل النعم وفروعها بقوله الرحيم فانه مولي لطائف النعم تفاصيلها
وما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فلم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران
لقوله الهكم او لمبتدا محذوف وعن اسماء بنت يزيد انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان في هاتين الايتين اسم الله الاعظم والهكم اله واحد الى اخره والله لا اله الا هو
الحي القيوم ولما سمع المشركون هذه الاية وكان لهم حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما تعجبوا
وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزل ان في خلق السموات والارض الى اخر الاية
فان قيل لم جمع السموات وافرد الارض اجاب البيضاوي بان السموات طبقات متفاصلة بالذات
مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين انتهى وهذا انما يأتي على قول بعض الحكماء ان المراد بالارضين
الاقاليم والاولى ما اجاب به البغوي من ان كلا منا جنس اخر والارضون كلها من جنس واحد
وهو التراب اي فهي طبقات كالسموات والاية في السموات سمكها وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة
وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك والاية في الارض مدها وبسطها وسعتها
وما يرى فيها من الاشجار والانهار والجبال والبحار والجواهر والنبات وغير ذلك واختلاف الليل والنهار

ان تعاقبهما في المجي والذهاب يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب احدهما جا الاخر خلفه اي بعده
قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال عطا اراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة
والنقصان والليل جمع ليلة والليالي جمع الجمع والنهار جمع نهر وقدم الليل على النهار في الذكر
لانه اقدم قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار والفلك اي السفن التي تجري في البحر عما ينفع
الناس من التجارة والحمل والاية فيها تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موتورة لا توسب
تحت الماء تنبيه انث الفلك لانه بمعنى السفينة لان واحد السفن وجمعه سواء ذكر لانه
بمعنى المركب لذكرها مع انها في اللغة تذكر وتونث قال تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون وصفة
الجمع غير صفة الواحد تصوير اذ هي في الجمع كالضخمة في ضخمة وفي الواحد كالضخمة في قذل
قال البيضاوي والقصد به اي الفلك الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر
لانه سبب الخوض فيه اي البحر والاطلاع على عجايبه ولذلك قومه على ذكر المطر والسحاب
لان منشاها البحر في غالب الامر انتهى فجعل الاية في البحر لا في السفن والاولى جعل الاية
فيهما وقوله لان منشاهما البحر هو قول الحكما والاشاعرة على خلافه وهو الذي دلت عليه
الاخبار قال شيخنا القاضي زكريا وحاصلها ان السحاب من شجرة مثمرة في الجنة والمطر من بحر
تحت العرش وما انزل الله من السما من ما اي مطر تشبيه من الاولى للابتدا والثانية للبيان قال
البغوي قيل اراد بالسما السحاب يخلق الله الما في السحاب ثم من السحاب ينزل وقيل اراد بالسما المعروفة
يخلق الله الما في السما ثم ينزل من السما الى السحاب ثم من السحاب ينزل الى الارض انتهى وفيه ما مر فاحيا
به الارض بالنبات بعد موتها اي يبسها وجدوبتها وبث اي فرق ونشر بالما فيها في الارض من
كل دابة فان قيل هل بث عطف على انزل او احيا اجيب بانه عطف على انزل او احيا اجيب بانه
عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصار
جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة لان الدواب يتبعون
بالخصب ويعيشون بالحيا اي المطر وتصريف الرياح اي قبور ودبور وجنوب وشمال تقابلها
والشمال التي تهب من جانب القطب والجنوب تقابلها قال ابن عباس اعظم جنود الله الريح والما
وسمي الريح ريحا لانها تريح النفوس قال شريح القاضي ما هبت ريح الا لشفاء سقيم او لنسم
صحيح فايدة البشارة في ثلاث من الرياح في الصبا والشمال والجنوب اما الدبور فهي الريح
العقيم لا بشارة فيها وقيل الرياح ثمانية اربعة للرحمة وهي المبشرات والناشرات والذاريات
والمرسلات واربعة للعذاب وهي العقيم والصرصر في البر والعاصف والقاصف في البحر وقراة
حمزة والكسائي الريح بالتوحيد والباقون بالجمع فايدة اخر في كل ريح في القران ليس فيها الا الرحمة

اتفق

اتفق القرا على توحيدها وما قبلها الف ولام كما هنا اختلفوا في جمعها وتوحيدها الحرف الاول
في سورة الروم الرياح مبشرات اتفقوا على جمعها والريح تذكر وتونث والسحاب اي الغيم
المسخر اي المذلل بامر الله يسير حيث شا الله بين السما والارض بلا علاقة لا يتزلان ولا
يرتفع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يا تي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو
بمشية الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات اي دلالات واضحات على
وحدانية الله تعالى لقوم يعقلون اي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلايل
على عظيم القدرة وباهر الحكمة وقول البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا
هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها قال الولي العراقي لم اقف عليه وقال السيوطي
لم يرد في هذه الاية ولا بهذا اللفظ ثم قال وعن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل
لمن قراها ولم يتفكر فيها قيل للاوزاعي ما غاية التفكر فيهن قال يقرؤهن وهو يفقههن
انتهى ولا ينافي هذا انه ورد ايضا في هذه الاية ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال البيضا
وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه انتهى ولا ينافي
هذا قول الشافعي رضي الله عنه لان يلقى العبد ربه بكل ذنب ما عدا الشرك خير له من ان
يلقاه بعلم الكلام لانه محمول على التوغل فيه فيصير فلسفيا ومن الناس وهم المشركون من يتخذ
من دون الله اي غيره انداد ا اي اصناما يعبدونها يحبونهم بالتعظيم والخضوع كحب الله اي
كحبهم له كما قال الزجاج يحبون الاصنام كما يحبون الله لانهم اشركوها مع الله تسووا بين الله
وبين اصنامهم في المحبة او يحبون آلهتهم كحب المومنين الله والذين امنوا اشد حبا لله
اي اثبت وادوم على حبه لانهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون محبتهم لاغراض فاسدة
موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا اذا اتخذوا اصنما احسن منه طرحوا الاول واختاروا
الثاني او يحملونه كما تحمل باهلة الاهها من جس عند المجاعة ويعرضون عن معبودهم وقت
البلا ويقبلون على الله كما اخبر الله تعالى عنهم فقال اذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين
والمومن لا يعرض عن الله تعالى في السرا والضرا والشدة والرخا وقيل انما قال تعالى والذين امنوا
اشد حبا لله لان الله احبهم اولا ثم حبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم قال الله
تعالى يحبهم ويحبونه فمحبة العبد لله طاعته والاجتهاد بتحصيل مرضيه ومحبة الله العبد ارادة
اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد اذ
يرون اي يبصرون العذاب يوم القيامة واذ بمعنى اذا الواجبي المستقبل وهو يرى بمعنى المضي

لان اذ موضوعة للماضي والمعنى هنا على الاستقبال لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان ايا بالقوة اي القدرة والغلبة لله وقوله تعالى جميعا حال وان الله شديد العذاب وجواب لو محذوف والتقدير لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم والفاعل ضمير الذين ظلموا او يرى بمعنى يعلم وان وما بعدها سدت مسد المفعولين وقرا نافع وحمزة بالتاء على الخطاب اي ولو ترى يا محمد ذلك لرايت امرا عظيما واما السوسي الا في التثقيله بعد الراي الوصل فخلف عنه وغلط ورش اللام بعد الظاء وقرا ابن عامر ويعقوب بضم الياء والباقون بفتحها اذ بدل من اذ قبله تبرا الذين اتبعوا وهم الرؤساء من الذين اتبعوا وهم الاتباع اي تبرا الرؤساء اضلالهم الاتباع يوم القيامة حين يجمع الله القادة والاتباع وقد راوا العذاب اي رايين له فالواو للحال وقد مضمرة كما قدرتها وقيل عطف على تبرا وقوله تعالى وتقطعت عطف على تبرا وقوله تعالى بهم بمعنى عنهم الاسباب اي الوصل التي كانت بينهم في الدنيا من القرابات والصداقات وصارت مخا لفتهم عداوة وقال الذين اتبعوا اي الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم اي الرؤساء كما تبرؤا منا اليوم ولو للتمني ونوكد ذلك اجيب بالفاء كذلك اي مثل ذلك الاري الفظيع يريهم الله اعمالهم اي السيئة وقوله تعالى حسرات اي تتقلب فوامات عليهم ثالث مفاعيل يري ان كان من رويه القلب والافعال وقوله تعالى وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون من النار لان المناسب ان تعطف جملة فعلية على جملة فعلية لكن عدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الى الدنيا واختلف في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا فقال البيضاوي هي نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس اي الاعلى وجه التورع كما تفعله الصوفية وما قاله قول مرجوح كما قاله شيخنا القاضي زكريا والمشهور انها نزلت فيهم اية المائدة وهو يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وامام هذه الاية فانما نزلت في الكفار والذين حرموا البحاير والسوايب والوصايل ونحوها ومنهم عبر هنا بيا ايها الناس وغيرها بيا ايها الذين امنوا تنبيها حلالا لا مفعول كلوا او حال وقوله تعالى طيبا اما صفة موكدة واما ظاهر امن كل شبهة وهو ما يستطيبه الشرع قال الكشاف ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس مما كول هذا ان جعلنا حلالا حالا فان جعلناه مفعولا فمن للابتدا كما قاله التفتازاني لان من التبعيضية في موضع المفعول اي كلوا بعض ما في الارض ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي طرقه كما قاله الزجاج او المحقرات من الذنوب كما قاله ابو عبيدة فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام وقرا ابن عامر وقنبل وحفص والكسائي بضم الطاء والباقون بالسكون انه لكم عدو مبين اي بين العداوة او مظهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة

لمن

لمن يغويه وقد اظهر عداوته بامتناعه من السجود لادم ثم بين سبحانه وتعالى عداوته بانه لا يامر بخير قط بقوله انما يامركم بالسواي القبيح شرعا والفحشا اي ما تجاوز الحد في القبح من العظايم وعن ابن عباس ان السوء الذنوب ما لا حد فيه والفحشا المعاصي ما يجب به حد وقال السيوطي الفحشا هي الزنا وهو قيل البخل قال البيضاوي واستعير الامر لتزيينه ونقله لهم تخييلا لرايهم وتحقيرا لشانهم انتهى قال شيخنا القاضي زكريا ولا حاجة الى صرف الامر عن ظاهره لان حقيقته طلب الفعل ولا ريب ان الشيطان يطلب السوء والفحشا من بني اعواه ويامرهم ايضا ان تقولوا على الله ما لا تعلمون كتحليل المحرمات وتحريم الطيبات واتخاذ الانداد وقوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله من التوحيد وتحليل الطيبات متصل بما قبله وهو نازل في مشركي العرب وكفار قريش والضمير في لهم عايد على الناس المذكور في قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله انداد اعدل عن الخطاب منهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلا وقال لهم انظروا الى هولا الحمقى ما ذا يجيبون وقيل مشافهة واللام في لهم كناية من غير مذكور وروي عن ابن عباس انه قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانزل الله هذه الاية قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا اي وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتحريم البحاير والسوايب فانهم كانوا خيرا واعلم منا قال الله تعالى اولو كان اي يتبعونهم ولو كان اباوهم لا يعقلون شيا من امر الدين لا شيا مطلقا فانهم كانوا يعقلون امر الدنيا فلفظه عام ومعناه الخصوص ولا يهتدون الى الحق والهمزة للانكار والواو للحال او العطف وجواب لو محذوف اي لو كان اباوهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لا تبعوهم ومثل اي صفة الذين كفروا ومن يدعوهم الى الهدى كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء اي صوتا ولا يفهم معناه والمنعق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان قال الاخطل فانعق بضانك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلا ضلالا واما نعق الغراب بالبين المجهة والمعنى انهم في سماع الموعظة وعدم تدبرها كالبهايم في سماع صوت راعيها ولا تفهمه وقيل معنى الاية مثل الذي كفر وفي دعا الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق بالغنم ولا يتبع من نعيقه بشي غير انه في عنا من الدعا والنداء الكافر ليس له من دعا الالهة الا العنا والدعا كما قال تعالى وان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ثم وصفهم سبحانه وتعالى الكفار بصفات ذم فقال صم اي هم صم عن سماع الحق تنزل العرب لمن يسمع ولا يعقل ما يقال له منزلة اصم بكم عن الخير لا يقولونه عمي عن الهدية لا يبصرونه

فهم لا يعقلون الموعظة لا ضلال انظرهم يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات اي حلالات ما رزقنا
روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس ان الله طيب
لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات
وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء
يا رب يا رب اشعث اغبر مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب
لذلك ولما وسع الله الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المومنين
منهم ان يتجروا الطيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم
ان كنتم اياه تعبدون اي ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادته
لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو بعدم عند عدمه روى
البيهقي وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله اني والجن والانس في نبا عظيم اخلق ويعبد
غيري وارزق ويشكر غيري ثم بين سبحانه وتعالى المحرمات بقوله انما حرم عليكم الميتة اي
اكلها اذ الكلام فيه وكذا ما بعدها وهي التي ماتت من غير ذكاة شرعية والحق بها بالسنة
ما ابين مرجي وخص منها السمك والجراد والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف
فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المطبوخ والدم اي المسفوح كما قال تعالى في سورة الانعام
او دما مسفوحا روى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احلت لنا
ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال وهو في حكم المرفوع بل رفعه ابن ماجه
وغيره لكن بسند ضعيف ولحم الخنزير اي جميع اجزايه وعبر عن ذلك باللحم لانه معظم المقصود
منه وغيره تبع له وما اهل به لغير الله اي ذبح على اسم غيره والاهلال رفع الصوت وكانوا
يرفعونه عند الذبح لالهتهم فمن اضطر اي الجاته الضرورة الى اكل شيء مما ذكر فاكله غير باغ اي
خارج عن المسلمين وقيل مجاوز للمقدار الذي اخل له ولا عاد اي متعد على المسلمين بقطع الطريق
وقيل لا يقصر فيما ابيح له فيدعه وقال سهل بن عبد الله غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع
مخالف للسنة فلم يرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة وقال مسروق من اضطر الى
الميتة والدم ولحم الخنزير فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واختلفوا العلما في قدر ما يأكل
للمضطر اكله من الميتة على قولين احدهما ان يأكل مقدار ما يمسك رمقه وهو قول ابي حنيفة
والراجح عند الشافعي والاقول الاخر جواز ان يأكل حتى يشبع وبه قال مالك فلا اثم اي لا حرج عليه
في اكل ما ذكر وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة بكسر نون فمن اضطر في الوصل والباقون بضمها فاتبعه
قال البغوي غير نصب على الحال وقيل على الاستثناء واذا رايت غير تصلح في موضعها الا في حال واذا

صلح

صلح في موضعها الا فهي استثنا ان الله غفور لكم في حال الاضطرار رحيم حيث رخص
للعباد في ذلك فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من محرم لم يذكر اجيب بان المراد
قصر الحرمة على ما ذكر مما استحله الكفار اطلاقا وقصر ما ذكر على حال الاختيار كانه قيل
انما حرم عليكم هذه الاشيا ما لم تضطروا اليها تنبيه الحق بالباغي والعادي كل عاص بسفره
كالابق والمكاس فلا يحل لهم اكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا وعليه الشافعي وترائى لعلما
اليهود ورؤسايهم الذين كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون
ان يكون النبي المبعوث منهم فلما بعث صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب مأكلهم
ورئاستهم فحرفوا الى صفة محمد صلى الله عليه وسلم فغيروها شم اخرجوها اليهم
فاذا نظروا السفلة الى النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يتبعونه
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب المشتمل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم ويشترون به
اي باكتمانهم ثمنا اي عوضا قليلا اي يسيرا اي المآكل التي يصيبونها من سفلتهم اولئك ما يأكلون
في بطونهم اي ملا بطونهم يقال اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار اي ما يؤديهم
الى النار وهو الرشوة وثمن الدين ومآكلهم تفضي بهم ذلك الى النار لانها عقوبة عليه فكانهم
اكلوا النار وقيل معناه انه يصير نارا في بطونهم ولا يكلمهم الله يوم القيامة اي لا يكلمهم
بالرحمة وبما يسرهم انما يكلمهم بالتوبيخ او يكون عليهم غضبانا كما يقال فلان لا يكلم فلانا
اذا كان عليه غضبانا ما ثابت بالنصوص انه تعالى يكلمهم والسؤال كلام فحمل على الكلام على
الغضب فهو كناية ويجوز ابقا الكلام على ظاهره ويحمل نصوص السؤال على انه يقع بالسنة
الملايكة ولا يزكيهم اي ولا يطهرهم من دنس الذنوب ولهم عذاب اليم اي مولم وهو النار ثم ذكر
الذين اشتروا اي استبدلوا الضلالة بالهدى فاخذوها بدله في الدنيا واستبدلوا العذاب
بالمغفرة اي المعدة لهم في الاخرة لو لم يكتموا الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم
على النار اي ما اشد صبرهم وهو تعجيب للمومن من ارتكاب موجباتها من غير مبالاة والا فاي
صبر لهم كما قال الحسن والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما اجراهم على العمل الذي يقربهم الى
النار وقال الكسايي فما اصبرهم على عمل اهل النار اي ما ادومهم عليه روي عن الكسايي انه قال
قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب فجاء احدهما على حق صاحبه فقال ما
ما اصبرك على عذاب الله ذلك اي الذي ذكر من اكلهم النار وما بعده بان اي بسبب ان الله نزل
الكتاب وقوله تعالى بالحق متعلق بنزل فوقفوه بالتكذيب او الكتمان وقوله تعالى وان الذين اختلفوا
في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعضها واما للعهد وحينئذ

الاشارة اما الى التوراة واختلافهم حيث امنوا ببعضها وكفروا ببعضها بكتمه واما الى القران واختلا
فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق اي خلاف بعيد عن الحق
واختلفوا في المخاطب بقوله تعالى ليس البر اي وهو كل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم اي في الصلا
قبل المشرق والمغرب على قولين احدهما انهم المسلمون والثاني اهل الكتابين فعلى الاول معنى
ليس البر كله في الصلاة ولكن البر ما في هذه الاية قاله ابن عباس ومجاهد وعطا وعلى الثاني
ليس البر صلاة اليهود الى المغرب وصلاة النصارى الى المشرق فانهم اكثروا الخوض في امر
القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر
ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما في هذه الاية قاله قتادة والربيع ومقاتل وقال
قوم هو عام لهم وللمسلمين اي ليس مقصورا بامر القبلة وقرا حفص وحمزة بنصب البر
على انه خبر مقدم والباقون برفعه وقوله تعالى ولكن البر مرامن على تاويل حذف المضاف
اي بر من امن ولكن ذا البر من امن بالله واليوم الاخر والملايكة والكتاب اي الكتب فاريد
به الجنس والا فالقران والنبيين والتاويل الاول اولى لان السابق في الاية انما هو نفي كون
البر تولية الوجه والذي يستدرك انما هو من حيث ما يبقى وقرا نافع وابن عامر بكسر النون
ولكن مخففة ورفع ر البر والباقون بنصب النون مشددة ونصب الر والنبيين فقولهم ان
نافعا يقوه بالهمز والباقون على البدل وورش على اصله مزالمد والتوسط والقصر واتى المال
على اي مع حبه به كما قال عليه الصلاة والسلام لما سيل اي الصدقة افضل قال ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تومل العيش اي الحياة وتخشى الفقر وتومل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان اوقيل الضمير لله اي على حب الله ذوي
القربى اي القرابة قال صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان
صدقة وصلة واليتامى جمع يتيم وتقدم تعريفه والمساكين جمع المسكين وهو من له مال او كسب
يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه بخلاف الفقير فانه من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من كفايته
وسياتي بيان ذلك ان شاء الله في سورة براءة وابن السبيل اي المسافر فيعطى للمسافر ابن السبيل
لملازمته الطريق وقيل هو الضيف ينزل بالرجل قال صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه والسايلين اي الطالبين الذين الحاحتهم الحاجة الى السوال قال
صلى الله عليه وسلم للسايل حق وان جا على ظهر فرسه رواه الامام احمد وفي رواية ردوا السايل
ولو بظلف محرق وفي الرقاب اي فكها معاونة المكاتبين وقيل قرض الاسرا وقيل ابتياع الرقاب
لعتقها واقام الصلاة المفروضة واتى الزكاة المفروضة فان قيل قد ذكر اتيان المال في هو

الوجوه

الوجوه ثم قفا باتيان الزكاة فقد دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكاة اجيب بان المتقدم
في المتطوع وان قال الشعبي ان في المال حقا سوى الزكاة وتلى هذه الاية فهي الحديث نسخ الزكاة
كل صدقة رواه الدرقطني والبيهقي اي نسخت الزكاة وجوب كل صدقة وروي ليس في المال
حق سوى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا فيما بينهم وبين الله عز وجل وفيما بينهم
وبين الناس اذا وعدوا اتجروا واذا حلفوا اوتذروا وفوا واذا قالوا صدقوا واذا ايتمنوا
ادوا نبه به الموفون عطف على من امن وقيل رفع على المبتدا والخبر اي وهم الموفون وقوله تعالى
والصابرين في الباسا اي شدة الفقر والضرا اي المرض وحين الباس اي وقت شدة القتال
في سبيل الله نصب على المدح ولم يعطف لفضل النصب على الشدايد ومواطن القتال على ساير الاعمال
وروي عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال كنا اذا احمر الباس اي اشتد الحرب ولقي القوم القوم هم
اتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يكون احد اقرب الى العدو منه اولئك الموصوفون الذين بما ذكر صح
صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون الله التاركون للكفر وسايد
الرذايل قال البيضاوي رحمه الله تقيه والاية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها
دالة عليها مرجا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشيا صحة الاعتقاد وحسن
المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله تعالى من امن الى والنبيين والى الثاني بقوله
تعالى واتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله تعالى واقام الصلاة الى اخرها ولذلك وصف
المتصفون بها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته
مع الحق والبه اشار بقوله عليه الصلاة والسلام من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان ونزل
في حيين من احيا العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الاسلام بقليل فكان بينهما قتلى وجراحات حتى
بعضهم من بعض حتى جا الاسلام وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف وكان لبعضهم
نساهم بغير مهور فاقسموا لنقتلن بالعبد الحر منهم وبالمراة منا الرجل منهم وبالرجل منا الرجلين
منهم وجعلوا جراحاتهم بعضها جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها
الذين امنوا كتب اي فرض عليكم القصاص وهو المساواة والمماثلة في القتلى وصفا وفعلا الحر
يقتل بالحر ولا يقتل بالعبد ويقتل العبد بالعبد ويقتل الانثى بالانثى وبينت السنة ان الذكر يقتل
بالانثى وان المماثلة تعتبر في الدين فلا يقتل مسلم ولو عبدا بكافر ولو للايمة في ذلك خلاف وادلة
مذكورة في الفقه وكلهم على هدي من ربهم عفي له اي من القاتلين من اي دم اخيه المقتول
شي بان ترك القصاص منه وتنكير شي يفيد سقوط القصاص بالعفو عن بعضه ومن بعض الورثة
وفي ذكر اخيه تعطف الى العفو وايوان بان القتل لا يقطع اخوة الايمان ومن مبتدا شرطية او مو

صولة

والخير فاتباع اي فعلى العافي اتباع القاتل بالمعروف بان يطالبه بالدية بلا عنف وترتيب الاتباع
على العفو يفيد ان الواجب احدهما وهو احد قولي الشافعي والثاني وهو الاصح عنده الواجب القصاص
عينا والدية بدل عنه فلو عفى ولم يبينهما فله الثاني فان قيل ان عفى يتعدى بعن لا باللام فما
وجه قوله تعالى لمن عفي له اجيب بان عفى يعدى الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان
وعن ذنبه قال تعالى عفى الله عنك وقال عفى الله عنها فاذي تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان
عما جناه كما تقول عفوت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كانه قيل فمن عفي
له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية واداء اي وعلى القاتل اداء الدية اليه اي العافي وهو الولي
باحسان اي بلا مطل ولا بخس ذلك الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة مما
فيه من التسهيل والنفع لان اهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية
وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص
والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى اي ظلم القاتل بان قتله بعد ذلك اي العفو
على الدية او مجانا فله عذاب اليم اي مولم في الاخرة بالنار وفي الدنيا بالقتل او اخذ الدية اجبي
عنها وقوله تعالى ولكم في القصاص حياة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة حيث جعل الشي
محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما
وذلك انهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة قال الزمخشري وكم قتل مهلهل باخيه كليب
حتى كاد يفني بنو وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التشاجر فلما
جاء الاسلام شرع القصاص كانت فيه حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع
عن القتل لان القاصد للقتل اذا علم انه ان قتل قتل يمتنع فيكون فيه بقاؤه وبقاؤهم بقتله
وفي المثل القتل انفى للقتل وقيل في المثل القتل قلل القتل وقيل المراد بالحياة الحياة الاخروية
فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يواخذ به في الاخرة بالنسبة للادي واما بالنسبة لله تعالى
فان تاب فكذلك والا فهو تحت المشيئة ثم نادى ذوي العقول الكاملة بقوله يا اولي الالباب
للتامل في حكمة القصاص من استفاء الارواح وحفظ النفوس ثم بين سبحانه وتعالى مشروعية ذلك
بقوله لعلكم تتقون القتل مخافة القود او تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة على القصاص
والحكم به والاذعان له وهو خطاب له فضل اختصاص بالامة كتب اي فرض عليكم اذا حضر احدكم
الموت اي حضرت اسبابه وظهرت اماراته ان ترك خيرا اي مالا نظيره قوله تعالى وما تنفقوا من خير وقيل
وقيل ما لا كثيرا مما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رجلا اراد الوصية فسالته كم مالك فقال
ثلاثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير فاترك

لعيالك

لعيالك وعن علي رضي الله تعالى عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فسمعه وقال
قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وقوله تعالى للوالدين والاقربين بالمعروف
اي بالعدل فلا يفضل الغني ولا يجاوز الثلث لما روي عن سعيد بن مالك رضي الله تعالى عنه قال جاءني النبي صلى
الله عليه وسلم يعودني فقلت يا رسول الله اوصي بمالي كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت
فالثلث قال الثلث والثلث كثير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير لك من ان تدعهم عالة
يتكففون الناس بايديهم اي يسالون الناس الصدقة باكفهم وقوله تعالى حقا مصدر قال
البيضاوي بتعا للزمخشري وغيره مؤكد لمضمون الجملة قبله اي حق ذلك حقا ورده ابو
حيان بان قوله تعالى على المتقين متعلق بحقا او صفة له وكل منهما يخرجه عن التاكيد
اما الاول فلان المصدر المؤكد لا يعمل انما يعمل المصدر الذي يحل الى حرف مصدري والفعل
او المصدر الذي هو بدل من اللفظ بالفعل واما الثاني فلان حقا مختص بالصفة فلا يكون مؤكدا
وقيل حقا نعت لمصدر كتب او اوصى اي كتبا او ايصاء حقا وقيل حال من مصدر احدهما معرفا
وقيل نصب على المفعولية اي جعل الوصية حقا على المتقين الله وهذا منسوخ باية المواريث
وبقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث بنا على الاصح
من ان الكتاب ينسخ بالسنة وان لم تتواتر وبذلك ظهر ما في قول بعضهم ان الكتاب لا ينسخ
بالسنة وان الاحاد يث بالاحاد فمن بدله اي غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اي
وصل اليه علمه وتحقق عنده فانما اثمه اي الايصاء المبدل على الذين يبدلونه والميت بريء منه
وفي هذا اقامة الظاهر مقام المضمر ان الله سميع لما وصي به الموصي عليم بفعل الوصي فيجازيه
عليه وفي هذا وعيد للمبدل بغير حق فمن خاف من موص اي توقع وعلم كقوله تعالى حتى يخافا
ان لا يقيما حدود الله اي علما وتوقعا وقرا حمزة باماله الالف بعد الخاء من خاف حيث جاء وقراه
شعبة وحمزة والكسائي بفتح الواو من موص وتشديد الصاد والباقون بسكون الواو وتخفيف
الصاد جنفا اي ميلا عن الحق بالخطا في الوصية او اثما بان تعمد الحيف في الوصية فاصلح بينهم بين
الوصي والموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل
الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم فيه وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم

وكون الفعل من جنس ما يوثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام هو لغة الامساك
عما تنازع فيه النفس ومنه قوله تعالى فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك
عن الكلام وفي الشرع الامساك عن المفطرات مع النية فانها معظم ما تشتهيه النفس كما كتب
على الذين من قبلكم من الانبيا والامم من لدن ادم الى عهد كم قال علي رضي الله تعالى عنه وانهم
ادم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما اخلى الله امة من افتراضها عليهم لم يفرضها
عليكم وهو كم وفي قوله تعالى كتب عليكم الى اخره توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطييب
على النفس وفي هو ضع التشبيه في كاف كما كتب قولان احدهما ان التشبيه في حكم الصوم
وصفته لانه في عدده قال سعيد بن جبير كتب عليهم اذا نام احدهم قبل ان يطعم انه لم يحل له
ان يطعم الى الليلة القابلة والنسا عليهم حرام ليلة الصيام وهو عليهم ثابت وقدار خص لكم هذا
فعلى هذا تكون هذه الاية منسوخة بقوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الاية فانها فرقت
بين صوم اهل الكتاب وبين صوم المسلمين والثاني انه كصومهم في عدد الايام لما روي
ان رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان اي وهو بضم الميم موت يقع على الماشية
فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين وقيل كان يقع في الحر الشديد وكان شق عليهم
في اسفارهم وبضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمايهم ورويسايهم على ان يجعلوا صيامهم
في فصل من السنة بين الشتا والصيف فجعلوه في الربيع وقالوا نزيد عشرة في يوما يكفرها
ما صنعنا قال السدي عن مشايخه وقيل زادوا فيه عشرة ايام اولا كفارة لما صنعوا فصار
اربعين يوما ثم ان ملكهم اشتكى فنذر فجعل لله عليه ان هو شفي من وجعه ان يزيد في صومهم
اسبوعا فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك وليهم ملك اخر فقال اتموه خمسين يوما
وعلى هذا تكون الاية محكمة لا منسوخة لعلكم تتقون بصومكم للمعاصي فان الصوم يكسر الشهوة
التي هي مبدوها كما قال عليه الصلاة والسلام يا معشر الشباب من استطاع منكم الباة اي مؤن
النكاح فليتزوج فانه اغض للبصر واحفظ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء اي
قاطع لشهوته او لعلكم تتقلون في زمرة المتقين لان الصوم شعار هم وقوله تعالى اياما بفتح
بصوموا مقدر الدلالة الصيام عليه لا بالصيام لوقوع الفصل بينهما معدودات اي قلايل
كقوله تعالى دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويحكر فيه والكثير بالمال
فيكال ويحثى حثيا او موقتات بعدد معلوم وهي رمضان كما يأتي وقل الله تسهيلا على المكلف وقيل
هي عاشورا وثلاثة ايام من كل شهر كتب علي رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخ

بشهر

شهر رمضان فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر اي مسافرا غير
قصر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر في حوف
الشرط وهو ان افطر والمضاف وهو صوم والمضاف اليه وهو ايام المرض والسفر للعلم بها
واختلفوا في المرض الذي يبيح الفطر والاصح فيه ما قدرناه وذهب اهل الظاهر الى ان ما يطلق
عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين فقد دخل عليه في رمضان وهو يأكل وهو
فاعتل بوجع اصبعه وفي السفر الذي يباح فيه الفطر والاصح فيه ايضا ما قدرناه وهو مرحلتان
وقال الاوزاعي اقله مرحلة وقال ابو حنيفة واصحابه ثلاثة ايام وعلى الذين يطيقونه
اي ان افطروا فدية هي طعام مسكين اي قدر ما يأكله في يوم وهو مد على الاصح من غالب
قوت بلده وقال بعضهم نصف صاع من القمح او صاعا من غيره وقال بعضهم ما كان المفطر
يتقوته يومه الذي افطره وقال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاه وسحوره واختلف العلما
في تاويل هذه الاية وحكمها فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة بن الاكوع ع
وغيرهما وذلك انهم كانوا في صدر الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا
فنسخ الله تعالى ذلك بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال ابن عباس ان الحامل والمرضع اذا افطرتا خوفا على الولد
فانها بالغية بلا نسخ في حقهما وذهب جماعة منهم الى ان الاطاقة لا مقدرة في الاية اي وعلى الذين
لا يطيقونه لكبر او مرض لا يرجى برؤه فدية وهو قول سعيد بن جبير وجعل الاية محكمة وهو
قراءة نافع وابن ذكوان بغير تنوين في فدية وخفض الميم من طعام والباقون بتنوين فديه
ورفع الميم من طعام وقرا نافع وابن عامر مساكين بفتح الميم والسين والف بعد السين وفتح
النون والباقون بكسر الميم وسكون السين ولا الف بعدها وكسر النون منونة فمن تطوع خيرا
بالزيادة على القدر المذكور في الفديه فهو اي التطوع خير له اي من الافطار والفدية
فيشيكم الله عليه وان تصوموا اي ايها المطيقون مبتدا خبره خير لكم اي من الافطار والفدية
ان كنتم تعلمون اي ما في الصوم من الفضيلة وبراة الذمة وجواب ان كنتم محذوف دل عليه
خير لكم اي فالصوم خير لكم وقوله تعالى شهر رمضان مبتدا خبره ما بعده او بدل من الصيام
في قوله كتب عليكم الصيام بدل اشتمال او بدل كل من كل او قدر رمضان او خبر مبتدا محذوف
تقديره ذلكم شهر رمضان والشهر من الشهور ر رمضان مصدر رمض اذا احرق فاضيف اليه
الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون فان قيل اذا كانت التسمية واقعة مع
المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جا في الاحاديث من نحو قوله صلى الله عليه وسلم من صام

رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقوله صلى الله عليه وسلم بعد من ادرك رمضان
فلم يغفر له اجيب بان ذلك على حذف المضاف لان اللبس قال التفتازاني وجاز الحذف مع الاعلام
واذكان من قبيل حذف بعض الكلمة لانهم اجروا مثل هذا العلم مجرى المضاف والمضاف اليه حيث
اعربوا الجزئي وانما سماه العرب بذلك امالارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش واما لارتماض
الذنوب فيه وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها
فوافق هذا الشهر رمضان الحر فالاية اللغة كان اسما الشهور في اللغة القديمة موتمر ناجر
خوان وبصان حنين وربه الاصم وعل ناتق عادل هواع برك محرم صفر
ربيع اول ربيع الثاني جمادي اول جمادي الثاني رجب شعبان رمضان شوال ذي القعدة ذي الحجة
على الترتيب وسمي المحرم لتحريم القتال فيه وصفر لخلو مكة عن اهلها الى الحروب والربيعان لانباع الناس
فيهما اياقاتهم وجماديان لجمود الماء فيهما ورجب لترجيب العرب اياه اي تعظيمهم له وشعبان لتشعب
القبايل فيه ورمضان لرمض الفصال فيه وشوال لشول اذناب اللواقح فيه وذو القعدة هم
للقعود فيه عن الحرب وذو الحجة لحجهم فيه الذي انزل فيه القران جملة من اللوح المحفوظ الى
السما الدنيا ليلة القدر ثم نزل منجما الى الارض وقيل ابتدي فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر وقيل
انزل في شانه القران وهو قوله تعالى كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انزلت صحف ابراهيم
اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع
وعشرين رواه الامام احمد وغيره فايدة قال ابن عادل يروي ان جبريل عليه السلام نزل
على ادم اثني عشر مرة وعلى ادريس اربع مرات وعلى ابراهيم اثني واربعين مرة وعلى نوح خمسين مرة
وعلى موسى اربعماية مرة وعلى عيسى عشر مرات وعلى محمد صلى الله عليه وسلم اربعة وعشرون الف
مرة بعوها في المعرف والمنكر حيث جاء وكذا يقرا حمزة في الوقف وقوله تعالى هدى للناس هو
وبينات من الهدى والفرقان حالان من القران اي انزل وهو هداية للناس باعجازه من الضلالة
الى الحق وهو ايات واضحات هما يهدي الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل مما فيه من الحكم والاحكام
فان قيل فما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى للناس اجيب بانه تعالى ذكر اولا انه
هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدي به الله وفرق به الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية
للهادية الفارقة بين الهدي والضلال فمن شهد اي حضر منكم الشهر فليصمه وقوله تعالى ومن
كان مريضا او على سفر اي فاطر فعدة من ايام اخر تقوم مثله وكرر ليلا يتوهم نسخه بتيمم
من شهد يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح
لكم الفطر في المرض والسفر واختلفوا هل الفطر في السفر افضل او الصوم والاصح انه ان شق

عليه

عليه الصوم فالفطر افضل والا فالصوم وروي عن ابن عباس وابو هريرة وعروة ابن الزبير
وعلي ابن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضا واحتجوا بقول
النبي صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر واجاب الاول عن الحديث بانه محمول
على من يشق عليه الصوم فقول جابر ابن عبد الله رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان في سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا هذا صايم فقال
صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر والدليل على جواز الصوم في السفر قول ابي
سعيد رضي الله تعالى عنه كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فمنا الصا
ومنا المفطر فلا يعيب الصايم على المفطر ولا المفطر على الصايم وقوله تعالى ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون اي الله على نعمه علل كفعل محذوف دل عليه
ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بالقضا وبر اعا
عدد ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله تعالى ولتكملوا العدة علة الامر هـ
بمراعاة العدة وقوله تعالى ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضا والخروج عن عهدة الفطر
وقوله تعالى ولعلكم تشكرون علة الترخيص تعظيم الله تعالى بالحمد والثنا عليه ولذلك عد
نوع من اللق والنشر لطيف المسلك ومعنى التكبير تعظيم الله تعالى بالحمد والثنا عليه ولذلك
عدي بحرف الاستعلا لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم
وقيل تكبير عيد الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وقراشعبة ولتكملوا بتشديد
الميم والباقون بسكون الكاف وتخفيف الميم تنبيه ورد في فضل شهر رمضان وثواب الصايمين
اخبار منها ما رواه ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين
ومردة الجن وغلقت ابواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت ابواب الجنة فلم يغلق منها باب وناد ي
منا ويا باغي الخير اقبل ويا باغي الشر اقصر ولله عتقا من النار وذلك كل ليلة ومنها ما رواه ايضا
انه صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام
ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومنها ما رواه سلمان قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في اخر يوم من شعبان فقال ايها الناس قد اظلكم شهر عظيم شهر فيه ليلة
القدر خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا من تقرب فيه بخصلة من
الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فيه فريضة كان كمن ادى
سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه
الرزق من فطر فيه صايما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل اجره من غير ان

ينقص من اجره شيء قالوا يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي
الله هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن او تمرة او شربة ماء ومن اشبع صائما سقاه الله عز
وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة وهو شهر اوله رحمة واوسطه مغفرة واخره
عتق من النار فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى لكم
عنهما فاما اللتان ترضون به هن الشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنى لكم
عنهما فتسألون الله الجنة وتعوذون به من النار وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه
لي وانا اجزي به يدع طعامه وشهوته من اجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند
لقاء ربه ولخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك والصوم جنة وعن سهل ابن سعد انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا
الصائمون وعن ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصيام والقران يشفعان للعبد
يقول الصيام ربي اني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القران ربي منعته
النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان وسال جماعة النبي صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزل واذا سالك عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل
للحال عليه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم ونحوه
قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله تعالى اجيب دعوة الداع اذا دعاني
اي بالاثابة ما سال تقرير للقرب ووعد للداعي بالاجابة وقرا ورش وابو عمرو باثبات الياء
فيهما وصلا لا وقفا واختلف عن قالون فيها والباقون بحذفها وصلا ووقفا فان قيل ما وجه
قوله تعالى اجيب دعوة الداع وقوله ادعوني استجب لكم وقد يدعو كثيرا فلا يجاب
باجابتهم اختلفوا في الايتين فقيل معنى الدعاء هنا الطاعة ومعنى الاجابة الثواب وقيل معنى
الايتين خاص وان لفظهما عام تقديره اجيب دعوة الداع ان شئت كما قال تعالى فيكشف ما
تدعون اليه ان شاء واجيب دعوة الداع ان وافق القضاء واجيبه ان كان الاجابة خيرا له
واجيبه ان لم يرد ما دعا وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستجاب الله لاحدكم ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا وما الاستعجال
يا رسول الله قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم ار يستجاب لي فيتحسر عند
ذلك فيدع ان يترك الدعاء وقيل هو عام ومعنى قوله اجيب اي اسمع ويقال ليس في الاية اكثر
من اجابة الدعوة فاما اعطاء الامنية فليس مذكورا فيها وقد يجيب السيد عبده او الوالد ولده
ثم لا يعطيه سوله فالاجابة كائنة لا محالة عند حصول الدعوة وقيل معنى الاية انه لا يخيب دعاء

فان قدر

فان قدر له ما سال اعطاه وان لم يقدر له اذخر الثواب له في الاخرة او كف عنه به سوء قوله صلى
الله عليه وسلم ما على الارض رجل مسلم يدعو الله بدعوة الا اتاه الله اياها او كف عنه من
السوء مثلها ما لم يدع باثم او قطيعة رحم وقيل ان الله يجيب دعوة المومن في الوقت
ويوخر اعطاء مراده ليدعوه فيسمع صوته ويعجل اعطاء من لا يحبه لانه يبغض صوته وقيل
ان للدعاء اداب وشرايط وهي اسباب الاجابة فمن استكملها كان من اهل الاجابة ومن اخل بها
فهو من اهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم وقوله تعالى وليومنوا بي امر بالثبات والمداومة على
الايمان لعلهم يرشدون والرشد اصابة الحق احل لكم ليلة الصيام اي الليلة التي تبيتون
منها صائمين الرفث الى نسائكم الرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو عن رفث وهو
الافصاح بما يجب ان يكني عنه كلفظ الوطي والجماع فانه يجب ان يكني عنه بلازم من لوازمه
كالرفث وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وكني عن الجماع هنا بلفظ الرفث الدال على معنى
القبح لان قوله وقد افضى بعضكم الى بعض استحيا نا لما وجد منهم قبل الاباحة ولذلك اتجاه
فيما ياتي ضيانة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله حيي كريم يكني كل ما ذكر في القران
من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول فالرفث انما عني به الجماع وقال الزجاج الرفث
كلمة جامعة لكل ما يريد الرجال من النساء قال اهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر الرجل
حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى الليل ثم ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه واقع اهله
بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني اعتذر الى الله والى ك من نفسي هذه الخاطية اني رجعت الى اهلي بعد ما صليت
العشاء فوجدت رائحة طيبة فنوليت لي نفسي فجامعت اهلي فهل تجد لي من رخصة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال واعترفوا بمثله فنزل في عمر واصحابه
هذه الاية وفي تجويز المباشرة في جميع الليل على جواز تاخير الغسل الى الفجر صحة صوم المصبح
جنبا هن لباس لكم وانتم لباس اي سكن لهن كما قال تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وكما قيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين الى الاخر وقيل سمي كل واحد
من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم وتعانقهما واجتماعهما في ثوب واحد حتى يصير كل
واحد من الزوجين لصاحبه كالثوب الذي يلبسه قال المجدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا والضجيع المضاجع وما زايدة وثنا عطفها اما لشقها وتثنت
مالت والشاهد في قوله فكانت عليه لباسا وقيل ان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور

كما جاني الخبر من تزوج فقد احرز ثلثي دينه علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم اي تظلمونها
بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب بالمجامعة بعد النوم كما وقع ذلك لعمر وغيره ه
وقال البراء لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم
فانزل الله هذه الاية فتاب عليكم اي قبل توبتكم وعفى عنكم اي محى ذنوبكم ولم يعاملكم
معاملة العفو لانه واوي فالان اي اذا نسخ عنكم التحريم باشروهن اي جامعوهن جلا لا وسمى المجامعة
مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد منهما بصاحبه وابتغوا اي واطلبوا ما كتب الله لكم اي ما قدر
لكم واثبت في اللوح المحفوظ من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لا بتغاء
ما وضع الله له النكاح من التناسل وقصد العفة وقال مجاهد ابتغوا الولد فان لم ترزقوه فهو
وقال مقاتل وابتغوا الرخصة التي كتب الله لكم باباحة الاكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ
وقيل وابتغوا المحل الذي كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وقيل هو
نهي عن العزل لانه في الغرائب وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من
الفجر اي الصادق نزلت في رجل من الانصار قال عكرمة اسمه ابو قيس وذلك انه ظل نهاره يعمل
في ارض وهو صايم فلما امسى رجع الى اهله فقال لامرأته قومي الطعام واردت المرأة
ان تطعمه شيا سخنا فاخذت تعمل له في شيء وكان في ابتداء الاسلام من صلى العشا او نام
قبلها حرم عليه الطعام والشراب فلما فرغت من طعامه اذ هو قد نام وكان قد اعيى وكلها
تايقظه فكره ان يعصي الله ورسوله وابى ان ياكل فاصبح صايما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى
غشي عليه فلما افاق اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راه قال ابى قيس مالك امسيت طليحا
فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وقد شبه سبحانه
وتعالى اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود
واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه ويصح ان تكون
من للتبعيض فان ما يبدو وبعض الفجر وعلى كل منهما فهي مع مدخولها في محل الحال والمعنى
على التبعيض حال كون الخيط الابيض بعضا من الفجر وعلى البيان حال كونه هو الفجر فان قيل
كيف التبس على عدي ابن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود
فجعلتهما تحت وسادتي فجعلت انظر من الليل فلا يتبين لي الاسود من الابيض فلما اصبحت
غدوت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك اذا لعريضا
وروي انك لعريض القفا انما ذلك بياض النهار من الليل اجيب بانه عقل عن البيان ولذلك
عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلادة الرجل وقلة فطنته وهو

وقال سهل

وقال سهل بن سعد الساعدي نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا اراد الصوم
ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينهما فانزل
الله تعالى بعد ذلك من الفجر فان قيل كيف جاز فعل ذلك في رمضان مع تاخير البيان
وهو شبيه العبث حيث لا يفهم منه المراد اجيب بان ذلك كان قبل دخول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جايز او الكنفي اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان
لما التبس على بعضهم ثم اتموا الصيام من الفجر الى الليل اي الى دخوله بغروب الشمس لحديث
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبل الليل
من ههنا وادبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد افطر الصايم اي دخل وقت افطاره ه
تنبيه انما قدرت في الاية الكريمة من الفجر ليدل على عدم جواز النية في النهار في صوم
رمضان كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه ولان الى يكون للغيا بها يقتضي شيا
فشيا والاتمام فعل الجزء الاخير فقط وهو لا يقتضي ذلك وفي الاية دليل على نفي الوصال
لانه تعالى جعل الليل غاية الصوم وغاية الشي منتهاه وما بعدها بخالفه ما قبلها ولا ه
تباشروهن اي نساكم وانتم عاكفون اي مقيمون في المساجد نزلت في قوم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يعتكفون في المسجد
فاذا عرضت لاحدهم الحاجة الى اهله خرج اليها فجامعها ثم اغتسل ثم يرجع الى المسجد فنهوا
عن ذلك ليلا ونهارا حتى يفرغوا من اعتكافهم وفيه دليل على ان الاعتكاف لا يختص
بمسجد دون مسجد وان يكون في المسجد لا في غيره اذ ذكر المساجد لا جايز ان يكون لجعلها
شرطا في منع مباشرة المعتكف لمنعه منها وان كان خارج المسجد ويمنع غيره ايضا منها فيها
فتعين كونه شرطا لصحة الاعتكاف وان الوطي محرم في الاعتكاف وغيره لان النهي في العبا
يوجب الفساد اما ما دون الجماع من المباشرات فان كان بشهوة فحرام ولا يبطل اعتكافه
ان لم ينزل فان انزل وكان بلا حايل فكالجماع والا فلا فعن عايشة رضي الله تعالى عنها انها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف ادنى الي راسه فارجله وكان لا يدخل البيت
الا لحاجة الانسان تلك الاحكام المذكورة وهي قوله تعالى فالان باشروهن الى قوله تعالى
في المساجد حدود الله حدوها العباد ه ليتقوا عندها فلا تقربوها نهي تعالى ان يقرب الحد
الحاجز بين الحق والباطل ليلا يدنو الباطل فضلا ان يتخطى عنه وهذا ابلغ من قوله تعالى في
اية اخرى فلا تقتدوها لكن في ذلك ما مورات وهي لا تنهى عن قربانها فالمراد منها اضدادها
بناء على ان الامر بالشي نهي عن ضده او مستلزم له ليصح النهي عن قربانها ويجوز ان يراد بحدود الله

دات

محارمه ونواهيه وعلى هذا فالنهي عن القربان ظاهر كما قال عليه الصلاة والسلام ان لكل
ملك حمى وان حمى الله في ارضه محارمه فمن يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه رواه الشيخان
كذلك اي كما بين لكم ما ذكر يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون اي لكي يتقوا مخالفة الاوامر
والنواهي فينجوا من العذاب ولا تاكلوا اموالكم بينكم اي لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل اي
الحرام شرعا كالغصب والسرقة وقوله تعالى وتدلوا بها وتدلوا بخرم داخل في حكم النهي ومنصوب
باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا بها اي بحكومتها او بالاموال رشوة الى الحكام لتاكلوا
بالتحاكم فريقا اي طائفة من اموال الناس بالاثم اي بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين
الكاذبة او متلبسين بالاثم غالبا اما الليتة فتكون متعلقة بتاكلوا او للمصاحبة فتتعلق
بمحذوف وتكون مع مدخولها حالا من فاعل تاكلوا وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب
المعصية مع العلم اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض
ولم يكن له بينة فحلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرئ القيس فهم بالحلف فقرا
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية
عن اليمين وسلم الارض عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ في باطن الامر
وفيه خلاف ظاهر ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لخصمين اختصما اليه انما انا بشر وانتم تختصمون
لدي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته اي اقوم واقدر عليها من بعض فاقضي له على ما اسمع منه فمن
قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي
فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل منكما صاحبه وسال معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يملا نورا ويستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حالة واحدة كالشمس فنزل يسالونك يا محمد عن
الاهلة جمع هلال مثل رداء وارديه والهلال اسم له اول الليلة الاولى والثانية والثالثة وبعدها
يسمى قمرا وهنا سماه باول حالاته لان الناس يرقبون اصواتهم بالذكر عند رويته مرقوبهم
استهلال الصبي اذا صرخ حين يولد قل هي مواقيت جمع ميقات اي معالم للناس يعلمون بها
اوقات تزرعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصيامهم وافطارهم وعدد نسايهم وايام حيضهن
ومدة حملهن وغير ذلك وقوله تعالى والحج عطف على الناس اي يعلمون بها وقته اداء وقضاء هو
هي الحكمة الظاهرة في ذلك ولذلك حالتي بين الاهلة وبين الشمس فلو استمرت الاهلة على حالة
لم يعرف حال ما ذكر ولما كان الناس في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم بالحج او
العمرة لم يدخل حايطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته ويدخل

منه

منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخيمة وانفاطها
ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم
قريش وكنانة وخزاعة وثقيف وبنو عامر بن صعصعة وبنو نصر بن معاوية سموا بذلك
لشدتهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
بيتا لبعض الانصار فدخل رجل من الانصار فقال له رفاعة بن تابوت على اثره من الباب
وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم
قال رايتك دخلت فدخلت في اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني احمس فقال الرجل
فان كنت احمسا فاني احمس رضيت بهداك وسمتك ودينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تاتوا
البيوت من ظهورها ولكن البر اي ذا البر من اتقى الله بترك مخالفته ووجه اتصال هذه الاية
بما قبلها انهم سالوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وعن حكم دخولهم بيوتهم من غير ابوابها فانه
تعالى لما ذكر انها مواقيت للحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد وانهم لما سالوا عما لا
يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السوال عما يعنيهم وهو معرفة الحلال والحرام ويحتمل بعلم
النبوة عقب بذكره جواب ما سالوه تنبيها على ان اللايق بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا
بالعلم بها او على ان المراد به التنبيه على تعليمهم السوال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل
من ورايه والمعنى وليس البران تفكسوا في مسايلكم ولكن من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله
واتوا البيوت من ابوابها في الاحرام كغيره اذ ليس في العدول برا ولا بشر والامور مرجوعة
التي يجب ان تباشر عليها والمراد توطين النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله تقالى
حكم وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السوال من
الاتهام بمقارنة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون واتقوا الله في تغيير الاحكام لعلكم تفلحون
اي لكي تفوزوا بالهدى والبر وقرا ورش وابو عمرو وحفص البيوت بضم الباء حيث جاء مرفوعا
كاذا ومنكرا وكسرها الباقون ولا خلاف في وليس البر هنا ان البر مرفوعة للجميع وقرا نافع
وابن عامر ولكن بكسر النون مخففة ورفع الراء والباقون بفتح النون مشددة ونصب الراء والمعاصد
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت عام الحديبية وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج مع اصحابه للعمرة وكانوا الفا واربعماية فساروا حتى نزلوا الحديبية فصدهم المشركون
عن البيت الحرام وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فيطوف بالبيت فلما كان
العام المقبل تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم للعمرة القضا وخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم
ويقاتلوهم في الحرم والاحرام والشهر الحرام وكره المسلمون ذلك فنزل وقاتلوا اي جاهدوا في سبيل الله

هها

لاعلاكلمته واعزاز دينه لايحب المعتدين اي لايريد بهم الخير لانه غاية المحبة اذ المحبة
حقيقتها محال في حقه تعالى لانها ميل النفس وسبب ذلك انهم كانوا ممنوعين من قتال الكفار
وامروا بالصبر على اذاهم بقوله تعالى لتبلون في اموالكم وانفسكم الاية ثم امروا به اذا ابتدوا به
بهذه الاية ثم ابيح لهم ابتداؤه في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم
الاية ثم امروا به مطلقا من غير تقييد بشرط ولا زمان بقوله تعالى واقتلوهم حيث ثقفتموهم
اي وجدتموهم في حل او حرم وقرا ابو عمرو بادغام الثاني الاول ثابتا وقلا عنه حيث جا
واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بهم يوم فتح مكة عام الفتح والفتنة اي
الشرك منهم اشد اي اعظم من القتل لهم في الحرم او الاحرام الذي استعظمتموه او المحنة التي
يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها قيل لبعض
الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت وقال الفاضل لقتل حد السيوا هون موقعا
على النفس من حد بقتل فراق وقيل الفتنة عذاب الاخرة كما قال تعالى وقوا فتنتكم ولا تقاتلوهم
اي لاتبدوهم عند المسجد الحرام اي في الحرم حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فيه فاقتلوهم فيه فانهم
الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم بفتح التا الفوقية من تقتلهم
واليا من يقتلوكم وسكون القاف ولا الف بعد القاف وضم التا فيهما والباقون بفتح التا واليا وفتح
القاف وبعد القاف الف وكسر التا واما فان قاتلوكم فحذف حمزة والكسائي الالف واثبتها الباقون
والمعنى على قراة حمزة والكسائي حتى يقتلوا بعضكم حملا وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم
كقول العرب قتلنا بنو اسد الى بعضهم وقال بعضهم وان تقتلونا نقتلكم كذلك اي القتل
والاخراج جزا الكافرين اي يفعلوا بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله
غفور يغفر لهم ما قد سلف رحيم بهم فلا يواخذ بذلك وقاتلوهم حتى لا تكون اي توجد
فتنة اي شرك ويكون الدين اي العبادة لله وحده لا يعبد سواه فان انتهوا عن الشرك فلا
تعتدوا عليهم بعد علي هذا فلا عدوان اي اعتداء بقتل او غيره الا على الظالمين اي فلا تعتدوا
على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم والفا الاولى للتعظيم والثانية للمجازاة وسمي جزا الظالمين
عدوانا للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه الشهر الحرام اي المحرم مقابل
بالشهر الحرام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست وصده
المشركون عن البيت بالحديبية ورجع في العام القابل في ذي القعدة وقضى عمرته سنة ج
واستعظم المسلمون قتالهم في الشهر الحرام نزلت هذه الاية اي هتك الشهر بذلك وهتكه بهتكه
فلا تبالوا به وقوله تعالى والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ

عليها

عليها يجري فيه القصاص وانما جمعها لانه اراد حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الاحرام
اي فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان
قاتلوكم اي كما قال تعالى فمن اعتدى عليكم بالقتال في الحرم او الاحرام او الشهر الحرام فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم سمي الجزا باسم الاعتداء على ازدواج الكلام كقوله تعالى وجزا
سيية سيية مثلها واتقوا الله اي في الانتصار لا تقسم منهم ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا
ان الله مع المتقين بالعون والنصر فينصرهم ويعلي شانهم وانفقوا في سبيل الله اي طاعته سوا
الجهاد وغيره ولا تلقوا بايديكم اي بانفسكم عبر بالايدي عن الانفس كقوله تعالى بما كسبت
ايديكم اي بما كسبتم والباز ايوة الى التهلكة اي الهلاك بالامساك عن النفقة في الجهاد والاثار
فيها حتى حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي
ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس القي بيده الى التهلكة فقال
ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنصرناه وشهدنا معه المشاهد واثرناه على اهلينا واولادنا واموالنا فلما فشا الاسلام وكثر
اهله ووضعت الحرب اوزارها رجعنا الى اهلينا واولادنا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت
التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد فما زال ابو ايوب يجاهد في سبيل الله حتى كان
اخر غزوة غزاها بقسطنطينية في زمن معاوية فتوفي هناك ودفن في اصل سورها وهم
يستسقون به ويروي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق وقال محمد بن سيرين
وعبيدة المسلماني الالقا الى التهلكة هو القنوط من رحمة الله تعالى قال ابو قلابة هو الرجل يصيب
الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فيياس من رحمة الله ويترك في المعاصي فنهاهم الله
تعالى عن ذلك كما قال تعالى انه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون واحسنوا اي اليه
بالنفقة وغيرها ان الله يحب المحسنين اي يثيبهم واتموا الحج والعمرة لله اي ادوهما بحقوقهما
وفي الاية حينيذ دليل على وجوبهما اذ الامل في الامر الوجوب وما روي عن جابر انه قيل
يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ومعنى ما روي ان رجلا قال للعمر رضي الله تعالى
عنه اني وجدت اي علمت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة
نبيك ولا يقال انه فسر واجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما لانه رتب الاهلال دون
العلم وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روي ذلك عن علي وابن عباس رضي
الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصهما

للعبادة ولا شئ بها شبي من التجارة والاغراض الدنيوية فان احصرتم اي منعتم عن اتمامهما
يقال حصره واحصره العدو اذا منعه قال تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال القائل وما
حج ليلى ان تكون تباعدت عليك ولا انا احصرتك شغول لكن الاشهر ان يقال في العدو حصره
وفي المرض احصره والمراد هنا حصر العدو لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزول الاية في الحديبية
ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا حصر الا حصر العدو واما روي عنه عليه الصلاة
والسلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فمحمول على شرطه لقوله عليه الصلاة والسلام
لضباعة بنت الزبير بي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني ومحلي بكسر الحاء محل
الحل والحصر ويجوز ان يكون مصدرا ميميا فما استيسر من الهدي اي فان اردتم التحلل
فعليكم ما استيسر او فالواجب او فاهدوا ما استيسر من الهدي وهو بدنة او بقرة او شبع من
احدهما او شاة يذبحها حيث احصر من حل او حرم عند الاكثر لانه عليه الصلاة والسلام
ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وقيل لا بد ان يبعث به الى الحرم لقوله تعالى ولا تحلقوا
رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله
اي مكانه الذي يجب ان يذبح فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه
فيه لانه لو كان واجبا لكان يتوجه ارساله الى الحرم حتما وهو خلاف ابي حنيفة وافتقاره
تعالى على الهدي دليل عدم القضاء كما قاله الشافعي وذهب ابو حنيفة الى وجوب
القضاء ولا بد من نية التحلل عند الذبح والحلق او التقصير بعده مع نية التحلل وبذلك
يحصل التحلل والمحل ما للكسر يطلق للمكان والزمان فمن كان منكم مريضا اي مرضا يحوجه الى
الحلق او به اذى من رأسه كقمل وصداع فحلق في الاحرام ففدية اي فعليه فدية ان حلق
ولو بعض شعر رأسه ثلاث شعرات فاكثر ولا من صيام وهو ثلاثة ايام او صدقة وهي ثلاثة
اصع من غالب قوت البلد على ستة مساكين لكل واحد نصف صاع او نسك وهو بدنة او بقرة
او شبع واحد منهما او شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك
اذاك هوامك رأسك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين
او انسك شاة وكان كعب يقول انزلت في خاصة هذه الاية وهي للتخيير والحق بالمعذور من حلق لغير عذر
لانه اولى بالكفارة وكذا من استمتع بغير الحلق كالطيب واللبس والدهن لعذر او غيره فاذا امنتم
من العدو وكان ذهب وكنتم في حال سعة وامن فمن تمتع بالعمرة اي بسبب فراغه منها بمحظورات
الاحرام الى الحج اي الاحرام به بان يكون احرم بها في اشهره فما استيسر اي فعليه ما تيسر من
الهدي وهو ما تقدم يذبحه بعد الاحرام بالحج ويجوز تقديمه على الاحرام به بعد الفراغ من العمرة

فمن لم يجد اي الهدي لفقده او فقد ثمنه فصيام اي فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في حال الاحرام
به ولا يجوز له ان يقدمه على الاحرام لانه عبادة بدنية فلا يجوز تقديمه على وقته ولا تاخيره
عنه والافضل ان يحرم قبل السادس لكراهة صوم عرفة ولا يجب عليه ان يحرم قبل زمن يسع
الصوم بل يستحب له لكن اذا احرم وجب عليه الصوم ولا يجوز ان يصوم يوم النحر ولا ايام
التشريق على اصح قولي الشافعي وهو ما عليه الاكثر وسبعة من الايام اذا رجعتم الى وطنكم
مكة او غيرها وقيل اذا فرغتم من اعمال الحج وفيه التفات عن الغيبة وفائدة قوله تعالى تلك
عشرة اي لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين الا تريد انه لو جالسهما
جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين
فيتأكد العلم فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وفي امثال العرب علما ان خيرا من علم وان المراد
بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما وقوله تعالى كاملة صفة موكدة تفيد المبالغة
في محافظة العدد بان لا ينها ون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك هما
بأمرتا مره به وكان منك بمنزلة الله الا لا تقصير او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل
اذ به تنتهي الاحاد ويعم مراتبها وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي بحيث لا يتضرر بوجه
الصوم عن ثواب الهدي ذلك اي الحكم المذكور من وجوب الهدي او الصيام على من تمتع
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهم من مسافتهم دون مرحلتين من الحرم لغير بهم
منه والقريب من الشئ يقال انه حاضره قال تعالى واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
اي قريبة منه وذكر الاهل اشعارا باشتراط الاستيطان فلو اقام قبل اشهر الحج ولم يتوطن
وتمتع فعليه دم وهو اصح قولي الشافعي والثاني لا والاهل كناية عن النفس والحق بالمتمتع
فيما ذكر بالسنة القارن وهو من يحرم بالعمرة والحج معا او يدخل الحج عليها قبل الطواف واتقوا
الله في المحافظة على اوامره ونواهيه خصوصا في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن خالفه ليكون على حذر منه شديد عقابه لطفا لكم في التقوى الحج اشهر اي وقته كقولك البرد
شهران معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر
عندنا والعشر كله عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وعلى الاولين انما سمي شهرين وبعض
شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد كما في قوله تعالى فقد
صغت قلوبكما المحفصة وعايشة فمن فرض على نفسه فيهن الحج بالاحرام به عندنا او بالتلبية
او سوق الهدي عند ابي حنيفة وفيه دليل على ان من احرم بالحج في غير اشهر الحج لا ينعقد احرامه
بالحج وهو قول ابن عباس وجماعة من الصحابة واليه ذهب الاوزاعي والشافعي وقال ينعقد احرامه

عمرة لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص
فايدة كما انه تعالى علق الصلاة بالمواقيت ثم من احرم بفرض الصلاة قبل دخول وقته لا ينعقد
احرامه عن الفرض وانما انعقد عمرة لان الاحرام تشويه التعلق وذهب جماعة الى ان احرامه ينعقد بالحج
وهو قول مالك والثوري وابي حنيفة اما العمرة فجميع السنة وقت لها الا ان يكون عليه بقية
من اعمال الحج كالرمي فلا رفث اي جماع منه كما قال ابن عباس وجماعة من الصحابة وقيل الرفث بحضرة
النساء والقبلة والغمز وان يعرض لها بالفحش من الكلام وقيل هو الفحش والقول القبيح ولا
فسوق اي ولا خروج عن حدود الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات وقيل هو الكذب والتنابز
بالالقاب ولا جدال اي خصام مع الخدم والرفقة وغيرهما في الحج اي في ايامه فمعنى الثلاث
على قصد النهي للمبالغة وللدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كان منها مستقبحا في نفسه ففي الحج
اقبح كحبس المحرم في الصلاة والتقريب بقراءة القرآن وهو مد الصوت وتحسينه بحيث يخرج
الحروف عن هيئاتها فانه يقبح في كل الكلام لكنه في قراءة القرآن اقبح وقرأ ابن كثير وابو عمرو
برفع الثلاثة رفث والفاسق من فسوق والتنوين فيهما على معنى لا يكون رفث ولا فسوق
والباقون بنصبها ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف في المشعر
الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يفيضون الحج سنة ويوخرونه سنة وهو النسيء فرفع
الى وقت واحد وورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان
المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم
يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير كصدقة يعلمه
الله فيه حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن
ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وتزودوا فان خير
الزاد التقوى اي وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد روي البخاري وغيره ان اهل اليمن
كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيته افلا يطعمنا فيكونون
كلا على الناس فيسالونهم وربما يفضي لحالهم الى النهب والغصب وقال الله جل ذكره وتزودوا
ايما تبلغون به وتكفون به وجوهكم قال اهل التفسير الكعك والزيت والسويق والتمر
ونحوها فان خير الزاد التقوى اي ما يتقى به سوال الناس وغيره واتقون يا اولي الالباب
اي ذوي العقول فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بها هو الله تعالى فيثير امن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المجرد عن شوايب الهوى فلذلك
خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا ايها رزقا من

من ربكم بالتجارة في الحج فنزلت ردعا للناس من العرب كانوا يتاثمون اي يتحرجون ايام الحج
واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يحرج بالتجارة الداج
ويقولون هو لا داج وليسوا بالحجارة وروى البخاري انه كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز
اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام
تاثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قيل له هل كنتم
تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وعكاظ سوق لغير ومجنة
وهي بفتح الميم اشهر من كسرها وبفتح الجيم وتشديد النون سوق كنانة بمر الظهران وذو المجاز
بفتح الميم وبالزاي سوق لهذيل فاذا افضتم دفعة من عرفات واصله افضتم
انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعوا من موضع كذا اي دفعوا انفسهم واختلفوا
في المعنى الذي سمي من اجله الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبريل عليه السلام
يري ابراهيم عليه الصلاة والسلام المناسك ويقول عرفت فيقول عرفت فسمي المكان
بذلك عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك كان ادم عليه الصلاة والسلام لما اهبط وقع في
الهند وحواء بجدة فجعل كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة فتعارفا
فسمي المكان واليوم بما ذكر وقال السدي لما اذن ابراهيم في الناس بالحج واجابوا بالتلبية واتاه من
مر اتاه امره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فلما بلغ الجمرة الاولى استقبله الشيطان بسبع
بسبع حصيات يكبر مع كل حصوة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار ووقع على
الجمرة الثالثة فرماه وكبر فلما راى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق الى ابراهيم حتى اتى
ذا المجاز فلما نظر اليه لم يعرفه فجاز فسمي المكان واليوم بما ذكر فان قيل هلا صرفت العرف
وفيها السببان العلمية والتانيث اجيب بان التانيث لا يخلوا اما ان يكون بالتا التي في
لفظها واما بتا مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع التانيث ولا يصح تقدير التا التي فيها لان هذه التا لاختصاصها بجمع المونث
مانعة من تقدير هما لا تقدير نا التانيث في بنت لان التا التي فيها هي بدل من الواو لاختصا
بالمونث كنا التانيث فاثبت تقديرها وفي الاية دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان اذا تنزل
على ان المذكور بعدها محقق لابد منه كانه قيل بعد افاضتكم من عرفات الذي لابد منها
اذكروا الله والافاضة من عرفات لا تكون الا بعد الوقوف بها فوجب ان يكون الوقوف بها واجبا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية
والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء عند المشعر الحرام وهو جبل

صها

في اخر المزدلفة يقال له قزح وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم وقف به يذكر الله ويدعو حتى اسفر جدا رواه مسلم وقال جابر دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشا باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيا ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حتى تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصوية حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره وهلله ووحده ولم يزل واقفا حتى اسفر جدا وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك كالقرب من جبل الرحمة والافالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وسمي مشعرا من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج ووصف بالحرام لحرمته وتسمى المزدلفة جمعا لانه يجمع فيها بين صلاتي المغرب والعشا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت جمعا لان ادم اجتمع فيها مع حوا عليهما الصلاة والسلام وازدلفا اي دنا منها وقيل وصفت بفعل اهلها لانهم يزدلفون الى الله تعالى اي يتقربون بالوقوف فيها واذكروه كما هداكم لمعالم دينه ومناسك حجه والكاف للتعليل وان كنتم من قبله اي الهدي لمن الضالين اي الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى وان نظنك لمن الكاذبين اي ما نظنك الا من الكاذبين ثم افيضوا يا قريش من حيث افاض الناس وذلك انهم وحلفاءهم وهم الحمس كانوا يقفون بالمزدلفة وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فامروا ان يساووهم وثم للترتيب في الذكر كما في الكلام تقديم وتاخير تقديره فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ثم افيضوا من حيث افاض الناس فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام وقيل لتفاوت ما بين الافاضتين اي لتراخي الثانية عن الاولى رتبة اذ الاولى هي الصواب والثانية خطا كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غيرهم كريم فانك تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والى غيره وبعد ما بينهما وقيل ثم بمعنى الواو كما في قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا واستغفروا الله من ذنوبكم في تعيين المناسك وفيه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر ويتم عليه فاذا قضيتم اي اديتم مناسككم اي عباداتكم جمع الجمرة العقبة وطئتم واستقررتم بمعنى وادغم ابو عمرو الكاف في الكاف بخلاف عنه ولم يدغم مثلين من كلمة في القران الا هنا وفي سورة المؤمنون وهو قوله تعالى ما سلككم في سقر فاذكروا الله بالتكبير والتحميد والثنا عليه كذكركم اباكم وذلك ان العرب كانت اذا فرغت من الحج

وقفت

وقفت بين المسجدين يعني وبين الجبل فيعدون فضايل اباهم ويذكرون محاسن اباهم فامرهم الله بذكره وقال فاذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبابايكم واحسنت اليكم والبهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الاباهم وذلك ان الصبي اول ما يتكلم يلهج بذكر ابيه لانه يذكر غيره فيقول الله فاذكروا الله لا غير كذكره الصبي اباه او اشد ذكرا من ذكركم اباهم ونصب اشد على الحال من ذكر المنصوب باذكروا اذ لو تاخر عنه لكان صفة له فمن الناس من يقول ربنا اتنا نصيبنا في الدنيا وهم المشركون كانوا لا يسالون الله في الحج الا الدنيا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا وكان الرجل يقوم فيقول اللهم ان ابي كان عظيم الصفة كبير الحفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته وماله في الاخرة من خلاق اي نصيب لان همه مقصور بالدنيا ومنهم اي الناس من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار بعدوم دخولها هم المومنون واختلفوا في معنى الحسنتين فقال علي رضي الله تعالى عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة والحسنة في الاخرة الجنة يدل له قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا متاع وخير متاعها المراة الصالحة وروي عنه ايضا انه قال الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحور او عذاب النار المراة السوء وقال الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة والحسنة في الاخرة الجنة وقال السدي الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والحسنة في الاخرة المغفرة والثواب وادغم ابو عمرو واللام في الراء بخلاف عنه اولئك الواعون بالحسنتين لهم نصيب اي ثواب مما كسبوا اي من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة او من اجل ما كسبوا كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب اي اذا حاسب فحسابه سريع لا يحتاج الى عقد يد ولا روية في صدر ولا روية فكر قال الحسن اسرع من لمح البصر وفي الحديث يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف نهار من ايام الدنيا واذكروا الله اي كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات اي ايام التشريق الثلاثة وسميت معدودات لقلتهن كقوله تعالى في دراهم معدودة والايام المعلومات عشر ذي الحجة اخرهن يوم النحر والتكبير في الايام المعدودات عقب كل صلاة وله فايتة ونافلة مشروع في حق الحاج وغير الحاج غير الحاج يكبر من صبح يوم عرفة الى عقب عصر اخر ايام التشريق للاتباع رواه الحاكم وصححه اسناده واما الحاج فيكبر من ظهر يوم النحر لانها اول صلاة بعد انتهاء وقت التلبية الى عقب صلاة الفطر لعموم وروده فمن تعجل اي استعجل بالنفر من منى في يومين اي في ثاني ايام التشريق بعد رمي جماره بعد الزوال عند الشافعي واصحابه تالله في الكشاف وعند ابي حنيفة واصحابه

بنفر قبل طلوع الفجر فلا اثم عليه بالتعجيل ومن تاخر حتى بات ليلة الثالث ورمى جمرة بعد زواله
عندنا وقال في الكشاف يجوز تقديم الرمي على الزوال عند ابي حنيفة فلا اثم عليه بذلك او هم
مخيرون في ذلك فان قيل اليس التاخير افضل اجيب بان التخيير يقع بين الفاضل والافضل
كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل عند عدم المشقة وقيل ان
اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل اثما ومنهم ومنهم من جعل المتاخر اثما فورد
القران بنفي الاثم عنهما جميعا وذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لمن اتقى الله
في حجه لانه الحاج على الحقيقة عند الله وقال النبي صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه واتقوا الله في تجامع اموركم ليعيبكم واعلموا انكم اليه تحشرون
في الاخرة فيجازيكم يا عالكم ومن الناس من يعجبك قوله اي يعظم في نفسك ومنه الشيء العجيب الذي
يعظم في النفس وهو الاخنس ابن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وسمي الاخنس
لانه لانه خنس يوم بدر ثلثمائة رجل من بني زهرة عن القتال مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكان منافقا حلو المنظر حلو الكلام للنبي صلى الله عليه وسلم يحلف انه مومن به ويحبه
ويقول ليعلم الله اني صادق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوني مجلسه وقوله تعالى
في الحياة الدنيا متعلق بالقول اي يعجبك ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى
الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الاخرة كما
يريد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول صلى الله عليه وسلم كلامه اذا في الدنيا لاني
الاخرة او يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يرهقه
في الموقف من الدهشة والدكنة او لانه لا يوذن له في الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه
ويشهد الله على ما في قلبه انه موافق لكلامه وهو الالخصام اي شديد الخصومة لك ولاتباعك
لعداوته لك وقال الحسن الالخصام اي كاذب القول وقال قتادة شديد القسوة في
المعصية جدل بالباطل يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة وفي الحديث ان ابغض الرجال الى
الله الالد الخصم واذا تولى اي انصرف عنك بعد الانة القول واحلا المنطق سعى اي مشى
في الارض ليفسد فيها قال ابن جريج يقطع الرحم وسفك دماء المسلمين ويهلك الحرث والنسل
وذلك ان الاخنس كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زروعهم واهلك
مواشيهم وقيل واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك
الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وحكى
الزجاج عن قوم ان الحرث النساء والنسل الاولاد قال وهذا ليس بمنكر لان المراة تسمى حرثا

اي وبدل له قوله تعالى فاتوا حرثكم اني شئتم والله لا يحب الفساد اي لا يرضى به لان المحبة
وهي ميل القلب محالة في حقه تعالى فهي مستحيلة في حقه تعالى في معنى الرضا واذا قيل له
اتق الله في فعلك اخذته العزة اي حملته الانفة والحمية على العمل بالاثم الذي يومر به
بانتفايه فحسبه اي كافيه جهنم جزاء وعذابا وهي علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار
وسميت بذلك لبعد قعورها واصلها من الجهم وهو الكراهة والغلظ فالنون زايدة وقيل
معرب نقل من الجهنية الى العربية وتصرف فيه واصله كهنام ابولت اللحاف جيما واسقطت
الالف وقوله تعالى وبيس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به
تقديره جهنم والمهاد الفراش ومن الناس من يشري اي يبيع نفسه اي يبذلها في الجهاد
او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضاة الله اي طلبا لرضاه وقال اكثر المفسرين
نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون في رهط من المومنين فعذبوهم فقال لهم
اني شيخ كبير لا يضركم امنكم كنت ام من غيركم فهل لكم ان تاخذوا مالي وتوروني ودعوني
ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فاقام بمكة ما شاء الله ثم خرج الى المدينة فتلقاه
ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في رجال فقال له ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال وما ذاك
فقال انزل الله فيك وقرا عليه هذه الاية فعلى هذا يكون يشري بمعنى يشتري لا بمعنى يبيع
ويقال نزلت في الزبير والمقداد بن الاسود وذلك ان كفار قريش بعثوا الى النبي صلى
الله عليه وسلم وهو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علمائك يعلمونا دينك
وكان ذلك مكرا منهم فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو هريرة عشرة ومن جملتهم
خبيب فقتلوهم واسروا خبيبا قال اسره والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله وجدته يوما
باكل قطفا من عنب في يده وانه لموثوق بالحديد وما بمكة من ثمرة ان كان الا رزقا رزقه الله
خبيبا ثم ارادوا قتله فخرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل وارادوا ان يصلبوه فقال دعوني اصلي
ركعتين فتركوه حتى صلاهما ثم قال لولا اني احب ان تحسبوا ان ما بي جزع لزدت اللهم احصهم عددا
واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا ثم انشا يقول ولست ابالي حين اقتل مسلما على اي شق كان في الله
مصرعي وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك على اوصال شلو ممزع ثم صلبوه حيا فقال اللهم
انك تعلم انه ليس احد حولي يبلغ سلامي رسولك فابلغه سلامي ثم قام عقبة ابن الحارث فقتله
فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال اليكم يتذلد خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير
انا يا رسول الله وصاحبي المقداد فخرجا بسيرا ان بالليل ويمكثان بالنهار حتى وصلا اليه ليلا
واذا حول الخشبة اربعون من المشركين ينام فانزله الزبير وحمله على فرسه وسار فانتبه الكفار

فلم يجدوه فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون فلما لحقوهما قوفى الزبير حبيبا فابتلعته الارض
فسمي بليع الارض ثم رفع الزبير العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت
عبد المطلب وصاحبي المقداد بن الاسود فان شئتم ناضلناكم وان شئتم ناثر لكم وان شئتم
انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد
انا الملايكة لشباهي يهذبني من اصحابك فنزل فيهما هذه الاية والله رؤف بالعباد حيث اشرهم
لما فيه رضاه ونزل في مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه يا ايها الذين امنوا ادخلوا
في السلم اي الاسلام وقوله تعالى كافة كما حال من السلم لانها تونث كما تونث الحرب كما قال القايل
ابا خراشة اما انت ذا نفر فان قومي لم تاكلهم الضبع. السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب
تكفيك من انفاسها جزع. اي ادخلوا في جميع شرايعه وذلك انهم كانوا يعظمون السبت
ويكرهون لحم الابل والبانها بعد ما اسلموا فامروا ان يدخلوا في جميع شرايعه ولا تتبعوا
خطوات اي طرق الشيطان اي تزيينه من تحريم السبت ولحوم الابل والبانها وقرانا فع وابن كثير
والكسائي والسلم بفتح السين والباقون بكسرها وتقوم الظلام في خطوات لابن عامر وقبل وحفص
والكسائي بضم الطاء انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم اي ملتم عن الدخول في جميعه من
بعد ما جاءتكم البينات اي الحجج الظاهرة انه حق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه شي عن انتقامه
منكم حكيم في صنعه تنبيه قول البيضاوي حكيم لا ينتقم الا بحق فيه الزمخشري وهو من
المعتزلة فانهم يقولون لا ينتقم الا بقدر ما يستحقه العاصي ومذهب اهل السنة انه ينتقم
ويعاقب من شاء وان كان مطيعا اذ هو متصرف في ملكه يفعل ما يشاء بمن شاء وان لم يقع منه
الانتقام الاهمنا ساء روي ان قاريا قرا غفور رحيم بدل عن عزيز حكيم فسمعه اعرابي فانكر
القران فانكروه وقال ان كان هذا كلام الله فلا يذكر القران عند الزلل لانه اغرا عليه وقوله تعالى
هل ينظرون استفهام في معنى النفي اي ما ينظرون الا ان ياتيهم الله اي امره او باسه كقوله تعالى
او ياتي امر ربك اي عذابه وكقوله تعالى فجاءهم باسنا او ياتيهم الله باسه فحذف المات به للدلالة
عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك من فوق الغمام اي من السحاب
الابيض سمي غماما لانه يغم اي يستر وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة وهي تنزل المطر
فاذا جاءهم منه العذاب كان اقطع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء
من حيث يحتسب الخير وقيل ياتيهم الملايكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الاتون على الحقيقة
بباسه قال البغوي والاولى في هذه الاية وفيما شاكلها ان يومن الانسان بظاهرها ويكل
علمها الى الله تعالى ويعتقد ان الله تعالى منزه عن سمات الحوادث وعلى ذلك مضت ايمة

السلف

السلف وعلماء السنة انتهى ولما ايمة السلف فانهم يقولون هذه الاية نحو ما اولنا به وامثالها
محكم المقام وهو احكم ومذهب السلف اسلم وكان مكحول ومالك والليث واحمد يقولون
في هذا واشباهه اقروها كما جاءت بلا كيف وقضي اي امر هلاكهم وفرغ منه ووضع الماضي موضع
المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه والى الله ترجع الامور في الاخرة فيجازيهم وقرا ابن عامر وحمزة
والكسائي بفتح التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم وقوله تعالى سل امر للرسول
او لكل احد بني اسرايل توبيخا كم اتيناهم كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثاني وهي
ثاني مفعولي اتيناهم وميز بها من اية اي معجزة بينة اي ظاهرة في الدلالة على صدق من جاء
بها كقلب العصا حية وابراء الاكمه والابرص وفلق البحر وانزال المن والسلوى فبدلوها كفرا
ومن يبدل نعمة الله اي ما انعم به عليه من الايات لانها سبب الهداية التي هي اجل النعم
كفرا من بعد ما جاءته اي وصلته وتمكن من معرفتها فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد
عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة وهي التبديل زين للذين كفروا الحياة الدنيا اي حسنت في
اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين في الحقيقة
هو الله تعالى اذ ما من شي الا وهو فاعله وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله
فيها من الامور البهيمية والاشيا الشهية من في بالعرض واختلف في سبب نزول هذه الاية
فقيل نزلت في مشركي العرب ابي جهل واصحابه وكانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا ام المال
ويكبون بالمعاد ويسخرون من الذين امنوا اي يستهزون بالفقرا المومنين قال
ابن عباس اراد بالذين امنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا وبلالا
وخبابا واشالهم وقال قتادة نزلت في المنافقين عبد الله ابن ابي واصحابه كانوا يتنعمون
في الدنيا ويسخرون من ضعفا المومنين وفقرا المهاجرين ويقولون انظروا الى هولا
الذين يزعم محمد انه يغلب بهم وقال عطا نزلت في رواسا اليهود من بني قريظة والنضير وقينقاع
سخروا من فقرا المهاجرين فوعدهم الله ان يعطيهم اموال بني قريظة والنضير بغير قتال
والذين اتقوا اي الشرك وهم هولا الفقرا فوقهم يوم القيامة لانهم في اعلا عليين وهم في
اسفل السافلين او حالهم غالبة لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم غالبون عليهم
متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هولا عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم
الذين امنوا من الكفار يضحكون روي عن اسامة بن زيد انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقفت على باب الجنة فراية اكثر اهلها المساكين ووقفت على باب النار فراية اكثر اهلها
النساء واذا اهل الجد محبوسون الا من كان منهم من اهل النار فقد امر به الى النار وروي عن سهل

ابن سعد الساعدي انه قال مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الرجل جالس عنده
ما رايك في هذا قال رجل من اشراف الناس هذا والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان
يشفع قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما رايك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا حري اي خقيق ان
خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا خير من ملء الارض من مثل هذا والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب اي
رزقا واسعا بغير تقدير في الدنيا للكافر استدراجا لهم وسع على قارون ولليهود ابتلاء لهم
على عبد الرحمن بن عوف وفي الاخرة للمؤمن خاصة تفضلا كان الناس امة واحدة اي متفقين
على الحق روي عن ابي العالية عن كعب قال كان الناس حين عرضوا على ادم واخرجوا من ظهره
واقروا بالعبودية امة واحدة مسلمين ولم يكونوا امة واحدة قط غير ذلك اليوم ثم اختلفوا
بعد ادم وقال الكلبي وهم اهل سفينة نوح كانوا مؤمنين ثم اختلفوا بعد وفاة نوح وقال
قتادة وعكرمة كان الناس من وقت ادم الى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم
على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا في زمن نوح وقال مجاهد اراد ادم وحده
كان امة واحدة سمي الواحد بلفظ الجمع لانه اصل النسل وابو البشر ثم خلق الله حواء ونشر
منهما الناس فكانوا مسلمين الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وروي عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما قال كان الناس على عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام امة واحدة كافرين كلهم
فبعث الله ابراهيم وغيره من النبيين كما قال تعالى فبعث الله النبيين اي اختلفوا فبعث الله
وانما حذف لدلالة فيما اختلفوا فيه وجملة الانبياء كما رواه الامام احمد مرفوعا عن ابي ذر
رضي الله عنه كتب مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر
والمذكور منهم في القرآن باسم العلم الموضوع له ثمانية وعشرون نبيا اي وهم ادم وادريس
ونوح وهود وصالح وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ويوسف ولوط وموسى وهارون
وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان والياس واليسع وذا الكفل وايوب ويونس
ومحمد صلى الله عليه وسلم عليهم اجمعين وذو القرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة الثلاثة
مبشرين من امن واطاع بالجنة ومنذرين من كفر وعصى بالنار وانزل معهم الكتاب المراد به
الجنس فهو بمعنى الكتب لكنه تعالى لم ينزل مع كل واحد كتابا يخصه فانه اكثرهم كما يكتب لهم كتاب
يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم وقوله تعالى بالحق حال من الكتاب اي متلبسا بالحق ليحكم
به ليحكم بين الناس اي الله او الكتاب او النبي المبعوث ورجع الثاني للتمازني وقال لا بد في عوده

الى الله

الى الله من تكلف في المعنى اي ليظهر حكمه والى النبي صلى الله عليه وسلم من تكلف في اللفظ حيث لم يعمل
ليحكموا ورجح ابو حيان الاول وهو الظاهر قال والمعنى انه انزل الكتاب ليفصل به بين الناس
ونسبة الحكم الى الكتاب مجازا كما ان اسناد النطق اليه في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم
بالحق كذلك فيما اختلفوا فيه من الدين وما اختلف فيه اي الدين الا الذين اوتوه اي الكتاب
المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيلا للاختلاف سببا لاستحكامه فآمن
قوم من بعض وكفر بعض بغيا بينهم حسدا وطلبا للرياسة من بعد ما جاءتهم البينات اي الحجج الظاهرة على التوحيد ومن بعد
متعلقة باختلف وهي وما بعدها مقدم على الاستثناء المعنى بغيا من الكافرين بينهم
حسدا وطلبا لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه وقوله تعالى من الحق
بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف باذنه اي بارادته
قال ابن دريد في هذه الآية اختلفوا في القبلة فمنهم من يصلي الى المشرق ومنهم من يصلي الى
المغرب ومنهم من يصلي الى بيت المقدس فهدانا الله للكعبة واختلفوا في الصيام فهدانا الله
لشهر رمضان واختلفوا في الايام فاخذت اليهود بالسبت والنصارى الاحد فهدانا الله للجمعة
واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله له
للحق من ذلك واختلفوا في عيسى فجعله النصارى الها فهدانا الله للحق فيه والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم هو طريق الحق لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل
اي شيء الذين خلوا من قبلكم من المؤمنين من المحن فتصبروا كما صبروا واختلفوا في نزول
هذه الآية فقال قتادة نزلت في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد
وشدة الخوف والبرد وضيق العيش وانواع الاذى كما قال تعالى وبلغت القلوب الحناجر وظلم
عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد عليهم الامر لانهم خرجوا بلا مال
وتركوا ديارهم واموالهم بايدي المشركين واثروا رضى الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله هذه الآية تطمينا لقلوبهم وقيل
نزلت في حرب احد واختلفوا في معنى ام فقال الفراء الميم صلة اي احسبتم وقال الزجاج هي بمعنى
بل اي بل حسبتم ولما بمعنى لم اي ولم يأتكم وقوله تعالى مستهم البأساء اي شدة الفقر
والضراء اي المرض والجزع جملة مستأنفة مبينة ما قبلها وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا
مما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة
المدة بحيث انقطعت حبال الصبر متى يأتي نصر الله الذي وعدناه استطالة لتاخره فاجيبوا
من قبل الله الا ان نصر الله قريب اتيانه وفي هذه الاشارة الى ان الوصول الى الله تعالى والفوز به

بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدايد والرياضات كما قال عليه الصلاة والسلام
حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفي رواية لهم حجبت الجنة
بالمكاره حجابا دون الجنة فمن خرقه دخلها والشهوات حجابا دون النار فمن اقتحمه دخلها وقرأ ابو
بكر بالرفع على انها حكاية حال ماضية وفايدتها تصوير تلك الحال العجيبة واستحضار صورتها
في مشاهدة السامع ليتعجب منها وقرأ الباقون بالنصب يسالونك يا محمد ماذا الذي ينفقون ه
والسايل كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عمرو بن الجموح الانصاري وكان شيخا قانيا ذا مال
عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزل لهم ما انفقتم من خير اي مال
قليلا كان او كثيرا فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل اي هم اولى به سال
عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سوال
عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق عليه على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير
وما تفعلوا من خير انفاق وغيره فان الله به عليم فيجازيكم به تنبيه ليس في الاية ما ينافي فرضية
الزكاة لينسخ به كما قيل لان الزكاة لا تعطى للوالدين ولا للاقربين من الاولاد واولاد الاولاد
فالاية محمولة على الانفاق على من ذكر تطوعا او على الانفاق على النفقى لهن الوالدين والاولاد
واولاد الاولاد وذلك ليس بمنسوخ كتب اي فرض عليكم القتال للكفار وهو كره اي مكروه لكم
طبعا لمشقة وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم وهو جميع ما تطفتم به فانه الموجب لسعادتكم
فلعل لكم في القتال وان كرهتموه خيرا الان فيه اما الظفر والغنيمة او الشهادة والاجر وعسى
ان تحبوا شيا وهو شر لكم وهو جميع ما نهيتم عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يسوقها
به الى الردى فيتركه القتال وان احبتموه شرا لان فيه الذل والفقر وحرمان الاجر وانما ذكر
لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك
فبادروا الى ما يامركم به يسالونك يا محمد عن الشهر الحرام اي المحرم روي انه عليه الصلاة والسلام
بعث عبد الله بن جحش بن عمته على سرية في جمادي الاخرة قبل قتال بدر بشهر فلقي عيرا لهم
بنخلة عشر شهر امن مقدمة المدينة لعير صدعير القرشي فيهم عمرو بن عبد الله بن الحضرمي
وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة من تجارة الطايفة وكان ذلك
غرة رجب وهم يظنونه بجمادي فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام الذي يامن فيه الوحوش
الاسير وعير بذلك الخاين ويتفوق فيه الناس الى معايشهم فسفك فيه الدما واخذ الاسير
وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم
فيه وشق ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نرجو حتى تنزل توبتنا وردسول الله صلى الله عليه وسلم

العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهي اول
غنيمة في الاسلام والسايلون هم المشركون كتبوا اليه تشفيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قالوا
يا رسول الله انا قتلنا الحضرمي ثم اسينا فنظرنا الى الهلال ترجب فلا ندري اقي رجب اصبناه ام
في جمادي فانزل الله هذه الاية واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وقوله تعالى قتال فيه بدل اشتمال قل لهم قتال فيه كبير اي عظيم وزرا وقد
ثم الكلام ها هنا ثم ابتدا فقال وصد فهو مبتدا اي منع الناس عن سبيل الله اي دينه وكفر به
اي الله وصد عن المسجد الحرام اي مكة واخراج اهله منه وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمومنون
وخبر المبتدا وما عطف عليه اكبر اي اعظم وزرا عند الله مما فعلته السرية من قتل ابن الحضرمي
الشهر الحرام خطا وبنا على الظن ومما تقرر علم ان والمسجد الحرام معطوف على سبيل الله وقول
البيضاوي ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله تعالى وكفر به على وصد مانع منه
يجاب عنه بان الكفر بالله والصد عن سبيله متحدان معنى فكانه لا فصل بالاجنبي بين سبيل
الله وما عطف عليه ويصح ايضا ان يكون معطوفا على الهاء من به اذ يجوز العطف بدون اعادة
الجار كما جرى عليه ابن مالك وان كان مذهب البصريين خلافه وجرى عليه البيضاوي والفتنة
اي الشرك منكم اكبر من القتل لكم فيه فلما نزلت هذه الاية كتب عبد الله بن انيس الى المومنين
مكة انا غيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فيروهم انتم بالكفر واخراج رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمومنين من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت ولا يزالون اي الكفار يقاتلونكم
ايها المومنون حتى يردوكم عن دينكم الى الكفر فيذكر اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم
وانهم لا يتركون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل لا للغاية كما قيل لانه افيد من حيث
انه فيه ذكر الحامل على المقاتلة بخلاف الغاية اي يقاتلونكم كي يردوكم وقوله تعالى ان استطاعوا
فيه استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبقي علي وهو واثق بانه لا يظفر به
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اي بطلا عمالهم اي الصالحة في الدنيا والاخرة
فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها والتعبير بالموت يفيد انه لو رجع الى الاسلام لم يبطل عمله كما هو
مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه خلافا لابي حنيفة رضي الله تعالى عنه حيث قال ان الردة تحبط
الاعمال مطلقا لقوله تعالى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله واجيب بانه محمول على المقيد عملا
بالدليلين فلا يجب عليه ان يعيد الحج الذي اتى به قبل الردة وكذا غيره لكن يبطل ثوابه كما نص عليه
الشافعي وان خالف فيه بعض المتاخرين واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كساير الكفرة ولما
ظن السرية انهم سلموا من الاثم فلا يحصل لهم اجر اترل الله تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وابي

فارقوا عشايرهم ومنازلهم واموالهم وجاهدوا المشركين في سبيل الله لاعلاء دينه وكرر تحقيقا
وتعالي الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون
رحمة الله اي توابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة
بالخواتم والله غفور للمؤمنين لما فعلوه خطأ وقلة احتياط رحيم بهم بان يجزل لهم الاجر
والثواب يسالونك عن الخمر والميسر روي لما نزل بمكة قوله تعالي ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال يومئذ ثم ان عمر
ومعاذا في نفر من الصحابة قالوا افتنا في الخمر يا رسول الله فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه
الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما فدعانا وسامر اصحاب
رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا هم بخمر فشربوا وسكروا فحضرت صلاة المغرب فقدموا
بعضهم فيصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون هكذا الي اخر السورة بحذف
لا فانزل الله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكاري حتي تعلموا ما تقولون
فحرم السكر في اوقات الصلاة فتركها قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلاة وتركها
قوم في اوقات الصلاة وشربوها في غير وقتها حتي كان الرجل يشرب بعد صلاة العشاء
فيصبح وقد زال عنه السكر ويشرب بعد صلاة الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر ثم ان عتبان
ابن مالك صنع طعاما ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالي عنه
وقد كان شربوا عليه راس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتي اخذت منهم ثم افتخروا وغنوا وذلك
وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها هجو للانصار وفخر لقومه فاخذ
رجل من الانصار لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم وشكي له الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا بيانا في الخمر شافيا فنزل انما
الخمر والميسر الي قوله تعالي فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله تعالي عنه انتهينا يا رب
قال الفقال الحكمة في وقوع التحريم علي هذا الترتيب ان القوم كانوا الفوا شرب الخمر وكان
انتفاعهم به كثيرا فعلم انه لو منعهم دفعة واحدة لشق عليهم فاستعمل في التحريم هذا
التدريج والرفق ومعني عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا ومن الانبذة يحرم القليل كما يحرم الكثير
لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة
نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتي ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر ويسمي الثاني
مثلثا لانه اخذ ثلثي الفي بسببه والمعني يسالونك عن تعاطيهما فقل لهم فيهما اي في تعاطيهما
تعاطيهما اثم كبير اي عظيم لما يحصل بسببهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش وترك

والكسائي

والكسائي بالتاء المثلثة والباقون بالباء الموحدة ومنافع للناس باللذات والفرح ومصادقة
الشيان وتشجيع الجبان وتوفر المروة وتقوية الطبيعة في الخمر واصابة المال بالاقوف
الميسر وانهما اي ما ينشأ عنهما من المفاسد اكبر اي اعظم من نفعهما المتوقع منهما ولو تامل
ان هذا هو المحرم للخمر فان المغشوة اذا توجه علي المصلحة اقتضت تحريم الفعل والظاهر
ان المحرم لها اية المايدة كما مر ويسالونك يا محمد ماذا ينفقون وذلك ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم حث همم علي الصدقة فقالوا لما ذا ننفق فقال الله تعالي قل لهم العفو قرا ابو عمرو
برفع الواو بتقديره هو والباقون بنصبها بتقدير انفقوا واختلفوا في معني العفو وهو نقيض
الجهد بان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع كما قال الشاعر خذي العفو
مني تستديمي مودتي ولا تنطري في سورتي حين اغضب وسورة الغضب شوته وحدته وقال
قتادة وعطاء السدي هو ما فضل عن الحاجة وكانت الصحابة رضي الله تعالي عنهم يكتسبون المال
ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل حكم هذه الاية وقال مجاهد معناه التصدق
عن ظهر غنا روي ان رجلا اتي النبي صلي الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم
فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه صلي الله عليه وسلم حتي كرر مرارا فقال هاتها مغضبا
فاخذها فحذفها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يا تي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس
يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنا واليد العليا خير من اليد السفلي وابو بمن تعول قال
ابن الاثير والظهر قد يزاد في مثل هذا اشباعا للكلام وتمكينا كان صدقته مستندة الي ظهر
قوي من المال وقال عمر رضي الله عنه خير الصدقة ما ابقت غنا ولا تبدا بمن تعول
اذا انفق المرسيفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما كذلك يبين الله لكم الايات كما تبين لكم ما ذكر يبين الله
لكم الايات قال الزجاج انما قال كذلك علي الواحد وهو خاطب جماعة لان الجماعة معناها
القبيل كانه قال كذلك ايها القبيل وقيل هو خطاب للنبي صلي الله عليه وسلم لان خطابه يشتمل علي
خطاب الامة كقوله تعالي يا ايها النبي اذا طلقتم النسا لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وفنائها
فترهدوا فيها وفي اقبال الاخرة وبقائها فترغبوا فيها ويسالونك يا محمد عن اليتامي وقدم انهم
جمع يتيم وان اليتيم طفل لا اب له قال ابن عباس رضي الله تعالي عنهما لما نزل قوله تعالي ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامي ظلما الاية تحرج المسلمون
من اموال اليتامي تحرجا شديدا فان واكلوهم يا تموا وان عزلوا اموالهم من مالهم وصنعوا لهم
طعاما وحدهم فحرج فاشتد ذلك عليهم فسالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فانزل الله قل اصلاح
لهم اي التياي في امورهم بتنميتها ومداخلتهم معهم خير من مجانبتكم وان تخالطوهم اي تخلطوا

تفقهون بتفكركم فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين ومن شان الاخ ان يخالط اخاه اي يعلم
ذلك وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد لامورهم ممن المصلح بها
فيجازي كلا منهما فتوقوا ذلك وعيد ووعد لمن خالطهم لانه مفسد ولمن اصلاح ولو شاء الله لاعنتكم
اي لضيق عليكم بتحريم المخالطة وما اباح لكم مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة ومعناه
كلفكم في كل شيء ما تشق عليكم ان الله عزيز غالب على امره يقدر على الاعنات وغيره حكيم يحكم
بما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاعة ولا تنكحوا اي لا تتزوجوا ايها المسلمون المشركات
اي الكافرات حتى يومن روي انه عليه الصلاة والسلام بعث ابامرثد الغنوي الى مكة لينجز منها
ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امراة مشركة يقال لها عناق وكانت خليلته
في الجاهلية فاتته وقالت يا مرثد الا تخلو فقال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد حال
بيننا وبينك قالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما رجع اليه قال يا رسول الله اتحل لي ان اتزوج بها فانزلت هذه الاية هذا ما اورده الواحدي
وغيره والذي رواه ابو داود وغيره انه سبب في نزول النور الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة
الاية والاية وان كانت شاملة للكتابيات لكنها مخصوصة بغيرهن بقوله والمحصنات من
الذين اوتوا الكتاب وقد تزوج عثمان بنصرانية فاسلمت وتزوج حذيفة يهودية وطلحة بن عبيد
الله نصرانية فان قيل كيف اطلقتم اسم الشرك على من لم ينكر الا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
قال ابو الحسن بن فارس لانه يقول القران كلام غير الله ومن يقول القران كلام غير الله فقد
اشرك مع الله غير الله انتهى وقال تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
الى قوله سبحانه عما يشركون ولامة مومنة خير من اي من حرة مشركة ولو اعجبتكم لجمالها
ومالها نزلت في حسناء ولية سوداء كانت لحذيفة بن اليمان قال حذيفة يا حسناء تزوجتك
في الملا الاعلى على سوادك وذمامتك فاعتقها وتزوجها وقال السدي نزلت في عبد الله
ابن رواحة كان له امة فاعتقها وتزوج بها فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا انتكح امة وترغب
عليه حرة مشركة فانزل الله هذه الاية ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا اي ولا تزوجوا منهم المومنات
حتى يومنوا وهذا على عمومه باجماع ولعبد مومن خير من اي من حر مشرك ولو اعجبكم
لماله وجماله وقيل المراد بالامة والعبد المراة والرجل حر في كانا او رقيقين لان الناس عبيد الله
واماؤه اولئك اي اهل الشرك يدعون الى النار اي الكفر المودي الى النار فلا تليق مصاهرتهم
وهو الاثم والله يدعوا اي اولياءه المومنين فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه ففخم هاء
لشانهم ويدعوا على لسان رسله وهذا الحكم قال ابو حيان ابلغ في التباعد من المشركين اجر اللفظ

على ظاهره

على ظاهره والاول ذكر لطلب المعادلة بين المشركين والمومنين الى الجنة والمغفرة اي العمل الصالح
الموصل اليهما فهم الاحقا بالمواصلة باذنه اي بامر الله ورضاه على التفسير الاول او بقضائه
وارادته على التفسير الثاني فيجب اجابته بتزويج اوليائه به ويبين اي الله اياته للناس لعلهم
يتذكرون اي لكي يتذكروا فيتعظوا ويسالونك يا محمد عن المحيض اي الحيض او مكانه ماذا
يفعل بالنساء فيه روي ان اهل الجاهلية كانوا لا يساكنوا الحيض ولا يواكلوهن كفعل اليهود
فان اليهود كانت اذا حاضت المراة منهم اخرجوها من البيت ولم ياكلوها ولم يشاربوها
ولم يجامعوها في البيت واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح في نفر النبي صلى الله عليه وسلم
عن ذلك فقال الله تعالى لهم هو اي المحيض او مكانه اذي تقذر او محله فان قيل لما ذا ذكر
الله تعالى يسالونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا اجيب بان السوالات الاول كانت في اوقات
متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع وهو واو العطف
وهي للجمع في الحكم لا الزمان واعترض هذا الجواب بانه يرد عليه هذا ان تدخل الواو على اثنين
من الثلاثة الاخيرة لان العطف يكون في الثانية والثالثة منها واجيب بانهم لما سالوا عما
كانوا ينفقون فاجيبوا بمصرف النفقة اعادوا سوالهم بالواو وماذا ينفقون فاجيبوا
بالعفو ولما كان السوال الثاني عن مخالطة اليتامى في النفقة وهو مناسب لما قبله عطف هـ
بالواو ولما كان الثالث سوالا عن اعتزال الحيض كما يعتزل اليتامى فناسب ما قبله في الاعتزا ل
عطف بالواو ولا كذلك الثلاثة الاول اذ لا تعلق بينها فاعتزلوا النساء اي اتركوا وطيهن في المحيض
اي وقته او مكانه لان ذلك هو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا
يجامعون ولا يبالون بالحيض وما استدل به البيضاوي من قوله صلى الله عليه وسلم افعلوا
امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
قال شيخنا القاضي زكريا المراد بهذا اللفظ الاذى بعض التفاسير لغيره وقوله تعالى ولا تقربوهن هـ
اي بالجماع حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه
من بحا قراءة شعبة وحمزة والكسائي بتشديد الطاء والهاء اي يتطهرن بمعنى يغتسلن والباقون
بسكون الطاء وضم الهاء مخففة والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن اي للجماع فانه يقتضي
تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه ان طهرت لاكثر الحيض
وهو عشرة ايام جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله بتجنبه في الحيض وهو القبل
ولا تتعدوه الى غيره اما الملامسة فيما عدا ما بين السرة والركبة والمضاجعة معها قبل
الغسل ولو قبل انقطاع الحيض فجايز قالت عايشة رضي الله تعالى عنها كان يامرني صلى الله

عليه وسلم فانور فيباشرني وانا حايض وكان يخرج راسه الي وهو معتكف فاغسله وانا حايض
وعزام سلمة رضي الله تعالي عنها قالت حضت وانا مع النبي صلي الله عليه وسلم في الخميلة
فانسللت فخرجت منها فاخذت ثياب حيضتي فلبستها فقال لي رسول الله صلي الله عليه وسلم
انفست قلت نعم فدعاني فاد خلني معه في الخميلة ان الله يحب اي يثيب ويكرم التوابين
من الذنوب ويحب المتطهرين في اي المتنزهين عن الفواحش والاقذار لمجامعة الحايض والاتيان
في غير القبل نساؤكم حرث لكم اي مزرع ومنبت للولد كالارض للنبات فاتوا حرثكم اي محله وهو
القبل اني اي كيف شئتم من قيام وقعود واضطجاع واقبال وادبار روي الشيخان ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امراته من دبرها اي من خلفها في قبلها جاء ولدها احول فذكر ذلك
لرسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقدموا لانفسكم من الاعمال الصالحة كالتسمية عند الجماع وطلب الولد ما يدخر لكم الثواب واتقوا الله في امره ونهيه واعلموا انكم
ملاقوه بالبعث فتزودوا ما لا تتقضمون به فانه يجازيكم باعمالكم وبشر المومنين بالكرامة
والنعيم الدايم امر الرسول صلي الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه واستثل امره منهم
وقوله تعالي ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالي عنه
لما حلف ان لا ينفق علي مسطح حين خاض في حديث الافك لافترايه علي عايشة او في عرض الله
اي بر واحة حلفان لا يكلم ختنه اي زوج اخته بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته
فالعرضة كل ما يعرض فيمنع من الشيء اي لا تجعلوا الحلف بسببا مانعا لكم من البر والتقوي يعني
احدكم الي صلة رحم او بر فيقول حلفت بالله ان لا افعله فيعتل بيمينه في ترك البر كما قال
تعالي ان تبروا اي مخافة ان لا تبروا فهو في موضع نصب مفعول من اجله وعند الكوفيين
ليلا تبروا كقوله تعالي يبين الله لكم ان تضلوا اي ليلا تضلوا وقال ابو اسحاق في موضع
رفع بالابتداء والمخبر محذوف واي ان تبروا وتتقوا خير لكم وقيل التقدير في ان تبروا فلما حذف
حرف الجر نصب وقيل هو في موضع جر بالحرف المحذوف وتتقوا وتصلحوا بين الناس تتركه
اليمين علي ذلك ويسن فيه الحنث ويكفر لما روي عنه صلي الله عليه وسلم انه قال من حلف
بيمين فراي غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير خلافا علي فعل البر ونحوه في
طاعة والله سميع لاقوالكم عليم باحوالكم لا يواخذكم الله باللغو الكائن في ايمانكم واللغو كل ما
مطرح من الكلام لا يعتد به واختلف اهل العلم في اللغو في اليمين المذكورة في الاية فقالت قوم
هو ما سبق الي اللسان علي عجلة لعادة كلام من غير عقد وقصد كقول القايل لا والله وبلي والله وكلا والله
وعن عايشة رضي الله تعالي عنها انها قالت لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلي والله ورفعه بعضهم

وبهذا قال الشافعي رضي الله تعالي عنه وقال قوم هو ان يحلف علي شيء يري انه صادق ثم يتبين
انه خلافه ذلك وبه قال ابو حنيفة رضي الله عنه وقال زيد بن اسلم هو دعا الرجل علي
نفسه كقول الانسان اعمي الله بصري اذا لم افعل كذا وكذا فهذا اللغو لا يواخذ الله به قال
تعالي ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وقال تعالي ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم اي قصدته من الايمان اذا حنثتم
والله غفور حيث لا يواخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمواخذة علي يمين الجد ترخيصا
للتوبة تنبيه اليمين لا ينعقد الا بالله العظيم او باسم من اسمايه او صفة من صفاته فاليمين
بالله كان يقول والذي اعبده والذي نفسي بيده وباسمايه كان يقول والله والرحمن هو
وبصفاته كان يقول وعزة الله وعظمة الله وجلال الله فاذا حلف بشيء من ذلك علي امر مستقبل
ثم حنث وجبت عليه الكفارة وسياتي بيانها ان شاء الله تعالي في سورة المايدة واذا حلف
علي امر ماض انه كان ولم يكن وهو عالم به حالة ما حلف فهي اليمين الغموس وهي من
الكباير وجب بها الكفارة كما قاله الشافعي رضي الله تعالي عنه وقال بعض العلما لا كفارة فيها
كالشرك بالله والكباير واما الحلف بغير ما ذكر كالحلف بالكعبة وبيت الله وبني الله او بابيه ونحوه فلا
يكون يمينا ولا يجب به الكفارة اذ حنث وهو يمين مكروهة روي ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابايكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او ليصمت للذين يولون
من نسايهم اي يحلفون ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وقد يتعدي بعلي ولكن لما ضمن
هذا القسم معني البعد عدي بمن قال قتادة كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال
سعيد بن المسيب كما كان ذلك من ضرار اهل الجاهلية كان الرجل لا يحب المراة ولا يريد ان تزوج
غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام
فضرب الله له اجلا في الاسلام كما قال تعالي تربص اي انتظار اربعة اشهر اي للمولي حق
التثبت في هذه المدة فلا يطالب بفي ولا طلاق ولذا قال الشافعي رضي الله تعالي عنه لا ايلاء الا
في اكثر من اربعة اشهر او يويده فان فاو اي رجعوا في المدة او بعدها عزم اليمين الي الوطي
لان الفيية وعزم الطلاق مشروعان عقب الايلاء وحصول التربص فلا بد ان يكون مدخول
الفا واقعا بعدهما فان الله غفور لهم ما اتوه من ضرر المراة بالحلف رحيم بهم وان عزموا
الطلاق اي صمموا عليه بان لم يفيوا فاليوقعوه فان الله سميع لقولهم عليم بعزمهم اي
ليس لهم بعد تربص ما ذكر الا الفيية او الطلاق ففيه دليل علي انها لا تطلق بمضي المدة ملم
يطلقها زوجها لانه شرط فيه العزم وقال فان الله سميع فدل علي انه يقتضي مسموعا وقولا

جها

هو الذي يسمع وقال بعض العلما ان امصت امرية اشهر يقع عليها طلقة بائنة وهو قول
ابن عباس واصحاب الراي وقال سعيد بن المسيب والزهري يقع طلقة واحدة رجعية
ولو حلف ان لا يطلقها اقل من اربعة اشهر لا يكون موليا بل حالفا اذا وطيها قيل معنى تلك المدة
وجبت عليه كفارة يمين ان كان الحلف بالله ولا يختص الايلا بالحلف بالله تعالى فلو قال الرجعية
ان وطيتك فعبدي حر او ضرتك طالق او لله علي عتق رقبة او صوم او صلاة فهو مولا لان
المولي من يلزمه امر يمتنع بسببه من الوطي والمطلقات يتربصن بانفسهن عن النكاح
ثلاثة قروء تمتني من حين الطلاق جمع قرء بفتح القاف وضمها وهو يطلق على الحيض لقوله
عليه الصلاة والسلام كما رواه ابو داود وغيره دعي الصلاة ايام اقرائك وعلى الطهر
الفاصل بين حيضتين وهو المراد في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال
به بعض العلما لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع
لا يكون في الحيض واما ما رواه ابو داود والترمذي وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم
طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه البخاري في قصة ابن عمر
مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شا امسك وان شا طلق قبل
قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله تعالى بها ان يطلق لها النسا بقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن فان قيل ما معنى ذكر الانفس فهل لا قيل يتربصن ثلاثة قروء اجيب بان في
ذكر الانفس تنبيها لهن على التربص وزيادة بعث بان فيه ما يستثقلن منه فيحملهن
على ان يتربصن وذلك ان نفس النساء طوامح اي تواطر الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن
ويقلبنها على الطموح ويحبسنها على التربص وكان القياس في جمع قرء ان يذكر بصيغة القلة
التي هي الاقراء لكنهم يتوسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الثاني مكان الاخر الاتري
الى قوله بانفسهن وما هن الا نفوس كثيرة قال البيضاوي ولعل الحكم لما عم المطلقات
ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بنا الكثرة ووجوب ذلك في المدخول بهن اما
غيرهن فلا عدة لهن لقوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن
من عدة وفي غير الايسة والصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر ولحوامل فعدتهن ان يضعن
حملهن كما في سورة الطلاق والامة فعدتها قرءان بالسنة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق
الله في ارحامهن من الولد ان كانت حاملا ومن الحيض ان كانت حايلا ان كن يؤمنه
بالله واليوم الاخر قال البيضاوي ليس المراد تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي
الايمان اي كماله وان المومن لا يجتري عليه ولا ينبغي له ان يفعل وبعولتهن اي ازواج المطلقا

والبعولة

ف

والبعولة جمع بعل والتا لاحقة لتانيث الجمع كالحمومة والفحولة ويجوز ان يراد بالبعولة
المصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به مبالغة كما في رجل عدل او اقيم مقام المضا
للحذوف اي واهل بعولتهن احق بردهن اي بمراجعتهن في ذلك اي في زمن التربص فان
قيل كيف جعلوا احق بالرجعة فكان للنساحق فيها اجيب بان افعل ههنا بمعنى الفاعل
فان غير البعل لا حق له في الرد كانه قيل وبعولتهن حقيقون بردهن وقيل انه على بابه
للتفضيل اي احق من بتهن بانفسهن لو ابين الرد او من ابايهن وسمي الزوج بعلا لقيامه
لامر زوجته واصل البعل السيد والمالك ان ارادوا اي البعولة اصلاحا بالرجعة لاضرار المراة
وليس المراد من هذا الشرط قصر الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار
والصارف عن اعتبار مفهوم هذا الشرط الاجماع ولهن على الازواج مثل الذي لهم عليهن
من الحقوق بالمعروف شرعا من حسن العشرة وترك الضرر ونحو ذلك قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما في معنى ذلك اني احب ان اتزين لامراتي كما تحب ان تتزين لي لهذه الاية وعن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين احسنهم
خلقا وخياركم خياركم لنسايهم فان قيل ما المراد بالمماثلة اجيب بان المراد ان لهن حقوقا
على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس اذ ليس الواه
على كل منهما من جنس ما وجب على الاخر لو عملت ثيابه او خبزت له لم يلزمه ان يفعل مثل ذلك
ولكن يقابلها بما يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة اي فضيلة في حقوق الزوجية اذ المراة تنال من الثواب مثل
ما ينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها ولان حقوقهم في انفسهن بالوطي
والتمتع وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرر وقيل بصلاحيته للامامة والقضا والشهادة
وقيل بالجهاد وقيل بالميراث وقيل بالدية وقيل بالعقل والله عزيز في ملكه قادر على الانتقام منك
خالق الاحكام حكيم فيما ورده لخلقه بشرعها لحكم ومصالح الطلاق اي التطليق كما تدل عليه
التسليم الذي يراجع به مرتان اي اثنتان روي عن عروة بن الزبير قال كان الناس في الابتداء
يطلقون من غير حصر ولا عدد وكان الرجل يطلق امراته فاذا قاربت انقضا عدتها راجعها ثم طلقها
كذلك ثم راجعها بعد مضارتها فنزلت هذه الاية وروي ابو داود وغيره انه صلى الله عليه وسلم قيل
اي الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم او تسريح باحسان فامساك اي فعليكم امساكهن اذا راجعتموهن
بعد الطلقة الثانية بمعروف وهو كل ما يعرف بالشرع من ادا حقوق النكاح وحسن الصحبة
او تسريح باحسان بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها حتى تبين تنبيه اختلف العلما فيما اذا كان
احد الزوجين رقيقا فذهب الاكثرون منهم الشافعي رضي الله تعالى عنه الى انه يعتبر عدد الطلاق

فيملك العبد على زوجته الحرة ثلاث طلقات ولا يملك الحر على زوجته الامة الا طلقتين ولا يحل لكم
ايها الازواج ان تاخذوا مما اتيتموهن من المهور شيا اذا طلقتموهن روي انها نزلت في حبيبة اخت
عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فشكته الى ابيها فقال ارجعي الى زوجك
فاني اكره للمراة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها فلما رات اباها لم يشكها رجعت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تقولين فقالت هو مني اكرم الناس لزوجة ولكن لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي
وراسه شيء والله لا اعيبه في دين ولا خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اكره
ان اقع عنده ان وقع فيما يقتضي الكفر بغضا فيه ويحتمل الان تريد كفران العشيرة اني رفعت
جانب الخباء فراتيه اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال ثابت
قد اعطيتها حديقة فقل لها فلتردها علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكيني
امرك قالت نعم فقال صلى الله عليه وسلم يا ثابت قد منها ما اعطيتها وخل سبيلها ففعل وفي رواية
اقبل الحديقة وطلقها تطليقة الا ان يخافا اي الزوجان ان لا يقيما حدود الله اي لا يتعاشرا
حدوده لهما من الحقوق وقراءة حمزة يخافا بضم الياء بالبناء للمفعول فان مع صلتها بدلا اشتمال
من الضمير في يخافا والباقون بفتحها بالبناء للفاعل فان خفتم ايها الايمة والحكام ان لا يقيما
حدود الله ما حدوه من الاحكام فلا جناح عليهما فيما افتدت به نفسها من المال ليطلقها اي لا حرج
على الزوج في اخذه ولا على الزوجة في بذله وهذا هو الاصل والا فيجوز على عوض وان لم يخافا
تنبيه علم مما تقرر ان الخطاب في الاولى للزوجين وثانيا للايمة والحكام وكذلك غيره عزيز في الفرع
وغيره ويجوز ان يكون الخطاب كله للايمة والحكام ولا ينافي ذلك قوله تعالى ان تاخذوا مما اتيتموهن
شيا لانهم الذين يامرون بالاخذ والاتيان عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون
تلك اي الاحكام المذكورة حدود الله وهي ما منع الشرع من مجاوزته عنه فلا تعتدوها اي
فلا تتعدوها بالمخالفة وقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقب للنهي
بالوعيد مبالغة في التحذير تنبيه ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق
ولا يصح ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزايد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كما رواه البزار
ايما امراة سالت زوجها طلاقا من غير باس اي ضر حرام عليها رايحة الجنة وما روي انه صلى
الله عليه وسلم قال للجميلة اترديين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه الصلاة
والسلام اما الزايد فلا والجمهور استكرهوا الخلع ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على
فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه راه اقد آن طلقها اي الزوج بعد الثنتين فلا تحل له من
بعد اي بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح اي تتزوج زوجا غيره اي المطلق والنكاح يتناول العقد والوطي

وتعلق

ويتعلق بظاهر الاية من اشترط في العقد كابن المسيب والجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي
الشيخان ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني وان عبد الرحمن
ابن الزبير اي بفتح الزاي وكسر الباء تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك
فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا
من لفظ الزوج والعسيلة مجاز عن قليل الجماع اذ يكفي قليل انتشار شبهت تلك اللذة بالعسل
وصغرت ولحقها الفالان الغالب على العسل التانيث قاله الجوهري وروي انها لبثت ما شاء الله
ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت اما زوجي قد مسني فقال لها النبي صلى الله عليه
وسلم كوبت في قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى تنفض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتت ابا بكر فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول فان زوجي الاخر مسني وطلقني فقال
لها ابو بكر قد شهوت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما
قبض ابو بكر اتت عمر وقالت له مثل ذلك وقال لها عمر لين رجعت اليه لارجمنك والحكمة في التحليل
الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل
فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم المحلل والمحلل له رواه الترمذي والنسائي وصححه وعن عمر رضي الله تعالى عنه
لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما تنبيه شملت الاية الكريمة ما اذا طلق الزوج زوجته الامة
ثلاثا ثم ملكها فانه لا يحل له ان يطاها بملك اليمين حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها الزوج الثاني
بعد ما اصابها فلا جناح عليهما اي المراة والزوج الاول ان يتراجعا الى النكاح بعقد جديد بعد انقضاء
العدة ان ظنا اي ان كان في ظنهما ان يقيما حدود الله اي ما حده الله وشرعه من حدود الزوجية
هذا هو الاصل والا فهو ليس بشرط للجواز ولم يقل ان علما انهما يقيما لان اليقين مغيب
عنهما لا يعلمه الا الله قال في الكشاف ومن فسر الظن هنا بالعلم تعقدوهم من طريق اللفظ والمعنى
لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما
يظن ظنا وتلك اي الاحكام المذكورة حدود الله يبينها لقوم يعلمون اي يتدبرون ما امرهم الله به
ويفهمونه ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي قاربن انقضاء عدتهن
ولم يردن انقضاء العدة حقيقة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ ههنا
بلوغ مقاربة وفي قوله تعالى بعد ذلك فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن حقيقة انقضاء العدة
والبلوغ يتناول المعنيين يقال بلغ المدينة اذا قرب منها واذا دخلها فامسكوهن بان تراجعوهن

بمعروف من غير ضرار وقيل بان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطي او سر وهن
بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملن املاكا بانفسهن ولا تمسكوهن بالرجعة وقوله تعالى
ضرارا مفعول له لتعتدوا اي لا تقصدوا بالمراجعة المضارة بتطويل الحبس كما فعلت هذه في رجل من
الانصار يدعى ثابت بن يسار طلق امراته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها يقصد مضارتها
ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي اضر بها بتعريضها الى عذاب الله وقرا ابو الحارث الليثي بالغاء لام
لهم من يفعل في الزاي حيث جاء والباقون بالاظهار ولا تتخذوا ايات الله هزوا اي مهزوا بها
بمخالفتها لان كل من خالف امر الشرع فهو متخذ ايات الله هزوا وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق
ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وروي ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الاسلام
وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما انزل عليكم من الكتاب اي القرآن والحكمة اي السنة اعيد هما بالذكر
اظهارا لشرفهما وذكرهما مقابلتها بالشكر والقيام بحقوقها يعظكم به اي بما انزل عليكم ليدعوكم به
الى دينه واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم لا يخفى عليه شيء فتقوا ذلك تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا تعضلوهن اي تمنعوهن ان ينكحن
ازواجهن اي المطلقين لهن وعن الشافعي رضي الله تعالى عنه دل سياق الكلام من اوله
امسكوهن الى آخره وفلا تعضلوهن على افتراق البلوغين فالمراد بالاول المقاربة وبالثاني
الوصول كما تقرروا العضل الحبس والتضييق ومن التعضل بهذا المعنى عضلت الوجلة اذا
علقت بيضتها فلم تخرج فايدة رسمت التاء في بعلهن بالتاء المجرورة ووقف بن كثير وابو عمرو
والكسائي بالهاء ويميلها الكسائي في الوقف ووقف الباقون بالتاء على الرسم والمخاطب بذلك الاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول ففي الآية دليل
على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي فايدة ولا يعارض ذلك بان عقد
النكاح اليهن لانه انما اسند اليهن لتوقف النكاح على اذنهن وقيل الخطاب للاولياء والازواج
وقيل للناس كلهم اي لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه ان وجد بينهم وهم راضون به كانوا
كالفاعلين له وقوله تعالى اذا تراضوا بينهم اي الازواج والنساء ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن
وقوله تعالى بالمعروف اي بما يعرفه الشرع ويستحسنه من كونه بعقد حلال حال من ضميري يرجع
او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل على التزويج من غير
كفو غير منهي عنه ذلكم اي النهي عن العضل يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الاخر
لان المتعظ هو المنتفع به فان قيل لمن الخطاب في قوله ذلكم يوعظ به اجيب بانه يجوز ان يكون

لرسول

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء ونحوه ذلكم
اي ترك العضل ازكى اي انفع لكم واطهر لكم وهو نهي عن دنس الاثام لما يخشى على الزوجين من
مرارة العار بسبب العلاقة بينهما والله يعلم ما فيه المصلحة وانتم لا تعلمون ذلك لقصور
علمكم وقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن خبر بمعنى الامر كقوله تعالى والمطلقات
يتربصن وهو امر استحباب لا امر ايجاب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع
الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن فان رغبت الام في
الارضاع فهي وفي غيرها اما اذا لم يوجد من يرضعه فيجب عليها ارضاعه والوالدات يعم
المطلقات وغيرهن وقيل يختص بالمطلقات اذ الكلام فيهن حولين اي عامين كاملين صفة
موكدة كما في قوله تعالى تلك عشرة كاملة لان العرب قد تسمي بعض الحول حولا وبعض الشهر
شهرا كما قال تعالى الحج اشهر معلومات وانما هو شهران وبعض الثالث وقال تعالى ومن تعجل
في يومين فلا اثم وانما يتعجل في يوم وبعض يوم وقال قتادة فرض الله على الوالدات ارضاع
حولين كاملين ثم انزل التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاع وليس
فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار اصلاح المولود وما يعيش به وعلى المولود
له اي الوالد رزقهن اي اطعام الوالدات وكسوتهن اجرة لهن على الارضاع اذا كن مطلقات
واختلف في استيجار الام للارضاع فجوزه الشافعي ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة
نكاح فان قيل لم قال تعالى المولود له دون الوالد اجيب بانه تعالى انما ذكر ذلك ليعلم ان
الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينتسبون اليهم لا الى الامهات وانشد
المامون بن الرشيد فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء اباء فكان عليهم ان يرزقوهن
ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم الاتري انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله
تعالى واختاروا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وقوله تعالى
لا تكلف نفس الا بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو قوله تعالى لا تكلف نفس الا وسعها اي طاقتها
فلا يكلف احد منهما ما ليس في وسعه لا تضار والدة بولدها اي بسببه بان تكره على ارضاعه
او تكلف فوق طاقتها ولا يضار مولود له بولده اي بسببه بان يكلف فوق طاقته واضافة الولد
الى كل منهما للاستعطاف والتنبيه على ان الولد حقيق بان يتفقا على اصلاحه وقرا ابن كثير وابو
عمرو تضار بضم الراء على الاصل من قوله لا تكلف والباقون بفتحها وعلى الوارث اي وارث الاب وهو
الولي على وليه في مال الولد مثل ذلك اي الذي كان على الاب للوالدة من الرزق والكسوة وقيل
هو وارث الولد الذي لو مات الولد ورثه وقيل الباقي من الابوين من قوله صلى الله عليه وسلم

اللهم منفنا باسماعنا وابصارنا واجعلهما الوارث اي الباقي منا والمعني واجعل كلا منهما في لزومه لنا موة الحياة كانه باق بعد الموت فان اراد اي الوالدان فصالا اي فطاما له صادرا فلا جناح عليهما في ذلك زاد على المحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الولد حوز الان يقدم احدهما على ما يضره لغرض او غيره وان اردتم خطاب للاولياء ان تسترضعوا مراضع غير الوالدات اولادكم فقال ارضعت المراة الطفل هو واسترضعتها اياه فحذف المفعول الاول للاستغنا عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين يكون احدهما عبارة عن الاول هذا ما جرى عليه الزمخشري من ان استرضع يتعدي لمفعولين بنفسه والجمهور على انه انما يتعدي الى الثاني بحرف الجر وتقديره هنا لاولادكم فلا جناح عليكم في ذلك اذا سلمتم اليه ما اتيتم اي اردتم ايتاءه لهن من الاجرة كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وانما قدر ذلك لان ما تحقق ايتاوه لا يتصور تسليمه في المستقبل وقوله تعالى بالمعروف صلة سلمتم اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسوك ما هو الاولى والاصلح للطفل وقرا ابن كثير بتمم همزة اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا واتقوا الله بالمحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع ثم حثهم على ذلك وهددهم بقوله تعالى واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شيء منه والذين يتوفون اي يموتون منكم ويذرون اي يتركون ازواجا يتربصن اي ينتظرن بانفسهن وهو خبر بمعنى الامر وهو امر ايجاب اي يجب عليهن ان يتربصن بعدهم عن النكاح اربعة اشهر وعشرا اي عشر ايام وكان القياس تذكير العدد بان يوتى فيه بالتاء ولكن لما حذف المعدود جاز فيه ذلك كما في قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما الا ان قوله في سورة طه ان لبثتم الا يوما بعد قوله ان لبثتم الا عشرا يدل على ان المراد بالعشر الايام وانما ذكر عما يدل على الليالي لانهم اختلفوا في مدة اللبث فقال بعضهم عشرة وبعضهم يوم فدل على ان المقابل باليوم انما هو ايام الليالي وكما في قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واتبعه ستا من شوال قال البيضاوي ولعل المعتضي لهذا التقدير هذه الموة ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر اذا كان ذكرا او لاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها اي بالحركة انتهى وهو انما في غير الحوامل اما هن فقد ثبت ان يضعن حملهن باية الطلاق وفي غير الاما فانهن على النصف من ذلك بالنسبة وعن علي وابن عباس رضي الله تعالى عنهم ان الحامل التي

باقضي

باقضي الاجلين احتياطا وحكي عن ابي الاسود الدولي انه كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفى بكسر الفا فقال الله وكان احد الاعراب البادية لعلي رضي الله تعالى عنه على ان اقره ان يضع كتابا لكن يجوز الكسر على انه مستوف اجله ويدل له قوله تعالى والذين يتوفون بفتح الياء على قراءة شاذة نقلت عن علي اي يستوفون اجالهم فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح اي لا حرج عليكم ايها الاولياء فيما فعلن في انفسهن اي من التعرض للخطاب وسايرما حرم عليها للعدة دون العقد فان العقد الى الولي وقيل المخاطب بذلك الائمة او المسلمون جميعا بالمعروف اي بالوجه الذي لا ينكره الشرع وعقوبته اذا فعلت ما ينكر فعلى المخاطب ان ينكرهن فان قصر فعليه الجناح والله بما تعملون خبير عالم ببواطنه كظاهره فيجازيكم عليه ولا جناح اي لا حرج عليكم فيما عرضتم به والتعريض في الكلام هو ما يفهم منه السامع مراده بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السايل جيتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وجيتك بالتسليم مني تقاضيا وسيمي التلويح لانه يلوح منه ما يريده والفرق بينه وبين الكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وردوفه كقولك طويل النجاد للطويل وهو بكسر النون حمايل السيف وكثير الرماد للمضياف من خطبة النساء المنسوبات للوفاء والخطبة بالضم والكسر اسم الهيئة غير المضمومة حتى بالموعظة والمكسورة بطلب المراة للنكاح والتعريض بالخطبة مباح في عدة الوفاء وهو ان يقول لرب راغب فيك من يجد مثلك انك لجميلة وانك لصالحة لعلي كرعة وانا فيك لراغب وان عزم على ان يتزوج بك وان جمع الله بيني وبينك في الحلال اعجبني ولين تزوجك لاحسن اليك ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه من غير ان يصرح بالنكاح فلا يقول انكحيني والمراة تجيبه بمثله ان رغبت فيه روي بن المبارك عن عبد الرحمن ابن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت قد غفر الله لك ايتطيبين في عدتي وانت يوخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكرها منزلته من الله تعالى وهو متحامل على يديه حتى اثر الحصير في يديه من شدة تحامله عليهما فكانت تلك خطبته واما عدة الفرقة في الحياة فيحل لغير صاحب العدة التعريض في عين رجعية لعدم سلطنة الزوج عليها اما التصريح فحرام اجماعا واما الرجعية فلا يحل التعريض لها لانها في حكم الزوج اما صاحب العدة فيحل له التعريض والتصريح ان حل له نكاحها

والافلا او اكننتم اي اضمرتم في انفسكم من نكاحهن فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا قال
السدي هو ان يدخل فيسلم ويهوى ان شا ولا تيظلم شيي علم الله انكم ستذكرونهن بالخطبة
ولا تقبوون عنهن فاباح لكم التعريض وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا الكناية
قال الكناية عن النكاح الذي هو الوطي لانه مما يستر قال الاعشى ولا تقربنه من جارة ان سرها
عليك حرام فانكحن او تابد او قال اخر القين الا تزمد بنابة اليوم انني كبرت وان لا يحسن السر
امثالي ثم عبر بالسر الذي هو كناية عن الوطي عن عقد النكاح لان العقد سبب في الوطي وقيل هو
الزنا كان الرجل يدخل على المراة من اجل الزنية وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فاذا
اوفيت عدتك اظهرت نكاحك قاله الحسن وقيل هو ان يصف نفسه لها بكثرة الجماع كان
يقول اتيك الاربعة والخمسة ونحو ذلك فان قيل ابي المستدرك بقوله ولكن لا تواعدوهن
سرا اجيب بانه محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن
فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة غير منكرة او الا مواعدة
بقول معروف قال في الكشاف ولا يجوز ان يكون استثنا منقطعا من سرا الا ادايه الى قولك الا
الا التعريض وقال البيضاوي وقيل انه استثنا منقطع من سرا وهو ضعيف لا ادايه الى قولك
لا تواعدوهن الا التعريض وهو ان التعريض غير موعود اي بل منكر وقيل لا تواعدوهن
سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستقبح لان مسارتهن في مظنة
الغالب بما يبتهما من المجاهرة به ولا تعزموا عقدة النكاح اي على عقده وفي ذلك مبالغة
في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم يتقدم على العقد فاذا نهي عما يتقدمه فهو اولى
بالنهي عنه في قوله تعالى ولا تقربوا الزنا حتى يبلغ الكتاب اي المكتوب اجله بان ينتهي ما فرض
فيه من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم وغيره فاحذروه اي خافوه فلا
واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خوفا من الله حليم لا يعاجل بالعقوبة لا جناح عليكم
ان طلقتم النسا ما لم تمسوهن اي تجامعوهن او لم تفرضوا لهن فريضة اي مهرا وما
مصدرية ظرفية اي لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض باشر ولا مهر
والتبعة بكسر الباء ما تتبع المال او البدن من نوايب الحقوق وهو من تبعت الرجل كتبي وقرا
حمزة والكسائي بضم التا والف بعد الميم والباقون بفتح التا ولا الف بعد الميم وقوله تعالى ومتعوهن
عطف على مقدر لانه طلب فلا يعطف على لا جناح لانه خبر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة
في ايجاب المتعة خبرا بجائز الطلاق وهي ان لا تنفك عن ثلاثين درهما او ما قيمته ذلك وانا
تراضيا بشيي فذاك وان تنازعا في قدرها قدرها قاض باجتهاده بقدر حالهما من يساره واعساره

وشبهها

وشبهها وصفاتها كما قال تعالى على الموسع اي الغني منكم قدره اي ما يطيقه ويليق به وعلى
المقتر اي ضيق الرزق قدره اي ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لاقتا
طلق امراة المتوفى عنها قبل ان يمسها امتعها قال لم يكن عندي شيي قال متعها بقلنسوتك
ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمتوفى عنها التي لم يسم لها الزوج المهر الشافعي
رضي الله عنه الممسوسة المتوفى عنها وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرا ابن كثير
وشعبة وحمزة والكسائي بفتح الدال والباقون بسكونها وقوله تعالى متاعا تاكيد لمتعوهن
بمعنى تمتيعا وقوله تعالى بالمعروف اي شرعا صفة متاعا وقوله تعالى حقا صفة ثانية
لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي المطيعين
الذي يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال والى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل
محسنين كما قال عليه الصلاة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه ترغيبا وتحريضا ولما ذكر تعالى
حكم المتوفى عنها اتبعها حكم قسيمها بقوله تعالى وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد
فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم يجب لهن ويرجع لكم النصف وهو دليل على ان الخلاف
المتقدم تبعة المهر وان لا متعة مع التسمية لانه قسيمها الا لكن ان يعفون اي الزوجات
فلا ياخذن شيا فان قيل اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنسا يعفون اجيب بان الواو
في الاول ضمير هم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والميم ضمير هن والفعل مبني
لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج
المالك لعقده وحله كما يعود اليه الشطير فيترك لها الكل وقيل هو الولي اذ الحاكم المراة
محجورة وهو قول قديم للشافعي وهو مروي عن ابن عباس وقوله تعالى وان تعفوا مبتدا
خبره اقرب للتقوى والخطاب للرجال والنسا جميعا لان المذكر والمونث اذا اجتمعا غلب
المذكر اي وعفو بعضكم عن بعض اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم اي ان يتفضل بعضكم
على بعض باعطا الرجل تمام الصداق وبترك المراة نصيبها حثهما جميعا على الاحسان
ان الله بما تعملون بصير لا يضيع فضلكم واحسانكم بل يجازيكم به حافظوا على الصلوات
الخمس باداييها في اوقاتها ولعل الامر بالصلاة انما وقع في تضاعيف احكام الاولاد والازواج
ليلا يلهيهم الاشتغال بشايهم عنها والصلاة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات والفضلى
من قولهم الافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلاة
العصر على الراجح لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر
ملا الله بيوتهم نارا وقبورهم لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملايكة قال صلى الله عليه وسلم

يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار وقيل صلاة الصبح لانها بين صلاتي النهار والليل
والواقعة في الخبر المشترك بينهما ولانها مشهودة يشهدها الملائكة للحفظة ونص عليها الشافعي
رحمه الله تعالى عليه لكن رجح الاصحاب الاول عملا بقوله حيث صح الحديث فهو مذهبي وقيل
صلاة الظهر لانها وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لانه صلى الله عليه
وسلم سيل اي الاعمال افضل فقال احمزها وهو بجامهملة وزاي اقواها واشدها وقيل صلاة العشاء
لانها متوسطة بالعدد لان عددها بين عددي الركعتين والاربع وقيل صلاة العشاء لانها
بين جهريتين وافقتين طرفي النهار لا يقصران وهما المغرب والصبح وقاله بعضهم هو احدي
الصلوات الخمس لا بعينها ابهمها الله تعالى تحريضا للعباد في المحافظة على اداجميعها كما اخفى ليلة
القدر في شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في الاسماء
ليحافظوا على جميعها وقوموا لله قانتين اي مطيعين لقوله صلى الله عليه وسلم كل قنوت في
القرآن فهو طاعة او ساكتين لحديث زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلاة حتى نزلت فامرنا بالسكوت
ونهينا عن الكلام رواه الشيخان وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح فان خفتم عدوا
اوسبع اوسيل او نحو ذلك فرجالا جمع راجل اي مشاة صلوا او ركبانا جمع راكب اي كيفما امكن
مستقبلي القبلة وغيرها ويومي بالركوع والسجود ويجعل السجود اخفض من الركوع في الصلاة
في حال الخوف على اقسام وهذه صلاة شدة الخوف وياتي بقية الاقسام ان شاء الله تعالى
في سورة النساء ولا ينقص عدد الركعات بالخوف عند اكثر اهل العلم ويروى عن مجاهد عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم في الحضر اربعا وفي السفر
ركعتين وفي الخوف ركعة وفي الاية دليل على وجوب الصلاة حال المقاتلة واليه ذهب الشافعي
رضي الله تعالى عنه وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يصلي حال المشي والمقاتلة ما لم يمكنه
الوقوف وقال سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه اذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم
بعضا فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واذكر الله فتلك صلاتك فاذا امنتم
من الخوف فاذكروا الله اي صلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون
قبل تعليمه من فرايضها وحقوقها والكاف بمعنى مثل وما موصولة او مصدرية والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرا نافع وابن كثير وشعبة والكسائي
وصية بالرفع اي فعليهم وصية والباقون بالنصب اي فليوصوا وصية وقوله تعالى متاعا
نصب على المصدر اي متعوهن متاعا اي ما يتمتعن به من النفقة والكسوة الى تمام الحول من غير
الواجب عليهن تربصه وقوله تعالى غير اخراج نصب على الحال اي غير مخرجات من مسكن

في الصلاة صح

نزلت هذه الاية في رجل من اهل الطايف يقال له الحكم بن الحارث هاجر الى المدينة وله اولاد
ومعه ابواه وامراته فمات فانزل الله هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم والديه واولاده
ميراثه ولم يعط امراته شيا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكانت عدة
الوفاة في ابتداء الاسلام حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكان
نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة ما لم تخرج ولم يكن لها الميراث فان
خرجت من بيت زوجها سقطت نفقتها وكان على الرجل ان يوصي بها فكان كذلك حتى نزلت
اية الميراث فنسخ الله تعالى نفقة الحول بالربع والثمن ونسخ عدة الحول باية اربعة اشهر وعشرا
السابقة فان قيل كيف نسخت الاية السابقة المتاخرة اجيب بانها متقدمة في التلاوة متاخرة
في النزول كما في قوله تعالى يستولد السفها مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السما فان خرجن
من قبل انقضت قبل الحول من غير اخراج الورثة فلا جناح عليكم يا اولياء الميت فيما فعلن
في انفسهن من معروف شرعا كالتزين وترك الاحداد وقطع النفقة عنها خيرها الله
تعالى بين ان تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى الى ان
نسخت باربعة اشهر وعشرا والله عزيز في ملكه حكيم في صنعه لا يسيل عما يفعل وللمطلقات
متاع اي يمتعنه بالمعروف بقدر الامكان وقوله تعالى حقا نصب بفعله المقدر على المتقين
الله فان قيل لم كرر الله تعالى ذلك اجيب بان ذلك لحكمة وهي ان الاية السابقة في غير
المدخول بها وهذه اعم منها فتشمل المدخول بها ايضا كذلك اي كما بين لكم ما ستوم من احكام الطلاق
والعدد يبين الله لكم اياته وعد سبحانه وتعالى انه سيبين لعباده من الدلايل والاحكام
ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون اي تتدبرون فتستعملون العقل فيها وقوله
تعالى الم تر استفهام تعجيب وتشويق الى استماع ما بعده لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
واريد بالتوابع وقد يخاطب به من لم ير ومن لم يسمع وهذا هنا اولى فانه صار مثلا في التعجيب
اي ينتهي علمك الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف اربعة او ثمانية او عشرة او ثلاثون
او اربعون او سبعون الفا وقوله تعالى حذر الموت مفعول له هم قوم من بني اسرايل كانوا في قرية
يقال لها داوردان جهة واسطة وقع بها الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فهلك
اكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا
اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانيا لنخرجن الى ارض
لا وبا بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا
المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادي واخر من اعلاه ان موتوا ه

ق

فماتوا جميعا ثم احياهم الله تعالى كما قال تعالى لهم الله موتوا اى فماتوا ثم احياهم ليعتبروا
ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره وقيل قوم من بني اسرايل دعاهم ملكهم الى
الجهاد فقروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام او اكثر ثم احياهم بدعاء نبيهم حزقيل
بكسر الحاء المهملة والقاف وسكون الزاي ثالث ملوك بني اسرايل بعد موسى وكان يقال له
ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسالت الله الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله تعالى
لها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لانه كفل سبعين نبيا وانجاهم
من القتل قال اذهبوا فاني ان قتلت كان خيرا من ان تقتلوا مني جميعا فلما جاء اليهود وبالوا
حزقيل عن الانبياء السبعين قال لهم ذهبوا وما ادري اني هم ومنع الله حزقيل من اليهود
فلما مر حزقيل على تلك الموتى ووقف عليهم فجعل يتفكر فيهم فبكى وقال يا رب كنت في قوم
يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحدي لا قوم لي فاوحى
الله تعالى اليه ان ناد يا ايتها العظام ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمعت العظام فاعلا
الوادي وادناه حتى التزق بعضها ببعض كل عظم جنب التزق بجسده فصارت اجسادا
من عظام لا لحم ولا دم ثم اوحى الله اليه ان ناد ايتها الاجسام ان الله يامرك ان تكتسي
لحما فاكتست لحما ثم اوحى الله اليه اما انا دايتها الاجساد ان الله يامرك ان تقومي فقمن احياء
ورجعوا الى بلادهم وقالوا جاهروا انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت فرجعوا
الى قومهم وعاشوا دهرا عليهم اثر الموت لا يلبسون ثوبا الا عاد كالكفن حتى ماتوا لاجالهم
التي كتبت لهم ولوجات اجالهم ما بقوا واستمر ذلك في اسباطهم قال ابن عباس واثر ذلك
ليوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود وفايدة هذه القصة تشجيع المسلمين على الجهاد
والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضا فان الموت اذا لم يكن منه بد فليس
ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو افضل على الناس اى عامة
فليذكر كل احد ما له عليه من الفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون كما ينبغي اما الكفار فلم
يشكروا واما المؤمنون فلم يبلغوا غاية شكره تنبيه انما كرر الناس ولم يضمر ليكون
انص على العموم ليلا يدعي مدع ان المراد بالناس الاول اهل زمان فيخص بالثاني اكثرهم
وقاتلوا في سبيل الله اعدا الله لتكون كلمة الله هي العليا واعلموا ان الله سميع لاقوالكم جميع
ما تقوله المختلفون والسابقون عليم باحوالكم فيعلم ما تضمرونه فيجازيكم من ذا الذي
يقرض الله الذي تفرد بالعظمة باتفاق ماله في سبيله ومن استعارة مرفوعة المنبع
بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدل واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه فهو

اسم كل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء ما وعد
لهم من الثواب قرضا لانهم يعملون لطلب ثوابه واصل القرض في اللغة القطع سمي به القرض
لانه تقطع من ماله شيا يعطيه ليرجع اليه مثله وقيل في الاية اختصار مضاف مجزوم اى
يقرض عباد الله المحتاجين من خلقه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله اى عباد الله
جا في الحديث عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله يقول يوم القيامة ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت
رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت
ذلك عندي قرضا حسنا اى جامعا لطيب النفس واخلاص النية وقيل لا يمن ولا يوذي
ولما كانت النفس مجبولة على الشح بما عندها الا لفايدة رغبها سبحانه وتعالى في ذلك بقوله
فيضاعفه اى جزاه له في الدنيا والاخرة واول هذه المضاعفة ان الزايد ضعف
ليس بكسر الحا من صلى الله عليه وسلم لا تقترض قرضا الا وفي عليه زيادة وقال خياركم احسنكم
قضاء وقد انبا سبحانه وتعالى ان اقتراضه بما هو فوق ذلك لانه يضعف القرض بمثله
وامثاله بقوله اضعافا كثيرة من عشر الى الف من سبعمايه كما ياتي وروي عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه لما نزلت هذه الاية قال ابو الدحداح الانصاري يا رسول الله ان الله
ليريد منا القرض قال نعم يا ابا الدحداح قال ادني يدك يا رسول الله فناوله يده قال فاني
اقرضت ربي حايطي وحايطه فيها ستمايه نخلة وام الدحداح فيه وعيالها فجا ابو الدحداح
فناداها يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجي فقد اقرضته ربي عز وجل وقرا ابن عامر واصم
فيضاعفه بنصب الفا على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض في معنى
اتقرض الله اخذ والباقون برفعها واسقط الالف وشد العين ابن كثير وابن عامر والباقون
باثبات الالف وتخفيف العين ولما رغب سبحانه وتعالى في اقراضه اتبعه جملة حالية من ضمير
يقبض عن مهيبة من يغنيه فقال والله يقبض اى يمسك الرزق عمن يشا ابتلا ويبسط اى يوسعه
لمن يشا امتحانا ما اقتضته حكمته سبحانه وتعالى وقرا قنبل وابو عمرو وابن عامر وحمزة بالسين
بخلا وعن ابن ذكوان وخلاد والباقون بالصاد والرسم بالصاد واليه ترجعون حو
اى فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرايل اى الى قصتهم والملا من القوم اشرافهم
واصل الملا الجماعة من الناس لاواحد له من لفظه كالقوم والرهط والابل والخيل والجيش
ومن للتبعيض من بعد موت موسى ومن للابتدا اذ قالوا النبي لهم اكثر المفسرين على انه
شمويل قال مقاتل وهو من نسل هارون وقيل هو يوشع بن نون بن افراييم بن يوسف

عليه الصلاة والسلام وقيل هو شمعون وانما سمي بذلك لان امه دعت الله ان يرزقها
غلاما فاستجاب دعاها فسمته شمعون يقول سمع الله دعائي والسين تصير شينا
بالعبرانية وسبب سوال بني اسرايل نبيهم ذلك انه لما مات موسى عليه الصلاة والسلام
وخلف في بني اسرايل الخلوف وعظمت الخطايا سلط الله عليهم قوم جالوت وكانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرايل فيهم ذلك
انه كلما مات موسى عليه الصلاة والسلام وخلف في بني اسرايل الخلوف وعظمت الخطايا
وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابنائهم ملوكهم اربعمايه
واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية واخذوا توراتهم ولقي بنو اسرايل منهم بلاء شديدا
ولم يكن لهم حينيذ نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم يبق منهم الا امراة
حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جاريه فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني
اسرايل في ولدها وجعلت المراة تدعوا الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته
شمويل تقول سمع الله دعائي فكبر الغلام فاسلمته لتعليم التوراة في بيت المقدس فكفله
شيخ من علمائهم ونبذاه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل فقال اذهب الى قومك فبلغهم
رسالة ربك فان الله قد بعث لكم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة فان
كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل معه في سبيل الله تنتظم به كلمتنا ونرجع اليه
ويكون ذلك اية من نبوتك وانما كان قوام بني اسرايل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم
فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم له امره ويشير عليه برشده ويانيه بالخبر من ربه ولما
قالوا له ذلك قال لهم هل عسيتم قرا نافع بكسر السين والباقون بفتحها وقوله تعالى ان كتب اي فرض
عليكم القتال مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا خبر عسى والاستفهام لتقرير المتوقع بها بمعنى التنبيه
للمتوقع وان كان التابع مر التقرير وهو الحمل على الاقرار قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا بسببهم وقتلهم اي اي غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما
ما يوجبه وبعث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد فلما كتب عليهم القتال تولوا
عنه وجبنوا وضيعوا امر الله الا قليلا منهم وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على
الفرقة على ما ياتي ان شاء الله تعالى وقوله تعالى والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في تركهم
الجهاد تنبيه هذه الاقاصيص ليس المراد منها حديثا عن الماضين وانما هو اعلام بما يستقبل
الا تود كما قال القايل اياك اعني واسمعي يا جاره فلذلك لا يسمع القران من لم يا خذه بحلته
خطابا لهذه الامة بكل ما تحوله من اقاصيص الاولين ثم سال النبي صلى الله عليه وسلم ربه ان يبعث

لهم

ملكا فاتى بعصى وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله
طول هذه العصى وانظر القرن الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش الدهن الذي في
القرن فهو ملك بني اسرايل فدهن به راسه وملكه عليهم وكان طالوت واسمه بالعبرانية
شاول بن قيس من اولاد بنيامين بن يعقوب سمي طالوت لطوله وكان اطول من كل احد في
زمانه براسه ومنكبه وكان رجلا دباغا يعمل الادم قاله وهب وقال السدي كان سقايا
على حمار له من النيل وضل حماره فخرج في طلبه وقال وهب بل ضلت عمة لابي طالوت فارسله وغلاما
معه في طلبها فمر ببيت شمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسالناه على امر الحمار
لعل رشدنا ويدعو الله فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكر له شان الحمار اذ نش الدهن الذي
في القرن فقام شمويل فقاس طالوت بالعصى فكانت على طوله فقال طالوت قربك فقربه فدهنه
بدهن القدس ثم قال له انت ملك بني اسرايل الذي امرني الله ان املكه عليهم فقال طالوت اما
علمت ان سبطي ادنى اسباط بني اسرايل وبيتي ادنى بيوتهم قال بلى قال فباي اية قال باية انك
ترجع وقد وجدت الحمار وكان كذلك ثم اخبرهم بينهم بذلك كما قال تعالى وقال لهم نبيهم
الذي تقدم ذكره ان الله قد بعث لكم اي لاجلكم طالوت ملكا وهو اسم اعجمي كجالوت
وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته قالوا انى اي كيف يكون له الملك علينا اي من اين يكون
له ذلك ونحن اي والحال انا نحن احق اي اولى بالملك منه وانما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرايل
سبطان سبط نبوة وسبط مملكة فكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه كان موسى وهارون
عليهما الصلاة والسلام وسبط المملكة سبط يهودا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان
عليهما الصلاة والسلام ولم يكن طالوت من احدهما انما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا
علموا ذنبا عظيما كانوا ابتكبون الناس على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوة
عنهم وكانوا يسمون سبط الاثم فلما قال لهم نبيهم ذلك انكروا لانه لم يكن من سبط المملكة ومع
ذلك قالوا ولم اي والحال انه لم يوت سعة من المال يستعين بها على اقامة الملك ولما انجدوا
تملكه لعقوه وسقوط نسبه رد عليهم ذلك بامور حكاها الله تعالى عن نبيهم بقوله تعالى قال نبيهم ان
الله اصطفاه اي اختاره للملك عليكم فالعمدة في التملك اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو
اعلم بالمصالح منكم هذا الامر الاول والثاني قوله وزاده عليكم بسطة اي سعة في العلم الذي يحصل
به المملكة ويتمكن به من معرفة الامور السياسية وفي الجسم الذي به يتمكن من الظفر بمن يباريه
من الشجعان وقصده من سايري الاقران ويكون به اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو
ومكابدة الحروب لانه كما ذكرتم وقد زاده الله في العلم فكان اعلم بني اسرايل يومئذ والجسم فكان

اجلهم واتمهم خلقا كان الرجل القايم بيديه فيتناول راس طالوت والثالث قوله والله يوتي ملكه
اي الذي هوله وليس لغيره فيه شي من يشا فانه تعالي مالك الملك علي الاطلاق فله ان يوتيه من يشا
سواكان غنيا ام فقيرا كما اتاكموه بعد ان كنتم مستعبدين عند ال فرعون والرابع قوله والله واسع
اي واسع الفضل يوسع علي الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك من النبيين وغيره وقال لهم نبيهم
لما ذعنوا لذلك وطلبوا منه اية تدل علي انه سبحانه وتعالي اصطفي طالوت وملكه عليهم ان اية
اي علامة ملكه ان ياتيكم التابوت اي الصندوق وكان فيه صور الانبيا عليهم الصلاة والسلام
انزله الله تعالي علي ادم صلي الله عليه وسلم وكان من عود الشمشار بمجمتين اولاهما مكسورة وبينهما
ميم ساكنة خشب تعمل منه الامشاط مموهة بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فكان عند
ادم الي ان مات ثم عند شيث ثم توارثه اولاد ادم الي ان بلغ ابراهيم ثم كان عندا سماعيل لانه كان
اكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان في بني اسرايل الي ان وصل الي موسي ثم توارثه انبيا بني اسرايل ثم
استمر عند بني اسرايل وكانوا اذا اختلفوا في شي تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه
بين ايديهم فيستفتحون به علي عدوهم كما قال تعالي فيه سكينة اي طمانينة لقلوبهم من ربكم
فقي اي مكان كان التابوت اطمانوا اليه وسكنوا قاله قتادة والكلبي فلما عصوا وفسدوا سلط
الله عليهم العمالقة اصحاب جالوت فغلبوهم علي التابوت واخذوه وقال علي هي صورته لها راس
ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شبه الهرة له راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة
وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد ومن برجد وقال ابن عباس هو
طشت من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبيا وقال وهب هي بروح من الله تتكلم اذا احتلفوا
في شي تخبرهم ببيان ما يريدون وملاكان الكليم واخوه عليهما الصلاة والسلام اعظم انبياهم
قال وفيه بقية مما ترك ال موسي وال هارون والمراد انفسهما والال مقحم لتفخيم شانهما قيل
انبيا وهما وقيل انبيا بني اسرايل لانهم ابنا عم موسي وهارون والبقية هي رضاض الالواح اي
فتاتها وعصي موسي وثيابه ونعلاه وعمامة هارون وقفيز من المن الذي كان ينزل عليهم وقوله
تعالي تحمله الملايكة حال من فاعل ياتيكم ان في ذلك لاية لكم علي ملكه وقوله تعالي ان كنتم مومنين
يحتمل ان يكون من كلام نبيهم وان يكون ابتدا خطاب من الله تعالي لمحمد صلي الله عليه وسلم
وهم ينظرون اليه حتي وصفناه عند طالوت فاقروا بملكه وقيل رفعه الله بعد موسي فنزلت
به الملايكة وهم ينظرون اليه فلما راوه لم يشكوا في النصر فاقروا بملكه وشارعوا الي الجهاد فقال
طالوت لا حاجة لي في كل ما ترى لا يخرج معي رجل بنا بنا لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشغل
بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امراة ولم يبن بها ولا ابتغي الا الشباب الشيط الفارغ فاجتمع له

من اختاره ثمانون الفا وكان الوقت صيفا في حر شديد فشكوا قلة الما بينهم وبين عدوهم وقالوا
ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا الخ قال تعالي فلما فصل اي خرج طالوت اي الذي ملكوه
بالجنود من بيت المقدس اي التي اختارها والجنود جمع جند وهم اتباع يكونون نجدة للتمنع
قال ان الله مبتليكم اي مختبركم ليظهر منكم المطيع والعاصي وهو اعلم بهم قال ابن عباس هو
والسدي هو نهر فلسطين وقال قتادة نهر بين الاردن وفلسطين عذب من شرب منه اي من
مايه فليس مني اي من اتباعي ومن لم يطعمه اي يذقه فانه مني اي من اتباعي وانما علم ذلك
بالوحي اذ كان نبيا لهما قيل او باخبار النبي عليه الصلاة والسلام وقوله تعالي الا من اغترف
غرفة بيده اي فاكتفي بها ولم يزد عليها فانه مني استثنا منقطع من قوله فمن شرب وانما
قومت عليه الجملة الثانية للضابية بها لما قدم الصابيون علي خبر ان في قوله ان الذين امنوا
والذين هادوا والمعني الرخصة في القليل دون الكثير وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو غرفة
بفتح الغين والباقون بضمها فاسيدة قال ابو عمرو من العلا سمعت اعرابيا ينشد وقد كنت
خرجت الي ظاهر البصرة مستروحا مما نالني من طلب الحجاج. صبر النفس عند كل ملمة. ان في الصبر حيلة لو
لا تضيق في الامور فقد تكشف لاواها بغير اختيالي. ربما تجزع النفوس من الامر وله فرجه كما القفا
قد يصاب الجبان في اخر الصف وينجو امتاخر الابطال. فقلت مشورة كذا يا اعرابي قال ما ان الحجاج
فلما دخل بابها افرج يومئذ الحجاج امر بقوله فرجه لا في كنت اطلب شاهد الاختيار القراة في سورة هو
البقرة غرفة بالضم نشربوا منه دما وافوه بكثرة وقوله تعالي الا قليلا منهم اي فانتصر علي الكثرة
نصب علي الاستثنا وروي ان من اغترف غرفة كما امر الله قوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما
وكفته تلك الغرفة الواحدة لمشربه وادوته والذين شربوا وخالفوا امر الله اسودت شفاههم
وغلبهم العطش فلم يروا وبقوا علي شاطي النهر وحيوا عن لقا العدو واختلفوا في عدد الذين
لم يشربوا قال البغوي الصحيح انهم ثلثماية وبضعة عشر اي عدد اهل بدر وقال السدي كانوا
اربعة الاف وبويد الاول ما روي عن البرا انه قال كنا اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم نتحدث
ان عدة اصحاب بدر علي عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا بضعة
عشر وثلثماية وروي ثلثماية وثلاثة عشر وفي هذا ايذان بان اعظم الجيوش جيش يكون فيه
من اهل الورع بعدد التابعين من اصحاب طالوت الذي كان بعددهم اصحاب رسول الله صلي الله عليه
وسلم يوم بدر وهم ثلثماية وثلاثة عشر عدد المرسلين من كثرة عدد النبيين وملاكان قصص بني
اسرايل مثالا لهذه الامة كان مبتلي هذه الامة بالنهر ابتلاهم بنهر الدنيا الجاري خلالها وفي افراد
البوا ايذان بان الاخذ من الدنيا انما يكون بيد لا بيدين لاشمال اليدين علي جانبي الجر والشر

فلما جاوزه اي النهر هو اي طالوت والذين امنوا معه اي هم الذين اقتصروا على الغرفة قالوا
اي الذين شربوا لا طاقة اي لا قوة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بقتالهم وجنودهم ولم يجاوزوه
ولما اخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بهذه القوة شبه على انه لا ينبغي ان يصور من يقلل اذا حمله
متدرا لان يثوب بالجبن والاحجام والمتقمص بالجراة والاقدام وانه يلقي الله فيجازيه على عمله
وان النصر من الله لا بالقوة والعدد فقال قال الذين يظنون اي يوقنون انهم ملاقوا الله
بالبعث وهم الذين جاوزوه كم من فئة اي جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعه فيات
وفيون في الرفع وفيين في النصب والخفض وكم يحتمل ان تكون خبرية بمعنى كثيرا ومبنية
وان تكون استفهامية ومن مزيدة والاولى بقرينة المقام قليلة كما كان في هذه الامة
في يوم بدر غلبت فئة كثيرة باذن الله اي بارادته وتيسيره ثم انظر الى هذا الحال العجيب
وهو انه لما نوبهم استدبر جيش لا يحصون فشرط عليهم الشاب الفارغ من بنا دار وبنا بامراة
فلم يكن الموجود بالشرط الا ثمانين الفا ثم امتحنوا بالنهر فلم يثبت منهم الا ثلثمائة وثلاثة عشر
وهم دون الثلث من تمام العشر من المنتقين بالشرط من الذين هم دون الدون من المبتدين
الذين هم دون الدون من السايلين في بعث الملك فكان الخالصون معه كما قال القايل
الم تعلم اني صيرفي احك الاصوفا على محكي فمنهم بهرج لا خير فيه ومنهم مزاجوزه بشكي
وانت الخالص الوهاج المصفى بتزكيتي ومثلي من يزكي ثم بين سبحانه وتعالى ان ملاك كل ذلك
الصبر بقوله والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فلا يخذل من كان معه ولما برزوا الى ظهورهم
وهم على ما هم عليه من الضعف والقلة لجالوت اسم ملك من ملوك الكنعانيين بالشام في زمن نبي
اسرايل حيار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وجنوده على ما هم فيه من القوة والكثرة التجاوا
الى الله بالدعاء به على ذلك بقولهم قالوا ربنا افرغ اي اصب علينا صبرا وثبت اقدامنا بتقوية
قلوبنا على الجهاد وانصرنا على القوم الكافرين وفي الدعاء ترتيب بليغ اذ سالوا اولا افراغ الصبر في
قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مراحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب
عليها غالبا فهزموهم باذن الله اي بارادته وتيسيره وقتل داود جالوت قال اهل التفسير عبر النهر مع
طالوت في من عرف منهم ابراد داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم فارسل جالوت الى طالوت
ان ابرز الي او ابرز من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت
فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد
فقال طالوت ينبغي ان يدعوا الله فدعى في ذلك فاوحى الله اليه ان في ولد ايشا من يقتل الله به جالوت
وكان داود اصغرهم يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت وازوجك ابنتي واصطفه

ملكي

ملكي قال نعم قال لا انت من يقتل شيا تقوى به قال نعم انا ارعى فيجي الاسد فياخذ شاة هو
فاقوم اليه فافتح لحييه عنها واستلها الى قفاه فمر داود في الطريق فكلمه ثلاثة احجار وقالت
له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته فلما تصافوا للقتال وبرز جالوت وسال المبارزة وكان من
اشد الناس واقواهم كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد انتدب
له داود واخذ مخلاته وتقلد بها واخذ المقلاع ومضى نحو جالوت فلما تقارا الى داود القى في قلبه
الرعب فقال له انت تبرز الي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام فقال ائتني
بالمقلاع والحجر كما ياتي في الكلب قال نعم انت شر من الكلب قال لاخرجن لحمك بين لحوم
الارض وطير السما قال داود وبقسم الله لحمك فقال داود باسم الله ابراهيم واخرج حجرا
ثم اخرج الاخر وقال باسم اله اسحاق ووضعه في مقلاعه ثم اخرج الثالث وقال باسم اله يعقوب
ووضعه في مقلاعه فصارت كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورمى به فسخر الله له الزج حتى
اصاب نقرة البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورايه ثلاثين رجلا وهزم الله
تعالى الجيش ومر جالوت قتيلا فاخذه داود وجره حتى القاه بين يدي طالوت وفرح المسلمون
فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فجا داود الى طالوت وقال انجز لي ما وعدتني
فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود واحبوه واكثروا ذكره فحسده
طالوت واراد قتله فاخبر بذلك فهرب فسلط عليه العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم
ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله فركض على اثره فاشرف داود
وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا واوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما
انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بنا العنكبوت فقال لو كان دخل ها هنا لخرق بنا العنكبوت
فتركه ومضى وانطلق داود الى الجبل مع المتعبدين فتعبد فيه الى ان قتل طالوت وكان ملك
طالوت الى ان قتل اربعين سنة واتى بنو اسرايل داود واعطوه خزائن طالوت وملكوه على انفسهم
قال الكلبي والسدي ملك داود بعد قتل طالوت سبعين سنة ولم تجتمع بنو اسرايل على
ملك واحد الا على داود وذلك قوله تعالى واتاه الله الملك والحكمة اي النبوة بعد موت شمويل
وطالوت ولم يجتمعا لاحد قبله بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط وقيل الملك والحكمة الهما
والعمل وعلمه مما يشا كصنعة الدرع كان بعضها وبعيها وكان لا ياكل الا من عمل يده ومنطق
الطير والصوت الطيب والحان لم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت كان اذا قرا الزبور تدنوا
الوحوش حتى تاخذ باعنا قها وتظله الطير ويحبس الماء الجاري ويكف الريح والسلسلة كان لا يمهما
ذو عاهة الا برا وكانوا يتيمنون بلمسه الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه وانكر له حقا

اتى السلسلة فمن كان صادقا مودوه اليها فتناولها ومن كان كاذبا لم يتناولها وكذلك الى يظهر
فيهم المكر والخديعة فاودع بعض ملوكهم جلاجوهرة ثمينة فلما طلبها منه انكرها فتحاكما الى
السلسلة فعهد الذي عنده الجوهرة الى عكاز فنقرها وضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى
حضر السلسلة فقام صاحب الجوهرة خذ عكازي هذه فاحفظها حتى اتناول السلسلة فقال
الرجل اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي بيدي قد وصلت فقرب مني السلسلة فدودوه فتناولها
فتعجب القوم وشكوا فيهما فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
بعض من الناس ببعض اي ولولا دفع الله الجنود المسلمين الكفار لفسدت الارض بغلبة المشركين وقتل
المسلمين وتخريب المساجد او لفسدت الارض بشوم الكفر فيكون المعنى ولولا دفع الله بالمؤمنين
والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض بمن فيها ولكن الله يدفع بالمؤمن عن الكافر وبالصالح
عن الفاجر وقد روي ان الله عز وجل ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه
البلاء ثم قرا ابن عمر الاية وروي عن ابن عباس انه قال يدفع الله بمن يصلي عمن لا يصلي
وبمن يحج عمن لا يحج وبمن يزكي عمن لا يزكي وعن جابر بن عبد الله ان الله ليصلح بصلاح الرجل
المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم
وعن ابن مسعود ان الله عز وجل في الخلق ثلثمائة قلوبهم على قلب ادم ولله في الخلق اربعون قلوبهم
على قلب موسى ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب
جبريل ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكايل ولله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل
فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة واذا مات واحد من الثلاثة ابدل الله مكانه من الخمسة
واذا مات واحد من الخمسة ابدل الله مكانه من السبعة واذا مات واحد من السبعة ابدل الله مكانه
واحدا من الاربعين واذا مات واحد من الاربعين ابدل الله مكانه واحدا من الثلثمائة
واذا مات واحد من الثلثمائة ابدل الله مكانه من العامة فبهم يحيى ويميت قال لانهم يسالون
الله الغيث لامم فيغاثون ويدعون على الجبابرة فينتصرون ويستسقون فيسقون ويسالون
فينبت لهم الارض ويدعون فيدفع الله انواع البلا ولكن الله ذو فضل على العالمين اي
كلهم اولا بالايجاد وثانيا بالدفاع وهو يكون من ظلم الظلمة اما بعضهم ببعض او بالصالحين
ويبعث عليهم غير ذلك من انواب نعمه ظاهرة وباطنة تلك اي هذه الايات التي قصصناها
عليك من حديث الاولين وتملك وطالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة على يدي صبي
هو داود وقتل داود جالوت ايات الله التي جلت عظمته وتمت قدرته وقوته نتلوها اي
نقصها عليك يا محمد بالحق اي بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك

وان

وان بابا التواتر وانك اي والحال انك لمن المرسلين عاد لت هذه الايات عليه من غير علم
من غير معلم من البشر ثم باعجازها الباقي على مر الدهر ولما تقدم في هذه السورة ذكر
رسل كثير وختم هذه الايات بذكره صلى الله عليه وسلم تشوفت النفس الى معرفة احوالهم
في الفضل فقيل فيه سواء وهم متفاضلون فاشار الى علو مقامه بالكل في قوله تلك الرسل باداة
البعد اعلاما ببعد مراتبهم وعلو منازلهم وانها بالمحل الذي لا ينال والمقام الذي لا يطال
تنبيه تلك مبتدا والرسل صفة اي الرسل التي ذكرت قصتها في السورة او التي ثبت علمها عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم او جماعة الرسل فاللام للاستغراق والخبر فضلنا بعضهم على بعض
بتخصيصه بمنقبة ليست لغيره مما اوجب ذلك في تفاضلهم في الحسنات بوان فضلنا
الجميع بالرسالة ولما كان اكثر السورة في بني اسرايل واكثر ذلك في اتباع موسى عليه الصلاة
والسلام ذكر وصفه مع ومن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال منهم من كلم الله بلا واسطة
وهو موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم كلم موسى ليلة الجمعة وهي بفتح الحاء وهي في معرفة طريقه
من مسيره من مدين الى مصر وفي الطور ومحمد ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى
وبين الكليمين بون عظيم ومنهم ابو ادم كما ورد في الحديث ورفع بعضهم وهو محمد صلى
الله عليه وسلم درجات على غيره بعموم الدعوة وختم النبوة به والاتباع الكثيرة والايات
الطويلة وتبليغ جميع الشرايع وبكونه رحمة للعالمين وتفضيل امته على ساير الامم
وبالمعجزات المتكاثرة المستمرة واظهرها القران الذي عجز اهل السموات والارض عن الاتيان
بسورة من مثله والايات المتعاقبة بتعاقب الدهور والفضايل العلمية والعملية الغالبة للحصر
ولو لم يوت الا القران وحده لكفى به فضلا شيفا على سايرها وفي الانبيا لانه المعجزة الباقية
على وجه الدهر دون ساير المعجزات البالغة وبانشقاق القمر باشارته وحنين الجذع بمفارقته
وتسليم الحجر عليه وكلام البهايم والشهادة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك مما لا
يحصيه الا الله تعالى وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من
الايات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيامة وروي عنه انه قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب من
مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل والحلت
لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث
الى قومه وبعثت الى الناس عامة وروي عنه انه قال فضلت على الانبيا بست اوتيت جوامع
الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم

بالنبوة وايدناه عيسى ابن مريم البينات مراجعا الموتى وغيره وايدناه اي قويناه بروح القدس
وهو جبريل يسير معه حيث سار وخص عيسى صلى الله عليه وسلم باسمه لافراط اليهود في
تحقيره والنصارى في تعظيمه حيث قالوا هو ابن الله وابهم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى بعضهم حيث لم يقل ورفع محمد صلى الله عليه وسلم لما في الابهام من تفخيم فضلهم واعلاء
قدره مما لا يخفى لما فيه من الشهادة على ان العلم الذي لا يشتبه والتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل
من فعل هذا فيقال احدكما او بعضكم يراد به الذي يعرف واشتهر فكون افهم من التصريح
به وانوه بصاحبه وسيل الخطيبة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت
الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرتك نفسي لم يفخم امره ولو شاء الله اي الذي له جميع
الامر هو اي الناس جميعا باتفاقهم على دين واحد ما اقتتل الذين من بعدهم اي بعد الرسل
اي ما اقتتلت امم من بعد ما جاتهم البينات اي المعجزات الواضحات على ايدي رسلهم لاختلافهم
في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا بالمشيئة تعالى ذلك فمنهم اي فتسبب على اختلافهم
ان كان منهم من امن اي ثبت على ايمانه ومنهم من كفر كالنصارى بعد المسيح ولما كان من الناس
من اعمى الله قلبه فسب اقفال المختار في من الخلق اليهم استقلالا قال الله تعالى معلما ان الكل
بخلقه تاكيدا لما مضى من ذلك ومهيدا لذكر الاسم الاعظم ولو شاء الله ما اقتتلوا بعد اختلافهم
بالايمان والكفر ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من شاء فضلا منه ويخذل من شاء عدلا منه والآية
دليل على ان الانبياء متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن ينبغي لكن اعتبار
النفر فيما يتعلق بالعمل لا بالاعتقاد وان الحوادث بيد الله لقوله تعالى يفعل ما يريد تابعة
لمشيته خيرا كانت او شرا ايمانا او كفرا ولما كان الاختلاف على الانبياء سببا للجهاد الذي هو خطر
الدين وكان عماد الجهاد النفقة اتبع ذلك قوله رجوعا الى اول السورة من هنا الى آخرها او اتى
التاكيد بلفظ الامر لما تقدم الحث عليه من امر النفقة يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم
اي ما اوجبت عليكم انفاقه من الزكاة قاله السدي وقال غيره المراد به صدقة التطوع والنفقة
في الخير اي فلا تبخلوا بالانفاق فاني دار من البخل قال تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون وصرف الامر بالتبعيض الى الحلال الطيب يمنع احتجاج المعتزلة بها في ان الرزق لا يكون
الا حلالا لكونه مامورا به واتبعه بما يرغب ويرهب من حال يوم التناد الذي تنقطع فيه الاسباب
التي اقامها سبحانه وتعالى في هذه الدار فقال من قبل ان يات يوم موصوف بانه لا بيع فيه
اي فداء ولا خلة اي صداقة تنفع ولا شفاعة بغير اذنه والمعنى انه لا يفدى فيه اسير بمال ولا
الصداقة من مسا ولا الشفاعة من كبير لعموم ارادة الله تعالى لشيء من ذلك ولا يكون الا ما يريد

وقرا

وقرا ابن كثير وابو عمرو بالنصب في بيع وخلة وشفاعة ولا تنوين على الاصل والباقون
بالرفع والتنوين على انها في تقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة ولما حث سبحانه
وتعالى على الانفاق ختم الاية بذم الكافرين بكونهم لم يتحلوا بهذه الصفة لتحليهم من
الايمان وبعدهم منه وتكذيبهم بذلك اليوم فهم لا ينفقون لخوفه ولا يرجونه فقال بولا
ولا نصرة للكافرين والكافرون اي المعلوم كفرهم في ذلك اليوم هم المختصون بانهم الظالمون
اي الكاملون في الظلم لا غيرهم وقوله تعالى الله لا اله الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق
للعبادة لا غير الحي اي الدايم البقا القيوم اي الدايم القيام بتدبير الخلق وحفظه لا تاخذه
سنة وهو ما يتقدم النوم من الفتور الذي لا يسمى نعاسا قال ابو الهيثم العاملي وسنان اقعده
وسنان اقعده اي اصابه النعاس فرقت في عينه سنة وليس بنام اي لا يا خذه نعاس
ولا نوم وهو حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
حيث تعوق الحواس الظاهرة عن الاحساس فان قيل لم قدم السنة على النوم قيل لمبالغة
عكسه اجيب بان هذا ذكر على ترتيب الوجود اذ وجود السنة سابق على وجود النوم فهو على
طريقة لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فقد اتى الاحاطة والاحصار لانه ملاعب بالاخذ الذي
هو بمعنى القهر والغلبة وجب تقديم السنة كما لو قيل فلان لا يغلبه امير ولا سلطان وجملة
لا تاخذه سنة ولا نوم نفي للتشبيه بينه وبين خلقه وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه
نعاس او نوم كان باقة تخل بالحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي
الجمل التي بعده من قوله له ما في السموات الى آخره وقوله تعالى له اي بيده وفي تصريفه واختصاصه
ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا تقرير لتوحيده واحتجاج على تفرده في الالوهية
والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما كالكواكب والنبات والمعادن او خارجا عنهما
متمكنا فيهما كالملايكة والانس والجن وقوله تعالى من ذا الذي اي لا احد يشفع عنده الا باذنه
لكبريا نفسانه وانه لا احد يباويه او يدانيه يستقل بان يرفع ما يريده شفاعة وتواضعا له
فضلا ان يدفعه عنادا ومخاصمة يعلم ما بين ايديهم اي الخلق من امر الدنيا وما خلفهم اي من
امر الاخرة قاله مجاهد وقال الطيبي ما بين ايديهم يعني الاخرة لانهم يقدمون عليها وما خلفهم
الدنيا لانهم يخلفونها وراظهورهم وقيل ما بين ايديهم ما قدموه من خير او شر وما خلفهم ما هم
فاعلوه ولا يحيطون بشيء اي قليلا ولا كثيرا من علمه اي لا يعلمون شيا من معلوماته الا بما شاء
اي يعلمهم به منها باخبار الرسل وسع كرسيه السموات والارض اختلف في الكرسي فقال الحسن هو
العرش نفسه وقال ابو هريرة هو موضع امام العرش والاحاديث تدل عليه ومعنى وسع اي

سعته مثل سعة السموات والارض وفي الاخبار ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة وفلاة
والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة ويروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان السموات
السبع في الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس وقال علي ومقاتل كل قائمة من الكرسي طول ما
مثل السموات السبع والارضين السبع وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك
اربعة وجوه واقدامهم في الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى مسيرة خمسمائة عام ملك
على صورة ابي البشر ادم عليه الصلاة والسلام وهو يسأل للادميين الرزق والمطعم من السنة
الى السنة وملك على صورة سيد الانعام وهو الثور يسأل للانعام الرزق من السنة الى السنة
وعلى وجهه عضاضة من عبد العجل وملك على صورة سيد السباع وهو الاسد يسأل الرزق للسباع
من آسنة الى آسنة وملك على صورة سيد الطير وهو النسر يسأل للطير الرزق من السنة الى السنة
وفي بعض الاخبار ان ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعون حجابا من ظلمة وسبعون
حجابا من نور غلظ كل حجاب مسيرة خمسمائة عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة
العرش وقيل المراد بالكرسي علمه وقيل ملكه وقيل تصوير لعظمته وتمثيل بحر ولا يؤوده اي لا يثقله
ولا يثقل عليه حفظهما اي السموات والارض وهو العلي اي الرفيع فوق خلقه المتعالي عن الاشباه
والانداد العظيم اي الكبير الذي لا شيء اعظم منه المستحق بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه
الآية تسمى آية الكرسي مشتملة على اسمهات المسايل الالهية ناهيك دالة على انه موجود واحد
في الالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجود لغيره اذ القيوم هو القايم بنفسه المقيم
لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشياء ولا يشبهه ما يشبه
الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشغل
عنده الامر ادون له عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزيها واسع الملك والقدرة اي
المقدور كل ما علم ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم
لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اذا عظم ايه في القرآن آية الكرسي رواه
مسلم وروي النسائي وابن حبان وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا آية الكرسي في دبر
كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت فاذا مات دخل الجنة وروي البيهقي في
شعبه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يواظب عليها الا صديق او عابد وروي البيهقي ايضا ان
من قراها اذا آخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وعن ابي
ابن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل اي آية من كتاب الله اعظم قال قلت الله لا اله الا هو
الحي القيوم قال فضرب في صدري ثم قال ليهنك العلم ابا المنذر والذي نفسي بيده ان لها

وشفتين تقدسه الملك عند ساق العرش وعن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال من قراه
حين يصبح اية الكرسي واتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ من
يومه حتى يمسي فان قراهما حين يمسي حفظ في ليلته تلك حتى يصبح وروي ما قرية
اية الكرسي في دار الا هجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة ايضا
ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وتذاكر الصحابة افضل
ما في القرآن فقال لهم علي رضي الله تعالى عنه اني انتزعت اية الكرسي ثم قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد
الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد
الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة اية الكرسي لا اكراه
في الدين اي على الدخول فيه اي فمن اعطى الجزية لم يكره على الاسلام فهو عام مخصوص باهل
الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما
وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فنزلت وقيل عام منسوخ فكان هذا
في الابتدا قبل ان يومر بالقتال فصارت الاية منسوخة باية السيف قاله ابن مسعود وهو
قد تبين الرشد من الغي اي ظهر بالايات البينات ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية
وان الكفر غي يودي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادر بنفسه
الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجا فمن يكفر بالطاغوت
اي فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام ويومن بالله اي بالتوحيد وتصديق الرسل فقد
استمسك بالعروة الوثقى اي تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين لا انفصام اي
لا انقطاع لها قال التبتازاني شبه التدين بالايمان في الحق والثبات عليه على الهوى والايمان
بالتمسك بالعروة الوثقى المأخوذة من الحبل المحكم المأمون تقطعها ثم ذكر المشبه به
واراد المشبه وقال الزمخشري وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس
حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتشبث به انتهى والوثقى
تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل به الى رضى الله تعالى والله سميع
لما يقال عليم بالنيات والافعال وقيل سميع لدعايك اياهم الى الاسلام عليهم بحرصك على ايمانهم
الله ولي اي ناصر ومعين الذين امنوا اي اراد وا ان يومنوا لقوله تعالى يخرجهم اي بلطفه
وتاييده من الظلمات اي الكفر الى النور اي الايمان او انهم الثابتون على الايمان بان يخرجهم من

من الشبهة في الدين ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من جلعها حتى يخرجوا منها الى
نور اليقين وعن ابن عباس انهم قوم كانوا كفروا بعيسى فامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
والذين كفروا اولياهم الطاغوت اي الشيطان وقال مقاتل هو كعب بن الاشرف ويحيى
ابن اخطب وسايوس الضلالة يخرجونهم اي يوعونهم من النور النبي منحوه بالفطرة
الى الظلمات اي الكفر فان قيل كيف يخرجونهم من النور وهم كفار لم يكونوا في نور قط اجيب
بان الطبري في رويي عن ابن عباس انها نزلت في قوم امنوا بعيسى فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم كفروا به او انه تعالى ذكر الاخراج في مقابلة يخرجهم فهو على العموم في حق جميع
الكفار كما يقول الرجل لابيه اخرجتني من مالك ولم يكن فيه كما قال تعالى اخبارا عن يوسف
عليه الصلاة والسلام اني تركت ملة قوم لا يومنون بالله ولم يكن قط في ملتهم وقيل انزلت
في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لانه في تضليق قومه
تعالى واراداته به والطاغوت يكون مذكرا ومونثا وواحدا وجمعا قال تعالى في المذكر
والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وقال في الجمع يخرجونهم من النور الى الظلمات وقوله تعالى
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير قال البيضاوي ولعل مقابلته بوعد
المومنين تعظيم لشانهم ولما كان النمرود المحاج للخليل ممن اخرجته الشياطين من النور الى
الظلمات ذكره عقب ذلك فقال الم تر اي تعلم بما يخبرك به علما هو عندك كالمشاهدة لملكه
من ملكه البصيرة وبما اوعناه قيل من المعاني المنيرة الى الذي وهو نمرود حاج ابراهيم
وخاصم ابراهيم في ربه وهو اول من وضع التاج على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية
ان اي لان اتاه الله الملك فطغى اي كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه فاورثه
الكبر والعتو فحاج لذلك قال مجاهد هو ملك الارض مشرقها ومغربها اربعة نفر مومنان
وكافران اما المومنان سليمان صلى الله عليه وسلم وذو القرنين واما الكافران نمرود
ابن كنعان وبخت نصر لم يملكها غيرهم وفي الاية دليل على ان الله تعالى يعطي الكافر الملك فيقيم
حجة على منع ايتاء الملك الكافر من المعتزلة واول الملك بالمال والخدم الذي يتسلط به على
غلبة الناس لا الملك الحقيقي وبهذا اول الزمخشري اذ قال ابراهيم ربي الذي قرا حمزة ربي
بسكون الياء والباقون بنصبها يحيي ويميت اي يخلق الموت والحياة في الاجساد وهذا جواب
سوال غير مذكور تقديره قال له نمرود من ربك فقال ابراهيم ذلك واختلفوا في وقت هذه
المناظرة فقال مقاتل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه بالنار فقال له

من ربك

من ربك الذي تدعونا اليه وقال اخرون كان هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا
على عهد نمرود وكان الناس يمتارون من عنده فكلما اذا اتاه الرجل في طلب الطعام قال له
من ربك فان قال انت باع منه الطعام فاتاه ابراهيم فقال له من ربك فقال له ذلك
قال انا احيي واميت قرا نافع بهما الاتي من انا فتصير ما منفصلا والباقون بالقصر
قال الكلبي المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيى الاخر فجعل تارك القتل
احيانا فاستقبل ابراهيم الى محجة اخرى لا محجا بل لما راه مرعبا وته فان حجته لازمة لانه
اراد بالاحياء احياء الميت فكان له ان يقول فاحي ايت ان كنت صادقا لكنه انتقل الى حجة اخرى
اوضح من الاولى وذكرها الله تعالى قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس وهو الذي اوجدها
من المشرق اي في كل يوم قبل ان توجد انت بوهوره فات بها انت من المغرب ان كنت صادقا
فيما تدعيه ولو يوما واحدا وفي ذلك اشعار بان الله تعالى لابد وان ياتي بالشمس من المغرب
ليكون ذلك اظهار تصريفه لها حيث شاء حتى يطلعها من حيث غربت كما له يطلع
الروح من حيث شبهت ليكون طلوع الشمس من مغربها اية مقاربة قيام الساعة وطلوع
الارواح من ابوابها فبهت الذي كفر تحير ودهش وانقطعت حجته ولم يحر ابراهيم طمعا
فرجع ممن علي كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى
اهله ووضع متاعه ونام فقامت امراته الى متاعه ففتحته فاذا هو اجود طعام راته
فاخذته وصنعت له منه وقربته له فقال لها من اين هذا قالت من الطعام الذي جيت به
فعرف ان الله رزقه فحمد الله تعالى فان قيل كيف بهت نمرود وكان يمكنه ان يعارض ابراهيم
فيقال له سلمنا ربك حتى ياتي بها من المغرب اجيب بان الله صرفه عن ذلك اظهارا لحجة
عليه او معجزة لابراهيم عليه الصلاة والسلام او انه خاف ان لو سال ذلك دعا ابراهيم ربه
فكانت زيادة في فضيحته وانقطاعه ثم بعث الله تعالى الى نمرود ملكا ان امن بي والا تركل
على ملكك فقال هل ربك غيري فجاه الثانية فقال له ذلك فابى عليه ثم اتاه الثالثة فابى عليه
فقال له الملك فاجمع جموعك الى ثلاثة ايام فجمع الجبار جموعه فامر الله تعالى الملك ف
ففتح عليه بابا من البعوض فظلمت الشمس فلم يروها من كثرتها فبعثها الله عليهم فاكلت
شحومهم وشربت دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود كما هو لم يصبه من ذلك شي فبعث
الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فمكث اربعمايه سنة يضرب راسه بالمطارق وارحم
الناس من جمع يديه ثم ضرب بهما راسه وكان جبارا اربعمايه سنة فعذبه اربعمايه سنة
كملكه ثم اماته الله وهو الذي بنا صرحا طويلا ليصعد منه الى السما ليقاتل اهلها فارسل الله

فهو منه وسياتي قصته في غافر ان شا الله تعالى والا لا يهدي القوم الظالمين بالكفر على محجة
الاحتجاج او كالذي مر على قرية تقديره او رايت مثل الذي نحذف لدلالة المذكور عليه لان
كلتيهما كلمة تعجب فحصيصه بحرف التشبيه لان المنكر في الاحيا كثير والجاهل بكيفيته
اكثر من ان يحصى بخلاف موتى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام المذكور الذي
حاج او الذي مر وقال المارعزير ابن شرحيا او الخضر او كافر بالبعث وهو يؤيد هذا نظمه مع نمرود
في سلك وكلمة الاستفهام التي هي اني يحيي واكثر المفسرين على الاول والقرية بيت المقدس
حين خربها بخت نصر وقتل بني اسرايل حتى افناهم ثم امر جنوده ان يملا كل رجل منهم
ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤه ثم امرهم ان يجمعوا من كان في بلدان
بيت المقدس فاجتمع عنده صغيرهم وكبيرهم من بني اسرايل فاختار منهم سبعين الف صبي
فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل منهم اربعة وفرق من بقي من بني اسرايل
ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا باعهم وثلثا اقرهم بالشام وقيل هي القرية التي خرج منها الوف
وقيل غيرها وهي خاوية اي ساقطة على عروشها اي سقوفها بان سقط السقف اولا ثم سقطت
الجدران عليه لما خربها بخت نصر قال اي كيف يحيي هذه الله بعد موتها اي بعمارته اليه من الخراب
وذهاب الاهل فيعيدها الى ما كانت عليه عامرة اهلة وهذا اعتراف بالعجز عن معرفة طريق
الاحيا واستفهام لقدرته المحيي ان كان القايل مومنا واستبعاد ان كان كافرا فاماته الله
والتبه مايه عام ميتا ثم بعثه بالاحيا ليريه كيفيته ذلك قال كم لبثت اي مكثت اي لما احياه
الله بعث اليه ملكا فساله كم لبثت وعن ابن عباس ان عزيرا دخل الخربة على حمار له فربط
عن حماره ومعه سلة فيها تين فنزل في ظل تلك الخربة واخرج قصعة كانت معه فاعتصر
من العنب الذي كان معه في القصعة ثم اخرج خبزا يابسا معه فالقاه في تلك القصعة في
الصميم ليبتل لياكله ثم استلقى على قفاه واسند رجليه الى الحايط ورای عظاما بالية فقال
تعجبا فبعث الله ملك الموت فقبض روحه فاماته الله مايه عام فلما اتت عليه مايه عام
وكان فيما بين ذلك في بني اسرايل امور واحوال فبعث الله الى عزير ملكا فخلق قلبه ليعقل به
وعينيه لينظر بهما فيفعل كيف يحيي الله الموتى ثم ركب خلقه وهو ينظر كسا عظامه اللحم والشعر
والجلد ثم نفخ فيه الروح كل ذلك يرى ويعقل فاستوى جالسا فقال له الملك كم لبثت قال لبثت
يوما وذلك ان الله اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مايه عام في اخر النهار قبل غيبوبة الشمس
فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض يوم
اي بل بعض يوم قال له الله او الملك بل لبثت مايه عام قرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثا

المثلثة في كم لبثت وفي قال لبثت وفي بل لبثت والباقون بالادغام ثم قال له الله او الملك
فانظر الى طعامك وكان تينا او عنبا وشرابك وكان عصيرا او لبنا لم يتسنه اي لم يتغير بمرور
الزمان وكان التين او العنب كانه قد قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر او اللبن قد حلب
من ساعته قال الكسايي كانه لم يات عليه السنون وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب
كالجنس الواحد فان قيل اذا كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله اجاب الزمخشري بان
الكلام كان بعد البعث ليريك اذ ذاك كافرا وقال ابو حيان لا نص في الاية ان الله كلمه
شفاها وقرا حمزة والكسايي لم يتسن بادغام الهاا اذا وصلها بما بعدها والباقون باثباتها
وفي الوقف ثابتة للجميع وانظر الى حمارك كيف هو فراه ميتا وعظامه بيضا وكان له حمار قد
ربطه وقيل راه حيا ممكنا كما ربطه حفظ بلا ماولا علف كما حفظ الطعام والشراب من التغير
وقوله تعالى ولنجعلك اية للناس معطوف على محذوف تقديره فجعلنا ذلك لتعلم وتجعلك
اية وقيل الواو زايدة مقحمة اي لنجعلك عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وانظر الى العظام
كيف ننشزها قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالراو ومعناه نحييها والباقون بالزاي ومعناه
نرفعها من الارض ونردها الى ما كانها من الجسد للناس وفي الاية تقديم وتاخير
وتقديرها وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك اية للناس واختلفوا
في معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد به عظام حماره وهذا يؤيد كون حماره ميتا وقال
السدي ان الله احيا عزيرا ثم قال له انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنعث الله ريحا
فجات بعظام الحمار من كل سهل وجبل الذي ذهبت به الطيور والسباع فاجتمعت فركب
بعضها في بعض وهو ينظر فصار حمارا من عظام ليس فيه لحم ولا دم ثم كسا العظام لحما
ودما كما قال تعالى ثم نكسوها لحما فصار حمارا لا روح فيه ثم اقبل ملك يمشي حتى اخذ منخر
الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق باذن الله تعالى وقال الاقلون اراه به هذا الرجل فاحيا
الله عينيه وراسه وساير جسده ميت ثم قال انظر الى حمارك فراى حماره قايما واقفا كهيية
يوم ربطه وهذا يؤيد كون حماره كان حيا وذلك مما اعظم الايات ان يبقيه مايه عام من
غير علف ولا ماء قاله الضحاك وقتادة وتقدير الاية اي على هذا وانظر الى حمارك وانظر الى
عظامك كيف ننشزها وروي ان عزيرا لما احياه الله تعالى ركب حماره حتى اتى محلته فانكره
الناس وانكر الناس ومنازله فانطلق على وجهه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة اتى
عليها مايه وعشرون سنة كانت امة لهم فخرج عزير عنهم وهي بنت عشرين سنة فقال لها هل
عزير ها هنا قالت نعم هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير وبكت وقالت ما راين احدا منذ كذا وكذا

سنة يذكر عزيرا فقال فاني انا عزير فقالت سبحان الله فان عزيرا فقدناه من مائة سنة
لم نسمع له بذكر قال ان الله اماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب
الدعوة يدعو اللبن فيفور وصاحب البلايا العافية فادع الله ان يرد علي بصري حتى اراك فان
كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده علي عينيها فصحتا واخذ بيدها فقالت قومي
باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزيز
فانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن العز يوشيخ ابن مائة سنة وثمانية
عشر سنة وبنو ابنيه شيوخ في المجلس قال الضحاك كان عاد الى قريته شابا واولاد اولاده شيوخ
وعجائز وهو اسود الراس واللحية فقالت بنو اسرائيل ما تركنا فينا احد حفظ التوراة غيرنا
حدثنا عنها عزير فقالت هذا عزير فوجاكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعا الي ربه
فرد علي بصري واطلق رجلي وزعم ان الله اماته مائة سنة ثم بعثه فتهافت الناس واقبلوا اليه
وقالوا ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلالين بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير فقالت
بنو اسرائيل فانه لم يكن فينا احد حفظ التوراة فيما حدثنا غيرك عزير فقال لهم التوراة مزيد
الحفظ ولم يحفظها احد قبله فمرقوه بذلك وقالوا هو ابن الله وسيأتي الكلام على ذلك في سورة
براءة ان شاء الله تعالى فلما تبين له ذلك بالمشاهدة وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان
الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه بحاف
قولهم ضربني وضربت زيدا وقرأ حمزة والكسائي بوصل الهمزة قبل العين وسكون الميم والباقون
بقطع الهمزة ورفع الميم واذكر اذ قال ابراهيم رب ارني اي ابصرني قرأ ابن كثير والسوسي
بسكون الراء ارني وقرأ الدوري باختلاس الكسرة والباقون بكسرها كاملة كيف تحيي الموتى
قال الحسن وقتادة والضحاك كان سبب هذا السؤال ان ابراهيم عليه السلام انه مر على
دابة ميتة قال ابن جريج كانت جيفة حمار فراها وقد توزعتها دواب البحر والبر فكان اذا
مد البحر جاء الحيتان ودواب البر فاكلت منها وما وقع منها يصير في البحر واذا انحسر البحر جاء
السباع فاكلت منها وما وقع منها يصير ترابا فاذا ذهبت السباع جاء الطير فاكلت منها
وما سقط قطعته الريح في الهواء فلما راى ذلك ابراهيم تعجب منها وقال يا رب قد علمت ان ذلك
لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارني كيف تحييها فاراد
بقينا فعاتبه الله بقوله قال اولم تؤمن بقدرتي على الاحياء سألك مع علمه بانه لم يسأله
ليجيب بما اجاب به فيعلم السامعون غرضه قال بلى يا رب امنت ولكن ليطمئن قلبي اي
ليكن قلبي الى المعاينة والمشاهدة اراد ان يصير له بعد علم اليقين عين اليقين فان

العيان

العيان يفيد من المعرفة والطمانينة ما لا يفيد الاستدلال واما قوله صلى الله عليه وسلم نحن
احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي فقال
ابو سليمان الخطابي ليس فيه اعتراف بالشك على نفسه ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك
عنهما يقول اذا لم اشك في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقل
ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله ولو لبثت في السجن طول
ما لبث يوسف وقيل سبب سؤاله انه لما قال له نمرود انا احيي واميت قال له ان احيا الله
برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر
ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه في الجواب ان سئل عنه مرة اخرى فان قيل لم تعلقت اللام
في ليطمئن اجيب بانها تعلقت بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمانينة القلب
وقيل بل كان مقصوده بالسؤال المحيي ولكنه طلبها تلوح له فاجيب بالمنع منها تلويحا وهو
عليه الصلاة والسلام لما سأل تصريحا اجيب تصريحا قال تعالى فخذ اربعة من الطير قال مجاهد
وابن جريج اخذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان
شبها لكثرة الريش والمشي على رجلين واجمع للحوائج من الحيوان لان فيها ما يطعم وما يهتدي
للطريق كالعقاة وللمياه كالهدهد وفي هذا ايما على ان احياء النفس بالحياة لا يروعه انما
يتاتى بامانة حب الشهوات والزخارف التي صفة الطاووس والصولة المشهور بها الديك
وخسة النفس وبعد الامل المتقين بهما الغراب والترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم
بهما الحمام ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وروي بدلها البطة وبدل الغراب الغرنوق هو
فصرهن اي فاملهن واضممهن اليك قرا حمزة بكسر الصاد والباقون بضمها فان قيل
ما معنى امره بضم الطير الى نفسه بعد ان باخذها اجيب لينا ملها ويعرف اشكالها وهيأتها
وحلاها ليلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يا تينك سعيا وروي
انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها
وان يمسك رؤوسها ثم امران يجعل اجزاءها على الجبال كما قال تعالى ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس وقتادة امره الله ان يجعل
كل طاير اربعة اجزاء ويجعلها على اربعة اجبل على كل جبل جزء من كل طاير وقال السدي
وابن جريج جزاها اسبعة اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤوسهن ثم دعاهن
تعالين باذن الله تعالى فجعل كل قطرة من دم طاير تصير الى القطرة الاخرى وكل ريشة الى
الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الاخر وابراهيم ينظر حتى صارت جثثا بغير رؤس

ثم اقبلن الى رؤسهن سعيا فالتقى كل طائر برأسه فذلك قوله تعالى ثم ادعهن يأتينك سعيا
اي سريعا وقيل شيا لانها لو طارت لربما توهم متوهم انها غير تلك الطير وان ارسلها غير سليمة
قاله البيضاوي وفي ذلك اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه ان يقبل
على القوى البدنية كالشهوة والغضب فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فطا
مرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ومنه
اي بركته للفراغة في الوعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد ان يريه في اقل
على ايسر الوجوه واراه عزيزا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عن
ما يريده حكيم ذو احكمة بالغة في كل ما يفعله مثل الذين ينفقون اي ينفقون اموالهم
يطيب النفس في سبيل الله الذي له الملك كله اي في طاعته كمثل زراع ومثل ما ينفقون
كمثل حبة مما يزرعه فلا بد من حذف كما تقرر ويقال مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل
باذر حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والمنبت هو الله تعالى ولكن لما
لما كانت سببا اسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر
باظهار تاء التانيث عند السين والباقون بالادغام ومعنى انبتت سبع سنابل ان يخرج
منها ساق تتشعب منه سبع شعب لكل واحد سنبلة وهذا التمثيل لتصوير الاضعاف كأنها
مصورة بين عينيك للناظر في فان قيل كيف صح هذا التمثيل ولم تر سنبلة فيها مائة حبة
اجيب بان ذلك موجود في الذرة والدخن وغيرهما وربما قرضت ساق البرة في الارض
القوية المغلة فبلغ جهاز هذا المبلغ وعلى تقدير عدم وجوده هو غير مستحيل وما لا يكون
مستحيلا يجوز ضرب المثل به وتاول ذلك الضحاك فقال كل سنبلة انبتت مائة حبة فان قيل
هلا قال تعالى سبع سنبلات لانه جمع قلة كما قال الله تعالى وسبع سنبلات خضر اجيب
بما تقدم في قوله ثلاثة قروء والله يضاعف لمن يشاء بفضله تلك المضاعفة او يضاعف
على هذا تمييز لمن شاء ما بين سبعين الى سبعمائة الى ما شاء من الاضعاف ما لا يعلمه الا
الله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تتفاوت الاعمال في مقادير
الثواب والله واسع اي غني يعطي عن سعة عليم بنية المنفق ومقدار اخلاصه وقدر انفاقه
وبمن يستحق المضاعفة الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله اي في طاعته قال الكلبي
نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما جاء عبد الرحمن باربعة
الاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان عندي ثمانية الاف درهم
فامسكت منها لنفسي وعيالي اربعة الاف واربعة الاف اقرضتها ربي فقال رسول الله صلى الله

عليه

وعد

ديي

عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت واما عثمان فجهز المسلمين في غزوة
تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها والف دينار قال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان
بالف دينار في جيش العسرة فنثرها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم فرايت النبي صلى الله عليه
وسلم يقلبها في حجره ويقول ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم وقال يا رب
عثمان رضيت عنه فارض عنه ثم لا يتبعون ما انفقوا منا اي على المنفق عليه بقولهم
مثلا قد احسنت اليه وجبرت حاله فيمنون عليه النعمة فيخبر الله عباده المن هو
بالسبقة واختص به صفة لنفسه لانه من العباد تقبيح وتكدير ومن الله افضال
وتذكير وكان السلف يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها والعرب يتمدحون بترك المن
ويذمون عليه فمن الاول قول القايل زاد معروفك عندي عظما انه عندك مستور حقير
تتناساه كان لم تاته وهو في العالم مشهور كبير ومن الثاني قول القايل
وان امرؤ اسدى الي صنيعة وذكرنيها مرة لبخيل وقيل طعم الا لا احلى من المن
وهو امر من الالا مالمن ويطلق المن ايضا على النعمة يقال لفلان علي منة اي نعمة والمنون الايذاء
فحيي علينا بالسلام فانما كلامك يا قوت ودر منظم وقال تعالى لقد من الله على المؤمنين
اذ بعث فيهم رسولا الاية ولا اذي له كان يذكر ذلك الى من لا يجب وقوفه عليه او هو
يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذي لهم
اجرهم اي ثواب انفاقهم عند ربهم ولا خوف عليهم اي فلا يخافون فقد اجورهم ولا هم
يحزنون في الاخرة بسبب ان لا يوجد قول معروف اي كلام حسن ورد على السايل جميل لان
القول الجميل وان كان يرد السايل يفرح قلبه ويروح روحه وقيل عدة حسنة ومغفرة
اي بان يستر عليه خلته ولا يهتك ستره ويتجاوز عنه اذا وجد منه ما يثقل عليه عند رده هو
خير من صدقة يوقعها اليه يتبعها اذي اي من وتعيير للسايل او قول يؤذيه فان قيل
لم يقل ذكر المن فيقول يتبعها من ولا اذي اجيب بان الاذي يشمل المن وغيره كما تقرر
انما نص عليه فيما مر لكثرة وقوعه من المتصدقين وعسر تحفظهم منه ولذلك قوم على الاذي
قال بعضهم الاية واردة في صدقة التطوع لان الواجب لا يحل منعه ويحتمل ان يراد بها
الواجب فانه قد يعود به عن سايل الى سايل وعن نفر الى نفر وانما صح الابتدا بالنكرة وهي قوله
لاختصاصها بالصفة وهي معروف واما المعطوف عليه وهو مغفرة فلا يحتاج الى تخصص
لتبعيتها والله غني عن صدقة العباد وانما امرهم ليثيبهم عليها حليم يتاخر العقوبة عن
المان والموذي بصدقته يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم اي اجورها لان الصدقة

وقعت فلا يصح ان تبطل بالمن والاذي فان قيل ظاهر هذا اللفظ ان مجموع المن والاذي
يبطلان الاجر فيلزم انه لو وجد احدهما دون الاخر لا يبطل الاجر اجيب بان الشرط ان لا
يوجد واحد منهما لان قوله تعالى ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لا يقتضي هذا
ولا هذا اي فتبطل بكل واحد منهما ابطالا كالذي اي كابطال اجر نفقة الذي ينفق ماله
رياء الناس اي مراياة لهم ليروا انفقته ويقولون انه كريم سخي ولا يؤمن بالله واليوم الاخر
وهو المنافق لان الكافر معلق بكفره غير مراء مثله اي هذا المرائي في انفاقه كمثل صفوان
وهو الحجر الاملس عليه اي استقر عليه تراب والتراب معروف وهو اسم جنس لا شيء ولا يجمع
وقال المبرد هو جمع واحده ترابة وفائدة هذا الخلاف انه لو قال لزوجته انت طالق عدد
التراب انه يقع عليه طلقة على الاول وهو الاصح وثلاث على الثاني فاصابه وابل وهو المطر الشديد
العظيم القطر فتركه صلدا اي املس نقيا من التراب وقوله تعالى لا يقدرون على شيء مما كسبوا
استيناف لبيان مثل المنافق المنفق مراءاي لا يجدون له ثوابا في الاخرة كما لا يوجد على الصفوان
شيء من التراب بعد قوله كالذي ينفق اجيب بانه عليه لاذهاب المطر له فان قيل ليته قال تعالى
لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق اجيب بانه تعالى اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي
ينفق ولان من والذي تعاقبتا فكانه قيل كمثل ينفق وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء
يقول الله لهم يوم يجازي العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا فانظروا هل
تجدون عندهم جزاء وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه ان الله
تعالى اذا كان يوم القيامة ينزل الى العباد اي امره ليقضي بينهم وكل امة جاثية واول من يدعو به
رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ الم اعلمك
ما انزلت على رسولي قال بلى قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم به انا الليل وانا النهار فيقول
الله له كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ويؤتى
بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال فماذا
عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول
الله بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول له فيما قتلت
فيقول يا رب امرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت
ويقول الله بل اردت ان يقال فلان اجرى شجاع وقد قيل ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي
فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة والله لا يهدي القوم الكافرين

في علمه الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذي على الانفاق صفة الكفار
ولا يوان يبعث عنها ومثل نفقات الذين ينفقون اموالهم ابتغاء اي طلب مرضاة الله اي رضاه
وتثبيتا من انفسهم اي تثبيتا بالنظر في اصلاح العمل واخلاصه بالتحمل على الخير والصبر على شاق
الطاعة فان من يراض نفسه يحملها على بذل المال الذي هو شقيق الروح فان بذله اشق شيء على
النفس لان النفس اذا رضيت بالتحمل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت طاعة لصاحبها
وقل طمعها في اتباعه لشهواتها فيسهل عليه حملها على ساير العبادات ومتى تركها وهي مطبوعة
على الثبات قويت طمعها في اتباع الشهوات من للتبعيض مفعول به مثلها في قولهم هز من
عطفه وحرك من نشاطه فان قيل ما معنى التبعيض اجيب بان معناه ان من بذل
ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فهو الذي ثبتها كلها او تصديقا
للام وتحقيقا للخبر او من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه
وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ممن على هذا الابتداء الغاية كقوله تعالى
حسدا من عند انفسهم كمثل جنة اي بستان بربوة وهي المكان المرتفع الذي تجري فيه الانهار
فلا يعلوه الماء ولا يعلو على الماء وانما جعلها بربوة لان النبات عليها احسن وازكى وقرأ ابن عامر
وعاصم بفتح الراء والباقون بضمها اصابها وابل اي مطر شديد كثير فاتت اي اعطت اكلها اي
ثمرتها وقرأ نافع وابن كثير وابو عمر بسكون الكاف والباقون بضمها ضعفين اي مثلي ما يثمر
غيرها بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل وقيل اربعة امثاله لان الضعف قدر الشيء ومثله معه
فيكون الضعفان اربعة واستظهره البقاعي وقال ابو حيان يحتمل انها للتكثير اي ضعفا بعد
ضعف اي اضعافا كثيرة لان النفقة لا تضاعف بحسنة فقط بل بعشر وسبعمائة وازيد ولعبه
على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اي مطر خفيف يصيبها ويليقها للارتفاع منها والمعنى تثمر
وتزكو اكثر المطر او اقل فكذلك نفقات من ذكر تزكو عند الله كثرت او قلت والله بما تعملون
بصير فيجازيكم به ففيه وعد ووعيد ايود احدكم استفهام بمعنى التحضيض اي ليود احدكم ان تكون له جنة اي
بستان من نخيل جمع نخلة وهي الشجرة القائمة على ساق ثمرها منافع اعلاها في كلها نفع حتى
في خشبها مثلها كمثل المؤمن الذي ينتفع به كله واعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم لا يختص ثمره
بجهة العلو اختصاص النخلة بل يتفرع علوا وسفلا ويمنة ويسرة مثله كمثل المؤمن المتقي الذي
يكرم بتنوعه في كل جهة ولما كانت الجنان لا تقوم ولا تدوم الا بالماء قال تعالى تجري من تحتها الانهار
اي من تحت هذه الاشجار له فيها اي الجنة ثمر مع ثمر التحمل والعنب من كل الثمرات فهي محتوية
على ساير انواع الاشجار وانما خص التحمل والعنب بالذكر لشرفهما وكثرة منافعهما وحسن منظرهما

اذا
مع

واصابه اى والحال ان اصابه الكبر اى كبر السن فصار لا يقدر على الكتساب وله ذرية ضعفا
بالصغر كما ضعف هو بالكبر فاصابها اى الجنة اعصار وهو الريح العاصف الذى يرتفع الى
السماء كانها عمود وتسميها العامة بالزوبعة وجمعه اعاصير والاعصار من بين سائر الرياح
مذكر ولهذا رجع اليه الضمير مذكرا فى قوله فيه نار فاحترقت تلك الجنة فقدها اى الاحوج
احوج ما كان اليها وبقى هو واولاده عجزة متحيرين لا حيلة لهم وهذا مثل ضربه الله تعالى
لعمل المنافق والمرائى يقول عمله فى حسنه كحسن الجنة ينتفع بها كما ينتفع صاحب الجنة فاذا
كبر وضعف وصار له اولاد صغار اصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت احوج ما يكون
اليها وضعف عن اصلاحها لكبره وضعفت اولاده عن اصلاحها لصغرهم ولم يجد هو ما يعود
به على اولاده ولا اولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة لهم كذلك
يبطل الله عمل المنافق والمرائى فى الاخرة حين لا منفعة لهما ولا توبة ولا اقالة والاستفهام بمعنى
النفى وعن ابن عباس هو مثل لرجل عمل بالطاعات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى
احرق اعماله كذلك اى مثل هذا البيان يبين الله اى الذى له الكمال كله لكم الايات لعلكم اى لكى
تتفكرون فيها فتعتبرون بها ولما ذكر سبحانه وتعالى الانفاق على قسمين وبين كل قسم وضرب
له مثلا ذكر كيفية الانفاق بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا انفقوا اى تزكوا من طيبات اى جياد
ما كسبتم من المال بالتجارة والصناعة وفيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث
وعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل
من كسبه وان ولده من كسبه وقال صلى الله عليه وسلم ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان ياكل
من عمل يده وكان داود لا ياكل الا من عمل يده والزكاة واجبة فى مال التجارة فيعد الحول تقوم البرو
فيخرج من قيمتها ربع العشر اذا كان قيمتها عشرين دينارا او مائتى درهم قال سمرة بن جندب
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرنا ان نخرج الصدقة من الذى يعد للبيع ومما اى ومن طيبات
ما اخرجنا لكم من الارض من الحبوب والثمار والمعادن فحذف المضاف وهو طيبات من الثانى لتقدم ذكره
وفى هذا امر باخراج العشر من الثمار والحبوب واتفق اهل العلم على ايجاب العشر فى النخيل
والكروم وفيما يقتات من الحبوب ان كان مسقيا بماء السماء او من نهر يجرى الى ارضه من غير مونة
وان كان مسقيا بساقية او نضح فيه نصف العشر لقوله صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء
والعيون او كان عثريا العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر وعنه صلى الله عليه وسلم
ليس فى حب ولا ثمر صدقة حتى يبلغ خمسة اوسق وقال قوم الاية فى صدقة التطوع قال النبى
الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا او يزرع زرعا فيأكل منه انسان او طير او بهيمة الا

كانت له

كانت له صدقة ولا تيمموا اى تقصدوا الخبيث اى الردى منه اى المذكور تنفقون فى
الزكاة حال من ضمير تيمموا ولستم باخذيه اى الخبيث الا ان تغمضوا اى تسامحوا فيه بالجناية
مع الكراهة مجازا من اغمض بصره اذا غضه وروى عن ابن عباس قال لو اهدى ذلك الكم ما اخذه
الا على استحياء من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لى ما لا ترضون لانفسكم وعن ابن عباس
كانوا يتصدقون بشر التمر وشراره فنهوا عن ذلك هذا اذا كان المال كله او بعضه جيدا
فان كان كل ماله رديا فلا باس باعطاء الردى واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما امركم
به لانتفاعكم حميد اى يجازى المحسن افضل الجزاء على انه لم يزل محمودا ولا يزال معذبا واثابا
الشيطان يعدكم الفقر اى يخوفكم به ان تصدقتم ويقال وعدته خيرا واوعدته شرا
قال تعالى فى الخير وعدكم الله مغانم كثيرة وقال فى الشر النار وعدها الله الذين كفروا فاذا
لم يذكر الخير والشر قلت فى الخير وعدته وفى الشر اوعدته والفقر سوء الحال وقلتم ما فى اليد
واصله من كسر الفقار ومعنى الاية ان الشيطان يخوفكم بالفقر ويقول للرجل امسك مالك
فانك اذا تصدقت افتقرت ويامركم بالفحشا اى بالبخل ومنع الزكاة قال الكلبى كل فحشاء فى
القرآن فهو الزنا الا هذا الموضع والله يعدكم مغفرة منه لما وقع منكم من تقصير وفيه
اشعار بانه لا يقدر احد ان يقدر الله حق قدره لما له من الاحاطة بصفات الكمال ولما جبل عليه
الانسان من النقص وفضلا بالزيادة فى الخواص وكرامة منه فضل ثم اكد ذلك بقوله تعالى
والله واسع فضله وعطاؤه عليم بالمنفق وغيره وفيه اشارة الى انه لا يضيع شيأ وان قل
وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال
ابن ادم انفق انفق عليك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمين الله ملاى لا يغيضها
نفقة سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص
ما فى يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الاخرى القسط يرفع ويخفض وعن ابى سعيد ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انفق ولا تحصى فيحصى الله عليك ولا توعى فيوعى الله
عليك يوتى الحكمة اى العلم النافع المودى الى العمل وقال الثورى هى النبوة وقال ابن
عباس وقتادة علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره
وحلاله وحرامه وامثال ذلك وقال الضحاك هى القرآن والفهم فيه وقال فى القرآن مائة
وسبع ايات ناسخة ومنسوخة والبقية حلال وحرام لا يسع المومنين تركهن حتى يتعلموهن
وقال مجاهد هو القرآن والعلم والفقه وقوله تعالى من يشاء مفعول اول للاهتمام به والمفعول الثانى
وهو الحكمة ومن يوت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا المصيرة الى السعادة الابدية وما يذكر فيه ادغام التا

في الاصل في الدال اي ما ينتفظ بما فيه من الايات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما ودع الله
في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب اي اصحاب العقول الخالصة من شوايب الوهم والركون
الى شابة الهوى وما انفقتم اي اردتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية زكاة او صدقة
تطوعا او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط فوفيتم به فان الله يعلمه فيجازيكم به فان قيل
لم رجع الضمير في يعلمه وقد تقدم شان النفقة والنذر اجيب بان العطف بالواو يحتمل
لاحد الشيين نحو لزيد او عمرو اكرمته ولا يجوز اكرمتهما بل يجوز ان يراعي الاول نحو زيد
او هند منطلق والثاني نحو زيد او هند منطلقة والاية من هذا او من مراعاة الاول واذا
مر او تجارة او لهوا انفضوا اليها ولا يجوز ان يقال منطلقات ولهذا اول النحاة قوله تعالى
ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما سيأتي ان شاء الله تعالى وما للظالمين بمنع الزكاة
والنذر او بوضع الانفاق في غير محله من معاصي الله تعالى من انصار اي من ينصرهم من الله
ويمنعهم من عقابه فهو على طريق التوزيع والمقابلة اي لا ناصر لظالم قط فضلا ما تقدم
ان تنفي الانصار لا يوجب نفي الانصار ان تبدوا اي تظهروا الصدقات اي النوافل فنعما هي
اي فنعم شيا ابدوها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون والباقون بكسرها
وقرا قالون وابو عمرو باختلاس كسرة العين والباقون بالكسرة الكاملة وان تخفوها
اي تسروها وتوتوها الفقرا اي تعطوها لهم في السر فهو خير لكم اي افضل من ابدائها
واعلانها وهما للفقرا افضل من اتيانها للاغنيا لقوله صلى الله عليه وسلم صدقة السر افضل
من صدقة العلانية فنزلت هذه الاية وفي الحديث صدقة السر تطفي غضب الرب وقوله
صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في عبادة
الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله فاجتمعا
عليه وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة
ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم
شماله ما تنفق يمينه نعم ان كان ممن يقتدى به فاظهارها في حقه افضل اما صدقة الفرض
فالافضل اظهارها كالصلاة المكتوبة في الجماعة افضل والنافلة في البيت افضل هو
وليقتدي به ليلا يتهم ولا يجوز دفع شيء منها للاغنيا وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما صدقة السر في التطوع تفضل على علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة على علانيتها
افضل منها بخمسة وعشرين ضعفا تنبيه الصدقة تطلق على الفرض والنفل قال
تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وقال عليه الصلاة والسلام نفقة المرء على عياله

صدقة

صدقة والزكاة لا تطلق الا على الفرض ويكفر عنكم من سيئاتكم اي بعضها وقيل من جملة
وقرا ابن عامر وحفص بالياء التحتية والباقون بالنون وقرا نافع وحمزة والكسائي بجزم الرا
بالعطف على محل فهو والباقون بالرفع على الاستيناف وقوله تعالى والله بما تعملون خبير
فيه ترغيب في الاسرار لانه عالم بباطن الشي كظاهره لا يخفى عليه شي منه ولما منع النبي صلى
الله عليه وسلم المسلمين من التصدق على فقرا المشركين كي تحملهم الحاجة ليسلموا نزل ليس
عليك هداهم اي لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين فتمنعهم الصدقة فيه خواف
الاسلام حاجة منهم اليك وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبايح
كالمن والاذى وانفاق الخبيث وقوله تعالى ولكن الله يهدي من يشا اي هداية التوفيق
مرجع بان الهداية من الله وبمشيته وانما يخص بقوم دون قوم اما هدى البيان فكانت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطوهم بعد نزول الاية وما تنفقوا من خير اي من مال
وقوله تعالى فلانفسكم خبر لمبتدا محذوف اي فهو لانفسكم لان ثوابه لها فلا تمنوا به على
غيركم ولا تؤدوهم بالتطاول عليهم ولا تنفقوا الخبيث وقوله تعالى وما تنفقون الا ابتغا
وجه الله عطف على ما قبله اي وليس تنفقتكم الا ابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم
تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجر مثله الى الله تعالى وما تنفقوا من خير يوف اليكم
ثوابه اضعافا مضاعفة فلا خير لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على اخس الوجوه
واجلها والجملتان تاكيد للاولى وهي وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما يخلق المنفق هذه
استجابة لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اعط المنفق خلفا والممسك تلفا رواه البخاري وانتم
لا تظلمون اي لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيا تفضلا من الله تعالى عليكم وهذا في صدقة
التطوع ايا ما اراد الله تعالى ان توضع في اهل الاسلام واهل الذمة وقيل جاءت اسما بنت ابي بكر
فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت وروى النسائي والحاكم ان ناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وقوم كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما
اسلموا كرهوا ان ينفقوا هم فنزلت وعن بعض العلما لو كان المنفق عليه اشر خلق الله كان لك ان
تنفق واما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها الا في المسلمين اهل الشهادة المذكور في
سورة التوبة لكن جوز ابو حنيفة رحمه الله صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وقوله تعالى
للفقرا خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقرا او متعلق بفعل مقدر كما جعلوا ما تنفقون للفقرا
الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا انفسهم على الجهاد وهم فقرا المهاجرين كانوا نحو اربعمائة
لم يكن لهم مسكن بالمدينة ولا عشاير كانوا يكنون صفة المسجد يستفرقون اوقاتهم بالتعلم

والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المشهور
بالصحابة بهذه الصفة فمن الله عليهم الناس فكان من عنده فضل اتاهم به اذا امسي
لا يستطيعون ضربا اي سفرا في الارض للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد يحسبهم
الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف اي لاجل تعففهم عن السوال وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة بفتح السين والباقون بكسرها تعرفهم ايها المخاطب بسيماهم اي بعلامتهم من
التخشع والتواضع وصفرة الوجوه وترثاثة الحالة لا يسالون الناس الحافا اي لا سوال لهم اصلا فلا يقع منهم الحاق ومثله قولك الشاعر لا ينزع الاريب
من اهلها ولا يرى الضب بها فينجحر اي ليس فيها اريب فينزع لهوبها ولا ضب فينجحر
وليس المعنى انه ينفي النزوع عن الاريب والانجحار عن الضب والا كان الاحتجاج وهو اللزوم
وان لا يفارق الاشيء بيطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده
وقيل انهم ان سالوا سالوا تبلطف وليس بلحوا قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم
المتعفف ويبغض البذي السوال الملحف وقال صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله
فيذهب فياتي بحزمة حطب على ظهره فيكف بها وجهه خير له من ان يسال الناس اشياهم
اعطوه او منعوه وقال صلى الله عليه وسلم من سال وله ما يغنيه جا يوم القيامة ومسالته
في وجهه خدوش قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها وما تنفقوا
من خير اي مال فان الله به عليم فيجازيكم وفي هذا ترغيب في الانفاق الذي ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يمونون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على
الخير نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه تصدق باربعين الفا بالليل
وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وفي علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
تصدق باربعين الفا بالليل كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا
ودرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقال الاوزاعي نزلت في الذين يربطون الخيل
للجهاد وانها تغلق ليلا ونهارا سرا وعلانية روي انه صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا
في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم
القيامة وقوله تعالى فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين هم
ينفقون والفا للسببية فان قيل اي فرق بين قوله هنا فلهم اجرهم وفيما مر لهم اجرهم اجيب
بان الموصول ثم لم يضمن معنى الشرط وضمنه هنا الذي يأكلون الربا اي ياخذونه وهو
لغة الزيادة وشرعا عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد

اومع

اومع تاخير في البدلين او احدهما وهو ثلاثة انواع ربا الفضل وهو البيع مع زيادة
احد العوضين على الاخر وربا اليد وهو البيع مع تاخير قبضهما او قبض احدهما وربا
النساء وهو البيع الى اجل وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال كقوله تعالى الذين يأكلون
اموال اليتامى ظلما فنبه بالاكل على ما سواه من وجوه الاتلافات ولان نفس الربا الذي
هو الزيادة لا يوكل وانما يصرف في المأكول وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله اكل الربا
وموكله وشاهديه وكاتبه والمحلل له فعلمنا ان الحرمة غير مختصة بالاكل وبالكاتبين
الصدقة والربا مناسبة من جهة التضاد لان الصدقة عبارة عن تنقيص المال بامر الله
بذلك والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهي الله عنه فكانا كالمتضادين ذكر
عقب الصدقة ويرسم بالواو والالف بعد الواو وانما رسم بالواو على لغة من يفخم وهو
يميل الالف الى مخرج الواو كما كتبت الصلاة والزكاة وقيل لان اهل الحجاز تعلموا الخط
من اهل الحيرة ولغتهم الربا بالواو الساكنة فعلموهم الخط على لغتهم ونزيدت الالف بعدها
تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا اي قياما كما يقوم الذي يتخبطه
اي يصرعه الشيطان وقوله تعالى من المس اي الجنون متعلق بيتخبطه من جهة المعنى فيكون
في موضع نصب قاله ابو البقاء والمعنى ان اكل الربا يبعث يوم القيامة وهو كالمصروع
تلك سيماه يعرف بها عند اهل الموقف فان قيل لم نسب هذا المشي للشيطان اجيب بانه وارد على
ما تزعم العرب ان الشيطان يخبط الانسان فيصرعه فيصرع والخبط الضرب على غير
استواء يقال ناقة خبوط التي تطأ الناس وتضرب الارض بقوائمها ويقال للرجل الذي يتصرف
في امر ولا يهتدي فيه انه يخبط خبط عشواء ويخبطه الشيطان اذا مسه بخبل او جنون
لانه كالضرب على غير استواء في الادهاش ذلك اي الذي نزل بهم بانهم اي بسبب انهم قالوا
انما البيع مثل الربا في الجواز فان قيل ما الحكمة في قلب القضية ومن حق القياس ان يشبه محل
الخلاف بمحل الوفاق لان محل البيع متفق عليه وهم ارادوا قياس الربا عليه فكان نظم الكلام
ان يقال انما الربا مثل البيع اجيب بان هذا من عكس التشبيه مبالغة اذ به صار المشبه
مشبها به بالعكس وشان المشبه به ان يكون اقوى من المشبه او بانهم لم يكن مقصودهم ان يتمكنوا
بنظم القياس بل كان غرضهم ان البيع والربا متماثلان في جميع الوجوه المطلوبة فلكي يجوزه
تخصيص احد المثلين بالحل والاخر بالحرمة وعلى هذا النظم يوافيهما قدموا او اخروا جائز
وقوله تعالى واحل الله البيع وحرم الربا انكار لتشويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص
تنبيه اظهر قولي الشافعي ان هذه الاية عامة في كل بيع الا ما خص بالسنة فانه صلى الله عليه وسلم

نهى عن بيوع والثاني انها بجملة والسنة مبينة لها ويظهر فايدة الخلاف في بعض الاولى يستدل بها
وعلى الثاني لا يستدل بها فمن جاءه اي بلغه موعظة اي وعظ من ربه وزجر بالنهي عن الربا
فانتهى اي فاتبع النهي وامتنع عن اكله فله ما سلف اي ما مضى قبل النهي فلا يسترد منه
ما اخذه من الزيادة وقيل ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له وامره الى الله بعد النهي
ان شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود وقيل امره الى الله فيما امره
وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس له من امر نفسه شيء ومن عاد الى تحليل الربا وتشبيهه بالبيع
في الحل فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا بذلك وورد انه صلى الله عليه وسلم لعن
اكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور وانه صلى الله عليه وسلم قال الربا بضع وسبعون بابا
اهونها عند الله عز وجل كالذي ينكح امه يمحق الله الربا اي يذهب بركته ويهلك المال الذي
يدخل فيه وعرايت مسعود الربا وان كثر فالى قل ويربي الصدقات اي يضاعف ثوابها ويباركه
فيما اخرجت منه روي الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل الصدقة ويربيها كما
يربي احدكم فلوه وروي الامام احمد ما نقص مال من صدقة والله لا يحب كل كفار اي مصر
على تحليل المحرمات لكن يحلل الربا اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله ورسوله
وبما جاء بهم عنه وعملوا الصالحات واقاموا الصلاة واتوا الزكاة وانما عطفهما على ما يعمهما
لشرفهما لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت وتقدم مثل
هذه الاية وكتب حرة عادة الله سبحانه وتعالى في القران مهما ذكر وعيد اذكر بعده وعد
فلما بالغ هنا في وعيد المرابي اتبعه بهذا الوعد فان قيل ان الانسان اذا بلغ عاقلا بالغا
وقيل وجوب الصلاة والزكاة عليه مات فهو من اهل الثواب باتفاق فدل على ان استحقاق
الثواب لا يتوقف على حصول العمل اجيب بانه تعالى انما ذكر هذه الخصال لا لاجل ان استحقاق
الثواب مشروط بها بل لاجل ان لكل منها اثرا في جلب الثواب كما قال تعالى في صوم هذا والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ثم قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما ومعلوم ان مراد من ان
مع الله الها اخر لا يحتاج في استحقاقه العذاب الى عمل اخر وانما جمع الله تعالى الزنا وقتل
النفس مع دعاء غير الله الها لبيان ان كل واحد من هذه الخصال يوجب العقوبة يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا اي اتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربح الذي اخذتم
بعضه قبل التحريم وكان لهم ان كنتم مومنين اي تقلوبكم او ان ان بمعنى اذ فانه دليل الايمان
امتثال ما امر تم به روي انها نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي بربا كان له قبل وروي
انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال وطالبوهم عند المحل بالمال او الربا فان لم

تفعلوا

تفعلوا اذنوا بحرب من الله ورسوله لكم فان قيل هذا حكمهم ان تابوا
فما حكمهم ان لم يتوبوا اجيب بان مقتضى ذلك انهم يقاتلون ان لم يرجعوا فان قيل كلا
قال تعالى بحرب من الله ورسوله اجيب بان هذا ابلغ لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب
عظيم من عند الله ورسله قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يقال لاكل الربا يوم القيامة
خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني حرب الله تعالى النار وحرب رسوله صلى الله عليه وسلم
السيف وقرا الكسائي وحمزة فاذنوا بفتح الهمزة وموها وكسر الذال اي فاعلموا بها غيركما
وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طريق العلم والباقون بسكون الهمزة وفتح الذال اذن
تبتم اي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه فلكم رؤس اموالكم لا تطلب الزيادة ولا تظلمون بالله
بالنقصان عن راس المال ولما نزلت هذه الاية قال المرابون بل نتوب الى الله فانه لا تبات
لنا بحرب من الله ورسوله فوضعوا راس المال فشكى من عليه الوفي العسرة وقالوا لمن لهم الوفي
امروا الى ان تدرك الغلة فابوا ان يوخروا فانزل الله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة
له اي عليكم تاخيره الى ميسرة اي وقت يسرة تنبيه فكان هذه وجهان اظهرهما انها تامة
بمعنى حدث ووجد اي وان حدث ذو عسرة فتكتفي بما علها كسائر الافعال والثاني انها
ناقصة وخبرها محذوف قال ابو البقا تقديره وان كان ذو عسرة لكم عليه حق او نحو ذلك
وقدره بعضهم وان كان ذو عسرة عزيما وقرا نافع بضم السين والباقون بفتحها وان
تصدقوا اي بالابراء وقراها صم بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد على ادغام التاني
الاصل والتخفيف على حذفها خير لكم اي اكثر ثوابا من الانظار وهذا انما فضل المندوب بنية
الواجب فان الابراء مندوب اليه والانظار واجب فيحرم حبس المعسر وهل القول قوله
في اعساره او لا بد من بينة تشهد بذلك ينظر ان كان الدين من عوض كالبيع والقرض
فلا بد من بينة وان كان من غير عوض كالضمان والاتلاف والصداق فالقول قول المعسر
بيمينه وعلى الغريم البينة الا ان يعرف له مال فلا بد من بينة ان كنتم تعلمون فضل التصدق
على الانظار فافعلوا وقيل المراد بالتصدق الانظار نفسه وردد بعضهم بما قال الامام بان الانظار
قد علم مما قبل فلا بد من حمله على فايدة جديدة قال عليه الصلاة والسلام لا يحل دين
رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة وروي من انظر معسرا او وضع عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملايكة تلقت روح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا قط
قال لا قالوا تذكر قال لا الا اني رجل كنت ادايني الناس فكنت آمر فتياني ان ينظروا الموسر ويتجاوزوا
عن المعسر قال الله تعالى تجاوزوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم من انظر معسرا او وضع عنه

لا تظلمون
صح

انجاه الله من كرب
يوم القيامة وعن ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه
صح

اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله واتقوا يوما ترجعون اي تصيرون فيه الى الله هو يوم
القيامة فتاهبوا للمصير كما اليه وقرا ابو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم والباقون بضم التاء وفتح الجيم
ثم توفى فيه كل نفس جزاء ما كسبت اي عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص حسنة او زيادة
سيئة فايوة قال ابن عباس هذه اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل
ضعها على راس مايتين وثمانين اية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله
عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقال جرجيس تسع ليال وقال سعيد بن جبير سبع ليال ومات
يوم الاثنين للبيلتين خلتا من شهر ربيع الاول وقيل لثلاث ساعات وقال الشعبي عن ابن عباس
اخر اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية الربا ولما منع الله من الربا اذن في السلم
والقرض بما يعمهما فقال يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين كسلم وقرض الى اجل مسمى
اي معلوم ولذا قال بعض العلماء الاذلة ولا صفقة يوصل اليها بالطريق الحرام الا والله سبحانه
وتعالى وضع لتحصيل مثل تلك اللذة طريقا حلالا وسبيلا مشروعا فان قيل المداينة
مفاعلة وحقيقتها ان يجعل من كل واحد منهما دينا وذلك هو بيع الدين بالدين وهو
باطل باتفاق اجيب بان المراد من تداينتم تعاملتم والتقدير تعاملتم بما فيه دين
فان قيل هلا اكتفى بقوله تداينتم الى اجل واي حاجة الى ذكر الدين اجيب بانه ذكر ليرجع
الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم
بذلك الحسن وليلا يتوهم متوهم ان الدين المجازاة ولانه ابين لتشويع الدين الى من جل
وحلا وفايدة قوله مسمى ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة
والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد والدراس او رجوع الحاج لم يجز للجهل بوقت الاجل
وانما امر بكتابة الدين لان ذلك اوثق وامن من النسيان وابعد من الجحود فان قيل ان كلمة
اذا لتعميم العموم والمراد من الاية العموم لان المعنى كلما تداينتم بدين فاكتبوه فلم عدل
عن كلما وقال اذا تداينتم اجيب بان كلمة اذا وان كانت لا تقتضي العموم واختلفوا في
هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة والاكثرون على انه امر استحباب فاذا ترك فلا باس
كقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وقال بعضهم كانت كتابة الدين
والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله فان امن بعضكم بعضا فليود الذي اؤتمن
امانته ثم بين كيفية الكتابة فقال تعالى وليكتب اي كتاب الدين بينكم كاتب بالعدل اي
بالحق في كتابته لا يزيد في المال او الاجل ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار
كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع مع انه ظاهر من الكاتب و

اي لا يمتنع كاتب من ان يكتب اذا دعي اليها كما علمه اي فضله الله بالكتابة فلا يبخل بها بل
ينفع الناس بها كما نفعه الله بتعليمها كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك والكاف
متعلقة ببيان فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء تاكيدا وليملل الذي
عليه الحق اي وليكن المملل على الكاتب من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال
والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القران فالاملال هاهنا وهو لغة
الحجاز والاملاء قوله تعالى فهي تملى عليه بكرة واصيلا وهو لغة تميم وليتق الله ربه اي
كل من المملي والكاتب ولا يبخس اي لا ينقص منه اي من الحق او مما املي عليه شيئا فان كان
الذي عليه الحق سفيها اي مبذرا او ضعيفا اي صغيرا او كبيرا افتل عقله كبره او لا يستطيع
ان يمل هو لخرس او جهل باللغة او نحو ذلك فليملل وليه اي متولي امره من والد ووصي وقيم
ووكيل ومترجم بالعدل وفي هذا دليل على جريان النيابة في الاقرار قال البيضاوي وهي
ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل اي دون المترجم ودونهما فيما لم يتعاطياه
واستشهدوا اي واشهدوا واشهدوا شهيدين اي شاهدين من رجالكم اي البالغين الاحرار المسلمين
دون الصبيان والعبيد والكفار واختار به سيبويه شهادة العبيد وابو حنيفة شهادة
الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا اي الشاهدان رجلين فرجل اي فليشهد واحد و
فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء جايزة مع الرجال في الاموال
حتى تثبت برجل وامراتين واختلفوا في غير الاموال فذهبت جماعة الى انه يجوز شهادتهن
مع الرجال في غير العقوبات وهو قول سفيان الثوري واصحاب الراي وذهب جماعة الى
ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعي الى ان ما يطلع عليه النساء غالبا
كالولادة والرضاع والثيوبة والبكارة ونحوها تثبت برجل وامراتين وشهادة اربع نسوة
واتفقوا على ان شهادة النساء غير جايزة في العقوبات ممن ترضون من الشهداء اي ممن كان مرضيا
لدينه وامانته تنبيه شروط قبول الشهادة ستة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ
والعدالة والمروة وانتفاء التهمة فمتى فقد شرط منها لم تصح تلك الشهادة وانما اشترط
التعدد في الشاهد لاجل ان تضل اي تنسى احداهما الشهادة لنقصهن عقلهن وضبطهن فتذكر
قرا ابن كثير وابو عمرو بسكون الذال وتخفيف الكاف والباقون بفتح الذال وتشديد الكاف
وقرا حمزة برفع الراء والباقون بالنصب احداهما اي الذاكرة الاخرى اي الناسية قال الزجاج
ومن رفع التاءين فمتذكراي فتحمل احداهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعا كانتا بمنزلة الذكر
وقرا حمزة وحده ان تضل احداهما على انه شرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه

وجملة الاذكار محله العلة اي لتذكر ان ضلت ودخلت على الضلال لان الضلال سبب
الاذكار وضمير تبتلوون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الاخر ولا يابى اي ولا يمتنع
الشهداء اذا ما اي اذا ما دعوا الاداء الشهادة او التحمل فما مزيدة وسموا شهداء على هذا
الثاني تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع ولا تسأموا اي تملوا ان تكتبوه اي ما شهدتم
عليه من الحق للكثرة وقوعه او تكسلوا عن ان تكتبوه كنى عن السامة التي تكون بعد
الشروع للكثرة بالكسل الذي يكون اتيا لكونها من لوازمه لان الكسل صفة المنافق قال
تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى وقال صلى الله عليه وسلم لا يعول المومن كسلت
صغيرا كان ذلك الحق او كبيرا قليلا او كثيرا وقوله تعالى الى اجله اي وقت حلوله الذي
اقربه الموبون حال من الهاء في تكتبوه ذلكم اي الكتب اقسط اي اعدل عند الله واقوم
للشهادة اي اعون على اقامتها لانه يذكرهما بتنبيه يحوز على مذهب سيبويه ان يكون اقسط
واقوم مبنيين من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط
واقوم من قويم او هما مبنيان من اقسط واقام لا من قسط وقام لان قسط بمعنى جار
والمعنى هنا على العدل والفعل منه اقسط فلزم ان يكون اقسط في الاية من المزيد
لقصد الزيادة في المقسط قال تعالى ان الله يحب المقسطين لا من المجرد لان معناه الزيغ
في القاسط وهو الجائر قال تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وكذا اقوم معناه
اثبت واقامته لاقيما وبناهما من ذلك على غير قياس والقياس ان يكون البناء من المجرد
لا من المزيد ويجوز ان يكون بناهما من قاسط بمعنى ذي قسط اي عدل وبمعنى قويم
اي ذي استقامة على طريق التعجب كلابن وتامر فيكون افعل الآفعل له وانما قيست
الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى اي واقرب الى ان لا ترتابوا اي تشكوا في
قدر الحق وجنسه والشهود والاجل ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة وهي تعم
المبايعة بدين او عين تديرونها بينكم اي تتعاطونها يدا بيد فليس عليكم جناح اي
لا باس اذا تبايعتم يدا بيد ان لا تكتبوها فهو استثنى من الامر بالكتابة لبعده حينيذ من
التنازع والنسيان وقراءاصر بنصب التاء فيهما على ان تجارة هي الخبر والاسم مضمر
تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة والباقون بالرفع فيهما على ان تجارة هي
الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اي ندبا اذا تبايعتم عليه سواء كان
ناجزا او كاليا فانه ادفع للاختلاف فهو نفيهم بعد تخصيص احتياطا في جميع المتبايعات
ويجوز ان يراد هذا التبايع الذي هو التجارة الحاضرة على ان الاشهاد وكاتبه دون الكتابة

ولا يضار

ولا يضار كاتب ولا شهيد اصله يضارر ادغمت احدى الراءين في الاخرى ونصبت
لحق التضعيف لاجتماع الساكنين واختلفوا فمنهم من قال اصله يضارر بكسر الراء الاولى
وجعل الفعل للكاتب والشهيد ومعناه نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في
الكتابة والشهادة ومنهم من قال اصله يضارر بفتح الراء على الفعل المجهول وجعلوا
الكاتب والشاهد مفعولين ومعناه النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا
الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله ولا الشهيد مونته مجيبه حيث كان هو
والمعنى حينيذ المنع بعان فالاية محتملة للبنا للفاعل وللبنا للمفعول فتحمل عليهما معا
او على كل منهما والاول اولى وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه فسوق بكم
اي معصية وخروج عن الامر واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه
المتضمنة لمصالحكم والله بكل شي عليم كرر تقوى الله في الجمل الثلاث للاشعار بانها
فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه عز وجل
ولانه ادخل في التعظيم الضمير وهذا اخر اية الوعي وقوعت سبحانه وتعالى فيها
على الاحتياط في امر الاموال لكونها سببا لمصالح المعاش والمعاد قال الفقال رحمه
الله تعالى ويدل على ذلك ان الفاظ القران جارية في الاكثر على الاختصار وفي هذه
الاية بسط شديد الا ترى انه قال اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه ثم قال ثانيا
وليكتب بينكم كاتب بالعدل ثم قال ثالثا ولا يابى كاتب ان يكتب كما علمه الله فكان هذا
كالتكرار لقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل لان العدل هو ما علمه الله ثم قال رابعا
فليكتب وهذا اعادة للامر الاول ثم قال خامسا وليملل الذي عليه الحق فيقوله وليكتب
بينكم كاتب بالعدل كناية عن قوله وليملل الذي عليه الحق لان الكاتب بالعدل انما يكتب
ما يملى عليه ثم قال سادسا وليتق الله ربه وهذا تاكيد ثم قال سابعا ولا يبخس منه شيئا و
وهذا كالمستفاد من قوله وليتق الله ربه ثم قال ثامنا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا
الى اجله وهو ايضا تاكيد لما مضى ثم قال تاسعا ذلكم اقسط عند الله واقوم للشهادة وادنى
ان لا ترتابوا فتذكر هذه الفوايد التالية لتلك التاكيدات السالفة وكل ذلك يدل
على المبالغة في التوصية بحفظ المال الحلال وصونه عن الهلاك وليتمكن الانسان
بواسطته من الانفاق في سبيل الله والاهتمام بمهمات دينه من الربا وغيره والمواظبة على
تقوى الله وان كنتم على سفر اي مسافرين وتداينتم فعلى معنى في ليلا يتوهم ان المعنى على
فرهن اي فعليكم رهن مقبوضة تستوثقون بها وبيت السنة جواز الرهن في الحضر مع وجود الكاتب فقوله

رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في المدينة من يهودي بشعير اخوه
لاهله فالتقييد بما ذكر لان الثوق فيه اشد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في
السفر اخذ بظاهر الاية وافاد قوله مقبوضة اشتراط القبض اي في لزوم الرهن لا في
صحته والاكتفاء فيه بالمرتهن ووكيله ولا يشترط القبض عند مالك وقرا ابن كثير وابو
عمرو بضم الراء والهاء ولا الف بعدها والباقون بكسر الراء وفتح الهاء والف بعدها وكلاهما
جمع رهن بمعنى مرهون فان امن بعضكم اي الوافي بعضا اي المديون واستغنى بامانته
عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن اي المديون امانته اي دينه سماه امانة لايتمانه عليه
بترك الارتهان به وقرا ورش فليود بابوال الهمزة واوا واذا وصل السوسي وورش
الذي بايتمنا بولا الهمزة يا وفي الابتوا بهمزة مضمومة للجميع وليتق الله ربه في الخيانة
وانكار الحق وفيه مبالغات من حيث الاتيان بصيغة الامر الظاهرة في الوجوب والجمع بين
ذكر الله والرب وذكر عقب الامر باداء الدين ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود اذا دعيتم
لاقامتها او المديونون وعلى هذا فشهادتهم اقرارهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه
فان قيل هلا اقتصر على قوله فانه اثم وما فايدة ذكر القلب والجملة هي الاثمة لا القلب
وجوه اجيب بان كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اي الكتمان اثما
مقترنا اي مختلطا بالقلب اسند اليه لانه محل كتمان الشهادة واسناد الفعل الى الجارحة التي
يعمل بها ابلغ الا ترى انك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني وسمعته اذني
وشاهدته قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان
فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملاك اشرف مكان فيه
وليلا يظن ان كتمان الشهادة من الاثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل مضغة
وعضو اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من سائر افعال الجوارح
وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان والكفر
وهما من افعال القلوب واذا جعل كتمان الشهادة من اثام القلوب فقد شهد له بانه
من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله
تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة لتنبيه اشر خبر ان
وقلبه رفع باثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء والاثم
خبر مقدم والجملة خبر ان وقوله تعالى والله بما تعملون عليم تهديد لا يخفى عليه منه شيء
لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا قال الجلال السيوطي وعبيدا ولعل ذكره بعد ملكه

ليلا يتوهم ان ما لا يعقل وان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه او تخفوه
اي تسروه يحاسبكم اي يجز بكم به الله يوم القيامة والاية حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة
كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهذا صريح في
نفي وجوبه وقرا ابن عامر وعاصم برفع الراء من يغفر ورفع الباء من يعذب على الاستيناف
والباقون بجزمهما عطفا على جواب الشرط وادغم الراء المجزومة في اللام السوسي واختلف
عن الدوري وقول الزمخشري وسوغ الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه
عن ابي عمرو يعني السوسي مخطئ مرتين لانه يلحن ويثلب اللحن الى اعلم الناس بالعربية
ما اي هذا ما يؤدن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواية والسبب
في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو من دون لانه مبني على الاصول
بان الراء انما تدغم في الراء لكثرته الغاية بادغامها في اللام ورد بان ذلك قراءة ابي عمرو وهي
متواترة مع ان القول بامتناع ادغام الراء في اللام انما هو مذهب البصريين واما الكوفيون
بل وبعض البصريين كابي عمرو فقابلون بالجواز كما نقله عنهم ابو حيان ونقل ابو عمرو الداني
وابو جعفر صحة ادغام صارلي وصارلك عن العرب ومن حفظ حجة على من لم يحفظ
ووجه للبصري ادغام الراء في اللام بتقارب مخرجهما على راي سيبويه وتشاركهما على راي
الفراء وتجانسهما في الجهر والانفتاح والاستفال والله على كل شيء قدير فيقدر على جزائكم هو
ومحاسبتكم وقوله تعالى امن اي صدق الرسول اي محمد صلى الله عليه وسلم بما انزل اليه من ربه
اي من القرآن فيه شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم
في امره غير شاك فيه وقوله تعالى والمؤمنون عطف على الرسول كل من الرسول والمؤمنين
واختلف في تنوين كل فقيل تنوين عوض من المضاف اليه وقيل تنوين التمكين قال
الشيخ خالد الوقاد وهو الاصح امن بالله وملائكته وكتبه وقرا حمزة والكسائي بكسر الكاف
وفتح التاء والباقون بضمهما على التوحيد على ان المراد به الجنس والباقون بضم الكاف والتاء على الجمع
ورسله يقولون لا نفرق بين احد اي جمع من رسله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل
اليهود والنصارى فاحواسم لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه الواحد والمثنى والمجموع
والمذكر والمؤنث فحيث اضيف بين اليه او عيد فمن جمع اليه او نحو ذلك فالمراد به جمع من
الجنس الذي يدل الكلام عليه ويجوز ان يقدر القول مفردا باعتبار كل وانما اختير الى التقدير
لاجل قوله تعالى لا نفرق ولو قال تعالى لا يفرقون لم يحتج الى ذلك وقالوا سمعنا اي ما امرنا به
سماع قبول واطعنا امرك نسالك غفرانك ربنا واليك المصير اي المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم

بالبيت روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال لما نزل على رسوله صلى الله عليه
لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية قال
فاشتد على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم برکوا على الركب وقالوا
اي رسول الله كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزل عليك
هذه الاية ولا نطيقها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقرها
القوم وذلت السنتهم انزل الله تعالى في اثرها امن الرسول بما انزل اليه الاية فلما فعلوا ذلك
نسخها الله تعالى بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها اي ما تسعه قدرتها وان شق فضلا ورحمة
لها ما كسبت من الخير اي ثوابه وعليها ما اكتسبت من الشر اي وزره فلا ينتفع بطاعتها غيرها
ولا يؤاخذ بذنب احد ولا يعلم بكسبه مما وسوست به نفسه كما يفيده تقديم الخبر هو
وهو لها وعليها من الحصر وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تجاوز عن امتي ما وسوست به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به فان قيل
لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب اجيب بان في الاكتساب اعتمالا اي اضطرابا في العمل
ومبالغة واجتهادا فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت اشد
تمرانا في تحصيله واعمل فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت
بما لا دلالة فيه على الاعتمال فقولوا ربنا لا تؤاخذنا اي لا تعاقبنا ان نسينا او اخطانا اي بما
ادى بنا الى النسيان او الخطا من تفريط وقلة مبالاة لان المؤاخذة انما هي بالمقدور والنسيان
والخطا ليسا بمقدورين ويجوز ان يراد نفس النسيان والخطا اي لا تؤاخذنا بهما كما اخذت به
من قبلنا قال الكلبي كان بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطاوا عجلت لهم العقوبة
فحرم عليهم شحومهم او مضغ على صدر ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسألوه ترك
مؤاخذتهم بذلك وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطا والنسيان وما
استكرهوا عليه فان قيل النسيان والخطا والنسيان متجاوز عنهما فما معنى الدعا بترك المؤاخذة
اجيب بان المراد بذكرهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال الآتي الى قوله وما
انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته
سببا للتفريط الذي منه النسيان ويجوز ان يدعوا الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعا
من فضل الله لاستدامته وذكره بلفظ الدعا على معنى التحدث بنعمة الله فيه قال الله تعالى
واما بنعمة ربك فحدث ربنا ولا تحمل علينا اصرا اي لا تكلفنا امرا ثقيلا علينا حمله كما حملته على

الذين

الذين من قبلنا اي بني اسرائيل من قتل النفس في التوبة واخراج ربع المال في الزكاة
وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك قاله الكلبي قال البيضاوي وغيره
صلاة في اليوم والليلة ونسبها غيره الى اليهود ولا تنافي بينهما اذ المراد من بني اسرائيل هم اليهود
منهم فلا يرد هذا ما قيل ان بني اسرائيل لم يفرض عليهم خمسون صلاة بل ولا خمس صلوات
لان من حفظ حجة على من لم يحفظ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة اي قوة لنا به من البلاء
والعقوبة ومن التكاليف التي لا تفي به الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما
لا يطاق والاماثيل التخليص عنه والتشويه هاهنا للعقوبة اثقل الى معقول اثان لا اهر
للمبالغة واعف عنا اي امح ذنوبنا واغفر لنا اي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة
بها وارحمنا وتتطول بأن وتفضل علينا فانا لا ننال الكمال بطاعتك ولا تنزل معصيتك الا
برحمتك انت مولانا اي سيدنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين باقامة الحجة
والغلبة في قتالهم فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد بالكافرين
عامة الكفر روى سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله تعالى
قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال لا اواخذكم ربنا ولا تحمل علينا
اصرا قال لا احمل عليكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا الى آخره قال قد عفوت
عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة
قال امين وروى مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عقب كل كلمة
قد فعلت وعن عبد الله انه قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي الى سدرة المنتهى
وهي في السماء السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط به
من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال واعطي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر
لمن لا يشرك بالله من امته شيأ المهلكات وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انزل الله اية
اي اولهما امن الرسول من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما
بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل والكناية باليد تمثيل وتصوير لاثباتهما
وتقديرهما بالفي سنة تصوير لقدمهما لان مثل هذا يقال للطول الزمان لا للتحديد وروي
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي
قبلي وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه
اي عن قيام الليل وعن كل ما سواه وهذا يرد قول من استنكر ان يقال سورة البقرة وقال

ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه الصلاة والسلام السورة التي تذكر فيها
البقرة فسطاط القرآن تعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة
قيل وما البطلة قال السحرة اي انهم مع حذقهم لا يوفقون لتعلمها او التامل في معانيها الوصول
بما فيها وسميت بالبطلة لانهاكهم في الباطل او لبطالتهم عن امر الدين والفسطاط الخيمة او المدينة
الجامعة سميت بها السورة لاشتمالها على معظم اصول الدين وفروعه والارشاد الى اكثر
من مصالح العباد ونظام المعاش ونجاة المعاد وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه
رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله الا هو رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين
هذا وبين قوله سورة الزخرف والممتحنة والمجادلة وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الله تعالى كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام فانزل الله منه اية ختم
بها سورة البقرة فلا يقرأن فرسخ في دار ثلاث ليال فلا يقربها الشيطان سورة آل عمران
مدنية بالاتفاق واياتها مائتان او الاية وثلاث الاف واربعمائة وثمانون كلمة واربعة عشر
الفا وخمسمائة وعشرون حرفا بسم الله الذي مهما اراده كان الرحمن الذي سرحمته
خلا الوجود فشملت كل موجود بالكرم والجود الرحيم لمن توكل عليه بالعطف عليه وقوله
تعالى الم تقدم الكلام عليه في اول سورة البقرة الله لا اله الا هو لم يقطع احد من القراء
السبعة هذه الهمزة في الله في الوصل واذا وقف على الم يبدأ بالهمزة وكل من القراء على الكلمة
ووصل في الوصل وانما فتح الميم لالتقاء الساكنين كما هو مذهب سيبويه وجمهور النحاة فان
قيل اصل التقاء الساكنين الكسر فلم عدل عنه اجيب بانهم لو كسروا لكان ذلك مفضيا الى
ترقيق لام الجلالة والمقصود تفخيمها للتعظيم فاثروا الفتح لذلك كما حركوها في نحو من الله
وابنم فقبل الميم ياء وهي اخت الكسرة وقبل هذه الياء كسرة فلو كسرنا الميم الاخيرة لالتقى
الساكنين لتوالي ثلاث متجانسات فحركوها بالفتح واما سقوط الهمزة فواضح وسقوطها
التقى الساكنان وقيل ان هذه الفتحة ليست لالتقاء الساكنين بل هي حركة نقل اي نقلت
حركة الهمزة التي تنقل لام التعريف على الميم الساكنة نحو قد افلح في قراءة ورش وهذا
مذهب الفراء وجرأ عليه الزمخشري واطال الكلام فيه ورده ابو حيان بما يطول ذكره
وقوله تعالى الله مبتدأ وما بعده خبره وقوله تعالى الحي القيوم نعت له والحي هو الفعال
الدراك والقيوم هو القايم بذاته والقايم بتدبير خلقه روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان
اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الم الله
لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم ونقل البندنيجي عن الكلبي

ان الاسم

ان الاسم الاعظم هو الله قال الكلبي والربيع بن انس وغيرهما نزلت هذه الاية في وفد
نصارى نجران وكانوا ستين راكبا قد موا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر
رجلا من اشرافهم وفي الاربعة عشر ثلاثة تقرير ود اليهم امرهم العاقب امير القوم
وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه واسمه عبد المسيح والسيد
رجلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة حبرهم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات والحرث بن كعب يقول من وراءهم ما رأينا وفدا مثلهم
وقد حانت صلاتهم فقاموا للصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فكلم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا
وعبادتكما للصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن عيسى ولدا لله فمن ابوه وخاصموه جميعا
في عيسى فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولدا الا وهو شبه اباه
قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت وان عيسى يأتي عليه الفناء قالوا بلى قال
الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى
من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا
بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علمه الله قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى في الرحم
كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب فالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم
وضعته كما تضع المرأة ولوثته كما يلوث الصبي ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا
بلى قال وكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله تعالى صدر سورة آل عمران الى
بضع وثمانين اية منها نزل عليك يا محمد الكتاب اي القرآن متلبسا بالحق اي بالصدق في اخباره
او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال اي محقا مصدقا لما بين يديه اي
قبله من الكتب فان قيل كيف سمي ما مضى بانه بين يديه اجيب بان تلك الاخبار لغاية
ظهورها وكونها موجودة سماها بهذا الاسم وانزل التوراة جملة على موسى والانجيل
جملة على عيسى من قبل اي قبل تنزيل القرآن واختلف الناس في هذين اللفظين هل يدل كلاهما
الاشتقاق والتصريف ولا يدخلانهما لكونهما اعجميين فلا يناسب كونهما مشتقين ورجح هذا
الزمخشري وقال قالوا الان هذين اللفظين اسمان عبرانيان لهذين الكتابين الشريفين
وقوله تعالى هدى حال بمعنى هاديين من الضلالة ولم يثنه لانه مصدر للناس اي على
العموم ان قلنا متعبدون بشرع من قبلنا وهو راي والا فالمراد بالناس قومهما وانما عرفي

التوراة والانجيل بانزل وفي القران انزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا بنزل المقتضي للتكرير
لانهما انزلا دفعة واحدة بجلالته وقيل القران انزل من اللوح المحفوظ الى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة
وهو بعد الدنيا منجما في ثلاث وعشرين سنة فحيث عبر فيه بانزل اريد الاول او بنزل اريد الثاني
فان قيل يرد الاول بقوله تعالى هو الذي انزل عليك الكتاب وبقوله تعالى والذين يؤمنون
بما انزل اليك وبقوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب وبقوله تعالى وبالحق انزلناه
ويرد الثاني بقوله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اجيب بان
القول بذلك يجري على الغالب وانزل الفرقان اي الكتب الفارقة بين الحق والباطل وذكره بعد
الكتب الثلاثة ليعم ما عداها فكانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل ولم يجمع
لانه مصدر بمعنى الفرق كالغفران والكفران وقيل القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا
وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا متلوا وتمييزا بانه معجز يفرق
به بين المحق والمبطل وقيل اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال تعالى وآتينا داود زبورا
قال الزمخشري وهو ظاهر ولما قرر سبحانه وتعالى جميع ما يتعلق بمعرفة الاله اتبع ذلك
بالوعيد زجرا للمعرضين عن هذه الدلايل الباهرة فقال ان الذين كفروا بايات الله هم
القران وغيره لهم عذاب شديد بكفرهم والله عزيز اي غالب على امره فلا يمنعه شيء
من انجاز وعده ووعيده ذو انتقام ممن عصاه والنقمة عقوبة في العالم من كلي وجزئي
فان قيل لم خصهما بالذكر مع انه عالم بجميع الاشياء اجيب بانه تعالى انما خصهما به لانهما
لا يتجاوزهما فان قيل لم قدم الارض على السماء اجيب بانها انما قدمت ترقيا من الادنى الى
الاعلى وهذه الاية كالدليل على كونه حيا وقوله تعالى هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء
اي من ذكورة وانوثة وبياض وسواد وحسن وقبح وتمام ونقص وغير ذلك كالدليل على الفيومية
والاستدلال على انه تعالى عالم بالجزئيات فعله في خلق الجنين وتصويره وفي هذا رد على وفد
نجران من النصارى حيث قالوا لعيسى ولله واستدلوا على ذلك بامور منها العلم فانه كان يخبر
عن الغيوب ويقول لهذا انك اكلت في دارك هذا ويقول لذاك انك دخرت في دارك كذا ومنها
القدرة وهي ان عيسى كان يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق في الطين كهيئة الطير
ينفخ فيه فيكون طيرا فكانه تعالى يقول لكي يكون ولله وقد صوره في الرحم والمصور
لا يكون ابا للمصور له ثم انه تعالى لما اجاب عن شبهتهم اعاد كلمة التوحيد زجرا للنصارى
عن قولهم بالتثليث فقال لا اله الا هو العزيز في ملكه وفيه اشارة الى كمال القدرة فقدرته
تعالى اكمل من قدرة عيسى على الاماتة والاحياء الحكيم في صنعه وفيه اشارة الى كمال العلم

المحرم اي يعاقبه عقوبة شديدة لا يقدر على مثلها احد ان الله لا يخفى عليه شيء كائن في الارض ولا في السما لعلمه بما يقع صح صح

فعلمه

قوله تعالى الحكم من علم عيسى بالغيوب وان علم عيسى ببعض الصور وقدرته على بعض الصور
لا يدل على كونه الها بل على ان الله اكرمه بذلك اظهارا للمعجزة وتمييزا عن الاحياء في بعض
الصور يوجب قطعا عدم الالهية لان الاله هو الذي يكون قادرا على كل الممكنات عالما بجميع المعلومات
والكليات قال عبد الله بن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق
ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل
ذلك ثم يبعث الله اليه الملك او قال يبعث اليه الملك باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله
وشقي او سعيد قال وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع عند
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون
بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يدخل
الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعة او خمسة واربعين ليلة فيقول يا رب شقي ام
سعيد فيكتبان فيقول اي رب ذكر او انثى فيكتبان فيكتب عمله ورزقه واجله ثم تطوى الصحف
فلا يزاد فيها ولا ينقص هو الذي انزل عليك يا محمد الكتاب اي القران منه اي من الكتاب آيات محكمات احكمت عبارتها
بان حفظت عن الاحتمال والاشتباه فهي واضحات الدلالة هن ام الكتاب اي اصله المعتمد عليه
في الاحكام وتحمل المشتبهات عليها وترد اليها وليس تعلم امهات الكتاب لان الايات كلها في تكاملها
واجتماعها كالاية الواحدة وكلام الله واحد وقيل كل واحدة منهن ام الكتاب كما قال تعالى
وجعلنا ابن مريم وامه اية اي كل واحدة منهما اية وقوله تعالى واخر نعت لمحذوف وفي تقديره
وايات اخر متشابهات اي محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهرها الباطل المحقق والنظر
فان قيل لم جعل بعضه متشابها وهلا كان كله محكما اجيب بان في المتشابه من الابتلاء حكمة
عظيمة وهي التمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه وليظهر فيها فضل العلماء ويزداد اجرهم
على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقفة عليها استنباط المراد بها فينالوا نعيم
ويتفاوت التفاوت في الاستخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات الوجه الجلي عند الله
فان قيل لم فرق هنا بين المحكم والمتشابه وقد جعل القران محكما في موضع اخر الوكتاب احكمت
اياته وقد جعل كله متشابها اجيب بانه حيث جعل الكل محكما فمعناه ان اياته شبه بعضها
بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ تنبيه اخر جمع اخر وانما لم ينصرف لانه وصف معدول
عن الاخريات ففيه الوصف والعدل وهما علتان يمنعان الصرف فاما الذين في قلوبهم زيغ
اي ميل عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه اي فيتعلقون بظاهره ويتبادرون اليه باطل اتباعا
الفتنة اي طلبا ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه

وابتغاء تاويله اي وطلب ان يوولوه على ما يشتهونه وما يعلم تاويله اي الذي يجب ان يحمل عليه
الا الله والراسخون في العلم اي الذي تثبت وتمكن فيه وسيل مالك بن انس عن الراسخين في العلم
قال العالم العامل بما علم المتبع وقال غيره هو من وجد في علمه اربعة اشيا التقوي بينه
وبين الله والتواضع بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين
نفسه تنبيه اختلف العلما في نظم هذه الاية فقال قوم الواو في قوله والراسخون في العلم
قايلين امنا به وذهب الاكثرون الي ان الواو في قوله والراسخون واو الاستيناف تم الكلام
عند قوله وما يعلم تاويله الا الله وهو قول ابي بن كعب وعايشة وغيرهما وقالوا الا يعلم
تاويل المتشابه الا الله ويجوز ان يكون للقرآن تاويل استاثر الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه
كما استاثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج الرجال وعدد الزبانية
وتزول عيسي عليه الصلاة والسلام ونحوها والخلق متعبدون في المتشابه بالايمان به
وفي المحكم بالايمان به والعمل وقال عمر بن عبد العزيز في هذه الاية انتهي علم الراسخين
في العلم بتاويل القرآن الي ان قالوا امنا به قال في الكشاف والاول هو الاوجه انتهي ووجه يتخا
القاضي تمريضا بقوله لان المتشابه علي الثاني يصير للخطاب به كالخطاب بالمهملات انتهي ومع
هذا فالوجه هو الثاني لانه اشبه بظاهر الاية ويدل له وجوه احدها انه ذم طالب المتشابه
بقوله تعالي فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية وثانيها انه مدح الراسخين في العلم بانهم يقولو
امنا به وقال في اول البقرة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم فهو لا الراسخون
لو كانوا عالمين بتاويل المتشابه علي التفصيل لما كان لهم في الايمان به مدح لان كل من
عرف شيا علي سبيل التفصيل فلا بد ان يومن به وثالثها لو كان قوله والراسخون معطوفا
لصار قوله يقولون امنا به ابتدا وهو بعيد عن الفصاحة وكان الاولي ان يقال وهم يقولو
او قالوا ويقولون فان قيل في تصحيحه وجهان الاول ان يقولون خبر مبتدا والتقدير
هولا القالون بالتاويل يقولون امنا الثاني ان يكون يقولون حالا من الراسخين
اجيب بان الاول موضوع بان تفسير كلام الله تعالي بما لا يحتاج معه الي اضمار اولي
والثاني بان ذلك الحال هو الذي تقدم ذكره وهم الراسخون فوجب ان يكون قوله امنا به
حالا من الراسخين لا من الله وذلك ترك للظاهر واربعها قوله تعالي كل من عند ربنا والمحكم
والمتشابه من عند ربنا معناه انهم امنوا بما عرفوا تفصيله وبما لم يعرفوا تفصيله وهم
كانوا عالمين بالتفصيل في الكل لم يبق لهذا الكلام فايدة وخامسها نقل عن ابن عباس
انه قال تفسير القرآن علي اربعة اوجه تفسير لا يعذر احد بجهله وتفسير تعرفه العرب

بالنتها

واو العطف اي ان تاويل المتشابه
يعلمه الله وبعلمه الراسخون في
العلم وهو قول مجاهد والربيع
به وعلى هذا يكون قوله
ما تاويله هذا ابتداء كلام
والراسخون في العلم
مبتدا وقوله يقولون
خبره ويكون
قوله امنا
به حالا
من
الراسخين في العلم

ب

بالستها وتفسير يعرفه العلما وتفسير لا يعلمه الا الله تعالي وسيل مالك بن انس عن
قوله تعالي الرحمن علي العرش استوي فقال الاستوا معلوم والكيفية مجهولة والايمان به
واجب والسوال عنه بدعة فان قيل ما الفايدة في لفظ عنه ولو قال كل من ربنا لحصل
المقصود اجيب بان الايمان بالمتشابه يحتاج فيه الي فرط التاكيد فان قيل لم حذف
المضاف اليه من كل اجيب بان دلالته علي المضاف اليه قوية فلا امن من اللبس بعد
الحذف حاصل وما يذكر بادغام الثاني الامل في الذال اي لم يتعظ بما في القران الا اولو الالبا
اي اصحاب العقول تنبيه وجه اتصال هذه الاية واولها هو الذي انزل عليك الكتاب
بما قبلها واولها هو الذي يصوركم في الارحام انه لما بين انه قيوم وهو القايم بمصالح
الخلق والمصالح قسمان جسماني وروحاني فالجسماني اشرفهما تصوير البنية علي احسن
شكل وهو المراد بقوله تعالي هو الذي يصوركم في الارحام واما الروحاني فاشرفها العلم
وهو المراد بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب ولما حكي سبحانه وتعالي عن الراسخين في العلم
انهم يقولون امنا به حكي انهم يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا عن طريق الحق الي اتباع
المتشابه لا ترضه بوا ذهويتنا وفقنا لدينك والايمان بالمحكم والمتشابه قال
عليه الصلاة والسلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شا اقامه
اي القلب علي الحق واذا شا ازاغه عنه رواه الشيخان وغيرهما وقيل لا تبتلنا بيلا يا
يزيغ فيها قلوبنا وعلي هذا الا قتصر الزمخشري ووجه بان ما ذكر كناية او مجاز اذ لا يجب
من الله الازاغة ليسال نفيها وهو ابنا علي مذهبه من الاعتزال واما مذهب اهل السنة
فالزيغ الهداية خلق الله تعالي وكان صلي الله عليه وسلم يقول اللهم يا مقلب القلوب
والابصار ثبت قلوبنا علي دينك وعن ابي موسي الاشعري قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم مثل القلب بريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا وبطنا وهب لنا اي اعطنا
من لدنك اي من عندك رحمة اي توفيقا وتثبيتا للذي تحت عليه من الايمان والهدي او مغفرة
للذنوب انك انت الوهاب لكل سوال وفيه دليل علي ان الهدي والضلال من الله تعالي
وانه متفضل بما ينعم علي عباده لا يجب عليه شي ربنا انك جامع الناس اي يجمعهم
ليوم اي في يوم لا ريب اي شك فيه اي في وقوعه وما فيه من الحشر والنشر وهو يوم القيامة
فيجازيهم باعمالهم كما وعدت وقوله تعالي ان الله لا يخلف الميعاد اي موعوده بالبعث يحتمل
ان يكون من كلام الله تعالي واذ يكون من كلام الراسخين في العلم فيكون فيه التفات من الخطا
وكانهم لما طلبوا من ربهم الصون عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة قالوا ليس الغرض

ب

من هذا السؤال ما يتعلق بالاخرة فانا نعلم انك تجامع الناس المجرمين يوم القيامة وتدعوك
حتى لمن تنزاع قلبه بنو هناك في العذاب ابدا الآباد ومن وفقته وهديته ورحمته بنو هناك
في السعادة والكرامة ابدا الآبدين بهذه الآية على القطع بوقوع وعيد
الفساق قالوا الآن الوعيد داخل تحت لفظ الوعد لقوله تعالى قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا والوعد والميعاد واحد وقد اخبر في هذه الآية انه لا يخلف
الميعاد واجيب بانا لا نسلم القول بالقطع بوقوع وعيد الفساق مطلقا بل ذلك مشروط
بعدم العفو كما هو مشروط بعدم التوبة بالاتفاق فكما انتم اثبتم ذلك الشرط بدليل منفصل
فلنا نحن ثبتنا شرط عدم العفو بدليل منفصل سلمنا انه تواعدهم ولكن لا نسلم ان
الوعيد داخل تحت لفظ الوعد ويكون قوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا كقوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم وكقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم فيكون من باب التهكم وذكر
الواحدي في البسيط انه يجوز ان يحمل هذا على ميعاد الاولياء دون وعيد الاعداء لان
خلف الوعيد كرم عند العرب لانهم يمدحون بذلك كما قال القائل "اذا وعد السراء انجز وعده"
"وان وعد الضراء فالعفو ما نعه" وقال الآخر "واني وان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي"
ولما حكى الله سبحانه وتعالى دعاء المؤمنين ونصرهم حكى كيفية حال الكافرين وشدة
عقابهم بقوله تعالى ان الذين كفروا وهو عام في الكفر وقيل المراد به وفد نجران واليهود او
مشركو العرب لن تغني اي لن تنفع ولن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من عذابه
وقبل من رحمته او من طاعته على معنى البدلية قاله البيضاوي اي على ان من للبدل
ومعنى لن تغني عنهم من رحمة الله او من طاعته شيئا اي بدل رحمته وطاعته قال ابو حيان
واثبات البدلية جمهور النحاة تأباه واولئك هم وقود النار اي حطبها وفي ذلك كمال للعذاب
لان كمال ان يزول عنه ما ينتفع به ثم يجتمع عليه الاسباب المولمة فالاولاد هو المراد بقوله
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم فان المرء عند الشدة يفزع الى المال والولد لانهما اقرب
الامور التي يفزع اليها في دفع النوائب فبين تعالى ان صفة ذلك اليوم مخالفة لصفة
الدنيا واذا تعذر عليه الانتفاع بالمال والولد وهما اقرب الطرق فما عداه بالتعذر اولى
وتقييده يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم واما الثاني من اسباب كمال
العذاب وهو اجتماع الاسباب المولمة فهو المراد بقوله تعالى واولئك هم وقود النار
وهذا هو النهاية في العذاب فانه لا عذاب اعظم من ان تشتعل النار فيهم كاشتعالها
في الحطب اليابس وقوله تعالى كدأب آل فرعون اما استيناف مرفوع المحل خبر لمبتدا مضمر

تقديره

تقديره دابهم في ذلك كدأب آل فرعون واما متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن
اولئك او توقد النار بهم كما توقد النار بآل فرعون وقوله تعالى والذين من قبلهم عطف
على آل فرعون فيكون في محل خبر وقيل استيناف فيكون في محل رفع على الابتداء والخبر
قوله تعالى كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم وعلى الاول تكون هذه الجملة مفسرة
لما قبلها وقوله تعالى والله شديد العقاب فيه تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف
للكفرة ولما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع
اليهود في سوق قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش يوم
بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في
كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت اقواما اغمارا اي جهالا لا جمع عمر لا علم لهم
بالحرب فاصبت فيهم فرصة وانا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس ثم نزل قل يا محمد
للذين كفروا ستغلبون في الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية وقد وقع ذلك بقتل قريظة
واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وتحشرون في الآخرة الى جهنم
وبئس المهاد اي الفراش والمخصوص بالذم محذوف اي بئس المهاد جهنم وفي هذه الآية
اخبار عن امر يحصل في المستقبل وقد وقع خبره على موافقته فكان هذا اخبارا بالغيب
فكان معجزة ولهذا لما نزلت هذه الآية قال لهم صلى الله عليه وسلم ان الله غالبكم وحاشركم
الى جهنم وقرأ حمزة والكسائي ياليا فيهما على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب فان قيل
اي فرق بين القراءتين من جهة المعنى اجيب بان معنى قراءة التاء الامر بان يخبرهم بما
يجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بما سيغلبون ويحشرون وهو الكافي
من نفس المتوعد والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره
بهم من وعيد بلفظه كانه قال اذا لهم هذا القول الذي هو قولي لكم سيغلبون ويحشرون
وقد كان كذلك اية اي عبرة ودلالة على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون فان قيل لم لم يقل قد
كانت لان الاية مؤنثة اجيب بانه انما ذكر الفعل للفصل بينه وبين الاسم المؤنث بكلام فان
الفصل يسوغ لذلك مع المؤنث الحقيقي كقوله ان امرؤ غرة منك واحدة بعدي وبعدك
في الدنيا لمغرور قال الفراء وكل ما جاء من هذا النحو فهذا وجهه والخطاب لمشركي قريش
وقيل لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين اي فرقتين التقتا يوم بدر فئة منه تقاتل
في سبيل الله اي طاعته وهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى عنهم وهم
وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين وما يتان وستة

وثلاثون رجلا من الانصار وصاحب راية المهاجرين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة وكان فيهم سبعون بيتا وفرسان فرس المقداد
ابن عمرو وفرس لمرثد بن ابي مرثد والباقون رجالة وكان معهم من السلاح ستة ادرع
وثمانية سيوف فيه واخرج كافرة تقاتل في سبيل الشيطان وهم مشركو مكة وقوله تعالى
يرونهم مثليهم قراه نافع بالتاء على الخطاب اي ترى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين
وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويوقنوا بالنصر الذي وعدهم به في قوله ان تكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في قوله تعالى ان يكن
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين والباقون بالياء على الغيبة اي يرى المشركون المؤمنين
مثلي عدد المشركين وكانوا ستمائة وخمسين او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلاثة
عشر فان قيل هذا مناقض لقوله تعالى في سورة الانفال ويقللكم في اعينهم اجيب
بانه قللهم اولا حتى اجترءوا عليهم فلما لاقوهم كثروا اومرادا من الله تعالى للمؤمنين في اعينهم
حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين رايا اي في راي العين اي رؤية هي
ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات وقد تقرهم الله تعالى مع قلتهم
والله يؤيد اي يقوي بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو
ان في ذلك المذكور لعبرة اي عظة لاولي الابصار اي لذوي البصائر فلا تغتروا
بذلك فتومنون زين للناس حب الشهوات اي ما تشتهيه النفس وتدعو اليه والمزين
هو الله تعالى للابتلاء كقوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم او لانه من
اسباب التعيش وبقاء النوع الانساني او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان
على وجه يرتضيه الله وقيل الشيطان هو المزين وذهبت المعتزلة واستدلوا بقول
الحسن الشيطان والله زينها لا انا لا نعلم احدا اذم لها فمن خالقها وانما حسنت شهواتها
مبالغة وايما الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهواتها كقوله تعالى احببت حب
الخير والشهوة مستزادة عند اتى كما هو موهوم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية ثم
بين ذلك بقوله تعالى من النساء انما بواعث الناس حبائل الشيطان والبنين والقناطير
جمع قنطار وهو المال الكثير قيل ملء مسك ثور اي ملء جلده وعن سعيد بن جبير
رضي الله تعالى عنه القنطار مائة الف دينار وقال ابن عباس والضحاك الف ومائتا
مثقال المقنطرة اي المجمعة وقال السدي المضروبة المنقوشة حتى صارت دراهم ودنانير
وقال الفراء المضعفة فالقناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة من الذهب والفضة قيل سمي

الذهب

الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة فضة لانها تنفض اي تتفرق والخيل
المسومة اي الحسان وقال سعيد بن جبير هي الراعية يقال اسام الخيل وسومها والخيل
جمع لا واحد له من لفظه واحدها فرس كالقوم والنساء والانعام جمع النعم وهي الابل
والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه والحرث اي الزرع ذلك اي ما ذكر من النساء وما بعده
متاع الحياة الدنيا اي يتمتع به فيها ثم يفنى والله عنده حسن المآب اي المرجع وهو
الجنة فينبغي الرغبة فيما عنده من اللذات الحقيقة الابدية دون غيره من الشهوات
الناقصة الفانية فان قيل المآب قسمان الجنة وهي غاية الحسن والنار وهي غاية
عن الحسن كما قال تعالى ان جهنم كانت مرصادا للطاغين ما وجه ما اجيب بان المقصود هو
بالذات هو الجنة واما النار فمقصورة بالعرض والمقصود بالاية الترهيب في الدنيا
والترغيب في الاخرة قل يا محمد لقومك اونبئكم اخبركم بخير من ذلكم اي المذكور من الشهوات
وهذا استفهام تقرير تنبيه هنا همزتان مختلفتان من كلمة الاولى مفتوحة والثانية
مضمومة قرأ قالون بتحقيق الاولى وتسهيل الثانية وادخل بينهما الفا وورش يسهل
الثانية من غير ادخال الف ويفعل حركة الهمزة الاولى الى اللام من قل فتصير اللام
مفتوحة والثانية مضمومة وابن كثير كورش الا انه لا ينقل الحركة الى قل في لفظ الدراز
وقرأ ابو عمرو يسهل الثانية ويدخل بينهما الفا قالون وله وجه آخر وهو عن
ادخال الفين بينهما والباقون بتحقيقهما وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها اي مقدرين في الخلود فيها اذا دخلوها كلام مستأنف فيه
دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل ادلك على رجل عالم عندي رجل عالم
موصوفته كيت وكيت ويجوز ان تتعلق اللام بخير وترتفع جنات على هو جنات وازواج
مطهرة من الحيض وغيره مما يستقذر من النساء وقوله تعالى ورضوان من الله قراءة
شعبة بضم الراء والباقون بكسرها وهما لغتان الكسر لغة الحجاز والضم لغة تميم وقيل
بالكسر اسم وبالضم مصدر وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك
وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون مالنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا
ما لم يعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا رب واي شيء
افضل من ذلك يقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وانبيه قد بين ان
وتعالى في هذه الاية على نعمه فادناها ها متاع الحياة الدنيا واعلاها رضوان الله

نية

لقوله تعالى وبشر المؤمنين ان لهم ان الله اكبر واعظم الجنة ونعيمها والله بصير اي عالم بالبواطن
اي باعمالهم وما فيجازي كلا منهم بعمله او باحوالهم الذين اتقوا فلذلك اعدلهم جنات وقوله
تعالى الذين نعت للذين اتقوا او للعباد او بدل من الذين قبله يقولون يا ربنا انا امنا
اي صدقنا فاغفر لنا اي استر ذنوبنا علينا وتجاوز عنا وقنا عذاب النار تنبيه في ترتيب سؤال
المغفرة وما عطف عليها وسيلة على مجرد الايمان دليل على ان مجرد الايمان كاف في استحقاق
المغفرة والاستعداد لاسبابها واسباب ما عطف عليها وقوله تعالى الصابرين اي
على الطاعة وعن المعصية وعلى البأساء والضراء والصادقين اي في ايمانهم واقوالهم
قال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم فصدقوا في السر والعلانية
والقانتين اي المطيعين لله والمنفقين اي المتصدقين والمستغفرين بالاسحار اي اواخر
الليل كان يقولوا اللهم اغفر لنا حضت بالذكر لانها وقت الغفلة ولذة النوم وفي هذا كما قال
البيضاوي حض لمقاماة السالك على احسن الترتيب اي الذكر ثم فان معاملته مع الله
اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذايل وحبسها على الفضايل
والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت
الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب بالاستغفار
لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها اشتى وتوسط الواو بين الصابرين وما بعده
للدلالة على ان لكل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بالصفات وخصهم
الاسحار لان الدعا فيها اقرب من الدعا في غيرها الى الاجابة لان العبادة حينيذ اشق
والنفس اصفى والعقل اجمع لمعاني الالفاظ التي ينطق بها لاسيما للمتهجد قيل انهم كانوا
يصلون الى السحر ثم يستغفرون ويدعون وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى
اذا كان السحر اخذوا في الدعا والاستغفار فدوانهارهم وهذا لبلهم وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله الى السما الدنيا
اي امره كل ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني
فاستجيب له من ذا الذي يسالني فاعطيه من ذا الذي يستغفرني فاغفر له وحكي عن
الحسن ان لقمان قال لابنه يا بني لا تكن اعجز من هذا الديك يصوت في الاسحار وانت
نايم على فراشك وعن زيد بن اسلم انه قال ادهم الذين يصلون الصبح في جماعة وعبر
بالسحر لقربه من الصبح شهد الله اي بين لخلقه بالدلايل وانزال الايات انه لا اله الا هو
اي معبود بحق في الوجود الا هو قال الكلبي قدم حبران من احبار الشام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما ابصر

المدينة

قتاك

المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي صلى الله عليه وسلم
الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم
قالا له وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا فانا نسالك عن شيء فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك
فقال سلا قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الاية
فاسلم الرجلان وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خلق الله الارواح قبل الاجساد
باربعة الاف سنة وخلق الله الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة فشهد لنفسه
بنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سما ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال شهد الله
انه لا اله الا هو وشهد بذلك الملايكة اي اقروا بذلك وشهد بذلك اولوا العلم اي بالايمان
بذلك والاحتجاج عليه فان قيل ما المراد باولي العلم الذي عظمهم الله هذا
التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملايكة في الشهادة على وحدانيته وعدله اجيب
بان المراد بهم انبيا الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحج الساطعة والبراهين
القاطعة وهم علما العدل والتوحيد من الانبيا والمومنين وفيه دليل على فضل
علم اصول الدين وشرف اهله وقوله تعالى قايما بالقسط اي بتدبير مصنوعاته حال
من الله وانما جاز لقصده تعالى بها العدم اللبس وان اختلق في جاني زيد وعمرو الباء
فقدمنه الزمخشري وتبعه البيضاوي وجوزه ابو حيان وقال يحمل على الاقرب بكما في
الوصف في نحو جاني زيد وعمرو الطويل وحال من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد
بالقسط اي بالعدل وقوله تعالى لا اله الا هو كرر للتاكيد ومزيد الاعتنا به لعرقته
ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه قوله تعالى العزيز اي في ملكه الحكيم
اي في صنعه فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لان العزة تلايم القيام بالقسط
واتى بهما لتقرير الامرين على ترتيب ذكرهما ورفعهما على البدل من الضمير الاول
او الثاني او على المدح المحذوف وعن ابي غالب القطان قال اتيت الكوفة في تجارة فنزلت
قريبا من الاعمش وكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان يحذر الى البصرة قام
من الليل يتهجد فمر بهذه الاية اي شهد الله الى اخرها ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد
الله به واستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله
الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها فضليت معه وودعته ثم قلت اني سمعتك
تردد ها فما يلغك فيها قال والله لاحدثنك بها الى سنة فكنت على بابه ذلك اليوم واقمت
سنة فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وايل عن عبد الله

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بهما جميعا يوم القيامة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة رواه الحديث الطبراني والبيهقي لكن بسند ضعيف وقوله تعالى ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام جملة مستانفة موكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو الشرع المبعوث به الرسل كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين وقرا الكسائي بفتح همزة ان قيل على انه بدل من انه بدل الى اخره بدل اشتمال وضعفه ابو حيان فانه فيه فصلا بين البدل والمبدل منه باجنبي قالوا والصواب انه معمول للحكيم باسقاط الجار اي لحكيم بان الدين والباقون بكسرها على الاستيناف وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى وقيل من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقالت قوم انه الحق وقالت قوم انه مخصوص بالعرب وتلك اخرى مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل كتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بالتوحيد انه الحق الذي لا محيد عنه بغيا اي ما كان ذلك الاختلاف وتناقضهم هو لا بمذهب وهو لا بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا للرياسة وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما جاءهم العلم ببيان بعثته في كتبهم حيث امن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من امن بموسى ومنهم من امن بعيسى ولم يؤمن ببقية الانبياء وقوله تعالى ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب اي المجازاة له وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك اي جادلك الذين كفروا يا محمد في الدين فقل لهم اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركة بان اعبده وادعو الهة معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبت عندكم صحته كما ثبت عندي وما جئت بشيء مبتدع حتى تجادلوني فيه وخص الوجه بالذكر لشرفه وهو تعبير عن جملة الشخص باشرف اجزائه الظاهرة وقوله تعالى ومن اتبعني عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز كما قال في الكشاف ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه نظرا الى ان المشاركة بين المتعاطفين في مطلق الاسلام اي الاخلاص لا فيه بقيد وجهه حتى يمتنع ذلك لاختلاف وجهيهما وقل للذين اوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى والامين اي الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب اسلمتم اي فهل اسلمتم كما اسلمت انا فقد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة ام انتم بعد على

الكفر

الكفر وهو الكوكب لمن لحقت له المسلة ولم تتوه من طرق البيان وانكشف طريقا الاسلكته هل فهمتها وفي هذا الاستفهام استفسار وتبيين بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا انجلت له الحجة لم يتوقف اذعانا للحق وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وقيل المراد بالاستفهام هنا الامر اي اسلموا كما قال تعالى فهل انتم منتهون اي انتهوا فان اسلموا فقد اهتدوا واي تفقوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور فقد ارسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية فقال اهل الكتاب اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا فقال عز وجل وان تولوا اي عن الاسلام لم يضروك والله بصير بالعباد اي عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن فيجازي كلا منهم بعمله وهذا قبل الامر بالقتال ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط اي بالعدل من الناس وهم اليهود قتلوا لهم الانبياء وقتلوا اتباعهم ومن في عصره صلى الله عليه وسلم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمومنين لكن الله عصمهم وعن عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او قتل رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر وروي انهم قتلوا ثلاثة واربعين نبيا فنهاهم مائة وسبعون من عبادهم فقتلوهم من يومهم وطبقوا فبشرهم اي اعلمهم بعذاب اليم اي مولم وذكر البشارة تهكم بهم فان قيل لم دخل الفاء في الخبر ان مع انه لا يقال ان زيدا فقائم اجيب بان الموصول متضمن معنى الشرط فكانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم اولئك الذين حبطت اعمالهم اي ما عملوه من خير كصدقة وصلة رحم في الدنيا والاخرة فلا يترتب بها لعدم شرطها وما لهم من ناصرين اي ما نعين عنهم العذاب الم تر تو اي تنظر الى الذين اوتوا نصيبا اي حظا من الكتاب اي التوراة او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان قال البيضاوي وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير انتهى اما التعظيم فظاهر وهو ما اقتصر عليه الزمخشري واما التحقير فبنظر الى ان النصيب المراد به الكتاب او بعضه لاحقارة فيه وقد يقال ان تحقيره بالنسبة اليهم حيث لم يعملوا به يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الواجب هو محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله هو القران او التوراة واختلفوا في سبب نزول هذه الاية روي سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس اي موضع صاحب دراسة كتبهم على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على

اي دوني انت قال دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهلموا الى التوراة ففي بيننا وبينكم فابيا فعلمه فانزل الله عز وجل هذه الاية ورجح
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان رجلا وامراة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم
فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا امرهما الى النبي صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يكون عنده
رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان بن اوفى وبحري بن عمرو حرفت علينا يا محمد ليس
عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينكم التوراة قالوا قد نصفتنا
قال فمن اعلمكم بالتوراة قالوا رجل يقال له عبد الله بن صوريا فارسلوا اليه فوعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بثبي من التوراة فيها الرجم مكتوب فقال له اقرا فلما اتى على اية الرجم
وضع كفه عليها وقرا ما بعدها فقال له عبد الله بن سلام يا رسول
الله قد جاوزها وقام فوقع كفه عنها ثم قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود
بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وان كانت حبلى تتربص حتى تضع
ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما فغضب اليهود وانصرفوا
فانزل الله عز وجل هذه الاية **ثم يتولى فريق منهم** واتى بتبر لاستبعاد توليهم مع علمهم
بان الرجوع الى كتاب الله تعالى واجب لا للتراخي في الزمان اذ لا تراخي فيه وقوله تعالى
وهم معرضون اي عن قبول حكمه جملة حالية من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة
ذلك اشارة الى ما ذكر من التولي والاعراض **بانهم** بسبب قولهم **قالوا** اي بسبب قولهم **لن تمسنا النار**
الا اياما معدودات اي قالوا ذلك بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد
الباطل والطمع الفارغ عن حصول المطموع فيه وهو الخروج من النار بعد ايام قليلة وهي
اربعون يوما مدة عبادة ابائهم العجل ثم يزول عنهم **وغرهم في دينهم** والغرور هو الاطماع
فيما لا يحصل منه شيء **ما كانوا يفترون** اي من ان النار لن تمسهم الا اياما قلايل او ان اباءهم
الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم تنبيه
في دينهم متعلق بغرهم ولا يصح تعلقه بيفترون خلافا للسيوطي لان ما قبل الموصول لا
يتعلق بما بعده فكيف اعمالهم او فكيف صنعهم **اذا جمعناهم ليوم** اي في يوم **لا ريب فيه**
وهو يوم القيامة وفي ذلك استفظام لما يحيق بهم في الاخرة روي ان اول راية ترفع يوم
القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤوس الاشهاد
ثم يؤمر بهم الى النار **ووفيت كل نفس** من اهل الكتاب وغيرهم جزاء **ما كسبت** اي عملت من خير
او شر وفي ذلك دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار وان دخلها لان

توفية

توفية ايمانه وعمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص اذ دخلها
وهم لا يظلمون اي ينقص حسنة او زيادة سيئة نبه بذكر ضميرهم لا يظلمون وجمه
باعتبار معنى كل لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان ولما فتح النبي صلى الله
عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم قال المنافقون واليهود هيهات هيهات
هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك الم يكن محمد بمكة
والمدينة حتى يطمع في ملك فارس والروم فانزل الله سبحانه وتعالى **قل اللهم** اي يا الله يا
عوض عن يا الدا ولذلك لا يجتمعان والتعويض من حذف يختص بهذا الاسم كما اختص
بدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وكما اختص بدخولها القسم عليه واما
قولهم ترب الكعبة فنادر **مالك الملك** اي مالك العباد وما ملكوا قال الله تعالى في بعض
الكتب المنزلة أنا الله ملك الملوك ومالك قلوب الملوك وتواصيهم بيدي فان العباد
اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الي اتي اعطفهم عليكم وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم كما تكونوا تولى عليكم
تؤتي اي تعطي **الملك** اي من الدنيا **من تشاء** من خلقك **وتنزع الملك ممن تشاء** منهم وقيل
المراد بالملك النبوة وتؤتيها نقلها من قوم الى قوم وقال الكلبي تؤتي الملك محمدا واصحابه
وتنزعه من ابي جهل وصناديد قريش وقيل تؤتيه لادم وذريته وتنزعه من ابليس
وجنوده **وتعز من تشاء** من خلقك وقيل محمدا واصحابه حين دخلوا مكة في عشرة الاف ظاهرين
عليها **وتذل من تشاء** منهم وقيل ابا جهل واصحابه حزة روسهم والقوا في القليب وقيل تعز من
تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل تعز من تشاء بالقناعة وتذل من تشاء بالحرص
والطمع وقيل تعز من تشاء بالتعجيل وتذل من تشاء بتركه **بيدك** اي قدرتك **الخير** اي والشر
واقتصر على الاول لمسارعة الادب في الخطاب او اكتفاء بذكر احد المقابلين كما في قوله تعالى
سرابيل تقيكم الحر اي والبرد اولان الكلام وقع فيه اذ روي البيهقي وغيره انه صلى الله
عليه وسلم انه لما خط الخندق وقطع لكل عدة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهرت
فيه صخرة عظيمة لم يعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق اضاءما بين لابتيها
اي المدينة فكان بها مصباحا جاني جيوب بيت مظلم فكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لي منها
قصور الحيرة كانها انياب الكلاب اي في بياضها وصفرتها وانضمام بعضها الى بعض واللابتان حرتان
يكتنفانها والحرة كل ارض ذات حجارة سود كانها محترقة من الحر ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي

منها القصور الجوهر أبرض الروم ثم هزيمها الثالثة فقال اضاف لي قصورهما واخبرني
جبريل ان امتي ظاهرة على كلها اي الارض التي اضاءت فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون
نبيكم ايها المومنون ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب اي المدينة قصور الحيرة
وانها ستفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق اي الخوف فنزلت ونبه ايضا على ان
التربيوه بقوله انك على كل شيء قدير والتوفيق ثم عقب ذلك ببيان قدرته على تعاقب
الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله فقال تولج اي تدخل الليل في النهار حتى يكون
النهار تسعة عشر ساعة والليل تسع ساعات فيزيد كل منهما بما تنقص الاخر وتخرج الحي
وتولج اي تدخل النهار في الليل وتخرج الحي من الميت كالانسان من النطفة والطائر من
البيضة وتخرج الميت من الحي كالنطفة من الانسان والبيضة من الطائر وقال الحسن وعطا
يخرج المومن من الكافر ويخرج الكافر من المومن فالمومن حي الفواد والكافر ميت الفواد
قال الله تعالى اومن كان ميتا فاحييناه وقال الزجاج يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس
ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وشعبة الميت
بتشديد الياء والباقون بتخفيفها مشددة وترزق من تشاء بغير حساب اي رزقا واسعا عن علي
ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية
الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك
الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب قلن يا ربنا تهبطنا
الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل بي حلفت لا يقرأكن احد دبر كل صلاة الا جعلت الجنة
مثواه على ما كان فيه ولا سكنته حظيرة قدسي ولا نظرت اليه بعيني المكنون كل يوم سبعين
مرة ولا قضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة ولاعذته من كل عدو وحاسد
ونصرته منه لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون اليهود والمشركين ويباطنونهم
بالاخبار يرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية
ونهى المومنين ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب
التي يتصادقون بها وينتشرون وقوله تعالى من دون اي غير المومنين اشارة الى انهم الاحقاء
بالموالاة وان في موالاتهم منوحة عن موالاة الكفرة والمحنة في الله والبغض في الله باب
عظيم واصل من اصول الاسلام ومن يفعل ذلك اي يوالي الكفرة فليس من الله اي من موالاة الله
في شيء يصح ان يسمى ولاية شرعية فان ولاية المتعادين لا يجتمعان لما بينهما من التضاد وكما لا

فليس

. ليس اني هزودين راي عينه . ولكن اني من ودين في المغايب . تود عدو ثم تزعم انني
. صديقك ليس النوك عنك بعازب . بعين مهملة وزاي اي بغائب والنوك بضم النون الحمق والخرق
ثم استثنى فقال الا ان تتقوا منهم تقاة اي الا ان تخافوا منهم مخافة فلكم موالاتهم باللسان
دون القلب كما قال لعيسى عليه الصلاة والسلام كن وسطا اي في معاشرتهم ومخالفتهم
وامش جانبا اي هن موافقتهم فيما يامرون او ينهون وهذا قبل غزوة الاسلام ويجري
في بلد ليس فيها قوي كما قال معاذ بن جبل ومجاهد كانت التقية في بدو الاسلام قبل
استحكام القوي وقوة المسلمين واما اليوم فقد اعز الله الاسلام فليس ينبغي لاهل
الاسلام ان يتقوا من عدوهم ويحذركم الله اي يخوفكم نفسه اي يغضب عليكم ان ارتكبتم
والى الله المصير اي المرجع فيجازيكم فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه والموالاة لعدوه
وهو تهديد عظيم شنع بتناهي المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذور منه
عقاب يصدر منه فلا يبالي في عنوه بما يحذر من الكفرة قل لهم يا محمد ان تخفوا ما في صدوركم
اي قلوبكم من موالاة الكفار او غيرها مما لا يرضى الله او تبدوه اي تظهروه يعلمه الله
ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به وقال الكلبي ان سرا ما في قلوبكم لرسول الله صلى الله
عليه وسلم من التكذيب او تظهروه بحر به وقاله يعلمه الله وهو الذي يعلم ما في السموات
وما في الارض لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلانيتكم والله على كل شيء قدير
فهو قادر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه وهذا بيان لقوله تعالى ويحذركم
الله نفسه لان نفسه متنوعة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات
باسرها فلا تقصروا اذا من معصيته الا وهو مطلع عليها لا محالة قادر على العقاب بها
ولما علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله بان يوكل من يتجسس عن موطن
اموره لاتخذ حذره منه كل الحذر مما بال من علم ان العالم الذي يعلم السر واخفى يمين عليه
وهو امرنا الله ان نعوذ بك من اعتوار نابس نالك وشالك اليقظة من سنة الغفلة يوم تجد
كل نفس ما عملت من خير محضرا نصب يوم بمضمر نحو اذكروا يوم وقوله تعالى وما عملت اي عملته من سوء
مبتدا خبره تود لو ان بينها اي النفس وبينه اي السوء امدا بعيدا اي غاية في نهاية البعد فلا يصل
اليها وكرر سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه قال البيضاوي للتذكير والتاكيد وقال الفخر الرازي
ما قيل انه ذكره اولا للمنع من موالاة الكافرين وثانيا للحث على عمل الخير والمنع من عمل الشر
وقوله تعالى والله رءوف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ورحمة
لصلاحهم وعن الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي

رات

مريم بنت عمران بن ماثان وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة وقيل الابراهيم
والد عمران اثنتا وقوله تقبل ذرية بدل من ال ابراهيم وال عمران بعضها من بعض
منهم وقيل بعضهما من بعض في الدين والذرية تقع على الواحد والجمع والذكر
والانثى والله سميع لاقوال الناس عليم باحوالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والحال
واذكر اذ قالت امراة عمران وهي حنة بنت فاقوذا ام مريم وعمران هو عمران بن ماثان
وليس هو عمران ابا موسى وهارون اذ كان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة كما
مر وكان بنو ماثان رؤس بني اسرايل واحبارهم وملوكهم فايدة رسمت امراة بالتا
للمجرورة ووقف بن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتا ووقف الكسائي بالفتح
والامالة واذا وقف حمزة سهل الهمزة ويروى ان حنة كانت عاقرا عجوزا فبينما
هي في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك
علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من خدمه
فحملت فلما احست بالحمل قالت يارب اني نذرت ان اجعل لك ما في بطني محررا اي
عتيقا خالصا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ما صنعت امراتي ان كان ما في
بطنك انثى لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك وهلك عمران وحنة حامل
بمريم فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع لقولي العليم بنيتي فلما وضعتها اي ولدتها
جارية والضمير لما في بطنها وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى وعلم الله او
على تاويل النفس والنسمة ولما لم يكن تحرير الا للغلمان وكانت تر جو ان يكون غلاما لذلك
نذرت تحريره قالت معتذرة يارب اني وضعتها انثى فان قيل كيف جاز انتصاب انثى حالا من
الضمير في وضعتها وهو كقولها وضعت الانثى انثى اجيب بان الاصل وضعته انثى
وانما انث لمتابعة الحال لان الحال وصاحبها بالذات واحد واما على تاويل النفس
او النسمة فنونثها كانها قالت اني وضعت النفس او النسمة انثى والله اعلم اي علم بما
وضعت قرا ابن عامر وشعبة بسكون العين وضم التا فيكون من كلامها قالته تسلية
لنفسها اي ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر وقرا الباقون بفتح
العين وسكون التا فيكون من كلام الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر
ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشي الذي وضعت وما علق به من عظايم الامور
وان يجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيا فلذلك تحسرت وقرا
ابو عمرو والله اعلم بسكون الميم واخفايها عند الباء بخلاف عنه والباقون بالاظهار وقوله تعالى

ربون بفتح الهمزة والباقون بالمد وورش على اصله في المد والتوسط والقصر وزاي الهوز
والنصاري حيث قالوا نحن ابنا الله واحباوه قل لهم يا محمد اذ كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله وقال الضحاك عن ابن عباس وفد النبي صلى الله عليه وسلم على قريش وهم
في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا بيض النعام وهم يعبدونها فقال يا معشر
قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقال له قريش انما نعبدها حبا لله
لتقربونا الى الله زلفى فقال الله تعالى قل لهم يا محمد ان كنتم تحبون الله وتعبدون الاصنام
لتقربكم اليه فاتبعوني يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجة عليكم اي اتبعوا شريعتي وسنتي
يحببكم الله في المومنين له اثابتهم امره واثاره طاعته وابتغا مرضاته وحب الله للمومنين
ثناوه عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور
لمن اتبعني ما سلف من ذنبه قبل ذلك رحيم به وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لهم علما فانزل هذا ادعى محبته وفي
سنة رسول الله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رايت من يذكر محبة الله ويضيق بيديه
مع ذكرها ويطرب وينفر ويصفق فلا شك انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله
وما تصفيقه وطربه ونفرته وصفقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستلذة
بشهته فسماها الله بجهله وذعارته ثم صفق وطرب ونفر وصفق على تصورها ومن
راى انه المني قد ملا الرحم عند صفقته وحمق العامة حواليه قد ملا والرديء بهم
بالدنوء تلا رقتهم من حاله ولما نزلت هذه الاية قال عبد الله بن ابي لاصحابه ان محمدا
يجعل طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصاري عيسى نزل قوله تعالى
قل لهم اطيعوا الله والرسول فيما يامركم به من التوحيد فان تولوا اي اعرضوا عن الطاعة
فان الله لا يحب الكافرين اي لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم وانما اتى بالظاهر ولم يقل ولا
يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان
محبته مخصوصة بالمومنين ولما اوجب سبحانه وتعالى طاعة الرسل وبين انها الحالبة
لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا على الطاعة بقوله تعالى ان الله اصطفى اي
اختار ادم ونوحا وال ابراهيم وهم اسماعيل واسحاق واولادهما الرسل وقد دخل في
ال ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وال عمران مريم وهارون ابا عمران بينهم
على العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقووا
عليه غيرهم وبهذه الاية استدل على فضل الرسل على الملايكة وقيل ال عمران عيسى وامه

وليس الذكر كالانثى بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع من
ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد اما معهود
لام الانثى فني قولها اني وضعتها انثى واما معهود لام الذكر ففي قولها محررا اي يخدم
ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى بيان فيما نذرت لما يقتضي الانثى من
الحيض والنفاس فتكون اللام للتعليل وقوله تعالى واني سميتها مريم عطف على اني وضعتها
انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم واعاد ذكر
ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
فان مريم دليل على ان الاسم في الغالب بمعنى العابدة تنبية في قوله تعالى حكاية سميتها
مريم دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة او معنى سميتها مريم جعلت اسم
المولود مريم واني اعيذها اي اجيرها بك اي بحفظك وذريتها اي اولادها من
الشيطان الرجيم اي المطرود روي الشيخان ما من مولود الا مسه الشيطان حين يولد هو
فيستهل صارخا الا مريم وابنها ولا يعيد كما قال الطيبي اختصاص عيسى وامه بهذه الفضيلة
دون الانبياء لجواز ان يمكن الشيطان من مسهم مع عصمتهم من الاغواء ولا يمتنع كما قال الشافعي في
ان يمس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما تراه وتسمع وليست تلك المسة للاغواء
ليدفع انه لا يتصور في حق المولود حيث يولد وحينئذ فقول البيضاوي معناه ان
الشيطان يطمع في اغوائه كل مولود اي لا يمسه فيه اخراج الحديث عن ظاهره ونبع به
الزمخشري وهو ما سلكه المعتزلة حيث انكروا هذا الحديث وقد حوا في صحته لان
الشيطان لا يمايد عوا الى الشر مزله تمين وعزا بي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بني ادم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد
غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب فتقبلها ربها اي قبل مريم من امها
وربي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر
في النذر ولم يقبل قبلها التي وانبتها نباتا حسنا اي انشاها بخلق حسن فكانت تنبت
في اليوم كما ينبت المولود في العام وكفلها زكريا قرا عاصم وحمزة والكسائي بتشديد
الفاء وقصر وانكر يا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي
جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها فلا بد من تقدير مضاف في الآية وهو مصالح لان كفالة
البدن لا معنى لها وقرا الباقون بتخفيف الفاء ومرفوعا زكريا مرفوعا على الفاعلية روي انه
لما ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد الاقصى ووضعتها عند الاحبار وقال دونكم

هذه

هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها بنت امامهم اي الاعظم او في الصلاة فقال زكريا انا
احق بها لان خالتها عندي فقالت الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس بها
لتركت لامها التي ولدتها لكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه وكانوا تسعة وعشرين
رجلا فانطلقوا الى نهر الاردن والقوا اقلامهم على ان من ثبت قلمه في الماء وضعه فهو
اولى بها فثبت قلم زكريا فاخذها وضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا شبت وبلغت
مبلغ النساء بنى لها غرفة في المسجد وجعل بابها في وسطه لا يرقى اليه الا بالسلم ولا يصعد
اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها فيجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة
الصيف في الشتاء كما قال تعالى كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة او المسجد او اشرف المجالس
ومقدمها ولذلك هو من المسجد ويقال ايضا للمسجد محراب قال المبرد لا يكون المحراب الا
ان يرتقى اليه بدرج وجد عندها رزقا قال الربيع بن انس كان زكريا اذا خرج غلق
عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء
وفاكهة الشتاء في الصيف فاذا وجد عندها ذلك قال يا مريم اني لك هذا اي من اين
لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك قالت وهي صغيرة هو من عند
الله يأتيني به من الجنة قيل تكلمت في المهد وهي صغيرة كما تكلم ابنها عيسى وهو صغير
في المهد ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة وفي هذا دليل واضح
دليل على كرامته الاولياء وليس ذلك معجزة لزكريا كما زعمه جماعة لان ذلك موقوع هو
باشتباه الامر عليه حتى قال لها اني لك هذا ولو كانت معجزة له لادعاها وقطع بها لان
النبي شانه ذلك ويدل عليها غير ذلك كقصة اصحاب الكهف وتبتهم في الكهف سنين عددا
بلا طعام ولا شراب وقصة آصف من اتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف ورؤية
عمر رضي الله تعالى عنه وهو على المنبر جيشه بنهاوند حين قال يا سارية الجبل وسماع
سارية ذلك وكان بينهما مسافة شهر وشرب خالد رضي الله عنه السم من غير ان يضره
وبالجملة فكرامات الاولياء حق ثابت بالكتاب والسنة وليس بعجيب انكارها من اهل البدع
والاهواء اذا لم يشاهدوا ذلك من انفسهم ولم يسمعوا به من رؤسائهم الذين يزعمون
انهم على شيء فوقعوا في اولياء الله تعالى اصحاب الكرامات يمزقونهم ويسمونهم بالجهلة
المتصوفة ولم يعرفوا ان مبنى هذا الامر على صفاء العقيدة ونقاء السريرة واقتفاء
الطريقة واصطفاء الحقيقة وانما العجب من بعض فقهاء السنة حيث قالوا بما روي
عن ابراهيم بن ادهم انهم رأوه بالبصرة يوم التروية وفي ذلك بعكة ان من اعتقد ذلك يكفر

والانصاف ما ذكره الامام السنوسي يسيل عما يحكي ان الكعبة كانت تزور بعض الاولياء
هل يجوز القول به فقد تنخرق العادة على سبيل الكرامة لاهل الولاية جائز عندهم
ويروي ان النبي صلى الله عليه وسلم جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله تعالى
عنها رغيفين وبضعة لحم في طبق معظي اثرته به فرجع بذلك اليها وقال هلمي بابنية
فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوخبزا ولحما فبهتت وعلمت ان ذلك من عند الله فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال لها عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة
سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع صلى الله عليه وسلم عليا والحسن والحسين وجميع اهل
بيته فاكلوا حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها فهذه كرامة
لفاطمة رضي الله تعالى عنها وفي هذه الرواية دليل على ان قوله تعالى ان الله يرزق من يشاء
بغير حساب اي رزقا واسعا بلا تبعة من كلام مريم رضي الله تعالى عنها ويحتمل ان يكون
من كلام الله تعالى وعلى اي تركريا كرامة مريم و منزلتها عند الله قال ابن الذي قدر
على ان ياتي مريم بالفاكهة في غير حينها من غير سبب قادر على ان يصلح زوجتي وهب
لي ولدا من غير حينه على الكبر فطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا وكان
تركريا قد شاخ وايس من الولد قال الله عز وجل هنالك دعا تركريا ربه اي في ذلك
اي الوقت قال الزمخشري فقد يستعار هنا وثم حيث للزمان اي لمشابهة الزمان المكان
في الظرفية فاستعير له فدخل تركريا المحراب وناجا ربه في جوف الليل قال يا رب هو لي
اي اعطني من لدنك اي من عندك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر اي ولدا
مباركا تقيا صالحا مرضيا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا وانثى وهو هنا واحد بدليل
قوله فهب لي من لدنك وليا يرثني وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع
اي مجيب الدعا لمن دعاك فلا ترد دعائي خائبا فنادته الملائكة اي جنسهم كقولهم يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزة والكسائي فناداه بالامالة والتذكير
والباقون بالتانيث وهو قايم يصلي في المحراب اي المسجد وذلك ان تركريا كان الحبر الكبير
الذي يقوب القربان و يفتح باب المذبح فلا يدخلون حتى ياذن لهم في الدخول فبينما هو
قايم يصلي في المحراب و الناس ينتظرون ان يودن لهم في الدخول فاذا هو برجل شاب
عليه ثياب بيض فتفزع منه فناداه وهو جبريل وقرا ان الله يبشرك بيحيى وهما
ابن عامر وحمزة على ارادة القول اولان النداء نوع من القول والباقون بالفتح على بان

وقرا بكسر الهمزة مع

وقرا حمزة والكسائي بفتح الباء من يبشرك وسكون الباء الموحدة وضم الشين مخففة والباقون
بضم الياء وفتح الباء الموحدة وكسر الشين المشددة واختلفوا في انه لم سمي يحيى قال ابن عباس
لان الله احيى به عقر امه وقال قتادة لان الله احيى قلبه بالايمان وقيل لان الله
احيى قلبه بالطاعة حتى انه لم يهم بمعصية وهو اسم اعجمي منع صرفه للتعريف
والعجمة كموسى وعيسى وقيل عربي ومنع صرفه للتعريف ووزن الفعل فيمن وجعله
يحيون كموسون وعيسون مصدقا بكلمة كائنة من الله اي بعيسى انه روح الله
وسمي كلمة لانه خلق بكلمة كن وقيل لان الله اخبر الانبيا بكلامه في كتابه انه يخلق
نبيا بلا اب فسماه بكلمة لحصوله بذلك الوعد وكان يحيى اول من امن بعيسى وصدقه
وكان يحيى اكبر من عيسى بستة اشهر ثم قتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليهما الصلاة
والسلام وقتل البيضاوي وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب فيه تجوز اذ يحيى ابن
خالة ام عيسى لانه ابن خالته وعيسى ابن بنت خالته يحيى لانه ابن خالته وسيدا اي سيد
قومه فيسير متبوعا وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن جبير السيد الذي
يطيع ربه وقال سعيد بن المسيب السيد الفقيه العالم وحصورا اي بالغا في حبس
النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه للعب فقال ما للعب
خلقت وقال سعيد بن المسيب للحصور كانه ممنوع عن النساء وقيل كان له مثل هوية التوبة
وقد تزوج مع ذلك ليكون اغض لبصره وقيل هو الممتنع من الوطي مع القدرة عليه واختار
قوم هذا القول لوجهين احدهما ان الكلام خرج مخرج الثناء وهذا اقرب الى استحقاق الثناء
والثاني انه ابعد من الحاق الافة بالانبياء ونبيا ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء وكانا
من جملة الصالحين فمن على هذا للتبعيض كقوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين قال رب اني
اي كيف يكون لي غلام اي ابن وقد بلغني الكبر اي ادركني كبر السن واثر في وكان عمره مائة
وعشرين سنة وقيل تسعا وستين سنة وامراتي عاقر اي لا تلد من العقر وهو القطع لانها
ذات عقر من الاولاد وكانت بنت ثمان وتسعين سنة فان قيل لم قال زكريا بعد ما وعده
الله تعالى اني يكون لي غلام اكان شاكا في وعد الله وفي قدرته اجيب بانه قال ذلك استعادا
من حيث العادة كما قالت مريم او استفظاما وتعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه اي اجعلني
وامراتي شابين او تزوجا ولدا على الكبر منا او تزوجني امراة اخرى وقيل ان زكريا لما سمع نداء الملائكة
جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله
لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سايرالامور فقال ذلك دفعا للوسوسة قال الامر كذلك من خلق غلاما منكما

الله بفعل ما يشاء لا يعجزه شيء ولاظهار هذه القدرة العظيمة الهمه الله السؤال ليجاب بها ولما
تاقت نفسه الى سرعة المبشر به قال رب اجعل لي آية اي علامة اعرف بها حمل امراتي لا تلوهم
اذا جاءني بالبشرى قال آيتك عليه ان لا تكلم الناس اي تمتنع من كلامهم ثلاثة ايام اي بلياليها
كما في مريم ثلاث ليال الا رمزا او اشارة بيد او رأس والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد
بالكلام حينئذ ما دل على ما في الضمير وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن
القدرة على تكليمهم خاصة مع اطلاقه قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال واذكر ربك كثيرا
وسبح اي صل بالعشي وهو من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار وهو من طلوع الفجر
الى وقت الضحى فان قيل لم حبس لسانه عن كلام الناس اجيب بانه انما فعل ذلك لتخلص المرة
للمذكورة لذكر الله تعالى لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة
وشكرها التي طلب الاية من اجله كما انما طلب الاية من اجل الشكر قيل له ايتك ان تحبس لسانك الا عن
الشكر فاحسن الجواب ووافقه ملكان مشتغلان السؤال ومنتزعا منه وقال قتادة امسك لسانك
عن الكلام عقوبة له لسؤاله الاية بعد مشافهة الملايكة اياه فلم يقدر على الكلام ثلاثة ايام
واذكر اذ قالت الملايكة اي حين قال لها شفاها يا مريم ان الله اصطفاك اي اختارك لما رأى تقبلك
امك ولم تقبل قبلك انثى وفرغك للعبادة واغناك برزق الجنة عن الكسب وتكليمه لها شفاها
كرامة لها وقيل كان معجزة لزكريا وقيل كان ارهاصا اي تاسيسا لنبوة عيسى صلى الله عليه وسلم
بطريق الخوارق قبل البعثة بطريق الشام وانما حمل على هذه التاويل لانها ليست بنبية على الاصح
بل حكى البيضاوي الاجماع انه تعالى لم يبعث نبيا امراة لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا لكن
يوزع فيه دعوى الاجماع لان الخلاف ثابت في نبوة نسوة خصوصا مريم اذ القول بنبوتها
مشهور وطهرك اي من مسيس الرجال ومما يستقذر من النساء واصطفاك ثانيا على نساء العالمين
بهدايتك وارسال الملايكة اليك وتخصيصك بالكرامات السنية كالولد من غير اب ولم يكن لاحد
من النساء فايدة افضل نساء العالمين من مريم كما في الاية اذ قيل بنبوتها ثم فاطمة بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ام هاشم عايشة ثم اسية امرات فرعون فان قيل روي الطبراني في خبر
نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم
اسية امرات فرعون اجيب بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة
يا مريم اقنتي لربك اي اطيعيه والسجدي واركعي مع الراكعين اي وصل مع المصلين في الجماعة
وانظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم فان قيل لم
قدم السجود على الركوع اجيب باحتمال انه كان كذلك في تلك الشريعة وقيل بل كان السجود قبل

الركوع

الركوع في الشرايع كلها والتنبيه على ان الواو لا تقتضي الترتيب ذلك اي ما قصصناه عليك من
يا محمد من حديث زكريا ويحيى ومريم وعيسى من انبا الغيب نوحيه اليك اي من الغيوب التي
لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اي عندهم اذ يلقون اقلامهم في الما اي بسهامهم التي
طرحوها فيه وعليها علامة على القرعة وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون لها التوراة
اختاروها للقرعة فيمن يكفلها ليعلموا ايهم يكفل مريم اي يحضنها ويربيها فاي متعلق بمحذوف
كما علم من التعريف وما كنت لديهم اذ يختصمون في كفالتها فتعرف ذلك فتخبر به وانما عرفته من
جهة الوحي فان قيل لم نفيت المشاهدة واثبتوها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الاخبار
من حفاظها وهو موهوم اجيب بانه كان معلوما عندهم علما يقينيا انه ليس من اهل السماع والقراءة
وكانوا منكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ومثل ذلك قوله تعالى وما كنت بجانب
الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اذ كرا اذ قالت الملايكة اي
جبريل يا مريم ان الله يبشرك بكلمة اي بابن هو اسمه المسيح عيسى ابن مريم وانما خاطبها
بنسبته اليها تنبيها على انها تلده بلا اب اذ عادة الابناء نسبتهم الى الاباء لا الى امهاتهم وبنسبته
اليها فضلت واصطفيت على نساء العالمين فان قيل هذه ثلاثة اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن
فلقب وصفة اجيب بان الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به
ويتميز عن سواه مجموع هذه الثلاثة والمسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق
واصله مشيحا بالعبرانية ومعناها المبارك لقوله وجعلني مباركا اينما كنت واشتقاقه من
المسح بالبركة او بما طهره من الذنوب او مسح الارض لقربه في موضع اولانه خرج من بطن امه
ممسوحا بالدهن اولان جبريل مسحه بجناحه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل اولانه مسح
القدم لا اخمص له وقال ابن عباس سمي مسيحا لانه مسيح ذا عاهة الا برئ وسمي الدجال مسيحا
لانه ممسوخ احدى العينين وعيسى معرب ايشوع وهو بالثين المعجمة السيد قال البيضاوي واشتقاقه
من العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طايل تحته وقوله تعالى وجيها اي ذا جاه حال مقدرة من
كلمة وهو وان كانت نكرة لكنها موصوفة فان قيل لم ذكر ضمير الكلمة اجيب بان المسمى بها هو المذكر
وفي الدنيا بالنبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة بالشفاعات والدرجات العلا ومن المقربين
عند الله لعلو درجته في الجنة ورفعه الى السماء وصحبته للملايكة ويكلم الناس في المهد اي صغيرا
قبل اوان الكلام كما ذكر في سورة مريم قال اني عبد الله اتاني الكتاب الاية وكهلا عطف على وجيها
قالت مريم كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان بكى فسمعته يقول
والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه وقوله تعالى وكهلا عطف على في المهد اي ويكلم الناس في هاتين

الحالتين كلام الانبياء مع غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولية التي يستحكم فيها العقل
ويستتبع فيها الانبياء وقد رفع بعد كهولته وقيل انه رفع شابا وعلى هذا المراد كهلا بعد
نزوله وذكر تعالى احواله المختلفة المنافية ارشاد الى انه بمعزل عن الالوهية فان قيل
ما فايدة البشارة بكلامه كهلا والناس في ذلك سواء اجيب بانه بشر بها بانه يبقى الى
ان يتكهل وعدم التفاوت بين الحالتين حال من كلمة او من ضمير هذا الذي في يكلم فان قيل
لم ختم الصفات المذكورة بقوله ومن الصالحين بعد ذات الوجاهة في الدنيا فسرت بالنبوة ولا شك
ان النبوة ارفع من منصب الصلاح بكل واحدة من الصفات المذكورة اشرف من كونه صالحا اجيب
بانه لا يكون كذلك الا ويكون في جميع الافعال والتروك موظبا على المنهج الاصلح وذلك
يتناول جميع المقامات في الدين والدنيا في افعال القلوب وفي افعال الجوارح ولهذا قال
نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام بعد النبوة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
فلما عدد صفات عيسى عليه الصلاة والسلام اردفها بهذا الوصف الدال على ارفع الدرجات
قالت رب اي يا سيدي تقول له الله عز وجل وقيل تقوله لجبريل قاله البغوي وقال الزمخشري
وهو بوزن التفاعيل ان قولها رب ند الخبل بمعنى يا سيدي اني اي كيف يكون لي ولد
ولم يمسسني بشر اي ولم يصبني رجل بتزوج ولا غيره قالت ذلك تعجبا اذ لم تكن جربت الفا دة
بان يولد مولود بلا اب او استفهاما عن انه يكون بتزوج او بغيره قال الامر كذلك هو ان
ولد منك بلا اب الله يخلق ما يشا القايل جبريل والله وجبريل حكى لها قوله تعالى
اذا قضى امرا اي اراد كون شيء فانما يقول له كن فيكون وقرا ابن عامر بفتح النون والباقون
بضمها اي فهو يكون لانه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء موجبا بالاسباب وموادها يقدر ان
يخلقها دفعة من غير ذلك فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت وكان من امرها ما ذكر في سورة
مريم وسياتي ان شاء الله تعالى الكلام عليه هناك وقوله تعالى ويعلمه الكتاب اي الكتابة
والحكمة اي العلم المتقن بالعمل والتوراة والانجيل كلام مستانف ذكر تطييبا لقلبها
واراحة لما بها من خوف اللوم حين علمت انها تلد من غير زوج وقيل المراد بالكتاب
جنس الكتب وخص الكتابان لفظهما وقرا نافع وعاصم بالياء والباقون بالنون وبجعله
رسولا الى بني اسرايل اما في الصبا وبعد البلوغ وتخصيص بني اسرايل لخصوص بعثة اليهم
وللرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم فايدة كان اول انبياء بني اسرايل يوشع وآخرهم
عيسى عليه الصلاة والسلام ولما بعث اليهم قال لهم اني رسول الله اليكم اتى اي باتي وجيتكم
باية اي علامة من ربكم تصدق قولي وانما قال باية وقد اتى بايات لان الكل دل على شيء واحد وهو

كلام مر وقوله تعالى ومن الصالحين اي من عباد الله الصالحين تلخ

صدقه

اي تخبئون في بيوتكم حتى تاكلوه فكان يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما اكل اليوم وبما ادخره للعشا
وقال السدي كان عيسى في الكتاب يحدث الغلمان بما تصنع اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد
اكل اهلك كذا وكذا وهو يلعب فيقوم الغلام فينطلق الصبي الى اهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك
الشيء فيقولون من اخبرك بهذا الشيء فيقول عيسى فحببوا صبيانهم عنه وقالوا لهم لا تلعبوا مع
هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هاهنا قال فما في هذا البيت قالوا
خنازير قال عيسى كذلك يكونون فتحولوا عنهم فاذا هم خنازير فنشا ذلك في بني اسرائيل
فمنعت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه امه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر وقال
قتادة انما هو في المايدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا كلما نزل والسلوى وامروا ان لا يخونوا
ولا يخبئوا لغد فخانوا وخبئوا فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المايدة وما ادخروا منه فمسخهم الله قردة
خنازير وان في ذلك الذي ذكرت لكم لاية لكم ان كنتم مومنين اي مصدقين للنبي غير معاندين
وقوله تعالى ومصدقا منصوب باضمار فعل يدل عليه فوجيتكم اي وجيتكم مصدقا لما بين يدي
اي قبلي من التوراة ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم فيها في شريعة موسى عليه الصلاة والسلام
فاحل لهم اكل الشحوم والثروب وهو شحم قيق يغشي الكرش والسمك ولحوم الابل والعمل
في السبت وقيل احل الجميع فبعض بمعنى كل كقول لبيد ترك المكنة اذ الزمانها او يرتبط بعض النفوس حمامها
يعني كل النفوس فان قيل لم يكون مصدقا للتوراة والاحلال يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع
موسى اجيب بان ذلك لا يخل بكونه مصدقا للتوراة كما لا يخفى ونسخ القران بعضه بعض عليه
تناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وانما كرر وجيتكم بالذات من لكم
للتاكيد وليبني عليه فاتقوا الله اي في مخالفة امره وجيتكم بايته بعد اخرى بما ذكرت لكم من خلق الطير
والابرء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن كلامي في المهد وغير ذلك فتقوى
الحقيقة الاتيان بما يحملها من جنس واحد في الدلالة على رسالته والطيعون
فيما ادعوكم اليه من توحيد الله وطاعته ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله
ربي وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه فاعبدوه اي لازموا طاعته التي
هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي هذا الذي دعوتكم اليه صراط اي طريق مستقيم هو المشهود
له بالاستقامة روى الامام احمد وغيره ان رجلا قال يا رسول الله مرني بامر في الاسلام
لا اسال عنه احدا بعدك قال قل امنت بالله ثم استقم وما قال لهم ذلك كذبوه وليرتبوا منوابه كما
قال تعالى فلما احس عيسى اي علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من
انصاري قرا نافع بفتح الياء والباقون بالسكون اي اعواني وقوله تعالى الى الله متعلق بمحذوف

حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله ملتجا اليه لاتمر دينه وقيل الى هنا بمعنى في واللام
قال الحواريون نحن انصار الله اي اعوان دينه واختلفوا في الحواريين فقال السدي لما
بعث الله تعالى عيسى الى بني اسرائيل كذبوه واخرجوه فخرج هو وامه بسيحان في الارض حتى لا
في قرية على جبل فاضافهما واحسن اليهما وكان لذلك الملك المدينة جبار متعد فجاء ذلك الرجل
يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت لها مريم ما شان زوجك اراه كيبا
قالت لا تسالي قالت اخبريني لعل الله تعالى يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا
يوما ان يطعمه وجنوده وتستهم حمل فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا
سعة قالت فقولي له لا يهتم فاني امرا بني فيدعوا له فيكفي ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك
قال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت فلا تبالي فانه احسن الينا واكرمنا قال عيسى قولي له
اذا اتى غدا ذلك فاملا قدوريك وخوابيك ماء ثم اعلميني ففعل ذلك فدعى الله عيسى فتحول ما
القدور من قار ولحما وما الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك الحل فلما شرب اللحم قال من
اين هذا قال امراته ذلك قال فان خمري من ذلك الاثر وليست مثل هذه قال هي من ارض اخرى
فلما خلط على الملك اشر عليه قال فانا اخبرك عني غلام لا يسال الله شيا الا اعطاه اياه وانه دعى
الله فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فمات قبل ذلك باياء وكان احب الخلق اليه فقال
ان رجلا دعا الله فجعل الماء خمرا ليجابه الى حتى يحيي ابني فدعى عيسى اليه فكلمه في ذلك فقال عيسى
لا افعل فانه ان عاش وقع شر قال الملك لا عليك قال عيسى انا احييه تتركني انا وامي نذهب حيث شئنا
قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا الحقنا
هذا حتى اذا دفي موته يريد ان يستخلف علينا ابنه فيلحقنا به كما قتلنا ابوه فاقتتلوا فذهب عيسى وامه
فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قالوا ومن
انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فقالوا امنا اي صدقنا بالله واشهد يا عيسى بانا
مسلمون لتشهد لنا يوم القيمة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت من الانجيل
واتبعنا الرسول عيسى فاكتبنا مع الشاهدين لك بالوحدانية او مع النبيين الذي يشهدون
لاتباعهم او مع امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهدوا على الناس وقال الحسن كانوا قصارين
سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وعلى الاول سموا حواريين لبياض ثيابهم
وقال عطا سلمت مريم عيسى الى امعا لشتي فكان اخرها دفعته الى الحواريين وكانوا قصارين
وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال يا عيسى
انك قد تعلمت عندنا الحرفة وانا خارج في سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه الثياب مختلفة الالوان

وقد علمت في كل واحد منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فاحب ان تكون فارغا منها عند
قدومي وخرج فلبغ عيسى حيا واحدا على لون واحد وادخله بجميع الثياب وقال كونوا على
الله على ما اريد منك فقدم الحواري والثياب كلها في الجب فقال لما فعلت قال فرغت منها قال
اني هي قال في الجب قال كلها قال نعم قال فاخرج تلك الثياب قال فقم فانظر فاخرج عيسى
ثوبا اصفر وثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا الحمر الى ان اخرجها على الالوان التي اراد ها فجعل الحواري يعجب
ويعلم ان ذلك من الله تعالى للناس تعالوا فانظروا فامن واصحابه فهم الحواريون وقال الكلبي
وعكرمة الحواريون الاصفياء وهم كانوا اصفياء عيسى واول من امن به وكانوا اثني عشر رجلا
وهو البياض الخالص وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص
الوانهن ونظافتهن قال القايل * فعل الحواريات يبكين غيرنا * ولا يبكين الا الكلاب النوابح *
قال الله تعالى ومكروا اي كفار بني اسرائيل الذين في حق عيسى منهم الكفر وذلك ان عيسى عليه الصلاة
والسلام بعد اخراج قومه اياه وامه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة فهموا بقتله
وتواطوا على الفتك به ورصدوا من يقتله غيلة وهي بالكسر ان يخدع غيره فيذهب به الى موضع
فاذا صار اليه قتله فذلك مكرهم اذ المكر من المخلوق الخبث والخديعة فالحيلة واما من الخالق وهو
قوله تعالى ومكر الله اي بهم والله خير الماكرين في اي اعلمهم به فقال الزجاج مجازاتهم على مكرهم
فسمي الجزاء باسم الابتداء لانه في مقابلته قال تعالى الله يستهزئ بهم وهو خادعهم ومكر الله تعالى بهم
في هذه الآية بان القى شبهه على صاحبهم الذي اراد قتل عيسى حتى قتل روي ان عيسى استقبل
رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل بنا الفاعلة فقذفوه وامه
فلما سمع ذلك عيسى دعى عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهودا راس اليهود
واميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وفتشوا عليه ليقتلوه
فبعث الله جبريل فادخله في خوخة في سقفها كوة فرفعه الله الى السماء من تلك الكوة فامر
يهودا راس اليهود رجلا ممن اصحابه ان يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى فابطأ عليهم
فظنوا انه يقاتله فيما فاتى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه
فلما صلبوا جاء لم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها فابراها الله من الجنون يبكيان عند المصلوب
فجاءها عيسى فقال لهما على ما تبكيان ان الله رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شبهه الله
فلما كان بعد سبعة ايام قال الله تعالى لعيسى اهبط على مريم فانه لم يبك عليك احد بكاءها
ولم يحزن حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فيثبتهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله عليها
فاستدل حين اهبط نور فجمعت له الحواريون فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وذلك الليلة

هي التي

هي التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله
عيسى عليه الصلاة والسلام اليهم وروي ان الله تعالى ارسل اليه سحابة فرفعته فتعلقت
به امه وبكت فقال لها ان القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر بيت المقدس وله ثلاث
وثلاثون سنة وقال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته لمضي
خمسة وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله اليه على راس ثلاثين سنة ورفعه
الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وكانت نبوته
ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين وقوله تعالى اذ قال الله ظرف لخير الماكرين
او لمكر الله او لضمير مثل اذكر يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك
من ان تقتلك الكفار وموخرك الى اجل كتبته لك وممتك حتف انفك لا قتلا بايديهم او فاتحك
من الارض من توفيت مالي اي توفيته او متوفيك نائما كما قال تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل اي
فينيمكم او روي انه يرفع نائما او ممسكا عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت
ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملايكتي اذ روي ان الله رفعه وكساه الريش والبهاء
النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطارع الملايكة فهو معهم حول العرش وكان انيسا
ملكيا سماويا ارضيا وقال محمد بن اسحق النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار
ثم احياه ورفعه وقال الضحاك ان في الاية تقديما وتاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك من الذين
كفروا اي من خبثهم ومنجيك منهم ومتوفيك بعد انزالك من السماء روي ابو هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر
الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد وروي الشيخان نحو ذلك انه
ينزل قرب الساعة ويحكم شريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية وفي
حديث مسلم انه يمكث سبع سنين وفي حديث عن ابي داود الطيالسي اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي
عليه المسلمون فيحمل على ان مجموع لبثه في الارض قبل الرفع وبعده اربعون وقيل للحسن
ابن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن قال نعم قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا ولم
يتكهل في الدنيا وانما معناه كهلا بعد نزوله من السماء انتهى وهذا انما يأتي على القول بانه رفع
شابا واما على القول بانه رفع بعد ثلاث وثلاثين سنة فلا دليل فيه اذ الكهولة من الثلاثين الى
الاربعين وجاعل الذين اتبعوك اي صدقوا بنبوتك من النصارى ومن المسلمين لانهم متبعوه في اصل
الاسلام وان اختلفت الشرايع فوق الذين كفروا بك من اليهود والنصارى اي يقلبونهم بالحجة والسيف
الى يوم القيامة وقيل المراد بالذين اتبعوه النصارى وبالذين كفروا اليهود اذ لم يسمع غلبة اليهود

عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة وملك النصارى قايم اي قريب من قيام الساعة وعلى هذا
يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لا اتباع الدين ثم الى من جعل الضمير لعيسى ومرامن معه من
كفره وغلب المخاطب على الغايبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون بالقتل والسبي والجزية
والذلة اعذبهم في هذا من امر الدين ثم بين الحكم بقوله فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا
في الدنيا بالقهر والسبي بالقتل والسبي والجزية والذلة واعذبهم في الاخرة بالنار فان قيل الحكم
مرتب على الرجوع الى الله وذلك في القيمة فكيف يصح في تبيينه العذاب في الدنيا اجيب بان
المقصود التابيد من غير نظر الى الدنيا والاخرة كما في قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
وما لهم من ناصرين اي مانعين منه واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم
اي اجورا عمالهم وقرا حفص بالتا والباقون بالنون والله لا يحب الظالمين اي لا يرحم الكافرين ولا يثني
عليهم بالجميل وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما سبق من خبر عيسى ومريم وامراة عمران وهو مبتدا خبره
نتلوه اي نقصه عليك يا محمد وقوله تعالى من الايات خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف او حال من
الها والذكر الحكيم اي القران وصف بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه وقيل هو اللوح
المحفوظ وهو معلق بالعرش من درة بيضا ولما قالوا وقد نجران لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبالكم
شتمتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى
العذرا البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب تزل انه مثل عيسى اي شانه وحالته
الغريبة عند الله كمثل ادم اي كشانه في خلقه من غير اب وقوله تعالى خلقه اي ادم من تراب جملة من
الماله شبه عيسى بادم اي خلق ادم من تراب ولم يكن ثم اب ولا ام فكذلك حال عيسى فان قيل
كيف شبه به وقد وجد هو من غير اب ووجد ادم بغير اب وام اجيب بانه مثيله في احد الطرفين
ولا يمنع اختصاصه دونه الطرف الاخر تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف
ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك تطيران ولان الوجود
من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبهة الغريب بالاغرب ليكون اقطع
للخصم واحسم للمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلما انه اسر بادوم فقال
لهم لم تعبدون عيسى قال لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا بوين له قالوا لكان يحيى الموتى قال فمحمد
اولى لان عيسى احيى اربعة انفس واحيى حزقيل ثمانية الف فقالوا لكان يبرئ الاكمه والابرص فقال
قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما ومعنى خلق ادم من تراب اي صور جسده من التراب
ثم قال له كن اي انشاه بشرا بان نفخ فيه الروح كقوله تعالى ثم انشاناه خلقا اخر او قدر تكوينه
من التراب ثم كونه وقوله تعالى فيكون حكاية حال ماضية اي فكان وكذلك عيسى قال له كن من غير اب

فكان

فكان ويجوز ان تكون ثم لتراخي الخبر لا لتراخي المخبر عنه وقوله تعالى الحق من ربك خبر مبتدا
محذوف اي امر عيسى وقوله تعالى فلا تكن من الممترين اي الشاكين خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم والمراد غيره فحاش رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا فمن حاجك
اي جادلك من النصارى فيه اي عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم بان
عيسى عبد الله ورسوله فقل لهم تعالوا اي هلموا بالراي والعزم نوع جزم بجواب الامر وعلامة
جزمه سقوط الواو ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه
واعز اهله وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم فيجعلهم
ثم نبتهل اي نتضرع في الدعا ونبالغ فيه فنجعل لعنة الله على الكاذبين بان نقول اللهم
العن الكاذب في امر عيسى فلما قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على وفد
نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع ونتظر في امرنا ثم ناتيك غدا فخلا بعضهم ببعض
وقال للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى
ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش
كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولين فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على دينكم وعلى ما انتم
عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد غدا رسول الله محتضنا الحسين اخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها
وهو صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران وهو اسم رباني
لرييس النصارى وعالمهم وهو غير العاقب يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان
يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة
فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا فقال
فاني انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخفنا ولا ترد
عن ديننا على ان نودي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب نودي ها للمسلمين
وعارية ثلاثين درعا وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين من كل صنف من اصناف السلاح
يغزون بها والمسلمون ضامنون بها حتى يردونها فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة
وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل نجران واهله حتى الطير على رووس الشجر ولما
حال الحول على النصارى حتى هلكوا كلهم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة
ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفي ذلك دليل على نبوته صلى الله
عليه وسلم وعلى فضل اهل الكساء رضي الله تعالى عنهم وعن بقية الصحابة اجمعين فائدة
رحمت لغت عنا بالتا المجرورة وقرئ ابن كثير وابو عمرو والكسائي عليها بالهاء والباقون بالتا
ازهو اي الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو القصص اي الخبر الحق الذي لا شك فيه وقرأ ابن
وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء ليتوالى والباقون بالرفع حيث جاء وهو اما فصل بين اسم
ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان فان قيل لو جاز دخول اللام
على الفصل احيب بانه اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اولى لانه اقرب الى
المبتدأ واصلها ان تدخل على المبتدأ وما من اله الا الله انما مرح فيه بمن المزيدة للاستغراق
تاكيد الرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه فلا احد
يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا اي اعرضوا
عن الايمان فان الله عليم بالمفسدين فيجازيهم وفيه وضع الظاهر موضع المضمر
ليدل على التولي عن الحق والاعراض عن التوحيد افساد الدين والاعتقاد المودي الى فساد
النفس بل والى فساد العالم ولما قدم وفد نجران المدينة والتقوا مع اليهود واختصموا في
ابراهيم صلى الله عليه وسلم فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس
به فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا
مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد الا ان نتخذك يا
اتخذت النصارى عيسى وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في
عزير تعال قل يا اهل الكتاب وهو يعم اهل الكتابين وهم اليهود والنصارى تعالوا الى كلمة
العرب تسمي كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيدة كلمة وقوله تعالى سواء مصدر بمعنى
مستو امرها لا تختلف فيها الرسل والكتب بيننا وبينكم فهو نعت الكلمة لان المصادر لا تثنى
ولا تجمع ولا تونث واذا فتحت السين مددت واذا كسرتا وضممت قصرت كقوله تعالى مكانا
سوى فسر الكلمة بقوله الا نعبد الا الله اي نوحده بالعبادة ونخلصه فيها ولا نشرك به
شيئا اي ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا
بعضا ربابا من دون الله اي ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار
فيما احدثوا من التحريم والتحليل لانهم بشر مثلنا وفي الترمذي لما نزل قوله تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون

لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك اي اخذكم بقولهم فان تولوا اي
اعرضوا عن التوحيد فقولوا انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون اي موحدون دونكم فقد لزمتكم
الحجة فوجب عليكم ان تقتفوا اثرنا كما يقول الغالب للمغلوب في جدال او صراع او نحو ذلك
اعترف بانني الغالب وسلم لي الغلبة قال البيضاوي تنبيه انظر الى ما راعى اي الله في هذه القصة
من المبالغة والارشاد وحسن التدريج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه
من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم اي يزيل شبهتهم فلما راى عنادهم وتحاجهم
دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بقي الانقياد عادة
اليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل
وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجدوا ان ينفع ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني
عنهم شيئا اعرض وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب وقد مر انه يعم اهل الكتابين
اليهود والنصارى لم تحاجون اي تخاصمون في ابراهيم بزعمكم انه على دينكم وما انزلت
التوراة على موسى والانجيل على عيسى الا من بعده اي ابراهيم بزمن طويل اذ كان بين ابراهيم
وموسى الفسنة وبين موسى وعيسى الفا سنة وبعد نزول التوراة حدثت اليهودية وبعد
نزول الانجيل حدثت النصرانية افلا تعقلون بطلان قولكم حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال
الحال ها انتم يا هؤلاء للتنبيه وانتم مبتدا خبره حاججتم اي جادلتم فيما لكم به علم
من شان ابراهيم وليس له ذكر في كتبكم والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون اي
جاهلون به ثم قال تعالى تبرئة لابراهيم ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا اي مائلا عن الاديان كلها الى الدين القيم مسلما اي موحدا منقادا وليس المراد
انه كان على دين الاسلام والا لاشترك الالزام لانهم يقولون ان ملة الاسلام حدثت
بنزول القرآن تعلم ان المراد بكون ابراهيم مسلما انه كان على ملة التوحيد لا على هذه
الملة وما كان من المشركين كما زعم بكذ منكم واراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به
عزيرا والمسيح ان اولى الناس اي احقهم بابراهيم للذين اتبعوه من امته وهذا النبي محمد
لموافقته له في اكثر شرعه والذين امنوا من امته فهم الذين ينبغي ان يقولوا انهم على
دينه لانتم والله ولي المومنين اي ناصرهم وحافظهم ولما دعى اليهود معاذا وحذيفة
وعمارا الى دينهم ترل ودت اي تمنت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم عن دينكم ويردونكم الى
الكفر وما يضلون الا انفسهم اي اثمالهم او ان اثم اضلالهم عليهم والمومنون لا يطيعونهم فيه
وما يشعرون بذلك يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي القران المشتمل على نبوة محمد

على محمد صلى الله عليه وسلم
وكان ابراهيم قبله بمدة طويلة
فكيف يكون على ملة الاسلام الحادثة
بنزول القران صح

صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون نبوته في الكتابين وتعلمون انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون
اي تخلطون الحق بالباطل اي بالتحريف والتزوير وتكتمون الحق اي نعت محمد صلى الله
عليه وسلم وانتم تعلمون انه الحق وقالت طايفة من اهل الكتاب اي اليهود قال الجماعة
منهم امنوا بالذي انزل على الذين امنوا اي القران اظهروا الايمان وجه النهار اي اوله
وانما سمي اوله وجها لانه احسنه ولانه اول ما يسري بعد الليل واكفروا به اخره لعلهم
اي المومنين يرجعون عن دينهم اذا رأوكم رجعتم واختلفي هذه الطايفة فقال الحسن
والسدي انهم عشر من يهود خيبر وقريظة تواطاوا وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين
محمد اول النهار وقولوا ان نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا وجدنا محمدا الذي نذكره فظهر لنا كذبه
فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم والهموه وقالوا انهم اهل الكتاب واعلم به منا فيرجعون
عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هو كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما
لما تحولت القبلة وشق ذلك على اليهود آمنوا بالذي انزل على محمد من امر الكعبة وصلوا
اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم اخر النهار وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هؤلاء
اهل الكتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا ولا تؤمنوا الا لمن تبع اي وافق دينكم اي لا تظهروا
عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان
رجوعهم اولى واهم فاطلع الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم فنبيه
قال البغوي اللام في لمن صلة اي لا تصدقوا الا من تبع دينكم اليهودية كقوله تعالى
عسى ان يكون ردف لكم اي يردفكم قل لهم يا محمد ان الهدى هدى الله الذي هو الاسلام وما عداه
ضلال وقوله تعالى ان يوتى معنى الجحد اي ما يوتى احد مثل ما اوتيتم يا امة محمد او يحاجوكم
اي الا ان يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولوا نحن افضل منكم وقوله تعالى عند ربكم اي عند فضل
ربكم بكم ذلك وهذا معنى قول سعيد بن جبير والكلبي ومقاتل والحسن وهو حسن وقال
الفراء يجوز ان تكون او بمعنى حتى كما يقال لتلزمني او تعطيني حقك ويكون معنى الاية ما اعطى
احد مثل ما اعطيتم يا امة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم اي يوم القيامة
وقال مجاهد قوله قل ان الهدى هدى الله كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الاول اخبارا عن قول اليهود بعضهم لبعض اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا
ان يوتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والايات من المن والسلوى وفلق البحر
وغيرها من الكرامات ولا تؤمنوا ان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم وقرا ابن كثير وحده
ان يوتى بمدتين الاولى محققة والثانية مسهلة على الاستفهام للتقريع اي اياتا احد مثله تتركون

والباقون

والباقون بمدة واحدة وقال الزمخشري ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان
يوتى احد خبرا ان على معنى قل ان هدى الله ان يوتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى هم
يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا بالكم بحجتكم ويدحضوا حجتكم قال ويجوز ان ينتصب ان يوتى
بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله
فلا تنكر وا ان يوتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يوتى
احد مثل ما اوتوا قال تعالى قل ان الفضل بيد الله يوتيه من يشاء من عباده والله واسع
اي كثير الفضل عليم بمن هو اهله يختص برحمته اي بنبوته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
العظيم في ذلك رد وابطال لما تزعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
اي بمال كثير يوده كعبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا وما تي الفا اوقية
ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يوده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه
رجل اخر من قريش دينارا فجحده الا ما دمت عليه قايما اي الا ان اودعته واستوجبته منه
وانت قايم على راسه لم تفارقه رده اليك وان فارقته واخرته انكره ولم يرده وقيل المامون
على الكثير النصاري لغلبة الامانة عليهم والخاينون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم
وقرا حمزة وابو عمرو وشعبة يوده اليك ولا يوده اليك باسكان الهاء فمن وصل نية الو
فهو سكون وقف بالنية لا بالفعل وقالون باختلاس حركة الهاء وحفص والكسائي بالحركة هي
الكاملة والباقون في قنطار ودينار بالامالة لابي عمرو والدوري عن الكسائي وورش بين بين
والباقون بالفتح ذلك اي ذلك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يوده بانهم قالوا ايب
انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي العرب سبيل اي اثم لاستحلالهم ظلم من خالف دينهم ونسبوا ذلك
الى الله تعالى فقالوا الله تعالى جعل الله لهم في التوراة حرمة فكذبهم الله عز وجل بقوله عز من قايل
ويقولون على الله الكذب في نسبة ذلك اليه وهم يعلمون انهم كاذبون وقال الحسن وابن
جريج ومقاتل بايع اليهود رجلا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلما تقاضوه بقية اموالهم
فقالوا ليس لك علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم
وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فاكذبهم الله تعالى في ذلك روى الطبراني وغيره انه
صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الاية كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا
وهو تحت قدمي اي منسوخ متروك الا الامانة فانها مودات الى البر والفاجر اي والديون
من الامانة لان المراد بالامانة الرضي بالذمة وقوله تعالى بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم
اليهود في الاميين سبيل ثم ابتدا فقال من اوفى بعهده اي ولكن من اوفى بعهد الله الذي

ق

عهد اليه في التوراة من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وأدآ الامانة واتقى
اي بترك المعاصي وعمل الطاعات فان الله يحب المتقين فيه وضع الظاهر موضع المضمر
اي يحبهم يعني يثيبهم فان قيل فاين الضمير الراجع من الجزا الى من اجيب بان عموم هو
المتقين قام مقام رجوع الضمير ونزل في احبار من اليهود حرفوا التوراة وبدلوا نعت
محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانة وغيرها واخذوا على ذلك رشوة ان الذين يشترون
اي يستبدلون بعهد الله اليهم في الايمان للنبي والوفا باداء الامانات وايمانهم اي وحلفهم
به تعالى كاذبا من قولهم والله لنومنن به ولننصرنه ثمنا قليلا من الدنيا اولئك لا خلاق
اي لا نصيب لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملايكة يسالونهم
يوم القيامة ولا ينظر اليهم اي ولا يرحمهم يوم القيامة ولا يزكيهم اي ولا يثني عليهم بالجميل ولا
يطهرهم من الذنوب ولهم عذاب اليم اي مولم وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في سوق
فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل نزلت في جماعة من اليهود جاؤا الى كعب بن الاشرف
في سنة اصابتهم ممتابرني فقال لهم اتعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد حرمت
ان اميركم واكسوكم لحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا له علمنا فروبدا حتى نلقاه فانطلقوا
فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح
وسارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كان بيني وبين رجل خصومة في بير او ارض فاختصمنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهدك او يمينك فقلت اذا يحلف ولا يبالي فقال من
حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان فانزل الله تصديق ذلك
بهذه الاية وعن ابي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يكلمهم الله
يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث مرات فقال ابو ذر خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته
بالحلف الكاذب وفي رواية المسبل ازاره وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة
هم قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولهم عذاب اليم رجل حلف على يمين
على مال مسلم فاقتطعه ورجل حلف على يمين بعد صلاة العصر انه اعطى لسلعته اكثر مما اعطى
وهو كاذب ورجل منع فضل ماء فان الله يقول اليوم امنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل
يداك وان منهم اي اهل الكتاب لفريقا اي طائفة ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي
ابن اخطب يلوون السنتهم اي يفتلونها بقراءته عن المنزل الى ما حرفوه من نعت النبي صلى الله
عليه وسلم واية الرجم وغير ذلك يقال لوى لسانه عن كذا اي غيره ليحسبوه اي المحرف المدلول

عليه

عليه بقوله تعالى يلوون من الكتاب الذي انزل الله وما هو من الكتاب وقرا ابن عامر وعاصم
بفتح السين والباقون بكسرها وقوله تعالى ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد
لقوله وما هو من الكتاب زيادة وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تعريضا بانه
ليس هو منزلا من عند الله فان قيل نفي الله تعالى كون المحرف من عنده وهو فعل العبد
فلا يكون فعل العبد مخلوقا لله تعالى والا لما صح نفيه عنه تعالى اجيب بان المنفي هو
الاتزال لا كون المحرف غير مخلوق لله تعالى بكسب العبد وقوله تعالى ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون تاكيد ايضا وتسجيل عليهم بالكذب والتعمد فيه واختلف في سبب نزول قوله تعالى
ما كان اي ما ينبغي لبشر ان يوتيه الله الكتاب والحكم اي الفهم للشريعة والنبوة اي المنزلة الرفيعة
بالانبا ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله فقال مقاتل والضحاك نزلت في نصارى
نجران كانوا يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه الها فقال تعالى ما كان لبشر اي عيسى ان يوتيه
الله الكتاب اي الانجيل وقال ابن عباس وعطا ما كان لبشر اي محمد ان يوتيه الله الكتاب اي القرآن وذلك
ان ابا رافع القرظي حبر اليهود والسيد حبر نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اترى ان
نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نامر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني الله ولا بذلك امرني
فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي
ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله والبشر جميع بني ادم لا واحد
له من لفظه كالقوم ويوضع موضع الواحد ولكن يقول كونوا ربانيين اي علما عالمين منسوب
الى الرب بزيادة الف ونون تفخيما كما يقال رقباني وجياني وهو الشديد التمسك بدين الله تعالى
وطاعته وقيل الرباني هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقيل الربانيون فوق الاحبار
والاحبار العلما والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة لسياسة الناس وعن الحسن ربانيين
علما فقها وحكي عن علي رضي الله تعالى عنه انه قال هو الذي يربي الناس على علمه بعلمه قال محمد بن الحنفية
يوم مات ابن عباس اليوم مات ربانيي هذه الامة بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي
بسبب كونكم تعلمون الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فايدة التعليم والتعلم معرفة الحق والعمل
للاعتقاد والعمل يكفي بذلك دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم
يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسنا تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وجوز
ان يكون معناه تدرسونه على الناس كقوله تعالى لتقراه على الناس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم
يعمل فليس من الله في شيء وان النسب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين
بطاعته وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح التا وسكون العين وفتح اللام مخففة والباقون بضم التا وه

وفتح العين وكسر اللام مشددة **ولا يأمركم** قرا ابن عامر وعاصم وحمزة بنصب الراء عطفا على يقول
اي البشر والباقون برفع الراء على انه استيناف اي والله ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً كما اتخذت
الصابئة الملائكة واليهود عزيرا والنصارى عيسى وقوله تعالى **ايأمركم بالكفر** انكار
والضمير فيه للبشر او لله على الوجهين السابقين وقوله تعالى **بعد اذ انتم مسلمون** دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستاذنون على ان يسجدوا له واذكر **اذ** اي حين **اخذ الله ميثاق النبيين** اي عهدهم
لما اتيتكم من كتاب وحكمة قرا حمزة والكسائي بكسر اللام فلما تكون متعلقة باخذ والباقون بالفتح على
الابتداء وتوكيد بمعنى القسم الذي في اخذ الميثاق وما موصولة على الوجهين اي للذي اتيتكموه لتؤمنن
به وقرا نافع اتيناكم بنون مفتوحة بعدها الف والباقون بتا مضمومة **ثم جاءكم** تقدم ان
حمزة وابن ذكوان يميلان الالف محضة والباقون بالفتح **رسول مصدق لما معكم** من الكتاب والحكمة
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى **لتؤمنن به ولتنصرنه** جواب القسم اي ان ادركتموه وامنتم
تبع لهم في ذلك وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل وسماهم نبيين تنكاية
لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبوة كانوا منا **قال** الله تعالى لهم
اقررتم بذلك قرا قالون وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية والفاصل بينها وبين الهمزة الاولى وابن كثير
كذلك الا انه لا يدخل الفاصل بينها وورش وجهان احدهما كابن كثير والثاني انه يبدل الثانية
حرف مد ولهشام في الهمزة التحقيق والتسهيل مع دخول الف بينهما **واخذتم** اي قبلتم تقدم ان
ابن كثير وحفص يظهران الذال المعجمة عند التاء من اخذتم والباقون بالادغام **على ذلكم اصري**
اي عهدي سمي به لانه مما يوصى به ويشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به **قالوا اقررنا قال**
فاشهدوا على انفسكم واتباعكم بذلك **وانا معكم من الشاهدين** عليكم وعليهم وهو توكيد وتغليظ
عظيم من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة **فمن تولى**
اي اعرض **بعد ذلك** الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة **فاولئك هم الفاسقون** اي المتمردون
من الكفرة روي ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه
من دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ دينك
فنزل **افغير دين الله يبغون** وهذه الجملة معطوفة على الجملة المتقدمة وهي **فاولئك هم الفاسقون**
والهمزة متوسطة بينهما للانكار ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره **ايتولون فغير دين الله**
يبغون وقدم المفعول الذي هو غير دين الله على فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معنى الهمزة
متوجه الى المعبود الباطل وقرا ابو عمرو وحفص بالتاء على الخطاب على تقدير وقل لهم **وله** سبحانه وتعالى

اسلم اي خضع وانقاد **من في السموات والارض طوعا وكرها** بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام ه
كشق البحر على بني اسرائيل وادراك الغرق فرعون وقومه والاشراف على الموت بتوله تعالى فلما
راوا باسنا قالوا امنا بالله وحده وقال الحسن اسلم اهل السموات طوعا واسلم اهل الارض بعضهم
طوعا وبعضهم كرها خوفا من السيف والسبي وقيل هذا يوم الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى
فقاله بعضهم طوعا وبعضهم كرها قال قتادة المسلم اسلم طوعا فنفعه والكافر كرها في وقت
الباس فلم ينفعه قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وانتصب طوعا وكرها على
الحال بمعنى طائعين ومكرهين **واليه ترجعون** قرا حفص بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على
الخطاب **قل** لهم يا محمد **امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحاق و**
يعقوب والاسباط اي اولاده **وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم**
بالتصديق والتكذيب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعمن تبعه بالايمان فلذلك
وحد الضمير في قل وجمع في امنا وعلينا لان القرآن كما هو منزل عليه منزل على مناً بيه بنو سط
تبليغه اليهم او بان يتكلم عن نفسه بالجمع على طريقة الملوك اجلالا له فان قيل لم عُدّيَ انزل في هذه
الاية بعلى وفيما تقدم في مثلها من سورة البقرة بالي اجيب بان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى
الرسل فتُعدّى تارة بالي لانه ينتهي الى الرسل وتارة بعلى لانه من فوق وما قيل من انه انما خص متلهنا
بعلى وما هناك بالي لان ما هنا خطاب للنبي وكان واصلا اليه من الملا الاعلى بلا واسطة بشر به فنا ب
الاتيان بعلى المختصة بالعلو وما هناك خطاب للامة وقد وصل اليهم بواسطة النبي الذي هو من البشر
فناسب الاتيان به الى المختصة بالانتصال قال الزمخشري فيه تعسف الاتوى الى قوله فيما انزل اليك وانزل
اليك الكتاب وقوله تعالى امنا بالذي انزل علي الذين امنوا فان قيل لم قدم المنزل عليه على سايد
الرسل اجيب بانه انما قدم لان المنزل عليه هو المعروف للمنزل على سايد الرسل ولانه افضل الكتب المنزلة
لانه المعروف له **ونحن له مسلمون** اي موحدون مخلصون له في العبادة لا نجعل له شريكا فيهما ونزل
فيمن ارتد ولحق بالكفار وهم اثنى عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا
منهم الحارث بن سويد الانصاري **ومن يبتغ غير الاسلام دينا** اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله
فهو مشتمل على الايمان بهذا التقدير وايضا دينا يميز ويبين للاسلام والدين مشتمل على التصديق
والاعمال الصالحة فالاسلام كذلك لان المبين لا يخالف المبين وعلى هذا حمل الاسلام على الدين في قوله
تعالى ان الدين عند الله الاسلام والدين هو الوضع الالهي السابق لكل خير فلن يتقبل منه وهو في م
الاخرة من الخاسرين في مصيره الى النار الموبدة عليه وقوله تعالى **كيف يهدي الله قوما كفروا بعد**
ايمانهم لفظة استفهام ومعناه تحاي لايديهم الله لما علم من تصميمهم على كفرهم بانهم كفروا

ه بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا ان الرسول حق وقد جاءهم البينات اي الحجج الظاهرات على صدق النبي
والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكافرين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر اينما يلعن مكفر الحق والمرتد عنه وكل لا يعرف
الحق بعينه نفسه ولئن هذه الاية بمنطوقها على جواز لعن القوم المذكورين وبمفهومها على نفي جواز
لعن غيرهم من الكفار الذين لم يكفروا بعد ايمانهم قال البيضاوي لعل الفرق انهم اي هؤلاء مطبوعون
على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيسون عن الرحمة بخلاف غيرهم اي فلا يلعن الكافر الاصلي المبقي
حيا ولا ميتا ما لم يعلم موته على الكفر ولا المرتد واما لعن الكافر على العموم فيجوز خالدين فيها
اي اللعنة او النار او العقوبة المدلول باللعنة عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي يمهلون
الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا اعمالهم اي تصديقا لتوبتهم فان الله غفور لهم يقبل توبتهم
رحيم بهم يتفضل عليهم وذلك ان الحارث بن سويد لما ارتد ولحق بالكفار ندم فارسل الى قومه
اي سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فاقبل
الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ونزل في اليهود ان الذين كفروا بعيسى
والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن لن تقبل
كفرهم بعد ما امنوا به قبل صحته ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون اي الثابتون على الضلال
فان قيل قد وعد الله تعالى قبول توبة من تاب فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم اجيب
بان محل القبول اذا كان قبل الغرغرة وهو لا توبتهم يوم قبولها او ان توبتهم لا تكون الا نفاقا
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض اي مقدار ما يملأها من ذهب
ولو افتدى به اي لو بذله في تخليصه من العذاب ولو جاء بمثله ليفتدي به ايضا ولو جاء بمثله
الى غير نهاية ذهبا تغليظا في شأنهم وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة فان قيل
ثم قال في الاية الاولى لن تقبل بغير فاء وفي هذه بقوله فلن يقبل بالفاء اجيب بان الفاء انما دخلت
في خبر ان لشبه الذي بالشرط واذا ثبت امتناع قبول الفدية على الموت على الكفر فلا يلزم
في الاية الاولى الدليل فيه على التسبب كما تقول الذي جاءني له درهم فله درهم لم تجعل المجيء سببا لاستحقاق
الدرهم بخلاف قولك فله درهم ونصب ذهبا على التمييز كقولهم عشرون درهما وقوله تعالى
ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به
في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولهم ضربته
ضرب زيد وابو يوسف ابو حنيفة تريد مثله اولئك لهم عذاب اليم اي مولم وما لهم من ناصرين

اي مانعين عنهم العذاب ومن مزيدة للاستغراق روي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يقول الله لاهون اهل النار يوم القيامة لو ان لك ما في الارض من شيء اكنت
تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من ذلك وانت في صلب ادم ان لا تشرك
بي شيئا فابيت الا ان تشرك بي لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير
اولن تبلغوا بر الله تعالى الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا من اموالكم او مما يعمها
وغيرها كبذل الجاه في معاونة الناس فالبذل في طاعة الله تعالى والتصرف في سبيله وقال
الحسن لن تكونوا ابرارا روي انه صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالصدق فان الصدق يهدي
الى البر وان البر يهدي الى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله
صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال
الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيئا
جعلوه لله روي لما نزلت هذه الاية جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا
وهو بفتح الباء الموحدة وكسرها وبفتح الراء وضمها مع المد والقصر ضيعة بالمدينة وكانت
مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب فتصدقها
يا رسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح م
اومالا رابحا واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في
اقاربه قوله صلى الله عليه وسلم بخ بخ كلمة تقال عند المدح والرضي بالشيء وتكرر للمبالغة وهي
مبنية على السكون فان وصلت كسرت ولونت وربما شددت وقوله رابح اورابح يقال لضيعة
الانسان مال رابح بالياء اي يروح نفعه اليه ورابح بالباء الموحدة اي ذو ارباح كقولهم لابن وتامر
اي ذو لبن وذو تمر وجاء بيرحا ابن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فكان زيد اوجد في نفسه وقال انما
اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها منك
وكتب عمر رضي الله تعالى عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت
موالي كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ه
فاعتقها وقال لولا اني لا اعود في شيء جعلته لله لنكحتها وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم فيجازيكم
بحسبه ولما قالت اليهود لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم
لا يأكل لحوم الابل والبانها وانت تأكلها فلست انت على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان
ذلك حلالا لابراهيم فقالوا كل ما نحرمه اليوم كان حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فنزل

كل الطعام اي المطعومات او كل انواع الطعام كان حلا اي حلالا لبني اسرايل والحل مصدر هـ
يستوي في الوصف به المذكر والمونث والمفرد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون
لهن الا ما حرم اسرايل وهو يعقوب صلى الله عليه وسلم على نفسه من قبل ان تنزل التورية
اي ليس الامر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابراهيم بل كان الكل حلالا له ولبني
اسرايل وانما حرمها اسرايل على نفسه وفي سببه تقاتل والكلبي ذلك الطعام لحمان
الابل والبانها وسبب ذلك انه مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لان عافاه الله من
سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب اليه وكان ذلك احب اليه لحومها وقال ابن عباس والضحاك
هي العروق وسبب ذلك انه اشتكى عرق النسا وكان بفتح النون والقصر عرق يخرج من الورك
فيبلغ الفخذ وكان امثل وجعه انه كان نذر ان وهب الله اثني عشر ولدا واتى بيت المقدس
صحيحا ان يذبح اخرهم فتلقاه ملك من الملايكة وقال يا يعقوب انك رجل قوي فهل لك في الصراع
فعالجه فلم يصرع واحدا منهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا ثم قال له اني
لو شيت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان اتيت بيت المقدس
صحيحا ذبحت ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فكان لا ينام بالليل من الوجع
فحلف يعقوب لئن عافاه الله تعالى ان لا ياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه وكان
وكان بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق يخرجونها من اللحم وقال ابن عباس ولما اصابه يعقوب
عرق النسا وصف له الاطبا ان يجتنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه ثم اختلفوا في حال هذا
الطعام المحرم على بني اسرايل بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما
حرموه قبل نزولها وقال الضحاك لم يكن شيء من ذلك حراما عليهم وانما حرموا على انفسهم اتباعا
لابيهم ثم اضافوا تحريمه الى الله عز وجل واكذبهم الله تعالى فقال تعالى قل اي لهم يا محمد قاتوا
بالتورية فاتلوها ليتبين صدق قولكم ان كنتم صادقين فيه فبهتوا ولم ياتوا بها وفي اخباره
صلى الله عليه وسلم عما في التوراة دليل على نبوته قال تعالى فمن افترى اي ابتدع على الله
الكذب من بعد ذلك اي ظهور الحجة بان التحريم انما كان من جهة يعقوب لا على عهد ابراهيم
فاولئك هم الظالمون اي المتجاوزون الحق اي الباطل وقوله تعالى قل اي لهم صدق الله تقريرا
بكذبهم اي ثبت ان الله صادق في هذا الجميع ما اخبر به وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة
ابراهيم اي ملة الاسلام التي انا عليها التي هي في الاصل ملة ابراهيم حتى تتخلصوا من اليهودية
التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث امنتم تكم الى تحريف كتاب الله لتسوية امر اضلكم وورطكم
والتزمتم تحريم الطيبات التي احلها الله تعالى لابراهيم ومن تبعه حنيفا اي مايلا عن كل دين

قيل نزول التوراة فليس في التوراة حرمتها واختلفوا في الطعام الذي حرمه اسرايل على نفسه ص

الى

الى الاسلام وقوله تعالى وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباع ابراهيم واجب في التوحيد
الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط وهو تحريف التوراة وعن التفريط
وهو تزول العمل وفيه اشارة الى التعريض بشرك اليهود ولما قالت اليهود للمسلمين بيت المقدس
قبلتنا وهو افضل من الكعبة واقدم وهو مهاجر الانبيا وقال المسلمون بل الكعبة افضل
نزل ان اول بيت وضع للناس اي جعله الله متعبدهم وهو اول بيت ظهر على وجه الما
عند خلق السما والارض خلقه الله قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الما
فدحيت الارض تحته بناه الملايكة قبل خلق ادم ووضع بعضه الاقصى وبينهما اربعون
سنة كما في حديث الصحيحين ولما اهبط ادم قال الملايكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا
قبلك بالفي عام وقيل اول من بناه ادم فانطمس في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان
في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح بناد معجة وحا مهملة سمي بذلك لانه ضرح من الارض
اي بعد ويطوف به الملايكة فلما اهبط امر ان يحجه ويطوف به ورفع عن الطوفان الى السما
الرابعة يطوف به ملايكة السموات قال البيضاوي وهذا القول لا يلايم ظاهر الاية وقيل
اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش للذي اي للبيت
الذي ببكة بالباء الفة في مكة سميت بذلك لانها تبك اعناق الجبابرة اي تدقها فلم يقصدها
جبار بسوا الا قصمه الله وسميت مكة بالميم لقلة مايها من قولهم العرب مك الفصيل ضرع امه
واملكته اذا امتص كل ما فيه من اللبن وتدعى ام رحم لان الرحمة تنزل بها وقوله تعالى مباركا
حال من الذي اي ذا بركة لانه كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه او اعتمره او اعتكف عنده او
طاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات بينة
كما قال تعالى فيه ايات بينات كالحرف الطير عن ميزاب البيت على مدى الاعصار فلا تعلو ابدا
وان ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها واذا قصدت الجارحة صيدا فدخل
الحرم كفت عنه وانه بلوصار اليه الانبيا والمرسلون والاولياء والابرار وان الصلاة فيه
تضاعف بماية الف وان كل جبار قصده بسوء قهره كما صاحب الفيل وجملة فيه ايات بينات
مفسرة للهدى او حال اخرى مباركا وهدى وقوله تعالى مقام ابراهيم مبتدا خذف خبره اي منها
مقام ابراهيم او خبر مبتدا محذوف اي احدها او بدل من ايات بدل بعض من كل وهو الحجر
الذي كان قام عليه ابراهيم وكان اثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدي ولعل الذي
اندرس بعضه فاني رايت اثر القدمين فيه وفي هذا دلالة على قدرة الله تعالى ونبوة ابراهيم
عليه الصلاة والسلام لان اثر القدم في الصخرة الصما وغوصه فيها الى الكعبين والاتة بعض

س

المعجزة دون بعض وابقاه دون سايرايات الانبيا عليهم الصلاة والسلام وحفظه مع
كثرة اعدايه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنين معجزة عظيمة واختلف
في سبب نزول هذا الاثر على قولين احدهما انه لما ارتفع ببنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن
رفع الحجارة قام على هذا الحجر فاعانت فيه قدماه وهذا هو المشهور والقول الثاني
انه لما جاز ابراهيم الشام الى مكة فقالت له امراة اسماعيل انزل حتى تغسل راسك فلم
ينزل فجاته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شقه
ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر القدمين عليه قال البيضاوي
وقيل عطف بيان ويرد هذا القول بان ايات نكرة ومقام ابراهيم معرفة ولا يجوز التخالف
في عطف البيان باجماع البصريين والكوفيين وقوله تعالى ومن دخله كان امنا جملة
ابتدايية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن فمن دخله اي
ومنها امن من دخله وذلك بدعوة ابراهيم عليه الصلاة والسلام رب اجعل هذا البلد
امنا وفي الاقتصار على ذكرهاتين الايتين وطي ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الايات
كانه قيل فيه ايات بينات مقام ابراهيم ومن دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر
قوله جريره كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة والامن من العذاب
يوم القيامة قال عليه الصلاة والسلام من مات في احد الحرمين بعث يوم القيامة امنا رواه
ابوداود والدارقطني وغيرهما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال الحجون والبقيع
يوخذ باطرافهما وينثران في الجنة والحجون مقبرة والبقيع مقبرة المدينة وعند ابي حنيفة
رحمه الله تعالى من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له الا انه لا يووي
ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج فيقتل وكان عمر بن الخطاب يقول لو
ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند الشافعي رحمه الله تعالى لا يلجا
الى الخروج بل يقتل للامر في خبر الصحيحين بقتل ابن خطل وقد كان ارتد وتعلق باستار الكعبة
واما قوله ومن دخله كان امنا ومن جعد فخل المسجد فهو امن فمعناه جمعا بين الادلة ان من
دخله بغير استحقاق قتل واما اذا ارتكب الجريمة فيستوفى منه بالاتفاق ولله على الناس
حج البيت اي قصده للزيارة على وجه مخصوص وهو احد ارکان الاسلام قال صلى الله عليه
وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة والحج وصوم رمضان وقرا حفص وحمزة والكسايي بكسر الحا وهي لغة نجد وقرا الباقون

بالفتح

بالفتح وهي لغة اهل الحجاز وهما لغتان فصيحتان ومعناهما واحد وقوله تعالى من استطاع
اليه اي الحج والبيت سبيلا اي طريقا بدون الناس مخصص له وفسر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره ومن كفر اي بما فرضه الله
من الحج او كفر بالله فان الله غني عن العالمين اي الانس والجن والملايكة وعن عبادتهم
وقيل وضع كفر موضع لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا او نصرانيا
رواه الترمذي وضعفه ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر تشبيه
في هذه الاية انواع من التاكيد والتشديد على طلب الحج منها قوله تعالى ولله على
الناس حج البيت اي انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادايه والخروج
عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان
من التوكيد احدهما ان الابدال تنبيه المراد وتكريره والثاني ان الايضاح بعد الابهام
والتفصيل بعد الاجمال ايراده في صورتين مختلفتين ومنها ذكر الاستغناء وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين ولم يقل عنه وفيه
من الدلالة على الاستغناء المحال ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان ازدل على عظم
السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا
الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا
فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفر به خمس ملل وهم المشركون واليهود
والنصارى والصابيون والمجوس قالوا لا نومن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن
كفر وعنه صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع
في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابي مسعود
حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا تعوقت اي ماتت
قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم فيما
يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اتبح
وان زعموا انهم مومنون بالتوراة والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد اي والحال
ان الله شهيد على ما تعملون فيجازيكم عليه قل يا اهل الكتاب لم تصدون اي تعرضون عن سبيل
الله اي دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام تبغونها عوجا بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وكتم نعته كانهم يبغون

المومنين ويتمنى الكفرون بصيرهم عن دين الله ويمنعون من اراد الدخول فيه جهدهم
وقيل انت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوة والحرب
ليعودوا لمثله وانما كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التوبيخ ونفي العذر لهم واشعارا
بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العقاب وقوله تعالى تبغونها
اي السبيل عوجا حال من الواو اي باغين لها عوجا اي ميلا عن القصد والاستقامة
بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان في دين الاسلام عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوها فايدة قال ابو عبيد المعوج بالكسر في الرأي
والقول والعمل وبالفتح في الجدار وكل شخص قايم وانتم شهدا اي عالمون بان الوفي المرتضى
هو دين الاسلام كما في كتابكم وما الله بغافل عما تعملون من الكفر والتكذيب وانما يوخركم
لوقتكم فيجازيكم فان قيل لم ختمت الاية الاولى بقوله تعالى والله شهيد على ما تعملون
وهذه الاية بقوله وما الله بغافل عما تعملون اجيب بانه لما كان التكرير في الاية الاولى
كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان في هذه الاية
صدهم المومنين على الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون
ولما مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد
لهم تضرر من الانصار من الاوس والخزرج في مسجدهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا
واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار
فامر شابا من اليهود ان يجلس بينهم ويذكرهم يوم بعاث وهو موضع بالمدينة وينشد
بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكانا الظفر فيه
للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتثاوروا وقالوا السلاح السلاح فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال ايدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف
بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح وبكوا وعانق
بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فنزل يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب اي شاسا واصحابه يردوكم بعد ايمانكم
كافرين قال جابر ما رايت يوما قط اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم ثم قال الله
تعالى على وجه التعجب والتوبيخ وكيف تكفرون اي ولم تكفرون واتتم تتلى عليكم ايات الله
وفيكم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال انا ايات الله

وهي

وهي القران المعجز يتلى على لسان النبي صلى الله عليه وسلم غضة طرية وبين اظهركم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبين لكم ويفسر لكم شبهتكم ومن يعتصم بالله اي ومن يتمسك بدينه
او يلتجي اليه في مجامع امورهم فقد هدي اي فقد حصل له الهدى لا محالة كما
تقول اذا جيت فلانا فقد فلت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى
التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للنوال
عنده الى صراط اي طريق مستقيم اي واضح يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته اي واجب
تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم وقالت مسعود بايطاع
فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا ولما نزلت هذه الاية قالت
الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله من يقوى على هذا فنسخ بقوله تعالى فاتقوا
الله ما استطعتم وقال مقاتل ليس في آل عمران منسوخ الا هذا ولا تموتن الا وانتم
مسلمون اي موحدون والمعنى ولا تكونن على حالة سوى حالة الاسلام اذا ادركم الموت
فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات الى القيد تارة وبالى المقيد اخرى
وبالى المجموع دونهما منفيا وهو هنا الى المقيد كما تقول لمن تنهين به على لقاء العدو وهو
لا تاتيني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي
شرط عليه في وقت الاتيان فالنهي هنا متوجه الى القيد وحده وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته الاية قالوا ان
قطرة من الزقوم قطرت على الارض لامرت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامهم
وليس لهم طعام غيره واعتصموا بحبل الله اي بدينه وهو دين الاسلام استعاره للحبل
من حيث ان التمسك به سبب للنجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة من الردى
او بكتابه وهو القران لقوله صلى الله عليه وسلم القران حبل الله المتين لا تنقضي عجايبه ولا
تخلق من كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط
مستقيم وقوله تعالى جميعا حال اي مجتمعين عليه ولا تفرقوا اي لا تتفرقوا بعد الاسلام
بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين
يعادي بعضكم بعضا ويحاربه واذكروا نعمة الله اي انعامه عليكم التي من جملتها الهداية
والتوفيق للاسلام المودي الى التالف اذ كنتم اعدا في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات
والحروب المتواصلة فالف بين قلوبكم بالاسلام وقذف فيها المحبة فاصبحتم بنعمته اخوانا
متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج

كانا اخوين لاب وام توقعت بينهما العداوة بسبب قتيل وتطاولت الحروب والعداوة بينهم
مائة وعشرين سنة الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام والف بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكنتم على شفى اى طرف حفرة من النار اى حفرها ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا ان تموتوا
كفارا فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او الشفا وانثه لتانيث ما اضيف
اليه كقولك الثناء كما شرفت صور الفتاة من الدم كذلك اى مثل ذلك البيان البليغ
يبين الله لكم اياته اى دلايله لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة
اى طائفة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف
والمنكر وعلم كيف يرتب الامر فى اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف
وامر بمنكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وعلى هذا فالمخاطب به
الكل على الاصح ويسقط بفعل البعض الحرج عن الباقين وهكذا كل ما هو فرض كفاية
فان تركوه اصلا اثموا جميعا وقيل من زايدة وقيل للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون
كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف واولئك اى الداعون
الامرون الناهون هم المفلحون اى الفايزون بكمال الفلاح روى الامام احمد وغيره
انه صلى الله عليه وسلم سيل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وروى انه صلى الله عليه وسلم قال من امر بالمعروف
ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وروى انه صلى الله
عليه وسلم قال من رءى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
وذلك اضعف الايمان وروى انه صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لتامرن
بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه
فلا يستجاب لكم وروى ان ابا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه انه قال ايها الناس انكم تقرءون
هذه الاية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم
الله بعذابه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال مثل المداهن فى حدود الله والواقع فيها
كمثل قوم استهموا فى سفينة فصار بعضهم فى اسفلها وصار بعضهم فى اعلاها فكان الذى
فى اسفلها يمر بالماء على الذى من اعلاها فتاذوا به فاخذ فاسا فجعل ينقر اسفل السفينة فاتوه
فقالوا ما لك قال تاذيتم بى ولا بد لى من الماء فان اخذوا على يديه انجوه وانجوا انفسهم

وان تركوه

وان تركوه اهلكوه واهلكوا انفسهم وعن حذيفة باتى على الناس زمان يكون فيهم
جيفة الحمار احب اليهم من مومن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان
الثورى اذا كان الرجل محببا فى جيرانه يعلم انه محمود عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر
بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان مندوبا فمندوب واما النهى
عن المنكر اى الحرام فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لانصافه بالقبح والاظهر
ان العاصى يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط تركه احدهما
وجوب الاخر واما وجب الامر والنهى على المكلف اذا لم يخف ضررا ويجب انه يدفع بالاخف
فالاخف كدفع الصايل فان قيل الدعاء للخير عام فى التكاليف من الافعال والتروك فهو
شامل للامر بالمعروف والنهى عن المنكر فما فايدة ذكر ذلك اجيب بانه من عطف الخاص
على العام ايذانا بفضله كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ولا تكونوا
كالذين تفرقوا عز وينهم واختلفوا فيه وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البينات
اى الايات والحجج الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق وقيل هم مبتدعة هذه
الامة وهم المشبهة والحشوية والحشوية واشباههم وقوله تعالى واولئك لهم عذاب
عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد للمشبهة بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
هو يوم القيامة ونصب يوم بالظرف وهو لهم لما فيه من معنى الفعل وباضمارهم
اذكروا والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض
اللون واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وهى النور بين يديه وبيمينه ومن
كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه واسودت صحيفته واظلمت واحاط
به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله فاما
الذين اسودت وجوههم فيهم الكافرون فيلقون فى النار ويقال لهم توبيخا اكفرتم
بعد ايمانكم واختلفوا فى كيف كفروا بعد ايمانهم فقال ابى بن كعب اراد به الايمان يوم
الميثاق حين قال لهم الست بربكم قالوا بلى يقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق على
هذا جميع الكفرة وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايمان بالستهم وانكروا بقلوبهم
وعن عكرمة انهم اهل الكتابين امنوا بانبيايهم وبمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
فلما بعث كفروا به وقال قتادة هم اهل البدع وقال ابو امامة هم الخوارج وروى انه
على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هولاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير
قتلى تحت اديم الارض الذين قتلهم هولاء فقال له ابو غالب انت سمعته من ابيك ام شيء سمعته

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير مرة قال فما شاكلك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم
قرا هذه الاية ثم اخذ بيده فقال ان بارضكم منهم كثيرا فما عاذك الله منهم وقوله
تعالى فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم اوجز الكريم قالبا
متعلقة بذوقوا على الاول وبمحذوف على الثاني واما الذين ابيضت وجوههم ففي
رحمة الله اي جنته عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان الموهن وان استغرق عمره في طاعة
الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله فان قيل كان حق الترتيب ذكرهم اجيب بان
القصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حليه المومنين وثوابهم فان قيل ما فايدة
قوله تعالى هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله تعالى اجيب بان فايدته انه اخرج
مخرج الاستيناف والتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون لا يظعنون
عنها ولا يموتون تلك اي هذه الايات الواردة في الوعد والوعيد ايات الله نتلوها عليك
يا محمد بالحق اي ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن والمسيء وما الله يريد ظلما للعالمين
اي يستحيل الظلم منه لانه لا يجب عليه شيء بل هو المالك على الاطلاق كما قال تعالى ولله
ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له
واوعد كنتم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم في علم الله تعالى خير امة اخرجت اي ظهرت للناس
وقيل كنتم في الامم تذكرون بانكم خير امة موصوفين به روي انه صلى الله عليه
وسلم قال الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي اخيرها واكرمها على الله تعالى وروي
انه صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدري اوله خير ام اخره وروي انه صلى الله
عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها
امتي وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون وماية صف ثمانون منها هذه
الامة وقوله تعالى تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف يبين به كونهم خير امة
كما تقول لنبي كريم يطعم الناس ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب
او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير موجود بالله فان قيل لم اخر
تومنون بالله وحقه ان يقدم اجيب بانه انما اخر لانه قصد بذكره الدلالة على انهم
امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهار الدينه تنبيه
استدل بهذه الاية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها تقتضي كونهم امرين بكل معروف
ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كتحريم شيء هو في نفس الامر

معروف

معروف كان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب بالله ورسوله صلى الله عليه
وسلم كان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما اثروا دينهم على دين في الاسلام حال الرياسة
واتباع العوام منهم المومنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون اي
المتمردون في الكفر لن يضروكم اي اليهود يا معشر المسلمين بشيء الا اذى اي ضرر يسيرا
كسب وطعن في الدين وتهديد ونحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين
ولا ينصرون بل تقتلوا وتاسروا ثم لا ينصرون عليكم بل لكم النصر عليهم وفي هذا تثبيت للمومنين
لانهم كانوا يودون بانهم كانوا لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذاة الى ضرر يبالى به مع
انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قيل
هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون اجيب بانه عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون والفرق بين رفعه وجزمه في هذا
المعنى انه لو جزم لكان في النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي
النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها اوشركم بها بعد التولية
انهم مخذولون منتفي عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر
كما حكي عن حال بني قريظة والنضير وبهود خيبر فان قيل ما معنى التراخي في ثم اجيب
بان معناه التراخي في الرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم اعظم من الاخبار
بتوليتهم الادبار ضربت عليهم الذلة اي هدرت النفس والمال والاهل وذل التمسك بالباطل
والجزية اينما ثقفوا اي حيثما وجدوا فلا عز لهم ولا اعتصام في شيء لهم الا اي
في حال اعتصامهم بحبل من الله اي بذمة واتباع سبيل المومنين اي لا عز لهم قط الا هذه
الواحدة وهي التجاوء الى الذمة لما قابلوه من الجزية او دين الاسلام وباءوا بغضب
من الله اي مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون
في المسكنة غير ظاعنين عنها كيفما كانوا الفقر والمسكنة وفر اكثر المفسرين المسكنة بالجزية
وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه قال البيضاوي واليهود في غالب الامر فقراء مساكين
ذلك اي الكفر والقتل وضرب الذلة والمسكنة والتبوء بالغضب كائن بانهم اي
بسبب انهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك اي الكفر والقتل بما
عصوا وكانوا يعتدون اي كائن بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على
الصغاير يفضي الى الكباير والاصرار على الكباير يفضي الى الكفر والعياذ بالله تعالى ليسوا اي
اهل الكتاب سواء اي مستوين في قوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة اي مستقيمة ثابتة على

٥

ايمان اجمعوا صح

لحق اتيانا لبيان نفي الاستواء هم الذين اسلموا كعبد الله بن سلام قالت احبار اليهود
ما امن بمحمد الا اشرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين ابايهم فانزل الله عليهم هذه الاية يتلون
اياتِ الله اي يقرءون كتاب الله انا الليل اي في ساعاته وقوله تعالى وهم يسجدون اي
اي يصلون لان التلاوة لا تكون في السجود واختلفوا في معناها فقال بعضهم هي قيام
الليل وقال ابن مسعود هي صلاة العتمة لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه
الصلاة والسلام اخرها ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه
اي الناس ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم رواه الامام احمد وابو داود
وغيرهما وقوله غيركم بالنصب خبر ليس ومن اهل الاديان حال من احد قاله الفراء ثم
وصف الله تلك الامة الغابرة بصفات اخر فقال يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات واولئك اي الموصوفون بما ذكر من الصلاة
اي عند صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناه اي والامة الاخرى غير قايمة بل
منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واضعون
اليوم الاخر خلاف صفاته متباطيون عن الخيرات فتوكيد هذه اكتفا بذكر احد الفريقين
وما تفعلوا من خير فلن تكفروه اي تعدموا ثوابه بل تجازون عليه وقرا حفص وحمزة
والكسائي بالياء فيهما اي الامة الغابرة وقوله تعالى والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار
بان التقوى مبدء الخير وحسن العمل وان الغاية عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا
لن تغني عنهم تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اي من عذابه شيا وخص الاموال والاولاد
بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بنوا المال وتارة بالاستعانة بالاولاد واولئك
اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون مثل اي صفة ما ينفقون اي الكفار في هذه
الحياة الدنيا او في هم عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ونحوها كمثل ريح فيها صر قال اكثر
المفسرين فيها برد شديد وحكي عن ابن عباس انها السموم الحارة التي تقتل وقيل فيها صر
اي صوت اصابت حرث اي زرع قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم
لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ والمعنى مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح الزرع
فلم ينتفعوا به فكذلك نفقة هولاء ذاهبة لا ينتفعون بها وما ظلمهم الله بضياع نفقاتهم
ولكن انفسهم يظلمون بالكفر الموجب لضياعها ويجوز ان يعود الضمير لاصحاب الحرث الذين
ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله تعالى باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم باستحقاق ما استعجلوه
به العقوبة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة اي اصفيا تطلعونهم على سركم ثقة بهم شبهوا

بيطانة الثوب كما شبهوا باشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار
رواه الشيخان والشعار ما يلي الجسد والدثار فوقه وقوله تعالى من دونكم اي من دون
المسلمين اي غيركم من الكفار والمنافقين لا يالونكم خبالا اي لا يقصرون لكم في افساد امركم
والالو التقصير واصله ان يعدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا فحذف احدهما
على تضمن معنى المنع او النقص والمعنى لا امنعكم نصحا ولا انقصكم ودوا اي تمنوا لعنتم
اي عنتكم وهو شدة الضرر وما مصدرية قد بدت البغضاء اي ظهرت من افواههم اي في
كلامهم بالوقيعة فيكم واطلاع المشركين على سركم لا يتمالكون انفسكم لفرط بغضكم وعرقتاد
قد بدت البغضاء الا وليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وما
تخفي صدورهم من العداوة والغيظ اكبر اي اعظم مما بدا الان بداوه عن روية واختبار قد
بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة المومنين ومعاداة
الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم فلا تتوالوهم فان قيل كيف موقع هذه الجملة وهي
لا يالونكم خبالا وودوا ما عنتم وقد بدت البغضاء وقد بينا لكم الايات اجيب بانها مستانفة
على وجه التعليل بمعنى ان كلا علة للنهي عن اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء تنبيه وانتم
كناية للمخاطبين واولاء اسم للمشار اليهم وهم المومنون وقوله تعالى تحبونهم اي هولاء اليهود
الذين نهيتكم عن مواطنتهم للاسباب الغريبة التي بينكم من القرابة والرضاع والمصاهرة ولا
يحبونكم لمخالفتهم لكم في الدين بيان لخطابهم في موالاتهم حيث يبدون محبتهم لاهل البغضاء
وتومنون بالكتاب كله اي بالكتب كلها وهم لا يومنون بكتابكم وفي هذا توبيخ شديد
للمومنين بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحو هذا قوله تعالى فانهم يالمون كما تالمون
وترجون من الله ما لا يرجون واذا لقوكم قالوا امنا اي نفاقا وتقربوا واذا خلوا اي خلا
بعضهم ببعض عضوا عليكم الانامل اي اطراف الاصابع من الغيظ اي شدة الغضب لما يرون
من ائتلاف المومنين واجتماع كلمتهم وعبر عن شدة الغضب بعض الانامل مجازا وان
لم يكن ثم عض فيوصف المغتاظ والنادم بمعنى الانامل والبنان والابهام قال الحارث
بن ظالم المري فاقتل اقواما الاما اذلة يعضون من غيظ رؤس الابا هم قل موتوا بغيظكم
اي ابقوا الى الممات بغيظكم فلن تزوالما بكم وقوله تعالى ان الله عليم بذات الصدور
اي بما في القلوب ومنه ما يفيضه هولاء يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو
اخفى مما تقولونه من بعض الانامل غيظا وان يكون ظرجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تشتي
مرا طلاي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمايرهم ان تمسسكم اي تصبكم ايها المومنون

حسنة اي فتح كنصر وغيظة وخصب في معائكم وتتابع الناس في دينكم تسؤهم اي تحزنهم
وان تصبروا سيئة اي اساءة كهزيمة وجدب واختلاف تكون بينكم يفرحوا بها وجملة الشرط
متصلة بالشرط قبل وما بينهما اعتراض والمعنى انهم متاهبون في عداوتكم فلم تواليهم
فاجتنبوهم فان قيل كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة اجيب بان المس يستعار
بمعنى الاصابة فكان المعنى واحد الا ترى الى قوله تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله
وما اصابك من سيئة فمن نفسك وان تصبروا على اذاهم وتتقوا الله في موالاتهم
وغيرها لا يضركم كيدهم شيأ بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين وفي هذا
تعليم من الله تعالى وارشاد الى انه ينبغي ان يكيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال
الحكماء اذا اردت ان تكيد عدوك فازدد فضلا في نفسك وقرا نافع وابن كثير
وابو عمرو بكسر الضاد وسكون الراء من ضاره يضيره والباقون بضم الضاد وضم الراء مشددة
للاتباع كغضة مروهي ضمة الاعراب المضاعف وكل مجزوم من المضاعف المضموم العين فانه
يجوز ضمه للاتباع كما يجوز فتحه للخفة وكسره لاجل تحريك الساكن ان الله بما تعملون
محيط اي عالم فيجازيكم به واذكر يا محمد اذ غدوت من اهلك اي من حجرة عائشة رضي
الله تعالى عنها تبوئ المؤمنين مقاعد اي مواقف تقفون فيها للقتال والله سميع
لاقوالكم عليم باحوالكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فاستشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال عبد الله والكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخل علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان
قاموا بشر محبس بكسر الباء وهو مكان لا ماء فيه ولا طعام وان دخلوا قاتلوهم الرجال في وجوههم
ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين فاعجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا الرأي وقال بعض اصحابه اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا
جبنا عنهم وضعفنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة
حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في
درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وندعوهم فقال رجال من
المسلمين قد فاتهم بدرا واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرجنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى
دخل فلبس لامته اي درعه فلما رأوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي

ان يلبس

ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصيب بالشعب
من احد يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة ونزل في عدوة الوادي
اي بالعين المهملة وهي جانبه وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفوفهم واجلس
جيشا من الرماة وامر عليهم عبد الله بن جبير بفتح الجيم وقال ارتضحوا علينا بالنبل
لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا علينا او نفرنا اذ بدل من اذ قبله همت طائفتان منكم
بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما جناحا العسكر ان تفشلا اي تجبنا
عن القتال وترجعا روي انه صلى الله عليه وسلم خرج في نحو الف رجل ووعدهم النصر
ان صبروا وكان المشركون ثلاثة الاف فلما بلغوا عند جبل احد بالمدينة انفرل ابي ابن
المنافق في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا ها هنا ايها الناس فتبعهم عمرو بن حرام
الانصاري وقال ناشدكم الله في نبيكم وانفسكم قال بنا ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم
الجبان باتباعه فثبتهم الله وعصمهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزمخشري ولطائف
انها ملمات الاهية وحديث نفس وكما لا تخلوا النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم
يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة
اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي والله وليهما اي ناصرهما
لهما بفضله وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي ليثقوا به دون غيره فينصرهم كما نصرهم
ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير لما هم من اخذ تذكرة لهم بتقوى الله ولقد نصركم الله ببدر وهو ماء بين
مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وقوله تعالى وانتم اذلة اي قلة العدد والسلاح والمال
حال من المضمر فان قيل كيف قال تعالى وانتم اذلة وقد قال تعالى ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين اجيب بانه بمعنى القلة وضعف الحال وقلة السلاح والمال كما مر فان نقيض ذلك
العز وهو القوة والغلبة روي ان المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وما كان فيهم
الا فرس واحد والكثر هم كانوا راجالة وربما كان الجمع منهم يركبون جملا واحدا والكفار
كانوا فريبين من الف مقاتل ومعهم مائة فرس مع الاسلحة الكثيرة والعدة الكاملة
فاتقوا الله في الثبات وعدم المخالفة لعلكم تشكرون اي بتقواكم نعمه التي انعم بها
عليكم وقوله تعالى اذ تقول للمؤمنين اي توعدهم تطمينا لقلوبهم في نصركم وقوله تعالى الن
يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انكار اي لا يكفيكم ذلك
وانما جيء بلن اشعارا بانهم كالايسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقلة العدو وكثرتهم
وقرا ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي

وقوله تعالى بلى ايجاب لما بعد في اى بلى يكفيكم فان قيل قد قال تعالى في سورة الانفال
اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين فكيف قال هنا ثلاثة الاف اجيب بان امدهم
اولا بالف ثم صارت ثلاثة ثم صارت خمسة كما قال تعالى ان تصبروا على لقاء العدو
وتتقوا الله في المخالفة ويأتوكم اى المشركون من فورهم اى وقتهم هذا او الفورة العجلة
والسرعة ومنه فارت القدر اشتد غليانها وسارع ما فيها الى الخروج يمددكم ربكم
بخمسة الاف من الملايكة مسومين اى معلمين وقد صبروا واتقوا واخبر الله وعدهم
بان قاتل معهم الملايكة على خيل بلق عليهم عمايم صفر او بيض ارسلوها بين اكتافهم
وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلت الملايكة كذلك وعن طلحة
الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجزوزة
اذناب خيلهم قال الكلبي المعنى ان الملايكة لم تقاتل في غير يوم بدر ويدل عليه
الله عليه وسلم قال لاصحابه شدوا فان الملايكة قد شومت بالصوف الابيض في
فلانهم ومغافرهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو والباقون بفتحها
وما جعله الله اى الامداد الا بشرى اى بشارة لكم اى بالنصر ولتطمئن اى ولتسكن
قلوبكم به فلا تجزعوا من كثرة عدوكم وقلة عددكم كما كانت السكينة لبني اسرايل
بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد
وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الا مدد الملايكة وانما امرهم ووعدهم بذلك
لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب الله العزيز الذي لا يغالب
الحكيم الذي ينصر ويخذل من يشاء بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة
وقوله تعالى ليقطع متعلق بنصركم اى ليهلك طرفا اى طائفة من الذين كفروا بالقتل
والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم
او يكبتهم اى يذلهم بالهزيمة والكبت شدة غيظ او وهن يقطع في القلب فينقلبوا
اى فيرجعوا خائبين اى لم ينالوا ما املوه واو للتنويع لا للتردد وترد لما ذكرت
ربا عيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه واجد وقال كيف يفلح قوم شجوا راس نبيهم
وكسروا رباعيته وهو يدعوهم ليس لك من الامر شيء بل الامر كله لله فاصبر انما
انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد اللهم العن الحارث بن هشام اللهم
العن صفوان بن امية فنزلت هذه الاية وقال قوم نزلت في اهل بير معونة في صفر

سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد ليعلموا الناس القران والعلم هـ
اميرهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل فوجد عليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات كلها يدعو على جماعة من ذلك
القبايل باللعن والسبي وقوله تعالى او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او
يكبتهم وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم
او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا فانهم ظالمون بالكفر وقيل ان او بمعنى
الى بمعنى الى ان يتوب عليهم ولله ما في السموات وما في الارض هلكا وخلقا فله
الامر كله والمقصود من هذا تاكيد ما ذكره اولا من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى
انما يكون ذلك لمن له الملك وليس هو لاحد الا الله فان قيل ظاهر ما ذكر يدل على
ان ذلك ورد للمنع من امر كان صلى الله عليه وسلم يريد ان يفعله وذلك الفعل ان كان
بامر الله فكيف يمنعه منه وان كان بغير امره فكيف يصح معه قوله تعالى وما ينطق
عن الهوى اجيب بان ذلك كان من تركه باب الافضل والاولى فلا جرم ارشده الله
تعالى الى اختيار الاولى نظيره قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به
ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله فكانه تعالى قال الاولى
ان كان لا بد ان تعاقب ذلك الظالم فاكتفي بالمثل ثم قال ثانيا وان تركته كان ذلك اولى
ثم امره امرا جازما بتركه فقال واصبر وما صبرك الا بالله يغفر لمن يشاء مغفرته
ويعذب من يشاء تعذيبه ولما كان له فعل ذلك الا ان جابت المغفرة والرحمة غالب
لا على سبيل الوجوب بل على سبيل التفضل والاحسان قال والله غفور لاوليايه
رحيم بعباده فلا تبادر بالدعاء عليهم ولما شرع سبحانه وتعالى عظيم منه على
المومنين فيما يتعلق بارشادهم الى الاصلح في امر الدين والجهاد اتبع ذلك بما
يدخل في الامر والنهي والترغيب والتحذير فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا لا تاكلوا
الربا اضعافا وهو جمع ضعف وليس كذلك جمع قلة والمقصود الكثرة اشعر بما يدل
على ذلك وهو الوصف بقوله مضاعفة بان تزيد والى المال عند حلول الاجل هـ
وتاخذوا الطلب والتحصيل حسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد
في الدين زيادة اخرى حتى يستغرق بالتي اللطيفة مال المديون والا فالربا حرام
بلا مضاعفة بل هو من الكباير مطلقا وقرا ابن كثير وابن عامر بتشديد العين ولا الف
قبلها والباقون بتخفيف العين والف قبلها واتقوا الله بترك ما نهيتم عنه لعلكم تفلحون

اي تفوزون ثم خوفهم فقال واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن عصيانه بفعلهم وتعالى
افعالهم كان ابو حنيفة رحمه الله يقول هذه اخوف اية في القرآن حيث اوعد الله المتقين
بالنار المعدة ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وفي الاية تنبيه على ان النار بالذات للكفار هم
وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون لما ذكر الوعيد اتبعه بالوعد ترهيبا
عن المخالفة وترغيبا في الطاعة على عادته تعالى المستمرة في القرآن قال محمد بن اسحاق بن يسار
هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما امرهم به يوم احد
ولعل وعسى في امثال ذلك دليل على عزة التوصل الى ما جعل خبرا لهما ومن تامل هذه الايات
وامثالها لم يحدث نفسه بالاطلاع القارعة والتقي على الله وسارعوا اي بادروا واقبلوا الى
مغفرة من ربكم اي الى ما تستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة واداء الفرايض والجهاد والتكبيرة
الاولى والاعمال الصالحات وقرا نافع وابن عامر بغير واو وقبل السابقون والباقون بواو وقبلها
والى جنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضها كقوله تعالى عرضها كعرض السماء
والارض وانما جمعت السماوات وافردت الارض لانها انواع قيل بعضها فضة وبعضها ذهب
والارض نوع واحد وذكر العرض للمبالغة في وصف الجنة بالسعة لان العرض دون الطول
كما دل قوله تعالى بطائنها من استبرق على ان الظهارة اعظم فيقول هذه صفة عرضها
فكيف طولها قال الزهري واما وصف عرضها فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى هذا على
سبيل التمثيل لا انهما كالسموات والارض لا غير بل معناه كعرض السموات السبع والارضين
السبع عند تلككم كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي عند تلككم والا
فهما تزيلان وعن ابن عباس الجنة كسبع سموات وسبع ارضين ولو وصل بعضها ببعض
وعنه ايضا ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وروي ان ناسا من اليهود سالوا
عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اذا كانت الجنة عرضها ذلك فاين تكون النار فقال لهم
ارايتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار واذا جاء النهار اين يكون الليل فقالوا انه لمثلها
في التوراة ومعناه انه حيث شاء الله وسئل انس بن مالك عن الجنة اهي في السماء ام في الارض
فقال واي ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع تحت العرش وقال
قتادة كانوا يرون الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع فان قيل
قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وان ابا الدرداء قال الذي وعدنا الجنة فاذا كانت الجنة
في السماء فكيف يكون عرضها ما ذكر اجيب بان باب الجنة في السماء وعرضها كما اخبر تعالى
اعدت هيئت للمتقين الله بعمل الطاعات وترك المعاصي وفي ذلك دليل على ان الجنة

مخلوقة

مخلوقة الان وقيل ان الجنة والنار يخلقان بعد قيام الساعة ثم وصف الله تعالى المتقين هم
بصفات فقال الذين ينفقون اي في طاعة الله في السراء والضراء اي في العسر واليسر والاحوال
كلها لان الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلوا عن حال ما بانفاق ما قدروا
عليه من قليل او كثير كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي
الله تعالى عنها تصدقت بحبة عنب فاول ما ذكر من اوصافهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة
وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب
من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من
العالم البخيل والكاظمين الغيظ اي الممسكين عليه الكاظمين عن امضايه مع القدرة روي
انه صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله يوم
القيامة على رؤوس الخلايق حتى يخيره من اي الحور شاء وروي من كظم غيظا وهو يقدر
على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا وروي ليس الشديد بالصرعة لكنه الذي يملك نفسه
عند الغضب والعافين عن الناس اي التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته روي انه
صلى الله عليه وسلم قال ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا
يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم
التي مضت وهذا الاستثناء يحتمل ان يكون منقطعا وهو ظاهر وان يكون متصلا لما في
القلة من معنى العدم كانه قيل ان هؤلاء في امتي لا يوجدون الا من عصم الله فانه يوجد
في امتي وقوله تعالى والله يحب المحسنين يجوز ان تكون اللام فيه للجنس فيتناول كل محسن
ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء وقوله تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة اي ذنبا قبيحا كالزنا او ظلموا انفسهم اي بما دون الزنا كالقبلة
وقيل الفاحشة ما يتعدى وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله اي ذكروا وعيده او
حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة عطف على المتقين او على الذين
ينفقون واختلف في سبب نزول هذه الاية فقال عطا نزلت في ابي سعيد التمار اتته
امراة حسنا تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب
بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها ونوم على ذلك ثم اتى النبي
صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت هذه الاية وقال مقاتل والكلبي اخا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين رجلين احدهما من الانصار والاخر من ثقيف فخرج الثقفي في غزاة

واستخلف الانصاري على اهله فاشترى لهم اللحم ذات يوم فلما اراد ان تاخذه
دخل على اثرها وقبل يديها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على راسه وهام على وجهه فلما
رجع التقي لم يسمع له الانصاري فسال امراته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان
مثله ووصفت له الخال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه التقي حتى وجده
فاتى به ابا بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا وقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو
بكر ويحك اما علمت ان الله يغفر للغازي ما لا يغفر للمقيم ثم اتيا عمر فقال عمر مثل ذلك ثم
اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال مثل مقالتهما فنزلت هذه الاية وقوله تعالى ومن اي لا اله
يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصف سبحانه
وتعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد لقبول التوبة ولم يصروا
على ما فعلوا اي ولم يقيموا على قبيح فعلهم بل اقلعوا عنه روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا
صغيرة مع الاصرار وقوله تعالى وهم يعلمون حال من يصروا اي وهم يصروا على فعلهم
قائلين به وقوله تعالى اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار اشارة
الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدا واولئك خبره وقوله تعالى خالدين فيها حال
مقدرة اي مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها تنبيه لا يلزم من اعداد الجنة للمتقين
والتائبين جزالهم ان لا يدخلها غيرهم فقول الزمخشري في الكشاف وفي هذه الاية بيان
قاطع على ان الذين امنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين
والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه جار على طريقة
الاعتزال من ان مرتكب الكبيرة اذا مات مصرا لا يدخل الجنة ونعوذ بالله من ذلك بل كل من
مات على الاسلام يدخل الجنة وهو تحت المشية ان شا الله عذبه وان شا عفى عنه وقوله تعالى
ونعم اجر العاملين المخصوص فيه بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك اي المغفرة
والجنات روي انه صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد مومن اذنب ذنبا فيحسن الطهور
ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروي اي عبد اذنب ذنبا فقال يا رب اذنبت ذنبا
فاغفر لي فقال ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب ويا خذ بها فغفر له ثم مكث ما شا
الله ثم اذنب ذنبا اخر فقال يا رب اذنبت ذنبا اخر فاغفر لي قال ربه علم عبدي ان له ربا
يغفر الذنوب ويا خذ به قد غفرت له فليعمل ما شا ويستغفر فاغفر له وروي انه تبارك
وتعالى قال يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابن ادم

انك ان تلقني بقراب الارض خطايا لقيتك بقرابها مغفورة بعد ان لا تشرك به شيا قال
ثابت البناني بلغني ان ابليس يبكي حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى
اخرها وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام ما اقل حيا من يطمع
في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من بخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب
الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب واستظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء
الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا
الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن ابة البصرية انها كانت تنشد
فوجوا النجاة وملكوا مسالكها آن السفينة لا تجري على اليبس ونزل في هزيمة احد
قد خلت اي مضت من قبلكم سنن جمع سنة وهي الطريقة التي يكون عليها الانسان ويلازمها
ومنه سنة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي قد مضت من قبلكم طريق في الكفار باهلاكهم
ثم اخذهم فسيروا ايها المومنون في الارض فانظروا كيف كان عاقبة اي اخر امر المكذبين
الرسل من الهلاك فلا تحزنوا لغلبتهم فانا امهلهم لوقتهم هذا اي القران بيان للناس
عامة وهدى من الضلالة وموعظة للمتقين خاصة ولا تهنوا اي تضعفوا عن قتال
الكفار بما نالكم من القتل والجرح يوم احد ولا تحزنوا على ما اصابكم وكان قد قتل يومئذ
من المهاجرين في جملة منهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وقتل من الانصار بضعون
رجلا وانتم الاعلون اي وحالكم انكم اعلا شانا منهم فانكم على الحق وقتلاكم للحق وقتلاكم
في الجنة وانهم على الباطل وقتلاهم للشيطان وقتلاهم في النار ولانكم اصبتم منهم يوم
بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في
العاقبة وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى ان كنتم مومنين متعلق بالنهي بمعنى
لا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة للقلب وثقة بالله وقلة المبالاة
باعدايه او متعلق بالاعلون اي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله وبشرع به من الغلبة
ان يمسسكم قرح اي جهد من جرح ونحوه يوم احد فقد مس القوم الكفار قرح مثله
يوم بدر ثم انهم لم يضعفوا ولم يحبنوا فانتم اولى ان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا
يرجون وقيل كلام المسلمين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالف الرماة امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابو بكر وشعبة وحمزة والكسائي بضم القاف قرح في الموضعين
والباقون بالفتح وهما لغتان بمعنى وقال الفرا القرح بالفتح الجرح وبالضم ما كان في البدن وتلك
الايام تلك مبتدا والايام صفته وقوله تعالى نداولها خبره ويصح ان تلك الايام مبتدا وخبر

كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة اي شرفها بين الناس
قال البغوي فيوما عليهم ويوما لهم قال في الكشاف كقوله وهو من اشاد الكتاب فيوما
علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوم نسر تقديره فيوما يكون الامر علينا اي بالاضرار
ويوما لنا اي بالنفع فيكون يوما ظرفا سلا بالقوله ويوما نساء ويوما نسر قاله الشيخ سعد
الدين اي للمسلمين على المشركين وهو يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين وايدل
تارة للكافرين على المسلمين وهو يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا منهم واربعين
وروي انه صلى الله عليه وسلم جعل عبد الله بن جبير على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين
رجلا فقال ان رايتمونا هزمنا القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزموهم
قالت فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن وسوقهن رافعات ثيابهن
فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة الغنيمة ما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم
ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن
من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك يدعوهم الرسول في
اخراهم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين وكان
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر اربعين ومائة وسبعين
اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان اني القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال اني القوم ابن ابي قحافة ثلاث مرات ثم قال اني القوم ابن
الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه وهو يقول اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه
فقال كذبت والله يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسرك قال يوم
بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تنهني عنها ثم اخذ يرتجز اعل هبل
فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه فقالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلا
واجل قال ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا يا رسول
الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وفي حديث ابن عباس قال ابو سفيان يوم بدر
وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله تعالى عنه لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم
في النار وانما كانت الدولة يومئذ للكفار على المسلمين لمخالفتهم لامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليعلم الله الذين امنوا اي اخلصوا ايمانهم من غيرهم فان قيل ظاهر هذه الاية ان
الله تعالى انما فعل تلك المداولة ليكتب هذا العلم وذلك في حقه تعالى محال ويظهر هذا
الاشكال قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقوله

تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين وقوله
لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا وقوله ولنبلوكم حتى نعلم المجاهدين منكم وقوله الا
لنعلم من يتبع الرسول وقوله ليبلوكم ايكم احسن عملا فظاهر هذه الايات تدل على انه
تعالى انما صار عالما بحدوث هذه الاشياء عند حدوثها واجاب المتكلمون عنه بان الدلايل
العقلية دلت على انه تعالى يعلم الحوادث قبل وقوعها فثبت ان التغير في العلم محال
الا ان اطلاق العلم على المعلوم والقدرة على المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان
والمراد معلومه وهذه قدرة فلان والمراد مقدوره فكل اية شرطها بتجدد العلم
والمراد تجرد المعلوم واذا عرفت هذا فهذه الاية محتملة لوجوه احدها ليظهر المخلص
من المنافق والمؤمن من الكافر وثانيها ليعلم اولياء الله واضاف الى نفسه تفخيما وثالثها
ليحكم بالامتياز فاوقع العلم مكان الحكم بالامتياز لان الحكم لا يحصل الا بعد العلم
ورابعها ليعلم ذلك واقفا على ان يعلم سيقع لان المجازات تقع على الواقع دون المعلوم
الذي لم يوجد ويتخذ منكم شهداء اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم المستشهدون يوم احد
او لنتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما وجد منهم من الثبات والصبر
على الشدايد كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين قال
ابن عباس اي المشركين كقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وهو اعتراض بين بعض القبايل
وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافر في على الحقيقة وانما يظفرهم احيانا هو
استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا اي يطهرهم من الذنوب بما اصابهم
ويمحق اي يهلك الكافرين اي ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد
والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم وبحو اثارهم
ام منقطعة متضمنة بل ومعنى الهمزة فيها الانكار اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين في الشدايد وقد مر معنى يعلم تنبيه
قال البيضاوي والفرق بين لما يعلم ولم ان في لما توقع الفعل فيما يستقبل لكن قال ابو
حيان لا اعلم احدا من النحويين ذكره بل يتحرز ذكروا انك اذا قلت لم يخرج زيد دل ذلك
على انتفاء الخروج فيما مضى متصلا نفيه الى وقت الاخبار واما انها تدل على توقعه في
المستقبل فلا انتهى لكن قال الفراء لما التي تعريض الوجود بخلاف لم ولقد كنتم تمنون فيه حذف
احدى التاءين في الاصل اي تتمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا

فينالوا ما نالوا شهد ابدر من الكرامة فالجوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه
اي تشاهدوه وتقرنوا شوته فقد رايتموه اي لحربه والموت حين قتل دونكم من قتل
اخوانكم وانتم تنظرون اي بصائركم الحال التي هي فلم انتم متم وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل فيخلو كما خلوا بالموت او القتل ومحمد هو المستحق لجميع المحامد
لان المحمود يستوجبه الاكامل والتمجيد فوق الحمد فلا يستحقه الا المستولي على الامر في
الكمال واكرم الله تعالى نبيه وصفيه صلى الله عليه وسلم باسمين مشتقين من اسمه جل
وعلا محمد واحمد وفيه يقول حسان بن ثابت وشق له من اسمه ليجله
فذو العرش محمود وهذا محمد وقوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخوفه صلى الله عليه وسلم بموت
او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبل وبقاء دينهم متمسكا به فان قيل قوله تعالى افان مات
او قتل شك وهو على الله محال اجيب بان المراد انه سواء وقع هذا او ذاك فلا تاثير له في
ضعف الدين ووجود الارتداد قال ابن عباس واصحاب المغازي لما راى خالد بن الوليد
الرماة يوم احد اشتغلوا بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله فرماهم المشركين
ثم حمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من خلفهم فمنهم وقتلوهم ورمى عبد الله
ابن قميئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه في وجهه فاغمي
وتفرق عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها وكان قد
ظاهر بين درعين فلم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدعن الاذان والانوف حتى اتخذت هند منها
فلا يوما عظاما وخشيا وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها
واقبل عبد الله بن قميئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فرجع وقال اني قد
قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا قد قتل فقيل ان ذلك الصارخ كان ابليس فانكفا
الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الناس الى عباد الله الى عباد الله
فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى سعد بن ابي وقاص
حتى اندقت سية قوسه وناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته فقال ارم فداك
ابي وامي وكان ابو طلحة رجلا رميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثا وكان الرجل
يمر معه بجعبة من النبل فيقول انثرها لابي طلحة وكان اذا رمى يشرف النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم ينظر الى موضع نبله واصيب يومئذ طلحة بن عبد الله فبيست يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقفت على وجنته
فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها فعادت احسن مكانت فلما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت ان نجا
القوم يا رسول الله الا تعطفوا عليه رمحا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوه حتى
اذا دنا مني اخذت الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه خدشة فتدهدا عن فرسه وهو
يخور كما يخور الثور وهو يقول قتلني محمد واحتز راسه اصحابه وقالوا ليس عليك باس
قال بلى لو كانت هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي اقتلك فلو بزق
علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث الا يوما حتى مات بموضع يقال له سرف قال
ابن عباس اشتد غضب الله على من قتل نبي واشد غضب الله على من رمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وفشى في الناس ان محمدا قتل قال بعض المسلمين ليت كنا سعو
الى عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وبعض الصحابة جلسوا والقوم
باديهم وقال اناس من اهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس
ابن مالك يا قوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون في الحياة بعده
رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هولا يعني المسلمين وابرا
اليك مما جاء به هولا يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اد طلق الى الصخرة وهو يدعوا الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم كعب بن مالك وقد عرفت عيناه تحت المغفر فنادى باعلا صوته
يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار الي ان اسكت فاخذت
اليه طائفة من اصحابه فلما بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا نبي الله لو
فديناك باباينا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قد قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل
الله هذه الاية فان قيل انه تعالى بين في ايات كثيرة انه عليه الصلاة والسلام لا يقتل
قال انك ميت وانهم ميتون وقال والله يعصمك من الناس وقال ليظهره على الدين كله

واذا علم انه لا يقتل فلم قالوا وقتل اجيب بان هذا ورد على سبيل الالزام فان موسى
عليه الصلاة والسلام مات ولم ترجع امته عن دينه والنصارى يزعمون ان عيسى
عليه الصلاة والسلام قتل ولم يرجعوا عن دينه فكذا هاهنا ومن ينقلب على
عقبيه فلن يضر الله شيا بارتداده وانما يضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين على
نعمة الاسلام بالثبات عليه كائنا ما كان واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
اي بقضايه ومشيته او باذنه لملك الموت في قبض روحه وقوله تعالى كتابا مصدر اي
كتب الله ذلك موجلا اي موقتا لا يتقدم ولا يتاخر فلم انهزم متم والهن بمنه لا تدفع
الموت والثبات لا يقطع الحياة وتزل في الذين تركوا المركز يوم احد طلبا للغنيمة
ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته منها ما نشاء لمن نريد كما قال تعالى من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وفي الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير
حتى قتلوا ومن يرد اي بعمله ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين
اي الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد روي انه صلى الله عليه وسلم قال من
كانت نيته طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا وهي راغمة
ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره ولا ياتيه منها الا
ما كتب له وقال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت
هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة
ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه وقوله تعالى وكاين اصله اي دخلت الكاف على ايما
فصارت مركبة من كاف التشبيه ومن اي وجد فيها بعد التركيب معنى التكثير المفهوم من كم
الخبرية وشملها في التركيب وافهام التكثير كذا في قولهم عندي كذا وكذا درهما واصله
كاف التشبيه وذا الذي هو اسم اشارة فلما ركبا حدث فيهما معنى التكثير فكم الخبرية وكاين
وكذا كلها بمعنى واحد والنون تنوين في المعنى اثبت في الخط على غير قياس قال البغوي
لم يقع للتنوين صورة في الخط الا في هذا الحرف خاصة وقرا ابن كثير بالنون بعد الكاف بعدها
همزة مكسورة والباقون بهمزة بعد الكاف مفتوحة بعدها ياء مشددة ووقف ابو عمرو
على الياء والباقون على النون وسهل حمزة الهمزة وحققها الباقون وقوله تعالى من نبي
تمييز لكاين لانها مثل كم الخبرية وقوله تعالى قتل قراه نافع وابن كثير وابو عمرو بضم القاف
وكسر التاء والباقون بين القاف والتاء والباقون بفتح القاف والتاء والتاء وقوله
تعالى معه خبر مبتداه ربيون وهم جمع ربي وهو العالم المتقي منسوب الى الرب وانما

كسرة

كسرة راوه تغييرا في النسب وقيل لا تغيير فيه وهو منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة
وقوله تعالى كثير صفة لربيون وان كان بلفظ الافراد لان معناه جمع فما وهنوا
اي جبنوا لما اصابهم في سبيل الله من الجراح وقتل انبيائهم واصحابهم وما ضعفوا عن
الجهاد وما استكانوا اي خضعوا لعدوهم كما فعلتم حين قيل قتل نبيكم والله يحب الصابرين
على الشدايد فيثيبهم ويعظم اجرهم وما كان قولهم عند قتل نبيهم مع ثباتهم وصبرهم
وكونهم ربانيين الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا اي تجاوزنا الحد وقولهم
في امرنا بان ما اصابهم لسوء فعلهم وهضما لانفسهم وثبت اقدامنا بالقوة على الجهاد
وانصرنا على القوم الكافرين اي فهلا قلتم وفعلتم مثل ذلك يا اصحاب محمد صلى الله
عليه وسلم فاثابهم الله ثواب الدنيا اي بالنصر والغنيمة والعز وحسن الذكر وحسن
ثواب الاخرة اي بالجنة والنعيم المقيم وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد
به عند الله والله يحب المحسنين اي فيثيبهم الثواب يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين
كفروا اي اليهود والنصارى فيما يامرونكم به وقال علي يعني المنافقين في قولهم للمؤمنين
عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم ولو كان محمد نبيا ما قتل يردوكم
على اعقابكم اي الى الكفر فتنقلبوا خاسرين الدنيا والاخرة اما خسران الدنيا فلان اشق
الاشياء على العقلاء في الدنيا الانقياد الى العدو واظهار الحاجة اليه واما خسران الاخرة
فالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد بل الله مولاكم اي ناصركم وحافظكم
على دينكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي اي نقذف في
قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف وذلك ان الكفار لما هزموا المسلمين في احد وقع
الله الرعب في قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روي ان ابا سفيان
صعد الجبل ونادى يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة
والسلام ان شاء الله وقيل انهم لما ذهبوا متوجهين الى مكة فلما كانوا في بعض الطريق
ندموا وقالوا ما صنعنا شيا قتلنا اكثرهم ولم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا حتى
نستاصلهم بالكلية فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي
بضم العين والباقون بالسكون بما اشركوا اي بسبب اشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا
اي حجة على عبادته وهو الاصنام وهو الكقوله ليس بها ضب ينجحر اي فليس بها ضب
فلا ينجحر فكذلك هو لا ليس لهم حجة اصلا واصل السلطنة القوة ومنه تسليط لقوة استحقاله
ومأواهم النار وبئس مثوى اي ماوى الظالمين اي الكافرين هي ولقد صدقكم الله وعده

قال محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة
من احد وقد اصابهم ما اصابهم قال ناس من اصحابه من اين اصابنا هذا وقد وعدنا
الله النصر فانزل الله هذه الاية لان النصر كان للمسلمين في الابتدا كما قاله تعالى اذ تحسونهم
اي تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باطلاق
الدال عند الباقون بالادغام باذنه اي بارادته حتى اذا فشلتم اي جبنتم عن القتال
وتنازعتم اي اختلفتم في الامر اي امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمقام في سفح الجبل
للرمي حين انهزم المشركون فقال بعضهم نذهب فقد نصر اصحابنا وقال اخرون هو
لا نخالفوا امر النبي فاثبتوا مكانكم فثبت عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون
العشرة وفر الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم اي امر النبي صلى الله عليه
وسلم وتركتم المركز بطلب الغنيمة من بعد ما اراكم اي الله ما تحبون من الظفر والغنيمة
وانهزام العدو وجواب اذا محذوف دل عليه ما قبله اي منعكم نصره ويجوز ان يكون
المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل
احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا مكانهم
ولا يبرحوا سواء كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون
خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على اثارهم ثم اشتغل بعضهم
بالغنيمة كما قال تعالى منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد
الاخرة وهم الثابتون مع عبد الله بن جبير حتى قتلوا فان قيل فاذا كان البعض هو
المخالف فكيف جا العقاب عاما بقوله وعصيتم اجيب بان اللفظ وان كان عاما فقد جا التخصيص
بعده وهو قوله منكم وقوله تعالى ثم صرفكم اي بردكم بالهزيمة عنهم اي الكفار عطف
على ما قبله والجملتان من قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة اعترضتا بين
المتعاطفين وقيل عطف على جواب اذا المقدر ليبتليكم اي ليمتحنكم فيظهر المخلص من غيره ه
ولقد عفى عنكم ما ارتكبتموه من مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وميلكم الى الغنيمة
تفضلا منه تعالى فان قيل ان ظاهر الاية يدل على ان الذنب من الصغاير لعصمة الانبيا
عنه من غير توبة فقيام الدليل على ان اصحاب الكباير اذا لم يتوبوا لم يكونوا من اهل العفو
والمغفرة اجيب بان هذا الذنب لا شك انه كبيرة لانهم خالفوا صريح نص الرسول صلى
الله عليه وسلم وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام المسلمين فلا بد من اضمار توبتهم والله
اي المتفضل المنعم ذو فضل على المومنين اي تفضل عليهم بالعفو وفي الاحوال كلها

سوا الدولة لهم ام عليهم اذ مع الابتلا رحمة وقوله اذ العامل فيها مضمر اي اذكروا اذ
تصعدون اي تبعدون في الارض هاربين ولا تلوون اي تعرجون على احد اي لا يقف
احد لاحد ولا ينظره والرسول يدعوكم اي يقول الي عباد الله الي عباد الله من يكر فله الجنة
في اخراكم اي من ورايكم فاثابكم اي جازاكم غما بالهزيمة بغم اي بسبب عملكم الرسول
بالمخالفة وقيل الباء بمعنى على اي مضاعفا على غم فوت الغنيمة والقوم كانت هنا ك
كثيرة احدها غمهم بما نالهم من القتل والاموال وثانيها غمهم بما وقع منهم
من المعصية وخوف عقابها وثالثها غمهم بما وصل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من ايذائهم
غمهم بسبب التوبة التي صارت واجبة عليهم لانهم اذا تابوا عن تلك المعصية لم تتم
توبتهم الا بترك العزيمة والعود الى المحاربة بعد الانهزام وذلك من اشق الاشيا
لان الانسان بعد انهزامه يضعف قلبه ويجبن فاذا امر بالمعاودة فان فعل خاف القتل
وان لم يفعل خاف عقاب الاخرة وخامسها غمهم حين سمعوا ان محمدا قد قتل وسادسها
غمهم حين اشرف خالد بن الوليد بخيل المشركين وسابعها غمهم حين اشرف ابو سفيان
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يوميذ يدعو الناس حتى انتهى الى اصحاب
الصخرة فلما راوه وضع رجل سهما في قوسه واراد ان يرميه فقال انا رسول الله فعرفوا حين
وجدوه وفرح صلى الله عليه وسلم حين راى من يمتنع به فاقبلوا على المشركين يذكرون الفتح
وما فاتهم منه ويذكرون اصحابهم الذين قتلوا فاقبل ابو سفيان واصحابه حتى وقفوا بباب
الشعب فلما نظر المسلمون اليهم هم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاساهم ه
هذا ما نالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم ان يعلونا اللهم ان تقتل هذه
العصابة لا تعبد في الارض ثم بوت اصحابهم فرموهم بالحجارة حين انزلوهم واذا عرفت ذلك
فلا يقع اختلاف المفسرين فان بعضهم فسر هذين الغمين بغمين من هذه وبعضهم
بخلافه وقال الفقال وعندي ان الله تعالى ما اراد بقوله غما بغم اثنين وانما اراد مواصلة
الغموم وطولها اي ان الله عاقبهم بغموم كثيرة مثل قتل اخوانكم واقاربكم ونزول المشركين
من فوق الجبل عليكم بحيث لم تامنوا ان يهلك اكثركم فكانه تعالى قال اثابكم هذه الغموم ه
المعاقبة ليصيروا بذلك زاجرا لكم عن الاقدام والاستخفاف بما يخالف امر الله تعالى
والفم التغطية ومنه غم الهلال اذا لم يرى وقوله تعالى لكيلا تحزنوا على ما فاتكم اي من الغنيمة
متعلق بعفى او باثابكم فلا زايدة ولا ما اصابكم اي من القتل والهزيمة والله خبير بما تعملون
اي عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم امنة اي امنا والامن والامنة

بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال السبب المخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف
وكان سبب الخوف ههنا قائما وقوله تعالى نعاسا بدل من امنة وامنة مفعول اونعاسا
هو المفعول وامنة حال منه متقدمة يغشى طائفة منكم وهم المؤمنون وقرا حمزة والكسائي
بالتاء على التانيث ردا الى الامنة والباقون بالياء على التذكير ردا الى النعاس وطائفة
وهم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اي حملتهم على الهزيمة فلا رغبة لهم الا انجاها
دون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فلم يناموا فان الذين كانوا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد فريقان احدهما الجازمون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء
كانوا قاطعين بان الله ينصر هذا الدين وان هذه الوقعة لا تودي الى الاستيصال فلا جرم
كانوا امنين وبلغ ذلك الامن الى حين غشيهم النعاس فان النوم لا يجتمع مع الخوف قال
ابو طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد فكان السيف يسقط من احدنا فياخذ
ثم يسقط فياخذه وقال ثابت عن انس عن ابي طلحة قال رفعت راسي يوم احد فجعلت
ما ارى احدا من القوم الا وهو يميل تحت حجفته من النعاس قال الزبير كنت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير
والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والفريق الثاني
وهم المنافقون كانوا شاكين في نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة فهؤلاء
اشد جزعهم وعظم خوفهم قال ابن مسعود النعاس في القتال امنة والنعاس في الصلاة من
الشيطان وذلك لانه في القتال لا يكون الامن الوثوق بالله والفراغ عن الدنيا ولا يكون
في الصلاة الامن غاية البعد عن الله فان قيل ما فائدة هذا النعاس اجيب بانه له فوائد
الاولى ان السهر يوجب الضعف والكلال والنوم يفيد عود القوة والنشاط والثانية ان
الكفار لما اشتغلوا بقتل المسلمين القى الله تعالى النوم على الباقين ليلا يشاهدوا قتل غيرهم
فيشتد خوفهم والثالثة ان الاعداء كانوا في غاية الحرص على قتلهم فبقاؤهم في النوم مع الملائكة
في تلك المعركة من اقوى الدلايل على الله تعالى يحفظهم ويعصمهم وذلك مما يزيل الخوف من
قلوبهم ويورث الامن تنبيه قوله تعالى وطائفة مبتدا والخبر قد اهمتهم انفسهم فان
قيل كيف جاز الابتدا بالنكرة اجيب بانه جاز لاحد امرين اما للاعتماد على واو الحال
وقعوده بعضهم سوغا وان الاكثر لم يذكروه وانشد

سريا وبخ قد اضا من بداء محاك اخفي ضوء كل شارق

واما الان الموضع موضع تفصيل فان المعنى بغشى طائفة وطائفة لم يغشهم فهو كقوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له

بشق وشق عندنا بمعنى واحد وقوله تعالى يظنون بالله غير الحق اي ان لا ينصر الله محمدا صفة
اخرى لطائفة وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون بالله غير الظن الحق الذي يحق ان
يظن به ظن اي كظن الجاهلية حيث اعتقدوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قتل اولا
ينصر وقوله تعالى يقولون اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدل من يظنون هل لنا
اي بالنا لفظة استفهام ومعناه الجحد من الامر النصر الذي وعدناه من شيء اي شيء ومن
صلة زيدت للتاكيد وهو اما مبتدا خبره لنا واما فاعل للنا لاعتماده على الاستفهام
ومن الامر حال من المبتدا او الفاعل وهو شيء لكونه موقوعا حقيقة لا مجرورا وقيل ان عبد
الله بن ابي لما شاوره النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الواقعة اشار اليه بان لا يخرج من
المدينة ثم ان بعض الصحابة الحوا على النبي صلى الله عليه وسلم في ان يخرج اليهم فغضب بنو ابي
من ذلك وقال عصاني واطاع الولدان ثم لما كثر القتل في بني الخزرج ورجع بنو ابي قيل
له قتل بنو الخزرج فقال هل لنا من الامر من شيء يعني ان محمدا لم يقبل قولي في حين امرته بان
لا يخرج من المدينة والمعنى هل لنا امر يطاع فهو استفهام على سبيل الانكار قل لهم يا محمد
ان الامر كله لله اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليايه فان حزب الله هم المفلحون او القضاء له
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وقرا ابو عمرو برفع اللام بعد الكاف على انه مبتدا والخبر لله
والباقون بالنصب على انه توكيد لتثبيته هذه الاية تدل على ان جميع المحدثات خلق
الله تعالى بقضايه وقدره لان المنافقين قالوا لو كان محمد قبل مشاورتنا ونصحنا لما وقع
في هذه المحنة فاجابهم الله تعالى بان الامر كله لله وهذا انما ينتظم اذا كانت افعال
العباد بقضايه وقدره اذ لو كانت الخارجة عن مشيته لم يكن هذا الجواب رافعا للشبهة
المنافقين وقوله تعالى يخفون في انفسهم ما لا يبدون اي يظهرون لك حال من ضمير
يقولون وقد ان الامر كله لله اعتراض بين الحال اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون النصر منطوين على الانكار والتكذيب وقوله تعالى يقولون بيان لما قبله لو كان لنا
من الامر شيء اي كما وعد محمد وزعم ان الامر كله لله ولاوليايه او لو كان الاختيار الينا لم
نخرج كما كان رايي ابن ابي وغيره ما قتلنا ههنا اي ما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه
المعركة قل لهم لو كنتم في بيوتكم وفيكم من كتب الله عليه القتل لبرز اي خرج الذين كتب
اي قضى عليهم القتل منكم الى مضاجعهم اي مصارعهم فقتلوا ولم ينجهم قعودهم لان
قضاه تعالى كائن لا محالة فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضايه لا معقب لحكمه
وقرا ابو عمرو وحفص ورش بضم الباء في بيوتكم والباقون بالكسر وقوله تعالى ليبتلي اي

ليمتحن الله ما في صدوركم اي قلوبكم من الاخلاص والنفاق علة فعل محذوف تقديره وفعل
الله عليكم القتال ولم ينصركم يوم احد ليبتلي وقيل معطوف على علة محذوفة تقديره ليتفي
الله امرا وليبتلي وقوله تعالى وليمحص ما في قلوبكم فيه وجهان احدهما ان هذه الواقعة
تخرج ما في قلوبكم من الوساوس والشبهات وتظهرها والثاني انها تصير كفارة لذنوبكم
فيمحصكم من تبعات المعاصي والسيات فان قيل قد سبق ذكر الابتلاء في قوله تعالى ثم
صرفكم عنهم ليبتليكم فلم اعاده اجيب بانه اعاد اما لطول الكلام بينهما واما لان الابتلاء
الاول هزيمة المومنين والابتلاء الثاني ساير الاحوال والله عليم بذات الصدور اي بما في
القلوب قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما يبتلي ليظهر
للناس حاد المومنين من المنافقين ان الذين تولوا منكم عن القتال يوم التقى الجمعان
اي جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي
صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة عشر رجلا ستة من المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد
الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص انما استزلهم الشيطان اي طلب منهم الزلل بوسوسته
ببعض ما كسبوا من الذنوب بترك المركز والحرص على الغنيمة ومخالفة النبي صلى الله عليه وسلم
فاطاعوه فمنعوا التاييد وقوة القلب حتى تولوا ولقد عفى الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين كفروا اي المنافقين وهم بنو ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم اي في شانهم ومعنى
اخوانهم اتفاقهم في النفاق والكفر وقيل في النسب اذا ضربوا في الارض اي سافروا فماتوا
وغبروها فماتوا او كانوا غزا اي غزاة جمع غاز فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
اي لا تقولوا كقولهم ليجعل الله ذلك القول في عاقبة امرهم حسرة في قلوبهم اي لانهم اذا قالوا
ذلك اشبهة على المومنين ثم يلتفتون اليهم فيضيع سعيهم ويبطل كيدهم فتحصل الحسرة في قلوبهم
وقيل ان اجتهادهم في تكثير الشهادة وانفاء الضلالات يبقى قلوبهم فيقعون عند ذلك في
الحسرة والحسبة وضيق الصدور وهو المراد بقوله تعالى ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
ضيقا حرجا فان قيل كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا اجيب بان ذلك على حكاية الحال الماضية
قال القفال رحمه الله في معناه انك تقدر فعلك كانها موجودة في ذلك الزمان الماضي او تقدر ذلك
الزمان كانه موجود الان وهذا كقولك قالوا ذلك حين يضربون والمعنى حين ضربوا الا
انك جيت بلفظ المضارع استحضارا لصورة ضربهم في الارض وقوله تعالى والله يحيي ويميت
رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر واقامة

ويميت

ويميت المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير قرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على الغيبة
ردا على الذين كفروا والباقون بالتاء على الخطاب ردا على قوله لا تكونوا وهو خطاب للمومنين
وفيه تهديد لهم على ان يماثلوهم ولئن قتلتم اللام هي الموطية لقسم محذوف في سبيل الله
اي الجهاد او متم اي اتاكم الموت في سبيل الله وجواب القسم قوله تعالى لمغفرة كائنة
من الله وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده لكونه دالا عليه ورحمة او من
الله فحذف صفتها لدلالة الاولى عليها ولا بد من حذف اخر صحيح للمعنى تقديره لمغفرة
من الله لكم ورحمة منه لكم فان قيل المغفرة هي الرحمة فلم كررها ونكرها اجيب بانه
انما نكرها ايذانا بان ادنى خير واقل شيء خير من الدنيا وما فيها وهو المراد بقوله لخير
مما يجمعون من الدنيا واما التكرير فغير مسلم لان المغفرة متوتنة على الرحمة فيوم شم
يفرق فان قيل كيف تكون المغفرة موصوفة بانها خير مما يجمعون والاخير فيما يجمعون
اصلا اجيب بان الذي يجمعونه في الدنيا قد يكون من الحلال الذي يعد خيرا وايضا
هذا ورد على حسب قولهم ومعتقدهم ان تلك الاموال خيرات فقيل المغفرة خير من
هذه الاشياء التي يظنون انها خيرات ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاكم لالى الله
لا الى غيره تحشرون في الاخرة فيجازيكم وقرا نافع وحمزة متم بكسر الميم والباقون بالضم
وقرا حفص يحشرون بيا الغيبة والباقون بتا الخطاب ورحمت لالى الله بالنون بعد اللام
فان قيل هنا ثلاث مواضع قدم الموت على القتل في الاول والاخير وقدم القتل على
الموت في المتوسط فما الحكمة في ذلك اجيب بان الاول لمناسبة ما قبله في قوله اذا ضربوا في
الارض او كانوا غزا فرجع الموت لمن ضرب في الارض والقتل لمن غزا واما الثاني فلانه
محل تحريض على الجهاد فقدم الاهم الاشرف واما الاخير فلان الموت اغلب فبما رحمة
اي فبرحمة من الله لنت لهم ما زيدت للتاكيد والجار والمجرور مقدم للدلالة على ان لينه
صلى الله عليه وسلم ما كان الا برحمة من الله ومعنى الرحمة توفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم
بعد ان خالفوه ولو كنت فظا اي سيء الخلق غليظ القلب اي جافيا لانفضوا اي تفرقوا
من حولك اي عنك وذلك لان المقصود من البعثة ان يبلغ الرسول تكاليف الله تعالى الى الخلق
وذلك لا يتم الا بميل قلوبهم اليه وسكون نفوسهم لديه وهذا المقصود لا يتم الا اذا كان
رحيما بهم كريما يتجاوز عن ذنوبهم ويعفو عن سياتهم ويحسن بهم بالبر والشفقة فلهذه
الاسباب وجب ان يكون الرسول مبرا عن سوء الخلق وغلظ القلب ويكون كثير الميل الى العاجز
الضعيف كثير القيام باعانة الفقراء وحمل القفال هذه الاية على واقعة احد قال فبما رحمة

والله لئن يوم احد حين عادوا اليكم بعد الانهزام ولوكنت وقاما عليظ فشافههم بالملامة
على ذلك الانهزام لانفضوا من حولك هيبة منك وحيا يب ماكان منهم من الانهزام فكان
ذلك مما يعلم الله وفيك وفيهم فاعف اي تجاوز عنهم ايما تونه واستغفر لهم ذنبهم حتى
استغفر لهم فاغفر لهم واختلفوا في معنى قوله تعالى وشاورهم في الامر على وجوه احدها
ان ذلك يقتضي شدة محبته لهم فلو لم يفعل ذلك لكان ذلك اهانة لهم فيحصل سوء الخلق
والفظاظة وثانيها انه عليه الصلاة والسلام وان كان اكمل الناس عقلا الا ان عقول الخلق
غير متناهية فقد يخطر ببال الانسان من وجوه المصالح مالا يخطر ببال اخر لا سيما فيما يتعلق
بامور الدنيا قال عليه الصلاة والسلام انتم اعرف بامور دنياكم وانا اعرف بامور دينكم ولهذا
السبب قال صلى الله عليه وسلم ما شاور قوم قط الا هدوا لارشد امورهم وثالثها قال
الحسن وسفيان بن عيينة انما امر بذلك ليقتدي به غيره في المشاورة وتقرير سنة
ورابعها انه عليه الصلاة والسلام شاورهم في وقعة احد فاشاروا عليه بالخروج كان
ميله ان لا يخرج فلما خرج وقع ما وقع فلو ترك مشاورتهم بعد ذلك لكان ذلك يدل على
انه بقي في قلبه منهم بسبب مشاورتهم شيء فامره الله تعالى بمشاورتهم بعد تلك الواقعة
وخامسها امره بالمشاورة لا ليستفيد منهم رايا ولكن ليعلم مقاديرعقولهم ومحبتهم له وذكروا
ايضا وجوها اخر وفي هذا القدر كفاية واتفقوا على ان كل ما نزل فيه وحي من عند الله لم يكن
للرسول ان يشاور الامة فيه لان النص اذا جاء بطل الراي فاذا عزمت اي قطعت الامر على
امضاء ما تريد بعد المشاورة فتوكل على الله اي ثق به لا بالمشاورة فليس التوكل اهمال الامور
بالكلية بل بمراعات الاسباب مع تفويض الامر الى الله تعالى ان الله يحب المتوكلين عليه
فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله اي بينكم على عدوكم كيوم بدر فلا غالب لكم اي
فلا احد يغلبكم وان يخذلكم بترك نصركم كيوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده اي بعد
خذلانه اي لا احد ينصركم وهذا تنبيه وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله فليتوكل
المومنون اي فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه لان ايمانهم يوجب ذلك
ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل اي وما صح لنبي ان يخون في الغنايم فان النبوة تنافي الخيانة
واختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقال ابن عباس نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر
فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها وقال مقاتل نزلت
في غنايم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له وان لا يقسم الغنايم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي

صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية اخواننا
وقوفا فقال لهم صلى الله عليه وسلم بل ظننتم اني لا افعل ولا اقسم لكم وقال محمد بن اسحاق
ابن بشار هذا في الوحي يقول ما كان لنبي ان يكتم شيئا من الوحي رغبة او رهبة كان هو
صلى الله عليه وسلم يقرا القران وفيه سب دينهم وسب الهتهم فسالوا ان يترك ذلك
فنزلت وروي انه صلى الله عليه وسلم غنم في بعض الغزوات وجمع الغنايم وتاخرت
القسمة لبعض الموانع فجا قوم وقالوا لا تقسم غنايمنا فقال عليه الصلاة والسلام
لو كان لكم مثل احد ذهبا ما حبست عليكم منه درهما اتحسبون اني اغلكم معتكم فنزلت
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم بفتح الياء وضم الغين على البنا للفاعل والباقون بضم
الياء وفتح الغين على البنا للمفعول والمعنى هذا وما صح لنبي ان يوجد غالا او نسب اليه
الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة قال اكثر المفسرين ان هذه الاية على ظاهرها
قالوا وهو نظير قوله تعالى في مانع الزكاة يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وظهورهم ويدل له قوله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم يجي
على رقبته يوم القيامة ببعير له رغا او ببقرة لها خوار او شاة لها ثغاء فينادي
يا محمد يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيئا قد بلغتك قال المحققون وفايدته اذا
جا يوم القيامة وعلى رقبته ذلك المغلول ازدادت فضيحته وعن ابن عباس انه قال
يمثل له ذلك الشيء في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فاذا بلغ
موضعه وقع في النار ثم يكلف ان ينزل اليه فيخرجه ففعل ذلك به وعن ابي هريرة
قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنايم حنين قام اليه رجل بشاكة فقال
اعطني شاكتي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شاكتك
في النار فاذهب فالتمسها فقال ابو مسلم ليس المقصود من الاية ظاهرها بل المقصود
تشديد الوعيد على سبيل التمثيل كقوله تعالى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في
صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله فانه ليس المقصود نفس هذا الظاهر بل
المقصود اثبات ان الله تعالى لا يعزب عن علمه وعن حفظه مثل ذرة في الارض ولا في السما
فكذا ها هنا المقصود تشديد الوعيد والمعنى ان الله تعالى يحفظ عليه هذا المغلول
ويقرره عليه يوم القيامة ويجازيه لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وعن ابي حميد الساعدي
قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اسد على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم

ها

وهذا الهدي الي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما بال العامل نبعثه على
بعض اعمالنا فيقول هذا لكم وهذا اهدي الي فهلا اجلس في بيت امه او بيت ابيه فينظر
ايهدي اليه ام لا فوالذي نفسي بيده لا ياخذ منها احد شيأ الا جاء به يوم القيامة يحمله
على رقبته ان كان بعيرا له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رؤي عفرة ابطيه
ثم قال اللهم هل بلغت هل بلغت **ثم توفى كل نفس** اي تعطى جزاء **ما كسبت** اي عملت وافنا القاء
وغيره فان قيل هلا قيل ثم يوفى اي القاء ما كسب اجيب بانه عمم الحكم ليكون كالبرهان
على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالقاد مع علمه بجزمه بذلك
اولى **وهم لا يظلمون** شيأ فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم وقوله تعالى
افمن اتبع رضوان الله الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف والتقدير افمن اتبى
فاتبع رضوان الله **كمن باء** اي رجع **بسخط من الله** بسبب المعاصي **وماواه جهنم وبئس**
المصير اي المرجع هي اي ليس مثله واختلف في المراد من هذه الاية فقال الكلبي هو
والضحاك افمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله في فعل الغلول
وقال الزجاج لما حمل المشركون على المسلمين دعا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
الى ان يحملوا على المشركين فتفعله بعضهم وتركه اخرون فقوله افمن اتبع رضوان
الله وهم الذين امتثلوا امره كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يقبلوا قوله وقيل افمن
اتبع رضوان الله وهم المهاجرون كمن باء بسخط من الله وهم المنافقون وقيل افمن
اتبع رضوان الله بالايمان به والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال
بمعصيته قاله القاضي وكل واحد من هذه الوجوه صحيح ولكنه لا يجوز قصر اللفظ عليه
لان اللفظ عام فيجب ان يتناول الكل وان كانت الاية نزلت في واقعة معينة لكن عموم
اللفظ لا يبطل بخصوص السبب تنبيه الفرق بين المصير والمرجع ان المصير يجب ان يكون
الحالة الاولى ولا كذلك المرجع فانه قد يوافق المبدا وقراءة رضوان بضم الراء والباقون
بالكسر وقوله تعالى **هم درجات** مبتدا وخبر اي الفريقان درجات ولا بد من تاويل في الاخبار
بالدرجات عنهم لانهم ليس اياهم فيجوز ان يكون جعلوا نفس الدرجات مبالغة والمعنى
انهم متفاوتون في الجزاء على كسبهم كما ان الدرجات متفاوتة تشبيه بليغ بحذف الاداة
اي هم مثل الدرجات في التفاوت ويجوز ان يكون على حذف مضاف اي ذو درجات اي اهل
منازل ورتب في الثواب والعقاب **عند الله** فمن اتبع رضوانه الثواب ومن باء بسخط الله العقاب
والله بصير بما يعملون اي عالم باعمالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد **من الله على**

المؤمنين اي انعم على من امن مع النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذه المنة ان الرسول
صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى ما يخلصهم من عقاب الله تعالى ويوصلهم الى ثوابه
لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فان قيل لم خصهم بالمنة مع ان البعثة
عامة اجيب بانهم هم المنتفعون بها كقوله تعالى هدي للمتقين **اذ بعث فيهم رسولا**
من انفسهم اي من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على احواله
في الصدق والامانة فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به ويشرفوا به لانه كان
ولا بجيا وقريشا ذا من انفسهم بفتح الفاء اي من اشرفهم لانه صلى الله عليه وسلم
كان من اشرف قبايل العرب وبطونهم وقد خطب ابو طالب لما تزوج صلى الله عليه وسلم
خديجة رضي تعالى عنها وقد فخر فيه بنو هاشم وروساء مضر **الحمد لله** الذي جعلنا من ذرية
ابراهيم وزرع اسماعيل وضيفي معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس
حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا
محمد بن عبد الله بن لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبا عظيم
وخطر جليل ولم اذكر في التفسير قراءة شاذة الا هذه لكونها في شرف الرسول صلى الله
عليه وسلم وقراءة السيدة فاطمة رضي الله تعالى عنها **يتلوا عليهم اياته** اي القران بعد ما كانوا
جهالا لم يسمعوا الوحي **ويزكيهم** يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال **ويعلمهم**
الكتاب اي القران **والحكمة** اي السنة بعد ما كانوا من اجهل الناس وابعدهم من دراسة
العلوم كما قال تعالى **وان كانوا من قبل** اي قبل بعثته صلى الله عليه وسلم **لفي ضلال مبين**
اي بين ظاهر **اولما** اي حين **اصابتكم مصيبة** باحد بقتل سبعين منكم **قد اصبتم مثليها**
يوم بدر بسبعين واسر سبعين **قلتم** متعجبين **انى** اي من اين لنا **هذا** القتل والهزيمة ونحن
مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا والجملة الاخيرة محل الاستفهام الانكاري
قل لهم هو من عند انفسكم اي مما اقترفتموه انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان
الوعد كان مشروطا بالثبات في المركز والمطاوعة في الامر وعن علي رضي الله تعالى عنه قال
جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك من اخذهم الفداء
من الاساري وقد امرك ان تخيرهم بين ان يقتلوا اي يقدموا الاساري فتضرب اعناقهم
وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عددهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
للناس فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا لا بل ناخذ منهم فواهم فنتقوى به عليهم فقتل العدو منا
ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اساري بدر وهذا معنى قوله قل هو

من عند انفسكم ايها عذكم الفداء اختياركم له ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر وعلى ضده وعلى ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان اي جمع المسلمين وجمع المشركين يوم احد من القتل والجرح والهزيمة فباذن الله اي فهو كائن بقضائه وارادته ودخلت الفاء في الخبر لشبه المبتدا بالشرط نحو الذي ياتيني فله درهم وليعلم المؤمنين وقد تقدم ان معنى وليعلم الله كذا اي يميز او يظهر للناس ما كتمان في علمه وليعلم الذين نافقوا قال الفاء الواحدي يقال نافق الرجل فهو منافق اذا اظهر كلمة الايمان واضمر خلافها قال ابو عبيدة مشتق من نافقاء اليربوع لانه يجر اليربوع لها بابان فاذا ضربت من احدهما خرج من الاخر فقيل للمنافق انه منافق وهو اسم اسلامي لانه صنع لشيء طريقين اظهار الاسلام واضمار الكفر فمن ايهما طلب خرج من الاخر وقوله تعالى وقيل لهم عطف على نافقوا اي وليعلم الذين قيل لهم لما انهزموا عن القتال وقالوا لئن علمنا قتالا لاتبعناكم وهم عبد الله بن ابي واصحابه وكانوا ثلثمائة من الالف الذين خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا قاتلوا في سبيل الله اي الكفار او ادفعوا عنا اي ان كان في قلبكم حب الايمان فقاتلوا للدين وان لم تكونوا كذلك فقاتلوا دفاعا عن انفسكم واهليكم واموالكم وقال السدي وابن جريج ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة احد اسباب الهيبة روي عن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعث داري ولحقت شغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله تعالى او ادفعوا اراد اكثر سوادهم واختلفوا في الفاعل فقال الاصم ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل بل اجابر الانصاري قال لهم او ذكركم الله ان تقاتلوا نبيكم وقومكم عنه حضور العدو قالوا لو نعلم اي نحسن قتالا لاتبعناكم فيه قال تعالى تكذيبا لهم هم للكفر يومئذ اي يوم اذ قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اقرب منهم للايمان اي لانقطاعهم وارتدادهم وكلامهم فان ذلك اولا امارات ظهرت منهم موذنة بكفرهم وقيل المعنى على حذف مضاف اي هم لاهل الكفر اقرب منهم لاهل الايمان بما اظهروه من حقن لانهم للمومنين وكانوا قبل اقرب الى الايمان من حيث الظاهر تنبيه فضلوا هنا على انفسهم باعتبار حالين ووقتين ولو لا ذلك لم يجز تقول زيد قاعدا افضل منه قائما او زيد قاعد اليوم اليوم افضل منه قاعدا غدا ولو قلت زيد اليوم قاعدا افضل منه اليوم قاعد لم يجز يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم اي يظهرون خلاف ما يضمرون لانقوالهم قلوبهم التهم

بالايمان

بالايمان فهم وانكانوا يظهرون الايمان باللسان لكنهم يضمرون في قلوبهم الكفر تنبيه اضافة القول الى الافواه تصوير لنفاقهم فان ايمانهم موجود في افواههم فقط وهذا يسمى كونه للتاكيد كما قيل به للتحصيل هذه الفايدة وقالت عادل والظاهر ان القول يظلق على اللساني وعلى النفساني فتقييده بافواههم تقييد لاحد محليه اللهم الا ان يقال الملاقاة على النفساني مجاز والله اعلم بما يكتمون اي عالم بما في ضمايرهم وبما يخلوا به بعضهم الى بعض فانه يعلم ذلك مفصلا يعلم واحدا انتم تعلمونه مجملا باماراته وجوز وافي هم في موضع الذين قالوا اقاب الاعراب الثلاثة الرفع والنصب والجر فالرفع من ثلاثة اوجه احدها ان يكون مرفوعا على خبر مبتدا تقديره هم الذين الثاني انه بدل من واو يكتمون الثالث انه مبتدا والخبر قوله قل فادرءوا ولا بد من حذف عايد تقديره قل لهم فادرءوا والنصب من ثلاثة اوجه ايضا احدها النصب على الذم اي اذم الذين قالوا الثاني انه بدل من الذين نافقوا الثالث انه صفة لهم والجر من وجهين احدهما انه بدل من الضمير في بافواههم الثاني انه بدل من الضمير في قلوبهم كقول القرزدق

على حالة لو ان في القوم حاتما ... على جوده لضن بالماء حاتم

جوده وضن مبني للمفعول وهو بالماء اي ولو ان حاتما مستقر في القوم كائنا على جوده وهم بتلك الحالة لبخل بالماء لاخوانهم اي لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد اخوانهم في النسب او في سكنى الدار او في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم وقوله يقولون وقعدوا حال مقدرة بقد اي قالوا قاعدين عن القتال لو اطاعونا في القعود ما قتلوا كما لم يقتل واختلفوا في القايل ذلك فقال اكثر المفسرين هو ابن ابي واصحابه وقول الاصم هذا لا يجوز لان ابيا خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد يوم احد وهذا القول واقع ممن تخلف فيه نظر لاحتمال ان المراد بالقعود هنا القتال لا عن الخروج الى القتال قل اي ادفعوا عنهم فادرءوا اي ادفعوا عنا انفسكم الموت ان كنتم صادقين في ان القعود ينجي منه لانكم ان دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سايراسبابه المثبوتة ولا بد لكم ان تتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا فان قيل ما وجه هذا الاستدلال فان التحرز عن القتل ممكن واما التحرز عن الموت فغير ممكن اجيب بان الكل بقضاء الله وقدره فلا فرق بين الموت والقتل وفي قوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دافعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا وترلى في شهداء احد كما رواه الحاكم وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب

ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسايرهم من الانصار ولا تحسبن
اي ولا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله اي لاجل دينه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وكل احد
امواتا بل احياء عند ربهم اي ذوو زلفى منه فليس المراد القرب المكاني لاستحالته ولا علمي في
علمه وحكمه لعدم مناسبة المقام له بل بمعنى القرب تشريفا ورتبة قال البيضاوي
وقيل نزلت في شهداء بدر اي وكانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة
من المهاجرين قال شيخنا القاضي زكريا وهو غلط انما نزل فيهم اية البقرة من يرتد
منكم عن دينه الخ وروي من ثمار الجنة روي ابن عباس انه عليه الصلاة والسلام قال لارواح الشهداء في اجواف
طير خضر تراد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش وروي
ان الله تعالى يطلع عليهم ويقول لهم في ماشيتم فيقولون يا ربنا كيف نشاء ونحن
نسرح في الجنة في ايها شئنا فلما راوا ان لا يتركوا من ان لا يسالوا شيأ قالوا نسالك ان
ترد ارواحنا الى اجسادنا في الدنيا نقتل في سبيلك لما راوا من النعيم كما قال تعالى فرحين
بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتنعم
بنعيم الجنة ويستبشرون اي ويفرحون بالذين لم يلحقوا بهم من اخوانهم الذين تركوهم
احياء في الدنيا على منهاج الايمان والجهاد لعلمهم انهم اذا استشهدوا والحقوا بهم ونالوا من
الكرامة ما نالوا فلذلك يستبشرون من خلفهم اي الذين هم خلفهم زمانا ورتبة وابدل
من الذين اي بان لا خوف عليهم اي الذين لم يلحقوا بهم ولا هم يحزنون في الاخرة والمعنى
انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم
يبعثون امنين يوم القيامة لا يكدرون بخوف وقوع محذور ولا يحزنون فوات محبوب
وفي ذكر حال الشهداء استبشارهم بمن خلفهم لبعث الباقين بعدهم على ارتياد الغاية
والتجرد للجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واغتنام الحالة التي يرى نفسه
في خير فيتمنى مثله لاخوانه لان الله تعالى مدحهم على ذلك يستبشرون بنعمة من
الله وفضل كما بين تعالى انهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم بين هنا انهم يستبشرون
لانفسهم بما رزقوا من النعيم ولذلك اعاد لفظ الاستبشار فان قيل العيش انما يذكر مع
باحوال النفس والفرح عين الاستبشار فلزم التكرار اجيب بان الاستبشار هو
الفرح التام فلا يلزم التكرار او بان المراد حصول الفوح بما حصل في الحال وحصول الاستبشار
بما عرفوا ان النعمة العظيمة تحصل لهم في الاخرة والفرق بين النعمة والفضل ان النعمة هي
الثواب والفضل هو التفضل الزايد فان قيل لم قال يستبشرون من غير عطف اجيب بانه

تاكيد

تاكيد للاول لانه قصد بالنعمة والفضل بيان متعلق الاستبشار الاول وان الله لا يضيع
اجر المومنين لما ذكر ايصال الثواب العظيم الى الشهداء بين ان ذلك مخصوص بهم بل كل
من يستحق شيأ من الاجر والثواب فان الله تعالى يوصل ثوابه اليه ولا يضيعه وقوله تعالى
الذين استجابوا لله والرسول اي دعاه مبتدا من بعد ما اصابهم القرح باحد خبر
المبتدا الذين احسنوا منهم بطاعته واتقوا مخالفته اجر عظيم هو الجنة روي ان ابا
سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه
قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا
بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على
ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر روي انه كان
فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم ان حملوا الحمل ليحمل الحامل ساعة اخرى وذلك
لكثرة الجراحات فيهم وكان فيهم من يتوكا على صاحبه ساعة ويتوكا عليه صاحبه ساعة
ومر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا
ما اصابك في اصحابك ولوددنا ان الله قد اعافاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى لقي ابا سفيان ومن معه بالروحاء وقد اجمعوا الرجعة الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما راى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في اصحابه
يطلبكم في جمع لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما اراك ترتحل حتى ترى نواصي
الخيل قال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت تنبيه من في الذين احسنوا منهم
للتبيين مثلها في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين
استجابوا لله والرسول قد احسن كلهم واتقوا البعض وقوله تعالى الذين بدل من الذين
قبله او نعت قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم اي الجموع ليستاصلوكم فاخشوهم
روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شيت
فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل
مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي
وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا
يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليه واكره ان يخرج

محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة ولان يكون الخلق من قبلهم احب الي من ان يكون من قبلي
فالحق بالمدينة فشطبهم واعلمهم اني في جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة
من الابل الا اصبهافي يد سهل بن عمرو يغنمنها فقال له نعيم يا ابا يزيد انتقدمني لي
ذلك وانطلق الى محمد واشبطه قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس
لميعاد ابي سفيان فقالوا اين تريدون فقالوا واعدنا ابو سفيان بموسم بدر الصغرى
ان نقتتل بها فقال الرأي رأيهم انكم في دياركم وقراركم فلم يقتل منكم احد الا شريدا
فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الرسم والله لا يفلت منكم احد الا شريدا فكره
بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا
وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وهم يلتفتون الى ذلك القول كما قال تعالى فزادهم
ذلك القول ايمانا اي تصديقا بالله ويقينا وقالوا حسبنا الله اي كافينا امرهم ونعم الوكيل
اي المفوض اليه هو حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون المشركين ويسالونهم عن قريش
فيقولون جمعوا لكم يريدون ان يوهبوا المسلمين فيقول المسلمون حسبنا الله ونعم
الوكيل وهذه هي الكلمة التي قالها ابراهيم حين القي في النار حتى يلقوا بدرا وكانت
موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها في كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم بها ينتظر ابا سفيان ثمان ليال وبايع رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه احد من المشركين ووافى السوق وكان معهم تجارات فباعوها واشتروا
ادما وزبيبا واصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين كما قال تعالى فانقلبوا
اي انصرفوا بنعمة من الله اي بعافية لم يلقوا عدوا وفضل اي تجارة وربح وهو ما اصابوا من
في السوق بم يمسسهم سوء اي لم يصبهم اذى ولا مكروه ورجع ابو سفيان الى مكة فسمي اهل مكة
جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق تنبيه الناس الاول المثبطون والآخر
ابو سفيان واصحابه فان قيل المثبط هو ابو نعيم فكيف قيل الناس اجيب بانه من جنس الناس
كما قيل فلان يركب الخيل ويلبس البرود وماله الا فرس واحد وبرد واحد ولانه حين قال ذلك لم
يكن هناك من اهل المدينة يثبطون مثل تثبيطه بل قيل انهم كانوا جماعة قدموا بايي ضيا
ركب من عند القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فان
قيل كيف زاهم ايمانا اجيب بانهم لما سمعوا ذلك واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهار
كلمة الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايمان بالايقان بتامل

الحجج

الحج ولان خروجهم على اثر التثبيط الى وجه العدو طاعة عظيمة والطاعات تزيد الايمان
قلت بن عمر رضي الله تعالى عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد
حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن بن عمر رضي الله تعالى
عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه رضي الله تعالى عنه لو وزن
ايمان ابي بكر رضي الله تعالى عنه بايمان هذه الامة لرجح به واتبعوا رضوان الله
الذي هو مناط الفوز بخيبي الدارين في حجهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم تذييل فضل
عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار
الجراة على العدو بالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع من ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة
من الله وفضل وفيه تحسر للمتخلفين وتخطية رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما
ذلكم اي المثبط وابو سفيان الشيطان يخوف اولياءه اي القاعدين عن الخروج مع النبي صلى
الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه وهم ابو سفيان واصحابه ويدل على ذلك قوله تعالى فلا تخافوهم
وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مومنين حقا فان الايمان يقتضي
ايثار خوف الله على خوف الناس وقرا ابو عمرو باثبات الياء وصلا وحذفها وقفا والباقون
بالحذف وقفا ووصلا ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه وقوعا سريعا
حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام اي لا يهتم لكفرهم انهم
لن يضروا الله شيا بفعلهم وانما يضرون به انفسهم وقرا نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاي
حيث وقع ما خلا قوله تعالى في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه على فتح الياء وضم الزاي وفيه
والباقون كذلك في الكل من حزنه لغة في احزنه يريد الله ان لا يجعل لهم حظا اي نصيبا في
الاخرة اي الجنة فلذلك خذلهم وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر ولهم مع
حرمان الثواب عذاب عظيم في النار ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي اخذوه بدله لن
يضروا الله شيا بكفرهم شيا ونهم عذاب اليم اي موجع وكرر ذلك للتاكيد او هو تعميم للكفرة بعد
تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ونزل في مشركي مكة كما قاله مقاتل
او في قريظة كما قاله عطا ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي اي نمهل لهم بتطويل الاعمار خير
لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما بكثرة المعاصي ولهم عذاب مهين اي ذو اهانة روي
انه صلى الله عليه وسلم سيل اي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاي الناس شر قال
من طال عمره وساء عمله وقرا حمزة ولا تحسبن الذين كفروا ولا تحسبن الذين يبخلون بالتاء فيهما
على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين بن عامر وعاصم وحمزة ما كان الله ليذر

اي ليذر المؤمنين على ما انتم عليه ايها الناس من اختلاط المسلم بغيره حتى يميز اي يفصل
الخبيث اي المنافق من الطيب واختلفوا في نزول هذه الاية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد
تزعم ان من خالفك فهو في النار والله والله عليه غضبان وان من اتبعك على دينك
فهو في الجنة والله عنه راض فاخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن فنزلت وقال السدي
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي امتي في صورتها في الطين كما عرضت
على ادم واعلمت من يؤمن ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزء يزعم محمد انه
يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر وحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا
في علمي الا تالوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة الا نبأتكم به فقام عبد الله بن حذا
السهمي فقال من ابي يا رسول الله قال حذافة فقام عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا رسول
الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك نبيا فاعف عنا عفى الله تعالى
عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر فنزلت فان قيل
لم الخطاب في انتم اجيب بانه للمصدقين جميعا من اهل النفاق والاخلاص وكانه قيل
ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه
لا يعرف مخلصكم من منافقكم لا اتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه
واخباره باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا تفي عليها ولا يذعن لها الا المخلص المخلصين
منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله فيتميز بها باطنكم ويتبدل بها على عقابيكم
فتفعل ذلك يوم احد حيث اظهرتم النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ
حمزة والكسائي يميز بضم الياء وفتح الميم وتشديد الياء بعد الميم مع كسرها والباقون بفتح الياء
وكسر الميم وسكون الياء بعد الميم وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله
من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فامنوا بالله ورسله
اي بصفة الاخلاص وبان تعلموا ان الله وحده مطلع على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين
لا يعلمون الا ما علمهم الله تعالى ولا يقولون الا ما يوحى اليهم روي ان الكفرة قالوا ان
كان محمد صادقا فليخبرنا بمن يؤمن ومن يكفر فنزلت الاية وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا
النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من
فضله هو اي يخلهم خيرا لهم بل هو اي يخلهم شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم واختلفوا
في المراد بهذا البخل فقال اكثر العلماء المراد به منع الواجب واستدلوا بوجوه احدها

ان الاية

ان الاية دالة على الوعيد الشديد وذلك لا يليق الا بالواجب وثانيها ان الله تعالى ذم
البخل والتطوع لا يذم على تركه وثالثها قال عليه الصلاة والسلام واي داء وأفر البخل
وتارك التطوع لا يليق به هذا الوصف واتفاق الواجب على اقسام انفاقه على نفسه
وعلى اقاربه الذين تلزمه مؤونتهم ومنها الزكوات ومنها اذا احتاج المسلمون الى
دفع عدو لتقصدوا انفسهم واموالهم فيجب انفاق الاموال على من يدفعهم عنهم ومنها
دفع ما يدرمق المضطر سيطوقون اي سوف يطوقون ما بخلوا به يوم القيامة
اختلفوا في هذا الوعيد فقال ابن عباس وابن مسعود يجعل ما منعه من الزكاة حية
يطوقها في عنقه يوم القيامة تنهشه من فرقه الى قدمه وتنقر راسه تقول انا مالك وعن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد
زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه
يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا تحسبن الذين يبخلون الاية وعن ابي ذر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده او الذي لا اله غيره او كما حلف ما من رجل
تكون له ابل او بقر او غنم لا يودي حقها الا اتي بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمنه تطؤه
باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جازت عليه اخراها ردت عليه اولاها حتى يقضى بين الناس
وقال مجاهد معنى سيطوقون سيحملون اثما يوم القيامة اي يؤمرون
باداء ما منعوا فلا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا وقيل ان هذه الاية نزلت في اخبار
اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته واراد بالبخل كتمان العلم تمامه في سورة
النساء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله ومعنى قوله
على هذا سيطوقون اي يحملون وزره واثمه كقوله تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم وقوله
ولله ميراث السموات والارض في معناه وجهان احدهما ان له ما فيهما فما يتوارثه اهلها
من مال وغيره فهو الباقي الدايم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فما لهم يبخلون عليه بملكه
ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والثاني وهو
قال الاكثرون ان معناه انه يفني اهل السموات والارض ويفني الاملاك ولا مالك لها الا
الله فجرى هذا مجرى الوراثة قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا انفرد به بعد ان
كان مشاركا فيه وقال تعالى وورث سليمان داود لانه انفرد بذلك بعد ان كان داود شاركه
له فيه والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء على
الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا

قال الحسن ومجاهد لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان
الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء وذكر الحسن ان قائل هذه المقالة حيي بن اخطب
وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر
الصديق الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة واقراض
الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدارسهم فوجد اناسا كثيرا من اليهود قد
اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص من بني عازوراء وكان من علمائهم وكان معه حبر اخر
يقال له اشيع فقال ابو بكر لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله قد
جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فامن وصدق واقرض الله قرضا
يدخلك الجنة ويثمانك عن ذلك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض منا اموالنا
وما يستقرض الا الفقير المحتاج من الغني فان كان ما تقول حقا فان الله اذن الفقير ونحن اغنياء
وانه ينهاكم عن الربا ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا الربا يعني في قوله فيضاعفه له اضعافا
كثيرة فغضب ابو بكر رضي الله تعالى عنه وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة فقال والذي
نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله
فقير وهم اغنياء تفصبت لله فغضب وجهه في ذلك فنحاص فانزل الله عز وجل رد اعلى
فنحاص وتصديقا لابي بكر رضي الله تعالى عنه لقد سمع الله الاية وهذا الابدل على ان غيره لم
يقل ذلك لان الاية دالة على ان القايل جماعة لقوله تعالى الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
ما قالوا من الافك والفرية في صحايفهم ليجادلوا عليه ونحوه وانا له لكاتبون او سنحفظه
في علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالله والرسول ولذلك نظمهم مع
قتل الانبياء كما قال تعالى وقتلهم اي وسنكتب قتلهم الانبياء بغير حق وفي نظمهم به تنبيه
على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال
هذا القول ونقول اي الله لهم في الاخرة على لسان الملايكة ذوقوا عذاب الحريق اي النار
وهي بمعنى المحرق كما يقال عذاب اليم اي مولم وقرأ حمزة سيكتب بالياء المثناة تحت بعدها
السين مضمومة وفتح التاء بعد الكاف وضم اللام من قتلهم وبالنون في ونقول ويقال لهم
ذاقوا في النار ذلك اي العذاب بما قدمت ايديكم من الافك وقتل الانبياء وغير ذلك من المعاصي
وعبر بالايدي عن الانفس لان اكثر افعالها بهن وان الله ليس بظلام اي بذي ظلم للعبيد

فيعذبهم

فيعذبهم بغير ذنب فان قيل ظلام للمبالغة المقتضية للتكثير فهو اخص من ظالم ولا يلزم من
نفي الاخص نفي الاعم اجيب بانه لما قوبل بالعبيد وهم كثيرون ناسب ان يقابل الكثير
بالكثير وبانه اذا انتفى الظلم الكثير بنفي القليل لان الذي يظلم انما يظلم لانتفاعه بالظلم
فاذا ترك كثيرا مع زيادة نفعه في زمن يجوز عليه النفع والضرر كان لقليله مع قلة
نفعه اتركا وبان ظلام للنسب كما قدرته في الاية الكريمة كما في بزاز وعطار اي لا ينسب
اليه ظلم البتة وقوله تعالى الذين نعت للذين قبله قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم تزعم
ان الله بعثك بالحق رسولا وانزل عليك كتابا وان نومن بك اي وقالوا ان الله قد عهد
الينا اي امرنا واوصانا في كتبه ان لا نومن لرسول اي لا نصدق رسولا بانه جاء من عند الله
حتى يانينا بقربان تاكله النار اي حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني
اسرايل فيكون دليلا على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله تعالى من نسيكة هي
وعمل صالح وكانوا اذا قربوا قربانا وغنموا غنيمة جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها ولها
دوي وهفيف فتاكل ذلك القربان وتاكل الغنيمة وهذا معنى اكلها ان تحيل ذلك الى طبعها بالاحراق
فيكون ذلك علامة القبول واذا لم يتقبل بقي على حاله وهذا من مفترياتهم وابا طيلهم لان
اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات في ذلك سوا
وقال السدي هذا الشرط جاء في التوراة ولكنه مع شرط وهو ان الله تعالى امر بني اسرايل
من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح
ومحمد فاذا اتياكم امنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان قال الله تعالى اقامة للحجة عليهم
قل لهم يا محمد قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات اي بالمعجزات وبالذي قلتم من القربان كزكريا
ويحيى فقتلتموهم فلم قتلتموهم والخطاب لمن في زمن نبينا وان كان الفعل لاجدادهم لرضاهم به
ان كنتم صادقين في انكم تومنون بالرسل عند الاتيان بذلك ثم قال الله تعالى تسلية لنبيه
صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا
بالبينات اي المعجزات والزبر اي الصحف كصحف ابراهيم والكتاب اي التوراة والانجيل هو
للتنبيه اي الواضح فاصبر كما صبروا وقرا نافع وابن ذكوان وعاصم بالظهار دال قد عند الجيم
والباقون بالادغام وقرابن عامر وبالزبر بزيادة الباء الموحدة والباقون بغير باء بعد الواو وقرا
هشام وبالكتاب بالباء الموحدة بعد الواو والباقون بغير باء وقوله تعالى كل نفس ذايقة الموت
زيادة تاكيد في تسليته صلى الله عليه وسلم ومبالغة في ازالة الحزن عن قلبه فان من علم ان
عاقبته الى الموت زالت عن قلبه الهموم والاحزان روي ان الله تعالى لما خلق ادم اشتكت الارض

الي ربها لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما من احد الا يفدي في القربة التي
اخذ منها وان يعود هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن من المسي والمحق من المبطل وعليم
كل ما يستحقه كما قال واغا توفون اجوركم اي جزاء اعمالكم يوم القيامة ان خيرا فخير وان شرا
فشر فمن زحزح اي بعد عن النار وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز بالظفر
بالبقية بالنظر الي وجه الله تعالي الكريم وما الحياة الدنيا اي العيش فيها الا متاع الغرور
اي الباطل يتمتع به قليلا ثم يفنى روي ان الله تعالي يقول اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر علي قلب بشر اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها
واقرأوا ان شئتم وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرأوا ان شئتم
فمن زحزح عن النار الاية وروي من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه
منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتي الناس ما يحب ان يؤتي اليه اي يفعل بهم ما يجب
ان يفعل به وقوله تعالي لتبلون جواب قسم محذوف تقديره والله لتبلون وحذف منه
نون الرفع لتوالي النونات والواو وضمير الجمع وحذفت واو الرفع لالتقاء الساكنين اي لتختبرن
في اموالكم بالفرائض فيها والخوارج وفي انفسكم بالعبادات والبلاء والاسر والجراح وغير ذلك
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي اليهود والنصاري ومن الذين اشركوا اي
مشركي العرب اذا كثيرا وذلك انهم كانوا يقولون عزير بن الله والمسيح بن الله وثالث ثلاثة
وكانوا يطعنون في النبي صلي الله عليه وسلم بكل ما يقدرون عليه وهجاه كعب بن الاشرف
وكانوا يحرضون الناس علي مخالفته صلي الله عليه وسلم ويجمعون العساكر لمحاربته ويثبطون
المسلمين عن نصرته وان تصبروا علي ذلك وتتقوا الله فان ذلك من عزم الامور اي من صواب
التدبير والرشد الذي ينبغي لكل عاقل ان يعزم عليه واختلف في سبب نزول هذه الاية فقال
ابن جريج والكلبي ومقاتل نزلت في ابي بكر وفنحاص وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
بعث ابا بكر الي فنحاص اليهودي يستمده وكتب اليه كتابا لا التفاتة علي شئ حتي ترجع الي
فجا ابو بكر رضي الله تعالي عنه وهو متوشح بالسيف فاعطاه الكتاب فلما قرأه قال احتاج
ربك الي ان نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف فتذكر ابو بكر قول النبي صلي الله عليه وسلم
وكف عنه فنزلت وقال الزهري نزلت في كعب بن الاشرف فانه كان يهجو رسول الله صلي
الله عليه وسلم في شعره ويسب المسلمين ويحرض المشركين علي النبي صلي الله عليه وسلم وعلي
اصحابه في شعره ويتشبب بنسا المسلمين تنبيه في الامة تاويلان احدهما المراد بالمعابرة

امر الرسول صلي الله عليه وسلم بالصبر علي الابتلا في النفس والمال وتحمل الاذا وترك المعارضة
والمقاتلة وذلك اقرب الي دخول المخالفين في الدين كقوله تعالي فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشي وقال تعالي قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله وقال تعالي واذا
مروا باللغو مروا كراما وقال تعالي فاصبر كما صبر اولوا العزم وقال تعالي ادفع بالتي هي
احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم قال الواحدي هذا قبل نزول اية
السيف وقال القفال والذي عندي ان هذا ليس بمنسوخ والظاهر انها نزلت عقيب قصة
احد والمعني انهم امروا بالصبر علي ما يؤذون به الرسول عليه الصلاة والسلام من طريق
الاقوال الفاترة فيما بينهم واستماع سوءاتهم في كثير من الاحوال والامر بالقتال لا ينافي
الامر بالمصابرة التاويل الثاني ان المراد الصبر علي مجاهدة الكفار ومنابذتهم والانكار
عليهم فالصبر عبارة عن احتمال المكروه والتقوي عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي واذكر
اذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب اي العهد عليهم في التوراة علي علمائهم ليبيننه
اي الكفار للناس ولا يكتمونه قرأ ابن كثير وابو عمرو وشعبة بالياء في الفعلين علي الغيبة لان
اهل الكتاب المخاطبين بذلك غيب والباقون بالتاء علي الخطاب حكاية لمخاطبتهم فنبذوه اي
طرحوا الميثاق وراظهورهم اي لم يعملوا به ولم يلتفتوا اليه ونقيض هذا اجعله نصب عينيه
واشتروا به اي اخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها من سفلتهم برياستهم
في العلم فكتموه خوف فوتها عليهم وقوله تعالي فبئس ما يشترون العايد محذوف تقديره
يشترونه قال قتادة رضي الله تعالي عنه هذا ميثاق اخذه الله علي اهل العلم فمن علم
شيا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال ابو هريرة رضي الله تعالي عنه
لولا ما اخذ الله علي اهل الكتاب ما حدثتكم بشيء ثم تلا هذه الاية وقال رسول الله صلي
الله عليه وسلم من سيل عن علم فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار وقال ابو الحسن
ابن عمارة رضي الله تعالي عنه اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالقيته علي بابه فقلت
ان رايت ان تحدثني فقال اما علمت اني تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك
فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيي بن الجزار قال سمعت عليا ابن ابي طالب
رضي الله تعالي عنه يقول ما اخذ الله علي اهل الجهل ان يتعلموا حتي اخذ علي اهل العلم ان يعلموا
قال فحدثني اربعين حديثا لا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا اي فعلوا من اضلال الناس
ويحبون ان يحمدوا بما اتوا من علم التوراة او عالم يعملوا من التمسك بالحق وهم علي ضلال
وهذا ايضا من جملة اذاهم لانهم يفرحون بما اتوا من انواع الخبث والتلبس علي ضعفة المسلمين

ويحبون ان يحمدوا بانهم اهل البر والصدق والتقوى ولا شك ان الانسان يتأذى بمثل هذه الاحوال فامر النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها روي انه صلى الله عليه وسلم سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ذلك وسلاه بما انزل فيهم
اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق مما سألتهم عنه ناجين من العذاب وقيل هم قوم يخلفون الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل هم المنافقون فانهم يفرحون بما فقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ويجوز ان يكون تأملا لكل من يأتي جنسه فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه وقوله تعالى فلا تحسبنهم تأكيد بمغازة اي مكان ينجون فيه من العذاب في الاخرة بل في مكان يعذبون فيه وهو جهنم ولهم عذاب اليم اي مؤلم فيها وقراءاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة والباقون بالكسر ومفعولا يحسب الاولى دل عليهما مفعولا الثانية على قراءة التحتانية وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط وقرا ابن كثير وابو عمرو فلا يحسبنهم بالياء على الغيبة وضم الباء الموحدة والباقون بالتاء على الخطاب وفتح الباء الموحدة وفتح السين ابن عامر وعاصم وحمزة كما تقدم ولله ملك السموات والارض فهو يملكهما من شاء فيغني من شاء بالمطر والرزق والنبات وغير ذلك والله على كل شيء قدير ومنه تعذيب الكافرين وانجاء المؤمنين ان في خلق السموات والارض وما فيهما من العجايب واختلاف الليل والنهار بالمجيء والذهاب والزيادة والنقصان لايات اي دلالات واضحة على قدرته تعالى وباهر حكمته لاولي الالباب لذوي العقول الذين يعتبرون بصايرهم للنظر والاستدلال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا ينظرون اليها نظر اللهاء غافلين عما فيها من عجايب النظر وفي الصحاح الصفار لهلاه عينيك من زينة هذه الكواكب واجلها في جملة هذه العجايب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا لحكمة متدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قلت لعايشة رضي الله تعالى عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلة فدخل في لحافي حتى التصق جلده بجلدي ثم قال يا عايشة هل لك ان تاذني الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت

فتوضا

فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقام القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يوذنه بصلاة الغداة فراه يبكي قال يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن علي رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يتلو ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بني اسرايل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت امه لعله فرطة فرطت منك في ذنبك قال ما اذكر فقالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت بها اوتيت الامن ذاك وقوله تعالى الذين فمحل قبله او بدل يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي المضطجعين اي يذكرونه دايما على الحالات كلها قايمين وقاعدين ومضطجعين لان الانسان قل ان يخلو من احدى هذه الحالات الثلاث وروي الطبراني وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هذا في الصلاة يصلي قايما فان لم يستطع قاعدا فان لم يستطع فعلى جنب وعن عمران ابن حصين قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة المريض فقال يصلي قايما فان لم يستطع فعلى جنب فتبين قياما وقعودا حالان من فاعل يذكرون وعلى جنوبهم حال ايضا فيتعلق بمحذوف والمعنى يذكرونه قياما وقعودا ومضطجعين فعطف الحال الموولة على الصريحة عكس الاية الاخرى وهي قوله دعانا لجنبه او قاعدا او قايما حيث عطف الصريحة على الموولة ويتفكرون في خلق السموات والارض وما ابدع فيهما ليولهم ذلك على قدرة الله تعالى ويعرفون ان لهما مدبرا حكيما قال بعض العلماء الفكرة تذهب الغفلة وتحدث في القلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلوا في على يونس بن متى تفضيلا يودي الى تنقيصه والا فهو صلى الله عليه وسلم سيد ولد ادم فانه كان يرفع كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض وقال صلى الله عليه وسلم

لا عبادة كالتفكر اي لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق لكن الحديث رواه البيهقي وغيره وضعفوه وقال صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له رواه الثعلبي بسند فيه من لا يعرف قال البيضاوي وهذا دليل واضح على شرف علم اصول الدين وفضل اهله وقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى الخلق بمعنى المخلوق من السموات والارض لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا وصا معا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا الوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يوله على معرفتك وحجته على طاعتك ليا لحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك تنزيه نصب باطلا على الحال من هذا وهي حال لا يستغنى عنها لانها لو حذفت لاختل الكلام وهي كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين وقيل على اسقاط حرف الجر فقرن وهو الباء والمعنى ما خلقتهما بباطل بل بحق وفوره سبحانك اي تنزيها لك عن العبث وهو معترض بين قوله ربنا وبين قوله فقنا عذاب النار اي للاخلال بالنظر في خلق السموات والارض والقيام بما يقتضيه قال ابو البقاء وخلت الفا لمعنى الجزاء والتقدير اذا نزهناك اووحدناك فقنا قال ابن عادل ولا حاجة اليه بل التسبيب فيها ظاهر يتسبب عن قولهم ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك طلبهم وقاية النار ربنا انك من تدخل النار اي للخلود فيها فقد اخزيته اي اهنته وما للظالمين اي للكافرين فيه وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بتخصيص الخزي بهم من انصار اي انصار من نار يدوت لتاكيد النفي ربنا انا سمعنا منادیا ينادي اي يدعو الناس للايمان اي اليه وهو محمد صلى الله عليه وسلم او القران العظيم ان اي بان امنوا بربكم فامنا به قيل اي نادته في الجمع بين منادي وينادي اجيب بانه ذكر المبتدا مطلقا ثم قيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من منادي ينادي للايمان ونحوه قولك مررت برجل يرثى به يهدي بهاد يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى منادي للحرب او لاعانة المكروب او نحو ذلك وكذا الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي لسد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه كذا والى كذا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي الكبائر منها وكفر عنا سيئاتنا اي الصغائر منها او يكون ذلك من باب التهجم والاستيناب كقوله الرحمن الرحيم اولان الاصل والمبالغة في الدعاء امر مطلوب وتوفنا مع

الابرار اي مخصوصين به بحيث هم معدودون في جملتهم وهم الانبياء والصالحون وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه رواه الشيخان ربنا واتنا اي اعطنا ما وعدتنا به على السنة رسلك من الرحمة والفضل وسوالمهم ذلك وان كان وعده تعالى لا يخلف سوال ان يجعلهم من مستحقيه لانهم لم يتيقنوا استحقاقهم لتلك الكرامة فسالوا ان يجعلهم مستحقين لها وتكريره ربنا مبالغة في التضرع وفي الاثار من حزنه اي اصابه امر فقال فمن مر ان ربنا لنجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد ولا تخزنا اي ولا تفضحنا ولا تهنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد اي الموعد باثابة واجابة الداعي وعن بن عباس الميعاد البعث بعد الموت فاستجاب لهم ربهم دعاهم وهو اخص من اجاب لانه يفيد حصول جميع المطلوب لكثرة مبانيه لان كثرة المباني تدل على كثرة المعاني وتيعدي بنفسه وباللام اني اي باني لا اضيع عمل عامل منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض اي جمع ذكركم وانثاكم اصل واحد فكل واحد منكم من الاخر اي الذكور من الاناث والاناث من الذكور وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه الجملة وهي بعضكم من بعض معترضة بين عمل عامل منكم من ذكر او انثى وما فصل به عمل عامل من قوله فالذين هاجروا الى اخره بيت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت يا رسول الله اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا اي من مكة الى المدينة واخرجوا من ديارهم تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولد وا فيها ونشاوا واوذوا في سبيلي اي ديني وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بتقديم قتلوا وتاخير قاتلوا وشدد بتكثير وباب عامر اقاتلوا قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سياتهم اي استرها بالمغفرة ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا اي يثيبهم بذلك اثابة من عند الله اي تفضلا منه فهو مصدر مؤكد لما قبله لان قوله تعالى لاكفرن عنهم سياتهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم والله عنده حسن الثواب اي الجزاء ولما كان المشركون في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون قال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير ونحن في الجهد نزل لا يغرنك تقلب اي تصرف الذين كفروا في البلاد للتجارات وانواع المكاسب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره وقوله تعالى متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل يتمتعون به في الدنيا يسيرا وينفى فهو قليل في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة او في جنب ما اعد الله للمؤمنين هنا الثواب قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا

في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع رواه مسلم وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشربة له واذا على حصير ما بينه وبينه شيء وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة ثم ماواهم جهنم اي مصيرهم جهنم وبئس المهاد اي الفراش هي لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين اي مقدرين الخلود فيها نزلا اي رزقا عند الله وهو ما يعد للضيف ونصبه على الحال من جنات ليخصصها بالوصف والعامل فيها معنى الظرف وما اي والذي عند الله من الثواب لكثرته وذوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الكفار من متاع الدنيا لقلته وسرعة زواله واختلف في سبب نزول قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله فقال جابر وابن عباس وانس نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه جبريل صلى الله عليه وسلم للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فقالوا ومن هو قال النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الارض للحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر عليه اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الاية وقال مطاء نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقال مجاهد نزلت في مومني اهل الكتاب وما انزل اليكم اي القران وما انزل اليهم اي التوراة والانجيل وقوله تعالى خاشعين حال من ضمير يومنون مراعيا فيه معنى من لانها في معنى الجمع اي متواضعين لله لا يشترون اي لا يستبدلون بايات الله التي عندهم في التوراة والانجيل من نعت النبي صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا من الدنيا بان يكتموها خوفا على الرياسة كما فعل غيرهم من اليهود اولئك لهم اجرهم اي ثواب اعمالهم عند ربهم وهو ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعده وقوله تعالى اولئك يوتون اجرهم مرتين وفي قوله تعالى يوتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لتعذر علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر بحساب الخلق في قدر نصف نهار من ايام الدنيا يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدايد في الجهاد وصابروا اي وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدايد الحرب فلا يكونوا اشد صبرا منكم ورابطوا اي اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو وقال الله تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله

وعدوكم

وعدوكم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينتقل عن صلاة الا لحاجة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من ارباط انتظار الصلاة بعد الصلاة واتقوا الله في جميع احوالكم لعلكم تفلحون اي تفوزون بالجنة وتنجون من النار وقال بعض العلماء اصبروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا الله الا رض والسما لعلكم تفلحون في دار البقاء روى الطبراني لكن باسناد ضعيف من قرا السورة التي يذكر فيها الاعمران يوم الجمعة صلى عليه وملايكته حتى تجب الشمس اي تغيب وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري وتبعهما ابن عادل من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الاعمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم فهو من الاحاديث الموضوعة عن ابي بن كعب وفضل السورة فليتنبه لذلك وليحذر منه وقد نبه ايمة الحديث قديما وحديثا على ذلك وعابوا على من اورده من المفسرين في تفاسيرهم سورة النساء مدنية ماية وخمس واربعون اية وثلاثة الاف وستماية وخمس واربعون كلمة وستة عشر الفا وثلاثون حرفا بسم الله الظاهر الملك العلام الرحمن الذي عم عباده بالانعام الرحيم الذي خص اهل ولايته بدار السلام وقوله تعالى يا ايها الناس خطاب عم المكلفين من اول الادم من الذكور والاناث الموجود فيهم في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم من العرب وغيرهم وقيل يختص بالعرب منهم لقوله تعالى واتقوا الله الذي تسالون به والارحام اذ المناشدة بالله وبالرحم عادة مختصة بهم فيقولون اسالك بالله وبالرحم واجيب بان خصوص اخر الاية لا يمنع عموم اولها اتقوا ربكم اي عذابه بان تطيعوه الذي خلقكم من نفس واحدة اي فرعكم من اصل واحد هو نفس ادم ابيكم وقوله تعالى وخلق منها زوجها معطوف على خلقكم من شخص واحد هو ادم وخلق منها اي كما حوا بالمد من ضلع من اضلاعه اليسرى او معطوف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها وابتدا ها وخلق منها زوجها حوا وهو تقرير لخلقكم من نفس واحدة وقوله تعالى وبث منها اي من ادم وحوا رجالا كثيرا ونساء اي كثيرا بيان للكثيرة تولدهم منهما والمعنى وبث اي نشر من تلك النفس والروح المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكثر الرجال ان يزيد في عصمته على واحدة بخلاف المراة وذكر كثيرا حملا على الجمع ولا تكرار في الاية لان خلقكم من نفس واحدة هو مغاير لخلق حوا منها لانها خلقت من ضلعه الايسر وهم من مايهما ولبث الرجال والنساء بين به ان خلقهم من نفس واحدة معناه من نفس ادم وحوا مع زيادة التفريع بالرجال والنساء واتقوا الله الذي تساءلون فيه ادغام التاء في الاصل في السين اي تسالون به فيما بينكم حيث يقول

بعضكم لبعض اسألك بالله واشكرك بالله فان قيل الذي يقتضيه سواد نظم الكلام وجزالة
ان يجاء عقب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم
من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها اجيب بان
ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على ذلك كان قادرا على كل شئ ومما يقوى
عقاب العصاة فالتظرفيه يودي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على
النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها
وقرا عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف السين والباقون بتشديدها واتقوا الارحام اي بان
تصلوها ولا تقطعوها وكان يتساءلون بالرحم وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام
باسمه على ان صلتها بمكان منه روي الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال الرحم معلقة
بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وقرا غير حمزة بالنصب
عطفا على الله فالعامل فيه اتقوا كما قدرته او معطوف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد
وعمرا واما حمزة فقراءه بالجر عطفا على الضمير المجرور وقول البيضاوي وهو ضعيف اي كما هو مذهب
البصريين ممنوع والحق انه ليس بضعيف فقد جوزه الكوفيون وكفى بكونه ضعيفا والقراءة به
متواترة فيجب ان يضعف كلام البصريين ويرجع الى كلام رب العالمين وتعليلهم عدم الجواز
بكونه كبعض كلمة لا يقتضي الحاقه به في عموم جواز العطف اذ حذف الشئ مع القرينة جائز
ومنه وبرسم دار وقفت في طلله اي ورب رسم دار وقول الشاعر اذهب فما بك والايام من عجب
ان الله كان عليكم رقيبا اي حافظا لاعمالكم فيجازيكم بها اي لم يزل متصفا بذلك واتوا اليتامى
اي بعد البلوغ والرشد اموالهم وسموا يتامى بعد البلوغ مع ان اليتيم في عرف الشرع صغير
لا اب له على معنى انهم كانوا يتامى وان كان اليتيم في اللغة الانفراد ومنه الوقت اليتيمة
وقيل اليتيم في الاناس من قبل الاب وفي البهايم من قبل الامهات وفي الطير من قبلهما والحكمة
للاولياء والاوصياء روي ان رجلا كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال
منه فمنعه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فلما سمعها العم قال
اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فوقع اليه ماله فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يجل داره اي جنته ويأتي
فتيل الحوب الكبير فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم
ثبت الاجر للفتى وهو وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر للفتى وهو
ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده اي لعله كان لا يخرج زكاة

ولا تبدلوا

ولا تتبدلوا الخبيث اي الحرام بالطيب اي الحلال اي لا تاخذوه بدله كما تفعلون في اخذ الجيد
من مال اليتيم وجعل الرديء من مالكم مكانه قال الزمخشري وهذا ليس متبدلا وانما هو
تبديل قال التفتازاني في لان معنى تبدله هذا بذلك انك اخذت هذا وتركت ذاك
وكذا استولت لان معنى بولت هذا بذاك اخذت ذاك واعطيت هذا قال تعالى ومن يتبدل
الكفر بالايمان فاذا اعطى الرديء واخذ الجيد هذا اعطى الخبيث واخذ الطيب كما لو اخذ
الخبيث وترك الطيب ليكون تبدل الخبيث بالطيب فالحاصل ان في التبدل ما دخلت الباء
متروكه وما تعدى اليه الفعل بنفسه ماخوذ وفي التبديل بالعكس انتهى وقد اوضحت ذلك
في شرح المنهاج ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم كقوله تعالى من انصاري الى الله اي مع
الله اي لا تنفقوها معها ولا تسووا بينهما واطلاقكم مالكم حلال لكم واطلاقهم اموالهم حرام عليكم
فلا يحل لكم من اموالهم ما زاد على قدر الاقل من اجرتكم ونفقتكم فان قيل قد حرم الله على
اكل مال اليتيم وجوه ومع اموالكم فلم ورد النهي عن اكله وحده اجيب بانهم كانوا يفعلون ذلك
فانكر عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم ولانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى
بما رزقهم الله من مال حلال وهم مع ذلك يلمون فيها كان القبح ابلغ والزم احق انه اي اكلها
كان حوبا اي ذنبا كبيرا اي عظيما ولما نزلت الاية في اليتامى وما كان في اكل اموالهم الحوب
الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك العدل في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون عن
ولايتهم وكان الرجل منهم ويما كان تحته العشر من الازواج والثمان والست ولا يقوم بحقوقهن
ولا يعدل بينهن فقيل وان خفتم اي خشيتم ان لا تقسطوا اي تعدلوا في اليتامى فكذلك خافوا
امرهن فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء وقللوا عدد المنكوحات فانكحوا ما طاب اي حل لكم
من النساء لان منهن ما حرم كاللاتي في اية التحريم مثنى وثلاث ورباع اي تزوجوا اثنتين
او ثلاثا او اربعا لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب
لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قايم في كل ذنب وانما عبر عنه
بما ومن يعقل انما يعبر عنه بمن ذاهبا الى الصفة لانه انما يفرق بين من وما في الدوام
لا في الصفات او اجراهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن وقيل كانوا يتحرجون من الزنا
ولم يتحرجوا من ولاية اليتامى فقيل خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل
لكم من النساء ولا تحولوا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال فيتزوجها
رغبة اي بخلافها فربما اجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن فان قيل الذي
اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث

ورباع حتى ان بعض الرافضة قال للشخص ان يتزوج بثمانية عشر اجيب بان الخطاب للجميع
فوجب التكرير ليصيب كل ناكح بربع الجمع ما المراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة
اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة
ولو افردت لم يكن له معنى فان قيل هلا جاء العطف بالواو دون او حتى قال بعض الرافضة ان
له ان يتزوج بتسعة اجيب بانه لو عطف بالواو لوهم معنى جواز انواع الجمع بين انواع
القسمة التي دلت عليه الواو فاذا خفتم ان لا تقولوا بين هذه الاعداد اية بالقسم والتثنا
فواحدة اي فانكحوا واحدة وذروا الجمع او ما ملكت ايمانكم اي اقتصروا على ذلك سوا بين
الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة صوتهن وعدم وجوب القسم بينهن شيء
هذا في حق الحر اما من فيه رق فلا يتزوج اكثر من ثنتين باجماع الصحابة وقد يعرض للحر
عوارض لا يزاد فيها على واحدة لجنون او سفه ذلك اي النكاح فقط او الواحدة او التسري
ادنى اي اقرب الى ان لا تقولوا اي تجوروا يقال عال الحاكم في حكمه اذا جار وروي اذا عز ايبا
حكم عليه حاكم فقال له انك تقول علي وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان لا تقولوا ان لا تجوروا وحكى عن الشافعي رضي الله تعالى عنه انه فسر ان لا تقولوا
بان لا تكثر واعيالكم قال البغوي وما قاله احد انما قالت كثرة العيال اعال يعيل اعالة
اذا كثرت عياله وقال الزمخشري ووجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك
مانهم ينهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم ثم قال وكلام مثله واعلا
العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين في تحقيق علي بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به
تحريف يقبلوا الى تقولوا فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لا تظنن بكلمة خرجت
من فم اخيك سوا وانت تجد لها في الخير محملا وكان الشافعي رحمه الله اعلاكعبا واطولهم باعا في
علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا النتي واتوا اي اعطوا النساء صدقاتهن جمع صدقة
اي مهورهن نحلة اي عطية يقال نحله كذا نحلة اي اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض
ونصبها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل واعطوا النساء صدقاتهن
نحلة قال الكلبي وجماعة والخطاب للاولياء وذلك ان ولي المرأة كان اذا زوجها فان كان منهم
في العشيرة فلم يعطها من مهرها شيا وان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطوها من
مهرها شيء ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله فان طبن لكم عن شيء
منه اي الصداق وقوله تعالى نفسا محول عن الفاعل اي ان طابت نفسها لكم عن شيء فوهبته
لكم من الصداق فكلوه اي فخذوه وانفقوه هنيا اي طيبا مريا اي محمود العاقبة لا ضرر فيه

عليكم

عليكم في الاخرة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امرأته
فقال الله تعالى ان طابت نفسا واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه هنيا مريا قال
الزمخشري وفي الاية دليل على ضيق المسالك في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط
على طيب النفس وقيل ان طبن لكم ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المرأي
هو بحاني نفسها عن الموهوب طيبة وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امرأته شريحا في عطية
اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح ردي عليها فقال الرجل اليس الله قد قال فان
طبن لكم قالوا لو طابت نفسها لما رجعت فيه وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته
امرأته التي دينا رصداقا فلما ان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك هو
فاني الاية التي بعدها ولا تأخذوا منه شيا ورد عليها وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه
كتب الى قضاته ان الناس يعطون رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم اراد ان ترجع
فذلك لها ولا تؤتوا ايها الاولياء السفهاء اي المبذرين من الرجال والنساء اموالكم اي اموالهم
وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وقيل نهي الى كل احد ان يعمد
الى ما خوله الله من المال فيعطيه امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء لنقصهم
بعقلهم واسميتما لجعلهم قواما وهذا وفق لقوله تعالى التي جعل الله لكم قياما اي تقوم بها
ومصالح اولادكم فيضيعونها في غير وجهها وعلى القول الاول يعود الى ان اموال السفهاء التي
هي من حيث ما جعل الله لكم قياما وسمي الله ما به القيام قياما للمبالغة وقرا نافع وابن عامر
قيما بغير الف بعد الياء والقيم جمع قيمة ما يقوم به الامتعة والباقون بالالف مصدر قام
وارزقوهم اي اطعموهم فيها واكسوهم فيها وانما قال تعالى فيها لجعله الاموال ظروفا
للرزق فيكون الانفاق من الربح لا من الاموال التي هي الظروف بان يتجروا فيها ويحصلوا
من ربحها ما يحتاجون اليه ولو قيل منها لكان الانفاق من نفس الاموال وقولوا لهم قولا
معروفا اي عدوهم عدة جميلة باعطائهم اموالهم ان ارشدوا وكل ما سكنت اليه النفس
واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه
فهو منكر وعن عطا اذا رجعت اعطيتك وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن
ممن وجبت عليك نفقته فقل له متاعا فانا الله واياك بارك الله فيك وقيل لا يختص
ذلك بالاولياء بل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء قريبا او اجنبيا رجلا او امرأة
يعلم انه يضيعه فيما لا ينبغي ويفسده وابتلوا اي اختبروا اليتامى في دينهم وتعرفهم
بان يخبروا التاجر بالبيع والشراء والمماكسة فيهما وولد الزراع بالزراعة والنفقة على

القوام بها والمراة فيما يتعلق بالغزل والقطن وصون الاطعمة عن الهرة ونحوها وحفظ
متاع البيت وولوالامين ونحوه بالانفاق في خبز ولحم ونحوهما كل ذلك على العادة
في مثله ويشترط تكرر الاختبار مرتين او اكثر حيث يفيد غلبة الظن برشده ووقت
الاختبار قبل البلوغ ولا يصح عقده بل يتخذ في المماكسة فاذا اراد العقد عقد الولي
حتى اذا بلغوا النكاح اي ملروا اهلا له اما بالسن وهو استكمال خمسة عشر سنة تحديدية
لحديث بن عمر رضي الله تعالى عنه عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم اوانا ابن اربع عشرة
سنة فلم يجزني ولم يرني بلغت وعرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني
وراني بلغت رواه بن حبان واصله في الصحيحين وابنوا وهما انفصال جميع الولد قيل
عرض عليه سبعة عشر من الصحابة وهم ابنا اربعة عشر سنة فلم يجزهم وعرضوا عليه
وهم ابنا خمسة عشر فاجازهم واما بخروج المني في وقت امكانه واقله تسع سنين تحديدية
سوا خرج في نوم او يقظة بجماع او غيره وتزيد المراة على هذين بالحيض لوقت امكانه واقله تسع سنين ثمرية تقريبية فيثبت فيهما رشد لا بيع حيضا وطهرا
والولادة لانها يسبقها الانزال ويحكم بالبلوغ قبلها بستة اشهر وشيء وانبات شعر العانة
الخشن دليل البلوغ في حق الكفار لا في حق المسلمين ولا عبرة بانبات شعر الابط واللحية
فان انستم ايا بصرتم منهم رشدا وهو صلاح الدين والمال اما صلاح الدين فلا يرتكب
محرما يسقط العدالة من كبيرة او اصرار على صغيرة ويعتبر في رشد الكافر دينه واما صلاح
المال فلا يضيعه في القاية في بحر او يصرفه في محرم او باحتمال الغبن الفاحش في المعاملة
ونحوها وليس صرفه في الخير بتبذير ولا صرفه في الثياب والاطعمة النفيسة وشراء الجواهر
والاستمتاع بهن لان المال يتخذ ليتنفع به نعم ان صرفه في ذلك بطريق الاقتراض
له حرم عليه فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير ولا تاكلوها ايها الاولياء وقوله تعالى
اسرافا اي بغير حق وبدارا * حالان اي مسرفين ومبادرين الى انفاقها مخافة ان يكبروا
رشدا فيلزمكم تسليمها اليهم ومن كان من الاولياء غنيا فليستعفف اي يعف عن مال
اليتيم ويمتنع من اكله ومن كان فقيرا فليكل منه بالمعروف اي بقدر الاقل من حاجته
واجرة سعيه كما مر ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في
مال الصبي وروي النسائي وغيره ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم في حجري يتيم
افاكل من ماله قال بالمعروف تنبيه ايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها يدل
على انه نهي للاغنياء منهم ان ياخذوا لانفسهم من اموال اليتامى شيا وللفقراء منهم ان ياكلوا

منها

منها شيا بغير المعروف كما ان قوله ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا يدل على انه نهي للفقراء عن اكلها اسرافا ومبادرة لكبرهم فاذا دفعتم اليهم اي اليتامى اموالهم فاشهدوا عليهم انهم قبضوها فان الاشهاد اتقى للتهمة وابعد من الخصومة فتحتاجون الى البينة وهذا يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الدفع ولو ابا الا ببينة وهو مذهب الشافعي ومالك خلافا لابي حنيفة وكفى بالله حسيبا اي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم للرجال اي الذكور نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون اي الميتون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اي المال او كثر جعله الله نصيبا مفروضا اي مقطوعا بتسليمه اليهم روي ان اوس بن ثابت الانصاري رضي الله تعالى عنه توفي وترك امراته ام كحة بضم الكاف ولها المشددة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا ابنائه شيا وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار وان كان الصغير ذكرا انما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا يعطى الا من قاتل وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد القبيح وهو بالضاد ولها المجتبين موضع بالمدينة قيل لعله المسجد الذي كان يكنه اصحاب الصفة لانهم كانوا يرضخون فيه النوى فشكت اليه فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي ذلان بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة لم يعطيا لي ولا لبناته شيا وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكا عدوا فنزلت هذه الاية فانتشت لهن المواريث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقربا من ماله شيا فان الله جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم فاعطى صلى الله عليه وسلم ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهذا دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب واذا حضر القسمة للميراث اولوا القربى اي ذووا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم اي اعطوهم منه اي المقسوم شيا قبل القسمة تطييبا لقلوبهم وتقدما عليهم وهو امر ندب للمبالغ من الورثة وقيل امر وجوب واختلف العلما في حكم هذه الاية فقال قوم هي منسوخة باية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت واسه ما نسخت ولكنها مما تهاون بها الناس وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا على ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات

يتقين

والمساكين واليتامى من العين يقتسمان الذهب والورق فاذا قسم الذهب والورق صارت
القسمة الى الامرين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كان يقولوا بورك
فيكم وليخش اي وليخش على اليتامى الذين لو تركوا اي قاربوا ان يتركوا خلفهم اي بعد
موتهم ذرية ضعافا اي اولادا صغارا خافوا عليهم ابي الضياع فليتقوا الله في امر اليتامى
وغيرهم وليأتوا اليهم ما يحبون ان يفعل بذريتهم من بعدهم وليقولوا اي للميت قولا
سديدا اي عدلا وصوابا بان يأمروه ان يتصدق بدون ثلثه ويترك الباقي لورثته
ولا يتركهم عالة وذلك انه كان اذا حضر احدهم الموت يقول له من حضرته انظر لنفسك فان
اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيأ قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا كذا وفلانا كذا
حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عز وجل وامرهم ان يأمروه ان ينظر لولده ولا يزيد
في وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اي بغير حق
انما يأكلون في بطونهم اي ملابطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال الشاعر
كلوا في بعض بطنكم تعفوا ومعنى يأكلون نارا يأكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة
روي انه يبعث اكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه
واذنه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال رأيت ليلة اسري بي قوما لهم مشافر كمشافر الابل احداهما قائمة على منخريه
والاخرى على بطنه وحرة النار يلتهبون بهم جمن جهنم ومخرها فقلت يا جبريل من هؤلاء قال
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما وسيصلون سعيرا اي نارا شديدة يحترقون فيها وقرأ
ابن عامر وشعبة بضم الياء والباقون بالفتح يوصيكم الله اي يأمركم في اولادكم اي في شأن
ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر منهم مثل حظ اي نصيب
الانثيين اذا اجتمعتا معه فله نصف المال ولهما النصف فان كان معه واحدة فلها الثلث
وله الثلثان وانما فضل الذكر على الانثى لاختصاصه بلزوم ما لا يلزم الانثى من الجهاد وحمل
الدية وغيرهما وله حاجتان حاجة لنفسه وحاجة لزوجته والانثى حاجة واحدة
لنفسها بل هي غالبا مستغنية بالتزويج عن الانفاق من مالها ولكن لما علم الله تعالى احتياجهما
الى النفقة وان الرغبة تقل فيها اذا لم يكن لها مال جعل لها حظا من الارث وابطل حرمان
الجاهلية لها فان قيل هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر اجيب
بانه انما بدأ ببيان حظ الذكر او لكل انثى لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل
حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقوله للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص

الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان اول على فضله من القصد الى بيان نقص غيره
عنه ولانهم كانوا يورثون الرجال دون النساء والصبيان وكان في ابتداء الاسلام بالمدينة
قال تعالى والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ثم صارت الوارثة بالهجرة قال تعالى
والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء ثم نسخ ذلك كله بآية الكريمة
واختلفوا في سبب نزولها فعن جابر انه قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني
وانا مريض لا اعقل فتوضأ وصب علي من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث
انما يرثني كلالة فنزلت وقال مقاتل والكلبي في ام كحة امرأة اوس بن ثابت وبناته
وقال عطاء استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم احد وترك امرأة وابنتين واخا
فاخذ الاخ المال فاتت امرأة سعد فقالت يا رسول الله ان هاتين ابنتا سعد وان سعدا قتل
يوم احد شهيدا وان عمهما اخذ مالهما ولا يتزوجان الا ولهما مال فقال صلى الله عليه وسلم
ارجعي فلعل الله سيقضي في ذلك فنزلت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمهما وقال اعط
ابنتي سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقي فهو لك فهذا اول ميراث قسم في الاسلام هـ
وكانه قيل كيف الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث ولا يضاعف في حظ حتى يجمع
اولا بهت مع القرابة مثل ما يدلون به فان قيل حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر هو
الثلثان اجيب بان المراد حالة الاجتماع كما مر اما حال الانفراد فالاب يأخذ المال
كله والبنتان يأخذان الثلثين والدليل على ان الفرض حكم الاجتماع تبعه حكم الانفراد قوله
فان كن اي كان الاولاد خلصا ليس فيهن ذكر وانث الضمير باعتبار الخبر او على تاويل
المولودات وقوله تعالى فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنسا اي نسا زيدن على اثنتين
فان قيل قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين كلام موسق لبيان حظ الذكر من الاولاد هـ
لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يرد في قوله فان كن نسا وهو لبيان حظ الاناث
اجيب بانه وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما علم منه حظ الانثيين صار كانهما
كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نسا فلهن ثلثا ما ترك اي
المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت اي المولودة واحدة فلها النصف وقرأ نافع واحدة
بالرفع على كان التامة والباقون بالنصب على كان الناقصة واختلفوا في ميراث الانثيين فعا ل
ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما
حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو
الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد

ردولك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويويدولك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلثين مع
اخيها فالاولى والاخرى ان تستحقه مع اخت مثلها ويويد ايضا ان البنتين امس رحما
من الاختين وقد قرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك وقيل فوق صله وقيل
لو فع توهم زيادة النصب بزيادة العدد لما فهم استحقاق الثنتين من جعلت الثلث
للواحدة مع الذكر ولابويه اي الميت وقوله تعالى لكل واحد منهما السدس مما ترك بدل
بعض من كل فالسدس مبتدا ولابويه خبر وفايدة البدل دفع توهم ان يكون للاب مع
ما للام اخذا من قوله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين وبهذا اندفع كما قال القتازاني ان البدل
ينبغي ان يكون بحيث لو اسقط استقام الكلام معني وهنا لو قيل لابويه السدس لم يتم هذا
ان كان له اي الميت ولد ذكرا وغيره والحق بالولد ولد الابن والاب الجد فان لم يكن له ولد
وورثه ابواه اي فقط بقرينة المقام فلامه الثلث مما ترك واغا لم يذكر حصة الاب لانه
لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك
اثلاثا ولو كان معهما احد الزوجين كان لها ثلث ما بقي بعد فرضه كما قال الجمهور لا ثلث المال
كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو
كما قاله البيضاوي خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي اثنان فصاعدا ذكورا واناثا كما عليه
الجمهور فلامه السدس والباقي للاب ولا شيء للاخوة وقال ابن عباس لا يحجب الام من الثلث
الى السدس الا ثلاثة اخوة ذكورا اخذا بظاهر اللفظ واطلاق اللفظ يدل على ان الاخوة يردونها
من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب شيأ وعن ابن عباس انهم يأخذون السدس
الذي حجبوا عنه الام وقرا حمزة والكسائي في الوصل فلامه بكسر الهمزة فرارا من ضمة الى
كسرة لثقله في الموضعين والباقون بضمها وقوله تعالى من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق
بما تعلق به من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصبة للورثة من بعد وصية او وفاء دين وانما
عبر بأو دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين
ومفردين فان قيل لم قدمت الوصية في الذكر على الدين مع انها متاخرة في حكم الشرع عنه
اجيب بانها لما كانت شاقة على الورثة لكونها ماخوذة بلا عوض وهي مستحبة لكل مكلف
بخلاف الدين فانه لا يكون على كل مكلف فقدمت لذلك وقرا ابن كثير وابن عامر وشعبة
يوصى بفتح الصاد ورفقهم حفص على فتح الصاد في الحرف الثاني والباقون بكسر الصاد فيهما وقوله
تعالى اباؤكم وابناؤكم مبتدا خبره لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم
وفروعكم في عاجلكم واجلكم فمنكم من يظن ان الاب انفع له فيكون الابن انفع له ومنكم من يظن ان الابن

انفع

انفع له فيكون الاب انفع له وانما العالم بذلك هو الله تعالى وقد دبر امركم على ما فيه المصلحة
فاتبعوه وقال ابن عباس الموعكم لله هذا الاباؤ والابناء ارفعكم درجة يوم القيامة والله يشفع
المومنين بعضهم في بعض فان كان الوالد ارفع درجة في الجنة رفع اليه ولده وان كان
الولد ارفع درجة من الاخر في الجنة سال الله ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته فريضة
اي ما قدر من المواريث فرض فريضة من الله ان الله كان عليما بامور عباده حكيما فيما
قضى وقدر اي لم يزل متصفا بذلك ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد ذكرا وغيره
منكم او من غيركم فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين
وولد الابن في ذلك كالولد اجماعا ولهن اي الزوجات نقدمن اولا الربع مما تركتم ان لم يكن
لكم ولد فان كان لكم ولد منهن او من غيرهن فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون
بها او دين وولد الابن كالولد في ذلك اجماعا فقد فرض للرجل بحق العقد الصحيح ضعف ما للمراة
مما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامراة واربتين اشتركا في الجهة والقرب من الميت ولا
يستثنى من ذلك الا ولاد الام والمعتق والمعتقة وان كان رجل اي الميت يورث اي منه
من ورث منه رجل وخبر كان كلالة او يورث خبر كان وكلالة حال من الضمير في يورث
واختلفوا في الكلالة فذهب اكثر الصحابة الى انها من لا ولد له ولا والد قال الشعبي سيل ابو
بكر رضي الله تعالى عنه عن الكلالة فقال اقول فيها برايي فان كان صوابا فمن الله وان
كان خطا فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه قال اني لاستحيي من الله ان ارد شيأ قاله ابو بكر وذهب طاوس ان الكلالة
من لا ولد له وهي احدى الروايتين عن ابن عباس واحد القولين عن عبد الله بن عمر وسال
رجل عقبة عن الكلالة فقال الا تعجبون من هذا سالني وما اعضل بامي بارسول الله
صلى الله عليه وسلم شي ما اعضلتهم الكلالة وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ثلاث لو
يكون النبي بينهن لنا احب الينا من الدنيا وما فيها الكلالة والخلافة وابواب الربا وقال
معدن ابي طلحة خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال اني لا ادع بعدي شيأ اهم
عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلالة
وما اغلظ لي في شي ما اغلظ فيه حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا يكفيك اية
الصيف التي في اخر النساء واني ان اعش اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرا القران ومن لا يقرا
القران وقوله الا يكفيك اية الصيف اراد ان الله تعالى انزل في الكلالة ايتين احداهما
في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والاخرى في الصيف وهي التي في اخرها وفيها من البيان

ما ليس في اية الشانية فلذلك احاله عليها وقوله تعالى وامرأة عطف على رجل اي او امراة توريث
كلالة وله اي الرجل اخ او اخت والنفي حكم الرجل عن حكم المراة لدلالة العطف على شركتهما
فيه ويجوز ان يعود الضمير على الموروث الكلالة فيشمل الرجل والمراة فلكل واحد منهما
السدس وقد اجمعوا ان المراد به الاخ والاخت من الام فان كانوا اي الاخت والاخوان
من الام اكثر من ذلك اي من واحد فهم شركاء في الثلث يستوي فيه ذكورهم واناثهم لان الادلاء
بمحض الانوثة من بعد وصية يوصي بها او دين وقوله تعالى غير مضار حال من ضمير يوصي
اي غير موخل الضرر على الورثة بان يوصي بالكثر من الثلث وعن قتادة كره الله الضرار في
الحياة وعند الممات ونهى وعن الحيف القضارة من الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه
الاقرار وقوله تعالى وصية من الله مصدر موكد ليوصيكم اي يوصيكم بذلك وصية كقوله
فريضة من الله والله عليم بما دبره لخلقه من الفرايض حليم بتاخير العقوبة عمن خالفه
تنبيه ختمت السنة توريث من ذكر ممن ليس فيه مانع من قتل او اختلاف دين او رق بتلك
اي الاحكام المذكورة في امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله اي شرايعه التي حدها
العباد ليعملوا بها ولا يتعدوها ومن يطع الله ورسوله فيما حكما به يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار وقوله تعالى خالدين فيها حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده اي الله يدخله
نارا وقوله تعالى خالدا فيها حال كما مر ولا يجوز ان يكون خالدين وخالدا صفتين لجنات ونارا
لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها
هذا على مذهب البصريين اما على مذهب الكوفيين فهو جايز عندهم عندا من اللبس كما هنا وهو
الراجح كما جرى عليه ابن مالك وغيره وله عذاب مهين اي ذو اهانة ومر وي في الضمايس
في الايتين لفظ من وفي خالدين معناها وقرا نافع وابن عامر ندخله جنات وندخله نارا بالنون
فيهما على الالتفات والباقون بالياء والاتي ياتين الفاحشة اي الزنا من نسايكم فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم اي من رجال المسلمين وهذا خطاب للحكام اي فاطلبوا عليهن اربعة من الشهود
وفيه بيان ان الزنا لا يثبت الا باربعة من الشهود فان شهدوا عليهن بها فامسكوهن اي احبسوهن
في البيوت واجعلوها سجنا لهن وامنعوهن من مخالطة الناس وقرا ورش وابو عمرو وحفص
بضم الباء والباقون بكسرها حتى يتوفاهن الموت اي ملايكته او الي ان يجعل الله لهن سبيلا
اي طريقا الى الخروج منها مروا بذلك اول الاسلام ثم جعل لهن سبيلا به بجلد البكر ماية وتغريبها
عاما ورجم المحصنة وفي الحديث لما بين الحد قال خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا

رواه

رواه مسلم والذان اي الزاني والزانية وقرا ابن كثير بتشديد النون والباقون بالتخفيف ياتيانها
اي فاحشة الزنا منكم اي الرجال فاذوهما باللسب والضرب بالنعال فان تابا اي منها واصلحا
اي العمل فاعرضوا عنهما ولا توذوهما ان الله كان توابا على من تاب رحيما به وهو علة
الامر بالاعراض وترك المذمة وهذا منسوخ بالحدود روي ابن مسعود عن ابي هريرة وزيد
ابن خالد الجهني انهما اخبرا ان رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما
يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله فقال الاخر وكان افقههما اجل يا رسول الله فاقض
بيننا بكتاب الله واذن لي ان اتكلم فقال ان ابني كان عسيفا على هذا فزنا بامراته فاخبروني
ان على ابني الرجم فافتديت منه بماية شاة وجارية ثم اني سالت اهل العلم فاخبروني
انما على ابني جلد ماية وتغريب سنة وانما الرجم على امراته فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لاقضين بينكما بكتاب الله اما غنمك وجاريتك فرد عليك وجلد ابنه
ماية وغربه عاما اي لانه كان غير محصن وامر انيسا الاسلمي ان ياتي امراة الاخر فان اعترفت
رجمها فاعترفت فرجمها وروي ابن عباس عن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال ان الله بعث محمدا
بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل الله اية الرجم فقرانا ها وعقلناها ووعيناها رجم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قايل والله ما نجد
اية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله والرجم في كتاب الله حق على
من زنا اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البينة او الاعتراف وجملة حد الزنا ان الزاني
اذا كان محصنا وهو الذي اجتمع فيه اربعة اوصاف العقل والبلوغ والحرية والاصابة بالنكاح
الصحيح فحده الرجم سلما كان او ذميا وعند ابي حنيفة ان الاسلام من شرايط الاحصان فلا
يرجم عنده الذمي ويرده ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم يهوديين زنيا
وكانا قد احصنا وان كان الزاني غير محصن بان يجتمع فيه هذه الاوصاف نظر ان كان غير
بالغ او مجنونا فلا حد عليه وان كان حرا عاقلا بالغا غير انه لم يصب بنكاح صحيح فعليه جلد
ماية وتغريب عام وان كان رقيقا فعليه جلد خمسين وتغريب نصف عام وحكم الزوج مثل
الزنا اللواط عند الشافعي رضي الله تعالى عنه لكن المفعول به لا يرجم عليه وان كان محصنا بل يجلد
ويغرب وقيل نزلت اية واللاتي ياتين الفاحشة في الساحقات واية واللذان ياتيانها منكم في
اللواطين انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله تفضلا منه بمقتضى وعده
لانه تعالى وعد بقبول التوبة فاذا وعد شيا لابد ان ينجز وعده لان الخلف في وعده محال
وتعالى محال للذين يعملون السوء اي المعصية وقوله تعالى بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء

جاهلين اي سفها فان اتيانه بالذنب مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل
وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع اي يخرج من جهالته وقال قتادة اجمع
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصي به الله فهو جهالة عمد كان او لم يكن
وكل من عصى الله فهو جاهل ثم يتوبون من قريب اي قبل ان يغرغوا لقوله تعالى
حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
رواه الترمذي وحسنه وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال
حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق بني ادم ما دام ارواحهم في اجسادهم فقال الله وعزتي
وجلالي لا اغلق عليه بابا بالتوبة ما لم يغرغر والغرغرة تزيد الروح في الحلق تشبيها بمني
من في قوله من قريب للتبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمح ما بين وجود
المعصية وبين حضوره الموت زمانا قريبا لان اهل الحياة قريب لقوله تعالى متاع قليل
فاي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد فاولئك يتوب
الله عليهم اي يقبل توبتهم فان قيل ما فايدة ذلك بعد قوله تعالى انما التوبة على الله اجيب
بان ذلك وعد بالوفا بما وعد به وكتبه على نفسه كما يعد العبد الوفا بما عليه وكان الله
عليما بخلقه حكيما في صنعه بهم وليست التوبة للذين يعملون السيات اي الذنوب حتى
اذا حضر احدهم الموت اي اخذ في النزع قال عند مشاهدة ما هو فيه اني تبت الان
حين لا تقبل من كافر ايمان ولا من عاص توبة قال تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
باسنا ولذلك لم ينفع ايمان فرعون حين ادركه الغرق ولا الذين يموتون وهم كفار اي
اذا تابوا في الاخرة عند معاينة العذاب لا ينفعهم ذلك ولا تقبل توبتهم فسوى سبحانه
وتعالى بين الذين سوفوا التوبتهم الى حضور الموت ملجاوزته كل منهما او ان التكفير الاتي
وقوله تعالى اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما اي مولما تاكيد لعدم قبول توبتهم وبيان
ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء الا عند ارادة التهيئة من العقاب وهو الدة
وقيل اصله اعددنا ابدلت الدال الاولى تاء ياايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء اي
ذاتهن كرها نزلت في اهل المدينة كانوا في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا مات الرجل
وله امراة وللرجل عصبة والقى ثوبه على امراة الميت او على خبائها صار احق بها من نفسها
ومن غيره ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها واذا شاء
عضلها وسماها من الازواج بضارها لتفتدي منه بما ورثت من الميت او يموتون هي فيرثها
فان ذهبت المراة الى اهلها قبل ان يلقى عليها عصبة الميت ثوبه فهي احق بنفسها وكانوا

على هذا

على هذا حتى توفي ابو قيس بن الاسلت الانصاري وترك امراته فقام ابن له من غيرها
فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدي منه
منه فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفي وورث نكاحي
ابنه فلا هو ينفق علي ولا يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اقعدي في بيتك حتى ياتي امر الله فانزل الله هذه الاية وقرا حمزة والكسائي بضم الكاف
والباقون بفتحها تاثما الكسائي وهما لغتان وقال الفراء الكره بالفتح ما اكره عليه وبالضم
المشقة وقوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف على ان ترثوا
اي لا تمنعوا ازواجكم عن نكاح غيركم بامساكهن ولا رغبة لكم فيهن ضرارا لتذهبوا ببعض
ما اتيتموهن من المهر وقيل هذا خطاب عام لاولياء الميت والصحيح كما قال البغوي
انه خطاب للازواج قال ابن عباس هذا في الرجل يكون له المراة وهو كاره صحبتها ولها
عليه مهر فيضارها لتفتدي وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عز وجل عن ذلك فال
الزمخشري والعضل الحبس والضيق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اشتقت رحمها به
فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالزنا والنشوز وسوء العشرة فحينئذ
يحل لكم اضرارهن لتفتدي منكم قال عطا كان الرجل اذا اصابت امراته فاحشة اخذ منها
ما ساق اليها واخرجها ففتح ذلك بالحدود وقرا ابن كثير وشعبة بفتح الباء المثناة تحت
والباقون بالكسر وقوله تعالى وعاشروهن بالمعروف قال الحسن رجع الى اول الكلام
يعني فان نشزن فلا تهجروهن وعاشروهن بالمعروف وهو النصفة في المبيت والنفقة
والاجمال في القول وقيل هو ان ينمنع لها مما تنتفع له فاذا كرهتموهن فاصبروا فعسى
ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اي فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين
واحمد وادنى الى الخير واحب ما هو ضد ذلك ولكن نظركم ما هو اصلح للدين وادنى الى
الخير فلعل ان يرزقكم الله منهن ولدا صالحا او يعطفكم الله عليهن وقد بينت الاية على
امساك المراة مع الكراهة لها وندبت على يمينين احدهما ان الانسان لا يعلم وجوه الصلاح
والثاني ان الانسان لا يكاد يجد محبوبا ليس فيه ما يكره فليصبر على ما يكره ما يجد هو
واشوا في هذا المعنى ومن لم يغض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو غضبان
ومن يتتبع جاهدا كل عثرة يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب وما كان الرجل اذا اطمحت
عينه الى استشراف امراة بهت بالتي تحته وربما ها بفاحشة حتى يلتجيها الى الافتدا منه بما
اعطاها ليعرفه الى تزوج غيرها نزل وان اردتم استبدال زوج مكان زوج اي اخذها

ترتوهن

بولها بان طلقتموها وقد اتيتم احداهن اي الزوجات قنطارا اي مالا كثيرا صداقا فلا تاخذوا
منه اي القنطار شيا وهو قوله تعالى اتاخذونه بهتانا اي ظلما واثما مبينا اي بينا حال اي اتاخذونه
باهتين واثمين وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا صدق
النساء فلو كان مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اصدق امراة من نسائه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت له
يا امير المومنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله تقول واتيتم احداهن قنطارا فقال عمر رضي
الله تعالى عنه كل احد اعلم من عمر ثم قال لا مما به تسمعوني يا قوله مثل هذا القول لا تنكرونه
على حتى ترد علي امراة ليست من اعلم النساء وقوله تعالى وكيف تاخذونه استفهام توبيخ
وانكار اي كيف تاخذونه باي وجه وقد افضى اي وصل بعضكم الى بعض بالجماع المعبر للمهر
وكنى الله تعالى عن الجماع بالافضاء وهو الوصول الى الشيء من غير واسطة تعليما لعباده لانه
مما يستحيى منه واخذ منكم ميثاقا اي عهدا غليظا اي تشديدا وهو ما اخذه الله للناس على
الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في
النساء فانكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وقد قيل صحبة عشر في يوما
قرابة فكيف بما جرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج ولما توفي ابو قيس وكان من
صالحي الانصار خطب ابنه قيس امراة ابيه وكان اهل الجاهلية ينكحون ازواج اباءهم
فقالت اني اعدك ولدا وانت من صالحي قومك ولكني ارسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنه
فاتته واخبرته بذلك فنزل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف استثناء منقطع
اريد به صفة ذات معينة وهي كونهن منكوحات الاباء وقيل ما مصدرية على ارادة
المفعول من المصدر وقوله تعالى الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي فكانه قيل
يستحقون العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والمعنى
لا تنكحوا حلايل اباءكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوه ولا يمكنكم ذلك والغرض المبالغة في
تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما تعلق بالمحال في التابيد في نحو قوله تعالى حتى يلج الجمل في
سم الخياط ومنقطع اتهى لكن ما قد سلف من فعلكم ذلك فانه معفو عنه وقوله تعالى انه كان
اي نكاحهن انه كان فاحشة علة للنهي اي انه فاحشة فكان مزيدة اي قبيحا عند الله ما رخص
فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروات من الجاهلية وغيرهم وكانت العرب تقول لولد الرجل
من امراة ابيه المقتي ويسمى به الرجل المذكور ايضا قال في القاموس نكاح المقت ان يتزوج امراة
ابيه بعده فالمقتي ذلك المتزوج او ولده اي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل هو فاحشة في

دين الله

دين الله بالفة في الفتح تثنيه ممقوتا في المروة ولا مزيد على ما يجمع القبيحين وسا
اي بئس سبيلا اي طريقا ذلك روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال مر بي خالي ومعه لوا
فقلت اين تذهب فقال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه
اتيته براسه واعلم ان اسباب التحريم الموبدة ثلاثة قرابة ورضاع ومصاهرة وضابط
المحرمات بالنسب والرضاع ان يقال حرم علينا القرابة الا من دخلت تحت ولد الصهوة
او ولد الخصولة وقد بدا الله بالنسب الاول وهو القرابة فقال حرمت عليكم امهاتكم اي
الفقد عليهن وكذلك يقدر في الباقي لان تحريم شرهما ومن تحريمهم لحم الخنزير وتحريم الكلية
والامهات جمع ام واصلها امهة قاله الجوهري وضابط الام هو كل من ولدتك فهي امك
حقيقة او ولدت من ولدك ذكرا كان او انثى كام الاب وان علت وام الام كذلك فهي امك
مجازا وان شئت قلت كل انثى ينتهي اليها نسبك وبناتكم جمع بنت وضابطها كل من ولدتها فهي
بنتك حقيقة او ولدت من ولدها ذكرا كان او انثى كبنت ابن وان نزلت وبنت بنت وان
نزلت فبنتك مجازا وان شئت قلت كل انثى ينتهي اليك نسبها وخرج بالبنت المخلوقة من زنا
الرجل فانها تحل له لانها اجنبية عنه بدليل منع الارث بالاجماع فلا تبعض الاحكام وحرم
على المراة ولدها من زنا بالاجماع كما اجمعوا على انه يرثها والفرق ان الابن كالعضو منها وانفصل
منها انسانا ولا كذلك النطفة التي خلقت منها البنت بالنسبة للاب واخواتكم جمع اخت وضابطها
وضابطها هو كل من ولدها ابواك او احداهما فهي اختك وعماتكم جمع عمة وضابطها هو
كل من هي اخت ذكر ولدك بلا واسطة فعمتك حقيقة او بواسطة كعمة ابيك فعمتك مجازا
وقد تكون العمة من جهة الام كاخت ابي الام وخالاتكم جمع خالة وضابطها هو كل من هي
اخت انثى ولدتك بلا واسطة فخالتك حقيقة او بواسطة كخالة امك فخالتك مجازا وقد
تكون الخالة من جهة الاب كاخت عم الاب وبنات الاخ وبنات الاخت من جميع الجهات
وبنات اولادهم وان سفلن ثم ثنى بالسبب الثاني وهو الرضاع فقال وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
وضابط امك من الرضاع هو كل من ارضعتك او ارضعت من ارضعتك او صاحب اللبن
او ارضعت من ولدك بواسطة او غيرها اولدت من ارضعتك بواسطة او غيرها صاحب لبنها
وهو الفحل بواسطة او غيرها فام رضاع واخواتكم من الرضاعة وضابط اخت الرضاع هو
كل من ارضعتها امك او ارتضعت بلبن الحك ابيك او ولدتها من ارضعتك او ولدها الفحل
ويلحق بذلك السنة باقي السبع لخبر الصحيحين يحرم من الرضاع ما يحرم من الولادة وفي
رواية حرموا من الرضاعة ما يحرم من النسب وضابط بنت الرضاع كل انثى ارتضعت لبنك

نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخ
صح صح

اولين من ولدتك بواسطة او غيرها او ارتضعتها امراة ولدتها بواسطة او غيرها وكذا هم
بناتها من نسب او رضاع وان سفلت وضابط حرمة الرضاع هو كل اخت للمرضعة او اخت
انثى ولدت المرضعة بواسطة او غيرها من نسب او رضاع وضابط بنات الاخوة وبنات
الاخوات من الرضاع كل انثى من بنات اولاد المرضعة والفحل من الرضاع والب وكذا كل من
ارضعتها امك او ارتضعت بلبن اخيك وبناتها وبنات اولادها من نسب او رضاع وانما
تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون قبل استكمال المولود حولين لقوله تعالى
والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين ولقوله صلى الله عليه وسلم لا يحرم من الرضاع
الا ما فتق الامعاء وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لا رضاع الا ما انشز العظم وانبت
اللحم وانما يكون هذا في حال الصغر وعند ابي حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله
تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهي عند الاكثر في اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع
واقل مدة الحمل ستة اشهر وابتداء الحولين من تمام انفصاله والشرط الثاني ان يوجد خمس
رضعات متفرقات لما روي عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت فيما انزل الله
في القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي فيما يقرأ من القرآن اي يتلى وهذا يبلغه نسخت فقد
نسخت تلاوته وبقي حكمه وهذا ما ذهب اليه الشافعي وذهب اكثر اهل العلم الى
ان قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب واليه
ذهب سفيان الثوري ومالك والاوزاعي وعبد الله بن المبارك وابو حنيفة ويقوي
الاول قوله صلى الله عليه وسلم المصة من الرضاع والمصتان ثم ثلث بالسبب الثالث وهو
النكاح فقال وامهات نسائكم اي بواسطة او بغيرها من نسب او رضاع سواء دخل بزوجاتهن
ام لا طلاق الاية وربائبكم جمع ربيبة وهي بنت الزوجة من غيره وسميت ربيبة لانه
يربيها كما يربي ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه وسميت بذلك وان لم يربها وقوله تعالى
اللاتي في حجوركم اي تربيونها صفة موافقة للغالب فلا مفهوم لها من نسائكم اللاتي دخلتم
بهن اي جامعتموهن سواء كان ذلك بعقد صحيح ام فاسد لا طلاق الاية فان لم تكونوا دخلتم
بهن فلا جناح عليكم اي في نكاح بناتهن اذا فارقتموهن فان قيل لم اعيد الوصف
الى الجملة الثانية ولم يعد الى الجملة الاولى وهي وامهات نسائكم مع ان الصفات عقب الجمل
تعود الى الجميع اجيب بان نسائكم الثاني مجرور بحرف الجر ونسائكم الاول مجرور بالاضافة
واذا اختلفا العامل لم يجز الاتباع وتعين القطع واعترض بان المعمول للجر وهو واحد

نتيجة

تتبيه قضية كلام الشيخ ابي حامد وغيره انه يتبين في الدخول ان يقع في حيات
الام فلو ماتت قبل الدخول ووطيها بعد موتها لم تحرم بنتها لان ذلك لا يسمى دخولا وان
تردد فيه الروياني فان قيل لم يتبين الدخول في تحريم اصول البنت وتبين في تحريمها
الدخول اجيب بان الرجل يبتلى عادة بمقدمة امها عقب العقد لئلا تتيبت امورها
فحرمت بالعقد ليسهل ذلك عليه بخلاف بنتها واستدخال الماء المحترم يثبت المصاهرة
كالوطي وتحرم البنت المنفية باللعان وان لم يوطئ بامها لانها لم تنتف عنه قطعا وحلائل
ابنائكم احداهما جليلة والذكر حليل سميا بذلك لان كل واحد منهما يحل ازار
صاحبه من الحل وهو ضد العقد وقوله تعالى الذين من اصلابكم احتراز عن حليلة
المتبني فانها لا تحرم على الرجل الذي تبناه فان النبي صلى الله عليه وسلم تزوج امراة زيد
ابن حارثة وكان تبناه صلى الله عليه وسلم لا عن حليلة ولده من الرضاع فانها تحرم عليه
ولا عن حلائل ابنا الولد وان سفلوا تنبيه كل امراة تحرم عليك بعقد النكاح تحرم بالوطي
في ملك اليمين والوطي بشبهة النكاح فاذا وطئ امراة بشبهة او جارية بملك اليمين حرم على
الواطي امها وبنتها وتحرم الموطوءة على ابي الواطي وابنه ولو زنا بامراة لم تحرم امها ولا بنتها
على الزاني ولا تحرم الزانية على ابي الزاني وابنه كما قاله ابن عباس واليه ذهب مالك
والشافعي وذهب قوم الى التحريم يروى ذلك عن عمران بن حصين وابي هريرة وهو قول
اصحاب الراي وهل المباشرة بشهوة كلمس وقبلة كالوطي في تحريم الربيبة فيه قولان اصحهما
وهو الاصح من مذهب الشافعي لا لان ذلك لا يوجب العدة فكذا لا يوجب الحرمة
والثاني نعم لان ذلك كالوطي بجامع التلذذ بالمراة ولانه استمتاع يوجب الفدية على
المحرم فكان كالوطي وبهذا قال جمهور العلماء ثم ذكر سبحانه وتعالى تحريم الجمع بقوله تعالى
وان تجمعوا بين الاختين ايما لا يجوز للرجل ان يجمع بين اختين في نكاح سواء كانتا
من نسب او رضاع سواء انكحهما معا ام مرتبا فاذا نكح امراة ثم طلقها بائنا جاز له
نكاح اختها وخرج بالجمع في النكاح الجمع بملك اليمين فانه جائز له تخلل لكنه لا يجوز
ان يجمع بينهما في الوطي فاذا وطئ احداهما لم يحل له وطي الاخرى حتى يحرم الاولى على نفسه
ويلحق بالاختين بالسنة الجمع بين المراة وعمتها او خالتها من نسب او رضاع ولو بواسطة
فقد صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا العمة على بنت اخيها ولا المراة على خالتها
ولا الخالة على بنت اختها لا الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى رواه الترمذي
وغيره وصححوه وما فيه من قطيعة الرحم وان رضيت بذلك فان الطبع ينفر والله

اشار صلى الله عليه وسلم في خبر النهي عن ذلك بقوله انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم ارحامكم رواه ابن حبان وغيره وضابط المحرم الجمع بينهما في نكاح او وطء بملك اليمين وقوله تعالى الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى وهو المؤاخذة فكانه قال تعالى تؤاخذون بذلك الا ما قد سلف قبل النهي فلا تؤاخذ وا به او تنقطع اي لكن ما سلف من نكاح بعض ما ذكر فانه مغفور لكم ويؤيد هذا قوله تعالى ان الله كان غفورا لما سلف منكم قبل النهي رحيما بكم في ذلك وقرا نافع وابن كثير وابن عامر من رواية ابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند السين والباقون بالادغام وحرمت المحصنات اي ذوات الازواج هذا ان تنكحوهن قبل مفارقة ازواجهن سواء كن حرائر ام لا مسلمات ام لا قال ابو سعيد الخدري نزلت في نساء هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال الا ما ملكت ايمانكم اي من الاماء بالسبي فلكم وطئهن وان كان لهن ازواج في دار الحرب بعد الاستبراء الآن السبي يرفع بينها وبين زوجها النكاح قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا غشيانهن وتحرجوا فانزل الله هذه الاية فابيدة قرا الكسائي جميع ما في القرآن بكسر الصاد الا هذا الحرف فانه فتح الصاد موافقة للجمع ووجه تسميتهن بذلك لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات بالكسر في غير هذه الاية وقوله تعالى كتاب الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة التي قبله وهو حرمت عليكم الى اخره اي هو كتب الله عليكم اي تحريم هؤلاء كتابا وقوله تعالى واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اذ قرئ بالبنا للفاعل كما قراه غير حفص وحمزة والكسائي واما هم فقرءوا بالبنا للمفعول عطفا على حرم ما وراء ذلكم اي سوى ما حرم عليكم من النساء ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا اي تطلبوا النساء باموالكم التي جعل الله لكم قياما في حالة كونكم محصنين اي متزوجين غير مسافحين اي زانين ليلا تضيعوا اموالكم وتنفقوها انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول

للفاجرة

للفاجرة سافحيني وما ذينبي من المذي والاموال المهور وما يخرج من المناكح تنبيه يجوز ان مفعول تبتغوا مقدرا وهو النساء كما قدرته لك قال الزمخشري والاجود ان لا تقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان تبتغوا بدلا مما وراء ذلكم بدل اشتمال لان البدل منه ذات والبدل معنى والذات مشتملة عليه فما اي فمن استمتعتم اي تمتعتم به منهن اي ممن تزوجتم بالوطي فاتوهن اجورهن اي مهورهن فان المهر في مقابلة الاستمتاع وقوله تعالى فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم انتم وهن به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضي او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله صلى الله عليه وسلم ثم نسخت كان الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم امسك يقول ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان حرم ذلك الى يوم القيامة وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال لا اوتي برجل تزوج بامراة الى اجل الا رجمتها بالحجارة وعن ابن عباس انه قال هي محكمة اي لم تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقيل انها ابيحت مرتين وحرمت مرتين ان الله كان عليما بخلقه حكيما فيما دبره لهم ومن لم يستطع منكم طولا اي غنى واصل الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة فضل وقد طال طولا فهو طايل قال القايل لقد زادني حبا لنفسي انني بغيض الي كل امري غير طايل ومنه قولهم هذا امر ما تحته طايل اي شي يعتد به ماله فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة ان ينكح المحصنات اي الحراير وقوله تعالى المومنات جري على الغالب فلا مفهوم له فان الحراير الكتابيات كذلك فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات اي ايمانكم المومنات اي ومن لم يقدر على مهر الحرة المومنة اي او الكتابية كما مر فليتزوج الامة المومنة وظاهر الاية حجة الشافعي رضي الله تعالى عنه في تحريم نكاح الامة على من يملك ما يحمله صواق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واجاز ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطي وحمل قوله من فتياتكم المومنات على

على الافضل كما حمل عليه قوله المحصنات المومنات ومنا صحابنا ايضا من حمله
على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية دون المومنة حذرا من
مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رق الولد ولانها متهنة مبتذلة
خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى التاكح ومهانة والعزة من صفات المومنين
واما وطيها بملك اليمين فجايز باتفاق فايدة قوله تعالى فمن ما ملكتم من فتياتكم
من فتياتكم ما والله اعلم بايمانكم متفاضل ما بينكم وبين اقاربكم في الايمان وربما
فيهم ونبيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل في الايمان من الرجل
وحق المومنين ان لا يقيسوا الافضل الايمان لافضل الاحسان والاتقان وهذا تانيس
بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه فانه العالم بالسرايز بعضكم من بعض اي انتم واماؤكم
سواء في النسب والدين نسبكم من ادم ودينكم الاسلام فلا تستنكفوا من نكاحهن فانكحوهن
باذن اهلهن اي موالیهن واتوهن اجورهن اي ادوا الیهن مهورهن باذنهن اهلهن
فحذف باذن لتقدم ذكره واداوا الى موالیهن فحذف للعلم بان المهر للسيد لانه
عوض رقه فيجب ان يودى اليه وقال مالك المهر للامة ذاهبا الى ظاهر الاية بالمعروف
اي من غير مطل ولا ضرار وقوله تعالى محصنات اي عفيفات حال من ضمير فانكحوهن وهو
محمول على الندب بنا على المشهور من جواز نكاح الزواني غير مسافحات اي زانيات
جهرا ولا متخذات اخدان اي اخلاء يزنون بهن سرا جمع خدن وهو الصديق
في السر وقيل وقيل المسافحة اللاتي يزنين مع اي رجل وذوات الاخدان اللاتي يزنين
مع معين وذلك بحسب ما كان في الجاهلية فاذا احصن قراءة حمزة والكسايي
احصن بفتح الهمزة والصاد بانيا للفاعل اي تزوجن والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد
على البناء للمفعول تزوجت فان اتين بفاحشة اي زنا فعليهن نصف ما على المحصنات
الحرائر الابكار اذا زنين من العذاب اي الحد فيجلدن خمسين ويغرب نصف سنة ويقايس
عليهن العبيد فان قيل ما فايدة وجوب تنصيف الحد عليهن بتقييده بتزوجهن اذ
تنصيف العذاب لازم للامة الزانية تزوجت ام لا اجيب بان فايدة ذلك بيان انه
لا رجم عليهن اصلا وبانه انما ذكر لبيان جواب سوال اذ الصحابة رضي الله تعالى عنهم
عرفوا مقدار حد الامة قبل التزوج دون مقداره بعده فسالوا عنه النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت الاية وذهب بعضهم الى انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنا اخذا بظاهر
الاية وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا

يثرب

165

يثرب عليها ثم ان عادت فليجلدها الحد ولا يثرب عليها فان زنت الثالثة فتبين
زناها فليبعها ولو بحبل من شعر ذلك اي نكاح الاماء عند عدم الطول لمن خشي
اي خاف العنت اي الزنا واصله المشقة سمي به الزنا لانه سببها بالحد في الدنيا والعقوبة
في الاخرى منكم ايها الاحرار بخلاف من لم يخافه اما العبيد فيجوز لهم نكاح الاماء
مطلقا لكن ان كان العبد مسلما فلا بد ان تكون الامة مسلمة وان تصبروا عن نكاح الاماء
متعففين خير لكم ليلا يصير الولد رقيقا وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحراير صلاح البيت
والاماء هلاك البيت والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان وسع له في ذلك يريد الله ليبين لكم
شرايع دينكم ومصالح امورکم ويهديكم سنن اي يوشدكم شرايع الذين من قبلكم من الانبيا
في التحريم والتحليل فتتبعوهم ويتوب عليكم اي ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم
والله عليم بكم حكيم فيما دبره لكم والله يريد ان يتوب عليكم ان وقع منكم تقصير في دينه
ويريد الذين يتبعون الشهوات قال السدي هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المجوس
لانهم يبيحون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت فلما حرمت الله قالوا فانكم تحلون
بنات الخال والعم والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت وقال مجا هد
هم الزناة ان تميلوا اي تعدلوا عن الحق ميلا عظيما بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم
يريد الله ان يخفف عنكم اي بسهل عليكم احكام الشرع وقد سهل كما قال تعالى ويضع عنهم اصرهم
وقال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات
وعلى شاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد قط الا اتاه من قبل
النساء فقد اتى علي ثمانون سنة وذهبت احدى عيني وانا اعشو بالاخرى واذا خوف
ما اخاف علي فتنة النساء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثمان ايات في سورة النساء
خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم
يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة
والغصب والقمار والربا وقوله تعالى الا ان تكون تجارة استثناء منقطع اي لكن ان تقع تجارة على
مراة الرفع وهي قراة غير عاصم وحمزة والكسايي واما هو لا فقراوا بالنصب على كان الناقصة
واضمار الاسم اي الا ان تكون الاموال تجارة عن تراض منكم اي فلكم ان تاكلوها ولا تقتلوا انفسكم
اي بارتكاب ما يودي الى هلاكها في الدنيا والاخرة وقال الحسن لا يقتل بعضكم بعضا

ت

او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من قتل نفسه بشيء في الدنيا عذب به يوم القيامة وروي ان الله تعالى يقول بادرني عبدي
بنفسه حرمت عليه الجنة وعن عمرو بن العاص انه تاول في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه
صلى الله عليه وسلم ان الله كان بكم رحيما يا امة محمد رحيما حيث امر بني اسرائيل بقتل الانفس
ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اي ما نهي عنه ومن قتل النفس وغيره من المحرمات وقوله تعالى
عدوانا وظلما اي تجاوزا للحلال وقوله تعالى وظلما تاكيد وقيل اراد بالعدوان التعدي
على الغير وبالظلم ظلم الشخص نفسه بتعريضها للعقاب فسوف نصليه اي ندخله نارا يحترق
فيها وكان ذلك على الله يسيرا اي هينا لا عسر عليه فيه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اي كل
منها وفسر جماعة الكبيرة بانها ما الحق صاحبها وعيد شديد بنص كتاب او سنة وقال
جماعة هي المعصية الموجبة للحد والاول اولى لانهم عدوا الربا واكل مال اليتيم وشهادة الزور
ونحوها من الكبائر ولا حد فيها وقال الامام هي كل جريمة تؤذن اي تعلم بقلة اكتراث مرتكبها بالدين
وقال سفيان الثوري الكبائر ملكان بينك وبين العباد والصغائر ملكان بينك وبين الله
واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان
الله قد عفى عنكم جميعا المومنين والمومنات ناهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وهي اشياء
كثيرة قال ابن عباس هي الى السبعين اقرب وقال سعيد بن جبير هي الى السبعمائة اقرب وهي باعتبار
اصناف انواعها ان تكفر عنكم سيئاتكم اي الصغائر وهي ما عدا الكبائر اي تكفر بفعل الطاعات
كالصلاة والصوم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت
الكبائر ولا باس بذكر شيء من النوعين غير ان الاول تقديم الصلاة اوتاخير هما عند وقتهما بلا عذر
ومنع الزكاة وترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع القدرة ونسيان القرآن والياس
من رحمة الله والامن من مكره تعالى والقتل عمدا او شبه عمد والفرار من الزحف واكل الربا واكل
مال اليتيم والافطار في رمضان من عذر وعقوق الوالدين والزنا واللواط وشهادة الزور
وشرب الخمر وان قل والسرقة والغصب وقيده جماعة بما يبلغ اربع مثاقيل كما يقطع به في السرقة
وكتمان الشهادة بلا عذر وضرب المسلم بغير حق وقطع الرحم والكذب على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسب الصحابة واخذ الرشوة والنميمة واما الغيبة فان كانت في اهل العلم او حملة القرآن فهي
من الكبائر والا فهي صغيرة ومن الصغائر النظر المحرم وكذب لا حد فيه ولا ضرر والاشراف على
بيوت الناس وهجر المسلم فوق ثلاث وكثرة الخصومات الا ان راعى حق الشرع فيها والضحك

في الصلاة

في الصلاة والمباحة وشق الجيب في المصيبة والتبختر في المشي والجلوس بين الناس اينما
لهم واد حال المجانين وصبيان وبجاسة يغلب تنجيههم المسجد واستعمال نجاسة في بدن او ثوب
لغير حاجة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الصغيرة مع الاصرار والكبيرة مع الاستغفار
وقيل الكبائر الشرك وما عداه من الصغائر وقال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وندخلهم مدخلا قرا نافع بفتح الميم اي موضعا كريما اي حسنا وهو الجنة
وقرا الباقون بضمها على المصدر بمعنى الادخال مع الكرامة ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض من جهة الدنيا والدين كيلا يودي الى التحاسد والتباغض لان ذلك التفضيل
قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له فربما بسط
في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل احد ان يرضى بما قسم
له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه
على حظه قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله ان الرجال يغزون ولا نغزو ولهم ضعف ما لنا
من الميراث فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا واخذنا من الميراث مثل ما اخذوا فانزلت هذه الاية
وقيل لما جعل الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين في الميراث قالت النساء احرج الى الزيادة
من الرجال لانا ضعفاؤهم اقوياء واقدر في طلب المعاش منا فنزلت وقال قتادة والسدي
لما انزل الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين قال الرجال انا لنرجوا ان نفضل على النساء جانا
في الاخرة فيكون اجرنا على الضعف من اجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث فانزل الله تعالى
للرجال نصيب اي ثواب مما اكتسبوا اي بسبب ما عملوا من الجهاد وغيره وللنساء نصيب مما
اكتسبن اي من حفظ فروجهن وطاعة الله وطاعة ازواجهن فالرجال والنساء في الاجر في الاخرة
سواء وذلك ان لكل حسنة تكون بعشر امثالها يستوي في ذلك الرجال والنساء وفضل الرجال على النساء
انما هو في الدنيا واسالوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسالوا الله ما احتجتم اليه تعطكم
من خزائنه التي لا تنفد فيها الله تعالى عن التمني لما فيه من دواعي الحسد والحسد ان يتمنى الشخص
زوال النعمة عن صاحبها سواء اتمناها لنفسه ام لا وهو حرام والغبطة ان يتمنى لنفسه المثل
وهو جايز قال صلى الله عليه وسلم لا حسد اي لا غبطة الا في اثنين الحديث ان الله كان بكل شيء
عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان ولكل من الرجال والنساء جعلنا موالي
اي عصبة يعطون مما ترك الوالدان والاقربون لهم من المال فالوالدان والاقربون هم الموروثون
وقيل معناه ولكل جعلنا موالي اي ورثة مما ترك اي من الذين تركهم فتكون ما بمعنى من كما
فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون اي هم الوالدان والاقربون فعلى هذا القول الوالدان والاقربو

هم الوارثون والذين عاقدت ايمانكم والمعاقدة المعاهدة والمحالفة والايمان جمع يمين بمعنى القسم او اليد وذلك انهم كانوا عند المحالفة ياخذ بعضهم بيد بعض على الوفاء والتمسك بالعهد ومحالفتهم ان الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب بك وتفقل عني واعقل عنك فتكون للحليف السدس من مال الحليف وكان ذلك ثابتا في ابتداء الاسلام فذلك قوله تعالى فاتوهم نصيبهم اي اعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ ذلك بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقال مجاهد اراد فاتوهم نصيبهم من النصر والرفد ولا ميراث وعلى هذا الاية غير منسوخة لقوله تعالى وفوا بالعقود وقوله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم فتح مكة لا حدث حلفا في الاسلام وما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة قال الزمخشري وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى الحالف اذا سلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده ويورث بحق الموالاة خلافا للشافعي رحمه الله تعالى انتهى وقرا غير عاصم وحمزة والكسائي عاقدت بالف بين العين والقاف واما هو فقرا الثلاثة فقراوا عقدت بغير الف بمعنى عقدت عقودهم ايمانكم فحذف المعهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراة الاولى ان الله كان على كل شي شهيدا اي مطلعا فاحفظوه الرجال قوامون على النسا اي يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين احدهما وهبي والاخر كسبي وقد ذكر الاول بقوله تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض اي بسبب تفضيل الرجال على النسا بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية والامامة الشعاير والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والانفراد بالفراق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمايم ثم ذكر الثاني بقوله تعالى وبما انفقوا من اموالهم في نكاحهن كالمهور والنفقة روي انه صلى الله عليه وسلم قال لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها وروي ان سعد بن الربيع احد نقبا الانصار نشزت عليه زوجته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اوطات كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص من الصالحات منهن قانتات اي مطيعات لازواجهن حافظات للغيب اي لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة ازواجهن من الفروج والبيوت والاموال وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء المراة اذا

تقرات

تظر اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها بما حفظ الله اي بما حفظهن حين اوصى بهن الازواج في كتابه وامر رسوله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة واللاتي تخافون اي تعلمون نشوزهن كما في قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا او اثما فاعظوهن اي خوفوهن كان يقول لزوجته اتق الله في الحق الواجب لي عليك واحذري العقوبة وبيني لها ان النشوز يسقط النفقة والقسم واهجروهن في المضاجع اي اعتزلوهن في الفراش واضربوهن وان لم يتكرر النشوز ان افاد الضرب والا فلا يضرب كما لا يضرب ضربا مبرحا ولا وجها ولا مهالك ومع ذلك فالاولى له العفو وخرج بالعلم بالنشوز ما اذا ظهرت امارته فقط اما بقول كان صارت تجيبه بكلام خشن بعد ان كان ليّنا واما بفعل كان يجد منها اعراضا وعبوسا بعد تلطف وطلاقة وجه فانه يعظها بلا هجر وبلا ضرب لعلها تبدي عذرا او تتوب بما وقع منها بغير عذر وخرج بالمضجع الهجر بالكلام فلا يجوز فوق ثلاثة ايام ويجوز فيها للخبر الصحيح لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث هذا ان قصد بهجرها ارداعها لحظ نفسه فان قصد به ردها عن المعصية واصلاح دينها فلا تحريم اذ النشوز حينيذ عذر شرعي والهجر له في الكلام جايز مطلقا ومنه هجره صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك وصاحبيه ونهيه الصحابة عن كلامهم فان اطعنكم اي فيما يراد منهن فلا تبغوا اي تطلبوا عليهن سبيلا اي طريقا الى ضربهن ظلما واعلموا ان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له رواه الطبراني وابن ماجة وغيرهما ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه ان بغيتم عليهن فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم وان خفتم اي علمتم شقاق اي خلاف بينهما اي بين المرء وزوجه وذكرهما بضمير هما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما وهو الرجال والنسا واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرايه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة اهل الدار او الفاعل كقولهم نهارك صايم فابعثوا اي ايها الحكام متى اشبه عليكم حالهما اليهما لكن يرضاها حكما من اهله اي اقاربه وحكما من اهلها اي اقاربها لينظرا في امرهما بعد اختلاط حكمه به وحكمها بمعرفة ما عند هما في ذلك ويصلحا بينهما ويفرقا ان عسر الاصلاح على ما ياتي فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح تنبيه بعث الحاكمين على سبيل الوجوب وكونهما من الاقارب على سبيل الندب وهما وكيلان لهما فاشترط رضاهما الاحكمان من جهته الحاكم لان الحاكم يوديه الى الفراق

والبضع حق الزوج والمال حق الزوجة وهما رشيدان فلا يولى عليهما في حقهما فيوكل هو حكمه
بطلاق او خلع وتوكل هي حكمها ببذل عوض قبول طلاق ويشترط فيهما اسلام وحرية وعدالة
واهتدا الى المقصود من بعثهما له وانما اشترط فيهما ذلك مع انهما وكيلان لتعلق وكالتهما بنظر الحاكم
كما في امينه ويسن كونهما ذكرين ولا يكفي حكم واحد ان يريدا اي الحكمان اصلاحا يوفق الله بينهما اي
الزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله
تعالى يوفقهما في وسائلهما واوقع الله بطيب انفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة
والتي في تقوبهما المودة والرحمة وقيل الضمير الاول للزوجين والثاني للحكمين اي ان يرد الزوجان
اصلاحا يوفق الله بين الحكمين اختلافهما حتى يعملا بالصلاح يوفق الله بينهما لتتفق
كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان اراد الاصلاح ونزوال الشقاق اوقع
الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتجراه اصلح الله حاله
مبتغاه فان لم يرضيا ببعثهما ولم يتفقا على شيء ادب الحاكم الظالم واستوفى للمظلوم حقه
ان الله كان عليما بكل شيء خبيرا بالبواطن كالظواهر فيعلم كيف يرفع الشقاق ويقع الوفاق
قال تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله
اي وحدوه والطيعوه ولا تشركوا به شيأ اي شيأ من الاشراك جليا كان او خفيا وعن معاذ
ابن جبل رضي الله تعالى عنه انه قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري
يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا
يشركوا به شيأ اتدري يا معاذ ما حق الناس على الله اذا فعلوا ذلك قلت الله ورسوله
اعلم قال فان حق الناس على الله ان لا يعذبهم قال قلت يا رسول الله الا ابشر الناس قال
دعهم يعملون واحسنوا بالوالدين احسانا اي برا ولين جانب وبذي القربى اي صاحب
القرابة واليتامى والمساكين ويدخل في المساكين الفقراء روي انه صلى الله عليه وسلم قال
انا وكافل اليتيم في الجنة وفي رواية من مسح راس يتيم ولم يمسحه الا الله كان له بكل شعرة
تمر عليها يده حسنات ومن احسن الى يتيمة او يتيم عنده كنت انا وهو في الجنة كهاتين
وقرن بين اصبعيه والجار ذي القربى اي القريب منك في النسب او الجوار والجار الجنب
اي البعيد عنك في النسب او الجوار روي عن عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت يا رسول
الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال لابي ذر لا تحقرن من المعروف شيأ ولو ان تلقى اخاك بوجه طلق واذا طبخت
مرقة فاكثر ماءها واغرف لجيرانك منها وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ما زال جبريل يوصيني

بالجار

بالجار حتى ظننت انه سيورثه والصاحب بالجنب اي الرفيق كما قاله ابن عباس ومجاهد
او المراة تكون معه الى جنبه كما قاله علي والنخعي او الذي يصحبك رجاء نفعك في تعلم علم
او حرفة او نحو ذلك كما قاله جريج وابن زيد وابن السبيل اي المسافر لانه يلازم السبل
اي الضيق كما عليه الاكثر وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليحسن الى جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه ومن كان
يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا وليصمت وفي رواية من كان يومن بالله واليوم
الاخر فليكرم جاره ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا وليصمت ومن
كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام
فما كان بعد ذلك فهو صدقة ولا يحل له ان يثوي عنده حتى يحرجه وما ملكت ايمانكم
اي من الارقاء من عبيد واماء روي انه صلى الله عليه وسلم قال هم اخوانكم جعلهم الله تحت
ايديكم فمن جعل الله اخاه تحت يده فليطعمه مما ياكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه
من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلبه فليعنه عليه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم كان
يقول في مرضه الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه ان الله
لا يحب من كان مختالا اي متكبرا على الناس من اقاربه واصحابه وجيرانه وغيرهم ولا
يلتفت اليهم فخورا اي يتفاخر عليهم بما اتاه الله روي انه صلى الله عليه وسلم قال بينا
رجل يتبختر في برديه وقد اعجبت نفسه خسف به الارض فهو يتجلجل فيها وفي رواية
لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء وقوله تعالى الذين يبخلون
اي بما يجب عليهم ويامرون الناس بالبخل بذلك ويكتمون ما آتاهم الله من فضله
من العلم والمال وهم اليهود بخلوا ببيان صفته صلى الله عليه وسلم وكتموها وكانوا يامرون
رجالا من الانصار ويخالطونهم فيقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر
ولا تدرون ما يكون وخبر المبتدا محذوف في تقديره لهم وعيد شديد ويجوز ان
يكون الذين بدلا من قوله من كان او منصوبا على الذم او مرفوعا عليه اي هم الذين
وقرا حمزة والكسائي بالبخل بفتح الباء والخاء والباقون بضم الباء وسكون الخاء واعتدنا للكافرين
بذلك وبغيره عذابا مهينا اي ذا اهانة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر اظهارا
بان من هذا شانه فهو كافر بالله لاحتمانه صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكافر نعمة الله
عليه وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يرى نعمته
على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذا قصره فتم به عنده فقال الرجل يا امير المومنين

فرق

يتة

ان الكريم يسره ان ترى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه
وقوله تعالى والذين ينفقون عطف على الذين قبله ينفقون اموالهم رياء الناس ليمدحوهم
لهم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر كالمنافقين وشتان بين ملكة المنفقين اموالهم في رضا
النبي صلى الله عليه وسلم ومن يكن الشيطان له قرينا اي صاحبا يعمل بامره كهؤلاء فساء
اي فبئس قرينا هو حين حملهم على البخل والرياء وكل شر وزينة لهم كقوله تعالى انا جعلنا
كانوا اخوان الشياطين والمراد بابليس واعوانه الداخلة في باطن الانسان والخارجة عنه
ويجوز ان يكون وعيدهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم
الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي اي ضرر عليهم في ذلك والاستفهام للانكار ولو مصدرية
اي ضرر فيه وانما الضرر فيما هم عليه وقوله تعالى وكان الله بهم عليما وعيد لهم اي بنياتهم
بما عملوا ان الله لا يظلم احدا مثقال اي وزن ذرة وهي اصغر نملة ويقال لكل جزء من اجزاء
الهباء في الكوة اي لا ينقص قدر ذلك من حسناته ولا يزيده في سيئاته كما قال تعالى
ان الله لا يظلم الناس شيأ وفي ذكر المثقال ايما الى انه وان صغر فذره عظيم جزاؤه وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة
منهن هو لا ذرة وان تك حسنة اي وان يكن المثقال حسنة يضاعفها اي تتوابها من عنده
الكثير من سماية وعن ابي عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة الف الوف حسنة
قال ابو هريرة لا جل سمعته يقول ان الله يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الاية وروي
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها
في الاخرة قال واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة
يعطى بها خيرا وفي رواية اذا خلص المؤمنون من النار وامنوا فما مجادلة احدكم لصاحبه
في الحق يكون له في الدنيا باشد مجادلة من المؤمنين لربهم في اخوانهم الذين ادخلوا النار
قال يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فادخلتهم
النار قال فيقول اذهبوا فاخرجوا من عرفتم منهم فيأتون فيعرفونهم بصورهم لا تأكل النار
صورهم فمنهم من اخذته النار الى انصاف ساقيه ومنهم من اخذته الى كعبيه فيخرجونهم
فيقولون ربنا قد اخرجنا من امرتنا قال ثم يقول اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من خير
كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة قال ابو سعيد فمن لم
يصدق فليقرأ هذه الاية ان الله الى اخره قال فيقولون ربنا قد اخرجنا فما امرتنا فلم يبق

احد في النار فيه خير ثم يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفعت الانبياء وشفع
المؤمنون ويبقى ارحم الراحمين قال فيقبض قبضة من النار او قال قبضتين ناسا
لم يعملوا خيرا قد احترقوا حتى صاروا حمما فيؤتى بهم الى ماء يقال له ماء الحياة فهم
فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل وهي بكسر الحاء المهملة وسكون الميم
حب قال فتخرج احسادهم مثل اللؤلؤ في اعناقهم الخواتم عتقاء الله فيقال لهم
ادخلوا الجنة فما تمنيتم او رأيتم من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا قد اعطيتنا ما لم نعط
احدا من العالمين قال فيقول الله تعالى فان لكم عندي افضل منه فيقولون ربنا وما
افضل من ذلك فيقول رضاي عنكم فلا اسخط عليكم ابدا فان قيل لم انث الضمير مع
انه راجع للمثقال وهو مذكر اجيب بانه انثه لتانيث الذرة او لاضافة المثقال الى ذرة
مؤنث وقيل ان الضمير راجع الى ذرة وهي مؤنثة لا الى مثقال وحذفت النون تشبيها
بحروف العلة وقرا نافع وابن كثير حسنة برفع التاء على كان التامة والباقون بنصبها
على كان الناقصة وقرا ابن كثير وابن عامر يضاعفها بتشديد العين والف قبلها
والباقون بتخفيف العين والف قبلها ويؤت اي ويعط صاحب الحسنة من لدنه من عنده
الله على سبيل التفضل زايدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما اي عطاء جزيلا وانما
سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه لا يثبت الا بثباته فكيف حال الكفار اذا جينا
من كل امة بشهيد يشهد عليها بعملها وهو نبيها لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم
وجينا بك يا محمد على هؤلاء الشهداء شهيدا اي شاهدا تشهد على صدقهم لعلمك بغايتهم
واستجماع شرعك على مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا
شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل الى الكافرين المستهزئين عن حالهم
وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجينا
بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبك يومئذ اي يوم المجيء
وهو يوم القيامة يود اي يتمنى الذين كفروا وعصوا الرسول لو اي ان تسوى بهم الارض
كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء وقال الطيبي يقول الله عز وجل
للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا كما قال تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم تسوى بضم التاء بالبناء للمفعول والباقون بالفتح بالبناء للفاعل
مع حذف احدى التاءين في الاصل وشد السين نافع وابن عامر وحفصها الباقون
ولا يكتمون الله حديثا اي عما عملوه لان جوارحهم تشهد عليهم وقال الحسن انها مواطن في

موطن لا يتكلمون ولا يسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون ما كنا
مشركين وما كنا نقول من سوء وفي موطن يسألون الرجعة واخر تلك المواطن ان يختم
على افواههم ويتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقال سعيد بن
جبير قال رجل لابن عباس اني اجد في القرآن اشياء تختلف علي قال فلا اذا لا تختلف عليك قال
قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقال واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
وقال تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال تعالى ءانتم اشد
خلقا ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحاها فذكر خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين الى طائعين فذكر في هذه الآية خلق الارض قبل خلق السماء
وقال تعالى وكان الله غفورا رحيما وقال وكان الله عزيزا حكيما فكانه كان ثم مضى فقال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة الاولى
قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب عند ذلك ولا يتساءلون
ثم في النفخة الثانية اقبل بعضهم على بعض يتساءلون واما قوله ما كنا مشركين ولا يكتمون
الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فقال المشركون تعالوا نقل لم نكن مشركين
فيختم على افواههم فتنطق ايديهم وارجلهم فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعند
يود الذين كفروا وتسوى بهم الارض وخلق الارض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى الى
السماء فسواهن في يومين اخرين ثم دحا الارض في يومين ودحيها ان اخرج منها الماء
والمرعى وخلق الجبال والاكام وما بينهما في يومين اخرين فقال خلق الارض في يومين
فخلقت الارض وما فيها من شيء في اربعة ايام وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا
اي لم يزل كذلك فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله يا ايها الذين امنوا لا تقربوا
الصلاة اي لا تقربوها ولا تقربوا اليها واجتنبوها وانتم سكارى من الشراب حتى تعلموا
ما تقولون اي بان تصحوا منه كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وروي ان
عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما سكروا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم
ليصلي بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف لا هكذا الى آخر السورة فنزلت
فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد
ذهب عنهم السكر وعملوا ما يقولون ثم نزل تحريمها وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد
وقيل اراد بالسكر سكر النوم نهي عن الصلاة عند غلبة النوم قال صلى الله عليه وسلم اذا نعس

الاخرة

احدكم وهو

احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ينعس لعله
يذهب يستغفر فيسب نفسه وقوله تعالى ولا جنبا منصوب على الحال اي ولا تقربوا الصلاة
وانتم جنب يايلاج او اتراد يقال رجل جنب وامرأة جنب ورجال ونساء جنب لانه
يجري مجرى المصدر لانه مصدر بل هو اسم مصدر لانه لم يتوف حروف الفعل لان فعله
اجنب فمصدره اجنابا لا اجنبا واصل الجنابة البعد وسمي جنبا لانه يجتنب موضع
الصلاة او لمجانبته الناس وبعده منهم حتى يغتسل الا عابري سبيل اي مجتازي سبيل اي
طريق اي مسافرين حتى تغتسلوا اي فلكم ان تصلوا واستثنا لانه له حكما اخر ياتي ذكره
وفي هذا دليل على ان التيمم لا يرفع الحدث لانه غياه بقوله حتى تغتسلوا ومن فسر
الصلاة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه
قال الشافعي رضي الله تعالى عنه وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور الا اذا كان فيه الماء
او الطريق الى الماء وان كنتم مرضى اي مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد
او على سفر اي مسافرين وانتم جنب او محدثون او جاء احد منكم من الغائط اي احدث بخروج
الخارج من احد السبيلين والغائط المكان المطمئن من الارض تقضى فيه الحاجة سمي باسمه
الخارج للمجاورة او لاستتار الناقة احمزة والكسائي بفتح الزاءين اللام والميم والباقون بالف
واختلفوا في معنى اللمس والملامسة فقال قوم هما الثنا البشرتين سواء كان بجماع ام بغيره
وهو قول ابن مسعود وابن عمر الشعبي والنخعي وبه استدل الشافعي رضي الله تعالى عنه على
ان اللمس ينقض الوضوء وقال قوم هما المجامعة وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد
وقتادة كني باللمس عن الجماع لان باللمس يوصل الى الجماع فلم تجدوا ماء تطهرون به للصلاة
بعد الطلب لانه لا يسمى غير واجد الا بعد طلبه وهو راجع الى ما عدا المرضى فيتيمموا
اي بعد دخول الوقت صعيدا طيبا اي ترابا طاهرا اي طهورا اما المرضى فيتيمموا مع حضور
الماء لان وجوده بالنسبة اليهم كالعدم فامسحوا بوجوهكم وايديكم مع المرفقين منه
بغير تبعيض كما ثبت في الحديث وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان او غيره وان
كان صخرا لا تراب عليه لوضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهورا والى هذا ذهب
ابو حنيفة رحمه الله تعالى واجاب عن قوله تعالى في اية المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه اي بعضه وهو لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه فان من لا يتوا الغاية قال الزجاج
قولهم انها لا يتوا الغاية فيه نقص ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت براسي
من الوهن ومن الملوحة التراب الا معنى التبعيض قالوا والاذعان للحق احق من المراء والتيمم

من خصايص هذه الامة روي عن حذيفة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكة وجعلت
لنا الارض كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء وكان بدا التيمم ما اخبرت
عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس
ابا بكر فقالوا الا ترى ما صنعت عايشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس
وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على
فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس
معهم ماء فانبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي ولا
يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعلى فخذي فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين اصبح على غير ماء فانزل الله اية التيمم فقال سعيد بن حضير
وهو احد النقباء ما هي باول بركتكم يا ال ابي بكر فقالت عايشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه
فوجدنا العقد تحته وفي رواية انها استعارت من اسما قلادة فهلكت فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ناسا من اصحابه في طلبها فادركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء فلما اتوا
النبي صلى الله عليه وسلم شكوا ذلك اليه فنزلت فقال اسيد بن حضير جزاك الله خيرا
فوالله ما نزل بك امر قط الا جعل الله لك منه مخرجا وجعل للمسلمين فيه بركة وقوله تعالى
ان الله كان عفوا غفورا كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو
عن الخاطيين ويغفر لهم اقتضى ان يكون ميسرا غير معسر الم تر اي تنظر الى الذي اوتوا
نصيبا اي حظا يسيرا من الكتاب اي من علم التوراة وهم احبار اليهود يشترون اي يختارون
الضلالة على الهدى ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل اي تخطيون طريق
الحق لتكونوا مثلهم والله اعلم باعدايكم فيحكم بهم لتجتنبوهم ولا تشتمعوهم فانهم
اعداؤكم وكفى بالله وليا اي حافظا لكم وكفى بالله نصيرا اي مانعا لكم من كيدهم وقوله تعالى
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقولنا
والله اعلم باعدايكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا جمل توسطت بين البيان والمبين
على سبيل الاعتراض وبيان لاعدايكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم
من الذين هادوا كقوله تعالى ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا او خبر مبتدا

محذوف

محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون اي
يغيرون الكلم الذي انزل في التوراة من نعت محمد عن مواضعه التي وضع عليها بايا
عنها واثبات غيره فيها وفي المايدة من بعد مواضعه والمعنيان متقاربان قال
ابن عباس كانت اليهود يامرون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالونه عن الامر
فيخبرهم ويرى انهم ياخذون بقوله فاذا انصرفوا من عنده حرفوا كلامه ويقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم اذا امرهم بشيء سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع بمعنى
الدعاء اي لا سمعت بصمم او موت او بمعنى اسمع منا ولا نسمع منك او بمعنى اسمع غير مسمع
كلاما ترضاه ويقولون له راعنا يريدون به النسبة الى الرعونة وقد نهي عن خطابه
صلى الله عليه وسلم بها وهي كلمة سب بلغتهم ليا اي تحريفا بالسنتهم اي يحرفون
ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير نفاقا وطعنا اي
قدحا في الدين اي الاسلام ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا بدل وعصينا واسمع اي فقط
وانظرنا اي انظر الينا بدل راعنا لكان خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعود واصوب
ولكن لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته بكفرهم فلا يومنون الا قليلا اي ايمانا قليلا
لا يعبا به وهو الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم او الا نفر قليل
منهم كعبد الله بن سلام واصحابه يا ايها الذين اوتوا الكتاب يخاطب اليهود امنوا بما نزلنا
اي القران مصدقا لما معكم اي التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود
عبد الله بن صوريا وكعب بن اسد وقال يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون
ان الذي جيتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك وانصرفوا على الكفر فانزلت من قبل ان نطمس وجوها
اي نمحو اخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها على ادبارها اي فنجعلها
كالاقفاء ملمومة شعرها او تسلبها ابصارها في الدنيا او في الاخرة روي ان عبد الله بن سلام
لما سمع هذه الاية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله ويده على وجهه واسلم
وقال يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي في قفاي وكذلك كعب
الاحبار لما سمع هذه الاية اسلم في زمن عمر رضي الله تعالى عنه فقال يا رب امنت يا رب
اسلمت مخافة ان يصيبه وعيد هذه الاية فان قيل قد اوعدهم الله بالطمس اذ لم يومنوا ثم
لم يومنوا ولم يفعل بهم ذلك اجيب بان هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسخ في اليهود قبل
قيام الساعة او ان هذا كان وعيدا بشرط فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه رفع ذلك عن
الباقين وقيل اراد به في القيامة وقال مجاهد اراد بقوله نطمس وجوها اي نتكم في الضلالة

لله

ها

فيكون المراد طمس القلب والردع عن بصايرالهدى على ادبارها في الكفر والضلالة او تلعنهم
اي نمسخهم قردة وخنازير وكما لعنا اي مسخنا اصحاب السبت منهم قردة وخنازير وكان
امر الله اي قضاؤه مفعولا اي نافذا واقعا كائنا فيقع لا محالة ما أُوعِدتم به ان لم تومنوا ان
الله لا يغفر ان يشرك به اي لا يغفر الاشراك به قال ابن عمر فيّ الله تعالى عنهما لما نزل
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا
قالوا يا رسول الله والشرك فنزلت ولما اخبر ببدله اخبر بفضله فقال تعالى ويغفر ما دون
ذلك الامر الكبير العظيم من كل معصية سواء كانت صغيرة ام كبيرة سواء اتاب فاعلها ام لم
يتب هذا بقوله تعالى اعلاما بانه مختار لا يجب عليه شيء لمن شاء وقال الكلبي نزلت هذه الآية
في وحشي بن حرب واصحابه وذلك انه لما قتل حمزة وذهب الى مكة ندم هو واصحابه
وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على صنيعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام
الا انا سمعناك تقول وانت بمكة والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآيات وقد دعونا
مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله وزنينا فما لهؤلاء الآيات لا تبعناك فنزل
الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا الآيتين فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم
فلما قرأوا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزل ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف ان لا نكون
من اهل مشيته فنزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم فدخلوا في الا
ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما
اخبره قال ويحك غيّب وجهك عني فلحق وحشي بالشام فكان بها الى ان مات وهو
يشرك بالله فقد افترى اي ارتكب اثما عظيما اي كبيرا والافتراء يطلق على القول يطلق على
الفعل وكذا الاختلاق روي ان رجلا قال يا رسول الله ما الموجبات قال من مات لا يشرك
بالله شيأ دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيأ دخل النار وروي ابو ذر انه صلى الله
عليه وسلم قال ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة قلت وان زنا وان
سرق قال وان زنا وان سرق قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق على رغم انف ابي ذر
الم تر الى الذين يزكون انفسهم قال الحسن وقتادة نزلت في اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقال الكلبي نزلت في رجال من
اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما
نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار ويدخل في الآية

كل من زكى

كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله
الا اذا كان لغرض صحيح وطابق المواقع كقول سيدنا يوسف صلى الله عليه وسلم اجعلني
على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقوله صلى الله عليه وسلم اني امين في السماء امين في الارض
حين قالت المنافقون اعدل في القسمة اذ انا لم اد وصفه بخلاف ما وصفه به
ربه ولكن شتان بين من شهد الله له بالتزكية وبين من شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم
بل الله اي الذي له صفات الكمال يزكي من يشاء اي بما له من العلم التام والقدرة الشاملة
والحكمة البالغة واصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون اي ينقصون من اعمالهم
فتيلا اي قدر ما يكون من شق النواة قاله عكرمة عن ابن عباس فتيل اسم لما في شق النواة
والقطمير اسم للقشرة التي على النواة والنقير اسم للنقطة التي تكون على ظهر النواة وقيل
الفتيل من الفتل وهو ما يحصل بين الاصبعين من الوسخ عند الفتل ولما اخبر سبحانه
وتعالى ان التزكية انما هي اليه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم انظر متعجبا كيف يفترون اي
يتعمدون على الله الذي لا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء الكذب من غير خوف منهم لذلك وكفى
به اي بهذا الكذب اثما مبينا اي بينا وافتحا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يومنون بالجبت والطاغوت وهما صنمان بمكة لقريش وذلك ان كعب بن الاشرف خرج
في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقالوا هل مكة انتم
اهل الكتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فاسجدوا لالهتنا حتى
نطمئن اليكم ففعلوا ومنوا بايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا
ابليس فيما فعلوا ثم قالوا ابا سفيان لعلك لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون
لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد قال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان نحن نحر
البيت ونسقي الحجاج الماء ونقري الضيف ونفك العاني ونفعل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف
به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق دين ابائه وقطع الرحم وفارق الحرم ودينا القديم هو
ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر الى
الذين اوتوا نصيبا اي حظا من الكتاب وهم كعب بن الاشرف واصحابه يومنون بالجبت والطاغوت
اي الصنمين ويقولون للذين كفروا وهم ابو سفيان واصحابه هؤلاء اي انتم اهدى من الذين
امنوا وهم محمد واصحابه سبيلا اي اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله اي طردهم

وابعدهم من رحمته ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا اي مانعا يمنع العذاب عنه بشفاعة
او غيرها تنبيه في هو لا اهدى هذه تان من كلمتين الاولى مكسورة والثانية مفتوحة
قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بابدال الثانية يا خالصة والباقون بالتحقيق ام منقطعة
اي بل الهم نصيب اي حظ من الملك ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم شيء من الملك وجحد
لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير لهم ولو كان لهم نصيب منه فاذن اي فيتسبب عن
ذلك انهم لا يوتون الناس اي واحدا منهم نقيرا ومر ان النقرة في ظهر النواة وهو مثل في
القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك الدنيا واما ملك الله كقوله تعالى قل لو
انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذن لامسكتم خشية الانفاق وفي هذا مبالغة في شحهم
فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذ كانوا اذلاء فقراء ويصح ان يكون معنى
الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور
مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يوتون احدا مما يملكون شيئا ام اي بل يحسدون
الناس اي محمدا صلى الله عليه وسلم الذي جمع فضايل الناس الاولين والاخرين على ما اتاهم
الله من فضله من النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وكثرة النساء اي يتمنون زوال النعمة
ويقولون لو كان نبيا لاشتغل عن النساء فقد اتينا ال ابراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه
وسلم ومن ال ابراهيم موسى وداود وسليمان الكتاب اي ما انزل اليهم والحكمة اي النبوة
واتيناهم ملكا عظيما فلا بعد ان يوتيه الله مثل ما اتاهم فكان لداود تسع وتسعون
امراة وكان لسليمان الف وثلثماية حرة وسبعماية سرية وقيل المراد بالناس الناس جميعا
وقيل العرب وحسد وهم لان النبي الموعود منهم وقيل النبي واصحابه لان من حسد
على النبوة فكانما حسد الناس كلهم على كمالهم وبرئوهم فمنهم اي اليهود من امن به
اي بمحمد صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من صد اي اعرض عنه فلم يومن
به وكفى بجهنم سعيرا اي عذابا لمن لم يومن وقوله تعالى ان الذين كفروا باياتنا سوف
نصليهم اي ندخلهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت اي احترقت جلودهم بدلناهم
جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى روي ان هذه الاية قرئت عند عمر
رضي الله تعالى عنه فقال عمر للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ
عندي تفسيرها يبدل الله في ساعة ماية مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار سبعين الف مرة كلما انضجتهم قيل لهم عودوا فيعودون
كما كانوا فان قيل كيف تعذب جلودا لم تكن في الدنيا ولم تعصه اجيب بان المعاد انما هو للجلد الاول

وانما قال

وانما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها كما تقول صنعت من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني
هو الاول الا ان الصناعة والصفة تبدلتا روي ان ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة
ثلاثة ايام للراكب المسرع وروي ان ضرسه ونابه مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث
ليذوقوا العذاب اي ليتمادوا سوا شدته وقيل خلق لكل مكان ذلك الجلد جلد اخر والمعذب
في الحقيقة على كل حال هو النفس العاصية القايمة بالبدن لانها المدركة دونه ان الله كان
ولم يزل عزيزا اي لا يعجزه شيء حكيما في خلقه يعاقب على وفق حكمته والذين امنوا اي اقروا
بالايمان وعملوا الصالحات سندخلهم اي بوعد لا خلف فيه وبرهانه انهم التنفيس لهم بالسين
دون سوف كما في الكافر فانهم اقصر الام مدة وانهم اقصرهم اعمارا واخفهم لهم من دار الكدر
الى محل الصفا وانهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من اهل الموقف جنات اي
بساتين ووصفها بما يديم بهجتها ويعظم نزهتها ونزهتها فقال تجري من تحتها الانهار اي ان
ارضها في غاية الري كل موضع منها صالح لان يجري منه نهر ولما ذكر قيامها وما به دوامها
اتبعه بما تهواه النفوس من استمرار الاقامة بها فقال خالدين فيها ابدا وانما قوم تعالى
ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المومنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المومنين بالوقف
ولما وصف تعالى حسن الدار ذكر حسن الجار فقال لهم فيها ازواج مطهرة اي من الحيض والقذر
فان قيل المطرد في وصف جمع القلة لمن يعقل ان يكون بالالف والتا فيقال مطهرات اجيب
بانه عدل عن ذلك الى الوحدة لافهام انهن لشدة الموافقة في الطهر كذات واحدة وندخلهم
اي فيها ظلا اي عظيما واكده تعالى بقوله ظليلا اي متصلا لا فرج فيه منبسطا لا ضيق معه دايما لا تقبيه
الشمس يوما ما لا حر فيه ولا برد بل هو في غاية الاعتدال وهو ظل الجنة جعلنا الله تعالى ومن نحبنا
ونحبه من اهلها السابقين مع النبيين والصديقين وقوله تعالى ان الله يامركم ان تودوا الامانات
الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار
لما اغلق باب الكعبة وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ليدخلها فابى
وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى علي رضي الله تعالى عنه يده واخذ منه المفتاح
وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج ساله
العباس المفتاح ان يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله تعالى هذه الاية فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك وقال هاك
خالدة تالدة فيك من ذلك وقال له عثمان اكرهت واذيت ثم جيت ترفق فقال قد انزل الله في
شانك قرانا وقرا عليه الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فهبط جبريل

نان

واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا فلما مات عثمان رفعه الى
اخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في ايديهم الى اليوم والى يوم القيامة فالاية وان وردت
على سبب خاص فعمومها معتبر بقرينة الجمع واذا حكمتم بين الناس اي قضيتم بينهم تعتقد
عليه امركم او يرضي بحكمكم ان تحكموا بالعدل اي بالتسوية بان تامروا عنه وجب عليه حق باداية
الى هز هوله فان ذلك من اعظم الصالحات الموجبة لحسن المقيل في الظل الظليل اخرج م
الشيخان وغيرهما عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم
الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل الحديث وروي ان احب الناس الى الله تعالى يوم القيا
واقربهم منه مجلسا امام عادل وان ابغض الناس الى الله يوم القيامة واشدهم عذابا امام جائر ولما
اخبرهم بامره ارادهم رغبة بقوله ان الله نعما فيه ادغام ميم نعم في ما النكرة الموصوفة اي نعم
شيئا يعظكم به وهو تادية الامانة والحكم بالعدل وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسرها
الباقون واختلف كثيرا القراء قال لون وابو عمرو وشعبة ان الله كان اي ولم يزل ولا يزال سميعا
لكل ما يقال بصيرا بكل ما يفعل يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان وبدا بما هو العمدة وفي التحمل على
ذلك يقال اطيعوا الله اي فيما امركم به واطيعوا الرسول اي فيما بينه لكم واطيعوا اولي اي اصحاب
الامر اي الولاة منكم اي اذا امروكم بطاعة الله ورسوله سواء كان ذلك في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ام بعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية روي انه صلى الله عليه وسلم
قال السمع والطاعة على المرء فيما احب وكره مالم يؤمر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع
ولا طاعة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر رضي الله تعالى عنه اسمع واطع ولو لعبد حبشي
كان راسه زبيبة وروي انه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا
خمسكم وصوموا شهركم واد وا زكاة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة ربكم وقيل المراد
باولي الامر ابو بكر وعمر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر
وقال عطاء المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان لقبول قوله تعالى والسابقون
الاولون من المهاجر في والانصار والذين اتبعوهم باحسان روي انه صلى الله عليه وسلم قال اصل
اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح
وقيل المراد علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم فان تنازعتم اي اختلفتم في شيء فردوه الى الله اي كتابه والرسول اي سنته اي اكشفوا عليه منهما والرد الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما فان لم يوجد فيهما
الاجتهاد وقيل الرد الى الله والرسول ان يقول مالا يعلم الله ورسوله اعلم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم

الاخر

الاخر اي فان الايمان يوجب هذا ذلك اي الرد اليهما خير لكم من التنازع والقول بالراي واحسن تاويلا
اي من تاويلكم بالرد او عاقبة الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا اي وجدوا وهذه الحقيقة
او وقعوها في انفسهم بما انزل اليك اي القرآن وما انزل من قبلك اي التوراة او الانجيل
قال الاصبهاني ولا يشتمل اي الزعم في الاكثر الا في القول الذي لا حقيقة تحته يقال زعم
فلان اذا شك فيه فلم يعرف كذبه او صوته يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت اي
الباطل المعرق في البطلان وقيل هو كعب بن الاشرف روي عن ابن عباس ان بشرا المنافق
خاصم يهوديا فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل الى كعب بن
الاشرف فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق
ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق
وقال انطلق بنا الى عمر رضي الله تعالى عنه فاتيا عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا
الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضايه وزعم انه يخاصمه اليك فقال عمر للمنافق اكذلك
قال نعم فقال لهما عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنا
وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت هذه الاية وقال جبريل عليه
الصلاة والسلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت الفاروق
والطاغوت على هذا هو كعب بن الاشرف سمي بذلك لفرط طغيانه او لتشبيهه بالشيطان
اولان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه وقد امروا
ان يكفروا به اي بالشيطان كما في قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا ومعنى
الاية اذا قيل لهؤلاء المنافقين تعالوا اي ارجعوا عن التحاكم الى الطاغوت الى ما انزل الله في
كتابك وما قبله رايتهم اي ابصرتهم يصدون اي يعرضون عنك الى غيرك اي يبتغون حكما غيرك
ويريد الشيطان باراءتهم ذلك التحاكم
ان يضلهم اي المتحاكم اليه ضلالا بعيدا اي بحيث لا يمكنهم معه الرجوع الى الهدى ولما
ذكر ضلالهم بالارادة ورغبتهم في التحاكم الى الطاغوت ذكر فعلهم فيه في نقضهم عن التحاكم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واذا قيل لهم اي اي قايل كان وقراهما شم والكسائي
بضم القاف والباقون بالكسر وتقدم ذكر الادغام لابي عمرو تعالوا اي اقبلوا راجعين
الى حكم ربها دلجهل الى شرف العلم الى ما انزل الله اي الذي عنده كل شيء والى الرسول
اي الذي تجب طاعته لاجل مرسله مع انه افضل الرسل الذين هم اكمل الخلق رسالة رايت
المنافقين يصدون اي يعرضون عنك الى غيرك واكد ذلك بقوله صدودا اي هو اعلى طبقات
الصدود فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي عقوبة كقتل عمر رضي الله تعالى
عنه المنافق بما قدمت ايديهم اي من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ومن الكفر بغير

ذلك اي ايقدرون على الاعراض والفرار منها لا وثم الكلام ههنا وقوله تعالى ثم جاؤك
اي حين يصابون للاعتذار معطوف على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله ان
اي ما اردنا اي بالمحاكمة الى غيرك الا احسانا اي صلحا وتوفيقا اي تاليفا بين الخصمين
ولم يرد مخالفتك وقيل جاءوا صاحب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الا عمر الا ان
يحسن الى صاحبنا او يوفق بينه وبين خصمه بالتقريب في الحكم دون الحمل على مر الحق
اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من النفاق والبغض للاسلام واهله وان اجتهدوا
في اخفايه وكذبهم في حلفهم وعذرهم فاعرض عنهم اي عن عتابهم بالصفح لانهم اقل من
ان يحسب لهم حساب ولكن عظهم اي خوفهم الله القادر على استيصالهم وقل لهم في انفسهم
اي في شانها او طالبا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا اي موثرا فيهم اي ازجرهم ليرجعوا
عن كفرهم وقيل هذا منسوخ باية القتال ولما امر الله تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
وذم من حاكم الى غيره وهدده وختم تهديده بامر النبي صلى الله عليه وسلم بالاعراض عنه
والوعظ له فكان التقدير فما ارسلناك وغيرك من الرسل الا للترفق بالامة والصفح عنهم والدعا
لهم على غاية الجهد والنصيحة عطف عليه قوله وما ارسلنا من رسول الا ليطاع اي فيما يامر
به ويحكم لان منصبه الشريف مقتض لذلك باذن الله اي بارادته مع انه يطاع فلا يبقى
ويخالف ولو انهم اذ ظلموا انفسهم اي بالتحاكم الى الطاغوت او غيره جاؤك اي
تايبين فاستغفروا الله اي بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول اي اعتذروا اليه
حتى انتصب لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه لوجدوا الله توابا عليهم رحيما
بهم وقرا ابو عمرو بادغام الراي في اللام بخلاف عنه فلا وربك اي فورب ك ولا مزيدة لتاكيد القسم
لا يومنون اي يوجدون هذا الوصف ويجدونه حتى يحكموك اي يجعلوك حكما فيما شجر اي
اختلف واختلط بينهم من كلام بعضهم لبعض للتنازع حتى كانوا كاغصان الشجر في التداخل
والتضايق ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا اي نوعا من الضيق مما قضيت به عليهم ويسلموا
تسليما اي وينقادوا لذلك انقيادا بظواهرهم وبواطنهم وفي الصحيح ان الاية نزلت في الزبير
وخصم له من الانصار قد شهدوا بدرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال النبي صلى
الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري وقال يا رسول الله
ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى
يبلغ الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك وقيل نزلت في شر المنافق واليهودي اللذين
اختصما الى عمر ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم كما امرنا بني اسرايل او اقدوا بها للقتل

للجهاد

للجهاد وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة
بكسر النون في الوصل والباقون بالضم او اخرجوا من دياركم اي هي لا شباحكم كما شاء حكم
لا مرا حكم توبة لربكم ما فعلوه اي المكتوب عليهم اي انا ما كتبنا عليهم الا طاعة الله ورسوله
والرضي لحكمه ولو كتبنا عليهم القتل والخروج من الديار ما كان يفعله الا قليل منهم قال
الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الاية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا
فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من
الجبال الرواسي وقرا ابن عامر قليلا بالنصب على الاستثنا والباقون بالرفع على البدل
ولو انهم اي هولا المنافقين فعلوا ما يوعظون به من طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لكان
خيرا لهم في عاجلهم واجلهم مما اختاروه لانفسهم واشد تثبيتا اي تحقيقا لايمانهم واذن
اي لو ثبتوا لاتيناهم من لدنا اي من عندنا اجرا عظيما هو الجنة ولهديناهم صراطا مستقيما
يوصلون بسلوكه جنات القدس وتفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما
علم ورثه الله علم ما لم يعلم رواه ابو نعيم في حليته روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد
تغير لونه وخل جسمه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك
فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى
القاك ثم ذكرت الاخرة واخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين وان ان دخلت الجنة كنت في
منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فانزل الله تعالى ومن يطع الله اي في
امتثال اوامره والوقوف عند زواجره والرسول اي في كل ما اراده فان منصب الرسالة يقتضي
ذلك لا سيما من بلغ نهايتها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم اي معهم ومن حزبهم فهو حسبهم
اذا الراد زيارتهم او رويتهم وصل اليها بسهولة وقوله تعالى من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين بيان للذين حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام حسب منازلهم في العلم
والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبيا الفايزون بكمال العلم والتعمل
المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي
النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا
على الاشيا واخبروا عنها على ما هي عليه ثم الشهدا الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد
في اظهار الحق حيث بذلوا مهجهم في اعلا كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعة

واموالهم في مرضاته وحسن اي وما احسن اولئك اي العالون الاخلاق السابقون يوم السباق
رضقا من الرفق وهو لطف لين الجانب ولطافة الفعل وهو ما ينوي واحده ورفيقه اي رفقا
في الجنة بان يستمتع فيها برويتهم وزيارتهم والحضور معهم وان كان مقرهم في درجات
عالية بالنسبة الى غيرهم روي عن انس رضي الله تعالى عنه ان رجلا قال يا رسول الله الرجل يحب
قوما ولم يلحق بهم قال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وروي ايضا ان رجلا قال
يا رسول الله متى الساعة قال وما اعددت لها فلم يذكر كثيرا الا انه يحب الله ورسوله قال
فانت مع من احببت وقوله تعالى ذلك اي كونهم مع من ذكر مبتدا خبره الفضل من الله اي
تفضل بهم عليهم لانهم نالوه بطاعتهم وكفى بالله عليما اي بمن اطاعه وبمقادير الفضل
واستحقاق اهله روي ابو هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قاربوا
وسددوا واعلموا انه لا ينجو احد منكم بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني
الله برحمة منه وفضل يا ايها الذين امنوا اي اقروا بالايمان خذوا حذركم من عدوكم اي احترزوا
منه وتيقظوا له والحذر الحذر كالاثر الاثر فانفروا اي اخرجوا الى قتاله مسرعين ثبات اي جماعات
متفرقين سرية في اثر سرية جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة او انفروا جميعا اي
مجتمعين كتيبة واحدة قال البيضاوي والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب
المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم للخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم المومنين منهم والمنافقين لمن ليبطئن اي ليتاخرن وليثاقلن عن القتال وهم المنافقون
كعبد الله بن ابي المنافق واصحابه وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان في الجنسية والنسب وظاهر
الاسلام لا في حقيقة الايمان فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وغلطه قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا فاصاب ولئن لام قسم اصابكم
فضل اي فتح وظفر وغنيمة من الله الذي كل شيء بيده ليقولن نادما على ما فاته من الاغراض
من الدنيوية واكده تنبيها على فرط تحسره وقوله تعالى كان مخففة واسمها محذوف اي كانه
لم يكن بينكم وبينه مودة اي معرفة وصداقة تراجع الى قوله قد انعم الله علي اعترض به
بين القول ومقوله وهو يا للتنبيه ليتني كنت معهم فافوز اي بمشاركتهم في ذلك فوزا عظيما
اي اخذ حظا وافرا من الغنيمة وقرا ابن كثير وحفص يا التي تكتب على التاء تنبيه والباقون بالياء على
التذكير ولما بين ان محل حال القاعد عن الجهاد الدنيا علم ان قصد المجاهد الاخرة قال تعالى
فليقاتل في سبيل الله لاعلاء دينه الذين يشرون اي يبيعون برغبة الحياة الدنيا بالاخرة
وهم المومنون والمعنى ان يبيطا هو لاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون في طلب الاخرة ويشترون

اي ياخذوذ وهم المتبطون فيختارونها على الاخرة والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم وفي
هذا استعمال للمشترك في مدلوليه ومن يقاتل في سبيل الله لاعلاء دينه فيقتل اي يستشهد
او يغلب اي يظفر بعدوه فسوف نوتيه اجرا عظيما اي ثوابا جزيلا وانما وعد له الاجر العظيم
غلبه او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقول المتبطي قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا
وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على انا لمجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يفرغ نفسه
بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء
الحق واظهار الدين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله
لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه
الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد
في سبيل الله كمثل القائم الصايم الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجعه الله الى اهله
بما يرجعه من غنيمة واجر او يتوفاه فيدخله الجنة وقوله تعالى وما لكم لا تقاتلون استفهام
توبيخ اي لا مانع لكم من القتال في سبيل الله لاعلاء دينه وقوله تعالى والمستضعفين عطف على اسم
الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو وقوله تعالى
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين حبسهم الكفار عن الهجرة
واذاهم قال ابن عباس انا وامي منهم وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي
المشركين بحيث بلغ اذاهم الولدان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حقيق بغاية
في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد بهم العبيد والاماء وهم جمع وليد الذين
يقولون اي داعين يا ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها اي بالكفر واجعل لنا من
لدنك وليا اي عندك وليا ينولي امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا يمنعنا منهم وقد استجاب الله
تعالى دعاهم فيسر لبعضهم الخروج الى المدينة وبقي ببعضهم الى ان فتحت مكة له صلى الله عليه
وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين فحماهم ونصرهم
حتى صاروا اعز اهلها وكان حينيذ بن ثمانية عشر سنة والقرية مكة والظالم صفتها
وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا جريا على غير من هو له فانه كان
كالفعل يذكر ويونث على حسب ما عمل فيه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله اي في طاعة الله
والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اي في طاعة الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان
اولياء الشيطان اي حزبه وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان اي مكره بالمومنين كان
ضعيفا بالاضافة الى كيد الله بالكافر فلا يعتد به فلا تخافوا اولياءه فانا عتمادهم على

اضعف شيء واوهنه كما فعل الشيطان يوم بدر لما رأى الملائكة خاف ان تأخذه فهرب
وخذلهم الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن قتال الكفار وهم جماعة من الصحابة
كانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا قبل ان يهاجروا ويقولون يا رسول الله ايذن لنا في
قتالهم فانهم قد اذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم
اومر بقتالهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلما هاجروا الى المدينة وامروا الله بقتال
المشركين شق ذلك على بعضهم كما قال تعالى فلما كتب اي فرض عليهم القتال قرأ ابو عمرو
بكسر الهاء والميم في الوصل وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم في الوصل واما الوقف فالجميع
يكنون الميم وحمزة بضم الهاء على اصله وكسرها الباقون اذا فريق منهم يخشون اي
يخافون الناس كخشية الله اي خشيتهم من الله او اشد خشية من خشيتهم له تشبيه
نصب اشد على الحال وجواب لما دل عليه اذا وما بعدها اي فاجأهم وقالوا جزعا من الموت
ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اي هلا اخرتنا الى اجل قريب وهو الموت اي هلا تركتنا حتى
نموت باجالنا واختلفوا في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل قاله قوم من المنافقين لان قولة
لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمؤمنين وقيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين
في العلم قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا واهل الايمان يتفاضلون فيه وقيل هم
قوم كانوا مؤمنين فلما كتب عليهم القتال تأففوا من الحيف وتخلفوا عن الجهاد وقرأ البزي
في الوقف لمه بها بعد الميم يخلق عنه والباقون بالميم بغير ها والهاء قطة في الوصل للجميع
قل لهم يا محمد متاع الدنيا اي ما يتمتع به فيها والاستمتاع بها قليل اي ايل الى الزوال
والاخرة اي ثوابها وهو الجنة والنظر الى الله تعالى خير لمن اتقى عقاب الله بترك
معاصيه روي انه صلى الله عليه وسلم قال ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ولا تظلمون اي تنقصون من اعمالكم فتيلا اي قدر ما يكون
في شق النواة مما مر عن عكرمة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على التنبيه والباقون
بالتاء على الخطاب ونزل في المنافقين الذين قالوا في قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما
قتلوا اينما تكونوا ايها الناس كلكم مطلبكم وعاصيكم يدرككم الموت اي فانه طالب لا يفوته
هاربه واختلف كتبة المصاحف في رسم اينما هنا منهم من كتب ما متقطعة من اي ومنهم
من وصلها ولو كنتم في بروج اي حصون برج داخل برج او كل واحد منكم في برج مشيدة
اي مرتفعة كل واحد منها شاهق في الهواء منيع فلا تخلوا القتال خوف الموت ونزل في
اليهود لما قالوا حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا و

ومزارعنا

ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه وان تصبهم اي اليهود حسنة اي خصب
ورخص في السعر يقولوا هذه من عند الله لانا لا موخل لكفرنا فيها وان تصبهم سيئة اي
جدب وغلاء في الاسعار يقولوا هذه من عندك اي من شوم محمد واصحابه وقيل المراد هم
بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد يقولون هذه
من عندك اي بما نلت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلي هذا يكون هذا قول المنافقين قل لهم
يا محمد كل اي الحسنة والسيئة من عند الله ثم عيرهم بالجهل فقال فما لهؤلاء القوم اي اليهود
والمنافقين لا يكادون يفقهون اي لا يقاربون ان يفهموا حديثا يوعظون به
وهو القرآن لانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله او حديثا ما يلقى
اليهم كهانهم لافهامهم لهم وما استفهام تعجب من فرط جهلهم وتقي مخاربة الفعل اشد
من نفيه ما اصابك ايها الانسان من حسنة اي نعمة دنيوية او اخروية فمن الله امتنانا
تفضلا منه والايمان احسن الحسنات قال الامام انهم اتفقوا على ان قوله ومن احسن قولا
ممن دعى الى الله المراد به كلمة الشهادة وما اصابك من سيئة اي بلية وامر تكرهه فمن نفسك
انكرك حيث اتريكبت ما تستوجبها من الذنوب فان قيل كيف التوفيق بين قوله تعالى قل كل
من عند الله وبين قوله فمن نفسك اجيب بان قوله قل كل من عند الله اي الخصب والجدب
والنصر والهزيمة كلها من عند الله وقوله فمن نفسك اي ما اصابك من سيئة من ذنوبك
نفسك عقوبة لك كما قاله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وقيل ان هذه
الاية متصلة بما قبلها والقول فيه مضمر تقديره كما قال فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون
حديثا يقولون ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل
من عند الله وارسلناك يا محمد للناس اي كافة وقوله تعالى رسولا حال قصد بها التاكيد
وكفى بالله شهيدا على ارسالك بنصب المعجزات ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله قال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا
ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم نزل من يطع الرسول فقد اطاع الله
اي لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى ومن تولى اي اعرض عن طاعتك فلا ترهبنك
فما ارسلناك يا محمد عليهم حفيظا اي حافظا لاعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ
وعلينا الحساب فنجازيهم وهذا قبل الامر بالقتال ويقولون اي المنافقون اذا امرتهم
شيئا من امرنا وهم جمعتك طاعة اي امرنا وشاننا طاعة اي ان تطيعك فيما تامرنا به فاذا
برزوا اليك خرجوا من عندك بيت طائفة منهم اي اضمرت غير الذي تقول لك في حضورك

من الطاعة اي عصتك وقرا ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الطاء فانها عندها ساكنة اي التاء
فاذا سكنت التاء قبل الطاء وجب ادغامها فيها والباقون بالاظهار فان التاء عندهم مفتوحة
والله يكتب اي يامر بكتب ما يبيتون اي ما يسرون من النفاق في صحايفهم ليجازوا عليه
فاعرض عنهم اي قلل المبالاة بهم وتوكل على الله اي ثق به فانه كافيك معرتهم وينتقم لك منهم
وكفى بالله وكيلا اي معوضا اليه افلا يتدبرون اي يتاملون القران وما فيه من المعاني
البديعة ولو كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا
فيه اختلافا كثيرا اي تناقضا في معانيه وتباينا في نظمه فكان بعضه فصيحا وبعضه
ركيكا وبعضه يقتضي معارضته وبعضه تسهل ومخلفا عن الصدق في الاخبار عن
الغيب بما كان وما يكون افلا يتفكرون فيه فيعرفون عدم التناقض فيه وصدق ما يخبرهم
به انه كلام الله ولان ما لا يكون من عند الله لا يخلو عن تناقض واختلاف والمراد من
التقييد بالكثير المبالغة في في اثبات الملازمة اي لو كان من عند غير الله للزم ان يكون
فيه اختلاف كثير فضلا عن القليل لكنه من عند الله فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل
واذا جاءهم اي المنافقين امر اي خبر من سرايا النبي صلى الله عليه وسلم من الامن اي الفتح
والغنيمة او الخوف اي القتل والهزيمة اذاعوا به اي افشوه وكانت اذاعتهم مفسدة
والمامور به او لتضمن الاذاعة معنى التحدث وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يبعث السرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم فيفشونه
ويحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين
وينادي النبي صلى الله عليه وسلم ولو ردوه اي ذلك الخبر الى الرسول اي لم يحدثوا به حتى
يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به والى اولي الامر منهم اي ذوي الراي من الصحابة
كابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم لعلمه علي اي وجه يذكره الذين يستنبطونه
منهم اي يستخرجون تدابيره بتجاربهم وانظارهم هل ينبغي ان يكتم او يفشى ولولا فضل
الله عليكم ورحمته لكم بارسال الرسول وانزال القران لاتبعتم الشيطان فيما يامركم به من الكفر
والمعاصي الا قليلا اي منكم فانهم لا يتبعونه حفظا من الله بما وهبهم من صحيح العقل
والعصمة تقال في حق غير الانبيا ايضا لانها المنع منه من المعصية ولكن الشايع ان يقال
في حق النبي معصوم وفي حق غيره محفوظ فقاتل يا محمد في سبيل الله لا تكلف الا نفسك فلا
تهتم بتخلفهم عنك اي قاتل ولو وحدك فانك موعود بالنصر من الله وليس النصر الا بيده وما
كان ليامرك بشيء الا وانت كفؤ له وانت كفؤ لمقاتلة الكفار وان كانوا اهل الارض كلهم

وذلك

بالاسلام

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى
في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكره بعضهم فانزل الله هذه الاية
تنبيه الفاء في قوله تعالى فقاتل قال البغوي جواب عن قوله تعالى ومن يقاتل في سبيل
الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما فقاتل انتهى وحرض المؤمنين اي حثهم على
القتال ورغبهم فيه اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله ان يكف باس اي حرب الذين
كفروا وعسى في كلام الله وعد واجب الوقوع بخلافها في كلام المخلوق والله اشد باسا
اي صولة منهم واشد تنكيلا اي عقوبة منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن
ولو وحدي فخرج بسبعين راكبا الى بدر الصغرى فكف الله باس الكفار بالقا الرعب في قلوبهم
ومنع ابي سفيان عن الخروج كما تقدم في سورة ال عمران من يشفع شفاعة حسنة
اي في جهاد حق مسلم بان دفع عنه بها ضررا او جلب اليه نفعا ابتغاء وجه الله ومنها الدعاء
لمسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك
ولك مثل ذلك اي ودعا الملك لا يرد يكن له نصيب اي اجر منها اي بسببها قال ابو موسى
الاشعري رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا اذ جاءه رجل يسالنا و
يطلب حاجة اقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا فلتوجروا وليقض الله على لسان نبيه ما شا
ومن يشفع شفاعة سيئة مخالفة للشرع يكن له كفل اي نصيب من الوزر منها اي بسببها وكان
الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس مقتدرا مجازيا قال الشاعر وذي ضغن ايريب صاحب
حقد كففت الضغن عنه، وكنت على اساءته اي ساءتي لذوي الضغن مقيتا، اي مقتدرا وقال
مجاهد شاهدا وقال قتادة حفيظا وقيل معناه على كل حيوان مقيتا اي يوصل القوت اليه
وجاء في الحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
التحية هي دعا بالحياة ولكن جمهور المفسرين على ان ذلك في السلام اي اذا سلم عليكم مسلم فاجيبوه
باحسن مما سلم فاذا قال السلام عليكم فزيدوا ورحمة الله فاذا قال ورحمة الله زيدوا الى
وبركاته او ردوها اي بان تردوا عليه بمثل ما سلم روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك
السلام ورحمة الله وبركاته فقال الرجل نقصتني اي الفضل علي سلامي فاني ما قلت الا اي
من الفضل وتلا الاية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله لان ذلك هو النهاية لا تتجاوز
اقسام المطالب وهي السلامة من المضار وحصول المنافع وثباتها وظاهر الاية انه لو رد عليه

عه

باقل ما سلم عليه به انه لا يكفي وظاهر كلام الفقهاء انه يكفي وتحمل الاية على انه الاكمل وابتدا
السلام على المسلم سنة عين من المقصود وكفاية من الجماعة وروده فرض عين منا المقصود وكفاية
من الجماعة ويشترط في الرد الفور والوجوب مستفاد من الامر والفور من الفاء اما كونه كفاية
فلخبر ابي داود ويجزي عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزي عن الجلوس ان يرد
احدهم والمراد منهم هو المختص بالثواب وسقط الحرج عن الباقين وان اجابوا كلهم كانوا
مودين للفرض سواء كانوا مجتمعين ام متبينين كصلاة الجماعة ولا يسقط الفرض برد الصبي
المميز فان قيل قد سقط به فرض الصلاة على الجنازة اجيب بان المقصود من الصلاة الدعا
والصبي اقرب الى الاجابة والمقصود من السلام الامان والصبي ليس من اهله ولا يسقط
ايضا برد من لم يسمع السلام ولو سلم على امراة ان كان يباح له النظر اليها كمحرمه وزوجته سن
له السلام عليها ووجب عليها الرد والا كره ابتداءها وحرم عليها ابتداءها هذا اذا كانت
مشتهاة فان كانت عجوزا او جماعة سوقة لم يكره ويجب الرد لانتفاء خوف الفتنة ولا يسن ابتداؤه
على قاضي حاجة ولا على اكل ولا على من في حمام ولا على مصل ومؤذن وخطيب وملبي
ومستغرق القلب بالدعا ولا يجب الجواب عليهم ويحرم ابتداؤه على الكافر ويسود عليه
اذا سلم عليك فقط وهذا باب طويل ببينته السنة وقد اكثرت منه في شرح المنهاج ان الله
كان امينا لا بد على كل شي حسيبا اي محاسبا فيجازي عليه وقال مجاهد حفيظا وقال ابن عباد
عبيده كافيا يقال حسبي هذا اي كفاني وقوله تعالى الله لا اله الا هو مبتدا وخبر وقوله تعالى
ليجمعنكم اللام لام القسم اي والله ليجمعنكم الله من قبوركم الى اي في يوم القيامة وسميت
بذلك لان الناس يقومون من قبورهم قال تعالى يوم يخرجون من الاجداث وقيل القيام
الى الحساب قال تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين لا ريب اي لا شك فيه اي في ذلك اليوم
او في الجمع ومن اصدق من الله حديثا اي قولا فان قيل الصدق لا يتفاوت كما علم اذ لا يقال
هذا اصدق من هذا الصدق كما لا يقال هذا اعلم من هذا العلم اجيب بان الصدق
صفة للقايل لا منعة للحديث اي لا احد غير الله اصدق منه لان غيره يتطرق الى خبره الكذب
وذلك مستحيل في حقه تعالى والانبيا مخبرون عن الله تعالى وقرا حمزة والكسائي باشمام الصاد
اي جرف متولد من بين الصاد والزاي فما لكم اي فما شانكم صرتم في المنافقين اي في امرهم
فيتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتوا المدينة فلما خرجوا نزلوا راحلين مرحلة مرحلة حتى
لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقال مجاهد هم قوم خرجوا الى المدينة واسلموا

ثم ارتدوا

ثم ارتدوا واستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة لياتوا بيضايع لهم يتجرون فيها فخرجوا
واقاموا بمكة واختلف المسلمون فيهم فقايل يقول هم منافقون وقايل يقول هم مومنون وقال
قوم في الذي تخلفوا يوم احد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض الصحابة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اقتلهم فانهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فانهم تكلموا بالاسلام والله
اركسهم اي نكسهم بان صيرهم الى النار اورد هم الى حكم الكفرة بما كسبوا من الكفر والمعاصي
اتريدون ان تهدوا من اضل الله اي ان تعدوهم من جملة المهتدين والاستفهام في الموضعين
للانكار ومن يضلل الله اي ومن يضله الله فلن تجد له سبيلا اي طريقا الى الهدى ودوا
اي تمنوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون انتم وهم سوا في الكفر تشبيه قوله تعالى فتكونون
لم يرد به جواب التمني لان جوابه بالفا منصوب وانما اراد التسوي اي ودوا لو تكفرون
ودوا لو تكونون سوا مثل قوله ودوا لو تدهن فيدهنون اي ودوا لو تدهن وودوا
لو تدهنون فلا تتخذوا منهم اولياء اي فلا تتولوهم وان اظهروا الايمان حتى يهاجروا في سبيل
الله معكم هجرة صحيحة تحقق ايمانهم قال عكرمة هي هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه
هجرة للمومنين في اول الاسلام وهي قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم
مهاجرا الى الله ورسوله ونحوهما من الايات وهجرة للمنافقين وهي خروج الشخص مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم صابرا محتسبا الامراض الدنيا وهي المرادة هنا وهجرة عن جميع
المعاصي قال صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه فان تولوا اي اعرضوا عن الهجرة
والهجرة واقاموا على ما هم عليه فخذوهم اي بالاسر واقتلوهم حيث وجدتموهم اي في حل
او حرم كساير الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا تتولونه ولا نصيرا تستنصرون به على عدوكم اي سل
جانبوهم مجانبة كلية وقوله تعالى الا الذين يصلون استثنا من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا
الذين يصلون اي ينتهون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد بالامان لهم وملتجا
اليهم كما هو الذي صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه
ولا يعين عليه ومن لجا اليه فله من الجوار مثله ماله وقوله تعالى او جاوكم عطف الصلة على الصلة
جاوكم وقوله تعالى حصرت اي ضاقت حالا بامساككم اي وقد ضاقت صدورهم ان يقاتلوكم
او عن قتالكم مع قومهم معكم اي ممسكين عن قتالكم وقتالهم فلا تتعرضوا
لهم باخذ ولا قتل وهذا ما بعده منسوخ باية القتال وقرا نافع وابن كثير وعاصم بالياء
تاتا نيث حصرت عند الصاد وادغمها الباقون ولو شا الله تسليطهم عليكم لسلطهم عليكم
بان يقوي قلوبهم ويبسط صدورهم ويزيل الرعب عنهم فلقاتلوكم ولكنه لم يشاه فالقى في قلوبهم

حيد

الرعب فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم اي بان لم يتعرضوكم والقوا اليكم السلم اي الاستسلام والانقياد
فما جعل الله لكم عليهم سبيلا اي طريقا بالاخذ او القتل ستجدون اي عن قريب يعودون الى شرك
فيه اخرين اي من المنافقين روي عن ابن عباس انه قال هم اسد وغطفان كانوا احاضري
المدينة تكلموا بالاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان الرجل منهم يقول له قومه بماذا اسلمت
فيقول امنت بهذا الصنم وبهذا الصخر وبهذا العقرب ولحشاوا ذ القوا اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قالوا انا على دينكم يريدون بذلك الامن في الفريقين كما قال تعالى يريدون ان يامنوكم
باظهار الايمان عندكم ويامنوا قومهم باظهار الكفر اذا رجعوا اليهم كلما ردوا اي دعوا
الى الفتنة اي الكفر اركسوا اي انقلبوا منكوسين فيها اي الفتنة اقبح قلب فان لم يعتزلوكم
اي يتركوا قتالكم ويلقوا اي ولم يلقوا اليكم السلم ويكفوا اي ولم يكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم اي
بالاسر واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي وجدتموهم واولئكم اي اهل هذه الصفة جعلنا لكم
عليهم سلطانا مبينا اي حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح
كفرهم وما كان لمومن ان يقتل مومنا اي ما ينبغي ان يصدر منه قتل له بغير حق الا خطا
اي مخطيا في فعله هذه قصة نزلت في عياش بن ربيعة وذلك انه اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة واسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج هاربا الى المدينة
وتحصن في اطم هناك فلما مهاجر عت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنها الحارث والي جعل
ابني هشام وكلها اخوا لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتيني به
فخرجا في طلبه وخرج معهما الحارث بن زيد حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم
وقالوا له انزل فان امك لم يا وها سقف بيت بعدك وقد حلفت ان لا تاكل طعاما ولا تشرب
شرابا حتى ترجع اليها ولك الله علينا عهد ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين هو
دينك فلما ذكروا له جزع امه واثقوا بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة ثم اوثقوه
وجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به الى امه فلما اتاها قالت له امه والله
لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي امنت به ثم تركوه موثقا مطروحا في الشمس ما شاء
الله فاعطاهم الذي اراد واتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش هذا الذي كنت عليه
فوالله لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش
من مقالته وقال والله لا القاك خاليا ابدا الا قتلتك ثم ان عياشا بعد ذلك اسلم وهاجر
الى رسول الله ثم اسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينما عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث فقتله

فقال الناس

فقال الناس ويحك اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال له قد كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني لم اسلم باسلامه حتى قتلته
نزلت الاية تنبيه قوله تعالى الا خطا اما منصوب على الحال اي وليس من شان المومن
ان يقتل مومنا في حالة من الاحوال الا حال الخطا واما مفعول لاجله اي لا يقتله لعلة
الا للخطا وقيل الا بمعنى ولا اي ليس له قتله في حال من الاحوال ولا خطا نظير قوله
تعالى اني لا يخاف لدي المرسلون الا من ظلم وقوله تعالى ليلا يكون للناس عليكم حجة
الا الذين ظلموا منهم ومن قتل مومنا خطا كان قصد رمي غيره كصيد او شبح فاصابه
به فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة كاملة الرق فلا يجزي مكاتب كتابة
صحيحة ولا ام ولد والتحرير الاعتاق ويعبر عن النسمة بالرقبة كما يعبر عنها بالراس
مومنة اي محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ولو كان اسلامها بتبعية الدار او السابي
سلمة عما يخل بالعمل ودية مسلمة اي موداة الى اهله اي ورثة المقتول يقتسمونها
كسائر المواريث الا ان يصدقوا اي يتصدقوا بها عليه بان يعفوا عنها وسمي العفو عنها
صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله قال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وبينت
السنة ان دية الخطا مائة من الابل عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون
ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وان عاقلة القاتل تتحملها عنه وهم عصبته
الا اصله وفرعه موزعة عليهم على ثلاث سنين على الغني منهم نصف دينار والمتوسط
ربع دينار كل سنة فان لم يفوا فمن بيت المال فان تعذر فعلى الجاني فان كان اي المقتول
من قوم عدو لكم اي محاربين وهو اي والحال انه مومن اي ولم يعلم القاتل ايمانه فتحرير
اي فالواجب على القاتل تحرير رقبة مومنة ولا دية تسلم والى اهله اذ لا وراثة بينه
وبينهم لانهم محاربون وان كان اي المقتول من قوم اي كفرة ايضا عدو لكم بيننا وبينهم ميثاق
اي عهد كاهل الذمة وهو كافر مثلهم فدية اي فالواجب فيه دية مسلمة اي موداة الى اهله
وهي ثلث دية المومن ان كان نصرانيا او يهوديا تحل مناكحته وثلثا عشرها ان كان مجوسيا
او كتابيا لا تحل مناكحته وتحرير رقبة مومنة على قاتله من لم يجد اي الرقبة بان فقدها وما
يحصلها به فصيام اي فالواجب عليه صيام شهرين متتابعين حتى لو افطر يوما واحدا لغير
حيض او نفاس وجب الاستيناف ولم يذكر تعالى الانتقال الى الطعام كالظهار وبه اخذ
الشافعي رضي الله تعالى عنه في اصح قوليه وقوله تعالى توبة من الله نصب على المصدر اي
تاب عليكم توبة او على المفعول له اي شرع ذلك توبة ما خوذة من تاب الله عليه اذا اقبل

توبته وكان الله اي ولم يزل عليما اي باحوالكم وبما يصلحكم في الدنيا والاخرة حكيما فيما
دبره لكم من نصب الزواجر بالكفارات وغيرها والزموا امره وباعدوا زواجره للتوسل
بالعلم والحكمة ومن يقتل مؤمنا متعمدا بان يقصد قتله بما يقتل غالبا عالما بايمانه قوله
جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه اي ابعده من رحمته واعد له عذابا عظيما
في النار وهذا مخصوص بالمستحل له كما قاله عكرمة وغيره ويؤيده ان الاية نزلت في مقيس
ابن ضباعة بن ضبابة وجداه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فاتاهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة
مرتدا والمراد من الاية التغليظ كقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين على تقدير من كفر بمن لم يحج وقوله صلى الله عليه
وسلم للمقداد لا تقتله فان قتلته فانه بمنزلتك قبل ان تقتله وانك بمنزلته قبل ان تقول
الكلمة التي قال اوان هذا هزاوه ان جوزي ولا يدع في خلق الوعيد لقوله تعالى ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا او المراد بالخلود المكث الطويل وان الدلايل مظاهرة على ان عصاة
المسلمين لا يدوم عذابهم ولهذا لم يذكر في الاية ابدا وما روي عن ابن عباس انه قال لا تقبل
توبة قاتل المؤمن عمدا فمرواه الشيخان اراد به التشديد كما قاله البيضاوي اذ روي عنه ما
خلافه رواه البيهقي في سننه وبينت اية البقرة ان قاتل العمد يقتل به وان عليه الدية ان عفي
عنه وبقي قدرها وبينت السنة ان بين العمد والخطا قتلا يسمى شبه العمد وهو ان يقتله
بما لا يقتل غالبا فلا قصاص فيه بل فيه دية كالعمد في الصفة والخطا في التاجيل والحمل وهو
والعمد اولى بالكفارة من الخطا يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم اي سافرتم للجهاد في سبيل الله
فتبينوا روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي رجل
يقال له مرداس لانه كان على دين المسلمين فلما راى الخيل خاف ان يكونوا من غير اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الى الجبل فلما لاحقت
الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير علم انهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد فقتله
واستاق غنمه فنزلت ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبروه فوجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وكان قد سبقهم قبل ذلك الخبر فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فتلتموه ارادة ما معه ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية على اسامة
ابن زيد فقال يا رسول الله استغفر لي فقال وكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال رسول

الله صلى الله

الله صلى الله عليه وسلم يكررها علي حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم استغفر لي ثلاث مرات وقال اعتق رقبة وقال عكرمة عن ابن عباس
قال مر رجل من بني سليم على نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم
عليهم قالوا ما سلم علينا الا ليتعوذ منكم فقاموا فقتلوه واخذوا غنمه واتوا بها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقرا حمزة والكسائي بالتا المثلثة مكان الباء الموحدة وبالباء
الموحدة مكان الياء المثناة تحت وبالتا المثناة فوق مكان النون فهو من الثبت والباقون
من البيان ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام اي لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن
عامر وحمزة بغير الف بعد اللام من السلام اي الاستسلام والانقياد والباقون بالالف
لست مؤمنا وانما فعلت ذلك متعوذا تبتغون عرض الحياة الدنيا اي تطلبون ماله الزائل
هو حطام سريع النفاد فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل مثله في ما له كذلك كنتم من
قبل اي اولا دخلتم في الاسلام تعوهتم بكلمة الشهادة فحصنتم بها اموالكم ودماكم من غير
ان تعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم اي بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين
فتبينوا اي وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظنا انهم
دخلوا اتقية وخوفا فان اتقوا التي كافراهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكرير تاكيد
لتعظيم الامر بالتبين وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان ولم يزل بما تعملون
خبيرا اي عالما به وبالغرض منه فيجازيكم به فلا تتساهلوا في القتل واحتاطوا فيه لا يستوي
القاعدون اي عن الجهاد حال كونهم من المؤمنين روي ان زيد بن ثابت اخبر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم املى عليه لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله فجاه
ابن ام مكتوم وهو يملها علي فقال يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان رجلا اعمى
فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت ان ترض
فخذي اي تكسر ثم سري عنه اي انزيل وكشف ما به من برحا الوحي غير اولي الضرر اي من زمانة
او عمى ونحوه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير وقرا نافع وابن عامر
والكسائي بنصب الراء على الحال من القاعدين او الاستثناء والباقون بالرفع صفة للقاعدين
لانه لم يقصد به قوم باعيانهم بل اراد به الجنس كما في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني فمضى
جعل غير صفة للقاعدين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة
بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة تشبيه فايدة ذكر قوله تعالى لا يستوي القاعدون
الى اخره تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد فعالرتبته ويتقاعد عن انحطاط

متولته وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لما رجع من غزوة تبوك ودنا من المدينة ان في المدينة
لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة
قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدين
لضرر درجة اي فضيلة لاستوايهما في النية وزيادة المجاهدة بالمباشرة وكلا من
القاعدين لضرر والمجاهدين وعد الله الحسنى اي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم
وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين
لغير ضرر اجرا عظيما ويبدل منه درجات منه اي منازل بعضها فوق بعض من الكرامة
وقوله تعالى ومغفرة ورحمة منصوبان بفعلهما المقدر وكان الله اي ولم يزل غفورا
لاوليائه رحيما باهل طاعته وروي ابو سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يا ابا سعيد من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة قال ففجب بها
ابو سعيد فقال اعدها يا رسول الله ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرى يرفع الله بها
العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هي يا رسول الله
قال الجهاد في سبيل الله وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله ان
يوخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا ننذر
الناس بذلك فقال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين
كما بين السماء والارض فاذا سالتموه فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلا الجنة او فوق
الى اراه قال فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة واما يجب الجهاد على كل مسلم مكلف حر
للاية المتقدمة اذا كان الكفار بلادهم ويجب على الامام ان يغزوهم في كل عام مرة بنفسه
او نائبه او شيخ الثغور بمن يقاوم العدو واما اذا دخلوا بلادنا والعياذ بالله تعالى تتعين
على اهل تلك البلدة وعلى من دون مسافة القصر منها حتى على فقير وولد ومدين
ورقيق بلا اذن ويجب على من هو في مسافة القصر بتوجه الكفاية وان اسر واسلما ترمنا
النهوض لخلاصه ان رجي وان لم يدخلوا بلادنا وتزل في جماعة المسلمين واولهم هجروا فلما خرج
المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار ان الذين توفاهم الملائكة اي ملك الموت
واعوانه او ملك الموت وحده كما قال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم والعرب
قد تخاطب الواحد بلفظ الجمع ظالمي انفسهم اي في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموالفة

الكفرة

الكثرة بالمقام في دار الشرك فان الهجرة كانت واجبة قبل فتح مكة ثم نسخ الوجوب بعد
فتحها فقال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرا البزي بتشديد التاء المشاة فوق من
توفاهم في الوصل والباقون بالتخفيف وادغم ابو عمر التاء في الظاء بخلاف عنه والباقون
بغير ادغام قالوا اي الملائكة لهم موبخين فيم كنتم اي في اي شيء كنتم من امر دينكم وقرا
البزي فيمه بالهاء بعد الميم بخلاف عنه قالوا معتذرين مما وبخوا به كنا مستضعفين اي
عاجزين عن اظهار الدين واعلاء كلمته في الارض اي ارض مكة قالوا اي الملائكة تكذيبا
لهم وتوبيخا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها هذا ارض الكفر الى بلد اخر كما فعل
غيركم من المهاجرين الى المدينة والحبشة قال تعالى فاولئك ماواهم جهنم اي لتركهم
الواجب وما عدتهم الكفار وساءت مصيرا اي جهنم وفي الاية دليل على وجوب الهجرة
من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من
ارض الى ارض وان كان اي ما بينهما شبر استوجبت اي وجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم
ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام ثم استثنى اهل العذر منهم فقال الا المستضعفين اي
الذين وجد ضعفهم في نفس الامر وعدوا ضعفا وتقوي عليهم غيرهم من الرجال والنساء
والولدان ثم بين ضعفهم بقوله الذين لا يستطيعون حيلة اي لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة
ولا يهتدون سبيلا اي طريقا الى ارض الهجرة فاولئك عسى الله ان يعفو اي يتجاوز عنهم
وعسى من الله واجب لانه للاطماع والله تعالى اذا اطمع عبدا شيا اوصله اليه ولكن في ذكر الاطماع
والعفو ايذانا بان امر الهجرة مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر الذي لا ضرار من حقه ان
يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف بغيره وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت انا
وامي ممن عذر الله اي من المستضعفين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين
المستضعفين في الصلاة قال ابو هريرة كان اذا قال سمع الله لمن حمده في الركعة الاخرة من
صلاة العشاء يقول اللهم انج عياش بن ربيعة اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج سلمة بن
ابن هشام اللهم انج المستضعفين من المسلمين اللهم اشدد وطيتك على مضر اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا اي مذهبا ومتحولا يتحول
اليه وقيل طريقا يراغم انوفهم ماخوذ من الرغام والرغم الذل والهوان واصل الصوت الالتصاق
بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكرهه مغاضبة لمولة تلحق بذلك
ويجد سعة في الرزق كما قال صلى الله عليه وسلم صوموا تصحوا وسافروا تغنموا اخرجه الطبراني
من ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ولفظه واغزوا تغنموا وهاجروا تتلحموا ولما سمع هذه الاية

فيه

رجل من بني ليث يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل وانى لاجد حيلة وفي من المال ما يبلغني المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به على سريره حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات قال التفتازاني في الظاهر ان هذه اشارة الى اليمين وهذه الى الشمال لا على قصد استناد الجارحة الى الله تعالى بل على سبيل التصوير وتمثيل مبايعة الله تعالى على الايمان والطاعة بمبايعة رسول الله اياه وقيل اشارة الى البيعة والصفقة والمعنى ان بيعته كبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا كبيعة الناس فبلغ خبره امحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لما كان اتم اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك هذا ما طلب ترل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت اي في الطريق قبل مقصده فقد وقع اجره على الله اي ثبت اجره عنده ثبوت الامر الواجب تفضلا منه ورحمة وكان الله غفورا للتقصير ان كان رحيما يكرم بعد المغفرة بانواع الكرامات ولما اوجب السفر الجهاد والهجرة وكان مطلق السفر مظنة المشقة فكيف بسفرهما مع ما ينضم الى المشقة فيهما من خوف الاعداء ذكر تخفيف الصلاة بالقصر بقوله تعالى واذا ضربتم اي سافرتم في الارض سفرا طويلا لغير معصية والطويل عند الشافعي رحمه الله تعالى اربعة برد وهي مرحلتان كما ثبت ذلك في السنة وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى ثلاثة ايام وليالين سير الابل ومشي الاقدام على القصد وقوله تعالى فليس عليكم جناح اي اثم وميل في ان تقصروا من الصلاة اي من اربع الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر والعشاء دل على جواز القصر دون وجوبه ويؤيده انه عليه الصلاة والسلام اتم في السفر كما رواه الشافعي وغيره وعن عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة ما عاب علي رواه الدارقطني وحسنه والبيهقي وصححه وكان عثمان رضي الله تعالى عنه يتم ويقصر واوجب القصر ابو حنيفة لقول عمر رضي الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم رواه النسائي وابن ماجه ولقول عائشة اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين واقرت في السفر وزيدت في الحضر رواه الشيخان فان قيل ظاهرهما يخالف الاية اجيب بان الاول موول بان القصر كالتمام في الصحة والاجزاء ومعنى الثاني لمن اراد الاقتصار عليهما جمعا بين الادلة وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا اي بان ينالوكم بمكروه بيان باعتبار الغالب في ذلك الوقت فلا مفهوم له قال يعلى بن امية قلت لعمر انما قال الله تعالى ان خفتم وقد امن الناس قال عجبت مما عجبت

منه

منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم ان الكافرين كانوا اي جبلة وطبعا لكم عدوا مبينا اي بين العداوة وقوله تعالى واذا كنت اي يا محمد حاضرا فيهم اي وانتم تخافون العدو فاقمت لهم الصلاة تمسك بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعامة الفقها على انه تعالى علم نبيه صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليقتدي به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره روي ان المشركين لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يسلون جميعا ندموا الا كانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من ابايهم وابنايهم وهي صلاة العصر فاذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل فقال يا محمد انها صلاة الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وهي انواع الاول اذا كان العدو في جهة القبلة ولا ساتر ولا ماء ليتيمم فيصلي الامام بهم ثم يسجد بعض اول ويحرس صف ثان فاذا قاموا سجد من حرس ولحقه وسجد معه بعد تقدمه وتاخر الاول بلا كثرة افعال في الركعة الثانية وحرس الاخرون فاذا جلس للتشهد سجد الاخرون وتشهد وسلم بالجميع روي هذا النوع مسلم وقد صلاه صلى الله عليه وسلم بعسفان وهي قرية على مرحلتين من مكة بقرب خليص سميت بذلك لعسف السيل فيها وجاز عكس هذه الكيفية والنوع الثاني اذا كان العدو في غير جهة القبلة او فيها وثم ساتر فيصلي الامام بهم مرتين كل مرة بفرقة كما قال تعالى فلتقم طائفة منهم معك اي وتتاخر طائفة هو ولياخذوا اي الطائفة التي قامت معك اسلحتهم فاذا سجدوا اي صلوا لتكونوا اي الطائفة الاخرى من ورائكم يحرسون الى ان تقضي الصلاة وتذهب هذه الطائفة تحرس ولتات طائفة هو اخرى لم يصلوا فليصلوا معك ولياخذوا حذرهم واسلحتهم مهم الى ان تقضي الصلاة وقد فعل صلى الله عليه وسلم كذلك ببطن نخل رواه الشيخان وهذه الصلاة وان جازت في غير الخوف ست فيه عند كثرة المسلمين وقلة عدوهم وخوف هجومهم عليهم في الصلاة فان قيل اخذ الحذر وهو الخوف مع التحفظ مجاز واخذ الاسلحة حقيقة فلا يجمع بينهما اجيب بان اخذ الحذر حقيقة ايضا لتنزيل الالة منزلة الالة على سبيل الاستعارة بالكناية فالجمع انما هو بين حقيقتين على ان الجمع بين الحقيقة والمجاز جايز كما عليه الشافعي رضي الله تعالى عنه فان قيل لم ذكر اخذ الحذر في الثانية دون الاولى اجيب بان الكفار يتنبهون للثانية ما لا يتنبهون للاولى والنوع الثالث صلاة ذات الرقاع رواها الشيخان ايضا وهي والعدو في غير جهة القبلة او فيها وثم ساتر ان تقف فرقة في وجه العدو ويصلي الثانية بفرقة ركعة ثم عند قيامه للثانية تفارقه وتتم بقية صلاتها وتقف في وجه

العدو وتجيء تلك والامام منتظر لها فيصلي بها ثانية فاذا جلس للتشهد قامت واتت بركعة وتلحقه
ويسلم بها ويصلي الثالثة بفرقة ركعتين وبالثانية ركعة وهو افضل من عكسه ويصلي الرباعية
بكل فرقة ركعتين وبقي نوع رابع تقدم عنه قوله تعالى فان خفتم فرجالا او ركبانا وداى تمني
الذين كفروا لو تغفلون اذا قمتم الى الصلاة عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
بان يحملوا عليكم فياخذوكم وهذه علة الامر باخذ السلاح ولما كان الله تعالى قد تفضل على هذه
الامة ورفع عنها الحرج وكان المطر والمرض شيئا ان قال ولا جناح اي حرج عليكم ان كان بكم
اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم لان حمل السلاح في المطر يكون سببا للبلة وفي المرض
يزيد حملها المريض وهنا وهذا يفيد ايجاب حملها عند عدم العذر وهو احد قولي الشافعي
والثاني انه سنة ورجح بشرط ان لا يؤذي ولا يحصل بتركه حمله خطر ولا يمنع صحة الصلاة فان
اذى كمرض وسط الصف كره حمله بل ان غلب على ظنه ذلك حرم وان حصل بتركه خطر وجب حمله
ويمكن حمل الاية على هذه الحالة وحملة وضعه بين يديه ان سهل مديده اليه بل يتعين ان منع
حمله الصحة من نجس وغيره وخذوا حذركم من العدو اي احترزوا منه ما استطعتم كيلا يهجم عليكم
فان قيل كيف طابق الامر بالحذر قوله تعالى ان الله اعد للكافرين عذابا اي قتلا واسرا ونهبا في الدنيا
مهينا اي ذا اهانة اجيب بان الامر بالحذر من العدو ايوهم توقع غلبته واغتراره فنفى عنهم
ذلك الايهام باخبارهم ان الله تعالى يبين عدوهم ويخذلهم وينصرهم عليه ليقوي قلوبهم على
ان الامر بالحذر ليس كذلك وانما هو تعبد من الله كما قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ولما
علمهم ما يفعلون في الصلاة حال الخوف اتبع ذلك ما يفعلون بعدها ليلا يظن انها تنفي
عن مجرد الذكر فقال مشيرا الى تعقيبه بها فاذا قضيتم الصلاة اي فرغتم من فعلها واديتموها
على حالة الخوف او غيرها فاذكروا الله اي بالتهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد قياما وقعودا
وعلى جنوبكم اي مضطجعين اي اذكروه في كل حال وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل احيانه وقيل صلوا قياما في حال الصحة وقعودا في حال
المرض وعلى جنوبكم عند الجرح والزمانة فاذا اطمانتم اي امنتم مما كنتم فيه من الخوف فاقيموا
الصلاة اي ادوها بحقوقها على الحالة التي كنتم تفعلونها قبل الخوف ان الصلاة كانت على المؤمنين
كتابا اي مكتوبا اي مفروضا موقوتا اي مقدرا وقتها لا تؤخر عنه ولا تقدم عليه قال صلى الله عليه
وسلم امني جبريل عند البيت مرتين فصلى بي الظهر حين زالت الشمس والعصر حين كان ظله اي
الشيء مثله والمغرب حين افطر الصايم اي دخل وقت افطاره والعشا حين غاب الشفق
والفجر حين حرم الطعام والشراب على الصايم فلما كان الغد صلى بي الظهر حين كان ظله مثله

والعصر

والعصر حين كان ظله مثليه والمغرب حين افطر الصايم والعشا الى ثلث الليل والفجر فاسفر
وقال هذا وقت الانبيا من قبلك رواه ابو داود وغيره وصححه الحاكم وغيره وقوله صلى
الى الظهر حين كان ظله مثله اي فرغ منها حينيذ كما شرع في العصر في اليوم الاول حينيذ قاله
الشافعي رضي الله تعالى عنه نافيا به اشتراكهما في وقت وبدليل خبر مسلم وقت الظهر
اذا زالت الشمس ما لم يحضر العصر ونزل لما بعث صلى الله عليه وسلم طايفة في طلب ابي سفيان
واصحابه لما رجعوا من احد فشكوا الجراحات ولا تهنوا اي تضعفوا في ابتغاء القوم اي في
طلب ابي سفيان واصحابه ان تكونوا تالمون اي تتوجعون من الم الجراح فانهم يالمون
اي يتوجعون من الم الجراح فانهم يالمون كما تالمون ولم يجبنوا عن قتالكم فلا تجبنوا عن
قتالهم وترجون انتم من الله من النصر والثواب على جهادكم ما لا يرجون هم فانتم تزيدون عليهم
بذلك فيجب ان تكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وكان الله عليما باعمالكم واضمايركم
حليما اي فيما يامر وينهى انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب اي القران وقوله تعالى بالحق متعلق
بانزل لتحكم بين الناس بما اراك اي عرفك الله واوحى به اليك وليس اري من الرويه بمعنى
العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل وعن عمر رضي الله تعالى عنه لا يقولن احدكم قضيت
بما اراني الله فان الله تعالى لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله تعالى كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف ويروى الطبري
عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزلت هذه الاية في رجل من الانصار يقال له طعمة بكسر الطا
وفتحها والاول افصح ابن ابيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة
ابن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى الى الدار
ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد
وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهوا الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وسالوه ان يجادل عن صاحبهم فقالوا انك ان لم تفعل افتضح صاحبنا فهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل لانه بري جلفه وانه لم يعاقب اليهودي لثبوت المال عنده
وقيل هم ان يقطع يده فقال تعالى ولا تكن للخاينين خصيما اي مخاصما مدافعا
عنهم واستغفر الله اي مما هممت به اي من الذب عنه وهو الاستغفار لاعتذابه اذ هو منزه
عن ذلك معلوم منه ولكن هو مقام عال سام للارتقاء الى اعلامنه وانه ان الله كان غفورا رحيما
لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اي يخونونها بالمعاصي لان وبال خيانتهم

عليهم فان قيل لم قال للخائنين ويختانون انفسهم وللخائن واحد فقط اجيب بانه جمع ليتنا
طعمة وكل من خان خيانته اوليتنا وله وقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته
وخاصموا عنه وقيل ان هذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كقوله تعالى
فان كنت في شك مما انزلنا اليك والاستغفار في حق الانبياء بعد النبوة على احدى وجوه
ثلاثة اما الذنب تقدم على النبوة او لذنوب امته او لمباح جاء الشرع بتحريمه فيتركه بالاستغفار
فالاستغفار ان يكون معناه السمع والطاعة لحكم الشرع ان الله لا يحب اي يعاقب من كان خوانا
اي كثير الخيانة اثيما اي منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائط اليسرق
متاع اهله فسقط الحائط عليه فقتله فان قيل لم قيل خوانا اثيما على المبالغة اجيب بان الله تعالى
كان عالما من طعمة بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله
وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه اتاه قطع
يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ
عبده في اول مرة يستخفون اي طعمة وقومه يستترون ويستحيون ويخافون من الناس ولا
يستخفون اي ولا يستحيون ولا يخافون من الله وهو اخوان يستحيي ويخاف منه وهو معهم
بعلمه لا يخفى عليه سرهم اذ يبيتون اي يدبرون ليلا على طريق الاستعارة في الفكر والاثنان للاي
ما لا يرضى من القول اي من رمي اليهودي بالسرقة وشهادة الزور عليه والحلف الكاذب على نفيها
فان قيل كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس اجيب بانه لما حدث بذلك نفسه سمي
قولا مجازا قاله في الكشاف ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وكان
الله بما يعملون محيطا اي علما وقدرة لا يفوت عنه شيء وقوله تعالى ها انتم هؤلاء خطاب لقوم
طعمة اي يا هؤلاء جادلتم اي خاصمتم عنهم اي طعمة وذويه في الحياة الدنيا اي بما جعل الكم من
الاسباب فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة اذا عذبهم ام من يكون عليهم وكيلا يتولى امرهم
ويذب عنهم اي لا احد يفعل ذلك فايدة التفات كتاب المصاحف علي فقطع لم عز من ومن يعمل سوءا
اي ذنبا يسوء به غيره كرمي طعمة اليهودي او يظلم نفسه اي بعمل ذنب يختص به لا يتعداه وقيل
المراد بالاول الصغيرة والثاني الكبيرة ثم يستغفر الله اي يطلب من الله تعالى غفرانه بالتوبة
بشرطها يجد الله غفورا اي محاء للزلات رحيما اي مبالغا في اكرام من يقبل اليه كما في الحديث
عند الله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن
اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه ان هذه الآية نسخت من يعمل سوءا يجز به
ومن يكسب اثما اي ذنبا فانما يكسبه على نفسه اي لان وباله راجع اليه اذ الله لا يرضاه فهو

مجازيه

مجازيه عليه فلا يتعداه وباله قال تعالى وان اساتم فلها وكان الله عليما اي بالغ العلم بد
ذلك وجليله فلا يترك منه شيا حكيما في صنعه فلا يجازيه الا بمقدار ذنبه ومن يكسب
خطية اي ذنبا صغيرا او ما لا عمد فيه او اثما اي كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريا
اي ينسبه الى من لم يعمله كما فعل طعمة باليهودي فقد احتمل اي تحمل بهتانا اي خطر كذوب
بهت المرمي به واثما اي ذنبا اي كبيرا مبينا اي بينا بكسبه بسبب رمي البريء ولو لا فضل
الله عليك يا محمد ورحمته بالعصمة لهمت طايفة منهم اي من قوم طعمة او هما مؤثرا عندك ان
يضلوك اي عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال بتلبيسهم عليك فلا يناني في ذلك انهم قد هموا
بذلك لان الهم المؤثر لم يوجد وما يضلون الا انفسهم اي وبال ذلك عليهم وما يضرونك
من شيء فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتماده امنك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم
تبعيضية من شيء في موضع نصب على المصدر اي شيا من الضرر فمن مزيدة وانزل الله عليك الكتاب
اي القرآن والحكمة اي السنة فانها ليست قرانا يتلى وفسرت ايضا بانها علم الشرايع وكل كلام وافق
الحق وعلمك ما لم تكن تعلم اي من المشكلات وغيرها غيبا وشهادة من احوال الدين والدنيا
وكان فضل الله عليك عظيما اي بهذا وبغيره في امور لا تدخل تحت الحصر وفي هذا دليل على
ان العلم من اشرف الفضايل لا خير في كثير من نجواهم اي الناس قوم طعمة فانهم ناجوا النبي
صلى الله عليه وسلم في الدفع عنه وكذا غيرهم الا نجوى من امر بصدقة واجبة او مندوبة
او معروف اي عمل بر وقيل المراد بالصدقة الواجبة وبالمعروف صدقة التطوع او اصلاح
بين الناس سواء اصلاح ذات البين وغيرهم قال صلى الله عليه وسلم كل كلام بن ادم كله عليه لا له
الا ثلاثة امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا
الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول
والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه وروي انه صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
بافضل من درجة القيام والصدقة والصلاة قلنا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين
وافساد ذات البين هي الحالقة وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ليس بالكذاب من اصلح بين
الناس فقال خيرا او انمى خيرا ومن يفعل ذلك اي هذا المذكور ابتغاء اي طلب مرضات الله
اي لا غيره من امور الدنيا لان الاعمال بالنيات فسوف نؤتيه اي الله في الاخرة بوعد لا خلف فيه
اجرا عظيما هو الجنة والنظر الى وجهه الكريم وفي هذه الاية دلالة على ان المطلوب من اعمال
الظاهر رعاية احوال الباطن في اخلاص النية وتصفية القلب من الالتفات الى غرض دنيوي
وقرا ابو عمرو وحمزة يؤتيه بالياء والباقون بالنون ومن يشاقق الرسول اي يخالفه فيما جاء به

ما خرج من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر من بعد ما تبين اي ظهر له الهدى
اي الدليل الذي هو سبيله ويتبع غير طريقا غير سبيل المومنين اي طريقهم الذي هم عليه من الدين
بان يتبع غيرهم في الاسلام نوله ما تولى اي نجعله واليا لما تولاه بان نخلي بينه وبينه في الدنيا
ونصله اي ندخله في الاخرة جهنم يحترق فيها وساءت مصيرا اي مرجعا هي وقرا الوا عمرو وشعبه
وحمزة نوله ونصله بسكون الهاء واختلس كسرة الهاء قالون ولهشام وجهان الاختلاس كقالون ه
واشباع الحركة كباقي القراء فان قيل ما الحكمة في فك الادغام في قوله تعالى ومن يشاقق الرسول
والادغام في سورة الحشر في قوله تعالى ومن يشاق الله اجيب بان الذي في لفظ الجلالة بخلاف
ما صحبه لفظ الرسول فان قيل يرد هذا قوله تعالى في سورة الانفال ومن يشاقق الله ورسوله
اجيب بانه لما انضم الرسول الى الله صار المعطوف والمعطوف عليه كالشيء الواحد ان الله لا يغفر ان
يشرك به اي وقوع الشرك به من اي شخص كان وباي شيء كان ويغفر ما اي كل شيء هو دون ذلك
من سائر المعاصي لكن لمن يشاء لان جميع الامور بمشيئته روي ان شيخا جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به
ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني
لنادم تائب فما ترى حالي عند الله فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق
فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الاية الاولى
فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومشاركهم نوع افتراء وهو دعوى النبي على الله
تعالى ان اي ما يدعون اي يعبد المشركون من دونه اي غير الله الا اناثا وهي اللات والعزى
ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان
وقيل كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله
وان اي ما يدعون اي يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اي خارجا عن الطاعة وهو ابليس
لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعته في ذلك عبادة له لعنه الله اي ابعده
عن رحمته وقال اي الشيطان المذكور لاتخذن من عبادك نصيبا اي حظا مفروضا اي
معلوما ادعوهم فيه الى طاعتي قال الحسن من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار ولاضلنهم
اي عن طريق السوي بما سلطني به من الوساوس وتزيين الاباطيل ولامنينهم اي بكل ما افقد
عليه من الباطل من عدم البعث والحساب والجنة والنار وغيره والقي في قلوبهم طول الاعمار
وبلوغ الامال من الدنيا والاخرة بالرحمة والضنو والاحسان ونحوه مما هو سبب للتسويف
بالتوبة ولامرنهم فليبتكن اي يقطعن اذان الانعام او يشقونها كما كانت العرب تفعله بالبحاير

والسوابب

والسوابب التي حرموها على انفسهم كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس
ذكرا حرموا على انفسهم الانتفاع ولامرنهم فليغيرن خلق الله اي فطرة الله التي هي دين الاسلام
بالكفر واحلال ما حرم وتحريم ما احل ويدخل في ذلك اللواط والسحر والوشم وهو ان
يغرز الجلد بابرة ويحشى بنحو نيلة والوشر وهو ان تحد المراة اسنانها وترققها ونحو ذلك
كالخصاء وهو حرام في بني ادم قال الزمخشري وعند ابي حنيفة يكره شراء الخصيان ه
واما كهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصيانهم واما في البهائم فيجوز فيما
الماكول الصغير ويحرم في غيره وقيل للحسن رحمه الله تعالى ان عكرمة يقول المراد هو
الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوسم ومن يتخذ الشيطان
وليا اي يتولاه ويطيعه من دون الله اي غيره فقد خسر خسرانا مبينا اي بينا لصيرورته الى
النار الموبدة عليه يعدهم ما لا ينجزه بان يخيل اليهم بما يصل الى قلوبهم بالوسوسة
في شيء من الاباطيل انه قريب الحصول فيسوف في تحصيله فيضيع عليهم في ذلك الزمان
ويتكلبون ما لا يحل من الاهوال والهوان ويمنيهم نيل الامال في الدنيا ولا بعث ولا جزاء
وما اي والحال انه ما يعدهم الشيطان بذلك الا غرورا اي باطلا وهو اظهار النفع فيما فيه
الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر وبلسان اوليائه اولئك اي الشيطان واوليائه ماواهم اي مثواهم
جهنم يحترقون فيها ولا يجدون عنها محيصا اي معدلا وتصرفا ولما ذكر ما للكافر في تركهما
اتبعه ما لغيرهم ترغيبا فقال والذين امنوا اي اقروا بالايمان وعملوا الصالحات اي الطاعات
تصديقا لاقرارهم سندخلهم بوعد لا خلف فيه جنات تجري من تحتها الانهار اي تجري اشجارها
فحيث ما اجري نهر منها جري خالدين فيها وملاك الخلود يطلق على المكث الطويل دفع ذلك
بقوله تعالى ابدا اي لا الى اخر وعد الله حقا اي وعدهم الله ذلك وهو قوله تعالى سندخلهم وعده
حقا وهو اي لا احد اصدق من الله قيلا اي قولا والكل سبحانه وتعالى هنا تاكيد هنا لانه
في مقابلة وعد الشيطان ووعد الشيطان موافق الهوى الذي طبعت عليه النفوس فلا تشق
عنه الا بعسر شديد ونزل لما افتخر المسلمون واهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فقال اهل
الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء
وكتابنا يقضي على الكتب وقد امنا بكتابكم ولم تومنوا بكتابنا فنحن اولى ليس اي الامر منوطا
باما نيكم ايها المسلمون ولا اما نى اهل الكتاب بل بالايمان والعمل الصالح من يعمل سوءا يجز به
قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله اينا لم يعمل سوءا فكيف
الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا اي بالبلاء والمحن كما ورد في الحديث من يعمل حسنة فله عشر

حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشرة وبقي له تسع حسنات فويل لمن غلب
آحاده عشراته واما ملكان جزائي الاخرة فيقابل بين حسناته وسيآته فيلقى مكان كل
سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطي الجزا في الجنة فيوفي كل ذي فضل فضله وعن ابي بكر
رضي الله تعالى عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزلت عليه هذه الاية من يعمل
سوءا يجز به ولا يجدلهم من دون الله اي غيره وليا اي يحفظه ولا نصيرا اي يمنعه منه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابابكر الا اقرئك اية انزلت علي قلت بلى يا رسول الله قال فاقرانيها قال ولا اعلم اني وجدت انقصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مالك يا ابابكر فقلت يا رسول الله بابي انت وامي واينا لم يعمل سوءا انا
لمجزيون بكل سوء عملناه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابابكر واصحابك المؤمنون
فتجزون بذلك في الدنيا اي بالبلا والمحن كما مر حتى تلقوا الله وليس لكم ذنوب واما الاخرون
فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة ومن يعمل شيأ من الصالحات فان كل احد لا يتمكن
من كلها وليس مطلقا بها وقوله تعالى من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن
للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتدا وقوله تعالى وهو مؤمن
حال شرط اقتران العمل بها في استدعا الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد بالعمل الصالح
دون اقتران العمل بها فاولئك اي العالون الرتبة يدخلون اي يدخلهم الله الجنة اي
الموصوفة ولا يظلمون نقيرا اي قدر نقرة النواة من ثواب اعمالهم وان الم ينقص ثواب المطيع
بالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي هو ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكر عقب
الثواب وقرا ابن كثير وابو عمرو وشعبة بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن
اي لا احد احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي انقاد واخلص عمله لله فلا حركة ولا سكون
الا فيما يرضاه وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية
وهو اي والحال انه محسن اي مومن مراقب آت بالاحسان تارك للسيات لانه يعبد الله كانه
يراه وقد اشتملت هذه الكلمات العشر على الدين كله اصلا وفرعا مع الترغيب بالمدح الكامل
لمتبعه وافهام الذم الكامل لغيره واتبع ملة ابراهيم اي الموافقة لملة الاسلام وقوله تعالى
حنيفا حال اي مايلا عن الاديان كلها الى الدين القيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اي صفيا
خالص المحبة له وانما اعاد ذكره ولم يضمره تفخيما له وتنصيصا على انه الممدوح والخلة
من الخلال فانه ودخلل النفس وخالطها قال الزجاج معنى الخليل الذي ليس في محبته خلل
والخلة الصداقة فسمي خليلا لان الله تعالى احبه واصطفاه روي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام

كان اباضيفان

كان ابا الضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس سنة فخرجوا
الى باب ابراهيم يطلبون الطعام وكان الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل
الى الخليل الذي بمصر فقال خليله لغلمانه لو كان ابراهيم يريد نفسه لفعلت ولكن يريد هم
للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه فمروا ببطحا اي بارض ذات
حصى فقالوا والله ما حملنا من هذه البطحا لترى الناس انا قد جينا بميرة فانا نستحيي ان نمر بهم
وابلنا فارغة فملؤا تلك الغرائر ثم اتوا ابراهيم فلما اخبروه بذلك وسارة نايمة ساه الخبز
فقلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار فقالت سبحان الله ما جا
الغلمان قالوا بلى فقامت الى الغرائر ففتحتها فاذا هو اجود خوارير اي وهو بضم الخا المعجمة
وتشديد الواو وفتح الرا الدقيق الذي يخل مرة بعد اخرى فامرت الخبازين فخبزوا والطعم
الناس فاستيقظ ابراهيم فوجد رايحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك
المصري فقال بل هو من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما في السموات وما في الارض
خلقا وملكا يفعل فيهما ما يشا وكان الله بكل شي محيطا علما وقدرة اي ولم يزل متصفا بذلك
فيهما اراد كان في وعد ووعيد للمطيع والعاصي لا يخفى عليه احد منهم ولا يعجزه شي ويستفتونك
اي يطلبون منك الفتوى في شان النسا ومواريثهن قل الله يفتيكم اي يبين لكم حكمه فيهن
والافتا تبيين المبهم ويفتيكم ايضا ما يتلى عليكم في الكتاب اي القران من اية الميراث في يتامى
النسا اي في شان اليتامى اللاتي لا تؤتونهن ما كتب اي فرض لهن اي من الميراث وترغبون
ايها الاولياء ان تنكحوهن اي في ان او عن ان تنكحوهن لجمالهن او دمامتهن قالت عايشة رضي الله تعالى
عنها هي اليتيمة تكون في حجر الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال
باقل من سنة صداقها وان كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركها وفي رواية هي
اليتيمة تكون في حجر الرجل قد شركته في ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لذمامها منها ويكره
ان يزوجها غيره فيدخل عليه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله تعالى عن ذلك
ويفتيكم في المستضعفين اي الصغار من الولدان اي ان تقطوهم حقوقهم لان العرب كانوا
لا يورثونهم كما لا يورثون النسا وقوله تعالى وان تقوموا في محل نصب بامضمار فعلا اي ويامركم
ان تقوموا لليتامى بالقسط اي العدل من الميراث وغيره والخطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا
ويستوفوا حقهم او للقوام بالنصفة في شانهم وما تفعلوا من خير اي في ذلك او غيره فان
الله كان به عليما اي فيجازيكم عليه فانه اكرم الاكرمين فطيبوا نفسا وقروا عينا قال ابن
سعيد بن جبير كان رجل له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت

فقالت لا تطلقني ودعني على ولدي واقسم لي من كل شهر في ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
وان امراة مرفوع بفعل يفسره خافت اي توقعت من بعلها اي زوجها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنافحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها ومجالستها
فلا جناح عليهما اي الزوج والمراة ان يصلحا بينهما صلحا اي في القسم والنفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد دخلت في السن واني اريد ان اتزوج امراة شابة جميلة اوثرها عليك في القسم ليلا ونهارا فان رضيت بهذا فابقي وان كرهت خليت سبيلك فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان فان امسكها ووفاها حقها مع كراهته فهو المحسن وقراءاصم وحمزة والكسائي بضم الياء وسكون الصاد ولا الف من اصلح بين المتنازعين والباقون بفتح الياء وفتح الصاد مع التشديد والف بعدها وفتح اللام وفيه ادغام التاء في الاصل في الصاد وغلظ وبرش اللام من يقتالحاجلاق عنه والصلح بان يترك كل منهما حقه او بعض حقه خيرا اي من الفرقة والنشوز والاعراض كما يروي ان سودة
كانت امراة كبيرة اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفارقها فقالت لا تطلقني وانما اريد ان اكون في نسائك وقد جعلت نوبتي لعايشة فامسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقسم لعايشة يومها ويوم سودة ثم بين سبحانه وتعالى ما جبل عليه الانسان بقوله واحضرت الانفس الشح اي جبلت عليه نفوسها حاضرة لا تغيب عنه فلا تكاد المراة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الزوج يسمح بنفسه بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها وخصوصا اذا احب غيرها والشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وان تحسنوا اي في عشرة النساء وان كنتم كارهين وتتقوا اي النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والخصومة خبيرا اي عليما به وبالغرض منه فيجازيكم عليه ولن تستطيعوا اي توجدوا من انفسكم طواعية بالغة دايمة ان تعدلوا اي تسووا بين النساء اي في المحبة لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسايه فيعدل ويقول هذا قسمي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك رواه ابو داود وغيره وصححه الحاكم ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا الى التي تحبونها كل الميل في القسم والنفقة فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها اي فتتركوا المراة المماله عنها كالمعلقة اي التي لا هي ايم ولا ذات بعل وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كان

له امراتان يميل الى احداهما جا يوم القيامة واحد شقيه مايل رواه ابو داود وغيره
ويصححه الحاكم وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه بعث الى ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بمال فقالت
عايشة رضي الله تعالى عنها الى كل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعث عمر مثل هذا قالوا هو
لا ببعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع راسك فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا
وكان لمعاذ رضي الله تعالى عنه امراتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضا في بيت الاخرى
فاتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا اي ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا
فيما يستقبل فان الله كان غفورا رحيما اي لما في قلوبكم من الميل رحيما بكم في ذلك وغيره
فانه ارحم الراحمين وان يتفرقا اي يفترق كل من الزوجين من صاحبه بالطلاق يغن
الله كلا منهما عن الاخر ببعد بان يرزقها زوجا ويرزقه غيرها او بلو من سعته اي من
فضله وكرمه وكان الله واسعا اي واسع الفضل والرحمة لخلقه حكيما اي فيما دبره لهم وقوله
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض اي ملكا وعبيدا تنبيه على كمال سعته وقدرته
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب اي جنس الكتب من قبلكم اي اليهود والنصارى ومن قبلهم
وقوله تعالى واياكم عطف على الموصى وهو خطاب لاهل القران ان اتقوا الله اي بان اتقوا الله اي
خافوا عقابه بان تطيعوه وقوله تعالى وان تكفروا اي بما وصيتم به فان لله ما في السموات
وما في الارض على ارادة القول قال التفتازاني لان الجملة الشرطية لا يصح ان تقع بعد ان المصدرية
فلا يصح عطفها على الواقع بعدها اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم
ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما يوصيكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله
وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمدوا ام لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض
وكفى بالله وكيلا اي شهيدا بان ما فيهما له فان قيل ما فايدة تكرير لله ما في السموات وما في الارض
اجيب بان لكل واحد منها وجها اما الاول فمعناه لله ما في السموات وما في الارض وهو يوصيكم
بالتقوى فاقبلوا وصيته واما الثاني فمعناه لله ما في السموات وما في الارض وكان الله غنيا حميدا
اي هو المغني المطلق فاطلبوا منه ما تطلبون فانه لا ينفد ما عنده واما الثالث فمعناه لله ما في
السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا اي له الملك فاتخذوه وكيلا ولا تتوكلوا على غيره فذكرت
كل مرة دليلا على شيء غير الذي قبله وكررت لان الدليل الواحد اذا كان دالا على مدلولات كثيرة
يحسن ان يستدل به على كل واحد منها واعادته مع كل واحد اولى من الاكتفا بذكره مرة واحدة
لان عند اعادته يحضر في الذهن ما يوجب العلم بالمدلول فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول

اقوي واجل وفي ختم كل جمله بصفة من الصفات الحسني تنبيه الذهن بها الي ان هذا الاول
دال علي اسرار شريفة ومطالب جليلة لا ينحصر فيجتهد السامع في التفكر لاظهارها بالاسرار هـ
والاستدلال علي صفات الكمال لان الغرض الكلي من هذا الكتاب صرف العقول والافهام عن
الاشتغال بغير الله الي الاستغراق في معرفته سبحانه وتعالي وهذا التكرير مما يفيد حصول
هذا المطلوب ويوكده ان يشا يذهبكم اي يفنيكم ايها الناس بما اوجدكم ويات باخرين
اي ويوجد قوما اخرين في مكانكم او خلقا اخرين في مكان الانس وكان الله علي ذلك اي الاعدام
والايجاد قديرا اي بليغ القدرة لا يمتنع عليه شي اراده وقيل هذا خطاب لمن كان يعادي
رسول الله صلي الله عليه وسلم من العرب ان يشا يمتكم ويات بناس اخرين يوالونه ويروي
انه لما نزل ان يشا يذهبكم الاية ضرب رسول الله صلي الله عليه وسلم علي ظهر سلمان وقال انهم
قوم هذا سلمان وهم بنو فارس من كان يريد بعمله ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة
لقصور نظره علي النصيب الحاضر مع خسته كالبهايم فعند الله ثواب الدنيا الخسيسة الفانية
والاخرة النفيسة الباقية لا عند غيره فحاله يطلب الخسيس فليطلبهما منه كمن يقول ربنا
اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة اوليطلب الاشرف منهما فان من علت همته فاقبل بقلبه
اليه وقصر همه عليه جمع له سبحانه وتعالي بينهما كمن يجاهد لله خالصا يجمع له بين الاجر
والمغنم وكان الله سميعا اي بالغ السمع لكل قول وان خفي بصيرا اي بالغ البصر لكل ما يفعل
وان خفي يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين اي قايمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا
فيه بالقسط اي العدل شهدا لله بالحق اي تقيمون شهادتكم وانتم لوجه الله ولو كانت الشهادة
علي انفسكم فاشهدوا علي انفسكم بان تقروا بالحق ولا تكتموه او الوالدين والاقربين اي ولو
كانت الشهادة علي والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا فلا تمنع الشهادة
عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا تمنع ترحما عليه فالله اولي بهما اي الغني والفقير
وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة لهما او عليهما صلاحا لما شرعها تنبيه الضمير في بهما راجع
الي ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليهما والا لوحد الضمير لكون العطف بأو
فكانه قال فالله اولي بجنسي الغني والفقير اي بالاغنيا والفقرا فلا تتبعوا الهوي اي
شهادتكم بان تحابوا الغني لرضاه او الفقير رحمة له ان تعدلوا اي ارادة ان تعدلوا فتقدير
لكم ان لا عدل في ذلك او ليلا تعدلوا اي تميلوا عن الحق وان تلووا اي السنتكم لتحرفوا الشهادة
او تعرضوا اي عن ادايها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم به وقرا ابن عامر وحمزة هـ
بضم اللام وحذف الواو الاولي والباقون بسكون اللام واو في الاولي مضمومة يا ايها

الذين امنوا

الذين امنوا امنوا اي داوموا علي الايمان بالله ورسوله والكتاب الذي نزل علي رسوله
محمد صلي الله عليه وسلم وهو القران والكتاب الذي انزل من قبل علي الرسل بمعني الكتب اي امنوا
بجميع كتب الله المنزلة وقيل ان الخطاب في ذلك لاهل الكتاب روي ان ابن سلام واصحابه
قالوا يا رسول الله انا نومن بك وبكتابك وبموسي والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فقال
لهم النبي صلي الله عليه وسلم بل امنوا بالله ورسوله محمد والقران وبكل كتاب كان قبله فانزل الله
هذه الاية وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم النون من نزل وضم الهمزة من انزل وكسر
الزاي فيهما والباقون بفتح النون والهمزة وفتح الزاي فيهما ومن يكفر بالله وملايكته
وكتبه التي انزلها علي انبيايه ورسله اي من الملايكة والبشر واليوم الاخر اي الذي اخبر
به رسله وهو يوم القيامة اي ومن يكفر بشي من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق بحيث
لا يكاد يعود اليه وقرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الضاد والباقون
بالادغام ان الذين امنوا اي بموسي وهم اليهود ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بعد
عود موسي اليهم ثم كفروا بعيسي ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلي الله عليه وسلم لم يكن الله ليغفر لهم
اي ما داموا علي هذه الحال لانه لا يغفر ان يشرك به ولا يهديهم سبيلا اي طريقا
الي الحق بشر المنافقين يا محمد بان لهم عذابا اليما اي مولما هو النار تنبيه ومنع بشر مكان
انذر تهكما بهم وقوله تعالي الذين بدل او نعت للمنافقين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المومنين لما يتوهمون فيهم من القوة وقوله تعالي ايبتغون اي يطلبون عندهم العزة استفهام
انكاري اي لا يجدونها عندهم فان العزة لله جميعا في الدنيا والاخرة ولا ينالها الا اولياوه قال
تعالي ولله العزة ولرسوله وللمومنين وقد اي تتخذونهم ولحال انه قد نزل عليكم اي اتيها الا
الصادقين منكم والمنافقين في الكتاب اي القران في سورة الانعام النازلة بمكة المشرفة الذي
عن مجالستهم فصلا عن ولايتهم ان اي انه فهي مخففة واسمها محذوف اذا سمعتم ايات الله
اي القران يكفر بها ويستهزا بها فلا تقعدوا معهم اي الكافرين والمستهزين حتي يخوضوا في
حديث غيره اي حتي ياخذوا في حديث غير ذلك قال الضحاك عن ابن عباس دخل في هذه
الاية كل محدث في الدين وكل مبتدع الي يوم القيامة وقرا عاصم نزل بفتح النون والزاي
والباقون بضم النون وكسر الزاي انكم اذا اي ان قعدتم معهم مثلهم اي في الاثم لانكم قادرون
علي الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم به وقيل كان الذين يقاعدون الخا
في القران من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار في الكفر ويدل عليه
قوله تعالي ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا اي القاعدين والمقعود معهم هـ

يضين

كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزا وقوله تعالى الذين اما بدل من الذين قبله واما صفة
للمنافقين واما نصب على الذم منهم يتربصون اي ينتظرون وقوع امركم فان كان لكم فتح من
الله اي ظفر وغنيمة قالوا لكم الم نكن معكم اي في الدين والجهاد فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة
وان كان للكافرين نصيب اي من الظفر فان للرجل سجال وعبر بنصيب تحقيرا للظفر هم بالنسبة
لما حصل للمسلمين من الفتح قالوا لهم الم نستحوذ اي نستول عليكم ونقدر على اخذكم وقتلكم
فابقينا عليكم ونمنعكم من المومنين اي من تسلطهم عليكم بما كنا نخادعهم به ونشيع فيهم من
الارجافات والامور المرعوبات الصارفة لهم عن كثير من المقاصد لتصديقهم لنا لاظهارنا
الايمان ومرادنا المنافقين بذلك اظهار المنة على الكافرين فالله يحكم بينكم وبينهم يوم القيامة
بان يدخلكم الجنة ويدخلهم النار ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا اي طريقا بالاستيصال واحتج اصحابنا بهذه الاية على فساد شراء الكافر العبد المسلم ان المنافقين
يخادعون الله اي باظهارهم خلاف ما يبطنونه من الكفر ليدفعوا عنهم احكامه الدنيوية
وهو خادعهم اي مجازيهم على خداعهم فيفضحهم في الدنيا باطلاع نبيه على ما ابطنوه
ويعاقبهم في الاخرة واذا قاموا الى الصلاة مع المومنين قاموا كسالى اي متثاقلين كالمكرهين
على الفعل يراؤن الناس بصلاتهم ليظنوهم مومنين ولا يذكرون الله اي ولا يصلون الا قليلا
اي حين يتعين ذلك طريقا لمخادعتهم ولا يصلون قط غائبين عن عيون الناس ومجاهرة
به ايضا قليل لانهم ما وجدوا منه وحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه ويجوز ان يراد
بالقلة العدم فان قيل ما معنى المراآة وهي مفاعلة من الرؤية اجيب بان المرايين يريهم عمله
وهم يرون استحسانه وقوله تعالى مذبذبين حال من واو يراؤن اي متردديين بين ذلك
اي الكفر والايمان لا منسوبين الى هؤلا اي الكفار ولا الى هؤلا اي المومنين ومن يضلل الله
اي يضله فلن تجد له سبيلا اي طريقا الى الهدى ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا
فما له من نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اي المجاهدين بالكفر اولياء من دون المومنين
فانه صنيع المنافقين ودينهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا اي دليلا على كفركم باتباعكم غير سبيل المومنين مبينا اي واضحا على نفاقكم ان المنافقين
في الدرك اي البقعة الاسفل من النار اي لان ذلك اخفى ما في النار واستر واخبث كما ان كفرهم
اخفى الكفر واستره واخبثه وسميت طبقات النار دراكا لانها متداركة متتابعة الى اسفل
كما ان الدرج متراقية الى فوق فان قيل لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر اجيب بانه مثل
في الكفر وضم الى كفره الاستهزا بالاسلام واهله وقرا عاصم وحمزة والكسايي بسكون الراء والباقون

بضمها ولن تجد لهم نصيرا اي مانعا يمنعهم من عذاب الله فيخرجهم منها الا الذين تابوا اي رجعوا
عما كانوا عليه من النفاق واصلحوا اي اعمالهم واعتصموا اي وثقوا بالله واخلصوا دينهم لله
من الرياء فلا يريدون بطاعته الا وجهه فاولئك مع المومنين في الجنة وسوف يوت الله
المومنين اجرا عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قيل من المنافق اجيب بانه في
الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسميته مزاركب ما يفسق به منافقا فللتغليظ
كقوله صلى الله عليه وسلم من ترك الصلاة متعمدا فهو كافر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث
من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا اوعد اخلف
واذا اوتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله تعالى عنه من المنافق قال الذي يصف الاسلام ولا
يعمل به وقيل لابن عمر رضي الله تعالى عنهما ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا
تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق فاين كتاب المصاحف على حذف اليا من يوت
الله ولا سبب لحذفها ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم فعامنتم به اي اتيتم به عن يقين
او يدفع ضرا او يستجلب به نفعا وهو الغني المطلق المتعالي عن النفع والضر والاستفهام بمعنى
النفي اي لا يعذبكم فان قيل لم قوم الشكر على الايمان مع انه لا ينفع مع عدم الايمان اجيب
بان الناظر يورث النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم امن به ثم شكر
شكرا مفصلا فكان الشكر منقدما وكانه اصل التكليف ومداره فيومن به والشكر ضد الكفر
فالكفر ستر النعمة والشكر اظهارها وكان الله شاكرا لاعمال المومنين بالاثابة يقبل اليسير ويعطي
الجزيل عليما بخلقه لا يحب الله الجهر بالسوء اي القبيح من القول من احد اي يعاقب عليه الا من
اي جهر من ظلم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما هو فيه من السوء فلا يواخذه به قال الله تعالى
ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل قال الحسن البصري دعاوه عليه ان يقول اللهم
اعني عليه اللهم استخرج حقي منه وقيل ان شتم جازاه ان يشتم بمثله لا يزيد عليه وقال مجاهد
هذا في الضيف اذا نزل بقوم فلم يبروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ويذكر ما منع به
روي ان رجلا اضاف قوما اي نزل بهم ضيفا فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الحكاية
فنزلت وعن عقبة بن عامر قال قلنا يا رسول الله انك تبعثنا فننزل بقوم فلا يقروننا فما تامرنا
فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزلتم بقوم فامروا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا وان لم
يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم وكان الله سميعا لكل ما يقال ومنه دعا المظلوم
عليما بكل ما يفعل ومنه فعل الظالم ان تبدوا اي تظهروا خيرا من اعمال البر او تخفوه او تعفوا
سرا او تعفوا عن سوء اي عن مظلمة فان الله كان اي دايما ازلا وابدا عفوا قديرا اي يكثر العفو

عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث للمظلوم على تمهيد العفو
بعد ما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق وقوله تعالى ان الذين يكفرون بالله
ورسله نزل في اليهود وذلك انهم امنوا بموسى والتوراة وعزير وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد
صلى الله عليه وسلم والقران ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يومنوا بالله ويكفروا برسله
ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض اي نومن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا بين اليهودية والاسلام ولا واسطة اذ الحق لا يتجزأ فان
الايمان بالله انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا واجمالا والكافر
ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون
اي الكاملون في الكفر وقوله تعالى حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله واعتدنا للكافرين عذابا
مهينا اي ذا اهانة وهو عذاب النار وما بين سبحانه وتعالى ما اعده للكافرين بين ما اعده
للمومنين بقوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم بان كفروا
ببعض وامنوا ببعض كما فعل الاشقياء وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا للمومنين
من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك اي العالو الرتبة في رتب السعادة سوف نوتيهم يوعد
لا خلف فيه وان تاخر اجورهم الموعودة لهم بايمانهم بالله وكتبه ورسله وقرا حفص بالياء على الغيبة
والباقون بالنون وكان الله غفورا لما يريد من الزلات رحيما اي بمن يريد اسعاده بالجنات روي
لما قال احبار اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب جملة من السما كما اتى به
موسى يسالك يا محمد اهل الكتاب اي احبار اليهود ان تنزل عليهم كتابا من السما جملة كما
انزل على موسى وقيل كتابا محررا اي مجلوا مصونا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة
وقيل كتابا فاتيه حين ينزل او كتابا الينا باعيانا بانك رسول الله قالوا ذلك تعنتا قال الحسن
لو سالوا الكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية وقوله تعالى فقد سالوا اي اباهم موسى
جواب شرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى اكبر اي اعظم من ذلك
فقالوا ارنا الله جهرة اي عيانا وانما اسند السوال اليهم وان وجد من اباهم في ايام موسى
عليه الصلاة والسلام وهم السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسوالهم
ومعاندين لهم في الخفيات فاخذتهم الصاعقة اي عقب هذا السوال وهي نار جاءت من السما
فاهلكتهم بظلمهم اي بسببه وهو تعنتهم وسوالهم لما يستحيل في تلك الحال وذلك لان يتعنتوا
امتناع الرويه مطلقا ثم بعد العفو عنهم واحيائهم من اماتة هذه الصاعقة اتخذوا العجل
اي تكلفوا اخذه وجعلوه الها من بعد ما جاتهم البينات اي المعجزات على وحدانية الله تعالى

وليس المراد

وليس المراد التوراة لانها لم تاتهم فيما مضى بل اتتهم بعد فعفونا عن ذلك اي الذنب العظيم
بتوبتنا عليهم من غير استيصال لهم واتينا موسى سلطانا اي تسليطا واستيلا مبينا اي ظاهرا
فانه امرهم بقتل انفسهم توبة من عبادة العجل فبادروا الى الامتثال ورفعنا فوقهم الطور
اي الجبل العظيم بميثاقهم اي بسبب اخذ الميثاق عليهم ليخافوا فيقبلوه وقلنا لهم اي على
لسان موسى صلى الله وسلم عليه والطور مظلل عليهم ادخلوا الباب اي الذي لبيت المقدس
سجدا اي سجود اخبات وقلنا لهم اي على لسان داود لا تعدوا اي لا تتجاوزوا ما حددناه لكم
في السبت اي لا تعملوا فيه عملا من الاعمال تسمية للشي باسم سببه سمي به لان العامل للشي
يكون لشدة اقباله عليه كانه يعدو او يحتمل ان يكون ذلك على لسان موسى حين ظلل عليهم
الجبل فانه شرع السبت اي ترك العمل فيه ولكن كان الاعتدا في السبت والمسخ به في زمن داود
وقرا ورش بفتح العين وتشديد الدال وقرا قالون باختلاس حركة العين وتحقيق الدال واخذنا
منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم
نقضوه بعد كما قال تعالى فبما نقضهم اي فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والباء للسببية متعلقة
بمحذوف اي لعناهم بسبب نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله اي القران او بما في كتابهم
وقتلهم الانبيا بغير حق فانهم محتومون من كل نفيضة ومبرون من كل رزية لا يتوجه عليهم
حتم وقولهم قلوبنا غلف اي اوعية للعلوم اوفي اكنة مما تدعونا اليه فلا نعي كلا ممكن بل طبع
الله اي ختم عليها بكفرهم فلا تعي وعظا فلا يومنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه
او ايمانا قليلا لا عبرة به بان يومنوا وقتا يسيرا كوجه النهار ويكفروا في غيره ويومنوا
ببعض ويكفروا ببعض وقوله تعالى وبكفرهم معطوف على فبما نقضهم ويجوز عطفه على
بكفرهم وقد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فنقطوا
بعض كفرهم على بعض وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه وقولهم على مريم اي بعد ما ظهر
على يديها من الكرامات الدالة على براتها وانها ملازمة للعبادة بانواع الطاعات بهتانا
عظيما وهو نسبتها الى الزنا فان قيل كان مقتضى الظاهر ان يقول في مريم اجيب بانه ضمن
القول معنى الافتراء وهو يتعدى بعلى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله
اي بمجموع ذلك عذبناهم فان قيل كيف كانوا كافرين بعيسى اعداله عامدين لقتله يسعون
الساحر في الساحرة الفاعل به الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله
اجيب بانهم قالوه بزعم عيسى عندهم او انهم قالوه على وجه الاستهزا كقوله فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون قال الزمخشري ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح

في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به الذي قال الله تعالى تكذيبا لهم في قتله
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اي المقتول والمصلوب روي النسائي عن ابن عباس ان رهطا
من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبر
الله تعالى بانه يرفعه الى السما ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى الله
عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب
وقيل كان رجلا منافقا عيسى اي بظهوره الاسلام وبسقوط الكفر فلما اراد وا قتله قال انا ادلكم عليه
فدخل بيت عيسى ورفع عيسى عليه الصلاة والسلام فالقى الله شبهه على المنافق فدخلوا عليه
فقتلوه وصلبوه وهم يظنون انه عيسى وقيل انهم حبسوا عيسى عليه الصلاة والسلام في
بيت وجعلوا عليه رقيبا فالقى الله شبه عيسى على الرقيب فقتلوه وان الذين اختلفوا فيه
اي في شان عيسى فانه لما رفعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كذابا
فقتلناه حقا ويرد اخرون وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه
وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وكان الله القى شبه وجه عيسى ولم يلق على جسده وقال من
سمع من عيسى ان الذي رفعني الى السما انه يرفع الى السما وقال قوم صلب الناسوت والاسم
ومعه اللاهوت اي الالوهية فلفي شك منه اي من قتله مالهم به اي بقتله من علم وقوله تعالى
الا اتباع الظن استثنا منقطع اي لكن يتبعون فيه الظن الذي يخيلونه فان قيل قد وصفوا
بالشك والشك ان لا يترجح احد الجايزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون
شاكين ظانين اجيب بان الشك كما يطلق على ما يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد ويعم
ما يقابل العلم فيشمل الاعتقاد وما قتلوه اي انتفى قتلهم له انتفا يقينيا اي انتفاوه على سبيل
القطع ويجوز ان يكون حالا من واو قتلوه اي ما قتلوا القتل متيقنين انه عيسى عليه الصلاة
والسلام بل فعلوه شاكين فيه ولحق انهم لم يقتلوا الا الرجل الذي القى عليه شبهه قال البقاعي ه
والوجه الاول لقوله تعالى بل رفعه الله اليه اي الى مكان لا يصل اليه حكم ادمي وعن وهب
انه اوحي اليه بن ثلاثين ورفع وهو بن ثلاث وثلاثين فكانت رسالته ثلاث سنين وكان الله
عزيزا في ملكه لا يغلب عما يريد حكيما في صنعه لا يطمع احد في نقض شي منه وان من اهل ه
الكتاب اي وما من اهل الكتاب احد الا ليومنن به اي عيسى عليه الصلاة والسلام وهذا قول
اكثر المفسرين واهل العلم وقوله تعالى قبل موته اختلف في عود هذا الضمير فقال عكرمة ومجاهد
والضحاك يعود للكتابي اي ان الكتابي يومن بعيسى حين يعاين ملايكة الموت فلا ينفعه ايمانه
سوا احرق او غرق او تردى او سقط عليه جدار او اكله سبع او مات فجاة قيل لابن عباس

ارايت من خر من فوق بيت فقال يتكلم به في الهوي فقيل ارايت ان ضرب عنقه قال يتلجلج
بها لسانه وذهب قوم الى عود الضمير الى عيسى اي وما من اهل الكتاب احد الا ليومنن بعيسى
قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السما في اخر الزمان فلا يبقى احد الا امن به حتى تكون
الملة واحدة ملة الاسلام روي ابو هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوشك ان ينزل فيكم عيسى بن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع
الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل
الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون قال ابو هريرة اقرؤا
ان شيتم وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل موته ثلاث مرات ولا يعارض هذا ما في مسلم
في قصة الدجال ان الله يبعث عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين
ليس بين اثنين عداوة لان قوله ثم يلبث الناس بعده اي بعد موته فلا معارضة ولان السبع
محمولة على موة اقامة بعد نزوله ويكون ذلك مضافا الى مكثه فيها قبل رفعه الى السما وكان عمره
اذ ذاك ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور وروي عكرمة ان الها في قوله تعالى ليومنن به لكتابية
عن محمد صلى الله عليه وسلم يقوله لا يموت كتابي حتى يومن بمحمد وقيل الها راجعة الى الله عز وجل
يقول وان من اهل الكتاب الا ليومنن بالله عز وجل قبل موته عند المعاينة حين لا ينفعه ه
ايمانه ويوم القيامة يكون اي عيسى على القوم الاول عليهم شهيدا انه قد بلغهم رسالة ربه واقر
بالعبودية على نفسه كما قال تعالى مخبرا عنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبي شاهد
على امته قال تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا فبظلم من
الذين هادوا وهو ما تقدم ذكره من نقضهم الميثاق وكفرهم باياة الله وبهتانهم على مريم
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اي كان وقع احلالها لهم
في التوراة ثم حرمت عليهم وهي التي في قوله تعالى في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر الاية وبصدهم اي الناس عن سبيل الله اي دينه وقوله تعالى كثيرا صفة مصدر محذوف
اي صدا كثيرا او ناسا كثيرا بالاضلال عن الطريق فحرموا مستلذات تلك المحللات عاقبوا
انفسهم وغيرهم من لذاذة الايمان واخذهم الربا اي والحال انهم قد نهوا عنه في التوراة فكما
حرمها عليهم كما هو محرم علينا لانه قبيح في نفسه مزر بصاحبه وفي الاية دليل على ان النهي للتحريم
واكلهم اموال الناس بالباطل اي من الرشا في الحكم والمكاسب التي يصيبونها من عوامهم عاقبناهم
بان حرمنا عليهم طيبات كانوا يحلونها اذ تكبروا كثيرة حرم عليهم شيا من الطيبات التي كانت حلالا لهم
قال تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما اي موجعا

دون من تاب وآمن وما بين سبحانه وتعالى ما للمطبوع على قلوبهم الممتنعين في الكفر من
العقاب بين ما للبررة البصائر بالرسوخ في العلم والايمان من الثواب فقال لكن الراسخون
اي الثابتون المتمكنون في العلم منهم اي من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون
اي المهاجرون والانصار يؤمنون بما انزل اليك اي القران وما انزل من قبلك اي من سائر
الكتب المنزلة وقوله تعالى والمقيمين الصلاة نصب على المدح لان الصلاة للملائكة اعظم دين
الدين ولذلك كانت ناهية عن الفحشاء والمنكر نصب على المدح من بين هذه المرفوعات
اظهارا لفضلها وحكي عن عائشة رضي الله تعالى عنها وابان بن عثمان ان ذلك غلط من الكاتب
ينبغي ان يكتب والمقيمون الصلاة وكذلك قوله في سورة المائدة ان الذين امنوا والذين هادوا
والصابيون والنصارى وقوله تعالى ان هذان لساحران قالا ذلك خطأ من الكاتب وقال
عثمان ان في المصحف لحنا وستقيمه العرب بالسنتها فقيل له الا تغيره فقال دعوه فانه لا
حراما ولا يحرم حلالا وعامة الصحابة واهل العلم على انه صحيح كما قدمناه وقيل نصب
باضمار فعل تقديره اعني المقيمين الصلاة وقوله تعالى والموتون الزكاة والمؤمنون بالله
واليوم الاخر رجوع الى النسق الاول اولئك سنؤتيهم بوعد لا خلف فيه على جمعهم بين الايمان
الصحيح والعمل الصالح اجرا عظيما وهو الجنة والنظر الى وجهه الكريم وقوله تعالى انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر
الانبياء الذين سلفوا وبدا بذكر نوح عليه الصلاة والسلام لانه كان ابا البشر مثل ادم عليه
الصلاة والسلام قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ولانه اول نبي من انبياء الشريعة واول
نذير على الشرك واول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعايه وكان اطول
الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر الوسنة فلم ينتقص له سن ولم يشب له شعرة
ولم ينقص له قوة ولم يصبر احد على اذى قومه ما صبر هو على طول عمره وكما اوحينا الى ابراهيم
واسماعيل واسحاق ابني ابراهيم ويعقوب بن اسحاق والاسباط اولاد يعقوب وظاهر هذا
انهم كلهم انبياء وهو احد قولين والقول الاخر ان يوسف هو النبي فقط وعلى هذا فالمراد المجموع
وعيسى وايوب ويونس وهارون وسليمان واتينا داود زبورا قرا حمزة بضم الزاي
مصدر بمعنى مزبورا اي مكتوبا والباقون بالنصب على انه اسم للكتاب المؤتى وكان فيه التحميد
والتمجيد والثناء على الله عز وجل كان داود يقرا الى التوبة فيقوم ويقرا الزبور ويقوم معه
علماء بني اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلق العلماء ويقوم الجن خلف الناس الاعظم فالاعظم

والشياطين

والشياطين خلق الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقفن بين يديه تعجبا لما يسمعن منه والطير
ترفرف على رؤوسهم فلما قارف الذنب لم يرد ذلك فقيل له ذلك انس الطاعة وهذا وحشة
المعصية قال الاسيوطي في شرح التنبيه ان الزبور مائة وخمسون سورة ما بين قصار
وطوال والطويلة منها قدر ربع حزب والقصيرة قدر سورة النصر انتهى وعن ابي موسى
قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رايتني البارحة وانا اسمع لقراءتك لقد اعطيت
مزمارا من مزامير داود وكان عمر اذا راه قال ذكرنا يا ابا موسى فيقرا عنده وانما خص
هولا بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم وقوله تعالى ورسلا اي غيرهولا نصبه
بمضمر دل عليه اوحينا اليك مثل ارسلنا قد قصصناهم اي تلونا ذكرهم عليك من قبل
اي قبل نزول هذه السورة او هذه الاية ورسلا لم نقصصهم عليك اي الى الان روي انه
سبحانه وتعالى بعث ثمانية الاف نبي اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس
قاله الجلال المحلي في سورة غافر وقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما هو منتهى مراتب الوحي
اي كلمه على التدريج شيئا فشيئا بحسب المصالح من غير واسطة ملك فلا فرق في الوحي بين
ملكان بواسطة وبين ملكان بلا واسطة وخص به موسى من بين سائر الانبياء غير نبينا واما
نبينا صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم وقوله تعالى
رسلا بدلا من رسلا قبله مبشرين اي بالثواب من آمن ومنذرين اي مخوفين بالعقاب من كفر
وقوله تعالى ليلا يكون للناس على الله حجة متعلق بارسلنا او بمبشرين ومنذرين اي حجة تقال
بعد ارسال الرسل فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون من المؤمنين
فنبعثناهم لقطع عذرهم فان قيل كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما
نصبه الله تعالى من الادلة التي النظر فيها يوصل الى المعرفة اجيب بان الرسل منبهون عن
الغفلة وباعثون على النظر في الادلة فازالتهم ضروري وكان الله عزيزا في ملكه لا يغلب فيما
يريده حكيما في صنعه روي ان سعد بن عبادة قال لو رايت رجلا مع امراتي لضربته بالسيف
غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا
اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب
اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل
ذلك وعد الله الجنة قال ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا
سالنا عنك اليهود وعند صفتك في كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليهم جماعة من اليهود فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم والله انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا والله ما نعلم ذلك فانزل الله

عز وجل لكن الله يشهد اي يبين نبوتك بما انزل اليك اي من القران المعجز الدال على نبوتك
ان جحدوك وكذبوك انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه كل
بليغ وروي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت والملائكة يشهدون
لك ايضا وكفى بالله شهيدا على ذلك بما قام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره
ان الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله اي دين الاسلام بكتمهم نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وهم اليهود قد ضلوا ضلالا بعيدا عن الحق لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل هو
يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا بالله وظلموا نبيه بكتمان نعته
لم يكن الله ليغفر لهم لكفرهم وظلمهم ولا ليهديهم طريقا من الطرق الا طريق جهنم اي الطريق المؤدي
اليها خالدين فيها اي مقدرين الخلود فيها اذا دخلوها واكد ذلك بقوله ابدا الا ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويكان ذلك على الله يسيرا اي هينا لا يصعب عليه ولا يتعظمه يا ايها الناس قد
جاءكم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى
العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد
على الرد فامنوا بالله وقوله تعالى خيرا لكم وكذلك قوله تعالى فيما ياتي انتهوا خيرا لكم منصوب
بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا
ايرا فقصدوا او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد وقيل
تقديره لكن الايمان خيرا لكم قال البيضاوي ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا
فيما لا بد منه ولانه يودي الى حذف الشرط وجوابه انتهي وان تكفروا بالله فان لله ما في السموات
والارض ملكا وخلقا فهو غني عنكم فلا يضره كفركم كما لا ينفعه ايمانكم ونبه على غناه بقوله لله
ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملنا عليه وما تركبنا منه يا اهل الكتاب لا تغلوا اي تجاوزوا
الحد في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بالزنا والنصارى في رفعه
حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة والمراد بالكتاب الانجيل فانه اوفق لقوله ولا تقولوا
على الله الا الحق اي من تنزيهه عن الشركاء والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وكلمته القاها اي اوصلها الى مريم وجعلها فيها وروح اي ذو روح صدر منه لا بتوسط
ما يجري مجرى الاصل والمادة له وسمي عيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره الذي
من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير
جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اختترع اختراعا من عنده وقدرته بان
امر جبريل فنفخ في جيب درعها فحملت به فاضيف اليه تعالى تشريفا له وليس كما زعمتم انه ابن الله

او الهامه او ثالث ثلاثة لان الروح مركب والاله منزه عن التركيب وعن نسبة المركب اليه
روي انه صلى الله عليه وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده
ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق
ادخله الله الجنة على ما كان من العمل فامنوا بالله ورسله اي عيسى وغيره ولا تقولوا ينيفون ويكفرون
بعض ولا تقولوا كما قالت النصارى الالهة ثلاثة الله وعيسى وامه قال تعالى انتهوا عن
ذلك وائتوا خيرا لكم من ذلك وهو التوحيد انما الله اله واحد اي لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه
تنزيها له ان ابي عن ان يكون له ولد كما قلتم ايها النصارى فان ذلك يقتضي الحاجة ويقتضي
التركيب والمجانسة ثم علل ذلك بقوله له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فلا يتصور
ان يحتاج الى شيء منهما ولا الى شيء متحيز فيهما ولا يصح بوجه ان يكون بعض ما علكه المالك جزءا منه
وولدا له لان الملكية تنافي البنوة وعيسى وامه كل منهما محتاج الى ما في الوجود وكفى بالله وكيلا
اي يحتاج اليه كل شيء ولا يحتاج هو الى شيء فهو غني عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله
سبحانه وتعالى قايم بحفظ الاشياء كلها وفي ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه روي ان وفد نجران
قالوا يا رسول الله لم تعب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول عبد الله
قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزل قوله تعالى لن يستنكف اي يتكبر ويابى المسيح ان
يكون عبدا لله ان اي عن ان يكون عبد الله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستكاف
في عبودية غيره وقوله تعالى ولا الملائكة المقربون اي عند الله عطف على المسيح اي ولا يستنكف
الملائكة المقربون ان يكونوا عبيد الله وهذا من حسن الاستطراد ذكر للرد على من زعم انهما
الهة او بنات الله كما رد بما قبله على النصارى الزاعمين ذلك المقصود بخطابهم فلا حجة فيه على
ان الملائكة افضل من الانبياء كما زعمه بعض المعتزلة قايلا بان المعطوف اعلا درجة من المعطوف
عليه قال الطيبي وانما تنهض الحجة على النصارى اذا سلموا ان الملائكة افضل من عيسى ودونه
مرتبة التفاوت فكيف والنصارى يرفعون درجة عيسى الى الالهية فظهر ان ذكر الملائكة للاستطراد
كما رد على النصارى وانه من باب التتميم لا من باب الترقي انتهى ومن باب الترقي في الخلق لا في الخالق
كما قاله البقاعي قال لان الملائكة اعجب خلقا من عيسى في كونهم ليسوا من ذكر ولا انثى ولا مما يجا
عضو البشر فكانوا لذلك اعجب خلقا من ادم عليه الصلاة والسلام ايضا وفي القوة لانهم اقوى
من عيسى لانهم يتقلبون في الجبال ويأتون بالمياه العظيمة والعبادات الدائمة المستمرة ومن
يستنكف عن عبادته ويستكبر اي يطلب الكبر عن ذلك قال الراغب الاستكاف تكبر في توكاتة
والاستكبار بخلافه فسيحشرهم اي المستكبرين وغيرهم اليه جميعا في الاخرة بوعد لا يخلف فيجازيهم

فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فسيوفيهم اجورهم اي ثواب اعمالهم
ويزيدهم من فضله اي مالا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا
واستكبروا عن عبادته فيعذبهم عذابا اليما اي موليما هو عذاب النار وما وجدوا من لذاذة
الترفع والتكبر ولا يجدون لهم اي حالا ولا مآلا من دون الله اي غيره وليا يدفعه عنهم
ولا نصيرا يمنعهم منه يا ايها الناس اي كافة اهل الكتاب وغيرهم قد جاءكم برهان من ربكم
اي حجة نيرة واضحة مفيدة لليقين التام وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم مويده بالادلة
القاطعة من المعجزات وغيرها وانزلنا اليكم نورا مبينا اي واضحا في نفسه موضحا لغيره وهو القرآن
الجامع باعجازه وحسن بيانه فلم يبق لكم عذر ولا علة وقيل المراد بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن
فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم اي يوعدلا خلف فيه في رحمة منه اي ثواب عظيم
هو رحمته لهم لا بشيء استوجبوه وفضل اي احسان زايد عليه ويهديهم اي في الدنيا والاخرة
اليه صراطا اي طريقا مستقيما وهو الاسلام والطاعة في الدنيا والجنة في الاخرة يستفتونك
اي في الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روي ان جابر بن عبد الله قال عادني رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضا وصب علي من وضوءه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث
وانما يرثني كلالة فنزل يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وقد تقدم معنى الكلالة وحكم
الاية في اول السورة وفي هذه الاية حكم ميراث الاخوة للاب والام او للاب وقوله تعالى ان امرؤ
مرفوع بفعل يفسره هلك اي مات ليس له ولد اي ولا والد وهو الكلالة قال الاصبهاني عن
الشعبي اختلف ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في الكلالة فقال ابو بكر هو ما عدا الولد وقال
عمر ما عدا الوالد والولد ثم قال عمر اني لاستحي من الله ان اخالف ابا بكر وقوله تعالى وله اخت يحتمل
الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الاب في او الاب لانه جعل اخوها عصبته والذي للام هو
لا يكون عصبة والولد يشمل الذكر والانثى فان الاخت وان ورثت مع البنت قد لا ترث النصف
وذلك عند تعدد البنت فلها نصف ما ترك وهو اي هذا الاخ الميت يرثها اي ان ماتت هي
وبقي هو جميع مالها ان لم يكن لها ولد فان كان لها ولد ذكر فلا شيء له او انثى فله ما فضل
عن نصيبها ولو كانت الاخت او الاخ من ام فقرضه السدس كما مر اول السورة فان كانتا اي
الاختان اثنتين اي فصاعدا لانها نزلت في جابر وقد مات عن اخوات فلهما الثلثان مما ترك
اي الاخ وان كانوا اي الورثة اخوة رجالا ونساء فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يبين الله
لكم اي ولم يكلكم في بيانه الى بيان غيره وقال مرغبا ومرهبا ان اي كراهة ان تضلوا وقيل
ليلا تضلوا اخذ فلا وهو قول الكوفيين وقيل بين لكم ضلالكم الذي هنتم شانكم اي اذا خليتم وطباعكم

لتحترزوا

لتحترزوا عنه وتتجنبوا اخلافه والله بكل شيء عليم فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات
ومنه الميراث روي عن البراء رضي الله تعالى عنه انه قال اخر سورة نزلت كاملة براءة واخر اية
نزلت قال السيوطي اي من الفرايض خاتمة سورة النساء يستفتونك الاية وروي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما انا اخر اية نزلت اية الربا واخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله وروي عنه
ان اخر اية نزلت قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي بعد ما نزلت سورة النصر
عاش النبي صلى الله عليه وسلم عاما فنزلت بعدها سورة براءة وهي اخر سورة نزلت كاملة فعاش
النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ستة اشهر ثم نزل في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في
الكلالة فسميت اية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش النبي صلى الله
عليه وسلم بعدها احدا وثمانين يوما ثم نزلت اية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله فعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما وقول البيضاوي تبعا للمحشي
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة ورث ميراثا
واعطي من الاجر كمن اشترى محررا اي رقيقا وحررهم وبريء من الشرك وكان في مشية الله ان
الذي يتجاوز عنهم حديث موضوع سورة المايدة مدنية ماية وعشرون اية
او اثنتان او ثلاث بسم الله الذي له الامر كله فلا يسيل عما يفعل الرحمن الذي عم بنعمته
ايجاده وبيانه فتمت اتم نعمة واشمل الرحيم الذي خص خلص عباده بتوفيقه فاتم نعمته عليهم
وكمل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود اي التي عقدها الله على عباده والزمها اياهم من مواجب
التكليف وما يعقدونه بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يجب
ان جعلنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه
قول القطامي قوم اذا عقدوا عقد الجار هم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا والعناج حبل
يشد في السفل الدلو ثم يشد الى العراقي ليكون عونا له والكرب الحبل الذي يشد في وسط العراقي والوكو
الخشبتان المعترضتان على الدلو كالصليب وقوله تعالى احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل للعقود
لان العقود مجملة فهو شامل لجميع العقود لان ذلك امهات التكاليف وجميع ما في هذه السورة
من الاحكام تفصيل لذلك فايدة روي عن ابي ميسرة قال انزل الله تعالى في هذه السورة
ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها قوله تعالى والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة
وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وتمام العشر في قوله
تعالى اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم الاية وما جعل الله

تا

من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله تعالى شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت
ويزيد عليه تاسعة عشر وهي قوله تعالى واذا ناديتم الى الصلاة ليس للاذان ذكر في القرآن الا في
هذه السورة واما ما في سورة الجمعة فهو مخصوص بالجمعة وهو في هذه السورة عام في جميع
الصلوات والبهيمة كل حي لا يميز اي من شانه انه لا يميز فلا يدخل في ذلك المجنون ونحوه والانعام
الابل والبقر والغنم وهي الازواج الثمانية والحقها الظبا وبقر الوحش تشبيه اضافة البهيمة
الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام فان قيل لم افرد البهيمة وجمع
الانعام اجيب بارادة الجنس وقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اي تحريمه في قوله تعالى حرمت عليكم
الميتة الاية استثنا منقطع ويجوز ان يكون متصلا والتحريم عرض هذ المتون ونحوه وقوله تعالى
غير محلي الصيد حال من ضمير لكم وقوله تعالى وانتم حرم مبتدا وخبر في محل نصب على الحال من المضمر
في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم وغيرهما على سبيل الاطلا
لا يجب عليه مراعاة مصلحة ولا حكمة كما تقوله المعتزلة فلا يميل عن تخصيص ولا تفصيل مما فهتم
حكمته فذاك وما لا تكلموا به وارغبوا في ان يلهمكم حكمته يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر
الله جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك عن مواقف الحج ومراميه والجمار
والمسا في والسعي والافعال التي هي علامات للحج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنفر
وقيل معالم دينه وقيل فرايضه التي حدها العبادة ولا تحلوا الشهر الحرام اي بالقتال فيه قال
تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها
اربعة حرم وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب فيجوز ان يكون ذلك اشارة الى جميع
هذه الاشهر كما يطلق اسم الواحد على الجنس لان الاشهر الحرم كلها في الحرمة سواء ولكن قال الزمخشري
والشهر الحرام شهر الحج ولا تحلوا الهدي اي بالتعرض له وهو ما اهدي من النعم ولا تحلوا القلايد
اي صاحب القلايد من الهدي وعبر بها مبالغة في تحريمه او القلايد انفسها والنهي عن احلالها
مبالغة في النهي عن التعرض للهدي والقلايد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل وغيره
ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له ولا تحلوا آمين اي قاصدي البيت الحرام لزيارته اي بان تقاتلوهم
يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا اي وان يرضى عنهم والجملة في موضع الحال من
المستكن في آمين اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستكبارا ان يتعرض لمثلهم
وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم لانهم كانوا يظنون ذلك فوصفوا
به بنا على ظنهم ولان الكافر لا نصيب له في الرضوان كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله تعالى المسلمين

ان يمنعوا

ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا شعائر الله فعلى الاول الاية محكمة قال الحسن
ليس في المايدة منسوخ وعلى الثاني قال البيضاوي فالاية منسوخة اي لما فيها من حرمة
القتال في الشهر الحرام ومن حرمة منع المشركين عن المسجد الحرام والاول منسوخ بقوله تعالى
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والثاني بقوله تعالى فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا
فقوله منسوخة منزل على هذا لكن اذا قلنا شمول آمين للمسلمين والمشركين انما يكون النسخ
فيه في حق المشركين خاصة وهو في الحقيقة تخصيص لا نسخ فنفي تسميته نسخا تسمح وقرا شعبة
بضم الراء والباقون بالكسر واذا حللتم اي من الاحرام وقوله تعالى فاصطادوا امر اباحة اباح لهم
الاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا كما في قوله تعالى
فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض ولا يجرمنكم اي يحملنكم او يكسبنكم شنان قوم اي شدة
بغضهم وقرا ابن عامر وشعبة بسكون النون بعد الشين والباقون بنصبها وقوله تعالى ان
صدوكم قراه بن كثير وابو عمرو وبكسر الهمزة على ان الشرطية والباقون بفتحها اي لان
صدوكم في عام الحديبية او غيره عن المسجد الحرام وقوله تعالى ان تعتدوا اي يشتد عدوكم
عليكم بان تستقلوا منهم بالقتل وغيره ثانيا في محفوفي بحر منكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين
كسب وتعاونوا على البر اي بفعل ما امرتم به والتقوى اي بترك ما نهيتم عنه وقوله تعالى
ولا تعاونوا فيه حذف احدى التاءين في الاصل على الاثم اي المعاصي للتشفي والعدوان
اي التعدي في حدود الله للانتقام واتقوا الله اي خافوا عقابه بان تطيعوه ان الله شديد
العقاب لمن خالفه فانتقامه اشد وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة اي اكلها بيان ما يتلى عليكم
والميتة ما فارقه الروح من غير ذكاة شرعية والدم اي المسفوح قال تعالى او دما مسفوحا وكان
اهل الجاهلية يعبونه في الاعاء ويشوونها ولحم الخنزير قال العلما الغذا يصير جزا من جوهر
المتغذي ولا بد ان يحصل للمتغذي اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذا والخنزير هو
مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة في المنهيات فحرم اكله على الانسان ليلا يتكون بذلك
الكيفية ولذلك ان الفرج لما واظبوا على اكل لحم الخنازير اورثهم الحرص العظيم والرغبة الشديدة
في المنهيات واورثهم عدم الغيرة فان الخنزير يري الذكر من الخنازير يتيوا على الانثى التي له ولا
يتعرض له لعموم الغيرة وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت به لغير الله بان ذبح على اسم غيره
والاهلال رفع الصوت ومنه يقال فلان اهل بالحج اذا لبى وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات
والعزى قال ابن عادل وقدم هنا لفظ الجلالة في قوله لغير الله به واخرت في البقرة لانها هناك
فاصلة او تشبه الفاصلة بخلافها هنا فان بعدها معطوفات والمنخنقة وهي التي ماتت بالخنق

سوا افعل بها ذلك ادرجي ام اتفق لها ذلك والموقوذة وهي التي وقذت اي الق ضربت حتى ماتت
ويدخل في الموقوذة ما رمي بالبندقة فمات والمتردية اي الساقطة من علو كان سقطت من جبل او
مشرف او في بير فماتت ولو رمي صيدا في الهوا بسهم فاصابه فسقط على الارض ومات حلال
الوقوع على الارض عند ضربته وان سقط على شجر او جبل ثم تردى منه فمات لم يحل لانه من المتردية
الا ان يكون السهم ذبحه في الهوا فيحل لكن ما وقع لان الذبح قد حصل قبل التردية تنبيه
دخلت الهاء في هذه الكلمات لان المنخنقة هي الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت
الشاة لانها هي التي يكثر بها تعاطي الناس والكلام خرج على الاعم ويكون المراد هو الكل واما الهاء
في قوله تعالى والنطيحة وهي التي تنطح احدى فتموت فالمنقل من الوصفية الى الاسمية والا
فكان من حقها ان لا تدخلها تا التانيث كقتيل وجريح وما في قوله تعالى وما اكل السبع
بمعنى الذي وعايده محذوف اي وما اكله السبع ولا بد من حذف ولهذا قال الزمخشري وما
اكل بعضه السبع وهذا يدل على ان جرحه الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل اكله وقوله
تعالى الا ما ذكيتم استثنا متصل اي الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك فهو حلال
وقيل الاستثنا مخصوص بما اكل السبع وقيل الاستثنا منقطع اي ولكن ما ذكيتم من غيرها في
او فكلوه وكان هو القايل برايي انها وصلت بهذه الاسباب الى الموت او الى حالة قربته منه فلم تدع
تذكيتها عندئذ شيا وقيل الاستثنا من التحريم لانه المحرمات اي حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم
فانه لكم حلال فيكون الاستثنا منقطعا ايضا واقل الذكاة في الحيوان المقدور عليه قطع
الحلقوم والمريء وكماله ان يقطع الودجين معهما وهما عرقان في صفحتي العنق وتجوز بكل محدد
يجرح من حديد او قصب او زجاج او حجر وغيره الا السن والظفر لقوله صلى الله عليه وسلم ما انهر
الدم وذكر اسم الله عليه فكل ليس السن والظفر وقوله تعالى وما ذبح على النصب في محل رفع عطفا
على الميتة اي وحرم عليكم ذلك والنصب واحد الانصاب وهي حجارة كانت حول الكعبة تنصب
فيذبح عليها تقربا اليها وتعظيما لها وقيل هي الاصنام لانها تنصب لتعبد وعلى بمعنى اللام او
على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب ويؤيد الاول قول
قول الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنبذنه ولا تقبل الشيطان والله فاعبدا وقوله تعالى
وان تستقسموا بالازلام في محل رفع ايضا عطفا على الميتة اي وحرم عليكم ذلك والازلام جمع
زلم بفتح الزاي وضمها مع فتح اللام قدح بكسر القاف صغير وهو سهم لا ريش له ولا نصل وذلك
انهم كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الاخر
نهاني ربي والثالث غفل اي لا سمة عليه فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي

تجنبوا

تجنبوا عنه وان خرج الغفل اداروها ثانيا نفي الاستقسام طلب ما قسم لهم دون ما لم يقسم
بالازلام وقيل هو قسمة الجزور بالاقداح على الانصبا المعلومة وقوله تعالى ذلكم فسق اشارة
الى ما ذكر تحرزه اي خروج عن الطاعة وقيل اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول
في علم الغيب الذي استاثر به علام الغيوب وقد قال تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وضلالا بينا وان ذلك اليه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء على الله عز وجل
ان كان اراد بربي الله وما يدريه ان الله امره او نهاه فالكهنة والمنجمون بهذه المثابة وجهالة
وشرك ان اريد به الصنم وقوله تعالى اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل
به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية وقيل الالف واللام للعهد قيل اراد يوم نزولها وقد
نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع وقيل هو يوم دخوله صلى الله عليه وسلم
مكة سنة تسع وقيل ثمان وقوله تعالى يئس الذين كفروا من دينكم فيه قولان احدهما ييسوا من
ان يحلوا هذه الخبايث بعد ان جعلها الله تعالى محرمة والثاني ييئسوا من ان يغلبوكم على دينكم فترتدوا
عنه بعد طمعهم في ذلك لما راوا من قوته لانه تعالى كان وعدا باعلاء هذا الدين على كل الاديان بقوله
تعالى ليظهره على الدين كله فحقق ذلك النصر وازال الخوف فلا تخشوهم اي بظاهر واعليكم واخشون
اجمع القراء السبعة على حذف الياء بعد النون لحذفها في الرسم اي واخلصوا الخشية لي وحدي فان
دينكم قد اكتمل بذكره وجل عن الالحاق محله وقدره ورضي به الامر ومكنه على رغم انوف الاعداء
وهو قادر وذلك قوله تعالى مسوقا مساق التعليل اليوم اكملت لكم دينكم اي الذي ارسلت به
اكمل خلقي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع
والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على ناقته العضباء فكادت عضد الناقة تندق من ثقلها
فبركت وعن عمر رضي الله تعالى عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المومنين اية في كتابكم تقرونها
لو علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي انزلت فيه
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قايم بعرفة يوم جمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا قال
ابن عباس كان ذلك اليوم خمسة اعياد جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصارى والمجوس
ولم يجتمع اعياد اهل الملل في يوم قبله ولا بعده وروي لما نزلت هذه الاية بكا عمر رضي الله تعالى
عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا
كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم عاش
بعدها احدا وثمانين يوما ومات يوم الاثنين بعد ما زاغت الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع

الاول سنة احد عشر من الهجرة وقيل توفي يوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول وكانت حجته
في الثاني عشر منه فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم اي يوم نزول هذه الاية اكملت لكم دينكم
اي الفرايض والسنن والحدود والجهاد والحلال والحرام فلم ينزل بعد هذه الاية حلال ولا حرام
ولا شيء من الفرايض وهذا معنى قول ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة اليوم اكملت
لكم دينكم فلم يحج معكم مشرك وقيل اظهرت دينكم وامنتكم من العدو فان قيل قوله تعالى اليوم
اكملت لكم دينكم يقتضي ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وذلك يوجب ان النبي الذي كان عليه
محمد صلى الله عليه وسلم اكثر عمره كان ناقصا وانما وجد الدين الكامل في اخر عمره مدة قليلة اجيب
بان الدين لم يكن ناقصا بل كان ابدا كاملا وكانت الشرايع النازلة من عند الله في كل وقت
كافية في ذلك الوقت الا انه تعالى كان عالما في اول وقت المبعث بان ما هو كامل في هذا
اليوم ليس بكامل في الغد ولا مصلحة فيه فلا جرم كان بعد النبوة وكان ينزل بعد اليوم واما
في اخر زمان المبعث فانزل شريعة كاملة وحكم ببقايها الى يوم القيامة فالشرع ابدا كان
كاملا الا ان الاول كمال الى زمان مخصوص والثاني كمال الى يوم القيامة فلهذا قال اليوم
اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي باكماله وقيل بدخول مكة امنين ورضيت اي اخترت
لكم الاسلام دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير قال تعالى ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه وقوله تعالى فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب
التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة
والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة غير
متجانف اي مايل لاثم اي معصية بان ياكل فوق ذلك تلذذا او مجاوزا حد الرخصة كقوله تعالى غير باغ
ولا عاد فان الله غفور له ما اكل رحيم به في اباحته له فلا يواخذه وحيث المايل الى الاثم قاطع
الطريق ونحوه فلا يحل له الاكل مما ذكر قرا ابو عمرو وعاصم وحمزة بكسر النون فمن اضطر في الوصل
والباقون بالضم يسئلونك يا محمد ماذا احل لهم من الطعام وانما اتى بقوله تعالى لهم بلفظ الغيبة
التقدم ضمير الغيبة في قوله تعالى يسئلونك ولو قيل في الكلام ماذا احل لنا لكان جايزا
على حكاية الجملة كقولك اقسم زيد ليضربن والاضربن بلفظ الغيبة والتكلم الاان ضمير التكلم يقتضي
حكاية ما قالوا كما ان لاضربن يقتضي حكاية الجملة المقسم عليها وماذا مبتدا واحل لهم خبره
كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من
خبيثات المآكل سالوا عما احل لهم منها فقال تعالى قل لهم احل لكم الطيبات اي ما لين بخبيث منها
وهو كل ما لم يات تحريمه في كتاب او سنة او قياس مجتهد ولا مستقذر من ذوي الطباع السليمة وهذا

يشمل

يشمل كل ما تنزع وهو ماذون في ذبحه مما كانوا يحرمونه على انفسهم من السايبة وما معها
وكل ما اذن فيه من غير ذبح كحيوان البحر وما اذن فيه من غير المطاعم وقوله تعالى
وما علمتم من الجوارح معطوف على الطيبات اي احل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف
المضاف للعلم به والجوارح جمع جارحة من سباع البهايم والطير كالكلب والفهد والنمر
والفهد والصقر والباز والشاهين والهما للمبالغة سميت بذلك لان الجرح الكلب لانها
تكسب الصيد ومنه قوله تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم او لانها تجرح الصيد غالبا وقوله
تعالى مكلبين حال من ضمير علمتم اي حال كونكم معلمين هذه الكواسب الصيد والمكلب مودب
الجوارح ومغريها ما خوذ من الكلب بسكون اللام وهو الحيوان النابح لان التاديب اكثر ما يكون
في الكلاب فاخذ من لفظه لكثرته في جنسه اولان السبع يسمى كلبا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
في عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا
من كلابك فاكله الاسد وقوله تعالى تعلمونهن حال ثانية من ضمير علمتم او استيناف فان قيل
ما فايدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم اجيب بان فايدتها ان تكون من بعلم الجوارح
فقيها عالما بالشرايط المعتبرة في الشرع لحل الصيد وفي هذا فايد جليلة وهي ان كل طالب
شيء ان لا ياخذه الا من اجل العلما به واشدهم دراية له واغوصهم على لطايفه وحقايقه
وان احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ من غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقا
التحاربر انامله ما علمكم الله اي من علم التكليب لانه الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو
منحة منه او مما علمكم الله ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه
برعايه وامساكه الصيد عليه وان لا ياكل منه فكلوا مما امسكن اي الجوارح مستقرا امساكها عليكم
اي على تعليمكم وان قتلنه بان لم تاكل منه بخلاف غير المعلمة فلا يحل صيدها والتعليم ان يوجد فيها
ثلاثة اشيا اذا اشليت استشلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل
منه واقل ما يعرف به ذلك ثلاث مرات فان اكلت منه فليس مما امسكن على صاحبها فلا يحل
اكله كما في حديث الصحيحين وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه
اذا اكل البازي فلا تاكل وانى هذا ذهب اكثر الفقها وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير
لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط مطلقا وفي الحديث ان صيد المعلم اذا ارسل
وذكر اسم الله عليه كصيد المعلم من الجوارح واذكروا اسم الله عليه في هذه الكناية ثلاثة
اوجه احدها انها تعود على المصدر المفهوم من الفعل وهو الاكل كانه قيل واذكروا اسم الله
على الاكل ويويده قوله صلى الله عليه وسلم سم الله وكل بيمينك الثاني انها تعود على ما علمتم اي اذكروا

اسم الله على الجوارح عند ارسالها على الصيد ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم اذا ارسلت كلبك
وذكرت اسم الله عليه الثالث انها نهت على ما امسكت اي اذكروا اسم الله على ما امسكته عليكم
مما امسكه عليكم الجوارح واتقوا الله اي في محارمه ان الله سريع الحساب فيواخذكم بما جل ودق
وقوله تعالى اليوم الكلام فيه كالكلام فيما قبله احل لكم الطيبات اي المستلذات وطعام
الذين اوتوا الكتاب اي ذبائح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم قبل مبعث محمد صلى الله
عليه وسلم حل ارجلالكم فاما من دخل في دينهم بعد المبعث فلا تحل ذبيحته ولو ذبح يهودي
او نصراني على اسم غير الله كالنصراني يذبح على اسم المسيح لم تحل ذبيحته واما المجوس فقد سن
بهم سن اهل الكتاب في تقريرهم بالجزية دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم قال صلى الله عليه وسلم
سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم رواه الامام مالك وطعامكم لهم
حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يحرم ذلك والمحصنات من المؤمنات
اي الحرائر العفائف حل لكم وتخصيصهن بالبيان على تعين المؤمنين لتطلبهم وغير العفائف من المسلمات
يصح نكاحهن باتفاق والمحصنات اي الحرائر من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وهم اليهود
والنصارى اي حل لكم ان تنكحوهن وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات واما الاماء
المسلمات فيحل نكاحهن عندنا ويحل عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن
وتقييد الحل بايتائها لتاكد وجوبها والحث على الاولي وان من تزوج امراة وعزم ان لا يعطيها
صداقها كان في صورة الزاني وورد فيه حديث وتسميته بالاجر يدل على انه لا حد ولا قائل بهما
ان اقل الاجر في الاجارة لا يتقدر محصنين اي قاصرين في الاعفاف والعفاف وقيل متزوجين غير
مسافحين اي معلنين بالزنا بهن ولا متخذي اخدان اي مسرين بالزنا منهن والمخدن الصديق يتبع
على الذكر والانثى قال الشعبي الزنا ضربان السفاح وهو الزنا على سبيل الاعلان واتخاذ الخدن
وهو الزنا في السر والله تعالى حرمهما في هذه الاية واباح التمتع بالمراة على جهة الاحصان وهذه
الاية مخصصة لقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يومن فبقي على التحريم ما تضمنته تلك
ما عدا الكتابيات من الوثنيات وغيرهن من جميع المشركات حتى المنتقلة من الكتابيات من دينها
الى غير دين الاسلام وقرا الكسائي بكسر صاد المحصنات والباقون بنصبها وقوله تعالى ومن يكفر
بالايمان اختلف المفسرون في معناه فقال ابن عباس ومجاهد ومن يكفر بالايمان اي بالله
الذي يجب الايمان به وانما حسن هذا المجاز وقال الكلبي ومن يكفر بالايمان اي بكلمة التوحيد
وهي شهادة ان لا اله الا الله لان الايمان من لوازمها واطلاق الشيء على لازمه مجاز مشهور وقال
قتادة ان ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم مع كونهم على غير ديننا فانزل الله هذه الاية

ومن يكفر بما انزل في القران فهو كذا وكذا فسمي القران ايمانا لانه مشتمل على بيان كل ما لا بد منه
في الايمان والمراد من ذلك ان ياتي بشيء يصير به مرتدا فقد حبط اي فسد عمله الصالح قبل ذلك
اذا اتصل ذلك بالموت بدليل قوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين وقوله تعالى في اية اخرى
فيمت وهو كافر اما من اسلم قبل الموت فان ثوابه يفسد دون عمله فلا يجب عليه اعادة حج قد
فعله ولا صلاة قد صلاها قبل الردة يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة اي اردتم القيام اليها
كقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز
والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة وظاهر
الاية الكريمة هو ايجاب الوضوء على كل قايم الى الصلاة وان لم يكن محدثا لكن صح عنه الاجماع على انه
صلى الله عليه وسلم الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال له عمر صنعت شيا لم تكن تصنعه فقال عمدا
فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر ندبي للندب وقيل
كان ذلك اول الامر ثم نسخ قال البيضاوي وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المايدة من اواخر القران
نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم اي امروا انفسكم عليها ولا يجب الدلك خلافا
لمالك رحمه الله تعالى واغسلوا ايديكم الى المرافق اي معها ان وجوت وقدرها ان فقدت لما روي
مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه في صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم انه توضا فغسل
وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى اشرع في العضد ثم اليسرى حتى اشرع في العضد الى اخره
والاجماع او ان الى في الاية بمعنى مع كما في قوله تعالى من انصاري الى الله وبنو دكم قوة الى قوتكم او جعل
اليد التي هي حقيقة الى المنكب مجازا الى المرفق مع جعل الى غاية للفعل الداخلة هنا في المغيا بقرينتي
الاجماع والاحتياط للعبادة والمعنى اغسلوا ايديكم من رؤوس اصابعها الى المرافق او تجعل باقية على
حقيقتها الى المنكب مع جعل الى غاية للترك المقدر فتخرج الغاية والمعنى اغسلوا ايديكم واتركوا منها
الى المرافق والمرافق جمع مرفق بفتح الميم وكسر الفاء على الفصيح من اللغة وهو مفصل ما بين العضد
والمعصم ولو قطع بعض ما يجب غسله وجب غسل الباقي لان الميسور لا يسقط بالمعسور وان قطع من المرفق
فان سل عظم الذراع وبقي العظمان المسميان براس العضد وجب غسل راس عظم العضد لانه من المرفق
وهو مجموع العظمين والاسرة الداخلة بينهما وان قطع من فوق المرفق ندب غسل باقي عضده وامسحوا
برؤوسكم اي ببعضها لما روى مسلم انه صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته وعلى عمامته واكتفى بمسح البعض
لانه المفهوم من المسح عند اطلاقه ولم يقل احد بوجوب خصوص الناصية وهي الشعر الذي بين النزعتين
والاكتفاء بها يمنع وجود الاستيعاب ويمنع وجوب التقدير بالربع او الاكثر لانهاد ونه
والباء اذا دخلت على معدى كما في الاية تكون للتبعيض او على غيره كما في قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق

تكون للالصاق فان قيل صيغة الامر مسح الراس والوجه في التيمم واحدة فهلا اوجبتم التعميم ايضا
اجيب بان المسح ثم بدل للضرورة فاعتبر مبدله ومسح الراس اصل فاعتبر لفظه فان قيل المسح على
الخف بدل فهلا وجب تعميمه كبدله اجيب بقيام الاجماع على عدم وجوبه ولا فرق بين ان يمسح على
شعرة الراس او شعرها ولو شعرة واحدة في حد الراس لان ذلك يصدق عليه مسمى الراس عرفا اذ
الراس اسم لمادار على قوله تعالى وارجلكم قراه نافع وابن عامر وحفص والكسائي بنصب اللام
عطفا على وجوهكم وقيل على ايديكم والباقون بالكسر عطفا على الجوار ومنهم من عطف المجرور في قراءة الجر
على الممسوح ليفيد مسح الخف وعطف المنصوب في قراءة النصب على المغسول ليفيد غسل الرجل المتجردة
منه فيفيد كل من القراءتين غير ما افادته الاخرى وقوله تعالى الى الكعبين وهما العظمان الناتيان
في كل رجل عند مفصل الساق والقدم دل على دخولهما في الغسل ما دل على دخول المرفقين فيه وقدم
تنبيه الفصل بين الايدي والارجل بالراس الممسوح فيه دليل على وجوب الترتيب في طهارة هذه
الاعضاء وعليه الشافعي رضي الله تعالى عنه ولو قطع بعض القدم وجب غسل الباقي وان قطع فوق
الكعب فلا فرض عليه وندب غسل الباقي كما مر في اليد ويوخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره والبداءة
وان كنتم جنبا من جماع او غيره فاطهروا بالغسل لجميع البدن لانه اطلق ولم يخص بعض الاعضاء كما في الوضوء
وان كنتم مرضى اي مرضا يضره الماء او على سفر اي مسافرين سفرا مباحا طويلا او قصيرا او جاء احد منكم
من الغائط اي الموضع المطمئن من الارض الذي تقضي فيه حاجة الانسان التي لا بد منها سمي باسم
الخارج للمجاورة قيل وفي ذلك حكمة وهي شدة حجز الانسان ليكن عن اعجابه وكبره وترفعه وفخره كما
حكي ان بعض الامراء في بعض البلاد في طريق فلم يفسح له فغضب وقال كانك ما قرفني فقال بلى والله اني لاعرف
اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وانت فيما بين ذلك تحمل العذرة وقرا قالون والبزي وابو عمرو
باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الهمزة الثانية وحقق الباقون الهمزتين
محا ولا مستم النساء بالذكر او غيره امنيتم ام لا وقرا حمزة والكسائي بغير الف بين اللام والميم والباقون
بالالف فلم تجدوا ماء بعد طلبه لفقده حسا او معنى بالعجز عن استعماله للمرض بجرح او غيره فتيمموا
اي اقصدوا صعيدا اي ترابا طيبا اي طهورا خالصا فامسحوا بوجوهكم وايديكم مع المرفقين منه
بغرتين وابدا للالصاق وبينت السنة اي المراد استيعاب العضوين بالمسح وتقدم مثل هذه الاية في النسا
قال البيضاوي ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين
حرج اي ضيق فيما فرض عليكم في من الوضوء والغسل والتيمم ولكن يريد ليطهركم من الاحداث والذنوب
فان الوضوء تكفير للذنوب وليتم نعمته عليكم ببيان شرايع الدين لعلكم تشكرون نعمه فيثيبكم قال
البيضاوي والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى مكررتان اصل وبدل والاصلي اثنان مستوعب

وغير المستوعب

وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان التيمم مايع
وجامد وهو جيهما حدث اصغر او اكبر وان الممسح الممسح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الوضوء
عليه تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم اي في هدايته لكم الى الاسلام بعد ان كنتم
على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وفي غير ذلك من جميع النعم ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره
لان كثرة النعم توجب على المنعم عليه الاشتغال بخدمة المنعم والانقياد لاوامره ونواهيه
وقال تعالى نعمة الله ولم يقل نعم الله لان هذا الجنس لا يقدر عليه غير الله لان نعمة الحياة والصحة
والعقل والهداية والصون من الافات وايصال الخيرات في الدنيا والاخرة لا يعلمه الا الله تعالى
وان المراد التامل في هذا النوع من حيث انه ممتاز عن نعمة غيره فان قيل قوله تعالى واذكروا
نعمة الله يشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع انها متواترة متوالية علينا في جميع الساعات
والاوقات اجيب بانها لكثرتها وتعاقبها صارت كالامر المعتاد فصار رعاية ظهورها وكثرتها بمنزلة
لو تركوها في محل النسيان واذكر بها ميثاقه اي عقده الوثيق الذي واثقكم به اي بواسطة رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين بايعكم ليلة العقبة على السمع والطاعة في العسر واليسر والنشط والمكره والمنشط
ومفعل من الكره وهو الامر الذي تكرهه النفس واضاف الميثاق الصادر من رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى نفسه كقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واكد ذلك بانكم التزمتموه اذ حين
قلتم سمعنا واطعنا وفي ذلك تذكير بما اوجب له صلى الله عليه وسلم عليكم من الشكر بهدايته لكم
الى الاسلام ثم حذركم عن نقض ذلك العهود بقوله واتقوا الله اي في ميثاقه ان تنقضوه ان الله
الذي له صفات الكمال عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي بما في القلوب فيجازيكم عليها
فضلا عن جليات اعمالكم وقيل المراد بالميثاق هو الذي اخذه الله منهم حين اخرجهم من ظهر ادم وهو
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى قاله مجاهد وقيل المراد به الدلايل العقلية والشرعية التي
نصبها الله على التوحيد والشرايع قاله السدي وادغم ابو عمرو القاف في واثقكم في الكاف بخلاف عنه
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين اي مجتهدين في القيام لله تعالى بحقوقه شهدا اي منتصبين محترفين
افعالكم غاية الاحتراز بحيث لا يشذ عنها شيء مما تريدون الشهادة به بالقسط اي العدل والخير منكم
اي ولا يحملنكم شنان اي شدة بغض قوم اي الكفار على ان لا تعدلوا فتقتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل
كمثلة وقذف وقتل نساء وصبيته ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا اي تحروا في العدل واقصدوه
في كل شيء هو اي العدل اقرب من تركه للتقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل
مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كانوا بهذه الصفة من القوة مما الظن بوجوبه مع المومنين الذين هم
اولياؤه واحباؤه تنبيه يوخذ من هذا ان التكاليف مع كثرتها محصورة في نوعين التعظيم لامر الله

ومعنى القيام لله هو ان تقوم لله بالحق في كل ما يلزمك وقوله تعالى شهداء بالقسط اشارة الى الشقة
على خلق الله وفيه قولان الاول قال عطاء لا تخاف في شهادتك احدا ولو كنت وحدك وقرابتك ولا تمنع شهادتك
اعداءك واضدادك الثاني امرهم بالصدق في افعالهم واقوالهم وتقدم تفسير هذه الاية في النسا
الا ان هناك قدم لفظة القسط وهنا اخرة قال بن عادل وكان الغرض في ذلك والله اعلم ان اية
النساء جاءت في معرض الاقرار على نفسه ووالديه واقاربه فبدأ فيها بالقسط الذي هو العدل في
محاباة نفس ولا والد ولا قرابة والتي هنا جاءت في معرض ترك العداوة فبدأ فيها بالامر بالقيام
به لانه ابلغ للمومنين ثم ثنى بالشهادة بالعدل فجي في كل معرض بما يناسبه وقال البيضاوي
وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد
الاهتمام بالعدل والمبالغة في المحافظة على مراعاته في الغيظ واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم
به وعد الله الذين امنوا اقروا بالايمان بالستهم وعملوا تصديقا لهذا الاقرار الصالحات
وحذف تاء في مفعولي وعد استغنى بقوله لهم مغفرة واجر عظيم فانه استيناف يبينه وقيل الجملة
في موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول لانه لا يتعدى الا به كانه قال وعدهم هذا القول والاجر
العظيم هو الجنة والذين كفروا وكذبوا بايتنا اولئك اصحاب الجحيم اي النار التي اشتد توقدها
فاشتد حرها فلا يراها احد الا جحم عنها فيلقون فيها الى ثم يلازمونها فلا يخرجون عنها كما
هو شان الصاحب وهذا من عادة الله سبحانه وتعالى انه يتبع حال احد الفريقين حال الفريق الاخر
وفا بحق الدعوة وفيه من يرد وعد للمومنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم روى ان هذه نزلت هنا بالتاء فوق فوق عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالتاء والباقون
بالنون وفي الوصل للجميع بالتاء روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا
الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان وهو واد بينه وبين مكة مرحلتان في غزوة ذي
امار فلما صلوا ندموا ان لو كانوا كبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم منا بايهم
وابنايهم يعنون صلاة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل عليه السلام
بصلاة الخوف رواه مسلم وغيره والاية اشارة الى ذلك وروي ان رسول الله بعث بني قريظة ومعه
الخلفا الاربعة يستقرضهم اي يطلب منهم مالا قرضا لدية مسلمين قتلهما عمرو من امية الضمري
خطا يحسبهما مشركين لكن في رواية البيهقي ان المقتولين كان معاهدين لا مسلمين وان الخروج
كان لبني النضير لا الى قريظة فقالوا انعم يا ابا القاسم وكانوا قد عاهدوا النبي صلى
الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى ان يعينوه في الديات فقال لك ان تاتينا وتسالنا حاجة
اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسالنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه

وخلا بعضهم

وخلا بعضهم بعض وقالوا انكم لن تجدوا محمدا اقرب منه الان فمن يظهر على هذا البيت فيطلع
عليه صخرة فيرجحنا منه فقال عمرو بن جحاش انا فيها الى برجي عظيمة ليطرحها عليه فامسك
الله تعالى يده فنزل جبريل عليه السلام فاخبره فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راجعا الى المدينة ثم دعا عليا وقال لا تبرح مقامك فمن خرج عليك من اصحابي فسالني
فقل توجه الى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا اليه ثم اتبعوه وقيل تولى رسول الله صلى
الله عليه وسلم منزلا وتفرق الناس في القضاة يستظلون فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلاحه شجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه وقال من يمنعك
مني فقال الله فاستقله جبريل من يده واخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك
مني فقال لا احر اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا
اليكم ايديهم ليفتكوا بكم يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به قال تعالى
ويبسطوا اليكم ايديهم والستهم بالسوء ومعنى بسط اليد موها الى البطش به الاتي الى قولهم
فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم اي منعها ان تمتد اليكم وردهم عنكم
واتقوا الله في جميع امورهم وعلى الله فليتوكل المومنون فانه الكافي لا بيده الخير ودفع الشر
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل اي العهد الموثق بما اخذ عليكم من السمع والطاعة وبعثنا
منهم اثني عشر نقيبا اي شاهدا على كل سبط نقيب يكفلهم بالوفا بما عليهم الوفا به كما بقنا
منكم ليلة العقبة اثني عشر نقيبا واخذنا منكم الميثاق على ما اخذ الاسلام والنقيب الذي ينقب
عن احوال القوم كما قيل له عريف لانه يتعرف منها ومن ذلك المناقب وهي الفضايل لانها
لا تظهر الا بالتنقيب عنها روي ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله تعالى
بالمسير الى ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا
فاخرجوا اليها وجاهدوا فيها واني ناصركم وامر موسى صلوات الله وسلامه عليه ان ياخذ من
كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفا بما امروا به توثقة عليهم واختار النقبا ولعل الباقي
على بني اسرائيل وتحمل اليهم به النقبا وسايرهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقبا يتجسسون
فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقدنهاهم موسى عليه
السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط
افرائيم بن يوسف وكانا من النقبا وقال لهم الله اني معكم اي بالعون والنصر لان لاهم قسم ايتم
الصلاة التي هي وصلة بين العبد والخالق بجميع شروطها واركانها واتيتم الزكاة التي هي قربة
العبد الى الله تعالى واستم برسلي اي بجميع الرسل وعزرتموهم اي نصرتموهم وقيل التعزير

التعظيم وقيل هو الثناء الجميل قاله يونس وهو قريب من الثاني فان قيل لم اخذ الايمان بالرسل عن
اقام الصلاة واتيا الزكاة مع انه مقدم عليهما اجيب بان اليهود كانوا مقرين بانه لا بد من
حصول النجاة من اقام الصلاة واتيا الزكاة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل ه
فذكران بعد اقام الصلاة واتيا الزكاة لا بد من الايمان بجميع الرسل حتى يحصل المقصود والا لم
يكن لاقام الصلاة واتيا الزكاة تاثير في حصول النجاة بدون الايمان بجميع الرسل فان قيل
قوله تعالى واقرضتم الله قرضا حسنا داخل تحت اتيا الزكاة فما فايدة اعادته اجيب بان المراد
بالزكاة الواجبة وبالقرض الصدقة المندوبة وخصها بالذكر تنبيها على شرفها وقرضا يحتمل المصدر
والمفعول به وملاكان الانسان محل النقصان فهو لا ينفك عن نوع تقصير وان اجتهد في صالح
العمل قال سادة الجواب القسم المدلول عليه باللام في لئن مسد جواب الشرط لاكفرن اي لاسترن
عنكم سيئاتكم اي فعلكم الذي من شانه ان يسوء ولادخلنكم فضلا ورحمة مني جنات تجري من
تحتها الانهار اي من شدة الرتبة فمن كفر بعد ذلك الميثاق منكم فقد ضل اي ترك وضيع سوا
السبيل اي اضل طريق الحق والسوا في الاصل الوسط فان قيل من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل
سوا السبيل اجيب بان الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر بعد البيان العظيم فهو اعظم من غيره
لانه قد يكون له قبل ذلك شبهة ويتوهم له معذرة وفرا قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال
قد عند الضاد والباقون بالادغام وقد تقدم ولما نقضوا الميثاق مرة بعد مرة بتكذيب الرسل
وقتل الانبيا وكتمهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم في سورة البقرة قال تعالى فبما نقضهم
مزيدة للتاكيد نقضهم ميثاقهم لعناهم قال عطا ابعدناهم من رحمتنا وقال الحسن ومقاتل مسخناهم
قردة وخنازير وقال ابن عباس مزنا بنا الجارية عليهم وجعلنا قلوبهم قاسية اي لا يلين لقبول الايمان
وقرا حمزة والكسايي بغير الف بعد القاف وتشديد الياء بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان
مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة والباقون بالف بعد القاف
وتخفيف الياء وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لا قسوة
اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ونسوا حظا اي نصيبا نافعا مما ذكروا به اي من التوراة فهم
على السنة انبيايهم عيسى ومن قبله عليهم الصلاة والسلام تركوه تركوه تارك الشي للشي لقلة مبالاته
به بحيث لم يكن لهم رجوع اليه وقيل معناه انهم حرفوها فتركت بشومه اشيا منها من حفظهم
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه قال ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية
وقيل تركوا نصيبا انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته ولا
تزال اي بما تطلعك عليه يا اكرم الخلق فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم تطلع اي تظاهر على

خاينة

خاينة اي خيانة منهم بنقض العهد وغيره لان ذلك من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال
ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يحرفوا وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم اي امح ذنبهم
ذلك واصفح اي واعرض عن ذلك اصلا وراسا ان تابوا وامنوا وعاهدوا والتزموا
الجزية وقيل منسوخ بايات السيف وقوله تعالى ان الله يحب المحسنين تعليل للامر
بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الجاني احسان فضلا عن
العفو عن غيره روى الشيخان وغيرهما عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى
الله عليه وسلم سحره رجل من اليهود يقال له لبيد بن الاعصم وفي رواية للبخاري انه
رجل من بني زريق حليف اليهود وكان منافقا حتى كان انه يخيل اليه انه ياتي النسا ولا
ياتيهن وذلك اشد السحر ثم ان الله شفاه واعلمه ان السحر في بير ذروان فقالت له عايشة
رضي الله تعالى عنها افلا اخرجته فقال اما انا فقد عافاني الله وكرهت ان اثير على الناس
شرا فامرت بها فدفنت وهو في معجم الطبراني الكبير وهذا لفظه وعن زيد بن ارقم رضي الله
تعالى عنه قال كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فنقد له عقدا فجعله في بير رجل من
الانصار فاتاه فلم يكن يعود انه فقد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه فقال احدهما
اتدري ما وجعه قال فلان الذي قد دخل عليه فعقد له عقدا فالقاه في بير فلان الانصاري
فلو ارسل رجلا لوجد الماء اصفر فبعث رجلا فاخرج العقد فحلها فبرأ فكان الرجل بعد ذلك
يدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر له شيا منه ولم يعاتبه وعن انس رضي الله تعالى عنه
ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فاكل منها فجي بها
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لا اقتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا قال انس فما زلت اعرفها في لهوات النبي
صلى الله عليه وسلم فاتظر الى عفوه صلى الله عليه وسلم واقتد به فيه ذلك غاية العفو والاصفاح
امتثالا لامر ربه تعالى وقيل فاعف عن مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم ومن الذين قالوا
انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا من قبلهم
فان قيل هلا قال ومن النصارى اجيب بانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعا لنفرة الله
لقولهم لعيسى نحن انصار الله وليسوا موصوفين به قال الحسن فيه دليل على انهم برضا
بتسميتهم لم يتسمية الله فنسوا اي تركوا تركا الناسي حظا اي نصيبا عظيما يتنافس في
مثله مما ذكروا به اي في الانجيل من الايمان ومن اوصاف محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
ونقضوا الميثاق فاغرينا اي اوقعنا بينهم اي النصارى بعد ان جعلناهم فرقا متباينين

وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية وكذا بينهم وبين اليهود العداوة والبغضاء الى يوم
القيامة اي بتفرقهم واختلافهم اهوائهم فكل فرقة تكفر الاخرى وقرا نافع وابو عمرو
وابن كثير بتحقيق الهمزة الاولى وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما وسوف ينبئهم الله
اي يجزيهم في الاخرة بما كانوا يصنعون اي فيجازيهم عليه وقوله تعالى يا اهل الكتاب
خطاب لليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا وهو افضل الخلق محمد
صلى الله عليه وسلم يبين لكم اي يوضح ايضاحا شافيا كثيرا مما كنتم تخفون اي تكتمون من
الكتاب اي التوراة والانجيل كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التوراة وبشارة عيسى
باحمد في الانجيل ويعفوا عن كثير اي مما تخفونه فلا يبينه اذا لم يكن فيه مصلحة في
امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور هو محمد صلى الله عليه وسلم او
الذي كشف ظلمات الشك والشرك وكتاب هو القران العظيم مبين اي يبين في نفسه مبينا
للكائن خافيا على الناس من الحق يهدي به الله اي بالكتاب وقيل بهما ووحد الضمير لان
المراد بهما واحد لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه اي رضاه بان امن سبل اي طرق
السلام اي السلامة من العذاب او الله باتباع شرايع دينه ويخرجهم من الظلمات اي انواع
الكفر والوساوس الشيطانية الى النور اي الاسلام باذنه اي بارادته او بتوفيقه ويهديهم
الى صراط مستقيم اي طريق هي اقرب الطرق الى الله تعالى وموديه لا محالة وهو الدين الحق
لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم حيث جعلوه الها وهم اليعقوبية فرقة من
النصارى وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يودي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت
ويدبر امر العالم قل لهم يا محمد فمن يملك اي يدفع من عذاب الله شيا اي من الاشيا التي يتوهم
انها قد تمنعه مما يريد ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا اي لا احد
يملك ذلك ولو كان المسيح الها لقدر عليه فدل ذلك على انه بمعزل عن الالوهية وانه مقدور
مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات واراد بمن في الارض على المسيح وامه انهم من جنسهم
لا تفاوت بينهم وبينهما في البشرية ولله ملك السموات والارض وما بينهما اي بين النوعين
وبين افرادهما مما به تمام امرهما خلق ما يشا على اي كيفية اراد والله على كل شي قدير اي
قادر على الاطلاق يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما وبين
من اصل لبعض من جنسه كادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه انثاما من ذكر وحده
كما خلق حوا من ادم او من انثى وحدها كعيسى من مريم او منهما كسائر الناس وقوله تعالى
وقالت اليهود والنصارى اي كل طايفة قالت على حدتها خاصة لتقسهادون الخلق اجمعين

نحن ابنا الله

نحن ابنا الله واحباوه اختلف المفسرون في معنى ذلك على وجه احدهما ان حذف من
باب حذف المضاف اي نحن ابنا رسل الله كقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
الثاني ان لفظ الابن كما يطلق على بن الصلب قد يطلق ايضا على من يتحد ابا بمعنى يخصه
بمزيد الشفقة والمحبة نا لقوم لما ادعوا عناية الله بهم ادعوا انهم ابنا الله الثالث
ان اليهود زعموا ان العزير بن الله والنصارى زعموا ان المسيح بن الله ثم زعموا ان العزير
والمسيح كانا منهم فصار كانهم قالوا نحن ابنا الله الاتقى ان اقارب الملك اذا فاخروا احوا
يقولون نحن ملوك الدنيا والمراد كونهم مختصين بالتنعم الذي هو الملك فلذا هنا الرابع
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين
الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا نحن ابنا الله واحباوه فهذه الرواية انما وقعت عن
تلك الطايفة واما النصارى فانهم يقولون في الانجيل ان المسيح قال لهم اذهب الى ابي وابيكم
وقيل اراد وا ان الله كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب والمنزلة وقال ابراهيم
النخعي ان اليهود وجدوا في التوراة يا ابنا احباري فبدلوا يا ابتا البكاري فمن ذلك نحن
ابنا الله واحباوه وجملة الكلام ان اليهود والنصارى كانوا يرون لانفسهم فضلا على سايرو
الخلق بسبب اسلافهم من الانبيا الى ان ادعوا ذلك قل لهم يا محمد فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح
ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم ولا يعذب الاب ولده ولا الحبيب حبيبه وقد عذبكم في الدنيا ها
بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم بانه سيعذبكم بالنار ايا ما معدودة وقرا البزي في الوقف
فلم بخلاف عنه بل انتم بشر من جملة من خلق اي من البشر كسائر ما خلق يغفر لمن يشا اي من
خلقه منكم ومن غيركم تفضلا منه تعالى ويعذب من يشا كذلك
كما شاهدونه يكرم ناسا منكم في هذه الدار ويهين اخرين لا اعتراض عليه وقرا ابو عمرو
بادغام الراي في اللام من يغفر والباي في الميم من يعذب بخلاف عنه ورقق وبرش الراعلي
اصله ولله ملك السموات والارض وما بينهما اي وانتم ما بينهما فمن كان هكذا وقدرته
هكذا كيف يستحق عليه البشر المضيف حقا واجبا وكيف يملك عليه الجاهل بعبادته الناقصة
دينا الزم ما كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا ثم قال واليه المصير اي المرجع
فيجزي المحسن باحسانه والمسي باساءته يا اهل الكتاب اي من الفريقين قد جاءكم رسولنا
محمد صلى الله عليه وسلم يبين لكم اي ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره او الدين وحذف لظهوره
ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبذل لكم البيان وجملة يبين لكم في موضع الحال
اي جاءكم علي حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي قال ابن عباس يريد على

رسولنا مبينا لكم

وقوله تعالى على فترة من الرسل متعلق بجاءكم

اي جاءكم صح صح

فقالوا كيف نخوفنا بعذاب ا

انقطاع من الانبيا شبه فقدهم وبعد العهد بهم ونسيان اخبارهم وبلا رسومهم
واثارهم وانطماس معالمهم وانوارهم بشي كان يبلى فيفتر ولم يبق من وصفه المقصود منه
الا اثر خاف ورسم دارس يقال فتر الشي يفتر فتورا اذا سكنت حركته وصار اقل مما كان
عليه وسميت المدة بين الانبيا فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرايع واختلفوا في مدة
الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام فقال ابو عثمان النهدي ستمائة سنة وقال
قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر والكلبي خمسمائة وستة واربعون سنة وعن
الكلبي بين موسى وعيسى الفوسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم اربعة
من الانبيا ثلاثة من بني اسرايل واحد من العرب وهو خالد بن سنان العبسي وفي الاية امتنان
عليهم بان بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه قال البقاعي ولعله عبر
بالمضارع في بين اشارة الى ان دينه وبيانه لا ينقطع اصلا بحفظ كتابه فكلما درست سنة
مسخ الله عالم يرد الناس اليها بالكتاب المهيمن القايم ابدا فلذلك لا يحتاج الامر الى نبي بعد الا عند
الفتنة التي لا يطيقها العلما وهي فتنة الدجال وياجوج وماجوج ثم علل ذلك بقوله تعالى انه
اي كراهة ان تقولوا اي اذا حشرتم وسيلتم عن اعمالكم ما جانا من بشير اي بشير فنزايده
لتاكيد النفي يبشرنا للرغب فنعمل بما يسعدنا فنفوز ولا نذير اي يحذرنا الهرب فنترك ما يشقينا
فنلم وقوله تعالى فقد جاكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جانا من
بشير ونذير فقد جاكم بشير ونذير والله على كل شي قدير اي فيقدر على ارسال نذير اي واحد
بعد واحد على التعاقب كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام وعلى ارسال على
نذير كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام واذ قال موسى لقومه اي من اليهود
يا قوم اذكروا نعمة الله اي انعامه عليكم فذكرهم بثلاثة اموروا لها قوله تعالى اذ اي حين
جعل فيكم اي منكم انبيا فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبث في امة ما بث في بني اسرايل من
الانبيا وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وحمزة والكسايي بالفك مزدادا ذ عند الجيم هو
وادغمها ابو عمرو وهشام وثانيها قوله تعالى وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم اوفيكم وقد كان
فيهم الملوك تكاثر الانبيا بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقال ابن عباس
اصحاب خدم وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن قبلهم خدم وعن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان بنو اسرايل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة وداية
يكتب ملكا وقال ابو عبد الرحمن الحبلي سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال الست
من فقرا المسلمين المهاجرين فقال عبد الله الك امرأة تاوي اليها قال نعم قال الك مسكن تسكنه قال نعم

قال فانت

قال فانت من الاغنيا قال لي خادم قال انت من الملوك وقال السدي وجعلكم احرارا تملكون امر
انفسكم بعد ما كنتم في ايدي القبط يستعبدونكم وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها
مياه جارية فمن كان مسكنه واسعا وفيه نهر جار فهو ملك وثالثها قوله تعالى واتاكم ما لم
يؤت احدا من العالمين وذلك لانه تعالى خصهم بانواع عظيمة من الاكرام كفلق البحر لهم
واهلاك عدوهم واورثهم اموالهم وانزل عليهم المن والسلوى واخرج لهم المياه الغزيرة من
الحجر واظل فوقهم الغمام ولم يجمع الملك والنبوة لقوم كما اجتمعا لهم وكانوا في تلك الايام هم
العلما بالله وهم اصحاب الله وانصار دينه وقيل المراد بالعالمين عالمو زمانهم وقال
الكلبي ان جعلت العالمين عاما وجب تخصيص ما ليلا يلزم انهم اوتوا ما لم تؤت هذه الامة
من الكرامة والفضل وغير ذلك وان خصصته بعالمي زمانهم فما باقية على عمومها اذ لا محذور
وما ذكرهم هذه النعم وشرحها لهم امرهم بعد ذلك بجهاد العدو فقال يا قوم ادخلوا الارض
المقدسة اي المطهرة وهي ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت الانبيا والمومنين
وقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وهو
بضم الدال وتشديد النون اسم نهر وكورة بالشام قاله الجوهري وقال قتادة هي التي كتبها
التي كتب الله لكم اي في اللوح المحفوظ انها لكم فيها مساكن وقال السدي امركم بدخولها فان قيل
على الاول كيف كتبها لهم مع قوله تعالى بعد فانها محرمة عليهم اجيب باجوبة اولها قال ابن
عباس انها كانت هبة ثم حرمها عليهم بشوم تمردهم وعصيانهم ثانيها اللفظ وان كان عاما
لكن المراد به الخصوص وكانها كتبت لبعضهم وحرمت على بعضهم ثالثها ان الوعد بقوله تعالى
كتب الله لكم مشروط بتبيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وبرهانها انهم حرمة
عليهم اربعين سنة فلما مضى الاربعون حصل ما كتب ولا ترتدوا على ادباركم اي ولا ترجعوا
مدبرين خوفا من العدو فتنقلبوا خاسرين اي في سعيكم وذلك ان قوم موسى لما خرجوا
من مصر وعدهم الله تعالى انكم ارض الشام قال الكلبي صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان
فقيل له انظر ما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك وكان بنو اسرايل يسمون
ارض الشام ارض المواعدة ثم بعث موسى عليه السلام اثني عشر نقيبا من الاسباط ليتجسسوا
لهم عن احوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك الاماكن راوا اجسادا عظيمة قال ابن عادلم
قال المفسرون فاخذوهم احدا وليك الجبارين وجعلهم في كمه مع فاكهة فوضعها من بين يديه
واتى بهم الملك فنثرها بين يديه وقال مجيبا للملك هولا يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى
صاحبكم واخبروه بما شاهدتم ثم انصرف هولا النقبا الى موسى واخبروه بالواقعة فلما رآهم

فامرهم ان يكتبوا ما شاهدوه فلم يثبتوا قوله الا رجلان منهم وهما يوشع بن نون بن افرائيم
ابن يوسف فتى موسى وكالب بن يوفنا فتى موسى وكان من سبط يهوذا فانهما سهلا الامر
وقالا هي بلاد طيبة كثيرة النعم والاقوام وان كانت اجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم ضعيفة
واما العشرة الباقية من النقباء فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس حتى ظهروا الامتناع ورفعوا
اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في ارض مصر او ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله
ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا واثقالنا غنيمة لهم ويقولون له صحابهم تعالوا نجعل
علينا رأسا ونتصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا يا موسى ان فيها قوما
جبارين اي عتاة قاهرين لغيرهم مكرهين له على ما يريدون وانا لن ندخلها خوفا منهم
حتى يخرجوا منها اي باي وجه كان فان يخرجوا منها فانا داخلون لها واصل الجبار المتعظم
الممتنع عن القهر يقال نخلة جبارة اذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الايدي اليها وسمي
تلك القوم جبارين لما منعهم ببطولهم وقوة اجسادهم وكانوا من العمالقة وبقية قوم
عاد فلما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى وهارون عليهما الصلاة
والسلام ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله تعالى عنهما في قوله
قال رجلان من الذين يخافون اي مخالفة امر الله انعم الله عليهما اي بالتوفيق والعصمة ه
ادخلوا عليهم الباب اي باب قرية الجبارين ولا تخشوهم فانا رأيناهم واجسادهم عظيمة بلا
قلوب فاذا دخلتموه فانكم غالبون اولان الله تعالى منجز وعده وعلى الله فتوكلوا ان كنتم
مؤمنين به ومصدقين لوعده فاعاد بنو اسرائيل ان يرجموهما بالحجارة وعصوهما ثم قالوا
يا موسى انا لن ندخلها ابدا تقوا دخولهم على التاكيد والتابيد وقوله تعالى ما داموا فيها
بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون عن القتال لا تقوى الذي
هو ضد القيام قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل وربك اي هارون لانه كان
اكبر منه وقيل لتقديره اذهب انت وربك يعينك فلما سمع موسى من قومه ذلك قال رب اني لا املك
الا نفسي واخي اي لا املك التصرف ولا ينفذ امري الا في نفسي واخي لان الانسان لا يملك
نفسه في الحقيقة انما المراد به التصرف واني افعل ما امرتني به واخي كذلك قاله شكوى بثه
وحزنه الى الله عز وجل لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هارون
عليه الصلاة والسلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما مما بدر من كون
قومه اوان المراد باخي من يواخيني في الدين فيه خلاف فيه واظهر وجوه الاعراب في اخي انه
منصوب عطفا على نفسي والمعنى ولا املك الا اخي مع ملكي نفسي دون غيرنا فافرق اي فافصل

بيننا

بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد
بيننا وبينهم قال تعالى فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اي ان يدخلوها وقوله تعالى
اربعين سنة يتيهون اي يتحيرون في الارض اختلف في العامل في اربعين فقيل هو محرمة فيكون
التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله تعالى التي كتب الله لكم وقيل هو يتيهون اي يسيرون
فيها متحيرين قاله الزجاج والاول احظ لانه جاء في التفسير انها محرمة عليهم ابدا فنصبه يتيهون
اي فيكون التحريم مطلقا قال البغوي لم يرد به تحريم تعبد وانما اراد تحريم منع واخبر الله
تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام في حكمته انه حرم على عليهم دخول الارض المقدسة
غير عبدي يوشع وكالب ولا يتيههم في هذه البرية اربعين سنة مكان كل يوم من الايام
التي تجسسوا فيها سنة ولا لقين حيرتهم في هذه القفار واما بنوهم الذين لم يعملوا الشر
فيدخلونها فلبثوا الاربعين سنة في ستة فراسخ وقيل تسعة قاله ابن عباس وهم ستمائة
الف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فاذا هم كانوا في الموضع الذي ارتحلوا عنه
وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن
والسلوى وما وصفهم من الحجر الذي يحملونه واذا نزلوا هدهم مولود كان عليه ثوب مثل الظفر في
رأي العين يطول بطوله وينبع بقدرة الله تعالى والله اعلم بما حكي من ذلك فان قيل كيف ينزل
المن والسلوى في حال العقوبة اجيب بانه سبب للبقاء وهو باق للعقوبة وهو كالقائمة للمورد
مع بقاء الخطاب واختلفوا هل كان موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام فيهم او لا قال البغوي
الاصح انهما كانا فيهم الا انه كان ذلك راحة لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم وهو ابلغ
في الاجابة ان يشاهدوهم في حال العقوبة ولا يصيبهما ما اصابهم ولم يدخل الارض المقدسة
احد ممن قالت ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبارة اولادهم واختلفوا هل مات
موسى وهارون في التيه اولا قال البيضاوي الاكثرون انهما كانا معهم في التيه وانهما ماتا
فيه مات هارون وموسى بعده بسنة قال عمرو بن ميمون مات هارون قبل موسى وكانا
خرجا الى بعض الكهوف فمات هارون ودفنه موسى وانصرف الى بني اسرائيل فقالوا قتله لحبنا
اياه وكان محتبا في بني اسرائيل فطافوا كلهم فتضرع موسى الى ربه فاوحى الله تعالى اليه ان اطلق
بهم الى هارون فاتى باعشه فانطلق بهم الى قبره فناداه يا هارون فخرج من قبره ينفض رأسه
قال انا قتلتك قال لا ولكن مت قال فعد الى مضجعك وانصرفوا وعاش موسى صلى الله عليه وسلم
بعده سنة روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ملك الموت الى موسى فقال له اجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقاها فقال ملك

الموت يا ربه انك ارسلتني الى عبد لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله عليه عينه وقال ارجع
الى عبدي فقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما واريت
يدك من شعرة فانك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال الان من قريب قال
قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اني عنده هم
لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال وهب خرج موسى ليقتضي حاجة فمر بهذا
من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيأ احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة
فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد
لمن الله بمنزلة ما رايت كاليوم احسن منه مضجعا فقالت الملائكة يا صفي الله تحب ان يكون
لك قال ودت قالوا فانزل فاضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه
ثم تنفس اسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت اتاه
بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه وكان عمر موسى مائة وعشرين فلما مات موسى
صلى الله عليه وسلم وانقضت الاربعون سنة بعث الله تعالى يوشع صلى الله عليه وسلم نبيا فاخبره
ان الله تعالى قد امرهم بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني اسرايل الى اريحا وستة
اشهر وفتحوها في الشهر السابع ودخلوها فقاتلوا الجبابرة وهزموهم وجعلوا يقتلونهم وكانت
العصابة من بني اسرايل يجتمعون على عنق الرجل يضربونه وكان القتال يوم الجمعة فبقيت
منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس
انك في طاعة الله وانا في طاعة الله فاما الشمس فانها تقف والقمر ان يقيم حتى ينتقم من اعداء الله
قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم اجمعين وروى احمد في
مسنده حديثا ان الشمس لم تحبس على بشر الا يوشع ليالي سار الى بيت المقدس ثم تتبع ملوك
الشام فاستباح منهم احدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع ارض الشام وصارت الشام كلها
لبني اسرايل وفرق غنائمه في نواحيها وجمع الغنايم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها
غلولا فرهم فليبايعوك فبايعوه فلتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فاتاه برأس
ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجواهر وكان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت
النار فاكلت الرجل والقربان ثم مات يوشع ودفن في جبل ابراهيم وكان عمره مائة وستا وعشرين
سنة وتوبيره امر بني اسرايل بعد موسى سبعا وعشرين سنة فسبحان الباقي بعد فناء خلقه
ولما ندم موسى عليه السلام على الدعاء عليهم قال تعالى فلا تاس على القوم الفاسقين فبين ه
تعالى انهم احقاء بذلك لنفسهم واتل عليهم نبا ابني آدم وهما هابيل وقابيل وقوله تعالى بالحق

صفة مصدر

صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق وقصتهما ان الله تعالى اوحى الى آدم ان يزوج
كل واحد منهما توءم الاخر وكانت حوا تلد لآدم كل بطن غلاما وجارية وظاهر كلام المورخين
ان آدم لا يحل له ان يتزوج بواحدة من بناته ولا من بنات اولاده ولهذا التعريض بهم بقوله
ما نتن زوجة رجل حرم عليه نساء الدنيا وكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا
اولهم قابيل وتوءمته اقليما وكان هابيل وتوءمته يلودا في بطن واخرهم عبد المغيث وتوءمته
ام المغيث ثم بارك الله تعالى في نسل آدم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا فاراد آدم ان ينكح قابيل يلودا اخت
هابيل وينكح هابيل اقليما وكانت اخت قابيل احسن من اخت هابيل فذكر ذلك لولده فرضي
هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها فقال له ابوه انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك
وقال ان الله لم يامر بهذا وانما هو من رايك فقال لهما آدم قربا قربانا فايكما تقبل قربانه فهو احق
بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نارا بيضاء فاكلتها واذا لم تكن مقبولة لم
تنزل النار واكلها الطير والسباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام
من اردى زرعه واضمر في نفسه ما ابالي تقبل مني ام لا انا يتزوج ابدا وكان هابيل صاحب غنم
فعمد الى احسن كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضي الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل
ثم دعا آدم فنزلت نار من السماء فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل كما قال تعالى اذ قربا
قربانا فتقبل من احدهما وهو هابيل ولم يتقبل من الآخر وهو قابيل لانه سخط حكم الله ولم
يخلص النية في قربانه وقصد الى احسن ما عنده فنصب قابيل لرد قربانه واضمر الحسد في نفسه
الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم اتى قابيل لهابيل وهو في غنمه قال لاقتلنك
قال ولم قال لان الله تعالى قبل قربانك ورد قربانى وتنكح اختى الحسناء وانكح اختك الدميمة هـ
فيتحدث الناس انك خير مني وتعتز ولدك علي وتدوي قال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من
المتقين فان قيل كيف كان قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك اجيب بانه حمله على
توهمه لما كان الحسد لاخيه على تقبله قربانه حمله على توعده بالقتل قال الله انما اوتيت من قبل نفسك
نفسك لا سلاحها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على
تقوى الله تعالى التي هي السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه اشارة الى
ان الحاسد ينبغي ان يري حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما صار به المحسود محظوظا لا في
ازالة حظ المحسود فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من المتقين وعن عامر
ابن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك وقد كنت وكنت فقال اني اسمع الله يقول انما

انما يتقبل الله من المتقين لين لام قسم بسطت اي مددت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط
يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله ربه العالمين قال عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما اراد
الله ان كان المقتول لاشد الرجلين ولكن منعه التحرج ان يبسط الى اخيه يده خوفا من الله عز
وجل لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لين بسطت للتبري عن هذا الفعل
الشنيع راسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء وقرا نافع وابو عمرو
وحفص بفتح الياء من يدي والباقون بالسكون واتفق القراء السبعة على بقاء صفة الطاء
في بسطت وادغام الطاء في التاء لان مخرج الطاء والتاء واحد ولكن الصفة مختلفة فالطاء منطبقة
والتاء منفتحة والطاء مستعلية والتاء مستفلة والطاء مجهورة والتاء مهموسة ويقال في ذلك ادغام
الحرف وابقاء الصفة اني اريد ان تبوء اي تنجمع باثمي اي اثم قتلي واثمك اي الذي ارتكبته من قبل
فتكون من اصحاب النار ولا اريد ان ابوء باثمك اذا قتلتك فاكون منهم فان قيل كيف قال اريد
ان تبوء باثمي واثمك والارادة القتل والمعصية لا تجوز اجيب بان ذلك ليس بحقيقة ارادة لكنه
لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله
مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة وذلك جزاء الظالمين اي الواضعين في وضع الظلم واكون انا
من اصحاب النجاة جزاء الي باحساني في اثباري حياتك على حياتي وذلك جزاء المحسنين فطوعت
فشايعته فرينت له نفسه قتل اخيه فقتله قال ابن جريج تمثل له ابليس واخذ له طايرا ووضع
راسه على حجر وشدخ راسه بحجر اخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين حجرين
وقتله وهو مستلم وقيل اغتاله وهو في النوم فشدخ راسه فقتله فاصبح اي فصار من الخاسرين
بقتله ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت على وجه الارض من بني ادم وكان لهابيل يوم قتل عشرون
سنة فحمله بعد قتله في جراب على ظهره اربعين يوما وقال ابن عباس سنة حتى اروح وعكف عليه
الطير والسباع تنظر متى يرمي فتاكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما صاحبه ثم
حفر له بمنقاره ورجله حتى مكن له ثم القاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فذلك قوله تعالى
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه اي الله او ليريه اي الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب
تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز كيف يواري اي يستر سواة اخيه اي حقيقة
وقيل عورته لانه كان سلب ثيابه به فلما راى قابيل ذلك قال يا ويلتا كلمة جزع وتحسر والالف
فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتا احضري فهذا اوانك والتويل والويلة الهلكة قال
ما عجزت اي
ما جعل لي هذا القوة الناطقة ان اي عنان اكون مع ما لي من هذه الجوارح الصالحة لاعلم من ذلك

مثل هذا

مثل هذا الغراب فاواري سواة اخي اي لاهتدي الي ما اهتدي اليه وقوله فاواري عطف على
اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت فاصبح اي بسبب قتله من
النادمين اي على ما فعل لانه فقد اخاه واغضب ربه واباه وما انتفع بقتله شيا قال
المطلب بن عبد الله بن حنطب لما قتل ابن ادم اخاه رجفت الارض بما فيها سبعة ايام وعن
ابن عباس لما قتله وكان ادم صلى الله عليه وسلم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت
وابى الماء ان يغيب الارض فقال ادم صلى الله عليه وسلم قد حدث في الارض حدث وروي انه لما
قتله اسود جسده وكان ابيض وشربت الارض الدم فاتاه ادم صلى الله عليه وسلم عليه بو مجيئه
من مكة عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك قال فاني دمه
ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الارض يومين ان تشرب دمه بعده ابدا وعن الواقدي ان كلم
من ولده وعن محمد بن اسحاق كان نوح نايما فراه ابنه حام عريانا فلم يستره فاسود في الوقت
فالسودان من ولده وراه ابنه سام فستره وروي ان ادم صلوات الله وسلامه عليه مكث بعد
قتله ماية سنة لا يضحك وانه لما اتى من مكة الى الهند رثاه بشعر وهو تغيرت البلاد ومن عليها
فوجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح وعن ابن عباس انه
قال من قال ان ادم قال شعرا فقد كذب ان محمدا والانبيا كلهم عليهم الصلاة والسلام في النهي
عن الشعر سواء وروي انه اتاه فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يقول الشعر فنظر
الى المرثية فاذا هي بر سمع فقال ان هذا يقوم منه شعر فرد المقدم الى الموخر والموخر الى المقدم
فوزنه شعرا وزيد فيه ابيات منها وما لي لا اجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الغرى
كما ري بلوى للحياة علي غما فهل انا من حياتي مستريح وذلك بعد قتل هابيل بخمسين ولدت له حواء شيثا وتفسيره
فلما مضى من عمر ادم ماية وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين ولدت له حواء شيثا وتفسيره
هبة الله اي انه خلف من هابيل علمه الله تعالى ساعات الليل والنهار واعلمه عبادة الخلق في كل
ساعة منها وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي ادم وولي عهده واما قابيل فقيل له اذهب
طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يامن من يراه فاخذ بيد اخته اقليما وهربا الى عدن من ارض
اليمن فاتاه ابليس لعنه الله تعالى وقال له انما اكلت النار قربان اخيك لانه كان يعبد النار فانصب
ايضا نارا تاكل ذلك ولعقبك ففعل فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار قال مجاهد واتخذ اولاد قابيل
الآنية اللهو من البراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة
النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان ايام نوح عليه الصلاة والسلام وبقي نسل شيث
صلى الله وسلم عليه قال البقاعي في تفسيره والله اعلم بما يروى من ذلك ولا يعتمد على مثل هذه هـ

الاحاديث وقد احسن الطيبي في قوله اخبر الله تعالى بقتله ولا خبر بقطع الذكر بصفة قتله
على ما ذكرنا منه في مثله ولا فايدة في طلب الصحيح منه في الدين انتهى وروي انه صلى الله عليه
وسلم قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على بن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل
من اجل ذلك اي الذي فعله قابيل كتبنا اي قضينا على بني اسرايل في التوراة لانهم كانوا اشر الناس
جراة على القتل ولذلك كانوا يقتلون الانبيا انه اي الشان من قتل نفسا اي من بني ادم بغير
نفس اي بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او قتلها بغير فساد اتاه في الارض كالشرك والزنا
بعد الاحصان وقطع الطريق وكلما يبيح اراقة الدم فكانما قتل الناس جميعا اي من حيث انه
هتك حرمة الدما وسن القتل وجرا الناس عليه او من ان قتل الواحد وقتل للجميع سواء في
استحلال غضب الله تعالى والعذاب العظيم ومن احياها اي بسبب من الاسباب كما انقاذ من
هلكة او غرق او دفع من يريد ان يقتلها ظلما فكانما احيى الناس جميعا قال ابن عباس من حيث
انها كحرمتها وصونها قال سليمان بن علي قلت للحسن يا ابا سعيد اهي لنا اي هذه الاية كما
كانت لبني اسرايل قال اي والذي لا اله غيره كما كانت دما بني اسرايل اكرم على الله من دمائنا
انتهى وما يحسن ايراده ههنا ما ينسب لامير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
وقيل للشافعي رحمه الله تعالى الناس من جهة التمثيل كفاية ابوهم ادم والام حوا
نفس كنفس وارواح مثالها واعظم خلقت فيهم واعضاء فان يكن لهم في اصلهم حسب
يفاخرون به فالطين والماء ما الفخر الا لاهل العلم انهم على الهدى لمن استهدا اد آ
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء فقم بعلم تعش حيا به ابدا فالناس موتى واهل العلم احيا
ولقد جاءتهم اي بني اسرايل رسلنا بالبينات اي المعجزات وقرا ابو عمر بكون الياء والباقون بضمها
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحات
تاكيد اللام وتجديد للعهد في الارض لمسرفون اي مجاوزون الحد بالكفر والقتل وغير ذلك ولا يبالون به
وبهذا اتصلت القصة بما قبلها ونزل في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى اتوا النبي صلى الله
عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة ليشربوا من
البانها وابوالها فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الابل انما جزاؤا الذين يحاربون الله ورسوله اي
يحاربون اولياءهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهم تعظيما ويسعون في الارض فسادا اي بقطع
الطريق ان يقتلوا اي ان قتلوا او يصلبوا اي مع ذلك ان قتلوا واخذوا المال اي والصلب ثلاثا بعد
القتل او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصر على اخذ

المال او

المال او ينفوا من الارض اي ان اخافوا سبيلا ولم ياخذوا شيا اي ينفوا من بلد الى بلد ان راى الامام ذلك
وان راى حبسهم فله ذلك وفي بلدهم هكذا فسر الاية بن عباس رضي الله تعالى عنهما فعل كلمة
او على التنويع لا التخيير كما في قوله تعالى وقالوا كونوا هودا او نصارى اي قالت اليهود كونوا هودا
وقالت النصارى كونوا نصارى اذ لم يخير احد منهم بين اليهودية والنصرانية ذلك اي الجزا المذكور
لهم خزي اي ذل واهانة في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم هو عذاب النار في قطاع الطريق بقوله
تعالى الا الذين تابوا اي رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى من قبل ان تقدروا
عليهم اي فان حقوق الله تعالى تسقط عنهم كالقطع والصلب واختام القتل ويبقى القصاص والمال
لانه حق ادمي لا يسقط بالتوبة فاعلموا ان الله غفور لهم ما اتوه رحيم بهم ولو كانت توبتهم في
الكفار كانت توبتهم بالاسلام وهو رافع للعقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله اي خافوا عقابه بان تطيعوه وابتغوا اي اطلبوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى
ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه قال لبيد
الا كل ذي لب الى الله واسل وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة هي
اري الناس لا يدرون ما قدورامهم وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدايه لتكون كلمة الله هي العليا لعلكم تفلحون بالوصول الى الله
عز وجل والفوز بكرامته ان الذين كفروا الوثبت ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال وآلوه بقو
جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم
اي لان المدفوع اليه ذلك تام القدرة وله الغنا المطلق ولهم بعد ذلك عذاب اليم اي موجع
يريدون ان يخرجوا من النار اي اذا كون لهم خروج في وقت ما اذا رفعهم اللهيب الى ان يكاد
ان يلقيهم خارجا من النار ثم تقي خروجهم على وجه التاكيد فقال وما هم بخارجين منها اي
ما ثبت لهم خروج اصلا ولهم خاصة دون عصاة المومنين عذاب مقيم اي دايم تارة بالبرد وتارة
بالحر وتارة بغيرهما فان قيل قال تعالى لا يذوقون فيها بردا فهو منافي ما ذكر اجيب بان المراد
بالبرد في الاية النوم فلا منافاة والذي في قوله تعالى والسارق والسارقة موصولة مبتدا اي
والذي سرق والتي سرقت ولشبهه بالشرط دخلت الفا في خبره وهو فاقطعوا ايديهما اي يمين كل
منهما من الكوع كما بينته السنة كما بينت انه لا بد ان يكون المسروق ربع دينار فصاعدا من حرز مثله من غير شبهة له فيه وانه اذا عاد قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ثم اليد اليسرى
ثم الرجل اليمنى وبعد ذلك يعزر ثم علل تعالى ذلك بقوله جزا بما كسبا اي فعلا من ذلك ثم علل
تعالى الجزا بقوله نكالا اي عقوبة لهما من الله واعاد الاسم الاعظم تعظيما للامر فقال والله عزيز
اي غالب على امره حكيم اي بالغ الحكم والحكمة في خلقه فمن تاب اي من السراق من بعد ظلمه اي سرقته

واصلح امره بالتخلص من التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل
توبته تفضلا منه تعالى ان الله غفور رحيم فلا يعذبه في الاخرة واما القطع فلا يسقطه
بالتوبة عند الاكثر فمن واذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند اكثر اهل
العلم وقال سفيان الثوري واصحاب الراي لا غرم عليه وبالاتفاق ان كان المسروق قائما
عنده يسترد وتقطع يده لان القطع حق الله تعالى عز وجل والغرم حق العبد ولا يتبع
احدهما الاخر وقوله تعالى الم تعلم الاستفهام للتقرير والخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون خطابا لكل احد من الناس ان الله له ملك السموات والارض
اي ان الملك خالص له عن جميع الشوايب يعذب من يشا تعذيبه ويغفر لمن يشا المغفرة له والله
على كل شي قدير اي ومنه التعذيب والمغفرة فليس هو كغيره من الملوك الذين قد يعجزهم
عن تعذيب ابنه وتبعيد اعدوه يا ايها الرسول اي المبلغ ما ارسل به وقوله تعالى لا يحزنك
قرا نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي اي لا يوقع عندك شيا من الحزن ضنع
الذين يسارعون في الكفر اي تقعون فيه بسرعة بان يقهروه اذا وجدوا منه فرصة وقوله تعالى
من الذين قالوا امنا للبيان وقوله تعالى بافواههم اي بالسنتهم متعلق بقالوا ولم تومن قلوبهم
وهم المنافقون وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين وقوله تعالى سماعون
للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير في سماعون للفريقين او للذين يسارعون ويجوز
ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون للكذب الذي افتونه احبارهم
سماع قبول سماعون لقوم اي لاجل قوم اخرين من اليهود لم ياتوك اي لم يحضروا مجلسك
وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضا يحرفون الكلم اي الذي في التوراة كاية الرجم عن بعد
مواضعه اي التي وضعه الله عليها اي بعد ما يعلمونه يقولون اي الذين يحرفون لمن يرسلوهم للنبي
صلى الله عليه وسلم ان اوتيتم هذا اي المحرف اي اتاكم به محمد فخذوه اي فاقبلوه منه واعملوا
انه الحق واعملوا به وان لم توتوه اي بان افتاكم بخلافه فاحذروا ان تقبلوه منه فانه
الباطل والضلال روي ان شريفا زنا بشريفة وكانا محصنين وحدهما الرجم في التوراة
فكرهوا رجمهما شرفهما وقالوا ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسل
مع رهط منهم الى بني قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد
والتحميم اي تسويد الوجه من الحمة بالضم والتشديد وهي السواد فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما
في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان ياخذوا

فقال له

فقال له جبريل صلوات الله وسلامه عليه اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه فقال لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شيا بامره ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا
قالوا نعم فقال اي رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله على موسى
ابن عمران في التوراة قال فارسلوا اليه فتعلموا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا
قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور
والغمام واغرق ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وجلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على
من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال دعتك امك ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي كان يوفهم اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله
النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما
عند باب مسجده وقال اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه فانزل الله عز وجل يا ايها الرسول الاية
وروي ان اليهود جاوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له ان رجلا منهم وامراة زنيا فقال
لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شان الرجم قالوا نفضحهم ويجلدون
قال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها اية الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع احدهم يده على
اية الرجم وقرا ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها اية الرجم قال
صدق يا محمد فيها اية الرجم فامر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما قال عبد الله بن عمر رضي
الله تعالى عنهما فرايت الرجل يحني بيده عن المراة الحجارة فايده كانت اية الرجم في القران فنسخ
تلاوتها وبقي حكمها روى البيهقي عن ابن عباس عن عمر رضي الله تعالى عنهم قال في خطبته ان الله بعث
محمدا وانزل عليه كتابا وكان فيما انزل عليه اية الرجم قتلناها ووعيناها الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم وسياتي في سورة الاحزاب ان هذه الاية كانت فيها
ومن يرد الله فتنته اي اضلاله او فضيحته فلن تملك له من الله شيا في دفعها
وانا لم تملك انت وانت افقر الخلق الى الله تعالى فمن يملك اولئك اي الصبا من اليهود الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم اي من الكفر ولو اراده لكان وهذا الحكم تاويد يقض على فساد قول المعتزلة بانه اراد ذلك
لهم في الدنيا خزي اي ذل بالفضيحة والجزية والخوف من المومنين ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو
الخلود في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين هادوا والا فللفريقين وقوله
تعالى سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون للسحت وهو كل ما لا يحل اكله وهو من سحته
اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربا والربا باب منه وكانوا ياخذون الرشى على الاحكا

وتحليل الحرام وعن الحسن رحمه الله تعالى كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيما هل الرشوة وبيع الكذب وعنه صلى الله عليه وسلم كالجالب اينته السحت فالنار اولى به وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي بضم الحاء والباقون بالسكون فان جاوك اي للتحكم بينهم فاحكم بينهم او اعرض عنهم هذا تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا هل نسخ هذا التخيير ام لا فقال اكثر اهل العلم هو محكم ثابت وليس في سورة المائدة منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين اهل الكتاب ان شاؤا حكموا وان شاؤا لم يحكموا لحكم الاسلام وهو قول النخعي والشعبي وعطاء وقتادة وقال قوم يجب على حكام المسلمين ان يحكموا بينهم والاية منسوخة نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وهو قول مجاهد وعكرمة ورويي ذلك عن ابن عباس وقالوا لم ينسخ من المائدة الا اية ان قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وذهب الشافعي رحمه الله ان الذميين وان اختلفت ملتهما كيهودي ونصراني يجب الحكم بينهما عند التراضع الينا وكذا الذمي مع المعاهد خلافا للمعاهد في فان الحكم لا يجب بينهما لانهم لم يلتزموا حكمنا ولا التزمنا دفع بعضهم عن بعض فيحمل التخيير على هذا والاية الاخرى على اهل الذمة ويعلم من ذلك ان الحكم بين الحربيين لا يجب بطريق الاولى ولو تراضع الينا ذميان في شرب خمر لم نحدهما وان رضيا بحكمنا لانهما لا يعتقدان تحريمها ولو تراضع الينا مسلم وذمي وجب الحكم بينهما اجماعا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يبادروك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اي بالعدل الذي امر الله تعالى به ان الله يحب اي يثيب المقسطين اي العادلين في الحكم وقوله تعالى وكيف يحكمونك الخ وعندهم التوراة فيها حكم الله استفهام تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به ولعلهم ان الحكم المنصوص عليه في كتابهم الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع واذا طلبوا منه ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى في زعمهم ثم يتولون اي يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ذلك التحكيم وهذا داخل في حكم التعجب فانه معطوف على يحكمونك وما اولئك اي البعد من الله بالمؤمنين اي بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا اولئك وبه انا انزلنا التوراة فيها هدى يهدي من الضلالة الى الحق ونور اي يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون اي من بني اسرائيل وقوله تعالى الذين اسلموا ذكر على وجه الصفة للتنويه بشان الصفة دون التخصيص والتمييز لانهم كلهم بهذه الصفة منقادون لحكم الله اسلموا انفسهم له وللتنبيه على عظم قدرها حيث وصف بها عظيم كل وصف الانبياء بالاسلام والملائكة

بالايمان

بالايمان فان اوصاف الاشراف اشراق الاوصاف وقوله تعالى للذين هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم وقوله تعالى والربانيون اي الزهاد الذين انسلخوا من الدنيا وبالغوا فيما يوجب النسبة الى الرب والاحبار اي العلماء السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبوة بما اي بسبب الذي استحفظوا اي استودعوه من كتاب الله اي استحفظهم الله تعالى اياه بان يحفظوه من التضييع والتحريف او بان يحفظ فلا ينسى وقد اخذ الله على العلماء حفظ كتاب الله من هذين الوجهين معا احدهما ان يحفظ في صدورهم ويدرسونه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين والضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا وكذلك الضمير في قوله وكانوا عليه شهداء اي رقباء حافظين لا يغيبون عنه ولا يتركون مراعاته اصلا وقوله تعالى فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله تعالى في حكوماتهم خوفا من سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء وقرأ ابو عمرو باثبات الياء في الوصل دون الوقف والباقون بحذفها وصلا ووقفا ولا تشتروا اي تستبدلوا بايات اي باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا اي من الرشا وغيرها الكتمان او تبديلها كما فعل اهل الكتاب وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قال عكرمة معناه ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به فقد كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق فحمل الايات على هذا وهو ظاهر وقال الضحاك وقتادة نزلت هذه الايات الثلاث في اليهود ومن اسلف من هذه الامة وقيل اولئك هم الكافرون في المسلمين لانه تعالى خاطبهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا اي فرضنا عليهم اي اليهود فيها اي في التوراة ان النفس تقتل بالنفس اذا قتلتها والعين تفقأ بالعين اي يعين من فقأها والانف تجدع بالانف اي بانف من جدعه والاذن تقطع بالاذن اي باذن من قطعها والسن تقلع بالسن اي بسن من قطعها والجروح قصاص اي يقتص فيها اذا امكن كاليد والرجل والذكر ونحو ذلك وما لا يمكن فيه القصاص فيه الحكومة وهذا الحكم وان كتب علينا فهو مفروض في شرعنا قرأ الكسائي هذه الخمسة الفاظ وهي العين بالعين الى آخرها بالرفع على انها جمل معطوفة على ان ما في خبرها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين فان الكتبة والقراءة يتعاقبان على الجمل كالقول او مستانفة ووافق الكسائي ابن كثير وابو عمرو وابن عامر في الجروح فقط والباقون بالنصب في الجميع وسكن نافع الذال من الاذن وقرأ الباقون بوفقها فمن تصدق به اي القصاص بان مكن من نفسه فهو اي التصدق بالقصاص كفارة له اي لما اتاه فلا يعاقب ثانيا في الاخرة وقيل فمن تصدق به من اصحاب الحق فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله تعالى

من سياته ما تقتضيه الموازنة كسايوطاعته وعن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما يهم
عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط
عنه ما لزمه ومن لم يحكم بما انزل الله اي في القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون اي الذين
تركوا العدل فضلوا فضاروا لمكنهم يمشي في الظلام فان كانوا تو بنا بالترك كان نهاية الظلم
وهو الكفر والا كانوا عصيانا لان الله احق ان يخشى ويرجى وقفينا اي اتبعنا على اثارهم اي
النبيين الذي يحكمون بالتوراة بعيسى بن مريم صلى الله وسلم عليه ونسبه تعالى الى امه اشارة
الى انه لا والد له تكذيبا لليهود واليا نه عبد مربوب تكذيبا للنصارى مصدقا لما بين يديه
اي قبله مما اتى به موسى عليه الصلاة والسلام من التوراة واشار تعالى بقوله واتيناه الانجيل
اي انزلناه عليه كما انزلنا التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام الى انه ناسخ لكثير من احكامه
فيه هدى من الضلالة ونور اي بيان للاحكام وقوله تعالى ومصدقا اي الانجيل حال
لما بين يديه اي قبله والحكمان الذي نزل قبله كثير بين المراد بقوله من التوراة اي لما فيها من
الاحكام فالاول صفة لعيسى عليه الصلاة والسلام والثاني صفة لكتابه اي فهو والتوراة
والانجيل يتصادقون فكل من الكتابين يصدق الاخر وهو يصدقهما لم يتخالفوا في شيء بل هو
متحد في جميع ما اتى به وهدى وموعظة للمتقين اي كل ما فيه يهتدون به ويتعظون فتلين
قلوبهم ويتبرون به وليحكم اهل الانجيل وهم اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام بما انزل
الله فيه اي من الاحكام وقرا حمزة بكسر اللام ونصب الميم عطفا على معمول ايتناه والباقون
بكسر اللام وسكون الميم على الامر اي فليتبعه اهل التوراة عما نسخ منها والبحكم اهل الانجيل
الى اخره ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون اي المختصون بكمال الفسق فان كان
تو بنا كان كفرا وان كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية لان للحظوظ والشهوات تحمل على الخروج
من دايرة الشرع مرة بعد اخرى وانزلنا اليك يا محمد خاصة الكتاب اي الكامل في جمعه لكل ما يطلب
منه وهو القران وقوله تعالى بالحق متعلق بانزلنا مصدقا لما بين يديه اي قبله وما كانت من
الكتب السماوية من شدة تضادها كالشيء الواحد عبر تعالى بالمفرد فقال من الكتاب اي الكتب
المنزلة التي جاء بها الانبياء من قبل فالالام الاولى في الكتاب للعهد لانه عني به القران والثانية
للجنس لانه عني به جنس الكتب المنزلة ومهيمنا عليه اي رقيبا على سايرالكتب يحفظها عن
التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات فاحكم بينهم اي بين جميع اهل الكتب اذا ترافعوا اليك بما
انزل الله اليك في هذا الكتاب الناسخ لكتبهم المهيمن عليها في اثبات ما استطوه منها من احكام
باتباعك وتخوذلك من اوصافك ولا تتبع اهواهم فيما خالف عادلا عما جاءك من الحق يا الاخر

عنه الى ما يشتهونه لكل جعلنا منكم ايها الامم شرعة اي دينا موصلا الى الحياة الابدية والشرعة هي الطريقة
الى الماشبه بها الدين لانها موصلة الى الماء الذي به الحياة الدنيوية ومنهاجا اي طريقا واضحا في الدين ناسخا
لما قبله وقد جعلنا شرعتك ناسخة لجميع الشرايع وهذا ومثاله مما يدل على انا لسنا متعبدين بالشرايع
المتقدمة وان كل رسول متعبد بشرع من قبله وهو محمول على الفروع ومما دل على الاجتماع كاية شرع لكم من الدين
محمول على الاصول ولو شاء الله لجعلكم امة اي جماعة واحدة اي متفقة على دين واحد في جميع الاعصار
من غير نسخ وتحويل ولكن لم يشا ذلك بل شاء ان تكونوا على شرايع مختلفة ليبلوكم اي ليختبركم فيما اتاكم من
الشرايع المتخالفة ليتبين الطايع للواجب المطيع منكم والعاصي فاستبقوا الخيرات اي ابتدروها انتهازا للفرصة
بغاية الجهد فكل من يسابق شخصا يخشى العار بسبقه وقوله تعالى الى الله مرجعكم جميعا اي بالبعث اشتات
فيه تعليل للامر بالاستباق ووعد للمبادرين ووعيد للمقصرين فينبئكم اي يخبركم بما كنتم فيه تختلفون
اي من امر الدين ويجزي كلا منكم بعمله وقوله تعالى وان احكم بينهم عطف على الكتاب اي انزل الينا
اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان احكم وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة بكسر نون وان احكم والباقون
بفتحها ولا تتبع اهواهم واحذرهم ان اي لئلا يفتنوك اي يضلوك ويصدوك عن بعض ما انزل الله اليك
روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا
ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا اي عن الحكم المنزل واراد واغيره فاعلم انما
يريد الله ان يصيبهم اي بالعقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم اي التي اتوها ومنها التولي وجازيهم اي كلهم وعبر عن
على جميعها في الاخرة وان كثيرا من الناس اي هم وغيرهم لفاسقون اي خارجون عن دايرة الطاعات ومعاندون
لها فان الحكم لجاهلية اي خاصة مع ان احكامها لا يرضى بها عاقل لكونها موضوعة من عند انفسهم
اهواهم اهل كتاب يبغون اي يريدون باعراضهم عن حكمك مع ما دعا اليه كتابهم عن اتباعك وشهد كتابك
المعجز عن معارضته من وجوه برسالتك الى جميع الخلايق وهذا استفهام انكار وقرا ابن عامر بالتاء على
الالتفات الى الخطاب وهو دال على الغضب والباقون بالياء على الغيبة وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به الجاهلية من التفاضل بين القتلى اي بين ديات بعضهم على
بعض وهلم اي لا احد احسن من الله حكما لقوم اي عند قوم يوقنون يخصوا بالذكر لانهم الذين يتدبرون وزهم
الامور ويتحققون الاشيا باماراتها فيعلمون ان لا احسن حكما من الله جل وعلا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا
اليهود والنصارى اولياء اي تتولونهم وتوادونهم وتعاشرونهم معاشرة الاحباب وقوله تعالى بعضهم
اولياء بعض فيه ايما الى العلة النهي اي فانهم متفقون على عداوتكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم
على مضارتكم ومن يتولهم منكم اي ومن يوالهم منكم فانه منهم اي من جملتهم وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم والحذر

للموالي جائز امنا فقيل ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار ومن لم يرد الله
هدايته لم يقدر احد ان يهديه تنبيه اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقال قوم نزلت في عبادة ابن الصامت
وعبد الله بن ابي بن سلول المنافق وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اولياء من اليهود كثير عددهم شديد
شوكتهم واني ابرء الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا اتولى الا الله ورسوله فقال عبد الله لكني لا ابرء من ولاية اليهود
لاني اخاف الدوائر ولا بد لي منهم فانزل الله تعالى هذه الاية وقال السدي لما كانت وقعة احد اشتد على طائفة
من الناس وخافوا ان تؤاد عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي آخذ منه اماننا اني اخاف ان تدال
علينا وقال اخر لها انا الحق بفلان النصراني من اهل الشام واخذ منه امانا فانزل الله تعالى في هذه الاية وقال عكرمة
نزلت في ابي لبابة بن المنذر بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول
وقالوا ماذا يصنع بنا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه انه الذبح اي نقتلكم فنزلت هذه الاية فترى الذين في قلوبهم
مرض اي ضعف اعتقاد كعبد الله بن ابي يسارعون فيهم اي في موالاتهم يقولون معتذرين عنها نخشى اي نخاف ان
يالغا ان نصيبنا دايرة اي مصيبة تحيط بنا ويدور بها الدهر علينا من جدب او غلبة ولا يتم امر محمد فلا يمير ولا
فعسى الله ان ياتي بالفتح اي باظهار الدين على الاعداء او امر من عنده اي بهتك ستر المنافقين واقتضاحهم فيصبحوا
اي هؤلاء المنافقين على ما اسروا في انفسهم اي على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا عما اظهروه مما
اشعر به نفاقهم نادمين اي ثابت لهم غاية الندم في الصباح وغيره وقوله تعالى ويقول الذين امنوا اراه عاصم
وحمزة والكسائي بالرفع على انه كلام مبتدا ويويده قراءة بن كثير ونافع وابن عامر من فوق عاطفين واو على انه
جواب قايل يقول مما ذا يقول المومنون حينيذ وقرا بالنصب ابو عمرو عطفا على ياتي باعتبار المعنى وكانه قال
عسى الله ان ياتي بالفتح ويقول الذين امنوا هؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم اي غاية اجتهادهم فيها انهم لمعكم
في الدين اي يقول المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتيجيبا بما من الله تعالى عليهم من الاخلاص
اذ يقولون لليهود وان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم بقوله وان قوتلتم لننصرنكم
حبطت اي بطلت اعمالهم اي الصالحة فاصبحوا اي فصاروا خاسرين في الدنيا بالفضيحة والاخرة بالعقاب يا ايها
الذين امنوا اي قرروا بالايمان من ينتاي يرجع منكم عن دينه الى الكفر وهذا من المغيبات التي اخبر الله تعالى عنها
في القران قبل وقوعها وكان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاولى بنو مدلج وكان رييسهم ذو الخمار بالخا المهملة قال التفتازاني كان له حمار يقول له قف فيقف وسمي بذلك
وكانت الثانية اسماء بنت مروان بن حذيفة وقيل يعقد ذوابة شعرها وتضفرها من خلفها فسميت ذات الخمار بالخا المعجمة وذو
هنا وفيما قبله بالواو على لغة الفشي بفتح العين وسكون النون منسوب الى عنس وهو عين بن مذحج
ابن ادد بن كعب ويلقب بالاسود وكان كاهنا تنبا باليمن واستولى على بلادها واخرج عامل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه والي سادات اليمن

وامرهم

وامرهم ان يحثوا الناس على التمسك بدينهم والنهوض الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما واتى الخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من السما الليلة التي قتل فيها فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قتل الاسود البارحة قتله رجل مبارك قيل ومن هو قال فيروز فنفس المسلمون
فبشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بهلاك الاسود وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد
واتى خبر مقتل العنسي المدينة في اخر شهر ربيع الاول وكان ذلك اول فتح جا الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه
والفرقة الثانية بنو حنيفة باليمامة ورييسهم مسيلمة الكذاب وكان تنبا في حياة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اخر سنة عشر وزعم انه اشترك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة وكتب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك وبعثه
اليه مع رجلين من اصحابه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما
ثم اجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشا من عباده والعاقبة للمتقين
ومرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي فبعث ابو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد في جيش كبير
حتى اهلكه الله تعالى علي يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد حرب شديد وكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام راد
في جاهليتي واسلامي والفرقة الثالثة بنو اسد ورييسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة اجرا من تنبا في ايام
النبوة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من قوتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من اهل الردة فبعث
ابو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه اليه فهزمهم خالد بعد قتال شديد واغلة طليحة
من على وجهه هاربا نحو الشام ثم انه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وسعى في عهد ابي بكر رضي الله تعالى عنه
الاولى فزارة قوم عيينة بن حصن والثانية غطفان قوم قرة بن سلمة والثالثة بنو سليم قوم الفجاة
ابن عبد ياليل والرابعة بنو يربوع قوم مالك بن نويرة والخامسة بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبية التي تزوجت بعدها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلا المعري ماءت سجاح ووالاها مسيلمة بكذابة
في بني الدنيا وكذاب والسادسة كندة قوم الاشعث بن قيس والسابعة بنو بكر بن وايل بالبحرين قوم
الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر رضي الله تعالى عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله
تعالى عنه وهي غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام والجمهور انه مات على ردته وذكرت طايفة
انه عاد الى الاسلام وقرا نافع وابن عامر يرتد بدالين الاولى مكسورة مخففة والثانية ساكنة والباقون
بدالين مفتوحة واحدة مشددة واختلف في القوم في قوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه
فقال عياض بن عتم الاشعري لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم هذا واشار الى ابي موسى
الاشعري وكانوا من اليمن وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الايمان يمان والحكمة يمانية

وقال الكلبي هم اصحاب اليمن الغافر من النخع وخمسة من كندة وبجيلة وثلاثة الاشراف عنا الناس اي لم يعلم من
هم قاله الجوهري جاهد واني سبيل الله يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سيل رسول الله صلي
الله عليه وسلم عنهم فضرب علي عاتق سلمان رضي الله تعالي عنه فقال هذا وذويه ثم قال لو كان الايمان معلقا
بالثريا لنالة رجال من ابنا فارس والمراجع الي من محذوف وتقديره فسوف يات الله بقوم مكانهم ويقوم غيرهم
او ما اشبه ذلك ومحبة الله تعالي لعباده ان يثيبهم احسن الثواب علي طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضي
عنهم ومحبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه اذلة علي المؤمنين
اي عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل او ماذول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة
فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع علي اذلة فان قيل هلا قيل اذلة للمؤمنين اجيب بانه تضمن معني الحنو
والعطف كانه قيل عاطفين عليهم علي وجه التذلل والتواضع او انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم علي
المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم والمقابلة في قوله تعالي اعزة علي الكافرين اي شداد متغلبين عليهم من عزه
اذا غلبه وقوله تعالي يجاهدون في سبيل الله حال من الضميرين في اعزة او صفة اخري لقوم وقيله تعالي ولا
يخافون لومة لائم يحتمل ان يكون الواو للحال علي انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين
فانهم كانوا موالين لليهود فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا وليا هم اليهود فلا يعلمون شيأ مما يعلمون
انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله تعالي لا يخافون لومة لائم قطاعين
او ان يكون للعطف علي يجاهدون بمعني انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والنصب في دينه واللومة
المرة من اللوم وفيها وفي تنكيل لائم مبالغتان وقوله تعالي ذلك اشارة الي الاوصاف المذكورة فضل الله
يوتيه من يشاء اي يمنحه ويوفقه فيبذل الانسان جهده في طاعته لينظر اليه هذا النظر من رحمته والله واسع
اي كثير الفضل عليم اي بمن هو اهله ونزل لما قال بنو سلمة رضي الله تعالي عنه يا رسول الله ان قومنا هجرونا
انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا انما قال وليكم ولم يقل اولياكم للتنبيه علي ان الولاية لله علي الاصالة ولكل
والمؤمنين علي التبع اذ التقدير انما وليكم الله ونذا رسوله والمؤمنون ولتخيل انما اولياكم الله ورسوله والذين
امنوا الموثقين في الكلام اصل وتبع ثم وصف المؤمنين بقوله تعالي الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم
راكعون اي متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل يصلون صلاة التطوع ومن يتول الله ورسوله والذين
امنوا اي ومن يتخذهم اولياء وقيل من يعينهم وينصرهم فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن
وضع الظاهر موضع المضمر اظهارا لمباشرتهم به وترغيبا لهم في ولايته وتشريفا لهم بهذا الاسم فكانه قيل
ومن يتولهم فانهم حزب وحزب الله هم الغالبون ونحو بعضنا بمن يري في غير هولا بانه حزب الشيطان واصل الحزب
القوم يجتمعون لامر حزبهم ونزل في رفاعة بن زيد وسويد بن حارث اللذين اظهرا الاسلام ثم نافقا
وكان رجال من المسلمين يوادونهما يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم اي الذي شرفكم الله تعالي به

هزوا

حكوا

هزوا اي مهزوأ به ولعبا تمييز للمنهي عن مولاتهم بقوله تعالي من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي اليهود
ولما خص عمم فقال والكفار اي من عبدة الاوثان وغيرهم اولياء اي فان الغرض ان اجتمعوا علي حكم
واثروه رايكم فان تضع لكم مولاتهم وقرا ابو عمرو والكسائي بخفض الراء والباقون بالنصب عطفا علي الذين
اتخذوا علي ان النهي عن مولاة من ليس علي الحق اساسا سواء كان ذا دين تبع فيه الهوا وحرفه عن
السواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله اي بترك المناهي ان كنتم مومنين اي صادقين
في ايمانكم فان الايمان حقا يقتضي ذلك وقوله تعالي واذا ناديتم معطوف علي الوين قبله اي ولا تتخذوا
الذين اذا ناديتم اي دعوتم الي الصلاة بالاذان اتخذوها اي الصلاة هزوا ولعبا بان يستهزءوا بها ويتضاحكوا
ويقولوا اصاحوا كفيا العين وفي هذا دليل علي ان الاذان مشروع للصلوات المكتوبات روي الطبراني
ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل
خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقه واهله ذلك اي الاتخاذ بانهم اي
بسبب انهم قوم لا يعقلون اي فان السفه يودي الي الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه ونزل لما سال
نفر من اليهود النبي صلي الله عليه وسلم عمن تومن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الاية فقالوا احدث
سمعوا ذكر عيسي ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم قل يا اهل الكتاب
هل تنقمون اي تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا انكره واتتم اذا كافاه الا ان امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل من قبل اي الي الانبيا وقوله تعالي وان اكثركم فاسقون عطف علي ان امنا والمعني ما تنكرون
منا الا ايماننا وخالفتكم في عدم قبول الايمان المعبر عن عدم القبول بالفسق اللازم عن عدم القبول
وليس هذا مما ينكر قل لهم يا محمد هل انبيكم اي اخبركم بشر من ذلك اي الذي تنقمونه مثوبة عند الله
اي ثوابا بمعني جزا مثوبة علي التمييز فان قيل المثوبة مختصة بالاحسان كما ان العقوبة مختصة بالشر
اجيب بان ذلك علي سبيل التهكم كما في قوله تعالي فبشرهم بعذاب اليم وقوله تعالي من لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر علي حذف مضاف قبل لفظ ذلك او قبل لفظ من لعنه الله
وتقديره بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله لان الوين المشار اليه غير
مطابق لقوله من لعنه الله في معني شيئ كقيله لفظ شر فيقدر اهل قبل ذلك او دين قبل من ليطابقه
فان قيل هذا يقتضي كون الموصوفين بذلك الدين محكوما عليهم بالشر ومعلوم انه ليس كذلك اجيب
بانه انما خرج الكلام علي حسب قولهم واعتقادهم فانهم حكموا بان اعتقاد ذلك الدين شر فقيل لهم
هل ان الامر كذلك لكن لعنة الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك والذين لعنهم الله في هذه الاية هم
اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم
قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مايدة عيسي وقيل كل المسوخ في اصحاب السبت

مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير روي انها لما نزلت كان المسلمون يعيرونا اليهود ويقولون
يا اخوة القردة والخنازير ويضيفون رؤسهم وقوله تعالى وعبد الطاغوت عطف على صلة من كأنه
قيل ومن عبد الطاغوت وقرأ حمزة بضم التاء وكسر الباء الطاغوت على انه اسم جمع ليعبد عطفا على
من والباقون بنصب التاء من عبد والتاء من الطاغوت والطاغوت الشيطان او العجل معبود من دون الله
ولان عبادتهم للعجل امر زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما الطاغوت الكهنة وكل من اطاع في معصية الله تعالى تنبيه روي في منهم معنى من وفيما
قبلها الفظها وهم اليهود اولئك اي الملعونون الممسوخون شر مكانا الان ما واهم النار وحقيقة الشر ضد
للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في اولئك شر ومكانا تمييز واضل عن سواء السبيل اي طريق
الحق واصل السواء الوسط فان قيل ذكر شر واضل يقتضي مشاركة المومنين والكفار في الشر والضلال وان
الكفار اشر واضل مع ان المومنين لم يشاركوا الكفار في شيء من ذلك اجيب بان المراد ان مكان هو لاء في
الاخرة شر واضل من مكان المومنين في الدنيا لما يلحقهم فيها من الشر والضلال الحاصل لهم بالهموم هو
الوبيوبة كسماء الذي وغيره او ان ذلك ذكر على سبيل التنزل والتسليم للخصم على زعمه الزامالة الحجة
وهذا اولى ونزل في يهود نا فقو النبي صلى الله عليه وسلم اوفي عامة المنافقين واذا جاوكم قالوا امنا وقد
اي قالوا ذلك والحال انهم قد دخلوا اليكم متلبسين بالكفر وهم قد خرجوا من عندكم متلبسين به اي الكفر
كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بايات الله وموا عظك والله اعلم بما كانوا يكتمون
الكفر وغيره في جميع احوالهم مراقبتهم وافعالهم وفي هذا وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي اليهود و
المنافقين يسارعون اي يقعون سريعا في الاثم اي الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الاثم والعدوان
اي الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم ولبئس ما كانوا اي الحرام كالرشى ليس
مكانا يعملون به علمهم هذا لان اهل الاهلا ينهاهم ايهم يجد لهم النهي الربانيون اي المدعون التخلي من الدنيا
الى سبيل الرب والاحبار اي العلماء عن قولهم الاثم اي الكذب واكلهم السحت اي الحرام هذا تخصيص لعلما
على النهي عن ذلك لان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل افاد التحضيض ليس ملكانوا
يصنعون ترك نهيهم فان قيل لم عبر في الاول بيعملون وفي الثاني بيصنعون اجيب بان كل عامل
لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب ولذلك ذم بهذا حوالهم ولان ترك
الانكار على المعصية اقبح من موافقة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار
عليها فكان جديرا بان يبلغ الذم كل مرجان فادر على النهي عن المنكر من العلماء وغيرهم وتركه وعن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها
وقالت اليهود لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية

يد الله

يد الله معلولة اي هو ممسك يقتر الرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى
ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا
بسط ولا انهى الا قطع الى الممكن عاجز بلا لفا لو اما ابسط يديه بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان
وقفا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تقع اليد كقولهم بسط الياس كفيه في
صدري فجعلت للياس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كذا فان قيل قد صح ان قوله يد الله مغلولة
عبارة عن البخل فما تفعل في قوله تعالى غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه اجيب بانه يجوز
ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن كان البخل خلق الله تعالى وانكده والمطابقة على
هذا ظاهرة ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة بان يقيدوا في الدنيا اسارى وفي الاخرة
معذبين بالاغلال في جهنم كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل وعلى هذا تكون المطابقة حاصلة
من حيث لفظ مغلولة وغلت ومن حيث ملاحظة ان الاصل في القول الشيع ان يقابل بالدعاء على قابله
ولعنوا اي ابعدوا مطرودين عن الخير بما قالوا لما لعن الله تعالى انهم مسخوا قردة وخنازير ثم رد الله
تعالى عليهم بقوله بل يداه مبسوطتان مثنيا بالتثنية الى غاية الجود اذ غاية ما يبذله السخي من ماله ان
يعطي بيديه جميعا ينفق كيف يشاء اي هو مجاز عن انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته
ومقتضى حكمته لا اعتراض عليه وقبل القايل بهذه المقالة فنحاص بن عازوراء فلما لم ينههم الاحبار
ورضوا بقوله اشركهم الله تعالى فيها وليزيدن كثيرا منهم اي ممن اراد الله فتنتهم ذكر فاعل الزيادة فقال
ما انزل اليك من ربك من القران طغيانا اي تماديا في الجحود وكفرا بايات الله فيتمردون على كفرهم وطغيانهم
طغيانا وكفرا مما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول القذا الصلح للاصحاء والقينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فكل فرقة منهم تخالف الاخرى فلا تتفق قلوبهم ولا تطابق اقوالهم
كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله اي كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا فريقهم نصر الله على احدو قد
اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط عليهم نطرس بالفا الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل
كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود بلدة الا وجدتهم من اذل الناس
ويسعون في الارض فسادا اي ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتبهم
واثارة للحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين اي فلا يجازيهم الا شر الجزاء ولو ان اهل الكتاب امنوا
اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به واتقوا اي الكفر لكفرنا عنهم سياتهم اي التي فعلوها ولم نواخذهم بها
ولادخلناهم جنات النعيم مع المسلمين وفي هذا اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سياتهم
ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه بابا التوبة على كل عاص وان عظم معاصيه وبلغت مبالغ سيات اليهود

والنصاري وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل
اي اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليهم اي من الكتب المنزلة
من ربهم لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القران وقوله تعالى لاكلوا من فوقهم
ومن تحت لرجلهم عبارة عن التوسعة اي لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم من بركات السماء والارض
او ان تكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يزرقهم الجنان اليانعة الثمار فيجنونها من راس الشجر والبقول
ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم بين سبحانه وتعالى بذلك ان ما كان منهم بستوجب كفرهم ومعاصيهم
لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة اي
جماعة مقتصدة اي عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من القبط
امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء اي بئس ما اي شيا يعملونه فيه
معنى التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوا عملهم وقيل هو كعب بن الاشرف واصحابه والروم تروي مسروقا عن
عايشة رضي الله تعالى عنها انها قالت من حدثك ان محمدا كتم شيا مما انزل الله فقد كذب وهو يقول يا ايها
الرسول بلغ جميع ما انزل اليك من ربك اي لا تكتم منه شيا خوفا ان تنالك مكروه وان لم تفعل اي وان لم تبلغ جميع
جميع ما انزل اليك فما بلغت رسالته اي لان كتمان بعضها كالكتمان كلها ولان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض
فاذا لم تؤد بعضها كانك اغفلت اداءها جميعا والله يعصمك ان من لم يرتو من بعضها كان كمن لم يرو من بحلها وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان كتمت اية لم تبلغ رسالتي واختلف في سبب نزول هذه الاية فقيل نزلت في عتب اليهود
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا الا سلمنا قبلك وجعلوا يستهزون به ويقولون
نريد ان تتخذك حنانا كما اتخذت النصاري عيسى حنانا فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك سكت فنزلت هذه
الاية وقيل نزلت في الجهاد وذلك ان المنافقين كانوا يكرهونه فكان يمسك احيانا عن حثهم على الجهاد وقيل لما انزل
اية التخيير وهو قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا فنزلت وقيل غير ذلك
وقرا نافع وابن عامر وشعبة يا لف بعد اللام وكسر التا والباقون بغير الف وبضب التا والله يعصمك من الناس اي
يحفظك ويمنعك منهم فان قيل البيس قد شج راسه وكسرت رباعيته واوذي بضروب من الاذي اجيب بان معناه
يعصمك من القتل فلا يصلون الي قتلك وفي هذا تنبيه على انه يجب عليه ان يحتمل كل ما دون النفس من انواع الملا
مما اشبه تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت هذه الاية بعد ما شج راسه لان سورة المايدة من اخر
ما نزل من القران وروى اسحاق بن راهويه في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثني الله برسالة ضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي الله تعالى
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس قد عصمني
من الناس قال البيضاوي وظاهر الاية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصه بانزاله

اطلاعهم

اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاوه انتهى قال بعض العارفين ولهذا قال تعالى بلغ ما انزل اليك
ولم يقل ما نزل اليك واعلم ان المراد من الناس ها هنا الكفار بدليل قوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين
اي لا يمكنهم مما يريدون بك ويروى انه عليه الصلاة والسلام نزل تحت شجرة في بعض اسفاره وعلق سيفه عليها
فاتاه اعرابي وهو نايم واخذ سيفه واخترطها وقال من يمنعك مني يا محمد فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط من
يده ومن يده راسه الشجرة حتى انتثر دماغه فانزل الله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به حتى يسمى
فساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء حتى تقيموا
التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم اي بان تعملوا بما فيها ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاعتراف
لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرت بالايمان بعد صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد
اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها ولين بدن كثير منهم ما انزل اليك من ربك اي من القران طغيانا وكفرا
لكفرهم به فلا تاس اي تحزن على القوم الكافرين ان لم يومنوا بك اي لا تهتم بهم فان ضرر ذلك لا يتخطاهم
والمومنين متنوحة عنهم لذلك ان الذين امنوا والذين هادوا اي اليهود والصابيون فرقة منهم والنصارى
وقد مر تفسيرهم هذا في سورة البقرة فان قيل لم رفع الصابيون وكان حقه والصابيين اجيب بانه رفع على الابتدا
وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
حكمهم كذا والصابيون كذا وانشد سيبويه بشاهوا له موالافاعلى انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق والشاهد في انتم
فانه مبتدا حذف خبره والتقدير والا فانا بغاة وانتم كذلك فان قيل ما فايدة هذا التقدير والناخير اجيب بان
الصابيين اشد العرب المذكورين في هذه الاية ضلالا وما سموا صابيين الا لانهم صبوا عن الاديان كلها اي خرجوا
فكانه قيل هولا الفرق الذين امنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابيين فانهم ان امنوا كانوا اليه اقرب كذلك
وقيل منصوب بالفتحة فكما جر بالفتحة مع اليا كما في بين وسنين جر مع الواو كما هنا وقوله تعالى من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا في محل رفع بالابتدا وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة والفا التضمن المبتدا
معنى الشرط والجملة خبر ان فان قيل كيف قيل الذين امنوا من امن اجيب بان المراد بالذين امنوا الذين امنوا
بالسنتهم وهم المنافقون او ان المراد بمن امن من ثبت على الايمان واستقام ولو حاجه ربيعة فيه لقوله تعالى
ميثاق بني اسرايل اي على الايمان بالله ورسله وارسلنا اليهم رسلا اي ولم نكتف بهذا العهد بل ارسلنا
اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم فلما جاهم رسول بما لا تهوى انفسهم اي بما يخالف هواهم من
الشرايع ومشاق التكليف فريقا اي من الرسل كذبوا اي كذبهم بنو اسرايل من غير قتل كعيسى وفريقا منهم يقتلون
كزكريا ويحيى وانما جي بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا للحال الشنيعة
للتعجب منها وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رويس الاي وحسبوا اي ظن بنو اسرايل
ان لا تكون اي توجد فتنة اي لا يصيبهم بها عذاب في الدنيا ولا خرج في الاخرة بل استمروا بامرها فلا تعجب انت

مرجراتهم في ادعايهم انهم ابنا الله واحباوه وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي برفع النون تنزيلا للحسبان
منزلة العلم فتكون مخففة من الثقيلة واصله انه لا يكون والباقون بالنصب على ان الحسبان على بابه فعموا
اي عن الحق فلم يبصروه وهذا العمى هو الذي لا عمى في الحقيقة سواه وهو انطماس البصائر فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وصموا عنه فلم يسمعوه اي عموا وصموا بعد موسى ويوشع عليهما السلام
والصم اخر من العمي فصاروا لكن لا يهتدي الى السبيل اصلا لانه لا بصر له بعين ولا قلب ولا سمع ثم تاب الله عليهم
ببعث عيسى بن مريم فرجعوا الى الحق ثم عموا وصموا كرة اخرى بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى كثير
منهم بدل من الضمير والله بصير بما يعملون اي وان دق فيجازيهم به وفي اعمالهم لفف كفر الذين قالوا ان
الله هو المسيح بن مريم وهم اليعقوبية منهم القائلون بالاتحاد وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي
وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله اي يشرك في العبادة غيره فقد
حرم الله عليه الجنة اي منعه من دخولها منعا متحتما فانها دار الموحدين ومأواه النار اي محل سكناه فانها
المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار لا بقوة ولا شفاعة ولا بغير هما
فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من كلام
الله تعالى نبه به على انهم عدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه الصلاة والسلام فلذلك لم يساعدهم
عليه ولم ينصروه ويردوه وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره وان يكون من كلام عيسى على
معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الآخرة
من عذاب الله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية منهم والملكانية
وفيه اضمار معناه ثالث ثلاثة الالهة لانهم يقولون الالهية مشتركة بين الله ومريم وعيسى وكلوا احد من
هو الاله فهم ثلاثة الهة بين هذا قوله تعالى للمسيح انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومن قال
ان الله تعالى ثالث ثلاثة بالعلم ولم يرد به الالهة كفر بلفظه فان الله تعالى يقول ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم
وقال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما قال الله تعالى رادا عليهم وما من اله الا اله واحد
اي وما في الموجودات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله واحد موصوف بالوحدانية
متعال عن الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا اي الكفرة بجميع اصنافهم عما يقولون اي من هاتين المقالتين
وما دانا هما ليمسن اي مباشرة من غير حائل الذين كفروا اي داموا على الكفر منهم عذاب اليم اي مولم لم ينقطع عنهم
لعدم توبتهم ولذلك عقبه بقوله تعالى افلا يتوبون اي يرجعون بعد هذا الكفر الذي لا اوضح منه بطلانا ولا اشنع
عن مقالته الى الله ويستغفرونه اي يطلبون منه غفران ما اقدموا عليه من تلك العقايد والاقوال الزايغة ويتفرعون
بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور اي بالغ المغفرة بحيث لا يؤاخذ
عليها ولا يعتبر رحيم اي بالغ الاكرام لمن اقبل عليه فيغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم

ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت اي مضت من قبله الرسل اي ليس هو بالاله كالرسل الذين مضوا لم يكونوا الهة وما
من خارقة له الا وقد كان مثلها او اعجب منها لم يكن قبله فان كان قد احيى الموتى على يده فقد احيى العصى وجعلها
حية تسعى على يد موسى وهو اعجب وان كان قد خلق من غير اب فقد خلق ادم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة اي بليغة
الصدق في شأنها كساير النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كما قال تعالى في وصفها وصدقت بكلمات ربها
وهذه الآية مع ما قبلها من قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون دليلان قاطعان
بالغيتهما الناشية الى ما هو الحق في اعتقاد امرهما على اعلى الصفات فان اعظم صفات عيسى عليه الصلاة والسلام الرسالة وكمال
صفات امه عليها السلام الصديقية فاي كذه مريم وابن بنيا محمد صلى الله عليه وسلم في الجنة وما بين سبحانه وتعالى فيما
هذين الدليلين ان ذلك لا يوجب لهما الالوهية بقوله كانا يأكلان الطعام لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما ينفعه والهضم تمكن
جسما مركبا من لحم وعظم ودم وعروق واعصاب واخلاط وفيه دلالة على ان المصنوع مولف مركب وكل مركب من الاجسام فيكون محدثا
وكل محدث لا بد له من محدث اذ لو احدث نفسه او احدثه غيره لكان قبل ان يحدث موجودا او معدوما والاول محال لان من لم يكن
ومن كان هذه صفته كيف يكون الها ثم لما اوضح الله تعالى لهم الادلة في امرهما حتى ظهر كالشمس بعدهما ما ادعوا فيهما اتبعه
التعجيب بقوله انظر متعجبا كيف نبين لهم الايات على وحدانيتنا ثم انظر انى اي كيف يؤفكون اي يصرفون عن الحق مع قيام البرهان
فان قيل معنى الترتيب في قوله تعالى ثم انظر اجيب بان معناه التفاوت بين العجبين اي ان بياننا للايات عجب واعراضهم
عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله اي غيره ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا اي لا يستطيع ان يضركم مثل ما يضركم الله تعالى به من
البلايا والمعايب في الانفس والاموال والله ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان والسعة والخصب وكلما تستطيعه
البشر من المضار والمنافع فباقدار الله تعالى وتمكينه وكانه لا يملك شيأ وهذا دليل قاطع على ان امر عيسى منافي للربوبية
حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب تعالى ان يكون قادرا على كل شي لا يخرج مقدور عن قدرته فان قيل اذا كان المراد
السيد عيسى فلم عبر عنه بما دون من وعن المراد من يعقل اجيب بانه اتى بما تنظر الى ما هو عليه في ذاته توطيئا لنفي القدرة هو
عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فيمعزل عن الالوهية وان
المراد كل ما عبد من دون الله تعالى سواء كان ممن يعقل امما لا وهو السميع لاقوالكم العليم باحوالكم فيجازيكم عليها ان خيرا فخير
وان شرا فشر والاستفهام للانكار قل يا اهل الكتاب اي عامة لا تغلوا اي تجاوزوا الحد في دينكم وقوله تعالى غير الحق صفة للمصدر
اي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان حق وهو ان يجتهد في تحصيل حجج ما يقول المتكلمون
وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة فيدعو عيسى عليه الصلاة والسلام الى ان يدعوه الالهية او يصفه
ويريتا بوائيه وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم ضلوا من قبل اضلوا بشر اسلافهم الذين ضلوا قبل مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شرعهم واضلوا كثيرا اي من الناس بما دسوا لهم في الباطل والتبديل وغيره حتى ظن حقا وضلوا اي بعد مبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل اي طريق الحق وهو الاسلام او السواء الاصل الوسط والاعم وهذه المذاهب التي
تدعوا اليها الشهوة التي موضع الشر لا يقال ذلان يهوى الخير انما يقال لمن يريد الخير ويحبه وقيل سمي الهوى هوى لانه يهوي بصاحبه

الى النار قال رجل لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواك فقال اكل هوى ضلالة لعنهم الله بئس ما كفروا من بني اسرائيل على لسان داود اي لعنهم الله تعالى في الزبور على لسان داود وكان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخ اقردة وقوله تعالى وعيسى ابن مريم عطف على داود اي لعنهم الله في الانجيل على لسان عيسى وهم اصحاب المائدة لما نزل عليهم يوم سئوا قال عيسى عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخ خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي قال بعض العلماء ان اليهود كانوا يفتخرون بآبائهم انبياء فذكر الله تعالى هذه الاية ليدل على انهم ملعونون على السنة الانبياء كلهم اللعن المذكور انما هو بسبب ما عصوا وكانوا يعتدون ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله تعالى كانوا لا يتناهون اي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر اي عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر اراد وا فعله وتهيؤا له وانما قدم ما ذكر لان التناهي عن منكر قد مضى محال ليس ملكانوا يفعلون اي يفعلونه والمخصوص بالذم محذوف اي فعلهم هذا قال بعض المفسرين فيه اجرة على المسلمين في ايراضهم عن باب التناهي عن المنكر وقلة عيبهم به كانه ليس من دين الاسلام في شيء مع ما تبلون من ظلم الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب ترى كثيرا منهم اي اهل الكتاب يتولون الذين كفروا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين ليس ما قدمت لهم انفسهم من العمل يلعقادم الموجب ان سخط الله عليهم اي غضب عليهم وفي العذاب هم خالدون اي دائما ولو كانوا يومنون بالله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه اي من عند الله اعم من القرآن وغيره ايمانا خالصا من غير نفاق ما اتخذوهم اي المشركين اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون اي خارجون عن الايمان وقيل معناه ولو كانوا يومنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء ايها يوالهم المسلمون لتجدن يا محمد اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا من اهل مكة لتقادم كفرهم وجهلهم وانهماكهم في اتباع الهوى وفي جعل اليهود قرنا المشركين في شدة العداوة للمومنين دلالة على شدة عداوتهم بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا كونوا فعلا في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا وعنه صلى الله عليه وسلم ما خلق يهودي بمسلم الا حمما بفتله ولتجدن اقربهم اي الناس مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى انما اسند تسميتهم نصارى الينا دون تسمية اليهود لانهم الذين سموا انفسهم نصارى حين قالوا نحن انصار الله مر انصاري الى الله الاية او لانهم كانوا يسكنون قرية يقال لها ناصرة وكلهم لم يكونوا ساكنين فيها وعلى التقديرين فتسميتهم نصارى ليست حقيقة بخلاف تسمية اليهود يهودا فانها حقيقة سواء سموا بذلك لكونهم اولاد يهوذا بن يعقوب او لكونهم تابوا عن عبادة العجل بقولهم انا هدنا اليك او لتحركهم في دراستهم ثم علل سبحانه وتعالى سهولة ماخذ النصارى وقرب مودتهم للمومنين بقوله ذلك بان منهم قسيسين اي علماء ورهبانا اي عبادا وانهم لا يستكبرون عن اتباع الحق كما تكبر اليهود والمشركون من اهل مكة لانهم في غاية التواضع لله تعالى وفي الحديث ان النجاشي الف اربعين من اهل الحبشة لا في كل النصارى لانهم في عداوة شديدة للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين واسرهم وتخريب ديارهم وهدم مساجدهم وحرق مصاحفهم قال اهل التفسير ايتمرت قريش ان يفتنوا المومنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يوبخونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله تعالى منهم من شاء ومنع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يومر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا لا يظلم عنده احد

فخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا وامرهم به النجاشي اسم الملك لقولهم قيصر وكسرى فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة من جملتهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا الى البحر واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون اليها فكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك ارسلوا الى النجاشي بالهدايا الذ ما يكون بمكة فنعمهم الله وانصرفوا اخايبين واقام المسلمون هناك بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا دينه وفي سنة ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يد عمرو بن امية الضمري ليزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت اليه مع زوجها فمات زوجها فارسل النجاشي الى ام حبيبة هذه جارية تخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبشرت بذلك واذنت لخالد بن سعيد ان يزوجها وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي فاعطى لها اربعمائة دينار قالت ام حبيبة فجئنا الى المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج اليه واقمت بالمدينة حتى قدم وافى جعفر بن ابي طالب واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس فبكوا واسلموا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على عيسى قال تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول من القرآن ترى اعينهم تفيض من الدمع اي جعلت اعينهم من غير طبعها تفيض بانفسها عما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا والتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوه كله وقال ابن عباس يريد النجاشي واصحابه رضي الله تعالى عنهم بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه عليهم جعفر ابن ابي طالب والمهاجرين معه واحبر الرهبان والقسيسين وامر جعفر ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ عليهم كهيعص فبكوا حتى فرغ جعفر القراءة وقالوا امنا بك وصدقناك يقولون ربنا امنا اي صدقنا بنبيك وكتابك فاكتبنا مع الشاهدين اي امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون على الامم يوم القيامة دليله قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس واذا نظرت مكاتبات النبي صلى الله عليه وسلم ارددت بصيرة في صوق هذه الاية فانه مكاتب نصرانيا الا امر او كان لينا ولم يسم كهرقل والمقوقس وهودة بن علي وغيرهم وغايتهم انهم متنوا بملكهم واما غير النصارى فانهم كانوا على غاية الغظاظة كخسرى فانه مزق كتابه صلى الله عليه وسلم ولم يخبر رسوله النبي قال البقاعي السر في ذلك انه ملاكان عيسى صلى الله عليه وسلم اقرب الانبياء منازل من النبي صلى الله عليه وسلم كان للمنتمين اليه ولو كانوا كفرة اقرب الامم مودة لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا في جواب من عيرهم بالاسلام من اليهود وما لنا لا نومن بالله وما جاءنا من الحق وهو القرآن اي لا مانع لنا من الايمان مع وجود مقتضيه وقوله تعالى ونطمع معطوف على نومن اي ونحن نطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين اي المومنين الجنة فاثابهم الله بما قالوا اي جعل ثوابهم على هذا القول المستند الى علمه الناشي عن حسن الطوية جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الجزاء العظيم جزاء المحسنين اي بالايمان

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اي الذين لا ينفكون عنها لا يغيب هم عن العصاة المومنين وان كثرة كبائرهم
وعطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو من عطف الخاص الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض الصديقين
بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا اي لا تمنعوا انفسكم بنذر او يمين او غيره لذ الطيبات
اي مستلذات ما احل الله لكم بكتبة التحريم او لا تقولوا لاجل امتناعها على انفسنا مبالغة منكم في التزام على تركها توهما
منكم وتعنتا ولا تعتدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم ان الله لا يحب المعتدين اي لا يفعل فعل المحب من الاكرام
للمتوغلين في الورع حيث يحرمون ما احللت لهم او المتوغلين الذين يحللون ما حرمت اي يفعلون فعل المحرم من المنع
وفعل المحلل من التناول فالاية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصى يوم القيامة لاصحابه فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقت القلوب وبكوا واجتمع عشرة من
الصحابة رضي الله تعالى عنهم في بيت عثمان بن مظعون وهم ابو بكر وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله
ابن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وغيرهم
ابن مظعون رضي الله تعالى عنهم وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويجبوا اخوانهم
ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا في الارض
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم الم ابلغ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله ما اردنا الا الخير
فقال صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم واصوم
واصلي واقطر واطا اللحم والودك واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم وقال ما بال اقوام حرموا النساء
والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك
اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا
واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا
على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله تعالى هذه الاية فقالوا يا رسول الله
فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا ما عليها ان نفقوا فانزل الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم
الاية وروي انه صلى الله عليه وسلم كان يكره الدجاج والقاذورة والعسل وقال ان المومن حلو يحب الحلاوة
وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه جاءه رجل فقال له حرمت الفراش فتلا هذه الاية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك
وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السنجي وامي به فقعد واعلى المايدة وعليها الالوان من الدجاج والقاذورة وغير ذلك
فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صايم فقالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فقال يا فرقد اترى لعاب النحل يخالط لباب البر
بخالص اليمين بعينه مسلم وعنه انه قيل له قلمن لا ياكل الفالوذ ويقول للاوذي شكره قال افيشرب الماء البارد قال
نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما هاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوه ولا عذر لمن افتقر

عثمان مقصوده وروي ان عثمان بن مظعون اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ايذن لي في الاختصار فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصا ولا من اختصى ان خصاء امتي الصيام فقال يا رسول الله ايذن لي في السياحة
فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله قال يا رسول الله ايذن لي في التزهب قال ان ترهب امتي الجلوس في المساجد
انتظار الصلاة وروي ان رجلا قال يا رسول الله اني اصبت من اللحم فانتشرت فاحدثني شهوة فحرمت اللحم فانزل الله
تعالى الاية ولا تعارض بين الخبرين لان الشيء الواحد قد يكون له اسباب متعة بعضها اقرب من بعض وروي انه
صلى الله عليه وسلم نهى عن التبتل نهيا شديدا وقال تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة
وكلوا مما رزقكم الله وملا كان الرزق يقع على الحرام قيده بعد القيد بالتبعيض بقوله حلالا طيبا وهو مفعول كلوا
وهما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة وقوله تعالى واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به وزاده تاكيدا بقوله
الذي انتم به مومنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به ونهى عنه لا يواخذكم الله باللغو الكائن
في ايمانكم هو ما يبدو امن غير قصد كقولهم لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقيل
هو الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله ولكن يواخذكم بما عقدتم اي وثقتم
الايمان عليه بان حلفتم عن قصد وروي ان الحسن سيل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا
سعيد دعني اجيب عنك ولست بماخوذ بلغو تقوله اذا لم تعمد عاقدات العزائم والمعنى ولكن يواخذكم
بما عقدتم اذا حنثتم او بتركك ما عقدتم فحذف التقدير باحد الامرين للعلم به وقرا ورش يواخذكم بالهمز
واوا مفتوحة وقرا ابن ذكوان عاقدتم بالالف بعد العين وتخفيف القاف والباقون بغير الف مع تشديد القاف هـ
فكفارته اي اليمين اذا حنثتم فيه التي تذهب اثمه وتزيل اثره بحيث تصيرون كان لم تحلفوا اطعام عشرة
هـ مساكين اي لكل مسكين مد عندنا وبنصف صاع عند ابي حنيفة من اوسط ما تطعمون اهليكم من بر او غيره
هـ لا اعلاه ولا ادناه او كسوتهم بما يسمى كسوة كقميص وعمامة وازار وسراويل ومقنعة من صوف وقطن هـ
هـ وكتان وحرير ولو لرجل وان لم يحز له لبسه لوقوع اسم الكسوة عليه رديئا كان او جيدا ويجزي لبدا وفرقة تعتاد
هـ في البلد لبسهما ولا يكفي دفع ما ذكر الى مسكين واحد وعليه الشافعي ولا يكفي الملحب والنعل والخف والقلنسوة هـ
هـ والتبان وهو سراويل قصير لا يبلغ الركبة ونحو ذلك مما لا يسمى كسوة او تحرير رقبة اي مومنة كما في كفارة هـ
هـ القتل والظهار حملا للمطلق على المقيد وجوز ابو حنيفة عتق الكافرة في كل كفارة الا القتل وخرج بالتحرير
هـ بين هذه الثلاثة انه لا يجزي ان يطعم خمسة ويكسو خمسة كما لا يجزي اعتاق نصف رقبة واطعام خمسة فمن لم
يجد اي بان عجز عن واحد مما ذكر فصيام ثلاثة ايام اي فكفارته صيام ثلاثة ايام ولا يجب تتابعها فان قيل قراءة ابن
مسعود فصيام ثلاثة ايام متتابعات والقراءة الشاذة كخبر الواحد في وجوب العمل بها وحينئذ قطع يد السارق اليمنى بالقراءة الشاذة في
قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايمانهما ولان من قاعدة الشافعي رحمه الله تعالى حمل المطلق على المقيد
من جنسه وهو الظهار والقتل اجيب بان اية اليمين نسخت متتابعات تلاوة وحكما فلا يستدل بها بخلاف اية السرقة

فلهذا سميت ثلاوة لاحكما وبان المطلق هاهنا متردد بين اصلين يجب التتابع في احدهما وهو كفارة الظهار
والقتل ولا يجب في الاخر وهو قضا رمضان فلم يكن احد الاصلين في التابع باولي من الاخر وبسن تتابعها خروجا من
خلاف ابي حنيفة فانه شرط تتابعها تنبيه المراد بالعجز ان لا يقدر على المال الذي يصرفه في الكفارة كمن يجد
كفايته وكفاية من تلزمه مونته فقط ولا يجد ما يفضل عن ذلك وضابط ذلك ان من جاز له ان ياخذ سهم الفقرا
والمساكين من الزكاة والكفارات له ان يكفر بالصوم لانه فقير في الاخذ فكذا في الاعطا ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم
اذا حلفتم اي وحنثتم واحفظوا ايمانكم اي من ان تنكثوها ما لم تكن على فعل بر او اصلاح بين الناس كما في سورة البقرة
كذلك اي مثل ما بين لكم ما ذكر يبين الله لكم اياته اي اعلام شريعته لعلكم تشكرون اي يحصل منكم الشكر بحفظ جميع
الحدود الامرة والناهية يا ايها الذين امنوا انما الخمر اي المسكر الذي خامر العقل سوا فيه كثيره وقليله والميسر
اي القمار والانصاب اي الاصنام والازلام اي قداح الاستقسام رجس اي خبيث مستقذر وانما وحد الخبر
للنص على الخمر والاعلام بان اخبار الثلاثة حذفت وقدرت لانها اهل لان يقال في كل واحدة منها على حدتها
كذلك ولا يكفي عنها خبر واحد على سبيل الجمع ثم زاد في التنفير عنها تاكيدا لرجسيتها بقوله من عمل الشيطان
الذي يزينه فاجتنبوه اي الرجس المعبر به عن هذه الاشيا ان تفعلوه لعلكم تفلحون اي تظفرون بجميع مطالبكم
واعلم انه سبحانه وتعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الاية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام
وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر خالص او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما
وجعل الاجتناب سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية
للتحريم بقوله تعالى انما يريد الشيطان اي بتزيين الشرب والقمار لكم ان يوقع بينكم العداوة والبغضا في الخمر
والميسر اي اذا اتيتموهما لما يحصل فيهما من الشر والفتن اما العداوة في الخمر فان الشارب اذا سكر عربد كما فعل
الانصاري الذي شج راس سعد بن ابي وقاص بلحيي الجمل واما العداوة في الميسر فقال قتادة كان الرجل يقامر على
الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوبا الاهل والمال مغتاظا على حرفايه ويصدكم بالاشتغال بهما عن ذكر الله وعن الصلاة
وذلك ان من اشتغل بشرب الخمر والقمار الهاه ذلك عن ذكر الله وشوش عليه صلاته كما فعل باضياف عبد الرحمن بن عوف
تقدم منهم رجل يصلي بهم صلاة المغرب بعدما شربوا فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد بحذف لا وانما خصهما باعادة
وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصودان بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الاثم
والشرارة لقوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن رواه البزار ورواه ابن حبان بلفظ مدمن الخمر كعابد الوثن
قال وشبه ان يكون فيمن يستحلها وهو كذلك وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد
عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتها بصيغة الاستفهام
مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف بقوله تعالى فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية
وان الاعذار قد انقطعت فلفظه استفهام ومعناه امر كقوله تعالى فهل انتم شاكرون واطيعوا الله واطيعوا الرسول

فيما امركم

فيما امركم به من اجتناب ذلك واحذروا مخالفتهما فيما نهياكم عنه فان توليتم اي عن الطاعة فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين تعليل لتوليتكم فانما عليه الا البلاغ البين وقد ادى وانما ضررتم انفسكم ولما نزل تحريم الخمر قال الصحابة رضي
الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر نزل ليس على الذين امنوا
وعملوا الصالحات تقديما للايمان ثم الصالحات جناح اي حرج فيما طعموا اي اكلوا من مال الميسر وشربوا من الخمر قبل التحريم اذا
ما اتقوا اي المحرمات وامنوا وعملوا الصالحات اي ثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر
وامنوا بتحريمه ثم اتقوا اي استمروا وثبتوا على اتقا المعاصي واحسنوا اي تحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها
اذ ان التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة الماضي والحال والاستقبال التي تقع فيها الافعال المذكورة او باعتبار
الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله عز
وجل ولاجل استعمال الانسان التقوى بينه وبين الله بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله
عليه الصلاة والسلام في تفسير الاحسان من قوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
او باعتبار المراتب الثلاث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا
للنفس عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صونا لها عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين اي يثيبهم ونزل
عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم الله تعالى بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم بحيث يتمكنون من اخذها يا ايها الذين امنوا ليبلونكم
الله اي ليختبرنكم بشي يرسله لكم من الصيد وانما بعضه لانه ابتلاهم بصيد البر خاصة وفايدة الابتلا اظهار المطيع من
العاصي والا فلا حاجة له الى البلوى تناله ايديكم اي ما لا يقدر ان يفر من الصيد لصغره وغيره ورماحكم اي مما يقدر
على الفرار لكبر او غيره ليعلم الله اي علم ظهور فانه تعالى يعلم ما تخفي الصدور من يخافه بالغيب اي ليتميز من يخاف
عقاب الله وهو غايب منتظر في الاخرة فيجتنب الصيد والمعنى انه سبحانه وتعالى يخرج بالامتحان ما علم من افعال
العباد في عالم الغيب الى عالم الشهادة فيصير تعلق العلم به تعلقا شهوديا كما كان تعلقا غيبيا ليقوم بذلك على
الفاعل الحجة في مجازيه على ذاتكم فمن اعتدى فاصطاد بعد ذلك اي الابتلا بالصيد فله عذاب اليم اي مولم وان من لا يملك
نفسه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون فيه النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون بنسك او في الحرم والنهي عما يوكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويلحق به ما لا يوكل
قتله فانه لا حظ للنفس في قتله الا الاراحة من اذاه ويويده قوله صلى الله عليه وسلم يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب
والعقرب والفارة والكلب وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ وانما
ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم فان مذبوح المحرم ميتة ومن قتله منكم متعمدا اي قاصدا للصيد ذاكرا
للاحرام ان كان محرما او الحرم ان كان فيهما عالما بالتحريم وذكر العمد ليس لتقييد وجوب الجزا فان اتلاف العامد والمخطي
واحد في ايجاب الضمان بل لقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في
عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو قتادة برمحه فقتله فنزلت وعن الزهري نزل الكتاب ووردت السنة بالخطا عن عمد

ابن جبير للاي في الخطائيا باشتراط العمد في الاية وعن الحسن روايتان وقوله تعالى جزاء مثل في قراءة عاصم وحمزة
والكسائي وما بعده مرفوع اي فعليه جزاء هو مثل ما قتل من النعم اي شبهه في الخلقة لا التساوي في القيمة وقرا
الباقون بغير تنوين في جزاء وخفض لام مثل اي يحكم به اي بالمثل رجلان ذوا عدل منكم اي لهما فطنة يميزان بها اشبه
الاشياء به فيحكمان به وقد ذهب الى ايجاب المثل جماعة من الصحابة حكموا في بلوغ مختلفة وازمان شتى بالمثل
من النعم فحكم ابن عباس وعمر وعلي في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وعمر في الضبع بكبش وهو لا يساوي كبشا
وابن عباس وابو عبيدة في بقر الوحش وحماره ببقرة وابن عمر وابن عوف في الظبي بشاة وحكم بها ابن عباس وعمر
وغيرهما في الحمام لانه يشبهها في العب والهدير وهدر من الطير كالفواخت والقمري والدبسي فدل ذلك
على انهم نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة لا من حيث القيمة وقوله تعالى هديا حال من جزاء وقوله
تعالى بالغ الكعبة اي يبلغ به الحرم فيذبح فيه ويتصدق به على مساكينه ولا يجوز ان يذبح حيث كان نفت لما قبله
وان اضيف لمعرفة لان اضافته لفظية لا تفيد تعريفا فان لم يكن للصيد مثل من النعم كالعصفور والجراد فعليه قيمته
او عليه كفارة طعام مساكين فالحرم مرتخ البلد ما يساوي قيمة المثل يشكل مد وقرا نافع وابن عامر
كفارة بغير تنوين وخفض ميم طعام والباقون بالتنوين ورفع ميم طعام اي هي طعام او عليه عدل اي مثل ذلك
اي الطعام صياما بصومه في كل موضع يتيسر له عن كل مد يوما فاقل والتخيير لانه لا اصل فيما قال البقاعي والقول بانها
للترتيب يحتاج الى دليل وقوله تعالى ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق وبال
هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذا
وبيلا اي ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة ولا يستمرأ عفا الله عما سلف اي من قتل الصيد قبل تحريمه فلا
يواخذكم به وعن عاد الى تعمد شيء من ذلك بعد النهي وقوله تعالى فينتقم الله منه خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله
منه ولذلك دخلت الفاء ونحو ذلك قوله تعالى فمن يوف بربه فلا يخاف اي ينتقم الله منه في الاخرة واذا قتل من المحرم قتل
الصيد تعددت الكفارة عند عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح لا كفارة عليه تعلقا بظاهر الاية فانهم ذكروا الكفارة
تالا لان الانتقام من العايد يمنع وجوب الكفارة والله اي الذي له صفات الكمال عزيز اي غالب على امره ذو انتقام اي ممن اصر
على عصيانه وبالجملة هذا اعلام تام في كل صيد بتين تعالى انه خاص بصيد البر فقال احل لكم ايها الناس حلالا لكم وللمحرمين
صيد البحر اي ما صيد منه وهو ما لا يعيش الا في الماء كالسمك بخلاف ما يعيش فيه وفي البر عند الشافعي رحمه الله تعالى
وذهب قوم ان جميع ما في البحر حلال لاطلاق الاية حجة له وعند ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه لا يحل منه الا السمك وبقوله
تعالى وطعامه عطف على صيد البحر اي واحل لكم طعام البحر وهو ما يقذفه من السمك ميتا قال صلى الله عليه وسلم في البحر
هو الطهور ماؤه الحل ميتته رواه ابو داود والترمذي وغيرهما وصححوه وقال قتادة صيده طريه وطعامه مالحه
وقيل الضمير للصيد وطعامه لحمه وعلى هذا فالصيد بمعنى الاصطياد والمعنى احل لكم اصطياد الصيد واكل الصيد
والانتهار والبرك وغيرها من جميع المياه كالبحر وقوله تعالى متاعا منصوب له اي احل لكم تمتيعا لكم تاكلونه طريا وتزودونه

اي المسافرين منكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى صلى الله عليه وسلم في مسيره الى الخضر الحوت وحرم عليكم صيد البر اي
اصطياده واكل ما صيد منه لكم وهو ما لا يعيش الا فيه وما يعيش فيه وفي البحر فان صيده للحلال احل للمحرم اكله
لقوله صلى الله عليه وسلم لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصطد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقد ذكر تعالى تحريم الصيد
على المحرم في ثلاثة مواضع في هذه السورة قوله تعالى غير محلي الصيد وانتم حرم الى قوله واذا حللتم فاصطادوا وقوله
تعالى ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما تشديدا على المحرم انه لا يتعاطى ذلك
واكد ذلك بقوله تعالى واتقوا الله اي في ذلك الاصطياد وغيره الذي اليه تحشرون فانه يجازيكم باعمالكم جعل الله الكعبة
اي صيرها وسمي البيت كعبة لتكعبه اي تربعه وقال مجاهد سميت كعبة لنتوءها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة
وقال مقاتل سميت كعبة لانفرادها عن البنيان وقوله تعالى البيت الحرام اي الحرم عطف بيان على جهة المدح لا على جهة
التوضيح كما يجيء الصفة كذلك قياما للناس اي يقوم به امر دينهم بالحج او العمرة اليه ودنياهم بامن داخله وعدم
التعرض له وجبي ثمرات كل شيء اليه قاله الرازي والمراد بعض الناس وهم العرب وانما حسن هذا المجاز لان اهل كل
بلد اذا قالوا الناس فعلوا كذا وصنعوا كذا فانهم لا يريدون الا اهل بلدتهم فلهذا السبب خوطبوا بهذا الخطاب على
وفق عادتهم وقرا ابن عامر قيما بغير الف مصدر قام غير معل والباقون بالالف والشهر الحرام اي الاشهر الحرم وهي
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب اي وصير الاشهر الحرم قياما للناس يامنون فيها القتال والهدي اي الذي
لم يقلد والقلايد اي الهدي الذي يقلد فيذبح وتغنم على الفقراء من الطعام عليه في اول السورة ذلك اي الجعل المذكور
وهو الاربعة الاشياء التي جعلها قياما للناس لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لوقوع المفاسد
قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل على علمه بما في الوجود وما هو كائن وقوله تعالى وان الله بكل شيء
عليم تتميم بعد تخصيص وصيغة مبالغة بعد اطلاق وقوله تعالى اعلموا ان الله شديد العقاب فيه وعيد لاعدائه ثم انتهك
محارمه وقوله تعالى وان الله غفور فيه وعد لاوليائه ممن حافظ عليها رحيم بهم وقوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ
فيه تشديد على ايجاب القيام بما امر به فان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة فلا تتهكموا
الطاعة فلا عذر لكم في التفريط والله يعلم ما تبدون اي تظهرون من العمل وما تكتمون اي تخفون منه فيجازيكم به وقوله
تعالى قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي من الاشخاص والاعمال والاموال
وجيدها يرغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث اذ لا عبرة بالقلة والكثرة بل بالجودة والرداءة
فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال تعالى فاتقوا الله اي في ترك الخبيث وان كثر
في الحس لتنغصه في المعنى وآثروا الطيب وان قل في الحس لكثرته في المعنى يا اولي الالباب اي اصحاب العقول السليمة لعلكم
تفلحون اي لتكونوا على رجاء من ان تفوزوا بجميع المطالب وترك ما اكثر واسواله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا لا تسالوا
عن اشياء ان تبد لكم اي تظهر لكم تسؤكم اي لما فيها من المشقة فقيل ان نزولها ما في الصحيحين عن انس رضي الله تعالى عنه انهم سالوا
النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه بالمسالة اي بالغوا في السؤال فغضب فصعد المنبر وقال لا تسالوني اليوم عن شيء الا بينته

لكم وشرع يكره ذلك واذا رجل كان اذا لاحى الرجال يدعى لغير ابيه فقال يا رسول الله من ابي فقال حذافة فقال عمر رضي الله تعالى
عنه رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط انه فصورت لي الجنة والنار
حتى رأيتهما دون الحائط وفي اخره فنزلت هذه الاية وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال يا رسول الله انا حديث عهد
بجاهلية اعف عنا يعف الله عنك فسكن غضبه وللبخاري في التفسير عن انس ايضا قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خطبة ما سمعت مثلها قط قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوههم لهم حنين فقال رجل من ابي قال فلان فنزلت هذه الاية وللبخاري ايضا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال
كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم
هذه الاية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب ذات يوم وهو غضبان محمر وجهه فقام رجل
عنه ما لا يعنيهم فقال صلى الله عليه وسلم لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال رجل اين انا قال في النار وقال اخر من ابي فقال حذافة
يدعى لغير ابيه فنزلت وقيل غير ذلك ولا تعارض بين هذه الاخبار ولو تعذر رد بعضها الى شيء واحد لما مر عند قوله تعالى الآخر من
طيبات ما احل الله لكم من ان الامر الواحد قد تتعدد اسبابه وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وبتسهيل الهمزة الثانية مع تحقيق
الاولى والباقون بتحقيقهما ولما كان ربما وقع في وهم متعنت ان هذا الزجر اغا هو لقصد راحة المسؤول عن السؤال
خوفا من عواقبه قال تعالى وان تسألوا عنها اي تلك الاشياء التي يتوقع مساءتكم عند ابدائها حين ينزل القرآن تبدلكم الخ اي
اذا سألتم عن اشياء في زمنه صلى الله عليه وسلم ينزل القرآن بابدائها ومتى ابدلها ساءتكم فلا تسألوا وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى قد فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها وسكت عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها
وقرأ ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي وقوله تعالى عفا الله عنها
استيناف اي عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مساءلتها او صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله
عنها ولم يكلفكم بها اذ روي انه لما نزل ولله على الناس حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فانما اهلك من كان
قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
والله غفور يمحو الزلات عينا واثرا ويعقبها بالاكرام حليم لا يعجل على العاصي بالعقوبة وقالوا تعالى قد سألها قوم
الضمير فيه للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعنا والاشياء جذة الجار وقوله تعالى من قبلكم قال البيضاوي في
متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة لجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها انتهى قال ابو حيان
هذا محله في ظرف الزمان لا يكون صفة المجرد من الوصفية اما اذا لم يتجرد عنه فيصح ان يكون صفة للجثة او حالا منها
او خبرا عنها وقبل وبعد ومعان في الاصل فاذا قلت جاء زيد قبل عمرو فالمعنى جاء في زمان قبل زمان مجيئه اي تقدم عليه في
مجيء وقوعه صلة للموصول ولو لم يلحظ فيه الوصف وكان ظرف زمان مجردا لم يجز ان يقع صلة قال تعالى والذين من قبلكم
ولا يجوز والذين اليوم وعن سألها قبلهم ثم سألوا صلحا الناقة وسأل قوم عيسى المائدة ثم اصبحوا اي صاروا بها

اي بسببها

اي سيبها كافرين حيث لم يأتمروا بما سألوا بجحودا وقوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن كرها ذكر
جروا اذنها اي شقوها وتركوا الحمل عليها وركوبها ولم يجزوا وبرها ولم يجمعوها الملاك والطارق ان كانوا ينظرون الى خامس ولدها فان كان ذكرا نحروه فاكلهم الرجال والنساء وان كان انثى جروا اذنها اي شقوها وحرم على النساء لبنها ومنافعها وكانت منافعها خاصة للرجال واذا ماتت حلت للرجال والنساء واما السائبة فكان
الرجل منهم يقول ان شفيت او رد غائبي فناقتي سائبة ثم سيبها فلا تحبس عن مرعى ولا تمنع ولا تركب ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كانت الناقة اذا نابت اثنتي عشرة سنة سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز
وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شق اذنها ثم خلي سبيلها مع امها في الابل فلم تركب ولم
يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بامها في البحيرة بنت السائبة واما الوصيلة من الغنم كانت اذا
ولدت سبعة ابطن نظر فان كان السابع ذكرا ذبحوها في الغنم وقيل كان اذا ولدت الشاة انثى فهي لهم واذا ولدت
ذكرا فهو لالهتهم وان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم وكان لبن الانثى حراما على
النساء فان مات منها شيء كله الرجال والنساء جميعا واما الحام فهو الفحل اذا ركب ولد ولده ويقال اذا انتج من صلبه
الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا من مرعى واذا مات اكله الرجال والنساء
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اكتم الخزاعي يا اكثم رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فما رأيت من رجل
اشبه برجل منك به ولا به منك وذلك انه اول من غير دين اسماعيل ونصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب
السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي ولقد رأيته في النار يؤذي اهل النار بريح قصبه فقال اكثم ايضر في شبهه
يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر ومعنى ما جعل ما شرع ولا امر بالتحريم ولا التسيب ولا غيرذلك ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب في قولهم الله امرنا بها والاكثرهم لا يعقلون ان ذلك افتراء لانهم قلدوا فيه
اباهم بجا قال تعالى واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا اي كافينا ما وجدنا عليه
اباءنا اذ لا مستند لهم سوى ذلك قال الله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الى الخير والاستفهام للانكار
اي حسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين وقرأ هشام والكسائي قيل بضم القاف قيل الياء والباقون بالكسر
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها لا يضركم من ضل اذا اهتديتم او لا يضركم الضلال اذا كنتم
مهتدين وهو لا هنا ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه الصلاة والسلام من رأى منكرا واستطاع ان يغيره
بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه انه
قال يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية يا ايها الذين امنوا الاية واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس
اذا رأوا منكرا فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعذابه وفي رواية لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليستعملن الله
عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لهم قال ابو عبيد حاق الصديق رضي الله

تعالى عنه ان يتناول الناس الاية غير متناقض لها فيدعوهم الى ترك كل ما من بالمعروف فأعلمهم انها ليست كذلك قال ابو
ثعلبة الخشني سألت عن هذه الاية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ايتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه ورايت الامر لا بد لك منه فعليك نفسك ودع امر
العامة وان من ورائكم ايام الصبر للصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملك قال ابن
المبارك وزاد في غيره قالوا يا رسول الله اجر خمسين منهم قال اجر خمسين منكم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه
الاية قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تامرون فلا يقبل
منكم فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يامر وينهى فلا يقبل وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تاويلها
قيل فمتى قال اذا رأيت دنيا السيوف السوط والسجن وروي المومن القوي خير واحب الى الله من المومن الضعيف وفي كل
خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كان كذا وكذا فان لو تفتح عمل
الشيطان ولكن قل قدر الله وما شاء فعل وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم
وعليكم مرابط الفعل بمعنى الزموه انفسكم ولذلك نصب انفسكم الى الله مرجعكم جميعا اي الضال والمهتدي فينبئكم بما كنتم
تعملون فيجازيكم به ففي ذلك وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين امنوا شهادة
بينكم اي فيما امرتم شهادة بينكم فشهادة مبتدا خبره محذوف قيل هذه الاية وما بعدها من اشكل اي القرآن حكما وعلما
وتفسيرا والمراد بالشهادة الاشهاد والوصية وقيل المراد بالبين يمعني يمين ما بينكم ان يحلف اثنان قال القرطبي ويرده
لفظ الشهادة في القرآن على انواع مختلفة بمعنى الحضور قال تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه وبمعنى قضى قال تعالى شهد الله
انه لا اله الا هو وبمعنى اقر قال تعالى والملائكة يشهدون وبمعنى حكم قال تعالى وشهد شاهد من اهلها وبمعنى حلف
قال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات وبمعنى وصى قال تعالى يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت
ايي اسبابه حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم وهذا خبر بمعنى الامر اي ليشهد واضافة شهادة لبين على الاتساع
وحين بدل من اذا وظرف لحضر واثنان فاعل شهادة او خبر مبتدا محذوف اي الشاهدان اثنان وقوله تعالى او اخران
من غيركم عطف على اثنان ومن غيركم باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا وقد اتفق
الاكثرون على انه لا نسخ في سورة المايدة وعن مكحول نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وانما جاز ان
في اول الاسلام لقلة المسلمين وتفرقهم وتعذر وجودهم في حال السفر ان انتم ضربتم اي سافرتم في الارض فاصابتكم مصيبة
الموت اي قاربتم الاجل وقوله تعالى تحبسونهما اي توقفونهما وتصبرونهما صفة لاخران من بعد الصلاة اي صلاة
العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل اي صلاة كانت فيقسمان اي يحلفان بالله
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اليمين انما تكون اذا كانا من غيرنا فان كانا مسلمين فلا يمين وعن غيره ان كان الشاهدان
على حقيقتهما فقد نسخ تحليفهما وان كانا الوصيين فلا ثم شرط لهذا الحلف شرطا فقال اعتراضا بين القسم والمقسم عليه
ان ارتبتم اي شككتم فيما اخبرا به عن الواقعة ثم ذكر المقسم عليه بقوله لا نشتري به اي بهذا الذي ذكرناه ثمنا اي نبيع

نذكره ليحمل لنا به عرض دنيوي وان كان في نهاية القلة وليس فصدنا به الا اقامة الحق ولو كان اي المقسم له ذا قربى
اي لنا ولا نكتم شهادة الله اي التي امرنا باقامتها انا اذا اي ان كتمناها لمن الاثمين فان عثر اي اطلع بعد حلفهما على انهما
استحقا اثما اي فعلا ما يوجبه من خيانة او كذب في الشهادة بان وجد عندهما مثلا ما اتهما به وادعيا انهما ابتاعاه
من الميت او وهبي لهما به فاخران اي فشاهدان اخران يقومان مقامهما في توجيه اليمين عليهما من الذين استحق عليهم
الوصية وهم الورثة على قراءة غير حفص بضم التاء وكسر الحاء على البناء للمجهول وامالة على قراءته بفتح التاء والحاء على البناء للفاعل
فهو الاولى ويبدل من اخران الاوليان بالميت اي الاقربان اليه وقراءة حمزة بتشديد الواو وكسر اللام وسكون
الياء وفتح النون على الجمع على انه صفة للذين او بدل منه اي من الذين استحق عليهم والباقون بكسر الواو وفتح اللام
والياء والنون بعد الياء وكسر النون على التثنية على انه بدل اخران كما مر او خبر مبتدا محذوف اي هما الاوليان فيقسمان
اي هذان الاخران بالله ويقولان لشهادتنا اي يميننا احق اي اصدق من شهادتهما اي يمينهما وما اعتدينا اي تجاوزنا
الحق في اليمين انا اذا اي ان فعلنا ذلك اذا اي اذا وقع منا اعتدا من الظالمين اي الواضعين الشيء في غير موضعه ومعنى الاية ان المحض
اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما
او كان في سفر فاخران من غيرهم ثم ان وقع تنازع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع
على انهما كذبا بامارة او مظنة حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فان الشاهد لا يحلف
ولا تعارض يمينه يمين الورثة وثبت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما المظنون خيانة الوصيين فان تصديق الوصي
باليمين لامانته وتغليب الدعوى وتخصيص الحلف في الاية باثنين مراعاة لصورة الواقعة التي نزلت لها وهي ما روي
ان رجلا من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو
ابن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى
اليهما بان يوفعا متاعه الى اهله وما ان تفقداه واخذا منه انا مرفضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ثم تقضيا
حاجتهما وانصرفا الى المدينة ودفعا المتاع الى اهل الميت ففتشوا فاصابوا الصحيفة فيها تسمية ما كان معه فحاولا
تميما وعديا فقالوا هل باع صاحبنا شيئا قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه قالا لا فقالوا انا وجدنا في متاعه
صحيفة فيها تسمية ما معه وانا فقدنا منها انا مرفضة مموهة بالذهب فيه ثلثمائة مثقال مرفضة قالا ما فوض الينا شيء من
اوصى لنا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم فدفعناه وما لنا علم بالانا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتلى على
الاقطر وحلفا فانزل الله يا ايها الذين امنوا الاية فلما نزلت هذه الاية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
العصر ودعا تميما وعديا فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع اليهما فحلفا
على ذلك وخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم وجد الانا في ايديهما فبلغ ذلك بني سهم فاتوهما في ذلك
فقالا انا كنا قد اشتريناه منه فقالوا الم تزعما ان ما صاحبنا لم يبع شيأ من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة وكرهنا
ان نقر لكم فكتمنا ذلك فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب

بني رفاعة الشهيتان وحلفا وتقدم ان تخصيص الحلف في الاية باثنين من اقرب الورثة لخصوص الواقعة التي نزلت لها
ذلك اي الحكم المذكور مرد اليمين على الورثة ادى اي اقرب ان ياتوا اي الى ان ياتوا اي الذين شهدوا اولا بالشهادة اي الوقوف
في امر الامر على وجهها اي الذي تحملوا عليه من غير خرف ولا خيانة او اقرب الى ان يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم
على الورثة المدعين فيحلفون على خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ويغرمون فلا يكذبوا واما جمع الضمير لانه حكم بهم
على الشهود كلهم واتقوا الله بترك الخيانة والكذب واسمعوا ما تؤمرون به سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين
اي الخارجين عن طاعته لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة وقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اي يوم القيامة منصوب
باضمار اذكر وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال فيقول لهم توبيخا لقومهم كما ان سؤال الموؤدة لتوبيخ
الوائد ماذا اي الذي اجبتم به حين دعوتم الى التوحيد قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما لست تعلمه انك انت علام الغيوب
فتعلم ما اجابونا واظهر والتا وما لا نعلم ما اضمروا في قلوبهم وقوله تعالى اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي
عليك وعلى والدتك اي اشكرها منصوب باضمار اذكر وقيل بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة هم
والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يوميذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتقديمه على اظهر عليهم من الايات فكذبتهم طائفة وبعض
سيحرفه وغلا اخرون فاتخذوهم الهة وقوله تعالى اذ ايدتك اي قويتك ظرف لنعمتي او حال منه بروح القدس اي بجبريل عليه
السلام فكان له في التصرف حظ لم يكن لغيره وقوله تعالى في المهد اي طفلا وكهلا اي تكلمهم في الطفولية والكهولة مع
على السواء والمعنى لحاق حاله في الطفولية بحال الكهولة في كمال العقل والنكلم وبه استدل على انه ينزل قبل الساعة الذ
رفع قبل الكهولة كما ستجيء في ال عمران واذ علمتك الكتاب اي الخط الذي هو سبب العلم والحكمة اي الفهم لحقايق الاشيا
والعمل بما يدعو اليه العلم والتوراة اي المنزلة على موسى صلى الله عليه وسلم والانجيل اي المنزل عليك واذ تخلق من
الطين اي هذا الجنس كهيئة اي كصورة الطير والكاف اسم بمعنى مثل منصوب باذ تخلق اي باذ ترى اي باذ تقدر فتنفخ فيها اي في
الصورة المهياة فتكون اي تلك الصورة التي هيأتها طيرا ذا ذي اي باذ ارادتي وقرا نافع بالمد بعد الطا وبعد الالف همزة
مكسورة وورش بتوا ير على اصله والباقون بيا ساكنة بعد الطا وتبرئ الاكمه والابرص باذني وستق تفسيرهما
في سورة ال عمران واذ تخرج الموتى من قبورهم احيا باذني واذ كففت بني اسرايل اي اليهود عنك اي حين هموا بقتلك
وقوله تعالى اذ جيتهم ظرف لكففت بالبينات اي المعجزات فقال الذين كفروا منهم ان اي ما هذا الذي جيت به الا سحر مبين
اي بين ظاهر وقرا حمزة والكسايي بفتح السين والف بعدها وكسر الها اشارة الى عيسى عليه السلام والباقون بكسر السين
وسكون الها والف بعدها اشارة الى ما جا به واذ اوحيت اي بالالهام باطنا وبا يصال الاوامر على لسانك ظاهرا
الى الحواريين اي الانصار ان اي بان امنوا بي وبرسولي عيسى صلى الله عليه وسلم قالوا امنا بما واشهد بانا مسلمون
اي منقادون اتم انقياد وقوله تعالى اذ قال الحواريون منصوب باذكر وقيل ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاء
الاخلاص مع قولهم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك قرا الكسايي بالتا على الخطاب وادغام لام هل فيما بعدها على اصله
وفتح الباء الموحدة من ربك اي هل تستطيع ربك اي سوالك ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف وقرا الباقون باليا

على الغيبة ورفع الباء اي هل يجيبك ربك اذا سالته ان ينزل علينا مايدة وهي الطعام وقيل ايدة للخوان اذا كان
عليه الطعام والمؤدة شيء يوضع عليه الطعام للاكل هو في العموم بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام المسافر بالخصوص
وقال اهل اللغة سميت مايدة لانها تميد بالاكلين اي تميل وقال اهل البحرة فاعلة بمعنى مفعولة اي تميد بالاكلين
اليها كقولهم عيشة راضية اي مرضية وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون
وتشديد الزاي وقولهم من السما اي لانهم لادميين فيها التمسوا بما عهدوا من الامم لم يكتب بعد عن تحقق هم
واستحكام معرفة قال عيسى عليه الصلاة والسلام مجيبا لهم اتقوا الله ان تسالوه شيا لم تسأله الامم من قبلكم ان كنتم
مومنين بحال قدرته تعالى وصحة نبوتي او صدقتم في ادعايكم الايمان فانهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان قالوا
نريد اي سبب الماء من اجل ان ناكل منها نتبرك كما لا اكل حاجة وقولهم وتطمين اي تسكن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة
الى علم الاستدلال بحال قدرته بيان لما دعاهم الى السوال وتمهيد عذر وقولهم ونعلم اي نتزداد علما ان محققة
اي انك قد صدقتنا في ادعا النبوة وان الله يجيب دعوتنا وقيل ان عيسى عليه السلام امرهم ان يصوموا ثلاثين يوما
فاذا افطروا الا يسالوا من الله تعالى شيا الا اعطاهم ففعلوا وسالوا المايدة وقالوا ونعلم ان قد صدقتنا في قولك انا اذا صمنا
ثلاثين يوما لا نسال الله شيا الا اعطانا ونكون عليها من الشاهدين اذ الستشهد بنا او من الشاهدين للعين دون
الساعين للخير قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه فاراد ان امهم للحجة
بحالها اللهم ربنا انزل علينا مايدة وحقق موضع الانزال بقوله من السما تكون هي اي ويوم تنزل لنا عيدا نعظمه
ونشرفه وقال عكرمة يعني نصلي فيه ونروي انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ان عيسى عليه السلام
اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين وطا طا راسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا الى اخره وقيل العيد السرور العايد
ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقوله لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لاهل زماننا ولمن جا بعدنا وقال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اخر الناس كاولهم وقوله واية علق على عيدا وقوله منك صفة لها اي اية كائنة
منك والقصد الى كمال قدرته تعالى ومنة بنزولها وامرنا بالمايدة والشكر عليها وانت خير الرازقين اي خير من يرزق لانه تعالى
خالق الرزق ومعطيه بلا غرض قال الله تبارك وتعالى مجيبا لعيسى عليه السلام اني منزلها عليكم اي المايدة وقرا نافع
وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف الزاي فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم
فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا او مفعولا به على السعة والضمير في لا اعذبه للمصدر او لليوم والعذاب ما يعذب به
لم يكن بدمن الباء احدا من العالمين اي عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعش مسخ
ذلك غيرهم قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب المايدة والذين اختلفوا
العلما هل نزلت المايدة او لا فقال مجاهد ولحسن لم تنزل فان الله تعالى لما اوعدهم على كفرهم بعد نزول المايدة هم
خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وقوله تعالى اني منزلها عليكم اي سالتم والصحيح الذي
عليه الاكثرون انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم ولتواتر الاخبار في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلفوا

في صفتها فقال عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لنبيهم عيسى عليه السلام صوما وقال اللهم انزل علينا مائدة الاية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هي سمكة مشوية بلا فلوس اي بلا قشر كالطيلسان ولا شوك مسيل دهنها وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون النقباء رأس الحواريين يا روح الله آمن طعام الدنيا هذا ام من طعام الاخرة قال ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الاخرة ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا مما سألتم واشكروا يمددكم ويزدكم من فضله فقال يا روح الله كن اول من يأكل منها فقال معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا ان يأكلوا منها فدعا اهل الفاقة والمرض واهل البرص والجذام والمقعدين وقال كلوا من رزق الله لكم الهنأ والغير لكم البلا فأكلوا وصدروا عنها وهم الوف وثلثمائة رجل والمرأة من فقير وزمن ومن به ضر ومبتلى كلهم شبعان والسمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت فلم يأكل منها مريض ولا مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل فلبثوا ثلاثين صباحا تنزل فقراء كلما نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولا تزال منصوبة يوكل منها حتى اذا فاء الفيء اي زالت الشمس طارت وهم ينظرون في ظلها حتى توارت عنهم وكانت تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما وكانت ثقة تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال وهب منبه انزل الله تعالى اثر اصامن شعير وحيتانا فكان قوم يأكلون ثم يرجعون وتجيء اخرون فيأكلون حتى اكلوا جميعهم وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي كان عليها خبز أرز وبقل وقال قتادة كان عليها من كل ثمار الجنة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال كعب الاحبار نزلت مسلمة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل الطعام ويمكن الجمع بين هذه الروايات انها كانت تنزل تارة كذا وتارة كذا وقيل لما نزلت قال يا رسول الله لو رأيتنا حين نزلت هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قالها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا من ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فاصبحوا خنازير يبعرون في الطرقات والكناسات ويتناولون العذرة في الحشوش فلما رآه الناس ذلك فروا الى عيسى وبكوا فلما ابصرت الخنازير عيسى بكوا وجعلت تطوف بعيسى وجعل عيسى يدعوهم باسمائهم فيشير رؤوسهم ويبكون ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وفي حديث انزلت المائدة من السماء خبزا ولحما فامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا فمسخ اقرده وخنازير واذكر قال الله اي يقول لعيسى في القيامة توبيخا لقومه وانما عبر بالماضي لتحقق وقوعه كقوله تعالى اتى امر الله يا عيسى ابن مريم انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اي غيره وقال السدي قال الله هذا القول لعيسى حين رفعه الى السماء ان حرفا ذكر

يكون للماضي وسائر المضارع على الاصل وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وورش وابن كثير لم يدخلا الفا بينهما والباقون بتحقيق الهمزتين ولا الف بينهما وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص اني بفتح الياء والباقون بالسكون فان قيل ما وجه هذا السؤال مع علم الله عز وجل ان عيسى عليه السلام لم يقله اجيب بانه ذكر لتوبيخ قومه كما مر ولتعظيم امر هذه المقالة كما يقول القائل لآخر ما قلت كذا وكذا فيما يعلم انه لم يفعله اعلاما واستفهاما لا استخبارا واستفهاما له وايقافا لله عز وجل ان يقر عيسى على نفسه بالعبودية فيسمع قومه ويكذبهم عليه انه امرهم بذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما فاذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب ارتعدت مفاصله وانفجرت من كل شعرة من جسده عين من دم ثم قال وهو يرى عدو الله تعالى سبحانك اي انزهك ان اكون اهل ان يكون لك شريك ما يكون اي ما ينبغي لي ان اقول ما ليس لي بحق خبر ليس وفي للتبيين وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو في الاولى بفتح الياء والباقون بالسكون ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما اخفيه في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي هو ما اخفيته عني من الاشياء وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات وقوله انك انت علام الغيوب تقرير لجملتي تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك باعتبار منطوق انك انت علام الغيوب ومفهومه لانه يدل بمنطوقه على انه تعالى يعلم الغيب فيكون تقريرا لقوله تعالى تعلم ما في نفسي ويدل بمفهومه على انه لا يعلم الغيب غيره فيكون تقريرا لقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك وقرأ شعبة وحمزة بكسر الغين والياقون بالضم ما قلت لهم الا امرتني به وهو ان اعبدوا الله ربي وربكم اي فانا واياهم في العبودية سواء وكنت عليهم شهيدا اي رقيبا اشهد عليهم ما يقولون مادمت فيهم فلما توفيتني اي بالرفع الي بما قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا ومنه توفي دينه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب اي الحفيظ عليهم لئلا يحدثوا وانت على كل شيء من قولي وقولهم وغيبي ذلك شهيد اي مطلع عالم به ان تعذبهم اي من اقام على الكفر منهم فانهم عبادك وانت مالكهم تتصرف فيهم كيف شئت لا اعتراض عليك وان تغفر لهم اي لمن امن منهم فانك انت العزيز اي الغالب على امره الحكيم في صنعه فلن تعذب من تعذب وان عفوت فتفضل قال الله تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم اي في الدنيا كعيسى فان النافع ما كان حال التكليف لصدقهم في الاخرة وقرأ نافع بنصب الميم على انه ظرف لقال او خبر هذا محذوف والمعنى هذا الذي مر كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع والباقون بالرفع على انه خبر هذا او قيل الراد بالصادقين النبيين وقال الكلبي ينفع الموحدين ايمانهم وقال قتادة تكلمان بخطبان يوم القيامة عيسى عليه السلام وهو ما قص الله تعالى وعدو الله ابليس وهو قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر فصدق عدو الله ظنه يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه قال وما كان عيسى صادقا في الدنيا والاخرة نفعه صدقه ثم بين ثوابهم فقال لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وانما كان ذلك ثوابا لقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ورضوانه ذلك اي هذا الامر العالي لا غيره الفوز الظفر العظيم واما الكاذبون في الدنيا فلا ينفعهم صدقهم في ذلك اليوم كالكفار لما يؤمنون عند رؤية العذاب لله ملك السموات والارض

اي خزائن المطر والنبات والرزق وغيرها وما فيهما من اجرام وجواهر وممالك وغيرهم ملكا وخلقا وأتى بما دون من اقل لفضيلة العاقل وهو على كل شيء قدير ومنه اثابة الصادق وتعذيب الكاذب قال السيوطي خص العقل لانه دليل عليها تعاد ورد قول البيضاوي وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا حديث موضوع سورة الانعام مكية روي انها نزلت بمكة جملة واحدة ليلا ونزل معها سبعون الف ملك قد سوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا والزجل بفتح الزاي والجيم القوة قال البغوي وروي مرفوعا من قرأ سورة الانعام يصلي عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم نزلت سورة الانعام بمكة الا قوله وما قدروا الله حق قدره الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله لعلكم تتقون فهذه الست آيات مدنيات روي انه صلى الله عليه وسلم دعا بالكتاب فكتبوها من اجلهن الا الست آيات قال بعض العلماء واختصت هذه السورة بهذه الفضيلة احدها انها نزلت دفعة واحدة والثاني انها شيعها سبعون الفا من الملائكة والسبب فيها انها مشتملة على دلايل التوحيد والعدل والنبوة والمعاد وهي مائة وخمسة وستون اية وعدد كلماتها ثلاثة الاف واثنان وخمسون كلمة وعدد حروفها اثنا عشر الفا واربعمائة واثنتان وعشرون حرفا بسم الله الذي تعالى عظمته عن كل شائبة نقص وكمل له كل كمال الرحمن الذي عمت نعمته المحسن والمسيء فعم الكل بالنوال الرحيم الذي خص اولياءه باتمام النعمة فيما هم بنعمة الابصال للحمد وهو الوصف بالجميل ثابت لله وهل المراد بالاعلام بذلك الايمان به او التسليم او هما احتمالان قال الجلال المحلي في سورة الكهف قيدها الثالث وتقدم الكلام على الحمد لغة واصطلاحا في اول الفاتحة وقال كعب الاحبار هذه الاية اول اية واخر اية في التوراة وقول الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الاية وفي رواية عنه ان اخر اية في التوراة اخر سورة هود وقال ابن عباس افتتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد فقال تعالى وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وقال اهل المعاني لفظ الحمد لله خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قيل احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان قوله الحمد لله ابلغ وانما خص السموات والارض بالذكر لانهما اعظم المخلوقات شخصا عند العباد ولان السماء مقر الملائكة ومهبط الوحي والمنافع وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها تتباين بالذات متفاوتة الاثار والحركات بالكواكب في سيرها وحركاتها في السرعة والبطوء تتباين بعضها ببعض عند الخسوف وغيره وعيون ذلك مما هو محسوس عند اهله وقد مهد لها شرفا قدرا وعظما وان كانت الارض اشرف من حيث انها مسكن الانبياء وجعل اي خلق الظلمات والنور اي كل ظلمة ونور وجمعها دونه لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها فان من جرم الاول ظل وظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار ولان ورد الاجرام النيرة به كالكواكب لان نور كل نير الى النار على ما قيل ان الكواكب اجرام نورية نارية وان الشهب منفصلة من نار الكواكب فصح ان النور من جنس النار

اولان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها للتقدم الاعدام على الملكات وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله خلق اي انه تعالى خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم الذين كفروا يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به في العبادة وعلى هذا فيعدلون من العدول وهو التسوية والباء متعلقة بيعدلون او على قوله الحمد لله على معنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على الناس ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته وعلى هذا فيعدلون من العدول والباء متعلقة بكفروا ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد وضوح ايات قدرته هو الذي خلقكم من طين اي ابتدا خلقكم منه فانه المادة الاولى وان ادم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف قال السدي بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى الارض لياتيه بطينة منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع جبريل عليه السلام ولم ياخذ قال يا رب عاذت بك فبعث ميكائيل عليه السلام فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت عليه السلام فعاذت منه بالله فقال انا اعوذ بالله ان اخالف امره فاخذ من وجه قطعة الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلف الوان بني ادم ثم عجنها بالماء العذب والملح والمر فكذلك اختلفت اخلاقهم فقال الله تعالى لملك الموت ارجع جبريل وميكائيل الارض ولم ترتها لاجرم اجعل ارواح الخلق من هذه الطينة بيدك وروي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه خلق الله تعالى ادم عليه السلام من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا ثم خلقه وصوره وتركه حتى كان صلصالا كالفخار ثم نفخ فيه روحه ثم قضى اجلا اي اجلكم تموتون عند انتهائه واجل مسمى اي مضروب عنده اي وهو اجل القيامة وقال الحسن الاول بين وقت الولادة الى وقت الموت والثاني هو وقت الموت الى البعث فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ثم انتم ايها الكفار تمترون اي تشكون في البعث بعد علمكم انه ابتدا خلقكم ومن قدر على الابتدا فهو على الاعادة اقدر ومعنى ثم استبعاد ايضا كما مر لان يمتري فيه بعد ما ثبت انه يحييهم ويميتهم وباعثهم وهو الله الضمير لله والله خبره وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء وهو والباقون بالضم وقوله تعالى في السموات وفي الارض متعلق بمعنى اسم الله كان قيل هو مستحق للعبادة فيهما ومنه قوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وهو المعروف بالالهية والمتوحد بالالهية فيهما وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير تقديره وهو الله يعلم سركم اي ما تسرون وجهركم اي ما تجهرون به بينكم في السموات والارض وقيل معناه وهو اله السموات والارض كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض الله ويعلم ما تكسبون اي ما تعلمون من خير وشر فيثيب عليه ويعاقب فان قيل الافعال اما افعال القلوب وهي المسماة بالسر واما افعال الجوارح وهي المسماة بالجهر والافعال لا تخرج عن السر والجهر فقوله يعلم ما تكسبون يغني عن الذي على نفسه وهو فوق جاز ان يجيب بان المراد بالسر ما يخفى وبالجهر ما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح او ان المراد المكتسب كما يقال هذا المال كسب فلان اي ما اكتسبه فلا يحمل على نفس الكسب لان الكسب لا يرجع عطف الشيء على نفسه

وما تاتيهم اي الكفار من اية من ايات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتخصيص اي ما يظهر لهم دليل قاطع من الادلة او معجزة من المعجزات او اية من ايات القران الا كانوا عنه معرضين اي تاركين لها وبها مكذبين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم اي بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما اتى به من المعجزات فسوف ياتيهم انباء اي عواقب ما كانوا به يستهزؤن من نزول العذاب بهم في الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره والمراد اتيانها في اسماعهم الى الشام وغيرها كم خبرية بمعنى كثيرا اهلكنا من قبلهم من قرن اي امة من الامم الماضية وعلى هذا القرن الجماعة من الناس وجمعه قرون وقيل القرن مدة من الزمان قيل انها عشرة اعوام وقيل عشرون وقيل ثلاثون وقيل اربعون وقيل خمسون وقيل ستون وقيل سبعون وقيل ثمانون وقيل تسعون وقيل مائة روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازني تعيش قرنا فعاش مائة سنة وقيل مائة وعشرون فيكون معناه على هذه الاقاويل من اهل قرن مكناهم في الارض اي جعلنا لهم فيها مكانا بالقوة والسعة وقررناهم فيما مالم نمكن لكم اي مالم نجعل لكم من السعة والقوة اي جعلنا لهم فيها مكانا من القوة والسعة وقررناهم فيها والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا وارسلنا السماء عليهم مدرارا اي متتابعا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت مساكنهم فاهلكناهم بذنوبهم اي بسبب ذنوبهم بتكذيب الانبياء فلم يغن ذلك عنهم شيا وانشانا من بعدهم قرنا اخرين بدلا منهم فان قيل ما فائدة ذكر انشاء قرنا اخرين بعدهم اجيب بانه ذكر للدلالة على انه تعالى لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم اخرين في بحر من بعدهم بلاده فهو قادر على ان يفعل ذلك بكم ونزلما قال النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل ابن خويلد يا محمد لو نومن لك حتى تاتينا بكتاب من عند وصعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله وانك رسوله ولو نرتنا عليك كتابا اي مكتوبا في قرطاس اي رق كما اقترحوه فلمسوه بايديهم ابلغ من عاينوه لانه ابعد من الشك لقال الذين كفروا ان اي ما هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا لما قالوا في اشقاق القمر وقالوا لولا اي هلا انزل عليه اي محمد صلى الله عليه وسلم ملك يكلمنا انه نبي لقوله تعالى لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لقضي الامر اي لحق اي هلاكهم فان سنة الله تعالى جرت فيمن قبلهم انهم اذا جاءهم مقترحهم فلم يومنوا انه يهلكهم ثم لا ينظرون اي لا يمهلون للتوبة او معذرة ولو جعلناه اي المنزل اليهم ملكا لجعلناه اي الملك رجلا اي على صورته ليتمكنوا من رويته اذ لا قوة للبشر على رويته الملك في صورته وانما راه كذلك الافراد من الانبياء لعقولهم القدسية وقوله تعالى وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب محذوف اي ولو انزلناه وجعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم بجعلنا اياه رجلا ما يخلطون فيجعلون انفسهم وعلى غيرهم فيقعون ما هذا الا بشر مثلكم وانما كان تلبيسا لانهم لبسوا على ضعفتهم في امر النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انما هو بشر مثلكم ولو راوا الملك رجلا للحقهم من اللبس مثل ما لحق لضعفايهم فيكون اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط

في السوال

في السوال واللبس على الضعفاء وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق قال الربيع بن انس نزل وقال عطا نزل وقال الضحاك احاط بالذين سخروا منهم اي جزاء استهزايهم بالرسل ما كانوا به يستهزؤن وهو العذاب فكذا يحيق جزاء استهزائكم بي قل لهم سيروا في الارض اي وقعوا السير للاعتبار فيها ولا تفعلوا باهلكم وتمكنكم ثم انظروا كيف كان عاقبة اي اخر امور المكذبين الرسل من هلاكهم بالعذاب فانكم اذا شاهدتم تلك الاثار كمل لكم الاعتبار قل لهم لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سوال تبكيت قل لله ان لم يقولوا لانه المتعين للجواب بالاتفاق اذ لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب اي قضى على نفسه الرحمة تفضلا منه واحسانا والرحمة نعم الوارني ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفرة والعصاة والمذنبين ولو شاء لسلط عليهم المفاجاة وجعل عيشهم من غير الذبذ كالتراب وبعض الفاذورات التي يعيش بها بعض الحيوانات روي انه صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله الخلق كتب كتابا عنده فوق عرشه ان رحمتي غلبت غضبي وفي رواية سبقت غضبي وفي رواية ان لله مائة رحمة واحدة بين الجن والانس والبهايم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعطف الوحوش على اولادها واخر تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة وروي انه صلى الله عليه وسلم قدم عليه سبي فاذا امراة من السبي قد خلب ثديها اذ وجدت صبيا في السبي اخذته والصقته ببطنها وارضعته فقال النبي صلى الله عليه وسلم اترون هذه المراة طارحة ولدها في النار وهي تقدر على ان لا تطرحه فقلنا لا والله يا رسول الله فقال الله ارحم بعباده من هذه بولدها وقوله تعالى ليجمعنكم استيناف واللام لام القسم اي والله ليجمعنكم الى يوم القيامة اي في يوم القيامة والى بعث في اليجمعنكم في القبور بعثين الى يوم القيامة فيجازيكم باعمالكم وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم واثابته عليكم لا ريب اي لا شك فيه اي اليوم او الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم في موضع نصب على الذم ورفع على الخبر اي وانتم الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية ومتابعة هواهم فهم لا يومنون فان قيل الفاء تدل على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم مع ان الامر على العكس اجيب بان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وقوله تعالى وله ما سكن اي حل في الليل والنهار عطف على الله اي له كل شي من حيوان وغيره لانه خالقه ومالكه وقيل له ما سكن فيها او تحرك واكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع اي لكل ما يقال العليم اي بكل ما يفعل فلا يخفى عليه شي سبحانه وتعالى ونزل لما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دين ابايه قل لهم يا محمد اغير الله اتخذ وليا اي ربا ومعبودا وناصرا ومعينا وهو استفهام ومعناه الانكار اي لا اتخذ غير الله وليا فاطر السموات والارض اي خالقهما ابتداء من غير سبق وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدانتها وهو يطعم اي يرزق ولا يطعم اي يرزق وصف سبحانه وتعالى نفسه بالغنا عن الخلق باحتياجهم اليه لان من كان في صفته ان يطعم لخلقه احتياجهم اليه وهو لا يطعم لاستغنايه عنهم وجب ان يتخذ ربا وناصرا وليا قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لله من هذه الامة لان النبي يبعث من

في الدين والدين وضع الهي سايق لذوي العقول بسبب اختيارهم المحمود لما هو خير لهم في المعاد ولا تكونن من المشركين
اي وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين اي في عبادهم باتباعهم في شيء من اغراضهم وهذا التاكيد لقطع اطماعهم
عنه صلى الله عليه وسلم في سوالهم ان يكون على دينهم بايه وقوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي بعبادة غيره
عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب وقوله تعالى من
يصرف عنه يومئذ اي يوم القيامة قراه ابو بكر وحمزة والكسائي بضم الياء وكسر الراء على البناء للفاعل فالضمير لله
تعالى والمفعول محذوف وقراه الباقون بفتح الياء وفتح الراء على البناء للمفعول فالضمير للعذاب فقد رحمه ربه تعالى
اي اراد به الخير وذلك اي الصرف والرحمة الفوز المبين اي النجاة الظاهرة وان يمسسك الله بضر اي بلاء
كمرض وفقر والضر اسم جامع لما ينال الانسان من الامور المكروهة وغير ذلك مما هو في معناه فلا كاشف اي لا رافع
له الا هو لا غيره وان يمسسك بخير اي بصحة وغنى ولخير اسم جامع لكل ما ينال الانسان من لذة وفرح وسرور
ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير فيقدر الخير والضر وهذه الاية وان كانت خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فهي عامة لكل احد
والمعنى وان يمسسك الله بشيء ايها الانسان فلا كاشف لذلك الضر الا هو وان يمسسك بخير ايها الانسان فهو على كل
شيء قدير ومن رفع الضر وابصال الاثير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة
اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفني خلفه فسار في مليا ثم التفت الي فقال لي يا غلام قلت لبيك
يا رسول الله قال اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك اذا سالت فاسال الله واذا استعنت
فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت
على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف وفي رواية واعلم ان النصر
مع الصبر والفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين وفي رواية فقد مضى العلم بما هو كائن فلو جهد
الخلق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه
وهو القاهر اي القادر الذي لا يجوز شيء متعليا فوق عباده فهم مقهورون تحت قدرته وكل من قهر شيئا فهو
مستعل عليه بالقهر والغلبة وهو الحكيم في خلقه المخبر ببواطنهم كفواهرهم ونزل لما قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم
يا محمد لقد اتاك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فانزل ما يشهد لك قل يا محمد لهؤلاء المشركين
الذين يكذبونك ويجحدون نبوتك من قومك اي شيء يبيني وبينكم اكبر شهادة تبين معول عن المبتدا قل الله اكبر شهادة
ان لم يقولوه لا جواب غيره ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم ويحتمل ان يكون الله شهيد هو الجواب
لانه تعالى اذا كان هو الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي اي هذا القران لانذركم يا اهل مكة بما في القران واكتفى بذكر
الانذار عن ذكر البشارة وقوله تعالى ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة ومن بلغه من الانس والجن الى يوم
القيامة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لابو احتجها من لم تبلغه وقال
محمد بن كعب القرظي من بلغه القران فكانما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انس بن مالك كلما نزلت هذه الاية كتب رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم الى الله تعالى وروي انه صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو
اية وحدثوا عن بني اسرايل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من النار وفي رواية من النار وفي رواية نضر الله عبدا سمع مقالتي
فحفظها ووعاها واداها فرب مبلغ اوعى من سامع وفي رواية رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو
افقه منه وقال مقاتل من بلغه القران من الجن والانس فهو نذير له وقوله تعالى اكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى
استفهام انكار اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يجحدون نبوتك واتخذوا الهة غير الله ايكم ايها المشركون لتشهدون
ان مع الله الهة اخرى وهي الاصنام التي كانوا يعبدونها قل لهم لا اشهد بما تشهدون به ان مع الله الهة اخرى بل
اجهد ذلك وانكره قل انما هو اله واحد لا شريك له وبذلك اشهد وانني بريء مما تشركون معه من الاصنام وفي الاية
دليل على اثبات التوحيد ونفي الشريك لان كلمة انما تفيد الحصر فثبت بذلك ايجاب التوحيد والتبري من كل معبود
سوى الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب اي التوراة والانجيل وهم علماء اليهود والنصارى يعرفونه اي محمدا صلى الله
عليه وسلم بنعته وصفاته كما يعرفون ابناءهم من بين الصبيان روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة
سالم عبد الله بن سلام قال له عمر ان الله تعالى انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم عكة هذه الاية فكيف هذا قال
عبد الله بن سلام قد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ولانا اشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مرابني فقال له عمر كيف
ذلك قال اشهد انه رسول الله حقا ولا ادري ما تصنع النساء الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون
به فلما سبق لهم من القضاء بالشقاوة ومن اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملايكة بنات الله واتخذوا الله ولدا
او كذب بايات اي الاتي بها الرسل كالقران وغيره من المعجزات انه اي الشان لا يفلح الظالمون اي لا ينجحون فالكاذبون على الله
عليه الباطل واذكر يوم نحشرهم جميعا اي الكتابي والمشركين وغيرهم ومعبوداتهم وهو يوم القيامة ثم نقول للذين
اشركوا اين شركاؤكم اي الذين كنتم تزعمون انهم شركاء الله واضافتها الى ضمير لتسميتهم لها بذلك وقوله تعالى الذين كنتم تزعمون معناه كنتم تزعمون
شركاء وانما تشفع لكم عند الله فحذف المفعولان ثم لم تكن فتنتهم اي معذرتهم الا ان قالوا اي قولهم والله ربنا ما كنا
مشركين فيختم على افواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك وقرا حمزة والكسائي ليكن يا ايها على التذكير والباقون
بالتاء على التانيث وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص فتنتهم بضم التاء والباقون بالنصب وقرا حمزة والكسائي ربنا
بنصب الباء على المحل او الملوح والباقون بالكسر قال الله تعالى انظر يا محمد كيف كذبوا على انفسهم باعتذارهم الباطل
وتبريهم من الاصنام والشركاء الذي كانوا عليه واستحالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وضل
اي غاب عنهم ما كانوا يفترون اي يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنفعهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم فان قيل كيف
مع اذ يكذبوا حين يطلعون على حقايق الامور وعلى ان الكذب لا وجه له لمنفعته اجيب بان الملجئ ينطق بما ينفعه
وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشة الا ترى انهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا الخلود
ولم يشكوا فيه وقالوا لئن لم يغفر علينا ربك وقد علموا انه لا يغفر عليهم ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران روي انه اجتمع

ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل وامثالهم يستمعون القران فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال
والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه فيقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم
عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث عن القرون الماضية واخبارها فقال ابو سفيان اني لا ارى بعض ما يقول
حقا فقال ابو جهل كلا لا تقل شيئا من هذا فان الله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة اي
اغطية ان اي كراهة ان يفقهوه اي يفهموا القران وجعلنا في اذانهم وقرا اي صمما فلا يسمعونه سماع قبول
ووجه اسناد الفعل الى الاذانة تعالى وهو قوله تعالى وجعلنا للدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم
مجبولون عليها وهي حكاية حال كانوا ينطقون به من قبل وفي اذاننا وقر من بيننا وبينك حجاب وان يروا كل اية
اي معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاوك
يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاوك يجادلونك وتباكروتك وحتى هي التي يقع بعدها الجملة لا العمل
لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان اي ما هذا الا اساطير اي الاحاديث الاولين الى احاديثهم الامم
الماضية واخبارهم واقاصيصهم وما سطروا بمعنى كتبوا والاساطير جمع اسطورة بالضم قال البخاري عن ابن عباس
وهي الترهات وهم ينهون الناس عنه اي اتباع النبي صلى الله عليه وسلم او القران وينأون اي يتباعدون عنه فلا يؤمنون
به قال محمد بن الحنفية والسدي والضحاك نزلت في كفار مكة وقال ابن عباس ومقاتل في ابي طالب كان ينهى الناس
عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم وينهاهم وينأى عن الايمان به اي يبعد حتى روي انما جتمع اليه وس المشركين
وقالوا احدث شابا من احسن اصحابنا وجها واوصله الينا محمد فقال ابو طالب ما انصفتموني ادفع اليكم ولدي لتقتلوه وارتبي
ولدكم وروي انه صلى الله عليه وسلم دعاه الى الايمان فقال لولا ان تعيرني قريش لاقررت بها عينك ولكن ابدء عنك بما حيث
وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب فاراد ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ فقالوا والله لن يصلوا اليك بجمعهم
حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقرمنه عيونا ووعدوني فزعمت
انك ناجح فما لو قد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او
حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وان اي ما يهلكون بالتأي عنه الا انفسهم لان ضرره عليهم وما يشعرون
اي ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم وقوله تعالى ولو ترى يا محمد اوقعوا اي ع ضوا على النار جوابه محذوف اي لو تراهم حين
يقفون على النار فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا فقالوا اي الكفار يا للتنبيه ليتنا نرد الى الدنيا ولا نكذب
بايات ربنا ونكون من المؤمنين تمنوا ان يردوا الى الدنيا ولا يكذبوا بايات ربهم وقرا حفص وحمزة بنصب الباء
من نكذب على جوابا التمني والباقون بالرفع على الاستئناف وقرا ابن عامر وحفص وحمزة بفتح النون من نكون
على جوابا التمني والباقون بالضم على العطف وقوله تعالى بل بدا اي ظهر لهم ما كانوا يخفون من قبل الاخبار عن
الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبايح اعمالهم فتمنوا ذلك فجرا هم
لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا حقا قال تعالى ولو ردوا الى الدنيا اي لو فرض ذلك بعد الوقوف والظهور لعادوا لما

تهوا عنه

تهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون في قولهم لو رددنا الى الدنيا لم نكذب بايات ربنا ولكنا من المؤمنين وقالوا
ان اي ما هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز ان يعطف على قوله
وانهم لكاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا وكرر بعد ليدلا على كذبهم ولو ترى يا محمد اذ وقفوا اي
عرضوا على ربهم فرايت امرا عظيما قال لهم على لسان الملايكة توبيخا اليس هذا البعث والحساب بالحق او تعالى
بلى وربنا اقرروا موكدا باليمين لا بخلا الامر غاية الاجلا قال الفراء وتحقيق العذاب اي الذي كنتم به توعدون
بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وبحودكم البعث فذوقوا العذاب اي بالبعث واستمر تكذيبهم
حتى اذا جاءتهم الساعة اي القيامة بغتة اي فجاة وسميت القيامة ساعة لانها تفجا الناس بغتة في ساعة
لا يعلمها الا الله تبارك وتعالى وقيل لسرعة الحساب قالوا يا حسرتنا اي يا ندامتنا والحسرة التلهف على الشيء
الفايت وشدة التالم ونداؤها مجازا اي هذا اوانك فاحضري فيما اخرطنا فرطنا فيها اي الحياة الدنيا حتى يفيد
وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة لانها موضع التفريط في الاعمال الصالحة ويجوز ان يكون للساعة على معنى
قصر نا في شانها والايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم
اثقالهم واثامهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم اصار الاثام وقال السدي وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره
استقبله احسن شيء صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال
ما ركبتك في الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شيء
صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا وانا اليوم
اركبك فهو معنى قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الاسا اي بيس ما يوزرون اي يحملونه حملهم ذلك
وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا اي وما اعمالها الا لعب ولهو طبعي
الناس وشغلهم عما يعقب منفعة دايمة ولذة حقيقة وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل فيها لعب ولهو
فاما عمل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الاخرة والدار الاخرة الجنة واللام فيه لام القسم خير اي من فعل الدنيا
وافضل لان الدنيا سريعة الزوال والانقطاع للذين يتقون اي الشرك وقيل اللهو واللعب اولا تعقلون اولا تتفكرون او ان الاخرة
خير من الدنيا فتعملون لها وقرا ابن عامر ولدار بتخفيف الدال وجر التاء من الاخرة والباقون ولللدار برفع التاء وقرا نافع وابن عامر وحفص تعقلون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة قد للتحقيق نعلم انه
اي الشان ليحزنك الذي يقولون لك من التكذيب وقرا نافع بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي فانهم
لا يكذبونك اي بقلوبهم ولكن يجحدون بالسنتهم او انهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق هو
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اي يكابرون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون قال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو جهل فقال
فقال الاخنس لا في جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامك غيري

فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق ما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله تعالى هذه الاية وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكنا نكذب الذي جئت به فانزلت ووضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم في جحودهم والباتهم ممن عني التكذيب وقرا نافع والكسائي يكذبونك بسكون الكاف وتخفيف الذال من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه للكذب والباقون بفتح الكاف وتشديد الذال من التكذيب وهو ان ينسبه الى الكذب وقوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه مطلقا وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني فصبر واعلى ما كذبوا اي على تكذيبهم لهم واوذوا اي وصبروا على ايذائهم لهم حتى اتاهم نصرنا باهلاك من كذبهم فتاس بهم واصبر حتى يأتيك النصر باهلاك من كذبك وفي ذلك ايما بوعد لهم للصابرين ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الاية ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من قصصهم وما جاءوا به من قومهم ما يسكن به قلبك قيل من نبوة وقيل للتبعيض ويدل له قوله تعالى منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وان كان كبر اي عظم وشق عليك اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي اي تطلب بحوك وغايتك نفقا اي منفذا في الارض تنفذ فيه الى ما عساك تقدر الى الانتهاء اليه وسلما في السماء اي جهة العلو لترتقي فيه الى ما تقدر عليه فتاتيهم بآية اي ما اقترحوه عليك فافعل لتشاهد انهم لا يزدادون عند اتيانك بها الا اصرارا كما اخبرناك لان الله تعالى شاء ضلال بعضهم والمقصود بهذا بيان شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على هدايتهم وانه لو قدر ان يتكلف النزول الى تحت الارض او فوق السماء فيأتيهم بما يقترحون فعل ولو شاء الله هداية الجميع على الهدى اي لوفقهم له ولكن لم يشأ ذلك فلم يؤمنوا والمعتزلة اولوا ولو شاء الله بانه لو شاء الجميع على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة وجرى على هذا الزمخشري وكشافه والمعنى ان اسناد مشيئة الجمع الى الله ظاهر وانه هو المهدي والمضل والمعتزلة لما قالوا ان يفعل العبد احتاجوا الى التاويل فلا تكونن من الجاهلين اي لا تشتد تحرسك على تكذيبهم ولا تجزع جزعا يضعك عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة انما يستجيب دعاءك الى الايمان الذين يسمعون سماع تفهم واعتبار كقوله تعالى والقى السمع وهو شهيد وهم المؤمنون الذين فتح الله لهم سماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون له ويتبعونه دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله تعالى والموتى اي الكفار شبههم بهم في عدم السماع يبعثهم الله في الاخرة ثم اليه يرجعون اي يردون فيجازيهم باعمالهم وقالوا اي رؤساء قريش لولا انزل هلا نزل عليه اية مما اقترحوها من ربه المحسن اليه كالناقة والعصى والمائدة اواية تضطرهم الى الايمان كشق القمر

اواية ان جحدوها هلكوا قل لهم ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه اواية تضطرهم الى الايمان اواية ان جحدوها هلكوا الا يجيء متى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ما ذا عليهم في انزالها من العذاب ان لم يؤمنوا بها ولهم فيما انزل منوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي والمعنى واحد وما من دابة في الارض اي تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وهو ما بين السماء والارض وهو المراد هنا وانما بالقصر فهوي النفس وليس مرادا وانما قال بجناحيه مع ان الطيران لا يكون الا بهما قطعا لمجاز السرعة ونحوها كما تقول كتبت بيدي ونظرت بعيني الا امم امثالكم اي محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها قال العلماء جميع ما خلق الله لا يخرج عن هاتين الخالتين حتى ما في البحر لان سيرها في الماء اما ان يكون دبيبا او طيرانا مجازا وانما خص ما في الارض بالذكر دون ما في السماء وان كان ما في السماء مخلوقا له لان الاحتجاج بالمشاهد اظهر واولى بما لا يشاهد واختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقال مجاهد اصناف مصنفة تعرف باسمائها مثل بني ادم يعرفون باسمائهم ويدان كل جنس من الحيوان امة فالطير امة والدواب امة والسباع امة وقال ابن قتيبة انهم امثالكم في الغذاء وابتغاء الرزق وتوفي المهالك وقال عطاء امثالكم في التوحيد والمعرفة وقيل غير ذلك والمقصود من ذكره الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية ما فرطنا اي ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب اي اللوح المحفوظ من شيء فلم نكتبه فانه مشتمل على ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد وقيل المراد بالكتاب القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا ومجملا ومن مزيده وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب ثم الى ربهم يحشرون قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها وقال ابو هريرة يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة الدواب والطير وكل شيء فيأخذ للجماء من القرنا ثم يقول كوني ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول يا ليتني كنت ترابا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرنا والذين كذبوا بآياتنا اي القرآن صم عن سماعها بماء قبول وبكم عن النطق بالحق في الظلمات اي في ضلالة لان الكفر من شاء الله اضلاله يضلله ومن شاء هدايته يجعله على صراط اي طريق مستقيم هو دين الاسلام وهذا دليل واضح لاهل السنة على المعتزلة في قولهم انهما من العبد كما مر قل يا محمد لاهل مكة وقوله تعالى ارايتكم استفهام تعجب والكاف حرف خطاب اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله اي في الدنيا كما اتى من قبلكم من الفرق

والغش والمسخ والصواعق ونحو ذلك من العذاب او تاتيكم الساعة اي القيامة
المشتملة على العذاب اغير الله تدعون في كشف العذاب عنكم ان كنتم صادقين ان الاصنام
الهة وجواب الاستفهام محذوف اي فادعوه وهو تبكيت لهم بل اياه تدعون
اي تخصونه بالدعاء حتى الله ذلك عنهم في مواضع كما في قوله تعالى واذا مس الانسان
الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره كان لم يدعنا الى ضر مسه
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء كشفه في الدنيا تفضلا عليكم
كما هو عادته معكم في وقت شدايدكم ولكنه لم يشا كشفه في الاخرة لانه لا يبدل
القول لديه وان كان له ان يفعل ما يشاء وتنسون اي تتركون في تلك الاوقات دايما
ما تشركون معه من الاصنام فلا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع ولقد ارسلنا
رسلا الى امم من قبلك اي قبلك ومن مزيدة فكذبوهم فاخذناهم بالبأساء اي الشدة
الفقر والضراء اي الامراض والاوجاع وهما صفتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون
اي يتذللون ويتوبون عن ذنوبهم فيومنون فلولا اي فهلا اذ جاءهم باسنا
اي عذابنا تضرعوا اي لم يقولوا ذلك مع قيام المقتضي له ولكن قست قلوبهم فلم تلن
للايمان وزين لهم الشيطان اي بما دخل عليهم من باب الشهوات ما كانوا يعملون من
المعاصي فاصروا عليها فلما نسوا اي تركوا ما ذكروا اي وعظوا وخوفوا به واعماهم
كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرض عنه كانه قد صيره بمنزلة ما قد
نسي فتحنا عليهم ابواب كل شيء اي من الخيرات والارزاق والملاذ التي كانت مغلقة عنهم
فنقلناهم من الشدة الى الرخاء استدراجا لهم وقرا ابن عامر بتشديد التاء والباقون بالتخفيف
حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي فرح بطر اخذناهم بالعذاب بغتة اي فجاة فاذا هم مبلسون
اي متحسرون ايسون من كل خير فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم بان
استوصلوا والحمد لله رب العالمين اي على نصر الرسل واهلاك الكافرين والخصلة فان
اهلاكهم مرجع انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق
ان يحمد عليها قل اي لاهل مكة ارايتم اي اخبروني ان اخذ الله سمعكم اي الصمم وابصاركم
اي اعماكم وختم اي طبع على قلوبكم اي بان يعطى عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم فلا
تعرفون شيا من الله غير الله ياتيكم به ابي بذلك اي بما اخذ منكم وختم عليه لان الضمير
في به يعود على معنى الفعل او باخذ هذه المذكورات ويجوز ان يعود على السمع الذي
ذكره اولا وينبغي ان يعود على غيره تحته كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه فالهاء راجعة الى

الى الله تعالى

الى الله تعالى عن نبي الرسول صلى الله عليه وسلم ينبغي في رضى الله تعالى انظر الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره اي انظر يا محمد كيف نصرف اي نبين لهم الايات
اي الدلالات الدالة على التوحيد والنبوة ونكررها تارة من جهة المقدمات العقلية
وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون اي يعرضون عنها فلا يوصفون بقبول لهم ارايتكم اي اخبروني ان اتاكم
عذاب الله بغتة اي فجاة او جهرة اي معاينة تدرونه عند نزوله وقال ابن عباس
والحسن ليلا او نهارا هل يهلك اي ما يهلككم به هلاك سخط وتعذيب الا القوم
الظالمون اي المشركون لانهم ظلموا انفسهم بالشرك وما نرسل المرسلين الا مبشرين
من امن بالجنة ومنذرين من كفر بالنار اي ليس في ارسالهم ان ياتوا الناس بما يقترحون
عليهم من الايات انما ارسلوا بالبشارة والنذارة فمن امن اي بهم واصلح اي عمله فلا خوف
عليهم اي من العذاب ولا هم يحزنون في الاخرة بفوات الثواب والذين كذبوا بايتنا يمسهم
العذاب اي يصيبهم بما كانوا يفسقون اي بسبب خروجهم عن الطاعة قل لهم لا اقول لكم عندي
خزاين الله نزلت حين اقترحوا عليه الايات فامره الله تعالى ان يقول لهم انما بعثت بشيرا
ونذيرا ولا اقول لكم عندي خزاين الله جمع خزانة وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء
وخزن الشيء احرازه بحيث لا تناله الايدي اي ليس عندي خزاين رزقه او مقدوراته
فاعطيكم منها ما تريدون لانهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت رسولا من
عند الله فاطلب منه ان يوسع علينا ويغني فقرنا فاخبرهم ان ذلك بيد الله لا بيدي ولا
اقول لكم اني اعلم الغيب اي فاخبركم بما مضى وما هو آت وذلك انهم قالوا له اخبرنا بما
وعد ربنا في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار فاجابهم بقوله ولا
اعلم الغيب فاخبركم بذلك ولا اقول لكم اني ملك وذلك انهم قالوا ما لهذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق ويتزوج النساء فاجابهم بذلك لان الملك يقدر على ما لا
يقدر عليه البشر وتشاهد ما لا يشاهدون اي لا اقول لكم شيا من ذلك فتكذبون وتحقرون
فان قيل قد يستدل بهذا على ان الملايكة افضل من الانبيا لان معنى الكلام لا ادعي منزلة
اقوى من منزلتي ولولا ان الملايكة افضل لم يصح ذلك اجيب بانه صلى الله عليه وسلم
انما قال ذلك تواضعا لله تعالى واعتراضا بالعبودية حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد
النصارى في المسيح وبان المراد بما قاله نفي قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا الملايكة
وذلك لا يدل على انهم افضل من الانبيا ان اتبع الا ما يوحى الي تبرا صلى الله عليه و

لحنا

من دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة مع الرسالة التي هي كمالات البشر والاستبعاد
دعواه وخرهم على فساد دعواه وظاهر هذه الآية يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما كان
يجتهد في شيء من الاحكام بل جميع اوامر الله ونواهيه انما كانت بوحي ولكن المرجح ان كان
يجتهد قل لهم هل يستوي الاعمى والبصير اي يكونان سواء من غير مزية فان قالوا نعم كابروا
الحس وان قالوا لا قيل فمن يتبع هذه الآيات الجليات فهو البصير ومن اعرض عنها فهو الاعمى
وقيل المراد بالاول الكافر وبالثاني المؤمن وقيل الضال والمهتدي وقيل الجاهل والعالم افلا
تتفكرون في انهما لا يستويان فتؤمنوا وانذر اي خوف اذ الانذار اعلام مع تخويف
به اي القرآن وقوله تعالى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم اما قوم داخلون في الاسلام
ومقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس
من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا
فهم هنا بين بحيث ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم وقوله تعالى ليس لهم من دونه
اي غير الله ولي اي ينصرهم ولا شفيع اي يشفع لهم حال من ضمير يحشرون بمعنى يخافون
ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوع لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشورة
فان المخوف هو الحشر على هذه الحال فان قيل اذا فسر ما ذكر بالمؤمنين كان مشكلا
لانه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم للمذنبين من امته وكذلك
تشفع الملائكة والانبياء والمؤمنون بعضهم لبعض اجيب بان الشفاعة لا تكون الا باذن
الله كما قال تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه واذا كانت الشفاعة لا تكون الا باذن
الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع حتى ناذن لهم بالشفاعة فاذا اذن فيها كان
للمؤمنين ولي وشفيع لعلهم يتقون الله بالاقلاع عما هم فيه وعمل الطاعات ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي بعدما امر الله تعالى بانذار غير المتقين
ليتقوا امره بالكف عن المعاصي وتقريبهم وان لا يطردهم تؤنسه لقريش روي انه صلى الله عليه وسلم
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار
وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وجالسنا
فقال عليه الصلاة والسلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئناك فاذا قمنا
فاقعد معهم ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له
لو فعلت حتى ننظر الى ما يريدون فاتوا فاكتب بذلك كتابا فدعى بالصحيفة وبعلي
رضي الله تعالى عنه فقمت فرمي بالصحيفة واعتذر عمر رضي الله تعالى عنه عن مقالته

قال سلمان

قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ونقعد
معه حتى تمسس ركبتاه ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزل واصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال لنا الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني
ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات وقال الكلبي قالوا له اجعل لنا يوما
ولهم يوما قال لا افعل قالوا فاجعل المجلس واحدا واقبل علينا وولهم ظهرك فانزل الله
تعالى هذه الآية وقال مجاهد قالت قريش لولا بلال وابن ام عبد لنا يعنون محمدا فانزل
الله تعالى هذه الآية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعبدون
ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة العصر ويروي عنه ان المراد منه الصلوات
الخمس وذلك ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من الاشراف اذا
صلينا فاخرهوا فليصل خلفنا فنزلت هذه الآية وقوله تعالى يريدون وجهه حال
من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك
الامر ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب
في اعتبار بواطنهم واخلاصهم لها تتوا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي
كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك
لا يتعداك اليهم كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قيل هلا اكتفي بقوله ما
عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اجيب بان الجملتين جعلتا
بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما موضوعا واحدا وهو المعنى في قوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى ولا يفيد هذا المعنى الا الجملتان بجميعا كانه قيل لا تواخذ انت ولا هم بحساب
صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يواخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك
ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه وقوله تعالى فتطردهم اي فتبعدهم جواب النفي
وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي هو لا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج
الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام بهذه الآية فقالوا ان النبي صلى الله
عليه وسلم لبغائهم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل اشراف قريش عاتبه الله تعالى على ذلك
ونهاه عن طردهم فتكون من الظالمين واجيب بانه صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم
به لاجل استخفافه بهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهؤلاء الاشراف هم
وادخالهم في الاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو اجتهاد منه صلى الله عليه
وسلم فاعلمه الله تعالى ان تقريب هؤلاء الفقراء اولى من الهم بطردهم فقربهم منه وادناهم

والظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه اي فلا تهم بطردهم عنك فتضع الشيء في
غير محله فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات وكذلك فتناهم
اي ابتلينا بعضهم ببعض اي الشريف بالوضيع والغني بالفقير بان قدمناه بالسبق
الى الايمان ليقولوا اي الشرفاء والاغنياء اهؤلاء الفقراء من الله عليهم من بيننا ه
بالهداية اي لو كان ما هم عليه هدى ما سبقونا اليه ونحن الاكابر والرؤساء وهم
المساكين والضعفاء قال تعالى الیس الله باعلم بالشاكرين اي بمن يقع منهم الايمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا وقوله
تعالى فقل لهم سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله تعالى اليهم واما ان يكو
امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم كتب اي قضى ربكم على نفسه
الرحمة روي انها نزلت في الذين نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طردهم فوصفهم
الله تعالى بالايمان بالقرآن واتباع الحق بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره
بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد
النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي
ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله تعالى بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة
وقال عطاء نزلت في الخلفاء الاربع وجماعة من الصحابة وقيل الاية على العموم فيها في كل مؤمن
وقيل لما جاء عمر رضي الله عنه الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت وقال ما اردت الا الخير فنزلت
وقيل ان قوما جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم
شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا اي سوء كان ملتبسا بجهالة اي غلبة وهو
جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يودي الى التضرر والعاقبة
وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الناظم
تعلى انها قالت عشية زرتها جهلت علي عمد وليتك جاهلا ه والثاني انه جاهل
بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله ه
وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر رضي الله تعالى عنه حين اشار باجابة الكفرة الى ما الى
ولم يعلم انها مفسدة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم انه بفتح الهمزة على انه بدل من الرحمة
والباقون بالكسر على ضمير الشان ثم تاب اي رجع من بعده اي بعد ارتكابه ذلك الى
واصلح عمله فانه اي الله غفور له رحيم به وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الهمزة على تقدير
فالمغفرة له والباقون بالكسر وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل الواضح وهو تفصيل احوال

الطوايف الاربع الاولى المطبوع على قلوبهم وهم من في اية والذين كذبوا بآياتنا
والثانية المرجوا اسلامهم وهم من في اية وانذر به الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم والثالثة المطيعون وهم من في اية ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغدوة
والعشي والرابعة الداخلون في الاسلام لكنهم لا يحفظون حدوده وهم من في اية
واذا جاءك الذين يومنون بآياتنا بفصل اي نبين الايات اي اية القرآن في صفة
المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين واستبين سبيل اي طريق المجرمين
قرأ ابو بكر شعبة وحمزة والكسائي بالياء بعد اللام على التذكير وليظهر ويتضح سبيل
المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار والباقون بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي وليظهر لك الحق يا محمد ويتبين لك سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له
وقرأ نافع سبيل بنصب اللام والباقون بالرفع قل يا محمد لهؤلاء المشركين اني نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله اي تعبدون من دونه وهي الاصنام التي تعبدونها
او ما تدعونها الهة اي تسمونها لان لها دانا اخر من ان تدعوا وقوله تعالى قل لا اتبع
اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم وبيان لبعد اضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى
قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من المهتدين وما انا من المهتدي
في شيء اي لانكم كذلك قل اني على بينة اي بيان من ربي اي معرفته وانه لا معبود سواه
وقد كذبتم به اي بربي حيث اشركتم به غيره ما عندي ما تستعجلون به اي العذاب
الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان اي ما الحكم في ذلك وغيره الا
لله فهو يفصل بين المختلفين ويقضي بانزال العذاب متى شاء يقضي الحق قرأ نافع وابن كثير
وعاصم بضم القاف وصاد مهملة مشددة مع الرفع ومعناه يقول الحق لان كلما اخبر
به فهو حق والباقون بكون القاف وضاد معجمة مخففة مع الكسر اي انه تعالى يقضي
القضاء الحق وهو خير الفاصلين اي الحاكمين حل لهم لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي
ما تستعجلون به اي من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم اي لانفصل ما بيني وبينكم
بان اهلككم عاجلا بما تستعجلون من العذاب عقيب كفركم ولكنه عند الله تعالى في
والله اعلم بالظالمين اي بما تستحقونه من العذاب والوقت الذي يستحقون فيه وعنده
سبحانه وتعالى مفاتح الغيب اي خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل
به الى المغيبات مستعار من المفاتيح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح لا يعلمها
الا هو وهو التي في قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية كما رواه البخاري هو

فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها او تاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته
وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشيا قبل وقوعها ويعلم ما يحدث
في البر والبحر قدم البر لان الانسان اكثر ملابسة له بما فيه من القرى والمدن والمفاوز
والجبال والحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك واخر البحر لان احاطة العقل باحواله اقل
وقال مجاهد البر المفاوز والبحر القرى والامصار اي التي على الانهار وقوله
تعالى وما تسقط من ورقة اي ورقة من شجرة مزيد الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه تعالى
بالجزييات وقوله تعالى ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة
واختلفوا في الحبة فقيل هي من هذا النوع المعروف تكون في بطن الارض قبل ان تنبت وقيل
هي الحبة التي في الصخرة التي في اسفل الارض واختلفوا في معنى الرطب واليابس فقال ابن عباس
الرطب الماء واليابس البادية وقال عطا يريد ما ينبت وما لا ينبت وقيل المراد بالرطب الحي وباليابس
الميت وقيل هو عبارة عن كل شي لان جميع الاشيا اما رطبة واما يابسة فان قيل جميع هذه
الاشيا داخلة تحت قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فلم افرد هذه الاشيا
بالذكر اجيب بانه تعالى ذكرها اولا بجملة ثم فصل بعضا من ذلك الاجمال ليدل بها
على غيرها وقوله تعالى الا في كتاب مبين فيه قولان احدهما انه علم الله الذي لا يغير
ولا يبدل والثاني انه اللوح المحفوظ لان الله تعالى كتب فيه علم ما يكون وما قد كان قبل
ان يخلق السموات والارض فهو على الاول بدل من الاستثنا الاول بدل الكل على الثاني
بدل الاشتمال وهو الذي يتوفاكم بالليل اي يقبض ارواحكم عند النوم ويعلم ما جرحتم
اي كسبتم بالنهار ثم يبعثكم يرد ارواحكم فيه اي النهار فان قيل لم خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب مع ان ذلك يقع في غير هذا اجيب بان ذلك جرى على الغالب ليقضي
اجل مسمى اي ليبلغ المستيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت والبعث
ثم ينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم به وهو القاهر مستعليا فوق عباده لان من قهر
شيا وغلبه فهو مستعل عليه اما قهره للمعدوم فبالتكوين والايجاد واما قهره للموجود
فبالافنا والافساد ينقل الممكن من العدم الى الوجود تارة ومن الوجود الى العدم اخرى ويقهر
النور بالظلمة والظلمة بالنور والنهار بالليل والليل بالنهار والى غير ذلك من قهره
الكاينات وصنوف الممكنات ويرسل عليكم من ملايكته حفظة اي تحفظ اعمالكم وهم
الكرام الكاتبون وعن ابي حاتم السختياني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شي تلفظ به من
فوايد العلم حتى قال فيه اثبت شيبه الحفظة تكتب لفظ اللحظة فقال ابو حاتم وهذا ليه

هما يكتب فان قيل الله تعالى غني عن كتبة الملايكة فما فايدتها اجيب
بان فيها لطفا للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملايكة موكلون بهم يحفظون
عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحايف تعرض على رووس الاشهاد في مواقف القيامة كان
ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد عن السو حتى اذا جا احدكم الموت توفته رسلنا
اي ملك الموت واعوانه وهم لا يفرطون اي لا يقصرون فيما يومرون وقيل ملك الموت
وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجا في الاخبار ان الله تعالى جعل الدنيا بين يدي ملك
الموت كالمايدة الصغيرة فيقبض منها هاهنا ومنها هاهنا فاذا اكثرت عليه الارواح
يدعوها فتستجيب له فان قيل قال الله تعالى في اية اخرى الله يتوفى الانفس حين موتها
وفي اخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل وقال هنا توفته رسلنا فكيف الجمع اجيب
بان المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى فاذا حضر اجل العبد امر الله تعالى ملك الموت
ان يقبض روحه وله اعوان من الملايكة يامرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده
فاذا وصلت الى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت بنفسه فحصل الجمع بين الايات وقال
مجاهد ما من اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطوف بهم كل يوم مرتين وقرا
حمزة بعد فاتوفته بالف مالة على التذكير والباقون بالتا على التانيث وسكن السين
من رسلنا ابو عمرو ورفعها الباقون ثم ردوا اي الخلق الى الله الى حكمه وجزايه مولاهم
اي سيدهم ومدبر امورهم كلها الحق اي الثابت الولاية وكل ولاية غيره ولايته عدم
الا له الحكم اي القضا النافذ فيهم فلا حكم عليه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلق كلهم
في قدر نصف نهار من ايام الدنيا لحديث بذلك لانه لا يحتاج الى فكرة بروية وعقد بيمين كما
خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قل يا محمد لاهل مكة من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر اي من الخسوف في البر والغرق في البحر او من شدايدهما شبه شدتهما بالظلمة لمشاركتهما
في القوة لابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ولغيره يوم ذو اكواكب وقيل حمله
على الحقيقة اولي وظلمة البر هي ما اجتمع من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة البحر وظلمة
الرياح العاصفة والامواج الهايلة فيحصل من ذلك ايض الخوف الشديد من الوقوع في
الهلاك والمقصود ان عند اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد
لا يدعو الانسان فيها الا الله تعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدايد
وهو المراد من قوله تدعونه تضرعا اي علانية وخفية اي سرا وقوله تعالى لين انجيتنا من هذه اي الظلمات والشدايد

لتكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها لين
انعم بها اي فيكون من المؤمنين وقراءهم وحمزة والكسائي انجانا بحذف بحذف التا والوجه
الجيم بدل الياء ليوافق قوله تعالى تدعونه واما لها حمزة والكسائي والباقون بالتا بعد الباء
قل الله ينجيكم منها اي تلك الظلمات والشدايد وقرا هشام وعاصم وحمزة والكسائي بفتح
النون وتشديد الجيم والباقون بسكون النون وتخفيف الجيم ومن كل كرب اي غم سوى ذلك
ثم انتم تشركون اي تعودون الى شركة الاصنام معه التي لا تضر ولا تنفع ولا توفون
بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تعبدون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تعالى
فكانه لم يعبده قل لهم هو القادر على ان يبعث في كل وقت يريده عليكم في كل حالة عذابا
من فوقكم بارسال الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم
لوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم بالغرق او الخسف كما فعل بفرعون وقارون وعزيز بابل
ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم العبيد السوء قال الضحاك
من فوقكم اي من قبل كبارهم او من تحت ارجلكم اي من اسفل منكم او يلبسكم اي يخلطكم شيعا
اي فرقا ويبث فيكم الاهوال المختلفة بقتل بعضكم بعضا روي لما نزلت هذه الاية قال هو
القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك
اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض
اي بالقتال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اهون او ايسر وفي رواية انه صلى الله
عليه وسلم قال سالت ربي طويلا ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالته ان لا يهلكها بالسنين
فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
سال الله تعالى ثلاثا فاعطاه اثنين ومنعه واحدة فسالته ان لا يسلط على امته عدوا من غيرهم
يظهر عليهم فاعطاه ذلك وسالته ان لا يهلكهم بالسنين فاعطاه ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم
بينهم على بعض فمنعه ذلك انظر كيف نصرف اي نبين لهم الايات الدالة على قدرتنا لعلهم
يفقهون اي يعلمون ان ما هم عليه باطل فيرجعون عنه وكذب به اي القران او العذاب
قومك اي الذين من حقهم ان يقوموا بجميع امرك ويسرعوا باجابتك فان القبيلة هي
اذا واحدها عزت به فان عزه عزها وشرفه شرفها ولا سيما اذا كان من بيت الشرف
ومعدن السيادة واذا سئل احدها اهتمت به غاية الاهتمام وسترت عيوبه بمكنها امكنها فان
عاره لاحق بها فهو من عظيم التوبيخ لهم ودقيق التقريع لهم ونزاد ذلك بقوله وهو اي والحال انه
اي الثابت الذي لا يمكن التكذيب به ولا يمكن زواله قل لهم لست عليكم بوكيل اي حفيظ وكل الي

امورهم فاجازيكم

امورهم فاجازيكم اوامنعكم من التكذيب انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا اي خبر هو
اخبركم به من هذه الاخبار مستقر اي وقت يقع ويستقر ومنه عذابكم وسوف تعلمون
عند نزول ذلك عند وقوعه اما في الدنيا واما في الاخرة وفي ذلك تهديد لهم واذا رايت
الذين يخوضون في اياتنا اي القران بالاستهزا والتكذيب فاعرض عنهم اي فاتركهم
ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره اي حتى يكون خوضهم في غير الايات والاستهزا
بها وذكر الضمير على معنى الايات لانها القران والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
غيره ليكون اردع او تغيره اي واذا رايت ايها الانسان واما فيه اذ قام دون ان الشرطية
في ما المزيدة ينسينك الشيطان اي فقعدت معهم ثم تذكرت فلا تقعد بعد التذكر
اي التذكر لهذا النهي مع القوم الظالمين اظهر موضع الاضمار تقبيحا ودلالة على الوصف
الذي هو سبب الخوض وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزا وا بالقران لم نستطع
ان نجلس بالمسجد ونطوف فنزل وما على الذين يتقون الله من حسابهم اي الخائضين
من شيء اي شيء مما يحاسبون عليه اذا جالسوهم فمن مزيدة للتاكيد ولكن عليهم ذكرى اي
تذكرة لهم وموعظة ويمنعوهم من الخوض وغيره من القبايح ويظهروا كراهتها وقال سعيد
ابن جبير ومقاتل هذه الاية منسوخة بالاية التي في سورة النسا وهي قوله تعالى
وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها الاية وذهب الجمهور الى انها محكمة غير
لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ ولانه انما ابيح لهم القعود معهم بشرط التذكر
والموعظة لعلهم يتقون الخوض في الايات وذر الذين اتخذوا دينهم اي الذي كلفوه العباد
ولهوا باستهزايهم به وغرتهم الحياة الدنيا اي خدعتهم وغلب حبها على قلوبهم فاعرض
عن دين الحق اي فاتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزايهم وهذا يقتضي الاعراض عنهم وهو قبل
الامر بالقتال ثم نسخ ذلك الاعراض باية السيف وذكر اي وعظ به اي القران الناس ان اي كراهة
ان تبسل نفس اي تسلم الى الهلاك بما كسبت اي بسبب ما عملت واصل الابسال او البسل المنع
ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهو ابسل
عليك اي حرام ليس لها من دون الله اي غيره ولي اي ناصر ولا شفيع يمنع عنها العذاب
وان تعدل اي تلك النفس لاجل التوصل الى فكاكها كل عدل اي وان تفد كل فداء والعدل
الفدية لانها تعادل المفدي لا يوخذ منها ما تفدي به اولئك اي الذين عملوا هذه الاعمال
البعيدة عن الخير الذين ابسلوا اي سلموا الى العذاب بما كسبوا اي بسبب اعمالهم القبيحة
وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم اي ماء هو في غاية الحرارة ولهم عذاب اليم اي مولم

يومئذ فان من كان يدعي الملك من الجبابرة والفراعنة وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا
قد زال ملكهم فاعترفوا ان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له فيه وعلموا ان
الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا غرور وباطل تنبيه اختلف العلماء في الصور المذكور
في الاية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن وقال مجاهد الصور قرن كهيئة
البوق ويدل على صحة هذا القول ما روي ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ما الصور قال قرن ينفخ فيه وروي انه صلى الله عليه وسلم قال كيف انتم وقد التقم صاحب القرن
وحنا جبهته واصغى سمعه ينتظر ان يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على الصحابة فقالوا كيف
نعمل يا رسول الله او كيف نقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وقال
ابو عبيدة الصور جمع صورة النفخ فيها احياء وهما والاول اصح لما مر في الحديث ولاجماع
اهل السنة ان المراد بالصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل نفختين نفخة
الصعق ونفخة البعث للحساب عالم الغيب والشهادة اي ما غاب وما شوهد فلا يغيب
عن علمه تعالى شيء وهو الحليم اي في جميع افعاله وتدبير خلقه الخبير بباطن الاشياء
كظاهرها بكل ما يعلمونه من خير او شر واذ قال ابراهيم لابيه ازر اختلف العلماء في لفظة
ازر فقال مجاهد ازر اسم ابي ابراهيم وهو تارخ منبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم هو
بالخاء المعجمة وقال البخاري في تاريخه الكبير ابراهيم بن ازر وهو في التوراة تارخ فعلى هذا
يكون لابي ابراهيم اسمان ازر وتارخ مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل
ان يكون اسمه ازر وتارخ لقبا له وبالعكس فالله سماه ازر وان كان عند النسابين والمورخين
اسمه تارخ ليصرف بذلك وكان ازر ابو ابراهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة
وقال سعيد بن المسيب ومجاهد ازر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما سماه بهذا
الاسم لان من عبد شيئا او احبه جعل اسم ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله تعالى
يوم ندعو كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم يا عابد ازر فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه والاول اصح لان ازر اسم ابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به واخرج
البخاري في افراده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه الصلاة والسلام اباه ازر يوم
القيامة على وجهه ازر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم ازر ايضا ولم يقل اباه
تارخ كما نقل عن النسابين والمورخين فثبت بهذا ان اسمه الاصلي ازر لا تارخ وكان اهل تلك البلاد وهم
الكنعانيون يعتقدون الهية النجوم في السماء والاصنام في الارض فيجعلون لكل نجم صنما
فاذا اراد التقرب الى ذلك النجم عبد واذ ذاك الصنم ليشفع لهم عند ذلك النجم فقال ابراهيم

خين

اي بسبب ما كانوا يكفرون اي هم بين ما يغلي ينجر حرف بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين ابائك ادعوا اي نعبد
من دون الله اي غيره ما لا ينفعنا اي بعبادته ولا يضرنا اي بتركها وهو الاصنام ونرد
على اعقابنا اي ترجع الى الشرك بعد اذ هدانا الله الى التوحيد ودين الاسلام كالذي
استهوته اي اضلته الشياطين في الارض حالة كونه حيران تائها ضالا لا مهتديا
لوجهه ولا يدري كيف يسلك وقرأ حمزة بعد الواو في استهوته بالف مالة على التذكير
والباقون بالتاء على التانيث ورفق ورش راحيران بخلاف عنه له اي المستهوي اصحاب
اي رفقة يدعونه الى الهدى اي الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول
بالمصدر يقولون له ائتنا فلا يجيبهم فهلك والاستفهام للانكار وجملة التشبيه
للحال من ضمير يردوهنا مثل ضربه الله فمن يدعوا الى عبادة الاصنام التي لا تضر ولا تنفع
ومن يدعوا الى عبادة الله عز وجل الذي يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة
ضل به الفيلان والشياطين عن الطريق المستقيم فجعل اصحابه هنا اهل رفقته يدعونه
اليهم يقولون هلم الى الطريق المستقيم وجعل الفيلان يدعونه اليهم فبقي حيران لا يدري
اين يذهب فان اجاب الفيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى وسلم قل لهم ان هدى
الله اي الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين
اي بان نخلص العبادة له لانه المستحق للعبادة لا غيره وقوله تعالى وان اقيموا الصلاة
واتقوه عطف على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلاة لان فيهما ما يقرب الى الله وروي
ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعي اباه الى عبادة الاوثان فنزلت فان قيل اذا كان هذا وارد في
شان ابي بكر رضي الله تعالى عنه فكيف قيل للرسول صلى الله عليه وسلم قل ادعوا اجيب
بان ذلك اظهار للاتحاد الذي كان بينه صلى الله عليه وسلم وبين المومنين خصوصا الصديق
رضي الله تعالى عنه وهو الذي اليه لا الى غيره بعد بعثكم من الموت تحشرون يوم القيامة
فيجزيكم باعمالكم وهو الذي خلق السموات والارض على عظمتهما بالحق اي بسبب اقامة
الحق وقيل خلقهما بكلمة الحق الذي هو قوله كن وهو دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق
لانه لا خالق مخلوق بمخلوق فاذكر يوم يقول الله للخلق كن فيكون اي فهو يكون وهو يوم القيامة
يقول للخلق قوموا فيقومون احياء قوله تعالى الحق اي الصدق الواقع لا محالة وله الملك
يوم ينفخ في الصور اي النفخة الثانية من اسرافيل وانما اخبر سبحانه وتعالى عز ملكه
يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا منازع له

يومئذ فان

منكرا عليه منبها له على ظلمه وفساد ما هو عليه تكبه التحد اي انكلوني نفسك الى خلاف ما تدعو اليه
الفطرة الاولى بان تجعل اصناما الهة اي تعبدها وتخضع لها ولا تنفع فيها ولا تضر
اني اراك وقومك اي في اتفاقكم على هذا في ضلال اي بعد عن الصراط المستقيم مبين
اي ظاهر جدا بديهة العقل مع مخالفته لكل نبي نبأه الله تعالى من ادم عليه السلام
فمن بعده وقرا نافع وابن كثير وابو عمر بفتح الياء والباقون بالكسر وكذلك اي ومثل
هذا التبصير العظيم الشان نري ابراهيم اي نبصره وهي حكاية حال ماضية ملكوت
السموات والارض اي عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة هـ
كالرهبوت والرغبوت والرحموت من الرهبة والرغبة والرحمة وقال ابن عباس خلق السموات
والارض وقال مجاهد وسعيد بن جبير يعني ايات السموات والارض وذلك انه اقيم على
صخرة وكشف له عن السموات حتى راى مكانه في الجنة فذلك قوله تعالى وانبتاه
اجره في الدنيا معناه اريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الارض حتى نظر اسفل الارضين وراى
ما فيها من العجايب وروي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي قال لما راى ابراهيم ملكوت السموات
والارض ابصر رجلا على فاحشة فدعى عليه فهلك ثم ابصر اخر فاراد ان يدعو عليه فقال له
الرب تبارك وتعالى يا ابراهيم انك رجل مجاب الدعوة فكف انا من عبدي على ثلاثة خلال
اما ان يتوب الي فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تعبدني واما ان يبعث الي فان شئت
عفوت عنه وان شئت عاقبته وفي رواية فان توفي فان جهنم من ورايه وقال قتادة
ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والشجر والبحار وقيل ان هذه
الرؤية كانت بعين البصيرة لان ذلك لا يدرك الا بالعقل فاريناه ذلك ليستدل به
على توحيدنا وليكون من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب انتفاء جميع
نزوال الشبهة لان الانسان في اول الحال لا ينفك عن شبهة فاذا كثرت الدلايل وتوافقت
صارت سببا لحصول اليقين والطمانينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن
عباس في ليكون من الموقنين جلي له الامر سره وعلانيته فلم يخف عليه شي من اعمال
الخلايق فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الجن الستر والظلمة يقال جنه الليل واجنه
تعالى كما كان قبل ذلك فلما جن عليه الليل دخل فيه راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل
اي غاب قال لا احب الافلين وذلك ان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ولد في زمن نمرود
ابن كنعان وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون
فقالوا له انه يولد في بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك

على يده ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء وقال السدي ان نمرود راى في منامه
كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك
فزعا شديدا ودعى السحرة والكهنة فسالهم فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه
السنة فيكون هلاكك وهلاك ملكك واهل بيتك على يده فامر بذبح كل غلام
يولد في ناحيته في تلك السنة وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فاذا
حاضت المراة خلي بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون في المحيض فاذا طهرت حال
بينهما فرجع ازر فوجد امراته قد طهرت فواقعها فحملت بابراهيم قال محمد بن اسحاق
بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقربه يجسها عنده الا ملكان من ام ابراهيم فانه لم يعلم هـ
بحبلها لانها كانت صغيرة لم يبن الحبل ببطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال الى العسكر
وخلى عن النساء فلما رجع ذلك الرجل لم يعد له حاجة الى المدينة ولم ياذن عليها احد امر قومه
الا ازر فبعث اليه واقسم عليه ان لا يدنو من اهله فقال ازر انا اشح على ديني من ذلك
فاوصاه بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت على اهلي فنظرت اليهم
فلما نظر الى ام ابراهيم لم يتمالك حتى واقعها فحملت بابراهيم عليه السلام قال ابن عباس
لما حملت ام ابراهيم به قال الكهان لنمرود ان الغلام الذي اخبرناك به قد حملته امه
الليلة فامر نمرود بذبح الغلمان قال محمد بن اسحاق لما وجد تارح ابراهيم الطلق
خرجت ليلا الى مغارة وكانت قريبة منها فولدت ابراهيم عليه السلام واصلحت من شانه
ما يصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها وكانت تختلف اليه فتنظر ما فعل
فتجده يمص من اصبع ماء ومن اصبع لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع سمنا ومن اصبع تمرا
وقال محمد بن اسحاق كان ازر سال ام ابراهيم عن حملها فقالت ولدت غلاما هـ
فمات فصدقها وكان اليوم على ابراهيم في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث
ابراهيم في المغارة الا خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجيني فاخرجته عشاء فنظر وتفكر
في خلق السموات والارض وقال ان الذي خلقني ورزقني واطعمني وسقاني ان ربي وما لي اله غيره
ثم نظر في السماء فراى كوكبا فقال هذا ربي فتراتبعه بصره حتى غاب فلما افل
قال لا احب الافلين فلما راى القمر بازغا اي مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فاتبعه بصره
فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقيل انه كان في الغار
سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة قال بعض اهل التفسير
فلما شب ابراهيم وهو في الغار قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال فمن ربي

قالت اسكت فسكت ثم رجعت اليزوجها فقالت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين اهل
الارض فانه انك ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه فقال له ابراهيم بايناه هو خير لي امك قال
خير ربّ امي قال انا قال لا بل ربك قال فمن ربّ نمروذ قال فمن ربّ فلطمه وقال اسكت فلما
اخرج من البيت وجن عليه الليل راى المشتري قد طلع وقيل الزهرة وكانت تلك الليلة في اخر الشهر
فتاخر القمر فيها فراى الكوكب قبل القمر فقال ذلك وهل ذلك جار علي ظاهره او مؤول اجرى
بعضهم على الاول وقالوا كان ابراهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله تعالى
فلم يضره ذلك وايضا كان ذلك في طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا والاصح الثاني
اذ لا يجوز ان يكون لله رسول ياتي عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن
كل معبود سواه بريء ثم قالوا في تاويله اوجه احدها وهو الاصح ان ابراهيم قال ذلك على وجه
الاحتجاج عليهم بقوله هذا ربي اي في زعمكم فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال تعالى
ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى انه قال وانظر الى
الهك اي في زعمك فلما افل قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاج
يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلم ينجع فيهم ذلك فلما راى القمر بازغا قال لهم
هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي اي يثبتني على الهدى لاانه لم يكن مهتديا والانبياء
لم يزالوا يسالون الله التثبات على الايمان وكان ابراهيم يقول واجنبني وبني ان نعبد الاصنام
فلما راى الشمس بازغة اي عند طلوع النهار قالوا لهم هذا ربي هذا اكبر اي من الكواكب والقمر
ولم يقل هذه مع الشمس مونثة لانه اراد هذا الطالع او رده الى المعنى وهو الضياء والنور لانه
راه اضوء من النجم والقمر او ذكره لتذكير خبره فلما افلت اي غربت وقويت عليهم الحجة فلم
يرجعوا قال يا قوم اني بريء مما تشركون بالله من الاصنام والاجرام المحدثة المحتاجة
الى محدث التي تجعلونها شركاء الله والوجه الثاني في هذا التاويل انه قال ذلك على وجه الاستفهام
تقديره اهذا ربي كقوله تعالى افان مت فهم الخالدون اي افهم الخالدون وذكره على وجه
التوبيخ منكرا لفعلهم والوجه الثالث انه اراد ان يستدرجهم بهذا القول ويفهم خطاهم
وجهلهم ومثل هذا مما يرد على قوم يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فاكرموه حتى
صدروا في كثير من الامور عن رايه الى ان دعاهم عدو فشاوروه في امره فقال الراي ان
تدعوا هذا الصنم حتى ينكشف عنا ما اصابنا فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم
انه لا ينفع ولا يدفع دعاهم الى ان يدعوا الله فدعوه ففرق عنهم ما كانوا يجدون فاسلموا
فان قيل لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال حال الى حال اجيب بان الاحتجاج

بالافول

بالافول لانه انتقال مع خفاء واحتجاب ولما ظهر خلاف قومه وتبرأ من شركهم وقالوا
له من تعبد انت اظهر ما هو عليه من الحق بقوله اني وجهت وجهي اي اخلصت قصدي
وصرفت عبادتي للذي فطر السموات والارض اي خلقهما وابتدعهما وهو الله تعالى حنيفا
اي مائلا الى الدين القيم عن كل دين خالفه واصل الحنيف المثيل وهو عن طريق الضلال
الى طريق الاستقامة وقيل الحنيف هو الذي يستقبل الكعبة بصلاته وما انا من المشركين
بترك هذا الشرك الذي كان عليه قومه اي وما انا منكم ولا اعتد في عدادكم بشيء اقاربكم به وبآلهته
قومه اي خاصموه في التوحيد وهددوه بالاصنام ان تصيبه بسوء اذا لم يرجع عن الكلام
فيها قال اتحاجوني اي اتجادلوني في الله اي وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بتخفيف
النون وهي نون الرفع عند النحاة ونون الوقاية عند القراء والباقون بالتشديد وقد
اي والحال انه قد هداني الى توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به شيأ وذلك ان
ابراهيم لما رجع الى ابيه وصار من الشباب بحالة سقط عنه طمع الذباحين اي ذباحين
نمروذ وضمه ازر الى نفسه وجعل ازر يصنع الاصنام ويعطيها لابراهيم ليبيعها هو
فيذهب بها ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت
عليه ذهب بها الى نهر فصوب رؤسها وقال اشربي استهزاء بقومه وما هم فيه حتى فشي
استهزاؤه بها في قومه واهل قريته قالوا له اخبرنا الاصنام فانا نخاف ان تمسك بخبل او جنون
لعيبك اياها فقال انما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله الا ان شاء ربي شيأ
وهذا استثناء منقطع معناه لكن ان شاء ربي شيأ من المكروه نصيبني فيكون لانه قادر على
النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره
ما يكرهه فلو صاب به مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه الشبهة وسع ربي كل شيء علما
اي احاط علمه بكل شيء لا يخرج شيء عن علمه افلا تتذكرون اي يقع منكم تذكير فتميزوا بين
الحق والباطل والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم به اي الاصنام وهي لا تبصر ولا تسمع
ولا تضر ولا تنفع ولا تخافون انتم انكم اشركتم به وهو تعالى حقيق بان يخاف منه لكمال الخوف
لانه اشراك المصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور والعاجز والقادر الضار النافع وهو
ما لم ينزل به اي بعبادته عليكم سلطانا اي حجة وبرهانا وهو القادر على كل شيء فاي الفريقين
اي حزب الله وحزب ما اشركتم ولم يقل فايانا بيانا للمعنى احق بالامن اي الموحدون او هم
المشركون ان كنتم تعلمون هذا الاحق اليان كان لكم علم فاخبروني عما سالتكم عنه والاحق
بذلك هم الموحدون فاتبعوهم قال تعالى قاضيا الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم هم

اي يخالفوا ايمانهم بشرك روي انه لما نزلت هذه الاية شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول
الله فاينا لم يظلم نفسه فقال ليس ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا الى ما قال لقمان لابنه
يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم اولئك اي الموصوفون بما ذكر لهم الامن اي
من العذاب المؤبد وهم مهتدون وقوله تعالى تلك مبتدا ويبدل منه حجتنا وهي
ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله تعالى فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون
ومن قوله انحاجوني في الله والخبر اتيناها ابراهيم اي ارشدناه لها حجة على قومه
ثم انه سبحانه وتعالى لما تفضل على خليله صلى الله عليه وسلم برفعه على قومه قال تعالى
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقراهما وحمزة والكسائي بتنوين التاء والباقون
بغير تنوين ان ربك حكيم في صنعه فيرفع من يشاء ويخفض من يشاء عليم بخلقه فهو
الفعال لما يريد ووهبنا له اي ابراهيم اسحاق اي ابنا له ويعقوب اي ابنا لاسحاق فهو
ابن ابنه كلا منهما ومن ابيهما هديناه الى سبيل الرشاد ووفقناه الى طريق الحق والصواب
ونوحا هديناه من قبل اي قبل ابراهيم ومن ذريته اي نوح لابراهيم لانه تعالى ذكر في جملتهم
يونس ولوطا ولم يكونا من ذرية ابراهيم وقيل الضمير لابراهيم ويكون ذلك من باب التغليب
فان التغليب سايغ شايع في انتساب العرب داود وهو ابن ايشا هديناه وكان ممن اتاه
الله الملك والنبوة وسليمان هو بن داود وهما اللذان بنيا بيت المقدس بامر الله تعالى
داود بناه وتاسيسه وسليمان باكماله وتشييده وايوب هو بن اموص بن رزاح بن رزام
ابن عيصا بن اسحاق ابن ابراهيم ويوسف بن يعقوب ابن اسحاق ابن ابراهيم فان قيل
لم قدم ايوب على يوسف مع ان يوسف اقرب منه اجيب بانه قدمه للمناسبة بينه وبين
سليمان لان كلا منهما ابتلي باخذ كل ما في يده ثم رده الله تعالى اليه وموسى هو بن عمران بن
يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهارون هو اخو موسى الاكبر منه بسنة صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين وكذلك اي كما جزينا ابراهيم على توحيده وصبره على اذى قومه
بان رفعنا درجته ووهبنا له اولادا انبياء نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو بن
اذن بن برخيا وقرا حفص وحمزة والكسائي بين هز والباقون بالهمز ويحيى هو بن زكريا وعيسى
هو بن مريم بنت عمران والياس قال بن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب واسرائيل
قال البغوي والصحيح انه غيره لان الله تعالى ذكره في ولد نوح وادريس جد ابي نوح وهو الياس
ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران كل من هؤلاء من الصالحين اي الكاملين
في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسماعيل هو بن ابراهيم انما اخر ذكره

الى هنا الانه

الى هنا لانه ذكر اسحاق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلما جاء هذا الاب اخر ذكر
اسماعيل الى هنا واليسع هو بن اخطوب بن العجوز وقرا حمزة والكسائي بتشديد اللام
وسكون الياء والباقون بسكون اللام وفتح الياء ويونس بن متي ولوطا هو بن هلان
اخي ابراهيم وكلا منهم فضلنا على العالمين اي بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم
من الخلق من انس وملك ويستدل بهذه الاية من يقول ان الانبياء افضل من الملائكة
وقوله تعالى ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا ومن للتبعيض
اي وفضلنا بعض ابائهم وبعض ذرياتهم واخوانهم لان ابا بعضهم كانوا مشركين
وعيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من كان كافرا كابن نوح وقوله تعالى
واجتبيناهم اي اخترناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم اي وارشدناهم
الى صراط مستقيم هو الدين الحق ذلك اي الذي هدوا اليه هدى الله يهدي به من
يشاء من عباده سواء كان له اب يعلمه او كان له من يحمله على الضلال ام لا فهو سبحانه
وتعالى هو المتفضل بالهداية ولو اشركوا اي ولو فرض اشراكهم هو لاء الانبياء بعد علو
درجتهم وفضلهم لحبط عنهم اي لفسد وسقط ما كانوا يعملون اي كانوا لغيرهم
في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب اي اولئك الذين
سميناهم من الانبياء وهم ثمانية عشر نبيا اعطيناهم الكتاب فالمراد بالكتاب الجنس
والحكم اي العمل المتيقن بالعلم والنبوة اي شرفناهم بالنبوة والرسالة فان يكفر
اي بهذه الثلاثة هؤلاء اي اهل مكة الذين انت بين اظهرهم فقد وكلنا بها اي وفقنا
للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم
به ويتعهده ويحافظ عليه واختلف في ذلك القوم قال بن عباس هم الانصار واهل
المدينة وقال الحسن وقتادة هم الانبياء الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره
الزجاج قالوا والدليل عليه قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال عطا الخراساني هم الملائكة ونظر فيه لان اسم القوم لا يطلق الا على
بني ادم وقيل هم الفرس وقيل هم المهاجرون والانصار واستظهر وقال بن زيد
كل من لم يكفر فهو منهم سواء كان ملكا ام نبيا او صحابيا ام تابعيا والمراد بهداهم
ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست
هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه صلى الله عليه
وسلم متعبد بشرع من قبله واستدل بعض العلماء بهذه الاية انه صلى الله عليه وسلم

افضل الانبيا عليهم الصلاة والسلام قال وبيانه ان جميع الخصال وصفات الشرف
كانت متفرقة فيهم فكان نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم
وبذل مجاهدة في الله عز وجل وكان اسحاق ويعقوب من اصحاب الصبر على البلا
والمحن وكان داود وسليمان من اصحاب الشكر على النعمة كما قال تعالى اعملوا آل داود
شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلا كما قال تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
وكان يوسف قد جمع بين الخلتين اي الصبر والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة
والمعجزات الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس هم اصحاب الزهد في الدنيا
وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم ان الله تعالى امر
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم وجمع له جميع الخصال المحمودة والتفرقة
فثبت بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال
التي كانت متفرقة في جميعهم انتهى وقرا حمزة والكسائي بحذف الهاء في الوصل وحركها
بحركة مختلسة ابن عامر ومد على الهاء ابن ذكوان بخلف عنه وسكن الهاء الباقون
في الوصل واما الوقف فجميع القرا يثبتون الهاء ليكنوها قل يا محمد لاهل مكة لا اسالكم
عليه اي القرآن او التبليغ اجرا اي كما اطلب على ذلك جعلا ان هو اي القرآن او التبليغ
الا ذكرى اي عظة للعالمين اي الانس والجن وما قدروا اي اليهود الله حق قدره اي
ما عرفوه حق معرفته او ما عظموه حق عظمته اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد
خاصموه في القرآن ما انزل الله على بشر من شيء قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود
يقال مالك بن الصيف من احبار اليهود وروسايهم يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم بمكة
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى اما تجد في التوراة
ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا والحبر بالفتح والكسر وهو افصح العالم بتحبير
الكلام والعلم وتحسينه قاله الجوهري فغضب فقال والله ما انزل الله على بشر من شيء
فقال له قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه
كعب بن الاشرف وقال السدي نزلت في فنحاص بن عازورا وهو قايل هذه المقالة وقال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله
ما انزل الله من السما كتابا قال الله تعالى قل لهم من انزل الكتاب اي التوراة الذي جاء به موسى
اي الذي انتم تعترفون بشرعه حال كونه ذلك الكتاب نورا اي ذا نور اي ضيا من ظلمة الضلالة
وهدى اي ذا هدى للناس يفرق به بين الحق والباطل من دينهم وذلك قبل ان يبدل ويغير

يجعلونه قراطيس

يجعلونه قراطيس اي يكتبونه في دفاتر متقطعة يبدونها اي يظهرون ما يحبون
اظهاره منها ويخفون كثيرا اي ما كتبوه في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد
صلى الله عليه وسلم ومما اخفوه ايضا اية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التوراة وقرا
ابن كثير وابو عمرو بالياء في المواضع الثلاثة على الغيبة حملا على ما قالوا وما قرؤوا
والباقون بالتا على الخطاب وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتوراة وذمهم
على تجزيئها بابدا بعض وانتحبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفا بعض لا يشتهونه
وقوله تعالى وعلمتم اي على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم
خطاب لليهود اي علمتم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليكم وعلى اسلافكم
الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه
يختلفون يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب
لمن امن من قريش وقوله تعالى قل الله انزله راجع الى قوله تعالى قل من انزل الكتاب
الذي جا به موسى اي فان اجابوك بان الله انزله فذاك والا فقل انت الله انزله اذ هو
لا جواب غيره ثم ذرهم اي اتركهم في خوضهم اي باطلهم يلعبون اي يستهزؤن ويسخرون
وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم هذا منسوخ بايات السيف وهذا اي
القرآن كتاب انزلناه مبارك اي كثير الخير والبركة دايم النفع يبتغي المؤمنين بالثواب
والمغفرة ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النما والزيادة وثبوت الخير ومصدق
الذي بين يديه اي قبله من الكتب الالهية المنزلة من السما على الانبيا لانها تشتمل
على التوحيد والتنزيه لله تعالى وعلى البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القرآن
مصدقا لجميع الكتب المنزلة وقوله تعالى ولتنذر قراه شعبة بالياء على الغيبة اي لينذر
الكتاب والباقون بالتا على الخطاب اي ولتنذر يا محمد ام القرى اي اهل مكة وسميت
ام القرى لانها قبلة اهل القرى ومجمعهم ومحتمعهم واعظم القرى شانا ولبعض المجاورين
ثمة ليلة في بعض القريات رحلة فام القرى ملتقى رحالي ومشياتي وقيل لان الارض دحيت
من تحتها اولانها مكان اول بيت وضع للناس ومن حولها اي جميع البلاد والقرى
التي حولها شرقا وغربا والذين يومنون بالاخرة يومنون به لان من صدق بالاخرة
خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على التفكر والتدبر حتى يومن بالنبي والكتاب والضمير
يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة في قوله تعالى وهم على صلاتهم يحافظون
لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها ومن

ای لا احد اظلم ممن افترى اي اختلق على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعرين لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء قال قتادة نزلت في مسيلمة الكذاب من بني حنيفة وكان يسجع ويتكهن فادعى النبوة وزعم ان الله تعالى اوحى اليه وكان قد ارسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم اذ اوتيت خزائن الارض فوضع في يدي سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين الذين انا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة مسيلمة الكذاب وفي لفظ الترمذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدي سوارين فاولتهما كذابين يخرجان بعدي فكان احدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعاء وقوله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله الي ان انفخهما بالخاء المهملة ومعناه الرمي والدفع من تحت الدابة برجلها ويروى بالخاء المعجمة من النفخ وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة في اليمامة واتبعه قومه من بني حنيفة وقتل في خلافة ابي بكر قتله وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر الناس يعني مسيلمة الكذاب قتل الاول وهو كافر والثاني وهو مسلم واما الاسود العنسي بالنون ويقال له ذو الخمار بن ادعى النبوة باليمن في آخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل في حياته صلى الله عليه وسلم قبل موته بيومين واخبر صلى الله عليه وسلم اصحابه بقتله قتله فيروز اي بقتل الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال الذي نزلت في عبد الله بن ابي سرح وكان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه صلى الله عليه وسلم سميعا بصيرا كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها هكذا انزلت فشك عبد الله بن ابي سرح وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحي اليه مثل ما اوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع بعد ذلك الى الاسلام فاسلم قبل فتح مكة حين نزل صلى الله عليه وسلم بمر وقال بن عباس ومن قال سانزل مثل ما انزل الله يريد المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا

قال العلما

قال العلما وقد دخل في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمان وبعد لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم ولو ترى يا محمد اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين المذكورين في غمرات اي شدايد الموت من غمره الماء اذا غشيه فاستعير للشدة القالبة والملائكة باسطوا ايديهم اي بقبض ارواحهم كما يقتضيه الملازم لغريمه لا يفارقه او بالعذاب والضرب يضربونه وجوههم وادبارهم يقولون لهم تغنيفا اخرجوا انفسكم الينا لنقبضها فان قيل انه لا فائدة لهذا على اخراج روحه من بدنه فما فايدة هذا الجيب بانهم يقولون لهم اخرجوها كرها لان المومن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل يقولون لهم خلصوا انفسكم من هذا العذاب ان قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لانهم لا يقدرون على خلاصهم انفسهم من العذاب في ذلك الوقت اليوم تجزون عذاب الهون اي الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق اي كادعا الولد والشريك له ودعوى النبوة والايحا كذبا وكنتم عن اياته تستكبرون اي تتكبرون عن الايمان بها وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا ويقال لهم اذا بعثوا للحساب ولقد جيتمونا فرادى اي منفردين عن الاهل والمال والولد وسايروا ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاوكم وهو جمع فرد والالف للتانيث كسالى وفي هذا تقريع وتوبيخ لهم لانهم صرفوا همتهم في الدنيا الى تحصيل المال والولد ولجاه وافنوا اعمارهم في عبادة الاصنام فلم يغن عنهم ذلك شيا يوم القيامة فبقوا فرادى عن كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم اول مرة اي حفاة عراة غرلا روي عن عايشة رضي الله تعالى عنها قرات هذه الاية فقالت يا رسول الله واسواتاه ان الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم الى سوة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امرى منهم يومييذ شان يغنيه لا ينظر الرجال الى النساء ولا النساء الى الرجال وروي عنها انها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا اي غير مختونين وفي رواية زيادة على ذلك بهما بالضم قال الجوهري وغرل اي ليس معهم شو قالت عايشة فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامر اشد من ان يهمهم ذلك وتركتم ما خولناكم اي ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم اي في الدنيا فما اغنى عنكم ما كنتم منه تستكثرون ويقال لهم توبيخا ما نرى معكم شفعاكم اي الاصنام الذين زعمتم انهم فيكم اي في استحقاق عبادتكم شركا اي لله وقوله تعالى لقد تقطع بينكم قرا نافع وحفص والكسائي بنصب النون

اي لقد تقطع ما بينكم من الوصل والباقون بالرفع اي لقد تقطع وصلكم والبين من الاضداد تعمل
للوصل والفصل وضل اي ذهب عنكم ما كنتم تزعمون اي من انها تشفع لكم او ان لا بعث ولا جزاء
ان الله فالق اي شاق الحب اي عن النبات والنوى اي عن النخل وقيل المراد الشق الذي في الحنطة
والنواة والحب جمع الحبة وهو اسم لجميع البزور والحبوب من البر والشعير والذرة وكل ما لم
يكن له نوى والنوى جمع نواة وهي كل ما لم يكن حبا كالتمر والمشمش والخوخ وغيرها قال
الضحاك فالق الحب والنوى يعني خالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت اي كالانسان من
النطفة والطائر من البيضة ومخرج الميت من الحي كالنطفة من الانسان والبيضة من
الطائر تنبيه مخرج معطوف على فالق كما قاله الزمخشري ويصح عطفه على يخرج لان
عطف الاسم المشابه للفعل على الفعل صحيح كعكسه وهو عطف الفعل على الاسم المشبه
بالفعل كقوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا فاقرضوا
معطوف على المصدقين لشبهه بالفعل لكونه اسم فاعل ومخرج شبيه بالفعل لكونه اسم
فاعل وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائي بتشديد الياء والباقون بالتخفيف ذلكم الحي الميت
هو الله الذي تحق له العبادة فاني اي كيف تؤفكون اي تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله
الذي هو خالق الاشياء كلها وقوله تعالى فالق الاصباح مصدر بمعنى الصبح اي شاق عمود
الصبح وهو اول ما يبدو امن النهار او شاق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي عليه في آخر الليل
وجاعل الليل سكنا اي يسكن فيه الخلق راحة لهم قال ابن عباس اذ كل ذي روح يسكن فيه
لان الانسان قد اتعب نفسه فاحتاج الى زمان يستريح فيه ليسكن عن الحركة وذلك هو
الليل وقرا عاصم وحمزة والكسائي بنصب العين واللام والف قبل العين على الماضي عملا على
معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق والباقون بكسر العين ورفع اللام والف قبل القاف
وقوله تعالى والشمس والقمر منصوبان باضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس
والقمر حسبانا اي حسابا للاوقات او الباء محذوفة وهو حال من مقدر اي يجريان بحسبان
كما في اية الرحمن وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشياء التي
خلقها بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله تعالى تقدير العزيز العليم فالعزيز اشارة
الى كمال قدرته والعليم اشارة الى كمال علمه وهو الذي جعل اي خلق لكم النجوم لتهتدوا بها
في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات
الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها
بقوله لكم ومن منافعها انها زينة للسماء كما قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا ومنها رجوما

الشياطين كما قال

للشياطين كما قال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين قد فصلنا اي بينا الايات الدالة
على قدرتنا وتوحيدنا لقوم يعلمون اي يتدبرون فانهم المنتفعون بها وهو الذي
انشأكم اي خلقكم من نفس واحدة اي من ادم عليه الصلاة والسلام فهو ابو البشر
كلهم وحواء مخلوقة منه وعيسى ايضا لان ابتدا خلقه من مريم وهي من بنات ادم
فثبت ان جميع البشر من ادم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فمستقر في
الرحم ومستودع في القبر الى ان يبعث او فمستقر في ارحام الامهات ومستودع
في اصلاب الاباء قال سعيد بن جبير قال لي ابن عباس هل تزوجت قلت لا قال اما انه
ستكون مستودعا في ظهرك فسيخرجه الله عز وجل او فمستقر في الرحم ومستودع فوق الارض
قال تعالى ونقر في الارحام ما نشاء او فمستقر على وجه الارض ومستودع عند الله والاول
او فمستقر في القبر ومستودع في الدنيا وكان الحسن يقول يا ابن ادم انت وديعة في اهلك
يوشك ان تلحق بصاحبك او فمستقر في القبر ومستودع في الجنة او النار قال تعالى في
صفة الجنة حسنت مستقرا وفي صفة النار وساءت مستقرا وقرا ابن كثير وابو عمرو وبكر
والقاق على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار
هنا لله دون الاستيداع لان الاستقرار في الاصلاب او فوق الارض لا صنع للعبد فيه
بخلاف الاستيداع في الارحام او تحت الارض والباقون بالنصب قد فصلنا الايات لقوم
يفقهون اي يفهمون ما يقال لهم ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر وذكر
مع تخليق بني ادم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال
مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء
اي مطرا وهو من السحاب او من جانب السماء وقيل ان الله ينزله من السماء الى السحاب ثم من
السحاب الى الارض فاخرجنا به اي بالماء وفي ذلك التفات حيث لم يقل فاخرج على وفق انزل نبات كل شيء
اي من كل شيء ينبت وينمو من جميع اصناف النبات فالسبب واحد وهو الماء والمسببات متنوعة
متفرقة كما قال تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه اي من
النبات او الماء خضرا اي شيئا اخضر يقال اخضر وخضر مثل اعور وعور والاخضر هو جميع
الزروع والبقول الرطبة نخرج منه اي الخضر حبا متراكبا اي يركب بعضه بعضا كسنابل
الحنطة والشعير والارز والذرة وقوله تعالى ومن النخل خبر مقدم ويبدل منه من طلعها
وهو اول ما يخرج منها والمبتدا قنوان اي عراجين دانية اي قريبة من التناول يتناولها
القائم والقاعد او قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عند مقابلتها وهي البعيدة

لدلالتها عليها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما وحكمة تخصيص
دانية بالذكر زيادة النعمة فيها وقوله تعالى وجنات عطف على نبات كل شيء اي واخرجنا
به بساتين من اعناب وقوله تعالى والزيتون والرمان عطف ايضا على نبات اي واخرجنا
به شجر الزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه قال قتادة معناه مشتبها ورقهما
مختلفا ثمرهما لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل يشتبهان في النظر مختلفان في
الطعم والله سبحانه وتعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع وقدم
الزرع على سائر الاشجار لان الزرع غذاء وثمار الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه
وقدم النخل على غيرها لان ثمرها يجري مجرى الغذاء وفيها من المنافع والخواص ما ليس في غيرها
من الاشجار قال بعضهم وليس لنا انثى من الشجر تحتاج الى ذكر غير النخل اي في تطييب
ثمرها وذكر العنب عقب النخل لانه من اشرف انواع الفاكهة ثم ذكر عقيبه الزيتون لما فيه
من البركة والنفع ثم ذكر بعده الرمان لما فيه من المنافع ايضا انظروا الى ايها الخي المطبوع
نظر اعتبار الى ثمره قرأ حمزة والكسائي بضم الثاء واللام والباقون بالنصب وهو جمع ثمرة
كخشبة وشجر وخشب او اثمر اي حين يبدو او ان كمامه ضعيفا قليل النفع
او عديمه وانظروا الى ينعه اي الى ادراكه اذا ادرك وحان قطفه كيف يصير ذا نفع وزينة
والمعنى انظروا وانظروا استدلال واعتبروا كيف اخرج الله هذه الثمرة اللطيفة من هذه الشجرة
الكثيفة اليابسة وهو قوله تعالى ان في ذلكم لايات اي دلالات على قدرته تعالى على البعث
وغيره فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المختلفة من اصل واحد ونقلها من حال الى
حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من اجوالها
ولا يفوته عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده وخص المومنين بالذكر بقوله لقوم يومنون
لانهم المنتفعون بها بخلاف الكافرين ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال
تعالى وجعلوا لله شركاء الجن اي الشياطين لانهم اطاعوهم في عبادة الاوثان فجعلوها
شركاء لله فان قيل لله مفعول ثان لجعلوا وشركاء مفعول اول وبين له الجن فما
فايدة التقديم اجيب بان فايدته استظام ان يتخذ لله شريك من جني او انسي او
ملك فلذلك قدم اسم الله تعالى على الشركاء وقيل المراد بالجن الملائكة بان عبدوهم وقالوا
الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم وقال الكلبي نزلت في الزنادقة
اثبتوا الشركة لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس
خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب فيقولون هو شريك الله في تدبير هذا العالم

فما كان من خير فمن الله وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وقوله
تعالى وخلقهم حال بتقدير قد والضمير لما ان يعود الى الجن فيكون المعنى والله خلق
الجن فكيف يكون شريك المعز رجل محدث مخلوق واما ان يعود الى الذين جعلوا لله
شركاء ويكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع
بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق
لجميع ما في الكون فامتنع ان يكون لله شريك في ملكه وقوله تعالى وخرقوا قراه نافع
بتشديد الراء والباقون بالتخفيف اي اختلقوا له بنين وبنات بغير علم وهو قول
اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه
واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان
الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله سبحانه تنزيها
له وتعالى عما يصفون بان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اي مبتدعهما من
غير مثال سبق ورفع بديع على الخبر والمبتدا محذوف اي هو بديع او على الابتداء والخبر
انى يكون له ولد اي من اين يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد لان الولد
لا يكون الا من صاحبة انثى وخلق كل شيء اي من شانه ان يخلق وهو بكل شيء عليم لا يخفى
عليه خافية وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه مبدع السموات
والارض وهي اجسام عظيمة من جنس ما يوصف بالولادة لكونها مخلوقة لا يستقيم
ان توصف بالولادة لاستمرارها وطول مدتها ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون
والثاني ان الولادة لا تكون الا من ذكر وانثى متجانسين وهو متعالى عن مجانسة فلم
يصح ان يكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه عالم بكل شيء لا وهو خافية
والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يكون للمحتاج وقوله
تعالى ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا وقوله تعالى الله
ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض في خبر الله
تعالى بدلا او صفة لان الله تعالى اول ولين بصفة والبعض خبرا وقوله تعالى فاعبدوه
مسببة عن مضمون ذلك فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على
كل شيء وكيل اي وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والاجال رقيب
على الاعمال فيجازي عليها لا تدركه الابصار تمنع بصره وهي حاسة النظر وقد يقال
للعين من حيث انها محلها او الادراك الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته وتمسك بظاهر

هذه الآية قوم من اهل البدع وهم الخوارج والمعتزلة وبعض المرجية وقالوا ان الله تبارك وتعالى
لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله تعالى اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك
البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قولك ادركته ببصري ورايته ببصري فثبت بذلك ان
لا تدركه الابصار معناه لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب السنة ان المؤمنين
يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة واستدلوا لمذهبهم باشياء من الكتاب والسنة واجماع
الصحابة ومن بعدهم من السلف فمن الكتاب قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة
ففي هذه دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون قال الشافعي رضي الله تعالى عنه حجب قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت ان قوما يرونه
بالطاعة وهي الايمان وقال مالك رضي الله تعالى عنه لولم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة
لم يعيّر الله الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة مفسرة
بالنظر الى الله تعالى يوم القيامة وهذه السنة ما روى عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال انكم سترون ربكم عيانا يوم
القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
ومنها ان اناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر اي هل تشكون قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانكم ترونه كذلك وعن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به
يوم القيامة قال نعم فقلت وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة
البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله اي القمر فالله اجل واعظم
واحتج اهل السنة ايضا على جواز رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة بقول كليم الله
موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك اذ لا يسأل النبي ما لا يجوز او يمتنع وقد علق الله تعالى
الرؤية على استقرار الجبل بقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل
جايز والمعلق على الجايز جايز واما قول المعتزلة المتمسكين بظاهر الاية وان الادراك بمعنى الرؤية
ممنوع لان الادراك هو الوقوف على كنه الشيء والاحاطة به والرؤية المعاينة وقد تكون
المعاينة بلا ادراك قال الله تعالى في قصة موسى عليه السلام قال اصحاب موسى انا لمدركون
قال كلا وكان قوم فرعون قد رأوا قوم موسى ولم يدركوهم فنفى عليه السلام الادراك
مع ثبوت الرؤية فالله سبحانه وتعالى يجوز ان يرى من غير ادراك ولا احاطة كما نعرفه

في الدنيا

في الدنيا ولا يحاط به قال تعالى ولا يحيطون به علما ففي الاحاطة مع ثبوت العلم
قال سعيد بن المسيب لا تحيط به الابصار وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة
به وقال ابن عباس ومقاتل لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وظاهر
هذا التسوية بين الادراك والرؤية ويدل على هذا التخصيص قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة فقوله ناظرة مقيد بيوم القيمة ويكون هذا جمعا بين الايتين وهو
يدرك الابصار اي يراها او يحيط بها علما فلا يخفى عليه شيء ولا يفوته شيء وهو
اللطيف الخبير قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اللطيف بأوليائه الخبير بهم وقال
الزهري اللطيف الرفيق بعباده وقيل اللطيف الموصل الشيء بالرفق واللين وقيل اللطيف
الذي يسبي العباد ذنوبهم ليلا يخجلوا قد جاءكم بصائر جمع بصيرة اي حجج من ربكم هي
تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل فمن ابصر اي عمل بالادلة فلنفسه
اي خاصة ابصاره ولانه خلصها من الضلال الى الهدى ومن عمي اي لم يهتد
بالادلة فعليها اي خاصة عماه لانه يضل ولا يضر الا نفسه وما انا عليكم بحفيظ اي
برقيب لاعمالكم انما انا منذر والله تعالى هو الرقيب عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها
وكذلك اي كما بينا ما ذكر نصرف اي نبين الايات من حال الى حال في المعاني المتنوعة
سالكين من وجوه البراهين بما يفوت القوي ويحير القدر ليعتبروا وليقولوا المتقادم
عن ظهور عجزهم درست قرأ ابن كثير وابو عمرو بالف بين الدال والراء اي فاكرت اهل
الكتاب والباقون بغير الف اي درست كتب الماضين وجيت بهذا منها وقرأ ابن عامر بفتح
السين وسكون التاء من الدروس اي هذه الايات التي تتلوها علينا قديمة قد درست
اساطير الاولين وقيل اللام في لام العاقبة اي عاقبة امرهم ان يقولوا درست
اي قرأت علي غيرك وقيل كتب اهل الكتاب كقوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا ولنبينه اي الايات وذكر الضمير لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك
نصرف القرآن او القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر
الفعل كقولهم ضربته زيدا لقوم يعلمون اي فانهم المنتفعون به وقوله تعالى اتبع
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي اتبع يا محمد ما اوحي اليك اي القرآن فالزم العمل به تم
الكلام بقوله من ربك اي المحسن اليك بهذا البيان وقوله تعالى لا اله الا هو
اعتراض اكد به ايجاب الاتباع تماما في كلمة التوحيد من التمسك بحبل الله والاعتصام به
والاعراض عما سواه وقول البيضاوي او حال موكدة من ربك بمعنى متفردا في الالوهية مبني

على جواز تاكيد الجملة الفعلية بالاسمية وهو نادر واعرض عن المشركين ولا تعتقل
بأقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم وهذ جعله منسوخا بآية السيف تحمل الاعراض على ما يعم
الكف عنهم ولو شاء الله ايمانهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهذا نص صريح في ان شركهم
كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرد الله من احد الكفر والشرك فالآية
رد عليهم وما جعلناك عليهم حفيظا اي رقيبا فتجازيهم باعمالهم وما انت عليهم بوكيل
اي فتجبرهم على الايمان وهذا قبل الامر بالقتال ولا تسبوا الذين يدعون اي يعبدون
من دون الله وهي الاصنام اي ولا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح
فيسبوا الله عدوا اي اعتداء وظلما بغير علم اي جهلا منهم بالله وبما يجب ان يذكر به
انه صلى الله عليه وسلم كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون
الهك فنزلت وقال الوبي لما حضرت ابا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا فلندخل
على هذا الرجل فلنامره ان ينهى عنا بنت اخيه فانا نستحي ان نقتله بعد موته فتقول العرب
كان ينصره عمه فلما مات قتلوه فانطلق ابو سفيان وابو جهل وابي بن خلف ومعهم جماعة
الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا والهتنا فحب ان تدعوه
وتنهاه عن ذكر الهتنا وندعه والهه فطلبه وقال هو لاء قومك وبنو اعمك يقولون تريد
ان تدعنا والهتنا وندعك والهك وقد انصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ارايتم ان اعطيتكم هذا فهل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب
ودانت لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشرة امثالها فما هي قال قولوا
لا اله الا الله فابوا ونفروا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فقال يا عم ما انا بالذي اقول
غيرها فقالوا لتكفن عن سبك او لنشتمنك ومن يامرك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبون بها
فنهوا لئلا يكون سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية
راجحة وجب تركها فانها يودي الى الشر كذلك اي كما زينا لهؤلاء ما هم عليه من عبادة
الاوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان زينا لكل امة عملهم من الخير والشر بما حرمناهم
ما يمكنهم منه وجعلهم عليه توفيقا وتخذيلا وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية
والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله تعالى خلق الكفر وتزيينه فهو الفعال لما يريد
لا يسأل عما يفعل ثم الى ربهم مرجعهم في الآخرة فينبئهم بما كانوا يعملون في الدنيا فيجازيهم
به واقسموا اي كفار مكة بالله جهد ايمانهم اي غاية اجتهادهم فيها لئن جاءتهم آية اي
مما اقترحوها ليؤمنن بها رويان قريشا قالوا يا محمد انك تخبرنا ان موسى كان معه عصى

يضرب بها الحجر

يضرب بها الحجر فينفجر منه الما اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى كان يحيي الموتى فاتنا من
الايات حتى نصدقك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اي شيء تحبون قالوا اجعل لنا
الصفا ذهبا وابعث لنا بعض اموات حتى نسأله عنك احق ما تقول ام باطل او ائتنا
بملائكة يشهدون ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت بعض ما تقولون
تصدقوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينزل لهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله
ان يجعل الصفا ذهبا فجاء جبريل عليه السلام فقال يا رسول الله ما شئت ان شئت اصبح
ذهبا ولكن ان لم يصدقوا ليعذبنهم الله وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فنزلت قال الله تعالى قل لهم انما الايات عند الله
ينزلها كيف يشاء وانما انا نذير وما يشعركم اي وما يدريكم ايها المسلمون بايمانهم اذا جاءت
فانهم كانوا يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم اي انتم لا تدرون ذلك انها اذا جاءت لا يؤمن
لما سبق في علمي وقرأ ابو عمرو بسكون الراء وروي عن الدوري اختلاس الضم وكسر الهمزة
هزا نافع ابن كثير وابو عمرو على الابتداء وقفا ثم الكلام عند قوله تعالى وما يشعركم
والباقون بالفتح فهي بمعنى لعل وهو شايع في كلام العرب تقول العرب ايت السوق تشتري
لنا شيا بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد اعاذل ما يدريك ان منيتي
الى ساعة في يوم او في ضحى الغد اي لعل منيتي وقرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتا
خطابا للكفار والباقون بالياء على الغيبة ونقلب افئدتهم اي ونحول قلوبهم عن الحق فلا
يفهمونه ونقلب ابصارهم عن الحق فلا يبصرونه فلا يؤمنون لان الله تعالى اذا صرف القلوب
والابصار عن الايمان بقيت على الكفر كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة اي التي
جاءهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغيره من المعجزات الباهرات وقيل
معجزات موسى وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى ولم يكفروا
بما اوتي موسى من قبل وروي عن ابن عباس ان المرة الاولى دار الدنيا اي لم يردوا من الآخرة
الى الدنيا نقلب افئدتهم وابصارهم عن الايمان كما لم يؤمنوا في الدنيا قبل مماتهم
كما قال تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ونذرهم اي نتركهم في طغيانهم يعمهون
اي يترددون متحيرين لا يهتدون هداية المتقين ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
وكلمهم الموتى كما اقترحوا وحشرنا اي جمعنا عليهم كل شيء قبلا قرأ نافع وابن عامر
بكسر القاف وفتح الباء اي معاينة فشهدوا بصدقك والباقون بضم القاف والباء اي

وقوله انها اذا جاءت لا يؤمنون على قراءة من كسر الهمزة ظاهر وعلى قراءة من فتحها
فيه وجهان احدهما ان لا بمعنى لعل كما قال لعلهم يؤمنون فعلى هذا يكون
المعنى وما يشعركم ايها المؤمنون لعلها اذا جاءت لا يؤمنون والثاني ان لا
زائدة كما في قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اي ان تسجد وعلى هذا يكون
المعنى وما يشعركم ايها المؤمنون انها اذا جاءت يؤمنون فعلى هذا يكون
الذين كانوا يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم هم المؤمنون
لما سبق في علمي

جمع قبيل اي فوجا فوجا ما كانوا ليؤمنوا الا ساعتئذ في علم الله وقوله تعالى الا ان يشاء الله
استثنا منقطع اي لكن ان شاء الله ايمانهم فيؤمنون او استثنا هز اعم الاحوال اي لا يؤمنون
في حال الاحوال بمشيئة الله تعالى ايمانهم ولكن اكثرهم يجهلون اي انهم لو اتوا بكل اية لم
لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم
لان بعضهم معاند مع ان مطلق الجهل يعمهم فيشمل المعاند ولكن اكثر المسلمين يجهلون
انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول هذه الاية طمعا في ايمانهم وكذلك اي ومثل ما جعلنا
لك اعداء من كفار الانس والجن جعلنا لكل نبي اي ممن كان قبلك عدوا ويبدل منه شياطين
اي مردة الانس والجن وفي هذا دليل على ان عداوة الكفرة للانبيا بفعل الله تعالى وخلقه
يوحي اي يوسوس بعضهم اي الشياطين من النوعين الى بعض زخرف القول اي موهمه من
الباطل غرورا اي لاجل ان يغروهم بذلك ولو شا ربك ايمانهم ما فعلوه اي هذا الذي
انبانا ك به من عداوتهم وما تفرع عليها وفي هذا دليل ايضا على المعتزلة فذرهم اي اتركهم
الكفرة على اي حالة اتفقت وما يفترون من الكفر وغيره مما زينوا لهم وهذا قبل الامر
بالقتال وقوله تعالى ولتصغى عطف على غرورا ان جعل علة اي ولتميل ميلا قويا اليه
اي المزخرف الباطل افئدة اي قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة اي ليس في طبعهم الايمان بها
لانها غيب وهم لبلادتهم واقفون مع وهمهم ولذلك استولت عليهم الدنيا التي هي محسوسة
الغرور او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا او المعتزلة لها اصطرفوا
فيه قالوا اللام لام العاقبة وهو قول الزمخشري في كشافه ان اللام للصيرورة وليوضوه
اي المزخرف الباطل لانفسهم وليقترفوا اي يكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام فيعاقبون
عليها ونزل لما قال مشركو قريش للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار
اليهود وان ثبت من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من امرك افغير الله اي
قل لهم يا محمد افغير الله ابتغي اي اطلب حكما اي قاضيا بيني وبينكم وهو الذي انزل
اليكم الكتاب اي الاكمل المعجز وهو هذا القران الذي هو تبيان لكل شئ مفصلا اي
مبينا فيه الحق من الباطل والذين اتيناهم الكتاب اي المعهود انزاله من التوراة والانجيل
والزبور يعلمون انه منزل من ربك بالحق لما عندهم به من البشايرفي كتبهم ولما له
من موافقتها في ذكر الاحكام المحكمة والمواعظ الحسنة وكثرة ذكر الله على وجوه ترق
القلوب وتفيض الدموع وتصدع الصدور مع ما زيد به على كتبهم من التفصيل بما بينهم
المعارف الالهية والمقامات الصوفية في ضمن الاحكام السياسية وانما وصف

جميعهم بالعلم

جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن بادنى تامل وقيل المراد
مومنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وقرا ابن عامر وحفص بفتح التا
وتشديد الزاي والباقون بكون النون وتخفيف الزاي فلا تكونن يا محمد من الممترين
اي الشاكين في ان علما الكتاب يعلمون ان هذا القران حق وانه منزل من عند الله
وقيل فلا تكونن في شك مما قصصنا فيكون من باب التخييف فانه صلى الله عليه
وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد
به غيره اي فلا تكونن ايها الانسان السامع لهذا القران في شك انه منزل من عند الله
لما فيه من الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى وتمت كلمات ربك
اي بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده وقرا عاصم وحمزة والكسائي بغير الف بين
الميم والتا والباقون بالالف صدقا في الاخبار والمواعيد لا يقدر احد ان يبدي في
شئ منها خدشا بتخلف تما عن مطابقة الواقع وعدلا اي في الاقضية والاحكام هو
ونصبهما على التمييز ويحتمل الحال والمفعول له لا مبدل لكلماته بنقض او خلو بل كل
ما اخبرت به فهو كائن لا محالة ترضى منه وسخط من سخط وقيل المراد بالكلمات
القران لا مبدل له لا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون وهو السميع لكل ما يقال العليم
بكل ما يفعل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله اي دينه واكثر اهل الارض
كانوا على الضلالة وقيل الارض مكة وذلك ان المشركين كما جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم
واملومنون في اكل الميتة قالوا للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فكيف تاكلون
ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فنزلت وقيل لا تطعهم في اعتقادانهم الفاسدة فانك
ان تطعهم يضلوك عن طريق الحق ومنهاج الصدق ثم علل تعالى ذلك بقوله ان اي لانهم ما
يتبعون اي في مجادلتهم لك الا الظن وهو ظنهم ان اباهم كانوا على الحق وان اي ما هم
الا يخرصون اي يكذبون على الله وجل فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة
الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحاير ونحو ذلك ان ربك هو اي لا غيره اعلم
اي عالم بمن يضل عن سبيله وهو اي لا غيره اعلم اي عالم بالمهتدين فيجازي كلا منهم
بما يستحقه وقوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين
يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله تعالى على ذبحه ولا تاكلوا مما
ذكر عليه اسم غيره او مما حقق انفه ان كنتم باياته مومنين اي ان كنتم محققين هو
بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فان الايمان يقتضي استباحة ما احله الله تعالى واجتناب

ما حرمه

ومالكم اي واي غرض لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وقد فصل اي بين
لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم في اية حرمت عليكم الميتة تفصيلا واضح البيان ظاهر
البرهان وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بضم الفاء وكسر الصاد والباقون بفتحهما
وقرا نافع وحفص بفتح الحاء والراء الباقون بضم الحاء وكسر الراء الا ما اضطررتم اليه اي مما
حرم عليكم فانه ابيح حلال حال الضرورة وان كثيرا اي من الذين يجادلونكم في اكل الميتة
ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم ليضلون باهوائهم
اي بما تهوى انفسهم من تحليل الميتة وغيرها وقرا عاصم وحمزة والكسائي بضم الياء
والباقون بفتحها بغير علم يعتمدونه في ذلك وقيل المراد بذلك عمرو ابن لحي كما مر دونه
من المشركين لانه اول من بحر البحاير وسيب السوايب واباح الميتة وغيرها من ابراهيم عليه
السلام ان ربك هو اعلم بالمعتدين اي الذين يتجاوزون الحق الى الباطل والحرام الى
الحلال وذروا اي اتركوا ظاهر الاثم وباطنه اي ما اعلنتم به وما اسررتم به من الذنوب
كلها وقيل المراد بظاهر الاثم افعال الجوارح وبباطنه افعال القلوب فيدخل فيه الحسد
والكبر والعجب وارادة الشر للمسلمين ونحو ذلك وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه
المراة يتخذها الرجل صديقة فيزنيها سرا ان الذين يكسبون الاثم في الدنيا بارتكاب
المعاصي سيجزون في الاخرة بما كانوا يقترفون اي يكتسبون وظاهر هذا النص يدل على
عقاب المذنب ومذهب اهل السنة انه اذا لم يتب فهو في خطر المشيئة ان شاء عاقبه وان شاء
عفا عنه بفضله اما اذا تاب من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب فان التايب من الذنب كمن
لا ذنب له ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الاية في تحريم الميتات
وما في معناها من المتخنقة وغيرها وقال عطا الاية في تحريم الذبايح التي كانوا يذبحونها
على اسم الاصنام واختلف اهل العلم في ذبيحة المسلم اذا لم يذكر اسم الله تعالى فذهب قوم
الى تحريمها سواء تركت التسمية عمدا ام نسيانا وهو قول ابن سيرين والشعبي واحتجوا
بظاهر الاية وذهب قوم الى حلها مطلقا يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول الشافعي واحمد
وذهب قوم الى انه اذا ترك التسمية عامدا لم تحل واكلها وهو مذهب مالك
ومن قال بالاباحة مطلقا قال المراد من الاية الميتات وما ذكي على غير اسم الله بدليل قوله
تعالى وانه لفسق اي ما ذكر عليه اسم غير الله كما قال تعالى في اخر السورة قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما الى قوله او فسقا اهل لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه
لا تاكلوا واحتجوا ايضا في اباحتها بما روى البخاري في صحيحه عن عايشة رضي الله تعالى عنها

قالت قالوا

قالت قالوا يا رسول الله ان ههنا اقواما حديثي عهدهم بشرك ياتوننا باللحمان فلا ندري
يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا فلو كانت التسمية شرطا
للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من الاكل كما ان الشك في اصل الذبح وان الشياطين
ليوحون اي يوسوسون الى اوليايهم من الكفار ليجادلوكم في تحليل الميتة بقولهم تاكلون
ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو اليوم التاويل يا لميتة وان اطعتموهم
اي في استحلال ما حرم انكم لمشركون اي مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على
ان كل من احل شيا مما حرم الله او حرم شيا مما احل الله فهو مشرك اومن كان ميتا
اي بالكفر فاحييناه اي بالايمان وانما جعل الكفر موتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي
صاحب بصر يهتدي به الى رشده ولما كان الايمان يهدي الى الفوز العظيم والحياة
الابدية شبه بالحياة وقرا نافع بتشديد الياء والباقون بالتخفيف وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس اي يتبصر به الحق من الباطل وهو الايمان وقال قتادة هو كتاب الله القران بينة
من الله مع المومن بها يعمل وبها ياخذ والبها ينتهي كمن مثله اي كمن هو في الظلمات
زايدة ليس بخارج منها وهو الكافر اي ليس مثله نزلت هذه الاية في حمزة بن عبد المطلب
رضي الله تعالى عنه وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس وحمزة لم
يومن بعد فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتفرع اليه وهو يقول يا ابا يعلى
ما تري ما جاء به سفه عقولنا وسفه احلامنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون
الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقيل في عمر بن الخطاب
او في عمار بن ياسر وابي جهل كذلك اي كما زين للمومنين ايمانهم زين للكافر في ما كانوا
يعملون اي من الكفر والمعاصي قال اهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى
زينا لهم اعمالهم وقالت المعتزلة هو الشيطان وفي الاية المذكورة وكذلك اي كما جعلنا
في مكة اكابر ها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اي عظماءها والاكابر جمع اكبر كما فضل وافاضل
واسود واساود وذلك سنة الله تعالى انه جعل في كل قرية اتباع الرسل ضعفاء
كما قال في قصة نوح انومن لك واتبعك الارذلون وجعل فاقهم اكابرهم ليمكروا فيها
بالصد عن الايمان وذلك انهم اجلسوا على طريق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم يقول لكل من يقدم ايا كم وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب
فكان هذا مكرهم وما يمكرون الا بانفسهم لان وبال مكرهم يحيق بهم وما يشعرون اي وما يعلمون

فقوله اي ليس مثله اه
جواب الاستفهام

وكذلك معطوف على
قوله كذلك زين اه

قوله بمجرميها اي فاعاقبها
فاعل جعلنا اول مفعوله الثاني
مضاف اليه اكابر ان اضيف
الى كل مفعول ثان اضيف
الى قرية اي جعلنا في كل
قرية اكابر مجرميها

نوع شعور بذلك واذا جاءتهم اي اهل مكة اية على صدق النبي صلى الله عليه وسلم قالوا
لن نؤمن به حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله اي من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة
قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا
واكثر منك مالا فنزلت وقالوا مفاعيل نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف
في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى الا ان ياتينا وحي
كما ياتيه وقوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة
ليست بالسن والمال وانما هي بفضايل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي
لرسالته من علم انه يصلح لها وحيث معقول به يفعل دل عليه اعلم لان افعل التفضيل
لا ينصب المفعول به اي يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه فيضعها وهو لا ليسوا
اهلا لها وقرابة كثير وعمرو نصب التاء ورفع الهاء ولا الف قبل التاء على التوحيد
والباقون بكسر التاء والهاء والف قبل التاء على الجمع سيصيب الذين اجرموا بقولهم صغار
اي ذل وهوان عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب اي مع الصغار
شديد اي في الدنيا بالقتل والاسر وفي الاخرة بالنار بما اي بسبب ما كانوا يمكرون من
صدهم الناس عن الايمان وطلبهم ما لا يستحقون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام بان يقذف في قلبه نورا فينفسح له ويقبله ولما نزلت هذه الاية قيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له
قلبه وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور
والاستعداد للموت قبل لقي الموت ومن يرد اي الله ان يضله يجعل صدره ضيقا
اي عن قبول الايمان حتى لا يدخله وقرا ابن كثير بكون الياء والباقون بتشديدها
مع الكسر وقوله تعالى حرجا قراه نافع وابو بكر بكسر الراء اي شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا للمصدر وفي الاية دليل على ان جميع الاشياء بمشيئة الله تعالى وارادته
حتى ايمان المؤمن وكفر الكافر كانما يصعد في السماء اي يشق عليه الايمان كما يشق عليه
صعود السماء شبه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه وقرا ابن كثير بسكون
الصاد وتخفيف العين من غير الف بعد الصاد وقرا شعبة بتشديد الصاد وتخفيف
العين والف بعد الصاد بمعنى يتصاعد كذلك اي مثل ما جعل الله الرجس على من اراد
ضلاله من اهل هذا الزمان يجعل الله الرجس اي العذاب او الشيطان اي يسلطه على
الذين لا يؤمنون وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الاخرة العذاب وهذا هو

اي الدين الذي انت عليه يا محمد صراط اي طريق ربك مستقيما لا عوج فيه ونصبه
على الحال المؤكدة بالجملة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا اي بينا الايات لقوم
يذكرون فيه ادغام التاء في الاصل في الذال اي يتعظون فيعلمون ان القادر على كل شيء
هو الله عز وجل وان كل شيء ما يحدث من خير او شر فهو بقضايه وخلقه وانه تعالى
عالم باحوال العباد وحكيم عادل فيما يفعل بهم وخصوا بالذكر لانهم المنتفعون لهم
اي المتذكرين دار السلام هي الجنة واضافها لنفسه في قول جميع المفسرين فان السلام
كما قال الحسن هو الله تعالى تنشر بنا لها او تحيتهم فيها سلام او اراد بها دار السلامة
عند ربهم اي ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم اي المتكفل بتولي امورهم
لا يكلهم الى احد سواه بما اي بسبب ما كانوا يعملون من الاعمال الصالحة التي كانوا
يتقربون بها اليه في الدنيا واذكر يا محمد يوم نحشرهم اي الخلق جميعا اي لا نترك منهم احدا
وقرا حفص بالياء والباقون بالنون وقوله تعالى يا معشر الجن فيه حذف تقديره ويقال لهم
يا معشر الجن والمعشر الجماعة والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اضلالهم
واغوايهم حتى صار اكثر هم اتباعكم وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم من الانس ربنا استمتع
بعضنا ببعض اي انتفع الانس بتزيين الجن لهم الشهوات والجن بطاعة الانس لهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي ان ذلك الاستمتاع كان الى اجل معين ووقت محدود
ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة قال الحسن الاجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب
في القيامة قال الله تعالى على لسان الملايكة لهؤلاء الذين استمتع بعضهم ببعض والجن
والانس النار مثواكم اي ماواكم خالدين فيها اي الى ما لا اخر له لان الاعمال بالنية
وقوكنتم على عزم ثابت انكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو الى ما لا اخر له فالجزاء من جنس العمل
الا ما شاء الله اي من الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم
يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يمين بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون
الرد الى الجحيم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول قدر مدة بقيهم ووقوفهم للحساب وقال
ابن عباس الاستثناء يرجع الى قوم سبق علم الله انهم ليسلمون فيخرجون من النار قال
البغوي وما بمعنى من على هذا التاويل ان ربك حكيم في صنعه عليم بعواقب امور خلقه
وما هم صايرون اليه وكذلك اي كما متعنا عصاة الانس والجن بعضهم ببعض نولي
الولاية بعض الظالمين بعضا اي على بعض روي عن ابن عباس في تفسيرها هو ان الله تعالى
اذا اراد بقوم خيرا ولى امورهم خيارهم واذا اراد الله بقوم شرا ولى امورهم شرارهم عاقبا بسبب

اي الدين الذي

ما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن الم ياتكم رسل اي من مجموعكم
وهم الانس اذ الرسل منهم خاصة ولكن لما جمع الجن مع الانس في الخطاب صح ذلك وتفسيره
قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فان ذلك يخرج من الملح دون العذب او ان رسل
الجن نذرهم الذين يسمعون كلام الرسول فيبلغون قومهم كما قال واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن الاية وتعلق بظاهر الاية قوم فقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم
يقصون عليكم اياتي اي يخبرونكم بما اوحي اليهم من اياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وعيدي لكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة
قالوا شهدنا على انفسنا اي اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذروهم
لقاء يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يصدقوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم
بالشرك والكفر قال الله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا اي انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم
الحياة وما لوا اليها وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اي في الدنيا فان قيل كيف
اقروا على انفسهم بالكفر في هذه الاية وجحدوا في اية اخرى وهي قوله والله ربنا ما كنا
مشركين اجيب بتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها
ويجحدون في بعض اخر فان قيل لم كرر شهادتهم على انفسهم اجيب بان الاولى حكاية لقولهم
كنى يقولون وكيف يفترون والثانية ذم لهم على سوء نظرهم وخطائهم فانهم اغتروا
بالحياة الدنيوية واللذات المحذجة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم
ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين
من مثل حالهم ذلك اي ارسال الرسل اي لاجل ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم
اي بسبب ظلم ارتكبوه واهلها غافلون اي لم ينبهوا برسول يبين لهم ولكل اي من العاملين
بطاعة او معصية درجات اي جزاء مما عملوا اي من خير وشر ان كان خيرا فخير وان كان
شرا فشر وانما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج وما ربك
بغافل عما يعملون اي عن شيء يعمله احد من المكلفين بل هو عالم بكل شيء من ذلك
وبما يستحقه العامل من ثواب او عقاب وقرابة عاصم بالتاء على الخطاب وربك الغني
اي الغني المطلق عن كل عابد وعبادته فالعمل العامل لنفع نفسه او ضرها ذو الرحمة
اي التجاوز عن خلقه فمن رحمته ارسال الرسل وتاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون
ويوجبون ان يشا يذهبكم يا اهل مكة بالاهلاك ففيه وعيد وتهديد بليغ ويستخلف
من بعدهم اي بعد اهلاكهم ما يشا اي خلقا غيركم امثل واطوع منكم كما انشاكم من ذرية

اي نسل

قوله اهلك والقرى اي اهلها كما يقتضيه
خذف مضاف وقوله ربك اسم كان ع ط
وقوله مهلك خبرها ع ط

قوله ولكل اي من
الفريقين الانس والجن
وقوله ربك اسم كان
وقوله بغافل خبرها
وقوله عما يعملون
متعلق بغافل والجر
بالفتحة لانه لا ينصرف
للعلمية والتانيث
والجمع بالالف والتاء
ع ط

قوله الغني خبر وقوله
ذو الرحمة خبر ثان
واخبر بالثاني لقوله في
الاية ع ط

قوله ان يشا ان حرف تركيد ونصب
وما المصدرية والفعل بعدها في تاويل
بمصدر منصوب على الظرفية اي ان
يشا اذهابكم وقوله كما انشاكم
متعلق بيذهبكم اي ان يشا اذهابكم
ذهابا كائنا كانشائكم الخ ع ط

اي نسل قوم اخرين اذهبهم ثم لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه
السلام ولكنه ابقاكم رحمة لكم انما توعدون من مجي الساعة والبعث بعد الموت والحشر
للحساب يوم القيامة لات لا محالة وما انتم بمعجزين اي فائتين عذابا قل يا محمد لقومك
من كفار قريش يا قوم اعملوا على مكانتكم اي حالتكم التي انتم عليها اني عامل على حالتي
التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى
مصابرتكم والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد فسوف تعلمون عند فوات النجاة
من موصولة مفعول العلم تكون له عاقبة الدار اي العاقبة المحمودة في الدار الاخرة
اختام انتم انه لا يفلح اي لا يسعد الظالمون الكافرون وجعلوا اي كفار مكة لله
مما ذرا اي خلق من الحرث اي الزرع والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا وذلك ان المشركين كانوا يجعلون لله من حرثهم وانعامهم وثمارهم
وسائر اموالهم نصيبا وللاوثان نصيبا مما جعلوه لله صرفوه الى الضيفان والمساكين
وما جعلوه للاصنام انفقوه على الاصنام وخدمها فان سقط شيء مما جعلوه لله
في نصيب الاوثان تركوه وان الله غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاوثان فيما
جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك مما جعلوه للاصنام جبروه
جعلوه لله لم يبالوا به واذا هلك شيء مما جعلوه لله اخذوا بدله مما جعلوه للاصنام ذلك
قوله فما كان لشركائهم اي ما جعلوه لها من الحرث والانعام فلا يصل الى الله اي
لجهته فلا يعطونه المساكين ولا ينفقونه على الضيفان وما كان لله فهو يصل الى
شركائهم وفي قوله تعالى وفي قوله تعالى ذرا تشبيه على قرط جهالتهم فانهم اشركوا
الخالق في خلقه جهادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكي له وفي قوله تعالى
بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اختلقوه لم يامرهم الله تعالى به وقرا الكسائي برفع الزاي
والباقون بالنصب اي بسبب ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك اي ومثل ما زين لجميع
المشركين تضييع اموالهم والكفر بهم شركاؤهم زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
اي بالوأد خشية الاملاق شركاؤهم من الجن او من السدنة اي الخدمة وقرا غير ابن عامر
بفتح الزاي واليا ونصب لام قتل وكسر دال اولادهم وشركاؤهم بالواو مضمومة الهمزة
على انه فاعل وقرا ابن عامر بضم الزاي وكسر اليا ورفع لام قتل ونصب دال اولادهم
وشركائهم باليا مكسورة الهمزة باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله قال
البيضاوي يتبعا للزمخشري وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورة الشعر انتهى

وقوانكم جماعة على ان محشي في ذلك بان القراة المذكورة صحيحة متواترة وتركيبها صحيح
في العربية فلا يجوز الطعن فيها ولا في ناقلها قال التفتازاني وهذا على عادته يطعن في
متواتر القراءات السبع ويسند الخطا تارة اليهم كما هنا وتارة الى الرواة عنهم وكلاهما خطا
لان القران متواترة وكذا الروايات عنهم واطال في بيان ذلك وقال بن مالك في شرح كافيته
اضافة المصدر الى الفاعل مفعولا بينهما بمفعول المصدر جايزة في الاختيار اذا لم يحذر
فيما مع ان الفاعل اخر من عامله فلا يضر فصله واضافة القتل الى الشركا لانهم اليردوهم
اي ليهلكوهم بذلك الفعل الذي امروهم به والارداء في اللغة الاهلاك وقال بن عباس ليردوهم
في النار وليلبسوا اي وليخلطوا عليهم دينهم قال بن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم
وكانوا على دين ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام فوصفوا لهم هذه الاصنام
وزينوها لهم ولو شاء الله عصمة هو لا من ذلك الفعل القبيح الذي زين لهم ما فعلوه
بجميع الاشياء مشيته وارادته فذرهم اي اتركهم يا محمد وما يفترون اي وما يختلقون
من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد وفي ذلك تهديد لهم كما مر وقالوا اي المشركون
سفها وجهلا هذه اشارة الى قطعة من اموالهم عينوها لالهتهم انعام وحرث حجر
اي حرام محجور عليه لا يصل احد اليه وهو وصف يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث
لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات لا يطعمها اي لا ياكل منها الا من نشاء اي من خدمة الاوثان
والرجال دون النساء بزعمهم اي لا حجة لهم فيه وانعام حرمت ظهورها فلا يركبونها
كالبحاير والسوايب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها اي عند ذبحها وانما كانوا
يذكرون عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل خبيث لان العادة لم تجر
بذكر الله على فعل الخبيث ذم هو لا على تركه فعل الخير وتوا ما فعلوه اي الله تعالى افتراء
عليه اي اختلاقا وكذبا انه امرهم بها سيجزيهم اي بوعد صادق لا خلف فيه بما اي بسبب
ما كانوا يفترون عليه وقالوا ما في بطون هذه الانعام اي اجنة البحاير والسوايب وقوله
تعالى خالصة حال لذكورنا اي خاصة بهم دون الاوثان كما قال تعالى ومحرم على ازواجنا
اي اناثنا وحذف الهاء من محرم اما حملا على اللفظ او تخفيفا لان المراد بخالصة المبالغة
وان يكن اي ما في بطونها ميتة فهم فيه شركا اي الذكور والاناث فيه سوا اي ان ما ولد
منها حيا فهو للذكور دون الاناث وما ولد منها ميتا كان الذكور والاناث فيه سوا وقراه
ابن عامر وشعبة بالتانيث في تكن والباقون بالتذكير وقرا بن كثير وابن عامر ميتة بالرفع
على ان تكن تامة والباقون بالنصب على انها ناقصة سيجزيهم اي الله وصفهم اي سبب

ي ففيها اربع قراات بالتاء
رفع ميتة ونصبها وبالياء
كذلك اهـ

فلي وصفهم

على وصفهم بالكذب على الله بالتحليل والتحريم انه اي الله حكيم في صنعه عليم بخلقه
قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها اي جهلا بغير علم نزلت في ربيعة ومضر وبعض من
العرب من غيرهم وكانوا يدفنون البنات احيا مخافة السبي والفقر وكانوا بنواحي كنانة
لا يفعلون ذلك وسبب حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه بان الله هو الرازق
اولادهم لان الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا
سموا جاهلية وسبب هذا الخسران ان الولد نعمة عظيمة انعم الله تعالى بها على الوالد فاذا
تسبب في ازالة هذه النعمة وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة
اما خسارته في الدنيا فلسعيه في نقص عدده وازالة ما انعم الله تعالى به عليه واما خسارته
في الاخرة فقد استوجب بذلك العذاب العظيم وقرا ابن كثير وابو عامر بتشديد التا والباقون
بالتخفيف وحرموا ما رزقهم الله وتفضل به عليهم رحمة لهم من تلك الانعام والثمار ه
بغير شرع ولا تبع بوجه افتراء اي تعمد الكذب على الله وهذا ايضا من اعظم الجهالة لان الافتراء
على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب واكبر الكباير ولهذا قال تعالى قد ضلوا اي في
فعلهم عن الحق والرشاد وما كانوا مهتدين اي الى طريق الحق والصواب في فعلهم روي
عن بن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال اذا سالك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق
الثلاثين وماية في سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها الى قوله وما كانوا
مهتدين وروى عن مهدي بن ميمون انه قال سمعت ان ابا رجا العطاردي يقول كنا نعبد
الحجر فاذا وجدنا حجرا احسن منه القيناه واخذنا الاخر فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثوة من تراب
ثم جيينا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به فاذا دخل شهر رجب قلنا نصيل الاسنة فلا ندع
رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة الا نزعناه فالقيناه شهر رجب وهو الذي ياتي
اي خلق جنات اي بساتين معروشات اي مبسوطات على الارض كالبطيخ والقثاء وغير معروشات
بان ارتفعت على ساق كالنخل وشجر الرمان وقال الضحاك كلاهما في الكرم خامة لان منه
ما يعرش بان يبسط على وجه الارض منبسطا ومنه ما لم يعرش بان يرتفع على ساق وقيل
المعروشات ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به فرفعوه من كرم وغيره وغير المعروشات
هو ما انبته الله تعالى في البوادي والجبال من كرم او شجر واشا النخل والزرع مختلفا اكله
اي ثمره وحبه في الهيئة والطعم منها الحلو والحامض والجيد والردي والضمير للزرع ه
والباقي معطوف عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع وعلى
تقدير كل ذلك اوكل واحد منها مختلفا حالا مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشا

وقرا نافع وابن كثير بضم الكاف والباقون بالرفع والزيتون والرمان متشابها اي ورقهما
وغير متشابه اي في طعمهما وقيل متشابهين في المنظر مختلفين في الطعم ولما ذكر الله
تعالى ما انعم به على عباده من خلق هذه الجنات المحتوية على انواع الثمار ذكر ما هو
المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك
اذا اثمر اي وه قبل نضجه وهذا امر اباحة واما قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده
فالامر فيه للوجوب والاية مدنية والحق هو الزكاة المفروضة والامر باتيانها يوم الحصاد
ليتم به حينئذ حتى لا يؤخره عن اول وقت يمكن فيه الايتاء وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتنقية وقيل الاية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فالحق ما لكان يتصدق به على
المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقرا حمزة
والكسائي يرفع الثاء والباقون من ثمره والباقون بضمهما وقرا ابو عمرو وابن عامر وعاصم بفتح
حاء حصاده والباقون بكسرها ومعناهما واحد ولا تسرفوا اي باعطاء كله فلا يبقى لعياله
شيء روي ان ثابت ابن قيس صرم نخلة وقسمها في يوم واحد ولم يتوخ الاهل شيا
فقوله انه لا يحب المسرفين اي المتجاوزين ما حد لهم وفي ذلك وعيد وزجر عن الاسراف
في كل شيء قال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله تعالى وقال لو كان ابو قبيس ذهبا
لرجل انفقه في طاعة الله لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا في معصية كان مسرفا وقوله
تعالى ومن الانعام عطف على جنات اي وانشا من الانعام حمولة اي صالحة للحمل عليها كالابل
الكبار وفرشا اي لا تصلح للحمل كالابل الصغار والمعز والحمل والغنم سميت فرشا لانها كالفرش
للارض لدنوها منه وقيل هي ما ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش كلوا مما رزقكم
الله اي مما احله لكم من هذه الانعام والحرث ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي طرائقه
في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية وقرا نافع وابن عامر وحفص
والكسائي بضم الطاء والباقون بالسكون انه اي الشيطان لكم عدو مبين اي بين العداوة
وقوله تعالى ثمانية ازواج اي اصناف بدل من حمولة وفرشا والزوج لغة الفرد اذا كان
معه اخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين هو
فيقال للذكر زوج وللانثى زوج من الضان زوجين اثنين اي ذكر وانثى والضان
ذوات الصوف من الغنم والذكر ضائن والانثى ضائنة والجمع ضوائن ومن المعز زوجين
اثنين اي ذكر وانثى فقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بفتح العين والباقون بالسكون
والمعز والمعزى جمع الا واحد له من لفظه وهي ذوات الشعر من الغنم قال البغوي جمع الماعز

معيز وجمع

معيز وجمع الماعزة مواعز قل يا محمد لمن حرم ذكور الانعام تارة واناثها اخرى
واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة ونسبوا ذلك الله آلذكرين
من الضان والمعز حرم الله عليكم ام الانثيين منهما اي ام حرم ما اشتملت اي
انضمت عليه ارحام الانثيين ذكر الحمل او انثى نبئوني اي اخبروني بعلم عن كيفية
ذلك بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في
دعواكم والاستفهام للانكار والمعنى من اين جا التحريم فان كان من قبل الذكورة تجمع
الذكور حرام وان كان من قبل الانوثة تجمع الاناث حرام ومن قبل اشتمال الرحم فالرحم
حرام فمن اين التخصيص تنبيه اتفق القراء على ان في همزة الوصل وهي التي بين همزة
الاستفهام ولام التعريف وجهان وهما البدل والتسهيل والبدل هو مدها والتسهيل
هو ان يقصر بها مسهلة ومن الابل اثنين ذكر وانثى ومن البقر اثنين كذلك قل يا محمد لهؤلاء
الذين اختلقوا جهلا وسفها الذكرين حرم الله عليكم ام الانثيين منهما اي ام حرم ما
اشتملت اي انضمت عليه ارحام الانثيين ذكرا كان او انثى ام كنتم اي بل كنتم شهدا
اي حاضرين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق
فلكم الى معرفة امثال ذلك الا بالمشاهدة والسماع فكيف تثبتون هذه الاحكام
وتنسبونها الى الله تعالى ولما احتج عليهم بهذه الحجة وبين لهم انه لا مستند لهم في ذلك
قال تعالى فمن اي لا احد اظلم ممن افترى اي تعمد من افترى على الله كذبا كعمرو بن لحي
فانه اول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا
الوعيد كل من كان على طريقته او ابتدا شيا لم يامر الله به ورسوله ونسب ذلك الى الله تعالى
لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس منه ليضل الناس بغير
علم فهو داخل في هذا الوعيد ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يرشده ولا يوفق
من كذب عليه واضاف اليه ما لم يشرع لعباده ولما بين سبحانه وتعالى فساد طريقة اهل
الجاهلية وما حرموا على انفسهم من التحريم والتحليل من عند انفسهم واتباع اهوائهم فيما
احلوه وحرموه من المطعومات انتقد بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتحليل
لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال تعالى قل يا محمد لهؤلاء الجهلة الذين يحلون
ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحي الي محرما اي طعاما محرما من ما حرمتموه فائدة
في ما اوحي في مقطوعة من ما في الرسم على طاعم اي طاعم كان من ذكر او انثى يطعمه اي يتناوله
كالوحش والطير والآدمي وانما ذكر ذلك لان الطعام ميتة وهي كل ما زالت حياته

بغير ذكاة شرعية وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة تكون بالتانيث والباقون بالتذكير
ورفع ميتة بن عامر على ان كان هي التامة وعلى هذه القراءة يكون قوله تعالى او دما
مسفوحا عطفا على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم
في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه اي لحم الخنزير رجس اي نجس فالضمير يعود
على المضاف اليه لان اللحم دخل في قوله ميتة وحينئذ في الاية دلالة على نجاسة الخنزير
وهو حي فلحمه وكذا ساير اجزايه بطريق الاولى ثم اني رايتا البقاعي في نقيضه جرى على
ذلك وقوله تعالى او فسقا اهل لغير الله به اي ذبح على اسم غيره عطف على لحم خنزير
وما بينهما اعتراض للتعليل تنبيه ظاهر الاية ان المحرمات محصورة في هذه الاربعة
وانه لا يحرم شيء من ساير المطعومات والحيوانات غيرها وفي الميتة والدم المسفوح
ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله تعالى ويروى ذلك عن ابن عباس وعايشة
وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم لانه ثبت انه لا طريق الى معرفة المحرمات الا بوحي
وثبت ان الله تعالى نص في هذه الاية على هذه الاربعة اشياء وقال تعالى في سورة البقرة
انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وانما تفيد الحصر فصارت هذه
الاية المدنية مطابقة للاية المكية في الحكم ولكن الذي ذهب اليه جمهور العلماء ان التحريم
لا يختص بهذه فقط بل المحرم ما كان في نص كتاب او سنة وقد وردت السنة بتحريم اشياء
غير ذلك منها تحريم لحوم الاهلية وكل ذي ناب من السباع او مخلب من الطيور وورد
النهي عن اكل الهر واكل ثمنه ويحرم ايضا كل ما امر بقتله كالحداة والغراب الابقع او نهي
عن قتله كالهدهد والخفاش وما لا نص فيه بتحريم او تحليل ويهما يدل على احدهما كالامر
بالقتل والنهي عنه ان استطابه عرب ذوو يسار وطباع سليمة حل وان استخبثه
فلا يحل فان اختلفوا في استطابته اتبع الاكثر فان استووا فقريش لانهم قطب العرب وفيهم
الفترة فان اختلفت اولم تعلم شيء اعتبر الاشبه به من الحيوانات فان استوى الشبهات
او لم يوجد ما يشبهه فحلال لهذه الاية وما جهل اسمه عمل بتسمية الرب له مما هو
حلال او حرام ولما حرم الله تعالى هذه الاشياء اباح اكلها عند الاضطرار بقوله تعالى
فمن اضطر اي حمل له جوع خشي منه التلف غير باغ اي على مضطر مثله ولا عاد اي ولا
متجاوز قدر الضرورة وقرا نافع وابن كثير وابن عامر والكسايي بضم النون في الوصل هنا
والباقون بالكسر فان ربك غفور لا يؤاخذه بالاكل رحيم به حيث اباح له ذلك وعلى
الذين هادوا اي اليهود واليهود علم على قوم موسى عليه السلام وسموا اشتقاقا من هادوا

ايما لوا

ايما لوا اما عن عبادة العجل واما عن دين موسى عليه السلام او منهما واذا رجع
من خير الى شر او من شر الى خير لكثرة انتقالهم من مذاهبهم وقيل لانهم تابوا
اي تابوا فسموا يهودا ثم حذف الياء في الجمع فقيل يهود حرمنا اي بسبب ظلمهم عليهم كل ذي
ظفر اي ما هو كالاصبع للادمي من دابة او طير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم
فلما ظلموا حرم عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهذا البقر والغنم اي التي هي من ذوات الاظلاف حرمنا
عليهم شحومهما اي الصفين والمواد شحم الجوف وهو الثرب قال الجوهري هو شحم قد
غشي الكرش والامعاء رقيق ثم استثنى من الشحوم ما ذكره بقوله الا ما حملت ظهورهما
اي الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما او الحوايا اي ما حملته الحوايا وهي الامعاء
التي هي معاطفة متلوية جمع حوية فوزنها فعايل كسفينة وسفاين وقيل جمع حاوية
او حاوياء كاصفاء صفاهو فواعل او ما اختلط اي من الشحوم بعظم مثل شحم الالية فان
ذلك لا يحرم عليهم روي انه صلى الله عليه وسلم قال عام الفتح وهو بمكة ان الله ورسوله
حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام فقيل يا رسول الله ارايت شحوم الميتة فانها
يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام اي بيعها
ثم قال صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود ان الله تعالى لما حرم عليهم شحومها
اجملوه اي اذابوه ثم باعوه واكلوا ثمنه ذلك اي التحريم العظيم وهو تحريم الطيبات هو
جزيناهم به ببغيهم اي بسبب مجاوزتهم الحدود وانا لصادقون اي في الاخبار عما حرمنا عليهم وعن بغيهم فان كذبوك اي اليهود يا محمد فيما اخبرناك به عنهم فقل لهم
ربكم ذو رحمة واسعة اي بتاخير العقاب عنكم فلم يعاجلكم بالعقوبة وفي ذلك تلطف
بدعايهم الى الايمان ولا يرد باسه اي عقابه عن القوم المجرمين اذا جاء وقته وقيل ذو رحمة
واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين وقوله تعالى سيقول الذين اشركوا
اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه ولما الزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان
ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا ابانا
ولا حرمنا من شيء اراد وان يجعلوا قولهم لو شاء الله ما اشركنا حجة لهم على اقامتهم
على الشرك وقالوا ان الله قادر على ان يحول ما بيننا وبين ما نحن فيه حتى لا نفعله
فلولا انه رضي ما نحن فيه واراده منا وامرنا به لحال بيننا وبين ذلك فقال الله تعالى

تكويبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم اي من كفار الامم الخالية حتى ذاقوا بأسنا اي عذابنا
ويستدل اهل القدر بهذه الاية يقولون انهم لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورده
عليهم فقال كذلك كذب الذين من قبلهم واجاب اهل السنة بان التكذيب ليس لوشاء الله ما اشركنا
بل ذلك القول صدق ولكن في قولهم ان الله امرنا بها ورضي ما نحن عليه كما اخبر تعالى
عنهم في سورة الاعراف واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها قد
فاكذبهم الله في هذا كما قال تعالى قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل على ان التكذيب ورد فيما
قلنا لا في قولهم لوشاء الله ما اشركنا قوله تعالى كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان
كذلك لكذبوا من الله عز وجل في قولهم لوشاء الله ما اشركنا لقال كذب الذين من قبلهم بالتخفيف
وكان ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسن بن الفضل لو ذكرها هذه المقالة تعظيما
واجلالا لله تعالى ومعرفة منهم لما عابهم بذلك لان الله تعالى قال ولوشاء الله ما اشركوا
وقال تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله والمؤمنون يقولون ذلك ولكن المشركين قالوا
تكذيبا وتحرضا وجدلا من غير معرفة بالله وبما يقولون لنطير قوله تعالى وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم قال الله تعالى رادا لقولهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقد علم من
ذلك ان امر الله تعالى بمعزل عن مشيئته وارادته فانه مريد لجميع الكائنات غير امر لجميع
ما يريد وعلى العبد ان يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيته فان مشيته لا تكون عذرا لاحد
قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين ما ذكروا هل عندكم ايها الجهلة هل عندكم اي من امر معلوم يصح
الاحتجاج به على ما زعمتم من تحريم ما حرمتم وان الله راض بشرككم فتخرجوه لنا اي فتظهروه
لنا وتبينوه كما بينا لكم حظاكم ان اي ما تتبعون في ذلك الا الظن اي فيما انتم عليه ولا علم
عندكم وان انتم الا تخرصون اي وما انتم في ذلك كله الا تكذبون وتقولون على الله الباطل
قال لهم حين عجز واعن اظهار الحجة فلله الحجة البالغة اي التامة على خلقه بانزال الكتب
وارسال الرسل قال الربيع بن انس لا حجة عصى الله واشرك به على الله ولكن لله الحجة البالغة
على عباده فلو شاء الله هداية كم لهداكم اجمعين ولكنه لم يشأ ذلك بل شاء هداية بعضكم وضلال
بعضكم اخر فوقع ذلك على الوجه الذي شاءه لا يسأل عما يفعل قل لهم هلم اي احضروا شهداءكم
الذين يشهدون لكم ان الله حرم هذا اي ما تقدم من تحريمهم الاشياء على انفسهم ودعواهم
ان الله امرهم به وهلم اسم فعل لا يتصرف يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر
والمؤنث عند الحجازيين وعند بني تميم فعل يؤنث ويثنى ويجمع فان شهدوا اي فان
تجازوا على الشهادة كذبا فلا تشهد معهم اي فان كتموا ولا تتبعهم فانهم على ضلال وليست

شهاداتهم

شهاداتهم مستندة الا الى الهوى ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا انما وضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان تكذيب الايات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا
مصدقا بها ولا يتبع الذين لا يؤمنون بالاخرة التي هي دار الجزاء فانهم لوجوزوها ما اجترؤا
على ذلك وهم بربهم يعدلون اي يشركون فيجعلون له عديلا قل لهم تعالوا اقبل على
اتل اي اقرأ ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيأ وذلك انهم سألوا وقالوا الى اتوى حرم
الله فامر الله تعالى نبيه ان يبين لهم ذلك فان قيل ما معنى قوله تعالى حرم ربكم عليكم ان
ان لا تشركوا به والمحرم هو الشرك لا ترك الشرك اجيب بان موضع ان رفع اي هو
ان لا تشركوا وقيل نصب واختلفوا في وجهه فقيل معناه حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به
والصلة كقوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اي ما منعك ان تسجد وقيل تم الكلام عند قوله
حرم ربكم ثم قال عليكم ان لا تشركوا به شيأ على وجه الاغراء قال الزجاج يجوز ان يكون هذا
محمولا على المعنى اي اتل عليكم تحريم الشرك وجائز على ان يكون على معنى وصيكم ان لا تشركوا
وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهم احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة
والدلالة على ان ترك الاساءة في شأنهما غير كاف بجلاء غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق
اي من اجل فقر تخافونه والمراد بالقتل واد البنات وهن احياء وكانت العرب تفعل ذلك
في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم رد
لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واستجاج عليه لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد
والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في امر الرزق على الله ولا تقربوا
الفواحش اي سائر المعاصي ما ظهر منها وما بطن اي علانيتها وسرها وقيل المراد الزنا
اي علانية وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في
السر فحرم الله عز وجل الزنا في السر والعلانية واجاب الاولون بان السبب اذا كان خاصا فهو
لا يمنع من حمل اللفظ على العموم ثم صرح بالقتل لشدة امره بالتخصيص بعد التعميم فقال
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله عليكم قتلها الا بالحق وهي التي ابيح قتلها بردة او قصاص
او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم او نحو ذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ
مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس
والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به اي امركم
به وأوجبه عليكم لعلكم تعقلون اي تتدبرون ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع
فان كمال العقل هو التدبر ولا تقربوا مال اليتيم اي بنوع من انواع عمل فيه او غيره الا بالتي

ضع

ربع خز

ايه بالخصلة التي هي احسن بماله كحفظه وتنميته وتثميره وليستمر ذلك حتى يبلغ اشده
وهو سن يبلغ به اوان حصول عقله عادة وهو البلوغ بالسن او الاحتلام وعقل يحصل به رشده
وقيل الاشد من الثماني عشرة الى ثلاثين سنة وقيل الى اربعين وقيل الى ستين او وفوا ايها
الكيل والميزان بالقسط اي العدل من غير تفريط ولا افراط لا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها ايفاء
الكيل والميزان لم يكلفنا المعطي اكثر ما وجب عليه ولم يكلفنا صاحب الحق الرضي باقل من حقه حتى
لا تضيق نفسه عليه بل امر كل واحد منهما بما يسعه مما لا حرج عليه فيه وذكره عقب الامر
معناه ان الايفاء الذي عسر فعليكم بما في وسعكم وما وراء الوسع معفو عنه واذا قلتم اي في
حكم او شهادة او غير ذلك فاعدلوا فيه بالصدق ولو كان المقول له او عليه ذا قربى اي من ذوي
قرابتكم وبعهد الله اوفوا اي ما عاهدكم اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم
اي الذي ذكر في هذه الايات وصاكم به لعلكم تذكرون اي تتعظون فتاخذون بما
امركم به وقرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وان هذا اي الذي
وصيتكم به صراطي مستقيما والاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد
والنبوة وبيان الشريعة وقرا ابن عامر بتخفيف النون والباقون بالتشديد وكسر الهمزة حمزة
والكسائي على الاستيناف وفتحها الباقون على تقدير اللام وفتح الياء من صراطي ابن عامر ويعقوب
الباقون وتقدم مذهب قنبل في الصراط بالسين ومذهب خلف باشمام الصاد فاتبعوه اي بغاية
جهدكم لانه الجامع للعباد على الحق الذي فيه كل خير ولا تتبع السبل اي الطرق المختلفة لدين الاسلام
فتفرق فيه حذف احدى التاءين اي فتميل بكم اي هذه الطرق المضلة عن سبيله اي طريقه التي
ارتضاها لعباده وبه اوصى ذلكم اي الامر العظيم من اتباعه وما كم به لعلكم تتقون التفرق
والتفرق عن الحق روي انه صلى الله عليه وسلم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل
على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ثم اتينا موسى
الكتاب اي التوراة فان قيل ثم للترتيب واتيا موسى الكتاب كان قبل مجي القرآن اجيب
بان ثم لترتيب الاخبار اي ثم اخبركم ان اتينا موسى الكتاب فدخل ثم لترتيب الخبر لا لتاخير
النزول وقوله تعالى تماما على الذي احسن اي اتى به الاحسان فاثبت لاحسن وجمعه
بما بين من الشرع وبما تحتاج اليه اهل الارض به من الاهلاك العام روي ان الله تعالى لما هلك
قوما هلاكا عاما بعد نزول التوراة وقيل تماما على المحسنين من قوم موسى فيكون الذي
بمعنى هنا اي على من احسن من قومه وكان فيهم محسن ومسيء وقيل الذي احسن هو موسى
اي اتماما للنعمة عليه لاحسانه بالعبادة والذي بمعنى ما اي على ما احسن وقوله تعالى

وتفصيلا
فيجوز ان يكون عاما وتفصيلا منصوبا على المفعول له او على المصدر لان التفصيل نوع من التبيين او حال اي مفصلا كل شيء

ايضا اه

اي لان العلة فهو علة لقوله فاتبعوه علة قدمت على معلولها

قوله فتفرق هو فعل مضارع حذف احد تاءيه وهو جواب النهي اه

قوله اشده وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر وآصر وقيل مفرد كآنك اه بيضاوي

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دعنده الايات محكمات الآيات وفيل انهن ام الكتاب وفيل انهن اول ما نزل من القرآن وعن كعب ايضا انهن اول ما نزل من التوراة ثم خص من جملتهن عشر كلمات فجمعهن في الالواح ثم جمع بين العشر والمائة التي في الالواح فجعلها مائة وعشر كلمات ثم انزلها على موسى في الالواح وهذا يدل على ان التوراة انزلت مفرقة وهذا خطا نقل من خط الحاشية

وتفصيلا عطف على تماما اي وبيانا لكل شيء اي يحتاج اليه في الدين وهدى اي فيه هدى من الضلالة ورحمة اي لمن اتاه عليهم رحمتهم لعلهم اي بني اسرائيل بلقاء ربهم اي بالبعث والجزاء يومنون اي ليكون حالهم بعد انزال الكتاب لما يرون من حسن شانه وفخامة كلامه وجلالة امره حال من يرجو ان يجد الايمان في كل وقت بلقاء ربه ولينذكروا ما انعم به عليهم من اخراجهم من مصر من العبودية والرق وهذا اي القرآن كتاب اي عظيم انزلناه اليكم نفسانكم حجة عليكم مبارك اي كثير الخير والنفع والبركة فاتبعوه اي اتبعوا ما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام واتقوا الكفر لعلكم ترحمون اي بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ثم بين تعالى المراد من انزاله فقال ان اي كراهة ان تقولوا انما انزل الكتاب اي التوراة والانجيل على طايفتين من قبلنا اي اليهود والنصارى وان كنا اي وقد كنا وان هي المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة بينها وبين النافية في خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم اي قراءتهم لكتابهم قراءة مرتدة لغافلين اي لا نعرف حقيقتها ولا ثبت عندنا حقيتها ولا هي بلساننا او تقولوا اي ايها العرب لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا عالمين بها ولكنه لا يجب اتباع الكتاب الا على المكتوب اليه فلم نتبعه ولو انا اهلنا لما اهلوا له حتى انزل علينا الكتاب اي جنسه لكنا اهدى منهم اي لما لنا من الاستعداد بوفور العقل وحدة الاذهان هو واستقامة الافكار واعتدال الامزجة والاذعان للحق فقد جاءكم بينة من ربكم اي القرآن فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها على لسان رجل منكم تعرفون انه اولاكم بذلك وقوي من الضلالة لمن تدبره ورحمة اي وهو رحمة ونعمة انعم به عليكم فتاملوا فيه واعملوا به فمن اي لا احد اظلم ممن كذب بايات الله وصدف اي اعرض عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا ولا يتوبون سوء العذاب اي شدته بما كانوا يصدفون اي بسبب اعراضهم هل ينظرون اي ما ينظر هؤلاء المكذبون الا ان تاتيهم الملايكة اي لقبض ارواحهم او بالعذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التانيث او ياتي ربك اي امره بالعذاب او ياتي بعض ايات اي علامات ربك الدالة على الساعة كطلوع الشمس من مغربها وعن حذيفة والتذكير باعتبار كونها تذكيرا للساعة او طلوع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من قعر عدن ترحل الناس اه

قوله هل ينظرون الاستفهام للانكار بمعنى النفي اه ع ط

قوله دراستهم مصدر مضاف لفاعله اي يدرسونهم اه

قوله دابة وهي فصيل ناقة صالح وهي التي تكلم الناس اه

تخرج من عدن يوم يأتي بعض ايات ربك وهو بلوغ الشمس من مغربها كما في حديث
الصحيحين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل صفة لقوله تعالى نفسا
او تعالم تكن كسبت في ايمانها خيرا اي طاعة اي لا ينفعها توبتها قال صلى الله عليه وسلم
يوا الله بسيطان يلقى الليل ليتوب بالنهار ويلقى النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس
من مغربها وقال صلى الله عليه وسلم من تاب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه
وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة
لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجت فلا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل الدجال والدابة وطلوع الشمس من المغرب قل انتظروا بعض
هذه الاشيا انا منتظرون ذلك وحينيذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا
اي بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض وافترقوا فيه قال صلى الله عليه وسلم افترقت
اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على
ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفرق امتي على ثلاث وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة رواه داود والترمذي والحاكم وصححاه وفي بعض الروايات
قالوا من هم يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي وقرا حمزة والكسائي بتخفيف الواو والتي قبلها
والباقون بتشديدها ولا الذين وكانوا شيعا اي فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى
في قول مجاهد وقتادة كاهل الكتاب فانهم ابتدعوا في دينهم بدعا وصلتهم الى تكفير بعضهم
بعضا فامنوا ببعض الانبياء وكفروا ببعض وكالمجوس الذين فرقوا دينهم باعتقادهم الاله
اثنان النور والظلمة وعبدوا الاصنام والنجوم وجعلوا لكل نجم قسما يتوسل به في زعمهم
اليه وقيل هم اهل البدع والشبهات من هذه الامة روي انه صلى الله عليه وسلم قال لعائشة
يا عائشة اذا الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا هم اصحاب البدع واصحاب الاهواء من
هذه الامة وعن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح
فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قايل يا رسول الله
كانها موعظة مودع فاوصنا قال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان كان عبدا
حبشيا فان من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين
المهتدين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة وروي ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدي هدي محمد
صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها لست منهم في شيء ايمن السوال عنهم فلا تشغل

وهي التي امنت بموسى والتوراة اهـ

قوله ذرفت وهي بفتح التاء المعجمة والرا بابه ضرب يضرب

لهم انما امرهم الى الله يتولى جزاهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون فيجازيهم به وهذا
منسوخ بآية السيف من جا بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها
فضلا من الله تعالى ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها اي جزاوه قضية للعدل
وهم لا يظلمون اي بنقص الثواب وزيادة العقاب وما ذكر في اضعاف الحسنات هو اقل
ما عدمن الاضعاف فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا احسن احدكم اسلامه فكل حسنة
يعملها تكتب بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى
الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من جا بالحسنة فله عشر
امثالها وازيد ومن جا بالسيئة جزا سيئة مثلها واغفر ومن تقرب مني شبرا
تقربت منه ذراعا ومن لقيني بقراب الارض خطية لا يشرك بي شيا لقيته بمثلها مغفرة
وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى اذا اراد عبدي ان يعمل سيئة فلا
تكتبوها عليه حتى يعملها فان عملها فاكتبوها بمثلها وان تركها من اجلي فاكتبوها
له حسنة فان عملها فاكتبوها له بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وقال ابن عمر
رضي الله تعالى عنهما الاية في غير الصدقات من الحسنات فاما الصدقات فانها تضاعف
سبعمائة ضعف قل يا محمد لهوة المشركين من قومك انني هداني ربي الى صراط مستقيم
بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحق وقرا نافع وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالكسر
وقوله تعالى دينا بدل من محل الى صراط او المعنى وهداني الى صراط كقوله تعالى ويهديك
صراطا مستقيما قيما اي مستقيما وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح القاف وكسر
الياء مشددة والباقون بكسر القاف وفتح الياء مخففة على انه مصدر نعت به وكان
قياسه قوما فاعل لا علال فعله كالقيام وقوله تعالى ملة ابراهيم عطف بيان
لدينا اذ الملة بالكسر الدين وان فرق بينهما بان الملة لا تضاف الا الى النبي الذي يسند
اليه والدين لا تختص اضافته بذلك وقوله تعالى حنيفا حال من ابراهيم اي مايلا
من الضلالة الى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن وحج حنيفا تنبيها على انه
دين ابراهيم عليه السلام وقوله تعالى وما كان اي ابراهيم صلى الله عليه وسلم قط
المشركين رد على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان
ابراهيم لم يكن قط من المشركين قل يا محمد ان صلاتي ونسكي اي عبادتي من حج وغيره
ومحياي ومماتي اي وما انا عليه في حياتي واموات عليه من الايمان والطاعة
او طاعاتي للحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات

لهم انما امرهم

انفسهما وقرا نافع وضمها ابي بكون الياء خلاف عن ورش اجرا للموصل مجرى الوقف والباقون
بالفتح وفتح الياء من مما قرأ نافع وسكنها الباقون لله رب العالمين لا شريك له في ذلك
وبذلك اي وبهذا التوحيد امرت وانا اول المسلمين اي من هذه الامة لان اسلام
كل نبي مقدم على اسلام امته وقرا نافع بمد انا قبل الهمزة المفتوحة وقالون بالمد
والقصر لانها عنده مد منفصل والباقون بلا مد اصلا قل يا محمد لهؤلاء الكفار من
قومك اغير الله ابغي اي اطلب ربا اي الها اشركه في عبادتي وهذا جواب عن دعائهم
له الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكرا ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شيء فكل
من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تامرو
اعبد ايها الجاهلون ولا تكسب كل نفس اثما الا عليها اي انا اثم الجاني عليه لا على غيره
وقوله تعالى ولا تزر اي تحمل نفس وازرة اي اثمة وزر نفس اخرى جوابا عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
في الدنيا بتبيين الرشد من الغي والمحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض
جمع خليفة لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او كل
يخلف بعضهم بعضا فيها او هم خلفاء الله تعالى في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع
بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والرزق ليبلوكم اي ليختبركم فيما اتاكم اي
اعطاكم ليظهر المطيع منكم والعاصي فايد في تكتب مقطوعة من ما كما تري
ان ربك سريع العقاب لمن عصاه لان ما هو آت قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه
لغفور للمومنين رحيم بهم ومن تعالى العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته
تعالى بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببنا المبالغة واللام الموكدة تنبيها على
انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح
فيها فسال الله العظيم ان يسامحنا وان يغفر زلاتنا ولا يواخذنا بسوء افعالنا وان
يفعل ذلك بوالدينا واقاربنا واصحابنا وبجميع المسلمين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم قال المولف رحمه الله تعالى ورضي عنه ومن خطه نقلت نقلت من خط المولف قد
وقدم تفسير بعض معاني الربع الاول من كلام ربنا العظيم بحمد الله تعالى وعونه
وحسن توفيقه يوم الاحد المبارك ثالث عشر شهر شوال المبارك الذي هو
من شهور سنة ١٢٣٨ ثمانية وثلاثين ومايتين والف على يد كاتبها الفقير الى
رحمة ربه القدير احمد ابن المرحوم علي مطر الاشموني الشافعي غفر الله له

ولمشايخه ولمن علمه ولمن قرا فيه ولمن سمعه وللمسلمين
اونقل منه ودعا لمن كان سببا في تاليفه بالرحمة من الله
وان يجعله خالصا لوجهه وان ينفع به وان يعيننا على
اتمامه كما اعاننا على ابتدائه انه قريب
مجيب الدعوات لا يخيب من سأله
واعتمد عليه وصلى الله على سيدنا
محمد واله واصحابه وازواجه
وذريته واهل بيته وابنائه
وسلم تسليما
كثيرا والحمد
لله رب
العالمين
تم

سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات من قوله تعالى واسالهم عن القرية التي
الى قوله تعالى واذ نتقنا الجبل وهي محكمة كلها وقيل الى قوله تعالى واعرض عن الجاهلين
وعدد ايانها مايتان وخمس ايات وكلماتها ثلثة الاف وثلاث مائة وخمس وعشرون كلمة
وحروفها اربعة عشر الفا وثلاث مائة وعشرة احرف المص بسم الله الواحد الذي لا يقدر احد
قدره الرحمن الذي عم بنعمته البيان من اوجب عليهم شكره الرحيم الذي خص اهل وده
فاجتنبوا نهيه وامتثلوا امره المص تقدم الكلام على معاني الحروف المقطعة في اول
سورة البقرة وقوله تعالى كتاب خبر مبتدا محذوف في تقديره هو او هذا او خبر المص
والمراد بالكتاب السورة او القرآن وقوله تعالى انزل اليك صفة والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم فلا يكن في صدرك حرج اي ضيق منه اي لا يضيق صدرك بالا بلاغ وتاديه
ما ارسلت به مخافة ان تكذب لانه كان يخاف قومه تكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم
وكان يضيق صدره من الاذا ولا ينبسط له واعراضهم عنه واذاهم فامنه الله ونهاه
عن المبالاة بهم وقيل الحرج الشك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته ويجي
الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر كما ان المتيقن منشرح الصدر وقوله تعالى
لتنذر متعلق بانزل اي للانذار به وذكرى اي وتذكره للمومنين به وحذف المفعول
يدل على عموم الرسالة لكل ما امكن انذاره وتذكيره من العقلاء قال بعض المفسرين وهذا
من الموجز الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى للمومنين
فلا يكن في صدرك حرج منه ويدل لهذا تعلق لتنذر بانزل وقوله تعالى اتبعوا ما انزل
اليكم من ربكم يعني القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى
ولقوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا اي قل لهم يا محمد اتبعوا
ما انزل اليكم من ربكم وذروا ما انتم عليه من الشرك ولا تتبعوا من دونه اي ولا تتخذوا
من دون الله اي غيره اولياء تطيعونهم من شياطين الانس والجن فيما مدكم به عبادة الاصنام
واتباع البدع والاهواء الفاسدة قليلا ما تذكرون اي تتعظون وقرا ابن عامر بيا قبل
قبل التا وتخفيف الذال وقرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال ولا يا قبل التا والباقون
بتشديد الذال ولا يا قبل التا وكم من قرية اهلكناها اي اهلكنا اهلها وقيل لا يحتاج
الى تقدير مضاف لان القرية تهلك كما تهلك اهلها وانما يقدر في جاءها لانه حمل قوله اوهم قائلون
وكم خبرية مفعول اهلكنا وهي للتكثير والاهلاك على حقيقته او يقدر اردنا اهلاكها
لقوله تعالى فجاءها اي اهلها باسنا اي عذابا فان مجي العذاب قبل الهلاك فتقدير الارادة

وقيل الاهلاك

وقيل الاهلاك في الحقيقة ان وعلى هذا فلا حاجة الى تقدير بياتا اي وقت الابكان في البيوت
ليلا كما جاء قوم لوط عليه السلام اوهم قائلون اي نائمون وقت القايلولة وهي نصف النهار او
مستريحون من غير نوم كما اهلكنا قوم شعيب عليه السلام اي مرة جاءها ليلا ومرة نهارا
وانما خص هذين الوقتين لانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجي العذاب فيهما اقطع وفي
هذا وعيد وتخويف للكفار كانه قيل لا يغتروا باثبات الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل
نزل دفعة واحدة فما كان دعواهم اي قولهم اذ جاءهم بانا اي عذابنا الا ان قالوا اي
الا قولهم انا كنا ظالمين اي فيما كنا عليه حيث لم نتبع ما انزل الينا من ربنا وذلك حين لا ينفعهم
الاعتراف فلنسالن الذين ارسل اليهم اي المرسل اليهم وهم الاعم يا نهم الله تعالى عن قبول
الرسالة واجابتهم الرسل ولنسالن المرسلين اي عما اجيبوا به كما قال تعالى يوم يجمع الله
الرسل فيقول ما اجبتم وقيل نسال المرسلين عن الابلاغ والمراد من هذا السوال توبيخ الكفرة
وتقريعهم والمنفي في قوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون سوال الاستعلام الاول في
موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم اي الرسل والمرسل اليهم
بعلم لتخبرنهم علم بما فعلوه باطنا وظاهرا وبما قالوه سرا وعلانية وما كنا غائبين
عنهم فنخفى علينا شيء من احوالهم واقوالهم والوزن اي لصحايف الاعمال ميزان له لسان
وكفتان ينظر اليها الخلايق اظهارا للعدل وقطعا للمعذرة كما يانهم عن اعمالهم فتعترف
بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويويده ما روي ان رجلا يوتى به الى الميزان فينشر عليه
تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة فتوضع
السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة والبطاقة رقعة
صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه وقيل توزن الاعمال روي عن ابن عباس رضي
بالاعمال الحسنة على صورة حسنة وبالاعمال السيية على صورة قبيحة فتوضع في الميزان
وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليات الرجل العظيم السمين
يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقوله تعالى يومئذ اي يوم السوال المذكور
وهو يوم القيامة حتى المبتدا الذي هو الوزن وقوله تعالى الحق اي العدل السوي صفته
فمن ثقلت موازينه اي رجحت على ما يعهد في الدنيا بصحايف الاعمال او حسناته او به على
الاقوال الماضية وعن الحسن وحق للميزان ان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق للميزان توضع
فيه السيات ان يخف فان قيل الميزان واحد فما وجه الجمع اجيب بان العرب قد توضع
لفظ الجمع على الواحد وقيل انه نيصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان ذو شعب

على الكفتين واللسان والساهون ولا يتم الوزن الا بذلك كله وقيل جمع باختلاف الموزونات
وتعدد الجمع فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
ومن خفت اي طاشت موازينه اي السيات اي بسببها فاولئك الذين خسروا انفسهم
اي بتصييرها الى النار بكانوا بآياتنا يظلمون اي يجحدون ولقد مكناكم يا بني ادم
في الارض اي في سكناها وتزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة
اي اسبابا تعيشون بها ايام حياتكم من انواع التجارات والصنايع والمكاسب والمشارب
وذلك بفضل الله تعالى وانعامه على عبيده وكثرة الانعام توجب الطاعة للمنعم بها
والشكر له عليها ثم بين تعالى انه مع هذا الافضال على عبيده وانعامه عليهم لا يقومون
شكرها كما ينبغي فقال تعالى قليلا ما تشكرون اي على ما صنعت اليكم وانعمت به
عليكم وفيه دليل على انه قد يشكر ون لان الانسان قد يتذكر نعمة الله فيشكر ون عليها
فلا يخلوا في بعض الاوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر بتصور النعمة واظهارها
وبضاده الكفر وقيل بنسيان النعمة وسترها ولقد خلقناكم اي اباكم ادم ثم صورناكم
اي صورناه فنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويرهم وقيل خلقناكم في
اصلاب الرجال صورناكم في ارحام النساء ثم قلنا للملايكة اسجدوا لادم فان قيل
ثم للتراخي والتراخي هي ظاهرة على القول الاول فما وجهه على الثاني اجيب بانها تكون
بمعنى الواو اي وقلنا للملايكة اسجدوا لادم مسجود تحية بالانحناء فسجدوا الى
الملايكة كلهم لادم الا ابليس اما الجن كان بين الملايكة لم يكن من الساجدين فمن تبعد
قال الله تعالى لابليس ما منعك ان تسجد اي ان تسجد اذ امرتك فلا زايدة للتاكيد
كما في قوله تعالى لا اقسم اي اقسم وقوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
اي يرجعون فلم ان حمل ما منعك على ما حملك لم تكن زايدة قال ابليس مجيبا له
تعالى انا خير منه فان قيل كيف يكون قوله تعالى انا خلقتني منه جوابا لما منعك
وانما الجواب ان يقول منعني كذا اجيب بانه جواب من حيث المعنى اتى به اتباعا
لانه يكون مثله ماموريا بالسجود لمثله كانه قال المانع لي خير منه ولا يحسن للفاضل
ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يوبد فهو الذي سن التكبر وقال باتحسن والقبح
العقليين اولا وعلل الخيرية بقوله خلقتني من نار فهو اغلب اجزايه وهي شرفة
مضيئة عالية غالبة وخلقته من طين اي هو اغلب اجزايه وهو كثير مظلم سافل
مغلوب فكل منهما ركب من العناصر الاربعة فالاضافة الى ما ذكر باعتبار الجوهر الغالب

قال ابن عباس

كما بينه في سورة الحجر بقوله تعالى انك لمن المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة
الاولى الى يموت فيها الخلق فان قيل لم اجيب الى الانتصال وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم
اجيب بانه اجابه لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي خالفته من عظيم الثواب وحكمة هـ
ما خلق الله من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات
ليمتحن بها عباده قال اي ابليس فبما اغويتني اي فبا غوائك لي والبا للقسم الى اقسم
بأغوائك وجوابه لاقعدن لهم اي لبني ادم صراطك المستقيم اي على الطريق الموصل
اليك وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تفويضا
لسعادة الابد فكان جديرا ان يقسم به ويجوز ان يتعلق البا بفعل القسم المحذوف تقديره
فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم
ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ولا يستطيع ان ياتي من فوقهم ليلا يحول بين
العبد وبين الرحمة ربه وقيل لم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعنه انه قال هـ من بين
ايديهم من قبل الاخرة فيخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من قبل الدنيا فيزينها
لهم وعن ايمانهم اي من قبل حسناتهم اي فيبطلوها عنهم وعن شمائلهم من قبل سياتهم اي فيزين
لهم المعاصي ويدعوهم اليها وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه
اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمخرق عنهم الحائل على مرورهم وتظيرة قوله
جلست عن يمينه وعن شقيق ما من صباح الا قعد لي الشيطان على اربع مراصد من بين يديه
ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا واني هـ
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرا وما
من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فاقرا والعاقبة للمتقين
واما من قبل شمائلي فيأتي من قبل الشهوات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون ثم لا تجد هـ
اكثرهم شاكرين اي مطيعين فان قيل كيف علم الخبيث ذلك اجيب بانه انما قال ذلك ظنا
لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدا الشر متعددا وهو الشيطان والنفس
والهوى ومبدا الخير واحدا وهو الملك الملهم وقيل سمع ذلك من الملائكة قال الله تعالى لابليس
حين طرده عن بابه وابعده عن جنابه بسبب عصيانه ومخالفته اخرج منها اي الجنة او السما
كما مر فانه لا ينبغي ان تكن فيها متكبرا ما هـ اي محقورا ممقوتا مدحورا اي مبعدا مطرودا عن الرحمة
وقوله تعالى لمن تبعك منهم اي من الناس اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم

منكم اجمعين

منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وهو من تبعك اي لاملان جهنم منك وبنوك
ومن الناس وفيه تغليب الحاضر على الغايب ويا ادم اي وقلنا يا ادم اسكن فهذه النفخة
معطوفة على قوله تعالى قلنا للملائكة وقوله تعالى انت تاكيد للضمير في اسكن ليعطف
عليه وزوجك اي حواء بالمد وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة
الجنة فكلا من حيث شئتما من ثمار الجنة اي من اي مكان شئتما فان قيل قال تعالى في
سورة البقرة وكلا بالواو وههنا بالفاء فما الفرق اجاب الفخر الرازي بان الواو تفيد الجمع المطلق
والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منا
بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر الجنس وههنا ذكر النوع ولا تقربا هذه الشجرة اي
بالاكل منها مشيرا الى شجرة بعينها او موقعها وهي الحنطة وقيل شجرة الكرم وقيل غيرهما
فتكونا من الظالمين اي بالاكل منها اي فتصيرا بذلك من الذين ظلموا انفسهم وتكونا محتمل
الجزم عطفا على تقربا والنصب على جواب النفي فوسوس لهما الشيطان اي ابليس بما مكنه
الله تعالى منه من انه يجري من الانسان مجرى الدم ويلقي له في شره ما يميل به قلبه الى
ما يريد وهو احقر واقل ان يكون له فعل وانما الكل بيده سبحانه تعالى هو الذي جعل الة
لمراده منه ومنهم فان من يهديه الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ثم بين
علة الوسوسة بقوله تعالى ليبدي اي ليظهر لهما ما ووري اي ستر وغطي عنهما من سواتهما
اي عوراتهما وكانا لا يريانها منا نفسها ولا احدهما من الاخر وفيه دليل على ان كشف العورة
في الخلوة وعند الزوجة من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع قالت عايشة رضي الله عنها
ما رايت منه صلى الله عليه وسلم ولا راى مني اي الفرج وقال ابليس لادم وحواء ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة اي عن الاكل منها الا اي كراهة ان تكونا ملكين اي في عدم الشهوة
وفي القدرة على الطيران والتشكل وغير ذلك من خواصهم او تكونا من الخالدين اي الذين
لا يموتون ولا يخرجون من الجنة اصلا كما في اية اخرى هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى
وقاسمهما اي اقسم لهما بالله على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما
لهما بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لهما من الناصحين فاقسم لهما اني لكما لمن
الناصحين فجعل ذلك مقاسمة وقال قتادة حلف لهما بالله حتى خادعهما وقد يخدع المؤمن
بالله فقال اني خلقت قبلكما وانا اعلم فاتبعاني ارشدكما وفيه تنبيه على الاحتراز من
الخالق وان الاغلب ان كل حلاف كاذب وانه لا يحلف الا عند ظنه ان سامعه لا يصدقه ولا يظن
ذلك الا وهو معتاد للكذب وقال بعض العلماء من خادعنا بشيء خدعناله وعزبت عنه

رضي الله عنهما انه كان اذا راي من عبده طاعة وحسن صلاة اعتقه وكان عبيده يفعلون
ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدع له والبليس لعنه الله
تعالى اول من حلف بالله كاذبا فلما حلق لنا احد الاحلف بالله تعالى كاذبا فاغتر به
قد لاهما بغرور اي خدعهما يقال مازال يدلي لفلان بالغرور يعني مازال يخدعه
ويكلمه بزخرف القول الباطل وقيل عطفهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية ه
والغرور اظهار النفع مع ابطان الغش فلما ذاقا الشجرة اي اكلا منها وطعما وفي
ذلك دليل على انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الى معرفة طعمه اذ الذوق يدل على
الاكل اليسير وروي عن ابن عباس انه قال قبل اخذتهما العقوبة هي قوله تعالى بعده اي
ظهرت لهما سواتهما اي عوراتهما وتخافت عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما
ما ووري عنه من سوءة صاحبه بان راي قبل نفسه وقبل صاحبه ودبره وكانا لا يريان
ذلك وسمي كل منهما سوءة لان انكشافه يسوء صاحبه قال وهب كان لباسهما من النور
يحول بينهما وبين النظر وقال قتادة كان ظفرا البسهما الله من الظفر لباسا فلما وقعا في
الذنب بدت لهما سواتهما فاستحيا وطفقا اي فاصلا يخصفان اي يلزقان عليهما
الجنة اي من ورق التين قال البغوي حتى صار كهيئة الثوب قال الزجاج يجعلان ورقة
على ورقة ليستر سواتهما روي عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان ادم رجلا طوالا كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع في الخطيئة بدت له
سوته وكان لا يراها فانطلق هاربا في الجنة فعرضت له شجرة من شجرة الجنة فحبسته
شعره فقال لها ارسليني فقالت لست بمرسلتك فناداه الله عز وجل يا ادم امني تفر فقال
لا يا رب ولكني استحيتك وناداها اي خاطبهما ربهما بقوله الم انهكما عن تلكما
الشجرة اي عن الاكل من ثمرها واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين اي بين العداوة
لكما وقد بان لكما عداوته بترك السجود نفتا وحسدا وفي ذلك عتابا على مخالفة النهي ه
وتوبيخ على الاغترار بقول العدو ودليل على ان مطلق النهي للتحريم قال محمد بن قيس لما
اكل ادم من الشجرة ناداه ربه يا ادم اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حواء امرتني
قال الحوا الم اطعمك ادم قالت امرتني الحية وقال للحية لم امرتها قالت امرني ابليس قال الله
تعالى اما انت يا حوا فكما ادميتي الشجرة فتدمين في كل شهر واما انت يا حية فاقطع قوائمك
على وجهك وسيسوخ رأسك من لعنتك واما انت يا ابليس فملعون مدحور وفي رواية
لابن عباس انه قال لحوا فاني اعطيتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قالا ربنا ظلمنا

انفسنا ان لم ترحمنا وتغفر لنا بمحي اثار المعصية وتوبتك علينا وقبولها منا وان لم تغفر لنا اي تمحوا ما عملناه عينا واثرا وترحمنا اي تتفضل علينا بدرجات التائبين
من الخاسرين في الاخرة فاعربت الاية انهما فرعا الى الاقتصاف بالاعتراف بذنبهما وان كان
انما هو خلاف الاولى ان تبت اليك واستغفرتك قادا دخلتك الجنة واما ابليس فلم يسأل
التوبة وسأل النظرة فاعطي كل واحد منهما ما سأله وقال الضحاك في قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا
انفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه تعالى وقد استدل بهذه الاية من يرى صدور الذنب
من الانبياء عليهم الصلاة والسلام عيدة الاية ورد بان درجة الانبياء في الرفعة والعلو
والمعرفة بالله تعالى في اعلا الدرجات ولكن يواخذون بما لم يواخذ به غيرهم وانهم ربما
عوتبوا بامور صدرت منهم على سبيل التاويل فهم بسبب ذلك خائفون وجلون وهي
ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاصي بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها ذنوب كذنوب
غيرهم ومعاصي كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم وعمارة بواطنهم بالوحي
السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله تعالى ذنوب
بالنسبة الى احوالهم تعالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيات ه
وتحقير العظيم من الحسنات وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة البقرة ومن جملة ذلك
ان ادم انما اكل من الشجرة قبل النبوة قال الله تعالى اهبطوا اي ادم وحوا بما اشتملتا
عليه من ذريتهما ويدل لذلك قوله تعالى في سورة طه اهبطا بضمير التثنية بعضكم اي
لبعض الذرية لبعض عدو اي من ظلم بعضكم بعضا وقيل يعود الضمير لادم وحوا وابليس
والحية وقيل لادم وحوا وابليس والحية وعلى هذين العداوة ثابتة بين ادم وابليس والحية ه
وذرية كل واحد من ادم وابليس لكم في الارض اي جنسيها مستقر اي مواضع استقرار
ولكم فيها متاع اي تمتع الى حين اي انقضاء اجالكم وقيل الى انقطاع الدنيا وعن ثابت البناني
رحمه الله تعالى لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملايكة فجعلت حواء تدور حولهم
فقال لها خلي ملايكة ربي فانما اصابني الذي اصابني منك فلما توفي غسلته الملايكة
بشر تدبيب بماء سدر وتراً وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوه بشر تدبيب
بارض الهند وقالوا لبنية هذه سنتكم من بعده قال الله تعالى فيها اي الارض تحيون اي تعيشون
ايام حياتهم وفيها تموتون اي وقتها وفاتكم وموضع قبوركم ومنها تخرجون اي يوم
القيامة تخرجون للحشر والجزا وقرا ابن ذكوان وحمزة والكسائي بفتح التاء وضم الراء والباقون
بضم التاء وفتح الراء يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وايما

نازلة من مطر ونحوه وتطهيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد
وقيل كل بركات الارض منسوبة الى السماء يواري اي يستر سوآتكم اي عوراتكم روي ان العرب
كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها وكان الرجال يطوفون
بالنهار والنساء يطوفون بالليل عراة قال قتادة كانت المراة تطوف وتضع يدها على فرجها وتقول
اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله فنزلت قال البيضاوي ولعله بيان
ذكر قصة ادم تقدمة لذلك حتى نعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان
وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا اي ولباسا تتجملون به والريش للطاير معروف
وهو لباسه وزينته والمعنى وانزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة
غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال تعالى ولكم فيها جمال وقال صلى الله عليه
وسلم ان الله جميل يحب الجمال وقال ابن عباس وريشا اي مالا يقال تريش الرجل تمول ولما ذكر سبحانه
وتعالى اللباس الحسي وقسمه الى ساتر وزينة اتبعه اللباس المعنوي فقال ولباس التقوى
قال ابن عباس هو العمل الصالح ثم زاد الله تعالى في تعظيم المعنوي بقوله ذلك خير اي
ولباس التقوى هو خير من لباس الثياب لكونه آية اللابسين لان نزعه يكشف العورة هذا
الحسية والمعنوية فلو تحمل الانسان باحسن الملابس وهو غير متق كان كله سوآت ولو كان
متقيا الا خريقة تواري عورته كان في غاية الجمال والكمال وانشد في المعنى
اذا انت لم تلبس ثيابا من التقى عريت وان واري القميص قميص وقال قتادة لباس
التقوى هو الايمان وقال الحسن هو الحياء لانه يبعث على التقوى وقال عثمان بن عفان
هو السمت الحسن وقال ابن الزبير هو خشية الله تعالى والعمل الصالح شمل هذه الامور
كلها وقرا نافع وابن عامر والكسائي بنصب اللام عطفا على لباسا والباقون بالرفع عطفا
على الابتداء والخبر ذلك خير ذلك اي انزال اللباس من ايات الله الدالة على فضله ورحمته
لعلهم يذكرون فيعرفون نعمة الله فيشكرونه ويتورعون عن القبايح وهذه الاية
واردة على سبيل الاستطراد عقب ذكر بدو السوآت وحضض الورق عليها اظهارا
للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة اظهارا
واشارة بان التقوى باب عظيم من ابواب التقوى يا بني ادم اي الذي خلقته بيدي ونفخت
فيه من روحي ثم اسكنته جنتي وانزلته منها الى دار محنتي لا يفتننكم اي يضلنكم الشيطان
اي البعيد المحترق بالذنوب اي لا تتبعوه فتفتنوا فيمنعكم بذلك من دخول الجنة ويدخلكم
النار كما اخرج ابويكم من الجنة بفتنته بعد ان كانا مكنا منها وتمكنا فيها وتوطنا

وقد علمتم

وقد علمتم ان الرفع اسهل من الرفع وقوله تعالى ينزع عنهما لباسهما حال من ابويكم او من
الفعل فاعل اخرج وانما اضاف نزع اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما
بسبب وسوسة الشيطان وغروره فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما
فقال ابن عباس وقتادة كان لباسهما الظفر فلما اصاب المعصية نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة
وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان نورا يحول بينهما وبين النظر وتقدم بعض ذلك
وقال مجاهد كان لباسهما التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة قال بعض المفسرين
وهذا اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه وان النزع لا يكون الا بعد اللبس انتهى وتقدم
الكلام عليه قوله ليريهما سوآتهما انه اي الشيطان يراكم هو وقبيله اي جنوده وقال
ابن عباس قبيله ولده وقال ابن زيد نسله وانما اعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف
والقبيل جمع قبيله وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضها بعضا من حيث لا ترونهم
اي للطافة اجسامهم او عدم الوانهم وعن ابن عباس انه قال ان الله تعالى جعل هم
من بني ادم مجرى الدم وجعل صدور بني ادم مساكن لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى
الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني ادم وبنو ادم لا يرونهم وعن مجاهد قال
ابليس جعل لنا اربعة من بني ادم لا نراه ونحن نراه الخنزير والقرد والعقرب والحية
خلقتهم الاصلية والا فقد يرد عن تشكلهم بصورة حيوان او طير وغير ذلك فان للجن
قوة التشكل وهذا امر شايع ذايع وقد روي ابليس على صورة شيخ وتمثل لكثير من العباد
على صورة حية بل قال شيخنا الطاهر زكريا والحق جواز رويتهم حتى من تلك الجهة كما هو
ظاهر الاحاديث الصحيحة ولكون الاية مخصوصة بها فيكونون حاجبين في بعض الاحيان
لبعض الناس دون بعض انا جعلنا الشياطين اولياء اي اعوانا وقرنا للذين لا يومنون
لما بينهم من التناسب في الطباع واذا فعلوا فاحشة كالشرك وطوافهم بالبيت عراة فنهوا
عنها قالوا مقلدين لاسلافهم اباءنا بها امرنا بها احدهما قولهم وجدنا عليها اي الفاحشة اباءنا
فاقتدينا بهم والثاني قولهم والله امرنا بها افتراء عليه سبحانه فاعرض الله عن الاول لظهور فساده
ورد عز الثاني بقوله قل يا محمد ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته سبحانه وتعالى جرت
على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال اتقولون على الله ما لا تعلمون
انه قاله فانكم لم تسمعوا كلام الله من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبياء الذين هم وسايط
بين الله وبين عباده وهو استفهام انكاري يتضمن النهي عن الافتراء على الله وقرا نافع وابن كثير

وابو عمرو بابدال الهمزة الثانية ياء في الوصل والباقون بالتحقيق قل يا محمد لهولاء الذين يقولون
ذلك امر ربي بالقسط اي بالعدل وهو الوسيط من كلام المتجاوز في عنطرفي الافراط والتفريط
وقال ابن عباس بلا اله الا الله واقيموا اي وقل لهم اقيموا وجوهكم عند كل مسجد اي اخلصوا له
سجودكم فان قيل قل امر ربي بخير واقيموا وجوهكم اجر وعطف الامر على الخبر لا يجوز اجيب
بان فيه اضمارا وحذفا تقديره قل امر ربي بالقسط وقال اقيموا كما تقدم تقديره فحذف قل
لدلالة الكلام عليه وقيل معنى الاية وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة اي الكعبة وقيل
معناها صلوا في اي مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها وحتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه
اي اعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة ولا تشركوا به شيأ فاني اليه مصيركم وكما بدأكم
اي كما انشأكم ابتداء تعودون اي يعيدكم احياء يوم القيامة حالة كونكم فريقين فريقا
هدى اي خلق الهداية في قلوبكم فحق لهم ثواب الهداية وفريقا حق اي ثبت ووجب عليهم
الضلالة اي بمقتضى القضاء السابق وقيل ان الله تعالى بدأ خلق بني ادم مومنا وكافرا
كما قال تعالى هو الذي خلقكم فمنكم مومن ومنكم كافر ثم يعيدكم يوم القيامة كما خلقكم مومنا
وكافرا وقيل يبعثون على ما ماتوا عليه روي انه صلى الله عليه وسلم قال بعثت كل عبد
على ما مات عليه المومن على ايمانه والكافر على كفره وقيل هذا بدأ الله خلقه على الشقوة
ثم صار اليها وان عمل اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى
اهل الشقاوة ومن ابتدأ الله خلقه على السعادة صار اليها وان عمل عمل اهل الشقاوة كما ان
العشرة كانوا يعملون بعمل اهل الشقاوة روي انه صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليعمل
فيما يرى الناس بعمل اهل النار وانه من اهل الجنة وانما الاعمال بالخواتيم وانتصب فريقا
بفعل يفسره وما بعده اي وخذل فريقا وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اولياء من
دون الله اي دونه تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالهم ويحسبون اي يظنون انهم مع
ضلالهم مهتدون اي على هداية وحق وفيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه
على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء يا بني ادم خذوا زينتكم اي ما يستر العورة ويتجمل
عند الاجتماع للعبادة عند كل مسجد اي كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن
طاووس رحمه الله تعالى لم يأمرهم بالمرير والديباج واما احدهم كان يطوف عريانا ويضع
ثيابه ويرى المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب
اذنبنا فيها وقيل تفاءلوا لا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل
الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وكان بنو عامر في ايام حجهم لا يأكلون

الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فنحن احق ان نفعل
فقيل لهم وكلوا واشربوا ولا تسرفوا بتحريم الحلال او التقرب في الطواف او باعواط الطعام
والسرة عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت
ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وروي ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق
فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان
وعلم الاديان فقال له لقد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه فقال وما هي قال
قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن نبيكم شيء في الطب
فقال جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيره قال وما هي قال قوله المعدة
بيت الداء والحمية راس كل دواء اعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما تركت كتابكم
ولا نبيكم لجالينوس طبا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم ففي الاية الوعيد الشديد
على الاسراف قل يا محمد لهولاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة من حرم زينة
الله التي اخرج لعباده من الثياب كل ما يتجمل به قد دخل تحته انواع الملبوس والحلي
ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحرير للرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد
النص في تحريمه على الرجال دون النساء وقال ايضا لهولاء الجهلة الذين كانوا لا ياكلون دسما
يعظمون بذلك تحريم الطيبات من الرزق التي اخرج لعباده وخلقها لهم فيدخل في ذلك
تحت كلما يستلذ ويشتهى من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه وقد دلت الاية
على ان الاصل في الملابس وانواع التجملات والمطاعم الاباحة الا ما ورد النص بخلافه لان
الاستفهام في معرض الانكار قل هي اي الزينة والطيبات للذين امنوا في الحياة الدنيا
اي بالاضافة والكفرة وان شاركهم فيها فتبع ولذا لم يقل تعالى ليعذبين امنوا وغيرهم
خالصة يوم القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وقرا نافع برفع التا على انها خبر بعد
خبر والباقون بالفتح على الحال كذلك اي مثل هذا التفصيل البديع نفصل الايات
اي نبين احكامها ونميز بعض المشبهات من بعض لقوم يعلمون اي يتدبرون
فانهم المنتفعون بها قل يا محمد لهولاء المشركين الذين يطوفون بالبيت عراة ويحرمون
اكل الطيبات من الرزق وغير ذلك انما حرم ربي الفواحش اي الكبائر
والكبيرة ما توعد عليها بنحو لعنة او غضب نصوصا في الكتاب او السنة فالبا كالزنا
جمع فاحشة ما ظهر منها وما بطن اي جهرها وسرها وقرا حمزة بسكون الياء والباقون بفتحها
ومرم الاثم اي الصغائر وهي ما عدى الكبائر كالتطفل الى بيوت اجنبية وحرم البغي على الناس

اي الظلم او الكبر وافرده بالذكر مع انه من الكبائر للمبالغة وقوله تعالى بغير الحق متعلق
بالنفي موكد له معنى وحرم ان تشركوا بالله ما لم ينزل به اي باشراكه سلطانا اي حجة
وفي ذلك تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم ما لم يدل عليه برهان وقرا ابن كثير وابو
عمرو بالتخفيف والباقون بالتشديد وحرم ان تقولوا على الله ما لا تعلمون في تحريم ما لم
يحرم وغيره ولكل امة اجل اي وقت معلوم وفي ذلك وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل
في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم الماضية فاذا جاء اجلهم اي حان وقتهم لا يستاخرون
ساعة عنه ولا يستقدمون ساعة عليه وانما ذكرت الساعة وان كان دونها كذلك ها
لانها اقوام للاوقات في العرف وذلك حين سالوا نزول العذاب فانزل الله تعالى هذه الاية
وقرا قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر ورش وقنبل سهلا الثانية
وابو الهارث مد والباقون بالتحقيق فيهما يا بني ادم اما فيه ادغام نون ان الشرطية
في ما الزايدة ياتينكم رسل منكم اي من نوعكم من عندربكم يقصون عليكم اياتي اي يقراؤن
عليكم كتابي وادلة احكامي وشرايعي التي شرعت لعبادي وجواب الشرط قوله تعالى فمن
اتقى الشرك ومخالفة رسلي واصلح عمله الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وجتنب معصيتي
وما نهيت عنه فلا خوف عليهم حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب ولا هم يحزنون
اي يتجدد لهم في وقت ما خوف على شيء فاتهم لان الله يعطيهم يعطيهم ما تقر به اعينهم والذين
كذبوا بايانا اي جحدوها وكذبوا رسلنا واستكبروا اي تكبروا عنها اي عن الايمان بها
لان كل مكذب بها كافر مستكبر قال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون
اولئك هو لا البعد البعيد اصحاب النار هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ابدا
وادخال الفاء في خبر المبتدا الاول دون خبر الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة
في الوعيد فمن اي لا احد اظلم ممن افترى على الله كذبا اي بنسبة الشريك والولد اليه
او قال عليه ما لم يقله او كذب بايانه اي القران اولئك ينالهم اي يصيبهم نصيبهم
اي حظهم من الكتاب اي مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والاجل وغير ذلك
حتى اذا جاءتهم اي هو لا الذين يفترون على الله الكذب رسلنا اي ملك الموت
واعوانه يتوفونهم يقبضون ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم وقوله تعالى قالوا
جواب اذا اي قال الرسل لهم تبكيتا وتوبيخا وتقريعا اين ما كنتم تدعون اي تعبدون
من دون الله اي غيره ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم وقيل ان هذا يكون في الاخرة اي
اذا جاءتهم ملايكة العذاب يتوفونهم اي يستوفون عددهم عند حشرهم الى النار قالوا

اي الكفار يجيبين الرسل ضلوا اي غابوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم
اي بالكفر في الاخرة او عند الموت او عند معاينة العذاب انهم كانوا كافرين اي جاحدين وحدانية
الله تعالى قال الله تعالى لهم يوم القيامة وهو احد من الملايكة ادخلوا في امم اي في جملة جماعات
وفرق امم بعضها بعضا قد خلت اي مضت وسلفت من قبلكم من الجن والانس اي كفار الامم الماضية
من الفريقين وقوله تعالى في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي جماعة النار لعنت
اختها اي التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا ادارکوا اي تلاحقوا واجتمعوا فيها اي النار جميعا
قالت اخراهم اي منزلة ودخولا وهم الاتباع لاولاهم اي لاجلهم وهم المتبوعون اي الخطاب مع
الله تعالى لامعهم ربنا هولا اي الاولون اضلونا اي لانهم اولا من سن الضلال وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بابدال الهمزة الثانية ياء في الوصل والباقون بالتحقيق فاتهم اي اذ تهم بسبب
ذلك عذابا ضعفا اي يكون بقدر عذاب غيرهم مرتين لانهم ضلوا ومن سن سنة سيئة فعليه
وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير ان ينقص من اوزارهم شيء لقوله عليه السلام
كفل من دمها لانه اول من سن القتل ثم اكد واشرة العذاب بقولهم من النار قال الله تعالى
لكل اي منكم ومنهم ضعف اي عذاب مضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع
فبكفرهم وتقليدهم لهم ولكن لا تعلمون اي ما اعد الله تعالى لكل فريق من العذاب وقرا شعبة
يعلمون بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وقالت اولاهم اي في الكفر وهم القادة
لاخراهم اي الاتباع فما كان لكم علينا من فضل اي لانكم لم تكفروا بسببنا فقد جاءتكم الرسل والنذر فما
رجعتم عن ضلالتكم وكفركم فنحن وانتم سواء قال الله تعالى لهم فذوقوا العذاب اي بسبب ما
كنتم تكسبون اي من الكفر والاعمال الخبيثة ان الذين كذبوا بايانتا اي بدلايل التوحيد فلم
يصدقوا ولم يتبعوا رسلي واستكبروا عنها اي وتكبروا عن الايمان بها والانقياد لها والعمل
بمقتضاها لا تفتح لهم ابواب السما لصعود اعمالهم ولا لدعايهم ولا لارواحهم ولا لنزول
البركات عليهم لانها طاهرة عن الارجاس الحسية والمعنوية فاذا صعدت ارواحهم الخبيثة
بعد الموت مع ملايكة العذاب اغلقت الابواب دونها ثم القيت من هناك الى سجين بخلاف
المومن فيفتح له ويصعد بروحه الى السما السابعة كما ورد في حديث وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي بكون الفاء وتخفيف التا بعدها الا ان ابا عمرو يقرا بالتا على التانيث وحمزة والكسائي
بالياء على التذكير وقرا ابن عامر بالتا على التانيث وفتح الفاء وتشديد التا بعدها ولا يدخلون الجنة
اي الفريق الاطهر المنزل واشرفها حتى يكون مالا يكون ان يلج اي يدخل الجمل على كونه في سم الخياط
اي ثقب الابرة وهو غير ممكن فكيف ادخلهم الجنة فهو تعليق على محال وعن ابن مسعود انه سيل

عن الجمل فقال زوج الناقة استجهلا السائل واشارة الى ان طلب معنى اخر تكلف وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء بهذا العذاب وهو ان دخولهم محالا عادة نجزي المجرمين اي الكافرين لانه تقدم من صفتهم انهم كذبوا بايات الله واستكبروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب حمل لفظ المجرمين على انهم الكفار ولما بين تعالى ان الكفار فوجب حمل لفظ لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم الكفار ولما بين تعالى ان الكفار من اهل النار ووصفها عدلهم فيها فقال تعالى لهم من جهنم مهاد اي فراش واصل المهاد والمهد الذي يقعد عليه ويضطجع عليه كالبساط ومن فوقهم غواش اي اغطية من النار جمع غاشية والتنوين فيه عوض عن اليا التي هي حرف علة وقيل عن حركتها وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة تنبيها على انه اعظم الاجرام وقوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا وقوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اي طاقتها من العمل اعترض بينه وبين خبره وهو اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما حسن وقوع ذلك بين المبتدا والخبر لانه من جنس هذا الكلام لان الله تعالى لما ذكر عملهم الصالح دل ذلك على ان ذلك العمل من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها ومحلها يوصل اليها بالعمل السهل من غير تحمل كلفة ولا مشقة صعبة واتبع الوعيد بالوعد على عادته تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اي غش وعداوة كانت بينهم في الدنيا فمن كان في قلبه على اخيه غل في الدنيا نزع فصفت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ليقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وقال السدي في هذه الاية ان اهل الجنة اذا استقوا الى الجنة وجدوا عند بابها شجرة واصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فنزع ما في صدورهم من غل وهو الشر الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم بنضرة النعيم فلا تشعث ولا تشحنف بعدها ابدا وقيل ان درجات الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض اهل الجنة اعلا من بعض فاخرج الله تعالى الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم ونزعه من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة العالية تجري من تحتهم الانهار اي من تحت قصورهم زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا اي المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وارشدنا للعمل الذي هذا ثوابه وتفضل علينا به برحمة واحسانا وصرف عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه فله الحمد على ذلك

وما كنا لنهتدي

ها

وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله اي لولا هداية الله وتوفيقه واللام التوكيد النفي وجواب لولا محذوف تقديره دل عليه قوله تعالى وما كنا لنهتدي وتقديره لولا هداية الله لما موجودة لشقينا وما كنا مهتدين وقرا ابن عامر بحذف الواو قبل صاد والباقون بالواو واذا دخل اهل النعيم الجنة ورأوا ما اعد الله تعالى من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا به بالتكلم به ويتحدثا بان ما عملوه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الاخرة وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وهاشم باظهار الدال والباقون بالادغام ونودوا اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي هو الله تعالى او الملائكة بامر الله تعالى ان تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا ويروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى منادي منادان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهتدموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة التي اورثتموها اي اعطيتموها بما كنتم تعملون اي بسبب اعمالكم الصالحة التي عملتموها لان الجنة جعلت جزاء وثوابا لكم على الاعمال الصالحة ولا يعارض هذا ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله انما يدخلها برحمة الله تعالى فان الباء في الحديث للعوض وهي الداخلة على الاثمان نحو شريت الفرس بالف فلا تكون الجنة مشتراة له بعمله فيكون عمله ثمنا له وان دخول الجنة برحمة الله واقتسام الدرجات بالاعمال ان العمل الصالح لن ينله المؤمن ولن يبلغه الا برحمة الله وتوفيقه واذا كان العمل الصالح هو سبب الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله وجعلها الله تعالى ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد الا وله منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فيرث المؤمن منزله من النار واما المؤمن فيرث الكافر منزله من الجنة وان في المواضع الجمة التي فيها المناداة والتناديين هي المحققة او المقدرة لان المناداة والتناديين من القول وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الثاء عند التاء والباقون بالادغام ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار اي اهل الجنة يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا اي في الدنيا على لسان الرسل من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم اي من العذاب على الكفر حقا قالوا اي قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فان قيل الجنة في السما والنار في الارض فكيف يصح ان يقع هذا النداء اجيب بان الله قادر على ان يقوي الاصوات والاسماع فيصير البعيد او من الجبل البعض كالقريب فان قيل هذا النداء من اهل الجنة لاهل كل النار او من البعض للبعض اجيب بان ظاهر الاية العموم ويحتمل ان كل واحد من اهل

عمال

الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا والله اعلم بحقيقة ذلك وقرأ الكسائي بكسر العين
والباقون بالفتح وهما لغتان فاذن مؤذن اي وهو اسرافيل صاحب الصور كما قاله ابن عباس
وقيل واحد من الملائكة واصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى منادي بينهم اي الفريقين
اسمعهم ان لعنة الله على الظالمين وقرأ البزي وابن عامر وحمزة والكسائي بتشديد ان ونصب
التاء والباقون بتخفيف ان ورفع التاء قرأ الظالمين منهم بقوله تعالى الذين يصدون عن سبيل الله
اي يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام ويبغونها اي يطلبون السبيل عوجا اي معوجين
قال ابن عباس يصلون لغير الله ويعظمون ما لم يعظمه الله والعوج بكسر العين في الدين والامر فكل
ما لم يكن قائما وبالفتح في كل ما كان قائما كالحائط والرمح وهم بالاخرة كافرون اي يكون الاخرة
واقعة جاحدون منكرون لها وبينهما اي اهل الجنة واهل النار حجاب لقوله تعالى فضرب بينهم
بسور وبين الجنة والنار ليمتنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف وهو سور الجنة جمع
عرف وهو المكان المرتفع ومنه عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده وقال السدي سمي
ذلك السور اعرافا لان اصحابه يعرفون الناس اي اهل الجنة والنار رجالا اي طائفة من الموحدين
اسنون حسناتهم وسياتهم كما في الحديث فقصرت بهم سياتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم
عن النار فوقفوا هناك حتى يقضي الله تعالى ما يشاء ثم يدخلون الجنة بفضل الله ورحمته وهم آخر من
يدخل الجنة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت
حسناته اكثر من سياته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سياته اكثر من حسناته بواحدة دخل
النار ثم قرأ قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم ثم قال ابن عباس تحق بمثقال حبة او ترجح فقال ومن استوت حسناته وسياته كان
من اصحاب الاعراف وقيل هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن اباءهم فقتلوا فاعتقوا من النار بقتلهم
في الله وحبسوا عن الجنة بمعصية اباءهم فهم آخر من يدخل الجنة وقيل هم الذين ماتوا في الفترة
ولم يبدلوا دينهم وقيل هم اطفال المشركين يعرفون اي اصحاب الاعراف كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم
اي علاماتهم وهي بياض الوجوه للمومنين وسوادها للكافرين لرويتهم لهم اذ موضعهم عالي ونادوا
اي اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم اذ انظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها اي اصحاب
الاعراف الجنة وهم يطمعون في دخولها قال الحسن لم يطمعهم الا الكرامة يريدها بهم وروي الحاكم عن
حذيفة قال بينما هم كذلك اذ طلع عليهم ربك فقال قوموا ادخلوا الجنة فقد غفرت لكم وقال مجاهد
اصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء وعلى هذا انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل النزهة ولذيذ
غير هم شرفهم وفضلهم وحكي عن الانباري انهم انبياء وعلى هذا انما اجلستهم على ذلك العالي تمييزا

لهم

على اهل القيامة واظهارا لفضلهم وعلو مرتبتهم وليكون مشرفين على اهل الجنة والنار ومطلعين
على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال ابو مخلد هم ملائكة يعرفون في صورة
الرجال والاقوال الاولة تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون
الجنة برحمة الله والاقوال الاخيرة تدل على انهم افضل من اهل الجنة لانهم اعلا منهم منزلة وافضل
واذا صرفت ابصارهم اي اصحاب الاعراف تلقاء اي جهة اصحاب النار فنظروا اليهم والى سواد وجوههم
وما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين الكافرين في النار وما هم فيه
تضرعوا الى الله تعالى وسالوه ان لا يجعلهم منهم وقرا قالون وابو عمرو والبزي باسقاط الهمزة الاولى
وابدالها واوا مكسورة وقبل حرف مد وسهلها وابو الباقون بالتحقيق ونادى اصحاب الاعراف رجالا
اي كانوا عظماء في الدنيا من اهل النار يعرفونهم بسيماهم اي بسيما اهل النار قالوا اي اصحاب الاعراف
لهولاء الذين عرفوهم في النار ما اغنى عنكم جمعكم اي ما كنتم تجمعون من الاموال في الدنيا واكثر تكم
واجتماعكم فيها وما كنتم تستكبرون اي وما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيا قال الكلبي وابنه
ابن المغيرة يا ابا جهل اي هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء الضعفا
ممن كانوا يستهزءون بهم مثل سلمان الفارسي وصهيب وبلال واشباههم فيقول اصحاب
الاعراف لهولاء الكفار اهولاء لفظا استفهام اي اهولاء الضعفا الذين اقسمتم اي حلفتم بالله لا ينالهم
الله برحمة اي لا يدخلون الجنة وقد قيل لهم ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقيل
اصحاب الاعراف اذا قالوا للاهل النار ما قالوا قال لهم اهل النار اذ دخلوا هولاء انتم لم تدخلوها فيقول لهم
بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم برحمته فيقول الملائكة الذين حبسوا اهل
الاعراف ادخلوا الجنة برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وهذا ظاهر على الاقوال الاول وقرا ابو
عمرو وعاصم وحمزة بكسر تنوين رحمة في الوصل وابن ذكوان بوجهين الضم والكسر والباقون بالضم
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة
فوق النار او مما رزقكم الله اي من سايل الاشربة ليلايم الافاضة لان الافاضة ملايمة للمايعات
المايعات فحملت افاضة الماء على افاضة جميع المايعات او من السايل للمشروب والسكون يتضمن اقيضوا
القوا كقوله فعلقتها تبنا وما بالرد ماء حتى عذت همالة اي فايضة عيناها قالوا اي اهل الجنة بجيبين
لهم ان الله حرمهما اي منعهما على الكافرين اي منع طعام الجنة وشرابها كما يمنع المكلف ما تحرم عليه
ويخطر كقوله حرام على عيني ان تطعم الكرا وقيل لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب وعذبهم
الله في الاخرة بشدة الجوع والعطش قالوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فاجيبوا
بان الله تعالى حرم طعام الجنة وشرابها على الكافرين ثم وصف الله تعالى الكافرين بقوله الذين اتخذوا

ايي من ايام الدنيا وقيل من ايام الاخرة كل يوم الف سنة فان قيل اليوم من ايام الدنيا عبارة عن
مقدار من الزمان وذلك المقدار من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن ذلك ولا قمر ولا سما
اجيب بان معنى ذلك في مقدار ستة ايام فهو كقوله تعالى لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
اي على مقادير البكر والعشي في الدنيا لا ليل فيها ولا نهار قال سعيد بن جبير كان الله عز وجل
قادرا على خلق السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبت والتاني
في الامور وقد جاء في الحديث الثاني من الله والعجلة من الشيطان واخلق العلماء اليوم الذي
ابتدا الله خلق الاشياء فيه فقيل هو يوم السبت لخبر مسلم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم
الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وبث فيها الدواب يوم الثلثاء وخلق الله ادم بعد العصر يوم
الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من النهار وفيما بين العصر الى الليل وقيل يوم الاحد لقول بعضهم
سمي يوم الاثنين لانه ثاني الايام والخميس لانه خامس الايام قال الاستوي والصواب الاول
المخبر المذكور ثم استوى على العرش اي استوى امره وقال اهل السنة الاستوى على العرش من
صفة الله بلا كيف يجب الايمان به ونكل فيه الى الله تعالى والمعنى ان له سبحانه وتعالى استوى
على العرش على الوجه الذي عناه منزه عن الاستقرار والتمكن وسال رجل مالك بن انس عن قوله
تعالى الرحمن على العرش استوى فاطرق راسه مليا وعلاه الرحضاء ثم قال الاستوى غير مجهول والكيف
غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وما اظنك الا ضالا ثم امر به فاخرج درري
عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وغيرهم من علماء السنة في هذه الايات التي
جاءت في الصفات المتشابهة امروها كما جاءت بلا كيف واجماع السلف ينعقد على ان الله
لا يزيد واعلى قراءة الاية العرش في اللغة السرير قال كعب ان السموات في العرش كالقنديل معلق
بين السما والارض يقال عرش الطاي العرش بالفتح قوم اوثق قوم فقالوا العرش بمعنى الملك وهذا
عدول عن الحقيقة الى التجوز مع تخالف الاثر بجمعوا قوله تعالى وكان عرشه على الماء اذ
كملا الملك على الما وكيف يكون ياقوة حمراء بعضهم يقول استوى بمعنى استولى ويحتج بقول الشاعر

حتى استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

فهما استويا بفضلهما جميعا ... على عرش الملوك بفيض ورياء

وهذا منكر عند اهل اللغة قال
ابن الاعرابي لا يعرف استولى فلان على كذا الا اذا كان بعيدا منه غير متمكن منه ثم تمكن فيه والله
تعالى لم يزل مستولیا على الاشیا والبيتان قال ابن فارس اللغوي لا يعرف قايلهما ولو صح لا حجة فيهما
لما بيناه من استيلا من لم يكن مستولیا نعوذ بالله من تعطيل الملحده وتشبيه المجسمة

ويتهم لهوا ولعبا وشوما مرين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والتصدية حول البيت وسايل الخصال
الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم
وهزوا به واللهو ما شغلهم عما لا يحسن ان يصرفوا لهم بما لا يحسن ان يفعل واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به
وغرتهم الحياة الدنيا اي وخدعهم وجمعهم عاجل ما هم فيه من زهرة العيش والدعة وشغلهم
ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله وهم الاخذ بنصيبهم في الاخرة حتى انتهم المنية
وهم على ذلك والمغرة غفلة في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش هو
وكثرة المال وقيل الجاه وقيل الشهوة فاذا حصل له ذلك صار محبوبا عن الدين وطلب الخلاص
لانه غريق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من ذلك ولما وصفهم الله تعالى بهذه الصفات
الذميمة قال فاليوم اي يوم القيامة ننساهم اي نتركهم في النار ونعرض عنهم فلا نجيب
دعاهم ولا نرحم ضعفهم كما نسوا لقاء يومهم هذا اي كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا كفعل الناسين
فلم يخطر ببالهم ولم يهتموا له واعرضوا عن الايمان فقابل الله تعالى جزاءنيانهم بالنسيان على
المجازاة لان الله تعالى لا ينسى شيا فهو كقوله تعالى وجزاء سيية سيية مثلها وما كانوا بايانا
يجحدون اي وما كانوا منكرين انها من عند الله تعالى ولقد جيناهم اي هولا الكفار بكتاب
اي قران انزلناه عليك يا محمد فصلناه اي بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ فضلا
على علم اي عالمين بوجه تفصيله وقوله تعالى هدى ورحمة لقوم يومنون اي به حال
من منصوب فصلناه كما ان علي علم حال من مرفوعه هل ينظرون اي ما ينظرون الا تاويله هو
اي الاعاقبة امره وما يوول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد
يوم ياتي تاويله اي يوم القيامة لانه يوم الجزا يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك
الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين لهم واعترفوا يوم القيامة بان ما جاءت به الرسل
من الايمان والحشر والنشر والبعث والثواب والعقاب حق حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف
ولما زاد انفسهم في العذاب قالوا فهل لنا من شفعا فيشفعوا لنا اليوم او نرد الى الدنيا او هل نرد الى
الدنيا وقولهم فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالايمان والتوحيد والمعاصي بالطاعة
والاناية جواب الاستفهام الثاني قد خسروا انفسهم اي اذ صاروا الى المهلاك لانهم كانوا
في الدنيا اول مرة فلم يعملوا بطلعة الله ولو ردوا الى الدنيا لعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر والعصيا
لسابق علم الله فيهم وضل اي ذهب عنهم ما كانوا يفترون اي من دعوى الشريك فلم ينفعهم
ان ربكم اي سيدكم ومولاكم ومصلح امركم وموصل الخيرات اليكم ودافع المكاره عنكم وهو
الله الذي خلق السموات والارض اي ابتدعهما وانشا خلقهما على غير مثال سبق في ستة ايام

اي من ايام الدنيا

وقيل هو ما علا فاظل ومنه عرش الكرم يغشي الليل النهار اي يغطيه ولم يذكر عكسه اما للعلم به واما لان اللفظ يحتملهما بان يكون المعنى بانه يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل فزاد شعبة وحثيثا والكسائي بفتح الغين وتشديد الشين والباقون بكون الغين وتخفيف الشين يطلبه اي يطلب كلا منهما الاخر طلبا حثيثا اي سريعا فهو صفة مصدر محذوف ويحتمل ان يكون حالا من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى المحثوث والشمس والقمر والنجوم مسخرات اي هن الات لما يراد منهن من طلوع وافول وسير على حسب ارادة الموجد لهن بامره اي بقضايه وتقديره وقرا ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء والخبر والباقون بالنصب عطفا على السموات ومسخرات منصوب بالكسر الا له الخلق جميعا والامر كله فانه الموجد والمتصرف في ذلك وفي هذا رد على من يقول ان الشمس والقمر والكواكب تخلق له الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريده لا اعتراض لاحد من خلقه عليه فاستخرج شفيان ابن عيينة من هذا ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فلم يجمع بينهما فقد كفر ان جعل امره كلمة هو كلامه من جملة ما خلقه فهو كفر لان المخلوق لا يقوم الا بمخلوق تبارك الله رب العالمين اي تعالى بالوحدانية وتعظم بالتفرد في الربوبية قال البيضاوي وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين الله تعالى لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب وتدبير حليم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسيما قابلا للصورة المبتذلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى خلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع الموالید الثلاثة اي هي النبات والحيوان والمعدن بتركيب مراداتها الى لاوتصوير بعضها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله خلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع المومنين الاولين اللذين خلق فيهما السموات لقوله تعالى في سورة السجدة والله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السما الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بملهو نتيجة ذلك فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم ان يدعوه متذللين مخلصين بقوله تعالى ادعوا ربكم لان الدعا هو السوال والطلب وهو نوع من انواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه سبحانه وتعالى

سمع الدعا

بالعجز والنقص ويعرف ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله تعالى تضرعا اي ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار الذلة في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخشع وخفية اي سرا في نفوسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعا ان يكون خفيا لهذه الاية وعن ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم قال ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله ابن قيس الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قلت بلى قال لا حول ولا قوة الا بالله وقال الحسن بين دعوة السر والجهر سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجهرون في الدعا لا يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية فان الله تعالى اثنى على زكريا عليه السلام فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن الحسن ايضا ان الله تعالى يعلم التقي والدعا الخفي ان كان الرجل ليجمع القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل ليعقد فقه الفقه الكثير وما يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزواد وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون ان يعملون في السر فيكون علانية ابدا انه تعالى لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في الدعا وغيره نبه به على ان الداعي ينبغي له ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبيا والصعود الى السما روي ان عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال يا بني اسال الله الجنة وتعوذ من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعا وقيل اراد به الاعتداء في الجهر قال ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت والنداء بالدعا والصياح وعنه صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعا هـ وحسب المرء اذ يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض اي بالشرك والمعاصي بعد اصلاحها اي بعد ما اصلحها الرسل وشرع الاحكام وقيل لا تفسدوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث بما صنيعكم وعلى هذا فمعنى قوله تعالى بعد اصلاحها اي بعد اصلاح الله تعالى اياها بالمطر والخصب وادعوه خوفا منه ومن عذابه وطمعا اي فيما عنده من مغفرته وثوابه وقال ابن جريج خوف العدل وطمع الفضل ان رحمة الله قريب من المحسنين اي الى الاجابة وتذكير قريب المخبر به عن رحمته لاضافتها الى الله تعالى وقال سعيد بن جبير الرحمة ها هنا الثواب فرجع التذ

الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس حقيقيا وملاك ذلك جاز فيه التذكير والتانيث
عند اهل اللغة وقيل ذكره للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره حيث يجب التانيث
في الاول فيقال فيه فلانة قريبة مني وحين في الثاني فيقال فلانة قريبة وقريب مني في المكان
وكون الرحمة قريب من المحسنين لان الانسان في كل ساعة من الساعات في اول من الدنيا
واقبال على الاخرة وان كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة ولحين بينهم وبين رحمة الله
التي هي الثواب في الاخرة الا الموت وهو قريب من الانسان فايدة رحمت تكتب بالتا المدورة ه
فوقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتا واما لها الكسائي في الوقف قبله
وقوله تعالى وهو الذي يرسل الرياح عطف على ما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق ه
السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالتوحيد والباقون
بالجمع نشرا بين يدي رحمته اي متفرقة قدام المطر الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا
وقرا عاصم بالباء الموحدة وسكون السين اي فبشر او حمزة والكسائي بالنون مفتوحة وسكون
الشين على انه مصدر موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر
متقاربان وابن عامر بالنون مضمومة وسكون الشين تخفيفا والباقون بضم النون
والشين جمع نشور بمعنى ناشر حتى اذا اقلت اي حملت الرياح سحابا ثقالا اي بالمطر يقال
اقل فلان الشي اذا احمله واشتقاق الاقلال من القلة فان من يرفع شيا يراه قليلا سقناه
اي السحاب وانث الضمير باعتبار اللفظ وفيه التفات عن الغيبة ولو حمل على المعنى كالثقال
لانث كما لو حمل اللفظ على الوصف لقيل ثقيلة والسحاب جمع سحابة وهو الغيم وفيه ما
اولم يكن فيه ماء سمي سحابا لانسحابه في الهوي قال السدي ان الله سبحانه وتعالى يرسل
الرياح فتاتي بالسحاب من بين الخافقين وهو طرفا السما والارض حيث يلتقيان فتحمله
ثم تنشره فتبسطه في السما كما يشا ثم تفتح له ابواب السما فيسيل الما على السحاب ثم يمطر السحاب
بعد ذلك لبلد ميت لا نبات فيه اي لاحيا به وقرا ابن كثير وابو عمرو وشعبة بتخفيف الكاف والبا
بالتشديد فانزلنا به اي بالبلد او السحاب الما فاخرجنا به اي بذلك الما ان اثار الما كان
سببا لاخراج الثمرات من كل الثمرات اي من كل انواعها قال الازهري قال الليث بن سعد
البلد من كل موضع من الارض عامر او غير عامر حار او مكون والطايفة منها بلدة والجمع
بلاد كذلك اي مثل هذا الاخراج نخرج الموتى احيا من قبورهم بعد فنايهم ودرس اثارهم لعلكم
تذكرون اي كي تعتبروا وتتذكروا والخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي ميتة
مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الاوراق والثمار

ثم ان الله

ثم ان الله احياها مرة اخرى فالقادر على احيايها بعد موتها قادر ان يحيي الاجساد بعد
موتها قال ابو هريرة وابن عباس اذا مات كلهم في النفخة الاولى ارسل الله تعالى عليهم مطرا
كمني الرجال من ماء تحت العرش فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا استكملت اجسادهم
نفخ فيها الروح ثم يلتقي عليهم نومه فينامون في قبورهم ثم يحشرون بالنفخة الثانية وهم يجدون
طعم النوم في رؤسهم واعينهم فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقرا نافع
وحفص وحمزة والكسائي بتخفيف الزال والباقون بالتشديد والبلد الطيب اي والارض الكريمة
التربة السهلة السمحة يخرج نباته باذن ربه اي بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبا
وحسنه وعزارة نفعه لانها وقعت في مقابلة والذي خبث اي والبلد الذي خبثت فهي سبخة
لا يخرج نباته الا نكدا اي عسرا بمشقة وكلفة قال المفسرون وهذا مثل ضربه الله تعالى للمومن
والكافر فشبه المومن بالارض الطيبة فاذا انزل المطر عليها خرجت انواع الازهار والثمار كذلك
المومن اذا سمع القران امن به وانتفع به وظهر منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق
الحميدة وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر كذلك
الكافر اذا سمع القران لا ينتفع به ولا يصدقه ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر حسنة
في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الاخرة وقيل هو مثل ضربه الله لادم وذريته
كلهم منهم طيب ومنهم خبيث كذلك اي كما بينا ما ذكر نصرف اي نبين الايات الدالة على التوحيد
والايمان اية بعد اية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويتفكرون
بها وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بسماع القران ولما ذكر الله تعالى في الايات
المتقدمة دلايل اثار قدرته الدالة على توحيده وربوبيته واقام الادلة القاطعة على صحة
البعث بعد الموت اتبع ذلك بقصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع امهم
فقال لقد جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا عليه السلام الى قومه ولا
تتلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر
بها ونوح هو بن ملك بن متوشخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام وهو اول نبي بعثه الله
تعالى بعد ادريس وكان نجارا بعثه الله تعالى الى قومه وهو بن خمسين سنة وقال ابن عباس
رضي الله عنهما وهو بن اربعين سنة وقيل وهو بن مايتين سنة وقيل وهو بن مايتين وخمسين
سنة وقال ابن عباس سمي نوحا لكثرة مناحاته على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقال البعض
لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم
فقال له اخسا يا قبيح فاوحى الله تعالى اليه اعبتني او اعبت الكلب وفي ذكر القصص تسلية

للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه الامم الخالية
والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة اولئك الذين كذبوا الرسل كانت للخسار والهلاك
في الدنيا والاخرة والعذاب الاليم فمن كذب محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه كان عاقبة مثل ذلك
الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفيه دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان
اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احدا ممن علم اخبارهم وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن هذه
القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما اتى من عند الله وانه
اوحي اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم
فقال نوح بعد ارساله لقومه **يا قوم اعبدوا الله** اي اعبدوه وحده لقوله تعالى **ما لكم من اله**
غيره فانه الذي يستحق العبادة لا غيره وقرا الكسائي بكسر الراء والهاء على انه صفة لاله والباقون
برفعهما على البدل من محله **اني اخاف عليكم** ان لم تقبلوا ما امركم به من عبادة الله تعالى واتباع
امره **عذاب يوم عظيم** وقال اخاف على الشك وان كان يقينا من حلول العذاب بهم
ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتاخر عنهم العذاب الى يوم
القيامة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون **قال الملا من قومه**
اي الاشراف منهم فانهم يملؤن العيون منظرا **انا لنراك في ضلال** اي خطا وزوال عن الحق مبين
اي بين **قال** نوح مجيبا لهم **يا قوم ليس بي ضلالة** اي ليس بي شيء مما تظنون من الضلال فان
قيل لم لم يقل ليس بي ضلال كما قالوا اجيب بان الضلالة اخص من الضلال فكانت
ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كما لو قيل انك تمر فتقول ما في تمرة فقد بالغ في النفي كما بالغوا
في الاثبات وقوله تعالى **ولكني رسول من رب العالمين** استدراك باعتبار ما يكون وهو كونه
كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول الله **ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم** والنصح ارادة
الخير لغيره كما يريده لنفسه ويقال نصحته ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له وفي زيادة
اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة والما وقعت خالصة للمنصوح مقصودا بها
بما نيه لا غير قرب نصيحته ينتفع بها الناصح فتقصد التفقين جميعا والنصيحة امحض من
نصيحة الله ورسوله وقيل حقيقة النصح تعرض وجه المصلحة مع خلوص النية من سوء
المكروه وقال بعض المفسرين والفرق بين ابلاغ نصيحة الرسالة وبين النصيحة هو ان
تبليغ الرسالة ان يعلمهم جميع اوامر الله تعالى ونواهيه وجميع انواع التكاليف التي اوجبها
الله تعالى عليهم واما النصيحة فهي ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات
ويحذرهم عقابه ان عصوه وقرا ابو عمرو بكون الباء وتخفيف اللام من الابلاغ كقوله تعالى

لقد ابلغتكم

لقد ابلغتكم رسالات ربي وقرا الباقون بفتح الباء وتشديد اللام من التبليغ كقوله تعالى بلغ
ما انزل اليك **واعلم من الله ما لا تعلمون** اي من صفات الله واحوال قدرته الباهرة وشدة
بطشه على اعدائه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقوله تعالى **او عجبتم** الهمزة للانكار
والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم **ان جاءكم** اي من ان جاءكم **ذكر** اي موعظة **من**
ربكم على رجل اي على لسان رجل **منكم** اي من جنسكم او من جملتكم تعرفون نسبه وذلك انهم
كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين هم
يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة **لينذركم** اي لاجل ان ينذركم عاقبة الكفر
والمعاصي **ولتتقوا** اي ولاجل ان تتقوا الله **ولعلكم ترحمون** بالتقوى ان وجدت منكم لان
المقصود من ارسال الرسل الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمقصود
بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الاخرة وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير
موجبة والترحم من الله تعالى بمحض تفضيل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يامن
من عذاب الله **فكذبوه** اي نوحا **فانجيناه والذين** امنوا **معه** من الغرق وكانوا اربعين رجلا
واربعين امراة وقيل تسعة بنوة الثلاثة سام وحام ويافث وستة ممن امن به وقوله تعالى
في الفلك متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك صلوا صحبوه في الفلك او بانجيناه
اي انجيناهم في السفينة من الطوفان **واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا** بالطوفان **انهم كانوا قوما**
عمين اي عمي القلوب عن الحق غير مستبصرين يقال رجل عم في البصيرة واعمى في البصر واشد
واقول زهير ** واعلم علم اليوم والامس قبله ** ولكنني عن علم ما في غد عم **
واخا عاد اي
اي وارسلنا الى عاد بن عوص ابن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى **اخاهم هودا** اي اخاهم
في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد ابن عوص بن ارم
ابن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واختلفوا
في سبب الاخوة من اي حصلت على وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم
لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا منهم
من البشر ليكون اقرب الى الفهم والانس بكلامه اتم واكمل ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك
والجن والوجه الثاني ان اخاهم بمعنى صاحبهم تسمى صاحب القوم اخاهم وكانت منازل عاد
بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل الذي عند عمان وحضرموت **قال يا قوم اعبدوا الله** اي وحدوه
ولا تجعلوا امعه الها اخر **ما لكم من اله غيره** فان قيل لم حذف العاطف من قوله قال ولم يقل فقال
كما في قصة نوح **اجيب** بان هذا على تقدير سوال سايل قال فهل قال لهم هود فقيل

قال يا قوم وقيل ان نوحا كان مواظبا على دعوته قومه غير متوان فيها لان الفاء تدل على التعقيب
والماهود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء اخبر الله تعالى عنه بقوله
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون الله اي فلا تخافون عقابه فتؤمنون
ولما كانت هذه القصة منوطة على قصة نوح وقد علم ما حل بهم من الغرق حسن قوله
صاها افلا تتقون اي فلا يخافون ما نزل بهم من العذاب ولما لم يكن قيل واقعة نوح
شيء حسن تحريضهم من العذاب فقال هناك اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملا
الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة اي في حمق وجهالة وضلالة عن الصواب
فان قيل لم قال قوم نوح انا لنراك في ضلال مبين وقوم هود انا لنراك في سفاهة اجيب
بان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة في ارض ليست فيها من الماشي
قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في هذه الارض واما
هود عليه السلام لما نزه في عبادة الاصنام ونسب من عبدها الى السفه وهو قلة
العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين اي في ادعائك
انك رسول من رب العالمين قال هود لسهولة الملا الذين نسبوه الى السفه يا قوم ليس بي
سفاهة اي ليس الامر كما تزعمون ان بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم
رسالات ربي اي اودي اليكم ما ارسلني به من اوامره ونواهيه وشرايعه وتكاليفه وانا
لكم ناصح اي فيما امركم به من عبادة الله تعالى امين اي مأمون على تبليغ الرسالة وادا النصح
والامين الثقة على ما اوتمن عليه فان قيل لم قال نوح وانصح لكم بصيغة الفعل وقال هود
وانا لكم ناصح بصيغة اسم الفاعل اجيب بان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة
وكان نوح يدعوا قومه ليلا ونهارا كما اخبر الله تعالى عنه بقوله رب اني دعوت قومي ليلا
ونهارا فلما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك
بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين فان قيل مدح الصفات هي
باعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء اجيب بانما فعل هود ذلك لانه كان يجب عليه اعلام
قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بان
وانه امين في تبليغ ما ارسل به من عند الله وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه
في موضع الضرورة الى مدحها او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق بعيد
تنبيه في اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الجفاء اجابوا بالاعراض عن مقالتهم كمال
النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح واذكروا نعمة الله

تعالى عليكم

تعالى عليكم اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض وجعلكم ملوكا في
الارض فان شداد بن عاد ورث ملك معمورة الارض من بعد عاليج وهو موضع بالباذية
بها رجل الى شحر عمان بفتح الشين وكسرها وبالحاء المهملة ساحل البحرين عمان وعدن
وزادكم في الخلق بسطة اي طولا وقوة قال الجلال المحلي في سورة الفجر كان طول الطويل منهم
اربعماية ذراع وقامة القصير ستين ذراعا وقال ابو حمزة اليماني سبعون ذراعا وعن
ابن عباس ثمانون ذراعا وقال مقاتل كان طول كل رجل اثني عشر ذراعا اخرج ابن عساكر
عن وهب بن منبه باسناده اي على الاقوال كلها وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة
وكان عين الرجل اي بعد موته تفرج فيها الضباع وكذا مناخرهم وقرانافع والبزي وشعبة
والكسائي بالصاد وابو عمرو وهشام وقنبل وحفص وخلف بالسين واما بنو ذكوان وخلاد
فقرا بالسين والصاد فاذكروا الاء الله اي انعمه اي اعملوا بما يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا
به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام لعلكم تفلحون اي تفوزون بالنعيم المقيم في الاخرة
قالوا اي قوم هود مجيبين له اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده ونذر اي نترك ما كان يعبد
اباونا اي من الاصنام استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤهم
ومعنى المجيء في اجئتنا اما الان هو كان معتزلا عن قومه كما كان يفعل النبي صلى الله عليه
وسلم قبل البعثة فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم او يريدون به الاستهزاء اي لانهم كانوا
يعتقدون ان الله تعالى لا يرسل الا الملائكة وكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك
او ان المقصود على المجاز كما تقول ذهب يستمني ولا يراد حقيقة الذهاب فاتنا بما تعدنا
اي من العذاب ان كنت من الصادقين اي في قولك اني رسول الله قال هود مجيبا لهم قد
وقع عليكم اي نزل عليكم من ربكم رجس عقاب وغضب اي سخط اتجادلونني في اسماء سميتموها
اي وصفتموها انتم واباؤكم اي من عند انفسكم والاستفهام للانكار عليهم لانهم سموا
الاصنام بالالهة فعبدوها من دون الله ما نزل الله بها اي بعبادتها من سلطان
اي حجة وبرهان لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجود للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها
بجعله تعالى اما بانزال ايقاع وبنصب دليل فانتظروا اي نزول العذاب بسبب تكذيبكم اني
معكم من المنتظرين ذلك فارسلنا عليهم الريح العقيم فانجيناه اي هودا والذين معه اي
من المؤمنين برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اي استاصلناهم وقوله تعالى
وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا روي ان قوم هود كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله
تعالى اليهم هودا فكذبوا واشتد اذاهم واعتوا فامسك الله تعالى القطر عنهم ثلاث سنين

قها

مائة

حتى جهدوا وكان الناس حينئذ مسلمهم وكافرهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام
وطلبوا من الله تعالى الفرج فجهزوا الى الحرم قبل ابن عنز ومسدد بن سعد في سبعين من اعيانهم
وكان بمكة اذ ذاك العمالقة اولاد عمليق ابن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا
عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرين يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له وكان اسم احدهما وردة والاخرى جرادة فمكثتا جرادتين
فيه تغلب والقينة الامة مغنية او غير مغنية فلما رأى ذهولهم بالهو عما بعثوا له
اهمهم ذلك واستحيا ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك
للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله فعلم القينتين معاوية
فقال الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يمنحنا غماما
والغمام هنا المطر فسقي ارض عاد ان عادا قد اسوا لا يبيتون الاكلالا
من العطش الشديد فليس نرجيه الشيخ الكبير ولا الوليدا فلما غنتا به ازعجهم ذلك وقالوا
ان قومكم يتغوثون من البلايا الذي نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا
لقومهم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم
الى الله تعالى سقاكم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدم زمعنا
مكة فانه قد اتبع دين هود وتزلد بينا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاث بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه منادي من السما
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثر ما فخرجت على عاد منها وادبهم
يقال له المغيث فاستبشروا به وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم و
هود والمومنون معه وانوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا ويروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
من الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين اذا هلك قومه هاجر والصالحون معه الى مكة
يعبدون الله تعالى فيها حتى يموتوا ويروي عن علي رضي الله عنه ان قبر هود بحضرموت
في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين
نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة والى ثمود اي وارسلنا
الى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابد بن ارم ابن
سام بن نوح عليه السلام وقيل سموا به لقلة مايهم من الثمد وهو الما القليل وكان
مسكنهم الحجر وهو بكسر الحا موضع بين الحجاز والشام الى وادي القرا وانتفق القرا السبعة
هنا على عدم صرف ثمود مرادا به القبيلة وقرئ مصروفا في غير هذه السورة بتاويل

الحي او بالاعتبار

الحي او باعتبار الاصل وهو انه اسم لابيهم الاكبر او للما القليل اخاهم صالحا اي اخاهم في النسب
لا في الدين وهو صالح ابن عبيد ابن اسف ابن ماسح ابن عبيد ابن حادر ابن ثمود قال لهم صالح
حين ارسله الله تعالى اليهم يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي فلا يستحق ان يعبد سواه
قد جاءتكم بينة من ربكم اي معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وصدق ما اقول وادعو
اليه من عبادة الله تعالى ثم فسر تلك البينة بقوله هذه ناقة الله لكم اية اي علامة
على صدق اية نصبت على الحال عاملها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه
قيل اشير اليها اية ولكم بيان كمن هي له اية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم
عاينوها وسائر الناس اخبروا وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت
الى الله تعالى تعظيما لشانها وتفخيما لشانها كما يقال لبيت الله ولانها جاءت من عند الله تعالى
بلا وسايط واسباب معهودة وكذلك كانت اية فذروها اي اتركوها تاكل في ارض الله
اي العشب فليس الارض لكم ولا ما فيها من النبات انباتكم ولا تمسوها بسوء اي شيء من انواع
الاذى لا بعقر ولا بغيره وقوله فياخذكم عذاب اليم اي بسبب اذاها جواب النهي واذكروا
اذ جعلكم خلفاء في الارض من بعد عاد اي ان الله تعالى اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في
الارض وتعمرونها وبوأكم اي اسكنكم وانزلكم في الارض اي ارض الحجر تتخذون من سهولها
قصورا اي تبنون من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل الذين غالبا وتنحتون الجبال
بيوتا اي وتنقبون من الجبال البيوت وكانوا في الصيف يسكنون بيوت الطين وفي
الشتا بيوت الجبال وقرا ورش وابو عمرو وحفص بفتح الباء والباقون بخفضها فاذكروا
الا الله اي فاذكروا نعمت الله عليكم واشكروه عليها فانكم منعمون مرهفون بمساكن
في الصيف ومساكن في الشتا ولا تعثوا في الارض مفسدين والعثو اشد الفساد وقال
قتادة معناه لا تسيروا في الارض مفسدين وقيل اراد به النهي عن الناقة قال الملا الذين
استكبروا من قومه اي تكبروا عن الايمان به للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستبذلوهم وقوله تعالى لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير
لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرا ابن عامر وقالا الملا بالواو والباقون بلا واو وانكروا
ان صالحا مرسل من ربه اي ان الله ارسله الينا واليكم قالوا ذلك على الاستهزا قالوا اي الضعفا
انا بما ارسل به اي صالح من الدين والهدى مومنون اي مصدقون وانما عدلوا عن الجواب
الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي لب
قال الملا الذين استكبروا عن امر الله تعالى والايمان به وبرسوله صالح عليه السلام

انا بالذي امنتم به كافرون اي جاحدون متكبرون فعقروا الناقة اي عقروها قرارا من امرهم
فاسند العقر اليهم والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر افانه قتلها بالسيف فانا حر البعير
يعقره ثم ينحره وعتوا عن امر ربهم اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه وكذبوا نبيهم صالحا عليه السلام
وقالوا يا صالح ايتنا بما تعدنا اي من العذاب ان كنت من المرسلين اي كنت تزعم انك رسول الله
فان الله ينصر رسله على اعدائه فانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة من الارض والصيحة من السماء فاصبحوا في دارهم
جاثمين اي باركين على الركب روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادهم وخلفوهم في
الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني البيت المحكم فينهدم في حياته
فينحتون البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا وافسدوا في الارض
وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام من اشرافهم غلاما شابا
فدعاهم الى الله تعالى حتى كبر ولا يتبعه الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ
واكثر عليهم التحذير والتخويف سألوه اية فقال لهم اي اية تريدون فقالوا تخرج معنا الى
عيدنا في يوم معلوم لهم في السنة فتدعوا الهتك وندعوا الهتنا فان استجيبت لك اتبعناك
وان استجيبت لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا باوثانهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا
اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة
في ناحية الجبل يقال لها الكاتبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة
هي التي شاكلت البخت والجوفاء ذات الجوف والوبراء ذات الوبر فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا
عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتؤمنن ولتصدقنني فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت
الصخرة اي تحركت للولادة بمخض النتوج بولدها فانصدعت اي انشقت عن ناقة عشراء وهي
التي عليها من يوم ارسل عليها الفحل عشرة اشهر جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا
الله عظما وعظاما وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه
واراد اشراف ثمود ان يومنوا به ويصدقوه فنهاهم ذوآب بن عمرو وابنا اسد والحباب صاحبا
اوثانهم ورباب بن صفير كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة قال لهم صالح
هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكانت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب
الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها
ثم تتفج وهو بتقديم الجيم على المهملة مثل التفسخ وهو ان تفرج بين رجليها فيحلبون ما شاؤا
حتى تملئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف اي تقيم زمن الصيف بظهر الوادي

فتهرب منها

فتهرب منها الى بطنه وتشتو اي تقيم زمن الشتاء ببطنه فتهرب مواشيهم الى
ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة بنت غنم وصداقة بنت المحيا
لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها فرقى شقيبا
وهو بفتح القاف والثاء ولدها الذكر جبلا اسمه قارة فدحا ثلاثا وكان صالح عليه السلام
قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت وهو
بتشديد الجيم اي انفتحت الصخرة بعد دعائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غداة وجوهكم
مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما رأوا العلامات هالهم ان يقتلوه فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع
واشتد الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم
وهلكوا وسيأتي لهذه القصة زيادة ان شاء الله تعالى في سورة النمل ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية
ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل
الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي اتوري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم
عاقر ناقة صالح عليه السلام اتوري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك
اي اعرض صالح عنهم وفي هذا التولي قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل
عليه قوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين فتولى عنهم والفاء للتعقيب فدل على انه جعل هذا
التولي بعد جثومهم وهو موتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احياء قبل هلاكهم ويدل
عليه انه خاطبهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحياء وعلى هذا القول يحتمل ان في الآية تقديما وتاخيرا تقديره
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم
الرجفة فاصبحوا في ديارهم جاثمين واجيب من جهة الاول بانه خاطبهم بعد هلاكهم هو
تقريعا وتوبيخا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا في القليب
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي باسمائهم الحديث في الصحيحين وفيه فقال
عمر يا رسول الله تكلم اجسادا قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون
وقيل انما خاطبهم صالح عليه السلام بذلك ليكون عبرة لمن يأتي من بعدهم فيتزجون
عن مثل تلك الطريقة وروي ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل العذاب يوم السبت
وروي انه خرج في مائة وعشرين من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الوادي ساطعا

فعلم انهم قد هلكوا وكان الغار حمى اية وروي انه رجع بمن معه من المسلمين فسكنوا
ديارهم وقال قوم من اهل العلم توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وثمنين سنة واقام في قومه
عشرين سنة ولوطا اي وارسلنا لوطا بن هاران بن تارخ بن اخي ابراهيم اذ قال لقومه
اي وقت قوله لهم وقيل معناه واذكر لوطا ويبدل منه اذ قال لقومه وهم اهل سدوم قال
الثعلبي ازاي هو بفتح السين قرية قوم لوط قال الزمخشري في رواية الازهري دون غيره انتهى
وهو به صاحب القاموس وغلط الجوهري في قوله انهما مهملة وذلك ان لوطا عليه السلام
لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل ابراهيم عليه السلام ارض فلسطين ونزل
لوطا الاردن وهو بضم الهمزة والدال وتشديد النون نهر وكورة باعلا الشام فارسله الله
تعالى الى ارض سدوم يدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله اتاتون
الفاحشة اي اتفعلون الفاحشة الخبيثة التي هي غاية القبح وكانت فاحشتهم اتيان الذكران
في ادبارهم كما سيأتي ما سبقكم بها من احد من العالمين اي ما فعلها احد قبلكم والباء
للتعدية ومن الاولى زايدة للتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والجملة
استيناف تقرير للانكار وتهجين اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء قال عمرو بن دينار
ما نزا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط ثم بين الفاحشة بقوله اينكم لتاتون الرجال
اي في ادبارهم شهوة من دون النساء اي ان ادبار الرجال اشتهي عندكم من فرج النساء وقرا نافع
وحفص بكسر الهمزة ولا يابنها الا بين النون على الخبر وشهوة اما مفعول له واما مصدر في
موضع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون
الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطي وقرابة كثير بهمزتين الاولى
مفتوحة والثانية مكسورة مسهلة ولا مد بينهما وابو عمرو كذلك الا انه يمد بين الهمزتين
وهشام بتحقيق الهمزتين بينهما مرة والباقون بتحقيقهما من غير مدة بينهما وقوله
بل انتم ايها القوم قوم مسرفون اي مجاوزون الحلال الى الحرام اضرابا عن الانكار الى الاخبار
عنهم بالحال التي توجب انكاره والتعجب منه والقبايح وتدعوا الى اتباع الشهوات وانما وصفهم الله تعالى
وعيرهم وبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله تعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح
لبقاء النسل وعمارة الدنيا وجعل النساء محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن
ووضع الشيء في غير محله الذي خلق له فقد اسرف وجاوز واعتدي لان وضع الشيء في غير
محله الذي وضع له اسراف لان ادبار الرجال ليس محلا للولادة التي هي مقصودة بتلك الشهوة
المركبة في الانسان روي ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس لعنه الله تعالى لانه بلغه ان الخصب بارض

والثمار وانتجعها

والثمار وانتجعها اهل البلد اذ فتمثل لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شاب ثم دعى الى نفسه
فكان اول من نكح في دبره وقال محمد بن اسحاق كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الارض مثلها فقصدهم
الناس فاذوهم فعرض لهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا
نجوتم منهم فلما لم يعلم قصدوهم فاصابوا علما حسانا فاستخشنوا واستحكم ذلك فيهم
وما كان جواب قومه له حين زجرهم عن فعلهم القبيح وانكر بهم ما حرم الله تعالى عليهم
من العمل الخبيث الا ان قالوا اي قال بعض لبعض اخرجوهم من قريتكم اي ما جاءوا بما يكون
جوابا عما كلمهم به لوطا عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ولكنهم جاءوا بشيء
اخر لا يتعلق بنصيحته وكلامه من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا منهم
وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم وقوله انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون عن فعلكم وعن
ادبار الرجال سخرية بهم وبتطهيرهم من الفواحش وافتخارا بما كانوا فيه من القاذورات كما تفعل
الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم اتعدوا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتنزه فانجيناه
اي لوطا واهله اي من امن به وقوله تعالى الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تر الكفر موالية
لاهل سدوم كانت من الغابرين اي من الذين غبروا اي بقوا في ديارهم فهلكوا وروي انها
التفتت فاصابها حجر فهلكت وانما قال تعالى من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها هلكت
مع الرجال فغلب الذكور على الاناث وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين
بقوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل اي قد عجنت بالكبريت والنار يقال مطرت السما
وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطر وفي الرحمة مطر وقيل خص بالملقيين منهم هـ
وامطرت الحجارة على مسافريهم فانظر ايها الانسان كيف كان عاقبة المجرمين رويما ان كل
منهم كان في الحرم فوقع عليه وقال مجاهد نزل جبريل عليه السلام وادخل جناحه تحت مدائن
قوم لوط فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة كما قال
تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل والى مدين اي وارسلنا الى اولاد
ابن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام اخاهم في النسب لا في الدين شعيبا بن ميكيل بن يشجر
ابن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه عليه السلام وكان قومه اهل
كفر وبخس للمكيال والميزان قال اي شعيب عليه السلام يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة اي معجزة تدل على صدق ما جيت به من ربكم اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما
امركم به فان قيل ما كانت معجزته اذ لم تذكر له معجزة اجيب بانه قد وقع العلم بانه
كان له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه

والاعم تصح دعواه وكان منبيا لانبيا غيران معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات
نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام الواردة في غير القرآن ما روي
من محاربة عصي موسى التنين حين دفع اليه الغنم وولادة الغنم الدرع حين وعده ان
يكون له الدرع من اولادها والدرع بوزن الضرع وهي الغنم التي ايلها سواد واخرها
بياض ووقوع عصي ادم عليه السلام على يده في المرآة السبع وغير ذلك من الايات لان
هذه كلها كانت قبل ان تنتسب لموسى عليه السلام فكانت معجزة لشعيب وهذا اولى من جعله
كرامة لموسى او امرها ضا وهو علامة تظهر قبل النبوة وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله
فاوفوا الكيل والميزان اي اتموهما ولا تبخسوا اي تنقصوا الناس اشياءهم تنطففوا الكيل
والوزن يقال بخس فلان الكيل والوزن اذا انقصه وطففه فان قيل هلا قال المكيال والميزان
كما في سورة هود اجيب بانه اراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او سمي ما يكال به بالكيل
او اريدوا وفوا الكيل ووزن الميزان وانما قال اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كما يفعل
امرا الجور ولا تفسدوا في الارض اي بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها اي بعد ما اصلح امرها
واهلها الانبيا وانباعهم بالشرايع ذلكم اي الذي ذكرت لكم وامرتكم به من الايمان ووفا
الكيل والميزان وترك المظالم والبخس خير لكم اي مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس ان كنتم مؤمنين
اي مصدقين بما اقول لكم ومعنى خير لكم اي في الانسانية وحسن ما يتحدث به وجمع المال
لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا منكم الامانة والنزاهة ولا تقعدوا بكل صراط
اي طريق من طرق الدين توعدون اي تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددوهم على ذلك
وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات فيخبرون من اتى عليهم ان شعيبا الذي تريدون كذاب
فلا يفتنكم عن دينكم وقيل كانوا يقطعون الطريق على الناس ويقعدون لاخذ المكس منهم
وقوله تعالى وتصدون اي تصرفون الناس عن سبيل الله اي دينه من امن به وقيل على ان المراد
بالطريق سبيل الحق فان قيل صراط الحق واحد قال تعالى وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط اجيب بان صراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة وكانوا اذا راوا احدا شرع
في شيء منها اوعدوه وصدوه وتبغونها اي يطلبون الطريق عوجا اي يصفونها للناس
بانها سبيل معوجة عن الحق غير مستقيمة ليصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون ذلك
تهكما بهم وانهم يطلبون لها معا هو محال وان طريق الحق لا يعوج واذكروا نعمة الله عليكم
وامنوا به اذ كنتم قليلا فكثركم اي كثر عددكم بعد القلة او كثركم بالغنا بعد الفقر وكثركم

بالقدرة بعد الضعف قيل ان مدين بنا ابراهيم تزوج بنت لوط عليهما السلام فولدت فرتى
الله تعالى من نسلها بالبركة والنماء فكثروا وغنوا وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين فتكلم
بتكذيبهم رسلهم اي اخر امرهم من الهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل الله
تعالى اليهم حجارة من السما لما عصوه وكذبوا رسوله وان كان طايفة منكم امنوا بالذي
ارسلت به وطايفة لم يؤمنوا به اي وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة امنت
بي وصدقت برسالتي وفرقة كذبت وتجحدت برسالتي فاصبروا اي فتربصوا حتى يحكم الله
بيننا اي بين الفريقين فيخزي المبطل ويظفر المومنين اي المصدقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين
ويعذبهم وفي هذا وعد للمومنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اي لا حيف في حكمه
ولا معتب له لانه منزه عن الجور والميل في حكمه وانما قال خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض
الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة قال الملا اي الجماعة الذين
استكبروا اي تكبروا من قومه عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب عليه
السلام لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن اي تصيرن
في ملتنا اي لا بد من احد الامرين اما اخراجك ومن اتبعك على دينك من بلدنا او عودكم
في الكفر فان قيل شعيب لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ملكان عليه اجيب بان اتباع
شعيب كانوا على ملة اولئك الكفار فاطبوا شعيبا واتباعه جميعا فدخل هو في الخطاب
وان لم يكن على ملتهم قط لان الانبيا لا يجوز عليهم الكفر مطلقا فاستعمل العود في حقهم على
سبيل التجاوز وجرى بعضهم على ان العود يستعمل بمعنى صار كما يستعمل بمعنى رجع
فلا يلزم الرجوع الى حالة سابقة بل هو انتقال من حالة سابقة الى حالة مشاركة قال القايل
** فان تكن الايام حسن مرة ** الى فقد عادت لهن ذنوب ** اراد فقد صارت لهن ذنوب
ولم يرد ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان قال لهم شعيب على سبيل الاستفهام الانكاري
اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها وقيل لا نعود فيها وان كرهتموها
واخبروا بنا على الدخول فيها لا نقبل ولا ندخل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة الا ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم
وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام على حكم التغليب وما يكون لنا ان نعود
فيها الا ان يشا الله ربنا اي الا ان يكون في علمه ومشيته اخذ لنا بارتدادنا فحينيذ يقضي قضاه الله فينا
وينفذ حكمه علينا وفيه دليل على ان الكفر بمشيته الله تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم
في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء فلا يخفى عليه

ملتنا وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار
ولما ايس شعيب من ايمان قومه دعا بهذا الدعا فقال ربنا افتح اي اقض وافصل واحكم
بيننا وبين قومنا بالحق اي بالعدل الذي لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف وانت خير الفاتحين
اي الحاكمين وقال الملا الذين كفروا من قومه اي قال جماعة من اشراف قوم شعيب ممن
كفر به لاخرين منهم لان اتبعتم شعيبا على دينه وتركتم دينكم وما انتم عليه انكم اذا
لخاسرون اي مغبونون لفوات ما يحصل لكم بالتجر والتطفيف اولاستبدال ضلالته بهداكم
وجواب القسم الذي وطيئة اللام في لين اتبعتم شعيبا وجواب الشرط قوله انكم اذا لخاسرون
فهو ساد مسد الجوابين فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم اي
موتهم جاثمين اي باركين على الركب ميتين قال ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله تعالى عليهم
بابا من جهنم فارسل عليهم حرها شديدا فاخذ بانفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في
الاسراب ليتبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا الى البرية فبعث الله تعالى عليهم
سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونيما فنادى بعضهم بعضا
حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ووجدت
بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد وصاروا رمادا وروي ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعة
ايام ثم سلط عليهم الحر سبعة ايام ثم رفع لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته انهار وعيون
فاتاهم واخبرهم فاجتمعوا تحته كلهم فوقع ذلك الجبل عليهم فذلك قوله تعالى عذاب يوم
الظلة وقال قتادة بعث الله تعالى شعيبا الى اصحاب الايكة واصحاب مدين فاما اصحاب الايكة
فاهلكوا بالظلة واما اصحاب مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا
جميعا قال ابو عبد الله البجلي ابو عاده وهوزه وحطي وكلمن وسفعص وقرشت ملوك مدين
وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة كلمن فلما هلكوا قالت ابنته شعرا ترثيه وتبكيه
كلمن هدركني فاهلكه وسط المحله سيد القوم اتاه الحتف تحت الظله
جعلت نارا عليهم دارهم كالمضمحله وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره
كان مخففة واسمه محذوف اي كانهم لم يغنوا اي لم يبقوا ويتنعموا فيها اي في ديارهم يوما
من الدهر يقال غنيت بالمكان اي اقمت به والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها مغنى
قال الشاعر ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان لم يعيشوا فيها متنعمين يقال غنى الرجل اذا استغنى وهو من الغنا الذي هو ضد الفقر
غنيا زمانا بالتضعك والغنا وكل سقاناه بكاسهما الزهر فما زادنا بغيا على ذي قرابة غنا ولا الزيد باحسانا

قال الزجاج

قال الزجاج يعني غنينا عنا والتضعك الفقر يقال للفقير المحلوك الذين كذبوا
شعيبا كانوا هم الخاسرين اي دنيا ودينا دون الذين اتبعوه فانهم الرابحون في الدارين
وانما كرر ذلك باعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق فتولى اي اعرض شعيب
عنهم اي عن قولهم به وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم اي قال ذلك
لما تيقن نزول العذاب بهم تاسفا وحزنا عليهم لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم
الاجابة والايمان ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى اي احزن على قوم كافرين لانهم
ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بسبب كفرهم وقيل قال ذلك اعتذارا عن غلو
شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح فلم
يصدقوا فعلي فكيف احزن عليهم قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نبي فيه اضمار
وحذف تقديره فكذبوه الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء قال ابن مسعود الباساء الفقر
والضراء المرض وقيل الباساء الشدة وضيق العيش والضراء السقم لعلهم يتضرعون اي فعلنا
بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع التذلل والخضوع والانقياد لامر الله ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة
كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات فاخبر الله تعالى بهذه الاية انه يأخذ اهل هذه
المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج وهو قوله تعالى حتى عفوا
اي كثروا ونموا في انفسهم واموالهم يقال عفا الشعر اذا كثر وطال ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم واعفوا اللحى اي وفروها واكثروا شعرها وقالوا لكثرة النعمة قد مس ابائنا الضراء والسراء
وهذه عادة الدهر قد بما وحديثا لنا ولابائنا ولم يكن بما مسنا من الشدة والرخاء عقوبة
لنا من الله تعالى على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما كان ابائهم من قبل فانهم لم يتركوا
دينهم لما اصابهم من الضراء والسراء قال الله تعالى فاخذناهم بغتة اي فجاة اي على غفلة ليكون
ذلك اعظم لحسرتهم وهم لا يشعرون اي بنزول العذاب بهم والمراد بذكر هذه
الغفلة وغيرها من التفصيل اعتبار من سمعها ليتزجر عما هو عليه من الذنوب ويرجع الى الله
تعالى ويزداد الذين امنوا ايمانا ولو ان اهل الكتاب اليهود اي المكذبين امنوا بالله
ورسوله واتقوا الشرك والمعاصي لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لاتاهم
بالخير من كل وجهة وقيل ببركات السماء المطر وببركات الارض النبات والثمار والانعام وجميع
ما فيها من الخيرات وكل ذلك من فضل الله واحسانه على عباده وقرا ابن عامر بتشديد
التاء والباقون بالتخفيف ولكن كذبوا اي فعلنا بهم ذلك ليؤمنوا فما امنوا ولكن كذبوا الرسل

الى

فاخذناهم اي عاقبناهم بانواع العذاب بما اي بسبب ما كانوا يكسبون من الكفر والمعا
وقوله تعالى افامن اهل القرى عطف على قوله تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون
وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا اي عذابنا
بياتا اي ليلا وقوله تعالى وهم نائمون حال من ضمير هم البارز او المستتر في بياتا او من
اهل القرى هو استفهام بمعنى الانكار وفيه وعيد وزجر وتهديد والمراد بالقرى
مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل القرى الذين كفروا وكذبوا وقرا نافع وابن كثير
وابن عامر بسكون الواو والباقون بفتح الواو ان ياتيهم باسنا ضحى اي نهارا الان الضحى
صدر النهار وهم يلعبون اي وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم وقوله تعالى
افامنوا مكر الله تقرير لقوله تعالى افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج
العبد بالنعم في الدنيا واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
اي انه لا من استدراجه اياهم بالنعم فاخذهم بغتة الا من خسر في الاخرة وهلك مع
الهالكين فعلى العاقل ان يكون في خوف من الله تعالى كالمحارب الذي يخاف من عدوه في
المكمن والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى ان ابنته قالت له مالي اراك
الناس ينامون ولا اراك تنام فقال يا ابنتاه ان اباك يخاف البيات يريد قوله تعالى ان ياتيهم
باسنا بياتا اولم يهد اي يتبين للذين يرثون الارض اي يسكنون من بعد هلاك اهلها
الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها ان لو نشا اصبناهم بالعذاب بذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم والهمزة للتوبيخ وان لو نشا مرفوع بانه فاعل يهد اي اولم يهد
للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون ارضهم هذا الشان وهو ان لو نشا
اصبناهم بذنوبهم اي بسببها كما اهلكنا الموروثين وانما عدي فعل الله اياه باللام لانه
بمعنى التبيين كما مر وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بال الهمزة الثانية واوا في الوصل
والباقون بتحقيقها وقوله تعالى ونطبع اي نختم على قلوبهم معطوف على ما دل عليه
اولم يهد كانه قيل يغفلون عن البداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون
منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة اي لا يقبلونها ومنه سمع
الله لمن حمده قال الشاعر دعوت الله حتى خفت ان لا يكون الله يسمع ما اقول
اي يقبله ويستجيبه تلك القرى اي القرى التي ذكرناها لك يا محمد امرها وامر اهلها وهي قرى
قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك يا محمد من انبائها اي نخبرك
عنها وعن اهلها وملاكان من امرهم وامر رسلهم الذين ارسلوا اليهم لتعلم انا لنتصر

رسلنا والذين

رسلنا والذين امنوا معهم على اعدائهم من اهل الكفر والعناد وكيف اهلكناهم بكفرهم
ومخالفتهم رسلهم وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم
مثل ما اصابهم ولقد جاءتهم اي اهل تلك القرى رسلنا بالبينات اي بالمعجزات الباهرات
والبراهين الدالة على صدقهم وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالاظهار وقرا
الباقون بالادغام واما حمزة وابن ذكوان الاولى وسكن الثاني ابو عمرو ورفعها الباقون
فما كانوا ليؤمنوا اي عند مجيئهم بما كذبوا اي كفروا به من قبل اي قبل مجيء الرسل
بل استمروا على الكفر واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صالحوا للايمان لمنافاة
حالتهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك اي كما طبع الله على قلوب كفار الامم
الخالية واهلكهم يطبع الله على قلوب الكافرين الذي كنت عليهم انهم لا يؤمنون من قومك
وما وجدنا لاكثرهم اي لاكثر الناس على الاطلاق او لاكثر الامم الخالية والقرون الماضية
الذين قصصنا خبرهم عليك واكد الاستغراق فقال من عهد اي من وفاء لعهد الذي
عهدناه اليهم واصبناهم به يوم اخذ الميثاق والاية على الاول اعتراض وعلى الثاني من
تتمة الكلام السابق وان مخففة اي وانا وجدنا اي في علمنا في عالم الشهادة اكثرهم لفاسقين
اي خارجين عن مدار ما امرنا العهد طبقا كما نعلم منهم في عالم الغيب وما ابرزناه في عالم الشهادة
الا لنقيم عليهم به الحجة على ما يتعارفونه بينهم في مجاري عاداتهم ومداركهم المتعلقة لهم
ثم بعثنا من بعدهم اي الرسل المذكورين وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب
عليهم الصلاة والسلام او الامم المهلكين موسى عليه السلام بايتنا اي بمعجزاتنا الدالة
على صدقه كاليد والعصا الى فرعون هو علم جنس الملوك بمصر كقيصر لملوك فارس
وقيصر لملوك الروم والنجاشي لملوك الحبشة وكان اسم فرعون موسى بن قابوس وقيل
الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط وملايه اي عظماء قومه وخصهم لانهم
اذا اذعنوا اذعن من دونهم وكانوا المقصودون والارسال اليهم ارسال الى الكل فظلموا
اي كفروا بها اي بسبب رويتها خوفا على رياستهم وملكتهم الفانية ان تخرج من ايديهم فانظر
ايها المخاطب بعين البصيرة كيف كان عاقبة المفسدين اي اخر امرهم اي كيف فعلنا بهم
وكيف اهلكناهم وقال موسى لما دخل على فرعون يا فرعون خاطبه بما يجب ان يخاطب به
ان يلين في خطابه وذلك لان فرعون لقب مدح لمن ملك مصر اني رسول اي مرسل اليك
والى قومك ثم بين مرسله بقوله من رب العالمين اي الاله الذي خلق الخلق وهو سيدهم
ومالكهم وقوله حقيق علي ان لا اقول على الله الا الحق جواب لتكذيب فرعون اياه

في دعوى الرسالة والمعالم يذكره لدلالة قوله تعالى فظلموا بها والحق هو الثابت الدائم والحقيق
مبالغة فيه وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول على الله الا الحق قرأ نافع على
بالتشديد فحقيق مبتدأ خبره ان وما بعده والباقون بالسكون وعلى هذا تكون
على بمعنى الباء ويضمن حقيق معنى حريص وان لا مقطوعة في الرسم اي النون من
لام الان قد جئتكم ببينة اي معجزة من ربكم على صدقي فيما ادعي من الرسالة وهي
العصا واليد البيضاء ان موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته ترتب على
ذلك الحكم قوله فارسل معي بني اسرائيل اي فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة
التي وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة من ضرب اللبن
ونقل التراب ونحوهما قال فرعون لعنه الله مجيبا لموسى عليه السلام ان كنت جئت
باية اي علامة على صحة رسالتك فاتي بها ان كنت من الصادقين اي في دعوى اهل
الصدق الفريقين فيه لتصح دعواك عندي وتثبت فالقى موسى عصاه فاذا هي
اذا العصا ثعبان مبين اي ظاهر امره لا شك فيه انه ثعبان والثعبان الذكر العظيم
من الحيات فان قيل اليس قال الله تعالى في موضع كانها جان والجان الحية الصغيرة
اجيب بانها كانت كالجان في الخفة والحركة وهي في خلقتها حية عظيمة روي انه لما
القاها صارت حية عظيمة صفراء شقراء فاغرة ما بين لحييها ثمانين ذراعا وارتفعت
من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الاسفل في الارض والاعلى على سور
القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب فرعون على سريره هاربا واحدث فقيل
احدثه البطن في ذلك اليوم اربعماية وقد قيل انه كان يحمل الموز حتى لا يتقوطه وحملت
على الناس فانهزموا وصاحوا ومات منهم خمسة وعشرين الفا ودخل فرعون البيت
وصاح يا موسى انشدك الله الذي ارسلك ان تاخذها وانا اومنك وارسل معك بني
اسرائيل فاخذها موسى فعادت عصى كما كانت ثم قال هل معك اية اخرى قال نعم
ونزع يده اي اخرجها من جيبه وقيل من تحت ابطه بعد ان اراه اياها محترقة اذ ما كان
وهي عنده فاذا هي بيضاء نورانية للناظرين لها شعاع غلب شعاع الشمس قال ابن عباس
كان لها نور ساطع يبقى ما بين السما والارض له لمعان مثل البرق فخروا على وجوههم
ثم ردها الى جنبه فاذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص
قال الله تعالى في اية اخرى من غير سوء اي من غير برص فان قيل بم يتعلق قوله تعالى
للناظرين اجيب بانه يتعلق بقوله تعالى بيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون

بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه
كما يجتمع النظارة للعجايب فان قيل احدهما في الامرين اما بالعصا واما باليد كان
كافيا فما فايدة الجمع بينهما اجيب بان كثرة الدلايل توجب القوة في اليقين وزوال
الشك وقول بعض المحدثين المراد بالثعبان وباليد البيضاء شيء واحد وهو ان حية موسى
عليه السلام كانت قوية ظاهرة فاهرة من حيث انها ابطلت اقوال المخالفين واظهرت
فسادها كانت كالثعبان العظيم الذي يتلقف حبال المبطلين ومن انها كانت ظاهرة في نفسها
وصفت باليد البيضاء كما يقال في العرب لفلان يد بيضاء في العلم الفلاني اي قوية كاملة ومن
ظاهرة مردود ان حمل هذين المعجزتين على هذا الوجه تجري مجرى تكرير التواتر هو
تكذيب الله ورسوله ولما اتى بالبيان واقام واضح البرهان قال الملا اي الاكابر من
قوم فرعون ان هذا اي موسى لساحر عليم اي عالم بالسحر ما هو فيه فواخذوا عين الناس
وترجيح الشيء بخلاف ما هو عليه حتى يخيل اليهم ان العصا صارت حية وان الادم ابيض كما
اراه يده بيضاء وهو ادم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان
فان قيل قد اخبر الله تعالى في هذه السورة ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال
في سورة الشعراء وقال فرعون للملا حوله ان هذا لساحر عليم فكيف الجمع بينهما اجيب
عن ذلك جوابين الاول لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله
عنهم هنا واخبر عن فرعون في سورة الشعراء الثاني ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا
من قومه وهم خاصة حموه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله تعالى هناك عن الملا
واخبر هناك عن فرعون يريد اي موسى ان يخرجكم ايها القبط من ارضكم اي ارض مصر
فماذا تامرون اي اي شيء تشيرون ان نفعل به فقوله فماذا تامرون من قول فرعون
وان لم يذكره وقيل من قول الملا وتم كلام فرعون عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
فقال الملا مجيبين له فما تامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد على عادة الملوك
في التعظيم والتفخيم والمعنى فما تامرون ان نفعل به والقول الاول اصح لسياق الاية
التي بعدها وهي قوله تعالى قالوا ارجه اي موسى واخاه هارون عليهما السلام اي اخر
امرهما ولا تعجل فيه حتى ننظر في امرهما والارجاء في اللغة التاخير وقيل الحبس اي احبسه
واخاه وردد بان فرعون ما كان يقدر على حبس موسى بعد ما راى من امر العصا ما راى وقرا
ابن كثير وابو عمرو وابن عامر برمزة ساكنة والباقون بغير همز وارسل في المدائن جمع
مدينة واشتقاقها من مدن بالمكان اي اقام به اي اين مصر جامعين اي ارسل

رجالا من اعوانك وهم الشرط بضم الشين وفتح الراء طايفة من اعوان الولاة يحشرون
اليك السحرة من جميع مدايني الصعيد وكان رأس السحرة باقصى مداين الصعيد فان غلبهم
موسي صدقناه وتبعناه وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله تعالي يأتوك الي الشرط
بكل ساحر عليم اي ماهو بصناعته واليه يحتمل ان تكون بمعني مع ويحتمل ان تكون با
التعدية وقرأ حمزة والكسائي يتشديد اللام مفتوحة والف بعدها ولا الف قبلها والباقون
بتخفيف اللام مكسورة والف قبلها ولا الف بعدها ولم يختلفوا في سورة الشعراء انه ساحر فصيل
الساحر الذي يعلم السحر ولا يعلم والساحر من يدعي السحر روي ان فرعون لما رأي من سلطان
الله وقدرته في العصا ما رأي قال انا لا نقاتل موسي الا بمن هو اقوي منه فاتخذ علماء من
بني اسرايل وبعث جهم الي مدينة يقال لها الفرما يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا ثم
واعد فرعون موسي موعدا ثم بعث الي السحرة الذين ارسلهم فجاوا ومعلميهم معهم
فقال فرعون للمعلم ما صنعت فقال علمتهم سحرا لا يطيقه اهل الارض الا ان يأتي امر
من السما فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا الا
اتي به وهذا يدل علي ان السحرة كانوا كثيرين في ذلك الزمان ويدل علي صحة
ما يقوله المتكلمون وهو انه تعالي جعل معجزة كل نبي من جنس ما كان غالبا علي اهل
ذلك الزمان فلما كان السحر غالبا علي اهل زمان موسي كان معجزته مشبهة بالسحر
وان كان مخالفا للسحر في الحقيقة ولما كان الطب ولسانة الفصاحة غالبة علي
اهل زمان محمد صلي الله عليه وسلم كانت معجزته من جنسه الفصاحة واختلفوا في عدد
السحرة الذين جمعهم فرعون فمن مقل ومن مكثر وليس في الاية ما يدل علي المقدار
والكيفية والعدد ولذلك اختلفوا في عددهم فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان
من القبط وهما راسا القوم وسبعون من بني اسرايل قال الكلبي كانت الذين يعلمون
رجلين فحوشيين من اهل نينوي بلدة يونس عليه السلام وكانوا سبعين غير رئيسهم
وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحاق كانوا خمسة عشر الفا وقال
عكرمة كانوا سبعين الفا وقال ابن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال مقاتل كان رئيس السحرة
شمعون وقال ابن جريج كان رئيسهم يرخا وجا السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط
في طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا اي جعلا وعطاء كرمنا به ان كنا نحن الغالبين لموسي فان
قيل هل قيل تقالوا الف فجيب بانه علي تقدير يأيل سالا ما قالوه اذ جاوا فاجيب
بقوله اي لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقرا ابن كثير وحفص بهمزة مكسورة ونون مشددة

بعدها

بعدها علي الخبر والباقون بهمزتين وسهل الثانية ابو عمرو وادخل الفا بينهما الفا
هشام والباقون بغير الف بينهما قال لهم فرعون نعم اي لكم الاجر والعطا وقرا الكسائي
بكسر العين والباقون بالفتح وقوله تعالي وانكم لمن المقربين عطف علي محذوف
تدل عليه الجواب كانه قيل اجوابا لقولهم ائن لنا لاجرا ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين
اراد اني لا اقتصر علي الثواب بل ازيدكم عليه وتلك الزيادة اني اجعلكم من المقربين عندي
قال الكلبي تكونون اول من يدخل واخر من يخرج من عندي والاية تدل علي ان كل هؤلاء
الخلق كانوا عاجزين بان فرعون كان عبدا ذليلا ههنا عاجزا والا لما احتاج الي الاستعانة
بالسحرة في دفع موسي وتدل ايضا علي ان السحرة ما كانوا قادرين علي قلب الاعيان
والا لما احتاجوا الي طلب الاجر والمال من فرعون لانهم لو ملكوا فرعون الي انفسهم
ويجعلوا انفسهم ملوك العالم وروسا الدنيا والمقصود من هذه الايات تنبيه الانسان
لهذه الدقايق وان لا يغتر بكلمات اهل الاباطيل والاكاذيب قالوا اي السحرة يا موسي اما
ان تلقي اي عصاك واما ان نكون نحن الملقين اي عصينا وحبالنا فراعوا موسي عليه السلام
حسن الادب حيث قدموه علي انفسهم في الالقا فوضعهم الله تعالي حيث نادوا نبيه
عليه السلام ان من عليهم بالايمان والهداية ولما راعوا الادب اولا واظهروا ما يدل
علي رغبتهم قال لهم موسي القوا انتم فقدمهم علي نفسه في الالقا فان قيل كيف جاز لنبي
الله تعالي موسي عليه السلام ان يأمر بالالقي وقد علم انه سحر وفعل السحر حرام وكفر
اجيب عن ذلك باجوبة احدها ان معناه ائتوا ما انتم محقين في فعلكم قالوا هو
والا فلا تلقوا الثاني ان القوم انما جاوا الالقائهم الحبال والعصي وعلم موسي
عليه السلام انه لا بد وان يفعلوا ذلك ووقع التخيير في التقديم والتاخير فعند ذلك
اذن لهم في التقديم ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بوعد الله تعالي
من التاييد والتقوية وان المعجزة لا يغلبها سحر ايراد الثالث انه عليه السلام كان يريد
ابطال ما اتوا به من السحر وابطاله ما كان يمكن الا بتعقيبهم فاذن لهم في الاتيان بذلك
السحر ليمكنه الاقدام علي ابطاله فلهذا المعني امرهم بالالقا اولا فلما القوا حبالهم وعيسهم
سحروا اعين الناس اي صرفوا اعين الناس عن ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو
الفرق بين السحر الذي هو فعل الشر وبين معجزة الانبيا الذي هو فعل الله تعالي وذلك
لان السحر ليس فيه قلب الاعيان وانما فيه صرف اعين الناس عن ادراك ذلك الشي
بسبب التمويهات والمعجزة قبل ذلك الشي حقيقة كقلب عصا موسي عليه السلام هـ

فاذا هي حية تسعى واسترهبوهم اي ارهبوهم واسترهبوهم زايدة قاله المبرد وقال الزجاج
استدعوا رهبة الناس حتى رهبهم الناس وذلك بان بعثوا جماعة ينادون عند القاء
ذلك ايها الناس احذروا فذلك هو الاسترهاب وجاءوا بسحر عظيم روي
ان السحرة قالوا قد علمنا سحر الا تطيق سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السما
فانه لا طاقة لنا بمثله وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي حيات تسعى
كامثال الجبال قد ملات الوادي يركب بعضها بعضا ويقال انهم طلوا تلك الحبال بالزيبق
وجعلوا داخل تلك العصي زيبقا ابيض والقوها على الارض فلما اثر حر الشمس فيها تحركت
والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات تتحرك وتلتوي باختيارها ويقال
ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك
واوجس في نفسه خيفة موسى وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل سحرهم
لانه كان على ثقة ويقين من الله تعالى انهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان ما الق
به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل باطل ومع هذا الجزم يمتنع
حصول الخوف لموسى عليه السلام وانما كان خوفه لاجل فزع الناس واضطرابهم مما
راوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا قبل ظهور معجزته وحجته
فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها
فصارت حية عظيمة قد سدت الافق فقال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية
وقال بلغ ذنب الحية منها سبعين ذراعا فاذا هي تلقف بحذف احدى التائين
من الاصل اي تبتلع ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشي
عن وجهه روي انها ابتلعت كلما القوا به من السحر فكانت تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا
واحدا حتى ابتلعت الكل ثم اقبلت على الذين حضروا ذلك المجمع ففزعوا ووقع الزحام
عليهم فمات منهم بسبب ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى عليه السلام
فصارت في يده عصى كما كانت اول مرة فلما راي السحرة ذلك عرفوا انه امر من السما وليس
بسحر وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا
امنا برب العالمين وذلك قوله تعالى فوقع الحق اي فظهر الحق الذي جاء به موسى وبطل
ما كانوا يعملون اي من السحر وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لثبتت
حبالنا وعصينا فلما فقدت وتلاشت في عصي موسى علموا ان ذلك من امر الله تعالى وقدرته
وقرا حفص تلقف بسكون اللام وتخفيف القاف والباقون بفتح اللام وتشديد القاف وشد

التا البزي فغلبوا اي فرعون وجموعه هنالك اي عند ذلك الامر العظيم العالي
الرتبة وانقلبوا صاغرين اي رجعوا الى المدينة اذلا مقهورين والقي السحرة ساجدين
اي ان الله تعالى الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى يتبكر فرعون بالذين ارادهم كسر موسى
وينقلب الامر عليه قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانهم القوا قالوا امنا برب
العالمين قال فرعون اياي تعنون قالوا لا بل رب موسى فقال اياي تعنون لاني انا
الذي ربيت موسى فلما قالوا وهارون زالت الشبهة وعرف الكل انهم كفروا بفرعون
وامنوا بالعالمين قال لهم قال موسى لكبير السحرة تومن بي ان غلبتك فقال
لا بل بسحر لا يغلبه سحر ولين غلبتني لاومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع كل منهما
فهذه فحوى قوله ان هذا لمكر مكرتموه ويقال ان الحبال والعصي التي كانت مع السحرة
كانت حمل ثلثماية بعير فلما ابتلعتهما عصي موسى عليه السلام كلها قال بعضهم لبعض
هذا امر خارج عن هذا السحر وما هو الا من امر السما فامنوا وصدقوا فان قيل كان يجب
ان يتوبا بالايمان قبل السجود فما فايدة تقديم السجود على الايمان اجيب بان الله تعالى
لما قذف في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على ما هداهم الله
والهمهم من الايمان بالله وتصديق رسوله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم قال قتادة كانوا
اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهدا بررة وعن الحسن نزيه من ولد في الاسلام ه
ومنا بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهو لا كفارنا وفي الكشاف ولما القى السحرة
انفسهم الله تعالى قال فرعون للسحرة منكرا عليهم موبخا لهم بقوله امنتم اي صدقتم به اي بموسى وبالله
والاستفهام فيه للانكار والتوبيخ فايدة هنا ثلاث همزات جميع القرا باتيان الاولى
الثالثة الفا وحقق الثانية شعبة وحمزة والكسايي وسهلها نافع وابن كثير وابو عمرو
وابن عامر واما حفص فانه اسقط الاولى وابدلها فتبل في الوصل واوا قال ان اذن لكم
اي قبل ان ما مركم بذلك واذن لكم فيه ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنع لحيلة احتلتموها
انتم وموسى في المدينة اي مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون راى موسى
حدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطيا عليه اهل مصر ليستولوا
على مصر كما قال لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلص لكم ولبني اسرايل وقوله فسوف تعلمون
فيه وعيد وتهديد اي فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد بقوله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف اي يخالف الطرف الذي تقطع منه اليه الطرف الذي تقطع
منه الرجل قال الطيبي لاقطعت ايديكم اليمنى وارجلكم اليسرى ثم لاصلبنكم اي اعاقبكم

ممدودة ايديكم لتقصير علي هيئة الصليب او حتي يتخاطب صليبكم وهو الوهن الذي فيكم
اجمعين اي لا اترك احدا منكم تقضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قال ابن عباس اول من صلب
وقطع الايدي والارجل فرعون اي انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالي للقطاع ه
تعظيما لجرمهم وذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن علي التعاقب لفرط رحمته
قالوا اي السحرة مجيبين لفرعون حين وعدهم بما ذكر انا الي ربنا بعد موتنا باي وجه
كان منقلبون اي راجعون اليه في الاخرة وما تنقم اي تنكر منا اي في فعلك ذلك
بنا وتعيب علينا الا ان امنا اي الا ما هو اصل الفخر كلها وهو الايمان باياتربنا
لما جاتنا لم نتاخر عن معرفة التصرق وهذا موجب الاكرام لا الانتقام ثم قرعوا
الي الله تعالي فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا عندما توعدهم فرعون به اي اصب علينا
صبرا كاملا تاما ولهذا اتي بلفظ التنكير اي صبرا عظيما وتوفنا مسلمين اي واقبضنا
علي دين الاسلام وهو دين خليلك عليه السلام قال ابن عباس كانوا في اول النهار
سحرة وفي اخر النهار شهدا قال القرطبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال
غيره انه لم يقدر عليهم لقوله تعالي باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون تنبيه
في الاية فوايد الاولي قولهم افرغ علينا صبرا الجمهور قولهم انزل علينا صبرا الان افراغ
الانا هو صب ما فيه بالكلية فكانهم طلبوا من الله تعالي كل الصبر لا بعضه الثانية
ان قولهم صبرا منكورة بصيغة التنكير وذلك يدل علي تعلم الكمال اي صبرا تاما كاملا
الثالثة ان ذكر الصبر من قبلهم ومن اعمالهم ثم انهم طلبوه من الله تعالي وذلك يدل
علي ان فعل العبد لا يحصل الا بخلق الله وقضايه الرابعة احتج القاضي بهذه الاية
علي الايمان والاسلام واحد فقال انهم قالوا اولا امنا باياتربنا ثم قالوا ثانيا وتوفنا
مسلمين فوجب ان يكون ذلك الايمان هو ذلك الاسلام وذلك يدل علي ان احدهما
هو الاخر واعلم ان فرعون بعد وقوع هذه الواقعة لم يتعرض لموسي لانه كان
كلما راي موسي عليه السلام خافه لشدة الخوف فلهذا السبب لم يتعرض له الا ان القوم
لم يعرفوا ذلك فقالوا له اتذر موسي وقومه ليحاربوك فالله تعالي ذلك عنهم بقوله تعالي
وقال الملا اي الاشراف من قوم فرعون له اتذر اي تترك موسي وقومه اي بني اسرائيل
ليفسدوا في الارض اي ارض مصر واراد وا بالفساد فيها انهم يامروهم بمخالفة فرعون
وهو قولهم ويذرك وآلهتك اي معبوداتك اي فلا يعبدها وكان اذا راي بقرة ه
حسنة امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال الذي كان فرعون اتخذ

لقومه اصناما

لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم وربّ هذه الاصنام وذلك
قوله انا ربكم الاعلا فان قيل ان فرعون ان لم يكن كامل العقل لم يجز في حكمة الله تعالي
ارسال الرسل اليه وان كان عاقلا لم يجز ان يعتقد في نفسه كونه خالق السموات
والارض لان فساده معلوم بالضرورة اجيب بان الاقرب ان يكون دهريا منكرا ه
لوجود الصانع وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب واتخذ اصناما
علي صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه انه المطاع ه
المخدوم في الارض ولهذا قال انا ربكم الاعلي قال فرعون مجيبا لملايه حين قالوا له
اتذر موسي وقومه سنقتل ابناهم اي المولودين ونستحي نساهم اي نتركهم احيا
كما كنا نفعل من قبل ليعلم اناعلي ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود
الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكك علي يده وقرا نافع وابن كثير بفتح النون
وسكون القاف وضم التا مخففة والباقون بضم النون وفتح القاف وكسر التا مشددة
وانا فوقهم قاهرون اي غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا ولا اثر لغلبة موسي
لنا في هذه المناظرة فاعادوا عليهم القتل فكفت بنو اسرائيل لموسي فامرهم بالصبر
كما قال تعالي قال موسي لقومه اي بني اسرائيل استعينوا بالله واصبروا اي استعينوا
بالله علي فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلا فان الله تعالي هو الكافي لكم واصبروا علي
ما انالكم من المكاره في انفسكم وابنايكم ان الارض اي ارض مصر وان كانت الارض كلها
لله تعالي لان الكلام فيما يورثهما من شاء من عباده وفي هذا تسلية لهم وتقدير للامر
بالاستعانة بالله عز وجل والتثبت في الامر وقوله والعاقبة اي المحمودة للمتقين
لان الله وعدهم بالنصر وتذكيرا لما وعدهم به من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم
وتحقيق له ولما سمع بنو اسرائيل ما قال فرعون من توعده لهم بالقتل مرة ثانية
قالوا لموسي اوذينا من قبل ان تاتينا اي بالرسالة وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين
في يدي فرعون وقومه وكان ياخذ منهم الجزية وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة الي بعض
النهار ويمتعهم من الرفة والتنعم ويقتل ابناهم ويستحي نساهم فلما جا موسي بالرسالة
وجري له ما جري تشدد فرعون في استعماله فكان يستعملهم جميع النهار بلا اجر وارادات
بعيد القتل عليهم فقالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جيتنا اي بالرسالة فان
قيل ظاهر هذا الكلام يوهم ان بني اسرائيل كرهوا مجي موسي بالرسالة وذلك كفر اجيب
عن هذا الايهام بان موسي عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة

والمشقة فظنوا ان ذلك يكون علي الفور فلما راوا ان المشقة قد زادت عليهم فقالوا ذلك
اي فمتي يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه قال موسي عليه السلام مجيبا لهم عسي
ربكم ان يهلك عدوكم اي فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض ان يجعلكم تخلفونهم
في ارضهم بعد هلاكهم قاله البيضاوي ولعله اتي بفعل الطمع اي بعيسي لعدم جزمه
بانهم يستخلفونهم باعيانهم اواولادهم وقد روي ان مصر ما فتح لهم في زمن داود
عليه السلام ثم سبب عن الاستخلاف قوله مذكرا لهم محذرا من سطواته تعالي فينظر
اي وانتم خلفاء متمكنون كيف تعملون اي يعاملكم معاملة المختبر وهو في الازل اعلم بما
تعملون منكم بعد ايقاعكم للاعمال ولكنه يفعل ذلك لتقوم الحجة عليكم علي مجازاتكم
عاد اتكم روي عن عمرو بن عبيد انه دخل علي المنصور قبل الخلافة وعلي ما يوقه رغيف
اور غيفان فطلب زيادة لعمر فلم يجد فقراعمر وهذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف
فذكره ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا ال فرعون اي فرعون وقومه
بالسنين اي بالقحط والجوع سنة بعد سنة فان السنة تطلق بالغلبة علي ذلك
كما تطلق بالغلبة علي ذلك كما تطلق علي العام ومنه قوله صلي الله عليه وسلم اللهم اجعلها
عليهم سنين كسنين يوسف واما نقص الثمرات فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار وعن كعب
يأتي علي الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون اي يتعظون فيومنون
ويرجعون عما هم عليه من الكفر والمعاصي لان الشدة ترقق القلوب وترغب فيما
عند الله تعالي من الخيرات والدليل علي ذلك قوله تعالي واذا مكم الغرق في البحر ضل من
تدعون الا اياه وقوله تعالي واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقال سعيد بن جبير
عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في نفسه ثلثمائة وعشرين سنة ولواصابه
في تلك المدة وجع او صداع ادعي الربوبية ثم بين سبحانه وتعالي انهم عند
نزول تلك المحنة عليهم يتيمون علي ما يزيد في كفرهم ومعصيتهم فقال فاذا جاتهم
الحسنة قال ابن عباس الخصب والثمار والمواشي والسعة في الرزق والعافية
والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مستحقون علي العادة التي جرت من كثرة نعمتنا وسعة
ارزاقنا ولم يعلموا انه من الله تعالي فيشكروه علي انعامه وان تصبهم سيئة اي قحط
ومرض وبلاء وراوا ما يكرهونه في انفسهم يطيروا اي يتشاموا واصله يتطيروا بموسي
ومن معه من المومنين ويقولون ما اصابنا الا بشومهم وهذا المزاق في وصفهم
بالغباوة والقساوة فان الشدايد ترقق القلوب وتذلل العرايك وتزيل التماسك عسيما

يوسف ونقص من الثمرات اي بالعاهات قال قتادة اما السنين

مع

بعد مشاهدة

بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل ازدادوا عندها عتوا وانتهاكا في البغي وانما عرف
الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات
وكذا السنة واتي بها في مع سرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع
الا انما طايرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيته او سبب
شومهم عند الله تعالي وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم
ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ان ما يصيبهم من الله تعالي وذلك لان اكثر الخلق يضيفون
الحوادث الي الاسباب المحسوسة ويقطعون النظر عن قضاء الله تعالي وتقديره والحق
ان الكل من الله لان كل موجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته والواجب لذاته واحد
وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته وبهذا الطريق
يكون الكل من الله تعالي فاسناده الي غير الله تعالي يكون جهلا بكمال الله تعالي وقالوا
اي فرعون وقوله القبط لموسي عليه السلام مهما تاتنا به وقوله من اية اي من عند
ربك بيان لمهما وانما سموها اية علي زعم موسي لا اعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا
بها اي لتقصد فيما نحن فيه من الدين فما نحن لك بمومنين اي بمصدقين لتبعيتك
اختلف في اصل مهما فقيل اصلها ما ما الاولي ما الشرطية والثانية ما الزايدة ضمتا اليها
للتاكيد ثم قلبت الفها ها استثقالا لتكرير المتجانسين فصار مهما هذا قول الخليل
والبصريين وقيل اصلها مه التي بمعني اكفف وما الجزايية كانهم قالوا اكفف ما تاتنا
به من اية لتسحرنا بها فهو كذا وكذا هذا قول الكسايي فهي مركبة علي هذين القولين
والمعتمد الذي جري عليه ابن هشام وغيره انها بسيطة لان دعوي التركيب لم يقم
عليها دليل ووزنها فعلي والفها للالحاق او للتانيث والضمير ان في به وبها راجعا
لهما الا ان احدهما ذكر باعتبار اللفظ والثاني انث باعتبار المعني لانه في معني الاية
ونحوه قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم ومهما يكن عند امرء من خليقة وان خالها تخفي علي الناس تعلم
قال في الكشاف وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحيرفهامه لا يولة في علم العربية
فيضعها في غير موضعها ويحسب انها بمعني متي ويتولد مهما حينئذ اعطيتك كذا قال
ابن عباس ان القوم لما قالوا مهما تاتنا به من اية من ربك فهي عندنا من باب السحر
ونحن لا نومن بها البتة وكان موسي عليه السلام رجلا حديدا فعند ذلك دعا عليهم
فاستجاب الله تعالي له فقال تعالي فارسلنا عليهم الطوفان وقال سعيد بن جبير لما مات
السحرة ورجع فرعون مغلوبا ابي هو وقومه الا الاقامة علي الكفر والتمادي علي الشر

نتابع الله تعالى عليهم الايات فاخذهم اولا بالسنين وهو القحط ونقص الثمرات وادبهم
قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يرعووا فدعا موسى عليهم وقال يا رب ان عبدك
فرعون علا في الارض وبغى وعتى وان قومه قد نقضوا العهد فخذهم معقوبة تجعلها
عليهم نقمة وتتوى عظة ولمن بعدهم اية وعبرة فبعث الله تعالى عليهم الطوفان وهو
الماء فارسل الله تعالى عليهم المطر من السما وبيوت بني اسرايل وبيوت القبط مشتبكة
مختلطة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الما الى تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم
يدخل من ذلك الما في بيوت بني اسرايل شي وركب ذلك الما على ارضهم فلم يقدروا ان
يحرثوا ولا يعملوا شيا ودام ذلك عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت حتى كان الرجل
منهم لا يرى شمسا ولا قمرا ولا يستطيع الخروج من داره فصرخوا الى فرعون فاستغاثوا به
فارسل الى موسى عليه السلام فقال اكشف عنا العذاب فقد صدقناك بحرا واحدا فان كشفت
هذا العذاب امنا بك فازال الله تعالى عنهم المطر وارسل الرياح فجففت الارض وخرج من
النبات ما لم ير مثله قط فقالوا هذا الذي جزعنا منه خير لنا لكنا لم نشعر فلا والله لنؤمنن
بك ولنرسلن معك بني اسرايل وقيل المراد بالطوفان الجدري وهو بضم الجيم وفتح
الدال وبفتحهما قروح في البدن تنفط وتفتح وقيل هو الموتان وهو بضم الميم في الماشية
وقيل هو الطاعون فنكثوا العهد ولم يرعووا واقاموا شهرا في عافية فارسل الله تعالى
عليهم الجراد فاكل النبات والثمار واوراق الشجر حتى كان ياكل الابواب وسقوف البيوت هـ
وسائر الابواب من الحديد وابتلي الجراد بالجوع فكانت لا تشبع ولم يصب بنو اسرايل شيا
من ذلك وعظم الامر عليهم حتى صارت عند طيرانها تغطي الشمس ووقع بعضها على بعض
في الارض فرعا ففزعوا من ذلك وقالوا يا موسى ادع لنا ربك لين كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك فاعطوه عهد الله وميثاقه فدعا موسى عليه السلام فكشف الله تعالى عنهم الجراد
بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة
جند الله الاعظم ويقال ان موسى عليه السلام بعث ريحا الى القصوا واشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجعت الجراد من حيث جات وقيل ارسل الله تعالى ريحا فاحتمل الجراد فالقاه
في البحر وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما يكفينا فلنحن نتبارى
ديننا ولم يرعووا وآقاموا شهرا في عافية وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فارسل الله تعالى
القمل واختلفوا في القمل فعن ابن عباس انه السوس الذي يخرج من الحنطة وعن قتادة
انه اولاد الجراد قتيل نبات اجنحتها وعن عكرمة انه الحمنان وهو ضرب من القراد وعن عطا

القمل المعروف فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين
جلده فيمصه وكان احدهم ياكل طعاما فيمتلي قملا وكان احدهم يخرج عشرة اجربة
الى الرحا فلا يرد منها شيا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه
موسى عليه السلام بعصاه فصار قملا فاخذت ابشارهم واشعارهم واشعار عيونهم
وحواجبهم ولزم جلودهم كالجدري ومنهم من التهم والقرار فصاحوا ورفعوا راسهم
وفرعون الى موسى عليه السلام وقالوا انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلا عنا
موسى فرفع الله القمل عنهم بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا
وعادوا الى اخبث اعمالهم وقالوا ما كنا احق ان يستيقن انه ساحر من اليوم جعل الرجل
دوابه ولم يرعووا فدعا موسى عليه السلام عليهم بعد ما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله
تعالى عليهم الضفادع فامتلات منها بيوتهم واطعمتهم وانيتهم فلا يكشف احدهم عن ثوب
ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس في الضفادع الى ذقنه
وبهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكان يثب في قدورهم فيفسد عليهم طعامهم ويطفي
نيرانهم وكان احدهم يضطجع فيركبه الضفدع فيكون عليه ركاما حتى لا يستطيع
ان ينصرف الى شقه الاخر ويفتح فاه الى اكلة فيثب الضفدع اكلته التي فيه ولا يمكن عجينا
ولا يفتح قدرا الا امتلات ضفادع وعن ابن عباس ان الضفادع كانت برية فلما ارسلها
الله تعالى الى آل فرعون سمعت فاطاعت فجعلت تلقي نفسها في القدور وهي تغلي وفي
التنانير وهي تفور فاتاها الله تعالى بحر طاعتها برد الما فلقوا منها اذى شديدا فشكوا
الى موسى عليه السلام وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح
ولا نعود فاخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بان اماتها وارسل
عليها المطر والريح واحتملها الى البحر بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت
ثم نكثوا العهد ولم يرعووا وعادوا لكفرهم واعمالهم الخبيثة فدعا عليهم موسى بعد ما اقاموا
شهرا في عافية فارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم كلها دما فما استقوا من بير ولا
نهر الا وجدوه دما عبيطا احمر فشكوا الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب فقال انه سحركم فقالوا
مهما تاتنا به من سحر فلن نؤمن لك ولن نتبعك فدعا ربه فكشف عنهم الدم فقالوا
ان سحرنا ونحن لا نجد في اوعيتنا شيا من الما الا دما عبيطا وكان فرعون لعنه الله
تعالى يجمع بين القبطي والاسرايلي على الاناء الواحد فيكون ما يلي الاسرايلي ماء والقبطي دما
حتى كانت المراة من آل فرعون تاتي من بني اسرايل حين جهدهم العطش فتقول اسقيني من
مائك فتصب لها من قربتها فيعود في الاناء ماء حتى كانت تقول اجليه في فيك ثم تمجه

في وقت فتاخذه في فيها ماء اذا مضته في فيها صار دما واعتري فرعون العطش حتى انه
لا يضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ما وهاد ما فمكثوا على ذلك سبعة
ايام لا يشربون الا الدم فاتوا موسى وشكوا اليه ما يلقونه وقالوا ادع لنا ربك يكشف
عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرايل فدعا موسى عليه السلام ربه فكشف
عنهم وقيل الدم الذي سلط عليهم هو الرعاف وقوله تعالى ايات نصبه على الحال
مفصلات اي مبينات لا تشكل على عاقل انها ايات الله تعالى ونقمته عليهم او مفصلات
لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا كما
مرت الاشارة الى ذلك وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة
وامنوا به عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان فلم يؤمنوا
وكانوا اي فرعون وقومه قوما مجرمين اي كافرين ولما وقع عليهم الرجز اي نزل بهم
العذاب وهو ما ذكره الله تعالى من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون
وهو العذاب السادس بعد الآيات المتقدمة فانه نزل بهم الطاعون فمات به من القبط
في يوم واحد سبعون الفا وتركوا غير مدفونين قال الامام الرازي والقول الاول اقوى
لان لفظ الرجز مفرد محلى بالالف واللام فينصرف الى المعهود السابق وههنا واما غيرها
فمذكور فيه وعن اسامة بن زيد الطاعون رجز ارسل على طائفة من بني اسرايل وعلى
من كان قبلهم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا
فرارا منه قالوا يا موسى ادع لنا ربك ولم يقولوا ربنا كما اعتادوا بما عهد عندك اي بعهده
عندك وهو النبوة وسميت عهدا لان الله تعالى عهد ان يكرم النبي وهو عهد ان يستقل
باعبائها او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك به في اياتك والباء اما
ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما استفتاء الى ما تطلب منك من الدعاء
لك بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بهذه عندك
واما ان يكون قسما مجابا بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك اي اقسمنا بعهد الله
تعالى عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرايل اي
لنصدقنك بما جيت به ولنخلين بني اسرايل ليذهبوا حيث شاؤا فلما كشفنا
عنهم الرجز اي بدعاء موسى عليه السلام الى اجل هم بالغوه اي الى حد من الزمان
هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب
الى حلوله وهو وقت اهلاكهم في الغرق في اليم وقوله تعالى اذا هم ينكثون جواب لما اي

فلما كشفنا

فلما كشفنا عنهم فاجوا للنكث من غير توقف وتامل فيه فان قيل ان الله تعالى علم من حال
هؤلاء انهم لا يؤمنون بتلك المعجزات فما الفايدة في توليها عليهم واظهار الكثير منها اجيب
بان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل قال تعالى فانتقمنا منهم اي كانتقامنا
على سوء صنيعهم واصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب لانه تعالى لما كشف
عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا لم يرجعوا عن كفرهم وبلغوا الاجل الذي اجل لهم انتقم
منهم بان اهلكهم كما قال تعالى فاغرقناهم في اليم اي في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو
لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من اليتم لان المستغيث به يقصده ونه قال الازهري
ويقع اليم على البحر المالح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله تعالى فاقذفيه في اليم والمراد
ميل مصر وهو عذب واغراقهم بانهم اي بسبب انهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا
وصدق رسوله وكانوا عنها اي الآيات غافلين اي لا يتدبرونها وقيل الضمير في عنها يرجع
للنقمة التي دل عليها قوله تعالى انتقمنا اي وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين فان
قيل الغفلة ليست من فعل الانسان ولا تحصل باختياره فكيف جاء الوعيد على الغفلة
اجيب بان المراد بالغفلة هنا الاعراض عن الآيات وعدم الالتفات اليها فهم اعرضوا
عنها حتى صاروا كالغافلين عنها فان قيل الجزء قد ضموا الى التكذيب والغفلة معاصي
كثيرة فكيف يكون الانتقام بهذين دون غيرهما اجيب بانه ليس في الآية ما يدل على انه
انتقم منهم بهذين دلالة على نفي ما عداهما قال الرازي والآية تدل على ان الواجب
في الآيات النظر فيها فلذلك ذمهم بانهم غفلوا عنها وذلك يدل على ان التقليد طريق مذموم
ولما بين تعالى اهلاك القوم بالغرق على وجه العقوبة بين تعالى ما فعله بالمؤمنين من
الخير ان وقوانه تعالى واورثنا اي ملكنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء واخذ الجزية والاعمال الشاقة
وهم بنو اسرايل مشارق الارض ومغاربها اي ارض الشام وهي من الفرات الى بحر
شرق الموضع الذي خرجوا منه من البحر وغرق فيه فرعون واله كما نقله البقاعي في
المايدة عن التوراة وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من جملة بني اسرايل داود
وسليمان عليهما السلام وقد ملكا الارض ويدل للاول قوله تعالى التي باركنا فيها
اي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وتمت كلمة ربك الحسنى
على بني اسرايل اي مضت عليهم واستمرت من قولهم تم عليه الامر اذا قضي وهي
قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الى آخره والحسنى تانيث

الاسن صفة للكلمة ومعنى تمت عليهم انجاز الوعد الذي تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم
في الارض وانما كان الانجاز تماما للكلام لان الوعد بالشيء يبقى كالشيء المعلق فاذا حصل
الموعود به فقد تم ذلك الوعد وكمل فلهذه السبب سميت كلمات بالتامات وقرئ عليها
بالجمع ابن كثير وابو عمرو والكسائي ووقف الباقون بالتاء وانما حصل لهم ما ذكر بما صبروا
اي بسبب صبرهم وحبسك به دائما على الصبر والدال على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله
تعالى اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر من الله تعالى له الفرج ودمرنا اي اهلكنا
قال الليث الدمار الهلاك التام ما كان يصنع فرعون وقومه في ارض مصر من القصور
والعمارات وما كانوا يعرشون اي من الجنان وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان
وقرا ابن عامر وشعبة بضم الراء والباقون بالجزم وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون
والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل وما اورثه
بعد انقاذهم من مملكة فرعون واستعبادهم ومعاينتهم الآيات العظام بقوله تعالى وجاوزنا
ببني اسرائيل البحر اي قطعناه بهم روي ان جوازهم كان يوم عاشوراء وان موسى صامه
شكرا لله تعالى على انجائهم واهلاك عدوهم ومع النعم التي انعم الله تعالى بها عليهم
لم يراعوها حق رعايتها كما حكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله فاتوا على قوم اي مروا عليهم
يعكفون على اصنام لهم اي يقيمون على عبادتها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك
اول شان العجل قيل كانوا قوما من لخم وكانوا تجارا بالرقة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر
موسى بقتالهم وقرا حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون بالضم قالوا اي قال بعضهم لبعض
لانه كان مع موسى السبعون المختارون وكان فيهم من يرتفع عنه مثل هذا السؤال
الباطل وهو قولهم يا موسى سموه لنا تعريفا باسمه جفاء وغلظة اجعل لنا الها اي صنما
نعتكف عليه وهذا يدل على غاية جهلهم وذلك انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى
بعد ما راوا الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي توالت
على قوم فرعون حتى اغرقهم الله تعالى في البحر بكفرهم وهو عبادتهم غير الله سبحانه وتعالى
فحملهم جهلهم الى ان قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم الهة وفي ذلك
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم مما راى من بني اسرائيل بالمدينة تذكرة لحالة الانسان وانه
ظلوم جهول كثير الامن عصمه الله وقليل من عبادي الشكور قال موسى رد اعليهم انكم
قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات القطعية
والمعجزة الكبرى لانه جهل اعظم مما راى منهم واشنع ان هؤلاء اي القوم متبر اي هالك

مدمر ما هم فيه اي ان الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها
رضاضا وباطل اي مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب
الى الله تعالى لان الاشتغال بعبادة غير الله يزيل معرفة الله تعالى في القلب فكان
هذا ضد الغرض ونقيضا للمطلوب قال موسى عليه السلام مجيبا لهم على سبيل الانكار
عليهم والتعجب اغير الله ابغيكم الها واصله ابغي لكم اي اطلب لكم معبودا وهو اي والحال
انه هو وحده فضلكم على العالمين اذ الاله لا يكون شيئا يطلب ويلتمس ويتخذ بل الاله هو
الذي يكون قادرا على الانعام بالايجاد واعطاء الحياة وجميع النعم فهذا الموجود
هو الاله الذي يجب على الخلق عبادته فكيف يجوز العدول عن عبادته الى عبادة غيره
وفي تفضيلهم على العالمين قولان الاول انه تعالى فضلهم على عالمي زمانهم الا ما يخصه
الفعل من الانبياء والملائكة والثاني انه تعالى خصهم بتلك الآيات القاهرة ولم يحصل
مثلها لاحد من العالمين وان كان غيرهم فضلهم بانواع الخصال مثاله رجل يعلم علما
واحدا واخر يعلم علوما كثيرة سوى ذلك العلم فصاحب العلم الواحد مفضل على طالب
العلوم الكثيرة بذلك العلم في الحقيقة واذ انجيناكم من ال فرعون اي واذكروا اصنعه
معكم في هذا الوقت وقرا ابن عامر بحذف الياء والنون والباقون باثباتهما وقوله تعالى
يسومونكم اي يكلفونكم ويذيقونكم سوا العذاب اي اشده استيناف لبيان ما انجاهم او
حال من المخاطبين او من الفرعون او منهما وقوله تعالى يقتلون ابناءكم ويستحيون
اي يتركون نساءكم بدل من يسومونكم سوا العذاب وفي ذلكم اي الانجاء او العذاب بلاء اي
نعمة او محنة من ربكم عظيم اي افلا تتقطون وتنتهون عما قلتم ووعدنا موسى ثلاثين
ليلة تكلمه عند انتهائها بان يشرفه برايه ما روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل
بمصر ان ياتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه بيان ما ياتون وما يذرون
فلما هلك سال ربه فامر بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فصامه فلما تم انكر
خلوف فمه فاستاك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل
اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك فامر
الله بعشرة اخرى ليكلمه بخلوف فمه كما قال تعالى فاتممناها بعشر اي من ذي الحجة فتم
ميقات ربه اي وقت وعده بكلمه اياه اربعين ليلة وقيل امره ان يتخلى ثلاثين بالصوم
والعبادة ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلمه فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة
وفصلها هنا وقرا ابو عمرو ووعدنا بغير الف قبل العين والباقون بالف فان قيل ما فايدة هذه

قوله تعالى فتم ميقات ربه اربعين ليلة مع ان كل احد يعلم ان الثلاثين مع العشر تكون اربعين اجيب بانه تعالى انما قال اربعين ليلة ازالة لتوهم ان ذلك العشر الثلاثين لانه يحتمل انهما هو بعشر من الثلاثين كانه كان عشرين ثم اتمه بعشر فصار ثلاثين فازال هذا الايهام تنبيه الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت للشيء قدره مقدرا ام لا وقوله تعالى اربعين نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وليلة نصب على التمييز وقال موسى لاخيه وقوله هارون عطف بيان لاخيه اي قال له عند ذهابه الى الجبل للمناجاة اخلفني اي كن خليفتي في قومي واصلح اي ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه فان قيل ان هارون كان شريك موسى عليه السلام في النبوة فكيف جعله خليفة لنفسه فان شريك الانسان اعلا حالا من خليفته ورد الانسان من منصبه الاعلا الى الادون يكون اهانة له اجيب بان الامر وان كان كما ذكر الا ان موسى عليه السلام كان هو الاصل في تلك النبوة فان قيل لما كان هارون نبيا والنبي لا يفعل الا الاصلاح فكيف وصى اليه بالاصلاح اجيب بان المقصود من هذا الامر التاكيد كقول الخليل ولكن ليطمئن قلبي ولما جاء موسى لميقاتنا اي للوقت الذي وعدناه للكلام فيه وكلمه ربه دلت الاية الكريمة على انه تعالى كلم موسى عليه السلام والناس مختلفون في كلام الله تعالى قال الزمخشري في كشافه كلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك ويكلمه ان يخلق الكلام مسموعا به في بعض الاجرام كما خلقه محفوظا في اللوح انتهى وهذا مذهب المعتزلة ولا شك في بطلانه وفساده لان ذلك الجرم كالشجرة لا يقول انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب بعض الحنابلة والصوفية ان كلام الله تعالى حروف واصوات مستقطعة وانه قديم قال الامام الرازي وهذا القول اخس من ان تلتفت اليه العاقل والذي عليه اكثر السنة والجماعة ان كلام الله صفة مغايرة لجميع الحروف والاصوات وان موسى سمع تلك الصفة الحقيقة الازلية قالوا كما انه لا يعقل رويته ذاته مع ان ذاته ليست جسما ولا عرضا كذلك لا يعقل سماع كلامه مع ان كلامه لا يكون حرفا ولا صوتا وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه تعالى التقديم ليس من جنس كلام المحدثين وهل كان سبحانه وتعالى كلام موسى وحده او مع اقوام اخرين ظاهر الاية يدل للاول لان قوله تعالى وكلمه ربه يدل على تخصيص موسى عليه السلام بهذا التشريف

والتخصيص

والتخصيص بالذكر يدل على نفي الحكم عما عداه وقال القاضي بل السبعون المختارون سمعوا ايضا كلام الله تعالى قال لان الغرض باحضارهم ان يخبروا قوم موسى عليه السلام عما يجري هناك وهذا المقصود لا يتم الا عند سماع الكلام وايضا فان لكليم الله تعالى موسى على هذا الوجه معجز وقد تقدمت نبوة موسى عليه السلام فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره ولما سمع عليه السلام كلام ربه اشتاق الى رويته هو سبحانه وتعالى قال رب ارني انظر اليك قال في الكشاف ثاني مفعول ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قيل الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك اجيب بان معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رويتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك وفي هذا دليل على ان رويته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبيا محال خصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى ولذلك رده بان قال له لن تراني دون لن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رويتها لتوقفها على بقا في الراي لم يوجد فيه بعد وجعل السواد لتمكيث قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة كما قاله الزمخشري اي اشد خطا اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجيبهم ويزيل شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها والاستدلال بالجواب وهو قوله تعالى لن تراني على استحالتها اشد خطا اذ لا يدل الاخبار على عدم رويته اياه على انه لا يراه ابدا وان لا يراه غيره هو اصل فضلا عن ان يدل على استحالته فان اهل البدع والخوارج والمعتزلة وبعض المرجية قالوا لن تكت لتابيد النفي وهو خطا لانها لو كانت للتابيد لزم التناقض بذكر القوم في قوله تعالى ولن يتمنوه ابدا ولن يجتمع هو وما هو لانتهاء الغاية نحو قوله تعالى فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي واما تابيد النفي في قوله تعالى لن يخلقوا ذبابا فلامر خارجي لا من مقتضيات لن ولا يقتضي تاكيد النفي ايضا خلافا للزمخشري في كشافه بل قولك لن اقوم يحتمل ان تريد به انك لا تقوم ابدا وانك لا تقوم في بعض ازمنة المستقبل وهو موافق لقولك لا اقوم في عدم افادة التاكيد وقوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به ان لا يطيق الرؤية وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل على جوازها لان استقرار الجبل حال التجلي ممكن بان يجعل الله تعالى له قوة على ذلك والمعلق على الممكن ممكن وتراني في الحرفين الياء ثابتة وقفا ووصلا وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة بكسر النون والباقون بالضم قال وهب بن منبه ومحمد بن اسحاق لما سال موسى ربه الرؤية ارسل الله الضباب والصواعق والرعد والبرق حتى احاط بالجبل الذي عليه موسى

اربعة فرايع من كل جانب وامر الله تعالى الملايكة السموات ان يعرضوا على موسى عليه
السلام فمرت به ملايكة السما الدنيا كثير ان البقر تنبع انواههم بالتسبيح والتقديس
باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد ثم مرت به الملايكة السما الثانية كامثال الاسود
لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع بحاري وسمع واقشعرت كل شعرة في جسده ورايه
ثم قال لقد ندمت على مسيلتي فهل ينجيني من مكاني الذي انا فيه شي فقال له وليس
الملايكة يا موسى اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم مرت به ملايكة السما
الثالثة كامثال الثور لهم قصف ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح والتقديس
كلجب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وايس
من الحياة فقال له راس الملايكة مكانك يا ابن عمران حتى تري ما لا صبر لك عليه ثم مرت
به ملايكة السما الرابعة لا يبصرهم شي من الذين مروا بهم الوانهم كلهب النار وساير
خلقهم كالثلج الابيض اصواتهم عالية والتسبيح والتقديس لا يقاربهم شي من الذين
مروا بهم قبلهم فاصطكت ركبتاه ورعب قلبه واشتد بكاوه فقال له راس
الملايكة يا ابن عمران اصبر لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم مرت به ملايكة السما
الخامسة لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم ببصره لتغير مثلهم ولم يسمع
مثل اصواتهم فامتلات جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاوه فقال له راس الملايكة
يا ابن عمران مكانك حتى تري بعض ما لا تصبر عليه ثم مرت به ملايكة السما السادسة
وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة الطويلة نور اشد ضوا من الشمس ولهم كلهب النار
اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملايكة السموات كلهم يقولون بشدة اصواتهم
سبوح قدوس رب العزة ابدا لا يموت في كل راس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما راهم موسى
رفع صوته يسبح معهم ويهوسبلي ويقول يا رب اذكرني ولا تنسى عبدك لا تذهبني انفلت
بما انا فيه امرا ان خرجت احترقت وان مكثت فقال له راس الملايكة قد اوشك يا ابن عمران
يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سالت ثم امر الله تعالى ان يحمل عرشه ملايكة
السما السابعة فلما بدا نور العرش انصدع نور الجبل من عظمة الله تعالى ورفعت
الملايكة اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت بشدة
اصواتهم فارتج الجبل واندك وذلك قوله تعالى فلما تجلى ربه اي اظهر من نوره قدر ما يقص
انملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم للجبل اي جبل زبير بفتح الزاي والاضافة فيه
بيانية لقول الجوهري الزبير اسم للجبل الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه

جعله دكا

جعله دكا اي مدكوكا مفتتا وحكي عن سهل بن سعد الساعدي ان الله تعالى انظر
من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا مستويا بالارض والدك والدق
اخوان وقال ابن عباس جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل في الارض حتى وقع في
البحر فهو يذهب فيه وقال الكلبي كرمليا صغارا قال النووي ووقع في بعض النقا
صار لعظمته ستة اجبل وقعت ثلاثة بالمدينة احد ورضوى وورقان وثلاثة بمكة ثور وثبير وحري وقرا حمزة والكسائي بالف بعد الكاف وهمزة مفتوحة
من غير تنوين وصلا ووقفا اي مستويا ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها والباقون
بالتنوين بعد الكاف والوقف على الف التنوين بخلاف وقع موسى صعقا اي
مغشيا عليه من هول ما راى غشية كالموت وروي ان الملايكة مرت عليه وهو
مغشي عليه فجعلوا يكلمونه بارجلهم ويقولون له يا ابن انسا الحيض اطمعت في رويه
رب العزة فلما افاق من غشيته قال تعظيما لما راى سبحانك اي تنزيها لك من النقايص
كلها تبت اليك اي من الجراة والاقدام على السوال بغير اذن وقيل لما كانت الرويه
مختصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمنعها قال سبحانك تبت اليك من سوالي ما ليس لي
وقيل لما سال الرويه ومنعها قال تبت اليك من هذا السوال وحسنات الابرار سيات
المقربين وانا اول المومنين اي في زماني وقيل انا اول من امن انك لا ترى في الدنيا
اي لكل الانبياء الا فالرويه تامة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى على
الصحيح وللزمخشري هنا في كشافه على مذهبه الفاسد في عدم الرويه مطلقا
وبلا تاويل فلا تحذر قال يا موسى اني اصطفيتك اي اخترتك على الناس الموجودين في
زمانك وهارون وان كان نبيا مرسلا كان ماموريا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب
شرع وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح يا اني والباقون بالكسر وقوله تعالى برسالاتي
اي باشخاد القواة قراة نافع وابن كثير بتقيد الف بعد اللام على التوحيد والباقون
بالالف بعد اللام على الجمع وبكلامي اي وبتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اي اعطيتك
من الرسالة وكن من الشاكرين لانعمه لان موسى عليه السلام لما منع الرويه عدد الله
تعالى عليه وجوه نعمه العظيمة التي له عليه وامره ان يشتغل بشكرها كانه قال له
ان كنت منعتك الرويه فقد اعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك
بسبب منع الرويه وانظر الى سايران النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها والاشتغال
بشكرها انما يكون بالقيام بلوازمها علما وعملا والمقصود تسلية موسى عليه السلام

عن نفع الرؤية قال الامام الرازي وهذا ايضا احد ما يدل على ان الرؤية جايزة على الله
تعالى اذ لو كانت ممتنعة في نفسها لما كان الذي ذكر هذا القدر حاجة ويروي ان موسى
عليه السلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر الى لما غشى وجهه
من النور ولم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته انا لمراك منذ كلمك
ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها
وعزت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة قال ذاك ان لم تتزوجي بعدي
لان المراة لاخر زوجها وكتبنا له اي لموسى في الالواح اي الواح التوراة قال البغوي
وفي الحديث خلق الله اربع بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده
والمراة بيده فورثه وقيل كانت من زبرجدة خضراء وقيل من ياقوتة حمراء وقيل من صخرة
صماء لينها الله تعالى لموسى فقطعها بيده واما كيفية الكتابة فقال بن جريج كتبها جبريل
بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال وهب سمع موسى صرير القلم
بالكلمات العشر وكان ذلك في اول يوم من ذي القعدة وقيل ان موسى خر صعقا يوم
عرفة واعطي التوراة يوم النحر وكانت الالواح عشرة على طول موسى وقيل كانت تسعة
وقيل كانت سبعة وقال مقاتل وكتبنا له في الالواح كنقش الخاتم وقال الربيع بن انس
نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منها في سنة ولم يقرأها الا اربعة نفر
موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام اي لو حفظهما وكما نقراها عن ظهر قلب الا
هؤلاء الاربعة قال الامام الرازي وليس في لفظ الاية ما يدل على كيفية تلك الالواح هو
وعلى كيفية تلك الكتابة فان ثبت ذلك التفصيل بدليل منفصل قوي وجب القول به
والا وجب السكوت عنه واما قوله تعالى من كل شيء فلا شبهة انه ليس على العموم بل لما
يحتاج اليه موسى عليه السلام وقومه من امر الدين وقوله موعظة وتفصيلا اي تبيينا
لكل شيء بدل من الجار والمجرور قبله اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام وقوله
تعالى فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء
للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او الرسالة وعن كعب الاحبار ان موسى عليه
السلام نظر في التوراة فقال اي اجامة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وهو
وينهون عن المنكر ويومنون بالكتاب الاول والكتاب الاخر ويقاتلون الضلالة حتى يقاتلوا
الاعور الدجال ربي اجعلهم امتي هي امة محمد يا موسى قال يا رب اني اجد امة هم الحامدون
رعاة الشمس المحكمون اذا اراد وا امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتي قال هم امة محمد

قال يا رب

قال يا رب اني اجد امة يا كلون كفاراتهم وصدقاتهم فكان الاولون يحرقون صدقاتهم
بالنار وهم المستجابون والمستجاب لهم الشافعون والمشفعون لهم فاجعلهم امتي قال
هم امة محمد قال يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر الله واذا هبط وادي
حمد الله الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم
بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء مجلون من اثار الوضوء فاجعلهم امتي
قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة
مثلها ان عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعمائة ضعف فاجعلهم امتي قال هم امة محمد
قال اي اجد امة مرحومة مضعفا يرثون الكتاب الذين اصطفيناهم فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد احدا الا مرحوما فاجعلهم امتي قال هم امة محمد
قال يا رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة يصفون
في صلاتهم كصفوف الملايكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم
الا من برا من الحسنات مثل ما يرى الحجر من ورق الشجر فاجعلهم امتي قال هم امة محمد فلما
عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله محمدا وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله تعالى
اني اصطفيتك الى اخره فرضي موسى كل الرضا ومعنى بقوة اي بجد وعزيمة وامر قومك
يا خذوا باحسنها اي باحسن ما فيها فان قيل ظاهر هذا يقتضي ان فيها ما ليس باحسن
وانه لا يجوز لهم الاخذ به وذلك متناقض واجيب عن ذلك باجوبة الاول ان تلك
التكاليف منها ما هو احسن كالاقتصاد والعفو والانتصاد والصبر فهو ان يحملوا انفسهم
بما هو داخل في الحسن والكل للثواب كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وقوله
تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه هذا ما اجاب في الكشاف وتبعه البيضاوي
والامام الرازي لكن قال التفتازاني في هذا بناء في ما تقرر من ان المكتوب على بني اسرايل هو
القصاص قطعا والجواب بانه مثال للحسن والاحسن لا لكونه في التوراة بعيد جدا فان قيل يلزم
عليه ايضا منع الاخذ بالحسن وذلك يقدح في كونه حسنا اجيب عنه هذا بان الاخذ بالحسن
الثاني على سبيل الندب فلا يقدح في منع الاخذ بالحسن الثاني ان الحسن يدخل تحته الواجب
والمندوب والمباح واحسن هو الثالثة الواجب الثالث ان المراد بالاحسن البالغ في الحسن من
المنهي عنه في القبح ساريكم دار الفاسقين اي دار فرعون وقومه وهي مصر كيف افقرت منهم
ودمرت قصورهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل ما نكل بهم وقيل منازل
عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل المراد دار هم في الاخرة

وهي جهنم صارفة عن اياتي المنصوبات في الافاق والانفس كخلق الحيوان والارض
وملبيهما الذين يتكبرون في الارض اي امر فهما عنهم بالطبع على قلوبهم فلا تتفكر فيهما ولا
يعتبرون بهما وقال سفيان بن عيينة سامنعهم فهم القرآن وقوله تعالى بغير الحق صلة
يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فان اظهار الكبر على الغير قد يكون بالحق فان
للمحق ان يتكبر على المبطل وفي الكلام المشهور التكبر على المتكبر صدقة وان يروا كل اية
اي مقترحا ومعجزة لا يؤمنوا بها اي لعنادهم وتكبرهم وان يروا سبيل الرشد اي طريق الرشد اي الهدى
الذي جاء من عند الله لا يتخذوه سبيلا اي طريقا سلوكا نه تقصد منهم ونظر وتعمد بل ان
سلكوه فمن غير قصد وقرا حمزة والكسائي بفتح الراء والسين والباقون بضم الراء وسكون السين
وان يروا سبيل الغي اي الضلال يتخذوه سبيلا اي بغاية الشهوة والتعمد والاعتماد
لسلوكه ذلك اي هذا الصرف العظيم الذي زاد عن مطلق الصرف بالعمى عن الايمان واخذ
الرسالة بانهم اي بسبب انهم كذبوا بآياتنا اي الدالة على وحدانيتنا وكانوا عنها غافلين
اي كان دابهم ودينهم معاملتهم ايانا بالاعراض عنها حتى كانها مغفول عنها فلا يتفكرون
فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن التفصيل
ابن عباس ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا انزع عنها
هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت عليهم بركة الوحي
والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة اي وكذبوا بلقائهم الواقع الاخرة التي هي موعد الثواب
فهو من اضافة المصدر الى المفعول به ويجوز ان يكون من اضافة المصدر الى الظرف
بمعنى ولقائنا وعدالله في الدار الاخرة حبطت اي بطلت اعمالهم اي ملتوها في الدنيا من خير هم
كصلة رحم وصدقة فلا ثواب لهم لعدم شرطه هل اي ما يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون
اي من التكذيب والمعاصي واتخذ قوم موسى من بعده اي بعد ذهابه الى المناجاة ربه جل
اي الذي استعاروه من القبط بسبب مرسى فبقي عندهم فان قيل كيف فاذ من حليهم وكان معهم
معاذ الجيب بانه لما اهلك الله تعالى قوم فرعون بقيت تلك الاموال في ايديهم وصار
ملكا لهم كسائر املاكهم بدليل قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك واورثناها قوما اخرين وقرا حمزة والكسائي بكسر الحاء
والباقون بضمها عجلا اي صاغه لهم منه السامري وقوله تعالى جسدا بدل منه اي صار
جسدا ذا لحم ودم له خوار اي صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه
قبضة من تراب اثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع البحر فصار حيا له خوار وقيل صاغه

ينوع من الحيل فدخل الريح خرقه ويصوت واغانب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما كان
لانهم لصنوا به اول ان المراد اتخاذهم اياه الها وقيل انه ما خار الا مرة واحدة وقيل انه
خور كثيرا فاذا خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم وقال وهب كان يسمع من
الخوار وهو لا يتحرك قال السدي كان يخور ويمشي وقوله تعالى الم يروا انه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخراطهم بالنظر لان هذا العجل لا يمكنه
ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا
او حيوانا ناقصا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح ان يعبد ثم وصفهم الله تعالى
بالظلم بقوله اتخذوه اي العجل الها وكانوا ظالمين اي واضعين الاشياء في غير موضعها
فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول منكيرهم واختلفوا اهل كل قوم موسى عبدوا
العجل او بعضهم قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هارون واحتج عليه بوجهين الاول
عموم هذه الاية والثاني قول موسى عليه السلام في هذه القصة رب اغفر لي ولاخي
قال الحسن نفسه واخاه بالدعاء وذلك يدل على ان من كان مغايرا لهما ما كان اهلا للدعا
ولو بقوا على الايمان ما كان مغايرا لهما كان الامر كذلك وقال غيره بل كان قد بقي في
بني اسرائيل من ثبت على ايمانه وان ذلك الكفر انما وقع في قوم مخصوصين والدليل عليه
قوله ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ولما سقط في ايديهم اي ولما
ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يده وذلك لان من
اشتد ندمه على امر ان يعض يده ثم يضرب فتصير يده ساقطة لان السقوط
عبارة عن النزول فمن اعلى الى اسفل ورأوا اي علموا انهم قد ضلوا عن الطريق الواضح
باتخاذ العجل قالوا توبة ورجوعا الى الله تعالى توبة ورجوعا الى الله تعالى كما قال ابوهم
ادم عليه السلام لين لم يرحمنا ربنا الذي لم يقطع قط احسانه عنا فيلقى غضبه
ويديم احسانه ويغفر لنا اي يمحو اذنوبنا عينا واثرا بل يستتم منا في المستقبل ما
لنكونن من الخاسرين اي فيستتم منا بذنوبنا وهذا كلام من اعترف بعظيم ما قدم عليه
من الذنوب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله تعالى في اقاله عثرته وانما قالوا ذلك
لما رجع موسى عليه السلام اليهم كما قال تعالى ولما رجع موسى اي من مناجاة ربه
غضبان اي من جهتهم اسفا اي لان الله تعالى كان قد اخبره انه قد فتن قومه وان السامري
قد اضلهم فكان موسى في حالة رجوعه غضبان اسفا قال ابو الورد الاسف اشد الغضب
وقال ابن عباس الاسف الحزن والاسف الحزين قال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب

من الحزن والحزن من الغضب وقرا حمزة والكسائي بالخطاب في يرحمنا ويغفر لنا ونصب بنا
والباقون بالغيبة ورفع الباقي قال موسى لهم بيسما خلفتموني من بعدي اي بيس الفعل
فعلتم بعد فراقي اياكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه
اي بيسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله تعالى وان من عبادة غير
الله تعالى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بيس خلافة خلفتموني من بعدي خلافتكم
فاسدة اتفقوا على وصل بيسما هنا في الرسم اعجلتم امر ربكم اي اتركتموه غير تام
كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او عجلتم امر ربكم الذي وعدتموه من الاربعين
وقدرتم موفي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم روي ان السامري قال لهم
حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات ورد
انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح
اي الواح التوراة ايم طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر اي عن اسماعه حديث العجل
حمية للدين وكان في نقشه حوير اشد يد الغضب روي ان التوراة كانت سبعة اسباع
في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها اي ستة الواح ما فيها لاستة
اسباعها نسخها لقوله بعد واخذ الالواح وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع فرفع ما كان
من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ والاحكام والحلال والحرام قال الرازي ولقايل ان
يقول ليس في القرآن الا انه القى الالواح فلما انه القاها حتى تكسرت فهذا الخبر في القرآن
وانه جراة عظيمة على كتاب الله ومثله لا يليق بالانبياء واخذ برأس اخيه اي شعر راسه
بيمينه وشعر لحيته بشماله يجره اي اخاه اليه غضبا وكان هارون عليه السلام اكبر من موسى
بثلاث سنوات واحب الى بني اسرائيل من موسى عليه السلام لانه كان الين منه جانبا
فقال هارون عند ذلك قال ابن ام قراة ابن عامر وشعبة والكسائي بكسر الميم واصله
يا ابن امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح
زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر فان قيل هارون وموسى هما ابوا ام
فلما اذا اداه بالام فقط اجيب بانه انما ذكرها لانها كانت مومنة فاعتد بنسبها
ولانها هي التي قامت فيه المخاوف والشدايد فذكره بحقها ليرفعه عليه والطاعنون
في عصمة الانبياء يقولون اخذ برأس اخيه يجره على سبيل الاهانة والاستخفاف
والمثبتون لعصمة الانبياء قالوا جر راس اخيه ليساره ويستكشف منه كيفية تلك
الواقعة فان قيل فلما ذا قال يا ابن ام ان القوم الذين عبدوا العجل استضعفوني

اي اني قد

اي اني تو بزلت وسعي في كفرهم فاستذلوني وقهروني وكادوا اي قاربوا يقتلونني فلا
تشمت بي الاعداء اي فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله واصل الشماتة الفرح ببلية
من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر بمكروه نزل به انما لا تسر
الاعداء بما تتالم مني من مكروه فكيف تفعل باخيه ذلك اجيب بان هارون انما
قال ذلك خوفا من ان يتوهم جهلة بني اسرائيل ان موسى غضبان عليه كما هو
غضبان على عبدة العجل اي فلا تفعل بي ما تشمت به اعدائي منهم اعداؤك فان الفرح
بمساءة المرء بفعل ما يسوءه من اعظم الذنوب ولا تجعلني مع القوم
الظالمين اي الذين عبدوا العجل مع براءتي منهم بالمواخذة او بنسبة التقصير ولما
اعتذر له اخوه وذكر شماتة الاعداء قال رب اغفر لي اي ما حملني عليه مما صنعت باخي
ولاخي اي اغفر له ما فرط في كفهم عن عبادة العجل ان كان وقع منه تفريط وضمه الى
نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا في رحمتك بمزيد
الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا قال الله تعالى
ان الذين اتخذوا العجل اي الها يعبدونه من دون الله تعالى فهذا هو المفعول
الثاني من مفعولي اتخذوا سينالهم غضب اي عقوبة من ربهم وذلة في الحياة
الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وللمفسرين في هذه الاية طريقان الاول ان المراد
بالذين اتخذوا العجل الذين باشروا عبادة العجل فان قيل اوليك تاب الله عليهم
بسبب ان قتلوا انفسهم في معرض التوبة على ذلك الذنب واذا تاب الله عليهم فكيف
ينالهم الغضب والذلة اجيب بان ذلك القتل غضبا عليهم والمراد بالذلة هو
استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطا وقيل خروجهم
من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب فان قيل السين في قوله سينالهم للاستقبال
فكيف تكون للماضي اجيب بان هذا انما هو خبر عما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام
حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل ثم اخبره الله تعالى في ذلك الوقت انه سينالهم
غضب من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقته وهو القتل الذي امرهم الله تعالى به
بعد ذلك والطريق الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل الذين كانوا في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم فوصف اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم باتخاذ العجل
وان كان ما فعل ذلك الا اباؤهم لانهم رضوا بفعلهم ولان العرب تعير الانبياء بقبايح فعل
الاباء كما يفعل ذلك في المناقب يقولون للامم افعلتم كذا وكذا وانما فعل من مضى من اباءهم

م

ثم حكم عليهم بانهم ينالهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا كما قال تعالى
في صفتهم ضربت عليهم الذلة والمسكنة وكذلك اي كما جزيناهم نجزي المفترين اي كل مفتر
في ديني الله فخرج اوه غضب الله في الاخرة والذلة في الدنيا قال ما اتى على هذه الامة امر
الا وجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الاية لان المبتدع مفتر في دين الله والذين عملوا
السيات اي عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب حتى الكفر ثم تابوا اي رجعوا
عنها الى الله تعالى من بعدها اي من بعد اعمالهم السيئة وامنوا اي وصدقوا بالله تعالى
بانه لا اله غيره وانه يقبل توبة التايب ويغفر الذنوب وان عظمت ان ربك اي
يا محمد او ايها الانسان التايب من بعدها اي التوبة لغفور اي ستور عليهم محاقلما
كان منهم رحيم بهم اي منعم عليهم بالجنة وفي الاية دليل على ان السيات باسرها
صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها جميعا بفضله ورحمته
فان عفوه وكرمه اعظم واجل وهذا اعظم ما يفيد البشارة والفرج للمذنبين التايبين
وتقدير الاية ان من اتى بجميع السيات ثم تاب الى الله تعالى واخلص التوبة فان الله يغفرها
له ويقبل توبته ولما سكت اي سكن عن موسى الغضب اي باعتذار هارون او بتوبتهم
فعند ذلك اسكن غضبه وهو الوقت الذي قال رب اغفر لي ولاخي وفي هذا الكلام استعا
رتاد
استعارة بالكناية في الغضب عن الشخص الناطق واستعارة تخييلية او تخييلية في
السكوت عن طغو موسى وسكون هيجانه وغليانه وقال عكرمة ان المعنى سكت موسى
عن الغضب فغلب كما قالوا دخلت القلنسوة في راسي والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة
اخذ الالواح اي وكما دعا لاخيه منها على نزوال غضبه قال الامام الرازي وظاهر
هذا يدل على ان شيا منها لم ينكر ولم يبطل وان الذي قبل من ان ستة اسباع التوراة
رفعت الى السما وليس الامر كذلك انتهى ومرت الاشارة الى ما يدل على الجمع بين القولين
ما مر وفي نسختها اي ما نسخ فيها من كتب والنسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت
كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع لان
الالواح نسخت من اللوح المحفوظ والنسخة فعلة بمعنى مفعولة كالخطبة وقيل انه موسى
عليه السلام لما القى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين وعلى
قول من قال ان الالواح لم تكسر واخذهما موسى بعينها بعدما القاها يكون المعنى
وفي نسختها اي المكتوب فيها هدى اي بيان للحق ورحمة اي ارشاد الى الاصلاح والخير
وقال ابن عباس هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون

ايم يخافون

اي يخافون فان قيل التقدير الذين يرهبون ربهم فما الفايدة في اللام في قوله لربهم
اجيب باوجه الاول ان تاخير الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا فدخلت اللام هو
للتقوية ونظيره قوله تعالى ان كنتم للرويا تعبرون الثاني انها لام اجل للمعنى الذين لاجل
ربهم يرهبون لا لرويا ولا سمعة الثالث انه قد يزاد حرف الجر في المفعول وان كان الفعل
متعديا كقولك قراة السورة وقران بالسورة واختار موسى قومه اي من قومه فحذف
من واو
الجار واوصل الفعل اليه فنصب يقال اخترت من الرجال زيدا واخترت الرجال زيدا واشد
قول الفرزدق ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجودا اذا هب الرياح الزعازع
قال ابو علي والاصل في هذا الباب ان في الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف الجر
ثم يتسع فيحذف حرف الجر فيتعدى الى المفعول الثاني فمن ذلك قولك اخترت من الرجال
زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا واستغفر الله من ذنبي واستغفروا الله من ذنبي
قال الشاعر استغفر الله ذنبا لست محصيه او يقال امرت زيدا بالخير وامرت زيدا الخير
قال الشاعر امرتك الخير فافعل ما امرت به قال الرازي وعندي فيه وجه اخر وهو
ان يكون التقدير واختار موسى قومه لميقاتنا واراد بقومه المعتبرين منهم طلاق الاسم
الخير على ما هو المقصود منه وقوله سبعين رجلا لميقاتنا عطف بيان وعلى هذا الوجه فلا
حاجة الى ما ذكره من التكليفات فلما اخذتهم الرجفة روي ان الله تعالى امره ان ياتيه في
سبعين رجلا من بني اسرايل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال لا يتخلف منكم رجلا
فتشاحوا فقال لمن قعد اجره من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب معه الباقون وروي انه
لم يصب الاستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان يختار من الشباب عشرة فاختارهم فاصبحوا
شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل
والصبا فامرهم موسى عليه السلام ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج الى
طور سينا لميقات ربه وكان امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرايل فلما دنا موسى من
الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى عليه السلام اذا كلمه
ربه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب دونه
الحجاب ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوه يكلم موسى يامره
وينهاه وافعل لا تفعل فلما فرغ من امره ونهيه وانكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم
فقالوا له لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي الرجفة فماتوا
جميعا فقام موسى مناشد ربه ويدعوه قال رب لو شيت اهلكتهم من قبل اي من قبل خروجهم

الى الميقات واياي معهم فكان بنو اسرايل يعاينون ذلك ولا يتهمونني اذا رجعت اليهم هـ
ومامعي اوعني بذلك انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بجعل فرعون على اهلاكهم
وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منهما فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم
يبعد من عميم احسانك وقال وهب لم تكن تلك الرجفة حتى كادت ان تبين منهم مفاصلهم
فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا له وزيرا على
الخير يامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكا وناشد ربه فكشف الله تعالى عنهم تلك
الرجفة واتاهم نوا وسمعوا كلام ربهم وذلك قوله تعالى قال اياي موسى رب لو شئت
اهلكتهم من قبل اي من قبل عبادة العجل واياي بقتلي القبطي اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا اي عبدة العجل ولم يرد موسى انهم عوقبوا باتخاذ بني اسرايل العجل وقال هذا طريق
الوآد وقال المبرد هو استفهام استعطاف اي لا تهلكنا وقد علم موسى عليه السلام ان
الله تعالى اعلم منه ان ياخذ بجريرة الجاري غيره وقيل بما فعل السفهاء من العناد والتجاسر
على طلب الروية وكان ذلك قاله بعضهم ان اي ما هي الا فتنتك قال الواحدي الكناية في
هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء
لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاؤك وهذا تاكيد لقوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا لان معناه لا تهلكنا بفعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلاء اضللت
بها قوما فافتتنوا بان اوجدت في العجل خوارا فراعوا به واسمعتهم كلامك حتى طمعوا
في الروية هدين قوما فعصمتهم حتى تثبتوا على دينك فذلك معنى قوله تضل بها
من تشاء وتهدي من تشاء ولما اثبت ان الكل بيده تعالى استانف سواله في ان يفعل
لهم الاصلح فقال انت اي وحدك ولينا اي تفتقد ان لا يقدر على عمل مصالحنا غيرك
وانت لا ينفعك في شيء من الامور ولا ضر بل الكل بالنسبة اليك على حد سواء وخص علمك
بصيرة من ان افعالك لا تعلل بالاغراض وعفوك عنا بنفعنا وانتقامك منا يضرنا
وخص في حضرتك قوا نتظمنا اليك وحطنا رحال افتقارنا لديك فاغفر لنا اي امح ذنوبنا
وارحمنا اي اشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء وانت خير الغافرين اي لان غيرك يتجاوز
عن الذنب طلبا للثنا او الثواب او دفعا للصفة الخسيسة وهي صفة الحقود ونحوه وانت منزه
عن ذلك فتتفضل علينا وتبذل لنا حسنة واكتب اي اوجب واثبت او اقسم لنا اي في هذه احيائك
لنا في هذه الدنيا اي الحاضرة والدنية حسنة اي حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الاخرة
اي واكتب لنا في الحياة الاخرة حسنة وهي الجنة ثم علل ذلك بقوله انا هدنا اي تبنا اليك

اي عما لا يليق

اي عما لا يليق بنا بك واصله الرجوع برفق والهود جمع هايد وهو التايب ولبعضهم
يا راكبا الذنب هودا اسجد كانك هودا قال بعضهم وبه سميت اليهود
وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم ثم صار اسم ذم بعد نسخها قال الله تعالى لموسى عذابي
اصيب به من اشاء من خلقي اذ منا وله يذنب ولا عتراض علي ورحمتي وسعت اي عمت
وشملت كل شيء من خلقي في الدنيا ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاصي الا وهو متقلب
في نعمتي وهذا معنى حديث ابي هريرة في الصحيحين ان رحمتي سبقت غضبي وفي رواية
غلبت غضبي واما في الاخرة فقال تعالى فساكتبها للذين يتقون الله ويوتون الزكاة
وخصها بالذكر لنفعها المتعدي ولانها كانت اشق عليهم قال قتادة لما نزلت ورحمتي وسعت
كل شيء قال ابليس انا من ذلك الشيء فقال تعالى فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاة
والذين هم بايانتا يومنون ولا يكفرون بشيء منها فايس ابليس منها وتمنتها اليهود
والنصارى وقالوا نحن نتقي ونوتي ونومن بايات ربنا فاخرجهما الله تعالى بقوله الذين
يتبعون الرسول النبي الامي واغا سماه رسولا باضافته الى الله عز وجل لانه الواسطة
بين الله تعالى وبين خلقه لرسالته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ونبيا لانه
رفيع الدرجة عند الله ثم وصفه بالامي وهو الذي لا يكتب ولا يقرا وهي صفة تنبيها على
صلى الله عليه وسلم كان كذلك قال اهل التحقيق وكونه اميا بهذا التفسير كان من جملة
معجزاته وبيانه من وجوه الاول انه عليه الصلاة والسلام كان يقرا عليهم كتاب الله
تعالى منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل لفاظه ولا تغيير كلماته والخطيب من العرب
اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فلا بد وان يزيد فيها او ان ينقص عنها بالقليل والكثير ثم
انه عليه الصلاة والسلام مع انه ما كان يكتب ولا يقرا يتلو اكتاب الله من غير زيادة
ولا نقصان ولا تغيير فكان ذلك معجزة واليه الاشارة بقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى
والثاني انه لو كان يحسن الخط والقراءة لكان منهما في انه ربما طالع كتب الاولين فجعل
هذا التعلم من تلك المطالعة فلما اتى هذا القران العظيم المشتمل على العلوم الكثيرة من غير تعلم
ولا مطالعة كان ذلك من المعجزات وهذا هو المراد من قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب
ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط شيء سهل فان اقل الناس ذكاء
وفطنة يتعلمون الخط بادنى شيء فعدم تعلمه يدل على نقصان عظيم في الفهم ثم انه
تعالى اتاه علوم الاولين والاخرين واعطاه من العلوم والحقايق ما لم يصل اليه احد
من الخلق ومع تلك القوة العظيمة في العقل والفهم جعله بحيث لم يتعلم الخط الذي

يسهل تعلمه على اقل الخلق عقلا وفهما فكان الجمع بين هاتين الحالتين المتضادتين
جاريا مجرى المعجزات للجمع بين الصديق وذلك من الامور الخارقة للعادة وجارية
مجرى المعجزات وهذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه صلى الله
عليه وسلم وتارة يخرج من القوة الى الفعل عن الحق زمان دعوته فمن علم الله تعالى منه
انه لا يتبعه اذا ادركه لا يغفر له ولو عمل جميع الطاعات غير ذلك وعرفه لهم بجميع
خواصه حتى لا يتطرق اليه عند محبيته ريب ولا يتعلل في امره بعلة ولذلك اتبعه
الذي يجدونه اي علماء بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل باسمه ونعوته ولكنهم
كتموا ذلك وبذلوه وغيروا حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل
لهم ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان وعذاب يسير
قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت اخبرني عن صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال احد انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للامبيين انت عبدي ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن
يعفو ويغفر ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا شرح غريب الفاظه الفظ الشديد الخلق والغليظ
الجافي العاسي والسخاب بالسين والصاد الكثير الصياح والاعوجاج ضد الاستقامة والملة
العوجاء الكفر والقلب والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شيء ينفعه كانه في غلاف وقوله تعالى
يامرهم بالمعروف قال الزجاج يجوز ان يكون المعنى يجدونه يجوز ان يكون اتانا فاهم
ويجوز ان يكون المعنى يجدونه مكتوبا عندهم انه يامرهم بالمعروف قال الرازي ويجمع
بالمعروف في قوله عليه الصلاة والسلام التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وذلك
لان الموجود اما واجب الوجود لذاته واما ممكن لذاته اما الواجب لذاته فهو الله تعالى
والامر المعروف اشرف من تعظيمه واظهار عبوديته واظهار الخشوع والخضوع على باب
عزته والاعتراف بكونه موصوفا بصفات الكمال مبرا عن النقايص والافات منزها
عن الاضداد والانداد واما الممكن لذاته فاذا لم يكن حيوانا فلا سبيل الى ايصال الخير
اليه لان الانتفاع مشروط بالحياة ومع ذلك فانه يجب النظر الى كلها بعين التعظيم من
حيث انها مخلوقة لله ومن حيث ان كل ذرة من ذرات المخلوقات لها كمالات دليلا قاهرا
وبرهانا باهرا على توحيده وتنزيهه فانه يجب النظر اليه بعين الاحترام ومن حيث

ان الله

ان الله سبحانه وتعالى في كل ذرة من ذرات المخلوقات اسرارا عجيبة وحكما خفية فيجب النظر
اليها بعين الاحترام واما ان كان المخلوق من جنس الحيوان فانه يجب الشفقة عليه هو
بما تقضي ما يقدر الانسان عليه ويدخل فيه بر الوالدين وصلة الارحام وتبث المعروف
فثبت ان قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله كلمة جامعة
لجميع الجهات الامر بالمعروف وينهاهم عن المنكر وهو منادى الامور المذكورة وقال عطاء يامرهم
بالمعروف بخلع الانداد وبمكارم الاخلاق وبصلة الارحام وينهاهم عن المنكر عبادة الاوثان
وقطع الارحام ويحل لهم الطيبات اي ما حرم عليهم في شرعهم كالشحوم ويحرم عليهم
الخبائث كالدم ولحم الخنزير والربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم اي ثقلهم الذي كان يحمل عليهم
وقرأ ابن عامر بفتح الهمزة الممدودة والصاد والف بعد الصاد على الجمع والباقون بكسر
الهمزة وسكون الصاد ولا الف بعدها على التوحيد والاغلال التي كانت عليهم اي ويضع
الاثقال والشدايد التي كانت عليهم من الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة
عليهم وقطع الاعضاء الخاطية وقرض النجاسة من البدن والثوب بالمقراض وغير ذلك
من الشدايد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليدان الى العنق بحيث ان
اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي نهيت عنه وكانت هذه الاثقال
في شريعة موسى عليه السلام فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ودل عليه
قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين آمنوا به اي بمحمد صلى
الله عليه وسلم وعزروه اي وقروه وعظموه واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي
صلى الله عليه وسلم تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه ونصرته على اعدائه واتبعوا النور
النور الذي انزل معه اي القرآن سمي نورا لان به يستبين قلب المومن فيخرج من ظلمات
الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم وقيل الهدى والبيان والرسالة وقيل الحق الذي
بيانه في القلوب كبيان النور فان قيل كيف يمكن حمل النور هنا على القرآن والقرآن
ما انزل مع محمد صلى الله عليه وسلم وانما انزل مع جبريل عليه السلام اجيب بان معناه
انه انزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن ثم انه تعالى لما ذكر هذه الصفات قال
اولئك هم المفلحون اي الفايزون بالمطلوب في الدنيا والاخرة ولما تم ما نظمه تعالى في اثنا
هذه القصص من جواهر اوصاف هذا النبي الكريم حثا على الايمان واتيانه على وجه يعلم
منه انه رسول الله الى كل مكلف تقدم زمانه او تاخر فقال تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله
اليكم لخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين بل والى

الملائكة قاله السبكي والبقاعي وغيرهما وهذا هو اللائق بمقامه صلى الله عليه وسلم وان خالف
في ذلك بعضهم وأما سائر الرسل فمبعوثون الى اقوامهم فقط لقوله صلى الله عليه وسلم
اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض
طيبة مسجدا وطهورا ونصرت على عدوي بالرعب يرعب مني مسيرة شهر واطعمت الغنيمة
دون من قبلي وقيل لي سل تعطه واخبأت شفاعتي لامتي فان قيل كان ادم مبعوثا
الى البرية كما نبأ معه مع ان جميع الناس في ذلك الزمان محصورون الا ذلك القوم الجيب
بان ذلك لم يكن لعموم رسالته بل للحصر المذكور فليس ذلك من باب عموم الرسالة وقوله جميعا
حال من اليكم اي ان الكل مشتركون عليهم الايمان بي والاتباع لي وقد طاب الخبر بشريعة محمد
صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتقلل في كل نفق ولم يبق لله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا
جبل ولا بحر ولا بر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم
به الحجة وهو سائله عنهم يوم القيامة وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه حين
رفع اليه الذراع فنهش منها فقال انا سيد الناس يوم القيامة وعن جابر رضي الله عنه
قال انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا
مستشفعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا يئسوا اللواء الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم علي
ربي ولا فخر وعن ابي بن كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة
كنت امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال انا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته ادم
فمن دونه ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا سيد ولد ادم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما من نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي ولا فخر الدعاء العظمة والكبر والشرف اي لا اقول
ولكن شكرا وتحدثا بالنعمة وما اجتمع بهم في مجمع الا كان امامهم قبل موته وبعده اجتمع
بهم ليلة الاسراء في بيت المقدس فصلى بهم اماما ثم اجتمع بهم في السما فصلى بجميع
اهل السما اماما واما يوم الجمع الاكبر واكثر الاعظم فيحمل الكل عليه وما احال بعض
الائمة بعلي بعض الاعلما منهم بان الختام يكون به ليكون اظهر للاعتراف بامامته والانقياد
لطاعته لان المحيل على المحال على الشيء محيل على ذلك والحاصل انه صلى الله عليه وسلم تظاهرت
في ذلك الموثوق برسالته بالفعل الحاكمة للحق فتبين سر هذه الاية الذين يتبعون الرسول
قال البقاعي ولما دل بالاضافة اسم الذات ما يدل على جميع الصفات على عموم دعوته وشمول

رسالته حتى للجن والملائكة ايذانا بذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض فيكون
محله جرا جريا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا لانه
متعلق المضاف اليه فهو كالمتقدم عليه قاله الزمخشري والاحسن ان يكون محله نصبا
باضمار اعني وهذا الذي يسمى النصب على المدح قاله البيضاوي او مبتدا خبره لا اله
الا هو اي فالكل منقادون لامره خاضعون له ثم علل ذلك بقوله يحيي ويميت اي له
هاهنا الصفات مختصا بهما ومن كان كذلك كان منفردا بما ذكر قاله البقاعي واذا عرفت
ما يأتي ان شاء الله تعالى في اول الفرقان مع ما مضى في اوايل الانعام لم يبق عندك شك
في دخول الملائكة عليهم السلام في عموم الدعوة انتهى وقد مرت الاشارة الى ذلك والمراد
الله تعالى برسوله محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم جميعا امر الله
تعالى جميع خلقه بالايمان به وبرسوله بقوله فامنوا بالله ورسوله وذلك ان الايمان بالله
هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا بدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله ثم
وصفه تعالى بقوله النبي الامي وتقدم معناها الذي يؤمن بالله وكلماته اي بما انزل عليه
وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقال قتادة المراد بكلماته القرآن وقال نجاهد عيسى ابن
مريم لانه خلق بقوله كن فكان ولم يكن من نطفة تمني ولهذا سمي كلمة الله وقيل هو الكلمة
التي يكون عليها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن واتبعوه اي وانتدوا به ايها الناس فيما
يأمركم به وينهاكم عنه لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا وتثبتوا واجعل تعالى رجاء الاهتداء
اثر الايمان والاتباع ينبها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شريعته فهو بعد
في حظيرة الضلالة ومن قوم موسى اي من بني اسرايل امة اي جماعة يهدون بالحق اي
يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه اي بالحق يعدلون اي يحكمون والمراد بتلك
الامة الثابتون على الايمان العاملون بالحق من اهل زمان موسى عليه السلام اتبع
ذكر المرتابين الكافرين من بني اسرايل بذكر اضدادهم كما هو عادة القرآن تنبيها على ان
معارض الخير والشر توأم اهل الحق والباطل مستمر وقيل هم الذين اسلموا من اليهود في
زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه واعترض بانهم كانوا قليلين
في العدد ولفظ الامة يقتضي الكثرة واجيب بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق
لفظ الامة عليهم كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان امة وقيل ان بني اسرايل لما قتلوا انبياءهم
وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتزلوا وسألوا الله ان يفرق بينهم
وبين اخوانهم ففتح الله تعالى لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين

وهم هناك مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل اذهم
به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا الاخال
هذا محمد النبي الامي فاضنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى عليه السلام اوصانا اذ من ادرك منكم
احمد فليقرئه مني عليه السلام فرد محمد على موسى صلى الله عليهما وسلم السلام ثم اقرأهم عشر سور
من القرآن التي نزلت مكملة ولم تكن فريضة نزلت غير الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم
وكانوا يبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت لا يتخلفوا ولا يتحاسدوا ولا يصل اليهم منا احد
ولا الينا منهم احد قال بعض المحققين هذا القول ضعيف وان كان النبوي صحيحا لوجوه الاول
كونهم اقرأهم عشر سور وقد نزل عليه اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يأمرهم
بها قبل فرضها الثاني كون جبريل ذهب به ليلة الاسراء ولم يرد بذلك فقل صحيح ولا رواه احد
منا يتمة الحديث الثالث ان احدا منهم لا يصل الينا ولا يصل منا اليهم منا احد فمن اين اوصل
خبرهم الينا فثبت بذلك بطلان هذا القول فان قيل ان ياجوج ومأجوج قد وصل خبرهم الينا
ولم يصل خبرنا اليهم اجيب بالمنع فمن اين يعرف انه لم يصل خبرنا اليهم ثم قال فالمختار
في تعيين هذه انها اما ان تكون قد نزلت في قوم كانوا متمكنين بين موسى قبل التبديل
والتغيير ثم تواطؤا على ذلك واما ان تكون قد نزلت في من اسلم من اليهود على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه **وقطعناهم** اي فرقنا بني اسرائيل
وقوله تعالى **اثنتي عشرة** حال وثانيه حملا على الامة **اسباطا** بدل منه والذي لذلك جمع قبائل
والاسباط اولاد الولد وكانوا اثني عشر قبيلة من اثني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام
اما ابدل بعد بعد بدلا او نعت الاسباط او قطعناهم اما لان كل سبط كان امة عظيمة
وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلافا تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف هو
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه اي حين استسقوه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر اي
اي انفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة يقال بجست الماء فانبجس اي فجرته
فانفجر قاله الجوهري وعلى هذا التقدير فلا تباين بين الانبجاس المذكور هنا وبين الانفجار
المذكور في سورة البقرة وقال الفراء الانبجاس خروج الماء بقلة والانفجار خروجه بكثرة
وطريق الجمع ان الماء ابتدأ بالخروج قليلا ثم صار كثيرا وهذا الفرق روي عن عمرو بن العلاء فان
قيل هلا قيل فضربه فانبجست اجيب بانه انما حذفه للعلم به على ان موسى لم يتوقف في
الامتثال وان ضربه لم يكن موثرا لتوقف عليه الفعل في ذاته **منه** اي من الحجر **اثنتا عشرة عينا**
اي بعدد الاسباط **قد علم كل اناس** اي كل سبط منهم **مشربهم** اي لا يدخل كل سبط على سبط في مشربهم

وظللنا عليهم

وظللنا عليهم الغمام اي في التيه ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن الترنجبين والسلوى
اما الطير السماني بتخفيف الميم والقصر لجعل الله تعالى ذلك طعاما لهم في التيه وقيل المن
الخبز والسلوى الادام وقال ابن يحيى السلوى طائر يشبه السماني وخاصيته ان اكل لحمه
يلين القلوب القاسية بموت اذا سمع صوت الرعد يظن ان الخلق تقتله البرد فيلهمه الله
تعالى ان يكن جناحيه البحر التي لا يكون فيها مطر ولا رعد الى انقضاء ان المطر والرعد فيخرج
من الجزائر وينتشر في الارض **كلوا** اي وقلنا لهم كلوا **من طيبات ما رزقناكم** مما لم تعالجوه
بنوع معالجة وقوله تعالى **وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون** فيه حذف تركه اذكره هو
للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره كلوا من طيبات ما رزقناكم فاستعانوا من ذلك
وساموا ان نصبر على طعام واحد وسألوه فيرزقنا لان المتطلع اذا امر بشيء فتركه وعدل عنه
الى غيره يكون عاصيا بفعل ذلك فلهذا قال تعالى **وما ظلمونا** اي انه يفعل بهم ما قابلوا فيه
الاحسان بالكفران ولكن كانوا انفسهم يظلمون بمخالفتهم ما امروا به وقد سبق تفسير هذه
الاية في سورة البقرة **واذ قيل لهم** اي واذكر يا محمد لقومك اذ قيل لبني اسرائيل اسكنوا
هذه القرية اي بيت المقدس **وكلوا منها** اي القرية **حيث شئتم وقولوا** امرنا **حطة** واخلوا
الباب اي باب القرية **سجدا** اي سجودا خاشعا وقوله تعالى **نغفر لكم** قراءة نافع وابن عامر بضم
التاء وفتح الفاء على التانيث والباقون بنون مفتوحة وكسر الفاء وقوله تعالى **خطاياكم**
قراءة نافع بكسر الطاء بعدها همزة مفتوحة ممدودة وبعد الهمزة تاء مضمومة على الجمع
وابن عامر كذلك الا انه يقصر الهمزة على التوحيد وابو عمرو بفتح الخاء والطاء وبعد الطاء الف
بعدها ياء وبعد الياء الف على وزن قضايا كم والباقون بكسر الخاء وبعدها همزة مفتوحة هي
ممدودة بعدها تاء مكسورة **سنزيد المحسنين** اي بالطاعة ثوابا **فبدل الذين ظلموا**
منهم قولا غير الذي قيل لهم فقالوا حبة في شعيرة ودخنوا بين ضنون على استاههم اي ادبارهم
فارسلنا عليهم رجزا من السماء اي عذابا منها **بما كانوا يظلمون** وهذه القصة اتيت
تقدمت في سورة البقرة لكن الفاظ هذه الاية تخالف الاية المذكورة في سورة البقرة لكن
من وجوه الاول انه قال هناك **واذ قلنا ادخلوا هذه القرية** وهنا قال **واذ قيل لهم اسكنوا**
هذه القرية والثاني انه قال هناك **فكلوا** بالفاء وقال هنا **وكلوا** بالواو والثالث انه قال
هناك **رغدا** واسقطه هنا والرابع انه قال هناك **وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة**
وقال هنا على التقديم والتاخير والخامس انه قال هناك **نغفر لكم خطاياكم** وقال هنا
نغفر لكم خطيآتكم والسادس انه قال هناك **وسنزيد المحسنين** وهنا حذف الواو والسابع انه

قال هناك وانزلنا على الذين ظلموا وقال هنا فارسلنا عليهم الثانية انه قال هناك بما كانوا
يفسقون وقال هنا بما كانوا يظلمون ولا منافاة بين هذه الفاظ المختلفة اما الاول
وهو انه قال هناك وادخلوا هذه القرية وقال هنا اسكنوا فلا منافاة بينهما لان كلا منهما
في موضع فلا بد من الدخول فيه واما الثاني وهو قوله هناك فكلوا بالفاء وقال هنا وكلوا
بالواو فالفرق بينهما ان للدخول حالة مقتضية للاكل عقب الدخول فمن دخول الفاء
التي هي للتعقيب ولما كان السكن حالة استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى ه
ليكون الاكل حاصلا متى شاءوا فظهر الفرق واما الثالث وهو انه ذكر هناك رغدا
واسقطه هنا ان الاكل عقب الدخول الذي يعمل والاكل مع السكنى والاستمرار ليس
كذلك فمن دخول المنظر غدا هناك دون هنا واما الرابع وهو قوله هناك وادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة وقال هنا على التقديم والتاخير فلا منافاة في ذلك
لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله تعالى واظهار الخضوع والخشوع له فلم يتعلق
الحال بحسب التقديم والتاخير واما الخامس وهو انه قال هناك خطاياكم وقالها
خطيئاتكم فهو اشارة الى ان هذه الذنوب سواء كانت قليلة ام كثيرة فهي مغفورة عند
الاتيان بهذه الاوصاف والتضرع واما السادس وهو قوله تعالى هناك وسنزيد بالواو وقال
هنا بحذفها فالفايدة في حرف الواو انه تعالى وعد شيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين
من الثواب واسقاط الواو ولا يخل بذلك المعنى لانه استيناف مرتب على
تقدير قول القايل ماذا حصل بعد الغفران فقيل انه سنزيد المحسنين واما السابع
وهو الفرق بين انزلنا وبين ارسلنا فلان الانزال لا يشعر بالكثرة والارسال يشعر
بها فكانه تعالى بدا بانزال العذاب القليل ثم جعله كثيرا وهو نظير ما تقدم من الفرق
بين انبجست وانفجرت واما الثامن وهو الفرق بين قوله تعالى يفسقون وبين قوله
تعالى يظلمون لانهم ظلموا انفسهم فيما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله
فوصفوا بكونهم ظالمين لاجل انهم ظلموا انفسهم وبكونهم فاسقين لانهم خرجوا عن طاعة
الله فالفايدة في ذكر هذين الوصفين التنبيه على حصول هذين الامرين هذا ملخص
كلام الرازي رحمه الله تعالى ثم قال وتمام العلم بذلك عند الله تعالى وانا لهم اي اسال
يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك سؤال توبيخ وتقريع عن القرية اي عن اخبارها
وما وقع باهلها لاسؤال استفهام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه القرية
بوحي الله تعالى اليه واخباره اياه حالهم وانما القصد من هذه السؤال تقرير اسلافهم

واقدامهم

واقدامهم على الكفر والمعاصي قديما وان امرارهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وانكارهم
نبوته ومعجزاته ليس بشيء قد حدث الان في زمانه بل امرارهم على الكفر كان عادة لاسلافهم
في قديم الزمان وفي الاخبار بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان
اميا لم يقرا الكتب القديمة ولم يعرف اخبار الاولين ثم اخبر بها جرى لاسلافهم في
قديم الزمان وانهم بسبب مخالفتهم لامر الله تعالى مسخوا قردة واختلفوا في هذه
القرية فقال ابن عباس هي قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور على شاطيء البحر وقال
الزهري هي طبرية الشام وقيل مدين والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو ابن العلا
ما رايت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن التي كانت
حاضرة البحر اي مجاورة بحر القلزم على شاطيه والحضر نقيض البدو كقوله تعالى ذلك
لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اذ اي حين يعدون اي يعتدون في
السبت اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد فيه وقد نهوا عنه وقوله تعالى اذ
تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون يوم سبتهم شرعا اي ظاهرة على الماء كثير جمع
شارع والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة والسبت مصدر
سبت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في
تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله تعالى يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم امر السبت يدل
عليه قوله تعالى ويوم لا يسبتون اي لا يعظمون السبت اي سائر الايام لا تاتيهم
اي الحيتان ابتلاء من الله تعالى كذلك اي مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم نعاملهم اي
بسبب ما كانوا يفسقون وقوله تعالى واذ معطوف على اذ قبله قالت امة اي جماعة
منهم اي من اهل القرية لم تصد ولم تنته لونهي لم تعظون قوما الله مهلكهم
في الدنيا بعذاب من عنده لانهم لم ينتهوا عن الفساد ولا تتعظون بالمواعظ او معذبهم
عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوا اي الواعظون معذرة نعتذر بها
الى ربكم اي ليبلغ تسبب الي تقصيرنا في ترك النهي فان النهي عن المنكر واجب وان علم الناهي
ان من تكلمه لا يقلع عن معصيته وقيل اذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يوثر فيه
سقط النهي وربما وجب الترك لدخوله في الهيبة الا ترى انك تذهب الى الملكين
القاعدين على الباب راكبا والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظيم وتكفهم عما هم فيه كان
ذلك عيبا منك ولم يكن الاسيا للناهي بك ولعلهم يتقون اي وجايز عندنا ان
ينتفعوا بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصداء اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك

فلما نسوا اي تركوا تركا الناسي ما ذكروا اي وعظوا به ولم يرجعوا انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا اي بالاعتداء ومخالفة امر الله تعالى بعذاب بيس اي
شديد بما اي بسبب ما كانوا يفسقون روي عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لسعد
الله تعالى يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بيس فلا
ادري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك
الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقبل الله
انجيتهم لم يقل اهلكتهم قال فاعجبه قولي ورضي به وامر به الي بين دفي فالبسنيها وقال
نجت الساكتة وقال ايمان بن زيان نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم
والذين قالوا معذرة واهلك الله الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن فان قيل
ان ترك الوعظ معصية والنهي ايضا عنه معصيته فوجب دخول هؤلاء التاركين للوعظ
الناهين عنه تحت قوله تعالى واخذنا الذين ظلموا بعذاب بيس ولهذا قال ابن زيد
نجت ناهيه وهلكت الفرقتان اجيب بان هذا غير لازم لان النهي عن المنكر انما يجب
على الكفاية فاذا قام به البعض سقط عن الباقين فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابن
عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية والعتو عبارة عن الاباء والعصيان اي فلما عتوا
اي تكبروا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم
ما حرم الله تعالى عليهم من صيد السمك في يوم السبت وكله قلنا لهم كونوا قردة
خاسئين اي صاغرين فكانوا كما قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن
فيكون وهذا يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم
ويجوز ان تكون الاية الثانية تفصيلا للاولى وروي ان اليهود امروا باليوم
الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم الله عليهم
فيه الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تاتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا
كانها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم فكانوا كذلك برهة من
الدهر ثم جاء ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاخذوا حياضا هو
يتأفون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها يوم الاحد
واخذ رجل منهم حوتا سمكة وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه
يوم الاحد فوجدوا ريح السمك فتطلع في تنوره فقال اني ارى الله سيعذبك
فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا

والحلوا وملحوا

والحلوا وملحوا وباعوا واكلوا فكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا فلما نهوا وكانوا
نحوا من اثني عشر الفا وثلثا قالوا لم تعظون قوما وثلثاهم اصحاب الخطية فلما لم ينتهوا
قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب ولعنهم داود عليه
السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان
للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة فعلموا الباب ودخلوا عليهم فعرفت
القرود انسابها من الانس لا يعرفون انسابهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم
ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ
خنازير واختلفوا في ان الذين مسخوا هل بقوا قردة وهل هذه القردة من نسلهم او
هلكوا وانقطع نسلهم لا دلالة في الاية على شيء من ذلك وعن الحسن كلهم والله او لم
اكلة اطهما اتقلها حزنا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة وعن جابر بين العبد وبين رؤيته
حجاب فان صبر خرج اليه والا هلك الحجاب ولم ينزل الا ما قدر له قال الزمخشري هاه
وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى هو
جعل موعد الساعة والساعة ادهى وامر وقوله تعالى واذ تاذن ربك اي اعلم ربك واجرى مجرى القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب
بجوابه وهو ليبعثن عليهم اي اليهود الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب
اي بالاهانة والذل واخذ الجزية منهم فبعث الله تعالى عليهم سليمان وبعده بخت
نصر فقتلهم وسباهم وضرب عليهم الجزية وكانوا يودونها الى المجوسي الى ان بعث الله تعالى
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فضرب عليهم ولا تزال مضروبة عليهم الى اخر الدهر حتى
ينزل عيسى بن مريم فانه لا يقبل الجزية ولا يقبل الا الاسلام فان قيل انه يحكم
بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته اخذ الجزية لا الاسلام اجيب
بان شريعته مضافة بتركك الى نزول عيسى عليه السلام وقوله تعالى ان ربك لسريع
العقاب اي لمن اقام على الكفر كتصيبة الدليل على انه يجمع لهم مع ذل الدنيا عذاب
الاخرة ويكون العذاب مستمرا عليهم في الدنيا والاخرة ثم انه تعالى ختم الاية بقوله
وانه لغفور لمن امن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل في دين الاسلام رحيم بهم
وقطعناهم اي فرقناهم في الارض امما اي فرقا بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تمييز
لا دبارهم حيث لا تكون لهم شوكة قط وامما متفعول ثان او حال وقوله تعالى منهم الصالحون
صفة او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة وقراوهم ومنهم اي اناس دون ذلك اي يحطون

عن الصلاح فيهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم اي اختبرناهم جميعا السمح وغيره
بالحسنات اي بالخصب والعافية والسيات اي بالجوع والشوكة لعلهم يرجعون
اي كي يرجعوا الى طاعتنا بهم ويتوبوا اليه قال اهل المعاني وكل واحد من الحسنات
والسيات يدعو الى الطاعة اما النعم فلاجل الترغيب واما النقم فلاجل الترهيب
فخلف من بعدهم اي هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجيء من بعد وهو
بسكون اللام تابع في الشر وبفتحها في الخير يقال خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء
بسكونها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح قال حسان بن ثابت

لنا القدم الاولى اليك وخلفنا ... لاذ لنا في طاعة الله تابع

وقال لبيد في الذم ... ذهب الذين يعاش في اكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الاجرب

فحركه اللام والخلف مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع والمراد به الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التوراة من اسلافهم يقرأونها
ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى اي هذا الشيء الثاني الادنى اي
الدنيا وما يتمتع به فيها وفي قوله هذا الادنى تحقير وتحقير والادنى اما من الدنو
بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دون الحال وسقوطها وقلتها والعرض بالفتح
جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بكون
الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير وجمعه عروض والمعنى انهم ياخذون حطام
الدنيا وهو الشيء التافه الخسيس الحقير لان الدنيا بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها
احقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه واخذوا
الرشا في الاحكام ويعلمون انها حرام ومع اقدامهم على هذا الذنب العظيم نامل راجون
عليه يقولون سيغفر لنا اي لا يؤاخذهم الله تعالى بذلك فيتمنون على الله الاماني
الباطلة وعن شداد بن اوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني لان اليهود كانوا
يقولون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى وان
ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو فيه للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون
الى مثل فعلهم تابيين وليس في التوراة وعد المغفرة مع الاصرار وقواه تعالى
الم يؤخذ استفهام تقرير عليهم ميثاق الكتاب اي التوراة والاضافة بمعنى في
ان لا يقولوا على الله الا الحق اي المعلوم ثانيه وليس من العلوم اثبات المغفرة على

القطع

والسكت به صح

القطع بغير توبة بل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب وقوله تعالى ودرسوا ما فيه اي ما
في ذلك الميثاق الذي في الكتاب او الكتاب بتقرير القراءة للحفظ عطف على الم يؤخذ
من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وليس بوخم اعتراض والدار الاخرة خير اي هم
وما في الدار الاخرة خير مما اعده الله للذين يتقون الله ويخافون عقابه افلا تعقلون
ايها حين اختاروا ما يشقيهم ويفني بدل ما يسعدهم ويبقي ان الدار الاخرة خير وقرا
نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب ويكون المراد الاعلام بتناهي الغضب والباقون
بالياء على الغيبة والذين يمسكون بالكتاب يقال مسكت بالشيء وتمسكت به والتمسك
بالكتاب بحفظه وقراءة بسكون الميم وتخفيف السين والباقون بفتح الميم وتشديد
السين واقاموا الصلاة اي رووا ما على اقامتها في مواقيتها وانما افردها بالذكر وان
كانت الصلاة داخلة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها وانها من اعظم
العبادات بعد الايمان بالله تعالى وهذه الاية نزلت في الذين امنوا من اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين الجملة خبر الذين
وضع فيه وضع الظاهر موضع المضمر اياجرهم واذ اي اذكر يا محمد اذ نتقنا اي رفعنا
الجبل فوقهم اي من اصله كانه ظلة قال ابن عباس كانه سقيفة والظلة كل ما اظلك
من سقف بيت او سحابة او جناح حائط والجمع ظلل وظلال وظنوا اي ايقنوا انه واقع
بهم اي ساقط عليهم يوقوعه ان لم يقبلوا احكام التوراة روي انهم لما
ابوا قبول احكام التوراة لعظمها وثقلها فرفع الله تعالى الطور على رؤوسهم مقدار
عسكرهم فكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم
فلما نظروا الى الجبل خر كل واحد منهم ساجدا على حاجبه وهو ينظر بعينه اليمنى خوفا
من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة
التي رفعت عنا بها العقوبة وقوله تعالى خذوا هو على اضمار القول اي قلنا لهم خذوا
او قائلين خذوا ما اتيناكم اي من الكتاب وقوله تعالى بقوة اي بجد وعزم على تحمل المشاقة
فيه واذكروا ما فيه اي بالعمل به ولا يتركوه كالمنسي لعلكم تتقون اي فضائل
الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اي واذكر يا محمد حين اخذ ربك من بني ادم وقوله
تعالى من ظهورهم بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار كما قاله السيوطي وبدل بعض كما
قاله البيضاوي وذرياتهم اي بان اخرج بعضهم من صلب بعض بدلا بعد نسل كنحو
ما يتوالدون كالذر ونصب لهم دلايل على ربوبيته وركب فيهم عقلا عرفوا به كما جعل له

ع

الجبال عقولا حين خوطبوا بقوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير كما جعل تعالى للبعير عقولا حتى سجد للنبي صلى الله عليه وسلم وكذا الشجرة حين سمعت لامره وانقادت وكذا النملة حين قالت يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر بالياء بعد الياء وكسر التاء على الجمع والباقون بغير الف بعد و وفتح التاء على التوحيد **واشهدهم على انفسهم** قال **الست بربكم قالوا بلى** انت ربنا وعن مسلم ابن يسار الجهني انه قال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيل عن هذه الاية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سيل عنها فقال ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح على ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقتهم هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله فيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل اهل النار فيدخل به النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله تعالى ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان وبيصا من نور وعرضهم على ادم فقال اي رب هذه ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب من هذا قال داود فقال يا رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين سنة جاءه ملك الموت فقال ادم اولم يبق من عمري اربعون سنة قال اولم تعطها ابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فاكل من الشجرة فنسيت ذريته وخطي فخطيت ذريته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن ابن عباس انه ابصر ادم في ذريته قوما لهم نور فقال يا رب من هؤلاء قال الانبياء وراي واحدا هو اشدهم نورا فقال من هو قال داود قال فكم عمره قال ستون سنة قال ادم هو قليل وكان عمر ادم الف سنة فقال يا رب زده من عمري اربعين سنة فلما تم عمر ادم تسعماية وستون سنة اتاه ملك الموت لقبض روحه فقال بقي من اجلي اربعون سنة فقال الست قد وهبتها من ابنك داود فقال ما كنت لاجعل لاجل من اجلي شيأ فعند ذلك كتب لكل نفس اجلها وعن مقاتل ان الله تعالى مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فخرج منه ذرية بيض كهيئة الذر تتحرك ثم صفحة ظهره اليسرى فخرج منه ذرية سود كهيئة الذر فقال يا ادم هؤلاء ذريتك

ثم قال

من اعمال صح

ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال واصحاب المشامة ثم اعادهم جميعا في صلب ادم فاهل القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق كلهم من اصلاب الرجال وارحام النساء وقال تعالى فيمن نقض العهد الاول وما وجدنا لاكثرهم من عهد وقال بعض المفسرين ان اهل السعادة اقروا طوعا وقالوا بلى واهل الشقاوة قالوا نعم وكرها وذلك معنى قوله تعالى وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واستقروا في موضع الميثاق فقال ابن عباس ببطن نعمان وهو واد الى جنب عرفة وعنه ايضا انه بدا هنا من ارض الهند وهو الموضع الذي اهبط منه ادم عليه السلام وقال الكلبي بين مكة والطايف فان قيل ما معنى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم واغا اخرجهم من ظهر ادم اجيب بان الله تعالى اخرج ذرية ادم بعضهم من ظهور بعض على ما يتناسق الدون فالدون في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر ادم لما علم انهم كلهم بنوه واخرجوا من ظهره فالمخرج من ظهورهم فخرج من ظهره وقولهم **شهدنا** اي على انفسنا بذلك وانما اشهدهم على نفسهم كراهة **ان يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا التوحيد غافلين** اي يوم الادلة فلذلك اشركنا وقوله تعالى **او يقولوا** اي لولم نرسل اليهم الرسل عطف على ان تقولوا وقرا ابو عمرو وبالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب **انما اشرك آباونا من قبل** اي قبلنا ان نوجد **وكنا ذرية من بعدهم** اي فلم نعرف لنا مربيا غيرهم فكنا لهم تبعا فشغلنا اتباعهم عن النظر ولم ياتنا رسول منبه فنجيب عن ذلك انكارهم في قولهم **افتهلكنا بما فعل المبطلون** اي من ابائنا قال ابو حيان والمعنى ان الكفرة لو لم يوخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر عما تضمن العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان احداهما كنا غافلين والاخرى كنا تبعا لاسلافنا فكيف والذنب انما هو لمن طرق لنا واضلنا انتهى فان قيل كيف يكون ذكر الميثاق عليهم حجة فانهم لما اخرجوا من ظهر ادم ركب فيهم العقل واخذ عليهم الميثاق اجيب بان التذكير به على لسان صاحب المعجزة قايم مقام ذكره في النفوس وبذلك قامت الحجة عليهم يوم القيامة لاخبار الرسل اياهم بذلك الميثاق في الدنيا فمن انكره كان معاندا فقنا للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة بنسيانهم وعدم حفظهم بعد اخبار الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات والمقصود من ايراد هذا الكلام هنا الزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجا

ج

عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم من التقليد وحثهم على التفكر والاستدلال كما
قال تعالى وكذلك اي ومثل ذلك التفصيل البديع الجليل الرفيع نفصل الايات
اي كلها الدلايل اقصها اما لا يليق بحالنا جهلا لعدم الدليل ولعلهم يرجعون اي عن التقليد
واتباع الباطل واتل ايا محمد عليهم اي اليهود نبا اي خبر اتيناه اياتنا فانسلخ منها
اي خرج بكفره كما تخرج الحية من جلدها وهو بلقام بن باعورا من علماء بني اسرايل وقيل
من الكنعانيين سيل ان يدعو على موسى واهدي اليه شيء فدعا فانقلبت عليه وانزع
لسانه على صدره فاتبعه الشيطان ادركه وصيره لقمة تابعا في معصيته
الله تعالى فخالف امر ربه واطاع الشيطان وهواه فكان من الغاوين اي الضالين الهالكين
وقصته على ما ذكره ابن عباس وغيره ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين
ونزل ارض بني كنعان من ارض الشام في قوم بلعام فكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا
ان موسى رجل حديد ومعه جند كثير وانه قد جاء خبنا من بلادنا وهي فيقتلنا ويحالها
بني اسرايل وانت رجل مجاب الدعوة فادع الله تعالى ان يردهم عنا ويكفيكم نبي الله ومعه
الملايكة والمومنون فكيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما علمت وانى ان فعلت
ذهبت دنياي واخرتي فراجعوه والحوا عليه فقال حتى اوامر ربي وكان لا يدعوا
حتى ينظر ما يومر به في المنام فوامر في الدعا عليهم فقيل له في المنام لا تدع عليهم
فقال لقومه قد وامرت ربي والى نهيت ان ادعو عليهم فاهدوا الله هدية فقبلها وارشوه
فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يومر بشيء فقال قد وامرت ربي فلم يامرني بشيء فقالوا لو كره
ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الاولى فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه
فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل حسبان يطلعه على عسكر بني اسرايل يقال له حسبان
فلما سار على اتانه غير بعيد ربضت فنزل عنها وضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى
ربضت فضربها فاذن الله تعالى لها في الكلام وانطقها له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك
يا بلعم اني تذهب اما ترى الملايكة امامي تردني عن وجهي ويحك انذهب الى نبي الله
والمومنين فتدعو عليهم فلم يزجرها حتى ضربها ضربا شديدا فانطلقت به حتى اشرف
على جبل حسبان فجعل يدعو عليهم فلا يدعو بشر الا صرف الله تعالى به لسانه الى قومه
ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله تعالى به لسانه الى بني اسرايل فقال له قومه يا بلعم اتدري
ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا املكه شيء قد غلب الله عليه فانزع
لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهب مني الدنيا والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فاعلموا

واحتال

واحتالا اجمل النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الى عسكر بني اسرايل هل
يبعنها فيه ومروهن ان لا تمتنع امراة نفسها من رجل اراد ها فانه ان زنا رجل بواحدة
كفيتموهم فتفعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امراة من الكنعانيين على رجل من عظما
بني اسرايل وكان رييس سبط شمعون بن يعقوب فقام الى المراة واخذ ها بيدها حتى
اتى بها زمري ثم اقبل بها حتى وقف على موسى وقال اني لا اظنك ان تقول هذه حرام
عليك اجل هي حرام عليك لا تقربها قال فوالله لا انطيعك ثم دخل بها قبته فوقع
عليها فارسل الله تعالى عليهم الطاعون في الوقت فهلك منهم سبعون الفا في ساعة
واحدة من النهار وقيل الاية نزلت في امية ابن ابي الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان
الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو كافلما بعث الله محمدا صلى
الله عليه وسلم حسده وكفر به وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون
النبي صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم وقيل انها نزلت في البوسي وهو رجل من بني
اسرايل وكان قد اعطي ثلث دعوات مستجابات وكان له امراة وكان له منها اولاد فقالت
له اجعل لي منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين ادع الله اجعل النساء في بني اسرايل
فلما علمت انه ليس في بني اسرايل اجمل منها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبة
نباحة فذهب فيها دعوتان فجاءوا بها وقالوا الخير لنا على هذا قد صارت امنا كلبة نباحة
وقد عيونا الناس ادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله تعالى فعادت كما
كانت فذهب فيها الدعوات كلها وقيل عنى بذلك ويد للقول الاول قوله تعالى ولو شينا
لرفعناه اي منازل الابرار بها اي بسبب تلك الايات ولكنه اخلد الى الارض اي مال
الى الدنيا قال البيضاوي او السفالة قال الجوهري السفالة بالضم نقيض العلو وبالفتح
الرذالة واتبع هواه اي في اثار الدنيا واسترضى قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما لحق
رفعه بمشية الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب
لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي
هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسايط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان
المشيئة تعلقت به كذلك وكان مقتضى ظاهر الكلام ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع
موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس
كل خطيية وهذه الاية من اشد الايات على اصحاب القدر وذلك لانه بعد ان حضر هذا الرجل
باياته وعلمه الاسم الاعظم وخصه بالدعوات المستجابة لما اتبع الهوى انسلخ من الدين

فصار في درجة الكلب وذلك يدل على ان كل من كانت نعم الله في حقه اكثر فاذا اعرض عن متابعة
النبي واقبل على متابعة الهوى كان فقده عن الله اعظم واليه الاشارة بمزيد ازدياد
علمه ولم يزدد هدى فلم يزدد من الله الا بعدا فمثله اي فصفته التي هي مثله في الخسة
كمثل الكلب اي كمثله في اخس اوصافه وهو ان تحمل عليه اي بالطرد والزجر يلهث اي
يدلع لسانه او تتركه يلهث فهو يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك وليس غيره
من الحيوان كذلك قيل كل شيء يلهث انما يلهث من اعيا او عطش الا الكلب فانه يلهث في حال
الكلال والراحة لان اللهث طبيعة اصلية فيه فكذلك حال من كذب بايات الله ان وعظته
فهو ضال وان تركته فهو ضال وكذا حال الحريص على الدنيا ان وعظته فهو حريص لا يقبل
الوعظ ولا ينجع فيه وان تركته ولم تقطه فهو حريص ايضا لان الحرص على طلب الدنيا صار
طبيعة لازمة كما ان اللهث طبيعة لازمة للكلب وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكلب
منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه او محل الجملة الشرطية النصب على الحال
كانه قيل مثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى
عليه السلام خرج لسانه فوقع صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك اي المثل مثل
القوم الذين كذبوا بآياتنا فيه بهذا المثل جميع من كذب بايات الله وجه الشبه
بينهم وبين الكلب اللاهث انهم اذا جاءتهم الرسل لم يهتدوا بل هم في ضلال على
كل حال فاقصص القصص اي فاخبر يا محمد قومك هذه الاخبار التي سبقت بها مواقع
الوقايع واثار الاعيان حتى لم تدع في شيء منها لبسا على كل من يسمع لك من اليهود
وغيرهم لعلهم يتفكرون اي يتدبرون فيها فيؤمنون سائ اي بئس مثلا القوم اي مثل
القوم الذين كذبوا بآياتنا اي بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون
اي كان ذلك في طبعهم جبلة لا يقدر غير الله تعالى على تغييره وتقديم المفعول به للاختصاص
كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها وقوله تعالى من يهد الله فهو
المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى في الضلال من الله تعالى
وان هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد في الاول
والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقتهم
باختلاف الفضائل والاقتصار في الاخبار عمن هدي الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء
وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم هو
للفوز بالنعم الاجلة والعنوان له ولقد ذرانا اي خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس

اخبر تعالى

اخبر تعالى انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية
بالشقاوة ومن خلقه الله تعالى للنار فلا حيلة له في الخلاص منها روي عن عائشة رضي الله
تعالى عنها انها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنازة صبي من الانصار
فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه
فقال او غير ذلك يا عائشة ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وهم في اصلاب ابائهم وخلق
النار وخلق لها اهلا وهم في اصلاب ابائهم اخرجه مسلم قال النووي في شرح مسلم
اجمع من يعتد به من علماء المسلمين ان من مات من اطفال المسلمين فهو في الجنة لانه ليس
مكلفا وتوقف فيه من يعتد به لهذا الحديث واجاب العلماء عنه بان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعله نهاها عن المبادرة الى القطع من غير ان يكون عليها دليل قاطع بكما
انكر على سعد بن ابي وقاص قوله اعطه فاني لاراه مؤمنا فقال او مسلما قال بعضهم ويحتمل
انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل ان يعلم ان اطفال المسلمين في الجنة فلما علم ذلك قال
واما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الاكثرون هم في النار تبعا لابائهم وتوقفت
طائفة فيهم والثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة واستدلوا
باشياء منها حديث ابراهيم الخليل عليه السلام حين راه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة
وحوله اولاد الناس قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال واولاد المشركين رواه البخاري
في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود
التكليف ولا يلزمه قبول قول المرسل حتى يبلغ وهذا متفق عليه وفي الاية دليل وحجة
واضحة لمذهب اهل السنة في ان الله تعالى خالق افعال العباد جميعها خيرها وشرها
لانه تعالى بين باللفظ الصريح انه خلق كثيرا من الجن والانس للنار ولا مرد لقضاء الله
تعالى ولان العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما عمل بما يوجب عليه دخول النار به
علم ان له من يضطره الى ذلك الفعل الموجب لدخول النار وهو الله تعالى وقالت المعتزلة ان
اللام في قوله لجهنم لام العاقبة واستدلوا لذلك بايات واشعار من الايات قوله تعالى فالتقطه
ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم ما التقطوه لهذا الغرض ومنها قول موسى
ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ومن
الاشعار قول بعضهم ٭ وللموت تغذو الوالدات سخالها ٭ كما لخراب الدور تبنى المساكن ٭
وقال اخر ٭ امو التالد ذي الميراث جمعها ٭ ودورنا لخراب الدهر نبنيها ٭
وقال اخر ٭ له ملك ينادي كل يوم ٭ لدوا للموت وابنوا للخراب ٭

وقال آخر ... وام ثمالد فلا تجزعي ... فلثمود ما تلد الوالدات ... وهذا
امر ورد لان المصير الى التاويل انما يحسن اذا ثبت الدليل العقلي على امتناع حمل اللفظ
على ظاهره فاذا لم يثبت كان المصير الى التاويل في هذا المقام عبثا فالحق مذهب
اهل الحق جعلنا الله تعالى واهل مودتنا منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والدائم وصون الله
تعالى هؤلاء الذين اضلهم بقوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها اي لا يبصرون بها طريق الحق والهدى ولهم اذان لا يسمعون بها اي الايات والمواعظ
سماع تامل وتذكر قال اهل المعاني ان الكفار لهم قلوب يفتهون بها مصالح امر المتعلقة
بالدنيا ولهم اعين يبصرون بها المرئيات واذان يسمعون بها الكلمات وهذا الاشارة فيه
ولما وصفهم الله تعالى بانهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه
الحواس الواركة علم ان المراد من ذلك يرجع الى مصالح الدين وما فيه لنفعهم في الاخرة
والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه قول الشاعر
... وعور الكلام صممت عنها ... واني ان اناديها سميع ... فانه اثبت له صمما مع وجود
السمع ولما سلب منهم هذه المعاني كانت النتيجة اولئك اي البعد من المعاني هم
الانسانية كالانعام في انها لا تفهم ولا تعقل ذلك لان الانسان وسائر الحيوانات هم
مشتركة في هذه الحواس الثلاث التي هي القلب والبصر والسمع وانما فضل الانسان
على سائر الحيوانات بالعقل والادراك والفهم المودي الى معرفة الحق من الباطل والخير
من الشر فاذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه كان لا فرق بينه وبين البهائم التي
لا تدرك شيا ولما لم تواقدروا على ذلك بفقد سبيل هذه الحواس قال تعالى بل
هم اضل سبيلا من الانعام لان الانعام تعرف ما يضرها وما ينفعها فاذا رات نارا مثلا
لا تقع فيها واذا رات كلا مثلا دخلت فيه والكافر لا يعرف ذلك ولان الحيوان لا قدرة له
على تحصيل هذه الفضايل والانسان اعطى القدرة على تحصيلها وما عرض عن اكتساب
الفضايل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان احسن حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها
ولان الانعام تعرف ربها وتذكره وهو لا يعرف ربهم ولا يذكرونه ولانها تفعل اذا لم تكن
معها مرشد فاما اذا كان معها مرشد فقد ان تفعل وهو لا الكفار قد جاهم الانبياء وانزل
عليهم الكتب وهم يزدادون في الضلالة ثم انه تعالى ختم الاية بقوله اولئك هم الغافلون
قال عطاء عما اعد الله تعالى لاوليايه من الثواب ولاعدايه من العقاب ولله الاسماء الحسنى
ذكر ذلك في اربع سور اولها هذه السورة وثانيها في اخر بني اسرايل في قوله تعالى قل الله

اوادع الرحمن

صممت
بيان

اوادع الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وتالثها في اول طه في قوله تعالى الله لا اله الا هو
له الاسماء الحسنى ورابعها في اخر الحشر في قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور له
الاسماء الحسنى والحسنى مونث الاحسن كالكبرى والصغرى فادعوه بها اي فسموه
بتلك الصفات والمدعي تتروط منها ان يعرف المعاني الاسماء التي يدعوا بها ومنها
ان يستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى ومنها ان يخلص اليه في دعايه وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله تسعة وتسعين
اسما ماية الا واحدا من احصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر وكان صلى الله عليه وسلم
يقول يا الله يا رحمن فقال المشركون ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون ربا واحدا
فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله تعالى هذه الاية والاسماء الحسنى كما في الحديث الله
الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز
الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم
القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف
الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل
الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدي المعيد المحيي المميت الحي
القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر
المقدم المؤخر الاول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم
العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والاكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع
الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور رواه الترمذي
قال النووي اتفق العلما على ان هذا الحديث ليس فيه حصر لاسمايه تعالى وليس معناه
انه ليس له اسما غير هذي التسعة والتسعين من احصاها دخل الجنة والمراد الاخبار
عن دخول الجنة باحصايها لا الاخبار بحصر الاسما ولهذا جا في حديث اخر اسالك بكل
اسم سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن
العربي المالكي عن بعضهم ان لله تعالى الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل وقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا
نظير واختلفوا هل الاسم الاعظم لله او الحي القيوم وهل الاسم عين المسمى او غيره وفي
ذلك خلاف وقد حققت ذلك في مقدمتي على البملة والحمدلة ودروا الذين

يلحدون اي يميلون عن الحق في اسمايه اي حيث اشتقوا منها اسماء لاتهتم كاللات من الله واللز
من العزيز ومناة من المنان وقال اهل المعاني الالحاد في اسمايه تعالى هو ان تسميه بما لم
يسم الله به نفسه ولم يرد فيه نص من كتاب ولا سنة لان اسماء تعالى كلها توقيفية فيجوز ان
يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز
ان يقال يا حليم ولا يجوز ان يقال يا طبيب سيجزون اي في الدنيا والاخرة ما كانوا يعملون
وفي هذا وعيد شديد لمن الحد في اسمايه تعالى وهذا قبل الامر بالقتال وقرا حمزة يلحدون
بضم الياء والحاء من الحد والباقون بضم الياء وكسر الحاء من الحد ولما ذكر سبحانه وتعالى انه خلق
للنار طايفة مثالين مضلين ملحدين عن الحق ذكر انه خلق للجنة امة هادين في الحق عادلين
في الامر بقوله تعالى وممن خلقنا امة اي الجماعة يهدون بالحق وبه اي بالحق خاصة
يعدلون يجعلون الامور متعادلة لا زيادة في شيء منها على ما ينبغي ولا نقص لانا وفقناهم
لكشفنا عن ابصار هم حجاب الغفلة التي الزمناها اولئك واستدل بذلك على صحة الاجماع
لان المراد منه ان في كل قرن طايفة بهذه الصفة واكثر المفسرين انهم امة محمد صلى الله عليه
وسلم لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من امتي طايفة على الحق الى ان ياتي امر الله يرواه الشيخان
وعن معاوية رضي الله عنه قال وهو يخطب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال
من امتي امة قايمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك
اخرجاه لهذا الرسول او غيره لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم ومن الطيبهم الذين امنوا
من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا بايتنا اي القران او غيره
من اهل مكة او غيرهم سنستدرجهم سنقربهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج
الاستيعاد والاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون اي ناخذهم قليلا قليلا
من حيث لا يحتسبون وذلك ان الله تعالى يفتح عليهم من النعم ما يغبطون به ويركنون اليه
ثم ياخذهم على غرة اغفل ما يكونون وقيل سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من
حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم كانوا اذا اتوا بذنب فتح الله تعالى عليهم من ابواب الخير
والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك تماديا في الغي والضلالة ويتدرجوا في الذنوب والمعاصي
بسبب ترادف النعم يظنون ان تواتر النعم يقرب من الله وانما هي حتى لان منه وتبعيد فهو
استدراج الله تعالى فياخذهم الله تعالى اخذة واحدة اغفل ما يكونون عليه وعن عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه لما حمل الله كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك ان اكون
مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم اي امهلهم

واطل

واصل مودة امهارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم باب
التوبة ان كيدي اي اخذي متين اي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه
خذلان اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم من جنة اي جنون
روي انه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان
يحذرهم باس الله تعالى فقالوا قايلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت
ومعنى يهوت يصوت يقال هيت به وهوت به اي صاح قاله الجوهري وانما نسبوه الى الجنون
وهو بريء منه لانه صلى الله عليه وسلم اخالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا بالكلية
ولذاتها مقبلا على الاخرة ونعيمها مشتغلا بالدعاء الى الله تعالى وانذارهم باسه ونقمته
ليلا ونهارا من غير ملال ولا فتور فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من الجنون بقوله
تعالى ان اي ما هو الا نذير مبين اي بين الانذار بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا اي ينظر
اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والارض اي ملكهما البالغ وما اي وفيما خلق الله
من شيء اي غيرهما مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدل لهم على
كمال قدرته صانعها وحرمة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها فيظهر لهم صحة
ما يدعوهم اليه وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اي دنى اجلهم عطف على ملكوت
وان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا الاسم يكون ولا يصح ان تكون ان مصدرية
خلافا للبيضاوي قال التفتازاني لان المصدرية لا تدخل الا على فعال غير المتصرفة التي
لا مصادر لها والمعنى اولم ينظروا في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلبه الحق
والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجاة الموت ونزول العذاب فلعل اجلهم قد اقترب فيموتون
على الكفر قبل ان يومنوا فيصيرون الى النار فيجب على العاقل المبادرة الى التفكر والاعتبار والنظر
المودي الى الفوز والنعيم الدايم فباي حديث اي كتاب بعده اي الكتاب الذي جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم يومنون اي يصدقون وليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي ولا بعد كتابه
كتاب لانه خاتم الانبياء وكتابه خاتم الكتب لانقطاع الوحي بعده صلى الله عليه وسلم فان
قيل قوله تعالى فباي حديث بعده يومنون يدل على ان القران حادث كما تمسك به بعض
المعتزلة اجيب من جهة اهل السنة بان ذلك محمول على الالفاظ من الكلمات والاتساع في
حديثها ثم ذكر تعالى علة اعراضهم عن الايمان بقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له بوجه
من الوجوه اي اعراضهم هو عن الايمان لاضلال الله اياهم ولو هداهم لامنوا ويذرهم اي يتركهم
في طغيانهم اي ضلالتهم وتماديهم في الكفر يعمهون اي يتردد ون متحيرين لا يهتدون سبيلا

وقرا نافع وابن كثير وابن عامر فتذكرهم بالتنوين والباقون بالياء وجزم حمزة والكسائي الراقال سيبويه انه عطف على محل الفاء وما بعدها من قوله فلا هادي له لان موضع الفاء وما بعدها جزم لجواب الشرط وبرفعها الباقون استيناف وهو مقطوع عما قبله ولما بين تعالى التوحيد والنبوة والقضاء والقدر اتبعه امعانا لتكميل المطالب الاربعة التي هي انها نا مطالب القرآن بما اشتمل عليه عامة الكلام من تبلدهم في التهمة وتلددهم في اشراك الشبهة بقوله تعالى يسيلونك يا محمد سؤال استهزاء عن الساعة عن وقتها واختلفوا في ذلك السائل فقال ابن عباس ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى تقوم الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فنزلت هذه الاية وقال الحسن وقتادة ان قريشا قالوا يا محمد بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة اولان حساب الخلق يقضي فيها في ساعة واحدة فسميت بالساعة لهذا السبب اولانها على طولها عند الله تعالى كساعة واحدة وقوله تعالى ايان سؤال استفهام عن الوقت الذي تقوم فيه الساعة ومعناه متى مرساها قال ابن عباس منتهاها والمرسى هنا مصدر بمعنى الارساء كقوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها اي اجراؤها وارساؤها والارساء الاثبات يقال رسا يرسو اذا ثبت قال تعالى والجبال ارساها قل انما يعلمها عند ربي اي لا يكون علمها عند غيري اي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الساعة الا الله تعالى استأثر الله بتعالى بعلمها فلم يطلع عليه احدا من خلقه ولهذا لما سأل جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال متى الساعة فقال عليه الصلاة والسلام ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال المحققون والسبب في اخفاء الساعة عن العباد انهم اذا لم يعلموا متى تكون كانوا على حذر منها فتكون ذلك ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية ثم انه تعالى اكد هذا المعنى فقال لا يجليها اي يظهرها لوقتها اي في وقتها المعين فاللام بمعنى في وهو اولى من قول البيضاوي انها للتاقيت الا هو لا يقوى على اظهارها في وقتها المعين بالاعلام والاخبار الا هو ثقلت اي عظمت في السموات والارض اي ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموات والارض واما ثقلت عليهم وكل شيء خفي فهو ثقيل وقال الحسن اذا جاءت ثقلت وعظمت على اهل السموات والارض واما ثقلت عليهم لان فيها فناءهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب وقوله تعالى لا تاتيكم الا بغتة تاكيد ايضا لما تقدم وتقرير لكونها بحيث لا تجيء الا فجاة على حين غفلة من الخلق وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجل

ثوبهما

ثوبهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع الاكلة الى فيه فلا يطعمها ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة العهد بالنتاج وقوله تعالى يليط حوضه ويروي يلوط حوضه اي يطينه ويصلحه يقال لاط حوضه يليطه ويلوطه اذا طينه والاكلة بضم الهمزة اللقمة وفي رواية ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل ينفق ماشيته والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه رواه بمعناه الشيخان يسيلونك اي يسالك قومك عن الساعة كانك حفي عنها اي عالم بها من قولهم احفيت في المسالة اذا بالغت في السؤال عنها حتى علمتها وقيل الحفي البار اللطيف ومنه قوله سبحانه وتعالى انه كان بي حفيا اي بارا لطيفا يجيب دعائي اذا دعوته او يسيلونك كانك بارهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن ويؤيده ما روي في تفسيره ان قريشا قالت لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاذكر لنا متى الساعة والمعنى يسيلونك عنها كانك حفي بها منحف بهم اي فتحفهم لاجل قرابتك بتعليم وقتها وتروي علمها عن غيرهم ولو اجزت بوقتها لمصلحة علمها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والغريب من غير تعصيب كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها خبه وتوريته اي انك تكرره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه ولم يعرفه احدا من خلقه كقوله تعالى قل يا محمد انما علمها عند الله اي استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا هو فان قيل قوله تعالى يسيلونك عن الساعة ايان مرساها وقوله تعالى يسالك الناس عنها كانك حفي عنها فيه تكرار اجيب بانه لا تكرار لان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والثاني عن كونه ثقل الساعة وشدتها وهيبتها فلا يلزم التكرار وقيل ذكر الثاني للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرار العالم الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فايدة ومنهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رحمهما الله تعالى فان قيل لم اجاب عن السؤال الاول بقوله انما علمها عند ربي وعن الثاني بقوله انما علمها عند الله اجيب بان السؤال الاول لما كان واقعا عن وقت قيام الساعة والثاني كان واقعا عن مقدارها شدتها وهيبتها عبر عن الجواب فيه بقوله علم ذلك عند الله تعالى لانه اعظم اسمائه تعالى مهابة وعظمة ثم انه تعالى ختم الاية بقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون السبب الذي من اجله اخفيت معرفة علم وقت قيامها المغيب عن الخلق وقيل لا يعلمون

ان علمها عند الله وانه استأثر بعلم ذلك حتى لا يأتوا عنه وروي ان اهل مكة قالوا يا محمد
الا تخبرنا بالسعر الرخيصة قبل ان نغلوا فنشتريه ونربح فيه عند الغلاء وبالارض التي تريد
ان تجدب فنرحل عنها الى ما اخصبت فانزل الله تعالى عليهم لا املك لنفسي نفعا اختارة
نفع بان ارتح فيما اشتريه ولا ضرا اي ولا اقدر ادفع عن نفسي ضرا نزل بها بان ارتحل الى
الارض المخصبة او من الارض المجدبة الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني اياه
ويقضي له وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة بني المصطلق عصفت ريح
في الطريق ففرت الدواب منا فاخبر النبي صلى عليه وسلم بموت رفاقة بالمدينة وكان فيها
غيظ للمنافقين وقال صلى الله عليه وسلم انظروا اين ناقتي فقال عبد الله بن ابي المنافق
مع قومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف اين ناقته فقال
صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق هدبة
زمامها بشجرة فذهبوا فوجدوها على ما قال صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية ولو
كنت اي من ذاتي اعلم الغيب اي جنسه لاستكثرت اي اوجدت لنفسي كثيرا من الخير
وما مسني السوء اي ولو كنت اعلمه لحالفت حالي ما هي عليه من الاستكثار النافع
ويدخل فيه ما يتصل بالخصب واجتناب الضار حتى لا يمسني سوء اي ما انا الا نذير
بالنار للكافرين وبشير بالجنة لقوم يؤمنون اي يصدقون وقيل لقوم يؤمنون
متعلق بنذير وبشير لانهم المنتفعون بها هو الذي خلقكم اي ولد نكونوا شيأ من نفس
واحدة اي خلقها ابتدا من تراب وهي ادم عليه السلام وجعل منها اي من جنسها من
ضلع من اضلاعها وقيل من جنسها كقوله تعالى وجعل لكم من انفسكم ازواجا ازواجا
اي حواء قالوا والحكمة في كونها خلقت منه ان الجنس الى الجنس اميل والجنية علته الضم
ليسكن اليها اي ليأنس بها ويطمئن اليها طمأنان الشيء الى جزئيه او جنسه وانما ذكر الضمير
في يسكن بعد ان انث في قوله من نفس واحدة ذهابا الى معنى النفس لمناسب تذكير
الضمير في قوله فلما تغشاها اي جامعها وليلا يوم لوائه نسبة السكون الى الانثى
والامر بخلافه ازالة لاستحيائه فكانت نسبة الموانسة اليه اولى حملت حملا خفيفا
اي خفي عليها ولم تلق منه ما يلقى الحوامل غالبا من الاذى او يحمل خفيفا وهي النطفة فمرت
به اي فقامت به اعما لها وقامت وقعدت ولم يعقها عن شيء من ذلك لخفته فلما اثقلت
اي صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها دعوا الله اي ادم وحواء عليهما السلام ربهما متيها
لئن اتيتنا صالحا اي ولدا سويا لا عيب فيه لنكونن من الشاكرين اي نحن واولادنا على نعمتك

علينا

علينا وذلك انهما جوزا ان يكون غير سوي لقدرة الله تعالى على كل ما يريد لانه الفاعل المختار
فائدة اتفق القراء على ادغام تا التانيث الساكنة في الدال فلما اتاهما صالحا اي جنس الولد
الصالح في تمام الخلق بدنا وقوة وعقلا فكثر وا في الارض وانتشروا في نواحيها ذكورا واناثا
جعلا اي النوعان من اولادهما الذكور والاناث لان صالحا صفة للولد وهي للجنس فتشمل
الذكر والانثى والقليل والكثير فانه قيل فلما اتاهما اولادا صالحي الخلقة من الذكور هم
والاناث جعل النوعان له شركا اي بعضهم اصناما وبعضهم نارا وبعضهم شمسا وبعضهم
غير ذلك وقيل جعلا اولادهما شركاء فيما اتاهما اي فيما اتاهما اولادهما فسموه عبد العزى
وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى
فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون اي الاصنام فان قيل
كيف وصفها بخلق ثم جمع فقال وهم يخلقون اجيب بان لفظ ما يقع على الواحد والاثنين
والجمع فوجد بحسب ظاهر اللفظ وجمع باعتبار المعنى فان قيل لم جمع بالواو والنون لهم لا يعقل
وهو جمع من يعقل من الناس اجيب بانه لما اعتقد عابد الاصنام انها تعقل وتميز ورد هذا
الجمع على ما يعتقدونه وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك
ما في بطنك ولعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت ذلك
فهما منه وهما بضم الهاء وتشديد الميم من الهم وهو هنا الحزن ثم عاد اليه وقال اني
من الله بمنزلة فان دعوت الله على ان يجعله خلقا مثلك وليسهل عليك خروجه فسميه
عبد الحارث وكان اسم ابليس حارثا في الملائكة ففعلت ولدت ولدا وولدته سمته عبد الحارث فان
قيل كيف قال البيضاوي وامثال ذلك لا يليق بالانبياء وحتما ان يكون الخطاب في خلقكم
لاد قصي من قريشة فانهم خلقوا من قصي وكان له زوجة من جنسه عربية قريشة فطلبا
من الله تعالى الولد فاعطاهما اربعة بنين فسماهم عبد شمس وعبد مناف وعبد قصي وعبد
الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما التقي اجيب بانه نظر في ذلك
الى الظاهر والا فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش
لها ولد فقال سميه عبد الحارث فانه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وامره
رواه الحاكم وقال صحيح والترمذي وقال حسن غريب وروي عن ابن عباس انه قال كانت حواء
تلد لادم فسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان
شركا ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فسمياه فعاش وجاء في حديث خدعهما ابليس
مرتين مرة في الجنة ومرة في الارض وهو قول كثير من المجاهد وسعيد ابن المسيب وهذا لما قال

البغوي ليس اشراكا في العبادة ولا ان الحارث ربهما فان ادم كان نبيا معصوما من الشرك
ولكن قصد الى ان الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من
لا يراد به انه مملوك كما يطلق اسم الرب على من لا يراد به انه معبود هذا رجل اذا نزل
به ضيف يسمى نفسه عبد الضيف على وجه الخضوع لا على وجه ان الضيف يملكه قال الشاعر
∴ واني لعبد الضيف ما دام ثاويا ∴ ولا سيمة في بعدها تشبه العبد ∴ وتقول للغير انا
عبدك قال الرازي ورايت بعض الافاضل كتب على عنوان عبد ودية فلان وقال يوسف
عليه السلام لعزيز مصر انه ربي ولم يرد به معبوده كذلك هذا قوله تعالى فتعالى الله عما
يشركون ابتدا كلام واريد به اشراك اهل مكة وقرا نافع وشعبة شركا بكسر الشين وسكون
الراء والف منونة بعد الكاف في الوصل وفي الوقف بغير تنوين اي شركة والباقون بضم الشين
وفتح الراء بعد الكاف والف بعدها همزة مفتوحة فان قيل المطاع ابليس فكيف يعبر بالجمع
اجيب بان من اطاع ابليس فقد اطاع جميع الشياطين هذا ان حملت هذه الاية على القصة
المشهورة اما اذا لم تحمل به فلا حاجة الى التاويل ولا يستطيعون اي الاصنام لهم اي
لعابديهم نصرا اي لا تقدر على نصرهم اطاعها وعبدها ولا تقدر من عصاها والمعبود الذي
يجب عبادته يكون قادرا على ايصال النفع والضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف
يليق بالعاقل ان يعبدها ولا انفسهم ينصرون اي وهي لا تقدر ان تدفع عن نفسها ما تتو
مكروها فان من اراد كسرها قوي عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها والاستفهام للتوبيخ
ثم خاطب المومنين بقوله تعالى وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى اي الاسلام لا يتبعوكم
اي لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا الهدى وقرا نافع بكون التاء وفتح
الباء الموحدة والباقون بفتح التاء مشددة وكسر الباء الموحدة سواء عليكم ادعوتموهم الى
الهدى ام انتم صامتون اي ساكتون عن دعايهم فهم في كلا الحالتين لا يومنون وقيل
الضمير في تدعوهم للاصنام اي ان هذه الاصنام التي تعبدها المشركون معلوم من
حالها انها لا تقدر ولا تنفع ولا تسمع من دعاها الى خير وهدى وذلك ان المشركين
كانوا اذا دعوا في شدة وبلا تضرعوا الى اصنامهم وان لم يكن لهم الى الاصنام حاجة
كشوا فقيل لهم لا فرق بين دعايكم الاصنام وسكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال
ان الذين تدعون اي تعبدون من دون الله عبادا اي مملوكة امثالكم فهي لا تملك
ضرا ولا نفعا فان قيل كيف وصفها بانها عباد مع انها جماد اجيب بان المشركين لما ادعوا
بان الاصنام تضر وتنفع وجبان يعتقد وا فيها كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفا ظ

على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا وكذلك قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ان
كنتم صادقين في كونها الهة ولم يقل فادعوهن فليستجبن وقال ان الذين ولم
يقل التي وبان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزا بالمشركين لانهم لما عبدوها بصورة
الاناسي قال لهم ان قضاوي امركم ان يكونوا احيا عقلا امثالكم فلا يستحقون عبادتكم
مع انه لا يستحق بعضكم عبادة بعض فلم جعلتم انفسكم عبيدا وجعلتموها الهة واربابا
ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالكم بقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم
ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون
بها وهذا استفهام انكاري ليس لهم شي من ذلك مما هو لكم فكيف تعبدونهم وانتم
اتم حالا منهم اذ لا يليق بالانسان العاقل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل
ونظير هذه الاية قول ابراهيم لخليل عليه السلام لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا
يغني عنك شيا وقيل تعلق بعض الجهال بهذه الاية في اثبات هذه الاعضاء لله تعالى
فقال ان الله تعالى جعل عدم هذه الاعضاء لهذه الاصنام دليلا على عدم الالهية
فلو لم تكن هذه الاعضاء موجودة لله لكان عدمها دليلا على عدم الالهية وذلك
باطل فوجب القول باثبات هذه الاعضاء لله تعالى اجيب بان المقصود من هذه
الاية بيان ان الانسان افضل واحسن حالا من الصنم لان الانسان له رجل ماشية
ويد باطشة وعين باصرة واذن سامعة والصنم رجله غير ماشية ويده غير باطشة
وعينه غير مبصرة واذنه غير سامعة فكان الانسان افضل واكمل حالا من الصنم هذا
فاشتغال الافضل الاكمل بحال الاخس الادون جهل فهذا هو المقصود من ذكر هذا
الكلام لا ما ذهب اليه وهم هؤلا الجهال قل ادعوا اي قل يا محمد لهؤلا المشركين ادعوا
شركاءكم اي الى هلاكي ثم كيدوني قال الحسن كانوا يخوفونه صلى الله عليه وسلم بالهتهم فقال
الله تعالى له قل لهم ادعوا شركاءكم ثم كيدوني اي ليظهر لكم انها لا قدرة لها على ايصال المضار
الي بوجه وقرا ابو عمرو باثبات الياء وصلا ووقفا وهشام له فيها وجهان الاثبات والحذف وصلا
ووقفا والباقون يحذفونها وصلا ووقفا ثم تحكم صلى الله عليه وسلم بقوله فلا تنظرون
اي فاعجلوا في كيدي انتم وشركاءكم فانكم لا تقدرون على ذلك وعلل عدم قدرتهم على ذلك بقوله
ان وليي الله الذي يتولى حفظي ونصرتي هو الله الذي نزل الكتاب المشتمل على هذه العلوم الدقيقة
النافعة في الدين وهو القران وهو اي الله سبحانه وتعالى يتولى الصالحين اي بنصره وحفظه
فلن يضرهم عداوة من عاداهم قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعبدون بالله شيا ولا يعصونه

من عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه وفي هذا مدح للصالحين وان
من تولاه الله تعالى يحفظه لا يضره عمي وعن عمر بن عبد العزيز انه ما كان يدخر لاولاده
شيا فقيل له فيه فقال ولدي اما ان يكون من الصالحين او من المجرمين فان كان من الصالحين
فوليه هو الله تعالى ومن كان الله تعالى له وليا فلا حاجة الي مالي وان كان من المجرمين
فقد قال الله تعالى فلن اكون ظهيرا للمجرمين ومن يرده الله تعالى لم اكن مستعدا بمهماته
والذين تدعون من دونه اي الله لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون اي فكيف اوالي
بهم فان قيل هذه الاشياء قد صارت مذكورة في الايات المتقدمة فما الفايدة في تكريرها
اجيب بان الاول مذكور على جهة التفريع وهذا مذكور على جهة الترقي بين من
تجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الاله المعبود يجب ان يكون بحيث يتولى
الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلن تكون صالحة للالهية وان تدعوهم
اي الاصنام الى الهدى لا يسمعوا دعاكم وتراهم يا محمد ينظرون اليك اي يقابلونك
كالناظرين وهم لا يبصرون لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه وقال الحسن بهذا
المشركون ومعناه ان تدعوا بها المكرمون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاكم لانا نانهم
قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون اي ببصائر قلوبهم هو
ولما بين تعالى ان الله تعالى هو الذي يتولاه وان الاصنام وعابديها لا يقدرون على
الايذاء والاضرار بين بعد ما هو المنهج القويم والصراط المستقيم في معاملة الناس بقوله
تعالى خذ العفو اي اقبل الميسور من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسس وذلك مثل
قبول الاعتذار ويدخل في ذلك ترك التشديد في كل ما يتعلق بالحقوق المالية ويدخل
فيه ايضا التخلق مع الناس بالخلق الطيب وترك الغلظة والفظاظة قال تعالى ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا
تنفروا وقال الشاعر
خذ العفو مني تستديم مودتي ولا تنطقي في ثورتي حين اغضب
وقال عكرمة لما نزلت هذه الاية قال عليه الصلاة والسلام يا جبريل ما هذا قال لا ادري
حتى اسال العالم فرجع فقال ان الله تعالى امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عن من ظلمك وامر بالعرف اي المعروف قال عطا بلا اله الا الله واعرض عن الجاهلين
اي فلا تقابلهم بالسفه وذلك مثل قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وذلك
سلام المتاركة وقال جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه ليس في القران اية اجمع لمكارم
الاخلاق من هذه الاية وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم

فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وعن جابر
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بمكارم الاخلاق وتمام محاسن
الافعال قال ابو زيد لما نزل قوله تعالى واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم كيف يا رب
والغضب فنزل وامافينك من الشيطان نزغ اي ما فيك ادغام نون ان الشرطية في ما الزايدة ينزغنك من الشيطان نزغ اي
وسوسة في قوله تعالى فاستعذ اي ستجير بالله جواب الشرط وجواب الامر محذوف اي يدفع
عنك تنبيه على احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بهذه الاية وقالوا لولا انه يجوز من النبي
الاقدام على المعصية والذنب لم يحتج الى الاستعاذة واجيب عن ذلك باجوبة ثلاثة الاول
ان معنى هذا الكلام ان حصل في قلبك نزغ فاستعذ بالله كما انه تعالى قال لين اشركت ليحبطن
عملك ولم يدل ذلك على انه اشرك الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان
لكن الله تعالى قد عصم قلبه صلى الله عليه وسلم وسوسة والاية لا تدل على ذلك وروي انه
صلى الله عليه وسلم قال ما من انسان الا ومعه شيطان وفي رواية ما منكم من احد الا وقد وكل به
قرينه من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا
يامرني الا بخير وفي رواية لكنه اسلم بعون الله فلقاني فاخذت بحلقه ولولا دعوة سليمان
لاصبح في المسجد طريحا قال النووي يروى بفتح الميم وضمها فمن ضمها معناه فاسلم انا من شره
وفتنته ومن فتحها قال معناه ان القرين اسلم اي صار مسلما فلا يامرني الا بخير الثالث ان
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره اي وامابنزغنك ايها الانسان من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله كقوله تعالى واذا قرات القران فاستعذ بالله انه سميع للقول عليم
بالفعل وفي الاية دلالة على ان الاستعاذة بالله تفيد الا اذا حضر في القلب
العلم بمعنى الاستعاذة وكانه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واستحضر
معنى الاستعاذة بعقلك وقلبك فاني عليم بما في ضميرك وفي الحقيقة القول اللساني
بدون المعارف القلبية عديم الفايدة والاثر ان الذين اتقوا اذا مسهم اي اصابهم طيف اي شيء
الم بهم من الشيطان تذكروا عقاب الله وثوابه فاذا هم مبصرون الحق من غيره فيرجعون وقرا
ابن كثير وابو عمرو والكسايي بياسكنة بعد الطاء والباقون بالف بعد الطاء بعدها همزة
مكسورة واخوانهم اي واخوان الشياطين من الكفار يمدونهم اي يمدهم الشيطان في الغي
او يمدونهم في الضلالة بالتزيين والحمل عليها ثم لا يقصرون اي لا يكفون عن الضلالة
ولا يقلعون عنها وهذا اخلاف حال المومنين المتقين لان المومن اذا اصابه طيف الشيطان تذكر
وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالة لا يتذكر ولا يبصر وعوه واذا لم

تاتهم اي اهل مكة باية اي مما اقترحوها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا قالوا
لولا اجتبيتها اي هلا تقولتها من عند نفسك كسائر ما تقرأوه فانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك
مفترى فقول العرب اجتبيت الكلام لخلقته وافتعلته وانشأته من عندك وهلا لطلبتها من
ربك منزلة عليك مقترحة فقال تعالى في قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين سألوا الايات انما انا
ما يوحى الي من ربي اي ليس لي ان اقترح على ربي في امر من الامور انما انتظر الوحي فكل شيء اكون
به قلته والا فالواجب السكوت وترك الاقتراح ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي
اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة باهرة فاذا ظهرت
هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب التعنت فذكر في
وصف القرآن الفاظا ثلاثة اولها قوله هذا بصائر من ربكم اي هذا القرآن فيه حجة وبرهان
واصل البصائر الابصار وهو ظهور الشيء حتى يبصره الانسان ولما كان القرآن سببا لبصائر
العقول في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه لفظ البصيرة فهو من باب تسمية
السبب باسم المسبب وثانيها وهدى اي وهو هدى وثالثها ورحمة اي وهو رحمة لقوم يؤمنون
فان قيل ما الفرق بين هذه المراتب الثلاث اجيب بانهم متفاوتون في درجات العلوم
فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ
درجة الاستدلال والتظر وهم اصحاب اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المومنين
وهم اصحاب حق اليقين والقرآن في حق القسم الاول وهم السابقون بصائر وفي حق القسم الثاني
وهم المقتصدون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المومنين رحمة واذا قرئ القرآن فاستمعوا
له وانصتوا اي عند الكلام لعلكم ترحمون اي لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما امرتم به من اوامره
واختلفوا في سبب نزول هذه الاية فذهب قوم الى انها نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا
باستماع قراءة الامام والانصات وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم كانوا يتكلمون في الصلاة
بحوايجهم فامروا بالسكوت والاستماع الى قراءة القرآن وقال قوم نزلت في ترك الجهر بالقراءة
خلف الامام وروي يزيد بن اسلم عن ابيه عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات
وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في
الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرأون مع الامام
فلما انصرف قال اما ان لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وهو قول
الحسن والزهري وان الاية نزلت في القرآن في الصلاة وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد ان الاية
نزلت في الخطبة امروا بالانصات لخطبة الامام يوم الجمعة وقال عمر بن عبد العزيز الانصات

لكل واعظ

لكل واعظ وقيل معناه واذا تلي عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وانصتوا قيل
معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه قال البغوي والاول اولاها وهو انها في
القرآة في الصلاة لان الاية مكية والجمعة وجبت بالمدينة قال البيضاوي وظاهر اللفظ
يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة
فاحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف انتهى اي مردود بخبر الصحيحين
لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب وقوله تعالى واذكر ربك في نفسك عام في
الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما والمراد بالذكر في القرآن ان يتحضر في قلبه عظمة
الله تعالى جل جلاله لان الذكر باللسان اذا كان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفايدة
لان فايدة الذكر حضور القلب واشعاره عظمة المذكور تعالى قال الرازي سمعت بعض
الاكابر من اصحاب القلوب كان اذا اراد ان يامر واحدا من المريدين بالخلوة والذكر امره
اربعين يوما بالخلوة والتصفية ثم عند استكمال هذه المدة وحصول التصفية الكاملة
يقرأ عليه الاسماء الستة والتعين ويقول للمريد اعتبر حال قلبك عند سماع هذه الاسماء
فكل اسم وجدت قلبك عند سماعه قوي توجهه وعظم تشوقه فاعلم ان الله تعالى انما
يفتح ابواب المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم بعينه وهذا
طريق حسن لطيف في هذا الباب انتهى وقيل ذلك امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام
من قراءة الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى تضرعا اي تذللا وخيفة اي
خوفا منه فايدة انما قال تعالى واذكر ربك ولم يقل واذكر الهك ولا غيره من الاسماء
وانما سماه في هذا المقام باسم كونه ربا واضافه اليه وكل ذلك يدل على نهاية
الرحمة والتقريب والفضل وعند سماع هذا الاسم لان لفظ الرب مشعر بالتربية والفضل
وعند سماع هذا الاسم يتذكر العبد انعام الله تعالى عليه وبالحقيقة لا يصل عقله
الى اقل اقسامه كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فعند انكشاف هذا المقام
في القلب يقوى الرجا فاذا سمع بعد ذلك قوله تضرعا وخيفة عظم الخوف وحينيذ يحصل
في القلب موجبات الرجا وموجبات الخوف وعنده يكمل الايمان كما قال عليه الصلاة
والسلام لو وزن خوف المومن ورجاوه لاعتدلا وهذا اجري عليه بعضهم في حالة
الصحة فيكون الخوف والرجا مستويان والذي جرى عليه الغزالي وهو التحقيق انه
ان قوي رجاوه يقوي جانب الخوف والعكس بالعكس واما حال المريض فيكون جانب
الرجا ارجح وعن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب

والاحسان والمقصود منه
ان يجيئ العبد فيما يتعاطاه
عند

وهو في الموت فقال كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب مومن في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو
منه ما يخاف ودون الجهر من القول اي ومتكلما حالا ما فوق السر ودون الجهر اي
قصدا بينهما فادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو جمع غدوة وقيل انه مصدر والآصال
جمع اصيل وهو ما بين صلاة العصر الى الغروب وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان
الانسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت الى اليقظة التي هي كالحياة فاشبي
له ان يستقبل حالة الانتباه من النوم وهو وقت للحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول
اعماله ذكر الله تعالى واما وقت الاصال وهو اخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم
الذي هو اخو الموت فيستحب الذكر لانها حالة تشبه الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة
فيكون موته على ذكر الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى ولا تكن من الغافلين عن ذكر
الله وقيل انما خصا بالذكر لان الصلاة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر مكروهة
فاستحب للعبد ان يذكر الله تعالى فيهما ليكون في جميع اوقاته مشتغلا بما يقربه الى الله تعالى
من صلاة وذكر وقيل ان اعمال العباد تصعد اول النهار واخره فيصعد عمل الليل عند
صلاة الفجر ويصعد عمل النهار بعد العصر الى الغروب فاستحب له الذكر فيهما ليكون ابتدا
عمله بالذكر وختامه بالذكر ان الذين عند ربك الملائكة المقربين بالفضل والكرامة هـ
لا يستكبرون اي لا يتكبرون عن عبادته لانهم عبيده خاضعون لعظمته ويسبحونه
اي وينزهونه عن جميع النقايص ويقولون سبحان الله ربنا وله يسجدون
اي ويخصونه له بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وفي هذا اشارة الى ان الاعمال
تنقسم الى قسمين اعمال القلوب واعمال الجوارح فاعمال القلوب هي تنزيه الله تعالى عن كل
ما سواه وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله
وله يسجدون ليوافق الملائكة المقربين في عباداتهم وعن معقوان قال سالت شوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت حدثني حديثا ينفعني الله به قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما من عبد يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة
وفي رواية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليك بكثرة السجود لله فانك
لا تسجد سجدة الا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة وعن عبد الله بن عمر رضي
الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا القران فيقرا فيها سورة فيها سجدة
فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان جبهته في غير وقت صلاة وعن ابي هريرة

رضي الله عنه

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الله
الشيطان يبكي يقول يا ويلتي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت
فلي النار والحديث الذي ذكره البيضاوي تبعا للزمخشري وهو من قراسورة الاعراف جعل
الله يوم القيامة بينه وبين ابليس حترا وكان ادم شفيعا له يوم القيامة حديث موضوع
سورة الانفال مدنية وقيل الا واذ يمكر بك الذين كفروا الايات
السبع فمكية وهي خمس وستا وسبع وسبعون اية والف وخمس وسبعون كلمة وخمسة
الاف وثمانون حرفا بسم الله الذي له العظمة الظاهرة والحكمة الباهرة الرحمن الذي
عم جميع خلقه بنعمه المتواترة يسالونك يا اشرف الخلق يا محمد عن الانفال اي الغنايم
لمن هي وكيف مصرفها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى وتفضل منه
كما يسمى به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل يا محمد لهم
الانفال لله والرسول تجعلانها حيث شاا واكثر المفسرين ان سبب نزولها اختلاف المسلمين
في غنايم بدر كيف تقسم نقل الشبان هي لنا لانا باشرنا القتال وقال الشيوخ كنا ردا لكم
ولو انكشفتم لفيئتم الينا فنزلت وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غنا وهو
ينتج الفئ المحجة والعدو النفعان ينفله فاثابهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين
ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا حول الرايات كنا ردا اي
عونا لكم وفيئة تتحاذون الينا فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على
السوا رواه الحاكم في المستدرك وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا معاشر اصحاب بدر
حين اختلفنا في النفل وساات فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السوا وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله
الله صلى الله عليه وسلم واصلاح ذات البين وعن سعد ابن ابي وقاص رضي الله عنه انه قال
لما كان يوم بدر وقتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه واتيت به
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس لي ولا لك اطرحه في القبض
وهو بفتحتين ما قبض من الغنايم فطرحته ويي ما لا يعلمه الا الله يقال من قتل اخي هـ
واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تعط فيه ما شيا واختلفوا هل هذه الاية منسوخة او لا فقال مجاهد وعكرمة
هي منسوخة بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية وكانت
الغنايم يوميذ للنبي صلى الله عليه وسلم فنسخها الله تعالى بالخمس وقال بعضهم هي ناسخة

من وجه ومنسوخة من وجه وذلك ان الغنائم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا
في شرايع انبيائهم واباحه الله تعالى بهذه الآية لهذه الامة وجعلها ناسخة لشرع
من قبلها فنسخت بآية الخمس وقال عبد الله بن زيد بن اسلم هي ثابتة غير منسوخة ومعنى
الآية قل الانفال لله والرسول يضعها حيث امره الله تعالى وقد بين الله مصارفها في قوله
واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية فان قيل ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول
اجيب بان معناه ان حكم الغنيمة مختص بالله ورسوله بامر الله بقسمها على ما تقتضيه
حكمته وتمثيل الرسول صلى الله عليه وسلم امر الله تعالى فيها وليس الامر في قسمها مفوضا الى
راي احد فاتقوا الله بطاعته واتركوا المخاصمة واتركوا المنازعة في الغنايم
واصلحوا ذات بينكم اي واصلحوا الحال فيما بينكم بالمودة وترك التنازع وتسليم امر الغنايم الى الله
ورسوله واطيعوا الله ورسوله فيما يامركم به وينهاكم عنه ان كنتم مومنين حقا فان
الايمان يقتضي ذلك انما المومنون اي الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله اي وعيده
وجلت اي خافت وخضعت ورقت قلوبهم اي ان المومن انما يكون مومنا كاملا اذا كان خائفا
من الله تعالى ونظيره قوله تعالى والذين هم من عذاب ربهم مشفقون وقوله تعالى الذين هم
في صلاتهم خاشعون فان قيل انه تعالى قال هنا وجلت قلوبهم وفي آية اخرى وتطمين
قلوبهم بذكر الله فكيف الجمع بينهما اجيب بانه لا منافاة بينهما لان الوجل هو خوف
العقاب والاطمينان انما يكون من اليقين وشرح الصدر بمعرفة التوحيد وهذا مقام
الخوف والرجاء وقد اجتمعا في آية واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون
ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله عند وجل ثواب الله وقال اهل التحقيق الخوف
على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الجلال والعظمة وهو خوف الخواص لانه
تعالى غني بذاته عن كل الموجودات وما سواه من المخلوقات فمحتاجون اليه والمحتاج اذا خاف
عند الملك الغني هابه وخافه وليست تلك الهيبة من العقاب بل مجرد علمه بكونه غنيا عنه
وكونه محتاجا اليه يوجب تلك المهابة وذلك للخوف واما العصاة فيخافون عقابه والمومن
اذا ذكر الله وجل قلبه وخافه على قدر مرتبته واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي
تصديقا ويقينا لان زيادة الايمان زيادة التصديق وذلك على وجهين الوجه الاول
وهو الذي عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت عنده الدلايل وهي
اكثر واقوى كان ازيد ايمانا لان عند حصول كثرة الدلايل وقتها يزول الشك ويقوى
اليقين فتكون معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة والسلام

لو وزن

لو وزن ايمان ابي بكر بايمان اهل الارض لرجح الوجه الثاني وهو انهم يصدقون بكل ما يتلى
عليهم من عند الله ولما كانت التكاليف متوالية في زمنه صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف
كان يزداد ون تصديقا واقرارا ومن المعلوم ان من صدق انانا في شيء كان اكثر من هذا
يصدقه في شيء واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما
يسمعون آية جديدة اتوا باقرار جديد فكان ذلك زيادة في الايمان والتصديق فان قيل
ان تلك الآيات لا توجب الزيادة وانما الموجب سماعها او معرفتها اجيب بان ذلك
هو الذي دل عليه الآية واختلفوا هل الايمان يقبل الزيادة والنقصان اولا فالذين قالوا
ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة ولا النقصان والذين قالوا
انه مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل قالوا يقبل الزيادة والنقصان واحتجوا بهذه الآية
من وجهين الاول ان قوله تعالى زادتهم ايمانا يدل على ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة
عن التصديق فقط لما قبل الزيادة واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه تعالى
ذكر في هذه الآية اوصافا متعددة من احوال المومنين ثم قال بعد ذلك اولئك هم المومنون
حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف داخلة في مسمى الايمان وروي عن ابي هريرة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان فمن
لهذا الحديث دليل على ان للايمان اعلى وادنى ليكون قابلا للزيادة والنقصان وقال عمار بن حبيب ان
الايمان زيادة ونقصانا قيل له فما زيادته وما نقصانه فقال اذا ذكرنا الله وحمدناه فتلك
زيادته واذا غفلنا وغفلنا فتلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان
للايمان فرايض وشرايط وحدودا وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها
لم يستكمل الايمان ثم وصف الله تعالى المومنين الكاملين بصفة اخرى ثالثة وهي الاتكال عليه
بقوله تعالى وعلى ربهم يتوكلون اي يفوضون جميع امورهم اليه لا يرجون غيره ولا يخافون
سواه لان المومن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان هذا المتوكل عليه لا على غيره وهذا
الحال مرتبة عالية ودرجة شريفة وهو ان الانسان بحيث يصير لا يبقى له اعتماد في امر من الامور
الا على الله تعالى وهذه الصفات الثلاث مرتبة على احسن صفات الترتيب فان المرتبة
الاولى هي الوجل عند ذكر الله والمرتبة الثانية هي الانقياد لما قام تكاليف والمرتبة الاخيرة
الانقطاع بالكلية عما سوى الله والاعتماد بالكلية على فضل الله بل الغنا بالكلية عما سوى الله
ثم ان هذه المراتب الثلاث احوال معتبرة في القلوب والبواطن ثم انتقل منها الى غاية احوال الظاهر

الذين يقيمون الصلاة اي الذين يؤدونها بحقوقها وهم رزقناهم اي اعطيناهم
ينفقون في طاعة الله لان راس الطاعات المعتبرة في الظاهر وربيعها بذل النفس
في الصلاة وبذل المال في مرضاة الله ويدخل في ذلك صلاة الفرض والنفل والزكاة
والصدقات والانفاق في الجهاد والانفاق على الحاج والغازي ثم قال تعالى اولئك
اي الموصوفون بهذه الصفات الخمسة هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا
اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح
التي المعيار عليها وهي الصلاة والصدقة وحقا مصدر مؤكد للجملة التي هي اولئك
هم المؤمنون كقوله هو عبد الله حقا اي احق ذلك حقا تشبيه اختلف العلماء في انه هل
للشخص ان يقول انا مؤمن حقا او لا فقال اصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنه الاولى
ان يقول الرجل انا مؤمن ان شاء الله تعالى ولا يقول انا مؤمن حقا وقال اصحاب ابا حنيفة
رضي الله تعالى عنه الاولى ان يقول انا مؤمن حقا ولا يجوز ان يقول ان شاء الله تعالى واستدل
للاول بوجوه الاول ان قوله انا مؤمن ان شاء الله ليس على سبيل الشك ولكن الشخص اذا قال
انا مؤمن فقد مدح نفسه باعظم المدايح فربما حمل له بذلك عجب فاذا قال ان شاء الله زال
ذلك العجب وحصل الانكسار له الثاني ان الله تعالى ذكر في اول الاية ما يدل على الحصر وهو
قوله انما المؤمنون هم كذا وكذا وكلمة انما تفيد الحصر وذكر في اخر الاية قوله تعالى اولئك
هم المؤمنون وهذا ايضا يفيد الحصر فلما دلت هذه الاية على هذا المعنى فان الانسان لا يعلم
القطع على نفسه بحصول هذه الصفات الخمسة فكان الاولى له ان يقول ان شاء الله تعالى
وعن الحسن ان رجلا سأله امؤمن انت فقال الايمان ايمانان فان كنت سألتني عن الايمان بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن بهما
وان كنت سألتني عن قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري
انا منهم ام لا وقال سفيان الثوري من قطع بزعم انه مؤمن حقا عند الله تعالى لم نشهد
انه من اهل الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا التزام منه اي كما لا يقطع انه من اهل الجنة
قطعا فلا يقطع انه مؤمن حقا الثالث ان قوله انا مؤمن ان شاء الله تعالى للتبرك فهو
كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع العلم القطعي بانه لاحق باهل
القبور الرابع ان المؤمن لا يكون مؤمنا حقا الا اذا ختم له بالايمان ومات عليه وهذا
لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقول انا مؤمن ان شاء الله فالمراد بصرف
هذا الاستثنا الى الخاتمة الخامسة ان ذكر هذه الكلمة لا ينافي حصول الجزم والقطع الاتري

انه تعالى

انه تعالى قال لقد صدق رسوله الرويا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وهو
تعالى منزه عن الشك والريب فثبت انه تعالى انما ذكر ذلك تعليما منه لعباده فالاولى
ذكر هذه الكلمة الدالة على تفويض الامور الى الله تعالى حتى يحصل بركة هذه الكلمة
دوام الايمان واستدل الثاني بوجهين الاول ان المتحرك يجوز ان يقول انا متحرك ولا
يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القايم والقاعد فكذا هنا الثاني انه
تعالى قال اولئك هم المؤمنون حقا فقد حكم الله لهم بكونهم مؤمنين حقا فكان قوله
ان شاء الله يوجب الشك فيما قطع الله لهم به وذلك لا يجوز واجاب الاولون عن
قولهم المتحرك لا يجوز بكونه مؤمنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف حاله
على الخاتمة والحركة قبل الاتيان بنفي تحصل الفرق بينهما وعن قولهم انه تعالى قال
اولئك هم المؤمنون حقا فحكم لهم بكونهم مؤمنين حقا اذ التوا بتلك الاوصاف الخمسة
على الحقيقة ونحن لا نعلم ذلك فثبت حينيذ ان الصواب مع اصحاب القول الاول لهم اي
للموصوفين بتلك الصفات درجات اي منازل في الجنة عند ربهم بعضها اعلا من بعض
لان المؤمنين تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاوصاف المذكورة فلهذا تتفاوت منازلهم
في الجنة على قدر اعمالهم قال عطاء درجات الجنة يرتفعون فيها باعمالهم وعن ابي هريرة رضي
الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة مايه درجة ما بين كل درجتين
مايه عام وعن ابي سعيد رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة مايه درجة لو
ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم ومغفرة اي لما فرط منهم ورزق كريم اعد
لهم في الجنة لا ينقطع عوده ولا يتاذى امره فان قيل البين المفضول اذا علم حصول الزيادة
العالية للفاضل وعرفها عنها فانه يتالم قلبه وينتغص عيشه وذلك يحيل كون الثواب
رزقا حسنا اجيب بان استغراق كل احد في سعادته الحاضرة تمنعه من حصول الشعور
الى غيره وبالجملة فاحوال الاخرة لا تناسب احوال الدنيا الا بالاسم وقوله تعالى كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق يقتضي تشبيه شي بهذا الاخراج واختلفوا في تقدير ذلك فقال المبرد تقديره
الانفال لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الى القتال وان كانوا كارهين
له قال الرازي وهذا الوجه احسن الوجوه المذكورة في هذا الموضع وقال عكرمة تقديره
فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد من بيته خير لكم وان هريقا
فريقكم وقال الكسائي الكاف متعلق بما بعده وهو قوله ليجادلونك في الحق والتقدير كما اخرجك
ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه

وقيل الكاف بمعنى على تقديره امض على الذي اخرجك ربك وقيل الكاف بمعنى اذ تقديره واذكروه
اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المومنين لكارهون للخروج والجملة حال من كاف اخرجك
في حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم وقيل كما خبر مبتدا محذوف اي هذه الحالة في كراهتهم لها
مثل اخراجك في حال كراهتهم وقد كان خيرا لهم فكذلك ايضا وذلك ان ابا سفيان قدم بعير
من الشام في اربعين راكبا منهم عمرو ابن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري وفيها تجارة كثيرة
فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم يلتقي العير لكثرة
المال وقلة العدو فلما سمع ابو سفيان بخبر النبي صلى الله عليه وسلم اليه استاجر ضمضم بن
عمرو الغفاري وبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا فيستنفرهم ويخبرهم ان محمدا واصحابه قد
عرضوا لعيرهم فخرج ضمضم شريعا الى مكة وكانت عاتكة اخت العباس بنت عبد المطلب
قبل قدوم ضمضم مكة بثلاث ليال رات رايا فقالت لاخيها العباس اني رايت عجبا رايت راكبا
اقبل على بعيره حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلا صوته الى الغوث يا آل غدر ولما رعكم في
ثلاث فارى الناس قد اجتمعوا عليه ورايته كان ملكا نزل من السما فاخذ صخرة من الجبل
ثم حلق بها وري اي رمي بها الى فوق فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة
فقال العباس اكتمها فلا تذكرها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ابن
عبد شمس وكان صديقا له فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشى الحديث
حتى تحدثت به قريش قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في رهط
من قريش تعود يتحدثون برويا عاتكة فلما راني ابو جهل يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك
فاقبل علينا قال فلما فرغت من طوافي اقبلت حتى جلست معهم فقال ابو جهل يا بني عبد المطلب
متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرويا التي رايت عاتكة قلت وما رايت قال يا بني
عبد المطلب اما رضيتم ان تنبا رجالكم حتى تنبا نساكم قد زعمت عاتكة في رويا ها انه قال
انفروا في ثلاث فستربصكم الثلاث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلاث ولم
يكن من ذلك شي نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت في العرب قال العباس فوالله ما
مني اليه كبير امر الا ان جحدت ذلك وانكرت ان لا تكون عاتكة رات شيا ثم تفوقنا فلما مضت
لم تنشب امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقالت اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في رجالكم
ثم تتناول النساء تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشي سمعت قال قلت والله ما كان مني
اليه من شي وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينكه قال فغدوت في اليوم الثالث فوالله
اني لاطوف اذ مر بي يريد ما قالت عاتكة وانا حديد مغضب اريد ان قد فاتني منه امر احب ان ادركه منه قال فقد خلت

المسجد

المسجد فرايته قال فوالله اني لامشي نحوه لا تعرضه لكيعود لبعض ما قال فاقع به وكان ابو جهل
رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النقل اذا خرج من باب المسجد يشتد قال
قلت ما له لعنه الله احل هذا فرقا مني ان اشاعت قال فاذا هو سمع ما لم اسمع صوت ضمضم
ابن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد حول رحله وشق قميصه وهو يقول
يا معشر قريش هذه اموالكم مع ابي سفيان وقد عرض لها محمد واصحابه فنادي ابو جهل
فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا وهو بالمد الاسراع منصوب على الاغراء اي الزموا الاسراع
على كل صعب وذلول اي اسرعوا مجتمعين ولا يقعقن لان تختاروا للركوب ذلولا دون صعب
عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا فخرج ابو جهل جميع اهل مكة وهم
النفير في المثل لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع
بالناس فقال والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور وتقيم القينات والعازف
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير فانا قد عضضناه ومضى بهم
الى بدر وبدر ماكانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل عليه السلام وقال
يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام
النفير قالوا بل العير احب الينا من لقا العدو وتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد
عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله
عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي
الله عنهما فاحسنا الكلام واملاه الى المضي الى العدو ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك
فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين وهو مدينة معروفة باليمن وابين بوزن ابيض اسم رجل
من حمير عدن بها اي اقام ما تخلف عليك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله
امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرايل لموسى عليه
السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد
الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برا من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا
وصلت الى ديارنا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه
وسلم يتخوف ان تكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد ابن معاذ
فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق

واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي
انزله بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجل واحد وما
نكره ان يلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند القتال ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا على بركة الله فنشط رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطه قول سعد رضي الله عنه قال
سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى
مصارع القوم وعن انس بن مالك رضي الله عنه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حدثه عن
اهل بدر بالامس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع اهل بدر بالامس يقول
هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان غدا ان شاء الله قال عمر فوالذي بعثه بالحق
بنيا ما اخطا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجعلوا في بئر بعضهم على بعض
فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم فقال يا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد
الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر كيف تكلم اجسادا لا ارواح فيها فقال
ما انتم اسمع لما اقول لهم منهم غير انهم لا يستطيعون ان يردوا علي شيا وروي ان قتيل الرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شي فناداه العباس وهو
واثقه اي قيده وكان العباس حينيذ مأسورا مقيدا لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ليرقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاكه ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم
لقوله تعالى وان فريقا من المومنين لكارهون يجادلونك في الحق اي القتال بعد ما تبين انك
لا تصنع شيا الا بامر ربك كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اليه اي يكرهون القتال
كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وذلك ان المومنين لما ايقنوا بالقتال
كرهوا ذلك وقالوا لو علمنا انا نلقى العدو فنستعد لتعليمهم وانما خرجنا لطلب العير اذ روي
انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايما الى ان مجادلتهم كانت لغرط فزعهم ورعبهم
اذ اي واذكر اذ يعدكم الله احدى الطائفتين اي العير والنفير واحدى ثاني مفعولي يعدكم
وقد ابدل عنها انها لكم بدل اشتمال وتودون اي تريدون ان غير ذات الشوكة اي القوة والشدة
والسلاح وهي العير تكون لكم لقلة عددها وعددها اذ لم يكن فيها الا اربعون فارسا بخلاف
النفير لكثرة عددهم وعددهم وقرا ابو عمرو باد غام التاء في التاء بخلاف عنه ويريد الله ان يحق الحق
او يظهره بكلماته اي باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة
وبما تقضي من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اي يستاصلهم والمعنى
انكم تريدون ان تقسبوا ما لا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم

فوز الدارين لحق الحق اي يثبت الاسلام ويبطل الباطل اي يمحق الكفر ولو كره المجرمون اي
المشركون ذلك فان قيل قوله تعالى ليحق الحق بعد قوله لعل الحق يشبه التكرار اجيب
بان المتباينين متباينان وذلك ان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت
والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة على غيرها ونصرة عليها واذا اي واذكر
اذ تستغيثون ربكم واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص عن القتال اخذوا يقولون ربنا
انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام
نظر الى المشركين وهم الف وابى اصحابه وهم ثلثمائة واي وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه
يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك
حتى سقط رداوه واخذ ابو بكر رضي الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورايه وقال
يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان
وعاصم باظهار ذال اذ عند التاء والباقون بالادغام فاستجاب لكم اني ايا بي فحذف الجار وصل
عليه استجاب فنصب محله ممدكم فرد بالغ الملائكة مردفين اي متتابعين يردف بعضهم بعضا
وقرا نافع بفتح الدال وقيل بالفتح والكسر والباقون بالكسر وعدهم بالالف اولا ثم صارت ثلثة
الاف ثم خمسة الاف كما في ال عمران فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسماية ملك على المجنبة
وفيها ابو بكر رضي الله عنه في صور الرجال وميكايل عليه السلام على الميسرة وفيها علي رضي
الله عنه في صور الرجال عليهم عمايم بيض وثياب بيض قد ارخوا اذنابها بين الكتائب فقاتلوا
يوم بدر ولم يقاتلوا يوم الاحزاب ويوم حنين وروي ان ابا جهل قال لابن مسعود من اين كان
كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم
وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في طلب رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط
فوقه فنظر الى المشرك وقد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال صدقت ذاك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يوم بدر سبعين واسروا سبعين وعن ابي داود
المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه
سيفي وروي ابو امامة بن سهل بن حنيف عن ابيه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليميل
بيفه الى المشرك فتقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وقيل انهم لم يقاتلوا وانما
كانوا يكثرون السواد ويثبتون المومنين والاول اصح وما احد كان في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل
عليه السلام اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهل بلد ثمود وقوم صالح بصيحة
واحدة وقيل يدل على هذا قوله تعالى وما جعله الله الا بشرى لكم اي وما جعل الامداد بالملائكة

الا بشرى لكم وليطمئن به قلوبكم ينزل ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم والصحيح انهم قتلوا
يوم بدر ولم يقاتلوا فيما سواه لما تقدم وما النصر الا من عند الله اي لا من غيره واما
امداد الملائكة وكثرة العدد والاسلحة ونحوها فهي وسائط لا تأثير لها ولا لغيرها من
النصر منها ولا تباشروا منصفقدها وفي ذلك تنبيه على ان الواجب على المسلم ان لا يتوكل الا على
الله في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة ان الله عزيز اي انه تعالى
قوي منيع لا يقهره شيء ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شيء ويغلبه حكيم في تدبيره ونصره ينصر من
يشاء ويخذل من يشاء لمن عباده اذ اي واذكروا اذ يغشاكم النعاس اي وهو النوم الخفيف امنة
اي امنا بما حصل من الخوف من عدوكم منه اي من الله تعالى لما خافوا على انفسهم لكثرة
عددهم وعددهم وقلة عدتهم وعطشوا عطشا شديدا اتى الله عليهم النوم
حتى حصل لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم فكان ذلك النوم
نعمة في حقهم لانه كان خفيفا حيث لو قصدهم العدو تعرفوا وصوله اليهم وقدروا على
رفعه عنهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة
من الشيطان وقرا نافع بضم الياء والثين مع التخفيف فيهما والباقون بضم الياء وكسر الثين مشددة
ورفع السين من النعاس ابن كثير وابو عمرو ونصبها الباقون على ان الله هو الفاعل وينزل
عليكم من السماء اي قطرا ليطهركم به اي من الاحداث والجنابات وقرا ابن كثير وابو عمرو ويكون
النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي وذلك ان المسلمين نزلوا يوم
بدر على كثيب رمل اعفر توخ فيه الاقدام وحوافير الدواب فناموا فاحتلم اكثرهم وكان
المشركون قد سبقوهم على ماء بدر فنزلوا عليه واصبح المسلمون على غير ماء وبعضهم محدث
وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال لهم انكم تزعمون انكم على
الحق وفيكم نبي الله صلى الله عليه وسلم وانتم اولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وانتم
تصلون محدثين فكيف ترجون ان تظهروا على عدوكم وما ينظرون بكم الا ان يجهدكم العطش
فاذا قطع العطش اعناقكم الى مكة فجروا خزنا شديدا واشتفوا فانزل الله تعالى مطرا الى
منه الوادي فشربوا منه المؤمنون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الدواب وملاوا الاداوة وطهرهم
الغبار وعظمة النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر وزالت عنهم
وسوسة الشيطان كما قال تعالى ويذهب عنكم رجز الشيطان اي وسوسة الشيطان الق
القاها في قلوبكم وقيل الجنابة لانها من تخيله فان قيل يلزم على هذا التكرار فاذهذا القديم
قوله ليطهركم به اجيب عنه بان المراد من قوله ليطهركم به حصول الطهارة الشرعية ومن قوله

وليذهب

ويذهب عنكم رجز الشيطان ان الرجز هو عين المني فانه شيء مستخبث وطاهرته انهم كما قال
تعالى وليربط اي يحبس على قلوبكم باليقين والصبر ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام
كما قال تعالى ويثبت به الاقدام اي ان تسوخ في الرمل والضمير في به للماء ويجوز ان يعود
الى ربط الزمخشري ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراة ثبتت القدم في مواطن القتال
وقوله تعالى اذ يوحي ربك متعلق بيثبت او بدل من اذ يعدكم الى الملائكة اي الذين امدهم بهم
المسلمين وقوله تعالى اني اي باني معكم اي بالعون والنصرة مقول يوحي فثبتوا الذين امنوا
اي قووا قلوبهم بان تقاتلوا المشركين معهم وقيل بالتبشير والاعانة فكان الملك يشي في
صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم فانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه
وقيل بالقاء الالهام في قلوبهم كما ان للشيطان قوة في القاء الوسوسة في قلب بني ادم بالشر
وبسبب ما يلقي الشيطان وسوسة ما يلقي الملك الهاما يبين تعالى المعية بقوله تعالى سالقي
في قلوب الذين كفروا الرعب اي الخوف فلا يكون ثبات ان كانه وذلك نعمة من الله تعالى على
المؤمنين حتى القى الخوف في قلوب المشركين وقرا ابن عامر والكسائي بكسر العين والباقون
بالسكون وقوله تعالى فاضربوا خطاب للمؤمنين والملائكة فوق الاعناق اي اعاليها التي
هي المذابح والمفاصل والرؤس فانها فوق الاعناق وقيل المراد الاعناق وفوق صلة او بمعنى
على اي اضربوا على الاعناق واضربوا منهم كل بنان قال عطية كل مفصل وقال ابن عباس يعني
الاطراف والبنان جمع بنانة وهي اطراف الاصابع من اليدين والرجلين وقال ابن الانباري كانت
الملائكة لا تعلم كيف تقاتل بني ادم فعلمهم الله تعالى قيل انما خصت الراس والبنان بالذكر لانه
الراس اعلا الجسد واشرف الاعضاء والبنان اضعف الاعضاء فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد
وقيل امرهم بضرب الراس وبه هلاك الانسان وبضرب البنان وبه تبطل حركته عن القتال
لان بالبنان يتمكن من مسك السيف والسلاح وحمله والضرب به فاذا قطع بنانه بطل ذلك
كله ذلك اي التسليط العظيم الذي وقع من القتل والاسر يوم بدر والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم او لكل احد بانهم اي الذين تلبسوا بالكفر شاقوا الله الذي لا يطاق انتقامه ورسوله اي
خالفوهما في الاوامر والنواهي ومشاقة المخالفة واصلها المجانبة كانهم صاروا في شق وجانب و
غير الذي يرضيانه ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب له فان الذي اصابهم
في ذلك اليوم من الاسر والقتل شيء قليل في جنب ما اعد الله تعالى لهم من العقاب يوم القيامة وقوله
تعالى ذلكم خطاب للكفرة على طريق الالتفات من الغيبة في شاقوا اي ذلكم الذي عجل لكم ببدر من
القتل والاسر فذوقوه عاجلا وان للكافرين في الاخرة عذاب النار ووضع الظاهر فيه

موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب للعاجل والاجل يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم
الذين كفروا زحفا اي مجتمعين كانهم لكثرتهم يزحفون اي يدبون دبيبا من زحف الصبي
اذا دب على استه قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال وهو مصدر
موصوف كالعدو او الرضا وانما لم يجمع فلا تولوهم الادبار اي منهزمين منهم ان
كنتم اقل منهم ومن يولهم يومئذ اي يوم لقائهم دبره اي يجعل ظهره اليهم منهزما الا
متحرفا اي منعطفا لقتال بان يريهم انه منهزم خداعا ثم يكر عليهم وهو باب من مكايد الحرب
او متحيزا منضما وصائرا الى فية اي جماعة اخرى من المسلمين سوى الفية التي هو فيها
على القرب يستجد بها ومنهم من لا يعتبر القرب لما راى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية
بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال
بل انتم العكارون وفي رواية الكرارون اي المتعاطفون الى الحرب وانا فيتكم وانهزم رجل
من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المومنين هلكت فررت من
الزحف فقال لعم انا فيتك فقوا اي رجع بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
اي المرجع هي وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر هذا اذا لم يزد العدو على
الضعف لقوله تعالى الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا وقيل هذا في اهل بدر خاصة
لانه لم يكن ذا يجوز لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم قاله مجاهد
لما انصرف المسلمون من قتل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الاخر انا قتلت
فلانا انزل قوله تعالى فلم تقتلوهم اي بقوتكم ولكن الله قتلهم اي بنصره اياكم بان منحهم لكم
قاله البيضاوي تبعا للزمخشري والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم انتهى ورده ابن هشام بان الجواب المنفي بلم لا تدخل عليه الفا
واختلف في سبب نزول قوله تعالى وما رميت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى على ثلاثة
اقوال الاول وهو قول اكثر المفسرين نزلت في يوم بدر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما ندب الى قتال بدر نزلوا بدرا وردت عليهم رويا قريش وفيهم اسلم غلام اسود لبني
الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعد فاتوا بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهما اين قريش فقالا هم وراء الكثيب الذي بالعدوة القصوا والكثيب العقنقل وهو
الكثيب العظيم الممتد اخر الرمل قاله الجوهري فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم
قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا ندري قال كم تنحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف ثم قال لهما من فيكم من اشراف

قريش

معطوف على ذلكم اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرا نافع
وابن كثير وابو عمر وبفتح الواو وتشديد الها وتنوين النون ونصب الدال وقرا حفص بسكون
الواو وتخفيف الها وعدم تنوين النون وخفض الدال والباقون بسكون الواو وتخفيفها
مع تنوين النون ونصب الدال وقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الكثر المخبرين
على انه خطاب للكفار روي ان ابا جهل لعنه الله قال يوم بدر اللهم ايانا كان اقطع للرحم واتجر
فاحنه الغداة وقال السدي ان المشركين لما اراد الخروج الى بدر اخذوا باستار الكعبة وبالا
اللهم انصر اعلا الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين بافضل الدين فانزل الله تعالى هذه
الاية اي ان تستنصروا لاهدى الفئتين وتستقضوا فقد جاءكم النصر والقضا بهلاك
من هو كذلك وهو ابو جهل ومن قتل معه دون النبي صلى الله عليه وسلم لما راى المشركين
وكثرة عددهم وعددهم والمؤمنين وقيل خطاب للمؤمنين وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما
راى المشركين وكثرة عددهم وعددهم استغاث ربه تعالى وطلب ما وعده الله تعالى به
في احدى الطائفتين وتضرع الى الله تعالى وكذلك الصحابة رضي الله عنهم فقال تعالى ان تستفتحوا
اي ان تطلبوا النصر الذي تقدم به الوعد فقد جاءكم الفتح اي حصل ما وعدتم فاشكروا لله
والزموا الطاعة قال القاضي عياض وهذا القول اولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا
بالمؤمنين انتهى وقال البيضاوي انه خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم انتهى وبدل قوله تعالى
وان تنتهوا اي عن الكفر ومعاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خيرا لكم اي لكم في
الدارين وخير المتين وان تعودوا الى قتال النبي صلى الله عليه وسلم نعد الى نصرته عليكم
ولن تغني اي تدفع عنكم فيئتكم اي جماعتكم شيا لان الله تعالى على الكافرين فيخذلهم ولو كثرت
فيئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا اي تعرضوا عنه اي الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة
امره فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطية والتنبيه
على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير
للجهاد وانتم لا تسمعون اي القران والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين
قالوا اي بالستهم سمعنا وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به وهذه صفة المنافقين
ان شر الدواب عند الله اي ان شر من دب على وجه الارض عند الله الصم سماع الحق
البكم عن النطق بالحق فلا يقولونه الذين لا يعقلون امر الله سماع دواب لغلبة انتفاء هم
بعقولهم كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار رضي

قضى كانوا

قضى كانوا يقولون نحن صم بكم عما جاء به محمد فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء لم يسلم
منهم الا رجلان مصعب بن عمير وشويط بن حرملة ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اي سماعا
كتب لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم على سبيل الفرض وقد
علم انهم لا خير فيهم لتولوا عنه ولم ينتفعوا به وارتد ابو العتيك والعقرب وهم
معرضون لصادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون لرسول الله صلى
الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخنا مباركا يشهد لك بالنبوة فنومن بك فقال
الله تعالى ولو اسمعهم كلام قصي لتولوا معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول
اي اجيبوهما بالطاعة ووحد الضمير في قوله تعالى اذا دعاكم لان دعوة الله تسمع من الرسول
صلى الله عليه وسلم روي الترمذي انه صلى الله عليه وسلم مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعا
فعجل في صلاته ثم جا فقال له صلى الله عليه وسلم ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم
تخبر فيما اوحى الي استجيبوا لله وللرسول ويوخذ من ذلك ان اجابته صلى الله عليه وسلم بالقول
لا تقطع الصلاة وهو كذلك بل ولا بالفعل الكثير كما قاله بعض اصحابنا وهو ظاهر الحديث
ايضا ولما كان اجتناب حرمة الطاعة في غاية القرب نبه على ذلك بالامر دون الي فقال لها
يحيكم من العلوم الدينية فانها حياة القلوب والجهل موتها قال ابو الطيب
لا تحسبن المجد لقمة عائش ... فذاك ميت وثوبه كفن
او ما يورثكم الحياة الابدية من النعيم
الدايم من العقايد وقال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيي بالايمان وقال ابن اسحاق
هو الجهاد داعزكم الله تعالى به بعد الذل وقال العتبي هو الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم
يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اي انه يميته فتفوته الفرصة التي هي اجود
وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله تعالى فاغتنموا
هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله وقال الضحاك يحول بين المومن والمعصية
وبين الكافر والطاعة وقال السدي يحول بين المرء وقلبه فلا يستطيع ان يومن ولا ان يكفر الا باذنه
وقال مجاهد يحول بين المرء وقلبه فلا يعقل ولا يدري ما يعمل وعن انس بن مالك رضي الله تعالى
عنه انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك قالوا يا رسول الله امنا بك وبما جيت به فهل تخاف علينا قال القلوب بين اصبعين
من اصابع الله يقلبها كيف شا وانه اي واعلموا انه تعالى اليه تحشرون لا الى غيره ولا تتركوا
مهملين معطلين فيجازيكم باعمالكم وفي هذا تشديد في العمل وتحذير عن الكسل والغفلة
واتقوا فتنة اي ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا

وقوله تعالى لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة جواب الامر والمعنى ان اصابتكم لا تصيب
الظالمين منكم خاصة وللكنها تعمكم كما قيل ان علما بني اسرائيل لم ينهوا عن المنكر فعمهم الله تعالى
بالعذاب فان قيل كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر اجيب بان فيه معنى النهي
كقوله انزل عن الدابة لا تطرحك ولا تطرحنك وكقوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالفه واذكروا يا معشر المهاجرين
اذ انتم في ابتداء الاسلام قليل اي عددكم مستضعفون اي لا منعة عندكم في الارض ارض
مكة وانما قلتها لانها فظعتها كانها هي الارض كلها اولان حالهم كان في بقية البلاد كحالهم فيها
او قريبا من ذلك ولهذا نبه بالناس في قوله تعالى تخافون ان يتخطفكم الناس اي تاخذكم
الكفار بسرعة كما تتخطف الجوارح الصيد فاواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به
على اعدائكم وايدكم اي قواكم بنصره او باعداد الملائكة يوم بدر وبمظاهرة الانصار وهم
ورزقكم من الطيبات اي الغنائم احلها لكم ولم يحلها لاحد قبلكم لعلكم تشكرون هذه النعم
العظيمة يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول اي بان تضمروا خلاف ما تظهرون
روي انه صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
وارجا من الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد
ابن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة واسمه رفاعة او مروان بن عبد المنذر وكان
مناصحا لهم لان ماله وعياله عندهم فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقالوا يا ابا
لبابة ما ترى اننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح اي
ان حكم سعد هو القتل فلا تفعلوا فقال ابو لبابة والله ما زالت قدماي من مكانها حتى علمت
اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه
على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما لو جاني لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فاني لا اطلقه
حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه
ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى ياتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي
اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال له صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به
فنزلت هذه الاية وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان وعن جابر بن عبد الله ان ابا سفيان

خرج من مكة

خرج من مكة فعلم النبي صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب رجل من
المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقيل معنى لا تخونوا الله بان تعطلوا
فرايضه ورسوله بان لا تتتوا به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه لقوله تعالى وتخونوا اماناتكم اي ما يتمنتم عليه من الدين وغيره
مجزوم بالعطف على الاول اي ولا تخونوا او منصوب بان مضمرة بعد الواو على جواب النهي
اي لا تجمعوا بين الشيئين كقوله ولا تنه عن خلق وتاتي مثله وانتم لا تعلمون
انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة
اي محنة من الله تعالى ليبلوكم فيها ولا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة لانه شغل قلبه بالدنيا
ويصيره حجابا عن خدمة المولى ثم انه تعالى نبه بقوله وان الله عنده اجر عظيم على ان
سعادات الاخرة خير من سعادات الدنيا لانها اعظم في الشرف واعظم في القوة واعظم في البقاء
لانها تبقى بقاء لا نهاية له فهذا هو المراد من وصف الاخرة الذي عنده بالعظيم قال الرازي هـ
ويمكن ان يتمسك بهذه الاية في بيان ان الاشتغال بالنوافل افضل من الاشتغال بالنكاح هـ
لان الاشتغال بالنوافل يفيد الاجر العظيم عند الله والاشتغال بالنكاح يفيد الولد ويوجب
الحاجة الى المال وذلك فتنة ومعلوم ان ما يفضي الى الاجر العظيم عند الله هو خير مما يفضي
الى الفتنة انتهى لكن محله في غير المحتاج الى النكاح الواجد هبته والا فالنكاح حينيذ افضل
واولى من التخلي للعبادة ولما حذر الله تعالى عن الفتنة بالاموال والاولاد رغب في التقوى
التي توجب ترك الميل والهوى في محبة الاموال والاولاد بقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
اي بالاحتراز عن المعاصي وغيرها يجعل لكم فرقانا اي هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل هـ
ويكفر عنكم سياتكم اي يسترها ما دمتم على التقوى ويغفر لكم اي يمحي اثاركم اي يجعلكم
صالحين عيارا واثرا وقيل السيات الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر كما في
اهل بدر وقد غفر الله تعالى لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تنبيه على انه ما وعدهم
من التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما توجبه تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده
انعاما على عمله ولما ذكر سبحانه وتعالى المومنين بنعمه عليهم بقوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل
الى اخره عطف عليه قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا اذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعمه عليه وهو رفع كيد المشركين ومكر الماكرين عنه وهذه السورة مدنية وهذا المكر
كان بمكة ولكن الله تعالى ذكره بالمدينة مكر قريش به حين كان بمكة تشكر نعمة الله في نجاته
من مكرهم واستيلايه عليهم وكان ذلك المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من المفسرين

ان قرب الهما لمنعة الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجتمعت رؤساهم كابي جهل وعتبة ابني ربيعة وابي سفيان وهشام بن عمرو وطعيمة
ابن عدي والنضر بن الحارث وابي البختري بن هشام في دار الندوة متشاورين في امره
صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس لعنه الله تعالى في صورة شيخ فلما راوه قالوا من انت قال
شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا قالوا ادخل
فدخل فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا باب البيت غير كوة تلقون اليه
طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك مثل ما هلك من قبله والله لئن
حبستموه في بيت ليأتينكم من ينتزعه من قومه ويخلصه من ايديكم قالوا صدق الشيخ النجدي
فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واستراحتم فقال النجدي بئس الراي تعمدون الى رجل قد افسد عقولكم فتخرجوه الى غيركم
فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه وطلاوة لسانه واخذ القلوب بما يسمع من حديثه والله
لئن فعلتم ذلك فيذهب ويستميل قلوب قوم ثم يثير هم اليكم ويخرجكم من بلادكم قالوا صدق
والله الشيخ النجدي فقال ابو جهل لعنه الله تعالى والله لاشيرن عليكم برأي لا اراكم غيره اني
ارى ان تاخذوا من كل بطن من قريش شابا وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد
فيفرق دمه في القبايل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلنا
واسترحنا فقال ابليس اللعين صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا القول ما قال لا اراكم غيره
فتفرقوا على قول ابي جهل مجتمعين على قتله فاتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه واذن الله تعالى
عند ذلك بالخروج كما الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه فنام
في مضجعه وقال له اتشح ببردي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه ثم خرج النبي صلى الله عليه
وسلم واخذ قبضة من التراب على رؤسهم وهو يقرأ انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله
فهم لا يبصرون ومضى الى الغار هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يودي عنه الودايع التي
كانت عنده وكانت الودايع تودع عنده لصدقه وامانته وبات المشركون يحرسون عليا
على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبونه انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا
بادروا اليوم فراوا عليا فقالوا له واين صاحبك فقال لا ادري فاقتصوا اثره واسرعوا في
طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لم تكن نسج العنكبوت
على بابه فمكث فيه ثلاثا ثم قدم المدينة وابطل الله مكرهم وهذا معنى قوله تعالى واذ يمكر بك

الذين

الذين كفروا ليثبتوك اي يوثقوك ويحبسوك او يقتلوك كلهم قتلة رجل واحد او يخرجوك
من مكة ويمكرون بك ويمكر الله اي يرد مكرهم عليهم بتدبير امرك بان اوحى اليك ما دبروا
وامرك بالخروج الى المدينة واخرجوا اتى بدر وقلل المسلمون في اعينهم حتى عملوا عليهم فقتلوا
والله خير الماكرين اي اعلمهم به فلا يوبه بمكرهم دون مكره قاله البيضاوي واستاده ثنا
هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم انتهى واعترض عليه
بانه لا تعين في مثل ذلك المشاكلة بل يجوز ان يكون ذلك استعارة لان اطلاق المكر على
اخفاء الله تعالى ما اوعد لمن استوجبه ان جعل باعتبار ان صورته شبه صورة المكر ناشئا
او باعتبار الوقوع في صحبة مكر العبد فمشاكلة وعلى ذلك لا يحتاج كما قاله الطيبي الى ذوقه
ومحبة مكر العبد قال ومنه قول علي رضي الله عنه من وسع الله تعالى عليه في دنياه ولم يعلم
انه مكر به فهو مخذوع في عقله واذا تتلى عليهم اياتنا ان القران قالوا اي هؤلاء الذين ابتهروا
في امره صلى الله عليه وسلم قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذا غاية مكابرتهم وفرط
عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك لفعلوا والا فما منعهم لوكانوا مستطيعين وقرعهم بالعشر
عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استكافهم ان يغلبوا خصوصا
في باب البيان وقيل قايله النضر بن الحارث المقتول صبرا لانه كان ياتي الحيرة يتجر فيشتري
كتب اخبار العجم ويحدث بها اهل مكة واستاده الى الجمع اسناد ما فقد ربيب القوم
اليهم فكانه كان قاضيهم وقد اسره المقداد يوم بدر فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله
فقال المقداد اسيري يا رسول الله فقال انه كان يقول في كتاب الله ما يقول فعاد المقداد
لقوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اغن المقداد من فضلك فقال ذاك الذي اردت
يا رسول الله فقتله النبي صلى الله عليه وسلم فاشدت اختك
ما كان ضوك لو منعت وربما ... من المنية وهو المغيظ المخنق فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه ان اي ما هذا اي القران الا اساطير الاولين
اي اخبارهم الماضية واساموهم وما سطر الاولون في كتبهم والاساطير جمع سطور
وهي المكتوبة من قولهم سطرت اي كتبت وقيل اساطير جمع اسطور واسطار جمع سطر واذ
قالوا اللهم ان كان هذا اي الذي يقراوه محمد هو الحق المنزل من عندك فامطر علينا حجارة من
السما او ايتنا بعذاب اليم اي مولم علي انكاره غير الحجارة قاله النظر وغيره استهزاء منهم
وايهاما انه على بصيرة وجزم ببطلانه وعن معاوية رضي الله عنه انه قال لرجل من بني عبس
ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا اللهم اذ كان هذا هو الحق من عندك

الاية

وما قالوا ان كان هذا هو الحق فامطر علينا فان قيل قد حكى الله تعالى هذه المقالة عن الكفار وهي من حسن نظم القرآن فقد حصلت المعارضة في هذا القدر وايضا حكى عنهم انهم قالوا في سورة بني اسرائيل وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآية وذلك ايضا كلام الكفار فقد حصل من كلامهم ما يشبه نظم القرآن وذلك يدل على حصول المعارضة اجيب بان الاتيان بهذا القدر لا يكفي في حصول المعارضة لانه كلام قليل لا تظهر فيه وجوه الفصاحة والبلاغة لان اقل ما وقع به التحدي سورة او قدرها قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم ٣٠
اي بما سالوه وانت فيهم اي لان العذاب اذا نزل لم يعذب امة الا بعد خروج نبيها والمومنين منها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي وفيهم من يستغفرهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه كان في هذه الامة امانان اما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى واما الاستغفار فهو كائن فيكم الى يوم القيامة فالظاهر ان المراد بالعذاب المنفي هو الذي يقول قوم اهل البلاة القلابية على القتاد والمراد بعضهم وما لهم ان لا يعذبهم الله بالسيف بعد خروجك والمستضعفين فنفى كلا في الآية انه لا يعذبهم ما داموا هم رسولا والمومنون فيهم وذكر في هذه الآية انه يعذبهم اذا خرجوا من بينهم وقال الحسن الآية الاولى منسوخة بهذه وردبان الاخبار لا يدخلها النسخ واختلفوا في هذا العذاب فقال بعضهم لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة وقال ابن عباس هذا العذاب هو عذاب الآخرة والعذاب الذي نفي عنهم هو عذاب الدنيا ثم بين تعالى ما لاجله يعذبهم فقال وهم يصدون عن المسجد الحرام اي يمنعون النبي والمسلمين ونبه تعالى على انهم يصدون لادعائهم انهم اولياؤه فكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ثم بين تعالى بطلان هذا الدعوى بقوله تعالى وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون الذين يتحرزون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان الله ولكن اكثرهم اي الناس لا يعلمون اي لا ولاية لهم عليه وكانه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند واراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعونه موضعها الا مكاء اي صفيرا وتصدية اي تصفيقا قال ابن عباس كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزؤن به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفرون ويخلطون عليه طوافه وصلاته فالمكاء جعل الاصابع في الفم والتصدية الصفير وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم

اذا دخل

اذا دخل المسجد الحرام قام رجلان عن يمينه ورجلان عن يساره يصفران ويصفقان ليخلطوا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته فذوقوا العذاب اي عذاب القتل والاسر يعني في الدنيا وعذاب النار في الآخرة عما اي بسبب ما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ولما ذكر تعالى عبادة الكفار البدنية وهي المكاء والتصدية ذكر عقيب عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الآخرة بقوله تعالى ان الذين كفروا ينفقون اموالهم يعني حرب النبي صلى الله عليه وسلم ليصدوا عن سبيل الله اي ليمنعوا عن دين الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا منهم ابو جهل ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم يوم بدر عشر جزائر وفي ابي سفيان جر يوم احد العين من العرب سوى من استجاش اي اكثر حبشا واتفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا وفي اصحاب الفيل فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا ففعلوا فسينفقونها ثم تكون اي عاقبة الامر عليهم حسرة اي ندامة لفوات ما قصدوه ثم يغلبون اي اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك كما اتفق لهم في بدر فانهم انفقوا مع الكثرة والعزة ولم يحصل منهم شيء من ذلك بل كان وبالا عليهم فانه كان سببا لجرانهم حتى قدموا ما كان في الحقيقة الا قوة للمومنين والذين كفروا اي شبنوا على الكفر الى جهنم يحشرون اي يساقون اليها من القيامة فهم في خزي في الدنيا والآخرة فان قيل لم لم يقل تعالى والى جهنم يحشرون اجيب بانه اسلم منهم جماعة كابي سفيان بن حرب والحارث ابن هشام وحكيم بن حزام بل ذلك ان الذين شبنوا على الكفر يكونون كذلك ليميز الله الخبيث اي الفريق الكافر من الطيب اي من الفريق المومن ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اي يجمعه متراكبا بعضه على بعض لقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا اي لفرط ازدحامهم وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه الكافر على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي انفقه المومن في جهاد الكفار كانفاق ابي بكر وعثمان في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم فيركمه جميعا فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم الآية واللام على هذا متعلقة بتكون من قوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول متعلقة بيحشرون ويغلبون وقرا ليميز حمزة والكسائي بضم الياء الاولى وفتح الميم وتشديد الياء الثانية مع الكسر والباقون بفتح الياء الاولى وكسر الميم وسكون الياء الثانية وقوله تعالى اولئك اشارة الى الذين كفروا هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم ولما بين تعالى ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ارشدهم الى طريق

النصراني وقال قل يا محمد للذين كفروا كابي سفيان واصحابه ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف
اي قبل الاجل هذا القول وهو ان ينتهوا عن الكفر وقتال النبي صلى الله عليه وسلم يغفر لهم ما قد
سلف من ذلك ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لهم وان يعودوا الى الكفر ومعاداة
النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضت سنة الاولين اي باهلاك اعدائه ونصر انبيائه واجمع العلماء
ان الاسلام يجب ما قبله واختلفوا هل الكافر الاصلي مخاطب بفروع الشريعة وهل يسقط
عن المرتد ما مضى في حال ردته كالكافر الاصلي كما هو ظاهر الاية وهل المرتد تحبط ما مضى من
العبادة قبلها ذهب اصحاب الشافعي رضي الله عنه الى انه مخاطب بدليل قوله تكلمنا معكم
في سقر قالوا لم نك من المصلين الاية ولان المرتد لا تحبط عنه العبادات الغابرة في الردة
تغليظا عليه ولان الردة لا تحبط ما مضى وقد تقدم الكلام على ذلك في المائدة وعن يحيى بن
معاذ انه قال توحيد لم يغفر عن هدم ما قبله من الكفر رجوان لا تتجر عن هدم ما بعده
من ذنب ولما بين تعالى ان هؤلاء الكفار ان ينتهوا عن كفرهم حصل لهم الغفران وان عادوا فهم
متوعدون بسنة الاولين اتبعه بالامر بقتالهم اذا امروا فقال وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
اي شرك كما قاله ابن عباس وقال الربيع حتى لا يفتن احدكم عن دينه لان المومنين كانوا هم
يفتنون عن دين الله في صدر الدعوة فافتتن من المسلمين بعضهم وامرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يخرجوا الى الحبشة وفتنة ثانية وهو انه لما بايع الانصار رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيعة العقبة توامت قريش ان يفتنوا المومنين بمكة عن دينهم فاصاب المومن جهد
شديد فاصر الله تعالى بقتالهم حتى تزول هذه الفتنة ويكون الدين كله خالصا لله وحده لا يعبد
غيره فان انتهوا عن الكفر فان الله بما تعملون بصير اي فيجازيهم به وان تولوا عن الايمان
فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم متولي امركم نعم المولى هو فانه لا يضيع من تولاه ونعم
النصير اي النافع فلا يغلب من ينصره فمن كان في حماية هذا المولي وفي حفظه وكفايته
كان امنا من الافات مصونا عن المخافات واعلموا انما غنمتم اي اخذتم من الكفار الحربيين
من شيء مما يقع عليه اسم شيء مما هو لهم ولو اختصاصا فان لله خمسه وللرسول واعلم ان
الغنيمة والفيء سمان لما يصيبه المسلمون من الحربيين والصحيح انهما مختلفان فالفيء هو
ما حصل لنا مما هو لهم بلا ايجاف كجزية وعشر تجارة وما حلوا عنه ولو لغير خوف كخراب منهم
وتركة مرتد وكافر معصوم بلا وارث وكذا الفاضل عن وارث له غير جائز وسياتي حكمه ان
شاء الله تعالى عند قوله ما افاء الله على رسوله واما الغنيمة فهي ما حصل لنا منهم مما هو لهم
بايجاف او سرقة او التقاط وكذا ما اخذ منهم او اعانوا عنه عند التقاء الصفين ولو قبل شهر السلاح او اهداه

الكافر

الكافر لنا والحرب قائمة ولم تحل الغنائم لاحد قبل الاسلام بركانت الانبياء اذا غنموا لم يجمعوه
فتاتي نار من السماء تاخذه ثم احلت للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت في صدر الاسلام له خاصة
لانه كان يقاتل لهم نصرة وشجاعة بل اعظم ثم نسخ ذلك واستقر الامر على انها تجعل
خمسة اقسام متساوية ويوخذ خمس رقاع ويكتب على واحدة لله او للمصالح وعلى اربع هو
للغانمين ثم تدرج في بنادق مستوية ويخرج لكل خمس رقعة فما خرج لله او للمصالح جعل بيد
امين على خمسة امناء وهو النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده وذكر الله تعالى في
الاية للتبرك وما كان له صلى الله عليه وسلم فهو لمصالح المسلمين كسد الثغور وارزاق
عمالهم تتعلق بمصالحنا كتفسير وفقه وحديث والصنف الثاني ما ذكره الله تعالى بقوله
ولذي القربى اي قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب دون من عداهم
لاقتصاره صلى الله عليه وسلم في القسم عليهم مع سوالغين هم من بني عمهم من نوفل وعبد شمس
لقوله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه ويعطون
ولو اغنياء ويفضل الذكر على الانثى كالارث لانه عطية من الله تعالى تتحق بقرابة الاب كالارث فلا
يعطى اولاد البنات من بني هاشم والمطلب شيئا لانه صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير وعثمان
مع ان امهما كانت هاشمية والصنف الثالث ما ذكره الله تعالى بقوله واليتامى واليتم
صغر ولو انثى لخبر لا يتم بعد احتلام ولا ابا له وان كان له ام وجد ومن فقد امه فقط يقال له
منقطع واليتيم في البهائم من فقد اباه وفي الطير من فقد امه والصنف الرابع ما ذكره الله تعالى
بقوله والمساكين الصادقين بالفقر او المسكين من له مال او كسب لائق به يقع موقعا من كفايته
ولا يكفيه الغالب وقيل من يملك او يكسب سبعة او ثمانية ولا يكفيه الا عشرة والفقير
من لا مال له اصلا ولا كسب ولا يقع موقعا من كفايته ممن يحتاج الى عشرة ولا يملك اول يكسب الا
درهمين او ثلاثة والخامس ما ذكره الله تعالى بقوله وابن السبيل وهو المسافر المحتاج ولو قاصدا
بسفره والاخماس الاربعة الباقية للغانمين وهم من حضر القتال ولو في اثنايه بنية القتال
وان لم يقاتل او حضر بالنية وقاتل كاجير لحفظ امتعة وتاجر ومحترف وقوله تعالى ان كنتم
امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا ان كنتم امنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء
فسلموه اليهم واقنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم
المجرد لانه مقصود بالغرض والمقصود بالذات هو العمل وقوله تعالى وما انزلنا على
عبدنا اي محمد صلى الله عليه وسلم من الايات والملائكة والنصر يوم الفرقان اي يوم بدر فانه فرق
به بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان اي جمع المومنين وجمع الكافرين وهو يوم بدر وهو اول

شهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم
الجمعة لسبع عشرة ليلة وعشرين رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة
وبضع عشر رجلا والمشركين مابين الالف والسبعمائة فهزم الله تعالى المشركين وقتل منهم سبعون
واسر سبعون مثل ذلك والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز
كما فعل ذلك بكم ذلك اليوم وقوله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا اي انتم بشفير الوادي من المدينة بدل من يوم
الفرقان او من يوم التقى الجمعان او منصوب باذكر وامتيز والعدوة الدنيا مما يلي المدينة وهم
بالعدوة القصوى اي البعدي من المدينة وهي مما يلي مكة وكان امامها وكان اسفلها للمشركين
من هذا الوجه اشد والقصوى تانيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا ولكن لم تقلب
تفرقة بين الاسم والصفة فانها تقلب في الاسم دون الصفة على الاكثر وقيل بالعكس وعلى الاول
القصوى وان كان صفة للعدوة في الآية كالدنيا لكن غلب عليها الاسمية لترك الموصوف بها في
اكثر الاستعمال كما قاله ابن جني فالقصوى بالواو على القولين شاذ بالنظر الى تسميتها في الاول
والى وصفيتها في الثاني ومثال الصفة الخالصة حلوى تانيث الاحلى فهي بالواو مقيسة على الاول
شاذة على الثاني ومثال الاسم الخالص حزوى اسم مكان فهو بالواو شاذ على الاول مقيس على
الثاني وقرا ابن كثير وابو عمرو العدوة وهي شط الوادي بكسر العين فيهما والباقون بضم العين فيهما
واما الدنيا والقصوى فاما لهما حمزة والكسائي محضة وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين
والركب اي العير التي خرجوا لها التي يعودها ابو سفيان اسفل منكم اي اسفل منكم على ساحل البحر
على ثلاثة اميال من بدر واسفل نصب على الظرف بمعناه مكان اسفل منكم وهو من نوع هم
المحل لانه خبر للمبتدا ولو تواعدتم انتم والفريقان للقتال لاختلفتم في الميعاد وذلك ان المسلمين
خرجوا لياخذوا العير وهي لم تعين في الخروج وخرج الكفار مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاموالهم فيمنعوها من المسلمين فالتقوا على غير ميعاد لقلتهم وكثرة عدوهم
ولكن جمع الله تعالى بينهم على هذه الحالة من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا في علمه وهو
نصر اوليائه واعزاز دينه واعلاء كلمته وقمع اعدائه وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة بدل من يقضي او متعلق بقوله مفعولا واستعير الهلاك للكفر والاسلام
اي ليصير من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالطة شبهة حتى لا يبقى له على الله حجة ويصير الاسلام
من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك به فان وقعة بدر
من الايات الواضحات التي من كفر بعدها كان مكابرا للتمه مخالفا لظاهرها وقرا نافع والبزي وسبعة
بياء بين الاولى مكسورة والثانية مفتوحة والباقون بياء واحدة مشددة ثم انه تعالى ختم الاية بقوله

وان الله لسميع عليم اي يسمع دعاكم ويعلم حاجتكم وضعفكم ولا تخفى عليه خافية اذ يريكهم
واذكر يا محمد نعمة الله عليك او يريكهم الله اي المشركين في منامك اي في نومك قليلا
فاخبر تاصحابك فسروا وقالوا رويا النبي حق وصار ذلك سببا لجراتهم على عدوهم وقوة
لقلوبهم فان قيل رويا الكثير قليلا غلط فكيف يجوز على الله تعالى اجيب بان الله تعالى
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا يسال عما يفعل او انه تعالى اراه بعضهم دون بعض فحكم هو
صلى الله عليه وسلم على اولئك الذين راهم بانهم قليلون وقال الحسن ان هذه الاراة كانت
في اليقظة قال والمراد من المنام العين التي هي موضع النوم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اي ولو
اراكهم كثيرا لكثرته للقوم ولو سمعوا ذلك لفشلوا اي جبنوا ولتنازعتم اي اختلفتم في الامر
اي امر القتال وتفرقت ارواحكم بين الفرار والقتال ولكن الله سلم اي سلمكم من الفشل والتنازع
فيما بينكم وقيل سلمكم من الهزيمة والقتل انه تعالى عليم اي بالغ العلم بذات الصدور اي
بما في القلوب من الجراة والجبن والجزع وغير ذلك واذ يريكموهم ايها المومنون اذ التقيتم في
اعينكم قليلا اي ان الله تعالى قلل عدد المشركين في اعين المومنين يوم التقوا في القتال ليتاكد
لتاكيد ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به اصحابه وتقوي بذلك
قلوب المومنين وتزداد جراتهم ولا يجبنوا عن قتالهم قال ابن مسعود لقد قللوا في اعيننا
حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا كم كنتم قال الفا
والضميران مفعولان يري وقليلا حال من الثاني ويقللكم في اعينهم اي ويقللهم يا معشر
المومنين في اعين المشركين ليلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين لم يبالوا لغرارهم في الاستعداد
والتاهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المومنين قال السدي قال ناس من المشركين ان
العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الان اذ بدر لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى
تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعني جمع اكلة اي قليل يشبعهم جزور واحدة يضرب
مثلا في القلة والامر الذي لا يبالى به ثم قال فلا تقتلوهم وايربطوهم بالحبال اراد بقوله ذلك
القدرة والقوة فان قيل كيف تقليل الكثير وتكثير القليل اجيب بان ذلك ممكن في قدرة
الله تعالى وان الله تعالى على ما شاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم والمعجزة هي
من خوارق العادات فلا ينكر ذلك او ان الله تعالى ستر عنهم بعضه بساتر وحيدث في عيونهم ما
يستقلون له الكثير كما احدث في اعين الحول ما يرون له الواحد اثنين وكان بين يديه دبك
قال فما اراني هزيت الدبيكين اربعة وهذا قبل التحام القتال فلما التحم اماهم اياهم كما قال عمر ان
ليقضي الله امرا كان مفعولا اي في علمه وهو اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله فان قيل قد تقدم ذلك

بيات
يريكموهم

في الاية المتقدمة فكان ذكره هنا محض تكرار اجيب بان المقصود من ذكره في الاية المتقدمة
هو انه تعالى فعل تلك الافعال الجميلة استدلالا للمومنين على الكافرين على وجه يكون معجزة
دالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم والمقصود من ذكره هنا الخبر هو ذلك المعنى بل المقصود
انه تعالى ذكر هنا انه قلل عدد المومنين في اعين الكفار فيين تعالى هنا انه انما فعل ذلك
ليصير ذلك سببا ليلا يبالغ الكفار في تحصيل الاستعداد والتحذر فيصير ذلك سببا لانكسارهم
والى الله ترجع الامور كلها قال بعضهم الا ما يريد المعاندة فلا يحوي الامور على ما يظنه العباد
وفي هذا تنبيه على ان امور الدنيا غير مقصودة وانما المراد منها ما يصلح ان يكون مرادا ليوم
المعاد ولما ذكر تعالى انواع نعمه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المومنين يوم بدر عليهم
اذ اتقوه بالغيبة وهم الجماعة من المحاربين نوعين من الادب بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذا لقيتم فئة اي قاتلتهم لان اللقاء اسم للقتال غالبا فيه اي جماعة كافرة فاثبتوا لقتالهم
كما تثبتم في بدر ولا تحدثوا انفسكم بفرار هذا النوع الاول واذكروا الله كثيرا بقلوبكم والسنتكم
قال ابن عباس امر الله تعالى اولياءه بذكره في اشد احوالهم تنبيها على ان الانسان لا يجوز ان
يخلو قلبه لسانه عن ذكر الله ولو ان رجلا اقبل من المشرق الى المغرب وبذل الاموال سخيا
والاخر من المغرب الى المشرق يضرب بسيفه في سبيل الله لكان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد
من هذا الذكر الدعا بالنصر والظفر لان ذلك لا يحصل الا بعونة الله تعالى لعلكم تفلحون اي تظفروا
مرادكم من النصر والثبوت فان قيل هذه الاية توجب الثبات على كل حال وذلك يوهم
انها ناسخة لاية التحرف والتحيز اجيب بان المراد من الثبات الجد في المحاربة بل كان
الثبات في هذا المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى موكدا لذلك واطيعوا
الله ورسوله في سايرما يامران به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسايرالطاعات ولا تنازعوا
اي تختلفوا فيما بينكم فتفشلوا اي تجبنوا وتذهب ريحكم اي قوتكم ودولتكم فالريح مستعارة
للدولة شبهها في نفوذ اثرها بالريح ثم ادخل المشبه في جنس المشبه به ادعاء واطلق اسم
المشبه به على المشبه وقيل المراد بها الحقيقة لانه لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله تعالى
وفي حديث الشيخين نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمان ابن مقرن قال شهدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل من اول النهار اخر القتال حتى تزول الشمس وتهب
الرياح وينزل النصر خرجه ابو داود وامروا اي عند لقاء العدو ولا تنازعوا عنه ان الله مع
الصابرين بالنصر والمعونة روي انه صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو
واسالوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم ولا
تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم اي ليمنعوا عيرهم ولم يرجعوا بعد بلوغها بطرا اي فخرا
وطغيانا في النعمة واذلك ان الشكر اذا كثر من الله تعالى على العبد فان مر فنا في المفاخرة على
الاقران وكاثر بها ابنا الزمان وانفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة واذا صرفنا
في طاعة الله وابتغا مرضاته فذلك شكرها ورياء الناس اي ليثنوا عليهم بالشجاعة هـ
والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة واتاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت
عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم
فيها سوق في كل عام ونشربها الخمور وتعزف علينا القينات والعزف اللعب بالمعازف وهو
الدوف وغيرها مما يضرب به قاله ابن السيد وغيره والقينات للجواري ونطعم بها من حضرنا
من العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس بطعامهم فوافوها فسقوا الصهبا بالكاس وناحت
عليهم النوايح فكان القينات فنهى الله تعالى المومنين ان يكونوا امثالهم بطريت مرائين وامرهم
ان يكونوا اهل تقوى واخلاص فدل حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله
اي يمنعون الناس الدخول في دين الله والله بما يعملون محيط لا يخفى عليه شيء لانه محيط هـ
باعمال العباد كلها فيجازيهم باعمالهم واذ اي واذكروا ايها المومنون نعمة الله عليكم اذ زين
لهم اي المشركين الشيطان اي ابليس اعمالهم الخبيثة بان شجعهم على لقاء المسلمين لما خافوا
الخروج من اعدائهم بني بكر بن الحارث جا ابليس وجند من الشياطين معه راية فتبدى لهم في
صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم وقال غار لكم اليوم من الناس وانى
لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اي مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان اي التقتا ونظر
راى ابليس الملايكة قد نزلوا من السما علم عدو الله ابليس انه لا طاقة لهم بهم نكص على عقبيه
قال الضحاك ولى مدبرا وقال النقاش رجع القهقرى على قفاه هاربا وقال اني بريء منكم
قال الكلبي لما التقى الجمعان كان ابليس في صف المشركين على صورة سراقة بن مالك وهو
اخذ بيد الحارث بن هشام فنكص عدو الله ابليس على عقبه فقال له الحارث الى اين تخذلنا في
هذه الحالة فقال له عدو الله ابليس على وجهه اني ارى ما لا ترون ورفع في صدر الحارث وانطلق
فانهزموا قال الحسن راى ابليس جبريل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود
الفرس ملكب قال قتادة قال ابليس اني ارى ما لا ترون وصدق وقال اني اخاف الله وكذب والله
ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة له ولا منعة فاوردهم واسلمهم وذلك في عادة عدو الله
ابليس لعنه الله لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وتبرا منهم وقال عطا خاف ابليس

ان يهلكه الله تعالى فيمن يهلك وقيل اخاف الله عليكم وقيل انه لما راى حين يلحاقه وقيل
لما راى الملايكة تنزل من السحاب خاف ان الوقت الذي انظر اليه قد حضر فقال ما قال اشفاقا على
نفسه ولما انهزموا وبلغوا امنة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وقوله تعالى والله شديد العقاب
يجوز ان يكون من كلام ابليس اي اني اخاف الله لانه شديد العقاب وان يكون مستانفا
اي والله شديد العقاب لمن خالفه وكفر به فان قيل كيف يقدر ابليس ان يتصور بصورة
البشر واذا تشكل بصورة البشر فكيف يسمى شيطانا اجيب بان الله تعالى اعطاه قوة واقدره
على فعل ذلك كما اعطى الملايكة قوة واقدرهم على ان يتشكلوا بصورة البشر لكن النفس
الباطنية لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة وروي انه صلى الله عليه وسلم
قال ما راى ابليس يوما فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذاك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما كان من يوم بدر
اذ راى واذ كرا ذ يقول المنافقون اي من اهل المدينة والمنافق هو من يظهر الاسلام ويخفي
الكفر كما ان المراي هو من يظهر الطاعة ويخفي المعصية والذين في قلوبهم مرض اي شك
وارتياب وهم قوم من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يقع الاسلام في قلوبهم ولم يتمكن
فلما خرج قريش الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا معهم الى بدر فلما نظروا الى قلة
المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلا المسلمين دينهم اذ خرجوا مع قلتهم يقاتلون
الجمع الكثير توهما انهم ينصرون بسببه فقتلوا جميعا منهم قيس بن الوليد بن المغيرة
وعلي بن امية ابن خلف الجمحي والعاص بن امية بن الحجاج قال تعالى في جوابهم ومن يتوكل
على الله اي يثق به يغلب فان الله عزيز غالب اي غالب على امره حكيم اي في صنعه
يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولما شرح تعالى حال
هؤلا الكفار شرح احوال موتهم والعذاب الذي يصل اليهم في ذلك الوقت فقال تعالى وه
ولو ترى اي عاينت وشاهدت يا محمد اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة اي يقبضون ارواحهم
عند الموت يضربون وجوههم وادبارهم اي ظهورهم واستاههم قال البيضاوي
ولعل المراد يقهم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر بمقامع من حديد ويقولون
لهم ذوقوا عذاب الحريق اي النار وقال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم
الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلا جزم قابلهم الله بمثله
في وقت نزوح الروح وجواب لو محذوف والتقدير لرايت منظرا هائلا وامرا فظيعا وعقابا

شديدا

شديدا والملايكة مرفوعة بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في قوله يتوفى
ضمير الله تعالى والملايكة مرفوعة بالابتدا ويضربون خبره ذلك اي الذي نزل بكم من القتل
والضرب وغيرهما بما اي بسبب ما قدمت اي كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي وانما عبر
بالايدي دون غيرها لان اكثر الافعال تزاول بها والتحقيق ان الانسان جوهر واحد
وهو الفعال وهو المدرك وهو المؤمن وهو الكافر وهو المطيع وهو العاصي وهذه
الاعضا اله له وادوات في الفعل فاضيف الفعل في الظاهر الى الالة وهو الحقيقة مضاف
الى جوهر ذات الانسان وان الله ليس بظلام للعبيد فلا يعذب احدا من خلقه بغير ذنب
وظلام للتكثير لاجل العبيد اي انه بمعنى ذي ظلم كداب اي دأبهم دأب الكفار يكفر مثل دأب
الفرعون وهو عادتهم وعملهم الذي واظبوا فيه اي داموا عليه فجوزي هؤلا بالقتل والاسر
يوم بدر كما جوزي الفرعون بالاغراق واصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان دأب
في كذا اي داوم عليه وسميت العادة دأبا لان الانسان مواظب على عادته مواظب عليها والذين
من قبلهم اي من قبل الفرعون وقوله تعالى كفروا بايات الله تفسير لدأب الفرعون فاخذهم
الله بذنوبهم اي بسبب كفرهم كما اخذ هؤلا ان الله قوي اي على ما يريده انتقم ممن
كفر وكذب رسله شديد العقاب ممن كفر وكذب رسله وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما حل بهم
من العقاب بان اي بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم اي مبدلا لها بالنعمة حتى
يغيروا ما بانفسهم اي بان يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوء منه فان قيل فما كان من تغيير
الفرعون ومشركي مكة حتى غير الله تعالى نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فغيرها
الى مسخوطة اجيب بانه تعالى كما يغير الحال المرضية الى المسخوطة يغير الحال المسخوطة
الى اسخط منها وذلك كانوا قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كفرة عبدة اوثان فلما
بعث اليهم بالايات البينات فكذبوه وعادوه وحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غير
حالهم الى اسوا ما كانت عليه فغير الله تعالى ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب
وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب الفرعون والذين من قبلهم كذبوا
بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا بعضهم بالرجز وبعضهم بالخوف وبعضهم
بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا كفار قريش يا سيد واغرقنا
الفرعون اي هو وقومه فان قيل ما فايدة تكرير هذه الاية مرة ثانية اجيب بان
فيه فوايد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الكلام الاول
فيه ذكر اجمالهم وفي الثاني ذكر اعمالهم وذلك تفصيل ومنها انه ذكر في الاية الاولى انهم

كذبوا بايات ربهم في الاية الثامنة اشارة الى انهم كذبوا بها مع جحودهم لها وكفرهم بها ومنها تكرير
هذه القصة للتاكيد ولما نبه به من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما فعل
به الفرعون ومنها ان الاول فيه الكفر والثاني فيه التغيير والتتمة بسبب تلفيهم ما بالقسم
وكل اي من الفرق المكذبة او من غرق القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي
وغيرهم بالاضلال وامعين الايات في غير موضعها وهم يظنون بانفسهم العدل ولما وصفهم
تعالى اكمل الكفار بقوله تعالى وكل كانوا فالمعنى افرد بعضهم بمزية في الشر والفساد ان شر الدواب
عند الله في حكمه وعلمه الذين كفروا اي اصروا على الكفر فهم لا يؤمنون اي يتوقع منهم ايمان
وقوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل البعض من الذين كفروا
وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعاونوا عليه عدوا فنكثوا
فنكثوا بان اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسيانا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا
وما لبثوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى اهل مكة فحالفهم وانما جعلهم الله
تعالى شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون
العهود وهم لا يتقون الله في حذرهم فاما فيه ادغام ان الشرطية في ما الزايدة تثقفنهم
اي تجدنهم هؤلاء الذين نقضوا العهد وظفرت بهم في الحرب قال ابن عباس تنكل بهم اي بهؤلاء
الذين نقضوا العهد من خلفهم اي من وراءهم من اهل مكة واليمن وغيرها فنجا فون ان
تفعل بهم كفعل هؤلاء وقال عطا اخفهم فيهم القتل حتى يخافك غيرهم لعلهم اي الذين خلفهم
يذكرون اي يتعظون بهم واما تخافن اي تعلمن يا محمد من قوم عاهدتهم خيانة في العهد
بامارات تلوح لك كما ظهر من قريظة والنضير فانبذ اي اطرح عهدهم اليهم وقوله تعالى على سواء
حال اي مستويا انت وهم في العلم بنقض العهد بان تعلمهم به لئلا يتهموا بالغدر اذا
نسبت الحرب معهم ان الله لا يحب الخائنين اي في نقض العهد وغيره روي ان معاوية
كان بينه وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل
على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر الله اكبر وفاء لا غدرا فاذا هو عمرو بن عبسة
فارسل اليه معاوية يساله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان
بينه وبين قوم عهد فلا ينبذ عقده ولا يحلها حتى ينقضي امدها وينبذ اليهم على سواء
فرجع معاوية قال الرازي حاصل الكلام في هذه الاية انه تعالى امره بقتل من ينقض
العهد على اقبح الوجوه وامره ان يتباعد على اقصى الوجوه من كل ما يوهم نكث العهد
ونقضه قال اهل العلم اذا ظهرت امارات نقض العهد فمن عاهدهم الامام من المشركين يامره

ظاهر مستفيض

فثرد

ظاهر مستفيض اما ان يظهر ظهورا محتملا او ظهورا مقطوعا به فان كان الاول وجب الاعلام
عليه على ما هو مذكور في هذه الاية وذلك ان قريظة عاهدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على النبي صلى الله عليه
وسلم فحصل للنبي صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فهنا يجب على الامام
ان ينبذ اليهم على سواء بعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به
فهنا لا حاجة الى نبذ العهد بل يفعل بهم ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة
لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يوعهم الا وجيش
النبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة ولما بين تعالى ما يفعله
صلى الله عليه وسلم في حق من يجده في الحرب وتمكن منه وذكر ايضا ما يجب ان يفعله فيمن
ظهر منه نقض العهد بين انه حال فرقاته في يوم بدر وغيره لكيلا تبقى حسرة في قلبه
فقد كان فيه من بلغ في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم مبلغا عظيما بقوله تعالى ولا تحسبن
الذين كفروا سبقوا اي خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون الله اي لا يفوتونه
بهذا السبق في الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الاخرة بهذا النار وفيه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منه فاعلمه الله تعالى انهم لا يعجزونه
وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولما بين امر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شر
الدواب عند الله الكفار بين الطريق الذي به يتمكن من قتالهم وهو الاعداد لهم فقال تعالى
واعدوا لهم اي لقتالهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة اليه وفي
المراد بالقوة اقوال الاول الرمي وقد جاءت مفسرة به عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه
عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر واعدوا لهم ما
استطعتم الا ان القوة الرمي ثلاثا اخرجه مسلم وعن ابي اسيد رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين صففنا لقريش وصفوا لنا اذا كثبوكم فعليكم
بالنبل وفي رواية ليس من اللهو محمود الا ثلاثة تاديب الرجل فرسه وملاعبته اهله ورميه
بقوسه اي نبله فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعدما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها
او كفرها اخرجه الترمذي والثاني انها الحصون والثالث انها جميع الاسلحة والالات التي
تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم وقوله تعالى ومن رباط الخيل مصدر بمعنى حبسها

في سبيل الله سواء كانت ذكورا او اناثا وقال عكرمة المراد الاناث وروي عن خالد بن الوليد انه
قال لا يركب في القتال الا الاناث لغلة صهيلها وعن ابي محيريز انه قال كانت العرب تستحب
ذكور الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات وقيل ربط الخيول اولى لانه
اقوى على الكر والفر ويدل للاول ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من احبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعوده فان شبعه وريه
وبوله وروثه في ميزانه يوم القيامة انه يعني حسناته وعن عروة البارقي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة الاجر والمغنم
وسيل صلى الله عليه وسلم عن الحمر فقال ما انزل علي فيها الا هذه الاية الجامعة الفاذة فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ترهبون اي تخوفون به اي بذلك
القوة وبذلك الرباط عدو الله وعدوكم اي الكفار اذا علموا ان المسلمين متاهبون
للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع الاسلحة والالات للحرب واعداد الخيل مربوطة للجهاد
خافوهم فلا يقصدون دخول دار الاسلام بل يصيرون تلك سببا لوخول الكفار في الاسلام
وبذل الجزية للمسلمين وترهبون اخرين من دونهم اي غيرهم وهم المنافقون لقوله تعالى
لا تعلمونهم لانه معلم يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم الله يعلمهم اي انهم منافقون
فان قيل المنافقون لا يخافون لحث القتال فكيف يوجب ما ذكر الارهاب اجيب
بان المنافقين اذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة الانهم واسلحتهم كان ذلك مما يخوفهم ويقطع
طمعهم من ان يصيروا غالبين فيحملهم ذلك على ان يتركوا الكفر من قلوبهم وبواطنهم ويصيروا
مخلصين في الايمان وقيل هم اليهود وقيل الفرس وما تنفقوا من شيء وان قل في سبيل الله
اي طاعته جهاد كان او غيره يوف اليكم قال ابن عباس اجره ان لا يضيع في الاخرة اجره ويعجل
الله عوضه في الدنيا وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون من الثواب وليما سيل ابن عباس عن
هذا التفسير تلا قوله تعالى انت الكلها ولم تظلم منه شيئا وليما بين تعالى ما يرهب به العدو
من القوة والاستظهار بين جواز الصلح بقوله تعالى وان جنحوا اي مالوا للسلم اي الصلح
فاجنح اي مل لها وعاهدهم وتانيث الضمير في لها لحمل السلم مع انه مذكر على ضده وهو الحرب
قال الشاعر السلم تاخذ منها ما رضيت به ... والحرب يكفيك من انقاسها جرع
قال ضمير السلم في تاخذ حمل على ضده وهو الحرب وعن ابن عباس هذه الاية منسوخة
بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله وعن مجاهد بقوله تعالى فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وقال غيرهما الصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح

الاسلام

الاسلام واهله من حرب او سلم وليس يحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وهذا ظاهر
وقرا شعبة بكسر السين والباقون بالفتح وتوكل على الله اي فوض امرك اليه فيما عقد له
معهم ليكون كافيا لك في جميع احوالك انه هو السميع لاقوالهم فهو يسمع كل ما يريدونه
في ذلك وفي غيره بكل سمعه علانية العليم بنياتهم فهو يعلم كلما اضمروه بحيث انه يعلم كلما
اعلنوه وان يريدوا اي الكفار ان يخدعوك اي باظهار الصلح ليستعدوا لك فان حسبك
اي كافيك الله هو الذي ايدك بنصره في سايار ايامك فان امر النبي صلى الله عليه وسلم مر اول
حياته الى وقت وفاته كان امرا الهيا وتدبيرا علويا وملكا لكب الخلق فيه موكل ايدك
بالمومنين اي الانصار فان قيل فاذا كان الله تعالى ايده بنصره فاي حاجة مع نصره تعالى الى المومنين
اجيب بان التاييد ليس الا من الله تعالى ايدا لكنه على قسمين احدهما ما يحصل من غير
واسطة اسباب معلومة معتادة والثاني ما يحصل بذلك فالاول هو المراد من قوله تعالى ايدك
بنصره والثاني هو المراد من قوله تعالى وبالمومنين والله تعالى هو مسبب الاسباب وهو الذي قاسهم
بنصره ثم بين تعالى كيفية ايده بالمومنين بقوله تعالى والف اي جمع بين قلوبهم وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم بعث الى قوم انتهم شدة بوته وحميتهم وعظيمة حتى لو ان رجلا من هذه
قبيلة لطم لطمة واحدة قاتلت عنه قبيلته حتى يتركوا اثاره ثم انهم انقلبوا على عن تلك
الحالة حتى قاتل الرجل اباه واخاه وابنه واتفقوا على الطاعة وصاروا انصارا وعادوا
فازالة تلك العداوة الشديدة وتبديلها بالمحبة القوية مما لا يقدر عليها الا الله تعالى
وصارت تلك معجزة ظاهرة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا قال تعالى لو انفقت
ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اي تناهت عداوتهم الى حد لو انفق في اصلاح
ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والصلاح بينهم ولكن الله الف بينهم
بقوة البالغة فانه تعالى اله الملك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه اي الله تعالى عزيز اي غالب على
امره لا يعصى عليه ما يريد حكيم لا يخرج شيء عن حكمته وقيل الاية في الاوس والخزرج كان
بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك تعدادهم واياهم فانعم الله تعالى ذلك والف بين قلوبهم
بالاسلام حتى تصادقوا وصاروا انصارا وما ذاك الا بتطيق صفته وبليغ قدرته يا ايها
النبي حسبك اي كافيك الله فان قيل هذا مكرر اجيب بانه تعالى لما وعده بالنصر عند
مخادعة الاعداء وعده بالنصر والظفر في هذه الاية مطلقا على جميع التقديرات فلا يلزم من حصول
الكل ارادة المعنى في الاية الاولى ان اراد وا خداعك كفاك الله تعالى امرهم والمعنى في هذه
الاية عام في كل ما يحتاج اليه في الدين وقوله تعالى ومن اتبعك من المومنين اما في محل نصب

على المفعول معه كقول الشاعر ... فكيف والصحاك سيف منتضى ... يروى الضحاك بالنصب
على انه مفعول معه والمعنى كفاك وكفى اتباعك المؤمنين الله ناصرا الاية نزلت بالبدوا
في غزوة بدر قبل القتال وعن سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة رجلا وستة نسوة ثم اسلم عمر فتم الله تعالى به الاربعين فنزلت هذه الاية يا ايها النبي حرض
المؤمنين اي حثهم على القتال للتفاوت بينهما في اللغة كالتخصيص وهو الحث على الشيء
ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
الفا من الذين كفروا وهذا اخبر بمعنى الامر اي ليقاتل العشرون منكم المائتين والمائة
الالف قتال عشرة امثالكم تنبيه تقييد ذلك بالصبر يدل على انه تعالى انما اوجب هذا
الحكم الا بشرط كونه صابرا قادرا على ذلك وانما يحصل هذا الشرط عند حصول اشياء منها
ان يكون شديد الاعضاء قويا جلدا ومنها ان يكون قوي القلب شديد البأس شجاعا غير حيران
ومنها ان يكون غير متحرف للقتال او متحيزا الى فئة فان الله تعالى استثنى هاتين الحالتين في
الايات المتقدمة فعند حصول هذه الشروط كان يجب على الواحد ان يثبت للعشرة
فان قيل حاصل هذه العبارة المطولة ان الواحد يثبت للعشرة فما الفايدة في العدول الى
هذه العبارة المطولة اجيب بان هذا انما ورد على وفق الواقعة فكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبعث السرايا والغالب ان تلك السرايا ما كان ينقص عددها عن
العشر في وما كانت تزيد على المائة فلهذا المعنى ذكر الله تعالى هذين القدرين وقرا نافع
وابن كثير وابن عامر بالتاء على التانيث والباقون بالياء على التذكير بانهم اي بسبب انهم
قوم لا يفقهون اي جهلة بالله تعالى واليوم الاخر فلا يقاتلون الطلب ثواب وخوف عقاب
انما يقاتلون حمية فاذا صدقتموهم في القتال لا يثبتون معكم وكان هذا يوم بدر فرض الله
تعالى على الرجل الواحد من المسلمين قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المؤمنين قال مطا
عن ابن عباس لما نزل التكليف بهذه الاية صار المهاجرون وقالوا يا رب خذ جياع وعرا
جياع وعطاشا في غربة وعدونا في اهليهم وخذ فواخر جنا من ديارنا واموالنا وعدونا اليس
كذلك فنسخها الله تعالى بقوله تعالى الان خفف الله عنكم ايها المؤمنون وعلم ان فيكم ضعفا
اي في قتال الواحد للعشرة فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم
الف يغلبوا الفين منهم باذن الله اي بارادته فردوا من العشرة الى اثنين فاذا كان المسلمون
على قدر النصف من عددهم لا يجوز ان يفروا وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة
والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله تعالى عنهم وقال ابن عباس

رضي الله

رضي الله عنهما ايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والله مع الصابرين
بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون قال سفيان بن عيينة وامري الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
مثل ذلك وتزل لها اخذوا الفواحش اسري بدر كان اي ما صنع وما استقام لنبي ان تكون
له اسرى قرا ابو عمرو بالتاء على التانيث والباقون بالياء على التذكير حتى يثخن في الارض
اي يكثر قتل الكفار ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويتولى اهله
لان الملك والدولة انما تقوى وتشد بالقتل قال الشاعر ... لا يلبث الشر الرفيع الاذي ... حتى يراق على جوانبه الدم ...
روي انه صلى الله عليه وسلم اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم
وعقيل بن ابي طالب فاستشارهم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم
لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم الفدية تقوي بها اصحابك فقال عمر رضي الله عنه كذبوك
واخرجوك قدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن
عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان نسيب له فنضرب اعناقهم وقال
عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظروا وديا كثيرا الحطب فادخلهم فيه ثم اضرم عليهم نارا
فقال له العباس قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ثم دخل
فقال ناس ياخذ بقول ابي بكر وقال ناس ياخذ بقول عمر وقال ناس ياخذ بقول ابن رواحة
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين القلوب برجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم
قال من تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عيسى في قوله وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم ومثل عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا ومثل موسى حيث قال ربنا اطمس على اموالهم ومثلك يا عمر مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى قوله الى بكم روي ان صلى الله عليه وسلم قال لهم يا ابا حفص وكان ذلك اول ما كناه الا من
ان قتل العباس فجعل عمر يقول ويل عمر ثكلته امه ثم قال لك صلى به انت اليوم غالة ولا
ولا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق فقال ابن مسعود الا سهيل بن عمرو فاني سمعته
يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد خوفي فما رايتني في يوم اخوف من
ان تقع علي الحجارة من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم
ان شيتم فتلتموهم وان شيتم فاديتموهم واستشهد منهم بعددهم فقالوا بل ناخذ الفداء
فاستشهد وا باحد وكان فداء الاسير عشرين اوقية والاوقية اربعون درهما فيكون

وكنت

مجموع ذلك الفا وستماية درهم وقال قتادة كان الفداء يومئذ لكل اسير اربعة الاف واربعة
الاف قال علي رضي الله عنه فلما كان من الغد جيئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
رضي الله عنه يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اي شيء تبكي انت وصاحبك فان وجدت
بكا بكيت وان لم اجد بكا تباكيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابكي على اصحابك في
اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه **تريدون** ايها
المومنون **عرض الدنيا** باخذ الفداء من المشركين وانما سمي منافع الدنيا عرضا لانها ثبات
لها ولا دوام وكانها تعرض ثم تزول ثم تر تحلا في منافع الاخرة **والله يريد الاخرة والله عزيز**
لا يقهر ولا يغلب **حكيم** اي لا يصدر منه فعل الا وهو في غاية الاتقان قال ابن عباس كان
هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله تعالى في الاسارى
فاما منا بعد واما فداء فخير الله تعالى نبيه والمومنين في امر الاسارى بالخيار ان شاءوا قتلوهم
وان شاءوا فادوهم وان شاءوا استعبدوهم اي هذه الاية نسخت تلك قال ابن عباس رضي الله
عنهما كانت الغنايم حراما على الانبياء والامم وكان اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان وكانت
تنزل نار من السماء فتاكله فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في الغنايم واخذوا فانزل الله تعالى
لولا كتاب من الله سبق اي لولا قضاء الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم الغنايم **لمسكم** اي لنالكم
فيما اخذتم اي من الفداء **عذاب عظيم** وقال الحسن ومجاهد لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب
احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق لم يكن من المسلمين احد الا وهو
احب الغنايم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الاسارى وسعد
بن معاذ قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقاء الرجال فقال صلى الله
عليه وسلم لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ روي لما نزلت
هذه الاية كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم ان ياخذوا من الفداء فنزلت **فكلوا مما غنمتم**
اي من الفداء فانه من جملة الغنايم **حلالا طيبا** فاحل الله الغنايم لهذه الامة وقال صلى الله
عليه وسلم احلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لم تحل الغنائم
لاحد قبلنا ثم احل لنا الغنايم ذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فحللها لنا فان قيل ما معنى
الفا في قوله تعالى فكلوا اجيب بانها سبب والسبب محذوف تقديره اجتمع لكم الغنايم
فكلوا ونحوه تنبه منه نزع ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة وحلالا حال من المغنوم
او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفايدة الزاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاية
ولذلك وصفه بقوله طيبا **واتقوا الله** في مخالفته **ان الله غفور** لعفرد نوبكم **رحيم** اباح لكم

ما اخذتم

ما اخذتم وقوله تعالى واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله تعالى ان الله غفور رحيم اشارة الى
الحال الماضية ولما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء من الاسارى وشاوروا اخذوا اموالهم منهم
ذكر الله تعالى هذه الاية امتنانا لانهم فقال عز من قايل **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى**
قرا ابو عمرو بضم الهمزة وسكون السين ولا الف بعدها واما الالف بعد الراء ابو عمرو وحمزة
والكسائي محضة وورش بين بين **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا** اي خلوص ايمان وصحة نية
يوتكم خيرا مما اخذ منكم اي الفدا قال ابن عباس نزلت في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن
الحارث كان العباس اسير يوم بدر وهو معه عشرون اوقية من الذهب اخرجها ليطعم الناس
فكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى اسر فقال العباس ايحسب
ما تذكره حقا فالله يجزيك واما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس وكلمة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يترك ذلك الذهب لي فقال اما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا فاخذ يحاسب
ابن اخي عقيل ابن ابي طالب عشرين اوقية ونوفل بن الحارث فقال العباس تركتني يا محمد
اتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين ما دفنته الى ام الفضل وقلت لها ان
وقلت لها ما ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حادث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
فقال العباس انا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه
احد الا الله ولقد وقعت البرمة في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فلما اخبرتني بذلك
فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا منه ذلك في الاسلام عشرون عبدا وان ادناهم ليضرب في هم
عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ورجو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا فتوضا لصلاة الظهر
وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما
اخذ مني وانا ارجو المغفرة من ربي يعني الوعدة بقوله تعالى **ويغفر لكم والله غفور رحيم**
فاختلف المفسرون في ان الاية نزلت في العباس خاصة او في جملة الاسارى وقال بعضهم انها نزلت
في الكل قال الرازي وهذا اولى لان ظاهر الاية تقتضي العموم من ستة اوجه احدها قوله تعالى
قل لمن في ايديكم من الاسارى وثانيها قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا وثالثها
قوله تعالى يوتكم خيرا وخامسها قوله تعالى مما اخذ منكم وسادسها قوله تعالى ويغفر لكم فدلت هذه
الالفاظ الستة على العموم فما الموجب للتخصيص اقصى ما في الباب ان يقال سبب نزول هذه الاية
هو العباس الا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب **وان يريدوا** اي الاسارى **خيانتك**
اي بما اظهروا من القول **فقد خانوا الله** بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعهد من قبل اي قبل بدر

فما مكن منهم بيدر قتلا فاسرا فليتوقوا مثل ذلك اي عادوا والله عليم اي في بواطنهم وضمائر
من ايمان وتصديق وخيانة حكيم اي بالغ الحكمة فهو يتقن كلما يريده فهو يوهن كيدهم
ويتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لا محالة وكذا فعل تعالى في ابن غزة الجمحي فانه سأل النبي صلى الله
عليه وسلم في المن عليه بغير شيء لفقره وعياله وعاهده على انه لا يظاهر عليه احدا
ثم خان وظفر به في غزوة حمراء الاسد عقب يوم احد اسيرا فاعتذر له وسأله في العفو عنه
فقال لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين وامر به فضربت عنقه ان الذين امنوا اي بالله
ورسوله وهاجروا اي فارقوا البحرة من بلاد الشرك وهم المهاجرون الاولون هجروا
اوطانهم وعشايرهم واحبابهم حبا لله تعالى ولرسوله وهاجروا صلى الله عليه وسلم وجاهدوا
اي اوقعوا الجهاد وهو بذل الجهد في توهين الكفر باموالهم وكانوا في غاية الغربة في اول
الامر وانفسهم باقدامهم على القتال مع شوكة الاعداء وكثرتهم وقدم المال لانه سبب قيام
النفس او باتفاقهم لها في الجهاد وتضييع بعضها بالهجرة من الديار والتحيل وغيرهما
واخر قوله تعالى في سبيل الله في ذلك وفي سبيبته اي جاهدوا لاجله حتى لا يصدر عنه
صادر يسهل المروءة فيه من غير قاطع والذين اووا اي منهاجر اليهم من النبي واصحابه
فاسكنوهم في ديارهم وقسموا لهم من اموالهم ورضوا عليهم ان يشركوا لهم عن بعض بيوتهم
ليتم وجوههن ونصروا اي الله ورسوله والمؤمنين وهم الانصار رضي الله عنهم حازوا هذين
الوصفين الشريفين فكانوا في الدرجة من تلك الجهتين ولكن المهاجرون الاولون اعلى
منهم لسبقهم في الايمان الذين هم رئيس الفضايل ولجملهم الاذى من الكفار زمانا طويلا
وصبرهم على مفارقة الاهل والاوطان واشار تعالى الى القسمين باداة البعد لعلو مقامهم فقال
اولئك اي العالو الرتبة بعضهم اولى ببعض اي دون اقاربهم من الكفار قال ابن عباس
في الميراث فكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوي
الارحام وكان من امن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة انقطعت الهجرة
وتوارثوا بالارحام حيث كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض في كتاب الله والذين امنوا ولم يهاجروا اي امنوا واقاموا بمكة ما لكم من ولايتهم من شيء
اي فلا ارث بينكم وبينهم ولا نصيب لهم في الغنيمة حتى يهاجروا اي الى المدينة وان استنصروكم
في الدين ولم يهاجروا فعليكم النصر اي فيجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فلا تنصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم والله بما تعملون بصير
في ذلك ترغيب في العمل بما حث عليه في الايمان والهجرة وغير ذلك مما تقدم وترهيب عن العمل

باضدادها

باضدادها وفي البصير اشارة الى العلم بما يكون من ذلك خالصا او مشوبا ففيه مزيد حث على
الاخلاص والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اي في النصرة لان كفار قريش كانوا معادين
لليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا وفي الميراث فيرث بعضهم بعضا
ولا ارث بينكم وبينهم الا تفعلوه اي ما امرتم به من التواصل بينكم وتوفي بعضكم لبعض حتى في الميراث
وقطع العلايق بينكم وبين الكفار تكن اي تحصل فتنة اي عظيمة في الارض بضعف الايمان
وقوة الكفر وفساد كبير في الدين ولما تقدمت انواع المومنين المهاجر والناصر والقاعد وذكر هم
احكام موالاتهم اخذ يبين تفاوتهم في الفضل بقوله تعالى والذين امنوا اي بالله ورسوله
وما اتى به وهاجروا في الله من يعادي نبيه سابقين وجاهدوا في سبيل الله بما تقدم من المال
والنفس وغيرهما بذلوا الجهد في ازلة الكفار ولم يذكر الة الجهاد لانها مع تقدم ذكرها
لازمة والذين اووا اي منهاجر اليهم ونصروا اي من حزب الله اولئك هم المومنون اي الكاملون
في الايمان حقا اي لانهم حققوا ايمانهم بتحقيق مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق ثم وعدلهم الموعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة اي لذلاتهم وهفواتهم لان
نبي الادمي على الجواز اللازم عنا التقصير وان اجتهد ولم يشأ والذين احد الاغلبه ولما
ذكر تطهيرهم بالمغفرة ذكر تزكيتهم بالرحمة بقوله تعالى ورزق اي من الغنايم وغيرها في الدنيا
والاخرة كريم لا تبعة ولا منة فيه ثم لحقهم في الامر في استحقاقهم وتيمم بسمتهم بقوله
تعالى والذين امنوا من بعد اي بعد السابقين الى الايمان والهجرة وهاجروا اي لاحقين للسابقين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم من هاجر بعد الحديبية فالاولى هي الهجرة الثانية وجاهدوا
معكم اي من تجاهدون منهم من حزب الشيطان فاولئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار
فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم من المواريث والمغانم وغيرها لان الموضع للجامع وهو المدار للاحكام
وان تاخرت رتبتهم عليكم بما افهمته اداة البعد واولوا الارحام اي ذوو القرابات بعضهم
اولى ببعض قال ابن عباس كانوا يتوارثون بالهجرة والاخاء حتى نزلت هذه الاية فبين الله
تعالى بها ان سبب القرابة اقوى واولى من سبب الهجرة والاخاء ونسخ بها ذلك التوارث وقوله
تعالى في كتاب الله اي في حكمه في اللوح المحفوظ او القرآن وتمسك اصحاب ابي حنيفة رحمه الله بهذه
على توريث ذوي الارحام واجاب عنه الشافعي رضي الله تعالى عنه بان لما قال في كتاب الله كان معناه
في حكم الله الذي بينه في سورة النساء فصارت هذه السورة مقيدة بالاحكام التي ذكرها في سورة النساء
في قسمة المواريث واعطاء اهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات فوجب ان يكون المراد من هذه
الاولوية ما ذكر فقط فلا يتعدى الى توريث ذوي الارحام ثم قال تعالى في ختم السورة ان الله بكل شيء عليم

ولعله المومنة

اي هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها لحكمة وثواب وصلاح وليس فيها شيء من العبث والباطل
لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب وتنظيره ان الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها وسفك الدما قال تعالى مجيبا لهم اني اعلم ما لا تعلمون اي علمتم بكوني عالما بكل المعلومات
فاعلموا ان حكمي يكون متوها عن الغلط كذا هنا وقول البيضاوي وفي بعض النسخ تبعا للزمخشري
وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال وبراة فانها تشفع له يوم القيامة وشاهداه
بوجه من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون
له ايام حياته في الدنيا حديث موضوع تفسير سورة التوبة مدنية الا اثنتين من
قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم وهي اخر ما نزلت وانها مائة وثلاثون وقيل تسعة وعشرون
وعدد كلماتها الفان واربعمائة وسبع وسبعون كلمة وحروفها عشرة الاف وثمانمائة وسبعة
وثمانون حرفا ولها عدة اسماء التوبة براة المثقشقة المبحوثة المبعثرة المنقرة المثيرة
الحافرة المخزية الفاضحة المنكلة المشردة المدمدمة سورة العذاب وانما سميت بذلك لما فيها
من التوبة للمومنين والتقشقة من النفاق ونفي البرء منه والبحث عن حال المنافقين
واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم ولم تكتب فيها
البسملة لانه صلى الله عليه وسلم لم يامر بذلك كما يوخذ من حديث رواه الحاكم واخرج فيها
عن علي ان البسملة امان وهي نزلت لرفع الامن بالسيف وعن حذيفة انكم تسمونها التوبة
وهي سورة العذاب وروى البخاري عن البراء انها اخر سورة نزلت وقيل كان صلى الله عليه وسلم
اذا نزل عليه سورة او اية بين موضعها فتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة
الانفال وتاليتها لها في الانفال ذكر العهود وقيل براة تبذها فضمت اليها قال القاضي ولا
يبعد ان يقال انه عليه الصلاة والسلام لم يبين كون هذه السورة تالية لسورة الانفال
لان القران مرتب من قبل الله تعالى ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي نقل ولو
جوزنا في بعض السور ان لا يكون ترتيبها من الله تعالى على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر
السور في اية السورة الواحدة وذلك يوجب عن كونه حجة بل الصحيح انه عليه الصلاة
والسلام امر بوضع هذه السورة بعد سورة الانفال وحيا وانه عليه الصلاة والسلام حذف
بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحيا والقول بان قصتها شابه قصتها وتناسبها
فضمت اليها انما يتم اذا قلنا انهم انما وضعوا هذه السورة من قبل انفسهم لهذه العلة
وقيل ان الصحابة رضي الله عنهم اختلفوا في ان سورة الانفال وسورة براة سورة واحدة
ام سورتان فقال بعضهم هما سورة واحدة لان كلتيهما نزلت في القتال ومجموعهما هو السورة

السابقة من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون لانها معادلتان وستا ايات فهما بمنزلة
سورة واحدة وفيهم من قال سورتان فلما ظهر الاختلاف من الصحابة في هذا تركوا بينهما
فرجة تنبيها على قول من يقول هما سورة واحدة وقال بعض اصحاب الامام الشافعي
لعل الله لما علم من بعض الناس انهم ينازعون في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القران ايمان
لا تكتبوها هنا فيدل ذلك على كونها اية من كل سورة وقيل غير ذلك والصحيح من هذه الاقوال
ما ذهب اليه القاضي حسبان القران مرتب من قبل الله ومن قبل رسوله صلى الله عليه وسلم
على الوجه الذي نقل وانه صلى الله عليه وسلم حذف بسم الله الرحمن الرحيم من هذه السورة وحيا
وانما ذكرت هذه الاقوال تنبيها للاذهان وقوله تعالى براة خبر مبتدا محذوف اي هذه براة
وقوله تعالى من الله ورسوله من ابتدائية متصلة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله
ويجوز ان يكون براة مبتدا للتخصيص بها والخبر الى الذين عاهدتم اي اوقعتم العهد بينكم
وبينهم من المشركين اي وان كانت معاهدتكم لهم انما كانت باذن من الله ورسوله فكانها
فعلتم المعاهدة باذنهما فافعلوا النقض تبعا لهما ودل سياق الكلام وما حوله من وضع
الامر انتظام ان العهد انما هو لاجل المومنين واما الله ورسوله فغنيان عن ذلك اما
الله فبالنص المطلق واما الرسول صلى الله عليه وسلم فبالذي اختاره للرسالة لانه ما فعل ذلك
الا وهو قادر على نصره بسبب وبغير سبب روي انه صلى الله عليه وسلم لما اخرج الى تبوك
كان المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله تعالى بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سواء الاية ونقض العهد بما ذكر في قوله تعالى فسيحوا اي سيحوا امنين
ايها المشركون في الارض اربعة اشهر لا يتعرض لكم فيها ولا امان لكم بعدها وكان ابتداء هذه
الاشهر يوم الحج الاكبر وانقضاؤها الى عشر من ربيع الاخر وقال الازهري هي شوال وذو
القعدة وذو الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل في ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع
الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم
او على التغليب لذي الحجة والمحرم منها قال النحوي والاول هو الاصوب وعليه الاكثرون
انتهى وقيل العشر من ذي القعدة الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان
في ذلك الوقت للنسي الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية من ذي الحجة وكان نزولها في سنة
تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه فاقتدى ابو العضباء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليقراها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يودي عني الا رجل مني فلما
دنى علي من ابي بكر سمع ابو بكر الدعا فوقف وقال هذا دعانا قة رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصل العضباء المشقوقة الاذن ولم تكن ناقته صلى الله عليه وسلم كذلك ولكن كان ذلك
علما عليها والرعاة لا يصون ذوات الحق قاله الجوهري فلما لحقه قال امير او مامور وروي ان ابا
بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل وقال يا محمد لا يبلغ رسالتك الا رجل منك فارسل
عليا فرجع ابو بكر وقال يا رسول الله اشيء نزل قال نعم فسر انت على الموسم وعلي ينادي باداء
فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال ايها الناس اني رسول الله اليكم فقالوا بما نا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين اية وعد مجاهد
ثلاثة عشر ثم قال امرت بار بع اي بان اخبر وانادي بها ان لا يقرب البيت بعد هذا العام
مشرك ولا يطوف به عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مومنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
فقالوا عند ذلك ابلغ ابت عمك انا قد نبذنا العهود وراظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد
الا الطعن بالرماح وضرب بالسيف ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع فان قيل
قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يودي عنه كيلا او لم يكونوا من عترته اجيب
بان هذا ليس على العموم بل مخصوص بالعهود لان القرب عادة انما لا يتولى العهد وعقده
على القبيلة الا رجل منها لا قارب فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا
من نقض العهود فربما لم يقبلوا فان يحتج عليهم بتوليته عليا ذلك ويدل على ذلك ما في
بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي وقيل انما خص ابو بكر بتوليته
الموسم حض عليا بهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب وقيل قرر ابو بكر على الموسم
وبعثه عليا خليفة لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى هم
تنبيه على علي امامة ابي بكر فان قيل ما وجه الطباق اكثر العلما على جواز مقاتلة المشركين
في الاشهر الحرم وقد صانه الله تعالى عن ذلك اجيب بانهم قالوا قد نسخ وجوب الصيانة
وابيح قتال المشركين فيها واعلموا انكم غير معجزي الله اي لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي
الكافرين اي مذلهم في الدنيا بالقتل والاسر وفي الاخرة بالعذاب واذان اي اعلام واقع من الله
ورسوله الى الناس اي الاذان في اللغة الاعلام وعند الاذان للصلاة فانه اعلام بوقتها ثم استعمل
كل رفع براة على الوجهين فان قيل لم علقت البراة بالذين عاهدوا من المشركين وعلق
الاذان بالناس اجيب بان البراة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم واما الاذان فعام
لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث منا المعاهدين ومن لم ينكث يوم الحج الاكبر

اي يوم

اي يوم عيد النحر لان فيه معظم افعاله من طواف ونحر وحلق ورمي يقع فيه ولان الاعلام كان
فيه ورمي انه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر يعين الجمرات في حجة الوداع فقال اي يوم هذا
فقالوا يوم النحر فقال هذا يوم الحج الاكبر وروي ان عليا خرج يوم النحر على بغلة بيضا
يريد الجبانة فاذا رجل فاخذ بلجام دابته وساله عن يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل
سبيلها وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم عرفة وقيل ايام مني كلها الان اليوم قد يطلق
ويراد به الحين والزمان كقوله يوم صفين ويوم الجمل الان الحرب دائمة في هذه الايام ويطلق
عليها يوم واحد وقيل هو الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اجتمع فيه حج
المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده
ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وانما قيل لها الاصغر لتقصان اعمالها عن الحج
وقيل وصف بذلك لموافقته حج النبي حجة الوداع وكان ذلك اليوم وصف بذلك لاجتماع اعياد
الملل في ذلك اليوم وقيل لانه تظاهر فيه عز المسلمين وذل المشركين وقوله تعالى ان الله بري من
المشركين اي من عهودهم فيه حذف تقديره واذان من الله ورسوله بان الله بري من المشركين
وانما حذف للجار لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى ورسوله مرفوع على انه مبتدا حذف خبره اي
ورسوله كذلك وحكي ان اعرابيا قدم في زمن عمر فقال من يقرئني مما انزل الله على محمد صلى الله
عليه وسلم فاقرأه رجل براة فقال ان الله بري من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابي وقد
بري الله من رسوله ان يكن الله بري من رسوله فانا بري منه فبلغ عمر مقالة الاعرابي فدعاه فسأله
فاخبره بذلك فقال عمر اجر هكذا يا اعرابي فقال فكيف هي يا امير المومنين ان الله بري من المشر
كين
ورسوله بالرفع فقال واناوالله ابرا مما برئ الله ورسوله منه فامر عمر ان لا يقرا القران الا عالم
باللغة وامر ابا الاسود الدولي فوضع النحو فان تبتم اي عن الكفر والغدر فهو اي ذلك الامر
العظيم وهو المتاب خير لكم اي من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع
عن الشرك الموجب لدخول النار وان توليتم اي اعرضتم عن الايمان والتوبة من الشرك
فاعلموا انكم غير معجزي الله وذلك وعيد عظيم واعلام بان الله تعالى قادر على انزال اشد
العذاب بهم كما قال تعالى وبشر الذين كفروا بعذاب اليم اي مولم وهو القتل والاسر في الدنيا
والنار في الاخرة ولفظ البشارة هنا ورد على سبيل الاستهزا كما يقال
لمجتهم الضرب واكرامهم الشتم وقوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين استثنا من المشركين
وهم بنو ضمرة صوبه من كنانة امر الله تعالى رسوله باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم
تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقصوكم شيا قال تعالى ثم لم ينقصوكم شيا اي من عهودكم التي

عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا اي ولم يعاونوا عليكم احدا من عدوكم فاتموا اليهم عهدهم
الى مدتهم اي الى انقضائها ولا تجروهم مجرى الناكثين وقوله تعالى ان الله يحب المتقين تعليل
وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ اي انقضى وخرج الاشهر الحرم
الله عليهم فيها قتالهم وضربت اجلا لسياحتهم والتعريف مثله في فارسلنا الى فرعون رسولا
فعصى فرعون الرسول والمراد كونها حرما ان الله تعالى حرم القتل والقتال فيها وقيل هي رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم قاله البيضاوي وهذا يخل بالنظم اي نظم الاية اذ نظمها يقتضي
تواني الاشهر المذكورة فاقتلوا المشركين اي الناكثين الذين ضربتم لهم هذا الاجل اي هو
بالامر بقتلهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم اي بالحبس عن اتيان المسجد
الحرام والتصرف في بلاد الاسلام في القلاع والحصون حتى يضطروا الى الاسلام او القتل هو
واقعدوا لهم اي لاجلهم خاصة فان ذلك من افضل الاعمال كل مرصد اي طريق يسلكونه
ليلا يبسطوا في البلاد وانتصاب كل على الظرف فيه كقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقيل بنزع
الخافض قال الحسن بن الفضل نسخت هذه الاية كل اية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على
اذى الاعداء فان تابوا اي عن الكفر بالايمان واقاموا الصلاة واتوا الزكاة بقدميناقتهم
وايمانهم فوصلوا ما بينهم وبين الخالق وما بينهم وبين الخلق فخلوا سبيلهم اي فدعوهم ولا
تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفي هذه الاية دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى
سبيله لانه ان كان جاهدا الوجوب فهو مرتد والاقتل بترك الصلاة واخذت منه الزكاة قهرا
وقوتل على ذلك كما نقل عن ابي هريرة انه قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف ابو بكر
كفر من كفر من العرب قال عمر لابي بكر رضي الله عنهما كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله فمن قال لا اله الا الله فقد
عصم مني ماله ونفسه الا بحقها وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لا قاتلن من فرق بين الصلاة
والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي رواية عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر
فوالله ما هو الا ان رايت الان الله قد شرح ابي بكر الى القتال فعرفت انه الحق ان الله غفور اي بليغ
المحو للذنوب التي تاب صاحبها عنها رحيم به وان احد من المشركين اي الذي امرت بقتالهم استجارك
اي طلب ان تعامله في الاكرام معاملة المجار لاجل انقضاء مدة السياحة فاجره اي فامنه ودافع عنه
من يقصده بسوء حتى يسمع كلام الله اي القرآن بسماع التلاوة الدالة عليه فيعلم بذلك ما يدعى اليه
من المحاسن وتحقق انه ليس من كلام المخلوق ثم ان اراد الانصراف ولم يسلم ابلغه ما منه اي الموضع الذي

يأمن فيه

يأمن فيه وهو دار قومه ينظر في امره ثم بعد ذلك يجوز لك قتلهم وقتالهم من غير عذر ولا خيانة قال
الحسن رضي الله تعالى عنه هذه الاية محكمة الى يوم القيامة تنبيه احد مرفوع بفعل مضمر يفسره
الظاهر وتقديره وان استجارك احد ولا يجوز ان يرتفع بالابتداء الان ان من عوامل الفعل فلا
تدخل على غيره ذلك اي الامر بالاجارة للغرض المذكور بانهم اي بسبب انهم قوم لا يعلمون اولا علم
لهم لانهم لا عهد لهم بنبوة ولا رسالة ولا كتاب فاذا علموا او شك ان ينفعهم العلم وقوله تعالى
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام معناه التعجب اي لا يكون لهم عهد عند الله
ولا عند رسوله وهم يغدرون وينقضون العهد الا الذين عاهدتم اي من المشركين عند المسجد
الحرام يوم الحديبية وهم المستثنون قيل فما استقاموا لكم اي اقاموا على العهد ولم ينقضوه
فاستقيموا لهم اي على الوفاء وهو قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير انه مطلق وهذا
مقيد وما تحمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين اي من اتقى نبوه في بعده لمن عاهده
وقد استقام صلى الله عليه وسلم على عهدهم حتى نقضوا باعانة بني بكر على خزاعة وقوله تعالى
كيف تكرار للاستبعاد بشبات المشركين على العهد وخلق الغدر لكونه معلوما اي كيف يكون لهم
عهد ثابت وان اي والحال انهم مضمرون لكم الغدر والخيانة فهم ان يظهروا عليكم اي يعلموا امركم
على امركم بان يظفروا بكم بعد العهد والميثاق لا يرقبوا اي لا يراعوا فيكم اي في اذاكم بكل جليل
وحقير الا اي قرابة محققة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كما ال السقب من رأل النعام
السقب ولد الناقة والرأل ولد النعامة والخطاب في لعمرك لابي سفيان اي لقرابة بينك وبين
قريش كما ان قرابة بين ولد الناقة وولد النعام وقيل الا الله وقيل جبريل ولا ذمة اي عهدا بل
يعد وكم ما استطاعوا وقوله تعالى يرضونكم بافواههم اي بكلامهم كلام مبتدأ في وصوفهم
من حيث اللفظ الظاهر الباطل مغتر لاستجلاب الثبات معهم على العهد وتابى قلوبهم ايمانها وفاءه
لهن حيث اللغة ما فيها من الامتنان واكثرهم فاسقون اي راسخون الاقدام في الفسق فان قيل
الموصوف بهذه الصفة كفار والكفر اقبح والخبث من الفسق فكيف يحسن وصفهم بالفسق في
معرض المبالغة في الذم وابقه الكفار كلهم فاسقون فلا يبقى لقوله واكثرهم فائدة اجيب بان
الكافر قد يكون عدلا في دينه فلا ينقض العهد وقد يكون فاسقا خبيث النفس في دينه فينقضه فالمراد
بالفسق هنا نقض العهد وكان في المشركين من وفى بعهده فلهذا قال واكثرهم ايمان هؤلاء الكفار الذين
من عادتهم نقض العهد اكثرهم فاسقون في دينهم وعند اقوامهم وذلك يوجب المبالغة في الذم
وقال ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض اولئك الكفار قد اسلم وتاب فلهذا السبب قال واكثرهم فاسقون
حتى يخرج عن هذا الحكم اولئك الذين دخلوا في الاسلام اشتروا اي استبدلوا بايات الله اي القرآن

ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا من الدنيا وهو اتباع الاهواء والشهوات مع مصاحبة الكفر وذلك
ان ابا سفيان بن حرب الهم حلفاء وتوك حلفا النبي صلى الله عليه وسلم فنقض العهد الذي بينهم بسبب
تلك الاكلة فصدوا اي فبسببهم ذلك ادام الله الى ان صدوا عن سبيله اي منعوا الناس من الدخول
في دينه انهم ساء اي بئس ما كانوا يعملون اي علمهم هذا وما دل عليه قوله تعالى لا يرقبون في مومن الا
ولا ذمة فهو تفسير لما تكرر وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود
والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان فاولئك هم المعتدون اي هم لا غيرهم الذين تعدوا ما حد الله لهم في دينه وما يوجبه العقد والعهد ولما بين تعالى حالهم نهى عن مثل حالهم فقال لا يرقبون في الله
الا ولا ذمة وينقض العهد وينطوي على النفاق ويتعدى ما حد الله تعالى له بين ما يصيرون به
من اهل دينه بقوله تعالى فان تابوا اي رجعوا عن الشرك الى الايمان ونقض العهد الى الوفاء به
واقاموا الصلاة اي المفروضة عليهم طيبة نفوسهم فاخوانكم اي منهم اخوانكم في الدين لهم
ما لكم وعليهم ما عليكم وقوله تعالى ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما فصل
من احكام المعاهدين وخصال التائبين وان نكثوا اي نقضوا ايمانهم اي عهودهم من بعد عهدهم
الذي عاهدوكم عليه ان لا تقاتلوكم ولا يظاهر ولا عليكم احدا من اعدائكم وطعنوا في دينكم اي وعابوا
دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه فقاتلوا ائمة الكفر اي الكفار برؤسهم وانما خص الائمة منهم بالذكر
لانهم هم الذين يخوضون الاتباع منهم على هذه الاعمال الباطلة وقال ابن عباس نزلت في ابي سفيان بن حرب
والحارث بن هشام وابي جهل وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهودهم وهموا باخراج الرسول
وفيه وضع الظاهر موضع المضمر وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وبتسهيل الهمزة الثانية الكسائي
وحققها الباقون وقول البيضاوي والتصريح بالياء تبع فيه الكشاف والتابع للقراء وهو مردود
فالجمهور من النحاة والقراء على جواز قلب الهمزة الثانية حرف لين فبعضهم على جعلها بين بين
وبعضهم على قلبها ياء خالصة وقوله تعالى انهم لا ايمان لهم قرا ابن عامر بكسر الهمزة اي لا تصدقوا
لهم ولا دين وليس في ذلك دلالة على ان توبة المرتد لا تقبل والباقون بالفتح جمع يمين اي لا ايمان
لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان والا لما طعنوا في دينكم ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي
اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده اي ان شرط ذلك عليه كما هو مذهبنا وتمسك ابو حنيفة
رحمه الله تعالى بهذا على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله تعالى يمينهم منعقدة
ومعنى هذه الاية عنده انهم لما لم يوفوا بها صارت ايمانهم كانها ليست بايمان والدليل على
ان يمينهم منعقدة ان الله تعالى وصفها بالنكث في قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم ولو لم تكن منعقدة
لما صح وصفها بالنكث وقوله تعالى لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد

ما وجد منهم من العظايم ان ينتهوا عما هم عليه من الكفر والطعن في دينكم والمظاهرة عليكم وهذا في
غاية كرم الله تعالى وفضله على الانسان وليس الغرض ايصال الاذية لهم كما هو طريقة الموحدين
ولما قال تعالى فقاتلوا ائمة الكفر اتبعه بذكر ثلثة اسباب تبعثكم على مقاتلتهم كل واحد منها
يوجب مقاتلتهم لو انفرد فكيف بها مجتمعة احدها ما ذكره تعالى بقوله الا تقاتلون قوما
نكثوا ايمانهم اي نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عقد الصلح بالحديبية واعانوا بني
بكر من الكفار ليكون ذلك زجرا لغيرهم وثانيها قوله تعالى وهموا باخراج الرسول من مكة هم
حين اجتمعوا في دار الندوة على ما ذكرنا في قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا
عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهذا من اكوم ما يجب القتال لاجله وثالثها قوله تعالى وهم
بدوكم اي بالقتال اول مرة اي هم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جاءهم بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم منهم
البادون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تقصدوهم باشد مما يصدرون
وبجهم الله تعالى بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها وتقرر ان من كان في مثل
صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبداءة بالقتال من غير موجب حقيق بان لا يترك هذه
معاداته وان يوجف من فرط فيها تخشونهم اي تخافون منهم ايها المومنون فتتركون قتالهم فالله
احق ان تخشوه فقاتلوا اعداه ان كنتم مومنين اي مصدقين بوعد الله ووعيده لان مقتضى
الايمان الصحيح ان لا يخشى المومن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله
ولما وبخهم الله تعالى على ترك القتال جرد له الامر به بقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم اي هم
بالقتل والاسر واغتنام الاموال فان قيل قد قال تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فكيف قال تعالى
هنا يعذبهم الله بايديكم اجيب بان المراد بالعذاب في الاية الاولى عذاب الاستيصال وبهذه
الاية القتل والاسر والفرق ان عذاب الاستيصال قد يتعدى الى غير المذنب وانه في حقه مزيد
الثواب وعذاب القتل مقصور على المذنب وهذا كالتصريح بان هذا الفعل وما عطف عليه
فعله تعالى ان كان جاريا على ايدي العباد كسبا لا يرد على ذلك انه لا يقال يعذب الله المومنين
بايدي الكافرين لان ذلك انما امتنع لشناعة العبارة كما لا يقال يا خالق القاذورات
والابوال والعذرات وان كان هو الخالق لها ويخزهم اي بالاسر والقتيلة في الدنيا والعذاب في الاخرة
وينصركم عليهم اي يمكنكم من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مومنين اي طايفة
من المومنين وهم خزاعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبا قوم ا
مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا

اليه فقال ابشر وافان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم اي كربها ووجدها وقد وفى الله تعالى بما
وعد والاية من المعجزات وقوله تعالى ويتوب الله على من يشاء استيناف اي الله تعالى يهدي من يشاء الى
الاسلام كما فعل بابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فهؤلاء كانوا
من ائمة الكفر ورؤسا المشركين ثم من الله تعالى عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا وحسن اسلامهم
والله عليم اي يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان فهو عليم بكل شيء فيعلم من يصلح للتوبة ومن لا يصلح
لها ويعلم ما في قلوبكم من الاقوام والاجرام حكيم اي احكم جميع اموره ام حسبتم اي ظننتم ان
تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد ولا تمتحنوا لتظهر الصادق من الكاذب والخطاب للمؤمنين حين كره بعضهم
القتال وقيل للمنافقين وام بمعنى همزة الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اي علما
ظاهرا تقوم به الحجة عليكم في مجازاتي عاداتكم على مقتضى عقولكم بان يقع الجهاد في الواقع بالفعل
وعبر تعالى بالماضي دون لم لدلالة التمام استغراق الزمان على ان تبين ما بعدها متوقع كائن وقوله
تعالى ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة عطف على جاهدوا داخل في حيز الصلة
كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة
فعيلة من ولج كالوخيلة من دخل وهي البطانة من المشركين يتخذونهم يفشون اليهم اسرارهم
وقال قتادة هي الخيانة وقال عطا هي الاولياء والله خبير بما تعملون من موالاة المشركين وغيرها
فيجازيكم عليه قالت عائشة رضي الله عنها لعباس يوم بدر غيره المسلمين بالكفر وقطيعة الرحم وغلظت
علي رضي الله عنه القول فقال العباس ما لكم لا تذكرون محاسننا فقال له علي
وهل لكم محاسن قال نعم نحن افضل منكم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني
يعني الاسير فانزل الله تعالى ردا على العباس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله اي ما ينبغي للمشركين
ان يعمروا مساجد الله بدخوله والقعود فيه وخدمته فاذا دخل بغير اذن مسلم عذروا ان دخل باذنه
لم يعذروا لان لا بد من حاجة فيشترط للجواز الاذن والحاجة ويدل على جواز دخول الكافر المسجد بالاذن
لان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية من سواري المسجد وهو كافر وذهب جمهور العلماء
الى ان المراد منه العمارة المعروفة من بناء المسجد وترميمه عند خرابه فيمنع منه الكافر وقرابة كثيرة
وابو عمرو يكون الياء والباقون بعدها على التوحيد وفي هذا دلالة على ان المراد المسجد الحرام
والباقون بفتح الياء والف بعدها على الجمع وفيه دلالة على ان المراد جميع المساجد وقيل
المراد على القراءتين المسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع
وقوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر حال من الواو في يعمروا اي ما استقام لهم ان يجمعوا بين
امرين متنافيين عمارة مساجد الله مع الكفر بالله وبعبادته وشهادتهم على انفسهم

بالكفر

بالكفر ظاهرا وكفرهم قال الحسن لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شاهد عليهم وعن ابن
عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان نساء قريش كانوا نصبوا
اصناما حول البيت وكانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف بثياب قد عملنا فيها
المعاصي وكلما طافوا اسبوعا سجدوا للاصنام فلم يزدادوا الا بعدا وقيل هو قولهم
لبيك لا شريك لك الا هو شريك لك تملكه وما ملك وقال السدي شهادتهم على انفسهم
بالكفر هو ان النصراني يسأل هل انت فيقول نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول
مشرك اولئك حبطت اي بطلت اعمالهم اي الاعمال التي عملوها من اعمال البر وافتخروا بها مثل
العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة لانها مع الكفر لا تأثير لها وفي النار هم خالدون
لجعلهم الكفر مكان الايمان واحتج اصحابنا بهذه وبحيين الاول قوله تعالى وفي النار هم خالدون
بقيد الحصر اي هم فيها خالدون لا غيرهم ولما كان هذا واردا في حق الكفار ثبت ان الخلود لا يحصل
الا للكافر الثاني انه تعالى جعل الخلود في النار جزاء للكفار عن كفرهم فلو كان هذا الحكم جزاء الغير
الكافر لما صح تهديد الكافر به وفي الكشاف ان الكبيرة تهدم الاعمال وهو جار على مذهبه
الفاسد ولنا بين تعالى ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين المستحق لعمارتها بقوله تعالى
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش احدا
الا الله اما انما نستنتج عمارتها للمؤمنين بين الحالات العقلية والعلمية فان قيل
لم يذكر الايمان برسوله صلى الله عليه وسلم مع ان الايمان به شرط في صحة الايمان اجيب
بانه تعالى لما ذكر الصلاة والصلاة لا تتم الا بالتشهد وهو مشتمل على ذكره كان ذلك كافيا
ومما علم من ان الايمان بالله تعالى قرينه وتمامه الايمان به فكان الايمان برسول صلى الله عليه
وسلم مذكورا بطريق ابلغ هو طريق الكناية لما مقارنتهما وعدم انفكاك احدهما عن الاخر
وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا انما ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلو لك
ترك ذكر النبوة فلذلك يقول مطلوبي من تبليغ الرسالة ليس الا الايمان بالمبدا والمعاد فذكر
المقصود الاصلي وحذف ذكر النبوة تنبيها للكفار على انه لا مطلوب له من الرياسة فان قيل
كيف قال تعالى ولم يخش الا الله والمؤمن يخاف الظلمة والمفسدين اجيب بان المراد من هذه الخشية
الخوف والتقوى في ابواب الدين وان يختار علي رضي الله تعالى عنه رضا غيره لتوقع مخوف اذا
اعترضه امران احدهما حق الله تعالى والاخر حق نفسه ان يخاف الله تعالى فيؤثر حق الله تعالى على
حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها او ربما نفى تلك الخشية عنهم ومن عمارة المساجد
ترميمها وفرشها وتنويرها بالسرج التي لا سرف وادامة العبادة فيها والذكر ومن الذكر درس العلم

فيها بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم ترتبن المساجد جاء كحديث الوتيار وي انه صلى الله عليه
وسلم قال يأتي في اخر الزمان ناس من امتي يأتون المساجد فيقعدون حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا
لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الذي في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش وفي الكشاف انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوارها
فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره قال شيخنا
ابن عمر لم اجده هكذا وفي الطبراني عن سلمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من توضأ
في بيته فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد وتوخى زاوية الله وحق على المزور ان يكرم زائره وروي عنه
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه
من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوء
وروي انه صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد وراح اعد الله له نزلا من الجنة كلما غدا وراح
وفي قوله تعالى فعسى اولئك اي الموصوفون بهذه الصفات ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين
عن مواقف الاهتداء وحسم اطماعهم والانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا
عاقبتها فانه تعالى بين ان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرايع وضموا اليه الخشية من
الله تعالى فهو لاء صار حصول الاهتداء لهم دير ابين لعل وعسى فما بال هو لاء المشركين يقطعون بانهم
مهتدون وهم موصوفون بضد ذلك عند الله ومنع للمومنين من ان يغتروا باعمالهم ويتكلوا عليها
وذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن
بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله اقوالا فعن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال اخر ما ابالي
ان لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم
عمر رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة
ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فنزلت وعن ابن عباس رضي الله
عنهما قال العباس حين اسر يوم بدر لان كنتم سبقتمونا بالاسلام وبالهجرة والجهاد لقد كنا نعمر
المسجد الحرام ونسقي الحاج فنزلت وقيل ان المشركين قالوا لليهود نحن قاموا علينا سقاية للحجيج وعمارة
المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل فنزلت وقيل ان عليا
قال للعباس رضي الله عنهما يا عم الا تهاجرون في افضل الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما ارى
الا تاركا سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وكان العباس

عم النبي صلى الله عليه وسلم بيده سقاية للحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جاء الاسلام واسلم العباس
امره صلى الله عليه وسلم على ذلك وروي انه صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال العباس
رضي الله عنه لابنه الفضل يا فضل اذهب الى امك فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها
فقال له صلى الله عليه وسلم اسقني قال يا رسول الله يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى
زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح وعن ابن عبد الله المزني رضي الله
عنهما قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال مالي ارى بني عمكم يسقون العسل
واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة بكم امن بخل فقال ابن عباس رضي الله عنهما الحمد لله ما بنا
من حاجة ولا بخل انما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابل محلة وضلفها سامة فاستسقاه
فاتيناه بانا من نبيذ فشربه وسقى فضله اسامة وقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا فلا يزيد
تغيير ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والنبيذ تمر ينقع في الماعودة وهو حلال فان عنك
وتمر حرم تلبيك السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والولاية فلا بد من مضاف
محذوف تقديره اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من امن بالله لا يستوون
عند الله اي لا يستوي حال هو لاء الذين امنوا بالله وجاهدوا في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر
المسجد الحرام وهو مقيم على كفره لان الله تعالى لا يقبل عملا الا مع ايمان به وبين عدم تساويهم
بقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين الكفرة الملهمهم بالشرك ومعاداة النبي صلى الله عليه وسلم
منهمكون في الضلالة تكبيا يسلون الذين عاهدهم الله تعالى ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد
بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المومنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بهذه الصفات
والمراد من كون العبد عند الله بالاستغراق في عبوديته وطاعته وليس المراد منه تقطع العبودية
بحسب الجلة والمكان لان الارواح البشرية اذا تطهرت من دنس الاوصاف البدنية اشرقت بانوار
الجلال وتجلى فيها انوار عالم الكبرياء واشرقت من العبدية الى العندية وقيل اعظم درجة عند الله
ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام فان قيل على هذا كيف قال في وصفهم اعظم درجة
مع انه ليس للكافر درجة اجيب بان هذا ورد على حسب ما كانوا يعتقدون لانفسهم من الدرجة
والفضيلة عند الله وتنظيره قوله تعالى الله خير اما يشركون وقوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم واولئك لمن هذه صفته هم الفايزون اي بسعادة الدنيا والاخرة يبشرهم اي يخبرهم ربهم
والبشارة لخبر اثر الذي يغير الانسان عند سماعه ويتبشر بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر
السار ثم ذكر سبحانه ونعالى الذي يبشرهم به بقوله تعالى برحمة منه ورضوان فهذا اعظم البشارات

لان الرضوان من الله سبحانه وتعالى اعلى المقصود وجنات اي بساتين كثيرة
والاشجار والثمار لهم فيها اي للجنات نعيم اي جزاء الصفة المذكورة مقيم اي غير منقطع وقوله تعالى
خالدين فيها حال مقدرة وحقق الخلود بقوله تعالى ابدا ولما ذكر تعالى هذه الاحوال قال ان الله عنده
اجر عظيم وناهيك بما يصفه الله بالعظيم وخص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر عنه بهذه
العبارات الثلاثة المقرونة بالعظم والاسم الاعظم فكان اعظم الثواب لاعظم ايمانهم اعظم
الايمان وذكر المفسرون في سبب نزول قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء
اقوالا فقال مجاهد هذه الاية متصلة بما قبلها نزلت في العباس وطلحة وامثالهما من المهجرة وقال
ابن عباس رضي الله عنهما لما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله
وولده يقولون ننشدك الله ان لا تضيعنا فيرق لهم فيتم عندهم ويدع الهجرة فنزلت فيهم يا ايها
الرجل يأتيه ابيه او ابوها واخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليهم ولا ينزله ولا ينفق عليه
حتى يرخص لهم بعد ذلك قال مقاتل نزلت في الستة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة اي لا تتخذوهم
اولياء يمنعوكم عن الايمان ويصدوكم عن الطاعة لقوله تعالى ان استحبوا اي اختاروا الكفر على الايمان
اي اقاموا عليه وتركوا الايمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم اي ومن يختار المقام معهم على
الهجرة والجهاد فاولئك هم الظالمون اي فقد ظلم نفسه بمخالفة امر الله واختيار الكفار على
المؤمنين ولما نزلت هذه الاية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا
وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا فنزل قوله تعالى قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا
هذه المقالة ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اي اقرباؤكم ماخوذ من العشر
وقيل من العشرة فان العشر جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها
وتجارة تخشون كسادها اي عدم نفاقها بغراقكم لها ومساكن ترضونها اي تستوطنونها ارضى
بكذا اي احب اليكم من الله ورسوله اي الهجرة الى الله ورسوله وجاهدوا في سبيله فتقدموا
لاجل ذلك عن الهجرة والجهاد اي ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية عندكم اولى من طاعة الله
وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا اي انتظروا متربصين وهو تهديد بليغ حتى
يأتي الله بامره قال مجاهد بقضايه او عقوبة عاجلة او اجلة وقال مقاتل بفتح مكة والله لا يهدي
القوم اي لا يخلق الهداية في قلوب الفاسقين اي الخارجين عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع
تعارض بين مصالح الدين ومصالح الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدين على مصالح الدنيا
لقد نصركم الله النصرة المعونة على الاعداء باظهار المسلمين عليهم في مواطن اي اماكن للحرب كثيرة
كبدر وقريظة والنضير والمراد بتلك غزواته صلى الله عليه وسلم وسراياه وبعوثه وكانت غزواته

صلى الله

صلى الله عليه وسلم على ما ذكره في الصحيحين من حديث زيد بن ارقم تسعة عشر غزوة زاد بريدة
في حديثه قاتل في ثمان منها واما جميع غزواته وسراياه وبعوثه فقيل سبعون وقيل ثمانون ويوم
اي واذكر يوم حنين وهو واد بين مكة والطايف ايام يوم قتالكم فيه هوازن وقوله تعالى اذ اعجبتكم
كثرتكم بدل من يوم حنين وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة وقد بقي من شهر رمضان ايام وخرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واجتمعوا
في عدد عظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم اقال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا ستة عشر الفا
وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وقال قتادة كانوا اثنا عشر الفا عشرة الاف الذين حضروا فتح مكة والفان
انضموا اليهم من الطلقاء وهم الاسر الذين اخذوا يوم فتح مكة واطلقوا وبالجملة كانوا اعدد الكثير الذي كان
هوازن وثقيف اربعة الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم فساء
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وقيل قايلها ابو بكر رضي الله عنه وقيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم كانوا نخوا لحواله كلها متوكلا على الله تعالى منقطع القلب عن الدنيا واسبابها فانهزموا
قتالا شديدا فانهزم المشركون وتكاثروا عن الغنايم تنادوا يا اصحاب السورة اذكروا الفضايل فتراجعوا
وانكشف المسلمون حتى بلغ منهزم منهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه
العباس اخذ بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة رسول الله صلى الله
عليه وسلم على نفسه انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب فطفق يركض بغلته نحو الكفار ليلوي ثم قال للعباس
وكان صيتا اصرخ يا عباس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة وهم اصحاب بيعة الرضوان المذكورة
في قوله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة يا اصحاب سورة البقرة قال الطيبي
وهم المذكورون في قوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون وقيل الذين انزل عليهم سورة
البقرة فرجعوا جماعة واحدة يقولون لبيك لبيك ونزل الملايكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه
الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس اي اشتد الحرب ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من تراب
فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا وروي انه صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة ثم اخذ قبضة
من تراب الارض ثم استقبل بها وجوههم ثم قال شاهت الوجوه قال سلمة بن الاكوع فما خلق الله تعالى
منهم انسانا الا املات عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزم الله تعالى فلم تغن اي الكثرة

عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت اي بوجهها اي سعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئنون اليه نفوسكم
من شدة الرعب ولا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم ولّيتم مدبرين اي الكفار ظهورهم مدبرين
اي منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته اي رحمته التي تسكن اليها
وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين اي على الذين انهزموا فرد والى النبي صلى الله عليه وسلم لما ناداهم
العباس باذنه صلى الله عليه وسلم حين وقع الحرب وانزل جنودا اي ملائكة لم تروها باعينكم قال
سعيد بن جبير مد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملائكة مسومين وقيل ثمانية الاف
وتسعة عشر الفا وروي ان رجلا من بني النضير قال للمؤمنين بعد القتال اين الخيل البلق والرجال
عليهم ثياب بيض ما كنا نرى كهم الا كانتم فيهم الا كهيئة الاثامة وما قتلنا الا بايدينا فاخبروا بذلك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبي العيال وسلب الاموال
وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا روي انه صلى الله عليه وسلم لما قسم ما افاء
الله عليه يوم حنين في الناس وفي المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيأ فكانهم وجدوا اذ لم
يصبهم ما اصاب الناس فخطبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم
ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيأ قالوا الله ورسوله امن قالما يمنعكم ان تجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئتم لقلتم جئتنا
كذا وكذا اما ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا وسعا لسلكت واد الانصار
وشعبهم الانصار شعار والناس دثار انكم ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض وعن
رافع بن خديج اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة
ابن حصين والاقرع بن حابس كل انسان منهم مائة من الابل وامر عباس بن مرداس دون ذلك فقال
عباس بن مرداس اتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والاقرع فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في مجمع وما كنت امرأ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع
قال فاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم له مائة ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم فيتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلنا
واولادنا واخذت اموالنا فقال سبي يومئذ ستة الاف مقرونة واخذ من الابل ما لا يحصى فقال ان عندي
ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيأ والحسب ما يعده الانسان من مفاخر ابايه كنوا بذلك عن اختيار الذراري والنساء على استرجاع الاموال

لان تركهم

بيان واعطى عباس

لان تركهم في ذلك الامر يفضي الى الطعن في احسانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هؤلاء
جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شيء
وطابت نفسه ان يرده فشأنه اي فليلزم شأنه وامره ومنزله فلتطب نفسه ليعطانا ولكن فرضا علينا
اي بمنزلة القرض حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى
فمروا فاكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس
اي ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس او انهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات
فنهي ملابستهم او جعلوا كانهم النجاسات بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انهم نجس كالكلاب والخنازير وعن الحسن رحمه الله تعالى من صافح مشركا توضأ واهل المذهب على
خلافه هذين القولين والنجس مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث والتثنية والجمع فلا يقربوا المسجد
الحرام اي لتجاسهم وانما نهي عن الاقتراب للمبالغة والمنع من دخول الحرم فلا يجوز لكافر ان يدخل المسجد
بحال ذميا كان او مستامنا لظاهر هذه الآية واذا اجار رسول الله دار الكفر الى الامام والامام في
الحرم لا يؤذن له في دخول الحرم بل يخرج اليه الامام او يبعث اليه من يسمع رسالته خارج الحرم وبجوز
ابو حنيفة واهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الاسلام للتجارة فيجوز للكافر
دخوله بالاذن ولا يقيم فيه اكثر من ثلاثة ايام لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا ادع الا مسلما
واسلم عمر في خلافته واجل لمن قدم منهم تاجرا ثلاثة ايام وجزيرة العرب من اقصى عدن ابين الى ريف
العراق في الطول واما في العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر الى اطراف الشام والقسم الثالث
سائر بلاد الاسلام يجوز للكافر ان يقيم فيها بذمة او امان لكنه لا يدخل المساجد الا باذن مسلم وحاجة
وقوله تعالى بعد عامهم هذا اشارة الى العام الذي حج فيه ابو بكر رضي الله عنه ونادى علي رضي الله عنه
ببراءة وهو سنة تسع من الهجرة وقيل سنة حجة الوداع ولما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
ان يقرأ على مشركي مكة اول براءة وينبذ اليهم عهودهم واذا لله يوعز من المشركين ورسوله فقالوا الناس هذا
يا اهل مكة ستعلمون ما تلقون من الشوكة لانقطاع السبل وفقد الحمولات وذلك اذا اهل مكة كانت
معايشهم من التجارات وكان المشركون يأتون مكة بالطعام ويتجرون فلما امتنعوا من دخول الحرم
خافوا الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وان خفتم عيلة
اي فقرا وحاجة بانقطاع تجارتهم عنكم فسوف يغنيكم الله من فضله اي من عطاياه وتفضله من وجه
اخر وقد انجز تعالى وعده بان ارسل المطر عليهم مدرارا فكثر خيرهم واسلم اهل جدة وصنعاء وتبالة
وجرش وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة فكفاهم الله تعالى مالا فانيا خافون وتبالة بفتح التاء وجرش بضم الجيم

وقع الارد ثين بجهة قرياة من قرى اليمن وقيد ذلك بقوله تعالى ان شا لتقطع الامال اليه تعالى ولنبيه على ان
متفضل في ذلك وان الفنا الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله اي الذي له الاحاط
الكاملة عليم اي بوجوه المصالح حليم اي فيما يعطي ويمنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما التي السكينة
في قلوبهم الخوف وقال قتادة اي تكون عاصمة لهم الله تعالى بقتال اهل الكتاب كما قال تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر فان قيل اليهود والنصارى يزعمون انهم يؤمنون بالله واليوم الاخر فكيف اخبر
الله تعالى عنهم بذلك اجيب بان من اعتقد ان العزير بن السوان المسيح بن الله فليس بمؤمن بل
هو مشرك وبان من كذب برسول من الرسل فليس بمؤمن واليهود والنصارى يكذبون اكثر الانبيا ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله من الشرك واكل اموال الناس بالباطل وتبديل التوراة والانجيل وغير ذلك
ولا يدينون دين الحق اي الثابت الذي هو ناسخ لسائر الاديان وهو الاسلام كما قال تعالى ان الدين عند
الله الاسلام من الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية
وهي الخراج المضروب على رقابهم في تطيب سكناهم في بلاد الاسلام امنين ما خوذة كما من الصاغر اذ لكما
عنهم وقيل من الجزا بمعنى القضا قال الله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا اي لا تقضي وقوله
تعالى عن يد حال من الضمير اي منقادين معتمدين يقال اعطى عن يد اذا اعطى شيا كرها من غير طيب نفس
اعطى عن يده وقال ابن عباس رضي الله عنهما يعطونها بايديهم ولا يرسلون بها على يد غيرهم وهل يجوز
ان يوكل المسلم في دفعها والاقرب ان يقبض الصغار المذكور في قوله تعالى وهم صاغرون اي اذلا منقادة
لحكم الاسلام ويكفي في الصغار ان يجري عليهم الحكم بما لا يعتقدون حله وعلى هذا يجوز التوكيل
وقيل هو ان يجلس الاخذ ويقوم الكافر ويطاطي راسه ويحني ظهره ويضع الجزية في الميزان ويقبض
الاخذ لحيته ويضربه لهزيمته وهما يجتمع اللحم بين الماضغ والاذن من الجانبين هرود بان هذا
الهيئة باطلة ودعوى سنيتها او وجوبها اشد بطلانا ولم ينقل الى النبي صلى الله عليه وسلم ولا احد
من الخلفا الراشدين فعل شا من ذلك وعلى تقديرها بما ذكر يمتنع التوكيل اذا قيل بوجوبه لانا نتعبد
بمفهوم الاية بمقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ولكن الحق بهم المجوس لانه صلى الله
عليه وسلم اخذها من مجوس هجر وقال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وكذا زاعم التمسك بصحف ابراهيم
وزبور داود صلى الله عليهما وسلم ومن احد ابويه كتابي والاخر وثني واولاد من تهود او تنصر
قبل النسخ او شككنا في وقت التهود والتنصر اكان قبل النسخ ام بعده فلا يتعدد اولاد من تهود او
تنصر بعد الشمس في ذلك الدين ولا لعبدة الاوثان والشمس والملايكة والمسامرة والصابئون ان
خالفوا اليهود والنصارى في اصول دينهم فليسوا منهم والا فمنهم وعن مالك تو خذ الجزية من كل كافر الا
المرتد وعن ابي حنيفة الا مشركي العرب واقل الجزية دينار لكل سنة عن كل واحد لقوله صلى الله عليه وسلم

لبعاذ بن جبل

ليعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن خذ من كل حالم اي محتلم دينارا صحيحا بن حبان والحاكم وتوخذ من كل
زمن وشيخ هرم واعمى وراهب واجير وفقير عجز عن كسب فاذا تمت سنة وهو معسر فتى زمنه حتى
يوسر وقال ابو حنيفة عن الفقير ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الغني الكثير
ربعها ولا شي على فقير غير كسوب ولا بد ان يكون الحالم خرج منه حراذ كرا غير صبي ومجنون وتلغى افاقة
مجنون كوثة فان قل زمن الجنون كساعة من شهر فلا تراعى لها ولو بلغ بنا ذمي ولد بعد جزية الحق بمالنا
واذا اعطاه عقوله وقيل عليه جزية ابيه ولا يحتاج الى عقوله وقيل عليه كجزية ابيه ولا يحتاج الى عقد
اكتفا بعقد ابيه ومن مات ممن عقوله للجزية او اسلم او جن او حجر عليه بفلس او سفه بعد سنة لجزيته
كدين ادميا وفي اثنايها فقط وتسقط بالاسلام والموت عند ابي حنيفة وقالت اليهود عزير ابن الله
واختلفوا في قايل هذه المقالة على اقوال احدها قال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل واحد
من اليهود اسمه فنحاص بن عازورا وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنيا وثانيها قال ابن عباس
في رواية سعيد بن جبير وعكرمة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبع دينك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم
ان عزيرا ابن الله فانزل الله تعالى هذه الاية وعلى هذين القولين القايل انما هو بعض اليهود لا ان
الله تعالى نسب ذلك الى اليهود بنا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على اسم الواحد يقال فلان
ركب الخيول ولعله لم يركب الا واحدا منها وفلان يطالس الملاطين ولعله لم يجالس الا واحدا وثالثها
ان هذا المذهب لعله كان ثابتا فيهم ثم انقطع فحكى الله تعالى ذلك عنهم ولا عبرة بانكار اليهود لذلك
فان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع شهاتهم على التكذيب واختلفوا في السبب الذي قالوا
ذلك لاجله فقال ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود اضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى
التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه الذي نسخ من صدورهم فبينما
هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى نزل نور من السما فدخل جوفه فعاودته فيه التوراة فاذ في قومه
وقال يا قوم قد اتاني الله التوراة وردها الي فعلقوا به بعلمهم ثم نكثوا ما شا الله تعالى ثم ان
التابوت نزل يعودها به عنهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزيرين
فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقيل لما رفع الله تعالى عنهم التوراة حزن عزير
وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه
التوراة واملاها عليهم على ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في قلبه وهو غلام الا
انه ابنه وقال الكلبي اذ نجت نصر لما ظهر على بني اسرايل وقتل من قرا التوراة وكان عزير اذ ذاك
صغيرا فاستصغره فلم يقتله فلما رجع بنو اسرايل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة

فبعث الله تعالى عزيرا اليهود فلهم التوراة ويكون لهم اية بعد ما اماته الله تعالى مائة سنة وارسل اليه ملكا
بانا فيه ما فاستفاء فمثلت التوراة في صدره فلما اتاهم وقال لهم انا عزير كذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم
فاملل علينا التوراة فكتبها لهم من صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني ان التوراة جعلت في خابية
ودفنت في كرم وانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوا بها ما كتبه عزير فلم يجدوه غادر حرفا
فقالوا ان الله تعالى لم يخبؤ التوراة في قلب عزير الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن
الله وقراعاصم والكسائي عزيرا بالتنوين والباقون بغير تنوين قال الزجاج الوجه في اثبات التنوين
فقوله عزير مبتدا وقوله ابن خبره وان كان كذلك فلا بد من التنوين في حال السعة لان عزيرا
ينصرف سواء كان عربيا ام عجميا وسيكونه منصرفا امران احدهما انه اسم خفيف فينصرف وان كان
عجميا كهود ولوط والثاني انه على صفة التصرف وان الاسما الاعجمية لا تصرف واما الذين تركوا التنوين
فلهم فيه اوجه احدها انه اعجمي ومعرفة فوجب ان لا ينصرف وثانيها قال الفراء ترك التنوين سا
من عزير واليا من ابن الله ساكنة فحصل ها هنا التقا الساكنين فحذف التنوين للتخفيف
ورد هذا الوجه بانه مخالف لما تقدم من ان الوجه عند ملاقاة التنوين للساكن التحريك
لا الحذف وثالثها ان الابن وصف والخبر محذوف والتقدير عزير ابن الله معبودنا ورد
هذا ايضا بانه يودي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر لان من اخبر عن ذات موصوفة
بصفة بامر من الامور وانكره منكر توجه الانكار الى الخبر فكان المقصود بالانكار قولهم
عزير ابن الله معبودنا وجعل تسليم كونه بن الله ومعلوم ان ذلك كفر وقالت النصارى
المسيح عيسى ابن الله واختلفوا في السبب الذي قالوا ذلك لاجله فقيل انما قالوه استحالة
ان يكون ولد بلا اب وقيل ان النصارى كانوا على دين الاسلام احدى وثمانين سنة بعد
ما رفع عيسى عليه السلام يصلون الى القبلة ويصومون رمضان حتى وقع بينهم وبين
اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بلوص فقتل جماعة من اصحاب عيسى عليه
السلام ثم قال بلوص لليهود ان الحق مع عيسى وقد كفرنا ومصيرنا الى النار وخز مغبونون
اذ دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني ساحتال واصلهم حتى يدخلوا النار وكان له فرس يقال
عليه يقال له العقاب فعرقبه واظهر الندامة والتوبة ووضع التراب على راسه وقال للنصا
نودي من السما اني قد قبلت توبتك الان تنصرو قد نبت وانتكلم فادخلوه الكنيسة ونصروه
ودخل بينا فيها ملك فيه سنة لا يخرج منه ليلا ولا نهارا حتى تعلم الانجيل ثم خرج منه
وقال انه نودي ان الله قبل توبتك فصدقوه واحبوه وعلمانه فيهم ثم عمد الى ثلاثة
رجال اسم واحد منهم نسطور ان عيسى ومريم والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس

بانسان

بانسان ولا جسم ولكنه نبي الله وعلم ملكان عيسى هو الاله لم يزل ولا يزال فلما اشتهر ذلك
فيهم دعا كل واحد منهم وقال له انت خالصتي وادع الناس لما علمتك وامره ان يذهب الى
ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رايت عيسى في المنام وقد رضي عني وقال لكل واحد منهم
سادبح نفسي تقربا الى عيسى ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اولئك الثلاثة فذهب
واحد الى الروم وواحد الى بيت المقدس وواحد الى ناحية اخرى واحكم كل واحد منهم
مقالته ودعا الناس اليها فتبعه على ذلك طوائف من الناس فصاروا فرقا واختلفوا ووقع القتال
فهذا هو السبب في وقوع الكفر في طوائف النصارى هذا ما حكاه الواحدي رحمه الله تعالى
قال الرازي عقيب هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال ورد لفظ الابن في الانجيل على سبيل
التشريف ثم ان القوم لاجل عداوة القوم بالغوا وفسروا لفظ الابن بالنبوة الحقيقية والله اعلم
بحقائق تلوا ذلك وفي هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه السلام والله سبحانه وتعالى
اعلم بالحقيقة ذلك قولهم بافواههم اي لا مستند لهم عليه فان قيل كل قول يقال بالفم فما
معنى بافواههم اجيب بانه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ بفموهو به فارغ عن
معنى تحته كالالفاظ المهملة التي لا تدل على معاني وذلك ان القول الدال على معنى لفظه
مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب الدال على ما لا معنى له مقول بالفم لا غير او بان يراد
بالقول المذهب كقولهم قول الشافعي رحمه الله يريد مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك
مذهبهم ودينهم بافواههم لا يقولون بهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى تؤثر في القلوب وذلك
انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له ولا ولد لم يبق لهم شبهة في اثبات الولد قال اهل المعاني لم
يذكر الله تعالى قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك زورا يضاهون قال ابن عباس
يشابهون وقال مجاهد يوافقون وقال الحسن يوافقون قول الذين كفروا من قبل اي
من قبلهم ولا بد من حذف مضاف لتقدير ه يضاهي قولهم قول الذين كفروا ثم حذف المضاف
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم فالكفر قديم فيهم غير
مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم
المسيح بن الله قول اليهود عزير بن الله لانهم اقدم منهم وقراعاصم يكسر الهاء ويبعدها الف
مضمومة والباقون بضم الهاء ولا همزة بعدها وقوله تعالى قاتلهم الله دعا عليهم بالهلاك كقوله
من قاتله الله تعالى اهلكه او تعجب من شناعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه قاتله
الله ما اعجب فعله وقيل لعنهم الله روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كل شيء في القرآن

بانان

مثله فهو لعنه اني يوفكون اي كيف تصرفون عن الحق الى الباطل مع قيام الدليل بان
الله تعالى واحد فجعلوا له ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجيب راجع الى
الخلق لان الله تعالى لا يتعجب من شيء ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم قاله
تعالى عجب نبيه صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق وامرارهم على الباطل اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اي اتخذ اليهود احبارهم اي علماءهم والحبر في الاصل العالم من اي طائفة
كان واختص في العرف بعلماء اليهود من ولد هارون وكان ابو الهيثم يقول واحد الاحبار
بالفتح وبكسر الكسر واتخذ النصارى رهبانهم اي عبادهم اصحاب الصوامع والراهب في الاصل
من تمكنت الرهبة من قلبه فظهر اثارها على وجهه ولباسه واختص في العرف بعلم النصارى
اصحاب الصوامع ارباباً من دون الله لانهم اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرمه الله
كما تطلع الارباب على اوامرهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عباده كما قال
تعالى بل كانوا يعبدون الجن وقال ابراهيم الخليل عليه السلام يا ابت لا تعبد الشيطان وعن
عدي بن حاتم انه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي
اطرح هذا الوثن من عنقك فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه
الاية فقلت انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه
فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم قال عبد الله بن المبارك

وهل بدل الدين الا الملوك ... واحبارهم سوء ورهبانها

فان قيل انه تعالى كفرهم بسبب ان اطاعوا الاحبار والرهبان فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم بكفره على ما هو قول الخوارج اجيب بان الفاسق وان كان يقبل دعوى الشيطان الا انه لا يعظمه بل يلعنه ويستخف به واما هؤلاء فكانوا لا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم وقد يبالغ بعض الجهال في تعظيم شيخه بحيث يميل طبعه الى القول بالحلول والاتحاد قال الرازي وذلك الشيخ اذا كان طالبا للدنيا بعيدا عن الدين قد يلقي اليهم ان الامر كما تقولون ويعتقدون وعن الفضيل رحمه الله ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة والمسيح ابن مريم اي اتخذوه كذلك لكونهم جعلوه ابنا فاهكون للعبادة بذلك مع كونه ابن مريم فهو لا يصلح للالهية بوجه ما شاركته للادميين في الجهل والولادة والاكل والشرب وغير ذلك من احوال البشر الموجبة للحاجة المنافية للالهية وما امروا اي في التوراة والانجيل الا ليعبدوا اي ليطيعوا على وجه التعبد الها واحدا اي لا يقبل القسمة بوجه لا بالذات ولا بالملة تلة وهو الله تعالى واما طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

وطاعة

وطاعة من امر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله تعالى وقوله تعالى لا اله الا هو صفة ثانية
واستيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون اي تعالى وتنزه عن ان يكون له شريك في الوجود
والاحكام وان يكون له شريك في الالهية يستحق التعظيم والاجلال يريدون
اي يريد اليهود والنصارى ان يطفؤا نور الله او شرعه وبراهينه الدالة على وحدانيته
وتقديسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم اي باقوالهم الكاذبة
وشركهم وفي تسمية دينه او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم نورا ومعاندتهم اطفاء
بافواههم تمثيل لحالهم في طلبهم ان يبطلوا نور الله بالتكذيب بالشرك بحال من يريد ان
ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق ليبطله ويطفئه والله متم نوره يبلغه الغاية القصوى في الاشراق
والاضاءة لبطفيه بنفخة ويطمسه ويأبى الله الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز دين
الاسلام فان قيل كيف جاز ان يأبى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا لزيد اجيب
بانه اجري مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفؤا بقوله ويأبى الله وكيف اوقع
موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره وقوله تعالى ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة
ما قبله اي ولو كرهوا عليه هو الذي ارسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى اي القرآن
الذي انزل عليه ودين الحق اي دين الاسلام ليظهره اي ليعليه على
الدين كله اي جميع الاديان المخالفة له وهذا كالبيان لقوله تعالى ويأبى الله الا ان يتم نوره
ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على
انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله تعالى فان قيل الاسلام لم يعم غالبا سائر الاديان
في ارض الصين والهند والروم وسائر بلاد الكفرة اجيب عن ذلك باوجه الاول انه
لا دين يخلف الاسلام الا وقد قهرهم المسلمون وظهروا عليهم في بعض المواضع وان لم
يكن ذلك في جميع مواضعهم فقهروا اليهود واخرجوهم من بلاد العرب وغلبوا النصارى
على بلاد الشام وما والاها الى ناحية الروم والمغرب وغلبوا المجوس على ملكهم وغلبوا
عباد الاصنام على كثير من بلادهم مما يلي الهند والترك وكذا سائر الاديان فثبت ان الذي
اخبر الله تعالى عنه في هذه الاية قد وقع وحصل فكان ذلك اخبارا عن الغيب فكان معجزا
الوجه الثاني ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال هذا وعد من الله تعالى بجعل الاسلام
غالبا على جميع الاديان وتمام هذا انما يحصل عند خروج عيسى عليه السلام فانه
لا يبقى اهل دين الا دخلوا في الاسلام وقال الذي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد
الا دخل في الاسلام او ادى الجزاء الوجه الثالث ان المراد اظهاره في جزيرة العرب وقد حصل

ذلك فانه تعالى ما بعث نبيا الا امره بقتال الكفار وقال ابن عباس انما في ليظهره الى الرسول صلى الله
عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كلها ويظهره عليها حتى لا يخفى عليه شيء منها يا ايها
الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار اي علماء اليهود والرهبان اي عباد النصارى ليأكلون
اي يأخذون ولون اموال الناس بالباطل كالرشا وانما عبر بالاكل لانه معظم المراد من المال او اشارة
الى تحقير الاحبار والرهبان بان يفعلوا ما ينافي دينا في دعائهم الذين ادعوا انفسهم فيه باظهار الزهد
والمبالغة في التدين قال الرازي ولعمري من تامل احوال الناس هو في زماننا وجد هذه الآية
كانها ما انزلت الا في شانهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الدنيا
ولا يتعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعظمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل
الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويجعل نهاية الذل والدناءة في تحصيله ويصدون
الناس عن سبيل الله اي دينه ولما كان مطلوب الخلق في الدنيا المال والجاه بين تعالى في صفة
الاحبار والرهبان كونهم مشغوفين بهذين الامرين اما المال فهو المراد بقوله تعالى ليأكلون
اموال الناس بالباطل واما الجاه فهو المراد بقوله ويصدون عن سبيل الله فانهم لو اقروا بان محمدا
صلى الله عليه وسلم على الحق لزمهم متابعته وحينئذ كان يبطل حكمهم وتزول حرمتهم ولاجل
الخوف من هذا المحذور كانوا يبالغون في المنع من متابعته صلى الله عليه وسلم ويبالغون
في القاء الشبهات وفي استمراج وجوه المكر والخديعة وفي منع الخلق من قبول دينه الحق والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يحتمل ان يراد بقوله الذين اولا الاحبار
والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص الشديد على اخذ اموال الناس بقوله تعالى هم
ليأكلون اموال الناس بالباطل ووصفهم ايضا بالبخل الشديد والامتناع من اخراج الواجبات
عن اموالهم بقوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة وان يراد المسلمون الذين
يجمعون المال ولا يؤدون حقه ويكون اقتران هم بالمرتشين من اليهود والنصارى تغليظا
ودلالة على ان من يأخذ منهم السحت ومنعه لا يعطي منكم يطيب ماله سواء في استحقاق الشارة
بالعذاب الاليم واريد بكل من كنز المال ولم يخرج منه الحقوق الواجبة سواء كان من الاحبار
والرهبان او كان من هذا المسلمين لما روي عن يزيد بن وهب قال مررت على ابي ذر بالربذة فقلت
ما انزلك بهذه الارض فقال كنا بالشام فقرات والذين يكنزون الذهب الآية فقال معاوية ما هذه
فينا ما هذه الا في اهل الكتاب فقلت انها فيهم وفينا فصار ذلك سببا لوحشة بيني وبينه
فكتب الي عثمان ان اقبل الي فلما قدمت المدينة انخزف الناس عني كانهم لم يروني من قبل
فشكوت ذلك الى عثمان فقال لي تنح قريبا قلت اني والله لن ادع ما كنت اقول واصل الكنز

في كلام العرب

في كلام العرب الجمع وكل شيء جمع بعضه الى بعض فهو مكنوز يقال هذا جحر مكنز الضبا
ان كان مجتمع الاجزاء واختلفوا على الصحابة في المراد بهذه الكنز المذموم على قولين الاول
وهو ما عليه الاكثرون انه المال الذي لم يؤد زكاته لما روي عن هرم بن حبة رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له
زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك
ثم تلى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله الآية والشجاع والاقرع صفة بطول عمره حتى
من طال عمره تمزق شعره وذهب وهي صفة اخبث الحيات والزبيبتان الزايدتان في الشدقين
وروي لما نزلت هذه الآية كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقال ابن عباس في قوله
تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكاة اموالهم قال القاضي عياض تخصيص
هذا المعنى بمنع الزكاة لا سبيل اليه بل الواجب ان يقال الكنز هو الذي ما اخرج عنه ما يجب
اخراجه ولا فرق بين الزكاة وبين ما يجب من الكفارات وبين ما يلزم من نفقة الحج وبين
ما يجب اخراجه في الدين والحقوق والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وارش
الجنايات فيجب في كل هذه الاثام وان يكون داخلا في الوعيد والقول الثاني ان المال الكثير اذا
جمع فهو الكنز المذموم واحتج الذاهبون الى هذا القول بعموم الآية وبما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال لما نزلت هذه الآية تبا للذهب تبا للفضة قالوا له اي مال نتخذ قال لسانا
ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقال عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء
او بيضاء كوي بها وتوفي شخص فوجد في ميزره دينار فقال صلى الله عليه وسلم كية وتوفي اخر
فوجد في ميزره دينارا ان فقال كيتان وأجاب القائلون بالاول ان هذا كان قبل فرض الزكاة
فاما بعد فرض الزكاة فالله اعدل واكرم ان يجمع عبده مالا من حيث اذن فيه ويؤدي ما اوجب
عليه فيه ثم يعاقبه وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه انه سيل عن هذه الآية فقال انما
تنزل الزكاة فلما نزلت جعلها طهرة للاموال وقال ما ابالي لو ان لي مثل احد ذهبا اعلم عدده
ازكيه واعمل فيه بطاعة الله تعالى وروي انه صلى الله عليه وسلم قال نعم المال الصالح للرجل الصالح
وقال صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز وكان في زمنه صلى الله عليه وسلم جماعة معهم من
الاموال كعثمان وعبد الرحمن بن عوف وكان عليه الصلاة والسلام يعدهم من اكابر الصحابة
وما عابهم احد ممن اعرض عن الفتنة لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في الورع والزهد
في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه وكونه ادخل في الورع لامور منها ان كسب المال

شاق شديد وحفظه بعد حصوله اشق واشق واصعب فيبقى الانسان طول عمره تارة في طلب التحصيل واخرى في طلب الحفظ ثم انه لا ينتفع منها الا بالقليل ومنها ان كثرة المال والجاه تورث الطغيان كما قال تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى والطغيان يمنع من وصول العبد الى مقام رضوان الرحمن ويوقع في الخذلان والخسران ومنها انه تعالى اوجب الزكاة وذلك سعي في تنقيص المال ولو كان تكثيره فضيلة لما سعى الشرع في تنقيصه فان قيل قال عليه الصلاة والسلام اليد العليا خير من اليد السفلى اجيب بان اليد العليا انما افادته صفة للخيرية لانه اعطى ذلك القليل بسبب انه حصل في ماله ذلك النقصان القليل فحصل له الخيرية وسببه انه حصل للفقير من ذلك الزيادة القليلة حصلت له المرجوحية فان قيل انه تعالى ذكر شيئين وهما الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فلم افرد الضمير اجيب بان الضمير راجع الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى المكنوز وقيل الى الاموال وقيل التقدير ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب لانه داخل في الفضة من حيث انهما معا ثمن وكان في تثنية الاشياء او ان ذكر احدهما يغني عن الاخر كقوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها جعل الضمير للتجارة وقيل التقدير والذهب كذلك كما ان قول القايل

... واني وقيار بها لغريب

اي وقيار بها كذلك فان قيل ما السبب في كونه خصصهما بالذكر من سايد الاموال وهما اللذان يقصدان بالكنز ومن كنز عنده لم يعدم سايرا جناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما ثم انه تعالى لما ذكر من يكنز الذهب والفضة قال تعالى فبشرهم اخبرهم بعذاب اليم اي موله وعبر بالبشارة على سبيل التهكم يوم يحمى عليها اي الكنوز بان توضع في نار جهنم فتوقد عليها فتكوى اي تحرق بها اي بهذه الاموال جباههم وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يوضع دينار ودرهم في موضع على حدته وسيل ابو بكر الوراق لم حفيت الجباه والجنوب والظهور بالكي قال لان الغني صاحب الكنوز اذا راى الفقير قبض جبهته واذا جلس الفقير بجنبه تباعد عنه وولى عليه ظهره وقيل المعنى انهم يكوون على الجهات الاربع اما من مقدمه فعلى الجبهة واما من خلفه فعلى الظهور واما من يمينه ويساره فعلى الجنبين وقيل الان جمعهم واسكرهم المال كان لطالب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يودي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفايح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره كلما بردت عليه اعيدت له في يوم كان مقداره

خمسين الف سنة مما تعدون حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وقوله تعالى هذا ما كنزتم على ارادة القول اي يقال لهم هذا ما كنتم لانفسكم اي لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي تمنعون حقوق الله تعالى في اموالكم وعن ابي ذر رضي الله عنه قال اتيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم ان عدة الشهور اي عددها عند الله اثنى عشر شهرا وهي المحرم وصفر وشهر ربيع الاول وشهر ربيع الثاني وجمادي الاولى والاخرى ورجب وشعبان وشهر رمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة هذه شهور السنة القمرية التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وساير امورهم واحكامهم وايام هذه الشهور ثلثمايه وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة تامة وهي ثلثمايه وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال المفسرون وسبب نزول هذه الاية من اجل النسي الذي كانت العرب تفعله في الجاهلية فكان حجهم يقع تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من الشهور فاعلم الله تعالى ان عدة الشهور سنة المسلمين الذين يعتدون بها اثنا عشر شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا اي في علمه وحكمه في كتاب الله اي في اللوح المحفوظ الذي كتب فيه احوال مخلوقاته باسرها على التفصيل وهو اصل الكتب الثلاثة المنزلة على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل فيما اثبته واوجبه من حكمه وسماه كتابا يوم خلق السموات والارض اي ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم ميز ان السنة اثنا عشر شهرا منها اي الاشهر اربعة حرم ثلاثة سرد وهو ذو القعدة بفتح القاف وذو الحجة بكسر الجيم على المشهور فيهما وسميا بذلك لقعودهم عن القتال في الاول ولوقوع الحج في الثاني والمحرم بتشديد المفتوحة سمي بذلك لتحريم القتال فيه وقيل لتحريم الجنة فيه على ابليس ودخلته اللام دون غيره من الشهور لانه اولها فعرفوه كانه قيل هذا الشهر الذي ابتدا اول السنة وواحد فرد وهو رجب ويجمع على ارجاب ورجال ورجوب ورجبات ويقال له الاصم والاصب وقيل لم يعذب الله امة في شهر رجب ورد عليه بان الله تعالى اغرق قوم نوح فيه قاله الثعلبي وهذا الترتيب الذي ذكرناه في عدد الشهر

الحرم وجعلها من سنين هو الصواب كما قاله النووي في شرح مسلم ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم
في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والارض السنة
اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي
بين جمادى وشعبان وعدها الكوفيون هذه السنة واحده فقالوا المحرم ورجب وذو القعدة وذو
الحجة قالت ذهب وظهر فايدة الفلاني اذا نزوجها مهرتبة فعلى الاول يبتدي بذي القعدة
وعلى الثاني بالمحرم ومعنى الحديث ان الاشهر رجعت الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة
وبطل النسي الذي كان في الجاهلية وقد وافق حجة الوداع ذو الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله
عنه قبلها في ذي القعدة ومعنى الحرم ان المعصية فيها اشد عقابا والطاعة فيها اكثر ثوابا والذبح
كانوا يعظمونها جدا حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه لم يتعرض له فان قيل اجزاء الزمان متشابهة
في الحقيقة فما السبب في هذا التمييز اجيب بان هذا المعنى غير مستبعد في الشرايع فان
امثلته كثيرة الاترى انه تعالى ميز البلد الحرام عن ساير البلاد بمزيد الحرمة وميز يوم الجمعة من
ساير ايام الاسبوع بمزيد الحرمة وميز يوم عرفة من ساير الايام بتلك العبادة المخصوصة
وميز شهر رمضان عن ساير الشهور بمزيد حرمة وهو وجوب الصوم وميز بعض الساعات
اليوم بوجوب الصلاة فيها وميز بعض الليالي عن سايرها وهي ليلة القدر وميز بعض الاشخاص
عن سايرالناس باعطاء خلع الرسالة واذا كانت هذه الامثلة ظاهرة مشهورة فاي استبعاد في
تخصيص بعض الاشهر بمزيد الحرمة **ذلك** اي تحريم الاشهر الاربعة **الدين القيم** اي المستقيم
وهو دين اسماعيل وابراهيم عليهما السلام والعرب ورثوه منهما وقيل المراد بالدين الحساب
يقال الكيس من دان نفسه اي حاسبها والقيم معناه المستقيم فتغيير الاية على هذا التقدير
ذلك الحساب المستقيم الصحيح والعدد المستوي وقال الحسن ذلك الدين القيم الذي لا يبدل
ولا يغير فالقيم هنا بمعنى القايم الدايم الذي لا يزال وهو الدين الذي فطر الناس عليه **فلا تظلموا**
فيهن اي الاشهر الحرم **انفسكم** بالمعاصي فانها فيها اعظم وزرا لان الله تعالى خص هذه الشهور
بمزيد احترام في ايه اخرى وهو قوله تعالى الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث
ولا فسوق ولا جدال في الحج فهذه الاشياء غير جايزة في غير الحج ايضا الا انه تعالى اكد في المنع
منها في هذه الايام تنبيها على زيادتها في الشرف وقال ابن عباس ان المراد فلا تظلموا في الشهور
الاثني عشر انفسكم والمقصود منع الانسان من الاقدام على الفساد مطلقا في جميع العمر قال
القفال والاول اولى لان العرب تقول ليس فيما بين الثلاثة الى العشرة فيهن فاذا جاوز هذا العدد
قالوا فيها والاصل فيه ان جميع القلة يكني عنه بجماعة مونثة ويكني عن جمع الكثرة كما يكني عن

واحدة مونثة كما قالوا حسان هند الجفنات الغر يلمعن في الضحى وايانا ما يقطرن دما
قال يلمعن ويقطرن لان الايادي والجفنات جمع قلة ولو جمع جمع الكثرة لقال تلمع وتقطر هذا
الاختيار ثم يجوز اجراء احدهما مجرى الاخر كقول التابعة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب فقال بهن والسيوف
جمع كثرة وقيل المراد بالظلم المقاتلة في هذه الاشهر وقيل النسي الذي كانوا يعملونه فيتقاتلون
في هذا الذي امر الله تعالى بالقامته فيه الى شيء اخر ويغيرون كما ليس الله تعالى والجمهور على ان
حرمة المقاتلة في الاشهر الحرم منسوخة وعند عطا لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه صلى الله عليه وسلم حاصر الطايف وغنم هوازن بحنين
في سوال وذي القعدة وقوله تعالى **وقاتلوا المشركين كافة** اي جميعا في كل الشهور **كما يقاتلونكم**
كافة واعلموا ان الله مع المتقين بالعون والنصرة ومن كان معه نصر لا محالة انما النسي
اي التاخير لحرمة شهر اي اخر كما كانت الجاهلية تفعل كانوا اذا اجابهم شهر حرام وهم محاربون
احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر ورفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد فكانوا
يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمون صفرا ويستحلون المحرم فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم
صفر اخروه الى ربيع وهكذا شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون
في كل شهر عامين فحجوا في ذي القعدة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين
وكذا في شهور السنة فوافقت حجة ابي بكر رضي الله عنه في السنة التاسعة في ذي القعدة
قبل حجة الوداع بسنة ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل حجة الوداع فوافق
حجة في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوافق بعرفة في اليوم التاسع وخطب الناس
في اليوم العاشر واعلمهم ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والارض للحديث
المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك ليك يتبدل في مستانف الايام وقد رجع المحرم الى
موضعه الذي وضعه الله وذلك بعد دهر طويل وروي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته لنا اي شهر هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا
انه سيسميه بغير اسمه قال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال اي بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم
فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلد الحرام قلنا بلى قال فاي يوم هذا
قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال
فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا
وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض

الا ليبلغ الشاهد الغايب فلعل بعض من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه الاهل بلغة
الاهل بلغة فلما نام قال اللهم اشهد واختلفوا في اول من نشأ النسي فقال ابن عباس بنو مالك
ابن كنانة وكان يليه ابو ثمامة وجنادة بن عوف بن امية الكناني كان يقوم على حمار في
الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في قابل ان الهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه وقال الكلبي اول من فعل ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة
وقيل اول من فعل ذلك عمرو بن لحي وهو اول من سيب السوايب وقال فيه النبي صلى الله عليه
وسلم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار وقوله تعالى زيادة في الكفر معناه انه تعالى حكى عنهم انواعا
كثيرة من الكفر فلما ضموا تحريم ما احل الله تعالى وتحليل ما حرم الله تعالى وهو كفر كان ضم هذا
الفعل الى تلك الانواع المتقدمة من الكفر زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد
كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن كلما احدث طاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا
وهم يستبشرون وقرا ورش النبي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها فصفة يا مضمومة
مشددة والباقون بهمزة مضمومة هذا في الوصل واما الوقف فورش يقف بيا مشددة
ساكنة وحمزة كذلك وله فيه الروم والاشمام والباقون بهمزة ساكنة يضل به اي بهذا
التاخير الذي هو النسي الذين كفروا قرا حفص والكسائي بضم الياء وفتح الضاد لقوله تعالى
زين لهم سوء اعمالهم والباقون بفتح الياء وكسر الضاد على معنى انهم هم الضالون لقوله تعالى
يحلونه اي يحلون النسي من الاشهر الحرم عاما ويحرمونه عاما اخر ويحرمونه عاما
فيتركونه على حرمته وقد فعلوا ذلك ليواطيوا اي ليوافقوا عدة اي عدة ما حرم الله
من الاشهر فلا يزيدون على تحريم اربعة اشهر ولا ينقصون عنها ولا ينظرون الى اعيانها
فيحلوا ما حرم الله بمواطية العدة من غير مراعاة الوقت الذي يجاوز اليه الاشهر الحرم
زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس زين لهم الشيطان هذا العمل اي حتى حسبوا هذا القبيح
حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء لما سبق لهم في الازل
انهم من اهل النار ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من الطايف الى المدينة وحث على غزوة
تبوك وكان ذلك الوقت زمان عسرة وشدة حروطابت ثمار المدينة ولم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز مهلكة للناس امرهم ليتاهبوا
اهبة غزوهم فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فنزل يا ايها الذين امنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله اثاقلتم بادغام التاء الاصل في المثلثة واجتلاب همزة الوصل اذ اصله تثاقلتم

ومعناه

ومعناه تباطاتم وملتم عن الجهاد الى الارض والقعود فيها والاستفهام للتوبيخ قال المحققون
وانما تثاقل الناس عند وجوه الاول شدة الزمان في الصيف والقحط والثاني بعد المسافة
والحاجة الى الاستعداد الكثير الزايد على ما جرت به عادتهم في سايرالغزوات والثالث ادراك
الثمار بالمدينة في ذلك الوقت والرابع شدة الحر في ذلك الوقت ثم قال لهم الله تعالى ارضيتم
بالحياة الدنيا وعزورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحياة الدنيا في جنب متاع
في الاخرة الا قليل اي حقير لان متاع الدنيا يفقد عن قليل ونعيم الاخرة باق على الدوام هـ
فلهذا السبب كان متاع الدنيا بالنسبة الى نعيم الاخرة قليلا وفي الاية دليل على وجوب الجهاد
في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان ثقلهم عن الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد
واجبا لما عاتبهم على التثاقل ويؤكد هذا الوعيد المذكور في قوله تعالى الا اي بادغام نون ان
ان الشرطية في لا في الموضعين تنفروا اي تخرجوا مع النبي صلى الله عليه وسلم للجهاد يعذبكم
عذابا اليما اي مولما في الاخرة لان العقوب الاليم لا يكون الا فيها او بالاهلاك بسبب قطع
القحط وظهور عدو وقيل باحتباس المطر عنهم قال ابن عباس استنفر رسول الله صلى
الله عليه وسلم حيا من احيا العرب فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم هـ
ويستبدل قوما غيركم اي ياتي بهم بدلكم قال ابن عباس هم التابعون وقال سعيد بن جبير
ابناء فارس وقال ابو اروى هم اهل اليمن قال الرازي وهذه الوجوه ليست تفسير الاية
لان الاية ليس فيها اشعار بها بل حمل ذلك المطلق على صورة معينة شاهدوها وقال في
الكشاف بعد ذكره ذلك والظاهر مستغن عن التخصيص ولا تضروه شيا اي لا يتدرع
بتثاقلكم في نصر دينه شيا فانه الغني عن كل شي وفي كل امر وقيل الضمير راجع الى الرسول
صلى الله عليه وسلم اي ولا تضروه لان الله تعالى وعده ان ينصره ووعده كاين لا محالة والله على
كل شي قدير اي فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا عدو كما قال تعالى الا تنصروه
اي محمدا صلى الله عليه وسلم في اعزاز دينه واعلا كلمته اعتنوه او لم تعينوه فانه نصره عند
قلة الاولياء وكثرة الاعداء فكيف به اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد وقد نصره اذ اي
حين اخرجه الذين كفروا من مكة حين مكروا به حين تشاوروا في قتله او اخراجه او اثباته
في دار الندوة فكان ذلك لاذن الله له في الخروج من بينهم حالة كونه ثاني اثنين اي احدهما
ابو بكر رضي الله عنه لا ثالث لهما لهم بيصرهم الا الله تعالى وقوله تعالى اذ بدل من اذ قبله هما في
الغار اي في غار ثور الذي في اعلا الجبل المواجه للركن اليماني باسفل مكة على مسيرة ساعة
منها لما كمنا به ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب وذلك قبل ان يصلا اليكم ويعولا في النصر عليكم

وقوله تعالى اذ بدل من يقول صلى الله عليه وسلم لصاحبه ابي بكر الصديق رضي الله عنه وثوقا
بوعد غير متوقع بشيء وقد قال له ابو بكر لما رأى اقدام المشركين لو نظر احدهم تحت قدميه
لابصرنا لا تحزن والحزن هم غليظ يتوجع به القلب وانما كان خوفه على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فانهما لما وصل الغار نزل ابو بكر الغار اولا ليلتمس ما في الغار فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم مالك فقال بابي انت وامي الغار ما وي السباع والبهائم فان كان فيه شيء
كان بي لا بك وكان في الغار جحر فوضع عقبه عليه ليلا يخرج منه ما يوذي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكى ابو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا فقال له ابو بكر وان الله لمعنا فقال الرسول
صلى الله عليه وسلم نعم فجعل يمسح الدموع عن خده وروي لما طلع المشركون فوق الغار
واشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت اليوم ذهب
دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروي لما دخل الغار نسجت
الله تعالى حمامتين بباب الغار في اسفله والعنكبوت نسجت عليه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اعم
ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يرون احدا ويقولون لو دخلا هذا الغار تكسر
بيض الحمام وتفسخ بيت العنكبوت تنبيه دلت هذه الاية ابي بكر رضي الله عنه مزيد
ان الهجرة كانت باذن الله تعالى وكان في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من المخلصين
وكانوا في انسية الى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب من ابي بكر رضي الله عنه فلولا
ان الله تعالى امره بان يستصحبه في تلك الوقعة الصعبة الهائلة والا لكان الظاهر ان
لا يخصه بهذه الصحبة وتخصيص الله تعالى له بهذا التشريف دل على منصب عال له في الدين
ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا ولا شك ان المراد من هذه المعية المعية
بالحفظ والنصرة والحراسة والمعونة وقد شرك صلى الله عليه وسلم بين نفسه وبين ابي بكر
في هذه المعية وكفى بها شرفا ومنها ان قوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يوجب
الدوام والتكرار وذلك يقتضي انه لا يحزن ابو بكر رضي الله عنه بعد ذلك البتة قبل الموت
وعند الموت وبعد الموت ومنها اطباق الكل على ان ابا بكر هو الذي اشار الى الراحلة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى ان عبد الرحمن بن ابي بكر واسما بنت ابي بكر هما اللذان كانا هما
ياتيانهما بالطعام وروي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لابي بكر انت صاحبي في الغار وصاحبي على الحوض قال الحسن بن الفضل من قال
ان ابا بكر رضي الله عنه ليس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانكاره نص القرآن

وفي سائر الصحابة

وفي سائر الصحابة او انكر يكون مبتدعا لا كافرا واختلف في عود الضمير في قوله تعالى فانزل الله
سكينته اي طمأنينته عليه هل هو للنبي صلى الله عليه وسلم او لابي بكر رضي الله عنه رجح الثاني لوجوه
الاول ان الضمير يجب عوده الى اقرب المذكورات واقرب المذكورات المتقدمة في هذه الآية
هو ابو بكر لانه قال اذ يقول لصاحبه والتقدير اذ يقول محمد لصاحب ابي بكر لا تحزن وعلى
هذا التقدير فاقرب المذكورات السابقة هو ابو بكر فوجب عود الضمير اليه والثاني ان
الحزن والخوف كانا حاصلين لابي بكر لا للرسول صلى الله عليه وسلم فانه كانا امنا ساكنا هادئ
القلب فيما وعده الله ان ينصره على قريش فلما قال لابي بكر لا تحزن صار امنا فصار السكينة
لابي بكر ليصير ذلك سببا لزوال خوفه اولى من صرفها الى الرسول صلى الله عليه وسلم مع
انه كان قبل ذلك ساكن النفس قوي القلب الثالث انه لو كان المراد انزال السكينة على
الرسول صلى الله عليه وسلم لوجب ان يقال ان الرسول كان قبل ذلك خائفا ولو كان الامر
كذلك لما امكنه ان يقول لابي بكر لا تحزن ان الله معنا فمتى كان خائفا كان يمكنه ان يزول
الخوف عن قلب غيره ولو كان راجعا الى الرسول لوجب ان يقال فانزل الله سكينته عليه
فقال لصاحبه لا تحزن فيكون ذلك مما يدل على فضيلة ابي بكر رضي الله عنه ومنها حديث
الهجرة على صاحبها افضل الصلاة والسلام عن عائشة رضي الله عنها وعن ابويها
قالت لم اعقل ابوي الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ويأتينا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اما بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون قال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي بكر اني قد اريت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من هاجر
قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر رضي الله عنه
قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو ان يوذن لي فقال
ابو بكر وهل ترجو ذلك يا رسول الله قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم واعلف راحلتين كانتا عنده ورق وهو الخبط اربعة اشهر قالت عائشة
بينما نحن جلوس في بيت ابي بكر في حر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر
قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
قد اذن لي في الخروج فقال ابو بكر الصحبة يا رسول الله قال نعم قال ابو بكر فخذ احدى راحلتي
هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا

لهما سفرة في جراب فقطعت اسماء بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فسميت
لذلك ذات النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور
فمكثنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر وهو غلام شاب فيدلج من عندهما
بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكاد ان به الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك
حين يختلط الظلام ويكان يرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما
حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بها عامر
بن فهيرة بغلس يفعل ذلك كل ليلة من الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل هاديا خريتا والخريت الماهر بالهداية وهو على دين كفار قريش
فامناه ودفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما بعد صبح ثلاث
فارتحلا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي واخذ بهم طريق الساحل فعلم
بهم سراقة بن مالك المدلجي وكان كفار قريش جعلوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر
كل واحد منهما لمن قتله او اسره دية فالسراقة فتبعهم حتى دنوت منهم فعثرت قريش
فخررت عنها فقمت واهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها
اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات فساخت يدا فرسي في الارض
حتى بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة
اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره
فناديتهم الامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جيئتهم ووقع في نفسي حين لقيت
ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا
فيك الدية واخبرتهم بما يريد الناس بهم واعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزاني ولم
يسالاني الا ان قال اخف عنا فسالته ان يكتب لي كتاب امان فامر عامر بن فهيرة فكتب لي
برقعة من ادم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا
تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضا فلما
قربا من المدينة وصل الخبر الى الانصار فخرجوا مسرعين فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بظاهر الحرة فاخذتهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين
من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر في بني عمرو يصنع عشرة ليه واسس المسجد الذي اسس على التقوى
وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب راحلته وصار يمشي معه الناس حتى برکت
عند مكان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكان مربدا تمر لسهل وسهيل فساومهما

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا وصار صلى
الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنايه ويقول وهو ينقل اللبن
هذا الحمال لا حمال خيبر هذا ابر ربنا واطهر ويقول ايضا
ان الاجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجرة قال ابن شهاب لم يبلغنا في
الاحاديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذا فاظهر خروجه صلى الله
عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه ما يدل على فضيلته وفضايله رضي الله عنه وعن بقية
الصحابة اجمعين وفيما ذكرناه كفاية واما الضمير في قوله تعالى وايده فالعقوا انه للنبي
صلى الله عليه وسلم فهو معطوف على قوله تعالى فقد نصره الله بجنود لم تروها اي من الملايكة
الكرام في الغار يوم بدر والاحزاب وحنين وجميع مواطن قتاله وجعل كلمة اي دعوة
الذين كفروا الى اكفر السفلى اي المغلوبة بخيب سعيهم ورد كيدهم وكلمة الله الى الاسلام
هي العليا اي الغالبة الظاهرة وقيل كلمة الذين كفروا ما كانوا قد روها بينهم من الكيد بالنبي
صلى الله عليه وسلم وكلمة الله هي ما وعده بالنصر الظفر بهم فكان ما وعده الله حقا وصدقا
والله عزيز في ملكه حكيم في امره وتدبيره لا يمكن ان ينتقض شيء من مراده فلا يحيص عن نفوذ
ما اراده ولما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبلغها هيأها به للقبول اقبل عليها
سبحانه وتعالى فقال انفروا خفافا وثقالا اي على الصفة التي يخف عليكم الجهاد فيها وعلى الصفة
التي يثقل عليكم وهذا الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة ولهذا اختلفت عبارات المفسرين
فيها فقال ابن عباس شبانا وشيوخا وقال الحسن شبانا وشيوخا وقال عطية العوفي هم
ركبانا ومشاة وقالا ابو صالح فقراء واغنيا وقال الحكم بن عيينة مشاغيل وغير شاغيل وقال
حرة بالمهموز اصحا واصحاب مرض وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا
قد سقط حاجباه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك في
حاجبيه وقال استغفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج
سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقال له اتك عليل صاحب مرض فقال
استغفرنا الله للخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن ابن ام
مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال ما انت الا خفيف او ثقيل فرجع
الى اهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فنزل قوله تعالى ليس على الاعمى
حرج اي في منسوخة بذلك وقال ابن عباس نسخت بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى
الاية وقال السدي لما نزلت اشتد شانها على المسلمين فنسخها الله تعالى وانزل ليس على الضعفا

ولا على المرضى وقد عطف الفرسان في منسوخة بقوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقوله تعالى وجاهدوا
باموالكم وانفسكم في سبيل الله امرا يجاب للجهاد اي ما امكن لكم بهما طيبهما او احدهما على حسب
الحاجة والحاجة ذوكم اي هذا الامر العظيم خير لكم اي خاص بكم ويجوز ان يكون افعل تفضيل اي
عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كما قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله هل يمكن
بلوغ درجة المجاهد وقد هل تستطيع ان يقوم فلا تفتر وتصوم فلا تفطر ثم ختم تعالى الآية
بقوله تعالى ان كنتم تعلمون اي ما حصل من الخيرات في الاخرة على الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يدرك
الا المؤمن الذي عرفي بالدليل ان القول بالقيامة حق واذ القول بالثواب والعقاب صدق وترك
في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك لو كان ما تدعوهم اليه عرضا اي متاعا من الدنيا
يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر قريبا اي سهل المأخذ وقوله تعالى وسفرا قاصدا
اي وسطا قد قاسم كان وهو ما قدرته قال الزجاج لولا لة ما تقدم عليه وانما سمي السفر
قاصدا لان المتوسط بين الافراط والتفريط يقال له مقتصد قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد لان المتوسط بين الكثرة والقلة يقصده كل احد وقوله تعالى قاصدا اي ذو اقتصاد
كقولهم لابن وتامر لاتبعوك اي وافقوك طلبا للغنيمة ولكن بعدت عليهم الشقة اي
المسافة التي تقطع بمشقة وسيحلفون اي المتخلفون بالله اذا رجعت من تبوك معتذرين
لو استطعنا اي لو كان استطاعة بالبدن او العدة لخرجنا اي في هذه الغزاة معكم يهلكون
انفسهم اي بسبب هذه الايمان الكاذبة كما قال تعالى والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك
لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفى الله عنك لم اذنت لهم اي عفى الله تعالى عنك يا محمد مكان
منك في ذلك لهول المنافقين الذين استاذنوك في تركك الخروج معك الى تبوك واختلف
هل في ذلك معاتبة للنبي صلى الله عليه وسلم اصلا فقال عمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من اساري بدر وعاتبه
الله تعالى كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدا الله تعالى بالعفو قبل ان
يعيره وقال القاضي عياض في الشفا ان هذا امر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله
تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى معصية عليه بل لم يعده الا اهل العلم معاتبة وغلطوا من
ذهب الى ذلك ولعل عفى بمعنى غفر لك كما قال صلى الله عليه وسلم عفي الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق
ولم تجب عليهم قط اي لم يكن يلزمكم ذلك ونحوه للعشيري قالوا وانما يقول العفو لئلا يكون الا عن ذنب
مما لا يعرف كلام العرب وقال ملكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وقال السمرقندي
ان معناه عافاك الله وقال الرازي ان ذلك يدل على مبالغة الله في توقيره وتعظيمه كما يقول الرجل

لغيره

لقيره اذ كان معظما عنده عفا الله عنك ما جوابك عن كلامي ورضي الله عنك ما صنعت في امري
فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا مزيد التبجيل والتعظيم اي كما كانت العرب في مخاطبتهم لاكابرهم
بان يقولوا اصلح الله الامير والملك ونحو ذلك حتى يتبين لك الذين صدقوا اي في اعتذارهم وتعلم
الكاذبين فيما اظهروا من الايمان باللسان لولم يأذن لهم لقعدوا بلا اذن فيعرف حينئذ صدق
الذي وثوقك عليه بالطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره قال ابن عباس لم يكن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة لا يستاذنك اي يطلب
اذنك بغاية الرغبة فيه الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر اي الذي يكون فيه الجزاء بالثواب
والعقاب ان اي في ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره باموالهم وانفسهم بل
يبادرون الى الجهاد عند اشارتك اليه وبعثك عموما عليه فضلا عن ان يستاذنوك
في التخلف عنه فان الخلص من المهاجرين والانصار كانوا يقولون لانستاذنه صلى الله عليه
وسلم في الجهاد فان ربنا ندبنا اليه مرة بعد مرة فاي فائدة في الاستيذان ولنجاهد معه
باموالنا وانفسنا وكانوا بحيث لو امرهم صلى الله عليه وسلم بالعقود لشق عليهم كما وقع لعلي
رضي الله عنه في غزوة تبوك لما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبقى في المدينة شق
عليه ولم يرض حتى قال له صلى الله عليه وسلم الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من
موسى والله عليم بالمتقين اي الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته انما يستاذنك
يا محمد المتخلفون عن الجهاد معك من غير عذر الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وهم المنافقون
لانهم لا يرجون ثوابا ولا يخافون عقابا وارتابت اي شكت قلوبهم في الدين وانما اضاف الشك
والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة فاذا داخله الشك كان ذلك نفاقا منهم اي فثبت عند ذلك
انهم في ريبهم يترددون اي المنافقون متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين تنبيه اختلف
علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل انها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهي قوله
تعالى فاذا استاذنوك لبعض شانهم فاذن لمن شئت منهم وقيل انها محكمات كلها ووجه الجمع بين
هذه الآيات ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله تعالى وجهاد عدوهم من غير استيذان فاذا
عرض لاحدهم عذر استاذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم
بقوله تعالى فاذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستاذنون في التخلف من غير عذر فيئسهم
الله بهذا الاستيذان لكونه بغير عذر ولو ارادوا الخروج اي الغزو معك لاعدوا له اي قبل حلوله
عدة اي قوة واهبة من المتاع والسلاح والكراع بحيث يكونون كالحاضرين في صلب الحرب الواقعين
في الصف فما استعدوا لها بجميع عدتها ولما كان قوله تعالى ولو ارادوا الخروج يعطي معنى نفي خروجهم

واستعدادهم للغزو وتثاقلهم عن الاستعداد اكد ذلك فقال تعالى ولكن كره الله انبعاثهم اي لم يرض خروجهم
معكم الى الغزو فثبطهم اي حبسهم بالمين والكسل وقيل لهم اقعدوا مع القاعدين اي مع
النساء والصبيان والمرضى واهل الاعذار ومعنى قيل لهم اي قدر الله تعالى عليهم ذلك بان القى في
قلوبهم القعود لما كره الله انبعاثهم مع المومنين وقيل القايل هو رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما استاذنوه بالقعود فقال لهم اقعدوا مع القاعدين فان قيل خروج المنافقين
مع النبي صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال تعالى
ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم عفى الله
عنك لم اذنت لهم فجوابه ان ترك الخروج اجيب بان خروجهم فيه مفسدة عظيمة بدليل قوله
تعالى لو خرجوا فيكم اي معكم ما زادوكم بخروجهم الا خبالا اي فسادا وشرا بتخذيل المومنين
وتقدم الكلام على قوله لم اذنت لهم فلبيك لا يصح ان يكون فيه الا استثناء منقطعا لان
الاستثناء المنقطع يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقوله ما زادوكم خيرا الا
خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء مناع العام كانه
قيل ما زادوكم شيا الا خبالا ولا وضعوا اي اسرعوا خلالكم اي بينكم فيما يخل بالمشي بالنميمة
ينبغونكم الفتنة اي يطلبون منكم ما تفتتنون به وذلك انهم يقولون للمومنين لقد جمعوا
لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم ستهزمون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من
الاحاديث الكاذبة التي تخبيثهم وفيكم اي والحال ان فيكم سماعون لهم اي عيون لهم يودون
لهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس ومطيعون وذلك انهم ينقلون اليهم انواعا
من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم فان قيل كيف يكون في المومنين الخالصين
من يطيع المنافقين الجيب بانهم ربما قالوا قولا اثر في قلوب ضعفة المومنين في بعض الاحوال
وقوله تعالى والله عليم بالظالمين وتهديد للمنافقين الذين يلقون الفتن والشبهات بين
المومنين لقد ابتغوا الفتنة اي الفتنت ونصب القوايل والسني في تشتيت شملك وتفريق
اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد وحنين انصرف بمن معه وعذيبة حين
وقفوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم على التنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به
من قبل اي قبل غزوك تبوك وقلبوا لك الامور اي ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا لك
الاراء بينهم في ابطال امرك حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله اي غلب دينه وعلا
شرعه وهم كارهون له اي على رغم منهم فدخلوا فيه ظاهرا ولما تجهز رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس وكان من المنافقين يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر

يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفا فقال الجد بن قيس يا رسول الله لقد علم قومي
اني مغرم بالنساء واني اخشى ان رايت بنات بني الاصفر لا اصبر عنهن ايذن لي بالقعود
ولا تفتني واعنك بمالي قال ابن عباس اعتل الجد بن قيس ولم يكن له علة الا النفاق فاعرض
عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فيه ومنهم اي المنافقين من يقول ايذن لي
اي في القعود في المدينة ولا تفتني اي ببنات بني الاصفر وقيل لا تو قعني في الفتنة وهي الاثم
بان لا تاذن لي فانك ان منعتني من القعود وقعدت بغير اذنك وقعت في الاثم وقيل
لا تلقني في الهلاك فان الزمان زمان شدة لحر ولا طاقة لي بها وقيل لا تفتني بسبب ضياع
المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي قال الله تعالى الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة التي هي التي
سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما اخبروا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين
اي جامعة لهم لا محيص لهم عنها يوم القيامة او هي محيطة بهم الان لان اسباب الاحاطة
بهم فكانهم في وسطها ان تصبك يا محمد في بعض الغزوات حسنة اي نصر وغنيمة تسؤهم
اي تحزنهم لما في قلوبهم من الضعف والمرض وان تصبك مصيبة اي نكبة وان صفرت في بعض
الغزوات كما وقع يوم احد يقولوا اي سرورا وتجاهلا بحسن رايهم قد اخذنا امرنا اي بالجد والحزم
في القعود عن الغزو من قبل اي قبل هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون اي مسرورون بما ابتلاك
من المصيبة وسلامتهم منها قال الله تعالى قل يا محمد لهولاء الذين يفرحون بما يصيبك من المصايب
والمكروه لن يصيبنا الا ما كتب الله اي قدر لنا في اللوح المحفوظ لان القلم جف بما هو كاين الى يوم
القيامة من خير وشر فلا يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا
او ارادة ما لم يقدر له هو اي الله مولانا اي ناصرنا وحافظنا وهو اولى بنا من انفسنا في الموت
والحياة ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المومنون في جميع امورهم
لان بحقهم ان لا يتوكلوا على غيره فليفعلوا ما هو حقهم قل يا محمد لهولاء المنافقين هل تربصون فينا
حذف احدى التاءين من الاصل اي هل تنتظرون ان يقع بنا ايها المنافقون الا احدى الحسنيين تثنية
حسنى تانيث احسن اي الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهي النصر
والشهادة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الجهاد في سبيل الله اما ان يقتل او يغنم فيحصل له المال واما ان
يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي العاقبة الحسنى وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيل الله وتصديق كلمته
ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما اناله من اجر او غنيمة ونحن نتربص بكم اي احدى السوءتين
من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده اي لا سبب لنا فيه كان ينزل عليكم كما نزل على عاد

وثمود او بعذاب بايدينا او بسببنا من قتل ومنب واسر وغير ذلك فتربصوا بنا ما ذكرنا
من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم ولا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه قل
يا محمد لهؤلاء المنافقين انفقوا طوعا او كرها اي من غير التزام من الله ورسوله او ملزمين
وسمي الالتزام اكراها لانهم منافقون فكان التزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين
من غير اكراه منزلا اياكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرودون من
المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم لن يتقبل منكم اي لا تقبل منكم نفقاتكم على اي حال كانت
فان قيل كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم اجيب بان هذا امر في معنى الخبر كقوله
تعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن هذا وروي انها نزلت في الجد بن قيس حيث تخلف
عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني ثم علل
تلك السبب منع القبول بقوله تعالى انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر
ويدل عليه قوله تعالى وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما
منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي تقبل بالياء على التذكير لان تانيث النفقات
غير حقيقي والباقون بالتاء على التانيث ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى اي متثاقلون
لانهم لا يرونها فرضا بل تطوعا ولا ينفقون اي نفقة من واجب او غيره الا وهم كارهون اي حال
الكراهة وان ظهر خلاف ذلك وذلك كله لعدم النية الصالحة وهذا الاتيان في طوعا لان
ذلك بحسب الظاهر وهذا بحسب الواقع فلا تعجبك يا محمد اموالهم اي وان انفقوها
في سبيل الله وجهزوا بها الغزاة فان ذلك منهم غير اخلاص منهم ولا حسن نية ولا جميل
طوية ولا اولادهم الذين يتعجبون بهم فان ذلك استدراج ووبال كما قال تعالى انما يريد الله
ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وان كان يتراءى انها لذيذة لان ذلك من شان الحياة
وتعذيبهم فيها بسبب ما يكابدون من تحصيلها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد
والمصايب فان قيل هذا لا يختص بالمنافق فما فايدة تخصيصه به اجيب بان المؤمن
قد علم انه مخلوق للاخرة وانه يثاب بالمصايب الحاصلة في الدنيا فلم يكن المال والولد في حقه
عذابا والمنافق لا يعتقد ذلك فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والمشقة والغم والحسرة
على المال والولد عذابا عليه في الدنيا وتزهق اي تخرج انفسهم بسببها وهم اي والحال انهم كافرون
اي يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعد عذاب الدنيا عذاب الاخرة وهكذا كل من اراد الله
تعالى استدراجه في الغالب كثر ماله وولده فكثيرا ما عجابه بماله وولده فيبطره وكفره نعمة الله
والاعجاب السرور بالشيء مع نوع افتخار به ومع اعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وهذه

الحالة

الحالة تدل على استغراق النفس بذلك الشيء وانقطاعه عن الله تعالى فانه لا يبعد في حكم الله
تعالى ان يزيل ذلك الشيء عن ذلك الانسان ويجعله لغيره والانسان متى كان متذكرا لهذه
المعنى ذا لم اعجابه بذلك الشيء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وكان صلى الله عليه وسلم يقول هلك المكثرون وقال
ايضا هلك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فابقيت وروي
من كثر ماله اشتد حسابه ومن اراد من السلطان قربا ازداد من الله بعدا والاخبار الواردة
في هذا الباب كثيرة والمقصود منها الزجر عن الاطناب الى الدنيا والمنع من التهالك في جمعها
والافتخار بها لان الانسان خلق للاخرة لا للدنيا فينبغي ان لا يشتد محبته بالدنيا وان لا يميل
قلبه اليها فان المسكن الاصلي له هو الاخرة لا الدنيا وتمايزين تلك كون المنافقين مستمرين
على مضارع الدنيا والاخرة خائبين عن جميع منافع الاخرة والدنيا عاد الى ذكر قبايحهم
وقبايحهم منها اقدامهم على الايمان الكاذبة تحاما قال تعالى ويحلفون اي المنافقون بالله للمؤمنين
اذا جاءوا معهم انهم لمنكم اي على دينكم وملتكم وما هم منكم اي لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون
اي يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجا
اي حصنا يلجون اليه وقيل لو وجدوا ما يهربون اليه وقيل لو وجدوا ما يهربون قوما يامنون عندهم
على انفسهم عنكم لصاروا اليهم ولفارقوكم او مغارات اي سراديب جمع مغارة وهو الموضع
الذي يغور فيه الانسان اي يستتر او مدخلا اي موضعا يدخلونه لولوا اليه والمعنى انهم
لو وجدوا امكنة على احد هذه الوجوه الثلاثة مع انهم اشر الامكنة لدخلوا اليه وخرجوا
فيه وهم يجمحون اي يسرعون في دخول ذلك المكان اسراعا لا يراد وجوههم شيء ومن هذا
يقال جمح الفرس وهو فرس جموح وهو الذي اذا حمل لا يرده اللجام ثم ذكر تعالى نوعا اخر من قبايح
المنافقين وهو طعنهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب اخذ الصدقات بقوله تعالى
ومنهم من يلمزك في اي يعيبك في الصدقات قال ابو علي الفارسي ها هنا محذوف والتقدير
يعيبك في قسم الصدقات واختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقال ابو سعيد الخدري
بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم مالا اذا تاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم
راس الخوارج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنايم حنين واستغلظ قلوبا اهل
مكة بتوفير الغنايم عليهم فقال يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله
ايذن لي فيه اضرب عنقه فقال له صلى الله عليه وسلم دعه فانه سيخرج احد كم صلاته مع صلاتهم

وصيامه مع صيامهم يتلون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم
من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له الجواظ المنافق الا ترون الى صاحبكم
يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالك
انما كان موسى راعيا انما كان داود راعيا فلما ذهب قال صلى الله عليه وسلم احذروا هواه
واصحابه فانهم منافقون وقال ابن زيد قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب
ولا يؤثرها الا هواه فنزلت وروي ابو بكر الاصم في تفسيره انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل
من اصحابه ما علمك بفلان فقال انه ما يأبى به على الا انك تدنيه في المجلس وتجزل له العطا
فقال صلى الله عليه وسلم انه منافق اداريه عن نفاقه واخاف ان يفسد علي غيره فقال لو اعطيت
فلانا بعض ما تعطيه فقال صلى الله عليه وسلم انه هو من اجل ايمانه واما هذا فمنافق اداريه
خوف فساده **فان اعطوا منها** اي من الصدقات **رضوا** اي رضوا عنك في قسمتها **وان لم يعطوا**
منها اذا هم يسخطون اي وان لم تعطهم عابوا عليك وسخطوا قال اهل المعاني ان هذه
الاية تدل على ركاكة اخلاق المنافقين ودناة طباعهم وذلك لانه لشدة شرههم
الى اخذ الصدقات عابوا الرسول صلى الله عليه وسلم ونسبوه الى الجور في القسمة مع انه
كان ابعد خلق الله تعالى عن الميل الى الدنيا وقال الضحاك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقسم بينهم ما اتاه الله من قليل المال وكثيره وكانوا المؤمنون يرضون بما اعطوا
ويحمدون الله تعالى واما المنافقون فان اعطوا كثيرا فرحوا وان اعطوا قليلا سخطوا وذلك
يدل على ان رضاهم وسخطهم لطلب النصيب لا لاجل الدين وكلمة اذا للمفاجاة اي وان لم
يعطوا منها فاجأوا السخط **ولو انهم** اي الينا فقيرين **رضوا ما اتاهم الله ورسوله** اي ما اعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنايم والصدقات او غيرها وذكر الله تعالى للتعظيم والتنبيه
على ان ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بامره **وقالوا** اي مع الرضا **حسبنا الله** اي
كافينا الله من فضله **سيؤتينا الله من فضله ورسوله** اي من غنيمة او صدقة اخرى **انا الى الله**
اي في ان الله يغنينا عن الصدقة وغيرها من اموال الناس ويوسع علينا من فضله
راغبون اي عن يقوت في الرغبة ولذلك نكتفي بما ياتي من قبله كما ينا ما كان وجواب لو محذوف
والتقدير لكان خيرا لهم نقل عن عيسى عليه السلام انه من يقوم يذكرون الله تعالى فقال
ما الذي تحلكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم يشتغلون بالذكر
فسالهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على
قوم يشتغلون بالذكر فسالهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا الرغبة في الثواب

بل لاظهار

بل لاظهار دلالة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بالثنا
الدالة على صفات قدسه فقال انتم المحققون ثم بين سبحانه وتعالى مصارف الصدقات
تحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عز من قايل **انما الصدقات** اي المذكورات
للفقرا والفقير هو الذي لا يجد ما يقع موقعا من كفايته كان يحتاج الى عشرة دراهم وهو لا يجد
الا درهمين او ثلثة ما خوذ من الفقار كانه اصيب فقاره **والمساكين** والمسكين هو الذي
يجد ما يقع موقعا من كفايته ولا يكفيه كان يحتاج الى عشرة وهو يجد سبعة او ثمانية ما خوذ من
السكون كان الفقر اسكنه والمسكين اعلا من الفقير ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت
لمساكين وروي انه صلى الله عليه وسلم تعوذ من الفقر وقيل الفقير اعلا لقوله تعالى او مسكينا
ذا متربة والعبرة عند الجمهور في عدم كفاية الفقير والمسكين بالعمر الغالب بنا على انه يعطى
كفاية ذلك **والعاملين عليها** اي الزكاة فيعطى العامل وان كان غنيا ويدخل في اسم العامل
الساعي وهو الذي بعثه الامام لاخذ الزكاة والكاتب والحاشر والعريف وهو الذي يعرف
ارباب الاستحقاق والحاسب والحافظ للاموال والكيال والوزان والعداد عملا ان ميز والفصل
الاصناف لا المميزون للزكاة من المال وجامعوه فان اجرتهم على المالك **والمؤلفة قلوبهم**
وهم اما ضعيف النية في الاسلام فيعطى ليتوى اسلامه وشريف قومه يتوقع باعطائه اسلام
غيره او كافر لنافع من يليه من الكفار او مانع في الزكاة فيعطى حيث اعطاوه اهون علينا من
جيش واما مولفة الكفار لترغيبهم في الاسلام فلا يعطون من الزكاة ولا من غيرها للاجماع
ولان الله تعالى اعز الاسلام واهله واغنى عن التالين **وفي الرقاب** وهم المكاتبون كتابة صحيحة
فيعطون ما يودون من النجوم ان عجز عن الوفا ولو لم يحل النجم لان قوله تعالى وفي الرقاب
كقوله تعالى وفي سبيل الله وهناك يعطى المال للمجاهدين فيعطى للرقاب فلا يشترى به رقاب
للعتق كما قيل به **والغارمين** وهم من لزمتهم الديون وهم ثلاثة اضرب دين لزمه لمصلحة
نفسه ودين لزمه بضمان لا لتسكين فتنة ودين لزمها لتسكينها وهو اصلاح ذات البين
فمن استدان لمصلحة نفسه اعطي ان استدان في معصيته الا ان تاب عنها فيعطى
اذا احتاج وكان بحيث لو فتي دينه مما معه تمكن فيترك له ما يكفيه واعطي ما يقضي به
بقية دينه ويعطى ولو قدر على قضايه بالكسب وكذا المكاتب يشترط حلول الدين في اعطا الغريم
وان ضمن لا لتسكين فتنة وهو معسر ملتزم بما على معسر اعطي ما يقضي دينه واذا قضي دينه
دينه لا يرجع على الاصيل وان ضمن باذنه وانما يرجع اذا غرم من عنده ويعطى معسر ملتزم
بما على موسر بلا اذن من الاصيل لانه اذا غرم لا يرجع عليه بخلاف ما اذا ضمن باذنه ولا يعطي

عسر بلا مؤنة وعسر الاصيل لانه اذا عزم لا يرجع عليه بخلاف ما اذا اعسر بأدائه
موسر ملتزم بما على موسر وان ضمن موسر ما على معسر اعطى الاصيل دون الضامن
والغارم لاصلاح ذات البين يعطى من الغارم ولو في غير دم ويعطى المستدين لغير
ضمين وعمارة مسجد وبناء قنطرة وفك اسير وخوف ذلك من المصالح العامة عند
العجز عن النفل وفي سبيل الله وهم الغزاة المتطوعون اي الذين لا رزق لهم في الفيء
فيعطون ولو اغنياء اعانة لهم على الغزو وتحرم الزكاة على الغازي المرتزق ولو كان
عاملا فان اعدم الفي وانتظر رزقه اي المرتزق يكفيه شر الكفار اعانة لا غنيا لا من
الزكاة وابن السبيل اي الطريق وهو من ينشئ سفرا مباحا من محل الزكاة فيعطى ولو
كان كسوبا وكان مسافر النزهة ويعطى ايضا المسافر الغريب المجتاز بمحل الزكاة
وانما يعطيان ان لم يجدا معهما شيئا يكفيهما لسفرهما وقوله تعالى فريضة من الله
نصب بفعله المقدر اي فرض ذلك فريضة او حالا من الضمير المستكن في الظرف
والله عليم اي بالغ العلم بما يصلح الدين والدنيا ويولي بين قلوب المسلمين حكيم يضع
الاشياء في مواضعها وانما اضيفت الصدقات الى الاصناف الاربعة الاولى بلام الملك
والى الاربعة الاخيرة بفي الظرفية للاشعار بما لا حق الملك في الاربعة الاولى وتقييده
في الاخيرة حتى اذا لم يحصل الصرف في مصارفها استرجع بخلافه في الاولى وكيفيتهم
الاصناف الثمانية في القسم ان امكن بان قسم الامام ولو بنائبه ووجد الظاهر الآتي
سواء في ذلك زكاة الفطر وزكاة المال وان لم يمكن بان قسم المالك اذ لا عامل او الامام
ووجد بعضهم كان جعل عاملا باجرة من بيت المال فتعميم من وجد منهم وعلى الامام
تعميم احاد كل صنف من الزكاة الحاصلة عنده اذ لا يتعذر عليه ذلك وعلى المالك
ايضا ان اخص الاحاد بالبلد بان شهد عادة ضبطهم ومعرفة عددهم وفي بعد
المال فان اخل احدهما بصنف ضمن وان لم يخص وا اولم يف بهم المال وجب اعطاء
ثلاثة فاكثر من كل صنف لذكره في الآية بصيغة الجمع وهو اولى وفي سبيل الله وابن
السبيل الذي هو للخمس ولا عامل في قسم المالك ويجوز حيث كان ان يكون واحدا
اذ حصلت به الكفاية كما يستغني عنه فيما مر وتجب التسوية بين الاصناف فيما للعامل
لا بين احاد الصنف الا ان يقسم الامام وتتساوى الحاجات فتجب التسوية لان
علة التعميم فعلته التسوية بخلاف المالك اذا لم يخص وا اولم يف بهم المال ولا يجوز
ولا يجزيه نقل الزكاة من بلد وجوبها مع وجود المستحقين فيه الى بلد آخر او حاجة الاولى

والمال

والعمالة بادية فرقت الزكاة باقرب البلاد اليه اما الامام ولو بنائبه فله نقلها ولو امتنع
المستحقون من اخذها قوتلوا وشرط اخذ الزكاة من هذه الثمانية حرية واسلام
وان لا يكون هاشميا ولا مطلبيا ولا مولى لهما كما بينته السنة هذا مذهب الشافعي
رضي الله عنه وقال الرازي وغيره لا دلالة في الآية على قول الشافعي في انه لا بد من قسمها
الى جميع الاصناف لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الاصناف كلها فلك كما ان قوله
تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية توجب قسم الخمس على الطوائف
من غير توزيع بالاتفاق وما ذهب اليه الشافعي رضي الله عنه قول عكرمة وما ذهب
اليه الائمة الثلاثة من جواز صرفها الى صنف واحد هو قول عمر وحذيفة وابن عباس
وجماعة من الصحابة والتابعين وكل على هدي من ربه فان قيل كيف وقعت هذه الآية
في تضاعيف ذكر المنافقين وما وجه ايرادها هناك اجيب بانه تعالى ذكر ذلك ليدل على ان
هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة بدون غيرهم على انهم ليسوا منهم جتما
لاطماعهم واشعارا باستحقارهم للحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما
لها وما سلطهم على التكلم فيها وعن قاسمها ومنهم اي المنافقين الذين يؤذون النبي
هذا نوع اخر من جهالات المنافقين وهو انهم كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم
ويعيبونه وينقلون حديثه ويقولون اذا نهوا عن ذلك ليبلغه هو اذن اي يسمع
كما يقال به ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صارت جملته آلة
للسماع كما يسمى الجاسوس عينا لذلك واختلف في سبب نزول هذه الآية وقال ابن عباس
نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم لبعض
لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنا
بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له ونخلق له فيصدقنا مما تقول فان محمدا اذن
اي اذن سامعه يسمع كلما يقال له ويقبله وقال محمد بن اسحاق نزلت في رجل من المنافقين
يقال له نبيل بن الحارث وكان رجلا ثائر الشعر احمر العينين اشقع الذقن مشوه الخلقة
وقد قال صلى الله عليه وسلم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبيل بن الحارث وكان
ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال محمد اذن
فمن حدثه شيأ صدقه فنقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا فنزلت وقال الحسن
كان المنافقون يقولون ما هذا الرجل الا اذن من شاء فيه حيث شاء انما له اذنا فقيل
المنافقين بقولهم هذا اذن ليس له ذكاء ولا بعد غور بل سليم القلب سريع الاعتقاد بكل

فقين

بكل ما سمع فانه الاب سموه باذنه اذن وقوله تعالى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين اذن خير لكم
تصديق لهم بانه اذن لكن لا على الوجه الذي ذموه به بل من حيث انه خير وقبله
ثم فسر تعالى ذلك بقوله يؤمن بالله اي يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين
اي ويصدقهم ويقبل قولهم ولا يقبل قول المنافقين فان قيل لم عدي فعل الايمان
بالباء الى الله تعالى والى المؤمنين باللام اجيب بان الايمان المتعدي الى الله تعالى المراد منه
التصديق الذي هو نقيض الكفر فتعدي بالباء والايمان المتعدي للمؤمنين معناه الاستماع
منهم والتسليم لقولهم فتعدي باللام كما في قوله تعالى وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين
وقوله تعالى فما امن لموسى الا ذرية من قومه وقوله تعالى انؤمن لك واتبعك الارذلون
وقوله تعالى امنتم له قبل ان آذن لكم وقرأ نافع اذن في الموضعين بتكيين الذال وابو عمرو
بالرفع ورحمة اي وهو رحمة للذين امنوا منكم اي لمن اظهر الايمان حيث يقبل ولا يكشف
سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ
حمزة ورحمة بالجر على خير والباقون بالرفع ولما بين سبحانه وتعالى كونه سببا للخير بين
ان كل من اذاه استوجب العذاب الاليم بقوله تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم اي مؤلم لانه اذا كان يسعى في ايصال الخير والرحمة اليهم مع كونهم في غاية الخبث
والخزي ثم انهم مع ذلك يقابلون احسانه بالاساءة وخيره بالشر ولا شك انهم
سيحققون العذاب الشديد من الله تعالى ثم ذكروا عاقبة من قبائح افعال المنافقين فقوله
تعالى يحلفون بالله لكم ايها المؤمنون ليرضوكم اي لترضوا عنهم واختلفوا في سبب نزول
هذه الاية فقال مقاتل والكلبي نزلت في رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما
رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتوا يعتذرون اليهم ويحلفون معاذيرهم بالحلف
ليعذروهم ويرضوا عنهم وقال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس
ابن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا ان كان ما يقول محمد
حقا فنحن اشر من الحمير وكان عنده غلام من الانصار يقال له عامر بن قيس فنقروه
وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال والله ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كذب وحلف عامر انهم
كذبوا فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو اللهم صدق الصادق وكذب
الكاذب فنزلت والله ورسوله احق ان يرضوه اي بالاحق رضا بالطاعة والوفاق وانما وحد
الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله لتلازمهما كقولك احسان زيد واجماله

نفسي

نفسي وحيوميتي وان العالم بالسرائر والضمائر هو الله تعالى واخلاص القلب لا يعلمه
الا الله تعالى ولهذا الاب حض الله تعالى نفسه بالذكر اولا ان الكلام في ايذاء الرسول وارضائه
او خبر الله ورسوله محذوف وفي كلام البيضاوي اشارة الى ان المذكور خبر الاول لانه
المتبوع وفي كلام سيبويه انه للثاني لكونه اقرب مع السلامة من الفصل بين المبتدا
والخبر ان كانوا اي هؤلاء مؤمنين اي مصدقين بوعد الله ووعيده في الاخرة الم يعلموا
قال اهل المعاني هذا الخطاب لمن علم شيأ ثم نسيه وتركه فيقال له الم تعلم انه كان كذا وكذا
ولما طال مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهر المؤمنين والمنافقين وعلمهم من احكام
الدين ما يحتاجون اليه خاطب المنافقين بقوله تعالى الم تعلموا ان من شرايع الدين التي
علمهم رسولنا الله اي الكائن من يحادد الله اي من يخالف الله ورسوله واصل المحادة في اللغة
المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال حاد وحاد عن اي صار في حد غير حده
كقولك شاقه اي صار في شق غير شقه ومعنى يحادد الله اي يصير في حد غير حد
اوليائه تعالى بالمخالفة وقوله تعالى فان له نار جهنم اي على حذف الخبر اي فحق ان له نار جهنم
لان الفاء واقعة في جواب الشرط فتقتضي جملة فان له نار جهنم مفردة في موضع رفع
الابتداء وقرر خبره مقدما لان لا يبتدأ بها قال الرازي واوان معناه فله نار جهنم وان
تكرر للتوكيد واعترض بانه يفيه الفصل بين المؤكد والمؤكد باجنبي ثم قال او جواب من يحاد
والتقدير الم يعلموا انه من يحاد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم خالدا فيها اي دايما
من غير انقضاء لجاء كانت نيته المحادة ابواثم نبه على عظم هذا الجزاء بقوله تعالى ذلك اي الامر
البعيد الوصف العظيم الشان الخزي العظيم اي الهلاك الدايم يحذر اي يخاف المنافقون
ان تنزل عليهم اي المؤمنين سورة تنبئهم اي تخبرهم بما في قلوبهم اي قلوب المنافقين من
النفاق والحسد والعداوة للمؤمنين كانوا يقولون فيما بينهم ويستهزؤن ويخافون الفضيحة
بنزوله القرآن في شانهم قال قتادة هذه السورة كانت تسمى الفاضحة والمبعثرة والمثيرة تاثر
تخازيهم وتشابههم قال ابن عباس انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمايهم
واسماء ابايهم ثم ذكر نسخ الاسماء رحمة على مؤمنين ليلا يعير بعضهم بعضا لان
اولادهم كانوا مؤمنين قل يا محمد لهؤلاء المنافقين استهزؤا امر تهديد ان الله مخرج اي مظهر
ما تحذرون اخراجه من نفاقكم قال ابن كيسان نزلت هذه الاية في اثني عشر رجلا من المنا
وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا ه
علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شانه وتذكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل عليه السلام

ف

ت

رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوههم واعلمهم
وعمار رب ياسر يقود ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة يسوقها فقال لحذيفة
اضرب وجوه رواحلهم فضربها حذيفة حتى سنحاها عن الطريق فلما نزل قال حذيفة
من عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم فلان
وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول
العرب لما ظفر بها صحابه اقبل يقتلهم بل يكفيناهم الله ولئن الام لام القسم سالتهم اي
المنافقين عن استهزائهم بك والقرآن وهم يايرون معك الى تبوك ليقولن معتذرين
انما كنا نخوض ونلعب في الحديث لنقطع به الطريق ولم نقصد ذلك قال قتادة كان النبي صلى
الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالنبي
صلى الله عليه وسلم والقرآن والثالث يضحك فيل كانوا يقولون ان محمدا يغلب الروم وبينه
وبانهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا المقيمين
بالمدينة قرآن وانما هو قوله وكلامه فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال
احبسوا الركب علي فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب اي كنا نتحدث
ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لنقطع الطريق بالحديث واللعب قال الله تعالى قل ابالله
المنافقين وبالله اي بفرايضه واحكامه وحدوده وايآته اي القرآن وسايرما يدل على الدين
الذي لا يمكن تبديله ولا يخفى على بصير ولا بصيرة ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم الذي
عظمته فوق عظمته وهو مجتهد في اصلاحكم وتشريفكم واهلاككم كنتم تستهزؤن توبيخ
وتقريع لهم على استهزايهم بما لا يصلح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعتذروا اعتذارهم
الكاذب ولما كان الاستهزاء بذلك كفرا قال الله تعالى لا تعتذروا اي لا تشتغلوا باعتذاركم
الباطلة قد كفرتم اي اظهرتم الكفر بقولكم هذا بعد ايمانكم اي بعد اظهار الايمان فان قيل المنافقون
لم يكونوا مومنين فكيف قال تعالى قد كفرتم بعد ايمانكم اجيب بانهم كانوا يكتمون الكفر
ويظهرون الايمان فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر فقد اظهروا الكفر بعد ما اظهروا
الايمان كما تقرر ان يعف عن طايفة منكم اي باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق
نعذب طايفة بانهم كانوا مجرمين اي مصرين على النفاق والاستهزاء قال محمد بن اسحاق الذي
عفي الله عنه رجل واحد وهو مخشي بن حميل اخو بني عمرو بن عوف كان يضحك ولا يخوض
وكان يمشي مجانبا لهم وكان ينكر بعض ما يسمع والعرب توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول
خرج فلان الى مكة على الجمال والله تعالى يقول الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود فلما

تزلت

نزلت هذه الاية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية تقشعر منها الجلود
وتخشع منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت
فاصيب يوم اليمامة فلم يعرف احد من المسلمين مصرعه وقراءتهم نعف بالنون مفتوحة
وضم الفاء ونعذب طايفة بنون مضمومة وكسر الذال وطايفة بالنصب والباقون ان يعف
بيا مضمومة ونعذب بضم التاء وفتح الذال وطايفة بالرفع ثم بين الله تعالى نوعا اخر من انواع
قبايحهم وقبايحهم والمقصود منه بيان ان اناثهم كذكورهم في تلك الاعمال المنكرة
والافعال الخبيثة فقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق
والبعد عن الايمان كما يقال الشيء لواحد كما يقول الانسان لغيره انا منك وانت مني اي امرنا
واحد لا مباينة فيه يامرون بالمنكر اي يامر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب
النبي صلى الله عليه وسلم وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم اي عن الانفاق في كل
خير من زكاة وصدقة وانفاق في سبيل الله والاصل في هذا ان المعطي يمد يده ويبسطها
ويبسطها بالعطا فقيل لمن منع وبخل قد قبض يده فقبض اليد كناية عن الشح وقولهم
نسوا الله فنسيهم لا يمكن اجراوه على ظاهره لانا لو جعلنا النسيان على الحقيقة لما استحقوا
عليه ذما لان النسيان ليس في وسع البشر والخبر رفع عن امتي الخطا والنسيان وايضا نسيان
في حق الله تعالى محال فلا بد من التاويل وهو من وجهين الاول معناه انهم تركوا امره حتى صاروا
بمنزلة المنسي فجازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وجاهذا على مراوجة
الكلام كقوله تعالى وجزاء سيية سيية مثلها الثاني النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله بالسبا
والثناء على الله ترك الله ذكرهم بالرحمة والاحسان وانما حسن جعل النسيان كناية عن
ترك الذكر لان من نسي شيا لم يذكره فجعل اسم الملزوم كناية عن اللازم ان المنافقين
هم الفاسقون اي الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير
وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله تعالى به المنافقين
حين بالغ في ذمهم وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم ان يقول كرهت كسلت لان
المنافقين وصفوا بالكسل في قوله تعالى ولا يوم كسالى فما ظنك بالفسق ولما بين سبحانه
وتعالى كثيرا من احوال المنافقين والمنافقات وانه تسيمهم اي جازاهم على تركهم التمسك
بطاعة الله تعالى اردفه بذكر هذا الوعيد وضم المنافقين الى الكفار فيه بقوله تعالى وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين في عنادهم يقال وعده بالخير وعدا ووعده
بالشر وعيدا نار جهنم خالدين فيها اي مقدرين في الخلود ولا شك ان النار المخلدة فاعظم

دة

العقوبات هي حسبهم اي كافيتهم في العذاب ولعنهم الله اي ابعدهم من ابعدهم من الرحمة
ولما كان الخلود قد يتجوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج نفى ذلك بقوله تعالى
ولهم عذاب مقيم اي دايم لا ينقطع وقوله تعالى كالذين من قبلكم رجوع من الغيبة
الى خطاب الحضور والكاف في كالذين للتشبيه والمعنى فعلتم كما فعل الذين من قبلكم
شبه فعل المنافقين بفعل الكافرين الذين كانوا من قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن
المعروف وقبض الايدي عن فعل الخير والطاعة ثم انه تعالى وصف الكفار بانهم كانوا
اشد منهم هؤلاء المنافقين قوة واكثر اموالا واولادا بقوله تعالى كانوا اشد منكم قوة
اي بطشا ومنعا واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم اي تمتعوا بنصيبهم
من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا بها عوضا عن الاخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان
وقدر له من خير وشر كما يقال قسم له فاستمتعتم بخلاقكم اي فتمتعتم ايها المنافقون
والكافرون بخلاقكم فهو خطاب للحاضرين كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم
الاولين باستمتاعهم بما اوتوا من حظوظ الدنيا العاجلة وحرمانهم من سعادة الاخرة
بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ العاجلة تمهيد الذم المخاطبين بمشابهتهم
واقتفاء اثرهم ولما بين تعالى مشابهة هؤلاء المنافقين لاوليك المتقدمين في طلب
الدنيا وفي الاعراض عن طلب الاخرة بين حصول المشابهة بين الفريقين في تكذيب الانبيا
وفي المكر والخديعة بقوله تعالى وخضتم اي ودخلتم في الباطل والكذب على الله تعالى وتكذيب
رسله والاستهزا بالمومنين كالذي خاضوا اي كالذي خاضوا او كالفوج الذي خاضوه
هذا كله اذا جعلنا الذي موصولا اسميا فان جعلناه موصولا حرفيا فما مع صلته
بمصدر اي كخوضهم والفوج الجماعة فان قيل اي فايدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله
تعالى كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم معتد عنه كما اعتنى قوله كالذي خاضوا عن ذيهم
الاولين بما مر ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبا
كما تريد ان تشبه بعض الظلمة على قبح ظالمه بقولك انت مثل فرعون كان يقتل بغير حق
ويعذب من غير موجب واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه
مستغنى باسناده اليه عن تلك المتقدمة اوليك اي هولاء الاشقيا حبطت اي بطلت
اعمالهم في الدنيا اي بزوالها عنهم ونسيان لذاتها والاخرة اي وفي الدار الاخرة لانهم لم
يسعوا لها سعيها فلم تنفعهم اعمالهم في الدار بل يعاقبون عليها وزاد في التشبيه

على بعدهما مما قصد والاتقبيهم من القبح بقوله تعالى واوليك هم الخاسرون اي
الذين خسروا الدنيا والاخرة والمعنى انه كما بطل اعمال الكفار الماضين وخسروا ابطل
اعمالكم ايها المنافقون وتخسرون وفي الالتفات الى مقام الخطاب اشارة الى تحذير
كل سامع من مثل هذه المقالة قال بعض كبرا التابعين ادركت سبعين ممن اورك
النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وذكر ان مالكا رحمه الله تعالى دخل
المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبيح
يا شيخ قم فاركع فقام وركع ولم يحاجه بما يراه مذهبا فقيل له في ذلك فقال خشيت
ان اكون من الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
بيننا وبين المنافقين شهود العشمة والصبح لا يستطيعونهما وقال تعالى لا ياتون
الصلاة الا وهم كسالى ينظر المنافق الى ما يسقط فضايل اهل الفضل ويتعامى عن
محاسنهم كما روي انه تعالى يبغض التارك لحسنة المومن الاخذ لسيئته والمومن الصاد
يتغافل عن مساوي اهل المساوي فكيف بمعايب اهل المحاسن والمنافق ياخذ من الدين
ما ينفع في الدنيا ولا ياخذ ما ينفع في العقبى ويجتنب في الدين ما يضر في الدنيا ولا هم
يجتنب ما يضر في العقبى مما لا يضر في الدنيا ويذكر ان رجلا من صلحا المسلمين دخل
كنيسة فقال للراهب فيها ولني على موضع طاهر اصلي فيه فقال له الراهب طهر قلبك
ما سواه وقم حيث شيت قال المسلم فخجلت منه وقوله عز من قايل الم ياتهم فيه رجوع
من الخطاب الى الغيبة اي الم يات هولا المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير
اي قد اتاهم نبا اي خبر الذين من قبلهم من الامم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف اهلكنا
حين خالفوا امرنا وعصوا رسلنا ولما شبه تعالى المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة
في الدنيا وفي تكذيب الانبيا والمبالغة في ايذايهم لرسلهم بين منهم ستة طوايف الاولى قوم نوح
اهلكوا بالطوفان والثانية عاد وهم قوم هود اهلكوا بالريح والثالثة ثمود وهم قوم صالح
اهلكوا بالرجفة والرابعة قوم ابراهيم اهلكوا بسلب النعمة واهلاك نمرود ببعوضة
سلطها الله تعالى على دماغه فقتلته والخامسة اصحاب مدين وهم قوم شعيب وقيل انهم من
ولد مدين بن ابراهيم اهلكوا بعذاب يوم الظلة والسادسة المؤتفكات وهم قوم لوط اي اهلها
اهلكوا بان جعل الله تعالى اعالي ارضهم سافلها وامطر عليهم الحجارة وانما ذكر الله تعالى هذه الطوايف
الستة لان اثارهم باقية وبلادهم بالشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من بلاد العرب فكانوا
يمرون عليهم ويعرفون اخبارهم وقوله تعالى اتتهم رسلهم رجع الى كل هولا الطوايف بالبينات اي المعجزات

الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا امر ربهم فعلتم ايها الكفار
والمنافقون فاحذروا ان يصيبكم مثل ما اصابهم فتعجل لكم النقمة كما عجلت لهم
وقرا ابو عمرو بسكون السين والباقون بالرفع فما كان الله ليظلمهم بتعجيل العقوبة
بهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب ولما
بالغ سبحانه وتعالى في وصف المنافقين بالاعمال الفاسدة والافعال الخبيثة ثم ذكر
عقبه انواع الوعيد في حقهم في الدنيا والاخرة ذكر بعده صفات المومنين بقوله
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة
وهذا في مقابلة قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فان قيل لم قال
تعالى في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المومنين بعضهم اولياء
بعض ما الحكمة في ذلك اجيب بان لبعض المنافقين اتباع حصل بسبب التقليد
لاولئك الاكابر بسبب مقتضى الهوى والطبيعة والعادة قال فيهم بعضهم من بعض
ولما لم تحصل الموافقة الخالصة بين المومنين بتوفيق الله تعالى وهدايته لا يقتضي الطبيعة
وهو النفور وصفهم بانهم بعضهم اولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الحكمة
وقوله تعالى يامرون بالمعروف اي بالايمان بالله ورسوله واتباع امره والمعروف كل ما عرف
من الشرع من امر وطاعة وينهون عن المنكر اي الشرك والمعاصي كلها مما انكره الشرع وينفر
منه الطبع في مقابلة قوله تعالى في المنافقين يامرون بالمنكر وينهون عن المعروف هو
ويقيمون الصلاة اي المفروضة ويتمون اركانها وشروطها ويوتون الزكاة اي الواجبة
عليهم في مقابلة قوله تعالى في المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكرها وعد به المومنين
من الرحمة المستقبلة وهي ثواب الاخرة بقوله تعالى اولئك اي المومنين والمومنات
الموصوفين بهذه الصفات سيرحمهم الله بوعد لا خلف فيه ان الله عزيز اي غالب على كل
شيء لا يمتنع عليه ما يريده حكيم اي لا يقدر احد على نقض ما يحكمه وحل ما يبرمه ولما
ذكر سبحانه وتعالى الوعيد على سبيل الاجمال ذكره على سبيل التفصيل بقوله تعالى
وعد الله المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار فذكر في هذه الاية
ان الرحمة هي هذه الانواع المذكورة في هذه الاية اولها قوله تعالى جنات تجري من تحتها
الانهار هي لا تزال الخضرة ذات بهجته ولمكان النعيم لا يحمل الاباد واصم قال تعالى خالدين
فيها والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الانهار البساتين التي يجري في حسانها الناظر لانه
تعالى قال ومساكن طيبة في جنات عدن اي اقامة وخلود وهذا هو النوع الثاني فيكون

جنات عدن

جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الاخر هي البساتين التي يتنزهون فيها
فهذه فايدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه وقد مر كلام اصحابنا في الاثار في صفة
جنات عدن فقال الحسن سالت عمران بن الحصين عن قوله تعالى ومساكن طيبة فقال
على الخبير سقطت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر في الجنة من لولوة
مجوف دارا مزيا قوة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون
سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون
مايدة على كل مايدة سبعون صحفا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة
ويعطى المومن من القوة في غداة واحدة ما ياتي على ذلك اجمع وعن ابي الدرداء قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ايم
دار الله التي اعدها لاوليايه واهل طاعته والمتقربين من عبادته وعن ابي هريرة رضي
الله عنه قلت يا رسول الله حدثني عن الجنة ما بناوها قال لبنة من ذهب ولبنة من
فضة وملاطها المسك الاذفر وترابها الزعفران وحصاوها الدر والياقوت فمن يدخلها
يخلد ولا يموت لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان
الجنة قال الازهري بطنانها وسطها وقال عطاء عن ابن عباس هي قصر في الجنة وسقفها
عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وايمة الهدى وساير الجنان حولها
وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش
فتدخل عليهم كثبان المسك الاذفر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه
ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة الاف باب لا يدخله الا نبي
او صديق او شهيد او حكم عدل وقال عطاء بن السايب عدن نهر في الجنة حيابه علي
حافتيه قال الرازي حاصل الكلام ان في جنات عدن قولين احدهما انه اسم علم لموضع
معين في الجنة وهذه الاخبار والاثار تقوي هذا القول وقال الكشاف وعدن علم بدليل
قوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن عباده القول الثاني انه صفة للجنة قال الازهري
ما خوذ من قولك عدن بالمكان اذا اقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا للجنات
كلها جنات عدن جعلنا الله تعالى ومن نحبه من اهلها واحل علينا رضوانه فانه المقصود الاعظم
كما قال تعالى ورضوان من الله اكبر لانه المبدي لكل سعادة وكرامة والمودي الى نيل الموصول والفوز
باللقاء روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى
يقول لاهل الجنة فيقولون لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا

ان يرضى وقد اعطيتنا ما لم نعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقو
وا اي شيء افضل من ذلك فالتقى احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا وهذا هو الفو
الثالث وقرأ شعبة ورضوان بضم الراء والباقون بالكسر ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم
هو الفوز العظيم الذي يستصغر دونه الدنيا وما فيها ولما وعد تعالى المنافقين بالصفا
الخبيثة وتوعدهم بانواع العقاب وكانت عادة الله تعالى في هذا الكتاب الكريم جارية
بذكر الوعد مع الوعيد لاجرم ذلك عقبه وعد المؤمنين بالصفات الشريفة الظاهرة
الطيبة وعدهم بالثواب الرفيع والدرجات العالية عاد الى شرح احوال الكفار والمنافقين
بقوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين اي الساترين كفرهم بظهور الاسلام
فان قيل الاية تدل على وجوب مجاهدة المنافقين وهو غير جائز فان المنافقين كالامر
وهو يستر كفره ويغر بلسانه ومن كان كذلك ليتجز محاربته ومجاهدته اجيب
بان البر في الاية اما يدل على ان ذلك الجهاد بالسيف او باللسان او بطريق اخر وانما يدل
على وجوب الجهاد مع الفريقين وكيفية تلك المجاهدة انما تعرف من دليل اخر وقد دلت الدلائل
المتفصلة على ان المجاهدة مع الكفار يجب ان تكون بالسيف ومع المنافق بالحجة والبرهان
وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها قال القاضي
وهذا ليس بشيء لان اقامة الحد واجبة على من ليس بمنافق فلا يكون لها تعلق بالنفاق
ولما كان صلى الله عليه وسلم مطبوعا على الرفق وحسن الخلق قال تعالى واغلظ عليهم اي بالانتهار
والمقت في الجهاد ولا تعاملهم بمثل ما عاملتهم به من اللين عند استيذانهم في القعود
وهذا بخلاف ما مضى في وعيد المنافقين حيث قدمهم فقال المنافقون والمنافقات
فقدم في كل سياق الاليق به وماواهم اي مكانهم في الاخرة جهنم وبئس المصير
اي المرجع هي يحلفون اي المنافقون بالله ما قالوا اي ما بلغك عنهم من السب والمفرة
ذكروا في اسباب نزول هذه الاية وجوها الاول روي انه عليه الصلاة والسلام اقام
في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد
لئن كان ما يقول محمد في اخواننا الذين خلفناهم بالمدينة حقا لنحن شر من الحمير فقال عامر
ابن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله عز وجل ما قاله فرفع عامر يده وقال اللهم انزل
على عبدك او نبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزلت فقال الجلاس لقد ذكر الله
تعالى التوبة في هذه الاية ولقد قلت هذا الكلام وصدق عامر ثم تاب وحسنت توبته

الثاني

الثاني انها نزلت في عبد الله بن ابي لما قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل واراد
بالرسول صلى الله عليه وسلم فسمع زيد بن ارقم ذلك فبلغه ذلك فبلغه للنبي صلى الله عليه
وسلم فهم عمر رضي الله عنه بقتل عبد الله بن ابي فجاء عبد الله ابن ابي وحلف انه لم يقل الثالث
روي قتادة ان رجلين اقتتلا احدهما من جهينة والاخر من غفار وكانت جهينة حلفا
الانصار فظهر الجهني على الغفاري فقال عبد الله بن ابي الاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا
ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك فمشى رجل من المسلمين الى النبي صلى الله
عليه وسلم فارسل اليه فحلف بالله ما قاله فنزلت ولقد قالوا كلمة الكفر وهي سب النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل هي كلمة الجلاس بن سويد وقيل هي كلمة عبد الله بن ابي وكفروا بعد اسلامهم
اي واظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا اي من قتل النبي صلى الله عليه وسلم
عند مرجعه من تبوك تواثق ثمة عشر منهم اذا تنتم العقبة اي علاها بالليل فاخذ عمار
ابن ياسر بخطام ناقته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة
بقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فهربوا وقيل هم المنافقون هموا بقتل عامر حين رد على الجلاس وقيل اراد واان يثبوا على عبد الله
ابن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا اي وما انكروا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيئا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا قبل قدوم النبي صلى
الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحرزون الغنيمة وبعد قدومه
اخذوا القتايم وفازوا بالاموال ووجوه الدولة وذلك يوجب ان يكونوا محبين مجتهدين في بذل
النفس والمال له جل وقيل الجلاس مولى وامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية اثني عشر
الفا فاستغنى فالمنافقون عملوا بضد الواجب فوضعوا موضع شكره صلى الله عليه وسلم ان
تقوما منه قال ابن قتيبة معناه ليس هناك شيء ينتقمون منه ولا يعتدون الله الا الصنع وهذا كقول
الشاعر ما نقموا من بني امية الا انهم يحلمون ان غضبوا وكقول النابغة
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب اي ليس فيهم عيب فان يتوبوا اي
من كفرهم ونفاقهم يك خيرا لهم في العاجل والاجل من اصرارهم على ذلك وهذا الذي حمل الجلاس
على التوبة والتصميم في باب التوبة وان يتولوا اي يعرضوا عن الايمان والتوبة ويصروا على النفاق والكفر يعذبهم الله
عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والاذلال والاخرة بالعذاب الاكبر الذي لا خلاص لهم منه وهو خلودهم في النار وما لهم
في الارض اي التي يعيشون فيها لسود سمتهم مزويط يحفظهم منه ولا نصير يمنعهم واما السماء فهم اقل من ان يطمعوا
منها في شيء ناصر او منيره واغلظ اكباد من ان يتقي فكرهم الى ما بها من العجايب وما بها من الجنود واعلم

ان هذه السورة اكثرها في شرح احوال المنافقين ولا شك انهم اقسام واصناف فلهذا السبب
يذكرهم الله تعالى على التفصيل فيقول تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من يلمزك في الصدقات
ومنهم من يقول آيذن لي ولا تفتني ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن منه
او علم الثاني الاصل بالعباد ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما ان ثعلبة بن
حاطب اتى عنه ما له بالشام فلم قه شدة فقال فحلق بالله وهو واقف ببعض مجالس الانصار
لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنؤدين منه حق الله والمشهور في سبب نزول هذه الاية
ان ثعلبة بن حاطب الانصاري قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير
الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك وقال يا رسول الله ادع الله لي ان يرزقني
مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى كثرت وتزايدها واديا
من وادية المدينة واشتغل بها حتى صار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي
في غنمه باقي الصلوات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا فصار لا يشهد الا الجمعة ثم
كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة ايضا فصار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان اذا كان
يوم الجمعة خرج يتلقى الناس يسالهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات
يوم فقال ما فعل الكه ثعلبة فقال يا رسول الله اتخذ غنما ما يسعها واد فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا فنزلت اية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين
لاخذ الصدقة وكتب لهما اصناف الصدقة وكيف ياخذان وقال لهما مرا بثعلبة وخذا صدقاته
فاتياه وسالاه الصدقة وقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الا جزية او هي
اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ثم رجعا
الى ثعلبة فقال كما قاله الاول ولم يدفع اليهما شيا فرجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبراه
بالذي صنع ثعلبة فانزل الله تعالى هذه الاية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب
ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كيت وكيت فخرج
ثعلبة حتى اتا النبي صلى الله عليه وسلم وساله ان يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني من ان
اقبل صدقتك فجعل يحثو على راسه التراب فقال صلى الله عليه وسلم قد قلت لك فلم تطعني
فرجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجا بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها

ثم جا بها

ثم جا بها الى عمر ايام خلافته فلم يقبلها فلما ولي عثمان اتاه بها فلم يقبلها وهلك ثعلبة
في خلافة عثمان اتاه بها فلم يقبلها فان قيل العبد اذا تاب توبة نصوحا بالله عليه فلماذا منع الله
تعالى من قبول صدقته اجيب بان الله تعالى لما قال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
وتزكيهم بها وكان هذا المقصود غير حاصل في ثعلبة مع نفاقه فلهذا السبب امتنع رسول
الله صلى الله عليه وسلم من اخذ تلك الصدقة قال الله تعالى فلما اتاهم من فضله بخلوا به
اي منعوا حق الله تعالى منه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون اي عن طاعة الله تعالى فاعقبهم
اي صيرهم عاقبتهم نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه اي الله يوم القيامة
بما اخلفوا الله ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح لان
الخلف من جنس العمل وبما كانوا يكذبون اي يجدون الكذب دايما مع الوعد ومتى عاهدوا عنه فقد
استحكم النفاق عاهدوا فغدروا ووعدوا فاخلفوا وحدثوا فكذبوا وقد قال صلى الله
عليه وسلم اية المنافق اي علامته ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان الم
يعلموا اي المنافقون ان الله يعلم سرهم اي ما اسروه في انفسهم من النفاق والعزم على
اخلاف ما وعدوه ونجواهم اي ما تناجوا بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية
وتدبير مكرها فكيف يتجاوزون على النفاق الذي الاصل فيه الاستمرار والتفاني فيما بينهم
من علمهم بان الله تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر وانه يعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر
وان الله علام الغيوب والعلام مبالغة في العالم والمغيب ما كان غايبا عن الخلق فكيف يمكن
الاخذ عنه وقوله تعالى الذين مبتدا يلمزون اي يعيبون المطوعين المتنفلين من المومنين
اي الراسخين في الايمان في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم اي طاقتهم فيلمزون منهم
فيسخرون منهم اي يستهزؤن بهم والخبر سخر الله منهم اي جازاهم على سخريتهم ولهم
عذاب اليم على كفرهم وهذا نوع اخر من اعمال المنافقين القبيحة وهو لمزهم لمن ياتي بالصدقة
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم وحث على الصدقة فجا عبد الرحمن بن عوف
باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف درهم جيتك باربعة الاف درهم فاجعلها
في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما
اعطيت وفيما امسكت فبارك الله تعالى في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ
ثمن ماله لهما مائة وثمانين الف درهم وجا عاصم بن عدي الانصاري بسبعين وسقا من تمر
وجا عثمان بن عفان بصدقة عظيمة وجا ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال اجرت
الليلة الماضية نفسي من رجل يسقي من بئر الماء الى نخله فاخذت صاعين من تمر فامسكت احدهما لعيالي

واتبعك بالاخر فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلزمهم المنافقون
وقالوا عبد الرحمن وعثمان الاتريا والله ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكن احب
ان يذكر نفسه ليعطى من مال الصدقات فنزلت وقوله تعالى استغفر لهم يا محمد او لا تستغفر لهم
تخيير للنبي صلى الله عليه وسلم في الاستغفار وتركه قال صلى الله عليه وسلم ان خيرت فاخترت يعني
الاستغفار رواه البخاري ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد
الله بن عبد الله ابن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه
اذ يستغفر له فتعمل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام سازيد على السبعين وذلك لانه صلى
الله عليه وسلم فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل لجواز ان يكون ذلك جزاء لخالفه
حكم ما وراءه فبين تعالى ان المراد التكثير دون التحديد وانما خص السبعين من العدد بالذكر لان
العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة رضي الله
عنه سبعين تكبيرة ولان احاد السبعين سبع وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين
سبع والايام سبع والاقاليم سبع والبحار سبع والنجوم سبع وقد تطلع استعمال السبعة
والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد اي عدة
مراتب الاصلية والفرعية مع ذكر اولي فروع فروعه وهو سبعة احاد عشرات مئين احاد
الوف مئين الوف احاد الوف الالوف وقوله تعالى ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس
من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا وله قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب
الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين اي المتمردين في كفرهم وهو كالتتبيه على عذر
النبي صلى الله عليه وسلم في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم مالم يعلم انهم مطبوع
على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون عن غزوة
تبوك بمقعدهم اي بقعودهم فهو اسم للمصدر خلاف رسول الله هذا نوع اخر من قبايح
اعمال المنافقين وهو فرحهم بالقعود وكراهتهم الجهاد والمخلف المتروك ممن مضى فان قيل
انهم احتالوا حتى تخلفوا فكانوا مخلفين لا مخلفين اجيب بان من تخلف عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد خروجه الى الجهاد مع المومنين يوصف بانه تخلف حيث لم ينهض واقام
تنبيه قوله تعالى خلاف فيه قولان الاول وهو قول الزجاج بمعنى مخالفة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين ساروا واقاموا قالوا وهو منصوب لانه مفعول له والمعنى بانهم قعدوا لمخالفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني قال الاخفش ان خلاف بمعنى خلف ومعناه بعد

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
تعريض للمومنين بتحملهم المشاق لوجه الله تعالى بما فعلوا من بذل انفسهم واموالهم وايثارهم
ذلك على الكون والراحة وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهون وما فيهم مما في المومنين من
باعث الايمان وداعي الايقاد وقالوا اي قال بعض المنافقين لبعض او قالوا للمومنين تثبيطا لهم
لا تنفروا اي لا تخرجوا الى الجهاد في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب الله تعالى عن هذا القول
تعالى قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون اي يعلمون ان بعد هذه الدار دارا اخرى وان بعد
هذه الحياة حياة اخرى وان هذه مشقة منقضية وتلك مشقة باقية ما تخافوا ولعضهم
مرة احقاب تلقيت بعدها اساة يوم ارهاشبه الصابي فكيف بان تلقى مرة ساعة
ورا نقضيها مائة احقابي وقوله تعالى فليضحكوا قليلا اي في الدنيا وليبكوا كثيرا اي في
الاخرة ورد بصيغة الامر ومعناه الاخبار بانه مستحصل لهم هذه الحالة ودليل ذلك هو
قوله تعالى جزاء بما كانوا يكسبون اي ان ذلك البكاء في الاخرة جزاء لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة
في الدنيا روي انه اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم فقر ضحكهم
وضحكهم طول اعمارهم في الدنيا قليل بالنسبة الى الاخرة لان الدنيا فانية والاخرة باقية والمنقطع
الفاني بالنسبة الى الدايم الباقي روي عن انس انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا فان اهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في
وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدما فتقرح العيون حتى لو ان سفنا
اجريت فيها لجرت قال البيضاوي ويجوز ان يكون الضحك والبكا كنايتين عن السرور والغم والمراد
من القلة العدم فان رجعك الله من غزوة تبوك الى طايفة منهم اي ممن تخلف بالمدينة
من المنافقين وانما قال الى طايفة منهم لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف واعتذر
بعذر صحيح وقيل لم يتب المخلفون كلهم منافقين واراد بالطايفة المنافقين منهم فاستاذنوك
للخروج معك الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل يا محمد لهولاء الذين طلبوا الخروج معك وهم معتبون
على نفاقهم لن تخرجوا معي ابدا اي في شيء من الاسفار ان الله تعالى قد اغناني عنكم واحوجكم الى
ولن تقاتلوا معي عدوا اختار بمعنى النهي للمبالغة وقوله تعالى انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا
لهم وكان استغفارهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك و
فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم قال الرازي واعلم ان هذه
الاية تدل على ان الرجل اذا اظهر له من بعض اخوانه مكر وخداع وراه مشهورا فيه مبالغا في تقرير
موجباته فانه يجب عليه ان يقطع العلقة بينه وبينه وان يحترز عن مصاحبته ولهذا امر الله تعالى

رسوله صلى الله عليه وسلم بمنع المنافقين من الخروج الى الغزوات لانه لا يليق امره بمنع الصلوة
على من مات منهم لانه لا يليق بقوله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابنا لابي رأس
المنافقين دعا النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه
وسلم سأله ان يصلي عليه واذا مات يقوم على قبره ثم ارسل للنبي صلى الله عليه وسلم يطلب منه قميصه
ليكفن فيه فارسل اليه القميص الذي يلي جلده ليكفنه فيه فارسل اليه ايضا للقميص
فقال عمر رضي الله عنه الم تنهك عن الرجس النجس فقال صلى الله عليه وسلم ان قميصي لا يغني عنه
من الله شيئا واني ارجو من الله ان يدخل في الاسلام كثيرا بهذا السبب فيروي انه اسلم الف رجل
لما راوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات جاء ابنه يعرفه وكان
ابنه مخلصا بيا خالصا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل عليه وادفنه فقال ان لم تصل عليه
يا رسول الله لم يصل عليه مسلم فقال عليه الصلاة والسلام ليصلي عليه فقام عمر رضي الله عنه
بينه وبين القبلة فانزلت هذه الاية واخذ جبريل عليه السلام بثوب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
لا تصل على احد منهم مات ابدا قال عمر ففجئت من جراتي على النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وهذا
يدل على منقبة عظيمة من مناقب عمر رضي الله عنه وذلك ان الوحي ينزل وقت قوله في ايات
كثيرة منها اية اخذ الفدية هذا ساري بدر وقد سبق شرحه ومنها اية تحريم الخمر ومنها اية
تحويل القبلة ومنها اية تحريم امر النساء بالحجاب ومنها هذه الاية فصار نزول الوحي على طابقة
عمر منصبا عاليا ودرجة رفيعة له في الدارين ولهذا قال في حقه عليه الصلاة والسلام لو لم
ابعث لبعثت يا عمر نبيا واعلم نبي صلى الله عليه وسلم عن التكفين في القميص ونهى عن الصلاة
عليه لان الضنة بالقميص كانت تحمل بالكرم وكان الله تعالى امره ان لا يرد سائلا بقوله تعالى واما
السائل فلا تنهر ولان ابنه كان بالوصف المتقدم فاكرمه النبي صلى الله عليه وسلم لعل كان ابنه ولد الزنا
والرافة كانت غالبة عليه صلى الله عليه وسلم ولانه كانت مكافاة لالباسه العباس قميصه حين كان
اسيرا ببدر والمراد من الصلاة الدعا للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر قال الواحدي
مات في موضع جر لانه صفة للنكرة كانه قيل على احد منهم ميت وقوله تعالى ابدا متعلق بقوله احد والتقدير
ولا تصل ابدا على احد منهم مات كليا ايما قال البيضاوي وهذا ان ابدا يعني الموت على الكفر فان احيا الكافر
للتعذيب لا للتمتع وكانه لم يحي واختلفوا في تفسير قوله تعالى ولا تقم على قبره فقال الزجاج كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع هاهنا منه قال الاقتام له صلاح مهما
قبره وهو من قولهم قام فلان بامر فلان اذا كفاه امره وتولاه وقيل الاقتام عند قبره لدفن او زيارة
والاول اولى لان النهي للتحريم ثم انه تعالى علل المنع من الصلاة عليه والقيام على قبره بقوله تعالى انهم كفروا

بالله

بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون اي كافرون يعني لم يتوبوا قبل موتهم عن كفرهم فسقط
بذلك ما قيل ان الفساد في هذا الكفر فانه غاية في وصفهم بعد ذلك بالفسق اجيب بان
الكافر قد يكون عدلا في دينه وقد يكون فاسقا فوصفه الله تعالى المنافق بالفسق بعد ان وصفه بالكفر
تنبيها على ان طريقة النفاق طريقة مذمومة عند كل اهل العلم فان قيل كيف نهى صلى الله عليه وسلم
ان يصلي على هذا المنافق مع قيام الكفر فيه وقيل انه صلى عليه اجيب بانه انما كان مبنيا على
قوله صلى الله عليه وسلم انما نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فانه كان ظاهره الاسلام فلما اعلمه
تعالى بذلك امتنع فلم يصل على منافق بعد ذلك ولا قام على قبره حتى قبض ولا تعجبك اموالهم
واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون سبق ذكر
هذه الاية في هذه السورة تفسيرا ولكن حصل بينهما تفاوت في الفاظ اربعة اولها ان في الاية المتقدمة
قال تعجبك بالفاء وههنا بالواو لان الاية الاولى ذكرت بعد قوله تعالى ولا ينفقون الا وهم كارهون
وصفهم بكونهم كارهين للانفاق وانما كرهوا ذلك الانفاق لكونهم معجبين بكثرة تلك الاموال
والاولاد فلهذا المعنى نهاه الله تعالى عن ذلك الاعجاب بالتعقيب واما ههنا فلا تعلق لهذا الكلام
بما قبله فلا جرم ترك الواو وثانيها انه قال تعالى في الاية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم وههنا
كلمة لا محذوفة لان مثل هذا الترتيب يبدأ فيه بالاولاد ثم يثنى الى الاشرف فيقال لا تعجبني امر
الامير ولا امر الوزير وهذا يدل على انه كان اعجاب اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم
وهذه الاية تدل على عدم التفاوت بين الامرين عندهم وثالثها انه تعالى قال هناك انما يريد الله
ليعذبهم وههنا قال انما يريد الله ان يعذبهم فالغاية فيه التنبيه على ان التعليل بالحكم الله
تعالى محال وانه انما ورد حرف التعليل ومعناه انه كقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله وما امروا الا
بان يعبدوا وراجعها انه ذكر في الاية الاولى في الحياة الدنيا وههنا اسقط لفظ الحياة تنبيها على ان
الحياة الدنيا بلغت في الخسة الى انها لا تستحق تسمى حياة بل يجب الاقتصار عند ذكرها على
لفظ الدنيا تنبيها على كمال دناءتها قال الرازي فهذه وجوه في الفرق بين هذه الالفاظ والعالم يكفيه
بتحقيق القرآن هو الله تعالى فان قيل ما الحكمة في التكرير اجيب بانه اشد الاشياء جدا وطلبا للخواطر
الى ان الاشتغال بالدنيا هو الاموال والاولاد وهما كان كذلك يجب التحذير عنه مرة بعد اخرى في المطلوبية
والمرغوبية كما اعاد تعالى قوله في سورة النساء ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
مرتين وقيل انما كرر هذا المعنى لان الاية الاولى في قوم منافقين لهم اموال واولاد في وقت نزولها وهذه
الاية في قوم اخرين والكلام انواعا واذا احتيج الى ذكره مع اقوام كثيرين في اوقات مختلفة لم يكن ذكره
مع بعضهم مغنيا عن ذكره مع اخرين وقوله تعالى واذا انزلت سورة يحتمل ان يراد بالسورة سورة

تمامها وان يراد بعضها اي طائفة من القران وقيل المراد بالسورة سورة براءة لان فيها الامر
بالايمان والجهاد اذ امنوا بالله اي بان امنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع
رسوله فان قيل كيف يامر المومنين بالايمان فان ذلك يقتضي الامر بتحصيل الحاصل وهو
محال اجيب بان معناه الدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل هذا الامر وان كان ظاهر
العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون اي اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله
صلى الله عليه وسلم وانما قدم الامر بالايمان على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد شيا
ثم حكى الله تعالى ان عند نزول هذه السورة ماذا يقولون فقال تعالى استاذنك اولوا الطول منهم
قال ابن عباس يعني اهل الثروة والسعة من المال وقيل هم روساء المنافقين
وكبراوهم وقالوا اي اولوا الطول ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا لعذر كالمرض والزمني وقيل
مع النساء والصبيان ثم ذمهم الله تعالى بقوله رضوا بان يكونوا مع الخوالف جمع خالفة اي الفاسقة
اللاتي يتخلفون في المنزل وقيل الخوالف اذناب الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة قومه اذا كان
دونهم وانما حضر اولوا الطول بالذكر لان الذم لهم كما زم لاجل كونهم قادرين على النفس
والجهاد واما من لا مال له ولا قدرة له على السفر فلا يحتاج الى الاستيذان قال المفسرون كان
يصعب على المنافقين تشبههم بالخوالف وطبع اي وختم على قلوبهم اي هو لاء المنافقين فهم
لا يفقهون اي لا يعلمون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة والهلاك
ولما شرح الله سبحانه وتعالى حال المنافقين من الفرار عن الجهاد بين حال الرسول والذين امنوا
معه بالضد منه بقوله تعالى لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم
اي بذلوا المال والنفس في طلب رضوان الله تعالى والتقرب اليه وفي قوله تعالى لكن فايدة وهو
التنبيه على ان تخلف هولاء المنافقين عن الغزو فقد توجه اليه من هو خير منهم واخلص نية
واعتقادا وقوله تعالى ان يكفر بها هولاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها كافرين وصفهم الله تعالى بالمسارعة الى الجهاد
ذكر ما يحصل له من الفوايد والمنافع وهو انواع اولها ما ذكره الله تعالى بقوله واولئك لهم الخيرات
اي منافع الدارين النصرة والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الخيرات الحور العين
لقوله تعالى فيهن خيرات حسان ثانيها ما ذكره الله تعالى بقوله واولئك هم المفلحون اي الفايزون
بالمطالب المنجيات من العقاب والعتاب وثالثها ما ذكره بقوله تعالى اعد الله لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم هذا بيان ما لهم من الخيرات الاخروية وجا المعذرون
بادغام التاء في الاصل في الزاي اي المعتذرون بمعنى المعذورون من الاعراب الى النبي صلى الله
عليه وسلم ليوذن لهم في القعود لعذرهم فاذن لهم واختلف في هولاء المعذورين فقيل هم اسد

وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فاذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل
قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا وهو اشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنى
الله عنكم وقيل اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة اعتذروا بالكذب والاعتذار
في كلام العرب على قسمين يقال اعتذر اذا كذب في عذره ومنه قوله تعالى يعتذرون اليكم اذا
رجعتم اليهم فرد الله تعالى عليهم بقوله قل لا تعتذروا لن نومن لكم قد نبانا الله من اخباركم
وقيل الا اعتذار اذا اتى بعذر صحيح كما في قول لبيد ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر
يريد فقد جا بعذر صحيح وقيل هو التعذير الذي هو التقصير فقال معذر يعذر اذا حضر ولم
يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل انهم كانوا صادقين في اعتذارهم وانهم كانوا كاذبين ومن المفسرين
من قال انهم كانوا صادقين بدليل انه تعالى لما ذكره قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله
اي في ادعا الايمان من منافقي الاعراب عن المجي للاعتذار فلما فصل بينهم وميز عن الكاذبين
دل ذلك على انهم ليسوا كاذبين وروي عن عمرو بن العلا انه لما قيل له هذا الكلام فقال ان اقواما
تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجا المعذرون وتخلف الاخرون لا عذر ولا
تشبه عذر جراة على الله وهم المراد بقوله تعالى وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين
كفروا منهم اي من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر بالكلمة لا لكفره عذاب اليم في
الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار ولما بين سبحانه وتعالى الوعيد في حق من توهم العذر مع انه لا عذر له
ذكر اصحاب الاعذار الحقيقية وبين ان تكليف الله تعالى بالغزو والجهاد عنهم ساقط بقوله تعالى
ليس على الضعفا كالشيوخ ومن خلق في اصل الفطرة ضعيفا نحيفا ولا على المرضى كالمزمنين
وذوي العرج والعمى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الجهاد حرج اي اثم في التخلف عنه فسبحان
وتعالى عن هذه الاقسام الثلاثة الحرج فيجوز لهم ان يتخلفوا عن الغزو وليس في الاية بيان
انه يحرم عليهم الخروج لان الواحد منهم لو خرج ليبين المجاهدين بقدر قوته اما لحفظ هم
متاعهم او لتكثير سوادهم بشرط ان لا يجعل نفسه كلا ووبالا كان ذلك طاعة مقبولة ثم انه
سبحانه وتعالى شرط في جواز هذا التاخير عن الغزو شرطا بقوله اذا نصحوا لله ورسوله في حال
قعودهم بالايمان والطاعة في السر والعلانية وان يحترز عن لقا الارجافات وعن اثارة الفتن
ويسعوا في ايصال الخير الى المجاهدين الذين سافروا اما ان يقوموا باصلاح مهمات بيوتهم هو
واما ان يسعوا في ايصال الاخبار السارة من بيتهم فان جملة هذه الامور جارية مجرى الخيانة
على الجهاد وقوله تعالى ما على المحسنين في موضع ما عليهم لبيان احسانهم بنصحهم مع عذرهم
من سبيل اي طريق الى ذمهم او لومهم والمعنى انه ثبت احسانه طريق العتاب ومن اعظم الاحسا

من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله مخلصا من قلبه فان ما عليه من سبيل في نفسه وماله
لاباحة الشرع بدليل منفصل اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والمحسن هو الاتي
بالاحسان وراس ابواب الاحسان وربيبها هو قول لا اله الا الله محمد رسول الله والله غفور اي محا
محاة الذنوب رحيم اي يجمع عباده وفي ذلك اشارة الى ان الانسان محل التقصير وان اجتهد
فلا يسعه الا العفو ولما ذكر الله سبحانه وتعالى الضعفاء والمرضى والفقراء وبين انه يجوز لهم التخلف
عن الجهاد بشرط ان يكونوا ناصحين لله ورسوله وهو كونهم محسنين وانه ليس لاحد عليهم سبيل
ذكر قسما اخر ممن هو معذور في قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم الى الغزو وهم
البكاءون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير
وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن معقل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ابدنا
الخروج اي اسرعنا فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغزو في فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه تولوا وهم يبكون ولذلك سموا بكاءين وقيل هم بنو مقرن
ابن مزينة وكانوا ثلاثة اخوة معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه وقيل نزلت
في العرباض بن سارية ويحتمل انها نزلت في كل من ذكر وقوله تعالى قلت لا اجد ما احملكم عليه
حال من الكاف في اتوك باضمار قد وقوله تعالى تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اي تسيل والدمع
ابيد معها لانه اسيل فان ومن للبيان كقولك افديك من رجل وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه
يدل على ان العين صارت دمعا فيا ضاق قوله تعالى حزنا منصوب على العلة ان لا يجدوا اي ليلا يجدوا
نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا ما ينفقون في الجهاد ولما قال تعالى
ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر له عذره انما السبيل اي انما يتوجه الطريق
بالعقوبة على الذين يستاذنونك يا محمد في التخلف عنك والجهاد وهم اغنياء اي قادرين على
اهبة الخروج معك وقوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف كانه قيل ما بالهم استاذنوا
وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناة والصنعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان وطبع
الله على قلوبهم فلا جل ذلك الطبع قال الله تعالى فهم لا يعلمون اي ما في الجهاد من منافع الدارين اما
في الدين فالفوز بالغنيمة والظفر بالعدو واما في الاخرة فالثواب والنعيم الدايم الذي لا ينقطع يتبين
اي هلك المنافقين اليكم اي في التخلف اذا رجعتم عن الغزو اليهم بالاعذار الباطلة والخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وانما ذكره بلفظ الجمع تعظيما له ويحتمل ان يكون له وللمومنين يوديا ذا الذي يحلفوا
عن غزوة تبوك من المنافقين كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم جاءوا
يعتذرون اليه بالباطل قال تعالى لهم يا محمد لا تعتذروا بالمعاذير الباطلة لن نومن لكم اي لن نصدقكم

فيما اعتذرتم

فيما اعتذرتم به وقوله تعالى قد نبانا الله من اخباركم اي بعض احوالكم التي انتم عليها من
الشر والفساد فلا تتفاوتوا تصديقهم لان الله تعالى اذا اوحى الى رسوله صلى الله عليه وسلم الاعلام باحوالهم
وما في ضمايرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم
ورسوله اي امتثوبون عن نفاقكم ام تقيمون عليه ثم تردون اي بالبعث الى علم الغيب والشهادة هو
بما كنتم تعملون اي الله المطلع على ما في ضمايركم من الصيانة والكذب واخلاف الوعد وغير ذلك
من الخبايا التي انتم عليها فيجازيكم عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اي رجعتم اليهم من تبوك
انهم معذورون في التخلف ليعرضوا عنهم اي لتصفحوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرض عنهم اي فدعوهم
وما اختاروا لانفسهم من النفاق قال ابن عباس يريد ترك الكلام والسلام قال مقاتل قال النبي صلى الله
عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم قالا هل المعاني هو طلبوا اعراضه بالصفح فاعطوا العرض
المتنن ثم ذكر تعالى علة الاعراض بقوله تعالى انهم رجس اي قذر الخبث باطنهم وكما يجب الاحتراز عن النجاسة
الجسمانية يجب الاحتراز عن الرجاس الروحانية خوفا من سريانها الى الانسان وحذرا من ان يميل
طبع الانسان الى تلك الاعمال وقوله تعالى وماواهم جهنم من تمام العلة جزاء بما كانوا يكسبون من هذه
الاعمال الخبيثة في الدنيا في من نزلت فيه هذه الاية فقال ابن عباس نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن
قشير وامية بن ابجر الذي تاثم اثنان وثمانون رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم
ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو
لا يتخلف عن بعدها وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله تعالى هذه الاية وقوله تعالى يحلفون
لكم لترضوا عنهم اي يحلفون لكم هولاء المنافقون لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون
بهم فان ترضوا عنهم فان رضيتم عنهم ايها المومنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم فان الله لا يرضى
عن القوم الفاسقين لانه تعالى يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك ولا يرضى عنهم ايها المومنون
بما حلفوا لكم وقبلتم معذرتهم والمقصود من الاية عدم الرضا عنهم والاعتداد بمعاذيرهم بعد الامر
بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم ونزل في سكان البادية الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل
الحضر لجفاياهم وغلظ طباعهم وبعدهم عن اهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجهلا
الهوا الحاير الباس عليهم وذلك يوجب مزيد القسوة والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم وليسوا
تحت سياسة سايس ولا تاديب مودب ولا ضبط ضابط فنشاوا كما شاوا وان كان كذلك خرج من هم
اشد الجهات نفاقا ولمقابلة الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية لعرفت الفرق بين اهل الحضر واهل البادية
قال العلماء من اهل اللغة يقال رجل عربي اذا كان له نسب في العرب وجمعه العرب كما يقال مجوسي ويهودي
ثم تحذف ياء النسب في الجمع فيقال المجوس واليهود ورجل اعرابي بالالف اذا كان بدويا بايطلب مساقط

النبي والكلام وسواكان من العرب ام من مواليهم ويجمع الاعرابي على الاعراب والاعاريب والاعارب
اذا قيل له يا عربي فرح والعربي اذا قيل يا اعرابي غضب له فمن استوطن القرى العربية فهم
عرب ومن نزل البادية فهم اعراب والذي يدل على الفرق بينهما انه صلى الله عليه وسلم قال
العرب هم الايمان واما الاعراب فقد ذمهم الله تعالى في هذه الاية وقيل سموا بالعرب لانهم
معربة عما في ضمايرهم ولا شك ان اللسان العربي مختص بانواع من الفصاحة والجزالة لا يوجد
في سايرالالسنة قال الرازي ورايت في بعض الكتب عن بعض الحكما انه قال حكمة الروم
في اوانيهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند في اوهامهم
وحكمة اليونان في افيدتهم ولذلك لكثرة مالهم من المباحث العقلية وحكمة العرب في السنتهم
وذلك لحلاوة السنتهم وعذوبة عباراتهم ثم حكم الله تعالى على الاعراب بحكم اخر بقوله تعالى واجدر
ابي احق واولى ايي بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الاحكام والشرايع فرايضها
وسننها والله عليم بما في قلوب عباده حكيم فيما فرض من فرايضه واحكامه ومن الاعراب من
يتخذ ما ينفق في سبيل الله تعالى مغرما اي غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس
يلزمه لان له ان لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء المثوبة عنده وهم اسد
وغطفان وتميم يعني اي يتنظر بكم الدوايرد وايرالزمان ان يتغلب عليكم فيموت النبي صلى الله
عليه وسلم وتظهر المشركون قال الله تعالى عليهم دايرة السوء دعا عليهم معترض قال الزمخشري
بين كلامين لك في اثنا كلامك ولا في اخره دعا عليهم بنحو ما دعوا به قال الله تعالى وقالت اليهود
يد الله مغلولة غلت ايديهم اي يدور عليهم البلا والحزن ولا يزدون في محمد صلى الله عليه وسلم
ودينه واصحابه الا ما يسوءهم ويكيدهم وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم السين والباقون بالفتح
مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق والله سميع لاقوالهم
عليم بما تخفي ضمايرهم ولما بين سبحانه وتعالى انه حصل في الاعراب من يتخذ انفاقه في سبيل
الله مغنما بقوله تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر كبعض جهينة ومزينة
فوصفهم الله تعالى بوصفين كونهم مومنين بالله واليوم الاخر والمقصود التنبيه على انه
لابد في جميع الطاعات من تقديم الايمان وفي الجهاد ايضا كذلك والثاني ما ذكره بقوله تعالى
ويتخذ ما ينفق قربات بان يجعل قربة اي يقربه عند الله اي الذي لا اشرف من القرب عنده وسيلة
الى صلوات اي دعوات الرسول صلى الله عليه وسلم لانه كان يدعو للمتصدقين عنده بالخير
والبركة ويستغفر لهم كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي وفي قال تعالى وصل عليهم اي
ادع لهم ولما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الرسول الا انها

اي نفقاتهم

اي نفقاتهم قربة لهم عند الله وهذا شهادة من الله تعالى للمومن المتصدق بصحة ما عتقد
من كون نفقاته قربات عند الله وصلوات الرسول وقد اكد الله تعالى هذه الشهادة بحرف التنبيه
وهو قوله تعالى الا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها ثم زاد في التاكيد فقال تعالى سيدخلهم
الله في رحمته فان دخول السين توجب مزيد التاكيد وهذه النعمة هي التي مرادهم
وقرا ورش قربة بوقف الراء والباقون بالسكون والاصل هو الضم والاسكان تحقيق ان الله
غفور اي يليغ الستر للقبايح من تاب رحيم بهم ولما ذكر تعالى فضايل الاعراب الذين يتخذون
ما ينفقون قربات عند الله وما اعد لهم من الثواب بين تعالى ان فوق منزلتهم منازل اعلا
واعظم منها بقوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار اما من المهاجرين
فقال سعيد بن المسيب هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن رباح هم اهل بدر وقال
الشعبي هم اهل بيعة الرضوان وقال محمد بن كعب هم جماهير الصحابة وقيل هم الذين اسلموا
قبل الهجرة واختلف في اول الناس اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بعض العلما اول من اسلم بعد خديجة علي بن ابي طالب وهذا قول جابر واختلفوا في سنه
وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والاكثرون
على انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق وهذا قول
ابن عباس وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة زيد بن ابي حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهذا قول عروة بن الزبير وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين هذه الروايات
فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي ومن الموالي زيد
ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهولا اربعة سباق الخلق الى الاسلام واما من
الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا
ستة تقديم العقبة الثانية من العام المقبل وكانوا اثني عشر رجلا فهولا سباق الانصار
وقيل المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة ويدل على هذا انه تعالى ذكر كونهم
سابقين ولم يبين لهم انهم سابقون فيما ذا فبقي اللفظ مجملا فوجب صرف اللفظ الى ما قد ذكر
مهاجرين وانصارا وهو الهجرة والنصرة فوجب ان يكون المراد السابقين الاولين في الهجرة
والنصرة ازالة للاجمال عن اللفظ وايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية ومنقبة
شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدايه واوذوه وواسوه واووا اصحابه
وواسوهم فلذلك اثنى الله تعالى عليهم وقدمهم والذين اتبعوهم اي الفريقين الى يوم القيامة
باحسان اي في اتباعهم فلم يحولوا عن شيء من طريقتهم وقالوا هم الذين يذكرون المهاجرين

والانصار ويتوعون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم وقيل بقية المهاجرين والانصار
سوى السابقين الاولين وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا
اصحابي فلو ان احدكم انفق احدا مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه والنصيف الخمار
والمعنى لو ان احدكم اعمل مهما عمل قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله
ما بلغ هذا القدر الحقير من عمل الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة
وعن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين
يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعده قرنين ام ثلثا والقرن الامة من الناس يقارن بعضهم
بعضا واختلفوا في مدته فمن الزمان فقيل من عشرين الى عشرين سنة وقيل من مائة
الى مائة سنة وهذا هو المشهور وقيل من مائة الى مائة وعشرين سنة ثم جمعهم الله تعالى
في الثواب فقال رضي الله عنهم فالسابقون مرتفع بالابتداء وخبره رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما افاض عليهم من نعمه الجليلة في الدنيا والاخرة واعد لهم جنات
تجري تحتها الانهار اي تجري كثيرة المياه فكل موضع ارادته نبع منه ما يجري منه نهر وقرئ تكثير
بزيادة من تحتها وبحر التاء بعد الحاء والباقون بغير من وفتح التاء على ربحانه وتعالى لانقطاع تنوين
تعالى خالدين فيها واكد المراد من الخلود بقوله تعالى ابدا ثم استانف مدح هذا الذي اعده لهم
بقوله تعالى ذلك اي الامر العالي الرتبة الفوز العظيم ولما شرح تعالى احوال منافقي المدينة ثم ذكر بعض
احوال منافقي الاعراب ثم بين ان في الاعراب منهو مومن خالص ثم بين ان رؤساء المومنين منهم
وهم السابقون والمهاجرون والانصار ذكر ان جماعة من حول المدينة موصوفون بالنفاق
بقوله تعالى ومن حولكم اي اهل بلدتكم وهي المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة واسلم
واشجع وغفار كانوا نازلين حولها وقوله تعالى ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي
هو ومن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذ اقدرت ومن اهل المدينة قوم
مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا
اي انا ابن رجل جلا فحذف الموصوف واقام الصفة مقامه وقال الزجاج في الاية تقديم وتاخير
والتقدير ومن حولكم من الاعراب ومن اهل المدينة منافقون مردوا على النفاق اي ثبتوا واستمروا
فيه ولم يتوبوا عنه واصل المرود الملابسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد لا تعلمهم بأعيانهم اي
يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط توقيهم ما يشكك في امرهم
ثم هو دهم وبين خسارتهم بقوله تعالى نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله تعالى ولا يطلع على سرهم
غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهر النفاق المخالف

من المومنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى
واختلفوا في تفسير قوله تعالى سنعذبهم مرتين فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله
عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد جماعة
من المنافقين وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني عذاب القبر فان قيل كيف هذا مع قولهم
لا تعلمهم نحن نعلمهم اجيب بانه تعالى اعلمه بهم بعد ذلك وقال مجاهد الاول القتل والسبي
والثاني عذاب القبر وقال ابن زيد الاول المصائب في الاموال والاولاد والثاني عذاب الاخرة وقال ابن عباس
الاول اقامة الحدود عليهم والثاني عذاب القبر وقيل عذبوا بالجوع مرتين وقيل الاول ضرب
الملائكة وجوههم وادبارهم عند قبض ارواحهم والثاني عذاب القبر وقيل الاول احراق
مسجدهم مسجد الضرار والثاني احراقهم بنار جهنم كما قال تعالى ثم يردون في الاخرة الى عذاب
غليظ هو النار وقوله تعالى واخرون اي وقوم اخرون مبتدا وقوله تعالى اعترفوا بذنوبهم وصفهم
بتخلفهم عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة بعقبه وللخبر خلطوا عملا صالحا اي وهو جهادهم
قبل ذلك او اعترافهم بذنوبهم او غير ذلك واخر سيا اي وهو تخلفهم عسى الله ان يتوب
عليهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التايب ويتفضل عليه نزلت في طائفة من المتخلفين عن
غزوة تبوك واختلفوا في عددهم فعن ابن عباس كانوا ثلاثة عشر وروي عنه انهم كانوا
خمسة وقال سعيد بن جبير كانوا ثمانية وقيل كانوا ثلاثة تندموا لما بلغهم ما المتخلفين وتابوا
وقالوا نكون في الظلال ومع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد واللاواه
فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب من المدينة قالوا والله لئن نفث انفسنا
بالسفر فلم نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقها ويعذرنا في بطوا
انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد على عادته
في رجوعه من سفره فصلى ركعتين فراى فالمسجد عنهم فذكر له انهم اقسموا لا يحلوا
انفسهم حتى تحلهم وترضى عنهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر باطلاقهم فرغبوا في
وتخلفوا عن الغزو ومع المسلمين فانزل الله تعالى هذه الاية فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم واطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها
خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال عليه الصلاة والسلام ما امرت ان اخذ من
اموالكم شيئا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم من الذنوب او حب المال المودي الى
مثله وتجري لهم مجرى الكفارة هذا قول الحسن كان يقول ليس المراد من هذه الاية الصدقة
الواجبة وانما هي كفارة الذنب الذي صدر ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم اخذ ثلث اموالهم

وتصدق بها وابق لهم الثلثين ولم يأخذ الجميع لان الله تعالى قال خذ هذا موالهم والصدقة
الواجبة لا يوجد فيها ثلث المال وتزكيهم بها اي وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين
وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم والسنة ان يدعو اخذ الصدقة لصاحب
الصدقة اذا اخذها وعند الشافعي رضي الله عنه احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة هذه
اجرك الله فيما اعطيت وجعله لك طهورا وبارك لك فيما ابقيت ان صلوتك سكن لهم اي تسكن
اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم لان روحه صلى الله عليه وسلم كانت روحانية قوية مشرقة
صافية باهرة فاذا دعا صلى الله عليه وسلم لهم وذكرهم بالخير فاضت اثار من قوة روحه
الروحانية على ارواحهم فاشرقت بهذا السبب ارواحهم وصفت اسرارهم وانتقلوا من
الظلمة الى النور ومن الجسمانية الى الروحانية فحصل لهم بغاية الطمانينة وقراحفص
وحمزة والكسائي صلاتك بغير واو بعد اللام ونصب التاء على التوحيد والباقون بالواو وكسر
التاء على الجمع لتعدد المدعو لهم وقيل ان هذه الاية كلام مبتدا والمقصود منها ايجاب
اخذ الزكوات من الاغنياء وعليه اكثر الفقهاء اذ استدلوا بهذه الاية في ايجاب الزكاة وقالوا
في الزكاة انها طهرت والله سميع لاقوالهم واعترافهم ودعائك لهم عليم ببداءتهم ونياتهم
ولما حكى سبحانه وتعالى عن القوم الذين تقدم ذكرهم انهم تابوا عن ذنوبهم وانهم تصدقوا وهذا
لم يذكر الا قوله عسى الله ان يتوب عليهم وما كان ذلك صريحا في قبول التوبة ذكر بعد ذلك انه
يقبل التوبة وانه سبحانه ياخذ الصدقات ترغيبا لمن لم يتب في التوبة وترغيبا لكل العصاة في
الطاعة بقوله تعالى الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ اي يقبل الصدقات
والضمير اما للتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم واما
لغيرهم والمراد به التخصيص عليها والاية وان وردت بصيغة الاستفهام الا ان المراد بها هو
التقرير بنفي النفس ومن عادة العرب في افهام المخاطب وازالة الشك عنه ان يقولوا اما
علمت ان من علمك يجب عليك خدمته اما علمت ان من احسن اليك يجب عليك شكره هو
فبشر الله تعالى هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ترغيبا في التوبة وبذل الصدقات وذلك
انه لما نزلت توبة هؤلاء التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس
لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فانزل الله تعالى هذه الاية ترغيبا في التوبة ثم زاد تاكيدا
بقوله تعالى وان الله هو التواب الرحيم اي وان ما شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم
وفي هذا تعظيم امر الصدقات وتشريفها وان الله يقبلها من عبده عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب

ولا يقبل

ولا يقبل الله الا طيبا ولا يصعد الى السماء الا الطيب الا يضعها في يد الرحمن عز وجل فيربيها له
كما يربي احدكم فلوه حتى ان اللقمة لتاتي يوم القيامة وانها كمثل الجبل العظيم ثم قرا ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وقل اعملوا اي وقل لهم او للناس يا محمد اعملوا
ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خير كان او شر فيه ترغيب عظيم للمطيعين هو
ووعيد عظيم للمذنبين كانه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فان الله تعالى يرى اعمالكم
ويجازيكم عليها ويرى ايضا رسوله والمومنون اعمالكم اما رويته النبي صلى الله عليه وسلم فاظاهر
الله تعالى اياه على اعمالكم واما رويته المومنين فيقذف الله تعالى في قلوبهم من محبة الصالحين
وبغض المفسدين وستردون الى عالم الغيب والشهادة اي وستجعون يوم القيامة الى
من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شيء من اعمالكم بواطنكم وظواهركم فينبئكم اي فيجزيكم
بما كنتم تعملون من خير وشر فيجازيكم على اعمالكم واعلم ان الله تعالى قسم المتخلفين عن الجهاد
ثلاثة اقسام اولهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني التائبون وهم المرادون بقوله
تعالى واخرون اعترفوا بذنوبهم وبين انه تعالى قبل توبتهم والقسم الثالث الذين بقوا موقوفين
وهم المذكورون في قوله تعالى واخرون اي من المتخلفين موجون اي مرجون عن التوبة
وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائي بغير همز بين الجيم والواو والباقون بهمزة مضمومة بين
الجيم والواو لامر الله اي لحكم الله تعالى فيهم والفرق بين القسم الثاني وبين هذا ان اولئك سارعوا
الى التوبة وهؤلاء لم يسارعوا اليها قال ابن عباس نزلت هذه الاية في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع
وهلال بن امية وسياتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا تخلفوا كسلا وميلا
الى الراحة لا نفاقا ولم يعتذروا الى النبي صلى الله عليه وسلم كغيرهم فوقفهم خمسين ليلة حتى
نزلت توبتهم بعد اما يعذبهم بان يميتهم من غير توبة واما يتوب عليهم بان تابوا فان قيل
كلمة اما واما للشك والله تعالى منزه عن ذلك اجيب بان التردد بالنسبة للعباد ولكن امرهم
عندكم على هذا في الخوف والرجاء فان الله تعالى لا تخفى عليه خافية وفي هذا دليل على ان كلا هذين
الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوال عباده حكيم فيما يفعل بهم ولما ذكر تعالى
اصناف المنافقين وطرائقهم المختلفة قال تعالى والذين اتخذوا مسجدا قال ابن عباس وهم اثنا
عشر رجلا من المنافقين بنوا مسجدا ضرارا اي مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا وكفرا
اي وتقوية للنفاق وقال ابن عباس يريد به ضرار المومنين وكفرا بالنبي صلى الله عليه وسلم وملحا
وقال غيره اتخذوه ليكفروا فيه بالطعن على النبي صلى الله عليه وسلم والاسلام وتفريقا بين المومنين
لانهم كانوا جميعا يصلون بمسجد قبا فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيودي ذلك الى

الى الاختلاف وافتراق الكلمة والرصاد اي ترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر الراهب حنظلة الذي غسلته الملائكة وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة عاداه لانه نزلت الرياسة وقال للنبي صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي جيت به قال جيت بالحنيفة دين ابراهيم عليه السلام قال له ابو عامر انا عليها وقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها فقال له ابو عامر اماتك الله الكاذب شريدا وحيدا غريبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه الفاسق فلما كان يوم احد قال ابو عامر لا اجد قوما يقاتلون تركت الا قاتلتك معهم ولم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج الى الشام وارسل الى المنافقين استعدوا بما استطعتم من القوة والسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فآتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قبا وانتظروا مجيء ابي عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد وقوله تعالى من قبل متعلق بحارب اي حارب من قبل ان يبني مسجد الضرار وبا تخذوا اي اتخذوا من قبل ان يأمروهم بالتخلف ولما وصف تعالى هذا المسجد بهذه الصفات الاربعة قال تعالى ولنحلفن ان اردنا الا الحسنى اي ولنجلفن ما اردنا ببنائه الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين في التوسعة على اهل الضعف والعلة والعجز عن المصير الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المظلمة والليلة الشاتية والله يشهد انهم لكاذبون في قولهم وكذبهم تنبيه قوله تعالى والذين اتخذوا محله نصب على الاختصاص كقوله تعالى والمقيمين الصلوة او رفع على الابتداء والخبر تحذوف اي وممن ذكرنا الذين ولما بنا المنافقون ذلك المسجد لاضرار من الفاسوة عند ذهاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة تبوك وقالوا يا رسول الله بنينا مسجدا لذي العلة والليلة المطيرة والشاتية ونحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا فيه بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل راجعا صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك سألوه اتيان المسجد نزل قوله تعالى لا تقم فيه ابدا قال ابن عباس معناه لا تصلي فيه ابدا وقال الحسن هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يذهب الى ذلك المسجد فنادي جبريل لا تقم فيه ابدا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ابن الدخشم ومعن ابن عدي وعامر بن السكن ووحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه فخرجوا سريعا حتى اتوا بني سالم بن عوف وهو رهط مالك بن الدخشم فقال مالك انظروني حتى اخرج لكم بنار من اهلي فدخل الى اهله

واخذ

واخذ سعفا من النخل فاشعل فيه نارا ثم خرج واشتد ودخل المسجد وفيه اهله فحرقه وحرقوه وتفرق عنه اهله وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام وحيدا غريبا وقيل كل مسجد بني مباهاة ورياء غير طيب وهو ملحق بمسجد الضرار وعن عطا لما فتح الله تعالى الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه وقوله تعالى لمسجد اللام فيه للابتداء وقيل لام القسم تقديره والله لمسجد اسس اي وضع اساسه وقواعده على التقوى اي تقوى الله تعالى من اول يوم اي من اول ايام وجوده لان من تمام الزمان والمكان اي فاساطت به التقوى لانها اذا احاطت بأوله احاطت باخره احق اي اولى ان تصلي فيه ان اي بان تقوم اي تصلي فيه واختلفوا في هذه المسجد الذي اسس على التقوى فقيل هو مسجد المدينة قاله زيد بن ثابت وابو سعيد الخدري رضي الله عنه دخلت على رسول صلى الله عليه وسلم في بيت نسايه فقلت يا رسول الله صلى الله اي المسجد الذي اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصا فضرب به الارض ثم قال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي وعن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوايم منبري هذا رواتب في الجنة اي ثوابت وقيل هو مسجد قبا قاله سعيد بن جبير وقتادة اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس فخرج يوم الجمعة ويدل على هذا قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا اي من المعاصي المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى عليهم والله يحب المطهرين اي يثيبهم ويرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادنا المحب حبيبه روي انها لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال اومنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمومنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضا فقالوا نعم قال اتصبرون على البلا قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مومنون ورب الكعبة فجلس فقال ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغايط فقالوا يا رسول الله نتبع الغايط الثلثة الاحجار ثم نتبع الاحجار الماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وروى ابن خزيمة في صحيحه عن ابن ساعدة انه صلى الله عليه وسلم اتاهم في مسجد قبا فقال ان الله تعالى قد احسن اليكم الثنا في الطهور في قصة

ل

مسجدكم فما الطهور الذي تطهرون به قالوا والله يا رسول الله ما نعلم شيا الا انه كان لنا جيران
من اليهود فكانوا يغلبون اذا برزوا من الغايط فعلمنا كما غسلوا وفي حديث رواه البزار قالوا
نتبع الحجارة بالماء قال هو ذاك فعليكموه وقيل كانوا لا يتامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر
البول وعن الحسن هو التطهير من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى والمكفرة لذنوبهم
لمواعن اخرهم افمن اسس بنيانه اي بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة
قويمة محكمة وهي الخير الذي هو تقوى الله ورضوانه خير امن اسس بنيانه على شفا اي طرف
جرف اي جانب هار اي على قاعدة هي اضعف القواعد واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق فانهار
به اي سقط مع بانيه في نار جهنم خبر وهذا تمثيل للبنا على ضد التقوى مما يوول اليه واستهلم
للتقرير اي الاول خير وهو مثال مسجد قبا والثاني مثال مسجد الضرار قاله الرازي ولا نرى
في العالم مثالا احسن مطابقة لامر المنافقين من هذا المثال وحاصل الكلام ان احد
البنائين قصد بانيه بنايه تقوى الله ورضوانه والبنا الثاني قصد بانيه ببنايه المعصية هـ
والكفر فكان البنا الاول شريفا واجب الابقا وكان الثاني خسيسا واجب الهدم قيل حفرت
بقعة في مسجد الضرار فراى الدخان يخرج منها وقرا نافع وابن عامر اسس بضم الهمزة
وكسر السين الاولى مع التشديد وضم النون قبل الها والباقون بفتح الهمزة والسين مع
التشديد ايضا ونصب النون قبل الها وقرا شعبة رضوان بضم الراو والباقون بالكسر وسمت
ام هنا مقلوبة من من والكلام على اس بنيانهم كالكلام على التي قبلها وقرا ابن عامر وشعبة
وحمزة جرف بكون الراو والباقون بالرفع واما شفا فلا قال بخلاف فهارفان اباعمرو وشعبة
والكسائي يقرون بالامالة المحضة وابن ذكوان بالفتح والامالة وورش بالامالة بين بين
والباقون بالفتح والله لا يهدي القوم الظالمين اي الى ما فيه صلاح ونجاة لا يزال بنيانهم
الذي بنوا اي بناؤهم الذي بنوه وهو مصدر كالقول والمراد هنا المبني واطلق لفظ المصدر
على المفعول مجاز مشهور يقال ضرب الامير ونسج زيد والمراد مضروبه ومنسوجه ولم
يجمع خلافا للواحدي في تجويزه ان يكون جمع بنيانة لانه وصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة
اي شكا في قلوبهم والمعنى ان بناء ذلك البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم فجعل نفس
ذلك البنيان ريبة وانما جعل سببا للريبة لان المنافقين فرحوا ببنا مسجد الضرار فلما امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه عظم حزنهم في كل الاوقات وصاروا مرتابين في انهم
هل يتركهم على ما هم فيه او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي صار حسرة وندامة لانهم
ندموا على بنايه وقال السدي لا يزال هدم بنايهم ريبة اي مرارة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع

قلوبهم

قلوبهم قطعا اما بالسيف واما بالموت لا يبقى لهم قابلية الادراك وقيل انقطع بالتوبة نوما
واسفا والله عليم باحوالهم واحوال عباده حكيم في الاحوال التي يحكم بها عليهم وعلى غيرهم
ولما تقدم الانكار على المتثاقلين عن التفريغ لسبيل الله في قوله تعالى مالكم اذا قيل لكم انفروا
في سبيل الله الاية ثم الجزم في الجهاد بالنفس والمال في قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا الاية
ذكر فضيلة الجهاد وحقيقته بقوله تعالى ان الله اشترى اي بعهود اكيدة ومواثيق غليظة هـ
شديدة من المومنين بالله ورسوله وبما جاء به من عند ربه انفسهم التي تفرد بخلقها واموالهم
التي تفرد برزقها وهو يملكها دونهم وقدم النفس اشارة الى ان المبايعة سابقة على اكتساب
المال ولما ذكر المبيع اتبعه الثمن بقوله تعالى بانهم الجنة مثل الله تعالى اثابتهم على بذلهم انفسهم
واموالهم في سبيله بالشيء ورري تاجرهم الله تعالى فاغلا لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه
فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا وروي ان الانصار
لما بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة
اشترط لربك ولنفسك ما شيت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيا ولنفسي
ان تمنعوني مما تمنعون به انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا رابح البيع
لا نقيل ولا نستقيل فنزلت وما ابي علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقولها فقال الاعرابي هـ
كلام من قال عليه الصلاة والسلام كلام الله عز وجل فقال الاعرابي والله بيع مربح لا نقيله ولا
نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد وقال الحسن اسمعوا والله بيعة راجحة وكفة رابحة بايع
الله تعالى بها كل مومن والله ما على الارض مومن الا وقد دخل في هذه البيعة والمراد بالاموال
انفاقها في سبيل الله وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم وفي جميع وجوه البر والطاعات وقوله تعالى
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف لبيان ما لاجله الشرا وقيل يقاتلون في موضع
الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المقتولين على القاتلين لان الواو لا تقتضي الترتيب ولان
فعل البعض قد يسند الى الكل اي فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي والباقون بتقديم القاتلين وقوله
تعالى وعدا عليه حقا مصدران منصوبان بفعليهما المحذوف ثم اخبر تعالى بان هذا الوعد الذي
وعد المجاهدين في سبيله وعدا ثابتا في التوراة كتاب موسى عليه السلام والانجيل كتاب
عيسى عليه السلام والقرآن اي قد اثبته فيها كما اثبته في القرآن اي الكتاب الجامع لكل ما قبله ومن
اوفى بعهده من الله اي لا احد اوفى منه سبحانه وتعالى لان الاخلاف لا يتقدم عليه الكرام من الناس
فكيف بخالقهم الذي له الغنا المطلق وقوله تعالى فاستبشروا فيه التفات عن الغيبة اي فاخرجوا
غاية الفرح ببيعكم الذي بايعتم به فانه اوجب كل عظايم المطالب كما قال تعالى وذلك هو الفوز العظيم

تنبيه هذه الاية مشتملة على انواع من التاكيدات اوله قوله تعالى ان الله اشترى من المومنين
انفسهم بكون المشترى هو الله تعالى المنزه عن الكذب والخيانة وذلك من ادل الدلايل على تاكيد
هذا العهد ثانيها انه تعالى عبر عن ايصاله هذا الثواب بالبيع والشراء وذلك حق موكد ثالثها
قوله تعالى وعدا عليه حقا رابعها قوله تعالى وكلمة على للوجوب خامسها قوله تعالى حقا وهو
التاكيد للتحقيق سادسها قوله تعالى في التوراة والانجيل والقران وذلك يجري مجرى اشهاد جميع
الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة سابعها قوله تعالى فاستبشروا ببيعكم
الذي بايعتم به وايضا مبالغة في التاكيد ثامنها قوله تعالى وذلك هو الفوز وعاشرها قوله تعالى
العظيم فثبت اشتمال هذه الاية على هذه الوجوه العشرة في التاكيد والتقرير والتحقيق ولما
ذكر الله تعالى في هذه الاية انه اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بين ان اولئك المومنين
هم الموصوفون بهذه الصفات السبعة الاتية اولها قوله تعالى التايبون وهو مرفوع على المدح
اي هم التايبون يعني المذكورين في قوله تعالى ان الله اشترى من المومنين وقال الزجاج لا يبعد
ان يكون قوله تعالى التايبون مبتدا وخبره محذوف تقديره التايبون من اهل الجنة وان لم يجر
لقوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى وخبره ما بعده اي التايبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون
لهذه الخصال والتايبون صفة عموم محلاة بالالف واللام فتتناول التوبة من كل معصية هذا
والتوبة انما تحصل عند اربعة امور اولها احتراق القلب عند صدور المعصية ثانيها الندم
على ما مضى ثالثها العزم على الترك في المستقبل رابعها ان يكون الحامل على هذه الامور الثلاثة
طلب رضوان الله تعالى وعبوديته فان كان غرضه منها رفع مذمة الناس وتحصيل مدحهم
او لغرض من الاغراض الدنيوية فليس بتايب ولا بد من رد المظالم الى اهلها ان كانت الصفة
الثانية قوله تعالى العابدون اي الذين اخلصوا العبادة لله وقال ابن عمر هم الذين يعبدون الله
في السراء والضراء وقال قتادة قوم اخذوا من ابدانهم في ليلهم ونهارهم الصفة الثالثة قوله تعالى
الحامدون وهم الذين يقومون بحق شكر الله تعالى في نعم دينا ودنيا ويجعلون اظهار ذلك
عادة لهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة يوم
القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء الصفة الرابعة قوله تعالى السايحون واختلف
في المراد منهم فقال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم الصايمون قال ابن عباس كلما ذكر في القران من
السياحة فهو الصوم وقال صلى الله عليه وسلم سياحة امتي الصيام وعن الحسن ان هذا موصوف هو
الفرض وقيل هم الذين يديمون الصيام قال الازهري قيل للصايم سايح لان الذي يسيح في الارض
متعبد الزاد معه كان ممسكا عن الاكل والصايم ممسك عن الاكل فلهذه المشابهة يسمى

الصايم سايحا

وقال عطا السايحون الغزاة في سبيل الله تعالى وروي عن عثمان بن مظعون انه
قال يا رسول الله ايذن لنا في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله وقال السايحون
هم طلاب العلم والسياحة امر عظيم في تكميل النفس لانه يلقى افاضل مختلفين فيستفيد من كل
واحد فايدة مخصوصة وقد يلقى الاكابر من الناس فيتحقر نفسه في مقابلتهم وقد يصل الى
المواهب الكثيرة فيتمتع بها وقد يشاهد اختلاف احوال اهل الدنيا بسبب ما خلق الله تعالى
في كل طرف من الاحوال الخاصة بهم فتتقوى معرفته وبالجملة فالسياحة لها اثر قوي في الدين
الصفة الخامسة والسادسة قوله تعالى الراكعون الساجدون اي المصلون وانما عبر عن الصلاة هنا
بالركوع والسجود لان بهما يتميز المصلي عن غيره بخلاف حالة القيام والقعود فانهما حالة
المصلي وغيره ولان القيام اول مراتب التواضع لله تعالى والركوع وسطها والسجود غايتها
فخص الركوع والسجود بالذكر لدلالتهما على غاية التواضع والعبودية تنبيها على ان المقصود
من الصلاة نهاية الخضوع والتعظيم الصفة السابعة والثامنة قوله تعالى الامرون بالمعروف
والناهون عن المنكر اي الامرون بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر للدلالة على انه
بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة فكانه قال الجامعون بين الوصفين ولان العرب تقطع الواو
على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقوله تعالى في صفة الجنة وفتحت ابوابها ايوانا بان التعداد
تقدم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتدا تعداد اخر معطوف عليه ولذلك
ولذلك تسمى الواو الثمانية وقيل الموصوفون بهذه الصفات هم الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وعلى هذا يكون قوله تعالى التايبون الى قوله الساجدون مبتدا خبره هم الامرون
بالمعروف والناهون عن المنكر الصفة التاسعة قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي لاحكامه
بالعمل بها والمقصود اتكاليف الله تعالى كثيرة وهي محصورة في نوعين احدهما ما يتعلق
بالعبادات والثاني ما يتعلق بالمعاملات فان قيل ما الحكمة في ان الله تعالى ذكر تلك الصفات
الثمانية على التفصيل ثم ذكر عقيبها سايرا قسام الكاملين على سبيل الاجمال في هذه الصفة
التاسعة اجيب بان التوبة والعبادة والاشتغال بتمجيد الله والسياحة والركوع والسجود
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر امور لا ينفك المكلف عنها في اغلب اوقاته فلهذا ذكرها الله تعالى
على سبيل التفصيل واما البقية فقد ينفك المكلف عنها في اكثر اوقاته مثل احكام البيع والشراء
واحكام الجنايات ودخل في هذه الصفة التاسعة رعاية احوال القلوب بل البحث عنها والمبالغة
في الكشف عن حقايقها لان اعمال الجوارح انما تراد لاجل تحصيل اعمال القلوب ثم ذكر سبحانه
وتعالى عقيب هذه الصفات التسعة قوله تعالى وبشر المومنين تنبيها على ان البشارة في قوله تعالى

فاستبشروا بالرياح والاموال الموصوفين بهذه الصفات التامة وحذف المبشر به للتعظيم فكانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتقصير الكلام واختلف في سبب نزول قوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى فقال سعيد ابن المسيب عن ابيه انه نزل في شان ابي طالب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم حالفه ابي طالب لما حضرته الوفاة فوجد عنده اباجهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعودان عليه اي تلك المقالة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عن ذلك فنزل ذلك وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة قال لولا ان يعيرني قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تعالى انك لا تهدي من احببت الاية وقال بريدة لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه فوقف عليه حتى جميت الشمس رجا ان يوذن له يستغفر لها فنزل ما كان الاية وقال ابو هريرة زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر امه فبكى وابكى من حوله وقال استاذنت ربي ان استغفر لها فلم ياذن لي واستاذنته ان ازورها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الموت وقال قتادة قال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم فانزل الله تعالى هذه الاية وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سمعت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له تستغفر لهما وهما مشركان فقال استغفر ابراهيم عليه السلام لابيه وهو مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وروى الطبراني بسنده عن قتادة قال ذكر لنا ان بضعة قالوا يا نبي الله ان من اباينا من كان يحسن الجوار ويصل الرحم ويفك العاني افلا نستغفر لهم فقال صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لابي كما استغفر ابراهيم لابيه فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم اي بان ماتوا على الكفر قال البيضاوي وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم عليه السلام لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب اي يقطع ويمحو ما قبله وقراهشام ابراهام بالالف بعد الهاء في الموضعين والباقون باليا فيهما فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر اوحي اليه

انه لاواه

انه لاواه من تبرا منه اي قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه اي كثير التضرع والدعا حليم اي صبور على الاذى والجملة بيان ما حمله على الاستغفار لابيه على مع صعوبة خلق ابيه عليه وما كان الله ليضل قوما اي يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لاجل اشتباههم المنهي عنه بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم بيانا شافيا لوا العمي ما يتقون اي ما يجب اتقاوه للنهي اما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يواخذون شرب الخمر ولا بيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المواخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة والخمر وغير ذلك وفي الجملة دليل على ان الفاعل غير مكلف ان الله بكل شي عليم اي بالغ العلم فهو يبين لكم ما تتوقون وما تتركون مما يتوقف عليه الهدى وما تركه تقى فانما يتركه لا رحمة لكم لا فضل دين ولا ينسى ان الله له ملك السموات والارض فلا يخفى عليه شي فهو خبير بكل ما ينفعكم او يضركم يحيي ويميت اي يحيي من شا على الايمان ويميته عليه ويحيي من شا على الكفر ويميته عليه لا اعتراض لاحد عليه في حكمه وصيده وما لكم ايها الناس من دون الله اي غيره من ولي يحفظكم منه ولا نصير يمنع عنكم ضره لقد تاب الله اي ادام توبته على النبي والمهاجرين والانصار وافتتح الله تعالى الكلام بذكر توبة النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان سبب توبتهم فذكره معهم كقوله تعالى فان لله خمسه وللرسول ونحوه وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احوالا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وقوله ما كان لاحد ان يقوم مقاما ينتقصه دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من ذلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبيا والصالحين من عباده فايدة اتفق القرا على ادغام دال قد في التا الذين اتبعوه في ساعة العسرة اي في وقت العسرة لو يزيد ساعة بعضها وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة والعسرة الشدة فكانت عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العسرة منهم يخرجون على بعير واحد يتعقبون يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير وكان التمر يخرجون ما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة من ماء كذلك وحتى بقي على اخرهم وله يبق من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم صدقهم وبقينهم رضي الله عنهم وارضاهم ورضي عنا بهم امين وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش شديد

حتى ظنا ان رقابنا ستقطع حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على
كبده حتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء ولا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع فقال
ابو ابكى يا رسول الله ان الله تعالى قد عودك في الدعاء خيرا فادع الله تعالى قال اتحب ذلك قال نعم
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فلم يرجعا حتى اظلت السماء ثم سكبت فملاوا ما معهم ثم
ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر من بعد مخاض وتريغ اي قرب ان تميل قلوب فريق منهم
ايهم بعضهم عند تلك الشدة العظيمة ان يفارق النبي صلى الله عليه وسلم لكنه صبر واحتسب
ولم يرد الميل عن الدين فلذلك قال الله تعالى ثم تاب عليهم لما صبروا وثبتوا وندموا على ذلك الامر
العسير فان قيل قد ذكر الله تعالى التوبة اولا ثم ذكرها ثانيا فما فايدة التكرار اجيب
بان الله تعالى ذكر التوبة اولا قبل ذكر الذنب تفضلا منه وتطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد
ذلك واردفه بذكر التوبة مرة اخرى تعظيما لشانهم وليعلموا انه تعالى قد قبل توبتهم
وعفى عنهم وقرا حفص وحمزة يزيغ بالياء على التذكير لان تانيث القلوب غير حقيقي ثم
وابو عمرو بالتاء على التانيث وادغم ابو عمر الذال من كاد في التاء بخلاف عنه انه بهم رؤف رحيم
هاتان صفتان لله تعالى ومعناهما متقاربان فالرافة عبارة عن السعي في ازالة الضرر والرحمة
عبارة عن السعي في ايصال المنفعة وقيل احداهما للرحمة السابقة والاخرى للمستقبلة وقوله تعالى
وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة
ابن الربيع معطوف على الاية الاولى والتقدير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
الذين اتبعوه في ساعة العسرة وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفايدة هذه العطف بيان
قبول توبتهم وهذه الثلاثة كلهم من الانصار وهم المذكورون في قوله تعالى واخرون مرجون
لامر الله روى عن ابن شهاب الزهري قال اخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك
وكان قايد كعب من بنيه حين عمي قال وكان اعلم قومه واوعاهم لحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك اني لكم اكن قط اقوى ولا ايسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما
جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فاخبرهم بوجهه الذي يريد فيجهز رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيا
فلم يزل ذلك يتمادى بي وحتى اسرعوا فهمت ان ارتحل وادركهم ولتبني فعلت فلم يقدر لي ذلك
وكنت اذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني ان لا اري لي اسوة

الا رجلا

الا رجلا مغموصا في نفاق او رجلا ممن عذر الله تعالى من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال رجل من
بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ بن جبل بيسما قلت والله
يا رسول الله ما علمت عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغني
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا حضرني همي وطفقت اذكر الكذب واقول بما اخرج
به من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان رسول الله صلى الله
وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل وعرفت اني لن اخرج شيا ابدا فيه كذب واصبح رسول
الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس
للناس وجاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا ثمانين رجلا فقبل منهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرايرهم الى الله تعالى
فجيته فلما سلمت عليه تبسم تبسم الغضبان ثم قال فجيت امشي حتى جلست بين يديه
فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك قلت بلى يا رسول الله والله لو جلست عند غيرك
من اهل الدنيا لرايت ان اخرج من سخطك بعذر ولقد اعطيت جدلا ولكني والله لقد علمت لين
حدثتك اليوم حديث كذب توضى به عني ليوشكن الله ان يسخطك علي ولين حدثتك حديث
صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله والله ما كان لي من عذر والله ما كنت اقوى
ولا ايسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم
حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال فاتبعوه وقالوا لي والله ما علمناك كنت اذنبت ذنبا
قبل هذا وقد كان لك فيما ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لهم هل
لقي معي هذا احد قالوا نعم رجلان قال مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما
قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن امية فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما
اسوة فمضيت حين ذكراهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا ايها الثلاثة
من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا
وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم واطوف في الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله
صلى الله عليه وسلم واسلم عليه وهو مجلس بعد الصلاة فاقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام
علي ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه
اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت حايط ابي قتادة وابن عم

في

واحب الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك والاهل
تعلمني احب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله
ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت فتيمما اشي في سوق المدينة اذا نبطي من انباط
الشام ممن قدم بالطعام يبيعه يقول من يدلني على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون
له حتى جاني فدفع الي كتابا من ملك غسان فاذا فيه اما بعد فقد بلغني ان صاحبك جفاك
ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت حين قرأته وهذا ايضا من
البلاء فيممت به التنور فسجرته بها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين امرنا ان نعتزل
فسانا ولا نقربهن فقلت لامراتي الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله تعالى في هذا
الامر قال كعب فجاءت امراة هلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ان هلال شيخ
ضعيف ليس له خادم هل تكره ان اخدمه ولكن لا يقربك قال والله انه ما به حركة الى
شيء والله ما يزال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا فقال بعضاهلي لو استاذنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك لاذن لك كما اذن لامراة هلال بن امية ان تخدمه
فقلت والله لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريني ما يقول اذا استاذنته
فيها وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وانا على ظهر بيت
من بيوتنا فبينما انا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى في قوله حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت اي مع رحبها اي سعتها فلا يجدون مكانا يطمئنون اليه وضاقت عليهم
انفسهم اي قلوبهم بالغم والوحشة اي بتاخير توبتهم فلا يسليها سرور ولا انس وظنوا
اي ايقنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم اي وفقهم للتوبة ليتوبوا ان
الله هو التواب الرحيم اذ سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع ينادي باعلا صوته
يا كعب بن مالك ابشر فخررت ساجدا وعرفت انه جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبلنا
مبشرون ورجل رجل الى فرسا وسعى ساع من اسلم فاوفى الجبل فكان الصوت اسرع من
الفرس فلما جاني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي وكسوته اياهما والله ما املك
غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ويقولون لينهنك توبة الله عليك قال كعب
حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس فقام الي طلحة

ابن عبد الله يهرول حتى صافحني وهنائي رضي الله عنه والله ما قام الي رجل من المهاجرين
غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو
يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا عليها الاية
وعن ابي بكر الوراق انه سيل عن التوبة النصوح اذ تضيق على التائب الارض بما رحبت
وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه ولما علم الله تعالى صدقهم بقبول توبتهم
الثلاثة ذكر ما يكون كالزاجر عن مثل فعل ما مضى وهو النهي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم والجهاد بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله بترك معاصيه وكونوا مع الصادقين
اي مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم اجمعين في الغزوات ولا تكونوا متخلفين
عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت وقيل كونوا مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب
ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وقيل امر بمعنى هذا اي وكونوا من الصادقين
تنبيه في الاية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ويدل عليه ايضا اشيا منها ما روي
عن ابن مسعود انه قال عليكم بالصدق فانه يقرب الى البر والبر يقرب الى الجنة وان العبد ليصدق
فيكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يقرب الى الفجور والفجور يقرب الى النار
وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا الا ترى انه يقال صدقت وبررت وكذبت وفجرت
ومنها ما روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني رجل ارى بوان اومنك الاني
احب الخمر والزنا والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء وليه طاقة لي
على تركها فان قنعت مني بترك واحدة منها فعلت فقال صلى الله عليه وسلم اترك الكذب
فقبل ذلك ثم اسلم فلما خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم عرضوا عليه الخمر فقال ان شربت
سالني النبي صلى الله عليه وسلم وكذبته فقد نقضت العهد وان صدقت اقام علي الحد فتركها
ثم عرضوا عليه الزنا فقال ذلك لخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب انسدت ابواب المعاصي علي وفات الكل
ومنها ما قيل في قوله تعالى حكاية عن ابليس فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين لان ابليس انما ذكر هذا الاستثناء لانه لو لم يذكره لصار كاذبا في ادعاء اغواء
الكل فكانه استثنى عن الكذب فذكر هذا الاستثناء اذا كان الكذب شيا يستثنى منه ابليس
لعنه الله فالمسلم اولى ان يستثنى منه ومنها قول ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل
ولا ان يعد احدكم اخاه ثم لا ينجز له اقرا وا ان شتم وكونوا مع الصادقين ما كان اي ما امكن
وما ينبغي بوجه من الوجوه لاهل المدينة اي دار الهجرة ومعدن النصرة ومن حولهم اي في عسم

نواحي المدينة الشريفة من الاعراب اي كان البوادي وهم مزينة وجهينة واشجع واسلم
وغفار وقيل عام في كل العرب لان اللفظ عام وحمله على العموم اولى وقوله تعالى ان يتخلفوا
عن رسول الله اي عن حكمه وقوله تعالى ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه بان يصونوها عما رضي
لنفسه عليه الصلاة والسلام من الشدايد يجوز فيه النصب والجزم على ان لا ناهية
روي عن ابي خيثمة انه بلغ بستانه واستوى ونضح وله امراة حسناء فرشت له في الظل
وبسطت له الحصير وقربت له الرطب والماء البارد فقال ظل ظليل ورطب يانع اين ناضح هذا
وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام
فرحل ناقته واخذ سيفه ومتزوده وترك امرته فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة اي
الطريق فاذا ابو خيثمة راكب زهاه الشراب اي يوقعه وهو عبارة عن السرعة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اولى لك ابا خيثمة فكان هو فرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستغفر له ذلك اي النهي عن التخلف بانهم اي بسببه لا يصيبهم ظمأ اي عطش ولا
نصب اي تعب ولا مخمصة اي مجاعة في سبيل الله اي في طريق دينه ولا يطئون اي يدوسون
وقوله تعالى موطئا المصدر اي وطيا او مكان وطي يغيظ اي يغضب الكفار اي وطيهم له هو
بارجلهم ودوابهم ولا ينالون من عدو نيلا اي قتلا او اسرا او غنيمة او هزيمة او نحو ذلك
قليلا كان او كثيرا الا كتب لهم به اي بنوله عمل صالح اي ثواب جزيل عند الله تعالى يجازيهم به
ان الله لا يضيع اجر المحسنين اي لا يترك ثوابهم واظهر موضع الاضمار تنبيها على ان
الجهاد احسان تنبيه في هذه الاية دلالة على ان من قصد طاعة الله تعالى كان قيامه
وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله تعالى وكذا القول في
طرف المعصية فان حركته فيها كلها سيات فما اعظم بركة الطاعة وما اكبر ذل المعصية الا
ان يغفرها الله تعالى عن ابي عبيس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله تعالى على النار ولا ينفقون في سبيل الله نفقة صغيرة ولا
فمادونها ولا كبيرة اي اكثر منها مثلها انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون
اي يجاوزون واديا اي ارضا في سيرهم مقبلين او مدبرين الا كتب لهم ذلك من اعمالهم
الوادي ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون اي يجزيهم الله جزاء هو احسن من اعمالهم واجمل
وافضل وهو الثواب فايدة الوادي كل منفرج بين جبال والحكم يكون منفذا للسيل وهو في الاصل
فاعل من ودي اذا سال ومنه الوادي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصلي
في وادي غيرك تنبيه كان في الاية دليل على فضل الجهاد والانفاق فيه ويدل عليه اشيا

منها ما روي

منها ما روي عن ابن مسعود قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة ومنها ما روي عن
زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من جهز غازيا في سبيل الله وقد غزا ومن خلف
غازيا في سبيل الله فقد غزا ومنها ما روي عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط احدكم في الجنة خير من الدنيا
وما عليها وفي رواية وما فيها ومنها ما روي عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اي الناس افضل قال مؤمن مجاهد بنفسه في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل
في شعب من الشعاب يعبد الله تعالى وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره وقوله تعالى وما كان
المؤمنون لينفروا كافة فيه احتمالان الاول ان كلام مبتدا لا تعلق له بالجهاد والثاني
ان يكون من بقية احكام الجهاد وعلى الاول يقال وما استقام لهم ان ينفروا جميعا النفير
غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتبطلوا جميعا فانه يخل بامر المعايش فلولا اي فهلا
نفر من كل فرقة اي قبيلة منهم طايفة اي جماعة ومكث الباقون ليتفقهوا اي ليتكلفوا
الفقاهة في الدين ويتجشموا مشاق تحصيلها ليعرفوا الحلال من الحرام ويعود والى
اوطانهم وليندروا قومهم اذا رجعوا اليهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقة
والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتكلم فيه ان يستقيم ويقيم الناس
على الناس وصرف وجوههم اليه والتبسط في البلاد ليدخل في قوله صلى الله عليه وسلم
من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وفي قوله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد
كفضلي على ادناكم وفي قوله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيها علما سهل الله تعالى
له طريقا الى الجنة لعلهم يحذرون عقاب الله تعالى وامتثال امره ونهيه وعلى الاحتمال
الثاني يقال انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا بان ينفر من كل فرقة طايفة الى الجهاد ويمكث الباقون يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجهاد بالحجة هو الاصل والمقصود ومدة البعثة فيكون
الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق بعد الطوايف النافرة للغزو وفي رجوع الطوايف
ولينذروا الباقي قولهم النافر في اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من
العلوم قال ابن عباس فهذه مخصوصة بالسرايا والتي قبلها بالنبي عن تخلي احد فيها اذا خرج
النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب

فع

منهم

فالاقرب كما امر صلى الله عليه وسلم اولا ثم عشيرته الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريش وقيل هم قريظة والنضير وفدك
وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام اقرب من المدينة من العراق وغيره وهكذا
المفروض على اهل كل ناحية من يقاتلونه من وليهم ما لم يضطر اليهم الى اهل ناحية اخرى وليجدوا فيكم
غلظة اي شدة وصبر على القتال والغلظة ضد الرقة اي اغلظوا عليهم واعلموا ان الله مع المتقين
بالعون والنصر والحراسة واذا ما انزلت سورة من القرآن فمنهم اي المنافقين من يقول ايكم
انكروا واستهزاوا بالمومنين ايكم زادته هذه السورة ايمانا تصديقا قال الله تعالى فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل في تدبر السورة وانتظام الايمان بها ولما فيها الى ايمانهم
وهم يستبشرون اي يفرحون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين
في قلوبهم مرض اي شك ونفاق سمي الشك في الدين مرضا لانه فساد في القلب يحتاج الى علاج
كالمرض في البدن اذا حصل يحتاج الى علاج فزادتهم اي السورة اي نزولها رجسا الى رجسهم
اي كفرا مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا اي هو لاء المنافقون وهم كافرون اي وهم جاحدون
لما انزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الاية دليل على ان الايمان يزيد وينقص
وكان علي رضي الله عنه ياخذ بيد الرجل والرجلين من الصحابة ويقول قوما حتى نزداد ايمانا
وقوله تعالى اولا يرون قراه حمزة بالتا اي ايها المومنون والباقون بالياء على الغيبة اي المنافقون
انهم يفتنون اي يبتلون في كل عام مرة او مرتين بالامراض والقحط والحرث ثم لا يتوبون من
نفاقهم وتنقض عهودهم الى الله تعالى ولا هم يذكرون اي ولا يتعظون بما يرون من نصرة صلى
الله عليه وسلم وتاييده واذا ما انزلت سورة فيها عيب المنافقين وتوبيخهم وقراها صلى الله
عليه وسلم نظر بعضهم الى بعض اي تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من
عيوبهم ويريدون الهرب يقولون هل يراكم من احد اي من المومنين اذا قمتم فان لم يرهم احد
قاموا وخرجوا من المسجد وان علموا ان احدا براهم ثبتوا على ذلك لحالة ثم انصرفوا على اكرههم
ونفاقهم وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون وقوله تعالى صرف الله قلوبهم
اي عن الهدى يحتمل الاخبار والدعا بانهم اي بسبب انهم قوم لا يفقهون اي لسوء فهمهم وعدم
تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم اي من جنسكم عربي مثلكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم تعرفون
حسبه ونسبه قال ابن عباس رضي الله عنه ليس قبيلة من العرب الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه
وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية من زمن ادم
عليه السلام وعن الطبراني قال صلى الله عليه وسلم اني خرجت من نكاح ولم اخرج من سفاح

وعن ابن عباس

وعن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح اهل الجاهلية شيء ما ولدني
الا نكاح كنكاح الاسلام وعن واثلة بن الاسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش هاشم
واصطفاني من بني هاشم وقرا ابو عمر وحمزة والكسائي بادغام الدال في الجيم والباقون
بالاظهار عزيز اي شديد شاق عليه ما عنتم اي عنتكم ولقاءكم المكروه وقيل يشق عليه هـ
ضلالكم حريص عليكم اي ان تهتدوا او على ايصال الخير اليكم بالمومنين اي منكم ومن غيركم رءوف
اي شديد الرحمة بالمطيعين رحيم بالمذنبين وقدم الابلغ وهو الروف محافظة على الفواصل
وعن الحسن بن الفضل لم يجمع الله تعالى لاحد من الانبياء بين اسمين من اسمائه الا للنبي صلى
الله عليه وسلم فسماه رءوفا رحيما وقال تعالى ان الله بالناس لرءوف رحيم وقرا نافع وابن كثير وابو عامر
وحفص بمد الهمزة والباقون بالقصر فان تولوا اي فان اعرضوا هو لاء الكفار والمنافقون عن
الايمان بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وناصبوك الحرب فقل حسبي الله اي يكفيني الله وينصرني
عليكم وانما كان كافيا لانه لا اله الا هو فلا مكافي له فلا راد لامره ولا معقب لحكمه عليه توكلت
اي فلا ارجو الا اياه ولا اخاف الا منه لان امره نافذ في كل شيء وهو رب العرش اي الكرسي العظيم
وخصه بالذكر تشريفا له ولانه من اعظم مخلوقاته سبحانه وتعالى روي عن ابي بن كعب قال اخر
ما نزل من القرآن هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة وقال هما احدث الايات
بالله عهدا وما رواه البيضاوي رحمه الله تعالى للكشاف من انه صلى الله عليه وسلم قال ما نزل
على القرآن الا اية وحرف فاما خلا سورة براة وقل هو الله احد فانما انزل علي وفيهما
سبعون الفا من الملايكة حديث منكر وملحق لما مر عن ابي بن كعب ان اخر ما نزل الايتان
انتهى والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب لا رب غيره سورة يونس عليه السلام الا فان كنت
في شك الاتيين او الثلاث او وقتهم من يوهم به الاية مائة وتسع او عشر ايات وعدد كلماتها
الف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وحروفها سبعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون
حرفا وهي اول المبين ان جعلنا براة مع الانفال من الطوال والا فبراة اولاهن لنسم الله
جامع العبا وبعد تفريقهم بما له من العظمة والامتنان الرحمن الذي عمهم بالايجاد وخص
منهم من شاء بالايمان الرحيم الذي خصا وليا ه بالرضوان المبين للجنان الر قال ابن عباس
والضحاك انا الله ارى والمر انا الله اعلم واري وقيل انا الله اعلم واسمع وقال سعيد
ابن جبير المر ونون حروف اسم الرحمن وقد سبق الكلام على حروف التهجي اول البقرة
واتفقوا على الر وحده ليس اية واتفقوا على ان طه وحده اية والفرق ان قوله تعالى الر

لا يشاكل مقاطع الاي التي بعده بخلاف قوله تعالى فانه يشاكل مقاطع الاي التي بعده وقرا
قالون وابن كثير وحفص بفتح الراء والالف بعدها وورش بين اللفظين والباقون بالامالة
المحضة تلك اي الايات العظيمة جدا التي اشتملت عليها هذه السورة او السورة التي
تقدمت هذه السورة او هذه الحروف المقطعة المبشرة الى ان القران كلام الله وما اعجزه
القادرين على التلفظ بهذه الحروف ايات الكتاب اي الذكر الجامع لكل خير وهو هذا القران
الذي وافق كل ما فيه من القصص كل ما في التوراة والانجيل من ذلك قول ذلك على صدوره
لاني به قطعا لانهم لم يكن يعرف شيا من الكتابين ولا جالس احدا ممن يعلمه الحكيم اي المحكم
وقوله تعالى اكان للناس اي اهل مكة استفهام انكار للتعجب وقوله تعالى عجبا خبر كان والعجب
تغير النفس بما لا تعرف سببه مما خرج عن العادة ثم غلب على القبيح وهو اسم كان بقوله تعالى
ان اوحينا اي اجرينا الى رجل منهم اي من اهل مكة ومن قريش وهو محمد صلى الله عليه وسلم
ان انذر الناس اي خوفهم صدق وسبب وامانته فيما كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى
الناس الا يتيم ابي طالب وهو من افرط جهالتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم
بحقيقة الوحي والنبوة وهو لم يكن صلى الله عليه وسلم يقصر عن عظمائهم فيما يتميز فيه الا
في اماله وحقه اما هو شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
قبله كذلك وقد قال تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا اول
الناس عامة اي اعلمهم مع الخوف مما امامهم من البعث وغيره وانذر هي المغيرة لان الايحاء
فيه معنى القول وبشر الذين امنوا انما عم في الانذار لانه قل ان يسلم احد من كبيرة او
صغيرة او هفوة جليلة او حقيرة على اختلاف الرتب وتباين المقامات وخص البشارة
اذ ليس للكافر ما يصح ان يبشر به ان اي بان لهم قدم اي سلف قدم صدق عند ربهم اختلفت
عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس اجرا حسنا مما قدموا من
اعمالهم وقال مجاهد اعمال صالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن
عمل صالح سلف منهم يقدمون عليه وقال عطا مقام صدق لهم ولا له ولا بؤس فيه وقال
زيد بن اسلم هو شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ما ضيف القدم الى الصدق وهو نعته
كقولهم مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر
فهو عند العرب قدم قال الشاعر ولن يلحق المجد الموثل او يرى ... له قدم فيما ينيبك يوم العثار والندم وهو
مونث فيقال قدم حسنة او قدم صالحة وقوله تعالى قال الكافرون ان هذا لساحر مبين قرا نافع
وابو بكر وابن عامر بكسر السين وسكون الحا على ان الاشارة للقران المشتمل على ذلك والباقون

بفتح السين والنون بعدها وكسر الحا على ان الاشارة للنبي صلى الله عليه وسلم ان ربكم على التباعهما
ولكثرة ما فيهما من المنافع في ستة ايام من ايام الدنيا اي في قدرها لانه لم يكن ثم شمس فان
قيل ان اليوم قد يراد به اليوم بليلته وقد يراد به النهار وحده فما المراد اجيب بان الغالب
في اللغة انه مراد باليوم اليوم بليلته ولما اوجد سبحانه وتعالى هذا الخلق الكبير المتباعد
الاقطار الواسع الانتشار المفتقر الى عظيم التدبير لطيف التصريف والتقدير عبر سبحانه
وتعالى عما عمله فيه عمل الملوك مما لكهم بقوله مشيرا الى عظمته باداة التراخي ثم استوى
اي عمل في قديره وانتقان ما فيه واحكامه على المتني بذلك على العرش المتقدم وصفه
في الاعراف بالعظمة وليست للترتيب بل كناية عن علو الرتبة وهو منازلها ثم بين ذلك بالاستوا
بقوله يدبر الامر كله فلا يخفى عليه عاقبة امر من الامور لان التدبير اعدل احوال الملك
والاستوا كناية عنه وقوله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته جل وعلا ورد
على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف
بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم اي الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه
اي وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع فان
عبادتكم مع التشريك ليست عبادة ولو كان فضله لمريكيت لمن نزل ادنى زلة طامة وقوله تعالى
اولا تذكرون قرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء في الاصل
اي افلا تتفكرون ادنى تفكر فينبيكم على انه للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه تعالى مرجعكم
اي رجوعكم بالموت والنشور حال كونكم جميعا لا يتخلف منكم احد فاستعدوا للقايه وقوله تعالى
وعد الله مصدر منصوب بفعله المقدر موكد لنفسه لان قوله تعالى اليه مرجعكم وعد من الله
وقوله تعالى حقا اي صدقا لا خلف فيه مصدر اخر منصوب بفعله المقدر موكد لغيره وهو عامل
عليه وهو الله انه يبدؤا الخلق اي يحييهم ابتداء ثم يعيده اي ثم يميتهم ثم يحييهم وفي هذا دليل
على الحشر والنشر والمعاد وصحة وقوعه ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق
هذه الاجسام المولفة والاعضا المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها
بالموت والبلا فركب تلك الاجزا المتفرقة تركيبا ثانيا وخلق الانسان الاول مرة اخرى فاذا ثبت
القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي
وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بالعدل لا ينقص من اجورهم
شيا والذين كفروا لهم شراب من حميم وهو ما حار فوانتهى حره وعذاب اليم اي بالغ
غاية الالم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم هو الذي جعل الشمس ضيا اي ذات ضيا

والقمر نورا ايذ انور وخص الشمس بالضياء لانه اقوى والكمال النور وخص القمر بالنور لانه
اضعف من الضياء لان الشمس منيرة في ذاتها والقمر نير بعرض مقابلة الشمس وللاكتساب منها
وقرا قنبل بهمزة مفتوحة ممدودة بعد الضاد والباقون بيا مفتوحة والضمير في قوله تعالى
وقدره منازل يرجع الى الشمس والقمر اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل
او يرجع الى القمر فقط وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وانا طة
احكام الشرع وذلك علل بقوله تعالى لتعلموا عدد السنين والحساب اي حساب الاوقات
من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم لان الشهور المعتبرة في الشريعة كما قال تعالى
ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله تعالى فاريد منازل القمر ثمانية وعشرون
منزلة واسماؤها الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع
والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانا
والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود
وسعد الاخبية وفرع الدلو المقدم وفرع الدلو المؤخر وبطن الحوت وهذه المنازل مقسومة
على البروج وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت لكل برج منزلتان وثلث فينزل القمر كل ليلة
منها منزلة فيستتر لليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة فيكون
انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل ويكون مقام الشمر في كل منزلة ثلاثة عشر يوما
فيكون انقضاء السنة مع انقضائها وانتفاع الخلق بضوء الشمس ونور القمر عظيم فالشمس
سلطان النهار والقمر سلطان الليل وبحركة الشمس تنفصل السنة اي هذه الفصول الاربعة
وبالفصول الاربعة ينتظم مصالح هذا العالم وبسبب الحركة اليومية يحصل النهار والليل والنهار
يكون زمانا للتكسب والطلب والليل يكون زمانا للراحة ما خلق الله ذلك الا بالحق اي لم يخلق
ذلك باطلا ولا عبثا تنزه الله عز ذلك اظهارا لقدرته ودلايل وحدانيته ونظيره قوله تعالى
في آل عمران ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال تعالى في سورة ص
وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا يفصل اي يبين الآيات
اي الدلايل الباهرة واحدة في اثر واحدة بيانا شافيا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
بالتامل فيها وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص بالياء والباقون بالنون ولما استدل سبحانه وتعالى
على اثبات الالهية والتوحيد بقوله تعالى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وثانيا احوال
الشمس والقمر استدل ثالثا بقوله تعالى ان في اختلاف الليل والنهار بالمجي والذهاب والزيادة

والنقصان

والنقصان وبرابعا بقوله تعالى وما خلق في السموات من ملايكة وشمس وقمر ونجوم وغير ذلك
ما خلق الله في الارض من حيوان وجبال وبحار محصورة في اربعة اقسام احوالها الاحوال التي
في العناصر الاربعة ويدخل فيها احوال البحار والصواعق والزلازل والمعادن وبرابعها احوال
احوال الحيوانات وثانيها احوال المعادن وهي عجيبة كثيرة وثالثها اختلاف احوال النبات ورابعها
اختلاف احوال الحيوانات وجملة هذه الاحوال الاقسام الاربعة داخلة في قوله تعالى وما خلق
الله في السموات والارض والاستقصاء في شرح هذه الاحوال لا يدخل تحت الحصر بل كل ما يكمل
العقلاء في احوال اقسام هذا العالم فهو جزء مختصر من هذا الباب لايات اي دلالات على قدرة
الله لقوم يتقون الله فانه يحملهم على التفكر والتذكر وخصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها قال
العقال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لشقاء الناس فيها وان خالقها وخالقهم
ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب وعقاب
ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول باثبات المبدا واثبات المعاد
ولما اقام الله سبحانه وتعالى الدلايل القاهرة على صحة القول باثبات الاله الرحيم الحكيم وعلى صحة
القول بالمعاد والحشر والنشر شرع في شرح احوال من يكفر بها وشرح احوال من يؤمن بها
وقد ابتدا باولها ووصفه باربع صفات مبتدا باولها بقوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا
اي لا يخافون لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها فهم مكذبون بالثواب والعقاب
والرجا يكون بمعنى الخوف وبمعنى الطمع هذا الاول قول العرب فلان لا يرجون فلانا بمعنى لا يخافه
ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذويب الهذلي اذا لسعته النحل لم يرج لسعتها ان لم يخفها ومن الثاني في قولهم فلان لا يرجو فلانا اي يطمع فيه والمعنى لا يطمعون في ثوابنا
والصفة الثانية قوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها فيعملون لها عمل المقيم فيما
ما يشاهدونه من سرعة زوالها متهكمين في لذاتها وزخارفها وسكنوا سكون من لا يتزحزح عنها
والصفة الرابعة قوله تعالى والذين هم عن اياتنا اي دلايل وحدانيتنا غافلون تاركون التفكر فيها
بمنزلة الغافل عن الشيء الذي لا يخطر بباله طول عمره ذكر ذلك الشيء وبالجملة فهذه الصفات دالة
على شدة بعدهم عن طلب الاستعداد بالسعادات الاخروية ويحتمل ان الصفة الاخيرة
لغير تاخر ويكون المراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا وبالاخرين الذاهلين حب
العاجل عن التامل في الاجل والاستعداد له ولما وصفهم الله بتلك الصفات قال اولئك ماويهم
النار بما كانوا يكسبون من الشرك والمعاصي ولما شرح احوال المنكرين الجاحدين ذكر
شرح من يؤمن بها فقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات والاعمال الصالحة عبادة عن الاعمال

التي تحمل النفس على ترك الدنيا وطلب الاخرة والاعمال المذمومة ما يكون بالضد من ذلك ه
يهديهم اي يوشدهم ربهم بايمانهم اي بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يودي الى الجنة اولما
يريدونه في الجنة اولادراك الحقايق كما قال صلى الله عليه وسلم من علم بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم وقد جاهد المومنون ليكون لهم نور يمشي بهم الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره
صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار وفهوم ترتب
الهداية على الايمان والعمل الصالح قد دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن هل منطوق قوله جل وعلا بايمانهم على استقلال بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة
والردف ثم انه تعالى لما وصفهم بالايمان والاعمال الصالحة ذكر بعد ذلك درجات كراماتهم
ومراتب سعاداتهم وهي اربعة الاولى قوله تعالى تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم
اي يكونون جالسين على سرر مرفوعة في البساتين والانهار تجري من بين ايديهم ه
ينظرون اليها من اعالي اسرتهم وقصورهم ونظيره قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا
فهي مطمئنة قاعدة عليها ولكن المعنى بين يديك وكذا قوله وهذه الانهار تجري من
تحتي اي بين يدي فكذا هنا الثانية قوله تعالى دعواهم فيها قال بعض المفسرين اي طلبهم
لما يشتهون في الجنة ان يقولوا سبحانك اي تنزهك من كل سوء ونقيصة اللهم اي يا الله
فاذا ما طلبوه بين ايديهم على موايد كل مايدة ميل في ميل على كل مايدة سبعون الف
صحفة في كل صحفة لون من الطعام لا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمد والله
تعالى ذلك قوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين او ان المراد بقوله سبحانك
اللهم اشتغال اهل الجنة بالتسبيح والتحميد والتقديس لله تعالى فذلك قوله تعالى واخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين والثناء عليه بما هو اهله وفي هذا الذكر سرورهم وابتهاجهم وكمال
لذاتهم وهذا اولى ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اهل الجنة ياكلون فيها ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد
كما يلهمون النفس اي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا الثالثة قوله تعالى وتحيتهم فيما
بينهم وتحية الملايكة لهم فيها اي الجنة سلام وياتيهم الملايكة ايضا من عند ربهم بالسلام
قال تعالى والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تعالى سلام قولا من رب
رحيم الرابعة قوله تعالى واخر دعواهم اي واخر دعايهم ان الحمد لله رب العالمين
اي ان يقولوا ذلك وان هي المخففة من الثقيلة وقد ذكرنا ان بعض المفسرين جعل التسبيح

والتحميد

والتحميد على احوال اهل الجنة بسبب الماكول والمشروب فانهم اذا اشتهوا شيا قالوا مجانك
اللهم فيحصل ذلك الشيء فاذا فرغوا منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترتفع الموايد عند
ذلك قال الرازي وهذا العايل ما رايي نظره في دنياه واخراه عن الماكول والمشروب
وحقيق بمثل هذا الانسان ان يعد في حومرة زمرة البهايم واما المحققون فقد تركوا ه
ذلك انتهى ولا ينبغي هذه المبالغة فقد قال البغوي وتبعه جماعة من المفسرين وقال
الزجاج اعلم الله ان اهل الجنة يشتغلون بتعظيم الله تعالى وتنزيهه ويختمون شكره والثناء
عليه قال البيضاوي ويحتمل ان يريد انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله تعالى وكبريايه
مجدوه ونعتوه بنعوت تليق بحالهم كما يلهم الملايكة بالاستغراق عن الافات والفوز باصناف
الكرامات او الله تعالى الكفار بانهم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمانوا بها وكانوا
عن ايات الله غافلين بين ان من اغفلهم ان الرسول متى انذرهم استعجل العذاب جهلا
منهم وسفها بقوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر اي ولو يعجل الله للناس اجابة دعايهم
بالشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه استعجالهم بالخير اي كما يحبون ان يعجل لهم اجابتهم
بالخير لقضي اليهم اجلهم اي لاهلكهم ولكن يمهلهم نزلت في النضر بن الحارث حيث قال
اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ويدل
عليه قوله تعالى فنذر اي نترك الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم اي في تمردهم وعتوهم
يعمهون اي يتحيرون وقال ابن عباس هذا في قول الرجل عند الغضب
لاهله وولده لعنكم الله لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله
وماله بما يكره ان يستجاب له فيه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم
اني اتخذ عندك عهدا لن تخلفنيه انما انا بشر فاي المومنين اذيته او شتمته او جلدته اللهم
فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة فان قيل قابل التعجيل في الاية
بالاستعجال وكان مقتضى النظم ان يقابل التعجيل بالتعجيل والاستعجال بالاستعجال
بان تقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا ه
كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه وقال في الكشاف اصل هذا
الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير الا انه وضع استعجالهم بالخير موضع
تعجيله له بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم ه
بالخير تعجيل لهم ولما حكي تعالى انهم يستعجلون في نزول العذاب بين انهم كاذبون في ذلك
الطلب والاستعجال بقوله تعالى واذا مس الانسان اي الكافر الضر اي المرض والفقر دعانا

لجنبه اي على جنبه مضطجعا او قاعدا او قايما وفايدة التردد تعميم الدعا لجميع الاحوال
والاصناف المضار والمعنى انه لو نزل بالانسان ادنى شيء يكرهه ويوذيه فانه يتضرع
الى الله تعالى في ازالته عنه ودفعه عنه وذلك يدل على انه ليس صادقا في طلب الاستحالة
فلما كشفنا عنه ضره اي ازلنا عنه عند ما نزل به مراي مضى على ما كان عليه من الكفر كان لم
يدعنا اي كانه فاسقط الضمير على سبيل التحقيق ونظيره قوله تعالى كانهم لم يلبثوا الى ضره
قال الحسن نهى ما دعى الله فيه وما ضع الله به في ازالة ذلك البلا عنه وانما حمل الانسان
في هذه الاية على الكافر لان الهل المذكور لا يليق بالمسلم البتة وقول بعضهم كل موضع
في القران ورد فيه ذكر الانسان فالمراد هو الكافر مردود فقد قال تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه واما المومن
اذا ابتلي ببلية او محنة وجب عليه رعاية امور اولها ان يكون راضيا بقضا الله تعالى غير
معترض بالقلب واللسان عليه وانما وجب عليه ذلك لانه تعالى مالك على الاطلاق ومالك
بالاستحقاق فله ان يفعل من ملكه ما شاء ولانه تعالى حكيم على الاطلاق وهو منزه عن
فعل العبث وكل ما فعله فهو حكمة وصواب فيجب عليه الصبر وترك القلق فان
ابتلي عليه تلك المحنة فهو عدل وان ازالها عنه فهو فضل وثانيها انه في ذلك الوقت ان
اشتغل بذكر الله تعالى والثنا عليه بدلا عن الدعا كان افضل لقوله صلى الله عليه وسلم
حكاية عن الله تعالى من شغله ذكري عن مسيتي اعطيته افضل ما اعطي السايلين ولان
الله تعالى باشتغاله بالحق والاشتغال بالدعا اشتغال بطلب حظ النفس ولا شك ان الاول
افضل وثالثها انه تعالى اذا ازال عنه تلك البلية وجب عليه ان يبالغ في الشكر وان لا يخلو
عن ذلك الشكر في السراء والضراء واحوال الشدة والرخا فهذا هو الطريق الصحيح عند نزول
البلا وح يكون المومن على الضد من الكافر لان الكافر منهمك في الشهوات والاعراض
عن العبادات كما قال تعالى كذلك اي مثل ما زين لهوله الكافر في هذا العمل القبيح زين
للمسرفين اي المشركين ما كانوا يعملون من القبيح لصرافهم عن الذكر واتباعهم الشهوات
وانما سمي الكافر مسرفا لانه اتلف نفسه بتعطيلها في عبادة الاوقات واتلف ماله في البحيرة
والسايبة والوصيلة والمزين هو الله تعالى لانه مالك الملك والخلق كلهم عبيده يتصرف فيهم كيف
شاء وقيل هو الشيطان وذلك باقدار الله تعالى اياه على ذلك والاظهر هو الاول ولقد اهلكنا
القرون اي الامم الماضية من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا اي حين اشركوا وقوله تعالى وجاتهم
رسلهم بالبينات اي بالحجج الدالة على صدقهم حال من الواو بامضمار قد او عطف على ظلموا وما

اي والحال

اي والحال انهم ما كانوا ليومنوا اي وما استقام لهم ان يومنوا ولو جاتهم كل اية لعلمه
تعالى بانهم يموتون على كفرهم لتاكيد النفي كذلك اي مثل ذلك الجزا العظيم وهو اهلاكهم
لما كذبوا رسلهم نجزي القوم المجرمين اي نجزيكم يا اهل مكة بتكذيبكم محمد صلى الله عليه
وسلم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم
ايها المرسل اليهم اشرف رسلنا خلايف جمع خليفة في الارض من بعدهم اي استخلفنا
فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلافا من يختبر لننظر ونحن اعلم بكم منكم انفسكم في
علم الشهادة لاقامة الحجة كيف تعملون من خير او شر فنجازيكم به وقد مر نظايره ام
ومنه قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا خضرة حلوة وان
الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون وقال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلقا الا ليظر
الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار قال الزجاج وموضع كيف نصب بقوله
تعملون اي لا معمول ننظر لانها حرف استفهام والاستفهام لا يعمل فيه ما قبله لان له
صدر الكلام فلا يتقدمه عامله وظاهر كلامه ان كيف مفعول لتعملون وجمهور النحاة
على انه حال من ضمير تعملون واذا تتلى عليهم اي واذا قرئ على هولا المشركين ايانتنا اي
القران الذي انزلناه اليك يا محمد حالة كون تلك الايات بينات اي ظاهرات تدل على
وحدانيتنا وصحة نبوتك قال الذين لا يرجون لقانا اي لا يخافون عذابنا ولا يرجون
ثوابنا لانهم لا يومنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث بعد الموت فانه
لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ايت اي من عندك بقران اي كلام مجموع جامع لما يريد
غير هذا في نظمه ومعناه او بدله بالفاظ اخر في المعاني باقية وقد كانوا عالمين بانه صلى
الله عليه وسلم مثلهم في العجز عن ذلك ولكنهم قصدوا ان ياخذوا في التغيير حرصا على اجابة
مطلوبهم فيبطل مدعاه او يهلك واختلف في هذا القايل مقاتل قتادة هم شركوا اهل
مكة وقال مقاتل هم ستة نفر عبد الله بن امية المخزومي والوليد بن المغيرة ومكرز بن حفص
وعمرو بن عبد الله بن ابي قيس العامري والعاصي بن عامر بن هشام قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم ان كنت تريد ان نومن لك فاتنا بقران ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة
والحين فيها عيبها وان لم يتزل لها الله فقل انت من عند نفسك او بدله فاجعل مكان اية عذاب
اية رحمة او مكان حرام حلالا او مكان حلال حراما ولعلهم كانوا قبل فهذا القول لهم قابله
الله تعالى قل لهم ما يكون اي ما ينبغي لي ولا يتصور بوجه من الوجوه ان ابدله من تلقا
اي قبل نفسي وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر

وقرا نافع وابو عمرو بفتح الباء والباقون بالسكون ان اي ما اتبع الا ما يوحى الي
فيما امركم به او انهاكم عنه اي لا اتبع شيئا ولا ادرشيا من ذلك الا متبعا لوحي
الله تعالى واوامره ان نسخت اية تبعت النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت
التبديل وليس اتي تبديل ولا نسخ اني اخاف ان عصيت ربي اي تبديله عذاب يوم
عظيم فاني مومن به غير مكذب والا لغيره عمن يتكلم الهذيان مما لا يخاف عاقبته
في ذلك اليوم الذي تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت وقرا نافع ووبن كثير وابو
عمرو وابي بفتح الياء والباقون بالسكون قل يا محمد لهولاء المشركين الذين طلبوا
منك تغيير القران وتبديله لو شاء الله ما تلوته عليكم اي لو شاء الله لم ينزل هذا القران
ولم يامرني بقراءة عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني في قرابة كثير نجلان من عنز
البزي بقصر الهمزة بعد اللام جواب لواي لا علمكم به على لسان غيري والباقون بالمد
المنفصل وقوله تعالى فقد لبثت اي مكثت قراه نافع وابن كثير وعاصم باظهار التا
عند التا والباقون بالادغام فيكم عمرا سنين اربعين من قبله اي قبل ان يوحى الي
هذا القران لا اتلوه ولا اعلمه معي ذلك اشارة الى ان هذا القران معجز اخارق للعادة
وتقريره اذ اولئك الكفار كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ ولد عمره
الى ذلك الوقت وكانوا عالمين باحواله وانه ما طالع كتابا ولا تلمذ لاستاذ ولا تعلم من احد
ثم بعد انقراض اربعين سنة على هذا الوجه جاءهم بهذا الكتاب العظيم المشتمل على
نفايس علوم الاصول ودقايق علم الاحكام ولطايف علم الاخلاق واسرار قصص
الاولين وعجز عن معارضته العلماء والفصحاء والبلغاء كل من له عقل سليم فانه يعرف
ان مثل هذا لا يحصل الا بالوحي والالهام من الله تعالى افلا تعقلون اي فلا تستعملون
عقولكم بالتدبر والتفكر لتعلموا ان مثل هذا الكتاب العظيم على من لا يتعلم ولم تتلمذ
ولم يطالع كتابا ولم يمارس مجادلة انه لا يكون الا على سبيل الوحي من الله تعالى لا من مثلي
وهذا جواب عما وسوسوه تحت قولهم ايت بقران غير هذا من اضافة الافتراء اليه تنبيها
اقام صلى الله عليه وسلم بعد ان اوحي اليه بمكة ثلاث وستين عشر سنة ثم هاجر فاقام
بالمدينة عشرين وتوفي وهو بن ثلاث وستين سنة قال النووي وردفي عمره
صلى الله عليه وسلم ثلاث روايات احداها انه توفي صلى الله عليه وسلم وهو بن
سبعين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون وهي اصحها
اشهرها وتاولوا رواية ستين بان راويها اقتصر فيها على العقود وترك الكسر

ورواية

ورواية الخمس ايضا متاولة وحصل فيها اشتباه ولما اقيمت الدلايل على ان هذا القران
من عند الله وجب ان يعلم انه ليس في الدنيا احد اجهل ولا اظلم على نفسه من منكر ذلك
كما قال تعالى فمن اي لا احد اظلم ممن افتري اي تعمد على الله كذبا اي بان ادعى انه
اوحي اليه او غير ذلك وكان الاصل مبني على تعذيبه ان لا يكون هذا القران من عند الله ولكنه
وضع هذا الظاهر مكانه تعميما وتعليقا للحكم بالوصف او كذب بايا ته اي دلايل توحيده
فكفى بها كما فعلتم انتم وذلك من اعظم الكذب وقوله تعالى انه اي الشان لا يفلح بوجه
من الوجوه المجرمون اي المشركون تاكيد لما سبق من هذين الوصفين ويعبدون
اي هولاء المشركون من دون الله اي غيره ما لا يضرهم اي ان لم يعبدوه ولا ينفعهم
اي ان عبدوه وهو الاصنام لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع والكفار قادرون
على التصرف فيها تارة بالاصلاح وتارة بالافساد واذا كان العابد اصلح حالا من المعبود كان
العبادة باطلة لان العباد اعظم انواع التعظيم فلا يليق الا بمن يضر وينفع بان يثيب
على الطاعة ويعاقب على المعصية وكان اهل الطايف يعبدون اللات واهل مكة يعبدون
العزى ومناة وهبل واسافا ونايلة ويقولون هولاء اي الاصنام التي تعبدها شفعاونا
عند الله ونظيره قوله تعالى اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقيل
انهم وضعوا هذه الاصنام والاوثان على صور انبيايهم واكابرهم وزعموا انهم متى
اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فانا ولئك الاكابر يكونون شفعاءهم عند الله قال
الرازي وتظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد
انهم اذا عظموا قبورهم فانهم يكونوا شفعاءهم عند الله انتهى ولكن تعظيمهم لهولاء
ليس كتعظيم الكفار وفي هذا الشفاعة قولان احدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم
فيما يهمهم من امور الدنيا في اصلاح معايشهم قاله الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بقا
الموت والثاني انهم يزعمون انها تشفع لهم في الاخرة ان يكون بعث قاله بن جريج عن
ابن عباس وكلهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة موجدهم
الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع
لهم قال النضر بن الحارث اذا كان يوم القيامة شفعت اللات والعزى وقوله تعالى قل
يا محمد لهولاء المشركين اتنبيون اي اتخبرون الله وهو العالم بكل شي المحيط بكل معلوم
بما لا يعلم اي لا يوجد له به علم في وقت من الاوقات لاستحالة انكار تهكم بهم وبما ادعوه
من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلمه بان الذي انبا وا به باطل غير منطوي تحت العقل

فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق علمه وقوله تعالى في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان
ما لم يوجد فيهما فهو منتف معه وهم وهذا طريق الاكرام والمقصود نفي علم الله بذلك
الشفيع وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لكان معلوما لله تعالى وحيث
لم يكن معلوما لله تعالى وجب ان لا يكون معلوما موجودا وهذا مثل مشهور وفي الغرر
فان الانسان اذا اراد نفي شيء عن نفسه يقول ما علم الله ذلك مني ومقصوده انه
ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع سبحانه اي تنزيها له عز كل شيء شائبة نقص
وتعالى عما يشركون ما مصدرية او موصولة اي عن اشراكهم او عن الشركاء الذين هم
يشركونهم به وقرا حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب لقوله اتنبئون الله والباقون
بالياء على الغيبة وكانه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل انت سبحانه وتعالى عما يشركون
ويجوز ان يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي نزه نفسه عما قالوه فقال سبحانه وتعالى
عما يشركون ولما اقام الله تعالى الدلالة على القاهرة على فساد القول بعبادة الاصنام
بين السبب في كيفية حدوث هذا المذهب الفاسد بقوله وما كان الناس الا امة
واحدة اي جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام وقيل على الضلال في فترة الرسل
واختلف القائلون بالاول انهم متى كانوا كذلك فقال ابن عباس ومجاهد كانوا على
دين الاسلام من لدن ادم الى ان قتل قابيل هابيل وقال قوم الى زمن نوح فبعث الله
تعالى اليهم نوحا وقال اخرون كانوا على دين الاسلام من زمن نوح بعد الغرق حيث لم
يظهر الله على الارض من الكافرين ديارا الى ان ظهر الكفر فيهم وقال اخرون من عهد ابراهيم
عليه السلام الى زمن عمرو بن لحي وهذا القايل قال المراد من الناس في قوله تعالى وما كان
الناس الا امة واحدة العرب خاصة فاختلفوا باثبت بعض وكفر بعض ولولا كلمة سبقت
من ربك وهو تاخير الحكم الى يوم القيامة وقيل تلك الكلمة هي قوله سبحانه وتعالى سبقت
رحمتي غضبي فلما كانت رحمته غالبة اقتضت تلك الرحمة الغالبة امهال المتمرد على
الجاهل الضال وامهاله الى وقت الوجدان لقضي بينهم اي الناس بنزول العذاب في
الدنيا ودون يوم القيامة فيما فيه يختلفون من الدين باهلاك المبطل وانقاذ المحق
وكان ذلك فصلا بينهم ويقولون اي كفار مكة لولا هلا انزل عليه اي محمد صلى
الله عليه وسلم اية من ربه اي غير ما جاء به كما كان للانبياء من الناقة والعصى واليد فقل
يا محمد لهم ولا الكفرة المعاندين انما الغيب اي ما غاب عن العباد امره لله اي هو المختص
بعلمه ومنه الايات فلا ياتي بها الا هو وانما علي التبليغ فانتظروا اي نزول ما اقترحتموه

وقيل نزول

وقيل نزول العذاب ان لم يومنوا في معكم من المنتظرين اي لما يفعل الله تعالى بكم لعنادكم
وجحودكم الايات وكفى بالقران وحده اية باقية على وجه الدهر بديعة في الايات رقيقة
الملك بين الفرقان مع عجزكم عن معارضته بتبديل او غيره فاي عناد اعظم من هذا
واذا اذقنا الناس اي كفار مكة رحمة اي صحة وسعة من بعد ضراء اي شدة وبلاء
مستهم سلط الله تعالى القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم
فانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاشوا الله تعالى بعد ذلك فلم يتعظوا بعد
ذلك بل رجعوا الى العناد والكفر كما قال تعالى اذا لهم مكر في اياتنا بالاستهزاء والتكذيب
وقيل لا يقولون هذا من رزق الله انما يقولون سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه انه تعالى يصبح القول بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون
مطرنا بنوء كذا والنوء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره قل الله اي قل لهم
يا محمد الله اسرع مكرا ان رسلنا اي الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ما تمكرون اي انهم
وكلوا بكم ملكا قبل كونكم نطفا ولم يوكلوا بكم الا بعد علمه بكل ما تفعلونه ولا هم
يكتبون مكركم الا بعد اطلاعهم عليه واما هو سبحانه وتعالى فانه اذا قضى قضاء لا يمكن
ان يطلع عليه رسله الا باطلاعه فكيف بغيرهم واذا تبين انه عالم باموركم وهم جاهلون
باموره علم انه لا يدعهم يدبرون كيدا الا وقد سبق له ما يجعله في نحورهم وقرا ابو عمرو
بكون السين والباقون بالرفع ثم اخذ سبحانه وتعالى يبين ما يتضح به اسرعية مكره في
مثاله دال على ما في الاية قبلها لان المعنى الكلي لا يصل الافهام الى معنى الا بذكر مثال
جلي واضح يكشف عن حقيقة ذلك المعنى الكلي فقال هو الذي يسيركم اي يحملكم على
السير في كل وقت تسيرون فيه لا تقدرون على الانفكاك عنه ولم يمكنكم منه في البر والبحر
اي سبب لكم اسبابا توجب سيركم فيهما وقرا ابن عامر بعد الياء الاولى بنون ساكنة بعدها
شين مضمومة والباقون بين مهملة معتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة ولما كان الغالب
بسير البحر ظهر مع ان السير فيه من اكبر الايات واوضح البينات بينه معرضا عن ذكر البر
بقوله تعالى حتى اذا كنتم اي كونا لا براح لكم فيه في الفلك اي السفن فان قيل في الفلك متعلق
لا معالة على السير بل تقدير الكلام كان قيل هو الذي يسيركم حتى اذا وقع في جملة تلك
التسيرات الحصول في الفلك كان كذا واذا ولفظ الفلك يطلق على الواحد وعلى الجمع فان اريد
الواحد كان البناء فعل او الجمع كالبناء حمر والمراد هنا الجمع لقوله تعالى وجرين بهم اي بمن فيها
وعدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار

والتفيح والالتفات في الكلام عن الغيبة الى الخضور والعكس في قطع كلام العرب بريح طيبة اي لينة الهبوب وفرحوا بها اي تلك الريح وبالفلك الجارية بها وقوله تعالى جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف اي شديدة الهبوب فاز عجت سفينتهم واماتتهم وجاءهم الموج اي وجاء راكب السفينة الموكل وهو ما ارتفع وعلا من ضراب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء واختلاطه من كل مكان اي يتعاد مجيء الموج منه فارجح قلوبهم وظنوا انهم احيط بهم اي فظنوا ان الهلاك قد احاط بهم وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط بهم العدو دعوا الله مخلصين اي من غير اشتراك به له الوهية اي الدعاء لانهم لا يدعون حينئذ غيره لان الانسان في هذه الحالة لا يطمع الا في فضل الله ورحمته ويصير منقطعا عن جميع الخلق ويصير بقلبه وروحه وجميع اجزاء منفرجا الى الله تعالى وقوله تعالى لئن انجيتنا من هذه الشدائد التي نحن فيها وهي الريح العاصف والامواج الشديدة لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مقولا دعوا لانه مرجلة من القول اي لنكونن من الشاكرين لك بالايمان والطاعة على انعامك علينا بانجائنا مما نحن فيه من هذه الشدة فلما انجاهم اي هؤلاء الذين ظنوا انه احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها اجابة لدعائهم اذا هم يبغون اي فاجاؤا الفساد وسارعوا الى ما كانوا عليه من الكفر والمعاصي في الارض اي جنسها بغير الحق فان قيل البغي لا يكون بحق فما معنى قوله بغير حق اجيب بانه قد يكون بحق كاستيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل صلى الله عليه وسلم ببني قريظة فان ذلك هو افساد بحق قال صاحب المفردات البغي على ضربين احدهما غير محمود وهو مجاوزة الحق الى الباطل والى الشبهة اي والاخر كفعل المسلمين ما ذكر يا ايها الناس انما بغيكم اي ظلمكم على انفسكم لعود وباله عليها خاصة قال صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي تنتان يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وكان المبغي يتمثل بهذين البيتين ياصاحب البغي مصرعة فاربع فخير فعال الخير اعدله لو بغى جبل يوما على جبل لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر وعلى تقدير الانتفاع بالبغي هو عرض زايل كما قال تعالى متاع الحياة الدنيا اي لا يبقيكم بغي بعضكم على بعض الا اياما قليلة وهي مدة حياتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم

اي فيخبركم

اي فيخبركم بما كنتم تعملون في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها وقرا حفص متاع بنصب العين على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحياة الدنيا والباقون بالرفع على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم خبر بغيكم ولما قال تعالى يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا اتبعه بمثل عجيب ضربه لمن يبغي في الارض ويفتن بالدنيا ويشتد تمسكه بها ويقوى اعراضه عن امر الاخرة والتاهب لها بقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا اي حالها العجيبة في سرعة انقضائها وذهاب نعيمها بعد اقبالها وافتتان الناس بها والمثل قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالاول كما انزلناه وحققناه ومينه بقوله تعالى من السماء فاختلط به اي بسببه نبات الارض اي اشتبك بعضه ببعض والاختلاط تداخل الاشيا بعضها في بعض مما ياكل الناس من الحبوب والثمار ونحو ذلك ومما ياكل الانعام من الحشيش ونحوه حتى اذا اخذت الارض زخرفها اي حسنها وبهجتها من النبات وازينت باظهار الوان زهرها من ابيض واصفر واحمر وغير ذلك من الزهور كالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتسبت وتزينت بغيرها من الوان الزينة واصل ازينت تزينت ادغمت التا زايا وادغمت في الزاي وظن اهلها اي تلك الارض انهم قادرون عليها اي يتمكنون من تحصيل جذاذها وحصادها اتاها امرنا اي قضاؤنا من البرد والجر المفرط او غيره ليلا او نهارا اي في الليل او في النهار فجعلناها اي زرعها حصيدا اي كالمحصود بالمناجل وقوله تعالى كان لم تغن اي كانها لم تنبت ولم تكن بالامس تلك الزروع والاشجار قايمة على ظهر الارض وحذف المضاف من فجعلناها ومن كان لم تكن للمبالغة تشبيه تشبيه الحياة الدنيا بهذا النبات يحتمل وجوها الاول ان عاقبة هذه الدنيا التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم الرجا في الانتفاع به وقع الياس منه لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا وضع قلبه عليها وعظمت رغبته فيها ياتيه الموت وهو معنى قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون اي خاسرون الدنيا وقد انقطعت اعمارهم فيها وخاسرون من الاخرة مع انهم توجهوا اليها الثاني انه تعالى بين انه لم يكن يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المفتتن بالدنيا المحب لها لا يحصل له عاقبة تحمد مع ان المنافع التي تحصل فيها مخلوطة بالمضار والمتاعب فان سعادة الدنيا غير خالصة عن الافات بل هي ممزوجة بالبليات والاستقرا يدل عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من طلب ما لم يخلق لاهب نفسه ولم يرزق فقيل يا رسول الله وما هو سرور يوم بتمامه الثالث ان مالك

ذلك البنان لما عرفها باتحاده بالنفس وكذا الروح وعلق قلبه على الانتفاع بها فاذا
حصل ذلك السبب المهلك صار العنا الشديد الذي تحمله في الماضي سببا لحصول الشقا الشديد
له في المستقبل وهو ما يحصل له في قلبه من الحسرات فكذا حال من وضع قلبه على الدنيا وابتذل
نفسه في تحصيلها فاذا مات وفاته كل ما فات صار العنا الذي تحمله في تحصيل اسباب الدنيا
سببا لحصول الشقا العظيم له في الاخرة كذلك اي مثل هذا التفصيل الذي ذكرناه نفصل
الايات اي نبينها لقوم يتفكرون لانهم المنتفعون بها ولما نفر تعالى الغافلين عن
الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الاخرة بقوله تعالى والله يدعوا اي يعلق دعاه على سبيل
التجدد والاستمرار بالدعوة في دار السلام قال قتادة السلام هو الله ودار الجنة سميت
بذلك وتعالى بالسلام لانه واجب الوجود لذاته فقد سلم من الفناء والتغير وبرئ في احتياجه
في ذاته وصفاته من الافتقار الى الغير وهذه الصفة ليست الا له سبحانه وتعالى قال تعالى
والله الغني وانتم الفقراء وقال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله وقيل السلام بمعنى السلامة
وقيل المراد بالسلام الجنة سميت الجنة دار السلام لان اهلها يحيي بعضهم بعضا
بالسلام والملائكة تسلم عليهم قال الله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
ومن كمال رحمته وجوده وكرمه على عباده ان دعاهم الى الجنة التي هي دار السلام وفيه
دليل على ان فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لان العظيم لا يدعو
الا الى عظيم ولا يوصف الا عظيما وقد وصف الله تعالى الجنة في ايات كثيرة من كتابه وعن جابر قال
جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نايم فقالوا ان صاحبكم هذا مثل مثله كمثل
رجل بنا دارا وجعل فيها مايدة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المايدة
ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المايدة والدار الجنة والداعي محمد صلى الله
عليه وسلم والله يهدي من يشاء من عباده بما يخلق في قلبه من الهداية الى صراط مستقيم
وهو دين الاسلام سبحانه وتعالى بالدعوة اولا اظهارا للمحبة وخص بالهداية ثانيا اظهارا
للقدرة لان الحكيم له في خلقه وقال الجنيد الدعوة عامة والهداية خاصة بل الهداية
عامة بل الهداية عامة والهداية خاصة بل الصحة عامة والاتصال خاص وقيل يدعوا
بالايات ويهدي للحقايق والمعارف وقيل الدعوة لله والهداية من الله وقال بعضهم لا تشتغل
الدعوة لمن لم يسبق له من الله الهداية للذين احسنوا الحسنى اي بالايمان الحسنى وهي
الجنة وزيادة وهي النظر اليه تعالى في الاخرة كما في الحديث الصحيح اذا دخل اهل الجنة
نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيا هو احب

اليهم منه

اليهم منه والزمخشري في كشافه قال في هذا وزعمت المشبهة والمجبرة لان المعتزلة ينكرون
الرؤية ويرد عليهم قول الله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت الله لاهل الجنة
امرين احدهما النضارة وهي حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى الله تعالى
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الحسنى الجنة والزيادة عشرة امثالها وعن الحسن
عشر امثالها الى سبعمايتة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد
ابن سمرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون
شيا الا امطرتهم ولما منع من ان نفس الزيادة بذلك كله اذ لا تنافي فيها والفضل واسع
ولا يرهق اي يغشى وجوههم قترا اي سواد ولا ذلة اي كابة وكسوف يظهر منه الانكسار
والهوان اولئك اي هولاء الذين وصفهم الله بما وصفهم اصحاب الجنة وقوله تعالى هم فيها خالدون
اشارة الى كونها دايمة امنة من الانقطاع والزوال فيها ولا انقراض بخلاف الدنيا وزخارفها
ولما بين تعالى حال الفضل في هذا حسن بين حال العدل في هذا بقوله تعالى والذين كسبوا
السيات اي الشرك جزاء سيية منهم بمثلها بعدل الله من غير زيادة وفي ذلك اشارة الى
الفرق بين السيات والحسنات لان الحسنات تضاعف ثوابها العامل منها من الواحد الى العشر
الى السبعماية الى اضعاف كثيرة تفضلا منه تعالى وتكرما واما السيية فانه يجازي عليها
بمثلها عدلا منه تعالى وترهقهم ذلة عكس اهل الجنة مالهم من الله من عاصم اي مانع
يمنعهم من عذاب الله اذا نزل بهم كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا من الليل
مظلما لغير طوادها وظلمتها وقرا بنكير والكسائي بكون الطا اي جزاء المباقون بفتحها
جمع قطعة اي جزء الليل اولئك اي هولاء الاشقيا اصحاب النار هم فيها خالدون اي لا يتمكنون
من مفارقتها واذكر يوم نحشرهم اي الفريقين الناجين والهالكين العابدين منهم
والمعبودين من كل جانب وناحية الى موقف الحساب حاذكونهم جميعا لا يتخلف منهم احد
وهو يوم القيامة والحشر الجمع يكون الى موقف واحد ثم نقول للذين اشركوا مكانكم
اي الزموا مكانكم لا تبرحوا منه حتى تنظروا ما يفعل بكم وقوله تعالى انتم تاكيد للضمير المستتر في
الفعل المقدر ليعطف عليه وشركاؤكم اي من كنتم تعبدونه من دون الله فزيلنا اي فرقنا
بينهم اي بين المشركين وشركايهم وقطعنا ما كان بينهم من التواصل في الدنيا وذلك حين
تبرا كل معبود من دون الله ممن عبده وقيل فرقنا بينهم وبين المومنين كما في اية وامتازوا
اليوم ايها المجرمون والاول انسب بقوله تعالى وقال شركاؤهم اي لهولاء المشركين ما كنتم
ايانا تعبدون اي انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم

واختلفوا في المراد بهؤلاء الشركاء فقال بعضهم الملائكة واستشهدوا بقوله تعالى
ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ومنهم من قال
هي الاصنام والدليل عليه ان هذا الخطاب مشتمل على الوعيد والتهديد وذلك لا يليق
بالملائكة المقربين وسموا شركاء لانهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام
فصيروهم شركاء لانفسهم في تلك الاموال ثم اختلفوا في هذه الاصنام كيف ذكرت هذا
الكلام وقال اخرون ان الله تعالى خلق فيها الكلام من غير ان يخلق فيها الحياة حتى سمع
منها ذلك الكلام والاول اظهر لان ظاهر قوله تعالى وقال شركاؤهم يقتضي ان يكون فاعل
ذلك القول هو الشرك فان قيل اذا احياها الله تعالى هل يبقيها او يفنيها اجيب
بان الكل محتمل فان الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء واحوال القيامة غير معلومة الا القليل
الذي اخبر الله تعالى عنه في القرآن وعلى لسان انبيائه وقال بعضهم المراد بهؤلاء الشركاء من
عبد من دون الله من انسي وملك وجني وشمس وقمر ومنهم وهذا اظهر وعليه هذا لفظ
والاول سموا شركاء لان الله تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله تعالى ما كنتم ايانا تعبدون
في هذا الخطاب ولما قال لهم شركاؤهم ذلك قالوا بل كنا نعبدكم فقال شركاؤهم فكفى بالله
شهيدا بيننا وبينكم فانه تعالى العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين اي لم نأمركم بها ولم
نعلم بها وعلى القول بانها الاصنام فتقول لما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل لانها جمادات
لا حس لها ولا شعور البتة تنبيه ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بين المخففة والنافية هنالك اي في ذلك الموقف من المكان العظيم الاهوال المتوالية
الزلزال تبلوا اي تختبر كل نفس طائعة وعاصية ما اسلفت اي ما قدمت من عمل تتعاين
نفعه وضره يؤدي الى سعادة او شقاوة وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ كل
ما قدمت او من التلو فيتبع كل شخص عمله الى الجنة او الى النار والباقون بعد التاء باء موحدة من البلوى
وهو الاختبار وردوا الى الله اي الى جزائه اياهم عما اسلفوا فلم يكن لهم قدرة على فقد غيره
مولاهم الحق اي ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة ولا التفات الى سواه من تلك الاباطيل
بل انقطع رجاؤهم من كل ما يدعونه في الدنيا وهو المراد بقوله تعالى وضل عنهم اي ذهب وبطل
وضاع ما كانوا يفترون اي يتعمدون كذبه من ان معبوداتهم شركاء وتيقنوا في ذلك
وتيقنوا في ذلك المقام ان توليهم لغير الله كان باطلا غير حق ولما بين فضايح عبدة الاوثان
اتبعها بذكر الدلايل على فساد هذا المذهب بحج الحجة الاولى قوله تعالى قل اي قل يا محمد لهؤلاء
المشركين من يرزقكم من السماء بالمطر والارض بالنبات ناحصر الرزق في ذلك اما من السماء فبنزول

الامطار واما من الارض والحيوان فهو يحتاج ايضا الى الغذاء ولا يمكن ان يكون غذاء كل حيوان
حيوانا اخر والا لزم الذهاب الى ما لا نهاية له وذلك محال فثبت ان اغذية الحيوانات يجب
انتهاؤها الى النبات وثبت ان تولد النبات من الارض فثبت القطع ان الارزاق لا تحصل الا
من السماء والارض ام من يملك السمع اي الاسماع والابصار اي من يستطيع خلقها
وتسويتها على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة عن علي رضي الله تعالى عنه كان
يقول سبحان من بصر بشعر واسمع بعظم وانطق بلحم ويحيهما ويحفظهما من الافات مع كونهما
في المدد الطوال وهما الطيفان يؤديهما ادنى شيء بكلاله وحفظه ومن يخرج الحي من الميت ويخرج
الميت من الحي كان يخرج الانسان من النطفة والطائر من البيضة الطايرة وقيل للمؤمن
من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي ميت في الموضعين بعد الميم بكسر
الياء المشددة والباقون بعد الميم بكون الياء ومن يدبر الامر اي ومن يلي تدبير امر الخلايق
وهو تعميم بعد تخصيص وذلك لان اقسام تدبير الله تعالى في العالم السفلي وفي العالم العلوي
وفي عالم الارواح والاجساد امور لا نهاية لها وذكر كلها لا يتقدر فلما ذكر بعض تلك الافاصيل
عقبها بالكلام الكلي ليدل على الباقي ثم بين تعالى ان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سألهم عن هذه
هذه الاحوال فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه
واذا كانوا يقرون بذلك فقل لهم يا محمد افلا تتقون الشرك مع اعترافكم بان كل الخيرات في
الدنيا والاخرة انما تحصل بين رحمته واحسانه فذلكم الله ربكم الحق اي الثابت ربوبيته
ثباتا لا ريب فيه واذا ثبت ان هذا هو الحق وجب ان يكون ما سواه ضلالا لان النقيضين
يمتنع ان يكونا حقين وان يكونا باطلين فاذا كان احدهما حقا وجب ان يكون ما سواه باطلا
كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اذ لا واسطة بينهما فهو استفهام تقرير اي ليس بعد
غير الحق الا خط الحق وهو عبادة الله تعالى وقع في الضلال ولذلك سبب عنه قوله فانى اي وكيف
ومن اي جهة تصرفون اي تعدلون عن عبادته وانتم تقرون بان الله هو الحق كذلك اي كما
حقت الربوبية لله تعالى ان الحق بعده الضلال انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك في الجمل
على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح وقوله تعالى انهم لا يؤمنون
بدل من الكلمة اي حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك والمراد بكلمة العدة بالعذاب
وهو لاملان جهنم الاية وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون اوذلك تفسير لكلمته
التي حقت وقرأ نافع وابن عامر كلمة بالالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الف بعد الميم على
الافراد الحجة الثانية قوله تعالى قل اي قل يا محمد لهؤلاء هل من شركائكم الذين زعمتموهم

الامطار

شركاء اشركتموهم في اموالكم هل امواكم وزعكم من بيد الخلق كما بدأبه ليصح لهم ما ادعيتم
من الشركة ثم يعيده كما كان فان قيل هم غير معترفين بالاعادة فكيف احتج عليهم
تعالى بها كالابتداء في الالزام بها اجيب بانها لظهور بدهانها وان يقروا بها وضعت موضع
ما ان دفعه دافع كان مكابرا واذ الظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة
على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء ولذلك امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينوب عنهم في الجواب بقوله تعالى قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده
لان لجاجهم لا يدعهم يعترفون بها فاني اي فكيف تؤفكون عن عبادته مع قيام الدلائل
فان قيل ما الفايدة في ذكر هذه الحجة على سبيل السؤال والاستفهام اجيب بان الكلام
اذا كان ظاهرا جليا ثم ذكر على سبيل الاستفهام كان ذلك ابلغ واوقع في القلب للحجة الثانية
قوله تعالى قل اي يا محمد لهم هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصبا الحج وخلق الاهتداء
وارسال الرسل ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق في ذلك او معاندين في امر الله تعالى نبيه
ورسوله صلى الله عليه وسلم ان يجيب بقوله تعالى قل الله الذي له الاحاطة الكاملة بهدي
الحق من يشاء لا احد ممن تزعمونه شركا فالاشتغال بشيء منها بعباده او غيرها جهل محض قال
الزجاج يقال هديت الى الطريق وهديت الطريق بمعنى واحد فالله تعالى ذكرهما بين اللغتين في قوله تعالى
من يهدي الى الحق وفي قوله تعالى الله يهدي للحق وقوله تعالى افمن يهدي الى الحق اي وهو الله تعالى
احق ان يتبع امن لا يهدي اي يهتدي الا ان يهدي احق ان يتبع استفهام تقرير وتوبيخ
اي الاول احق فما لكم كيف تحكمون هذا استفهام الفاسد من اتباع من لا يستحق الاتباع وقوله
تعالى وما يتبع اكثرهم في تقييره وجهان الاول وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا
ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل تسمعوه من اسلافهم الثاني وما يتبع
اكثرهم الا ظنا في قولهم للاصنام الهة وانها شفعاء عند الله الا الظن حيث قلدوا نبيه اباء
قال الرازي والقول الاول لا ناف في القول الثاني محتاج الى تفسير الاكثر بالكل ان الظن لا يغني من
الحق فيما المطلوب فيه العلم شيأ من الاغناء فدلت الاية على ان كل من كان ظانا في مسايل الاصول
وممكن قاطعا لا يكون مومنا فان قيل فقد اهل السنة انا مومن ان شاء الله يمنع من القطع
فوجب ان يلزمهم الكفر اجاب الرازي بان هذا ضعيف من وجوه الاول ان مذهب الشافعي رضي
الله عنه ان الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل فالشك حاصل في ان هذه
الاعمال هل هي موافقة لامر الله والشك في احد اجزاء الماهية لا يوجب الشك في تمام الماهية
الثاني ان الغرض من قوله ان شاء الله بقاء الايمان عند الخاتمة الثالث الغرض هضم النفس وكسر

ان الله عليم

ان الله عليم اي بالغ العلم بما يفعلون من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين فيجازيهم
عليه وقوله تعالى وما كان عطف على قوله ما لكم كيف تحكمون من تلقائي الى اخره فهو من
مقول القول اي قل لهم ذلك الكلام هذا القران اي الجامع لكل خير مع التادية
باساليب الحكمة المعجزة لجميع الخلق ان يفترى اي افتراء من دون الله اي غيره لان المفترى
هو الذي تاتي به البشر وكفار مكة تزعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه
فاخبر الله تعالى ان هذا القران وحي انزله عليه وانه مبرا عن الافتراء والكذب وانه لا يقدر عليه
احد الا الله ثم ذكر ما يوكد هذا بقوله تعالى ولكن انزل تصديق الذي بين يديه اي قبله من
الكتب الذي انزلها على انبيايه كالتوراة والانجيل فثبت بذلك انه وحي من الله انزله على
نبيه صلى الله عليه وسلم وانه معجزله فانه كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلماء
ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين
وقيل تصديق الذي القران بين يديه من القيامة والبعث وتفصيل الكتاب اي يبين ما كتب
الله من الاحكام وغيرها لا ريب اي لا شك فيه وقوله تعالى من رب العالمين متعلق بتصديق
او بانزال المحذوف ام اي بل يقولون افتراه اي اختلقه محمد ومعنى الهمزة فيه للانكار قل
اي قل لهم يا محمد ان كان الامر كما تقولون فاتوا بسورة مثله في الفصاحة والبلاغة وحسن
النظم فانتم عرب مثله في البلاغة والفطنة فان قيل هل نيتا ولت ذلك جميع السور الصغار
والكبار او يختص بالسور الكبار اجيب بان هذه الاية في سورة يونس وهي مكية فيكون
المراد مثل هذه الاية السورة لانها اقرب ما يمكن ان يشار اليه هكذا اجاب الرازي والاولى الشمول
لجميع السور فانهم لا يقدرون ان ياتوا باقصر سورة فان قيل المرقال في البقرة بسورة من مثله
وهنا بسورة مثله اجيب بانه صلى الله عليه وسلم لم يقرا ولم يكتب ولم يتلمذ لاحد فقيل في سورة
البقرة فاتوا بسورة من مثله تنا على ان الضمير يرجع للنبي صلى الله عليه وسلم اي فليات انسان
يساوي محمدا صلى الله عليه وسلم في عدم مطالعة الكتب وعدم الاشتغال بالعلوم بسورة تساوي
هذه السورة وحيث ظهر العجز اظهر المعجز فهذا يدل على ان السورة في نفسها معجزة ولكنه يدل
على ان ظهور مثل هذه الاية السورة من انسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم في عدم التعلم
والتلمذ معجز ثم بين تعالى في هذه السورة ان تلك السورة في نفسها معجزة فان الخلق وان تلمذوا
وتعلموا وطالعوا وتفكروا لا يمكنهم الاتيان بمعارضة سورة واحدة من هذه السور وهو
المراد من قوله تعالى وادعوا من استطعتم اي واستعينوا بمن امكنكم ان يستعينوا به من دون
الله اي غيره فانه تعالى وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين اي في اني اتيت به من عندي

لان العاقل لا يجرم بشيء الا اذا كان عنده منه مخرج وذلك لا يكون الا عند دليل ظاهر وسلطان
قاهر باهر فتنبيه مراتب تحدي رسول الله صلى الله عليه بالقرآن ستة اولها انه تحداهم
بكل القرآن كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون
بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثانيها انه تحداهم بعشر سور فقال تعالى فاتوا بعشر سور
مثله مفتريات ثالثها انه تحداهم بسورة واحدة كما قال تعالى فاتوا بسورة من مثله رابعها
انه تحداهم بحديث مثله خامسها ان في تلك المراتب الاربعة كان يطلب منهم ان يأتي بالمعارضة
رجل يساوي رسول الله صلى الله عليه وسلم في عدم التلمذ والتعلم ثم ان في هذه السورة هو
طلب منهم معارضة سورة واحدة من اي انسان سواء تعلم العلوم او لم يتعلمها سادسها ان
في المراتب المتقدمة تحدى واحد من الخلق وفي هذه المرتبة تحدى جميعهم وجوز ان يستعين
البعض بالبعض في الاتيان بهذه المعارضة كما قال تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله
وهاهنا اخر المراتب فهذا مجموع الدلايل التي ذكرها الله في اثبات ان القرآن معجز ثم ان الله
تعالى ذكر السبب الذي لاجله كذبوا القرآن فقال تعالى بل كذبوا اي اوقعوا التكذيب الذي
لا تكذيب اشنع منه سرعين في ذلك بما لم يحيطوا بعلمه اي القرآن اولما سمعوه قبل
ان يتدبروا اياته من غير شبهة اصلا بل عنادا وطغيانا ونفورا عما يخالف دينهم فهو من باب
من عمل شيأ عاداه والاحاطة ادراة ما هو كالحايط حول الشيء واحاطة العلم بالشيء العلم
به من جميع وجوهه ولما ياتهم اي الذي من تكذيبهم تاويله اي تاويل ما فيه من الاخبار
بالغيوب وعاقبة ما فيه من الوعيد حين تبين لهم انه صدق ام كذب ومعنى التوقع
في لما انه قد ظهر لهم بالحجة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فجربوا قواهم في معارضته
فضعفت ونفدت دونها ومع هذا لم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك اي مثل تكذيبهم
هذا التكذيب العظيم في الشناعة قبل تدبر العجز كذب الذين من قبلهم اي من كفار الامم
الماضية فظلموا فاهلكناهم بظلمهم فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين بتكذيب الرسل
اي اخر امرهم من الهلاك فكذلك يهلك من كذبك من قومك وفي ذلك تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر ايها الانسان كيف
كان عاقبة من ظلم فاحذر ان تفعل مثل فعله ومنهم اي من قومك يا محمد من يؤمن به
اي القرآن اي يصدق به من نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من لا يؤمن به
في نفسه لعباداته وقلة تدبره ومنهم من يؤمن به في المستقبل بان يتوب عن الكفر ويبدله بالايمان
ومنهم من يصر ويستمر على الكفر انما فسرت هذه الاية بهذين التاويلين لان كلمة يوفض تفصل

للحال والاستقبال

للحال والاستقبال وربك اعلم بالمفسدين اي المعاندين على التفسير الاول وبالمضرين على
التفسير الثاني في ذلك تهديد لهم وان يكذبوك اي وان يكذبوك يا محمد بعد الزام
الحجة فقل لهم لي عملي من الطاعة وجزاؤها ولكم عملكم من الشرك وجزاؤه اي فتبرا
منهم فقد اعذرت والمعنى ليجز اعمالي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل
وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اواخذ بعملكم واختلف في معنى فقيل معنى هو
الاية الزجر والردع وقيل بل معناه استمالة قلوبهم وقال مقاتل والكلبي هذه الاية منسوخة
باية السيف قال الرازي وهذا بعيد لان شرط الناسخ ان يكون رافعا لحكم المنسوخ ومدلول
هذه الاية اختصاص كل واحد بافعاله وثمرات افعاله من الثواب والعقاب وذلك لا يقتضي
حرمة القتال واية القتال ما رفعت شيأ من مدلولات هذه الاية فكان القول بالنسخ باطلا
انتهى ولا تنبغي هذه المبالغة مع مثل هذا ذكره وقد تبعهما جماعة من المفسرين ولما قسم الله
الكفار الى قسمين منهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به قسمين منهم من يكون
في نهاية البغض له والعداوة له ونهاية النفرة عن قبول دينه ومنهم من لا يكون كذلك فوصف
القسم الاول في قوله تعالى ومنهم اي من هؤلاء المشركين من يستمعون اليك اذا قرأ القرآن
وعلمت الشرايع باسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة عداوتهم وبغضهم لك فان الانسان
اذا قوي بغضه لاخر وعظمت نفرته منه صارت نفسه معرضة عن جميع جهات احساسه
افانت تسمع الصم اي انت قادر على اسماعهم ولو كانوا مع الصمم لا يعقلون اي لان الاصم
العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع سلب السمع هو
والعقل جميعا فقد تم الامر فقال انك لا تقدر على اسماع الاصم الذي لا يعقل لا تقدر على اسماع
من اصم الله تعالى قلبه فان الله تعالى صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم لذلك
فشبههم بالصم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ثم وصف القسم الثاني في قوله تعالى ومنهم من
ينظر اليك اي يعاينون دلايل نبوتك ولا يصدقونك افانت تهدي العمي اي انت قادر
على هدايتهم ولو كانوا مع العمى لا يبصرون اي لا بصيرة لهم لان الاعمى الذي في قلبه بصيرة
قد يحس ويتيقن خاما العمى مع فقد البلد ولا تقدر على هداية من اعمى الله تعالى بصيرته فهو
في الناس من ان يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا عقول لهم ولا ابصار فلا يقدر على
اسماعهم وهدايتهم الا الله تعالى تنبيه اختلف في ان السمع افضل ام البصر فمنهم من قال
السمع واحتج على ذلك بما مر فيما تقدم في الاية ومنها ان القوة السامعة تدرك المسموع
من جميع الجوانب والقوة الباصرة لا تدرك المرئي الا من جهة واحدة وهي المقابل ومنها ان الانسان

انما يتفيد العلم من التعلم من الانسان وذلك لا يكون الا بقوة السمع باشكال النفس هـ
بالكمالات العلمية لا تحصل الا بقوة السمع ومنها ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام يراجع
الناس ويسمعون كلامهم فنبوتهم ما حصلت بسبب ما معهم من الصفات المرئية
وانما حصلت بسبب ما معهم من الاحوال المسموعة وهو الكلام وتبليغ الشرايع وبيان
الاحكام ومنها ان المعنى الذي يمتاز به الانسان من سايل الحيوانات هو النطق الذي يحصل
به شرف الانسان ومتعلق البصر ادراك الالوان والاشكال وذلك امر مشترك فيه بين
الناس وبين سايل الحيوانات ومنهم من قال البصر راجح باموز منها ان الة القوة الباصرة هي
النور والة القوة السامعة هي الهوا والنور اشرف من الهوا ومنها ان جمال الوجه يحصل بالبصر
وبذهابه عيبه وذهاب السمع لا يورث الانسان عيبا في جملة وجهه والعرب تسمي العينين
الكريمتين ولا تضع السمع بمثل هذا وفي الحديث يقول الله تعالى من اذهبت كريمتيه نصبر
واحتسب لم ارض له ثوابا دون الجنة ومنها انهم قالوا في المثل المشهور ليس ورا العيان بيان
وذلك يدل على ان اكمل وجوه الادراكات هو الابصار ومنها ان كثيرا من الانبيا سمع الله وتكلم
في انه هل راه منهم احد او لا ويضرفان موسى عليه السلام اسمعه الله تعالى كلامه من غير
سبق سوال والتماس فلما طلب الروية قال لن تراني وذلك يدل على ان حال الروية اعلا من حال
السماع وهذا هو الظاهر ولما حكم تعالى على اهل الشقاوة بالشقاوة بقضايه وقدره الها
فهم اخبر انه تعالى ان تقدير الشقوة عليهم ما كان ظلما منه بقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيا
لانه تعالى في جميع احواله متفضل وعادل فيتصرف في ملكه كيف يشا والخلق كلهم عبيده وكل
من تصرف في ملكه بالفضل والعدل لا يكون ظالما وانما قال تعالى ولكن الناس انفسهم يظلمون
الان فعلهم منسوب اليهم بسبب الكسب واذ كان قد سبق قضا الله تعالى وقدره فيهم ففي ذلك
دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار كما زعمت المجبرة وقرا حمزة والكسايي يكسر
النون مخففة ورفع السين والباقون بنصب النون مشددة ونصب السين ولما وصف تعالى هو
الكفار بقلة الاصغا وتركهم التدبر اتبعه بالوعيد بقوله تعالى ويوم نحشرهم اي واذكر يا محمد
يوم نحشر هولا المشركين للموقف للحساب واصل الحشر اخراج الجماعة وازعاجهم عن مكانهم هـ
كان اي كانهم لم يلبثوا في دنياهم والجملة في موضع الحال من ضمير نحشرهم الباء زايدة شبهين بمن
لم يلبث الا ساعة حقيرة من النهار اي يستقصرون مدة مكثهم في الدنيا وفي القبور لهول
ما يرون يتعارفون بينهم اي يعرف بعضهم بعضا اذا بعثوا ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال
والجملة حال مقدرة متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم وقوله تعالى قد خسر

الذين كذبوا

الذين كذبوا بلقا الله اي بالبعث يحتمل وجهين الاول ان يكون على ارادة القول
اي يتعارفون بينهم قايلين ذلك الثاني ان يكون كلام الله تعالى فيكون شهادة من الله
تعالى عليهم هـ بالخسران والمعنى ان من باع اخرته بالدنيا فقد خسر لانه اعطى الكثير
الشريف الباقي واخذ القليل الخسيس الفاني وما كانوا مهتدين اي الى رعاية مصالح
التجارة وذلك لانهم اعتروا بالظاهر وغفلوا عن الحقيقة فصار ما كمن راى زجاجة
حسيسة فظنها جوهرة شريفة فاشتراها بكل ما ملكه فاذا عرضها على الناقدين خاب
سعيه وفات امله ووقع في حرقة الروع وعذاب القلب وقوله تعالى وما فيه ادغام ان الشرطية
في ما المزيدة نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك وجواب الشرط محذوف
اي فذاك او نتوفينك قبل ان نريك ذلك الوعد في الدنيا فانك سنراه في الاخرة وهو قوله
تعالى فالينا بعد البعث مرجعهم فنريك هناك ما هو اقر لعينك واسر لقلبك وقوله تعالى
ثم الله شهيد على ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم اي انه تعالى شهيد على افعالهم
التي فعلوها في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة ولما بين تعالى حال محمد صلى الله عليه
وسلم مع قومه بين ان حال كل الانبيا عليهم السلام مع اقوامهم كذلك بقوله تعالى ولكل امة
اي من الامم التي قد خلت قبلك رسول يدعوهم الى الله تعالى وقوله تعالى فاذا جاء رسولهم
قضي بينهم بالقسط فيه اضمار تقديره فاذا جاء رسولهم وبلغهم ما ارسل به اليهم فكذبه
قومه وصدقه اخرون قضي اي حكم وفصل بينهم بالقسط اي العدل وفي وقت هذا القضا
والحكم بينهم قولان احدهما انه في الدنيا بان يهلك الكافرين وينجي رسوله والمومنين لقوله
تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والثاني في الاخرة وذلك ان الله تعالى اذا جمع الامم يوم
القيامة للحساب والفصل بين المومن والكافر والطايع والعاصي كما جي بالرسل لتشهد عليهم
لقوله تعالى وجي بالنبيين والشهدا وقضي بينهم بالحق والمراد منه المبالغة في اظهار العدل وهو قوله
تعالى وهم لا يظلمون في اجزا اعمالهم شيا بل يجازي كل واحد على قدر عمله فكذلك يفعل بهولا
ويقولون متى هذا الوعد الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب او عن قيام الساعة وانما
قالوا ذلك على وجه التكذيب والاستبعاد ان كنتم صادقين اي فيما تعدونا به وانما قالوا
بلفظ الجمع على سبيل التعظيم او خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين اذ كل امة قالوا
لرسولها مثل ذلك وهو الموافق لقوله تعالى ولكل امة رسول قال الله تعالى قل اي قل لهم يا محمد لا املك
لنفسي ضرا من مرض او فقر ادفعه ولا نفعا من صحة او غنا اجلبه الا ما شا الله اي يقدرني عليه
فكيف املك لكم حلول العذاب او قيام الساعة ولا يقدر على ذلك احد الا الله تعالى لكل امة اجل

اي مدة مقدرة اذا جا اجلهم اي انقضت مدة اعمارهم فلا يتاخرون اي لا يتاخرون عنه
ساعة ثم عطف على الجملة الشرطية بكلمة لا ولا يستقدمون اي ولا يتقدمون اي فلا
يستحيلون فان الوفا بالوعد لا بد منه واللين فيهما بمعنى التوحد اي لا يوجد لهم
المعنى الذي صنع منه الفعل ويجوز ان يكون المعنى لا يجدون التاخر ولا التقدم هـ
وان اجتهد والى الطلب فيكون في اللين معنى الطلب وتدل الاية على ان احدا لا يموت
الا بانقضا اجله وان المقتول لم يقتل الا على هذا الوجه وقرا قالون والبزي وابو عمرو
باسقاط الهمزة الا وفي سهل ورش وقنبل الثانية وابدلها ابو حرف مد والباقون
بالتحقيق قال الله تعالى قل اي قل لهم يا محمد ايضرا ايتيم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به
بياتا اي في الليل بغتة كما يفعل العدو او نهارا اي في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش
والكسب ماذا اي اي شي يستعجل منه اي من عذابه وعذابه كله مكروه لا يحتمل شي منه
المجرمون اي المشركون وضع المجرمون موضع المضمر للدلالة على انهم مجرمون ينبغي ان
يفزعوا منه فكيف الوعيد لان يستعجلوه وجملة الاستفهام جواب الشرط محذوف وهو تندموا
على الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه اثم اذا ما وقع اي حل بكم امنتم به اي امنتم بالله او العذاب
وقت نزول العذاب وهو وقت الياس والهمزة لانكار التاخير فلا تقبل منكم وقوله تعالى
الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا وقت نزول العذاب الان وقد كنتم به تستعجلون
تكذيبا واستهزا انتبيه اتفق قالون مع ورش على النقل هنا واتفق القراء كلهم على همزة
الوصل التي بعد همزة الاستفهام ان فيها وجهين وهما البدل والتسهيل وقوله تعالى
ثم قيل الذين ظلموا عطف على قيل المقدر اي هنا اي قايل كان استهانة بهم وقرا هشام والكسائي
باشمام القاف وهو ان تضم القاف قبل الياء والباقون بالكسر وذوقوا عذاب الخلد اي الذي لا خلود
فيه والاتيان بثم اشارة الى تراخي ذلك عن الاهلاك في الدنيا بالمكث في البرزخ او الى ان عذاب
او في عذاب يوم الدين هل اي ما تجزون الا ما كنتم تكسبون في الدنيا من الكفر والمعاصي
ويستنبئونك اي يستخبرونك يا محمد احق هو اي ما وعدتنا به من نزول العذاب وقيام الساعة
وهو استفهام على جهة الانكار وان استهزا قاله يحيى بن سلام فخاطب لما قدم مكة قل لهم في جوابهم
اي ورب انه لحق اي كائن ثابت لا بد من نزوله بلى تنبيه اي بمعنى نعم وهو من الواجب القسم
ولذلك توصل بواو القسم بالتصديق فيقال اي والله لا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين اي
بفائتين العذاب لان من عجز عن شي فقد فاته ولو ان لكل نفس ظلمت اي اشركت ما في الارض
من الاموال لافتدت به من عذاب يوم القيامة لم يتقبل منها الفدا لقوله تعالى ولا يوخذ منها عدل

ولا هم

ولا هم يحزنون واسروا الندامة لما راوا العذاب اي حين عاينوه وابصروه وصاروا مبهوتين
متحيرين فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا سوا اسرار الندم كما قال فبهت الذي كفر به ليصلب
فانه يبقى مبهوتا متحيرا لا ينطق بكلمة وقيل انهم اخلصوا لله في تلك الندامة ومن اخلص
في الدعا اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم انما اتوا بهذا الاخلاص في غير وقته بل كان
من الواجب عليهم ان ياتوا به في دار الدنيا وقت التكليف وقيل المراد باسرار الاظهار وهو
من الاضداد لانهم انما اخلصوا الندامة على الكفر والفسق في الدنيا لاجل حفظ الرياسة
وفي القيامة بطل ذلك فوجب الاظهار وليس هنا ما يخالف فان قيل اسروا جا على لفظ الماضي
والقيامة من الامور المستقبلة اجيب بانها لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها
كالماضي وقضي بينهم اي بين الخلايق بالقسط اي بالعدل وهم لا يظلمون فان قيل هذه الاية مكررة
اجيب بان الاولى في القضا بين الانبيا وتكذيبهم وهذه عامة وقيل بين المومنين والكفار
وقيل بين الروسا والاتباع فان الكفار وان اشتركوا في العذاب فلا بد ان يقضي الله تعالى بينهم
لانه لا يمتنع ان يكون قد ظلم بعضهم بعضا في الدنيا وفانه فيكون في ذلك القضا تخفيف عذاب
بعضهم وتثقيل لعذاب الباقين لان العدل يقتضي ان ينصف المظلومين من الظالمين ولا سبيل
اليه الا ان يخفف من عذاب المظلومين ويثقل في عذاب الظالمين وقوله تعالى الا ان لله ما في
السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله اي ما وعد به
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من البعث والجزا ومن ثواب الطايع وعقاب العاصي حق
لا شك فيه ولكن اكثرهم اي الناس لا يعلمون اي جاهلون عن حقيقة ذلك فهم باقون على الجهل
معدودون مع البهايم لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا هو اي الذي يملك ما في السموات
والارض يحيي ويميت اي قادر على الاحيا والاماتة لا يتعذر عليه شي مما اراد واليه ترجعون
بعد الموت للجزا وقوله تعالى يا ايها الناس خطاب عام وقيل لاهل مكة قد جاتكم موعظة من ربكم
اي كتاب فيه مواعظكم وعليكم وهو القران وشفا اي دوا لما في الصدور اي القلوب من الجهل لان
الجهل ضار للقلب من الوجه للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقايد الفاسدة
والجهالات المهلكة والقران مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزواجر والتخويف
والترغيب والترهيب والتحذير والتذكير فهو الشفا لهذه الامراض القلبية وانما خص تعالى
الصدور بالذكر لانه موضع القلب وغيره وهو اشرف موضع في الانسان لمكان القلب فيه وهدى
من الضلالة ورحمة اي اكرام عظيم للمومنين لانهم هم الذين انتفعوا به دون غيرهم واختلفوا في
تفسير قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فقال مجاهد وقتادة فضل الله القران ورحمته ان جعلنا

من اهله وقال ابن عباس والحسن فضل الله الاسلام ورحمته القران وعن ابي بن كعب ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقال
ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته الجنة وقيل فضل الله القران ورحمته السنة ولا مانع من ان
تفسر الاية بجميع ذلك اذ لا تنافي بين هذه الاقوال والباء في بفضل الله متعلقة بمحذوف
ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد المفعولين
لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل اذ فرحوا بشيء فليفرحوا بهما فانه لا موجود
به احق منهما هو اي المحدث عنه من الفضل والرحمة خير مما يجمعون اي من حطام الدنيا الفانية
وقرا ابن عامر بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة قل يا محمد لكفار مكة ارايتم اي اخبروني
ما انزل الله اي خلق الله لكم من رزق اوانه تعالى جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء يحصل باسباب
منها فجعلتم منه اي من ذلك الرزق حراما وحلالا وهو مثل ما ذكروه من تحريم السايبة والوصيلة
والحام ومثل قولهم هذه انعام وحرث حجر ومثل قولهم هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على
ازواجنا ومثل قولهم ثمانية ازواج من الضان اثنين قل لهم يا محمد الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل
ام اي بل على الله تفترون اي تكذبون على الله بنسبة ذلك اليه وما ظن الذين يفترون
اي يتعمدون على الله الكذب اي اي شيء ظنهم به يوم القيامة ايحسبون ان لا يواخذهم ولا
يجازيهم على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والتهديد والوعيد العظيم لمن
يفتري على الله الكذب ان الله لذو افضل على الناس بنعم كثيرة لا تحصى منها انزال الكتب فضلا
فيها ما يرضيه وما يسخطه ومنها ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام لبيانها بما يحتمله عقول
الخلق منها ومنها طول امهالهم على سوء افعالهم ومنها انعامه عليهم بالعقل فكان شكر واجبا
عليهم ولكن اكثرهم اي الناس لا يشكرون هذه النعم ولا يستعملون العقل في دليل الا تعالى
ولا يقبلون دعوة النبيا ولا ينتفعون باستعمال كتب الله تعالى وقوله تعالى وما تكون خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم في شان اي عمل من الاعمال وجمعه شون والضمير في قوله تعالى وما تتلوا منه اما
للشان لان تلاوة القران شان من شون رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هي معظم شانه واما
للتنزيل كانه قيل وما تتلوا من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والا من ما قبل الذكر تفخيم
له واما لله تعالى والمعنى وما تتلوا من الله من قران نازل عليك وقوله تعالى ولا تعملون من عمل اي اي
عمل كان تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رييسهم وهو النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك
ذكر حيث خص بما فيه فخامة وهو الشان وذكر حيث عم بقوله تعالى من عمل بما يتناول الجليل

والحقير

والحقير وقيل ان الكل داخلون في الخطاب الاولين ايضا لان من العلوم انه اذا خوطب رييس
القوم كان القوم داخلين في ذلك الخطاب كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا الاكنا عليكم
شهودا اي رقبا نحصي عليكم اعمالكم لان الله تعالى رقيب على كل شيء وعالم بكل شيء اذ لا يخلو
ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من افعال العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة
داخل في علمه وشاهد عليه اذ تفيضون اي الله شهيد عليكم حين تدخلون وتخوضون
فيه اي ذلك العمل وقيل الافاضة الدفع بكثرة وقال الزجاج ان تسرعون فيه يقال اقاض
القوم في الحديث اذا اندفعوا فيه وما يعزب اي يغيب عن ربك يا محمد من مثقال اي وزن
ذرة وهي النملة الحمرا الصغيرة خفيفة الوزن جدا وقيل المراد بها الهبا وهو الشيء المنبث الذي
تراه في البيت في ضوء الشمس وقرا الكسائي بكسر الزاي والباقون بالضم ومن صلة على القراين واما
قيد بقوله تعالى في الارض ولا في السما تقريبا لعقول العامة فان قيل لم قدم ذكر الارض على ذكر
السما وقدم ذكر السما على الارض في سورة سبا حيث قال تعالى وما يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض فما فايدة ذلك اجيب بان الكلام هنا في حال اهلها والمقصود
منه هو البرهان على احاطة علمه على ان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية ولا اصغر من ذلك
اي الذرة ولا اكبر اي منها الا في كتاب مبين اي بين وهو اللوح المحفوظ وقرا حمزة برفع الراء من اصغر
واكبر على الابتداء والخبر والباقون بالنصب على ان ذلك اسم وفي كتاب خبرها الا ان اولياء الله
اي الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون
بفوات ما مولوه وفسرهم بقوله تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون الله باستدامة امره ونهيه وهذا الذي
فسر الله تعالى الاولياء يمدح به عليه وعن علي رضي الله تعالى عنه هم قوم صغر الوجوه من السهر عمش
العيون من الصيام تحمص البطون من الجوع وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل
عن اولياء الله تعالى فقال هم الذين يذكر الله برويتهم يعني السمت والهيبة وعن ابن عباس الحياء
والسكينة وعن عمر رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله
عبادا ما هم بانبيا ولا شهدا تغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
خبرنا ما هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله بغير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها
فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن
الناس ثم قرا الاية ونقل النواوي في مقدمة شرح المهذب عن الامامين الشافعي وابي حنيفة
رضي الله تعالى عنهما ان كلا منهما قال اذا لم تكن العلما اولياء الله فليس لله ولي وذلك في العالم العامل
بعلمه وقال القشيري من شرط الولي ان يكون محفوظا اذ من شرط النبي ان يكون معصوما وقيل

من كان الشيء عليها عوتب فهو مقهور ومخادع فالولي هو الذي تولت افعاله على الموافقة ولما
نفى الله عنهم الخوف والحزن زادهم فقال تعالى مبينا لتوليته لهم بعد ان شرع يتولاهم
له لهم البشرى اي الكاملة في الحياة الدنيا وفي الاخرة اما البشرى في الدنيا فمر تفسيرها
منها الرويا الصالحة فقد ورد انه صلى الله عليه وسلم قال البشرى هي الرويا الصالحة يراها
المومن او ترى وقال صلى الله عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقال الرويا الصالحة
من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم احدكم حلما يخافه فليتعوذ منه وليبصق عن شماله
ثلاث مرات فانه لا يضره وقال الرويا الصالحة هي جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ومنها محبة
الناس له وذكرهم اياه بالثناء الحسن وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ان يعمل العمل لله ويحبه الناس
فقال تلك عاجل بشرى المومن ومنها البشرى لهم عند الموت قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا
ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز
والكرامة وما يرونه من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرون منها وسلام الله
تعالى عليهم كما قال تعالى سلام قولا من رب رحيم وغير ذلك من البشارات مما شاء الله تعالى به
عباده المتقين في كتابه وعلى السنة انبيائه من جنته وكرامته فوابه فان لفظ البشارة مشتق
من حيث سار يظهر المرة في بشرة الوجه فكل ما كان كذلك دخل في هذه الاية ثم انه تعالى لما ذكر
صفة اوليائه وشرح احوالهم قال تعالى لا تبديل اي بوجه من الوجوه لكلمات الله اي لا تغيير لوعده
ولا اخلاف لمواعيده والكلمة والقول سواء ونظيره قوله تعالى ما يبدل القول لدي وقوله تعالى
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض
لتحقق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك
يا محمد قولهم اي هؤلاء المشركين اي لا يهمنك تكذيبهم وتهديدهم وتشويرهم في تبليغ هذا كفرهم
وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك وقرا نافع بضم الياء وكسر الزاي من حزنه يحزنه وهو
والباقون بفتح الياء وضم الزاء وكلاهما بمعنى وقوله تعالى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى
التعليل كانه قيل لما لا تحزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكه لله
لله جميعا لا يملك احد شيئا منها لاحد ولا غيره فهو يغلبهم وينصرك عليهم قال تعالى كتب الله
لاغلبن انا ورسلي وقال تعالى انا لننصر رسلنا وقيل ان المشركين كانوا يتعززون بكثرة اموالهم
واولادهم وعبيدهم فاخبر الله تعالى ان جميع ذلك في ملكه فهو قادر على ان يسلب جميع
ذلك ويذلهم بعد العز هو السميع اي البليغ السمع لاقوالهم العليم اي المحيط العلم بهم
بضمايرهم وجميع احوالهم فهو البالغ القدرة على كل شيء فيجازيهم وهو تعليل التقرير بالعزة

لانه تفرد

لانه تفرد بهذين الوصفين فانتفيا عن غيره ومن انتفيا عنه كان دون الحيوانات العجماء في
يكون له عزة فان قيل قوله تعالى ان العزة لله جميعا يضاد قوله تعالى لله العزة ولرسوله وللمومنين
اجيب بالمنع لان عزة الرسول والمومنين كلها بالله فهي لله الا ان لله ما في السموات وما في
الارض ملكا وخلقا فان قيل قد ذكر الله في الاية المتقدمة الا ان لله ما في السموات والارض
بلفظ ما وقال هنا بلفظ من فما فايدة ذلك اجيب بانه تعالى غلب في الاية الاولى ما لا
يعقل على من يعقل لكثرته وفي هذه غلب العاقل على غيره لشرفه وقيل مجموع الايتين دال على
ان الكل خلقه وملكه وقيل ان المراد بمن في السموات الملائكة وبمن في الارض الثقلان وانما
خصهم بالذكر لشرفهم واذ كان هو لا في ملكه وتحت قهره فما لا يعقل منها احرى ان لا يكون له
نداو شريكا فهو كالدليل على قوله تعالى وما يتبع الذين يدعون اي يعبدون من دون الله اي
غيره اصناما شركا على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركا تعالى الله عن ذلك وما يتبع الذين
اي يكون اي ما يتبعون في ذلك الا الظن اي ظنها انها الهة تشفع لهم وانها تقربهم الى الله تعالى
ثم بين تعالى ان هذا الظن لا حكم له بقوله تعالى وان هم الا يخرصون اي يكذبون في ذلك
ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام اي واي شيء يتبعون وشركا على هذا نصب
بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا فاقتضى
على احدهما للدلالة وقوله هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي ليزول عنكم التعب والكلال
فيه بما تقاسون في نهاركم من تعبا تعب التردد في المعاش والنهار مبصرا اي مضيا تبصرون
فيه مطالب ارزاقكم ومكاسبكم تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بها ليدلهم
على تفرده باستحقاق العبادة واضافة الابصار الى النهار مع انه يتغير فيه على طريق نقل الاسم
من السبب الى السبب كقولهم ليل نايم لان الليل سبب للسكون قال قطرب تقول العرب اظلم الليل
اي صار ذا ظلمة واضاء النهار اي صار ذا ضياء ان في ذلك المذكور لاية اي دلالات على وحدانيته
تعالى لقوم يسمعون سماع اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق الاشياء كلها هو
الاله المعبود المتفرد بالوحدانية في الوجود ثم ذكر الله تعالى نوعا من اباطيل الكفار بقوله تعالى
قالوا اي اليهود والنصارى ومن زعم الملائكة بنات الله اتخذ الله ولدا قال الله تعالى سبحانه
اي تنزيها له عن الولد هو الغني عن كل احد وانما يطلب الولد من يحتاج اليه
ثم بين تعالى غناه بقوله تعالى له ما في السموات وما في الارض من ناطق وصامت
ملكا وخلقا وما بين تعالى بالدليل الواضح امتناع ما اضافوا اليه عطف بالانكار
والتوبيخ فقال ان اي ما عندكم من سلطان اي حجة بهذا اي الذي تقولونه

ثم بالغ تعالى في ذلك الانكار عليهم بقوله تعالى أتقولون على الله ما لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون اليه ما لا يجوز اضافته اليه تعالى جهلا منكم والاستفهام للتوبيخ قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب فيقولون عليه الباطل ويزعمون ان له ولدا ان الذين يفترون اي يتعمدون على الله الكذب لا يفلحون اي لا يفوزون في سعيهم ولا يفوزون بمطلوبهم بل خابوا وخسروا فانهم لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة ومن الناس من اذا فاز بشيء من المطالب العاجلة والمقاصد الحسية ظن انه قد فاز بالمقصود والله سبحانه وتعالى ازال هذا الخيال بان قال متاع في الدنيا وفيه اضمار تقديره لهم متاع في الدنيا قالوا انه مبتدأ خبره محذوف ويصح ان يكون خبر المبتدأ محذوف بتقدير افترارهم متاع في الدنيا يتمتعون به برياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع في الدنيا وهو ايام يسيرة بالنسبة الى طول تقلبهم في العذاب ثم الينا مرجعهم بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بعد الموت بما اي بسبب ما كانوا يكفرون ولما ذكر سبحانه وتعالى في هذه السورة من احوال الكفار قريش وملئوا عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في قصص الانبياء وما جرى لهم مع امهم وذلك كرر تعالى منها في هذه السورة ثلثة قصص القصة الاولى قصة نوح عليه السلام المذكورة بقوله تعالى واتل يا محمد عليهم اي كفار قريش نبا اي خبر نوح وذلك ليكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاصحابه اسوة ممن سلف من الانبياء فان كان صلى الله عليه وسلم اذا سمع ان معاملة هؤلاء الكفار مع كل الرسل ما كان الا على هذا الوجه خف ذلك على قلبه كما يقال للمبتلى اذا عمت خفت ولان الكفار اذا سمعوا هذه القصص وعلموا ان الجهال وان بالغوا في ايذاء الانبياء المتقدمين الا ان الله تعالى اعانهم بالاخرة ونصرهم وايدهم وقهر اعداءهم كان سماع هؤلاء الكفار لامثال هذه القصص سببا لانكسار قلوبهم ووقوع الخوف والوجل في صدورهم ولان الكلام اذا طال تقوى في فنون من انواع العلوم فربما حصل نوع من انواع الملالة فاذا انتقل الانسان من ذلك النوع الى فن اخر شرح صدره وطاب قلبه ووجد من نفسه رغبة جديدة وقوة حادثة وميلا قويا ولانه صلى الله عليه وسلم لما لم يتعلم علما ولم يطالع كتابا ثم ذكر هذه القصص من غير تفاوت ومن غير زيادة ومن غير نقصان دل ذلك على انه صلى الله عليه وسلم انما عرفها بالوحي والتنزيل ويبدل من نبأ نوح اذ قال لقومه وهم بنو قابيل ابن آدم ان كان كبر اي شق وعظم عليكم مقامي اي لبثي فيكم الف سنة الا خمسين عاما وتذكيري اي وعظي اياكم بآيات الله اي بحجته وبيناته فعزمتم على تتلى وطردي فعلى الله توكلت اي فهو حسبي وتعتني واياي على الدعوة لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود فاجمعوا امركم اي فاعزموا على امر تفعلونه في ايذائي بالهلاك او غيره وشركاءكم اي وادعوا شركاءكم او الواو بمعنى مع اي مع شركائكم وهي الاصنام وانما خصتهم

على الاستعانة بها على مذهبهم الفاسد واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها بجمادة لا تضر ولا تنفع تبكيتا وتوبيخا لهم ثم لا يكن امركم اي الذي تقصدونني به عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل اظهروه وجاهروني بمجاهرة فانه لا معارضة في بعض الله الذي يستوي عنده السر والجهر ثم اقضوا الي اي امضوا ما في نفسكم وافرغوا منه يقال قضى فلان اذا مات وهو وقضي وقضي دينه اذا فرغ منه وقيل معناه توجهوا الي بالقتل والمكروه وقيل فاقضوا ما انتم قاضون وهذا مثل قول السحرة لفرعون فاقض ما انت قاض اي اعمل ما انت عامل ولا تنظرون اي ولا تؤخرون بعد اعلامكم اياي ما انتم عليه وانما قال ذلك اظهارا للقلة مبالاة وثقته بما وعده ربه من كلامه وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا فان تولليتم اي اعرضتم عن تذكيري فما سالتكم من اجر اي من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فيبغركم مني وتتهموني لاجله فيمنعكم ذلك من اتباعي وانما اجري على الله وطلب اجري على عظتكم ومتى كان الانسان فارغا عن الطمع كان قوله اقوى تاثيرا في القلب ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الاخرة اي ما انصحكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وهكذا ينبغي لكل من ينفع الناس بعلم او ارشاد ان يطرق الله تعالى وامرت ان اكون من المسلمين اي في امور الا ستسلام لكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة وقيل بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تارك له قبلتموه ام لم تقبلوه فكذبوه اي اصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليتهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك اي السفينة وكانوا ثمانين وجعلناهم اي الذين انجيناهم معه في الفلك خلائف في الارض يخلفون الهالكين بالغرق واغرقنا الذين كذبوا بايانا بالطوفان وقوله تعالى فانظروا ايها الانسان او يا محمد كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له وهذه القصة اذا سمعها من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ومن كذب به كان زجرا للمكلفين من حيث يخافون ان ينزل عليهم بهم ما نزل بقوم نوح وتكون داعية للمومنين على الثبات على الايمان ليصلوا الى مثل ما وصل اليه قوم نوح وهذه الطريقة في الترغيب والتحذير اذا جرت على سبيل الحكاية عمن تقدم كانت ابلغ من الوعيد المبتدا وهذا الوجه اكثر تكرارا في ذكر آتانا الانبياء عليهم الصلاة والسلام ثم بعثنا من بعده اي نوح رسلا الى قومهم ثم سمى هنا تلك الرسل من كان بعد نوح من الرسل وقد كان بعده هود وصالح وابراهيم ولوط وشعيب صلوات الله وسلامه عليهم فجاءوهم بالبينات اي بالمعجزات الواضحات التي تدل على صدقهم فما كانوا ليومنوا اي فما استقام لهم ان يومنوا لشدة عنادهم وخذلان الله تعالى اياهم بما اي بسبب ما كذبوا به من قبل

اي انهم كانوا قبل بعثة الرسل اليهم اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة
الرسل وقبلها كانهم لم يبعث اليهم احد كذلك اي مثل ما طبعنا على هؤلاء بسبب تكذيبهم الرسل
نطبع اي نختم على قلوب المعتدين في كل زمن لكل من تعمد العدوان فيما لا يحل له فلا
يقبل الايمان لانهماكهم في الضلال واتباعهم الهوى وفي امثال ذلك دليل على ان
الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد القصة الثانية قصة موسى عليه السلام
المذكورة بقوله تعالى ثم بعثنا من بعده اي هؤلاء موسى وهارون الى فرعون وملايه
اي اشراف قومه وغيرهم تبع لهم فهو مرسل الى الجميع بآياتنا التسع فاستكبروا عن اتباعها
والايمان بها وهو اعظم الكبر ان يتعاون العبيد برسالة ربهم بعد تبيينها ويتعظموا عليهم
عن قبولها وكانوا قوما مجرمين اي كفارا ذوي اثام عظام فلذلك استكبروا عنها واختاروا
على ردها فلما جاءهم اي جاء فرعون وقومه الحق من عندنا اي الذي جاء به موسى
من عند ربه وعرفوا انه ليس من عند موسى وهارون لتظاهر المعجزات الظاهرات المزيحة
للشك قالوا اي غير متأملين له ولا ناظرين في امره لفرط تمردهم ان هذا لسحر مبين اي
بين ظاهر يعرفه كل احد وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذي لا يظهر الا على
كافر او فاسق وقوله تعالى قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا فيه حذف تقديره
اتقولون للحق لما جاءكم هو سحر اسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه
ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار بمعنى انه ليس بسحر ثم احتج على
صحة قوله تعالى فقال ولا يفلح الساحرون فانه لو كان سحرا لفلحوا ولم يبطل سحرهم
السحرة فقلب العصي حيته وفرق البحر معلوم بالضرورة انه ليس من باب التمويه
والتخييل فثبت انه ليس بسحر قالوا اي قوم فرعون لموسى اجئتنا لتلفتنا اي
لترددنا وتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من الدين وعبادة
الاصنام ثم قالوا لموسى وهارون وتكون لكما الكبرياء اي الملك والعز في الارض اي
ارض مصر قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وايضا الملوك
موصوفون بالكبر ولهذا وصفي بن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رافة ليس فيه
جبروت منه ولك كبرياء ما بقي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصد وا بذلك هم
وهما وانهما ان ملكا ارض مصر تخيروا وتكبروا كما قال القبطي لموسى عليه السلام ان
تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي بمصدقين فيما جئتنا
به وقال فرعون لقومه ارادة المناظرة لما اتى به موسى عليه السلام ائتوني بكل ساحر عليم

اي بالغ في

اي بالغ في علم السحر لئلا يفوت شيء من السحر بتأخر البعض وقرأ حمزة والكسائي بغير الف
بين السين والحاء مفتوحة والف بعدها بصيغة فاعل دالة على زيادة قلق
فرعون والباقون بالف بعد السين وتخفيف الحاء مكسورة ولا الف بعدها فلما جاء السحرة
اي كل من في ارض مصر منهم قالوا لموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال لهم
موسى القوا جميع ما انتم ملقون فان قيل كيف امرهم بالكفر والسحر والامر بالكفر كفر اجيب
بانه انما اتوا به عمل فاسد وسعي باطل لا على طريق انه عليه الصلاة والسلام امرهم بالسحر
فلما القوا ما معهم من الحبال والعصي وخيلوا السحر هم اعين الناس اي اوهموهم قال موسى
منكرا عليهم ما جئتم به السحر قراه ابو عمرو بهمزتين الاولى همزة الاستفهام فهي مفتوحة
والثانية همزة وصل له فيها وجهان التسهيل والبدل فما استفهامية مبتدأ وجئتم به
خبرها والسحر بدل منه وقرأ الباقون بهمزة وصل فتسقط في الوصل اي الذي جئتم به هو
السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا ثم اخبر موسى عليه السلام بقوله ان الله سيبطله
اي يمحقه ويظهر فضيحة صاحبه ان الله لا يصلح عمل المفسدين اي لا يثبته ولا يقويه
وقول البيضاوي وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له محمول على ما
ما يفعله اصحاب الخيل بمعونة الالات والادوية والا فله حقيقة عند اهل السنة
وهو علم بكيفية استعدادات تقتدر بها النفوس البشرية على ظهور التأثير في عالم العناصر
ويحق اي يثبت ويظهر الله الحق بكلماته اي بقضايه ووعده الصادق لموسى عليه
السلام وقد اخبر الله تعالى في غير هذه السورة انه كيف ابطل هذا السحر وذلك بان
ذلك التعبان قد تلقف تلك الحبال والعصي ولو كره المجرمون ذلك ولما بين تعالى ان قوم
موسى عليه السلام شاهدوا هذه المعجزات ومع ذلك لم يؤمن منهم الا قليل كما قال تعالى
فما امن لموسى الا ذرية من قومه وانما ذكر تعالى ذلك تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه
كان يغتم بسبب اعراض القوم عنه واستمرارهم على الكفر بين تعالى له في هذا الباب ما يوجب
الانبساط له لان الذي ظهر من موسى عليه السلام من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك
فما امن له الا ذرية من قومه والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس الذرية
القليل والهاء التي في قومه هي راجعة الى موسى اي فما امن من قومه الا طائفة من ذراري
بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعي الآباء فلم يجبوه خوفا من فرعون
واجابه طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل راجعة الى فرعون والذرية امراته اسية ومؤمن
آل فرعون وخازن فرعون وامرأة خازنه وماشطته على خوف من فرعون وملايهم اي خوف منه

لانه كان شديد البطش وكان قد اظهر العجائب مع موسى واذا علم ميل القوم الى موسى كان يبالغ في ايذائهم
فلهذا السبب كانوا لخائفين منه ومن اشراف قومه والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في
ضمير العظماء اذ هذه واصفاته يأتون به وقيل المراد بفرعون انه كما يقال الربيعة ومضر ان
يفتنهم اي يصرفهم ويصدهم عن الايمان وان فرعون لعال اي متكبر قاهر في الارض اي
ارض مصر طغيانه من المرتبي اي المجاوزين الحد فانه كان من اخس العبيد وادعى الربوبية
وكان كثير القتل والتعذيب لبني اسرائيل وقال موسى لقومه يا قوم ان كنتم امنتم بالله اي
صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا اي تفوضوه واعتمدوا عليه فانه ناصر اوليائه ومهلك
اعدائه ان كنتم مسلمين اي مستسلمين لقضاء الله تعالى مخلصين له وقيل ان كنتم امنتم
بالقلب واسلمتم بالظاهر فقولوا مجيبين له على الله توكلنا اي عليه اعتمدنا لا على غيره
ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنوننا عن
ديننا او يظنوا انا على باطل فيفتنون بنا او تعذبنا بعذاب من عندك او بايدي القوم الكافرين اي
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين اي من ايدي القوم فرعون واتباعه وقيل من شرهم
في الاعمال ان فتنوا وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مخلصين لاجراء الله تعالى قبل توكلهم وايمانهم
دعاء ونجاتهم واهلاك من كانوا يخافونه وحملهم على اظهار الرضى وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه
على ان الراعي ينبغي ان يتوكل ولا يجابه دعوته وفي شرح الله تعالى لخوف المؤمنين من الكافرين
وما فيه من التوكل على الله تعالى اشعار بان امر موسى وهارون عليهما السلام بالخلاء البيوت
يقول الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه اي الذي طلب موازرته ومعاضدته ان تبوءا اي اتخذا
لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا بيوتكم قبلة
اي تلك البيوت قبلة مصلى او مساجد كما في قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر
فيها اسمه موجهة نحو القبلة اي الكعبة وكان موسى عليه السلام يصلي اليها وقد روي ان موسى وهارون
وجنودهما بنوا بيوتا وبيوتكم بضم الباء والتاءين بالخفض واقيموا الصلوة فيما ذكر المنسوبون
الى كيفية هذه الواقعة وهو ثلاثة الاول ان موسى عليه السلام لما امره الله تعالى في اول
امره بمصر بان يصلي في بيوتهم خفية من الكفرة لئلا يظهروا علمهم وقوتهم وضعفهم
عن دينهم كما كان الموسوم على هذه الى الذي في اول الاسلام بمكة الثاني انه قيل انه تعالى لما اوحى
موسى اليهم امر فرعون بتخريب مساجد بني اسرائيل ومنعهم من الصلاة فامرهم الله تعالى
ان يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من فرعون الثالث انه تعالى لما امر موسى
اليهم واظهر فرعون تلك العداوة حمل ذلك امر الله تعالى موسى وهارون وقومهما باتخاذ
المساجد على رسمها اعدادا وتكفل الله تعالى بان يصونهم عن شر الاعداء وقد خص الله تعالى

موسى

موسى وهارون في اول هذه الاية بالخطاب بقوله تعالى ان تبوءا لقومكما الا ان التبوء للقوم والاتخاذ للعابد
مما ينبغي ان يراعى القوم للشاورتهم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة لان جعل البيوت
مساجد والصلاة مما ينبغي ان يفعل كل احد ثم خص موسى عليه السلام في آخر الكلام بالخطاب فقال تعالى
وبشر المؤمنين اي بالنصر في الدنيا والجنة في العقبى لان الفرح الاصلي من جميع العباد انما حصول هذه
الاشارة تخص الله تعالى موسى بما يدل بذلك على ان الاصل في الرسالة هو موسى عليه السلام وان
هارون عليه السلام تبع له ثم ان موسى عليه السلام لما بالغ في اظهار المعجز الى القاهرة الظاهرة ورأى القوم
مصرين على الجحد والعناد والانكار اخذ يدعو عليهم ومن حق من يريد ان يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب استوجب
على ذلك الجزاء وكان جرمهم هو لاجل جرم الدنيا بزكوا وهذا السبب قال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه
اي اشراف قومه على ما هم عليه من الكفر والكبر زينة اي عظيمة يتزينون بها من اللحية واللباس وغير ذلك من الاوان
والظمان واثاث البيت الفاخر ونحو ذلك واموالا اي كثيرة من الذهب والفضة وغير ذلك في الحياة الدنيا روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما كانت لهم من قطاط مصر الى ارض النوبة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت
وبين غرناطة الهم تعالى المعتنى بالسنة باسم الود ليعيده وابناءه من مثل حالهم ربنا ليضلوا عن سبيلك اي يا ربنا
اتيتهم ذلك ليضلوا اي في عاقبة الامر ويضلوا غيرهم عن سبيلك اي دينك واللام للعاقبة وهي متعلقة
بآتيت كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقيل لام كي اي آتيتهم كي تفتنوا وقيل دعوا
عليهم بما علم من مجاري سنة احوالهم انه لا يكون غير ذلك وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بضم الباء والباقون
بالفتح ربنا اطمس على اموالهم اي امحها وغيرها عن هيئتها قال مجاهد صارت اموالهم وحروثهم ونزراعهم
وجواهرهم حجارة وقال قتادة بن دعامة كان جعل سكرهم حجارة وقال ابن عباس بلغنا ان الدراهم والدنانير صارت
حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وارباعا وعاد عامر بن عبد القيس بخريطة فيها اشياء مما
نال فرعون واخرج منها البيضة منقوشة والجوز منقوشة وانها لحجر قال الذي مسخ الله تعالى
اموالهم حجارة والنخيل والثمار والدقيق والاطعمة فكانت احدى الايات التسع واشدد على قلوبهم
اي اطبع عليها واستوثق حتى لا تنشرح للايمان وقوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب
الدعاء او دعا بلفظ الدعاء الذي اريد به عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض وقوله تعالى قال قد اجيبت
دعوتكما فيه وجهان الاول قال ابن عباس ان موسى كان يدعو وهارون كان يؤمن فلذكر قال دعوتكما وذكر
ان من يقول عند دعاء الداعي امين فهو ايضا داع لان قوله امين تأويله استجب فهو سائل كما ان الداعي سائل ايضا
الثاني ان يكون كل منهما ذكر هذا غاية ما في الباب ان يقول انه تعالى حكى هذا الدعاء عن موسى بقوله تعالى وقال موسى
ربنا وهذا لا ينافي ان يكون هارون قد ذكر الدعاء ايضا واما قوله تعالى فاستقيما اي فدوما على ما انتما عليه
من الدعوة والرسالة والزيادة في الزام الحجة فقد ثبت توجه قومه الذي عام الخصيب عاما فلا تستحي لا ان يرجع الى فرعون فثبت

بعد هذا الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي الجاهلين الذين يظنون انه متى كان الدعاء مجابا كان المقصود حاصلا في الحال ربما اجاب الله تعالى دعاء الانسان في مطلوبه الا انه انما يوصله اليه في وقته المقدور والاستعجال لا يحصل الا من الجاهل وهذا كما قال تعالى لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وهذا النهي لا يدل على ان ذلك قد صدر من موسى عليه السلام كما ان قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون والباقون بتشديدها لان نون التوكيد تثقل وتخفف ولما اجاب الله تعالى دعاءها امر بني اسرائيل وكانوا ستمائة الف بالخروج من مصر في الوقت المعلوم وسيرهم لاجابته وفرعون كان غافلا عن ذلك فلما سمع انهم خرجوا عزموا على مفارقة مملكته خرج في عقبهم كما قال تعالى وجاوزنا اي قطعنا ببني اسرائيل اي عبرنا المتخلصون لنا نحو البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم فاتبعهم فرعون وجنوده اي لحقهم وادركهم يقال اتبعه واتبعه اذا ادركه ولحقه بغيا وعدوا اي ظلما وعدوانا وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى اي ذا تخلص والخرج البحر امامنا وفرعون وراءنا قد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فاوحى الله تعالى الى موسى اذا ضرب بعصاك البحر فانفرق به فانفلق لموسى وقومه فكان كل فرق كالطود العظيم وكنى عن وجه الارض والقرى لهم البحر ابدا دخوله وكان فرعون على حصان وكان معه في عسكره ثمانمائة الف حصان على لون حصانه وميكائيل يسوقهم حتى لم يشذ منهم احد فلما خرج اخر بني اسرائيل من البحر وتقدمهم جبريل على فرس وخاض البحر فلما وجد حصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيئا فنزل البحر واتبعه جنوده حتى اذا تكاملوا جميعا في البحر وهو ولم يبق الخروج التطم عليهم البحر فغمرهم اياه الغرق اي بكلمة الاخلاص كما قال تعالى حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين فان قيل انه امن ثلاث مرات اولها قوله امنت وثانيها قوله لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وثالثها قوله وانا من المسلمين فما السبب في عدم القبول اجاب العلماء عنه بوجوه منها انه انما امن عند رؤية الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبول وبدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا وروى جبريل في فيه من حمأة البحر مخافة ان تناله الرحمة وقال له الان تؤمن وقد عصيت قبل وضيعت التوبة في وقتها وانت من المفسدين الغائبة على الاخرة الباقية وكنت من المضلين بضلالك واضلالك عن الايمان والتوبة حتى اعلق يا محمد في فيه من حمأة البحر ومعاينة الملائكة وانما قال لهم له وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين ومنها ان فرعون انما قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده الاخبار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية ومنها ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى ولهذا قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه ومنها هذا اعتقاد الفاسد

لا تزول

لا تزول ظلمته الا بنور الحجة القاطعة والدلايل اليقينية ومنها ما روي في بعض الكتب ان بعض قوام بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل فلما قال لفرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل انصرف ذلك الى العجل الذي امنوا بعبادته في ذلك الوقت فكانت هذه الكلمات في حقه سببا لزيادة الكفر ومنها ان الايمان انما كان يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبالاقرار بنبوة موسى عليه السلام وفرعون لم يقر بالنبوة فلم يصح ايمانه ونظيره ان الواحد من الكفار لو قال الف مرة اشهد ان لا اله الا الله فانه لا يصح ايمانه الا اذا قال معه واشهد ان محمدا رسول الله فكذا هنا ومنها ان جبريل عليه السلام اتى فرعون بفتوى ما قول الامير في عبد شقي في مال مولاه ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج عن سيده الكافر بنعمته ان يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق رفع جبريل عليه السلام اليه خطه فان قيل لما فايدة دس جبريل في فم فرعون ذلك لانه في تلك الحالة اما ان يكون التكليف ثابتا ام لا فان كان فكيف يمنعه من التوبة وان كان غير مكلف فلا فايدة في ذلك الجواب ان التكليف كان ثابتا وجبريل عليه السلام لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه فانه عبد مأمور والله تعالى يفعل ما يشاء كما قال تعالى فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقال تعالى وتقلب افيدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ومنها ان فرعون منعه من الايمان عند الموت الجزع على ترك الايمان اولا وذلك كما في فرعون من جنس الختم والطبع على القلب ومن الناس من قال ان الهاء في هذا القول هو الله تعالى لانه ذكر بعده فاليوم ننجيك اي نخرجك من البحر ببدنك اي جسمك الذي لا روح فيه كاملا سويا لم يتغير او نخرجك من البحر عريانا من غير لباس او ان المراد بالبدن الدرع قال الليث البدن هو الدرع الذي يكون قصير الكمين وعن ابن عباس قال كان عليه درع من ذهب يعرف به فاخرجه الله تعالى من الماء مع ذلك الدرع ليعرف لتكون لمن خلفك اي بعدك اية اي عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا يدعوا على مثل فعلك وعن ابن عباس ان بعض بني اسرائيل شكوا في موته فاخرج لهم ليروه ويشاهدوه الحق على كل الدلايل والمباهاة بعد ما سمعوا منه قوله انا ربكم الاعلى ليعلموا ان دعواه كانت باطلة وانما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك السائرة الى مايرون لمعصيانه ربه وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون اي لا يتدبرون بها وهذا الكلام ليس من كلام الله تعالى ولكن القول الاول اشهر ولقد بوانا اي انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق اي منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام واغاضيف المكان بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيأ اضافته الى الصدق فتقول العرب هذا رجل صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشيء اذا كان كاملا صالحا لابد ان يصدق الظن فيه وقيل ارض الشام والفرس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة ورزقناهم من الطيبات اي الحلال لان المتلذذ من المأكول والمشروب واللباس والاستعمال وغير ذلك انما يورث تعالى بني اسرائيل جميع ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من الناطق والصامت والحرث والنسل كما قال تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فما اختلفوا اي هؤلاء الذين فضلناهم

هذا الفعل من بني اسرايل في امر دينهم حتى جاءهم العلم اي جاءهم ما كانوا به عالمين وذلك انهم كانوا قبل
مبعث محمد صلى الله عليه وسلم معترفين بحقيقة نبوته غير مختلفين فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم
وكانوا يخبرون بمبعثه وصفته وقته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث صلى الله عليه وسلم اختلفوا
فيه فامن به بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وكفر به بعضهم بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة
وانهم ما اختلفوا في دينهم الا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا احكامها ان ربك يا محمد يقضي بينهم يوم القيامة
اي الذي هو اعظم الايام فيما كانوا اي بافعالهم الجبلية فيه يختلفون اي بميز الحق من الباطل والصادق
من الزنديق وبكن كلا واراه واختلف المفسرون في من المخاطب بقوله تعالى فان كنت في شك مما
انزلنا اليك فاسال الذين يقرؤن الكتاب اي التوراة من قبلك اي فانه ثابت عندهم بخبر وبكل بحيدة
فقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر والمراد امته كقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ولا تطع
الكافرين والمنافقين وقوله لين اشركت ليحبطن عملك وقوله تعالى لنبي عليه السلام انت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ومن الامثلة المشهورة اياك اعني واسمعي يا جارة
والذي يدل على صحة ذلك وجوه الاول قوله تعالى في اخر السورة يا ايها الناس بين ان المذكور في اول الاية
على سبيل الرمز هو المذكور ثم في هذه الاية على سبيل التصريح الثاني انه صلى الله عليه وسلم لو كان شاكا
في نبوة نفسه لكان شكه في نبوته اولى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية الثالث انا قد اقمنا الدلالة
على نبوته فلو كان شاكا في نبوته مع انهم في الاكثر كفار لاشتهر ذلك الشك باخبار اهل الكتاب عن نبوته مع انهم في الاكثر كفار لاشتهر ذلك الشك
وان كان في الظاهر معه صلى الله عليه وسلم الا ان المراد هو الامة ومثل هذا معتاد فان السلطان اذا كان له ابن
وتحت راية ذلك الامير جمع فان اراد ان يامر الرعية بامر مخصوص فانه لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب
على ذلك الامير الذي جعله امير اعليهم ليكون ذلك تاديبا في قلوبهم وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على
حقيقته وكان الله تعالى علم انه صلى الله عليه وسلم لا شك في ذلك الا انه المقصود بانه متى سمع هذا الكلام
فانه يصرح ويقول يا رب لا اشك ولا اطلب الحجة من قول اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته علي من الدلائل
الظاهرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا اشك ولا اسال احدا منهم ونظير هذا قوله للملائكة اهؤلاء اياكم
كانوا يعبدون والمقصود ان يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون
الجن وكما قال تعالى لعيسى عليه السلام انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين والمقصود منه ان يصرح عيسى
عليه السلام بالبراءة عن ذلك فلذلك ذكرهنا وقرا ابن كثير والكسائي بنقل حركة الهمزة الى اللام والباقون بالهمزة
وسكون اللام وقيل الخطاب لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك
ودينه فتنبيه على ان من خالجته شبهة في الدنيا ينبغي ان يراجع في حلها بالرجوع الى اهل العلم واظهر هذه
الاقوال اولها وهذه الاية لا يجري في قوله لقد جاءك الحق من ربك اي بالايات القاطعة لا يدخل للمرية فيها فلا تكونن

من الممترين

من الممترين اي الشاكين فيه وفي قوله تعالى ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين
اي الذين خسروا انفسهم ان الذين حقت عليهم كلمة ربك اي ثبت عليهم قول الله تعالى به معهودة الذي كتبه
في اللوح المحفوظ واخبر به الملائكة انهم لا يؤمنون اي يموتون كفارا فلا يكون غيره اذ لا يكذب كلامه
ولا ينقض قضاؤه ولو جاءتهم كل اية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به معدوم
فان الدليل لا يهدي الا باعانة الله تعالى وان لم يحصل تلك الاعانة ضاعت تلك الدلايل حتى يروا العذاب الاليم
حينئذ لا ينفعهم الايمان كما لم ينفع فرعون وقرانه وبين كلمة بالالف بعد الميم على الجمع والباقون بغير الف
على الافراد القصة الثالثة قصة يونس عليه السلام المذكورة بقوله تعالى فلولا اي فهلا كانت قرية ولحدة
من قرى الامم الماضية التي اهلكناها امنت اي امن اهلها عند اتيان الايمان او عند رويه اسباب العذاب فنفعها
اي فتسبب عن ايمانها ذلك انه نفعها ايمانها بان تقبله الله تعالى منها وكشف العذاب عنها وقوله تعالى الا قوم يونس
استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما امنوا اي لما اخلصوا الايمان او لما عاينوا اية العذاب ولم يؤخره
الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي لتضمن
حرف التخصيص معناه كانه قيل ما امن من اهل قرية من القرى الهالكة فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس
ومعناهم الرجاء اي الى انقضاء اجالهم روي عن ابن مسعود وغيره ان قوم يونس كانوا بارض نينوى
من ارض الموصل فارسل الله تعالى اليهم يونس عليه السلام يدعوهم الى الايمان فدعاهم فابوا فقيل له
ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليك كذبا فانظر فان بات فيكم تلك
الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف تلك الليلة خرج يونس
عليه السلام من بين اظهرهم فلما اصبحوا فقدهم العذاب فكان فوق رؤسهم قد سيل وقال وهب غامت
غماما عظيما اسودها بلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسود سطوحهم فلما رأوا
ايقنوا بالهلاك فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه وقد ذهب الله تعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد هم
باهلهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الايمان والتوبة وتخلصوا النية
وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب فحن بعضها الى بعض وعلت اصواتها واختلطت
باصواتهم وعجوا وتضرعوا الى الله تعالى وقالوا امنا بما جاء به يونس عليه السلام فرحمهم الله تعالى واستجاب
دعاءهم وكشف عنهم العذاب بعدما اظلهم وكان ذلك يوما عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه
بلغ من توبتهم ان رد والمظالم حتى ان الرجل كان يقلع حجرا وكان قد وضع عليه اساس بنيانه فرده وقيل
خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى
ويا حي لا اله الا انت فقالوا فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت
اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله وتاتي بقية القصة ان شاء الله تعالى في سورة

والصافات فان قيل قد حكى الله تعالى عن قوم يونس انه تاب في آخر الامر ولم تقبل توبته وحكى عن قوم يونس انهم امنوا وقبلت توبتهم ما الفرق بين هاتين الجيبتين فالجواب انما تاب بعد ان شاهد العذاب وهو وقت الياس من الحياة واما قوم يونس فانهم تابوا قبل ذلك فانهم لما ظهرت امارات دلت على قرب العذاب تابوا قبل ان يتزايد بهم ولم يباشرهم فكادوا كلهم يضمحلون الموت ويرجون العافية وان الله تعالى قد علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه لم يصدق في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل ذلك قال الله تعالى ولو شاء ربك يا محمد لآمن من في الارض كلهم بحيث لم يشذ منهم احد جميعا اي مجتمعين على كلمة واحدة لا يختلفون في شيء منه ولكن لم يشأ ان يصدقك ويؤمن بك الا من سبقت له السعادة في الازل وفي هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان حريصا على ايمانهم كلهم فاخبر الله تعالى انه لا يؤمن به الا من سبقت له السعادة الازلية فلا تتعب نفسك على ايمانهم وهو قوله تعالى افانت تكره الناس اي الذين لم يرد الله ايمانهم حتى يكونوا مؤمنين اي ليس ايمانهم اليك حتى تكرههم عليه وتحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئة الله تعالى وقضائه ليس لاحد ذلك سواه كما قال تعالى وما كان اي وما ينبغي وما يتأتى لنفس اي واحدة فما فوقها ان تؤمن اي يقع منها الايمان في وقت ما الا باذن الله اي بارادته لها بالايمان فان هداية الله تعالى هو الهدى والمضل وقال ابن عباس بامر الله وقال عطا بمشيئة الله ويجعل الله الرجس اي العذاب والخذلان فانه سببه وقراءة شعبة وحده بالنون على الذين لا يعقلون اي لا يتدبرون في آيات الله فينتفعون بها وهم يدعون انهم اعقل الناس عن كفرهم فيما تطوقون في مساوي الاخلاق وهم يدعون انهم اعقل الناس عن الكفر فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وما بين الله تعالى في الآيات السابقة ان الايمان لا يحصل الا بخلق الله تعالى ومشيئته اتم بالعقل والاستدلال في الدلايل بقوله تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسألونك الآيات ماذا اي الذي في السموات والارض اي من الآيات واوضح الدلالات من عجايب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته فمن العالم العلوي الشمس والقمر وهما دليلان على الليل والنهار والنجوم وحركات الافلاك ومقاديرها واوضاعها والكواكب وما اختص به كل من المنافع وفي العالم السفلي الجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان واختصاص كل واحد منها بخاصية من المنافع وفي العالم السفلي ايضا حال الانسان كل ذلك من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وانه خالقها كما قال القايل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وقرأ عاصم وحمزة في الوصل بكسر اللام والباقون بضمها واما الهمزة فمن انظروا فكل القراء يبتدؤن بالضم وما تغني الآيات اي وان كانت في غاية الوضوح والنذر جمع نذير اي الرسل عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه تنبيه قال المحققون ما هنا نفي وجحد الا وان يكون نفيا بمعنى ان هذه الآيات والنذر لا تفيد الفايدة في حق من حكم الله تعالى عليه بانه لا يؤمن كقولك ما يقوم غلامي وهو استفهام بمعنى الانكار فهل اي ما ينتظرون اي اهل مكة بتكذيبك الا اياما اي وقايع مثل ايام اي وقايع الذين خلوا من قبلهم اي من

مكذبي

مكذبي الامم كالقبط وقوم نوح وما التطويب بينها من الامم اي مثل وقايعهم من العذاب قل اي قال لهم يا محمد تانكروا اي العذاب اني معكم من المنتظرين اي لنزول العذاب بكم وهو قوله تعالى ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف على محذوف دل عليه قوله تعالى الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل يهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الاحوال الماضية وقرأ ابو عامر وحده بسكون النون كذلك اي كانجاء رسلنا والذين امنوا معهم من الهلاك كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين اي ننجيك يا محمد ومن آمن معك وصدق فكذلك من الهلاك والعذاب فان قيل قوله تعالى حقا يقتضي الوجوب والله تعالى لا يجب عليه شيء اجيب بان ذلك حق بحكم الوعد والحكم لانه حق بحكم الاستحقاق وبالثبات ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا وهو اعتراض بين المشبه والمشبه به ونصب بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي بسكون النون الثانية والباقون بفتحها واما الوقف عليها فجميع القراء يقفون على الجيم لانها رسومة في المصحف بالجيم بلا ياء في القرآن وقفا ووصلا بلا ياء جميع القراء وذكر تعالى الدلايل على اقصى الغايات وابلغ النهايات امر رسوله صلى الله عليه وسلم باظهار دينه فقال يا ايها الناس اي الذين ارسلت اليهم فشكوا في امري وامروني ان كنتم في شك من ديني اي حق الذي ادعوكم اليه انه حق واحرر ذلك وعبر عن الاصنام التي لا تضر ولا تنفع فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله اي غيره وهو الاصنام التي لا قدرة لها على شيء ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم يقبض ارواحكم التي لا شيء عند ذكر يعبر بها عنه الذي يستحق العبادة وانما خص الله تعالى بهذه الصفة للتنبيه وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب في الجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي هو قادر على اهلاككم وامرت ان اكون من المؤمنين اي المصدقين بالجائه عن الله وقيل ان ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب فان قيل كيف قال في شك وهم كفار بيقين وقين بطلان ما عليه اجيب بان كان في فهم شاكون او انهم لما دلوا على الايمان اضطربوا وشكوا في امره صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى وان اقم وجهك الدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان يحكيه بصنعة الامر ولا فرق بينهما الا في العرض لان المعنى ووصلها بها تقتضي معنى المصدر ليرد معه عليه وجميع الافعال كلها كذلك سوى الجزم والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة على الدين والاستواء فيه بالاداء الفرايض والانتهاء عن القبايح او في الصلاة قبالة الاستقبال قبله وقوله حنيفا حال من فاعل اقم اي من الدين او من الوجه ومعناه مايلا جميع الميل غير ممنوع عنه الى دين آخر وقوله تعالى ولا تكونن من المشركين اي ممن يشرك بالله في عبادته غيره فهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره اي ولا تكونن من اهل الاشراك وكرر قوله تعالى ولا تدع اي تعبد من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها او الظلم وضع الشيء في غير موضعه فان اذا كان ماسوى الحق مضمحلا عند اهل التحقيق فكان اضافة المعرف الى ماسوى الحق وصفا للشيء في غير موضعه فيكون ظلما والذكر يقتضي الوفاء وبين انها لا تتوزع على حزء واقع بين تعالى ان القادر على كل شيء المنزه عن الجود والكرم

اي غيره ما لا ينفعك اي ان عبدته وان تركته لم تعبده وهو فان فعلت ح

والرحمة بقوله تعالى وان يمسسك الله بضر كفقر ومرض فلا كاشف اي دافع له الا هو لانه الذي انزل بكل وان يردك بخير كرخاء وصحة فلا راد اي دافع لفضله اي الذي اراد كل بد يصيب به اي الخير من يشاء من عباده وهو الغفور اي البليغ الستر للذنوب الرحيم اي البالغ في الاكرام وقرا ابو عمر وحمزة والكسائي يكون الها والباقون بالضم فرجع سبحانه وتعالى الى جانب الخير على جانب الشر من ثلاثة اوجه الاول انه تعالى لما ذكر اما من الضرين انه لا كاشف له الا هو وذكر بدل على انه تعالى يزيل المضار لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير ثم بعد بانه يدفعه بل قال انه اراد لفضله وذلك يدل على ان الخير مطلوب بالذات وان الشر مطلوب بالعرض كما قال صلى الله عليه وسلم عن ربه تعالى انه قال سبقت رحمتي غضبي الثاني انه سبحانه وتعالى قال في صفة الخير يصيب به من يشاء من عباده وذلك يدل على ان جانب الخير اقوى واغلب الثالث انه قال اولا وهو الغفور الرحيم وهذا ايضا يدل على قوة جانب الرحمة وحاصل الكلام في هذه الايات انه سبحانه وتعالى بين انه منفرد بالخلق والايجاد والتكوين والابداع وانه لا موجود سواه ولا معبود الا اياه وان جميع الممكنات مستندة اليه وجميع الكائنات محتاجة اليه فالايجاد مرفوعة اليه والحاجات منتهية اليه والعقول والالهة بينه والتمجيد فايض منه والمقرر تعالى الدلايل المذكورة في التوحيد والنبوة والمعاد وزين اول هذه السورة بهذه البيانات الدالة على كونه تعالى مبتدا بالخلق والابداع والتكوين والاختراع ختمها بهذه الخاتمة الشريفة العالية ليلا يبقى لاحد عذر بقوله تعالى قل يا محمد يا ايها الناس اي الذي ارسلت اليهم قد جاءكم الحق من ربكم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله تعالى او القران فلم يبق لكم عذر فمن اهتدى اي امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وعمل بما في الكتاب فانما يهتدي لنفسه لانه تبع الحق الثابت وترك الباطل الزايل فانقذ نفسه من النار واوجب لها الجنة فتوابه اهتداءه له ومن ضل اي كفر بها او شيء منها فانما يضل عليها اي على نفسه لان وبال ضلاله عليها لان من ترك الباقي وتمسك بما ليس في يده منه شيء فقد غر نفسه قال صلى الله عليه وسلم وما انا عليكم بوكيل اي حفيظ هو موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير قال ابن عباس وهذه الاية منسوخة باية السيف قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم واتبع يا محمد ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله اي بنصرك عليهم واظهار دينك او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطا في حكمه تعالى لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر فحكمه بقتل المشركين والجزية على اهل الكتاب يعطونها عن يد وهم صاغرون واشد بعضهم في الصبر ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبري واصبر حتى يحكم الله في امري ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبري صبرت على شيء امر من الصبر وروي ان ابا قتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل المدينة فقال له مالك لم تلقنا قال لم يكن عندنا دواب قال فانيم

النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فما اذا قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبروا اذن نصبر فقال عبد الله بن حسان الا ابلغ معاوية بن حرب امير الظالمين شاكلة اني بانا صابرون فانتظر وكم الى يوم التغابن والخصام وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عز رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون حديث موضوع

سورة هود

مكية الا اقم الصلاة الاية او الا فلعلك تارك الاية واولئك يومنون به مايتان وثنتان او ثلاث وعشرون اية وكلماتها الفان وسبعمايتان وخمس عشرة وحروفها سبعة الاف وستمايتان وخمسة احرف وعن ابي بكر رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية بسم الله اي الذي له تمام العلم وكمال الحكمة وجميع القدرة الرحمن بجميع خلقه بعموم البشارة والنذارة الرحيم لاهل ولايته بالحفظ في سلوك سبيله وقوله تعالى الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر مبتدا محذوف وتقدم الكلام على اوايل السور اول سورة البقرة وقرا ابو عمرو وورش وعلي وشعبة وحمزة والكسائي بالامالة والباقون بالفتح وقوله احكمت اياته صفة الكتاب وفسر الاحكام بوجوه الاول احكمت اياته اي نظمت نظما محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصص ولا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى ولا يستطيع احد نقضه في شيء منه ولا الطعن في شيء من بلاغته اوفصاحته الثاني ان الاحكام عبارة عن منع الفاسد من الشيء فقوله احكمت اياته اي لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرايع به كما قاله ابن عباس الثالث انها احكمت بالحج والدلايل او جعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على انواع الحكم النظرية والعملية وقوله تعالى ثم فصلت صفة اخرى للكتاب اي بينت بالاحكام والمقاصص والمواعظ والاخبار او بالامر الاجمالي والنهي او فصل بينها وخص ما يحتاج اليه او جعلها سورا وقال الحسن احكمت بالامر والنهي ثم فصلت بالوعد والوعيد تنبيه معنى ثم في قوله تعالى ثم فصلت ليس للتراخي في الوقت لكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وقوله تعالى من لدن حكيم خبير اي الله تعالى صفة اخرى للكتاب والتقدير الكتاب من حكيم خبير او خبر بعد خبر والتقدير الر من لدن حكيم خبير او صلة لاحكمت وفصلت اي احكمت وفصلت من لدن حكيم خبير وعلى هذا التقدير تدخل بين اول هذه الايات وبين احدها مناسبة لطيفة كانه تعالى قال احكمت اياته من لدن حكيم وفصلت من لدن خبير بما لم يكن فيات الامور وقوله

تعالى ان لا تعبدوا الا الله يحتمل وجوها الاول ان يكون مفعولا له والتقدير كتاب احكمت ايا ته
ثم فصلت لاجل ان لا تعبدوا الا الله الثاني ان يكون ان مفسره لان في تفصيل الايات معنى
القول قال الرازي والحمل على هذا اولى لان قوله تعالى وان استغفروا معطوف على قوله تعالى
ان لا تعبدوا فيجب ان يكون معناه اي لا تعبدوا ليكون الامر معطوفا على النهي فان كونه
بمعنى لان لا تعبدوا ويمنع عطف الامر عليه الثالث ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله على
لسان النبي صلى الله عليه وسلم اعراما له على اختصاص الله تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله
صلى الله عليه وسلم انني لكم منه اي الله نذير بالعقاب على الشرك وبشير بالثواب على التوحيد كما
قال اتركوا عبادة غير الله تعالى بمعنى اتركوها انني لكم منه نذير وبشير كقوله تعالى فضرب الرقاب بمعنى ضربت
هذه الاية الكريمة مشتملة على ستة مراتب الاولى انه تعالى امر الا تعبدوا الا الله لان ما سواه
محدث مخلوق مربوب وانما حصل بتكوين الله تعالى وايجاده والعبادة عبارة عن اظهار التخضوع
والخشوع ونهاية التواضع والتذلل وذلك لا يليق الا بالخالق المدبر الرحيم المحسن فثبت ان عبادة
غير الله تعالى منكرة المرتبة الثانية قوله تعالى وان استغفروا ربكم المرتبة الثالثة قوله تعالى ثم توبوا اليه
واختلفوا في بيان الفرق بين هاتين المرتبتين على وجوه الاول ان معنى قوله تعالى وان استغفروا
اي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم بين الشيء الذي يطلب به ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه
لان الداعي الى التوبة والمحرك عليها هو الاستغفار الذي هو عبارة عن طلب المغفرة فالاستغفار
مطلوب بالذات والتوبة مطلوبة لكونها من مهمات الاستغفار وما كان احق في الحصول كان اولى
في الطلب فلهذا السبب قدم ذكر الاستغفار على التوبة الثاني وان استغفروا من الشرك والمعاصي
ثم توبوا الي ارجعوا اليه بالطاعة الثالث الاستغفار طلب من الله تعالى لازالة ما لا ينبغي الى التوبة
سعي من الانسان في ازالة ما لا ينبغي فقدم الاستغفار ليدل على ان المؤمن يجب عليه ان لا يطلب الشيء
الا من مولاه لانه هو الذي يقدر على تحصيله ثم بعد الاستغفار ذكر التوبة لانها عمل يأتي به الانسان
ويتوسل به الى دفع المكاره والاستعانة بفضل الله تعالى تقدم على الاستعانة بسعي المتقي ثم انه
تعالى لما ذكر هذه المراتب الثلاث ذكر بعدها ما يترتب عليها من الآثار المطلوبة ومن المعلوم ان المطالب
محصورة في نوعين لانها اما ان يكون حصولها في الدنيا او في الاخرة اما المنافع الدنيوية فهي المرادة
من قوله تعالى يمتعكم متاعا حسنا اي بطيب عيش وسعة رزق الى اجل مسمى وهو الموت فان قيل
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقال ايضا خص البلاء بالانبياء
ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل وقال تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة فهذه النصوص دالة على ان نصيب المشتغل بالطاعات في الدنيا هو الشدة

والبلية

والبلية ومقتضى هذه الاية ان نصيب المشتغل بالطاعات الراحة في الدنيا فكيف الجمع بينهما الجواب
بان المشتغل بعبادة الله تعالى ومحبته مشتغل بحب شيء يمتنع تغيره وزواله وفناه فكل ما يفرض
امعانه في ذلك الطريق اكثر وتوغله فيه اتم كان انقطاعه عن الخلق اتم واكمل وكل ما كان الكمال وهذا
اكثر كان الابتهاج والسرور اكمل لانه امن من تغير محبوبه وامن من زواله ومحبوبه واما من كان
مشتغلا بحب غير الله كان ابد الآباد في الم الخوف من فوات المحبوب وزواله وكان عيشه منغصا وقلبه
مضطربا ولذلك قال تعالى في صفة المشتغلين بخدمته فلنحيينه حياة طيبة وقيل المراد بالمتاع الحسن
عدم العذاب بعذاب الاستيصال كما استاصل اهل القرى الذين كفروا وسمي سبحانه وتعالى منافع الدنيا
بالمتاع لاجل التنبيه على حقارتها وقلتها وبين تعالى على كونها منقضية بقوله تعالى الى اجل مسمى يعني
نصارت هذه الاية دالة على كونها حقيرة خسيسة منقضية واما المنافع الاخروية فقد ذكرها تعالى في
قوله تعالى ويؤت اي في الاخرة كل ذي فضل فضله اي في العمل فضله اي جزاه لان مراتب السعادات في الاخرة
لا نهاية لها متفاوتة بمقادير الدرجات الحاصلة في الدنيا فلما كان الاعراض عن غير الحق والاقبال على عبودية الحق
درجات غير متناهية فكذلك مراتب السعادات الاخروية غير متناهية فلهذا السبب قال تعالى ويؤت كل ذي
فضل فضله وقال ابو العالية من كثر طاعته في الدنيا زاد درجاته في الاخرة وقال ابن عباس من زادت حسناته
على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت سيئاته وحسناته كان من اهل الاعراف
لم يدخلوا الجنة وقال ابن مسعود من عمل سيئة كتبت له سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب
بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات فان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشر واحدة وبقي له
تسع حسنات ثم يهلك ابن مسعود هلكة من عد احاده اعشاره وقوله تعالى وان تولوا فيه حذف احدى التائين اي
وان تعرضوا عما جئتكم به من الهدى فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيامة وصف باليوم
كما وصف بالعظم والثقل وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف الى الله مرجعكم اي رجوعكم
في ذلك اليوم فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على اساءته وهو على كل شيء قدير اي قادر على جميع
المقدورات لا دافع لقضائه ولا مانع لمشيته ومنه الثواب والعقاب وفي ذكر دلالة على قدرة عالية وجلالة
عظيمة لهذا الحاكم وعلى ضعف لهذا العبد والمالك القاهر العالي اذا راي عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يخلصه من
الهلاك ومنه المثل المشهور ملكت فاسجح اي فاعف يقول المصنف هذا الكتاب قد افنيت عمري في خدمة العلم ومطالعة
الكتب ولا رجاء لي في شيء الا اني في غاية المذلة والفقر والكريم اذا قدر عفر فاسأل بالكرم الاكرمين والحلم الحليمين
وسائر عيوب المعيوبين ان تفيض سجال رحمتك علي وعلى والدي واولادي واخواني واحبابي وان تخصني
واياهم بالفضل والجود والكرم واختلفوا في سبب نزول قوله تعالى الا انهم يثنون صدورهم
قال ابن عباس نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم

بما يجب ويقطوي بقلبه على ما يكره لمعنى قوله تعالى يثنون صدورهم يخفون ما في صدورهم
من الشحناء والعداوة وقال عبد الله بن شداد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله و
صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ راسه وغطى وجهه كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال قتادة كانوا يجدون ظهورهم لكيلا يسمعوا كلام الله تعالى ولا ذكره وروى البخاري عن ابن عباس
انها نزلت في رجل كان يستحي ان يتخلى او يجامع فيفضي الى السماء وقيل كان الرجل من الكفار يدخل
بيته ويرخي ستره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال الذي يثنون صدورهم
اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني ليستخفوا منه اي من الله تعالى يسرهم فلا يطلع
رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عليه وقيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قيل
انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا ان ارحامنا علينا هو سوا واستغشينا ثيابا وطوينا صدورنا
على عداوة محمد كيف يعلم الاحين يستغشون ثيابهم اي يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم
تعالى ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم اي انه لا تفاوت في علمه تعالى بين اسرارهم واعلانهم
فلا وجه لتوجيهه الى ما يبدو من الاستخفاء انه تعالى يعلم بذات الصدور اي بالقلوب واحوالها
ولما اعلم تعالى انه يعلم ما يسرون وما يعلنون ارفقه بما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات بقوله تعالى
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها قد ذكر تعالى ان رزق كل حيوان انما يصل اليه من الله تعالى
فلو لم يكن عالما بجميع المعلومات لما حصلت هذه الهداية والدلالة في كل حيوان دب على وجه الارض ولاحكم
ان اقسام الحيوانات وانواعها الكثيرة وهي الاجناس التي تكون في البر والبحر والجبال والله تعالى عالم بكيفية طباعها
واعضائها واحوالها واغذيتها ومساكنها وما يوافقها وما يخالفها فالاله المدبر لاطباق السموات والارض هو
والطبايع الحيوان والنبات كيف لا يكون عالما باحوالها وروي ان موسى عليه السلام عند نزول الوحي
عليه تتقلب قلبه باحوال اهله فامره الله تعالى ان يضرب بعصاه على صخرة فانشقت وخرج منها صخرة
ثانية ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت منها صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فانشقت فخرجت منها
دودة كالذرة وفي فيها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الله تعالى الحجاب عنه فسمع موسى عليه السلام
فسمع ان الدودة كانت تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني فان
قيل ان كلمة على للوجوب فيدل على ان ايصال الرزق الى الدابة واجب على الله تعالى اجيب بانه
انما تجب بذلك تحقيقا لوصولها له بحسب الوعد والفضل والاحسان وحملا على التوكل فيه وفي هذه
الاية دلالة على ان الرزق قد يكون حراما لانه ثبت ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله تعالى
بحسب الوعد والله تعالى لا يجل به ثم قد نرى ان انسانا لا ياكل من الحلال طول عمره فلو لم يكن الحرام
رزقا لكان الله تعالى ما اوصل رزقه اليه فيكون الله تعالى قد اخل بالواجب وذلك محال فعلمنا ان الحرام

قد يكون

قد يكون رزقا ويعلم تعالى مستقرها قال ابن عباس هو المكان الذي تاوي اليه وتستقر فيه ليلا ونهارا
ومستودعها هو الذي تدفن فيه اذا ماتت وقال عبد الله بن مسعود المستقر رحام الامهات
والمستودع المكان الذي تموت فيه وقال عطا المستقر رحام الامهات والمستودع اصلاب الاباء وقيل
المستقر الجنة او النار والمستودع القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقرا وساءت
مستقرا ومقاما ولا مانع ان يفسر ذكر بهذا كله كل اي كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستو دعها
في كتاب يكتب اي ذكرها مثبت في اللوح المحفوظ مبين اي بين كما قال تعالى ولا رطب ولا يابس الا هو
في كتاب مبين ولما اثبت تعالى بالدليل المتقدم كونه عالما بالمعلومات اثبت كونه تعالى قادرا
على كل المقدورات بقوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي من ايام الدنيا
اولها الاحد واخرها الجمعة وقدم الكلام على تقدير ذكره في سورة الاعراف وكان عرشه على الماء
قال كعب خلق الله تعالى ياقوتة خضراء فنظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم قدم خلق الريح فجعل الماء
على متنها ثم وضع العرش على الماء وقال ابو بكر الانباري ومعنى قوله تعالى وكان عرشه على الماء كقولهم الماء
على الارض وليس ذلك على سبيل كون احدهما مماسا للاخر وقال ضمرة ان الله عز وجل كان عرشه
على الماء ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ثم ان
ذلك الكتاب سبحانه تعالى ومحله الذي علم قبل ان يخلق شيئا من خلقه نفي ذلك دلالة على كمال قدرته
تعالى لان العرش مع كونه اعظم من السموات والارض كان على الماء وقد امسكه الله تعالى من غير دعامة
تحته ولا علاقة فوقه وقوله تعالى ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهما وما بينهما منافع لكم ومصالح و
ليختبركم وهو اعلم بكم منكم اي احسن عملا اي اطوع منه واورع عن محارم الله تعالى وهذا القيام الحجة
عليهم وتدجير امثال ذلك وما بين تعالى انه انما خلق هذا العالم لاجل ابتلاء المكلفين وامتحانهم وهذا
يوجب القطع بحصول الحشر والنشر لان الابتلاء والامتحان يوجب تخصيص المحسن بالرحمة والثواب
وتخصيص المسيء بالعقاب وذلك لا يتم الا مع الاعتراف بالمعاد والقيامة خاطب تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
فقال تعالى ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك انكم مبعوثون من بعد الموت اي للحساب والجزاء ليقولن
الذين كفروا ان اي ما هذا الذي القرآن بالبعث او الذي تقوله الا سحر مبين اي بين وقرأ حمزة والكسائي
بفتح السين والف بعدها وكسر الحاء فيكون ذلك راجعا للنبي صلى الله عليه وسلم والباقون بكسر السين
وسكون الحاء وطاحي تعالى عن الكفار انهم يكذبون رسوله صلى الله عليه وسلم حكي عنهم نوعا اخر بقوله
تعالى ولئن اخرنا عنهم العذاب الى امة اي جماعة من الاوقات معدودة اي قليلة ليقولن اي استهزاء
مما يجيء اي ما يمنعه من الوقوع قال الله تعالى الا يوم ياتيهم ليس يوم بدر ليس مصروفا اي مدفوعا العذاب
عنهم وحاق اي نزل بهم من العذاب ما كانوا به يستهزؤن اي الذي كانوا يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع

يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء فان قيل لم قال تعالى وحاق على لفظ الماضي مع ان ذلك
لم يقع اجيب بانه وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التاكيد والتقرير
والتهديد وبما ذكر تعالى ان عذاب الكفار وان تاخر الا انه لابد وان يحيق بهم ذكر بعده ما يدل
على كبرهم وعلى كونهم مستحقين لذلك العذاب بقوله تعالى ولئن اذقنا اي اعطينا الانسان اي
الكافر منا رحمة اي نعمة كغنى وصحة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها اي سلبنا تلك النعمة منه انه
ليؤس اي قنوط من رحمة الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور اي جحود للنعمة متناسا عليه واما المسلم
الذي يعتقد ان تلك النعمة من جود الله تعالى وفضله واحسانه فانه لا يحصل له الياس
بل يقول لعله تعالى يردها علي بعد ذلك احسن واكمل وافضل مما كانت ولئن اذقناه اي الكافر نعما
بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين وهما اذقناه ومسته
مع حيث الاسناد اليه تعالى في الاول والى الضمير في الثاني نكتة عظيمة وهي ان النعمة صادرة
من الله تعالى فتفضلا منه لخبر ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا والضر صادر من العبد كسبا لانه السبب فيه باختلابه اياه بالمعاصي غالبا لقوله
تعالى وما اصابكم من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ولا يرضى لكل قوله تعالى ولكل من
عند الله فان الكل منه ايجادا غير ان لحسنة احسان وامتنان والية مجازاة وانتقام ليزداد المسلم
بصبره وصبر ولا نصب حتى الشوكة يشاكرها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر
ليقولن اي الذي اصابه الضراء والعقبى ذهب السيات اي المصايب التي اصابتني عني ولم يتوقع
زوالها ولا يشكر عليها انه لفرح اي فرح بطر مخود على الناس بما اذاقه الله تعالى منها به قد شغله
الفرح والفخر عن الكر فبين سبحانه وتعالى في هذه الاية ان احوال الدنيا غير باقية بل هي ابدا في التغير
والزوال والتقول والانتقال فان الانسان اما ان ينتقل من النعمة الى المحنة ومن الاتان الى الاحسان
كالقسم الاول واما ان يكون بالعكس من ذلك وهو ان ينتقل من المكروه الى المحبوب كالقسم الثاني ولما
بين تعالى ان الكافر عند الابتلاء لا يكون من الصابرين وعند الفوز بالنعماء لا يكون من الشاكرين
بين حال المستثنين بقوله تعالى الا الذين صبروا على الضراء وعملوا الصالحات في النعماء اي فانهم
ان اصابتهم شدة صبروا وان نالتهم نعمة شكروا اولئك لهم مغفرة واجر كبير يجمع لهم تعالى بين عذبين
المطلوبين احدهما زوال العقاب والخلاص منه وهو المراد من قوله تعالى واجر كبير فلعلك يا محمد تارك
بعض ما يوحى اليك فلا تبلغهم اياه لتهاونهم به فانهم كانوا يستهزؤن بالقرآن ويقاطعون منه وقرا
حمزة والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وضائق به صدرك اي
بتلاوته عليهم لاجل ان يقولوا لولا اي هلا انزل عليه كنز يستغنى به في الانفاق كالملوك او جاء معه

ملك

يصدقه كما اقترحوا وروي عن ابن عباس ان ريسا مكة قالوا لمحمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت
رسولا وقال اخرون ايتنا بالملائكة ليشهدوا بصدقك فقال لا اقدر على ذلك فنزل انما انت نذير
فلا عليك الا البلاغ لا الاتيان بما اقترحوه والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم
وقادر على جزاء افعالهم وقالوا ام اي بل يقولون اي كفار مكة افتراه اي اختلقه من تلقاء نفسه
وليس بمعجز عند الله قال الله تعالى قل لهم يا محمد فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم
مفتريات فانكم عربيون مثلي قال ابن عباس هذه السور التي وقع بها هذا التحدي معينة وهي
سورة البقرة او العمران والنساء والمايدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ويونس وهود
وقيل التحدي وقع بمطلق السور وهو متقدم على التحدي بسورة واحدة والتحدي بسورة
واحدة ورد في سورة البقرة وفي سورة يونس اما تقدم هذه السورة على سورة البقرة فظاهر
لان هذه السورة مكية وسورة البقرة مدنية واما في سورة يونس فلان كل واحدة من هاتين السو
مكية فتكون سورة هود متقدمة في النزول على سورة يونس كما قاله الرازي وانكر المبرد هذا
وقال بل سورة يونس اولا وقال معنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله اي مثله في الخبر
عن الغيب والاحكام والوعد والوعيد فعجزوا وانقالهم في سورة هود ان عجزتم عن الاتيان بسورة
مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فاتوا بعشر سور من غير وعد ولا وعيد وانما هي مجرد
البلاغة وادعوا اي وقل لهم يا محمد ادعوا للمعاونة على ذلك من استطعتم من دون الله ان كنتم
صادقين في انه مفتر ب والضمير في قوله تعالى فان لم يستجيبوا لكم اي بالاتيان بما دعوتموهم اليه
للنبي صلى الله عليه وسلم وللمومنين لانه صلى الله عليه وسلم والمومنين كانوا يتحدونهم وقال تعالى
في موضع اخر فان لم يستجيبوا لكم فاعلم او لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم فاعلموا انما انزل بملتبسا
بعلم الله اي بما لا يعلمه الا الله تعالى من نظم يعجز مخلوقا واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه ولا يقدر عليه
سواه وقوله تعالى وان مخففة من الثقيلة اي وانه لا اله الا هو وحده وان توحيده واجب والاشراك به
ظلم عظيم فهل انتم مسلمون اي ثابتون على الاسلام راسخون فيه اذ تحقق عندكم اعجازه مطلقا
وقيل الخطاب للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لكم استطعتم اي فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله
الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انه منزل من عند الله
وانه دعاكم اليه من التوحيد حتى فهل انتم بعد هذه الحجة القاطعة مسلمون اي اسلموا في مثل هذا
الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قباح الموجب وزوال العذر هم
واختلق في سبب نزول قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها اي بعمله الذي يعمله من الاعمال
البر توف اليهم اعمالهم اي التي عملوها من خير كصدقة وصلة نرحم فيها اي الدنيا وهم فيها لا يبخسون

اي نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير نحبس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة
والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد ونحو ذلك اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط
اي بطل ما صنعوا اي عملوا فيها اي الاخرة فلا ثواب له وباطل ما كانوا يعملون لانه لغير الله تعالى
فقال مجاهد نزلت في اهل الرياء قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء والرياء هو ان يظهر الانسان الاعمال الصالحة ليحمده
الناس ويعتقد فيه الصلاح فهذا هو العمل الذي لغير الله نعوذ بالله من ذلك الخذلان وقال
اكثر المفسرين انها نزلت في الكافر واما المومن فيريد الدنيا والاخرة وارادته الاخرة غالبة فيجازى
بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الاخرة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان
ان الله لا يظلم المومن بحسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجازى بها في الاخرة واما الكافر فيطعم
بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الاخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا وقيل نزلت في المنافقين
الذين يطلبون بغزوهم مع النبي صلى الله عليه وسلم الغنايم من دون ان يومنوا بالاخرة وثوابها
وقيل في اليهود والنصارى وهو منقول عن انس وملائكر تعالى الذين يريدون باعمالهم الحياة الدنيا
وزينتها اكرمن كان يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الاخرة بقوله تعالى افمن كان على بينة من ربه
فهو النبي صلى الله عليه وسلم والبينة هي القران ويتلوه اي يتبعه شاهد يصدقه منه
اي من الله تعالى وهو جبريل عليه السلام ومن قبله اي القران كتاب موسى وهو التوراة شاهد
ايضا وقوله تعالى اماما اي كتابا موتما به في الدين ورحمة اي على المنزل عليهم لانه الوصلة الى
الفوز بخير الدارين حال من كتاب موسى والجواب محذوف لظهوره والتقدير افمن كان على بينة
من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس هم في الاخرة الا النار ليس مثله بل بينهم تفاوت بعيد
وتباين بين وقيل هو من امن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره والمراد بالبينة هو البيان
والبرهان والمراد بالشاهد هو القران ومنه اي من الله ومن قبله كتاب موسى اي ويتلوه ذلك
البرهان من قبل مجيء القران كتاب موسى اي في دلالته على هذا المطلوب لانه في الوجود قال الرازي
وهذا القول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك يومنون به وهذه صفة جمع والجمع يرجع الى محمد
صلى الله عليه وسلم اتباعه ويجوز ان تكون للتعظيم او له صلى الله عليه وسلم ومن تبعه وقيل
يكون هذا اولى كما جرى عليه بعض المفسرين والاشارة الى من كان على بينة منه والضمير في به
للقران واذا كان ذلك الفريق ليس له في الاخرة الا النار فهذا الفريق ليس له الا الجنة ومن يكفر
اي بالنبي صلى الله عليه وسلم او القران من الاحزاب اي اصناف الكفار فيدخل فيهم اليهود
والنصارى والمجوس فالنار موعده يعني في الاخرة روي سعيد بن جبير عن ابي موسى ان

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يسمع بي يهودي ولا نصراني فلا يومن بي الا كان من اهل النار
قالا يا موسى فقلت في نفسي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقل مثل هذا الا عن القران
فوجدت الله تعالى يقول ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده قال بعض العلماء لما دخلت
الاية على ان من يكفر به فالنار موعده دلت على ان من لم يكفر به كانت الجنة موعده وقوله تعالى
فلا تك في مرية اي شك منه اي القران او الموعد انه الحق من ربك خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويويد ذلك قوله تعالى ولكن اكثر الناس لا يومنون
اي لا يصدقون بما اوحينا اليك او من اهل موعد الكفار النار ثم وصف الله تعالى هولاء الكفار المكرين للجاحد
بصفات كثيرة في معرض الذم الصفة الاولى كونهم مفترين على الله كما قال تعالى ومن اي احد
اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك والولد اليه او اسند اليه ما لم ينزل له او نفى عنه ما انزله
الصفة الثانية انهم يعرضون على الله تعالى في موقف الذل والهوان كما قال تعالى وتريك يعرضون عليها
اي يوم القيامة فاذا قيل هم لا يختصون بهذا العرض عام في كل العباد اجيب بانهم يعرضون
فيفتضحون بشهادة الاشهاد عليهم كما قال تعالى ويقول الاشهاد هولاء الذين كذبوا على ربهم
فيحصل لهم من الخزي والنكال ما لا مزيد عليه وهذه هي الصفة الثالثة واختلف في هولاء الاشهاد
فقال مجاهد هم الملائكة الذين يحفظون اعمالهم عليهم في الدنيا وقال مقاتل هم الناس كما يقال على
روس الاشهاد اي على روس الناس وقال قوم هم الانبيا كما قال تعالى فلنسالن الذين ارسل
اليهم ولنسالن المرسلين والفايدة في قول اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة
فان قيل العرض على الله يقتضي ان يكون الله في خبر وهو منزه تعالى عن ذلك اجيب بانهم
يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسوال وان يكون ذلك عرضا على من يوبخ بامر الله تعالى
من الانبيا والمرسلين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف
قال ابو علي الفارسي وكانه هذا اجمع لان ما جا من ذلك في التنزيل جا على فعيل كقوله تعالى وجينا
بك شهيدا او عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدني المومن
يوم القيامة فيستره من الناس فيقول اي عبدي تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره
بذنوبه قال تعالى ستر تها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته واما
الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هولا الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين فبين تعالى في هذا الخبر
في عقاب القيامة اخبر عن حالهم في الحال بقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين فبين تعالى انهم
في الحال ملعونون عند الله وهذه هي الصفة الرابعة ثم وصفهم بالصفة الخامسة بقوله
تعالى الذين يصدون عن سبيل الله اي دينه ثم وصفهم بالصفة السادسة بقوله تعالى ويبغونها

اي يطلبون السبيل عوجا اي معوجه اي كانهم ظلموا انفسهم بالتزام الكفر والضلال
فقد اضافوا اليه المنع من الدين الحق والقا الشبهات وتصويج الدلايل المستقيمة لانه
لايقال في العامي انه لايبغي عوجا وانما يقال ذلك فيمن تعرف كيفية الاستقامة وكيفية
العوج بسبب القا الشبهات وتقرير الضلالات ثم وصفهم بعد بالصفة الرابعة بقوله
تعالى وهم اي ولحالهم بالاخرة هم كافرون وتكرير لفظة هم لتاكيد كفرهم وتوغلهم فيه
الصفة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار من عذاب الله كما قال تعالى اولئك لم يكونوا
معجزين في الارض اي ماكانوا معجزين الله في الدنيا ان يهاقبهم اذا لايفوتهم ان يهربوا منه
فان هرب العبد من عذاب الله تعالى محال لانه تعالى قادر على جميع الممكنات ولاتتفاوت
قدرته بالبعد والقرب والقوة والضعف الصفة التاسعة انهم ليس لهم اولياء يدفعون عنهم عذاب الله
تعالى عنهم كما قال تعالى وماكان لهم من دون الله اي غيره من اولياء اي انصار يمنعونهم
من عذابه الصفة العاشرة مضاعفة العذاب كما قال تعالى يضاعف لهم العذاب اي بسبب
اضلالهم غيرهم وقيل لانهم كفروا بالله وكفروا بالبعث والنشور الصفة الحادية عشرة قوله تعالى
ماكانوا يستطيعون السمع قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به
وماكانوا يبصرون خيرا فياخذوا به قال ابن عباس اخبر الله تعالى انه احال بين اهل الشرك
وبين طاعة الله في الدنيا وفي الاخرة اما في الدنيا فانه قال ماكانوا يستطيعون السمع وماكانوا
يبصرون واما في الاخرة فانه قال لايستطيعون خاشعة ابصارهم الصفة الثانية عشرة
قوله تعالى اولئك الذين خسروا انفسهم فانهم اشتروا بعبادة الالهة بعبادة الله تعالى فكان
مصيرهم الى النار المويدة عليهم وذلك اعظم وجوه الخسران الصفة الثالثة عشرة قوله تعالى
وضل اي غاب عنهم ماكانوا يفترون على الله تعالى من دعوى الشريك وان الالهة تشفع لهم
الصفة الرابعة عشرة قوله تعالى لاجرم انهم في الاخرة هم الاخسرون اي لاحد ابين واكثر
خسرانا منهم تنبيه قال الفراء لاجرم بمنزلة قولك لابد ولامحالة ثم كثر استعمالها حتى صارت
بمنزلة حقا يقول العرب لاجرم انك محسن على معنى حقا انك محسن وقال الزجاج ان كلمة لا
لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب ذلك الفعل والمعنى لاينفعهم ذلك ولسبب ذلك
لهم الخسران في الدنيا والاخرة قال الازهري وهذا من احسن ماقيل في هذا الباب وقال سيبويه
لاترد على اهل الكفر كما مر وجرم معناه احق والمعنى انه احق كفرهم وقوع العذاب والخسران بهم واجتمع
سيبويه بقول الشاعر ولقد طعنت ابا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا
اراد حقت الطعنة فزارة ان يغضبوا وبالجملة ذكر تعالى عقوبة الكافرين وخسرانهم اتبعه بذكر حال

المومنين

المومنين في الدنيا وترحم في الاخرة بقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا
الى ربهم اي اطمانوا اليه وخشعوا اليه اذ الاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمانينة
القلب ويتعدى بالي وباللام فاذا قلت خبت فلان الى كذا فمعناه اطمان اليه واذا قلت
اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع
عمل الجوارح وقوله تعالى واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهي الخضوع والخشوع لله تعالى وانهذه
الاعمال الصالحة لاتنفع في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع اولئك اي الذين
هذه صفتهم اصحاب الجنة هم فيها خالدون فاخبر تعالى عن حالهم في الاخرة بانهم من اهل الجنة
التي لاتنقطع لنعيمها ولازوال ولاتكدر سبحانه وتعالى احوال الكفار وماكانوا عليه
من العمى عن طريق الحق ومن الصمم عن سماعه وذكر احوال المومنين وماكانوا عليه من البصيرة
وسماع الحق والانقياد للطاعة ذكر فيهما مثلا مطابقا بقوله تعالى مثل اي صفة الفريقين اي
الكفار والمومنين كالاعمى والاصم هذا مثل الكافر شبه بالاعمى لتقليه عن ايات الله وبالاصم لرفضه
عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبير معانيه والبصير والسميع هذا مثل المومن شبه بالسميع والبصير
لان امره بالضد من الكافر فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او شبه الكافر بالجامع بين
العمى والصمم والمومن بالجامع بين ضديهما على ان تكون الواو في الاصم وفي السميع لتطوق الصفة
على الصفة بخلافه على الشبيه الاول فانه لتطوق الموصوف على الموصوف ويعبر عنه بتطوق الذات
على الذات هل يستويان اي هل يستوي الفريقان مثلا اي شبيها لايستويان ويصح ان يكون مثلا
صفة لمصدر محذوف اي استواء مثلا وان يكون حالا من فاعل يستويان وقوله تعالى افلا تذكرون
فيه ادغام التاء في الاصل اي تتعظون بضرب الامثال والتامل فيها وقرا حفص وحمزة والكسائي
بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وقد جرت عادة الله تعالى بانه اذا اورد على الكفار انواع
الدلايل اتبعها بالقصص ليصير ذكرها موكدا لتلك الدلايل وفي هذه السورة ذكر انواع من القصص
القصة الاولى قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه وقوله
اني لكم قراه ابن كثير وابو عمرو والكسائي بفتح الهمزة اي بانني والباقون بكسرها على ارادة القول
نذير مبين اي بين النذارة احوف من العقاب لمن خالف الله تعالى وقوله الا تعبدوا الا الله بدل
من اني لكم او مفعول مبين اني انذركم عليكم اي ان عبدتم غيره عذاب يوم اليم اي مولم موجع
في الدنيا او الاخرة قال ابن عباس بعث نوح بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعماية وخمسين
سنة وقال مقاتل بعث وهو بن مايتي سنة وقيل وهو بن خمسين سنة وقيل وهو ابن مايتين
وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعماية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين

فكان عمره الف سنة الا خمسين سنة والحكي تعالى عن نوح عليه السلام انه دعا قومه
الى عبادة الله تعالى حكي عنهم انهم طعنوا في نبوته بثلاثة انواع من الشبهات بقوله تعالى فقال الملا
الذين كفروا من قومه وهم الاشراف ما نراك الا بشرا مثلنا هذه الشبهة الاولى اي انك بشر مثلنا لا مزية
لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة تجهلا
منهم لان الله تعالى اذا اصطفى عبدا من عباده واكرمه بنبوته ورسالته وجب على من ارسله اليهم
اتباعه الشبهة الثانية ماذكرها الله تعالى عنهم في قوله تعالى وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا
اي اسافلنا كالحاكة واهل الصنايع الخسيسة وهو جمع ارذل بفتح الهمزة كقوله تعالى كابرهم وبرها
وقوله صلى الله عليه وسلم احاسنكم اخلاقا او جمع ارذل بضم الذال جمع رذل بسكونهما فهو على الاول
جمع مفرد وعلى الثاني جمع جمع ثم قالوا ولو كنت صادقا لاتبعك الاكابر من الناس والاشراف منهم
وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة بالدين واتباع الرسول لا بالمناصب العالية والمال
بادي الراي اي اتبعوك في اول الرأي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكر وا ما اتبعوك وتعبير
على الظرف اي وقت حدوث اول رأيهم وقرأ ابو عمرو وبادي بهمزة مفتوحة بعد الدال والباقون
بيا مفتوحة وابدل السوسي همزة الوا الفا وقفا ووصلا الشبهة الثالثة ماذكرها الله تعالى بقوله
في قوله تعالى وما نرى لكم اي لكل واحد منا وانتم خطاب للجمع على تفضيل اي بالمال والشرف والجاه فتخصونه به
الاتباع منا وهذا ايضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة لا بالثروة
والرياسة وقولهم بل نظنكم كاذبين خطاب لنوح عليه السلام في دعوى الرسالة وادرجوا قومه
في الخطاب وقيل خاطبوه بالخطاب الجمع على سبيل التعظيم وقيل كذبوه في دعوى النبوة وكذبوا
قومه في دعوى العلم بصدقه فغلب المخاطب على الغائبين وما ذكر هذه الشبهة لنوح عليه السلام
قال لهم يا قوم ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة اي حجة شاهدة بصحة دعواي من ربي وآتاني رحمة
اي نبوة ورسالة من عنده من فضله واحسانه فعميت اي خفيت والتبست عليكم ورحمة والكناية في
الضمير لما لان البينة في معناها هي الرحمة وما لانه لكل واحدة منهما وهو احفص وحمزة والكسائي
بضم الميم وتشديد الميم والباقون بفتح الميم وتخفيفها ميم انلزمكموها اي انكرهكم عليها
قبولها وانتم لها كارهون لاتختارونها ولا تشاهدون فيها الا تقدر علي ذلك قال قتادة والله لو استطاع
نبي الله لالزمها قومه ولكنه لا يملك ذلك وانتفى القراء على ضم النون من انلزمكموها لاتصالها
بالاسم وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثاني
الوصل كما في الاية والفصل كان يقال انلزمكم اياها ويا قوم لا اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة
وهو ان لم يذكر معلوم مما ذكر ما لا اي جعلا فقطوني ان اي ما اجري الا على الله اي ما ثوابي

تبليغي

تبليغي الا عليه فانه الماهول منه وقرا ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي بسكون الياء
والباقون بالفتح وقول نوح عليه السلام وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم
حين طلبوا طردهم فانهم طلبوا من نوح عليه السلام ان يطرد الذين امنوا وهم
الاراذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك انهم ملاقوا ربهم اي بالبعث فيخاصمون
طاردهم عنده ويأخذ لهم ممن ظلمهم وطردهم او انهم ملاقوا ثوابه ويفوزون بقربه فليس
الطرد لهم ولكني اراكم قوما تجهلون اي ان هولا المومنين خير منكم او عاقبة امرهم
او تستعجلون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني اي يمنعني من الله
اي من عقابه ان طردتهم عني وهم مومنون مخلصون افلا تذكرون اي تتعظون
وقرا حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال والباقون بالتشديد بادغام التاء الاصل
في الذال ولا اقول لكم عندي خزائن الله اي خزائن رزقه فكما اني لا املكها لا املك
ذلك لا ادعي اني املكها ولا اني غرض في المال لاخذ اولادها وقوله ولا اعلم الغيب
عطف على عندي خزائن الله اي ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى اصل به الى ما اريده
لنفسي ولاتباعي ولا اقول اني ملك فانتظم به عليكم حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا
بل طريقتي التواضع والخضوع ومن كان هذا شانه وطريقته كذلك فانه لا يستنكف عن
مخالطة الفقرا والمساكين ولا يطلب مجالسة الامرا والسلاطين ثم اكد ذلك بقوله ولا اقول
للذين تزدري اي تحتقر اعينكم اي لا اقول في حقهم لن يوتيهم الله خيرا فان ما اعد الله
تعالى لهم في الاخرة خير مما اتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم وهذا كالدلالة على انهم
كانوا ينسبون اتباعه مع الفقرا والذلة الى النفاق اي اذا ان فعلت ذلك انه من الظالمين
لنفسي ومنك الظالمين لهم فان قيل هذه الاية تدل على تفضيل الملايكة على الانبيا عليهم
الصلاة والسلام فان الانسان اذا قال لا ادعي كذا وكذا انما يحسن اذا كان ذلك الشي
اشرف مما حاول ذلك القايل اجيب بان نوحا عليه السلام انما ذكر ذلك جوابا عما ذكروه
من السمه لشيه فانهم طعنوا في اتباعه فقال ولا اقول لكم عندي خزائن الله حتى يحملكم
اغنيا وطعنوا فيهم ايضا بانهم منافقون فقال ولا اعلم الغيب حتى اعرف كيفية باطنهم
وانما تطبيق بنا الاحوال على الظواهر وطعنوا فيه ايضا انه من البشر فقال ولا اقول اني
ملك حتى تقوا عني ذلك وحينيذ فالاية ليس فيها ذلك فان قيل في هذه الاية دلالة على
ان طرد المومنين لطلب مرضاة الكفار من اصول المعاصي فكيف طرد محمد صلى الله عليه
وسلم بعض فقرا المومنين لطلب مرضاة الكفار حتى عاتبه الله تعالى في قوله ولا تطرد الذين

الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي اجيب بان الطرد المذكور في هذه الاية
محمول على الطرد المطلق على سبيل التاديب والطرد المذكور في واقعة محمد صلى الله عليه وسلم
محمول على التبعيد في اوقات معينة لرعاية المصلحة ولما ان الكفار اوردوا تلك الشبه
واجاب نوح عليه السلام عنها بالجوابات الموافقة الصحيحة اوردوا عليه كلامين
الاول ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا اي خاصمتنا فاكثرت
جدالنا اي فاطنبت فيه وهذا يدل على انه عليه السلام كان اكثر الجدال معهم وذلك
الجدل مكانا لاي اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وهذا يدل على ان الجدال في تقرير
الدلايل واماطة الشبهات حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلى ان التقليد هو
الجهل حرفة الكفار الثاني ما ذكره الله تعالى عنهم في قوله تعالى فاتنا بما تعدنا اي من
العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا
قال لهم عليه السلام في جواب ذلك انما يأتيكم به الله ان شاء تعجيله لكم فان امره البه عجله
ان شاء وان شاء اخره لا الي وما انتم بمعجزين اي بفايتين الله ولما اجاب نوح عليه
السلام عن شاتهم ختم الكلام بخاتمة فاطمة فقال ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح
لكم ان كان الله يريد ان يغويكم اي يضلكم وجواب الشرط دل عليه ولا ينفعكم نصحي
وتقدير الكلام ان الله يريد ان يغويكم ان اردت ان انصح لكم فلا ينفعكم نصحي
فهو من باب اعتراض الشرط على الشرط وظير ذلك ما لو قال رجل لزوجته انت طالق ان
دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق فيشترط وجود الحكم ووقوع الشرط
الثاني قبل وقوع الاول وفي الاية دليل على ان الله تعالى قد يريد الكفر من العبد فانه
اذا اراد منه ذلك فانه يمتنع صدور الايمان منه هو ربكم اي خالقكم والمتصرف فيكم وفق
ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم قال تعالى ام اي بل يقولون افتراه
اي اختلقه وجايه من عند نفسه والاصل ترجع الي الوحي الذي بلغه اليهم ثم لما ان قدرة
فعلي اجرامي وهذا من باب حذف المضاف لان المعني فعلي اثم اجرامي والاجرام اقتراف
المحظور وفي الاية محذوف اخر وهو ان المعني ان كنت افتريته فعلي عقاب جرمي وان كنتم
صادقا وكذبتموني فعليكم عقاب ذلك التكذيب الا انه حذف هذه البقية لدلالة الكلام
عليها وانا بريء مما تجرمون اي من عقاب جرمكم في اسنادكم الافتراء الي فنبه بهذا على
ان هذا من بقية كلام نوح عليه السلام مع قومه وقال مقاتل ام يقولون اي المشركون
من كفار مكة افتراه اي محمد صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه وهذه الاية

وقعت

وقعت في قصة محمد صلى الله عليه وسلم في اثناء قصة نوح عليه السلام قال الرازي
وهو بعيد جدا واوحي الي نوح انه لن يؤمن من قومك اي لن يسلم على الايمان
لقوله تعالى الا من قد امن قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى
يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج اليهم فيخبرهم
ويدعوهم الي الله تعالى وروي ان شيخا منهم جاء متوكيا على عصاة ومعه ابنه وقال
لابنه لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابتاه امكنني من العصي فاخذها
من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحي الله تعالى اليه
انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس اي تحزن عليهم فاني منتقم لك
ما كانوا يفعلون من الشرك وتتذكر منهم فحينيذ دعا عليهم نوح عليه السلام فقال رب
لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكي محمد بن اسحاق عن عبيد بن عمير الليثي
انه بلغه انهم كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشي عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي
فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وهم ينظرون من الجيل
الي الجيل فلا يأتي قرن الا كان اخبث من الذين قبلهم ولقد كان يأتي القرن الاخر منهم فيقول
قد كان هذا الشيخ مع ابائنا واجدادنا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا فشكى الي الله تعالى
فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا حتى قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
فاوحى الله تعالى اليه واصنع الفلك اي السفينة باعيننا قال ابن عباس بمرأى منا
وقال مقاتل بعلمنا وقيل بحفظنا ووحينا اي بامرنا لك كيف تصنعها ولا تخاطبني
في الذين ظلموا اولا ترا جعني في الكفار ولا تدعني في استدفاع العذاب عنهم انهم
مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الا الي كفه وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان
وامرأتك واعلة فانهما هالكتان لكفرهما مع القوم ويروي ان جبريل عليه السلام اتى نوحا
فقال ان ربك يأمرك ان تصنع الفلك قال كيف اصنع وليست بايدينا قال ان ربك يقول اصنع
فانك بأعيننا فاخذ القدوم فجعل يأخذ ولا يخطي وصنعها فعملها مثل جوجو الطير وفي
قوله تعالى ويصنع الفلك قولان احدهما انه حكاية حال ماضية اي في ذلك الوقت كان
يصدق عليه انه يصنع الفلك الثاني التقدير فاقبل يصنع الفلك فاقتصر على قوله
ويصنع الفلك ثم ان نوحا عليه السلام اقبل على عملها ولهي عن قومه وجعل يقطع الخشب
ويضرب الحديد وهي عدة الفلك من القار وغيره وجعل قومه يمرون عليه ويسخرون منه
كما قال تعالى وكلما مر عليه ملا اي جماعة من قومه سخروا منه اي استهزءوا به ويقولون

يانوح قد صرن بحارا بعد النبوة فاعقم الله تعالى ارحام نسائهم فلا يولد لهم قال ابن عباس
رضي الله عنهما اتخذ نوح عليه السلام السفينة ثلاثمائة ذراع وكانت من خشب الساج
وجعل لها ثلاثة بطون فجعل في البطن الاول الوحوش والهوام وفي البطن الاوسط الدواب
والركب هو ومن معه البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وقال قتادة كان بابها وعرضها
وروي عن انس كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين
قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا يشهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم
حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا
الله ورسوله اعلم قال كعب بن حازم قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله
فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام هكذا
هلكت قال لا ولكن مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة فمت ثم متيت قال احدثنا
عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقة
طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطاير ثم قال له عد باذن الله
كما كنت فعاد ترابا قال البغوي والمعروف ان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا
قال مكث نوح مائة سنة يغرس الاشجار ومائة سنة يهل الفلك وعن كعب الاحبار
ان نوحا عمل السفينة في ثلاثين سنة وروي انها كانت ثلاث طبقات الطبقة السفلى
للدواب والوحوش والطبقة الوسطى فيها الانس والطبقة العليا فيها الطير فلما
كثرت اذى الدواب اوحى الله تعالى الى نوح عليه السلام ان اغمز ذنب الفيل فوقع
فوقع منه خنزير وخنزيرة فاقبلا على الروث وطفا الفار في السفينة فجعل يقرض
احبالها فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بين عيني الاسد فضرب فخرج من منخره سنور
وسنورة وهما القط فاقبلا على الفار فاكلاه قال الرازي واعلم ان هذه المباحث
لا تعنيني لانها امور لا حاجة الى معرفتها البتة ولا يتعلق بمعرفتها فايدة البتة
فكان الخوض فيها من باب العضول لا سيما مع القطع بانه ليس هاهنا ما يدل على الجانب
الصحيح والذي يقطع به انها كانت في السعة بحيث تسع المومنين من قومه وما آمن معه
اليه والحصول فيها من كل حيوان لان هذا القدر مذكور في القرآن وما لم يقم معه
الا قليل فاما تعيين ذلك القدر بقدر معلوم قال الله لما سخر وامنه ان تسخروا منا فانا
نسخر منكم كما تسخرون اذا نجونا وغرقتم فان قيل السخرية لا تليق بمنصب النبوة اجيب
بان ذلك قد ذكر على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام كما في قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها

مثلها والمعنى ان تسخروا منا فستورون عاقبة سخريتكم وهو قوله تعالى فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه اي يبينه في الدنيا وهو الغرق ويحل عليه في الاخرة عذاب
مقيم وهو النار التي لا انقطاع لها وقوله تعالى حتى اذا جاء امرنا باهلاكهم غاية لقوله
ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدا بعدها
الكلام واختلفوا في التنور في قوله تعالى وفار التنور فقال عكرمة والزهري
هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء فار على وجه الارض
فاركب السفينة وروي عن علي رضي الله عنه قال فار التنور وقت طلوع الفجر
وهو الصحيح وقال الحسن ومجاهد والشعبي انه التنور الذي يخبز فيه وهو قول
اكثر المفسرين فوجب حمل اللفظ عليه وهو الا اختلفوا امام من قال انه تنور لنوح ومنهم من قال انه كان
لادم عليه السلام قال الحسن كان تنورا من حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار الى نوح
فقيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب السفينة انت واهلك
واختلفوا ايضا في موضعه فقال مجاهد والشعبي كان في ناحية الكوفة وكان النخعي
يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة وقال اخذ نوح السفينة في جوف مسجد
الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي كنده وكان فوران الماء منه علما لنوح وقال
مقاتل كان ذلك تنور ادم عليه السلام وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروي
عن ابن عباس انه كان بالهند ومعنى فار نبع على قوة وشدة تقول العلمان المذكر عند
قوة النار والاية ان التنور لا يفور والمراد فار الماء من التنور فلما فار امر الله تعالى
نوحا عليه السلام ان يحمل في السفينة ثلاثة انواع من الاشياء الاول قوله تعالى قلنا
احمل فيها اي السفينة من كل زوجين اثنين والزوجان عبارة عن كل شيء يكون احدهما
ذكرا والاخر انثى والتقدير من كل شيء هما كذلك فاحمل منهما في السفينة اثنين واحد ذكر
وواحد انثى وفي القصة ان نوحا عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين
فخر الله تعالى اليه الباع والطير فجعل يضرب بيده يمينا وشمالا في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى
والانثى في يده اليسرى فيحملهما في السفينة وقراء خمص بتنوين لام كل اي واحمل من كل
زوجين اثنين الذكر زوج والانثى زوج فان قيل ما الفايدة في قوله زوجين اثنين والزوجان
لا يكونان الا اثنين اجيب بان هذا على مثال قوله تعالى لا تتخذوا الهين اثنين وقوله تعالى

نجية واحدة والباقون بغير تنوين فهذا السوال غير واراد النوع الثاني من الاشياء التي
امر الله تعالى نوحا عليه السلام ان يحملها في السفينة قوله تعالى واهلك وهم ابناوه وزوجته
وقوله تعالى الا من سبق عليه القول بانه من الغرقين وهو ابنه كنعان وامه واعلة
وكان الكافرين حكم الله تعالى عليهما بالهلاك بخلاف سام وحام ويافث وزوجاتهم ثلاثة
وزوجته المسلمة فان قيل الانسان اشرف من سايرالحيوانات فلم بدا بالحيوان اجيب
بان الانسان عاقل فهو لعقله مضطر الى دفع اسباب الهلاك عن نفسه فلا حاجة فيه الى الطبا لغة
في الترغيب بخلاف الغير في تخليص سايرالحيوانات فلهذا السبب وقع الابتداء به النوع الثالث
من الاشياء التي امر الله تعالى نوحا عليه السلام بحملها في السفينة قوله تعالى وما امن معه الا قليل
قال قتادة وابن جريج لم يكن معه في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته المسلمة وثلاث بنين له
وهم سام وحام ويافث ونساؤهم وقال ابن اسحاق كانوا عشرة سوى بنيهم نوح وبنوه
الثلاثة وستة الا من ممن كان امن به وازواجهم جميعا وقال مجاهد كانوا اثنين وسبعين نفرا
رجلا وامراة وعن ابن عباس قال كان في سفينة نوح ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال
الطبري والصواب من القول في ذلك ان يقال كما قال الله تعالى وما امن معه الا قليل فوصفهم
بالقلة فلم يجد عددا يمقدار فلا ينبغي ان يجاوز في ذكر حد الله تعالى اذ لم يرد عدد في كتاب الله
تعالى ولا في خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم نحو ذلك عن الرازي وقال
مقاتل حمل نوح معه في السفينة جسد ادم عليه السلام فجعله معترضا بين الرجال والنساء
وقصد نوح عليه السلام جميع الدواب والطير فحملها وقال ابن عباس اول ما حمل نوح الذرة
واخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح
يقول ويحك ادخل فيدخل فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان معك الشيطان فدخلت الكلمة
على لسانه فلما قالها خلى ان الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال نوح ما ادخلك علي
يا عدو الله قال الم تقل ادخل وان كان معك فكان معه على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال
الرازي واما الذي يروى ان ابليس دخل السفينة فبعيد لانه من الجن وهو جسم ناري وهو
اي تكوين يوثر الغرق وايضا كتاب الله تعالى لم يدل عليه ولم يرد في ذلك خبر صحيح فالاولى ان يترك
الخوض في ذلك قال البغوي وروي بعضهم قال ان الحية والعقرب انيا نوحا عليه السلام فقالوا
احملنا معك فقال انكما سبب البلا فلا احملكما فقالتا احملنا فانا نضمن لك ان لا نضر احدا ذكر عنك فحملهما
بخان مضرتهما سلام علي نوح في العالمين لم يضراه وقال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض
فاما ما يتولد من الطين من حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيا وقال نوح لمن معه اركبوا

اي صيروا

اي صيروا فيها اي السفينة وجعل ذكر ركبوا بالاتيان في الكلام كبه في الارض وقوله بسم الله
مجراها ومرساها متصل باركبوا احالا من الواو في اركبوا اي اركبوا فيها مسمين الله
او قابلين بسم الله وقت اجرايها وارسايها قال الضحاك كان نوح اذا اراد ان تجري
السفينة قال بسم الله جرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله رست وقرا حفص وحمزة هو
والكسائي بنصب الميم من جرت ورست اي جريها ورسوها وهما مصدران والباقون بضم الميم
من اجريت وارسيت اي بسم الله لجراوها وارساوها واما الالف بعد الراء ابو عمرو وحفص وحمزة
والكسائي محضية وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وذكروا في عامل الاعراب في بسم الله وجوها
الاول اركبوا بسم الله الثاني ابدوا بسم الله الثالث بسم الله اجراوها ان ربي لغفور رحيم اي
لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وقوله تعالى وهي تجري بهم متعلق بمحذوف دل عليه
اركبوا اي فاركبوا مسمين الله تعالى وهي تجري وهم فيها في موج وهو ما ارتفع منه الماذا
اشتد عليه الريح كالجبال في عظمه وارتفاعه عليجا ما قال العلما بالسير ارسل الله تعالى المطر اربعين
يوما وليلة وخرج الماء من الارض فذلك قوله تعالى ففتحنا ابواب السما بماء منهمر وفجرنا
الارض عيونا فالتقى الماء على امر قد قدر فصار الماء نصفين نصف من السما ونصف من الارض
وارتفع الماء على اعلا جبل واطوله اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر ذراعا حتى اغرق كل شي
وروي انه لما كثر الماء في السفينة خافت امراة علي ولدها من الغرق وكانت تحبه حبا شديدا
فخرجت به الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما بلغها
الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب
بها الماء فلو رحم الله تعالى منهم احدا لرحم هذه المراة وما قيل من ان الماء طبق ما بين الارض
وكانت السفينة تجري في جونة كما تسبح الحمامة فليس بثابت قال البيضاوي والمشهور
انه علا على اشوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا فان صح اي انه طبق ما بين السما والارض فلعل
ذلك اي ما ذكرت على الموج بعد التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وكان كافرا كحامر وقيل
كان اسمه يام وكان في معزل عزل فيه نفسه اما عن ابيه او دينه ولم يركب معه واما
عن السفينة واما عن الكفار كانه انفرد عنهم وظن نوح عليه السلام ان ذلك الماء كان
لانه احب مفارقتهم ولذلك ناداه بقوله وابني اركب معنا في السفينة وقراعاصم بفتح الياء
انتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يابنيا والباقون في الكسر
في الاصل للرد على يا الاضافة المحذوفة كما قال الشاعر ٥٥ يا ابنة عمي لا تلومي واهجعي ٥٥ ثم حذف الالف للتخفيف ولا تكن مع الكافرين اي في دين ولا مكان فتهلك

ولما قال له ذلك قال سآوي اي التجي واصير الى جبل يعصمني اي يمنعني مد الما
قال له نوح عليه السلام لا عاصم اي لا مانع اليوم من امر الله اي من عذابه وقوله
الا من رحم استثنا منقطع كانه قيل ولكن من رحمه فهو المعصوم كقوله تعالى
مالهم به من علم الا اتباع الظن وقيل الا من رحم اي لا الراحم وهو الله تعالى وقيل
الا مكان من رحمه الله فانه مانع منه ذلك وهو السفينة وحال بينهما اي بين نوح
وابنه او بين ابنه والجبل الموج المذكور في قوله موج كالجبال فكان ابنه من المغرقين
اي نصار من المهلكين بالما ولما تناهى الطوفان واغرق قوم نوح قيل اي قال الله
تعالى او ملك بامره تعالى يا ارض ابلعي ماك اي اشربيه وياسما اقلعي اي امسكي ماك
فادا هما بما ينادي به الحيوان المميز على لغط التخصيص والاقبال عليها بالخطاب
من بين سايل المخلوقات ثم امرهما بما يوبر به اهل التميز والعقل تمثيلا لكمال
انقيادهما لما يشا تكوينه بهما وهنا همزتان مختلفتان من كلمتين الاولى مضمومة
والثانية مفتوحة قرا ابو عمرو ونافع وبن كثير بابدال الثانية واوا خالصة والباقون
بالتحقيق وغيض الما اي نقص وذهب وقرا هشام والكسائي باشمام الغين وهو ضم
الغين قبل الياء والباقون بالكسر وكذا وقيل وقضي الامر اي وانجز ما وعد من اهلاك
الكافرين وانجا المومنين اي استقرت السفينة واستوت على الجودي وهو جبل بالجزيرة
قريب من الموصل وقيل اي قال الله تعالى او ملك بامره بعدا اي هلاكا للقوم الظالمين
وجي اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبريا وان تلك الامور العظام
لا تكون الا بفعل فاعل قادر ويكون مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشاركه في افعاله
فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماك ويا سما اقلعي ولا ان يقتضي ذكر الامر
الهايل غيره ولا ان تستوي على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره وروي
ان السفينة لما استقرت بعث نوح عليه السلام الغراب لياتيه بخبر الارض فوقع على
جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجات بورق زيتون في منقارها وطلخت رجليها بالطين
فعلم نوح ان الماء قد نقص فقيل انه دعا على الغراب بالخوف فلذا الى الان البيوت وطوق
الحمامة الخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم تالف البيوت وروي ان نوحا ركب السفينة
لعشر مضت من رجب وجرت بهم السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت العتيق وقد رفعه الله
تعالى من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعا واودع الحجر الاسود في جبل ابي قبيس
وهبط نوح ومن معه في السفينة يوم عاشور فصامه نوح وامر من معه بصيامه تشكر الله تعالى

وبنوا قرية

وبنوا قرية بقرب الجبل وسميت سوق ثمانين فهي اول قرية عمرت على وجه الارض بعد
الطوفان وقيل انه لم يبق احد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الما يصل الى
حجزته وهذا الاياتي على القول باطباق المفاهذا القايل وسبب نجاته ان نوحا احتاج الى
خشب يشاج للسفينة فلم يمكنه قطعه فحمله عوج اليه من الشام فنجا بما سبق من الغرق
بذلك فان قيل كيف اغرق الله تعالى من لم يبلغ الحلم من الاطفال اجيب بانه تعالى يتصرف
في خلقه لا يسال عما يفعل وقيل انه لله تعالى اعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فلم يولد لهم
تلك المدة ونادى نوح ربه اي دعاه وساله فقال رب ان ابني من اهلي وقد وعدتني
ان ينجيني واهلي وان وعدك الحق اي الصدق الذي لا خلف فيه وانت احكم الحاكمين لانك
اعلمهم واعدلهم فان قيل اذا كان النداهو قوله فاربه فكيف عطف قال رب على نادى بالفا
اجيب بان الفا تفصيل المجمل نادى مثلها في فتوضا فغسل وقيل نادى اي اراد ندا ه فقال
رب قال الله تعالى له يا نوح انه اي هذا الابن الذي سالت نجاته ليس من اهلك اي المحكوم
بنجاتهم لايمانهم وكفره ولهذا علل بقوله تعالى انه عمل غير صالح وقرا الكسائي بكسر الميم ونصب
اللام بغير تنوين ونصب الرا اي عمل الكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح والباقون بفتح الميم
ورفع اللام منونة ورفع الرا اي ذو عمل غير صالح او صاحب عمل غير صالح فجعل ذا نفس العمل
للمبالغة كقول الخانصق ناقة تزيغ فانما هي اقبال وادبار واختلف علما النفير هل كان ذلك
الولد بن نوح او لا على اقوال الاول وهو قول بن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك
والاكثرون انه ابنه حقيقة ويدل عليه انه تعالى نص عليه فقال وناداي نوح ابنه
ونوح ايضا نص عليه فقال يا بني وصرف هذا اللفظ الى انه ربيبه واطلق عليه اسم الابن
لهذا السبب صرف الكلام عن حقيقته الى مجازه من غير ضرورة القول الثاني انه كان من
ابن امراته وهو قول محمد بن علي الباقر وقول الحسن البصري القول الثالث وهو قول مجاهد
والحسن انه ولد حيث ولد على فراشه ولم يعلم نوح بذلك واحتج هذا القايل بقوله تعالى
في امراة نوح وامراة لوط كانتا تحتا عبدين من عبادنا قال الرازي وهذا قول خبيث يجب صون منصب الانبيا
عن هذه الفضيحة لا سيما وهو خلاف نص نص القران وقد قيل لابن عباس ما كانت تلك الخيانة
فقال كانت امراة نوح تقول لزوجي مجنون وامراة لوط تدل الناس على ضيفه اذا نزل به
فلا تسالني عما ليس لك به علم اي بما لا تعلم اصواب هو ام لا لان اللايق بامثالك منا والي القرب منا
امورهم على التحقيق وقرا نافع وبن كثير وبن عامر بفتح اللام وتشديد النون والباقون بكسر اللام
وتخفيف النون واثبت اليا بعد النون في الوصل دون الوقف ورش وابو عمرو وحذفها الباقون

وقفا ووصلا اني اعظك اي بمواعظي كراهة ان تكون من الجاهلين قال متلطفا لون
وانما سمي نداه سوالا لتضمنه ذكر الوعد بنجاة اهله واستجازه في شان ولده قال
نوح رب اني اعوذ بك ان اي منك ان اسالك في شيء من الاشياء ما ليس لي به علم تادبا
بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي اي الان ما فرط مني وفي المستقبل ما يقتضي وترحمني
اي تتفضل علي وتعمها وتكرمني اكن من الخاسرين اي الفريقين في الخادة فان قيل هذا
يدل على عدم عصمة الانبياء لوقوع هذه الزلة من نوح عليه السلام اجيب بان الزلة انما صدرت
من نوح انما هي كونه لم يستقص ما يدل على نفاق ابنه وكفره لان قومه كانوا على ثلاثة
اقسام كافر يظهر كفره ومومن يخفي ايمانه ومنافق لا يعلم حاله في نفس الامر وقد كان حكم
المومنين هو النجاة وحكم الكافرين هو الغرق وكان ذلك معلوما واما اهل النفاق فبقي امرهم
مخفيا وكان ابن نوح منهم وكان يجوز فيه كونه مومنا وكانت الشفقة المفرطة التي تكون للاب
في حق الابن تحمله على حمل افعاله وافعاله لا على كونه كافرا بل على الوجوه الصحيحة هو
فاخطا في ذلك الاجتهاد كما وقع لادم عليه السلام في الاكل من الشجرة فلم يصدر عنه الا الخطا
في الاجتهاد فلم تصدر عنه معصية فلجا الى ربه تعالى وخضع له ودعاه وساله المغفرة هو
والرحمة كما قال ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
لان حسنات الابرار سيئات المقربين قيل اي قال الله تعالى او ملك بامره يا نوح اهبط اي
انزل من السفينة او من الجبل الى الارض المستوية بسلام اي بعظيم وامن وسلامة منا وذلك
ان الغرق لما كان عاما في جميع الارض فعند ما خرج نوح عليه السلام من السفينة علم
انه ليس في الارض شيء مما ينتفع به من النبات والحيوان فكان كالخايف في انه كيف يعيش
وكيف يدفع جوعان الحاجات عن نفسه من الماكول والمشروب فلما قال الله تعالى
اهبط بسلام منا زال عنه ذلك الخوف لان ذلك يدل على حصول السلامة وان لا يكون الا
مع الامن وسعة الرزق ثم انه تعالى لما وعده بالسلامة اردفه بان وعده بالبركة بقوله تعالى
وبركات عليك وهو عبارة عن الدوام والبقاء والثبات لان الله تعالى صير نوحا ابا البشر
لان جميع من بقي كانوا من نسله لان نوحا لما خرج من السفينة مات كل من كان معه فلم يبق
من ذريته ولم يحصل النسل الا من ذريته فالخلق كلهم من ذريته ويدل على ذلك قوله تعالى
نسله اوانه لم يكن معه في السفينة الا من كان من نسله وذريته وعلى التقديرين فالخلق
كلهم من ذريته ويدل على ذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين فثبت ان نوحا كان ادم
الاصغر فكان ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان كلهم منه ومن ذريته وكان بين نوح وادم

ثمانية اجداد وقوله تعالى وعلى امم ممن معك يحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم
الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم
وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشية ممن معك وهي الامم الى اخر الدهر قال الكلبي
وهو الوجه وقوله تعالى وامم بالرفع على الابتداء وقوله تعالى سنمتعهم اي في الدنيا صفة
والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه
والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مومنين ينشاون ممن معك وممن بعدك
امم يمتعون ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة وهم الكفار وعن محمد بن كعب القرظي
دخل في ذلك السلام كل مومن ومومنة الى يوم القيامة وفيما يعده من المتاع والعذاب
كل كافر وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب وما اشرح قصة
قصة نوح عليه السلام على التفصيل قال تعالى تلك اي قصة نوح التي شرحناها
ومحل تلك رفع على الابتداء وخبرها من انباء الغيب اي من الاخبار التي كانت غايبة
عن الخلق وقوله تعالى نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك وقوله تعالى
ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي نزول القران خبر اخر والمعنى ان هذه
القصة مجهولة عندك وعند قومك من قبل اخبارنا اليك ونظير هذا ان يقول انسان
لاخر لا يعرف هذه المسيلة لا انت ولا اهل بلدك فان قيل قد كانت قصة طوفان نوح هو
مشهورة عند اهل العلم اجيب بان ذلك كان بحسب الاجمال واما التفاصيل المذكورة
هنا كانت معلومة او بانه صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يعلمها
وكذلك كانت تلك القصة ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصبر اي انت وقومك على ايذاء
هولا الكفار كما صبر نوح وقومه على ايذاء اوليك الكفار ان العاقبة للمتقين اي الشرك
والمعاصي وفي هذا تنبيه على ان الصبر عاقبته النصر والفرج والرزق وكما كان لنوح هو
وقومه فان قيل هذه القصة ذكرت في يونس لما الحكمة والفايدة في اعادتها اجيب بان
القصة الواحدة قد ينتفع بها من وجوه فعني السورة الاولى كان الكفار يستعجلون نزول
العذاب فذكر تعالى قصة نوح في بيان ان قومه كانوا يكذبونه بسبب ان العذاب ما كان يظهر ثم
في العاقبة ظهر ذلك فاذا في عاقبة محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه السورة ذكرت لاجل انا الكفار
كانوا يبالغون في الايحاش فذكرها الله تعالى لبيان ان اقدام الكفار على الايذاء والايحاش كان
حاصلا في زمن نوح عليه السلام فلما صبر فان فكن يا محمد كذلك لتنال المقصود والمكان وجه
الانتفاع بهذه القصة في كل سورة من وجه اخر لم يكن تكريرها خاليا عن الحكمة والفايدة هو

القصة الثانية من القصص التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة هود عليه
اللام المذكورة في قوله تعالى والى عاد اي وارسلنا الى عاد اخاهم فهو معطوف على
قوله تعالى نوحا وقوله تعالى هودا عطف بيان ومعلوم ان تلك الاخوة ما كانت في الدين
وانما كانت في النسب لان هودا كان رجلا من قبيلة عاد قبيلة من العرب كانوا باحقاف
اليمن فان قيل انه تعالى قال في ابن نوح انه ليس من اهلك فبين ان قرابة النسب لا تفيد
اذا لم تحصل قرابة الدين وهنا اثبت هذه الاخوة مع الاختلاف في الدين اجيب بان
قوم محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يستبعدون ان يكون رسولا من عند الله مع انه
واحد من قبيلتهم فذكر الله تعالى ان هودا كان واحدا من عاد وان صالحا كان واحدا
من ثمود دلالة هذا الاستبعاد وما تقدم امر نوح عليه السلام مع قومه استشرف
السامع الى معرفة ما قال هود عليه السلام هل هو مثل قوله او لا فاستانف الجواب بقوله
قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوه والتركوا معه شيأ في العبادة ما لكم من اله غيره اي
هو الكم لان هذه الاصنام التي تعبدونها ما انها حجارة لا تضر ولا تنفع فان قيل كيف دعاهم
الى عبادة الله قبل اقامة الدليل على ثبوت الاله اجيب بان دلايل وجود الله تعالى ظاهرة
وهي دلايل الافاق والانفس وقل ما يوجد في الدنيا طايفة ينكرون وجود الاله ولذلك
قال تعالى في صفة الكفار ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقرا ابان
بكسر الراء الباقون بالرفع صفة على محل الجار والمجرور ومعنى اعبدوا قولوا
ان انتم الا مفترون اي كاذبون في عبادتكم غيره وكرر قوله يا قوم للاستعطاف وقوله لا اسالكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني اي خلقني خاطب به كل رسول قومه ازالة للتهمة و
تحريضا للنصيحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون اي افلا تستعملون
عقولكم تتفرقوا الحق من المبطل والصواب من الخطا تستغفروا ربكم ثم قال ويا قوم ايضا لما ذكر
استغفروا ربكم اي استوابه ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصلح الا بعد الايمان
يرسل السماء اي المطر عليكم مدرارا اي كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم اي ويضاعف قوتكم
وانما عرفهم بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زرع ومساتين وبحالة
حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مذلين بخيرهم بما اوتوا من شدة
القوة والبطش والباس والنجدة مهابين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل
القوة على النكاح وقيل جب عنهم المطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسايهم وعن محمد
بن علي رضي الله تعالى عنهما انه وفد على معاوية فقال له ما اعلمك بنسب ولا اعلم

ولما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيأ لعل الله يرزقني
ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد
سبعمايئة مرة فولد له عشرون فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سالته مما قال ذلك فوجد مرة
اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم
باموال وبنين ولا تقولوا اي ولا تعرضوا عن قبول قولي وتصروا حالة كونكم مجرمين
اي مشركين اي وما حاجي الله تعالى عن هود ما ذكره لقومه حكى ما ذكره قومه له وهو اشيا
اولها ما ذكره تعالى بقوله قالوا يا هود ما جيتنا ببينة اي بحجة تدل على صحة دعواك
وسميت بينة لانها تبين الحق ومن المعلوم انه عليه الصلاة والسلام كان قد اظهر لهم
المعجزات الا ان القوم لجهلهم انكروها وزعموا انه ما جاء بشيء من المعجزات وثانيها قولهم
وما نحن بتاركي الهتنا اي عبادتها وقولهم عن قولك اي صادرين عن قولك حال من الضمير
في تاركي وهذا ايضا من جهلهم فانهم كانوا يعرفون بان النافع والضار هو الله تعالى
وان الاصنام لا تضر ولا تنفع وذلك حكم فطرة العقل وبديهة النفس وثالثها قولهم وما نحن لك
بمومنين اي مصدقين وفي ذلك اقناط له من الاجابة والتصديق ورابعها قولهم ان نقول
الا اعتراك اي اصابك بعض الهتنا بسوء لسبكا ياها فجعلتك مجنونا واذهبت
عقلك ثم انه تعالى ذكر انهم لما قالوا ذلك قال هود عليه السلام مجيبا لهم اني اشهد الله على
واشهدوا انتم ايضا على اني بريء مما تشركون من دونه اي الله وهو الاصنام التي كانوا يعبدونها
فكيدوني اي احتالوا في هلاكي جميعا انتم واصنامكم ثم لا تنتظرون اي لا تمهلون
ثم لا تنظرون اي تمهلون وهذا فيه معجزة عظيمة لهود عليه السلام لانه كان وحيدا في قومه
وقالهم هذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت ثقة بالله تعالى كما قال
تعالى اني توكلت على الله ربي وربكم اي فوضت امري اليه واعتمدت عليه ما من دابة الا هو
ويدخل في هذا جميع بني ادم والحيوان لانهم يدبون على الارض الا هو اخذ بناصيتها اي مالكها وقاهرها
فلا يقع نفع ولا ضر الا باذنه والناصية كما قال الازهري عند العرب منبت الشعر في مقدم الراس
وسمي الشعر النابت هنا ناصية باسم منبته والعرب اذا وصفوا انسانا بالذلة والخضوع قالوا
ما ناصية فلان الا بيد فلان وكانوا اذا اسروا الاسير ولاراد والاطلاقه والمنت عليه جزوا ناصيته
لكون ذلك علامة لتذلله فخاطبوا في القرآن بما يعرفون من كلامهم ان ربي على صراط مستقيم اي طريق
الحق والعدل فلا يظلم ولا يهمل الاحسان والانصاف فيجازي المحسن باحسانه والمسي بعصيانه وقوله

وقوله تعالى فان تولوا فيه حذف احدى التائين اي تعرضوا فقد ابلغتكم جميع ما
ارسلت به اليكم فان قيل الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزء الشرط اجيب بان
معناه فان تتولوا لم اعاتب على تقصير من جهتي وصرتم محجوجين لانكم انتم الذين لم تقبلوا
على التكذيب وقوله ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله عز اسمه يهلكهم
ويستخلف قوما اخرين في ديارهم واموالهم يوحدونه ويعبدونه ولا تضرونه اي الله
باشر اكم شيأ من الضرر اما تضرون انفسكم وقيل لا تنقصونه شيأ اذا اهلكم لان وجوده
وعدمكم عنده سواء ان ربي على كل شيء صغير او كبير حقير او جليل حفيظ اي رقيب
عالم بكل شيء وقادر على كل شيء فيحفظني ان تنالوني بسوء او حفيظ لاعمال العباد
حتى يجازيهم عليها او حفيظ على كل شيء يحفظه من الهلاك اذا شاء ويهلكه اذا شاء ولما
لم يجعلوا ولم يروا بينة ولا رغبة ولا رهبة وجاءهم امرنا اي عذابنا وذلك ما نزل بهم
من الريح العقيم عذبهم الله تعالى بها سبع ليال وثمانية ايام تدخل في مناخرهم وتخرج
من ادبارهم وترفعهم وتقرنهم على الارض على وجوههم حتى صاروا كاعجاز نخل خاوية
وهنا همزتان مفتوحتان من كلمتين قرأ قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الاولى
وتسهيل الثانية والباقون بتحقيقهما نجينا هودا والذين امنوا معه اي من هذا
العذاب وكانوا اربعة الاف برحمة منا لان العذاب اذا نزل عم المؤمن والكافر فلما نجا
الله تعالى المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من عذاب غليظ
هو عذاب الاخرة ووصف بالتغليظ لانه اعظم من عذاب الدنيا او نجيناهم هودا والذين امنوا
معه من ان يصل اليهم الكفار بسوء مع اجتهادهم في ذلك ونجيناهم من عذاب غليظ هو الريح
المذكورة ولما ذكر تعالى قصة عاد خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد
وهو اشارة الى قبورهم واثارهم كانه تعالى قال صيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا
ثم انه تعالى جمع اوصافهم ثم ذكر عاقبة احوالهم في الدنيا والاخرة اما اوصافهم فثلاثة
الصفة الاولى قوله تعالى جحدوا بايات ربهم اي بالمعجزات التي اتى بها هود عليه السلام الصفة
الثانية قوله تعالى وعصوا رسله اي هودا وحده وانما اتى به بلفظ الجمع اما لانه عظيم او لان
من عصى رسولا فقد عصى جميع الرسل لقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله الصفة
الثالثة قوله تعالى واتبعوا امر كل جبار عنيد اي ان العلة كانوا يعلدون الرؤساء في
قولهم ما هذا الا بشر مثلكم فاطاعوا من دعاهم الى الاعمال الكفر وما يردي بهم وعصوا من دعاهم الى الايمان
وما يردي بهم والجبار المرتفع المتمرد والعنيد والعنود والمعاند هو المناوئ المعارض وقال

تعالى اوصافهم ذكر احوالهم بقوله تعالى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة
اي جعل اللعنة ردفا لهم ومتابعا ومصاحبا في الدنيا وفي الاخرة ومعنى اللعنة الابعاد
من رحمة الله تعالى ومن كل خير وقيل اللعنة في الدنيا من الناس وفي الاخرة لعنة على
رؤوس الاشهاد ثم انه تعالى بين الاصلي في نزول هذه الاحوال المكروهة بهم
بقوله تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم فحذف الباء وان المراد بالكفر الجحد
اي جحدوا ربهم وقيل هو من باب حذف المضاف اي كفروا نعمة ربهم تنبيه الا اداة استفتاح
لا يذكر الا بين يدي كلام يعظم موقعه ويجل خطبه ثم قال الا بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك
والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل بهم بسبب جحدهم وانما كرر الاوعاد
ذكرهم تعظيما لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم وقوله تعالى قوم هود عطف بيان لعاد
وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى استحقاقهم للبعد بما جر عليهم
وبين هود القصة الثالثة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة قصة صالح عليه السلام
المذكورة في قوله تعالى والى ثمود وهم سكان الحجر اي وارسلنا الى ثمود اخاهم فهو معطوف
على قوله تعالى نوحا كما عطف عليه والى عاد وقوله تعالى صالحا عطف بيان وتلك الاخوة
كائنة في النسب لا في الدين كما مر في هود ثم اخرج قوله عليه السلام على تقدير سؤال بقوله
قال يا قوم اي يا امتي يعز علي ان يحصل لكم سوء عبدوا الله اي وحدوه وخصوه بالتوحيد
ما لكم من اله غيره اي هو الهكم المستحق للعبادة لا هذه الاصنام ثم ذكر الدلايل الدالة على
وحدانيته بقوله هو انشأكم اي ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني آدم وآدم خلق من
الارض او ان الانسان مخلوق من المني وهو متولد من الدم والدم متولد من الاغذية وهي
اما حيوانية واما نباتية فاما الحيوانات فحالها كحال الانسان فوجب انتهاؤها الكل الى النبات
والنبات تولد من الارض فثبت انه تعالى انشأ الانسان من الارض وقيل من يعني في قوله
تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة واستعمركم فيها اي جعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك
اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذا كان فيمن عاد
وروي ان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وحصلت لهم الاعمار
الطويلة قال نبي من انبيا ئهم ربه ما بال تلك الاعمار فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فتمكنوا
فيها عبادي واخذ معاوية في احيا الارض في اخر عمره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قوله الخ

ليس العتي بفتي لا يصاب به ولا يكون له في الارض اثارة وقال مجاهد عمركم فيها
اي جعل لكم ما عشتم واذا متم انتقلت الى غيركم وما بين عليه السلام عظمة الله تعالى بين لهم

طريق الرجوع اليه بقوله فاستغفروه اي امنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره
لان التوبة لا تصلح الا بعد الايمان وقدم مثل ذلك ان ربي قريب من خلقه بعلمه
لكل ما قبل عليه من غير حاجة الى حركة مجيب لكل من ناداه لا كمعبوداتكم في الامرين
ولما تبرهم عليه السلام هذه الدلايل قالوا له يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
اي العود الذي جبت به لما تري فيك من مخايل الرشيد والداد فانك كنت تقطن
علي قصورنا وتعين ضعيفنا وتقوم مرضانا فقوي رجاؤنا فيك ان تنصرد ينا فكيف
اظهرت العداوة ثم انهم اضافوا الى هذا التعجب الشديد قولهم انهانا ان نعبد
ما كان يعبد اباؤنا من الالهة ومقصودهم بذلك التمسك بطرق التقليد ووجوب
متابعة الاباء والاسلاف ونظير هذا التعجب ما حكاه الله تعالى عن كفار مكة حيث قالوا
اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ثم قالوا وانا لفي شك مما تدعونا اليه
من التوحيد وترك عبادة الاصنام مريب اي موقع في الريبة وهي قلق النفس و
وانتفاء الطمانينة باليقين والرجا تقلق النفس مجيء الخير على جهة الظن ونظيره الامل
والطمع والنهي المنع من الفعل بصيغة لا تفعل وقولهم هذا مبالغة في تزييف كلامه قال
صالح عليه السلام مجيبا لهم يا قوم ارايتم اي لخبروني ان كنت على بينة اي بيان وبصيرة
من ربي واتى بحرف الشك على سبيل الجزم ليلايم الخطاب حال المخاطبين وانا تيني منه رحمة
اي نبوة ورسالة فمن ينصرني اي يمنعني من الله اي عذابه ان عصيته اي ان خلفت امره
في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اي بامركم لي بذلك غير تخسير اي
تضليل قال الحسن بن الفضل لم يكن صالح في خسارة حتى يقول فما تزيدونني ونني غير تخسير
وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا تبيتي اياكم الى الخسارة ولما كانت العادة تجمد يدعي
النبوة عند قومه يعبدون الاصنام ان يطلبوا منه المعجزة وان صالح عليه السلام هكذا كان
يروي ان قومه خرجوا في عيدهم فقالوه ان يايتهم باية وان يخرج لهم من صخرة معينة اشاروا اليها
ناقة مذعاربة فخرجت كما سالوا اشار اليها بقوله ويا قوم هذه ناقة الله واضافتها الى الله اضافة
تشريف كبيت الله كم اية اي معجزة من وجوه احدها انه خلقها الله من الصخرة ثانيها انه
تعالى خلقها في خوف الجبل ثم شق الجبل عنها ثالثها انه تعالى خلقها حاملا من غير فحل ثم ولدت
فصيلا بشبهها رابعها انه تعالى خلقها على تلك الصورة دفعة واحدة خامسها ما روي انه كان
لها شرب يوم ولهم شرب يوم اخر سادسها انه كان يحصل منها اللبن الكثير يكفي
الخلق العظيم به فكل واحد من هذه الوجوه معجز قوي وليس في القران الا ان هذه الناقة كانت اية معجزة

واما بيان

واما بيان انها كانت معجزة من اي الوجوه فليس فيه بيانه تنبيه اية نصب على الحال وعاملها معنى
الاشارة وكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها ولو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال
ثم قال لهم فذروها اي اتركوها على اي حالة كان تركهم لها تاكل بما اردت في اوحى اليه من الغيب
والبيان فليس عليكم مونتها فصارت مع كونها اية لهم نعمة لهم ولا تتعرضوا لها بنحر كانوا ينتفعون بها
بلبنها ثم انه عليه السلام خاف عليها منهم لما شاهد من اصرارهم على الكفر فان الخصم اذا يجب ظهور حجة
خصمه بل يسعى في اخفايها وابطالها بالقصي الامكان فلهذا الاب كان يخاف من اقدامهم على قتلها
فلهذا احتاط وقال ولا تمسوها بسوء اي بعقر اوغيره ثم توعدهم بقوله فياخذكم ان تمسوها بسو
عذاب قريب اي في الدنيا لا يتاخر عن مسكم لها الا يسيرا وذكر تحذير شديد لهم في الاقدام على قتلها فالتو
عقروها وذبحوها فقال لهم عند بلوغه الخبر تمتعوا اي عيشوا في داركم والتمتع التلذذ بالمنافع
والملاذ التي تدرك بالحواس وذكر لا يحصل الا لحي وفي المراد من الديار وجهان احدهما البلد وتسمي البلاد
الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم الثاني دار الدنيا اي تمتعوا في الدنيا ثلاثة ايام
وذكر انهم لما عقروا الناقة انذرهم صالح عليه السلام بنزول العقاب بعد هذه المدة قال ابن عباس رضي الله تعالى
لما امهلهم تلك الايام الثلاثة فقد عجلوا في الايمان ثم قالوا لصالح عليه السلام وما علامة ذلك قال تصير وجوهكم
في اليوم الاول مصفرة وفي الثاني محمرة وفي الثالث مسودة ثم ياتيكم العذاب في اليوم الرابع فلما راوا وجوههم
مسودة ايقنوا بالعذاب فتحنطوا واستعدوا للعذاب فصبحهم في اليوم الرابع كما قال تعالى ذلك الوعد غير
الريبة في الصدق وعد غير مكذوب اي بينه فاشع في الظرف بحذف حرف واجرايه مجرى المفعول به كقوله ٥
ويوم شهدناه سليما وعامرا وغير مكذوب علي المجازاة وعد غير كذب علي انه صدق
وقوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا في تفسيره وقراة الهمزتين وعدد
الذين امنوا معه مثل ما تقدم في قصة عاد ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او دخولهم النار
يوم القيامة وقرا نافع والكسائي بفتح الميم من يومئذ على البنا لاضافتها الى مبني وكسرها الباقون على الاعراب والاول
ان ربك هو القوي فهو يغلب كل شيء العزيز اي القادر على منع غيره من غير ان يقدر احد عليه ثم اخبر تعالى
عن عذاب قوم صالح بقوله تعالى واخذ الذين ظلموا اي انفسهم بالكفر الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام صاح بهم
صيحة واحدة فهلكوا جميعا او اتاهم صيحة واحدة من السما تقطعت قلوبهم في صدورهم كما قال تعالى فاصبحوا في ديارهم
جاثمين الجاثمون على الركب مثنيين فتنبيه انما قال تعالى واخذ ولم يقل واخذتهم لان الصيحة محمولة على الصياح
وايضا فصل بين الفعل والاسم المونث بفاصل فكان الفاصل كالعوض من التانيث وقوله تعالى كان لم يغنوا
وانما هو فوق كانهم لم يغنوا اي يقيموا فيها اي ديارهم ولم يكثروا فيها مرة من الرهو تقول غنيت بالمكان اذا اقمت به
وقوله تعالى الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود تفسيره ما تقدم في قوله تعالى الا ان عادا كفروا ربهم الاية

وقراءة حفص وحمزة الا ان ثمود بغير تنوين للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة والباقون بالتنوين
للذهاب الى الحي او الى الاب الاكبر ومن نونه وقف على ~~الدال ساكنة وقرا الكسائي الحق على الدال~~
الالف بعد الدال ومن لم ينون وقف على الدال ساكنة وقرا الكسائي بعدا لثمود بتنوين ثمود مع كسر
لمام والباقون بغير تنوين مع الفتح لمام ايضا القصة الرابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه
السورة قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى
اي باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وقيل بشر بسلامة لوط وباهلاك قومه والمراد بالرسل
الملائكة ولفظ رسلنا جمع واقله ثلاثة واختلفوا في الزايد على ذلك واجمعوا على ان الاصل
فيهم كان جبريل عليه السلام واقتصر ابن عباس وعطا على اقل الجمع فقالا كانوا ثلاثة جبريل وميكاييل
واسرافيل وهم الذين ذكرهم الله تعالى في سورة الذاريات بقوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم
المكرمين وقال الضحاك كانوا تسعة وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل ومعه سبعة املاك وقال
السدي كان جبريل ومعه احد عشر ملكا على صورة الغلمان الذين يكونون في صورة حسن قال الزهري
ودخلت كلمة قد هاهنا لان السامع لقصص الانبيا يتوقع قصة بعد قصة وقد للتوقع ودخلت اللام
لتاكيد الخبر قالوا سلاما اي سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال
قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام تنبيه قوله سلام اكمل من قوله السلام لان التنكير يفيد
الكمال والمبالغة والتمام ولهذا مع وقوعه مبتدا لان النكرة اذا كانت موصوفة جاز جعلها مبتدا واما التعريف
فانه لا يفيد الا الماهية فان قيل فلا ياتي بما هي الاولى في التحلل من الصلاة عند النووي اجيب بان ذكر سنة
متبعة وقرا حمزة والكسائي بكسر السين وسكون اللام ولا الف بعدها والباقون بفتح السين واللام والف بعدها
قال الفرا ولا فرق بين القراءتين كما يقال حل وحلال وحرم وحرام وقيل سلم هو بمعنى الصلح اي نحن سلم صلح
غير حرب فما لبث ان جاء بعجل حنيذ اي فما ابطا مجيئه به والحنيذ المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض
وكان سمينا يقطر ودكا كما قال تعالى في موضع اخر فجاء بعجل سمين قال قتادة كان عامة مال ابراهيم البقر وروي
ان ابراهيم مكث خمس عشرة ليلة لم ياته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا ياكل الا معه فلما جا الملائكة راى
اضيافا لم ير مثلهم فعجل قراهم وجاء بعجل سمين مشوي فلما راى ايديهم اي الاضياف لا تصل اليه اي لا يمدونها
اليه نكرهم اي انكرهم وانكر حالهم لامتناعهم عن الطعام واوجس اي اضمر في نفسه منهم خيفة اي خوفا قال قتادة
وذلك انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف فلم ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يات بخير وانما جاء بشر قالوا لا تخف يا ابراهيم انا
ملائكة الله ارسلنا الى قوم لوط بالعذاب وانما لم نمد له ايدينا لانا لا ناكل وامراته اي ابراهيم سارة
وهي ابنة عم ابراهيم قايمة وراء الستر تسمع محاورتهم وعليه سهم الخدمة فسمعت البشارة بالولد التي دل
عليها ما يتم معنى قوله بالبشرى فضحكت سرورا من تلك البشرى لزوجها مع كبره وربما ظننته نعمتها

لانها كانت

لانها كانت عجوزا عقيما فازيل ذلك الظن عنها بقوله تعالى فبشرناها اي على لسان الملائكة تشريفا لها
وتعجيبا لها لانها باسحاق تلده ومن وراء اسحاق يعقوب اي يكون يعقوب عليه السلام
ابنا لاسحاق فتعيش حتى ترى ولد ولدها قال البقاعي والذي يدل على هذا التقدير من انهم بشروا
بالولد قبل امراته فسمعت فتعجب بما ياتي عن نص التوراة وساق عن التوراة عبارة مطولة وقيل
سبب ضحكها زوال الخيفة او هلاك اهل الفساد وقيل فضحكت فحاضت كما قال الشاعر
وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة ... اي حايضا في جماعة من الناس وهذا يرد على الفرا حيث قال
ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة وقال اخر ... يضحك الضبع لقتلى هذيل
اراد انها تحيض فرحا تنبيه هاهنا همزتان مكسورتان من كلمتين قرا قالون والبزي بتسهيل
الاولى مع المد والقصر وقرا ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدالها ايضا حرف مد وقرا ابو عمرو باسقاط
احدهما مع المد والقصر والباقون بتحقيق الهمزتين ولا الف بينهما قالت يا ويلتا هذه كلمة تقال عند
عظيم والالف مبدلة من يا الاضافة االد وانا عجوز وكانت ابنة تسعين سنة في قول وقال مجاهد
تسعة وتسعين سنة وهذا بعلي اي زوجي سمي بذلك لانه قيم امرها وقولها شيخا نصب على الحال
قال الواحدي وهذا من لطيف النحو وغامضه فان كلمة هذا للاشارة فكان قولها وهذا بعلي شيخا
قايم مقام ان يقال اشير الى بعلي حال كونه شيخا والمقصود تعريف هذه الحالة المخصوصة وهي الشيخوخة
وكان ابن ماية وعشرين سنة في قول ابن اسحاق وقال مجاهد ماية سنة وكان بين البشارة والولادة
سنة ان هذا لشيء عجيب اي ان يولد من هرمين فهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك
قالوا اي الملائكة لسارة اتعجبين من امر الله منكرين عليها ذلك اي لا تعجبين من ذلك فان الله تعالى
قادر على كل شي واذا اراد شيا كان سريعا فان خوارق العادات باعتبار اهل النبوة ومهبط المعجزات
وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس بمستغرب رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت اي بيت ابراهيم واهل
منصوب على المدح او على النداء لقصد التخصيص كقولهم اغفر لنا ايتها العصابة وهذا على معنى الدعاء من الملائكة
لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل بيته انه تعالى حميد اي محمود على كل حال او فاعل
ما يستوجب به الحمد مجيد اي كثير الخير والاحسان القصة الخامسة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة
قصة لوط عليه السلام المذكورة في قوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي الخوف وهو ما اوجس من الخيفة
حين انكر اضيافه واطمان قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع بالولد اخذ يجادلنا اي يجادل رسلنا
في شان قوم لوط وجواب لما اخذ يجادلنا الا انه حذف اللفظ لدلالة الكلام عليه وقيل تقديره لما ذهب
عن ابراهيم الروع جادلنا فان قيل كيف جادل ابراهيم الملائكة مع علمه بانهم لا يمكنهم مخالفة امر الله تعالى وهذا
منكر اجيب بان المراد من هذه المجادلة تاخير العذاب عنهم لعلهم يومنون ويرجعون عما هم فيه من الكفر

والمعاصي لان الملايكة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اوان مجادلته انما كانت في قوم لوط بسبب
مقام لوط فيهم ولهذا قال ابراهيم عليه السلام ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المومنين هم
اتهلكونها قالوا لا قال اوار بعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى قال فعشرون قالوا لا حتى
بلغ خمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها
لوطا وقد ذكر الله تعالى هذا في سورة العنكبوت فقال ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا
انا مهلكوا اهل هذه القرية ان اهلها كانوا ظالمين قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها
لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين قال بن جريج وكان في قرى لوط اربعة الاف
الف ولو كانت هذه المجادلة مذمومة ما مدحه بقوله تعالى ان ابراهيم لحليم اي لا يتعجل
مكافاة غيره بل ياتي فيه فيوخر او يعفو ومن هذا حاله يجب من غيره هذه الطريقة وهذا
مدح عظيم من الله تعالى لابراهيم عليه السلام ثم نعود الى ذكر ما يتعلق بالحلم وهو قوله اواه
اي كثير التاوه من الذنوب والتاسف على الناس منيب اي رجاع فلما اطال مجادلتهم قالوا له
يا ابراهيم اعرض عن هذا اي الجدال وان كانت الرحمة دينك فلا فايدة فيه انه قد جاء امر ربك
اي قضاوه الازلي بعذابهم وهو عالم بجاهم وانهم اتيهم عذاب غير مرود اي لا سبيل الى دفعه
ورده ولما جاءت رسلنا لوطا اي هولاء الملايكة الذين بشروا ابراهيم بالولد قال بن عباس انطلقوا
من عند ابراهيم الى لوط وهو بين اخي ابراهيم عليهما السلام وبين القريتين اربع فراسخ ودخلوا
عليه في صورة شباب مرد من بني ادم وكانوا في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملايكة الله تعالى
وضاق بهم اي حزن بسببهم وضاق بهم ذرعا اي صدرا يقال ضاق ذرع فلان بكذا
اذا وقع في مكروه لا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا نظر الى حسن وجوههم وحسن
ثيابهم فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عنه مقاومتهم وقيل ساءه ذلك لانه عرف
بالاخرة انهم ملايكة الله تعالى وانهم جاوا لاهلاك قومه فوقع قلبه على قومه وقال
هذا يوم عصيب اي شديد كانه قد عصب به الشر والبلاء اي شد به ما خوذ من
العصابة التي تشد بالراس قال قتادة خرجت الملايكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط
فاتوا لوطا نصف النهار وهو في ارضه يعمل فيها وروي انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى
لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه وانطلق بهم فلما مضى ساعة
قال لهم ما يلقى منكم اهل هذه القرية قالوا وما ارهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا
يقول ذلك اربع مرات وروي ان الملايكة جاوا الى بيت لوط فوجدوه في ارضهم ولم يعلم بذلك
احد الا اهل بيت لوط فخرجت امراته فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل

وجوههم

وجوههم قط وجاء قومه لما علموا بهم يهرعون اي يسرعون اليه قال بن عباس وقتادة
من الاهراع المشي بين مشيين ومن قبل اي قبل مجيهم الى لوط وقبل من قبل مجي الرسول اليهم
كانوا يعملون الخبائث اي الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهي اتيان الرجال في ادبارهم
قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم غلمان من بني ادم يا قوم هولا بناتي
قال مجاهد وسعيد بن جبير اراد بناته نساء قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبي هو ابو امته
كالوالد لهم اي فتزوجوا منهن وقيل اراد بنات نفسه عرضهن عليهم بشرط الاسلام وقيل كان
في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة يباح تزويج المراة المسلمة بالكافر كما تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وبن العاص بن الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل
كان لوط يريد ان يطاعن فاراد ان يزوجهما ابنتيه هن اطهر لكم اي انظف فعلا فان قيل افعل
التفضيل يقتضي كون الفعل الذي يطلبون طاهرا ومعلوم انه فاسد لانه لا طهارة في اتيان
الرجال اجيب بان هذا جاري مجرى قوله تعالى اذلك خير ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة
الزقوم لا خير فيها وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قالوا يوم احد اعل هبل قال الله اعلى واجل
ولا مماثلة بين الله تعالى والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة ولهذا نظاير كثيرة فاتقوا الله
واتركوه واتركوا ما انتم عليه من الكفر والمعاصي ولا تخزوني اي تفضحوني في ضيفي اي في ضيفاني
اليس منكم رجل رشيد يمنعني عما اتي الحق فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر قالوا لقد علمت
ما لنا في بناتك من حق اي حاجة وانك لتعلم ما نريد اي من اتيان الذكور ومالنا فيه الشهوة
فعند ذلك قال لوط عليه السلام لو ان لي بكم قوة اي طاقة او اوي الى ركن شديد اي عشيرة
تمنعني بهم بركن الجبل في شدته وعنه صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي
الى ركن شديد والركن الشديد نصر الله ومعونته فكان النبي صلى الله عليه وسلم استغرب
من لوط قوله او اوي وعده نادرة اذ لا يمكن اشد من الركن الذي كان ياوي اليه وجواب لو محذوف
تقديره لبطشت بكم او لدفعتكم ونحو ذلك وروي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يحاورهم من وراء الباب
فتسوروا الجدار فلما راى الملايكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك
بسوء فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاتاه جبريل ربه في عقر بيته فاخذ لوحا
من قوائم سريره الذي يكون فيها فضرب جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو من
الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم كما قال تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يهتدون
الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم فخرجوا وهم يقولون النجا النجا ان في بيت لوط قوم سحرة هو
تنبيه لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولن يقدروا

علي ضرره ثم قالوا له فاسر باهلك بقطع اي طايفة من الليل وقرا نافع وبن كثير بعد الفا
بهمزة وصل من سرى واسرى والباقون بهمزة قطع من الاسراء ولا يلتفت منكم اي لا ينظر الي
وراءه ليلا مري عظيم ما نزل بهم وقوله له الا امرأتك قراه بن كثير وابو عمرو برفع التا
علي انه بدل من احد والباقون بالنصب علي انه استثناء من الاهل اي فلا تسر بها انه
مصيبها ما اصابهم فلم يخرج بها وقيل خرجت والتفتت فقالت واقوماه فجاءها حجر فقتلها
روي انه قال لها متي موعدهلاكهم فقالوا له ان موعدهم الصبح قال اريد اسرع من ذلك
قالوا اليس الصبح بقريب اي فاسرع الخروج بهم بمن امن بهم فلما جاء امرنا اي عذابنا
باهلاكهم جعلنا عاليها اي قراهم بسافلها وروي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه
تحت قري قوم لوط المؤتفكات المذكورة في سورة براءة وكانت خمس مدائن وفيها اربعمائة
الف وقيل اربعة الاف الف فرفع المدائن كلها حتي سمع اهل السماء صياح الديكة
ونهيق الحمير ونباح الكلاب لم يكفئ لهم اناء ولم ينتبه نائم ثم اسقطها مقلوبة الي الارض
وامطرنا عليها اي الحدن بعد قلبها وقيل علي شذاذها وهو بضم الشين المعجمة وبذالين
معجمتين اولاهما مشددة وهم الذين ليسوا من اهلها يكونون في القوم وليسوا منهم حجارة
من سجيل اي من طين طبخ بالنار كما قال تعالي في موضع اخر من طين وقيل مثل السجل
وهو الدلو العظيمة منضود اي متتابع يتبع بعضها بعضا مسومة اي معلمة علي الهم
من ربك يعني بها وقال ابو صالح رايت منها عند اهلها في وهي حجارة بيضا خطوطا حمر علي هيئة
كرخ وقال الحسن عليها مثل الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة
الارض وقوله تعالي عند ربك ظرف لها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين اي مشركي مكة
ببعيد اي شيء بعيد او بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا وقعت
منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه ونبه وعيدهم وعذر رسول الله
صلي الله عليه وسلم سال جبريل يعني ظالمي امتك ما منه ظالم منهم الا وهو بمرصد جلية تحجر
تسقط عليه من ساعة الي ساعة وقيل الضمير للقري اي هي قريبة منه ظالمي مكة يمرون
عليها في متجرهم القصة الحادية التي ذكرها الله تعالي في هذه السورة قصة شعيب عليه
السلام المذكورة في قوله تعالي والي مدين اي وارسلنا الي مدين وهم قبيلة ابو اهم مدين
ابن ابراهيم عليه السلام وقيل هو اسم مدينة بنا ها مدين المذكور وعلي هذا فالتقدير
وارسلنا الي اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه اخاهم اي في النسب لا في الدين
وشعيبا عطف بيان وكان قليلا قال ما قالهم قتيل قال ما قال اخوانه منا لانبيا في البداة

ماسل

ماصل الدين يا قوم متعطفا لهم مظهرا غاية الشفقة اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا
به شيا ما لكم من الهة غيره فلقد اتفقت كلمتي كلمتهم واتحدت الي الله تعالي دعوتهم وهذا
وحده قطعي الدلالة علي صدق كل نبي علم تطعا من تباعد اعصارهم وتنائي ديارهم
وان بعضهم لم يلم بالعلوم ولا عرف اخبار الناس الامن الهي الكتب وما دعاهم الي العدل فيما
بينهم وبين عبيده في اقاح ما كانوا اعتادوه بعد الكرك تديانا فقال ولا تنقصوا ابوجه من
الوجوه المكيال والميزان اي لا الكيل ولا الة ولا الموزن ولا الة والكيل تعديل الشي
بالالة في القلة والكثرة والوزن قد يله في الخفة والثقلة والكيل العدل في الكمية كالموزن
العدل في الكيفية ثم علل ذلك بقوله اني اراكم بخير اي بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف قال
ابن عباس كانوا موسرين في نعمة وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة هو
وغلاء السعر وحلول النقمة انذلم يومنوا ويتوبوا وهو قوله واني اخاف عليكم ان لم تؤمنوا عذاب
يوم محيط اي يحيط بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستيصال في الدنيا وعذاب النار في الاخرة
ومنه قوله تعالي وان جهنم لمحيطة بالكافرين والمحيط من صفة الكيوم في الظاهر وفي المعنى
من صفة العذاب وذلك مجاز مشهور كقوله هذا يوم عصيب ويا قوم اوفوا اي اعموا اتماما حسنا
المكيال والميزان اي الكيل والوزن والاتمام فان قيل الذي عن النقصان امر بالايفاء فايدة قوله
تعالي اوفوا الكيل بالاتمام نهم هو الاولا من التطفيف الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان
في الشروع بالتطفيف نقيا عن المنهي وتقصيرا له لم يرد الامر بالايفاء الذي هو حسن في العقول
معرا بالفقه لو لم يات شرع فيه ولعب عليه وجيئ به ممتثلا بالقسط اي ليكون الايفاء
علي وجه العدل والتسوية من غير زيادة والنقصان ما هو الواجب لان ما جاوز
العدل فضل وامر مندوب اليه غير المامور به وقد يكون محظورا كما في الربا وقوله ولا
تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانهم من ان يكونوا في المتجر اردا في غيره
فانهم كانوا يبخسون من كل شي يباع كما تفعل السماسرة وكانوا يبخسون الناس وكانوا
ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك فظهر بهذا البيان ان
هذه الاشياء غير مكررة بل في كل واحد منها فايدة زايدة والحاصل انه تعالي بينهي في
الاية الاولي عن النقصان في المكيال والميزان وفي الثانية امر باعطاء قدر الزيادة
والاجمال الجزم والبيئ بان الواجب الاعتداد بذلك القدر من الزيادة ولهذا قال
الفقها انه تعالي امر بغسل الوجه وذلك لا يحصل الا عن غسل جزء من الراس فكانه تعالي
نهي ولا عن مسمي الاسم في ان يجعل ما انهي عنه غير ناقصا لعقل له تلك الزيادة

وفي الثاني امر بان يسعى في تنقيص مال نفسه ليخرج بالتعيين عن العهدة كما قيله بقوله
تعالى بالقسط وفي الاية الثالثة تنهى عن النقص في كل الاشياء وكذا قوله تعالى ولا تعثوا
في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد ومفسدين
حال موكدة لمعنى عاملها وفايدتها اخراج ما يقصد به الاصلاح كما قيله لخفر عليه السلام
بقيت الله قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم
مما تاخذونه بالتطفيف وقال مجاهد ما يحصل لكم في الدنيا من اموال الحرام ان كنتم مومنين اي
مصدقين بما قلت لكم وامركم به فايدة بقيت ربحت بالتا المجرورة وقفوا عليها بان كتبوه
وابو عمرو والكسائي والباقون وقفوا بالها وما انا عليكم بحفيظ اعلم جميع اعمالكم وافدر على
كفكم عما يكون منها فاداوا علامهم شعيب عليه السلام بثلاثين بالتوحيد وبترك التطفيف قالوا
له يا شعيب صلوته بلمه استخفافا وغلظة وانكروا عليه مستهزين به اصلوتك تامرك
اي تفعل معك فعل من يامر ايامر بتكليفنا ان نترك ما يعبد اي علي سبيل المواظبة اباونا
من الاصنام فحذف الذي هو التكليف لان الانسان لا يومر بفعل غيره قالوا له ذلك في جواب
امره لهم بالتوحيد او نترك ان نفعل ايامر في اموالنا ما شئنا من قطع الدراهم والدنانير
واقاد المعاملة والمقايرة ونحوها مما يكون افسادا للمال قالوا له ذلك في جواب النهي عن
التطفيف والامر بالايفا وانما اضافوا ذلك الى صلاته تهكما واستهزاء بها واسفهر شعار ابان مثلوا
لا يدعوا اليه داعي عقلي وانما دعاهم اليه خطران وسواس من جنس ما توظب عليه وكان شعيب
عليه الصلاة والسلام اكثر الصلاة في الليل والنهار وكان قومه اذا راوه يصلي قهازوا وتضاحكوا
وتقصدوا بقولهم اصلوتك تامرك التي هي الزهر وكما انك اذا راايت معتوها يطالع كتابا تقول
كلاما فاسدا تقول هذا مطالع لعبة تلك الكتب على سبيل الهزء وكذا هنا وقرا لحفص وحمزة والكسائي
اصلاتك بالافراد والباقون بالجمع والتا بالرفع فيما القراتين وغلط ورش اللام في اصلوتك وقولهم
انك لانت الحليم الرشيد تهكم به وتصدوا وصفه بضد ذلك كما يقال للبخيل الخسيس لو رايت الحاتم
لسجد لك وعللوا انكارهم ما مروه منه واستبعدوه بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين من المبادرة
الى مثل ذلك ثم اخرج قوله عليه السلام على تقدير سوال بقوله قال يا قوم منعطفا لهم الى ابراهيم
منعوا طف القرابة منبها لهم على احد النظرين اساقه على سبيل الفرض والتقدير ليكون ادعى
الى سبيل الهوادة والانصاف ارايتم اي اخبروني ان كنت على بينة اي برهان من ربي وعطف
على جملة الشرط المستغرم عنه قوله ورزقني والضمير في منه لله تعالى اي من عنده باعانته
بالاكد مني في تحصيله وعظم الرزق بقوله رزقا حسنا حلالا وما الاحلال اظلم بيه احد او جواب الشرط

محذوف فهل يبقى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون
في وحيه فاخلفه في امره ونهيه وهذا اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي
عن دين الاباء وما اريد ان اخالفكم اي واذهب الى ما انهاكم عنه فارتكبه ان اي ما اريد
اي فيما امركم به وانهاكم عنه الا الاصلاح اي ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي وتحثكم
وامركم بالمعروف وانهى عن المنكر ما استطعت اي وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع
اجباركم على الطاعة لان ذلك الى الله تعالى فانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء وما توفيقي
اي لاصابة الحق والصواب الا بالله اي الا بمعونته وتاييده عليه لا على غيره توكلت
اي اعتمدت في جميع اموري فانه القادر على كل شيء وما عداه عاجز وهذه الصيغة تفيد
الحصر فلا ينبغي للانسان ان يتوكل على احد الا على الله تعالى وفيه اشارة الى محض التوحيد
الذي هو اقصى مراتب المبدا واما قوله واليه انيب ففيه اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا
يفيد الحصر لان قوله واليه انيب يدل على انه لا ماب للخلق الا الله تعالى وروي عنه صلى الله
عليه وسلم انه كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبيا لحسن مراجعته قومه وياقوم هو
لا يجرمنكم اي لا يكسبكم شقاقي اي خلافي وهو فاعل الجرم والضمير مفعول اول والمفعول الثاني
ان يصيبكم عذاب العاجلة على كفركم وانهاكم الخبيثة قال في الكشاف جرم مثل كسب في تعديه
الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسب وجرمته ذنبا وكسبته اياه ومنه قوله
تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح العقيم
او قوم صالح من الرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد لا في الزمان ولا في المكان لانهم كانوا حديثي
عهد بهلاكهم وكانوا جيران قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم فان القرب في الزمان والمكان يفيد
زيادة المعرفة وكما الوقوف على الاحوال فكانه يقول اعتبروا باحوالهم واحذروا من مخالفة الله
ومناهضته حتى لا ينزل بكم مثل ذلك العذاب فان قيل لم قال ببعيد ولم يقل ببعيدين اجيب بان
التقدير وما اهلاكهم بشيء بعيد وايضا يجوز ان يسوي في قريب وبعيد وقليل وكثير بين الذكر
والمونث لورود وصفها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوها انوي واستغفروا ربكم
اي امنوا به ثم توبوا اليه اي من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان وقدم مثل ذلك
ان ربي رحيم اي عظيم الرحمة للتايبين ودود اي محب لهم وما بالغ عليه السلام في التقرير والبيان
اجابوه بانواع فاسدة الاول قالوا له يا شعيب ما نفقه اي ما نفهم كثيرا مما تقول فان قيل انه
كان يخاطبهم بلسانهم فلم قالوا ما نفقه اجيب بانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم لشدة مقتهم عن كلامه
وهو قوله تعالى وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او انهم فهموه ولكنهم ما اقاموا له وزنا فذكروا هذا الكلام

على وجه الاستهانة كما يقول الرجل لعاصيه ان لم يعيا عن مثله ما الذي حملك على النوع الثاني في قولهم لم
وانا لنراك فينا ضعيفا اي لا قوة لك فتمنع منا ان اردنا بك سوءا او ذليلا لا عز لك وقيل اعمى
بلغت حيرة قاله قتادة وفي معنى تخويفهم اياه على الايمان الا ان هذا اللفظ لا يحسن الاستدلال به
في البيان هذا اللعني لان ترك القاصر من غير دليل وقيل لغيبة البصر قال الحسن النوع الثالث
قولهم له ولولا رهطك اي عشيرتك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم
لرجمناك بالحجارة حتى تموت والرهط من الثلاثة الى عشرة وقيل الى السبعة والمقصود من هذا
الكلام انهم بينوا انه لا حرمة له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانهم انما لم يقتلوه لاجل احترام
رهطه النوع الرابع قولهم له وما انت علينا بعزيز اي لا تعزز علينا ولا تكرم حتى تكرم
من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا ولم يختاروك علينا
ولم يتبعوك دوننا ولما خوفه الكفار شيئا بالقتل والايذاء لكي اعده تعالى ما ذكره في هذا المقام
وهو نوعان الاول قال لهم يا قوم مستعطفا لهم مع غلظتهم عليه ارهطي اعز عليكم من
الله المحيط بكل شيء درة وعلما حتى تظلموا الي في اي لعزتهم في نفوسهم ولم تنظروا الى الله تعالى
في قوله منعما اظهر علي من كرامته واخترتموه واتخذتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر
يامركم به والاهانة برسوله قال في الكشاف والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب وتغييره قولهم في النسبة الى امس اسمي بكسرة الهمزة وقوله ان ربي بما تعملون محيط
اي انه عليم بما منكم فلا يخفى عليه شيء منها النوع الثاني ويا قوم اعملوا على مكانتكم
والمكانة الحالة التي يمكن ما فيها من عمله والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة
والقدرة وكل ما في وسعكم وطاقتكم من ايصال الشر والاذى الي انى ايضا عامل ما انا في الله تعالى
من القدرة والطاعة سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب فمن
موصولة مفعول العلم فان قيل لم لم يقل فسوف تعلمون اجيب بان او فعال القلوب وصل ظاهرها
بحرف موضوع للوصل واما في الثاني فجعله جوابا عن سؤال مقدر وهو المسمى في علم البيان
بالاستئناف البياني تقريره انه لما قال ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فكأنهم قالوا
فما يكون بعد ذلك فقال سوف تعلمون فظهر ان حذف حرف ان حذف حرف الفاء هاهنا اكمل
في بيان الفصاحة والتهويل لانه استئناف وارتقبوا اي انتظروا عاقبة امركم اني معكم رقيب
اي منتظر والرقيب بمعنى من رقب كالرقيب والعريف بمعنى العارف والصارم بمعنى المراقب
كالعاشر والنوبي بمعنى المرتقب كالقعيد والرفيع بمعنى المقتدر والرافع ولما اجاروا عن اهلاكهم بخيانة شيء والوفي امنوا معه برحمة اي تفضل منا بان هديناهم للايمان

ووفقناهم للطاعة فان قيل لم جاء قصة عاد وقصة مدين بالواو وقصة صالح ولوط بالفاء
اجيب بان قصتي عاد ومدين لم يسبقهما ذكر وعد بجريء مجرى الكلب له بخلاف قصتي
صالح ولوط فانهما ذكرا بعد الوعد وذلك قوله تعالى وعد غير مكذوب وقولنا ان موعدهم الصبح
فلذلك جاء بالفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام هو
صاح بهم صيحة خرجت ارواحهم وماتوا جميعا وقيل اتتهم صيحة من السماء فاصبحوا هم
في ديارهم جاثمين اي باركين على الركب ميتين كان لم يغنوا اي كانهم لم يقيموا فيها هم
اي ديارهم مرة من الدهر ما خوذ من قولهم غني بالمكان اذا اقام فيه مستغن به عن غيره الا بعدا
اي هلاكا لمدين كما بعدت ثمود انما شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة لكن صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم قال ابن عباس لم يعذب الله تعالى امتين بعذاب
الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم
الصيحة من فوقهم القصة السابعة التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي اخر قصصها قصة
موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي التوراة مع ما فيها من الحلال
والاحكام وسلطان مبين اي برهان بين ظاهر على صدق نبوته ورسالته وقيل المراد بالاياتين
المعجزات وبالسلطان البين العصى لانها اظهر الايات وذلك لان الله تعالى اعطى موسى تسع اياتبينات
وهي العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص من الثمرات والسنين ومنهم من ادخل
نقص الثمرات والسنين باظلال الجبل وفلق البحر قال بعض المحققين سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة
يقهر من لا حجة له كما ان السلطان يقهر غيره والعلماء سلاطين بسبب كمالهم في القوة العلمية والملوك
سلاطين بسبب ما معهم من القدرة والمكنة الا ان سلطنة العلماء لا تقبل النسخ والعزل وسلطنة
الملوك تقبلها ولان سلطنة الملوك تابعة لسلطنة العلماء لان سلطنة العلماء من جنس الانبياء وسلطنة
الملوك من جنس المزاعنة الى فرعون طاغية القبط وملايه اي اشراف قومه الذين تتبعهم الاغلب نابهم
لان القصد الاكبر رفع ايديهم عن بني اسرائيل فاتبعوا امر فرعون اي اتبعوا طريقة فرعون المتمكن
في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى بناء على منزله ادنى مكنة من العقل ولم يتبعوا موسى
الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات الظاهرة الباهرة لغلبة الهوى وعدم استعدادهم وما امر فرعون
برشيد اي بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير وقيل رشيد ذو رشد وانما نفى فرعون عن
الرشد كان ظاهرا لانه كان دهريا نافيا للصانع للصنايع للمعاد وكان يقول لا اله للعالم وانما يجب
عليه كل اهل بلده ان يشتغلوا بطاعة سلطانهم وعبوديته رعاية لمصلحة العالم وكل الرشد في عبادة
الله تعالى ومعرفته فلما كان هو نافيا لهذين الامرين كان خاليا عن الرشد بالكلية يتقدم قومه يوم

الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال او كما يتقدم قومه في الدنيا فادخلهم في البحر
واغرقهم فكذا يتقدمهم في القيامة فيدخلهم النار كما قال تعالى فاوردهم النار فان قيل لم
لم يقل يقدم قومه فيوردهم النار بل اتى بلفظ الماضي اجيب بانه انما اتى بلفظ الماضي
مبالغة في تحقيقه وتنزيلا النار له منزلة الماضي فسمي اتيانها موردا ولهذا قال تعالى وبئس
الورد المورود وردهم لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتسكين الاكباد والنار ضده
فان قيل لفظ النار يونث فكان مقتضى ذلك ان يقال وبئست الورد للمورود اجيب بان لفظ
الورد مذكر فكان التذكير والتانيث جايزين كما تقول نعم المنزل دار عمرو ونعمت المنزل دار
من ذكر على المنزل ومن انث بنى على ثانية الدار واتبعوا في هذه اي الدنيا لعنة اي طردا
وبعدا عن الرحمة ويوم القيامة اي واتبعوا يوم القيامة لعنة اخرى عوقبوا ملعونين في الدنيا
والاخرة ونظيره قوله تعالى في سورة القصص واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم
من المقبوحين بيس الوفد اي الصون المرفود وفدهم سال رافع بن الازرق بن عباس عن ذلك
فقال هو اللعنة بعد اللعنة وقال قتادة قرادفت عليهم لعنتان من الله لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة
وكل شيء جعلته عونا لشيء فقد رددته به وسميت اللعنة عونا لانها اذا تبعتهم في الدنيا ابعدتهم من الرحمة
واعانتهم على ما هم عليه من الضلال وسميت رفدا اي عونا لهذا المعنى على التهكم كقول
القايل تحية بينهم ضرب وجيع وسميت مقبلة معانا لانها ارفدت في الاخرة بلعنة اخرى ليكونا
عادبتين الى طريق الجحيم وما ذكر تعالى قصص الاولين قال تعالى ذلك اي المذكور وهو مبتدا
خبره من انبا القرى اي اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة في القرون الماضية وقوله تعالى
نقصه عليك اي نخبرك به يا محمد خبرا بعد خبر وفايدة ذكر هذه القصص على نبينا صلى الله
عليه وسلم ليعلم امته ان المومن يخرج من الدنيا مع الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في الاخرة
وان الكافر يخرج مع اللعن في الدنيا والعقاب في الاخرة واذا تاكد هذه القصة الا قاصيص على
السمع فلابد وان يلين القلب وتخضع النفس وتترك العداوة ويحصل في القلب خوف يحمله
على النظر والاستدلال وفي اخباره صلى الله عليه وسلم بهذه القصص من غير مطالعة كتب
ولا تلمذ دلالة على نبوته فان ذلك لا يكون الا بوحي من الله تعالى منها اي القرى قايم اي باق
كالزرع القايم هلك اهله دونه ومنها حصيد اي عافي الاثر كالزرع المحصود هلك مع اهله
وما ظلمناهم بالهلاك بغير ذنب ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وقال ابن عباس يريد
وما انتقصناهم من الغيم والرزق ولكنهم تعرضوا لحظ انفسهم حين استحقوا حقوق الله تعالى
فما اغنت اي دفعت عنهم الهتهم اصنامهم التي يدعوت اي يعبدون من دون الله اي غيره

من شيء

من شيء لما جاء امر ربك اي عقابه وما زادوهم بعبادتهم غير تتبيب
اي غير تخسير وقيل تدمير ولما اخبر رسوله صلى الله عليه وسلم في كتابه بما فعله بامم
من تقدم من الانبيا عليهم الكلام لما خالفوا الرسل وما ورد عليهم من عذاب الاستيصال وبين
انهم ظلموا انفسهم بحل بهم العذاب في الدنيا قال تعالى بعده اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي اي القرى
ظالمة والمراد اهلها ونظيره في قوله تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها وقوله تعالى وكم قصمنا
من قرية كانت ظالمة فبين تعالى ان عذابه ليس مقصورا على من تقدم بل الحال في اخذ كل الظالمين
يكون كذلك ولما بين تعالى كيفية اخذ الامم المتقدمة ثم بين انه انما يا خذ جميع الظالمين على ذلك الوجه
اتبعه بما يزيده تاكيدا وتقوية بقوله تعالى ان اخذه اليم اي مولم شديد اي صعب مفتت القوى
وعن ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
لايملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه
اليم شديد وفي هذه الاية الكريمة والحديث الشريف دلالة على ان من اقدم على ظلم فانه يتدارك بالتوبة
والانابة ورد الحقوق الى اهلها ان كان الظلم للغير لييلا يقع في هذ الوعيد العظيم والعذاب الشديد
ولا يظن ان هذه الاية مختصة بظالمي الامم الماضية بل هي عامة في كل ظالم ويعضده الحديث
ان في ذلك اي ما ذكر من عذاب الامم الماضية واهلاكهم لاية اي لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب
يوم الحياة الاخرة لانه ينظر ما احل الله تعالى بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة
فاذا راى عظمته وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا في زيادة خشوعه
والخشية من الله تعالى وقوله ذلك اشارة الى يوم القيامة لان عذاب الاخرة دل عليه يوم يجمع له
اي فيه الناس اي ان خلق الاولين والاخرين كلهم يحشرون في ذلك اليوم ويجمعون ثم وصفه تاكيدا
بوصف اخر بقوله تعالى وذلك يوم مشهود اي يشهده اهل السموات واهل الارض وما نوخره اي ذلك
اليوم وهو يوم القيامة الا لاجل اي وقت معدود اي معلوم محدود وذلك الوقت لا يعلمه الا الله تعالى
يوم ياتي ذلك اليوم لا تكلم نفس فيه حذف احدى التاءين اي لا تتكلم نفس الا باذنه تعالى وقرا نافع وابو عمرو
والكسائي باثبات الياء بعد النون ياتي وقفا ووصلا وحذفها الباقون واما الناس تكلم فشددها
البزي في الوصل وخففها الباقون فان قيل كيف يوفق بين قوله تعالى يوم ياتي كل نفس تجادل عن نفسها
وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون اجيب بان ذلك اليوم يوم طويل له مواقف
ومواطن تنفي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وتشهد جلودهم و
منهم اي الناس شقي ومنهم سعيد اي فمنهم من سبقت له الشقاوة فوجبت له النار بمقتضى الوعيد ومنهم
من سبقت له السعادة فوجبت له الجنة بموجب الوعد وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كنا في جنازة في بقيع

الفرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله وبيده مخصرة فنكت بها الارض
ساعة ثم قال ما منكم من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها من الجنة او النار فقالوا يا رسول الله افلا
نتكل على كتابنا فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فيصير الى عمل اهل السعادة
ومن كان من اهل الشقاوة فيصير الى عمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى الاية وبقيع الفرقد هو مقبرة اهل المدينة ومدفنهم فيه والمخصرة كالسوط والقضيب
مما يمسكه الانسان بيده والنكت بالنون والتاء المثناة من فوق ضرب الشيء بتلك المخصرة وبالجملة وتحريك
حتى يؤثر فيه فاما الذين شقوا ففي علمه تعالى ففي النار لهم فيها زفير وهو صوت شديد وشهيق
وهو صوت ضعيف وقيل الزفير اخراج النفس والشهيق رده وقيل الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير والشهيق
والشهيق بمنزلة اخر صوت الحمار اذا رده في صدره وقيل الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وعلى كل التقادير
منها الدلالة على شدة كربهم وغمهم خالدين فيها وقوله تعالى ما دامت السموات والارض فيه وجهان
احدهما سموات الاخرة وارضها وهي مخلوقة دائمة للابد والدليل على انها سموات وارض قوله تعالى يوم تبدل
الارض غير الارض والسموات وقوله تعالى واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لابد لاهل
الاخرة مما يقلهم ويظلهم اما سما يخلقها الله تعالى او يظلهم العرش وكلما اظلك فهو سما وكلما استقر عليه قدمك
فهو ارض والوجه الثاني ان المراد مدة دوامها في الدنيا الا اي غير ما شاء ربك من الزيادة على مدتها مما لا تنتهي له
وذلك هو الخلود فيها ابدا ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض عليه واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين
فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك كما تقدم عليه قوله تعالى عطاء غير مجذوذ اي مقطوع وقيل
الاستثناء في اهل الكبائر يرجع الى قوم من الموحدين يدخلهم الله تعالى النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها بكرمه
فكما استثنا وكان ذلك في صحة الاستثنا لان زوال الحكم عند الكل يكفيه زواله عند البعض منه غير الجنس لان الذين اخرجوا
من النار سعدوا في الحقيقة لما شاهم الله تعالى منها الشقيا المار وي عن جابر انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم
من النار بالشفاعة وفي رواية ان الله يخرج ما شاء من النار فيدخلهم الجنة وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال
ليصيبن قوما شفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله بفضله ورحمته الجنة وفي رواية انه
صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة فيسمون الجهنميين
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد اي من اهل الكبائر منذ اهل الكبائر محمد
صلى الله عليه وسلم بان تخلط طبقتها التي كانوا فيها وان تأتي على ذكر الوعيدي هذي مذهبه الفاسد من ان اهل الكبائر
يخلدون في النار واما الاستثنا من اهل السعادة فيرجع الى مدة لم لبثهم في النار قبل دخولهم الجنة او ان الاستثنا راجع
الى الفريقين فانهم فارقوا الجنة ايام عذابهم وان التابيد منعبد امعين ينقض باعتبار الابتداء كما ينقض
باعتبار الانتهاء وهو لاوان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم والايقان ففي هذا لم يكفه قوله تعالى عنهم شقيا

وسعيد

وسعيد تقسيما صحيحا الا ان شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيميه لان دلك الشرط
حيث المقسم لانفصال اي وهذا ليس كذلك حقيقي ومانع منا جميع من الجنة والنار وهذه تقسيم هم
في الدنيا واحيائهم في البرزخ وهو ما بين الموت الى البعث ومدة وقوفهم للحساب ثم يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار فيكون المعنى خالدين في الجنة والنار الا هذا المقدار وقيل معناه لو شاء ربك
لاخرجهم منها ولكنه لا يشا لانه تعالى حكم لهم بالخلود وقال الفراء هذا استثنا استثناه الله تعالى ولم يفعله
كقولك والله لا فرنبك الا ان اري غير ذلك وعسى ان تقربه وقال اهل المعاني هذه عبارة عن التابيد
على عادة العرب يقولون لا اتيك ما دامت السموات والارض ولا يكون كونا اختلف الليل والنهار يومين
ابدا وقيل ان اهل النار يتقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة يتنعمون
بما هو اعلى في الجنة وهو العود برضوان الله تعالى ولقائه كما قال تعالى وعد الله المومنين والمومنات جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر وقرأ حفص وحمزة
والكسائي سعدوا بضم السين على البنا للمفعول من سعدا لله سعدي اسعده والباقون بفتحها وعطاء
نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة وما شرح تعالى ما صبر عبدة الاوثان
ثم اتبعه باحوال الاشقيا واحوال السعدا شرح للرسول صلى الله عليه وسلم احوال الكفار من
قومه فقال فلا تك يا محمد في مرية اي شك مما يعبد هولا المشركون من الاصنام انما فعلوه
كما عذبنا من قبلهم وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ما يعبدون الا كما يعبد اباوهم اي
كعبادتهم من قبل وقد عذبناهم وانا موفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب غير منقوص من
اي كاملا غير ناقص ولما ذكر تعالى في هذه الاية اعراضهم عن الاتباع مع ما اتي به من المعجزات واتبع
عليه من الكتاب سلاه باخيه موسى عليه السلام بقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة
الجامعة للخير فاختلف فيه اي الكتاب فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هولا في القران ولولا
كلمة سبقت من ربك بتاخير الحساب والجزا للخلايق الى يوم القيامة لقضي اي لوقع بينهم
اي بين من اختلف في كتاب موسى في الدنيا فيما اختلفوا فيه بانزال ما يحق المبطل ليتميز به المحق ولكن
سبقتا لا لكلمة ان القضا الكامل انما يكون يوم القيامة كما قال تعالى في سورة يونس عليه السلام
فاختلفوا حتى جاءهم العلم وما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بينه تعالى انه به لان كل طايفة
منا لليهود تنكر شكها فيه وفعلها بعد ان ذكر تعالى موكدا وانهم لفي شك اي عظيم محيط بهم منه
اي من الكتاب والقضا بينهم اي موقع في الريب والتهمة والاضطراب مع ما راوا من الايات التي منها سماع
كلام الله تعالى ورويته ما كان ينجلي في جبل الطور من تارق الاحوال وقيل الضمير في وانهم راجع للكفار
في منه للقران وان كلا اي كل الخلايق وقوله تعالى لما زايدة واللام موطية للقسم بعد تقديره والله

مكة

ليوفينهم ربك اعمالهم فيجازي المصدق علي تصديقه الجنة ويجازي المكذب علي تكذيبه النار
وقرا نافع وابن كثير وشعبة بتخفيف وان والباقون بالتشديد وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
بتشديد لما والباقون بالتخفيف قايدة قال بعض الفضلا انه تعالي لما اخبر عن توفية
الاجزية في هذه الاية ذكر فيها سبعة انواع من التاكيدات اولها كلمة ان وهي للتاكيد وثانيها لفظ
اللام وهي ايضا للباب في التاكيد وثالثها اللام الداخلة علي خبر ان تفيد التاكيد ايضا ورابعها حرف ما
اذ جعلناه علي قول الفراء موصولا وخامسها المضمر وسادسها اللام الثانية الداخلة علي جواب القسم
وسابعها النون المذكورة في قوله تعالي ليوفينهم فجميع هذه الالفاظ السبعة الدالة علي التوكيد
في هذه الكلمة الواحدة تدل علي ان امر الربوبية والعبودية لا يتم الا بالبعث والقيامة وامر
الحشر والنشر ثم اردفه بقوله تعالي انه بما يعملون خبير وهو من اعظم الموكدات
فانه تعالي لا يخفي عليه شيء من احوال عباده نفيه وعد للمحسن ووعيد للمكذبين كما قدمنا
ولما بين تعالي امر الوعد والوعيد قال لنبيه صلي الله عليه وسلم فاستقم اي علي دين
ربك والعمل والدعا اليه كما امرت والامر في ذلك للتاكيد فانه صلي الله عليه
وسلم كان علي الاستقامة لم يزد عليها فهو كقوله تعالي للقايم قم حتي اتيك اي دم علي
ما انت عليه من القيام حتي اتيك وتعليله لقوله تعالي ومن تاب معك اي
وليستقم ايضا علي دين الله والعمل بطاعته من امن معك قال عمر بن الخطاب رضي الله
تعالي عنه الاستقامة ان تستقيم علي الامر والنهي ولا تروغ غيثة روغان الثعلب واشار
صلي الله عليه وسلم الي شدة الاستقامة شيبتني هود واخواتها وعن ابن عباس رضي الله
تعالي عنهما ما نزلت علي النبي صلي الله عليه وسلم اية اشد ولا اشق من هذه الاية
وعن بعضهم رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم في النوم فقلت له يروي عنك انك قلت
شيبتني سورة هود فقال نعم فقلت باي اية قال قوله تعالي فاستقم كما امرت وعن
سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله صلي الله عليه وسلم قل لي في الاسلام قولا
لا اسال عنه احدا غيرك قال قل امنت بالله ورسوله ثم استقم قال الامام الرازي
ان هذه الاية امر عظيم في الشريعة وذلك لان القران لما ورد بالامر باعمال الوضوء مرتبة
في اللفظ وجب اعتبار الترتيب فيها بقوله تعالي فاستقم كما امرت ولما ورد الامر في الزكاة
باداء الابل من الابل والبقر من البقر وجب اعتبارها وكذا القول في كل ما ورد امر الله تعالي
به انتهي ولما كانت الاستقامة هي التوسط بين طرفي الافراط والتفريط نهي عن الافراط
بقوله تعالي ولا تطغوا اي تتجاوزوا الحد فيما امرتم او نهيتم عنه بالزيادة افراطا

قال الله تعالي

فان الله تعالي انما امركم بالجواز وانما لم يرخص لنفسه لاطاجته الي ذلك ولن تطيقوا ان تقدروا الله
حق قدره والدين متين لن يشاده احد الا غلبه كما ورد عن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه انه صلي الله
عليه وسلم قال ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا
بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة تقوله صلي الله عليه وسلم ان الدين يسر ضد العسر فاراد به
الترخيل في الدين وترك التشديد فان هذا الدين متين يسره وسهولته قوي فلن يغالب ولن يتعاوي
وتقوله وسددوا اي اقصدوا السداد في الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد
الذي لا علو فيه ولا تقصير والغدوة الي الزوال والروحة الرجوع عشاء والمراد منه اعملوا بالنهار والعملوا
بالليل ايضا وقوله واستعينوا بشيء من الدلجة اشارة الي تقليله ولما نهي عن الافراط وهو زيادة تصرها
اتبعه النهي عن التفريط وهو النقص عن المامور تكميلا من باب اولي ثم علل ذلك موكدا تنزيلا لمن يفرط ويفرط
منزلة المنكر فقال انه بما تعملون بصير اي عالم باعمالكم كلها ولا يخفي عليه شيء منها فيجازيكم عليها ولا تركنوا
اي تميلوا الي الذين ظلموا ادني ميل فتمسكم النار اي تصيبكم بحرها والركون متناول الانحطاط في هواهم
والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومراتبتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم
ومداهنتهم في زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله تعالي ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وعلي
ان الموفق صلي خلف الامام فقرا بهذه الاية فقضي عليه فلما افاق قيل له فقال هذه فيمن ركن الي من ظلم
فكيف بالظالم وبما خالط الرفيق الظالمين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك من ذلك اما بعد
فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يبكي عليك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك ذنوبك فهلم بنا نعد
من كتابه وعلمك من سنة رسوله وليس لك اخذ الله الميثاق علي العلما قال الله سبحانه وتعالي ليبينه للناس
ولا يكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي
بدنو من لم يود حقا ولم يترك باطلا حين اوناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحا باطلهم وجسرا يعبرون عليك
الي بلادهم وسلما يصعدون فيك الي ضلالهم يدخلون الشك بك علي العلما ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر
ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يونسك منهم
فمن قال الله تعالي فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك
من لا يغفل فداوي دينك فقد دخله سقم وهيء زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفي علي الله من شيء في الارض
ولا في السما وكلام سفيان في جهنم واه لا يسكنه الا الكفرة الذين يروون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الي الله
تعالي عند الله من عالم يزور عاملا اي من الظلمة وعن محمد بن اوس سلمة الدنيا علي الاخرة احسن من قاري
علي باب هولاء وقال صلي الله عليه وسلم من دعا ظالما بالبقا فقد احب ان يعصي الله في ارضه ولقد شيعه
سفيان عند ظالم اشرف علي الهلاك في برية هل يستقي شربة ما قال لا تقبل له يموت فقال دعه يموت وقوله تعالي

وما لكم من دون الله من اولياء اي اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذابه حال من قوله فتمسكم النار اي
فتمسكم النار وانتم على هذه الحالة ثم لا تنصرون اي لا تجدون من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله
في القيامة نفي الاية وعيد لمن ركن الى الظالم بان تمسه النار فكيف يكون حال الظالم في نفسه وطاعر نقا
بالاستقامة اردفه بالامر بالصلاة بقوله تعالى واقم الصلاة وذكر يدل على ان اعظم العبادات بعد
الايمان بالله تعالى هو الصلاة وقوله تعالى طرفي النهار الغداة والعشي اي الصبح والظهر والعصر
وقوله تعالى وزلفا جمع زلفة اي طايفة من الليل اي المغرب والعشاء ان الحسنات كالصلوات الخمس
يذهبن اي يكفرن السيات اي الذنوب الصغاير لما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال الصلوات
الخمس والجمعة الى الجمعة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكباير وزاد في رواية اخرى ورمضان الى رمضان
مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكباير وعن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون هل يبقى معه من درنه شيء قالوا لا يبقى
لا يبقى من درنه شيء فقال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار غمر على باب احدكم يقتحم منه كل يوم خمس مرات وعن الحسن
ان الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وسبب نزول هذه الاية ما رواه
الترمذي عن ابي اليسر بن عمرو قال اتتني امراة وزوجها بغنه النبي صلى الله عليه وسلم في بعث فقالت
بعني بدرهم تمرا هو اطيب من تمر هذا فالحقيني فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت ابا بكر
فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فاتيت عمر فذكرت له ذلك فقال استر على نفسك وتب
ولا تخبر احدا فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال استر على نفسك ذلك له فقال افتت
رجلا غازيا في سبيل الله في اهله بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار
واطرق رسول الله صلى الله عليه وسلم طويلا حتى اوحي اليه واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل
الى قوله تعالى ذكرى للذاكرين اي عظة للمتقين قال ابو اليسر فاتيته فتلا علي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الهذا خاصة ام للناس عامة قال بل للناس عامة
قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وعن عبد الله ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت فقال رجل يا رسول الله الهذا خاصة فقال بل للناس كافة وعن معاذ بن
جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارايت رجلا لقي امراة ليس بينها معرفة
وليس ياتي الرجل الى امراة شيا الا قد اتى هو اليها الا انه لم يجامعها قال فانزل الله تعالى هذه الاية وامره
النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله اهو له خاصة ام للمومنين عامة
قال بل للمومنين عامة قال انها الصغاير من الذنوب تكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والاكر

والاستغفار ونحو ذلك من اعمال البر واما الكباير من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاثة
شرايط الاول الاقلاع من الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام على ان لا يعود اليه
في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرايط صحت التوبة وكانت مقبولة ان شاء الله تعالى والاشارة في قوله
تعالى وذلك ذكرى الى ما تقدم ذكره من قوله تعالى فاستقم كما امرت الى هاهنا وقيل هو اشارة الى القران وقوله
تعالى واصبر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي واصبر يا محمد على اذى قومك او على الصلاة وهو
قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجر اعمالهم
وعدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان ٥٥
وايما بانه لا يعتد بها دون الاخلاص ولما بين تعالى ان الامم المتقدمين حل بهم عذاب الاستيصال
بين ان السبب فيه امران السبب الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد في الارض فقال تعالى
فلولا اي فهلا كان من القرون اي الامم الماضية من قبلكم اولوا بقية اي اصحاب راي وخير وفضل
ينهون عن الفساد في الارض وسمي الفضل والجود بقية لان الرجل يستبقي ما يخرجه احوده وافضله
فصار مثلا في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومنه قوله تعالى بقيت
الخماسية ٥٥ ان تدينوا ثم يا تيكم بقيتكم ٥٥٥ ومنه قولهم في الوزايا خبايا ٥ ٥٥
وفي الرجال يقابيا ٥ ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوي كالتقية بمعنى التقوى اي
فهلا كان منهم ذوا بقا على انفسهم وصيانة من سخط الله تعالى وعقابه فايدة حكي عن الخليل ره
انه قال كل ما في القران من كلمة لولا فمعناه هلا الا التي في الصافات قال صاحب الكشاف وما صحت
هذه الحكاية في غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه ولولا ان رجالا مومنون ولولا ان تبتاك
وقوله تعالى الا قليلا ممن انجينا منهم استثنا منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن
الفساد وسايرهم تاركون للنهي السبب الثاني لنزول عذاب الاستيصال قوله تعالى واتبع الذين
ظلموا ما اترفوا فيه اي ما انعموا به من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك
وكانوا مجرمين اي كافرين تنبيه قوله تعالى واتبع الذين ظلموا ان كان معناه واتبعوا الشهوان
كان معطوفا على مضمر لان للنهي الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم
نهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزا الاترف فالواو للحال فكانه قيل انجينا القليل وقد اتبع
الذين ظلموا جزاهم وقوله تعالى وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الاترف وكونهم مجرمين لان تابع
الشهوات مصروف بالاثام او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ثم بين انه ما اهلك القرى بظلم
بقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم اي بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم والمعنى انه لا يهلك اهل القرى
بجرد كونهم مشركين اذا كانوا مصلحين في المعاملات فيما بينهم والمراد ان عذاب الاستيصال لا يترك لاجل

كون القوم معتقدين الشرك بل لمجرد تركهم ذلك العذاب الدنيوي فكيف بالعذاب الاخروي
والظلم ولهذا قالوا ان حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد مبناها
على الضيق والشح ويقال في الاثر الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم وانما نزل على قوم نوح وهود
وصالح ولوط وشعيب عذاب الاستيصال لما حكي الله تعالى عنهم من ايذاء الناس وظلم الخلق ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة اي اهل ملة واحدة وهي الاسلام كقوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة
وفي الاية دليل على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل واحد وانما اراده بحسب وقوعه
والمعتزلة يحملون هذه الاية على مشيئة الالجاء والاضطرار ولهذا قال الزجاج مخرجهم يعني الاضطرار
الى ان يكونوا اهل ملة واحدة ولا يزالون مختلفين اي على اديان شتى ما بين يهودي ونصراني
ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من اهل هذه الاديان اختلفوا في دينهم ايضا اختلافا كثيرا اهـ
لا ينضبط عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تفترق اليهود
على احدى وسبعين فرقة وفي رواية الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على اثنين وسبعين ملة
وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وفي رواية الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا
على اثنين وسبعين ملة وان هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة
في الجنة والمراد بهذه الفرقة اهل البدع والاهواء كالقدرية والمعتزلة والرافضة والمراد بالواحدة هي
ملة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله فان قيل ما الدليل
على ان الاختلاف في الاديان فلم لا يجوز ان يحمل على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمال اهـ
اجيب بان الدليل عليه ما قبل هذه الاية وهو قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة فيجب حمل
الاختلاف على ما يخرجهم من ان يكونوا امة واحدة وما بعد هذه الاية وهو قوله تعالى الا من رحم ربك
اي اراد لهم الخير فلا يختلفون فيه فيجب حمل الاختلاف على معنى يصلح ان يستثنى منه ذلك وفي هذه الاية
دلالة على ان الهداية والايمان لا تحصل الا بتخليق الله تعالى لان تلك الرحمة ليست عبارة عن اعطاء القدرة
والعقل وارسال الرسل وانزال الكتب وازاحة العذر فان كل ذلك حاصل في حق الكفار فلم يبق الا ان
يقال تلك الرحمة هو انه سبحانه وتعالى خلق فيه تلك الهداية والمعرفة ولذلك خلقهم اي خلق اهل
الاختلاف للاختلاف وخلق اهل الرحمة للرحمة روي عن ابن عباس انه قال خلق الله اهل الرحمة ليلا
يختلفوا وخلق اهل العذاب لان يختلفوا وخلق الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا
والحاصل ان الله تعالى خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم متفقين وحكم على
بعضهم بالاختلاف وهم اهل الباطل ومصيرهم الى النار وحكم على بعضهم بالاتفاق وهم اهل الحق
ومصيرهم الى الجنة ويدل لذلك قوله تعالى وتمت كلمة ربك وهي لاملان جهنم من الجنة اي الجن والناس

اجمعين

415

والناس اجمعين وهذا صريح بان الله تعالى اقواما للجنة والرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال
اهل الجنة وخلق اقواما للضلال والنار فخذلهم ومنعهم من الهداية وبما ذكر تعالى القصص الكثيرة
في هذه السورة ذكر نوعين من الفايدة اولها تثبيت الفواد بقوله وكلا اي وكل نبا نقص عليك
وقوله تعالى من انبا الرسل اي نخبرك به ببيان لكل وقوله تعالى ما نثبت به فوادك بدل من كلا
ومعنى تثبيت فواده زيادة يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة وعلى الصبر
واحتمال الاذى وذلك لان الانسان اذا ابتلي بمحنة وبلية فاذا راى له فيه مشاركا خف ذلك
على قلبه كما يقال المصيبة اذا عمت خفت واذا سمع الرسول صلى الله عليه وسلم هذه القصص
وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا سهل عليه تحمل الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه
الفايدة الثانية قوله تعالى وجاك في هذه الحق اي في السورة وعليه الاكثر وفي هذا الانبا
المقتضية فيها وقال الحسن في هذه الدنيا قال الرازي وهذا بعيد غير لايق بهذا الموضع لانه
لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه فان قيل قد جاء الحق في غير هذه السورة بل القرآن كله حق
وصدق اجيب بانه انما خصها بالذكر تشريفا لها وموعظة وذكرى للمومنين وخصهم بالذكر
لانتفاعهم بذلك بخلاف الكفار فذكر تعالى امورا ثلاثة الحق والموعظة والذكرى اما الحق فهو اشارة
الى البراهين الدالة على التوحيد والعدل والنبوة والمعاد واما الموعظة فهو اشارة الى الترغيب الديني
وتقبيح احوالها واما الذكرى فهو اشارة الى الارشاد الى الاعمال النافعة الصالحة في الدار الاخرة
والمبلغ تعالى الغاية في الانذار والاعذار والترهيب والترغيب اتبع ذلك بان قال لرسوله صلى الله
عليه وسلم وقل للذين لا يومنون اعملوا على مكانتكم اي حالتكم فيه وعيد وتهديد وان كانت صيغته
صيغة الامر نهو كقوله تعالى للابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك
وقرا شعبة بعد النون بالالف على الجمع والباقون بغير الف على الافراد انا عاملون على حالتنا التي
امرنا بها ربنا وانتظروا اي ما يحدث بكم الشيطان به منا فحذف ان انا منتظرون اي ما يحل بكم من نقم الله تعالى
وعذابه نحو ما نزل على اسلافكم وقيل انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من انواع الغفران والاحسان ثم انه تعالى
ذكر خاتمة شريفة عالية جامعة لكل المطالب الشريفة المقدسة فقال ولله غيب السموات والارض
اي علم ما غاب فيهما فلا تعلمه سبحانه وتعالى فائت في جميع مخلوقاته خفيها وجليها واليه اي لا الى غيره
يرجع الامر كله اي اليه يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة وقرا نافع وحفص بضم الياء وفتح الجيم
على البنا للمفعول والباقون بفتح الياء وكسر الجيم ولما كان اول درجات السير الى الله تعالى عبودية ولبها
التوكل عليه قال تعالى فاعبده ولا تشتغل بعبادة غيره وتوكل عليه اي ثق به في جميع امورك فانه كافيك
وما ربك بغافل عما تعملون فيحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه من اعمالهم شيء فيجزي المحسن باحسانه والمسي

باسانه وقرا نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة فايدة قال كعب الاحبار
خاتمة التوراة خاتمة سورة هود وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب
ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من الامنين حديث موضوع

سورة يوسف عليه السلام مكية

كلها ماية واحدى عشرة اية وعدد كلماتها الف وسبعماية وست وتسعون كلمة وعدد حروفها سبعة الاف
وماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الذي وسع كل شي قدرة وعلما الرحمن بجميع
خلقه المبين لهم طريق الهدى الرحيم الذي خص حزبه بالابعاد عن مواطن الردى وقوله تعالى الر تقدم
الكلام على اوايل السور اول سورة البقرة وقرا ورش بالامالة بين بين وابو عمرو وابن عامر وشعبة
وحمزة والكسائي بالامالة محضة والباقون بالفتح واختلف في سبب نزول هذه السورة فعن سعيد بن
جبير انه قال لما انزل القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يتلوه على قومه فقالوا يا رسول الله
لو تصدقت علينا فنزلت هذه السورة تلاها عليهم فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فنزل الله تعالى احسن
الحديث كتابا متشابها مثاني فقالوا لو ذكرتنا فنزلت الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر يعقوب وولده وشان
يوسف فنزلت هذه السورة وقوله تعالى تلك اشارة الى ايات هذه السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك
في هذه السورة المسماة بالرهي ايات الكتاب اي القران المبين اي المبين تبيه للهدى والرشد والحلال والحرام
المظهر للحق من الباطل الذي ثبت فيه قصص الاولين والاخرين وشرحت فيه احوال المتقدمين انا انزلناه
اي الكتاب قرانا عربيا اي بلغة العرب لكي يعلموا معانيه ويفهموا ما فيه روي ان علماء اليهود قالوا لكبار المشركين
اسالوا محمدا لم انتقل الى يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فانزل الله تعالى هذه الاية وذكر لهم الله تعالى
عبر من هذه القصة بالفاظ عربية ليتمكنوا من فهمها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف
حال كونه قرانا عربيا وسمي بعض القران قرانا لان القران اسم جنس يقع على الكل والبعض لعلكم ايها العاملون به
تعقلون اي ارادة ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت
اياته واختلف العلماء هل في القران شي بغير العربية فقال ابو عبيدة منزه عن ان في القران لسانا غير العربية
فقد اعظم على الله القول والصحيح بهذه الاية انا انزلناه قرانا عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة
ان فيه من غير لسان العرب من سجيل ومشكاة واليم واستبرق وجمع بعض المغربين بين القولين بان هذه
الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت على السنتهم صارت عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا بها نسبت اليهم وصارت لهم
لغة وموضع حسن نحن نقص عليك احسن القصص اي احسن الاقتصاص لانه اقتص على البدع الاساليب

والقصص اتباع بعضه بعضا واصله في اللغة من قص الاثر اذا اتبعه وانما سميت الحكاية قصة
لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيا فشيا والمعنى انا نبين لك باحسن انواع البيان
السالفة والقرون الماضية احسن البيان او قصة يوسف عليه السلام خاصة وسماها
احسن القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوايد التي تصلح للدين والدنيا وما فيها
من سير الملوك والمماليك والغلمان وملك النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم
بعد القدرة وغير ذلك قال خالد بن معدان في سورة يوسف وعربتم يتفكه بها اهل الجنة في الجنة
وقال ابن عطا لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح الى الهايها اي بسبب ما اوحينا اي باعلامنا
اليك يا محمد هذا القران الذي قالوا فيه انه مفتري فاخذنا نتابع القصص القصة بعد القصة
حتى لا يشك شاك ولا يمتري ممتري انه من عند الله وان كنت من قبله اي ايحائنا اليك او بعد القران
لمن الغافلين اي عن قصة يوسف واخوته لانه صلى الله عليه وسلم انما علم ذلك بالوحي وقيل
لمن الغافلين عن الدين والشريعة وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وقوله تعالى اذ قال يوسف لابيه بدل من احسن القصص او منصوب باضمار اذكر ويوسف اسم عبري
وقيل عربي ورد بانه لو كان عربيا لصرف وسئل ابو الحسن الاخفش عن يوسف فقال الاسوف في اللغة الحزن
والاسيف العبد واجتماعهما في يوسف تسمي به وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكريم
ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم وقوله يا ابت اصله يا ابي فعوض
عن الياء التاء لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها ابن كثير وابن عامر هاء في الوقف ووقف الباقون
بالتاء كالرسم وفي الوصل بالتاء للجميع وفتح التاء في الوصل ابن عامر وكسرها الباقون اني رايت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر قال اهل التفسير راى يوسف في منامه وكان بن اثني عشر سنة وقيل سبع عشرة وقيل
سبع سنين ليلة الجمعة وكانت ليلة القدر وكان احد عشر كوكبا وانهم لتنزل من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له
وفسر الكواكب باخوته وكانوا احد عشر يستضاء بهم كما يستضاء بالشمس والنجوم والقمر بابيه ولذلك جعل
الشمس للام لانها مونثة والقمر للاب لانه مذكر والذي رواه البيضاوي تبعا للكشاف عن جابر رضي
من ان يهوديا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن النجوم التي راها يوسف فاخبره باسمايها
فقال اليهودي اي والله وانها لاسماوها قال ابن الجوزي انه موضوع وقوله رايتهم لي ساجدين استيناف وبيان
حاصل التي راها عليها فلا تكرير لان الرويا الاولى تدل على انه شاهد الكواكب والشمس والقمر والثانية تدل على مشاهدة
كونها ساجدة له وقال بعضهم انما قال اني رايت احد عشر كوكبا قيل له كيف رايت قال رايتهم لي ساجدين
وقال اخرون يجوز ان يكون احدهما من الرويا والاخر من الرويا وهذا القايل لم يبين ان ايهما يحمل على الرويا
وايهما يحمل على الوحي قال الزمخشري فذكر قوله رايتهم مبهما غير مبين فان قيل قوله رايتهم وقوله ساجدين لا يليق

الاجرام العقل والكواكب جمادات فكيف جاز اللفظة المخصوصة بالعقلاء في حق الجمادات اجيب بانها
لما وصفت بالسجود صارت كانها تعقل واخبر عنها كما اخبر عنه بفعل كما قال تعالى في صفة الاصنام
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وكما في قوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم فان قيل لم افرد
الشمس والقمر بالذكر مع انهما من جملة الكواكب اجيب بانه افردهما بالفضل لهما وشرفهما على سائر الكواكب
كقوله تعالى وملائكته ورسله وجبريل وميكال وقيل المراد بالسجود نفس السجود والتواضع
كلاهما محتمل والاصل في الكلام حمله على الحقيقة قال اهل التفسير ان يعقوب عليه السلام كان شديد
الحب ليوسف عليه السلام لحسنه اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب فلما راى يوسف هذه
الرؤية وكان تاويلها ان اخوته وابويه يخضعون له وخاف عليه حسدهم وبغيهم قال له ابو ٥٥
يا بني بصيغة التصغير او لصغر سنه على ما تقدم وقرا حمص في الوصل بفتح الياء والباقون بالكسر
والتشديد للجميع لا تقصص رؤياك على اخوتك اي لا تخبرهم برؤياك فانهم يعرفون تاويلها فيكيدوا
لك كيدا اي فيحتالوا في هلاكك فان قيل لم لم يقل فيكيدوك كما قال فيكيد وفي اجيب بان هذه اللام
تاكيد للصلة كقوله للرؤيا تعبرون وكقولك نصحتك ونصحت لك وشكوتك وشكوت لك ٥٥
وقيل صلة كقوله لربهم يرهبون ان الشيطان للانسان عدو مبين اي ظاهر العداوة كما فعل بابوهم
وهو فلا يالوا جهدا في تسويلهم وانارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وعن ابي قتادة قال كنت
ارى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله
والحلم من الشيطان فاذا راى احدكم ما يحبه فلا يحدث به الا من يحب واذا راى ما يكره فلا يحدث به
وليتفل عن يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لا تضره وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راى احدكم الرؤيا يحبها
فانما هي من عند الله فليحمد الله عليها وليحدث بها واذا راى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان
فليستعذ بالله من شرها ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره وعن ابي رزين العقيلي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الرؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طائر ما لم يحدث
بها فاذا حدث بها سقطت قال واحسبه قال ولا تحدث بها الا لبيبا او حبيبا واضيفت الرؤيا المحبوبة
الى الله اضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وان كانتا جميعا من خلق الله تعالى وتدبيره وارادته والفعل
للشيطان فيها ولكنه يحضر المكروهة ويزينها فيحب اذا راى الشخص في منامه ما يحب ان يحدث به مذهب
واذا راى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الاخر
فانه لا تضره فان الله تعالى جعل هذه الاسباب سببا للامنة من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية
المال قال الحكماء ان الرؤيا الردية يظهر تعبيرها عن قريب والرؤيا الجيدة انما يظهر تعبيرها بعد حين

قال ابو البركات

قالوا والسبب فيه ان رحمة الله تعالى تقتضي ان لا يحصل الاعلام بوصول الشر الا عند قرب
وصوله حتى يكون الحزن والغم اقل واما الاعلام بالخير فانه يحصل متقدما على ظهوره بزمن
طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير اكثر وانم ولهذا لم تظهر رؤيا
يوسف عليه السلام الا بعد اربعين سنة وهو قول اكثر المفسرين وقال الحسن البصري وكان
بينهما ثمانون سنة حتى اجتمع عليه ابواه واخوته وضرواله ساجدين وكذلك اي ومثل ما اجتباك
ربك للاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك اي يختارك
ويصطفيك ربك بالدرجات العالية واجتباه الله تعالى تخصيصه بفيض الهي فيحصل منه انواع
الكرامات بلا سعي من العبد وذلك مخصوص بالانبياء ببعض من بقاربهم من الصديقين والشهداء
والصالحين وقوله ويعلمك كلام مستانف خارج عن التشبيه والتقدير وهو يعلمك من اي بعض
تاويل الاحاديث من تاويل الرؤيا وغيرها من كتب الله تعالى والاخبار المروية عن الانبياء المتقدمين
وكان يوسف عليه السلام في تعبير الرؤيا وغيرها غاية والتاويل ما يؤول اليه عاقبة الامر ويتم نعمته
عليك بالنبوة قال ابن عباس لان منصب النبوة اي مع الرسالة اعلا من جميع المناصب وكل الخلق
دون درجة الانبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لان جميع مناصب الخلق دون منصب الرسالة و
النبوة فالكمال المطلق والتمام المطلق في حق البشر ليس الا النبوة والرسالة وقيل بجتبيك للنبوة
ويتم نعمته عليك بسعادات الدنيا وسعادات الاخرة اما سعادات الدنيا فالاكثار من الاولاد والخدم
والاتباع والتوسع في المال والجاه والاجلال في قلوب الخلق وحسن الثناء والحمد واما سعادات الاخرة
فالعلوم الكثيرة والاخلاق الفاضلة والاستغراق في معرفة الله وعلى ال يعقوب اي اولاده وهذا
يقتضي حصول اتمام النعمة لال يعقوب وتمام النعمة هو النبوة والرسالة كما مر فلزم حصولها لال
يعقوب وايضا ان يوسف عليه السلام قال اني رايت احد عشر كوكبا وكان تاويلها احد عشر نفسا
لم تفضل كمالا ويقتضي بعلمهم وبينهم اهل الارض لانه لا شيء اضوء من الكواكب وبها يهتدي وذلك
يقتضي ان تكون جملة اولاد يعقوب انبياء ورسلا فان قيل كيف يجوز ان يكونوا انبياء وقد اقدموا
على ما اقدموا عليه في حق يوسف عليه السلام اجيب بان ذلك وقع منهم قبل النبوة والعصمة
انما تعتبر بعد النبوة لا قبلها على خلاف فيه كما اتمها على ابويك بالنبوة والرسالة وقيل اتمام
النعمة على ابراهيم عليه السلام خلاصه من النار واتخاذه خليلا وعلى اسحاق خلاصه من الذبح
وفداؤه بذبح عظيم على قول ان اسحاق هو الذبيح من قبل اي من قبل هذا الزمان وقوله لابراهيم
واسحاق عطف بيان لابويك ثم ان يعقوب عليه السلام لما وعد بهذه الدرجات الثلاثة ختم
الكلام بقوله ان ربك عليم اي بليغ العلم حكيم اي بليغ الحكمة وهي وضع الاشياء في اتقن مواضعها و

لقد كان في اي في خبر يوسف واخوته وهم احد عشر يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبلون
قال البقاعي بزاي وموحدة وشجر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد له منهن
احدها زلفى والاخرى بلهة كذا قاله البغوي وقال الرازي والاخرى بلهة اربعة اولاد واسماؤهم
دان ونفتالي قال البقاعي بنون مفتوحة وفاء ساكنة ومثناة فوقية ولام بعدها ياء وجاد واشر ثم توأمة
ليا فتزوجها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ ذلك
اي علامات ودلايل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء للسايلين عن قصصهم قال الرازي ولعله
لم يسال عنها وهو كقوله تعالى في اربعة ايام سواء للسايلين وقيل ايات على نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وذلك ان اليهود سالوه عن سبب انتقال ولد يعقوب من ارض كنعان الى ارض مصر فذكر لهم قصة يوسف
فوجدوها موافقة لما في التوراة فعجبوا منه فكان دلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرا الكتب
المتقدمة ولم يجالس العلماء واصحاب الاخبار ولم ياخذ عنهم شيأ فدل ذلك على انما ياتي به وحي سماوي
اوحاه الله تعالى اليه وعرفه به وهذه السورة تشتمل على انواع من العبر والمواعظ والحكم منها ورويا
يوسف عليه السلام وما حقق الله تعالى بها من حدا خوته وما آل اليه امره من الملك ومنها
ما اشتمل على حزن يعقوب وصبره على تفقد ولده وما آل اليه امره من بلوغ المراد وغير ذلك من الآيات
التي اذا فكر فيها الانسان اعتبر وضرائب كثيرة على التوحيد والباقون على الجمع اذ اي واذكر اذ قالوا
اي بعض اخوة يوسف لبعض بعد ان بلغتهم الرويا وقالوا ما اير ضى ان تساجد له اخوته حتى يبو
له ابواه ليوسف واخوه اي بنيامين احب الى ابينا منا اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون
الجملة اراد وا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه وخبر المبتدا احد وحد لان افعل يوصى به
بين الواحد والمانوثة مذكرا كان او مونثا اذا لم يعرف او يضف وقيل اللام لام قسم تقديره والله ليوسف
واغا قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة والواو في قولهم ونحن عصبة واو الحال اي
يفضلهما في المحبة علينا ونحن جماعة اقوياء نقوم
بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما والعصبة والعصابة العشرة
فما فوقها وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة يعصب بهم الامور ويتكفون النوايب ان ابانا لفي
ضلال اي خطا مبين اي بين في ايثاره حب يوسف واخيه علينا والقرب المقتضي للحب في كلتا واحد
لانا في النبوة سواء ولنا مزية تقتضي تفضلنا وهي انا عصبة لنا منافع له والذب عنه والكفاية
ما ليس له تنبيه ها هنا سوالات الاول ان من المعلوم ان تفضيل بعض الاولاد على بعض يورث الحقد
واحد فلم تذم يعقوب عليه السلام على ذلك اجيب بانه فضلهما في المحبة والمحبة ليست في وسع
البشر فكان معذورا فيه ولا يلحقه بسبب ذلك لوم الثاني كيف اعترضوا على ابيهم فانهم وان كانوا

مومنين بنبوته لكن جوز ان يكون ذلك باجتهاد ثم ان اجتهاد ابيهم ادى الى تخطية ابيهم في ذلك
الاجتهاد لكونهم اكبر سنا واكثر فقها وغاب عنهم ان تخصيصه بالبر كان لوجوه احدها ان امهما ماتت
ثانيها انه كان في يوسف مخايل الرشد والنجابة ما لم يجده في سايل اولاده ثالثها انه وان كان صغيرا
الا انه كان يخدم اباه بانواع من الخدمة اعلا واشرف مما كان يصدر عن ساير الاولاد والحاصل
ان هذه المسيلة كانت اجتهادية وكانت مخلوطة بميل النفس وموجبات الفطرة فلا يلزم من وقوع
الاختلاف فيها طعن احد الخصمين في دين الاخر الثالث انهم نسبوا اباهم الى الضلال عن مصالح
الدنيا والبعد عن طريق الرشد لا الضلال عن الدنيا الرابع ان قولهم ليوسف واخوه احب الى ابينا
منا محض حسد والحسد من امهات الكباير لاسيما وقد تقدموا بسبب ذلك الحسد على امور مذمومة
منها قولهم اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا اي بحيث يحصل الياس من اجتماعه بابيه ومنها
العاوه في ذل العبودية ومنها انهم ايقعوا اباهم في حزن الدايم والاسف العظيم ومنها اقدامهم على الكذب
وكل ذلك يقدح في العصمة والنبوة اجيب بما تقدم ان ذلك كان قبل النبوة وقرا نافع وابن كثير بضم
وهشام والكسايي بضم التنوين منبنين في الوصل والباقون بالكسر فان وقف القاسم على مبتدا
وامتحن في الابتدا يبتدي بالضم للجميع وقولهم يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر اي يصف لكم وجه
ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وقوله وتكونوا عطف
بالعطف على يخل لكم او منصوب باضمار ان من بعده اي قتل يوسف او طرحه قوما صالحين بان تتوبوا
الى الله تعالى بعد فعلكم وانه يعفو عنكم وقال مقاتل يصلح امركم فيما بينكم وبين ابيكم قال قايل منهم
هو يهوذا وكان احزم الباقين وهو الذي قال فلن ابرح الارض وقيل روبيل وكان اكبرهم سنا لا تقتلوا
يوسف والقوه اي اطرحوه في غيابة الجب اي في اسفله وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيأ وغيبه
عن النظر قال القايل ○ فان انا يوما غيبتني غيابتي ○ فيا رب اني في العشيرة نادل
اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها والجب البير الكبيرة التي ليست مطوية سميت جبا لانها قطعت
قطعا ولم يحصل فيها شيء غير القطع من وطي او ما اشبهه وانما ذكر الغيابة مع الجب دلالة على ان البير
اشار بطرحه في موضعه مظلم منجب لا يلحقه نظر الناظرين قال بعض اهل العلم انهم عزموا على قتله
وعصمهم الله تعالى برحمته بهم ولو قتلوه لهلكوا اجمعين واختلف في موضع ذلك الجب فقال قتادة هو بيت المقدس
وقال وهب هو بارض الاردن وقال مقاتل هو على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وقرا نافع بالتوحيد
والتاء على الجمع والباقون بغير الف على التوحيد يلتقطه اي ياخذه بعض السيارة جمع سيار اي المسافرين
في البير وذلك الجب كان معروفا بير دعليه كثير من المسافرين فاذا اخذوه ذهبوا به الى ناحية فنرجع عنه
ان كنتم فاعلين اي ما امرتم من التفريق فاكتفوا بذلك ولما اجمعوا على التفريق بين يوسف وابيه بقي مجرد الحيل

قالوا اما لا لمحبة في الوصول اليه متعذرين على وجه التعجب لانه كان احسن منهم السوفكان يجوز
عليه يا ابانا مالك لا تامنا على يوسف والحال انا له لناصحون اي قايمون بمصلحته وحفظه تنبيه
اتفقوا القراء على اخفاء النون الساكنة عند النون المتحركة واتفقوا ايضا على ادغامها مع الاتمام
ارسله معنا غدا اي الى الصحراء نرتع اي نتسع في اكل الفواكه ونحوها واصل الرتع اكل البهايم في الحصب
في زمن الربيع ويستعار للانسان اذا اريد به الاكل الكثير ونلعب روي انه قيل لابن عمر وكيف يلعبون
نلعب ونحن انبيا فقال لم يكونوا يومييذ انبيا وايضا جاز ان يكون المراد باللعب الاقدام على المباحات
لاجل انشراح الصدر كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا
كان لعبهم الاستباق والانتضال والغرض منه المحاربة والمقاتلة مع الكفار والدليل عليه قولهم انا
اذا لذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بالنون بعدها الياء
بالياء وسكن العين ابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وكسرها الباقون في الوصل والفتح وجه
اظهر وهو ان يثبت الياء في نرتع بعد العين وقفا ووصلا وانا له لحافظون اي يليقون له في الحفظ
حتى نرده اليك سالما قال ابو حيان وانتصب غدا على الظرف وهو ظرف مستقبل يطلق على اليوم
الذي يلي يومك وعلى الزمن المستقبل من غير تقييد واصل غد اغدو وحذفت الواو وانتهى ثم ان يعقوب
عليه السلام اعتذر لهم بعذرين الاول ما حكاه الله تعالى عنه بقوله قال اني ليحزنني ان تذهبوا به
اي ذهابكم به واحزن هنا الم القلب بفراق المحبوب لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة وقرا نافع
بضم الياء وكسر الزاي والباقون بفتح الياء وضم الزاي والثاني في قوله واخاف ان ياكله الذيب وانتم
عنه غافلون بالرتع واللعب او لقلة اعتنائكم به وكان يعقوب عليه السلام راى في المنام ان الذيب شد على يوسف
فكان يحذره من هذا ذكر ذلك وكان لقوم الفله وفي امثال العرب البلا موكل بالمنطق والذيب افترس
وكانت ارضهم كثيرة الذياب قالوا مجيبين عن الثاني بما يليق بالاب لا رساله موكدين لتطييب
خاطره والمين على القسم بلامه لين اكله الذيب ونحن اي والحال انا عصبة اي جماعة عشر رجال
بمثلهم يعصب الامور ويكفي الخطوب واجابوا عن القسم بما اعتيد عن جواب الشرط بقولهم
انا اذا اي فاكان هذا الخاسرون اي كاملون في الخسارة لانا اذا ضيعنا اخانا فنحن لما سواه
من امورنا اشد تضييعا واعرضوا عن جواب الاول لان حقدهم وغيظهم كان بسبب الغدر الاول
وهو شده حبه له فلما سمعوا ذلك المعنى تفاءلوا عنه وافله ان يقولوا ما وجه الشبه بفراقه
يوما والسماح بفراقنا كل يوم وقرا الذيب ورش والسوسي والكسائي بابدال الهمزة يا وقفا
وقفا ووصلا وحمزة وقفا لا وصلا والباقون بالهمزة وصلا ووقفا وقوله تعالى فلما ذهبوا به
فيه اضمار واختصار تقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب اي وهو

على الغاية فيها ولا بد من تقدير جواب وهو مجعلوه فيها وحذف الجواب في القرآن كثير شرط ان يكون
المذكور دليلا عليه وهنا كذلك قال وهب وغيره من اهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا له
ما تشتاق ان تخرج معنا الى مواشينا فتصيد وتتفرج قال بلى قالوا فما سيل ابا كان يرسلك معنا قال
يوسف افعل فدخلوا جميعا الى ابيهم وقالوا ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال
يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابت اني ارى مناظر تعجبني اللين واللطف فاحب ان تاذن لي
وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فاذن له فارسله معهم فلما خرجوا به من عند
ابيهم جعلوا يجلونه على رقابهم وابيهم ينظر اليهم فلما بعد واعنه وصاروا الى الصحراء القوه في الا رض
واظهروا له ما في انفسهم من العداوة واغلظوا له القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جاء الى احدهم
واستغاث به يضربه فلم يرحمه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا ابتاه ويا يعقوب
لو رايت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك وابكاك يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك
وجعل يبكي بكاشديدا فاخذه روبيل فجلد به الارض ثم جلس على صدره واراد قتله فقال له
يهلا يا اخي لا تقتلني فقال له يا ابن راحيل انت صاحب الاحلام الكاذبة قال لا ويلك تخلصك
منا يدينا ولوحي عنقه فاستغاث بيهودا وقال له اتق الله في وحيل بيني وبين من يريد قتلي
فادركته رحمة ورقة فقال ليهودا اما اخوتاه ما على هذا عاهدتموني فانطلق به الى الجب
ليطرحوه فيه فجاوا به على بير على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلونه في البير
فيتعلق بشفير البير فنزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي استر به في الجب
فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال اني لم ار شيئا اقبح منهم وكان في البير
فسقط فيه ثم اوي في صخرة كانت في البير فقام عليها فناداهم فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم
فارادوا ان يرضخوه بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهودا من ذلك وكان يهودا ياتيه بالطعام وبقي فيها
ثلاثة ايام وقيل اوحينا اليه في الجب في صغره وهو ابن سبع عشرة سنة او دونها كما اوحى الى يحيى
وعيسى عليهما السلام في صغرهما وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار
جرد عن ثيابه فاتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه ودفعه ابراهيم
عليه السلام الى اسحاق والى اسحاق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها بيوسف فاخرجها
جبريل والبسه اياها لتنبئنهم اي لتخبرنهم بعد هذا اليوم بارم بصنعهم هذا وهم لا يشعرون
اي انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للسيما كما قال تنا في فعرفهم
وهم له منكرون والمقصود من ذلك تقوية قلبه وانه سيخلص مما هو فيه من المحنة ويصير
مستوليا عليهم ويصيرون تحت امره ونهيه وقهره روي انهم لما دخلوا عليه للطلب الحنطة عرفهم

وهم له منكرون دعي بالصواع فوضعه علي يده ثم تفرسه فظن فقال انه ليخبرني هذا الجام
انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف فظلمتموه وغلبتم ابيكم الكلمة الذئب وقيل لا يشعرون
بايحائنا اليك وانك في البيت بابك ستخبرهم بصنيعهم هذا والفائدة في اخفاء ذلك الوحي عنهم لئلا يعرفوه
فربما ازدادوا حقدهم وكانوا يقصدونه بقتله وقيل ان المراد من هذا الوحي الالهام كما في قوله تعالى
واوحينا الي ام موسى وقوله تعالى واوحي ربك الي النحل ولما كان من المعلوم انه ليس بعد هذا
الفعل الذي فعلوه الا الاعتذار جاؤا ابام دون يوسف عشاء في ظلمة الليل ليلا يتفرس ابوهم
في وجوههم اذا راها في ضياء النهار ضد ما جاؤا به من الاعتذار وقد قيل لا تطلب الحاجة
في الليل فان الحياء في العينين ولا تعتذر وا بالنهار منه ذنب تتلجلج في الاعتذار يبكون والبكاء
جريان الدمع من العين والاية تدل علي انه لا يدل علي الصدق لاحتمال التصنع روي
ان امراة حاكمت الي شريح فبكت فقال الشعبي يا ابا امية اما ترا هاتبكي قال قد جا اخوة يوسف
يبكون وهم ظلمة كذبة لا ينبغي للانسان ان يقضي الا بالحق فعند ذلك قرع يعقوب عليه
السلام فقال اهذا اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما فعل يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا سبق الا في خف
او نصل او حافر يعني بالنصل الرمي وقيل العدو ليتبين ايننا اسرع عدوا وتركنا يوسف اخانا
عند متاعنا اي ما كان معنا مما نحتاج اليه في ذلك الوقت من ثياب ونزاد ونحو ذلك فاكله
اي تنب عند انفراده ان اكله الذئب وما انت اي والحال انك ما انت بمؤمن اي بمصدق لنا ولو كنا
صادقين في هذه القصة لمحبة يوسف عندك فكيف وانت تسيء الظن بنا وقيل لا تصدقنا لانه
لا دليل لنا علي صدقنا وان كنا صادقين ولما علموا انه لا يصدقهم بغير امارة جاؤا علي قميصه
اي يوسف عليه السلام بدم كذب قال الفراء اي مكذوب فيه الا انه وصفه بالمصدر علي تقدير ذي
كذب او مكذوب اطلق عليه المصدر مبالغة لانه غير مطابق للواقع لانهم ادعوا انه دم يوسف عليه
السلام والواقع انه دم سخلة ذبحوها ولطخوا ثوبه بذلك الدم قال القاضي ولعل غرضهم في تمزيق
قميصه عند الغاية في غباية الحب ان يغفلوا هذا التوكيد صدقهم اذ يبعد ان يغفلوا ذلك
فلما في نفس القميص ولابد في المعصية من ان يقترن بها الخذلان فلو خرقوه مع لطخه بالدم
لكان الاتهام اقوى فلما شاهد يعقوب عليه السلام القميص صحيحا علم كذبهم روي ان يعقوب
عليه السلام اخذ القميص فنشره والقاه علي وجهه وبكي حتى خضب وجهه بدم القميص وقال والله
ما رايت كاليوم خبيثا ما راين كاليوم وبا احكم من هذا الذئب الذي لم يشق قميصه تنبيه علي قميصه
محله النصب علي الظرفية كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء علي جماله باحماله ولا يصح ان

يكون

حال مقدرة

حالا مقدرة لان حامل المجرور لا يتقدم عليه قال الشعبي قصة يوسف كلها في قميصه وذلك انهم
لما القوه في الجب نزعوا قميصه ولطخوه بالدم وعرضوه علي ابيه ولما شهد الشاهد قال ان كان
قميصه قد من قبل وما اني بقميصه الي يعقوب والقي علي وجهه ارتد بصيرا ثم ذكر تعالي
ان اخوة يوسف لما ذكروا ذلك الكلام واحتجوا علي صدقهم بالقميص الملطخ بالدم قال يعقوب
عليه السلام بل سولت اي زينت لكم انفسكم امرا فعلتموه واختلف في السبب الذي عرف به
كونهم كاذبين علي وجوه الاول انه كان يعرف الحسد الشديد في قلوبهم والثاني كان عالما بانه
حي لانه عليه السلام قال ليوسف وكذلك يجتبيك ربك وذلك دليل علي كونهم في ذلك القول الثالث
انه لما راي قميصه صحيحا قال كذبتم لو اكله الذئب لخرق ثوبه وقيل انه لما قال ذلك قال له بعضهم
بل قتله اللصوص فقال كيف قتلوه وتركوا قميصه وهم الي قميصه احوج منهم الي قتله فلما اختلفت
اقوالهم عرف بسببه ذلك كذبهم وقوله فصبر جميل مرفوع بالابتداء لكونه موصوفا وخبره محذوف
والتقدير فصبر جميلا اولي مني الخروج ومنهم من اضمر المبتدا قال الخليل الذي افعله صبر جميل وعن
الحسن ان النبي صلي الله عليه وسلم سيل عن الصبر الجميل فقال صبر لا شكوي فيه لمخلوق بل بصبر
كما قال يعقوب انما اشكو بثي وحزني الي الله وقال مجاهد فصبر جميل من غير جزع وقال الثوري
ان من الصبر ان لا تحدث بوجعك ولا بمصيبتك ولا تزكي نفسك وروي ان يعقوب عليه السلام
كان قد سقط حاجباه وكان يرفعهما بخرقة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحي
الله تعالي اليه يا يعقوب اتشكوني فقال يا رب خطيئة احطاتها فاغفرها لي وروي ان عايشة
رضي الله عنها في قصة الافك انها قالت والله لئن حلفت لا تصدقوني ولئن اعتذرت لا تعذروني
مثلي ومثلكم كمثل يعقوب وولده والله المستعان علي ما تصفون فانزل الله تعالي في عذرها
ما انزل وقوله فصبر جميل يدل علي ان الصبر علي قسمين قد يكون جميلا وقد يكون غير جميل
فالصبر الجميل ان ينكشف له ان هذا البلاء من الحق فاستغاثته في شهود نور البلي يمنعه من الاشتغال
بالشكاية عن البلاء وذلك قيل المحبة التامة لا تزداد بالوفاء ولا تنقص بالجفاء لانها لو ازدادت بالوفاء
لكان المحبوب هو النصيب والحظ وموصل النصيب لا يكون محبوبا بالذات بل بالعرض فهذا هو
الصبر الجميل واما الصبر للرضا بقضاء الله تعالي فكان لسائر الاغراض فذلك الصبر لا يكون جميلا
فان قيل الصبر علي قضاء الله تعالي واجب واما الصبر علي ظلم الظالمين فغير واجب بل الواجب
ازالته لا سيما في الضرر المعاد الي الغير فلم صبر يعقوب علي ذلك ولم يبالغ في البحث مع شدة رغبته
في حضور يوسف ونهاية حبه له وكان من بيت شريف عظيم وكان يعرف ربه ويعتقد ان فيه جبرا بانه
يحتمل ان يكون منع من الطلب تشديدا للمحنة عليه زيادة في اجره او انه لو بالغ في البحث لبما ادي

على ايذائه ولم يمتنعوه منه الطلب والفحص فراي ان الاصوب الصبر والكون وتفويض الامر
بالكلية الى الله تعالى وقال والله المستعان اي المطلوب منه العون على ما تصفون
اي تذكرون من امر يوسف والمعنى ان اقدامه على الصبر لا يكون الا بمعونة الله تعالى
لان الدواعي النفسانية تدعوه الى اظهار الجزع وهي قوية والدواعي الروحانية تدعوه
الى الصبر فكان المحاربة وقعت بين الصفتين فما لم تحصل اعانة الله تعالى لم تحصل الغلبة
فقوله فصبر جميل يجري مجرى قوله اياك نعبد وقوله والله المستعان على ما تصفون يجري مجرى
قوله واياك نستعين ولما اراد الله تعالى خلاص يوسف من الجب بين سببه بقوله تعالى وجاءت
سيارة وهم القوم المسافرون سموا بذلك لانهم يسيرون في الارض وكانوا رفقة من مدين
يريدون مصر فاخطأوا الطريق فمالوا على غير الطريق فمروا على ارض فيها جب يوسف
وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران اي لم يكن الا للرعاة يرد اليه ماء كان محافا فدلوا حين
القوا يوسف فيه فلما ائتوا ارسلوا رجلا يقال له مالك بن ذعر لطلب الماء فذكر قوله تعالى
فارسلوا واردهم اي الذي يرد الماء لقومه منه والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الماء
يهيئ الارشية والدلاء قال ابن السكيت ارسل دلوه في البير يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها في البير ودلوتها
اذا اخرجتها والدلو معروف والجمع الدلاء فلما ارسلها تعلق بالحبل يوسف عليه السلام فلما خرج
فاذا هو بغلام احسن ما يكون قال صلى الله عليه وسلم اعطي يوسف شطر الحسن وقيل انه ورث
ذلك الجمال من جدته سارة وكانت جدته قد اعطيت سدس الحسن قال ابن اسحاق ذهب يوسف
وامه بثلثي الحسن وحكي الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف حسن الوجه جعد الشعر ضخم
العينين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين والعضدين واللاتين خميص البطن
صغير السرة وكان اذا تبسم رايت النور من ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور من ثناياه لا يستطيع
احد وصفه وكان حسنه ضوء النهار عند الليل وكان يشبه ادم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى وصوره
قيل ان بصيبا الخطيبة فلما راه مالك بن ذعر قال يا بشراي هذا غلام فنادى البشرى بشارة لنفسه
كانه قال تعالي فهذا اوانك وعن الاعمش انه قال دعي امراة اسمها بشرى كما قراه حمزة وعاصم والكسائي
فانهم قرأوا بحذف الياء بعد اللام والباقون باثبات الياء وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك
وروي ان جدران البير كانت تبكي على يوسف حين اخرجوه واختلفوا في ضميره واسروه الى من يعود
وفيه قولان الاول انه عائد الى الوارد واصحابه اخفوا امر الواقعة انهم وجدوه في الجب وذلك انهم قالوا
ان قلنا للسيارة التقطناه شاركونا وان قلنا اشتريناه سالونا الشركة فالاصوب ان نقول انا اهلنا
جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر والثاني ونقل عن ابن عباس انه قال واسروه يعني اخوة يوسف

اسروا الثمن

اسروا ثمنه وذلك ان يهود كانت ياتيه باطعام كل يوم فلم يكلمها في البير فاخبر اخوته فطلبوه فاداهم
بما لك اب وعن وهب انه نزلوا قوهم فاداهم يوسف فقالوا هذا عبدنا ابق هنا وتابعهم يوسف على
ذلك لانهم توعدوه بالقتل ليسان الغيرانية قال الواحدي والاول اولى لان قوله واسروه بضاعة
يدل على ان المراد انهم اسروه حال ما حكوا ما به بضاعة وذلك انما يليق بالوارد والذي يؤيد قول يوسف
تشتيه السيارة عند العثور على المال يجعل للتجارة من بعض الشيء اذا قطعه قال الزجاج
وبضاعة منصوب على الحال كانه قال واسروه حال ما جعلوه بضاعة ولما جعل تعالى هذا البلاء
سببا لوصوله الى حصر ثم صار ذلك وقايته الى ان صار ملكا حصر وحصل ذلك الذي راه في المنام
فكان الفعل الذي عمله الاعداء في دفعه عن ذلك المطلوب صيره تعالى سببا لحصول ذلك المطلوب فلهذا
المعنى قال تعالى والله عليم اي بالغ العلم بما يعملون وشروه اي باعوه اقتدى لفظ الشراء على البيع
يقال شريت الشيء بمعنى بعته وانما حمل هذا الشراء على البيع لان الضمير في شروه وفي كانوا فيه من
الزاهدين يرجع الى بعض واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه صاعوه وقيل ان الضمير يعود الى
مالك الذي عمله على ابيه وقال محمد ابن اسحاق سراك اعلم اخوته
باموه السيارة واختلفوا في معنى قوله تعالى بثمن بخس فقال الضحاك حرام لان ثمن الحر حرام
وسمي الحرام بخسا لانه لا خير فيه وقال ابن مسعود زيوف وقال عكرمة اي بثمن قليل ويدل
لهذا قوله تعالى دراهم معدودة لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان اقل من اربعين
درهما انما كانوا ياخذون ما دونها عددا فاذا بلغت وهي اوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك
الدراهم فقال ابن عباس كانت عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين وعلى هذا لم يأخذ اخوة يوسف
شقيقه منها شيا وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما وقال عكرمة اربعين درهما وكانوا ابا اخوته
فيه اي يوسف من الزاهدين لانهم لم يعلموا منزلته عند الله تعالى ومعنى الزهد قلة الرغبة يقال زهد فلان
في كذا اذا لم يرغب فيه واصله القلة يقال رجل زهيد اذا كان قليل الطمع وقيل كانوا في الثمن من الزاهدين لانهم لم يكن
قصدهم تحصيل الثمن وانما كان قصدهم تبعيد يوسف عن ابيه وقيل الضمير في كانوا للسيارة لانهم التقطوه
والملتقط للشيء يرتاب به خايف من ان يراه متعجل في بيعه لا يريد باعوه باوكس الاثمان روي في الاخبار
ان مالك بن ذعر انطلق هو واصحابه بيوسف وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا نه ابق فذهبوا حتى باعوه
وعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير الطغير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان
ابن الوليد رجل من العمالقة وقد امن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الايمان فابى واشتراه العزيز وهو بن سبع عشرة سنة فاقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو بن ثلاثين سنة واتاه الله الملك والحكمة وهو بن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو بن ماية وعشرين سنة

سلام

وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عاش اربعماية سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى منا ولاد فرعون يوسف واشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوج بفعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر فدخلوا به السوق يعرضونه في البيع فتزايد الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ووزنه فضته ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنا رجاية رجل وكان عمره حينئذ سبع عشرة سنة وقيل ثلاث عشرة سنة فابتاعه قطفير بن رعائيل وهو ذكر قوله تعالى وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته واسمها زليخا وقيل راعيل اكرمي مثواه قال الرازي وعلم ان شيامة هذه الروايات لم يدل عليه القرآن ولم يثبت ايضا في خبر صحيح وتفسير كتاب الله تعالى لايتوقف على شيء من هذه الروايات فاللايق بالعاقل ان يحترز من ذكرها انتهى ولكنا البغوي ذكرها وتبعه على ذلك جماعة من المفسرين واللام في امرأته متعلقة بقال لا باشتراه والمثوى موضع الاقامة اي اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا بدليل قول يوسف انه ربي احسن مثواي ومراده بتعهديه بالاحسان والتعهد يحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة بها وكتمنا قال المحققون امر العزيز امرأته باكرام مثواه دون اكرامه نفسه يدل على انه كان ينظر اليه على سبيل الاجلال والتعظيم كما يقال السلام الله على المجلس العالي وما امر باكرام مثواه علة لقوله لذكر بان قال عسى ان ينفعنا اي بعض باصلاح مهماتنا او نتبناه بالرجل اذا امر بنا بيعه او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان حصور اليس له ولد قال ابن مسعود ارس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينتفعنا او نتخذه ولدا وابنة شعيب حين قالت لابيها في موسى استاجره وابو بكر في عمر حيث استخلفه وكذلك اي وكما نجيناه من القتل والجب وعطفنا عليه قلب العزيز مكنا ليوسف في الارض اي ارض مصر قال البقاعي التي هي كالارض كلها لكثرة منافعها بالملك فيها التمكنه من الحكم بالعدل والنبوة وقوله تعالى ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي تعبير الرويا عطف على مقدر متعلق بمكنا اي لنمكنه او الواو زايدة والله غالب على امره اي الامر الذي يريده ولانه تعالى فعال لما يريد ولا دافع لقضايه ولا مانع عن حكمه في ارضه وسمايه او على امر يوسف اراد اخوته قتله فغلبه امره عليهم واراد ان يلتقطه بعض السيارة ليبتدر سلمه فغلبه امره سبحانه وظهر حلمه واشتهر ثم باعوه ليكون مملوكا فغلبه امره تعالى حتى صار ملكا وسجد وابوين يديه ثم اراد وان يضروا اباهم ويطيبوا قلبه حتى يخلو الهم وجهه فغلبه امره تعالى فاظهره على مكرهم واحتالن عليه امرأة العزيز لتخدعه عن نفسه فغلبه امره تعالى بعصمه حتى لم يهم بسوء الا هرب منه غاية الهرب ثم ابدل جهده باني اذلاله واقا الحجة عليه فابى الله تعالى الا اعزازه وبرائته ثم اراد يوسف عليه السلام ذكر الساقي فانه فغلبه امره تعالى فانساه ذكره حتى يمضي الاجل الذي ضربه الله تعالى وكم من امر كان في هذه القصة وفي غيرها يرشد الى انه لا امر لغيره ولكن اكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون ان الامر كله بيد الله او ان اكثر الناس

لا يعلمون ما هو صانع بيوسف وما يريد منه فمن تامل في الدنيا وعجايب احوالها عرف وتيقن ان الامر كله لله وان قضاء الله تعالى غالب ولهذا بين تعالى ان اخوته اساؤا اليه وصبر على تلك الشدايد والمحن ومكنه الارض اتبعه الامر بتمام النعمة عليه بقوله تعالى ولما بلغ اشده اي منتهى شبابه وقوته وشدته تقول العرب بلغ فلان اشده اذا انتهى منتهاه في شبابه وقوته وهذا اللفظ مستعمل في الواحد والجمع تقول بلغ اشده وبلغوا اشدهم وهو ثلاث وثلاثون سنة وقال الدربي بلغ ثلاثين سنة وقال الضحاك عشرين سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين وقيل انقضاء اثنان وستون سنة قال الاطباء ان الانسان يحدث في اول الامر ويتزايد كل يوم شيأ فشيأ الى ان ينتهي الى غاية الكمال ثم ياخذ في التراجع الى ان ينتهي الى العدم والمحاق كالتمر اتيناه حكما اي حكمة وهو العلم المويد بالعمل او حكما بين الناس وعلما اي علم تاويل الاحاديث وقيل المراد بالحكم النبوة والرسالة وتقدم ان قوله تعالى واوحينا اليه وحي حقيقة قال الرازي فلا يبعد ان يقال ان ذلك الوحي اليه في ذلك الوقت لا لاجل بعثه الى الخلق بل لاجل تقوية قلبه وازالة الحزن عن صدره ولاجل ان يستانس بمجيء جبريل عليه السلام وكذلك اي ومثل ذلك الجزاء الذي جزيناه نجزي المحسنين قال ابن عباس يعني المومنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوايب كما صبر يوسف وعن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في كهولته ولما اخبر تعالى ان سبب النعمة عليه احسانه اتبعه دليله فقال تعالى وراودته التي هو في بيتها اي امرأة العزيز راودت يوسف عن نفسه لانها علمت انه في غاية الحسن والجمال طمعت فيه وقيل ان زوجها كان عاجزا والمراودة مفاعلة منه اراد يروادها وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عند الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلب عليه ويأخذه منه وهو عبارة عن التحيل لموافقته اياها وغلقت الابواب اي اطبقتها وكانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الاتيان لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية لا سيما اذا كان حراما ومع قيام المانع فيه بالتشديد وقالت هيت لك اي تهيات وتصنعت لك خاصة فاقبلي وامتثلي امري قال الواحدي هيت لك اسم للفعل كحوريه وصفه ومعناه هلم في قول جميع اهل اللغة وقرا نافع وابن عامر بكسر الهاء والباقون بالفتح وقراهشام بعدها همزة ساكنة والباقون بها ساكنة وقرات كثير بضم التاء وفتحها والباقون بالفتح قال يوسف عليه السلام معاذ الله اي اعوذ بالله واعتصم به ولجا اليه مما تدعوني اليه انه اي الذي اشتراني بجاي سيدي احسن مثواي اي اكرم منزلي فلا اخونه في اهله وقيل انه الله ربي احسن مثواي اي اواني وهذا بالطبع ابقاني فلا يفعل

الظالمين اي ان فعلت هذه الفعلة فانا ظالم ولا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها
اي قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو
الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمته ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري
وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف
نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم ولهذا قال بعض اهل الحقايق لهم قسمان هم
ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضا مثل هم امراة العزيز فالعبد ماخوذ به
وهم عارض وهو الخطرة وحديث من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف عليه والعبد
ماخوذ به مالم يتكلم او يعمل كما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه
وسلم قال يقول الله عز وجل اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها حسنة مالم يعملها
فاذا عملها فانا اكتبها بعشر امثالها قاله في الكشاف ويجوز ان يريد بقوله وهم بها شارف
ان يهم كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شارف
لولا ان راى اي بعين قلبه برهان ربه اي الذي اتاه اياه من الحكم والعدل اي لهم بها
لكنه كان ابى هجران حاضر لديه حضور من يراه بالعين فلم يهم اصلا مع كونه في
غاية الاستعداد لذلك لما اتاه الله تعالى من القوة مع كونه في سن الشباب فلولا انه
لهم بها لتوفر الدواعي غير ان نور الشهود محاها اصلا وهذا التقدير هو اللايق بمثل
مقامه عليه السلام مع انه الذي يدل عليه اساليب هذه الايات من جعله من المخلصين هم
والمحسنين المصروف عنهم السوء والفحشاء لان الهم بالسوء مع قيامهم القاطع على كذب
ما تضمنه قولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الاية من مطلق الارادة ومع ما يتحتم تقدير
ما ذكر بعد لولا في خصوص هذا التركيب من اساليب كلام العرب فانه يجب ان يكون المقدر
بعد كل شيء من معين ما قبله وهذا مثل قوله تعالى ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على
قلبها اي لابدت به واما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك من تفسيرهم يوسف بان حل
الهميان وجلس بين شعبها الاربع وهي
مستلقية على قفاها ومن تفسير البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له هـ
فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم يخجل فيه حتى مثل له يعقوب عاضا
على انمله وقيل ضرب بيديه على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب ولد
له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم
وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطاير كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف

بينما اليس

بينما ليس لها عقيد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم
راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا
يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل
ان يورك الخطيئة فاهبط جبريل وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفها وانت مكتوب في
ديوان الانبياء وقيل اي تمثال العزيز وقيل قامت امراة الى صنم هناك فسترته وقالت استحي
ان يراني فقال يوسف استحيت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع العليم
بذات الصدور فلم يصح منه شيء عند احد منهم مع ان هذه الاقوال التي وردت عنهم اذا جمعت
تنافضت وتكاذبت قاله الزمخشري وهذا ونحوه مما يورده اهل الجبر والحشو الذين ديدنهم
جهتا الله وانبياءه فاحزني الله اولئك في ايرادهم ما يودي الى ان يكون انزال الله السورة
التي هي احسن القصص في القرآن العزيز مبينين لتقتدي نبي من انبياء الله تعالى فيما ذكروه
واهل الحدود والتحقيق ليسوا ممن مقالاتهم ورواياتهم يحتج الله بها ولا في رد ذلك
وكذا فعل الرازي وقيل وهم بها اي بزجرها ووعظها وقيل هم بها اي غمه امتناعه منها وقيل
هم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها وقتلها وقيل هم بحله قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زاد
النساء يمثل الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله تعالى فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل
منهما عن صاحبه كذلك اي مثل ذلك التثبيت نثبته في كل امر لنصرف عنه السوء اي الهم بالزنا
وغيره والفحشاء اي الزنا وغيره وقيل السوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بالشهوة والفحشاء
هو الزنا وكانه قيل لم فعل به هذا فقيل انه من عبادنا اي الذين هم خير صرف لا يبغي للطهر غش
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بكسر اللام بعد الخاء والباقون بالفتح قاله الرازي فوروده
باسم الفاعل دل على كونه اتيا بالطاعات والقربات مع صفة الاخلاص وروده باسم المفعول
يدل على ان الله تعالى استخلصه واصطفاه لحضرته وعلى كلا التقديرين فانه مما دل الالتفات على
كونه منزها عما اضافوه اليه وهذا مع قول ابليس لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين
شهادة من ابليس ان يوسف عليه السلام بريء مما رماه به من نسبه الى انهم ان كانوا من اتباع دين
الله فليقبلوا شهادة على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة ابليس
على طهارته قاله وليعلم بقولهم كنا في اول الامر تلامذة ابليس الا انا نرى ونا تخلنا عليه في
الغاهة كما قال الخازن وري ه وكنت فتى من جند ابليس فارتقى ه بي الامر حتى صار ابليس من جندي ه
ه فلو مات قبلي كنت احسن بعده ه طرائق قولي يحسنها بعدي ه ثم ذكر سبحانه وتعالى ما فعلته
في الاعتناء بالجد في الهرب دليلا على اخلاصه وانه لم يهم اصلا فقال واستبقا الباب اي وجدا

المسابقة نهاية الرغبة من كل منهما هذا الهرب منا وهو قد لمحه فكل منهما بذل اقصى جهده في السبق
فلحقته عند الباب الاقصى مع انه قد كان سبقها بقوة الرجولية وقوة الداعية الى الفرار الى الله
تعالى ولكن عاقه اتقانه للمكر بكون الابواب كانت مغلقة فكان يشتغل بفتحها فتعلقت بادني
ما وصلت اليه من قميصه وهو ما كان من وراء ظهر خوف فواته فاشتد تعلقها به مع اعراضه
هو عنها وهربه منها فقدته فاراد الخروج فمنعته ولم تزل تنازعه حتى قدت اي شقت قميصه
وكان القد من دبر اي الناحية من الخلق منه وانقطعت منه قطعة فبقيت في يدها والفيا اي
وجدا سيدها اي زوجها قطفير وهو العزيز تقول المراة لبعلها سيدي ولم يقل سيدهما
لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيده على الحقيقة لوي اي عند الباب جالسا مع بنعم المراة
فان قيل كيف وجد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت الابواب اجيب بانه اراد الباب البراني
الذي هو المخرج عن الدار والمخلص وقد روي كعب الاحبار ان يوسف لما هرب جعل فراس
القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب فلما رات المراة بنعمها هابته وخافت التهمة فما
يوسف بالقول وقال لزوجها ما جزاء من اراد باهلك سوءا اي فاحشة زنا او غيره ثم خافت عليه
ان يقتل وذلك لشدة حبها له فقالت الا ان يسجن اي يحبس في السجن ويمنع التصرف او عذاب
اليم اي مولم بان يضرب بالسياط ونحوها وانما بدات بالسجن قبل العذاب لان المحب لا يشتهي ايلام
المحبوب وانما ارادت ان يسجن عندها يوما او يومين ولم ترد السجن الطويل فانه لا يصبر عنه
بهذه العبارة بل يتاديب ان يجعل من المسجونين الا ترى ان فرعون هكذا قال في حق موسى
عليه السلام في قوله لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين فلما سمع يوسف عليه
السلام مقالتها قال مبرا نفسه هي بضمير الغيبة لاستحيائه بمواجهتها باشارة او ضمين
راود تني عن نفسي اي طلبت مني الفاحشة فابيت وفررت منها وذلك ان يوسف عليه السلام
ما كان يريد ان يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضه
الى ازالة هذه التهمة عن نفسه وصدقه لمربي فيما قال لا يحتاج الى بيان اكثر من الحال الذي
كان فيه وقولهما عند الباب ولو كان الطلب منه لبعلها كان الاولى في محلها الذي تجلس فيه وهو صدر البيت
واشرف موضع فيه وايضا عبد الهم والعبد لا يمكنه ان يسلط على مولاه الى هذا الحد وايضا ان
المراة زينت نفسها على اجمل الوجوه واما يوسف فما كان عليه اثر من اثار تزيين النفس فكان لها في
هذه الفتنة بالمراة اولى ثم انه تعالى بين ليوسف عليه السلام دليلا اخر يقوي تلك الدلايل المذكورة
ويدل على انه بريء من الريب وان المراة هي المذنبة وهو قوله تعالى وشهد شاهد من اهلها اي وحكم
حاكم من اهل المراة واختلفوا في هذا الشاهد فقال سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا في المهد

انطقه الله

انطقه الله كرامة ليوسف عليه السلام وروي انه صلى الله عليه وسلم قال تكلم في المهد اربعة
وهم صغار شاهد يوسف وابن ماشطة بنت فرعون وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب
رواه الامام احمد وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى
ابن مريم وصاحب جريج وفتى كان يرضع امه فمر به راكب حسن الهيئة فقالت امه اللهم
اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله وبهذا الاعتبار صار واحمة وزاد
الثعلبي سادسا وهو يحيى بن زكريا وزاد غيره علي ذلك ولعل الحصر فيما ذكر في الحديث
كان قبل العلم بالزيادة فلا تناقض او صلهم السيوطي الى احد عشر وتظلمهم فقال
تكلم في المهد محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم وعبد جريج وشاهد يوسف وطفل الذي الاخدود
وطفل عليه مر بالامة التي فيقال لها ترفي والا تكلم وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن النبي المبارك
وقال طائفة عظيمة من المفسرين انه كان لها ابن عم وكان رجلا حكيما واتفق في ذلك الوقت انه كان مع
الملك يريد ان يدخل عليها فقاد قد سمعا الجلبة من وراء الباب وشق القميص لانا لا ندري ايهما
قدام صاحبه ولكن ان كان قميصه قد من قبل اي من قدام فصدقت وهو من الكاذبين وان
كان قميصه قد من دبر اي من خلف فكذبت وهو من الصادقين لانه لولا ادباره منها واقبالها
عليه لما وقع ذلك فعرف سيده صحة ذلك بلا شبهة كما قال فلما راى اي سيدها قميصه اي
يوسف عليه السلام قد من دبر قال لها زوجها قطفير وقد قطع بصدقه وكذبها موكدا لاجل انكار
انه اي هذا القذف له من كيدكن من مكركن وكيد طلب الاناث بما يكره اي كيدكن عظيم
والعظيم ما ينقص مقدار غيره حالا ومعنى فان قيل كيف وصف كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى
وخلق الانسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال اقوى من مكر النساء اجيب بان الانسان ضعيف
بالنسبة لخلق ما هو اعظم منه كخلق السموات والارض وبان كيدهن ادق من كيد الرجال
والطف واخفى لان الشيطان عليهن لنقصهن اقدر ومكرهن في هذا الباب اعظم من كيد جميع
البشر لان فيهن من المكر والحيل والكيد في اتمام موادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب
ولان كيدهن في هذا الباب يورث العار ما لا يورثه كيد الرجال ولهذا ظهر للقوم براءة يوسف
عند ذلك الفعل المنكر حتى قالوا انه قال يوسف اي يا يوسف اعرض اي انصرف بكليتك مجاوزا عن هذا
الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يشيع ويفشى بين الناس ثم التفت الى المراة وقال لها واستغفري
لذنبك اي توبي الى الله كما مر ميتي يوسف له من الخطيئة وهو بريء منها انك كنت من الخاطئين
اي الاثمين قال ابو بكر الاصم ان ذلك الزوج كان قليل الغيرة فاكتفى منها بالاستغفار وقيل
ان القايل المؤكد هو الشاهد فان قيل كيف قال من الخاطئين بلفظ التذكير اجيب بانه قال ذلك

تغليبا للمذكور على الاناث او ان المراد انهن من نسل الخاطئين ممن ذلك النسل سري ذلك العرق
للنبيث فيهن ثم شاع الخبر واشتهر وقال نسوة اي وقال جماعة من النساء كن خمسا امراة ج
الساقي وامراة الخباز وامراة صاحب الدواب وامراة صاحب السجن وامراة الحاجب والنسوة
اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه غير حقيقي ولذلك لم يلحق فعله تا التانيث وقوله في المدينة
اي مدينة مصر ظرف اي اشهن لكاية في مصر وصفة نسوة وقيل مدينة عين الشمس امراة
العزيز وانما اضفنها الى زوجها ارادة الاشاعة للخبر لان النفس الى سماع اخبار اولي الاخطار
اميل ويردن فطفير والعزيز الملك بلسان العرب وترسم امراة بالتا المجرورة فوقف عليها ابن
كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتا واما الوصل فهو بالتا للجميع تراود فتاها
اي عبدها الكنعاني يقال فتاي وفتاتي اي عبدي وجاريتي عن نفسه اي تطلب منه
الفاحشة وهو هو يمتنع منها قد شغفها حبا اي شق شغاف قلبها وهو جلابه حتى وصل
الى فوادها وحبا نصب على التمييز وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة
وقد حالهم دون ذلك والخ مكان الشغاف يبتغيه الاصابع ه وقرا نافع وابن
كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار قد عند الشين والباقون بالادغام انا لنراها اي نعلم امرها
علما هو كالرويه في ضلال اي خطا مبين اي بين ظاهر حيث تركت ما يجب على امثالها من
العفاف والتوبيخ حبها اياه فلما سمعت زليخا بمكرهن اي قولهن وانما سمي ذلك مكرا
ه الوجوه الاول ان النسوة انما ذكرت ذلك الكلام استدعاء لرويه يوسف عليه السلام والنظر
لوجهه لانهن عرفن انهن اذا قلن ذلك عرضت يوسف عليهن ليتمهد عذرها عندهن
الثاني ان زليخا اسرت اليهن حبها ليوسف عليه السلام وطلبت منهن كتمان هذا السر فلما اظهرن
السر كان ذلك مكرا الثالث انهن وقعن في غيبتها والغيبة انما تذكر على سبيل الخفية
فاشبهت المكر ارسلت اليهن تدعوهن لتتميم عذرها عندهن قال وهب اتخذت مايدة
ودعت اربعين امراة اشراف مدينتها فيهن لهن واعتدت اي اعددت لهن متكا اي
طعاما يقطع بالسكين وهو الاترج وانما سمي الطعام متكا لانه يتكا عنده قال جميل
ه فظللنا بنعمة واتكانا ه وشربنا الحلال من قلله ه والمتكا ما يتكا عليه عند
الطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك جا النهي عنه في الحديث ان ياكل الرجل
متكا وقال صلى الله عليه وسلم لا اكل متكيا وقيل انها زينت البيت بالوان الفاكهة والاطعمة
ووضعت الوسايد ودعت النسوة اللاتي عيرنها بحب يوسف عليه السلام واتت اي
اعطت كل واحدة منهن سكينا اي لتاكل بها وكانت عادتهن ان ياكلن اللحم والفواكه بالسكين

وقالت زليخا

425

وقالت زليخا ليوسف اخرج عليهن اي النسوة وقد خبا في من خافتها فخرج عليهن يوسف وكانت
قد زينته واختبته في مكان وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي بكسر التا في الوصل والباقون
بالضم واما الابتدا فجميع القرا يبتدونه الهمز بالضم فلما راينه اي النسوة اكبرنه اي اعظمنه
وهبتن عندرويته اتفق الاكثرون على انهن انما اكبرنه محتبين الجمال الغايق والحسن
الكامل وكان يوسف قد اعطي شطر الحسن وقال عكرمة كان فضل يوسف في الحسن كفضل
القمر ليلة البدر على ساير الكواكب وروي انه صلى الله عليه وسلم قال راايت يوسف ليلة اسري بي في
السما كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير سند وقال ابن اسحاق كان يوسف اذا سار في ازقة
مصر يتلالا وجهه على الجدران كما يتلالا نور الشمس من الماء عليها ويقال انه ورث حسن ادم عليه
السلام يوم خلقه الله تعالى قبل ان يخرج من الجنة وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل اكبرنه
بمعنى حضن والها للسكن يقال اكبرت المراة اذا حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لانها بالحيض
تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التغيير في قوله

ه خوف الله واسترداد الجمال بين قرح ه فان تحت حاضت في الخدود العواتق ه وقيل انثين قال الكميت

ه ولما رانه الخيل مرسلا شاهقا ه صهلن واضعين المتى المدفقا ه وقال الرازي انما اكبرن لانهن راين
عليه نور النبوة وسيما الرسالة واثار الخضوع والاخبات وشاهدن فيه شهادة الربوبية وهيبة
ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان الجمال العظيم
مقرونا بتلك فوقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن وقطعن ايديهن اي جرحنها بالسكاكين
التي معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم من فرط الدهشة بيوسف
وقال وهب مات جماعة منهن وقلن حاشى لله اي تنزيها له تعالى ان يكون هذا البشر بهذا الحسن وقرا
ابو عمرو في الوصل دون الوقف بالفي بعد الشين والباقون بغير الف وقفا ووصلا ما هذا اي
يوسف عليه السلام بشرا اعجاما ما عملية وهي اللغة القومي الحجازية ويدل عليها هذه الاية
وقوله قل ما هن امهاتهم ان اي ما هذا الا ملك كريم اي على الله لما حواه من الحسن الذي
لا يكون عادة في النسمة البشرية فان الجمع بين الجمال الرايق والكمال الفايق والعصمة المبالغة
من خواص الملايكة قالت اي زليخا للنسوة لما راين يوسف وهبتن عند رويته فذلكن
اي فهذا هو الذي لمتنني فيه اي في محبته قبل ان تتصوروه حق تصوره ولو تصورتنه
بما عاينتن لعذرتنني ثم انها صرحت بما فعلت فقال ولقد راودته عن نفسه فاستعصم اي
فامتنع من ذلك الفعل الذي طلبت وانما صرحت بذلك لانها علمت انها لا ملامة عليها منهن
وانهن قواصا بهن ما اصابها عند رويته ثم قالت ولين لم يفعل ما امره به اي وان لم يطاوعني

ولئن ما امرت به ليسجنن وليكونا من الصاغرين

فيما دعوته اليه ليسجنن اي ليعاقبن بالحبس وليكونا من الصاغرين اي الاذلين المهانين
فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار يوسف عليه السلام السجن على ما دعته
اليه فلولك فاذر به السجن احب الي مما تدعونني اليه وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذاك مما
تكرهه نظرا الى العاقبة فان الاول فيه الزام في الدنيا والعقاب في الاخرة والثاني فيه المدح في الدنيا
والثواب الدائم في الاخرة فان قيل ان الدعاء كان منها فلم اضافه اليهن جميعا اجيب بانهن خوفنه
عن مخالفتها وزين له مطاوعتها وقيل انهن دعونه الى انفسهن قال بعض العلماء لو لم يقل السجن
احب الي لم يقل بالسجن والاولى بالعبد ان يسال الله تعالى العافية واذلك رد رسول الله صلى
الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر بقوله له سلت الله البلاء فاسأله العافية رواه الترمذي وان
لم والا اي وان لم تصرف عني كيدهن اي فيما اردن مني بالتثبيت على العصمة اصب اي اميل
اليهن فاكن اي اصر من الجاهلين اي من الذين
يأتون بما يدعونني اليه فان الحليم لا يفعل القبيح وفي ذلك دليل على ان من ارتكب ذنبا انما
يرتكبه عن جهالة وقيل لقصد بذلك الدعاء ولذلك قال تعالى فاستجاب له ربه اي فاجاب الله
تعالى دعاءه الذي تضمنه هذا الشأن الكريم فيه التلويح عن التصريح كما قيل اذا اثنى
عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثنا فصرف عنه كيدهن اي فثبته بالعصمة حتى وطن
نفسه على مشقة السجن واثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع اي لدعا
الملتجئين اليه العليم اي للضمائر والنيات فيجيب ما صح فيه القصد وطاب منه العزم ثم بدا
اي ظهر لهم اي العزيز واصحابه من بعد ما راوا الايات اي الدلالات على براءة يوسف عليه
السلام كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النايدين واستعصامه عنهن ليسجنن
اي حتى الى حين ينقطع فيه كلام الناس وذلك ان المراة قالت لزوجها ان هذا العبد العبراني
قد فضحني في الناس يقول لهم اني راودته عن نفسه وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تاذن
لي فاخرج واعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الصلح حبسه
حتى يسقط عن السنة الناس ذكر هذا الحديث وحتى تقل الفضيحة فسجنه تنبيه في فاعل بوا
اربعة اوجه احدها ضمير يعود على السجن بفتح السين اي ظهر لهم حبسه والثاني ان الفاعل
ضمير المصدر المفهوم من الفعل وهو بدا اي بدا لهم بدا والثالث انه مضمر يدل عليه السياق
اي بدا لهم راي والرابع انه محذوف وبسجنه قايم مقامه اي بدا لهم السجن فحذف واقيم
الجملة مقامه وليست الجملة فاعلا لان الجمل لا يكون كذلك وقيل الحبس هنا حتى سنين وقيل سبع
سنين وقال مقاتل بن سليمان حبس يوسف اثني عشر سنة وقال الرازي والصحيح ان هذه المقادير

غير معلومة وانما المعلوم انه بقي محبوسا مدة طويلة لقوله تعالى واذكر بعد امة وعز عكرمة
قال قال رجل ذو راي للعزيز ان متى تترك هذا العبد يفتضح في الناس ويقص عليهم امره فاترك له
في بيتها لا يخرج الى الناس فان خرج للناس عذروه وفضحوا اهلك فامر به فسجن ودخل معه
السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن ترون العمليقي ملك مصر الاكبر احدهما خبازه
صاحب طعامه والاخر ساقيه صاحب شرابه غضب الملك عليهما فحبسهما وكان السبب
فيه ان جماعة من اشراف مصر اراد والملك بالملك واغتياله وقتله فضمنوا لهذين الغلامين
مالا على ان يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم ان الساقي ندم ورجع عن ذلك وقبل
الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي الملك قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان
الطعام مسموم فقال للخباز ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقي اشرب فشرب
فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام دابة فهلكت فامر بحبسهما وكان
يوسف عليه السلام حين دخل السجن قال لاهله اني اعبر الاحلام فقال احد الفتيين لصاحبه هلم
فلنجرب هذا العبد العبراني فتراءيا له رويا قال ابن مسعود وما رايا شيا وانما تحالما ليجربا يوسف
وقال قوم بل كانا رويا حقيقة فراهما يوسف وهما مهمومان فسالهما عن شانهما فذكرا انهما
صاحبا الملك حبسهما وقد رايا رويا يهمهما فقال يوسف قصا علي ما رايتما قال احدهما وهو
صاحب شرابا الملك اني اراني اعصر خمرا فان قيل كيف يقال عصير لمن اجيب عن ذلك بثلاثة اقوال
احدها ان يكون المعنى اعصر عنب خمر اي العنب الذي يكون عصيره خمرا فحذف المضاف الثاني
ان العرب تسمي الشيء باسم ما يوول اليه تقول فلان يطبخ دبسا وهو يطبخ عصيرا الثالث
قال ابو صالح ازد وعمان يسمون العنب بالخمر فوقعت هذه اللفظة الى اهل مكة فنطقوا بها
قال الضحاك نزل القرآن بالسنة جميع العرب وذلك انه قال اني رايتني في المنام كاني في بستان
واذا فيه شجرة فيها ثلاثة اغصان عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدي
فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه
وذلك انه قال رايتني في المنام كان فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الطعام وسباع الطير
تنهش منه نبانا اي اخبرنا بتاويله اي بتفسيره انا نراك من المحسنين اي في علم التعبير لانه
متى عبر لم يخط كما قال وعلمتني من تاويل الاحاديث وقيل في امر الدين لانه كان يشير الى المواظبة على
الطاعات من الصوم والصلاة فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل كله ومن كان كذلك فانه يوثق
بما يقوله في تعبير الرويا وفي سايل الامور وقيل في حق الشرك والاصح لانه كان يعود مرضاهم
ويواسي حزينهم واذا ضاق على احدهم وسع عليه واذا احتاج احدهم جمع له شيا قيل انه لما دخل

السجن وجدوها شد بلادهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يكتمهم ويقول اشتروا هم
واصبروا وتوجروا فيقولون بارك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد
بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق
ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلكم
ولكن ساحسن جوارك فكن في اي بيوت بيوت السجن شئت وروي انه لقيهن فقال يا يوسف
قال لقد جيئناك حين رأيناك فقال لهما يوسف انشدكما الله ان لا تحباني فوالله ما احبني
احد قط الا دخل علي من حبه بلا هذا احبني عمتي فدخل علي بلا ثم احبني ابي فالقيت في الجب
واحبتني امرأة العزيز فحبست فلما قص عليه الرؤيا كره يوسف ان يعبر لهما ما سألاه لما علم
في ذلك من المكروه على احدهما قال معرضا عن سؤالهما اخذا في غيره هذا اظهار المعجزة
في الدعاء الى التوحيد لا يأتيكما طعام ترزقانه اي في منامكما الا نبأتكما بتأويله اي في
اليقظة قبل ان يأتيكما تأويله وقيل اراد به في اليقظة يقول لا يأتيكما طعام ترزقانه
من منازلكما تظنانه الا نبأتكما بتأويله بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما قبل ان يصل
واي طعام اكلتم وهذه معجزة عيسى عليه السلام حيث قال وانبئكم بما تأكلون وتدخرون
في بيوتكم فقال هذا افضل العارفين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولكما
اي هذا التأويل والاخبار بالمغيبات مما علمني ربي وفي ذلك حث علي ايمانهم ثم قواه بقوله
اني تركت ملة اي دين قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون وكرر لفظة هم للتأكيد
لشدة انكارهم للمعاد ولما ادعى يوسف عليه السلام النبوة واظهر المعجزة اظهر انه من
اهل بيت النبوة بقوله واتبعت ملة اباي ابراهيم واسحاق ويعقوب ليسمعوا قوله
ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد فان الانسان متى ادعى حرفة ابيه وجده
لم يستبعد ذلك منه وايضا فكان درجة ابراهيم واسحاق ويعقوب امرا مشهورا في الدنيا فاراد
اظهار انه ولدهم عظموه ونظروا اليه بعين الاجلال فكان انقيادهم له اتم وتأثيرهم فيهم بكلامه
اكمل فان قيل انه كان نبيا فكيف قال اتبعت ملة اباي والنبي لا بد وان يكون مختصا بشرع
نفسه اجيب بان مراده التوحيد الذي لا يتغير او لعله كان رسولا من عند الله الا انه كان
يدعي على شريعة ابراهيم عليه السلام وقرأ عاصم وحمزة والكسائي يكون يا ابي والباقون
بالفتح ما كان اي ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء لان الله تعالى طهره وطهر
اباه عن الكفر ونظيره قوله تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد وانما قال من شيء لان اضافاته
اشراكا كثيرة فمنهم من يعبد الاصنام ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الكواكب ومنهم من

الملائكة فقوله

اي الهة
صلح

الملائكة فقوله من شيء رد على هؤلاء الطوائف وارشاد الى الدين الحق وهو انه لا موجود
ولا خالق الا الله ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس اي سائر هم
ببعثة الرسل وارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس اي المبعوث اليهم لا يشكرون هذه النعمة
التي لهم الله تعالى عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم الى الايمان فقال
يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة
فكان الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب
وانما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام او يا ساكني السجن كما قال لكل ابنة
اصحاب الجنة ولكل النار اصحاب النار ارباب متفرقون اي متباينون من ذهب
وفضة وصفر وحديد وخشب وحجارة وصغير وكبير ومتوسط وغير ذلك خير اي اعظم
في صفة واولى بالطاعة ام الله الواحد القهار اي المتوحد بالالوهية الذي لا يغالب
ولا يشارك في الربوبية غيره خير والاستفهام للتقرير وفي الهمزتين في ارباب
من القراءة ما في انذرتهم وقد مر فان قيل هل يجوز التفاضل بين الاصنام وبين الله
تعالى حتى يقال انها خير ام الله اجيب بان ذلك خرج على سبيل التعرض والمعنى لو
سلمنا انه حصل منها ما يوجب الخير فهو خير ام الله الواحد القهار ثم بين عجز الاصنام فقال
ما تعبدون وانما خاطبهم بلفظ الجمع وقد تعبدوا بالتثنية في المخاطبة لانه اراد جميع من في
السجن من المشركين والعبادة خضوع القلب في علامات الخضوع وبين حقارة معبوداتهم
وسفولتها بقوله من دونه اي الذي قام البرهان على الهيئة وعلى اختصاصه بذلك
الا اسماء وبين ما يريد بها وصفها بقوله سميتموها انتم واباؤكم اي ذوات اوجدتم لها اسما انتم
سميتموها الهة واربابا وهي حجارة وخالية عن المعنى لا حقيقة لها واباؤكم من
قبلكم سموها كذلك ما انزل الله بها اي بعبادتها من سلطان اي حجة وبرهان ان الحكم
اي ما الحكم الا لله اي المختص بصفات الكمال والحكم فصل الامر بما تدعوا اليه الحكمة
امر وهو الناقذ الامر المطاع الحكم ان لا تعبدوا الا اياه لانه المستحق للعبادة لا هذه
الاسماء التي سميتموها الهة ولما قام الدليل على هذا الوجه الذي كان جديرا بالاشارة
الى فضله اشار اليه باداة البعد تنبيها على علو مقامه وعظيم شانه فقال ذلك اي الشان
الاعظم وهو توحيده وافراده عن خلقه الدين القيم اي المستقيم الذي لا عوج فيه ولكن اكثر
الناس وهم الكفار لا يعلمون ما يصيرون اليه من العذاب فيشركون ولما فرغ يوسف
عليه السلام امر التوحيد والنبوة عاد الى الجواب عن السؤال الذي ذكراه فقال يا صاحبي السجن

تهم

اي الذي يحصل فيه الانكسار للنفس والرقة في القلب فتخلص فيه المودة ولهذا كان في الجواب ما يسوء
لفظا بهم ليجوز كل منهما انه الفائز فاجاب الى الشقين كان ذلك عذرا له في الخروج عن عهد
الاليق فقال اما احدكما وهو صاحب شراب الملك فيسقي ربه اي سيده خمرا على عادته في الفائز
الثلاثة هي ثلاثة ايام تبقى في السجن ثم يدعوا به الملك فيرده الى رتبته التي كان عليها هذا
تاويل رويا واما الاخر وهو صاحب طعام الملك فيصلب والسلال الثلاثة ثلاثة ايام
ويدعوا به الملك فيصلبه فتاكل الطير من راسه هذا تاويل رويا قال فلما سمعا
قول يوسف عليه السلام قالا ما راينا شيا انا كنا نلعب فقال لهما يوسف عليه السلام قضي الامر
الامر الذي فيه تستفتيان اي تطلبان الافتاء فيه عملا بالفتوة فانهما عزا تاويله وهو تعبير
رويا كما كذبتما او صدقتما اقله عن جهل ولا غلط وقال يوسف عليه السلام للذي ظن اي
علم وتحقق والظن بمعنى العلم لانه قاله عن وحي بقوله فقضي الامر ويجوز ان يكون ضمير
ظن للساقي فهو حينئذ على بابه انه ناج منهما وهو الذي قال اذكرني عند ربك اي سيدك ملك مصر
لما رايت مني من معالي الاخلاق وطهارة الشيم الدالة على بعدي مما رميت به والمراد بالرب
هنا غير المراد به في قوله ارباب متفرقون فنجا الساقي وصلب صاحبه وفق ما قاله لهما يوسف
عليه السلام واختلف في ضمير فانساه الشيطان على قولين احدهما انه يعود الى السا
وهو قول جماعة من المفسرين اي فانسى الشيطان الساقي ان يذكر يوسف عند الملك قالوا
لان صرف وسوسة الشيطان الى ذلك الرجل الساقي حتى انساه ذكر يوسف اولى من صرفها
الى يوسف والقول الثاني عليه اكثر المفسرين انه يرجع الى يوسف عليه السلام وقال
الرازي وانه اللحق اي ان الشيطان انسى يوسف ذكر ربه تعالى حتى استعان بمخلوق مثل ذلك
غفلة عرضت له عليه السلام فان الاستعانة بالمخلوق في رفع الظلم جايزة في الشريعة الا ان
حسنات الابرار سيات المقربين فهذا وان كان جايزا في العامة لخلق الا ان الاولى بالصديقين ان
يقطعوا نظرهم عن الاسباب بالكلية وان لا يشتغلوا بالسبب الاسباب فلهذا صار يوسف عليه
السلام مواخذا بهذا القول ولم يواخذه تعالى في تلك الغصة المبتة بل ذكره باعظم وجوه
المدح والثنا فعلم بذلك انه عليه السلام كان مبرا مما ينسبه الجهال والحشوية اليه فان قيل
كيف تمكن الشيطان من يوسف حتى انساه ذكر ربه اجيب بان ذلك انما كان شغل خاطر وانما
النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وازالة عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه واختلف
في قدر البضع في قوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين فقال مجاهد ما بين الثلاث الى التسع
وقال ابن عباس ما دون العشرة قال البغوي واكثر المفسرين على ان البضع في هذه الاية سبع

سنين وكان

سنين وكان قد لبث قبله خمس سنين فجملته اثنا عشر سنة وقال وهب اصاب ايوب البلاء سبع
سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف للساقي
اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف
وقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم
الله يوسف لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث ثم بكى الحسن وقال فاذا اراد
نزل بنا بلاء فزعنا الى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقال الحسن ايضا دخل جبريل
جبريل على يوسف عليه السلام في السجن فلما راه يوسف عرفه فقال له يا اخا المتذرين
مالي اراك بين الخاطيين فقال له جبريل يا طاهر يا ابن الطاهرين يقرا عليك السلام
رب العالمين ويقول لك اما استحييت مني واشتغلت بالادميين فوعزتي لالبثنك
في السجن بضع سنين قال يوسف وهو في ذلك مغتاظ قال ثم قال اذن لا ابالي وقال
كعب قال جبريل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله قال فمن علمك تاويل
الرويا قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن انجاك من كيد اخوتك قال الله قال
فمن صرف عنك السوء والفحشا قال الله قال فكيف استشفعت بادمي مثلك قال محمد بن عمر
الرازي في تفسيره والذي جربته من اول عمري الى اخره ان الانسان كلما عول في امر من الامور
على غير الله تعالى صار ذلك سببا للبلا والمحنة واشدة والروية واذا عول على الله تعالى ولم
يرجع الى احد من الخلق حصل ذلك المطلوب على احسن الوجوه من هذه التجربة قد استمر
بي من اول عمري الى هذا الوقت الذي بلغت الى السابع والخمسين فعند هذا استقر قلبي على
انه لا مصلحة للانسان في التعويل على شيء سوى فضل الله تعالى واحسانه ولهذا لما دنى فرج
يوسف عليه السلام راى ملك مصر الريان بن الوليد رويا عجيبة هايلة كما قال تعالى وقال
الملك اني ارى اي رايت عبر بالمضارع حكاية للحال الشوة ما هاله من ذلك سبع بقرات
سمان اي خرج من نهر يابس والسمن زيادة البدن من الشحم واللحم وسمان جمع سمينة وجمع
سمين ايضا عليه يقال رجال سمان ونساء سمان كما يقال رجال كرام ونساء كرام يا كلهن اي
يبتلعهن سبع عجاف اي من البقر عجاف جمع عجفا اي مهازيل خرجن من ذلك النهر تشبيها
جمع عجفا على عجاف والقياس على خوص حمرا وحمر حملا له على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل
النظير على النظير والنقيض على النقيض واني ارى سبع سنبلات خضر اي قد انعقد حبها
وارى سبع سنبلات اخر يابسات اي قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علبت عليها
وانما استفتى عن رويا نفسه بما نفى من حال البقرات والسنبلة نبات كالقصبة جملة حيوان

منتظرة فكانه قيل فكان ماذا فقيل قال الملك بعد ان جمع السحرة والكهنة والمعبرين ه
يا ايها الملا اي الاشراف النبلاء الذين تملا العيون مناظرهم والقلوب مآثرهم افتوني
في رويايَ اي اخبروني بتاويلها ان كنتم للرويا تعبرون اي ان كنتم عالمين بعبارة الرويا
فاعبروها تنبيه اللام في الرويا مزيدة فلا تتعلق لها بشيء وزيدت لتقدم المعمول تقوية
للعامل كما زيدت اذ كان العامل فرعا كقوله تعالى فعال لما يريد ولا تزاد فيما عدا ذلك الا
ضرورة وقيل ضمن تعبرون معنى ما يتعدى باللام تقديره ان كنتم تنتدبون لعبارة
الرويا وقيل متعلقة بمحذوف على انها للبيان كقوله تعالى وكانوا فيه من الزاهدين تقديره
اعني فيه وكذلك هذا تقديره اعني للرويا وعلى هذا يكون مفعول تعبرون محذوفا تقديره
تعبرونها وفي الآية ما يوجب حاذقا من حاجة الملوك اليهم فكانه قيل فما قالوا فقيل
قالوا هذه الرويا اضغاث احلام اي اخلاط مختلطة مشتبهة جمع ضغث
بكسر الصاد واسكان الغين المعجمة وهي قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس والاحلام جمع
حلم بضم الحاء واسكان اللام وضمه وهو الرويا فقيدوها بالاضغاث وهو ما يكون
من الرويا باطلا لكونه من حديث النفس ووسوسة الشيطان لكونها تشبه اخلاط المنام
التي لا تناسب بينها لان الرويا تارة تكون من الملك وهي الصحيحة وتارة تكون من تخيلات
الشيطان وتخليطاته وتارة من حديث النفس ثم قالوا وما نحن اي باجمعنا بتاويل الاحلام
اي المنامات الباطلة بعالمين اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقين
كانه مقدمة ثانية للعذر ولما سأل الملك عن هذه الرويا واعترف الحاضرون بالعجز عن الجواب
تذكر ذلك الشرابي واقعة يوسف عليه السلام لانه كان يعتقد كونه متبحرا في هذا العلم كما قال
وقال الذي نجا اي خلص منهما اي من صاحبي السجن وهو الشرابي اذ في الحبس رجلا فاضلا صالحا
كثير العلم كثير الطاعة فصدقت انا والخباز عليه منامين قد ذكرتا وبيانهما فصدق في كل ما ذكر
وما اخطأ في حرف وكانت هذه الرويا سببا لخلاص يوسف عليه السلام ولم يتذكر الشرابي الا بعد طول
المدة كما قال تعالى وادكر بالدال المهملة اي طلب الذكر بالذال المعجمة وزنه افتعل بعد امة
اي وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان تجمعه اي مدة طويلة والجملة اعتراض ومقول القول
انا انبئكم بتاويله فارسلون اي الى يوسف عليه السلام فانه اعلم الناس فارسلوه اليه
قال ابن عباس رضي الله عنهما ولم يكن السجن بالمدينة فاتاه فقال ايها الصديق اي البليغ في الصدق
له ندا القريب لتحببا اليه يوسف وزاد في التحبب بقوله ايها الصديق اي البليغ في الصدق
والتصديق لانه جربه احواله وعرف صدقه في تاويل رويا ه ورويا صاحبه وهذا يدل ه

علي ان من اراد ان يتعلم من رجل شيئا فانه يجب عليه ان يعظمه وان يخاطبه بالالفاظ
المشعرة بالاجلال ثم انه اعاد السؤال بعين اللفظ الذي ذكره فقال افتنا اي اذكر لنا
الحكم في سبع بقرات سمان اي ذاهن الملك يأكلهن سبع من البقر عجاف وفي سبع
سنبلات جمع سنبلة وهي مجمع الحب من الزرع خضر وفي سبع اخر يابسات اي في رويا
ذلك ونعم ما فعل من ذكر السؤال بعين اللفظ فان نفس الرويا قد تختلق بحسب اختلاف
الالفاظ كما هو مذكور في ذلك العلم ثم قال لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك وجماعته ه
بعثتك قبل ما تنع يمنعني لعلهم يعلمون اي تاويل هذه الرويا وقيل يعلمون لتلك في العلم
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر بفتح الياء والباقون بالكون قال يوسف عليه السلام
معبرا تلك الرويا اما البقرات السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخصبات واما البقرات
العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله تعالى تزرعون سبع سنين
وهو خبر بمعنى الامر كقوله تعالى والمطلقات يتربصن والوالدات يرضعن وانما خرج الامر
في سورة الخبر لتهيا لغة في الايجاب فيجعل كانه وجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه في معنى
الامر قوله فذروه في سنبله وقوله دابا نصب على الحال اي دائبين اي سبع سنين ه
متتابعة على عادتكم في الزراعة والداب العادة وقيل ازرعوا جدوا واجتهدوا وهذا تاويل
السبع السمان والسنبلات الخضر وقرا حفص بفتح الهمزة وسكونها الباقون وابدلها السوسي
الفا وقفا ووصلا وحمزة وقفا فقط فما حصدتم فذروه اي اتركوه في سنبله ليلا يفسد
ولا يقع فيه السوس وذلك ابقى له على طول الزمان الا قليلا مما تاكلون اي ادخروا قليلا
من الحنطة للاكل بقدر الحاجة امرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو وقت السنين
المجدبة كما قال ثم ياتي من بعد ذلك اي السبع المخصبات سبع شداد اي مجدبات صعاب وهي
تاويل السبع العجاف والسنبلات اليابسات يأكلن ما قدمتم لهن اي ياكل اهلهن ما ادخرتم ه
لاجلهن فاسند الاكل اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر وهو يأكلهن سبع عجاف والمعبر به وهو
يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون اي تحرزون وتوخرون للبذر والاحصان
الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع ثم ياتي من بعد ذلك اي السبع
المجدبات عام فيه يغاث الناس اي يمطرون من الغيث وهو المطر وقيل ينعشون من الغوث
العرب استغاثت فاغاثني وفيه يعصرون من العنب خمرا ومن الزيتون زيتا ومن السمسم
دهنا واراد بذلك كثرة النعم والخير وقال ابو عبيدة ينجون من الكرب والشدة والجدب وقرا
حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب لان الكلام كله مع الخطاب والباقون بالياء على الغيبة وهي الى التا

ولما رجع الشراب الى الملك وعرض عليه التعبير الذي ذكره يوسف عليه السلام استحسنه وقال
الملك اي الذي العزيز في خدمته ايتوني به لاسمع ذلك منه واكرمه وهذا يدل على
فضيلة العلم فانه سبحانه وتعالى جعل علمه سببا لخلاصه من المحنة الدنيوية فكيف لا يكون العلم
سببا للخلاص من المحن الاخروية فاتاه الرسول ليأتي به الملك فلما جاءه اي يوسف عليه السلام
عن قريب من الزمان الرسول بذلك وهو الساقي وقال له اجب الملك قال له يوسف عليه السلام
ارجع الى ربك اي سيدك الملك ولم يخرج معه حتى يظهر برهانه للملك ولا يراه بعين النقص
ولذلك قال فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن وانما قال يوسف عليه السلام فاسأله
ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن لان قوله فاسأله يحتمل ان يكون بمعنى المسألة
اي اسأله عن شأنهن وان يكون بمعنى الطلب وهو ان يفتش عن شأنهن حسن تقييده بلفظ
ما التي يسأل بها عن حقيقة الشيء ليهيجه ان يتحرك للتفتيش عن حالهن لان الانسان
حريص على تحقيق الشيء ويتمكن ان ينسب الى الجهل بخلاف ما لو قال له ان يفتش اي الطلب
منه فانه لا يبالي بهذا الطلب ولا يلتفت اليه لا سيما الملوك وانما لم يتعرض لسيدته مع
ما منعته كرما ومراعاة للادب وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن ليظهر من براءة ساحته انه
لو خرج في الحال لربما كان يبقى في قلب الملك عن تلك التهمة اثر فلما التمس من الملك ان يفحص عن
حال تلك التهمة الواقعة دل ذلك على براءته عن تلك التهمة فبعد خروجه لا يقدر احد
ان يلطخ تلك الرذيلة وان يتوسل بها الى الطعن فيه وفي ذلك دليل على انه ينبغي للشخص
ان يجتهد في نفي التهم وتتبع مواقعها وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لقد عجبت من يوسف
وصبره والله يغفر له حين سأل عن النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يقل ما بال امرأة العزيز
اشترطت ان يخرجوني ولقد عجبت منه حيث اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه
ولبثت في السجن ما لبثت لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان حليما
ذا اناة واصل الحديث في الصحيحين مختصرا وانما قاله صلى الله عليه وسلم ذلك على سبيل التواضع
لانه صلى الله عليه وسلم كان في الامر منه مبادرة وعجلة لو كان مكان يوسف والتواضع لا يصغر
كبيرا ولا يضع رفيعا ولا يبطل الذي حق حقا لكنه يوجب لصاحبه فضل وليه حلالة وقدر
وقوله والله يغفر له مثل هذه المقدمة شعرة بتعظيم المخاطب من توقيره وتوقير حرمته
كما تقول لمن تعظمه عفا الله عما صنعت في امري ورضي الله تعالى عنك ما جوابك عن كلام يوهم
ان كان حليما ان هي المخففة من الثقيلة والاناة الوقار وقيل هو اسم من التأني في الامور وضم
الهمزة وفتحها لغتان كثيرتان والكبائي بفتح السين والحاء بعدها والباقون بكون السين وهمزة مفتوحة بعدها

ان ربي

ان ربي اي الله بكيدهن عليم حين قلن اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم
الله تعالى عليه وانه بريء مما عيب به والوعيد لهن على كيدهن وقيل المراد بربي الملك وجعله
ربا لنفسه لكونه مربيا له وفيه اشارة الى كون ذلك الملك عالما بكيدهن ومكرهن ولما
قال يوسف عليه السلام ذلك وابى ان يخرج من السجن قبل تبين الامر رجع الرسول الى
الملك فاخبره بما قال عليه السلام فكانه قيل فما فعل الملك فقيل قال للنسوة بعد
ان جمعهن وامراة العزيز معهن ما خطبكن اي ما شأنكن العظيم وقوله اذ راودتن
اي خادعتن يوسف عن نفسه دليل على ان براءة كانت متحققة عند كل من علم القصة وانما
خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد بذلك امراة العزيز وحدها ليكون ذا اثر
لها وقيل اذ امراة العزيز راودته عن نفسه وسائر النسوة امرنه بطاعتها فلذلك قد
خاطبهن فكانه قيل فما قلن فقيل قلن حاش لله اي معاذ الله ايها الملك الاعظم وتنزيها له من
هذا الامر ما علمنا عليه اي يوسف عليه السلام واعترفن في النسوة فقلن هذا سوء اي من خيانة
في شيء من الاشياء ولما ان يوسف عليه السلام راى في جانب امراة العزيز حيث قال النسوة الا
قطعن ايديهن فذكرهن ولم يذكر تلك المراة البتة وعرفت المراة انه انما ترك ذكرها رعاية
لحقها وتعظيما لجانبها واخفاء الامر عليها اردت ان تكافيه على هذا الفعل الحسن فاظهرت له الحق
الفطا والوفا فلذلك قالت امراة العزيز مصرحة بحقيقة الحال الان حصحص الحق
اي ظهر وتبين اناراودته اي خادعته عن نفسه واكدت ما افصحت به مدحا ونفيا للكل سو
بقولها موكد الاجل ما تقدم وانه لمن الصادقين اي الراسخين في هذا الوصف في نسبة
المراودة الي وتبراة نفسه فقد شهد النسوة كلهن ببراته وانه لم يقع منه ما ينسب به الي شيء
من السوء البتة فمن نسب بعد ذلك هما او غيره فهو تابع لليهود الهوى في نبي من انبياء الله
قال الرازي رايت في بعض الكتب ان امراة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه المهر فامر القاضي
بان تكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اقامة الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك
فاني متحقق بصداقها في دعواها فقالت المراة لما اكرمتني في هذا الحد فاشهد وا اني ابرات ذمتك
عن كل حق لي عليك ولما رجع الرسول الى يوسف عليه السلام واخبره بشهادتهن ببراته قال
ذلك الخلق العظيم في تشييق في السجن اي ان تبين الخلق ليعلم اي العزيز باني لم اخنه
الامن وانا في محل الضيق والخوف علما موكدا اني لم اخنه اي في اهله ولا في غيرها بالغيب
اي والحال ان كلا منا غائب عن صاحبه هذا قول الاكثرين انه قول يوسف عليه السلام
قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام اخر اذا دلت القرينة عليه ومثاله قوله تعالى

ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا الكلام بلقيس
ثم قال الله تعالى وكذلك يفعلون وقوله تعالى ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
هذا كلام الداعي ثم قال الله تعالى ان الله لا يخلق السيئات ثم ختم الكلام بقوله وان الله لا يهدي
اي يسدد ويبين بوجه من الوجوه كيد الخائنين اي ولو كنت خائنا لما خلصني الله من هذه
هذه الورطة العظيمة وحيث خلصني منها ظهر اني بريء مما نسبوني اليه وقيل انه كلام امرأة
العزيز والمعنى اني وان كنت احلت عليه الذنب في حضوره لكني ما احلت الذنب عليه في غيبته
اي لم تقل فيه وهو في السجن خلاف الحق ثم انها بالغت في تاكيد هذا القول وقالت وان الله
لا يهدي كيد الخائنين يعني لما اقدمت على الكيد والمكر لاجرم افتضحت وانه لما كان بريئا
من الذنب لاجرم طهره الله تعالى عنه واعلم ان هذه الاية على القول الاول دالة على طهارة يوسف
عليه السلام من وجوه كثيرة الاول قولها انا راودته عن نفسه والثاني قولها وانه لمن الصادقين
وهو اشارة الى انه صادق في قوله هي راودتني عن نفسي والثالث قول يوسف عليه السلام ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب والخشوية يذكرون انه لما قال هذا الكلام قال جبريل عليه السلام
ولا حين همت قال الرازي وهذا من رواياتهم الخبيثة وما صحت هذه الرواية في كتاب معتمد
اي وانما اسندها بعضهم لابن عباس بلهم يلحقونها بهذا الموضع سعيا منهم في تحريف ظاهر القرآن
ورابعها ان اقدامه على قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب مع انه خانه باعظم وجوه الخيانة
اقدام على وقاحة عظيمة وعلى كذب عظيم من غير فائدة اصلا لا يليق باحد من العقلاء فكيف يليق اسناده الى نبي
مرسل من سلالة الانبياء الاصفياء فثبت ان هذه الاية تدل دلالة قاطعة على براءة يوسف عليه السلام مما يقوله
الجهال والحشوية واختلفوا في تفسير قوله تعالى وما ابرئ نفسي لان ذلك يحتمل وجوها مختلفة وما قبل
لان قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ان كان من كلام يوسف عليه السلام وقد مر انه قول
الاكثرين فهو ليس كلامه فعلى الاول قد تمسك به الحشوية وقالوا انه عليه السلام لما قال ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت تكة سراويلك فعند ذلك قال يوسف
عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء اي بالزنا الا ما رحم ربي اي عصم ربي اذ زني
غفور اي للهم الذي هممته رحيم اي لو فعلته لتاب علي وهذا ضعيف كما قاله الرازي لما تقدم
ان الاية المتقدمة برهان قاطع على براءة عزيز الذنب وانما قال ذلك عليه السلام لانه لما قال
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كان ذلك جاريا مجرى مدح النفس وتزكيتها وقد قال تعالى فلا تزكوا
انفسكم فاستدرك ذلك على نفسه بقوله وما ابرئ نفسي والمعنى وما ازكي نفسي ان النفس

لامارة بالسو

لامارة بالسو
ام
اتوفني به

لامارة بالسوء ميالة الى اتباع الشهوة راغبة في المعصية وعلى الثاني انها لما قالت ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب قالت وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا اني قد خنته حين احلت الذنب
عليه وقلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او دعته في الحبس كما انها اردت الاشد
مما كان وختلف في قوله وقال الملك فمنهم من قال هو العزيز ومنهم من قال هو الريان الذي
هو الملك الاكبر قال الرازي وهذا هو الاظهر لوجهين الاول ان قول يوسف اجعلني على خزائن الارض
يدل عليه الثاني قوله استخلصه لنفسي يدل عليه انه قبل ذلك كان خالصا وقد كان يوسف
عليه السلام قبل ذلك خالصا للعزيز فدل على ان هذا الملك هو الملك الاكبر انتهى وانما
صرح به ولم يستغن بضميره كراهية الالباس لما تخلل بينه وبين جواب امرأة العزيز فمن كلا
يوسف عليه السلام ولو كان الكل من كلامها لاستغنى بالضمير ولم يحتج الى ابرازه اتوفني به
استخلصه لنفسي اي اجعله خالصا لي دون شريكي قال ابن عباس فاتاه الرسول فقال له
اجب عنه ثياب السجن والبسه ثيابا جددا وقم الى الملك فدعاله اهل السجن وهو يومئذ
ابن ثلاثين سنة فاغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا بعد ان دعا اهل السجن فقال اللهم
عطف عليهم قلوب الاخيار ولتعم عنهم الاخبار وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى
وقبور الاحياء وبيوت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اتى الملك فلما راه
غلاما حدثا فقال ايعلم هذا رؤياي ولا يعلمها السحرة والكهنة ثم اقعده قدامه وقال
له والبسه طوقا من ذهب وثياب حرير واعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك وروي ان
جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو في الحبس وقال قل اللهم اجعل لي من عندك فرجا
ومخرجا من حيث لا احتسب فقبل الله تعالى دعاءه واظهر هذا السبب في تخليصه من السجن
وروي ان يوسف لما دخل عليه قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقوتك
من شره ثم سلم عليه بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال هذا لسان عمي اسماعيل ثم دعا له
بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائي قال وهب كان الملك يتكلم بسبعين لغة لم يعرف
هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان اجابه يوسف عليه السلام وزاد بالعربية
والعبرانية فلما كلمه اي كلم الملك يوسف وشاهد منه ما شاهد من جلالة النبوة وجميل
الوزارة وظلال السيادة ومخايل السعادة اقبل عليه وقال اني احب ان اسمع منك تاويل
رؤياي شفاها فاجابه بذلك لجواب شفاها وشهد قلبه بصحته فعند ذلك قال له انك
اليوم لدينا مكين امين اي ذو مكانة وامانة على امرنا فمرنا بما تريد ايها الصديق قال اجعلني
ان تتربع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني الخزائن وتجمع فيها الطعام فاذا جاءت

السنين المجدبة دفنا الفلاد فيحصل بهذا الطريق مال عظيم فقال الملك ومن لي بهذا الشغل فقال
يوسف اجعلني على خزائن الارض جمع خزانة اراد خزانة الطعام والاموال والارض ارض مصر
اي خزائن ارضك مصر قال الربيع بن انس اي خزائن مصر ودخله روي ابن عباس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية قال رحم الله اخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض
لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره الله سنة فاقام في بيته سنة مع الملك قال
الرازي وهذا من العجايب لانه لما تثاقل عند الخروج من السجن سهل الله تعالى عليه ذلك على
احسن الوجوه ولما بادر في ذكر هذا الالتماس اخر الله تعالى ذلك المطلوب عنه وهذا يدل
على ان ترك التصرف والتفويض بالكلية الى الله تعالى ولي تم قال اني حفيظ عليم اي ذو حفظ
وعلم بامرها وقيل كاتب وحاسب فان قيل لم طلب يوسف الامارة والنبي صلى الله عليه وسلم
قال لعبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة ولم طلب الامارة من سلطان كافر وهم لم يصيبوه
ولم الظهر الرغبة في طلبها في الحال ولم طلب امر الخزائن في اول الامر مع ان هذا يورث تهمة ولم
مدح نفسه وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم ولم ترك الاستثناء في هذا وقد قال تعالى ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فهذه سبعة اسيلة اجيب عنها بان الاصل في جواز
هذه الاسيلة ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه فجائز له ان يتوصل اليه باي طريق كان
وانما كان ذلك واجبا عليه لوجوه الاول انه كان رسولا حقا من الله تعالى الى الخلق والرسول
يجب عليه مراعاة الامة بقدر الامكان والثاني انه علم بالوحي انه سيحصل القحط والضيق
الشديد فلعله تعالى امره بان يدبر في ذلك ويأتي بطريق لاجله يقل ضرر ذلك القحط في حق
الخلق والثالث ان السعي في ايصال النفع الى المستحقين ورفع الضرر عنهم امر مستحسن في العقول
فكان مكلفا عليه السلام برعاية المصالح من هذه الوجوه وما كان يمكنه رعايتها الا بهذه
الطريق وما يتم الواجب الا به فهو واجب وانما مدح نفسه لان الملك وان علم كماله في علوم
الدين لكن ما كان عالما بانه يفي بهذا الامر وايضا مدح النفس انما يكون مذموما اذا قصد
به الشخص التطاول والتفاخر والتوصل الى غير ما يحل واما هذا الوجه فليس بمذموم وقوله
كما فلا تزكوا انفسكم المراد به تزكية حال من لا يعلم كونها تزكية والدليل قوله تعالى بعد هذه
الاية هو اعلم بمن اتقى اما اذا كان الانسان عالما بانه صدق وحق فهذا غير ممنوع منه
وانما ترك الاستثناء لانه لو ذكره لربما اعتقد الملك فيه انه انما ذكره لعلمه انه لا قدرة
له على ضبط هذه المصلحة كما ينبغي فلهذا المعنى ترك الاستثناء ولما قال يوسف ما تقدم قال
معلما قد اجيب بتنجيز ابته له وكذلك اي كما نعمنا عليه بالخلاص من السجن مكنا ليوسف

في الارض اي ارض مصر يتبوأ اي ينزل منها حيث يشاء بعد الضيق والحبس قال ابن عباس وغيره
ولما انقضت السنة التي قال يوسف عند الامارة دعاه الملك فتوجه وجعل خاتم الملك في
اصبعه وقلده سيفه وجعل له سريرا مزينا بالذهب واليواقيت طوله ثلاثون ذراعا
وعرضه عشرة اذرع عليه ستون فراشا فقاذ يوسف عليه السلام اما السرير فاشد
به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فلبس مزين لباسي ولا لباس اباي وامره
ان يخرج فخرج لونه كالثلج ووجهه كالقمر يبهر الناظر وجهه في ضياء لونه فانطلق حتى
جلس على ذلك السرير وذانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض اليه امر مصر وعزل
قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحاق قال ابن زيد وكان ملك مصر حين اتي
كثيرة فلم سلطانه كله اليه وجعل امره وقضاه نافذا في مملكته ثم مات قطفير بعد
ذلك فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما كنت تريدين قالت ايها
الصديق لا تلمني فاني كنت امرأة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبي لا يأتي
النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي فوجدها يوسف عليه السلام
عذرا فاصابها فولدت له ذكرين افرائيم وميشا فاقام العدل بمصر واحبه الرجال والنساء
وسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدراهم
والدنانير في السنة الاولى ثم بالحلي والجواهر في السنة الثانية ثم بالدواب في السنة الثالثة ثم
بالعبيد والاماء في السنة الرابعة ثم بالصياع والعقار في السنة الخامسة ثم باولادهم في
السنة السادسة ثم برقابهم في السنة السابعة حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صار عبدا له
فقال الناس ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه هذا صار كل الخلق عبيدا له فلما سمع ذلك
قال اني اشهد الله اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم وردت عليهم املاكهم وكان لا يبيع احدا
ممن يطلب الطعام اكثر من حمل بعير ليلا يضيق الطعام على الباقين هذا ملخص ما قاله البغوي
والزمخشري وغيرهما قال الرازي والله اعلم بحقيقة الحال وروي ان يوسف عليه السلام كان
لا يشبع من طعام في تلك الايام فقيل له تجوع وبيدك خزائن الارض فقال اني اخشى
اذا شبعت ان انسى الجائع وامر يوسف طباخ الملك يجعل غداءه نصف النهار اراد بذلك ان يذيق ملك مصر طعم
الجوع ولا ينسى الجائعين قاله البغوي ثم قال فجعل الملوك غداءهم نصف النهار قال الله
تعالى نصيب اي نخص برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم
عاجلا وآجلا لان اضاعة الاجر اما ان يكون للعجز او الجهل او للبخل والكل ممتنع في حق الله
تعالى فالاضاعة ممتنعة ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش

قال الرازي وهذا تنصيص من الله تعالى على ان يوسف كان في الزمان السابق من المتقين وليس هاهنا زمان سابق يحتاج الى بيان انه كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت الذي قال الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها فكان هذا شهادة من الله تعالى على انه عليه السلام كان في ذلك الوقت من المتقين وايضا قوله ولا نضيع اجر المحسنين شهادة من الله تعالى على انه من المخلصين فثبت انه تعالى شهد بان يوسف كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والجاهل الحشوي يقول انه كان من المذنبين ولا شك ان من لم يقبل قول الله تعالى مع هذه التا
كيد
م
كان من الاخرين ولما اشتد القحط وعظم البلاء ذلك جميع البلاد حتى وصل بلاد الشا
وارض كنعان وقصد الناس مصر من كل مكان للميرة فكان يوسف عليه السلام لا يعطي احدا
اكثر من حمل بعير وان كان عظيما فقسط بين الناس وترحم الناس عليه وترك بالد يعقوب
ما تزل بالناس هذه الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك بنيامين اخا يوسف لامه وابيه
فذلك قوله تعالى وجاء اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان منزلهم بالعرفات من ارض فلسطين
بقرب الشام وكانوا اهل بادية وشياه فدعاهم ابوهم يعقوب عليه السلام وقال بلغني ان بمصر
ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا منه ما تحتاجوا من الطعام وهاهنا
همزتان مختلفتان من كلمتين فقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الثانية والباقون بالتحقيق
ولما امرهم ابوهم بذلك خرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا عليه فعرفهم قال ابن عباس بادلال
الله عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا اليه وهم له منكرون اي لم يعرفوه وذلك لوجوه
الاول انه عليه السلام امر حجابه بان يوقفوهم من البعد وما كان يتكلم معهم الا بواسطة
الثاني انهم حين القوه في الجب كان صغيرا ثم انهم رأوه بعد وفور اللحية وكبر الجثة قال ابن عباس
وكان بين ان قذفوه في البير وبين ان دخلوا عليه اربعون سنة فلذلك انكروه وقال عطا
انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك وكان بزي ملوك مصر عليه ثياب حرير وفي عنقه طوق
من ذهب ثم ان يوسف عليه السلام امر بانزالهم واكرامهم وكانت عادته ان لا ينزل باحد اعلى
حمل بعير وكانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال لكل واحد حمل وقال ولما جهزهم بجهازهم اي وفاهم
كيلهم والجهاز ما يعد من الامتعة للحمله كالعدد والسرج وما يحمل من بلدة الى اخرى
وما ترك به المراة الى زوجها فقالوا ان لنا شيخا كبيرا واخا اخر بقي معه وذكروا ان اباهم
لاجل سنه وشدة حزنه لم يحضر وان اخاهم في خدمة ابيه ولا بد لهما ايضا من حملين
اخرين من الطعام فلما ذكروا ذلك قال يوسف فهذا يدل على ان حب ابيكم له ازيد من
حبه لكم وهذا شيء عجيب لكم انتم مع جمالكم وعقلكم وادبكم اذا كانت محبة ابيكم لذلك الفتى
اكثر من محبته

اكثر من محبته لكم دل ذلك على انه امجوبة في العقل والادب فحببوا به حتى اراه كما قال
تعالى حكاية عنه قال ايتوني باخ لكم من ابيكم اي الذي خلفتموه عنده وقيل انه لما نظر
اليهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني عن انتم وما امركم فاني انكر شأنكم قالوا قوم
من ارض الشام اصابنا ما اصاب الناس فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم لتنظروا الى عورة
بلادنا قالوا لا والله لسنا بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق يقال
له يعقوب نبي من انبياء الله تعالى قال وكم كنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ لنا الى البر فهلك
فيها وكان احبنا الى ابينا قال فكم انتم ها هنا قالوا عشرة قال واين الاخر قالوا عند ابينا لانه
اخو الذي هلك وابوه مبتلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك انا بلاد
لا يعرفنا فيها احد قال يوسف فايتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم صادقين فانا ارضى بذلك
فقالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسيراوده عنه قال فدعوا بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني
باخيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده
ثم انه قال لهم الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه ولا اخسر منه شيأ وقرا نافع بفتح الياء من
اني والباقون بالسكون واما اليا من اوفي فجميع القراء يثبتونها في الوقف لثباتها في الرسم وحذفوها
في الوصل للتقاء الساكنين وانا خير المنزلين اي المضيفين فانه كان قد احسن ضيافتهم مدة
اقامتهم عنده قال الرازي وهذا يضعف قول من يقول ان المغرض انه انتهم وضمهم
الى انهم عيون وجواسيس ولو شافههم بهذا الكلام فلا يليق به ان يقول لهم الا ترون اني اوفي
الكيل وانا خير المنزلين وايضا بعد من يوسف عليه السلام مع كونه صديقا ان يقول لهم
انتم عيون وجواسيس مع انه يعرف براءتهم عن هذه التهمة لان البهتان لا يليق بعاد الصديق
ثم قال عليه السلام فان لم تاتوني به اي باخيكم فلا كيل اي فلا ميرة لكم عندي اي ولم يمنعهم
من غيره ولا تقربون نهي وعطف على محل فلا كيل اي تحرموا ولا تقربوا مني ولا تدخلوا دياري
جمع بينهم عليه السلام بين الترغيب والترهيب فالترغيب في قوله الاول والترهيب في قوله
الثاني لانهم كانوا في نهاية الحاجة الى الطعام وما كان يمكنهم تحصيله الا من عنده ومع
ذلك فلم يخطر ببالهم انه يوسف وكانه قيل فما قالوا فقيل قالوا سنراود اي نوعد لاخلو فيه
حين نفصل عنه اباه اي سنكلمه ونتازعه الكلام ونخادعه فيه ونتلطف في ذلك ولا ندع
جهدا وانا لفاعلون اي ما امرتنا به والتزمناه ولما ارغبهم وارهبهم في شان اخيه قال
لفتيته اي غلمانه الكيالين جمع فتى وقرا حفص وحمزة والكسائي بالف بعد الياء المثناة تحت
وبعد الالف فوقانية مكسورة والباقون بالياء المثناة تحت ثم بثا مثناة فوق مكسورة اجعلوا

بضاعتهم اي التي اتوا بها ثمنا لميرة وكانت دراهم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها كانت
النعال والادم في رحالهم جمع رحل اوعيتهم التي يحملون فيها الطعام لعلهم يعرفونها اي
بضاعتهم اذا انقلبوا اي رجعوا الي اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون الينا واختلف
في السبب الذي هذا اجله رد يوسف عليه السلام بضاعتهم في رحالهم علي اوجه الاول انه
اراد ان يكون ذلك المال معونة لهم علي شدة الزمان وكان يخاف النصوص من قطع الطريق
فوضع تلك الدراهم في رحالهم حتي تبقي مخفية الي ان يصلوا الي بيوتهم الثاني ان يعرف اباه
انه اكرمهم وطلبهم لمزيد الاكرام فلا يثقل علي ابيه ارسال اخيه الثالث مقصود ان يعرفوا
انه لا يطلب ذلك الا لاجل الايذاء والظلم ولا يطلب زيادة الثمن الرابع اراد ان يحسن
اليهم علي وجه لا يلحقهم فيه عيب ولامنة الخامس قال الفراء انهم متي شاهدوا بضاعتهم
في رحلهم وقع في قلوبهم انهم وضعوا تلك البضاعة في رحالهم علي سبيل السهو فيعودوا اليها
واولادنا بيا فيرجعون ليعرفوا السبب فيه ويردوا الملك الي مالكه السادس اراد به التوسعة
علي ابيه لان الزمان كان زمان القحط السابع رايي ان اخوة ثمن الطعام من ابيه ومن اخوته
علي شدة حاجتهم الي الطعام لوم الثامن خاف ان لا يكون عند ابيه من المال ما يرجعون به
مرة اخري التاسع انهم متي فتحوا المتاع فوجدوا بضاعتهم فيه علموا ان ذلك كرم من يوسف
عليه السلام وسخا فبعثهم ذلك الي العود اليه والحرص علي معاملته عليه السلام فلما رجعوا
اي اخوة يوسف عليه السلام الي ابيهم قالوا يا ابانا انا قد منا علي خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة
عظيمة لو كان رجلا من الا يعقوب ما اكرمنا اكرامه فقال يعقوب عليه السلام اذا رجعتم الي
ملك مصر فاقرؤه مني السلام وقولوا له ان ابانا يدعو لك بما اوليتنا ثم قالوا لهم اي شمعون
قالوا لم تهنه ملك مصر واحبوه بالقصة وقولهم منع منا الكيل فيه قولان احدهما انهم لما
طلبوا الطعام لاخيهم الغايب عند ابيهم منعوا منه والثاني انهم منعوا الكيل في المستقبل وهو
قول يوسف عليه السلام فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ويدل لهما قولهم فارسل معنا اخانا
بنيامين نكتل قاله حمزة والكسائي قرا بالياء اي يكتل لنفسه وهذا يدل للقول والباقون بالنون
اي نكتل نحن واياه وهذا يدل للقول الثاني وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه حتي نرده
اليك فلما قالوا ليعقوب عليه السلام هذه المقالة قال لهم هل امنكم اي اقبل منكم الان وفي
مستقبل الزمان تامينكم لي فيه بما سوي في تامينا مستقبلا عليه اي بنيامين الا كما امنتكم
اي في الماضي علي اخيه يوسف عليه السلام من قبل فانكم اكدتم غاية التاكيد فلم تحفظوه
لي ولم تردوه اي والامر اطمينان القلب الي سلامة النفس فانا في هذا الامن عليه الا الله تعالي

فالله المحيط

فالله المحيط علما وقدرة خير حفظا منكم ومن كل احد ففيه التفويض الي الله تعالي والاعتماد
عليه في جميع الامور وقرا حفص وحمزة والكسائي بفتح الحاء والفاء بعدها وكسر الفاء والباقون
بكسر الحاء وسكون الفاء وهو منصوب علي التمييز في القراتين وتحتمل الاولي النصب علي
الحال اللازمة وهو ارحم الراحمين اي ارحم بي منك ان يجمعني به بعد مصيبتي باخيه
فلا اجتمع علي مصيبتان ولما اراد ان تقريغ ما قدموا به هذه المرة فتحوا امتعتهم اوعيتهم
التي حملوها من مصر وجدوا بضاعتهم اي مالهم من معهم من كمال تلك القوت ردت اليهم
والوجدان ظهور الشيء للنفس بحاسة او ما يقوم عنها كانه قيل ما قالوا فقيل قالوا اي هم
لابيهم عليه السلام يا ابانا ما استفهامية اي اي شيء نبغي اي نريد من جميع القوا تثبتوا اليا
وقفا ووصلا لثباتها في الرسم فكانه قال لهم ما الخبر فقالوا بيانا لذلك وتاكيد السوال
في استعطاف اباهم هذه بضاعتنا ردت الينا هل هذه مزيد علي ذلك اكرمنا واحسن الينا
وبع منا ورد علينا متاعنا ولما كان التقدير ونرجع بها اليه باحيانا فيظهر له نصحنا وصدقنا
ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الميرة بوجوعنا اليه والميرة الاطعمة التي تحمل من بلد الي بلد ونحفظ
اخانا فلا يصيبه شيء مما نخشي عليه تاكيدا للوعد بحفظه ونزداد كيل بعير لاخينا ذلك
كيل يسير اي سهل علي الملك لسخايه وحرصه علي البذل وقيل قصير المدة ليس يسير مثله
ان يطول مدته بحسب الجدب والتاخر وقيل قليل فابعثه اخانا معنا حتي نبتاع تلك القلة بالكثرة
فكانه قيل ما قالوا لهم فقيل قال يعقوب عليه السلام لن ارسله اي بنيامين كائنا معكم اي في
وقت من الاوقات حتي تؤتوني موثقا اي عهدا موكدا من الله قراب كثير باثبات الياء بعد النون
وقفا ووصلا وابو عمرو باثبات الياء وقفا وصلا وحذفها الباقون وقفا ووصلا وقوله لتاتنني
اي كلكم به من الاتيان وهو مجيء في كل حال جواب القسم او المعني حتي تحلفوا بالله لتاتنني به الا
في حال ان يحاط اي تحصل الاحاطة بمصيبة من المصايب لا طاقة لكم بها بكم فتهلكوا من عند آخركم
كل ذلك زيادة في التوثق بما حصل له من المصيبة بيوسف عليه السلام وان كان الاعتماد في
حفظه انما هو علي الله تعالي وهذا من باب اعقلها وتوكل فاجابوه الي ذلك كما قال تعالي فلما
اتوه موثقهم بذلك قال الله علي ما نقول نحن وانتم وكيل اي شهيد وارسله معهم بعد ذلك
فان قيل لم ارسله معهم وقد شاهد منهم ما شاهد في يوسف عليه السلام اجيب بان ذلك
لوجوه احدها انهم كبروا وما توا الي الخير والصلاح الثاني انه كان شاهد انه ليس بينهم وبين
بنيامين من الحسد والحقد مثل ما كان بينهم وبين يوسف عليه السلام الثالث لعل الله اوحي اليه
وضمن حفظه وايصاله اليه والمامر موا علي الخروج الي مصر وكانوا موصوفين بالكمال والجمال

وابا رجل واحد قال لهم يا بني لا تدخلوا اذا قد تم اي مضى من باب واحد من ابوابها وادخلوا
من ابواب متفرقة واحترز من ان تكون متلاصقة او متقاربة جدا بقوله متفرقة اي
تفرقا كثيرا وهذا حكم التكليف ليلا يصابوا بالعين وهو من قدر الله تعالى وقدره وشرعنا
بذلك ففي الصحيحين وغيرهما عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العين حق وفي
رواية عن احمد يحضرها الشيطان وحسد ابن ادم وفي رواية لمسلم العين حق ولو كان
شيء سابق القدر لسبقته العين وفي رواية عن جابر ان العين لتدخل الجمل القدر والرجل
القبر وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات
الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ويقول هكذا كان يعوذ ابراهيم
واسماعيل واسحاق صلوات الله وسلامه عليهم وعلى سائر النبيين وعن عبادة بن
الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول النهار فوجدته شديد الوجع
ثم عدته اليه اخر النهار فرايته معافى فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فرقاني فقال بسم الله
ارقيك من كل شيء يوذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فافقت وفي رواية ان بني جعفر
ابن ابي طالب كانوا غلمانا بيضا فقالت اسما يا رسول الله ان العين اليهم سريعة فاسترقي
لهم من العين فقال لها نعم وفي رواية دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ام سلمة وفي البيت
صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين فقال اما تسترقون له من العين وعن عائشة
رضي الله عنها كان يومر العائن ان يتوضا ثم يغتسل منه العين الذي اصيب بالعين ويلحاء
يعقوب عليه السلام ان يبقى من امره هذا الى بعض الاوهام ان الحذر يغني عن القدر تقي
ذلك بقوله عليه السلام وما اغني اي ادفع عنكم بقولي ذلك من الله من شيء قدره
عليكم وانما ذلك شفقة ومن مزيدة للتاكيد واعلم ان الانسان مامور بان يرى الاسباب
المعتبرة في هذا العالم بان يجزم بانه لا يحصل الا ما قدره الله تعالى وان الحذر لا يدفع القدر
فان الانسان مامور بان يحذر عن الاشياء المهلكة والاغذية الضارة وبغي في تحصيل
المنافع ودفع المضار بقدر الامكان ومع ذلك يكون جازما بانه لا يصل الا ما قدره الله
تعالى ولا يحصل في الوجود الا ما اراده الله تعالى فقوله عليه السلام لا تدخلوا من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة اشارة الى رعاية الاسباب المعتبرة في هذا العالم وقوله
وما اغني عنكم من الله من شيء اشارة الى عدم الالتفات الى الاسباب بل الى التوجه بالكلية
والبراءة عن كل شيء سوى الله تعالى ولما قضى الامر كله اليه وجب رد كل امر اليه وقصر النظر
اليه فقال منبها على ذلك ان الحكم الا لله عليه اي على الله وحده الذي ليس الحكم الا له توكلت

اي جعلته وكيلي

اي جعلته وكيلي فوضيت بكل ما يفعل وعليه وحده فليتوكل المتوكلون اي الثابتون
في باب التوكل فان ذلك من اعظم الواجبات من فعله فاز ومن اغفله خاب وقد ثبت
بالبرهان ان لا حكم الا لله فلزم القطع بان حصول كل الخيرات ودفع كل الافات من الله تعالى
وذلك يوجب ان لا توكل الا على الله فهذا مقام شريف عالي والشيخ ابو حامد الغزالي
اكثر في تقرير هذا المعنى في كتاب التوكل من كتب احياء علوم الدين فمن اراد الاستقصاء
فيه فليطالع ذلك الكتاب ولما قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شيء صدقه الله
تعالى في ذلك فقال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان ذلك التفرق
يغني عنهم من الله اي من قضايه واغرق في النفي فقال من شيء اي مما قضاه عليهم كما تقدم
من قول يعقوب عليه السلام فرقوا واخذوا ابنيامين بوجدان الصاع في رحله
وتضاعفت المصيبة على يعقوب عليه السلام وقوله تعالى الا حاجة استثناء منقطع
اي لكن حاجة في نفس يعقوب وهي الوصول الى ما امربه شفقة عليهم قضاها يعقوب
عليه السلام وابرزها من نفسه الى اولاده فعملوا فيها بمراده فاغنى عنهم الخلاص من عتو
ابيهم فقط وانه اي يعقوب عليه السلام مع امره لبنيه لذلك لذو علم اي معرفة
بالحكم من حكم التكليف وحكم التقدير واطلاع على الكونين عظيم لما علمناه بالوحي
ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يفتر بتدبيره ولما كان قد
يظن ان كل احد يكون كذلك اي يعلم ما علمه نفى ذلك سبحانه بقوله تعالى ولكن اكثر
الناس اي لاجل ما نالهم من الاضطراب لا يعلمون اي ليسوا بذوي علم لما علمناهم
لاعراضهم عنه واستفراغ قولهم في الاهتمام بما وقع التكليف لهم به من احوال الدنيا
ومقابلة فطرهم العوجاء السليمة يردها الى ما تدعوهم اليه الحظوظ والشهوات حتى هم
لا يكون على مخلوق ولما اخبر تعالى عن دخولهم الى البلد اخبر عن دخولهم لحاجتهم الى
يوسف عليه السلام فقال ولما دخلوا اي اخوة يوسف عليه السلام على يوسف في المقومة
الثانية باخيهم بنيامين قالوا هذا اخونا فقال احسنتم واحسبتم وستجدون بخير ذلك
عندي ثم انزلهم واكرم منزلهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مايدة فبقي بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخي حيا اجلسني معه فقال يوسف لقد صار اخوكم هذا وحيدا
فاحلسه معه على مايدته وصار يوكله فلما كان الليل امر ان يترك كل اثنين منهم بيتا فبقي
بنيامين وحده فقال يوسف هذا بنيامين معي على فراشي كما قال تعالى اوى اي ضم اليه اخاه
فبات معه وجعل يوسف يضمه اليه ويشمه ثم قال له ما اسمك قال بنيامين قال وما

يعقوب عليه يوسف

بنيامين قال امثل وذلك انه لها ولد هلكت امه قال وما اسم امك قال راحيل بنت لاوي
قال فهل لك من ولد قال نعم عشرة بنين ولما راي تاسفه لاخ له هلك قال له اتحب ان اكون
اخاك بدل اخيك فقال ومن يجد اخا مثلك ولكنك لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف
وقام اليه وعانقه قال انا اخوك فلا تبتئس اي لا تحزن بما كانوا يعملون اي بشيء قليل
بنا فيما مضى فان الله تعالى احسن الينا فلا تلتفت الى اعمالهم المنكرة التي قد اقدموا وقد جمعنا
الله تعالى على خير ولا تعلمهم بشيء من ذلك وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون
بالسكون وهو بعد النون هنا انا قبل الهمزة المفتوحة نافع والباقون بالقصر ثم انه ملأ
لهم اوعيتهم كما اراد واوكان في المرة الاولى يعطي كل واحد بعيرا بعيرا فلما جهزهم في طول المدة من
حيث لا يشعرون ولذلك لم يعط بالغا واسرع في تجهيزهم في هذه المرة قصدا الى انفراده
باخيه من غير رقيب بالحيلة التي دبرها فلذلك اتت الفاء في قوله فلما جهزهم اي اعجل جهازا
واحثه بجهازهم جعل بنفسه او بمن امره السقاية اي الشربة التي كان يشرب فيها في حال
اخيه اي في وعاء طعام اخيه بنيامين كما فعل بيضاعتهم في المرة الاولى قال ابن عباس
كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة مشربة من
فضة مرصعة بالجواهر وجعلها يوسف مكيالا ليلا يكال بغيرها وكان يشرب فيها قال
الرازي هذا بعيد لان الاناء الذي يشرب فيها الملك لا يصلح ان يجعل صاعا وقيل كانت الدواب
تسقى بها قال وهذا ايضا بعيد لان الانية التي تسقى الدواب فيها لا تكون كذلك قال والاصح
ان مقدار كان ذلك الاناء شيأ له قيمة اما اي هذا الحد الذي ذكروه والسقاية والصواع واحد
ثم ارتحلوا واهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من
العمارة ثم بعث خلفهم من استوقفهم وحبسهم ثم اذن اي اعلن فيهم بالنداء مؤذن قائلا
برفع صوت وان كانوا في غاية القرب منه مما دل عليه استعمال الاداة ايتها العير اي القافلة
قال ابو الهيثم كل شيء عليه من الابل والحمير والبغال فهو عير قال وقوله من قال العير
الابل خاصة باطل فقوله ايتها العير اي اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبوا قال الفراء كانوا
اصحاب ابل وقال مجاهد كانت العير حميرا وقرئ يا بدا همزة مؤذن واوا وقفا ووصلا
وهمزة في الوقف فقط والباقون بالقصر انكم لسارقون فقفوا حتى ننظر الذي فقدنا والتزنا
احدا ما ليس له احذه في خفاء من غير مثله فاذا قيل هل كان هذا النداء بامر يوسف عليه السلام
او ملكان بامره فان كان بامره فكيف يليق بيوسف عليه السلام مع علو منصبه النبوة
اقوالا وينسبهم الى السرقة كذبا وبهتانا وان كان بغير امره فهلا اظهر براءتهم عن تلك التهمة

اجيب باجوبة الاول انه عليه السلام لما اظهر لاخيه انه يوسف قال لست افارقك قال
قال لا سبيل الى ذلك الا بتدبير حيلة اسكت فيها الا ما لا يليق بك قال رضيت بذلك
وعلى هذا لم يتم قلبه بسبب هذا الكلام لانه قد رضي به فلا يكون ذنبا الثاني انكم
لسارقون يوسف هذا ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض
مندوحة عن الكذب الثالث ان المنادي انما ذكر النداء على سبيل الاستفهام وعلى هذا
يخرج ان يكون كذبا الرابع ليس في القرآن ما يدل على انهم قالوا هذا بامر يوسف عليه
السلام قال الرازي والاقرب الى ظاهر اللفظ انهم فعلوا ذلك منا نفسهم لانهم لما طلبوا
السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك احد غيرهم غلب على ظنهم انهم الذين اخذوها ولما
وصل اليهم الرسول قال لهم ائتم شر ضيافتكم وذكر مثواكم وغيبكم كيلكم وفعلنا بكم
ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا السقاية فقدناها ولا تتهم عليها غيركم فذلك
قوله تعالى قالوا والحال انهم قد اقبلوا عليهم اي على جماعة الملك المنادي وغيره ماذا اي
ما الذي تفقدون مما يمكننا اخذه وافتقدان ضد الوجود قالوا نفقد وكان للسقاية
اسمان فعبروا بقولهم صواع الملك والصواع هو المكيال وهو السقاية المتقدمة
سموه تارة كذا وتارة كذا وانما اخذوا هذا الاناء مكيالا لندرة ما يكال به في ذلك الوقت
ولمن جاء به حمل بعير اي من الطعام والبعير يطلق لغة على الذكر خاصة واطلقه بعضهم
على الناقة ايضا وجعله قطين انسان وهو ما جرى عليه الفقهاء في باب الوصية والجمع في
القلة على ابعرة وفي الكثرة على بعران وانا به زعيم قال مجاهد الزعيم هو الذي آذن
والزعيم الكفيل وهذه الاية تدل على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الزعيم غارم واذا ورد في شرعنا ما يقرر شرعهم
غير ناهل يكون شرعا لنا في ذلك خلاف والراجح انه ليس شرعا لنا فان قيل كيف تصح هذه
الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيأ اجيب بانهم لم يكونوا سراقا في الحقيقة فيحمل ذلك
على مثل رد الضايع فيكون ذلك جعالة او ان مثل هذه الكفالة كانت جايزة عندهم في ذلك
الزمان قالوا اي اخوة يوسف عليه السلام تالله التاء حرف قسم وهي عند الجمهور بدل
من واو القسم والواو بدل منا لبا فهي فرع الفرع فلذلك ضعفت عن التعريف في الاسما
فلا تدخل الا على الجلالة الكريمة او الرب مضافا للكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت
تالرحمن لجاز اي والله لقد علمتم اي بما جربتم منا ما نتنا قبل هذا في كون مجيئنا ما جينا واكدوا
النفي باللام فقالوا لنفسد اي نوقع الفساد في الارض اي ارض مصر ولقد علمتم ما كنا

بوجه من الوجوه سارقين اي موصوفين بهذا الوصف قطعا فان قيل من اين علموا ذلك
اجيب بان ذلك يعلم بسمات او امارات لهم وقيل لانهم ردوا البضاعة التي جعلت في رحالهم
قالوا فلو كنا سارقين ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بانهم لا يتناولون
ما ليس لهم وكانوا اذا دخلوا مصر كموا افواه دوابهم كيلا تنتشر شيا من حروث الناس
قالوا اي اصحاب يوسف عليه السلام المنادي ومن معه فما جزاؤه اي السارق وقيل الصواع
ان كنتم كاذبين في قولكم ما كنا سارقين ووجد فيكم والجزاء مقابلة العمل بما يستحق من خير
او شر قالوا وثوقا منهم بالبراة واخبارا بالحكم عندهم جزاؤه من وجد في رحله والتحقهم
البراة علقوا الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة ثم اكدوا ذلك بقولهم فهو جزاؤه
قال ابن عباس كان ذلك الزمان كل سارق يسترق سنة فذلك قالوا ذلك اي فالسارق جزاؤه
ان يسلم السارق برقبته الى المسروق منه فيسترق سنة وكان ذلك سنة الدبقوب
في حكم السارق وكان حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق فاراد
يوسف ان يجيب اخاه عنده فرد الحكم اليهم ليتمكن من حبسه عنده على حكمهم كذلك
اي الجزاء نجزي الظالمين بالسرقة قال اصحاب يوسف فلا بد من تفتيش رحالكم فردوهم
الى يوسف عليه السلام فامر بتفتيشها بين يديه فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه
ليلا يتهم فلم يجد فيها شيا ثم اي بعد تفتيش اوعيتهم والثاني في ذلك استخرجها اي
السقاية او الصواع لانه يذكر ويونث من وعاء اخيه فلما خرج الصواع من وعاء بنيامين
نكس اخوته رؤوسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ايش الذي هو
صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل ما زال لنا منكم بلاء حتى اخذ هذا
الصاع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية
ان الذي وضع هذا الصاع في رحلي هو الذي وضع البضاعة في رحالكم فاخذ بنيامين
رقيقا وقيل المنادي واصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع
من رحله فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف عليه السلام تنبيه هنا همزتان مختلفتان
من كلمتين قرا نافع وابن كثير وابو عمرو بابدال الثانية ياء والباقون بالتحقيق كذلك
اي مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف خاصة بان علمناه اياه جزاهم على كيدهم بيوسف
عليه السلام في الابتداء وقد قال يعقوب ليوسف عليهما السلام فيكيدوا لك كيدا
والكيد من الخلق الحيلة ومن الله تعالى التدبير بالحق فالمراد من هذا الكيد هو ان الله تعالى
القى في قلب اخوته بان حكموا ان جزاء السارق هو ان يسترق فلا جرم لما ظهر الصاع في رحله

حكموا عليه

حكموا عليه بالاسترقاق وصار ذلك سببا لتمكن يوسف عليه السلام من امساك اخيه
عند نفسه ولما كان الكيد يشعر بالحيلة والخديعة وهو في حق الله تعالى محال حمل على
الغاية ونهايته هنا القاء الانسان من حيث لا يشعر في امر مكروه لا سبيل له الى دفعه
فالكيد في حق الله تعالى محال على هذا المعنى وقيل المراد بالكيد ههنا ان اخوة يوسف
سعوا في ابطال امره والله تعالى نصره وقواه واعلا امره وقوله تعالى ما كان اي يوسف
لياخذ اخاه في دين الملك اي حكمه بيان للكيد لان جزاه كان عنده الضرب وتغريم
مثلي ما اخذ لا انه يستعبد وقوله تعالى الا ان يشا الله فيه وجهان احدهما انه استثنا
منقطع تقديره ولكن بمشيئة الله اخذه في غير دين الملك وهو دين الدبقوب
عليه السلام ان الاسترقاق جزاء السارق والثاني انه مفرغ من الاحوال العامة والتقدير
ما كان لياخذه في كل حال الا في حال التباسه بمشيئة الله اي اذنه في ذلك ولما
كان يوسف عليه السلام انما يتمكن من ذلك بعلو درجته وتمكنه ورفعته بعد ما كان فيه
عندهم من الصغار كان ذلك محل عجب فقال تعالى التفاتا الى مقام التكلم نرفع درجات من
نشا اي بالعلم كما رفعنا درجته وكان الاصل درجاته ولكنه عمم لانه ادل على العظمة
فكان اليق بمظهرها وفي هذه الاية دليل على ان العلم اشرف المقامات واعلا الدرجات لان
الله تعالى لما هدى يوسف عليه السلام الى هذه الحيلة مدحه لاجل ذلك ورفع درجته على
اخوته ووصفا براهيم عليه السلام بقوله نرفع درجات من نشا عند ما حكي عنه دليل
التوحيد والبراة عن الربهية الشمس والقمر والكواكب وقراعاصم وحمزة والكسائي تنوين
التاء والباقون بغير تنوين وفوق كل ذي علم عليم قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان
ينتهي العلم الى الله تعالى فالله تعالى فوق كل عالم لانه هو الذي يعلمه عن التعلم وفي الاية
دليل على ان اخوة يوسف عليه السلام كانوا علما وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري
يجب ان يتهم العالم نفسه ويستشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمح نفسه في العلية في العلوم
لانه لا يخلو عالم من عالم فوقه ولما حصل لاخوة يوسف من اخراج الصواع من رحل
بنيامين ما حصل مما كانوا قيل فما كان فعلهم عند ذلك فقالوا قالوا تسلية لانفسهم ودفعا
للعار عن خاصتهم ان يسرق ولم يجز موا بسوقته لعلمهم بامانته وظنهم ان الصواع دس في
رحله وهو لا يشعر كما وست بضاعتهم في رحالهم وكان قد قال لهم ذلك فقد سرق اخ
له من قبل اي يوسف وكان غرضهم من ذلك انا لسنا على طريقته ولا على سيرته وهو اخ
مختلصان بهذه الطريقة لانهما من ام اخرى واختلفوا في التي نسبوها الى يوسف عليه السلا

م

علي اقوال فقال سفيان بن عيينه اخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب فاعطاها سايله
وقال مجاهد جاء سايل فاخذ بيضة من البيت فناولها للسايل وقال وهب كان يخبأ الطعام
من مايدة يعقوب للفقراء وقال سعيد بن جبير كان جده ابو امه كافرا يعبد الوثن وامرته امه
ان يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعله يترك عبادة الاوثان فعمل ذلك فهذا هو السرقة
وقال محمد بن اسحاق ان يوسف عليه السلام كان عند عمته ابنة اسحاق وكانت تحبه حبا
شديدا فاراد ان تمسكه عندها وكان قد بقي معها منطقة لابيها اسحاق عليه السلام
وكانوا يتبركون بها فشدته علي يوسف عليه السلام من تحت ثيابه وهو صغير لا يشعر ثم
قالت انه سرقها وكان علمهم ان من سرق يسترق فقال يعقوب عليه السلام ان كان قد فعل
ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتي ماتت فتوسلت بهذه الحيلة الي امساكه عند
نفسها قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها سرقة ولكنها تشبهها فعيروه بها عند الغضب
وقيل انهم كذبوا عليه وبهتوه وكانت قلوبهم مملوءة من الغضب علي يوسف بعد تلك الوقايع
وبعد انقضاء المدة الطويلة قال الرازي وهذه الوقعة تدل علي ان قلب الحاسد لا يطمئن
عن الفل البتة فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها اي يظهرها لهم والضمير للكلمة
التي هي قوله قال اي في نفسه انتم شر مكانا اي من يوسف واخيه اي لسرقتكم اخاكم من ابيكم
وظلمكم له وقيل الضمير يرجع الي الكلمة التي قالوا في حقه وهي قولهم فقد سرق اخ له من
قبل وعلي هذا يكون المعني فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه والله اعلم بما
تصفون اي تقولون وانه ليس كما قلتم قال اصحاب الاخبار والسير ان يوسف عليه السلام
لما استخرج الصاع من رحل بنيامين نقره وادناه الي اذنه ثم قال ان صاعي هذا يخبرني
انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم ابطلتم باخ لكم من ابيكم فبعتموه فقال بنيامين ايها
الملك صاعك من جعله في رحلي ثم نقره وادناه من اذنه فقال ان صاعي غضبان وهو يقول
كيف تسيئون عن صاحبي وقد رويت مع من كنت قالوا فغضب روبيل لذلك وكانوا لادهم
يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه شي وكان اذا صاح الفت
كل حامل حملها ان سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد يعقوب عليه السلام يسكن
غضبه وكان اقوي الاخوة واشدهم وروي انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة
فقال اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق
ودخلوا علي يوسف فقال روبيل لتردن علينا اخانا اولا صيحن صيحة لا تبقي بمصر امرأة
حامل الا القت ولدها وقامت كل شعرة في جسده حتي خرجت من ثيابه فقال يوسف لابنائه

صفين ثم اتي جنب روبيل فمسه ويروي خذ بيده فاتيني به فذهب الغلام فمسه فكن
غضبه فقال لاخوته هل مسني منكم قالوا لم يصبك منا احد فقال روبيل ان هنا لامرا
من بذر يعقوب فقال يوسف من يعقوب وروي انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف فركضه
برجله واخذ بتلابيبه فوقع علي الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين تظنون ان لا
احد اشد منكم فلما صار امرهم الي هذا اوراوا ان لا سبيل لهم الي تخليصه خضعوا وذلوا
وقالوا يا ايها العزيز قد خاطبوه بما يليق بالاكابر ليرق لهم ان له اي هذا الذي وجد
الصاع في رحله اباشيخا كبيرا اي في سنه وقدره وهو معزم به لا يقدر علي فراقه ولا
يصبر عنه فخذ احدنا مكانه واحسن الي ابيه بارساله الينا فانا نراك اي نعلمك علما هو
كالرؤية او نجدك ما رأيناه من المحسنين اي الفريقين في صفة الاحسان فاجر في امرنا
علي عادة احسانك فكانه قيل فما اجابهم قيل قال معاذ الله نصب علي المصدر
وحذف فعله واضيف الي المفعول اي نعوذ بالذي لا مثل له معاذ اعظيما من ان نأخذ
الا من وجدنا متاعنا عنده ولم نقل سرق متاعنا لانه لم يفعل في الصاع فعل السارق
ولم يقل يقع منه قبل ذلك ما يصح اطلاق الوصف عليه ثم علله بقوله انا اذا
اخذنا احدا مكانه لظالمون اي عريقون في الظلم في دينكم فلم تقلبون ما هو ظلم
عندكم ولما ايسهم بما قال عن اطلاق نبيا مين حكي الله تعالي ما اثمر لهم من الرأي
فقال فلما استيأسوا منه اي يئسوا منه لما رأوا
من احسانه ولطفه ورحمته باشد يا بما رأوا من ثباته علي اخذه بعينه وعدم شبه
خلصوا اي انفردوا من غيرهم حال كونهم نجيا وهو مصدر يصلح للواحد وغيره اي
ذوي نجوي يناجي بعضهم بعضا فكانه قيل فما قالوا قيل قال كبيرهم في السن وهو روبيل
وقيل في الفضل والعلم وهو يهودا وقيل شمعون وكان له الرياسة علي اخوته ألم تعلموا
مقرر لهم بما يعرفونه مع قرب الزمان ليشتد توبيخهم في بذل الجهد في الخلاص من غضب
ابيهم ان اباكم اي الشيخ الكبير الذي فجعتموه في احب ولده اليه قد اخذ عليكم اي قبل
اني ان يعطيكم هذا الولد الاخر موثقا اي عهدا وثيقا من الله في اخيكم وانما جعل
حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته وقوله ومن قبل ما فرطتم في
هذه الاية وجوه اظهرها ان ما مزيدة فيتعلق الظرف بالفعل بعدها والتقدير ومن
قبل هذا فرطتم اي قصرتم في حق يوسف وشانه وزيادة ما كثيرة وبه بدا الزمخشري وغيره
وقيل انها مصدرية في محل رفع بالابتداء والخبر هو قوله في يوسف اي وتفريطكم كائن في

او مستقر في يوسف والي هذا ذهب الفارسي وقيل غير ذلك ولا نطيل بذكره ان في هذا القدر
كفاية فلن ابرح ايما فارق الارض اي ارض مصر حتى ياذن لي ابي بالعود اليه او يحكم الله
لي بخلاص اخي وهو خير الحاكمين اي اعدلهم فان قيل هذه الواقعة هنا ولها الى آخرها
تزوير وكذب فكيف يجوز ليوسف عليه السلام ان يعمل مثل هذه الاعمال بابيه ولن يخبره
بمكانه وحبس اخاه اذ لم عنده مع علمه بشدة وجد ابيه عليه وشدة عشقه وفنيه
ما فيه من الحقوق واذى الناس هذا غير ذنب لا سيما ويعلم انه اذا احبس اخاه عنده
بهذه التهمة فانه يعظم حزن ابيه ويشتد عشقه فكيف يليق بالرسول المعصوم المبالغة
في البر ويرى في هذا الخداع عجيب باجوبة كثيرة للعلماء واحسنها انه انما فعل ذلك بامر الله
تعالى له لاعتناء الله تعالى بشان ذلك ليزيد بلاء يعقوب عليه السلام فيضاعف
له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة ابائه وجده تعالى اسرارا لا يعلمها احد من خلقه وهو
المتصرف في خلقه بما شاء فهو الذي اخفى خبر يوسف عن يعقوب في هذه المدة مع قرب
المسافة لما يريد ان يديره فيهم والله اعلم باحوال عباده ثم قال لكبيرهم ارجعوا الى ابيكم
اي دوني فقولوا له متلطفين في خطابكم يا ابانا واكدوا مقالتهم فانه ينكرها وقولوا ان
ابنك سرق فان قيل كيف يحكمون عليه بانه سرق من غير بينة وهو قد اجابهم بالجواب الثاني
فقال الذي جعل الصاع في رحلي هو الذي جعل البضاعة في رحالكم اجيب بانهم لما شاهدوا
الصاع وقد اخرج من متاعه غلب على ظنهم انه سرق فلذلك سبوه الى السرقة في ظاهر
الامر لا في حقيقة الحال ويدل على انهم لم يقطعوا عليه بالسرقة قولهم وما شهدنا عليه
الا بما علمنا ظاهرا من رويتنا الصاع يخرج من وعايه واما قوله وضع الصاع في رحلي
فمن وضع البضاعة في رحالكم فالفرق ظاهر لان هناك لما رجعوا بالبضاعة اليهم اعترفوا
بانهم هم الذين وضعوها في رحالهم واما هذا الصاع فان احدا لم يعترف بانه هو الذي
وضع الصاع في رحله فلهذا السبب غلب على ظنهم انه سرق فشهدوا بناء على الظن وما كنا
للغيب اي ما غاب عنا حين اعطين الموثق حافظين اي ما كنا نعلم ان ابنك يسرق ويصير
امرنا الى هنا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وانما قلنا ونحفظ اخانا مما لنا الى حفظه
سبيل او حقيقة الحال غير معلومة لنا فان الغيب لا يعلمه الا الله فلعل الصاع دس
في رحله ونحن لا نعلم ذلك فلعل حيلة دبرت في ذلك غاب عنا علمها كما صنع في رد بضاعتنا
واسال القرية اي اهلها على حذف المضاف وهو مجاز مشهور وقيل انه مجاز لكنه من باب
اطلاق المحل على الحال التي كنا فيها وهي مصر عما اخبرناك به يخبرونك به بعد قنا

فان الامر قد اشتهر

فان الامر قد اشتهر عندهم وقيل هي قرية من قرى مصر كانوا ارتحلوا منها الى مصر واسال
العير اي القافلة وهم قوم من كنعان جيران يعقوب عليه السلام التي اقبلنا فيها والى
طلب الاخبار بذلك من المهرة وهل وغيرها والقرية الارض الجامعة لحدود وفاصلة
واصلها من قريت الماء جمعته والعير قافلة للحمير من العير بالفتح وهو للحمار هذا هو
الاصل ثم كثر حتى استعمل في غير الحمير ولما كان ذلك بالانكار ولما يتحقق من كرم اخيهم
اكدوه بقولهم وانا اي والله لصادقون في قولنا ولما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قاله
كبيرهم فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال لهم بل سولت اي زينت تزيينا فيه عي لكم انفسكم
امرا اي حدثتكم بامر ففعلتموه والا فما ادري الملك ان السارق يوخذ برقته فصبر
جميل اي فامري صبر جميل وفصبر جميل صبري او اجمل وقدم مثل ذلك في واقعة
يوسف الا انه قال فيها والله المستعان على ما تصفون وقال هنا عسى الله ان ياتيني بهم
اي بيوسف وشقيقه بنيامين والاخ الثالث الذي اقام بمصر جميعا اي فلا يتخلف منهم
احد وانما قال يعقوب عليه السلام هذه المقالة لانه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته
علم ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله تعالى
وتفرس ان هذه الافعال نشات عن يوسف عليه السلام وان الامر يرجع الى سلامته واجتماعه
ثم علل ذلك بقوله انه هو العليم اي البليغ العلم بما خفي عنا من ذلك فيعلم اسبابه الموصلة
الى المقاصد الحكيم اي البليغ فيما يبرمه وينقضه ولما ضاق قلب يعقوب عليه السلام من
سبب الكلام الذي سمعه من ابنائه في حق بنيامين تولى عنهم اي انصرف بوجهه عنهم
لما توالى عنده من الحزن وقال يا اسفا اي ما اشد اسفي على يوسف اي تعالى هذا اوانك والاسف
اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث
انما هو مصيبتهما الان مصيبته كانت قاعدة المصايب والحزن القديم اذا صادفه حزن
اخر كان ذلك اوجع للقلب واعظم لهيجان الحزن الاول كما قالوا تتابع كل قبر برايته
قبر جديد اجد وحزنه على اخيه مالك قالوا اتبكي كل قبر رايته
لقبر ثوامن اللوار الكاركه قتلت نعم ان الاسى يذهب الاناه فدعني فهذا كله قبر مالك بعد
ولاجله كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي حديث رواه الطبراني لم يسقط امة من الامم
انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب
حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه اي انحنى سوادهما وبدا
بياضهما من الحزن اي من قوة البكاء عليه وقيل عن غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتبيض العين

كانها ابيضت من بياض ذلك الماء وقيل ضعف بصره حتى صار يدرك ادراكا لطيفا وقيل
عمي قاد متقاتل لم يبصر بهمات سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف عليه السلام قيل
ان جبريل دخل على يوسف في السجن فقال ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يده
على راسه وقال ديت امي لم تلدني ولم اكن حزنا على ابي فان قيل هذا اظهار للجزع وجار
مجرى الشكاية وهو لا يليق بمثل يعقوب عليه السلام اجيب بانه لم يذكر الا هذه الكلمة
ثم عظم بكاءه ثم امسك لسانه عن الشكاية وذكر ما لا ينبغي ولم ينقص الشكاية مع احد
من الخلق ويدل لذلك قوله **فهو كظيم** اي مغموم مكروب لا يظهر كربه وقوله انما اشكو ا
بثي وحزني الى الله فكل ذلك يدل على انه لما عظمت مصيبته وقويت محنته انه صبره
وخضوع الغصة وما اظهر الشكاية به فلا جرم استوجب به المدح العظيم والثناء الجزيل
روي ان يوسف عليه السلام قال لجبريل عليه السلام هل لك علم بيعقوب قال نعم قال فكيف
حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهي التي لها ولد واحد يموت قال فهل له اجر قال نعم اجر مائة
شهيد ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدايد
وايضا البكاء مباح فقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يحزن
والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا على فراقك يا ابراهيم لمحزونون رواه الشيخان
تنبيه شرف الانسان باللسان والعين والقلب فبين تعالى ان هذه الثلاثة كانت عرضة
في الغم فاللسان كان مشغولا بقوله وا اسفا والعين بالبكاء والبياض والقلب بالغم الشديد الذي
شبه الوعاء المملوء الذي سد فلا يمكن خروج الماء منه وهذا مبالغة في وصف ذلك الغم ولما
وقع من يعقوب عليه السلام ذلك كان قايلا يقول فماذا قاله اولاده فقيل **قالوا** له حتنا
من ذلك **تالله تفتؤ** اي لا تفتؤ اي لا تزال **تذكر يوسف** تحما فتفتؤ جواب القسم وهو
على حذف لا كقول الشاعر فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي
ويدل على حذفها انه لو كان مثبتا لاقترن بلام الابتداء ونون التوكيد معا عند البصريين
او احدهما عند الكوفيين فتضو هنا ناقصة بمعنى لا تزال كما قرر ورسمت تفتؤ بالواو و
حتى اي اذا **تكون حرضا** اي مشرفا على الهلاك لطول مرضك وهو مصدر يستوي فيه
الواحد وغيره او **تكون من الهالكين** اي الموتى فان قيل لم حلفوا على ذلك مع انهم لم
يعلموا ذلك حقا اجيب بانهم بنوا الامر على الظاهر قال اكثر المفسرين قايل هذا هم
الكلام هم اخوة يوسف وقاد بعضهم ليس الاخوة بل الجماعة الذين كانوا في الدار من الاولاد
وخدمه ولما قالوا له ذلك فكانه قايلا يقول فماذا قال لهم فقيل انما لهم **اشكو** ابثي والبث

استدل الحزن

اشد الحزن سمي بذلك لانه من صعوبته لا يطاق حمله فيباح به وينشر وحزني مطلقا
وان كان سببه خفيفا يقدر الخلق على ازالته الى الله المحيط بكل شي علما وقدرة لا الى
غيره فهو الذي تنفع الشكوى اليه واعلم من الله اي الملك الاعلى من اللطف بنا اهل
البيت **ما لا تعلمون** فيأتيني بالفرج من حيث لا احتسب وفي ذلك اشارة الى انه كان
يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه وذكر والب هذا التوقع امورا احدها
ان ملك الموت اتاه فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله
ثم اشار الى جانب مصر وقال اطلبه من هناك ولذلك قال **يا بني اذهبوا فتحسسوا**
اي والتحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل التحسس
بالحا يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن
عورة الناس والمعنى تحسسوا خبر **من اخبار يوسف واخيه** اي اطلبوا خبرهما وتبينا
انه علم ان رويا يوسف عليه السلام صادقة لان امارات الرشد والكمال ظاهرة في يوسف
عليه السلام ورويا مثله لا تخطي وثالثها لعله تعالى اوحى اليه انه سيوصله اليه ولكنه
تعالى ما عين الوقت فلهذا بقي في القلق ورابعها قال الذي لما اخبره بنوه ببيرة
الملك وكمال حاله واقواله وافعاله طمع في ان يكون هو يوسف وقال بعيد ان يظهر في
الكفار مثله ثم نلطف بنبيه وقالوا لهم **ولا تيأسوا** اي تقنطوا **من روح الله** قال ابن عباس
من رحمة الله وقال قتادة من فضل الله وقال ابن زيد من فرج الله انه **لا ييأس من روح الله**
الا القوم الكافرون اي الغريقون في الكفر قال ابن عباس اذ المؤمن من الله على خير يرجوه
في البلاء ويحمده على الرخاء والكافر على الضد من ذلك فان اليأس من رحمة الله لا يحصل الا
اذا اعتقد الانسان ان اله العالم غير قادر على الكمال او غير عالم بجميع المعلومات او ليس
بكريم بل هو بخيل وكل واحد من هذه الثلاثة يوجب الكفر واذا كان اليأس لا يحصل الا
عند حصول هذه الثلاثة وكل واحد منها كفر ثبت ان اليأس لا يحصل الا من كافر وقرئ
البزي بعد الياء من **ييأس** بالف وبعدها ياء مفتوحة بخلاف عنه والباقون
بهمزة مفتوحة قبلها ياء ساكنة ولما قال يعقوب عليه السلام لبنيه ذلك قبلوا منه هـ
هذه الوصية وعادوا الى مصر **فلما دخلوا عليه** اي على يوسف عليه السلام **قالوا** **يا ايها**
العزيز وكان العزيز لقبا لملك مصر يومئذ **مسنا واهلنا** اي من خلفناهم وراءنا
الضر لا بسنا ملامسة نحسها وجيئنا **ببضاعة** وقالوا **مزجاة** اما لنقصها او لردائتها
او لهما جميعا وقال الحسن البضاعة المزجاة القليلة واختلفوا في تلك الرداءة فقال

ابن عباس كانت دراهم ردية لا تقبل في ثمن الطعام وقيل متاع الاعراب الصوف والسمن
وقيل الاقط وقيل النعال والادم وقيل ان دراهم مصر كان ينقش فيها صورة يوسف عليه
السلام والدراهم التي جاؤا بها ما كان فيها ذلك فلما كانت مقبولة عند الناس لم يسألوا
عن هذا الاستذار لانه اقرب الى مرحمة اهل الكرم قولهم فاوف لنا الكيل اي تصدق
علينا بسبب ضعفنا وتصدق اي تفضل علينا بزيادة على الوفاء كما عودتنا بفضل برجاء
ثوابه ولهذا رأوا افعاله تدل على تملكه بدعى الله علانوا ذلك بقولهم ان الله يجزي
له الكل كله يجزي المتصدقين اي وان كانت على غني قوي فكيف اذا كانت على اهل
الحاجة والضعف فايدة سيل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على نبي من
الانبياء سوى نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام قال سفيان الم تسمع قوله وتصدق
علينا الاية بين بذان الصدقة كانت حلالا لهم ولابيهم وروي ان الحسن سمع رجلا
يقول اللهم تصدق علي قال ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبغي الثواب قل اللهم
اعطني وتفضل علي فان قيل اذا كان ابوهم امرهم ان يتحسسوا من يوسف واخيه فلم عاد
الى الشكوى اجيب بان التحسس يتوصل الى مطلوبه بجميع الطرق والاعتراف بالعجز
وضمائر قلة الحال وقلة المال وشدة الحاجة وذلك مما يرقق القلب فقالوا بجزبه في هذه
الامور فان رق قلبه لنا ذكرنا له المقصود والا سكتنا فقدموا هذه المقدمة قال ابو
اسحاق ذكروا في انهم لما كلموه بهذا الكلام ادركتهم الرقة على اخوته فارفض دمعه هم
فباح بالذي كان يكتم فلهذا قال لهم هل علمتم معشر الهم بعد ان استنوابه قال
البقاعي والظاهر ان هذا كان بغير ترجمان اي قبح الذي فعلتم بيوسف اي اخيكم الذي
حلتم بينه وبين ابيه واخيه في جعلكم اياه فريدا منه ذليلا بينكم في شظف من العيش
وجد الصلع في رحله لا يزال يأتينا البلاء من قبلكم يا بني راحيل وانما قال لهم ذلك تنصيحا
لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وعثكلتهم لا معاتبة وتثريبا وقيل
اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخليص بنيامين وذكروا ما هو فيه من الحزن على
فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وقوله اذ انتم جاهلون اي فاعلون فعلهم اولا انهم
كانوا صبيانا طياشين تلوح الى معرفته فقد روي انه لما قال هذا تبسم وكان في
تبسمه امر من الحسن لا يجهله معه من راه ولو مرة واحدة فعرفوه بذلك فلذلك قالوا
أإنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقيل عرفوه بنظره
وخلقه حين كلمهم وقيل برفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضا

وكان لسارة

وكان لسارة ويعقوب واسحاق مثلها وقرأ ابن كثير بهمزة مكسورة بعدها نون على الخبر وقرأ
قالون وابو عمرو بهمزة مفتوحة بعدها همزة مكسورة مسهلة بينهما الف على الاستفهام
وقرأ ورش بغير الف بينهما التسهيل في الثانية على الاستفهام ايضا وقرأ الباقون بتحقيق
الهمزتين مع القصر لهشام وجه ثان وهو المد وقيل انهم لم يعرفوه حتى قال لهم انا
يوسف وزادهم بقوله وهذا اخي بنيامين شفقة وانما ذكره لهم ليزيدهم ذلك معرفة
له وتشبيتا في امره وليبني عليه قوله قد من الله علينا قال ابن عباس بكل خير في الدنيا
والاخرة وقال اخرون بالجمع بيننا بعد التفرقة انه من يتق عن المعاصي ويصبر على
البليات واذى الناس وقال ابن عباس يتق الزنا ويصبر على الغربة وقال مجاهد يتق
المعصية ويصبر على السجن فان الله لا يضيع اجر المحسنين والمعنى انه من يتق ويصبر
فان الله لا يضيع اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين وقرأ قنبل بإثبات
الياء بعد القاف وقفا ووصلا واختلف المعربون في ذلك على وجهين اجودهما اثبات
حرف العلة في الجزم لغة لبعض العرب وانشد واعليه قول قيس بن زهير
بالم يأتيك والانباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد
وقول الاخر
تهجو تزبان ثم جئت معتذرا ... من هجو زبان لم تهجو ولم تدع
وقول الاخر
اذا العجوز غضبت فطلق ... ولا ترضاها ولا تملق
والثاني انه مرفوع غير مجزوم ومن موصولة والفعل صلتها فلذلك تم بحذف لامه وسكن ليتوالى
الحركات وان كان كلمتين وقرأ الباقون بالحذف وقفا ووصلا ولما ذكر يوسف عليه السلام
لاخوته ان الله تعالى منّ عليه وانه من يتق ويصبر فان الله لا يضيعهم صدقوه فيه واعترفوا
له بالفضل والرتبة ولذلك قالوا معترفين بقولهم تالله اي الملك الاعظم لقد اثرك الله
الله علينا بالعلم والعقل والحلم والحسن والملك والتقوى وغير ذلك واحتج بعضهم بهذه الاية
على ان اخوته ما كانوا انبياء لان جميع المناصب التي تكون مغايرة لمنصب النبوة كالعدم
بالنسبة اليه فلو شاركوه في منصب النبوة لما قالوا لذلك ثم قالوا وان كنا لخاطئين اي والحال
ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك ولذلك اذلنا الله تعالى فلك ان تقول ما قال لهم
علي قدرته وتمكنه مع ما سلف من اساءتهم له فقيل قال لهم قول الكرام اقتداء باخوانه من الانبياء
والرسل عليهم الصلاة والسلام لا تثريب اي لا لوم ولا تعنيف ولا اهلاك عليكم اليوم وانما
خصصا اليوم لانه مظنة التثريب فاذا انتفى ذلك فيه فما ظنك بما بعده ولما اعفاهم
من التثريب كافوا في مظنة الموالاة عن محال العفو المزيل للعقاب من الله تعالى فاتبعه الجواب

عن ذلك بالاعالهم بقوله ينغر الداي الذي لا الدغيره لكم اي ما فرط منكم وعبر في هذا الوحا
بالمضارع ارشادا لهم الي اخلاص التوبة ورغبهم في ذلك ورجاهم بالصفة التي هي سبب
الغفران فقال وهو يغفر الراحمين لجميع العباد لا سيما التائب فهو جدير بادراك النعيم روي
انهم ارسلوا اليه انك لتدعونا الي طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي مما فرط منا فقال ان
اهل مصر ينظرون ني وان ملكت فيهم فبعين العبودية فيقولون سبحان من بلغ عبدا بقدرة
درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني
من ذرية ابراهيم عليه السلام ولما اقر اعينهم بعد اجتماع شملهم بازالة ما يخشونه
دنيا واخري سأل عن ابيه فقال ما فعل ابي جدي قالوا ابيضت عيناه من الحزن فاعطاهم
قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا وهو قميص ابراهيم عليه السلام الذي لبسه حين القي في النار
عريانا فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان ذلك عند ابراهيم فلما مات
ابراهيم ورثه اسحاق فلما مات اسحاق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب يعوذه
ذلك في تميمة قصتها وسورا سها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان
لا يفارقه فلما القي في البئر عريانا جاءه جبريل وعلمه يوسف ذلك التعويذ فاخرج القميص
منه والبسه اياه ففي الوقت جاء جبريل عليه السلام وقال ارسل ذلك القميص فان فيه
ريح الجنة لا يقع علي مبتلي ولا علي سقيم الا عوفي فدفع يوسف ذلك القميص علي اخوته وقال
اذا وصلتم الي ابي فالقوه علي وجه ابي يات اي يصير بصيرا اي يرد اليه كما كان او ياتي
الي حال كونه بصيرا ويتوفي اي اتوني وانتم باهلكم اي مصاحبين لكم اجمعين لا تتخلف
منكم احد فرجعوا بالقميص لهذا القصد وروي ان يهودا هو الذي حمل القميص لما لطخوه
بالدم فقال لا يحمل هذا غيري لافرحه كما احزنته فحمله وهو حافي من مصر الي كنعان وبينهما
ثمانون فرسخا ولما فصلت العير من عريش مصر وهو اخر بلاد مصر الي اول بلاد
الشام قال ابوهم لولد ولده ومن حوله من اهله موكد العلم انهم ينكرون قوله اني
لاجد ريح يوسف او صله اليه الصبا باذن الله تعالي من مسيرة ثلاثة ايام او ثمانية او اكثر
قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص فصاحت رواح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب
فوجد ريح الجنة فعلم عليه السلام انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص
قال اهل المعاني ان الله تعالي اوصل اليه ريح يوسف عليه السلام عند انقضاء مدة المحنة
ومجيء وقت الفرج من المكان البعيد ومنع من وصول خبره اليه مع قرب احدي البلدين
من الاخري في مدة ثمانين سنة وذلك يدله علي ان كل سهل في زمان المحنة صعب

وكل صعب

وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل ومعني اجد ريح يوسف اشم وعبر بالوجود لانه
وجدان له بحاسة الشم لولا ان تفندون اي تنسبون الي الخرف قال ابو بكر الانباري
افند الرجل اذا خرف وتغير عقله وعن الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو
مفند قال في الكشاف يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها
ذات رأي حتي تفند في كبرها وقيل التفنيد الافساد يقال فندوه فلانا اذا افسدوا رأيه
وردوته قالت يا حبي دعالومي وتفنيدي ... فليس ما فات مني اليوم من سددي
يعقوب عليه السلام ذلك قالوا تالله اي لتحافرون عنده تالله انك لفي ضلالك
اي حبك القديم ليوسف لا تناساه ولا تذهل عنه علي بعد العهد وهو كقول اخوة يوسف
ان ابانا لفي ضلال مبين وقال مقاتل معني الضلال هنا الشقا اي شقا الدنيا والمعني
انك لفي شقائك القديم بما تكابد به من الاحزان علي يوسف وقال الحسن انما خاطبوه
بذلك لاعتقادهم ان يوسف قد مات فكان يعقوب في ولوعه بذكره ذاهبا عن الرشد
والصواب ثم انهم عجلوا له بشيرا فاسرع قبل وصولهم بالقميص فلما وزيدت ان لتاكيد
محبته علي تلك الخلال وزيادتها بعد لما قياس مطرد جا البشير وهو يهود ابن ذلك
القميص القاه اي طرحه البشير علي وجهه اي يعقوب وقيل القاه يعقوب علي وجهه نفسه
فارتد اي رجع بصيرا اي صيره الله بصيرا كما كان كما يقال طالت النخلة والله تعالي هو
الذي اطالها ولما القي القميص علي وجهه وبشر بحياة يوسف عليه السلام عظم فرحه
وانشرح صدره ونزلت احزانه فعند ذلك قال لبنيه الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون من حياة يوسف وان الله تعالي يجمع بيننا قال السهيلي لما جا البشير الي يعقوب
عليه السلام اعطاه في بشارته كلمات كان يروي بها عزا بيه عن جده عليهم السلام وهي
يا لطيف فوق كل لطيف الطف لي فيما مورد يكلها كما احب ورضني في دنياي واخراي وروي
ان يعقوب عليه السلام قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال ما اصنع
بالملك علي اي دين تركته قال علي دين الاسلام قال الان تمت النعمة فعند ذلك قالوا
يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا اي التي اقترفناها ثم قالوا موكدين هو
تحقيقا للاخلاص في التوبة انا كنا خاطئين اي متعمدين الاثم عما ارتكبنا في امر يوسف
عليه السلام ومن حق المعترف بذنبه ان يصرح عنه ويسال له المغفرة قال صلي الله عليه
وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فكانه قيل فما قال لهم فقيل قال لهم

سوف استغفر اي اطلب ان يغفر لكم ربي الذي احسن الي بان يغفر لبني حتى لا يفرق بيني
وبينهم في دار البقاء والربوبية ملك هو ائم الملك على الاطلاق وهو ملك الله تعالى وظاهر
هذا الكلام انه لم يستغفر لهم في الحال بل وعدهم بان يستغفر بعد ذلك واختلفوا في
سبب هذا المعنى على وجوه فقال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر
لان هذا الوقت اوفق الاوقات لرجاء الاجابة وفي رواية اخرى له انه اخر الاستغفار الى
ليلة الجمعة لانها اوفق الاوقات الاجابة وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة
في ثمان وعشرين سنة وقال طاوس اخر الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وقيل
استغفر لهم في الحال وقوله سوف استغفر لكم معناه اني اداوم على هذا الاستغفار في الزمان
المستقبل وقيل قام الى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي ولوالدي
علي يوسف وقلة صبري عنه واغفر لاولادي ما فعلوا في حق يوسف فاوحى الله تعالى اليه اني
قد غفرت لك ولهم اجمعين وعن الشعبي قال اسال يوسف ان عفا عنكم استغفر لكم ربي
انه هو الغفور الرحيم كل ذلك تسكينا لقلوبهم وتصحيحا لرجائهم وروي ان يوسف عليه
السلام كان بث مع البشير الى يعقوب عليه السلام ما يتهيأ راحلة وجهاز كثيرا ليأتوا
بيعقوب واهله وولده فتهيأ يعقوب عليه السلام للخروج الى مصر فخرج بهم فلما ورد
من مصر كلم يوسف الملك الذي فوقه فخرج يوسف عليه السلام والملك في اربعة الاف من الجند
والعظماء وركبوا هل مصر معهما باجمعهم تيلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ
على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك يوسف
فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدوه بالسلام فقال له جبريل لا حتى
يبدا يعقوب بالسلام فقال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان وقال الثوري لما
التقى يعقوب عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا ابت بكيت
علي حتى ابيضت عيناك الم تعلم ان القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت ان يسلب
دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله فلما دخلوا على يوسف اوى اي ضم اليه ابويه
قال الحسن اباه وامه وكانت حية اكراما لهما بما يتيقنان به وغلب الاب في التثنية لذكوريته
وعن ابن عباس انها خالته ليا وكانت امه قد ماتت في نفاس بنيامين قال البغوي وفي بعض
التفاسير ان الله تعالى احيى امه حتى جاءت مع يعقوب الى مصر فان قيل ما معنى دخولهم عليه
قبل مصر اجيب بانه حين استقبلهم نزل بهم في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم
اليه ابويه وقال مكرها ادخلوا مصر اي البلد المعروف واتى بالشرط للامن لا للدخول فقال

ان شاء الله امنين

ان شاء الله امنين من جميع ما ينوبه حتى مما فرطتم في حقي وحق اخي رويا ان يعقوب
عليه السلام وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا
منها مع موسى عليه السلام والمقاتلون ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون
رجلا سوى الصبيان والشيوخ ولما استقرت بهم الدار بوخولد مصر رفع ابويه
اي اجلسها معه على العرش اي السرير الرفيع والرفع هو النقل الى العلو وخر واله
اي اخوته ابواه واخوته سجدا اي سجودا لخا والتواضع قد يسمى سجودا كقوله
قوي الاكم فيها سجدا اي للعوافر لاوضع جبهة وكان تحيتهم في ذلك الزمان
اياهم وضع الجباه وكان ذلك على طريقة التحية والتعظيم لا على طريقة العبادة
وكان ذلك جايزا في الامم السالفة فنسخت في هذه الشريعة وروي عن ابن عباس
انه قال معناه خروا لله سجدا بين يدي يوسف عليه السلام فيكون سجود شكر
لله لا جل وجدان يوسف ويدل عليه قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا
وذلك شمراتهم صعدوا على السرير ثم سجدوا لله تعالى ولو انهم سجدوا ليوسف لسجدوا
له قبل الصعود على السرير لان ذلك ادخل في التواضع فان قيل هذا التاويل لا يطابق
قول يوسف عليه السلام وقال يا ابت هذا تاويل رويا يي من قبل والمراد من قوله اني رايت
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين اي رايتهما ساجدين لاجلي اي انهما
سجدا لله لطلب مصلحتي والسعي في اعلاء منصبي واذا كان هذا محتملا سقط السوال
قال الرازي وعندي ان هذا التاويل معين لانه يبعد من عقل يوسف ودينه ان يرضى
بان يسجد له ابوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال
النبوة او انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا شكرا لنعمة وجوده فانه يقال صليت
الكعبة كما يقال صليت الى الكعبة قال حسان ما كنت اعرف ان الامر منصرف
عن هاشم ثم منها عن ابي الحسن اليس اول من صلى لقبلتكم واعرفكم الناس بالآيات والسنن
ثم استانف يوسف عليه السلام فقال قد جعلها ربي اي الذي ربا بني بما اوصلني اليهما
حقا اي مطابقة للواقع لتاويلها وتا ويل ما اخبرتني به انت والتاويل تعيين ما يوول
اليه معنى الكلام وعن سلمان رضي الله تعالى عنه انه ما بين رويا ها وتا ويلها اربعون
سنة وعن الحسن انه التقى في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وبقي في العبودية والسجن
والملك ثمانين سنة ثم وصل الى ابيه واقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثة وعشرين سنة
فكان عمره ماية وعشرين سنة وقد احسن الي اي وقع احسانه بي بصدقيقا بشرتني

به من اتمام النعمة وتعديد احسن بالبادية على القرب من التعديد بالبي وان كان اصل احسن
ان يتعدى بالى كما قال تعالى واحسن كما احسن الله اليك وقيل ضمن معنى لطف فتعدى
بالباء كقوله تعالى وبالوالدين احسانا وقال اذ اخرجني من السجن ولم يذكر اخراجه من
الجب لوجوه اولها انه قال لاخوته لا تثريب عليكم اليوم ولو ذكر واقعة الجب لكان ذلك
تثريبا لهم فكان اهمالها جاريا مجرى الكرم ثانيها انه لما خرج من الجب لم يصر ملكا
بل صيروه عبدا وانما صار ملكا بعد اخراجه من السجن فكان هذا الاخراج اقرب
من ان يكون انعاما كاملا ثالثها انه لما خرج من الجب وقع في الاسار الحاصلة بسبب
تهمة المراودة ولما خرج من السجن وصل الى ابيه واخوته فكان هذا اقرب الى المنفعة
مع ان اللفظ محتمل للجب ايضا لكنه احتمال اخفى ولما كان يعقوب وولده بارض
كنعان وتحول الى بدو قال ابن عباس ومن قادم على يوسف عليه السلام قال يوسف
وجاء بكم من البدو اي من اطراف بادية فلسطين وذلك من اكبر النعم كما جاء في الحديث
من يرد الله به خيرا ينقله من البادية الى الحاضرة والبدو ضد الحضر وهو من الظهور
بدا يبدو اذا سكن في البادية يروى عن عمر اذا بدونا جفونا اي تخلقنا باخلاق البدو بين
قال الواحدي البدو بسط من الارض يظهر فيه الشخص من بعيد واصله من بدا يبدو
وبدوا سمي المكان باسم المصدر وفي الاية دلالة على ان فعل العبد خلق الله تعالى لانه
اضاف اخراجه من السجن الى الله تعالى ومجيئهم من البدو اليه من بعد ان نزغ اي فسد
الشيطان بسبب الحسد بيني وبين اخوتي واصل النزغ دخول في امر لافساده
فان قيل اضافة يوسف عليه السلام الخير الى الله تعالى والشر الى الشيطان يقتضي ان
فعل الشر ليس من الله تعالى كما قاله بعض المبتدعة ولو كان منه لاضافه اليه اجيب
بان اضافة هذا الفعل الى الشيطان مجاز لان الفاعل المطلق هو الله تعالى في الحقيقة
قال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه
وقدره وليس للشيطان فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش فاذن البين وذلك
باقداره الله تعالى اياه على ذلك كما حكى الله تعالى ذلك عنه بقوله تعالى وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولما كان حصول الاجتماع بينه وبين اخوته وابيه مع الالفة
والمحبة وطيب العيش وفراغ البال كان في غاية البعد عن الخطور الا انه تعالى لطيف قال
يوسف عليه السلام ان ربي لطيف لما يشاء اي لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا هو
وتنفذ فيه مشيته وتسهل دونه فاذا اراد حصول الشيء سهل اسبابه فحصل وان كان

في غاية البعد

في غاية البعد عن الحصول انه هو العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم اي الذي
يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان يوسف عليه السلام طاف بابيه في
خزائنه فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اغفلك عني هذه القراطيس ما
كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل بذلك قال اوما تسأله قال انت اقرب مني
اليه فسأله فقال جبريل الله امرني بذلك لقوله واخافان يأكله الذيب قال فهلا خفتني
ولما حضر يعقوب الموت اوصى يوسف عليه السلام ان يحمله ويدفنه عند ابيه فمضى ودفنه
ثم عاد الى مصر واقام بعده ثلاثا وعشرين سنة ولما تم امره وعلم انه لا يدوم
تاقت نفسه الى الملك الدايم فقال رب قد اتيتني واقتبس بعد لان الحال الحاد توقع السامع
لشرح حال الرويا من الملك اي بعضه بعد بعدي منه جدا وهو ملك مصر وعلمتني من
اي بعض تاويل الاحاديث طبق ما بشر في به ابي واخبرت به انت من التمكين والتعليم
قبل قولك والله غالب على امره ثم ناداه بوصف جامع للعلم والحكمة فقال فاطر اي خالق
السموات والارض ثم اعلمه بما هو اعلم منه منزها له لا يعود على غيره في شيء من الاشياء انت
وليي اي الاقرب الي باطنا وظاهرا في الدنيا والاخرة اي لا ولي لي غيرك والولي يفعل لموليه
الاصلح والاحسن فاحسن لي في الاخرة اعظم مما احسنت لي في الدنيا روي انه صلى الله عليه وسلم
حكى عن جبريل عن رب العزة جل وعلا انه قال من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل
ما اعطي السائلين فلهذا المعنى مر اراد الدعا لابد وان يقدم عليه ذكر الثناء على الله تعالى
فها هنا يوسف عليه السلام لما اراد ان يكثر الدعا قدم عليه الثناء وهو قوله رب قد اتيتني
من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض ثم ذكر عقيبه الدعا وهو قوله
توفني اي اقبض روحي وافيا تاما في جميع امري حسا ومعنى حال كوني مسلما ولما كان
المسلم حقيقة من كان عزيقا في الاخلاص عقبه بقوله والحقني بالصالحين وتطيره ما فعله
الخليل عليه السلام في قوله الذي خلقني فهو يهدين فمنها هنا الى قوله رب هب لي حكما
ثناء على الله تعالى ثم من قوله رب هب حكما الى اخر الكلام دعا فلذا هنا تنبيه اختلف
في قوله توفني مسلما هل هو طلب منه الوفاة ام لا فقال قتادة سأل ربه اللحوق به ولم يتمن
شيء قط الموت قبله وكثير من المفسرين على هذا القول وقال ابن عباس في رواية عطاء يريد اذا
توفيتني فتوفني على الاسلام فهذا طلب لان يجعل الله تعالى وفاته على الاسلام وليس فيه ما يدل
على انه طلب الوفاة واللفظ صالح لامرين ولا بعد في الرجل العاقل اذا اكمل عقله ان يتمنى الموت
وتعظم رغبته فيه لوجوه كثيرة منها ان الخطباء والبلغاء وان اطنبوا في مذهب الضياء ان

ان حاصل كلامهم يرجع الى ثلاثة امور احدها ان هذه السعادات سريعة الزوال
مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها وثانيها
انها غير حاصلة بل هي ممزوجة بالمنغصات والمكدرات وثالثها ان الاراذل من الخلق هم
يشاركون الافاضل فيها بل ربما كان حصة الاراذل اعظم بكثير من حصة الافاضل فهذه
الجهات الثلاثة منفرة ولمعترف العاقل انه لا يحصل تحصيل هذه اللذات الا مع هذه
الجهات الثلاثة المنفرة لاجرم تمنى الموت ليتخلص عن هذه الافات ومنها ان تواخلها
اللذات الدنيوية قليلة وهو ثلاثة انواع لذة الاكل ولذة النكاح ولذة الرياسة ولكل
واحدة منها عيوب كثيرة اما لذة الاكل فيها عيوب احدها ان هذه اللذة ليست لذة
قوية فانه لا يمكن ابقاؤها فان الانسان اذا اكل وشبع لم يبق فيه الا التذاذ بالاكل
فهذه اللذة ضعيفة ومع ضعفها غير باقية وثانيها انها في نفسها خسيسة وان الاكل
عبارة عن ترطيب ذلك الطعام بالبزاق المجتمع في الفم ولا شك انه شيء منفر ولما
يحصل في المعدة يظهر فيه الاستحالة الى الفساد والنتن والعفونة وذلك ايضا منفر
وثالثها ان جميع الحيوانات الخسيسة مشاركة له فيها ورابعها ان الاكل انما يطيب
عند اشتداد الجوع والجوع نقص وافة وخامسها ان الاكل مستقذر عند العقلاء حتى قيل
من كانت همته ما يدخل في بطنه فهذه اشارة مختصرة الى معايب الاكل واما لذة النكاح
فهاذكر في الاكل حاصل هنا مع اشياء اخر وهي ان النكاح سبب لحصول الولد وحب تلك الاشياء من
قبل الحاجات الى الله فيحتاج الانسان بسببها الى الاحتيال في المال بطرق لا نهاية
لها وربما صار هو الكاسب المال واما لذة الرياسة فعيوبها كثيرة منها ان يكون على
شرف الزوال في كل حين واوان ومنها انه عند حصولها في الخوف الشديد من الزوال ومنها
انه يكون عند زوالها في الاسى العظيم والحزن الشديد بسبب ذلك الزوال فاذا قابل اذا
تامل في هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح له في طلب هذه اللذات فيكون لقاء الله عنده
ارجح فيتمنى الموت وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ان ميمون ابن مهران بات
عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة للموت فقال له صلى الله لك خير اكثر اجيب سنا
وامت بدعاء في حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كذلك الصالح لما اقر الله
عينه وجمع له امره قال توفي مسلما والحقني بالصالحين فان قيل الانبياء عليهم الصلاة
والسلام يعلمون انهم يموتون لا محالة على الاسلام فكان هذا الدعاء حاصله تحصيل
الحاصل وانه لا يجوز اجيب بان حاله كحال المسلم ان يستسلم لحكم الله تعالى في حقه على وجه يثقل

قلبه على ذلك

445

قلبه على ذلك الاستسلام ويرضى بقضاء الله وتطمين النفس وتشرح الصدر وينشح
القلب في هذا الباب وهذه حالة زايدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر والمطلوب
هاهنا هو الاسلام بهذا المعنى فان قيل ان يوسف عليه السلام كان من اكابر الانبياء والصلا
اولي درجة المومنين فالواصل الى النهاية كيف يليق به ان يطلب البداية اجيب بان ب
عباس رضي الله تعالى عنهما قال يعني بان يلحقه بابائه ابراهيم واسماعيل واسحاق
ويعقوب والمعنى الحقني بهم في ثوابهم ودرجاتهم وولد يوسف عليه السلام من
امراة العزيز ثلاثة افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب عليهم
السلام ولما تاقت نفسه الى الملك الخلد وتمنى الموت فلم يات عليه اسبوع حتى توفاه
الله عز وجل طيبا طاهرا وتشاح الناس في دفنه فطلب اهل كل محلة ان يدفن في محلهم رجا
بركته حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل حيث
يتفرق الماء بمصر ليجري عليه الماء وتصل بركته الى جميعهم قال عكرمة دفن في الجانب الايمن
من النيل فاخضب ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر فنقل الى الجانب الاير فاخضب ذلك
واجدب الاخر فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخضب الجانبان الى ان اخراجه
موسى عليه السلام ودفنه بقبر ابايه بالشام وقدر الله تعالى زيارته وزيارة ابايه في
عام شرعت في هذا التصنيف سنة اربعة وستين وستمائة جعني الله تعالى وابائي واهلي
واصحابي معهم في دار كرامته ولما تم الذي كان من امر يوسف عليه السلام واخوته على
الوجه الاحكم والنمط الاقوم من ابتدايه الى انتهايه قال تعالى مشيرا الى انه دليل كاف في
تصحيح نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله ذلك اي الذي ذكرته لك يا محمد من قصة يوسف
عليه السلام وما جرى له مع اخوته ثم صار الى الملك بعد الرق من انباء الغيب اي اخبار
ما غاب عنك نوحيه اليك اي الذي اخبرناك به من اخبار وحي اوحيناه اليك والحاصل انك
ما كنت لديهم اي اخوة يوسف عليه السلام اذ اجمعوا امرهم اي عزموا على امر واحد
وهو القاء يوسف في الجب وهم يمكرون اي يدبرون الاذى في الخفية بيوسف والمعنى ان هذا
النبا غيب لانه صلى الله عليه وسلم ما طالع الكتب ولا تلمذ لاحد ولا كانت البلدة بلدة
العلماء وتيانه صلى الله عليه وسلم بهذه القصة الطويلة على وجه لا يقع فيه تحريف هو
ولا غلط من غير مطالعة ولا تعلم ومن غير ان يقال انه حاضر معهم لابد وان يكون مخبرا
وقوله تعالى وما كنت لديهم ذكر على سبيل التهكم بهم لان كل احد يعلم ان محمدا لما كان معهم
ولما سالت قريش واليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نقله ابو حيان عن ابن الانباري

عن قصة يوسف عليه السلام فنزلت مشروحة هذا الشرح الثاني مبينة
هذا البيان الوافي فاعمل صالحا صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك سبب اسلامهم هو
فحالقوا ناصيته عزاه الله تعالى بقوله وما اكثر الناس اي اهل مكة ولو حرصت
على ايمانهم بمومنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وكان ذلك اشارة الى العلم
الله تعالى في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا
ثم نفى عنه التهمة بقوله وما تسالهم عليه اي هذا الكتاب الذي اوحيناه اليك
واغرق في النفي فقال من اجر حتى يكون سوالك سببا لان يتهموك او يقولوا لولا
انزل عليه كنز ليستغني به عن سوالنا ثم نفى عن هذا الكتاب كل غرض دنيوي
بقوله تعالى ان هو الا ذكر اي عظة من الله تعالى للعالمين عامة ثم ان الله تعالى
اخبر عنهم انهم لما تاملوا الايات الدالة على توحيده تعالى بقوله تعالى وكاي
اي وكم من اية دالة على وحدانية الله تعالى في السموات كالكواكب وسائر الكواكب
والسحاب وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى والارض من الجبال والبحار والدواب
وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالى يمرون عليها اي يشاهدونها وهم عنها معرضون
اي لا يتفكرون فيها فلو تاملوا في الدلايل على نبوتك فان العالم علوية وسفليا
التوحيد والقدرة والحكمة ثم انهم يمرون عليها ولا يلتفتون اليها ولما كان من ايمانهم
يوصفون بالاعراض وهم يعتقدون ان الله تعالى فاعل تلك الايات بين ان اكثرهم
سقط ذلك بقوله تعالى وما يومن اكثرهم بالله حيث يقرون بانه الخالق الرازق
الا وهم مشركون بعبادة الاصنام قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله الكفار
كانوا يثبتون شريكا في العبودية وعن ابن عباس ان هذه الاية نزلت في تلبية
مشركي العرب كانوا يقولون في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك
لاشريك له والملايكة بنات فلم يوحدوا بل اشركوا وقال عبدة الاصنام
شفعاونا عندنا وقالت اليهود ورقنا الله وحده وعزير بن الله وقالت
النصارى والمسيح بن الله وقال عبدة الشمس والقمر وبنا الله وحده وهولاء
اربابنا وقال المهاجرون والانصار وبنا وحده لاشريك له ولما كان الكفار هولاء
لا تتقاودون الا بالعذاب قال تعالى افامنوا انكار فيه معنى التوبيخ
والتهديد ان تاتيهم في الدنيا غاشية اي نقمة تغشاهم وتشملهم من

عذاب الله

من عذاب الله اي الذي له الامر كله كما اتى من ذكرنا قصصهم من الامم او تاتيهم
الساعة بغتة اي فجاة وهم عنها في غاية الغفلة وقوله تعالى وهم لا يشعرون
اي بوقت اتيانها قبله كالتاكيد لقوله بغتة ولما كان صلى الله عليه وسلم مبلغا
عن الله تعالى امره ان يامرهم باتباعه بقوله تعالى قل يا اعلا الخلق واصفاهم
واعظمهم نصحا واخلاصا هذه اي الدعوي الي الله تعالى التي ادعو اليها
سبيلي اي طريقي التي ادعو اليها الناس وهي توحيد الله تعالى ودين الاسلام
وسمي الدين سبيلا لانه الطريق الموصل الي ثواب الجنة ادعو الي الله اي الي توحيده والايمان
به على بصيرة اي حجة واضحة وقوله انا تاكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال
منه او مبتدا خبره على بصيرة وقوله ومن اتبعني اي عن امن بي وصدق بما جاني
عطف عليه لان كلا من ذكر الحجة واجاب عن الشبهة فقد دعا بمقدوره وسعه الى الله
وهذا دليل على ان الدعا الى الله انما يحسن ويجوز مع هذا الشرط وهو ان يكون
على بصيرة مما يقول ويقين فان لم يكن كذلك والا فهو محض الضرر وقال صلى الله
عليه وسلم العلما امنا الرسل على عباد الله من حيث يحفظون ما يدعوهم اليه
فايدة جميع القرا يثبتون الياء وقفا ووصلا لثباتها في الرسم وسبحان اي
وقل سبحان الله تنزيها له تعالى عما يشركونه به وما انا من المشركين اي الذين
اتخذوا مع الله ضدا اوندا اولما قالوا لاهل مكة لنبي صلى الله عليه وسلم هل الا بعث
الله ملكا قال تعالى وما ارسلنا من قبلك الى المكلفين الا رجالا اي مثل ما انك
رجلا لا ملايكة ولا اناثا كما قاله ابن عباس ولا من الجن كما قاله الحسن
يوحي اليهم بواسطة الملايكة مثل ما يوحى اليك وقرا حفص قبل الواو بالنون
وكسر الحا والباقون بالتا وفتح الحا وضم الهاء امنا اهل يوم حمزة على اصله وكسرها
الباقون اليهم من اهل القرى اي من اهل الامصار والمدن المبنية بالطوب والحجر ونحوه
لا من اهل البوادي لان اهل الامصار افضل واعلم واكمل واعقل من اهل البوادي
ومكة ام القرى لانها مجمع لجميع الخلايق لما امر به من حج البيت وكان العرب كلهم
ياتونها فكيف يعجبون في حقك قال الحسن لم يبعث الله نبيا من البادية لغلظهم
وجفايهم ثم وعدهم سبحانه وتعالى بقوله تعالى افلم يسيروا اي هولاء المكذبون
المكذبون في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين الرسل
والايات فيحذروا تكذيبك ويعتبروا بهم وبما حل بهم من عذابنا ولما ان الله

تعالى نجا المؤمنين عند نزول العذاب بالامم الماضية المكذبة وما في الاخرة خير
لهم بين ذلك بقوله تعالى ولدار الاخرة اي ولدار الحال الاخرة او الساعة او الحياة
الاخرة خير وهي الجنة للذين اتقوا الله من حياة اهون مالها الموت وان
فرحت فيها من المحال انها امتدت الى دوام وكان عيشها كله رغدا من غير الام
افلا يعقلون فيتعجلون عقولهم فيتفكرون الداعي الى هذا السبيل الاقوم وقرا
نافع وابن عامر وعاصم بالتاء على الخطاب لاهل مكة والباقون بالياء على القبية
لها والمشركين المكذبين وقوله تعالى حتى اذا استيئس الرسل غاية
محذوف دل عليه الكلام اي لا يغرنهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى
ايس الرسل من النصر عليهم في الدنيا وعن ايمانهم لانهماكهم في الكفر متوغلين
متمادين فيه من غير وازع وظنوا اي الرسل انهم قد كذبوا بالتشديد هكذا
قراه غير حمزة وعاصم والكسائي تكذيبا لا عن بعده واما التخفيف هكذا
قراه هؤلاء فالمعنى ان الامم ظنوا ان الرسل قد احلفوا ما وعدوا من النصر عليهم
جاءهم نصرنا لهم بخذلان اعدائهم فنجي من نشا اي النبي والمؤمنين
وقرا ابن عامر وعاصم بنون مضمومة بعدها جيم مشددة وياء بعد الجيم
مفتوحة والباقون بنونين الاولى مضمومة والثانية ساكنة وتخفيف الجيم
وسكون الياء ولا يرد بأسنا اي عذابنا عن القوم المجرمين اي المشركين
ما نزل بهم ولما ذكر سبحانه هذه القصص وحث على الاعتبار بها بقوله له
افلم يسيروا التبعه بان في احاديثهم اعظم عبرة فقال لقد كان اي ما تملها والاقتصاص
بها لقد كان في قصصهم اي يوسف واخوته او في قصص الرسل عبرة اي عظة عظيمة
لاولي الالباب اي لذوي العقول المبرأة عن شوائب الكدر يعتبرون بها الى
ما يسعدهم لان من قدر على ما قص من امر يوسف عليه السلام لقادر ان يبعث محمدا
صلى الله عليه وسلم ويعلي كلمته ويبصره على من عاداه كما بنا من كان كما فعل بيوسف
وغيره وملكان من احاد وكل العبرة في ذكر القطع بحقية القرآن نبه تعالى على ذلك
بتقدير سؤال تقال ما كان حديثا يفترى اي يختلق لان الذي جاء به من عند الله
وهو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه لانه لم يقرأ الكتب ولم يتعلم
لاحد ولم يخالط العلماء فمن المحال انه يفتري هذه القصة بحيث تكون مطابقة
لما رأوه في التوراة من غير تفاوت كما يعلم من قوله تعالى ولكن تصديق الذي بين يديه

اي من الكتب الالهية المنزلة من السماء كالتوراة والانجيل تفي ذلك اشارة
الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة
يوسف عليه السلام وزاد على ذلك بقوله وتفصيل اي تبيين كل شيء اي
يحتاج اليه من الدين اذ اما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير
وسط وقيل المراد تفصيل كل شيء من واقعة يوسف وابيه واخوته قال الواحدي
وعلى التقديرين جميعا فهو من العام الذي اريد به الخاص كقوله تعالى ورحمتي
وسعت كل شيء يجوز ان يدخل فيها وقوله تعالى واوتيت من كل شيء وهدى
من الضلالة ورحمة ينالها بها خير الدارين لقوم يؤمنون اي يصدقون
خصهم بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون به كقوله تعالى هدى للمتقين سبحانه
من انزله معجزا باهرا وقاضيا بالحق لا يزال ظاهرا ومبارزا كالشمس البيضاء يتبعها
للكشاف من انه صلى الله عليه وسلم قال علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه
ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت
واعطاه القوة ان لا يحسد احدا حديث موضوع ٥

سورة الرعد مكية

الا الاولى الذين كفروا الاية فيقول الذين كفروا لست مرسلا الاية او مدنية
الا الاولى وان قرانا سيرت به الجبال وهي ثلاثة او اربع او خمس او ست واربعون
اية وعدد كلمها ثمانمائة واحدى وخمسون كلمة وحروفها ثلاثة الاف
وخمسمائة وسبعة احرف بسم الله الحق الذي كل ما عداه باطل الرحمن الذي
عم بالرغبة والرهبة لعموم الرحمة الرحيم الذي خص من شاء بما يرضاه عظيم الرحمة
المر قال ابن عباس معناه انا الله اعلم واري وقال في رواية عطاء انا الله الملك
الرحمن وقد تقدم الكلام على شيء منها في اوائل السور في اول سورة البقرة
وقرا قالون وابن كثير وحفص بالفتح وقرا ورش بين بين والباقون
بالامالة تلك اي هذه الايات ايات الكتاب اي القرآن والاضافة بمعنى
من وقيل المراد بالكتاب السورة الكاملة ووصفت بالكمال من تقريب الكتاب
بال الان خبر المبتدا اذا عرف بلام الجنس افاد المبالغة وقوله تعالى والذي
انزل اليك من ربك اي القرآن مبتدا وخبره الحق اي الموضوع كل شيء منه في
موضعه على ما تدعو اليه الحكمة الواضح الذي لا يخلق شيء منه عن مطابقة الواقع

من بعث ولاغيره ولكن اكثر الناس اي مشركي مكة لا يوقنون لاخلالهم
بالنظر والتامل فيه قال المقاتل نزلت في مشركي مكة حين قالوا ان محمدا
يقوله من تلقاء نفسه فرد الله تعالى عليهم بذلك ولما ذكر تعالى ان
اكثر الناس لا يوقنون ذكر عقيبه ما يدل على صحة التوحيد والمعاد بامور
احدها قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد اي بسواري جمع عمود
كادم وادم او عماد كاهب واهاب والعمود جسم مستطيل يمسح المرتفع ونحيل
ترونها اي وانتم ترون السماء مرفوعة بغير عمد من تحتها يسندها ولا من فوقها
علاقة تمسكها فالعمد منفية بالكلية قال ابن عباس معاوية السماء منتهية
على الارض مثل القبة فنفي ذلك دلالة عظيمة على وحدانيته تعالى لان هذه الاجسام
العظيمة بقيت واقفة في الجو العالي وكيف ان يكون بقاؤها هناك لاعيانها
ولذاتها فهذا برهان ظاهر على وجود الاله القادر القاهر وقيل الضمير
راجع الى العمد اي ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول
ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل
القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة قال الرازي وهذا التاويل في غاية السقوط
لان السموات لما كانت مستقرة على جبل قاف فاي دلالة تبقى فيها على وجود
الاله تنبيه الله مبتدا والذي رفع السموات خبره ويجوز ان يكون الموصول
صفة والخبر يدبر الامر ثانيها قوله تعالى ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير
والقهر والقدرة اي من فوق العرش الى ما تحت الثرى في حفظه وتدبيره وفي الاحياء
اليه وتقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف بما فيه كفاية وثالثها قوله تعالى
وسخر اي ذلل الشمس والقمر لمنافع خلقه معتوزان يجريان على ما يريد كل منهما
يجري في فلكه لاجل مسمى اي الى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها
وعند مجيء ذلك الوقت تنقطع هذه الحركات وتبطل تلك السيرات كما وصف الله تعالى
ذلك في قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السما
انفطرت وعن ابن عباس للشمس مائة وثمانون منزلا تكمل يوم لها منزل وذلك يتم
في ستة اشهر ثم انها تعود مرة اخرى الى واحد واحد منها في ستة اشهر مرة اخرى
وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلا فالمراد بقوله تعالى كل يجري لاجل مسمى هذا
وتحقيقه انه تعالى قدر لكل واحد من تلك الكواكب سيرا الى جهة خاصة بمقدار خاص

من السرعة

من السرعة والبطو وحينئذ يلزم ان يكون لها بحسب كل لحظة ولمحة حالة
اخرى مما كانت حاصلة قبل ذلك ثم انه تعالى بما ذكر هذه الدلايل قال يدبر الامر
اي يقضي امر ملكه من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة والاغناء والافقار
ويدخل فيه انزال الوحي وبعثة الرسل وتكليف العباد وفي ذلك دليل عجيب
على كمال القدرة والرحمة وذلك لان هذا العالم المعلوم من اعلا العرش الى
ما تحت الثرى انواع واجناس لا يحيط بها الا الله عز وجل والدليل المذكور
دل على ان اختصاص كل واحد منها بوضعه وموضعه وصفته وطبيعته
وحلميته ليس الا من الله تعالى ومن المعلوم ان من اشتغل بتدبير شي اخر
فانه يشغله شان عن شان فالعاقل اذا تامل في هذه الاية علم انه تعالى يدبر
عالم الاجساد وعالم الارواح ويدبر الكبير كما يدبر الصغير فلا يشغله شان
عن شان ولا يمنعه تدبير عن تدبير وذلك يدل على انه تعالى مستقل في ذاته
وصفاته وعلمه وقدرته عن مشابهة المحدثات والممكنات ولما كان هذا بيانا
شافيا لا لبس فيه قال تعالى يفصل الايات التي بورت الى الوجود وتدبيرها
الدالة على وحدانيته وكمال حكمته المشتملة عليها ميتدعا نه فيفرق ويبين
بين ما بينه لا لبس فيه تقريبا للفهوم كم لتعلموا انها فعل
الواحد المختار ولما كان هذا التدبير وهذا التفصيل الاعلى تمام القدرة
وغاية الحكمة وكان البعث لمحض القضاء والحكم بالعدل واظهار العظمة هو محط
علل ذلك بقوله لعلكم يا اهل مكة بلقاء ربكم بالبعث توقنون فتعلموا ان من قدر
على خلق هذه الاشيا وتدبيرها على عظمتها وكثرتها قادر على ايجاد الانسان
واحيايه بعد موته يروي ان واحدا قال لعلي رضي الله تعالى عنه انه تعالى
كيف يحاسب الخلق دفعة واحدة فقال كما يرزقهم الان دفعة واحدة وكما
يسمع نداهم ويجيب دعاهم الان دفعة واحدة وحاصل الكلام انه تعالى كما
قدر على ابقا الاجرام الفلكية والنيرات الكوكبية في الجو العالي لا يبعد ان يرد الارواح
الى الاجساد وان كان الخلق عاجزين عنه وكما يمكنه ان يدبر من فوق العرش
الى ما تحت الثرى لا يشغله شان عن شان فكذلك يحاسب الخلق بحيث هو
لا يشغله شان عن شان تنبيه اليقين حقه من صفات العلم وهي فوق
المعرفة والدراية وهي سكون القلب مع ثبات الحكم وزوال الشك وما ذكر تعالى الدلايل

الدالة على وحدانيته وكمال قدرته من رفع السما بغير عمد واحوال الشمس والقمر
اردفها بذكر الدلايل الارضية بقوله تعالى وهو الذي مد الارض اي بسطها
طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام وتتقلب عليها الحيوان ولو شا لجعلها
كالجدار والاج لا يستطاع القرار عليها هذا اذا قلنا ان الارض مسطحة لكرة
وعند اصحاب الهيئة انها كرة فكيف يقولون بذلك ومد الارض ينافي كونها
كرة كما ثبت بالدليل اجيب بان الارض جسم عظيم والكرة اذا كانت في غاية
الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح كما ان الله تعالى جعل الجبال اوتادا
مع ان العالم من الناس يستقرون عليها فكذلك ها هنا ومع هذا فالله
تعالى قد اخبر انه مد الارض ودحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التسطيح
والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب الهيئة هذا هو الدليل
الاول من الدلايل الارضية الثاني منها قوله وجعل اي وخلق فيها اي الارض
رواسي اي جبالا ثوابت واحدها راسية اي ثابتة باقية في حيزها غير
منتقلة عن مكانها لا تتحرك ولا يتحرك ما هي راسية فيه وهذا لا بد ان يكون
بتخليق القادر الحكيم قال ابن عباس اول جبل وضع على وجه الارض جبل ابي قبيس
ولما غلب على الجبال رصفها بالرواسي صارت الصفة تعني عن الموصوف
ولهذا جمعت جمع الاسم كما يقال هل قال ابو حيان الثالث منها قوله تعالى
وانهارا اي جعل في الارض انهارا جارية لمنافع الخلق والنهر المجرى الواسع
من مجاري الماء واصله الاتساع ومنه النهار لاتساع ضيايه الرابع منها
قوله تعالى ومن كل الثمرات وهو متعلق بقوله تعالى جعل فيها اي الارض
زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمار صنفين اثنين والاختلاف
اما من حيث الطعم كالحلو والحامض او اللون كالاسود والابيض او الحجم كالصغير
والكبير او الطبيعة كالحار والبارد فان قيل الزوجان لا بد وان يكونا اثنين فما
الفايدة في اثنين اجيب بانه قيل اول ما خلق الله العالم وخلق فيه الاشجار
خلق من كل نوع من الانواع اثنين فقط فلو قال خلق زوجين لم يعلم انه اراد
النوع او الشخص فلما قال اثنين علم انه تعالى اول ما خلق من كل زوجين اثنين
لا اقل ولا ازيد فكما ان الناس وان كانوا فيهم الان كثرة فابتداوهم من زوجين
اثنين بالشخص ادم وحوا فكذا القول في جميع الاشجار والزروع الخامس منها

قوله تعالى يغشي اي يغطي الليل بظلمته النهار اي والنهار الليل بضوه
فيستدل بفعلهما على ما قدره تعالى لهما في السير من الزيادة والنقصان
وذلك من الحكم النافعة في الدين والدنيا الظاهرة لكل ذي عقل الهادية
بفعله واختياره وقهره واقتداره وقرا الشعبة وحمزة والكسايي يغشى
وتشديد الشين والباقون بسكون الغين وتخفيف الشين وما ذكر تعالى
هذه الدلايل النيرة والقوالع القاهرة جمعها وناطها بالفكر تعالى ان
في ذلك اي الذي وقع التحدث عنه من الايات لايات اي دلالات لقوم يتفكرون
اي يجتهدون في الفكر فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب
على المسبب والتفكر والتدبر تقرف القلب في طلب معاني الاشيا ثم انه
تعالى ذكر دليلا ظاهرا جدا بقوله تعالى وفي الارض اي التي انتم بسكانها تشاهدون
فيها مشاهدة لا تقبل الشك قطع اي بقاع مختلفة متجاورات اي متقاربات
يقرب بعضها من بعض واحدة طيبة واخرى سبخة لا تنبت واخرى صالحة
للزرع لا للشجر واخرى بالعكس واخرى قليلة الريع واخرى كثيرة تتم انتظام
الكل في الارضية وهو من دلايل قدرته تعالى وجنات اي بساتين فيها انواع
الاشجار من نخيل واعناب وغيرها كما قال تعالى من اعناب وزرع ونخيل
صنوان جمع صنو وهي النخلات يجمعها اصل واحد وتتشعب فروعها ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم في حق العباس عم الرجل صنو ابيه يعني انهما
من اصل واحد وغير صنوان اي متفرقات مختلفة الاصول وسمي البستان
جنة لانه يستر بأشجاره الارض وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص برفع العين
واللام والنون الثانية من صنوان والراء من غير مع التنوين في العين واللام
والنون وعدم التنوين في الراء والباقون بالخفض في الاربعة وعدم التنوين
في الراء والباقون بالخفض في الاربعة وعدم التنوين في الراء ولما كان المايمتزلة الاب
والارض بمنزلة الام وكان الاختلاف مع اتحاد الاب والام اعجب واد على اتحاد
الى الواحد المسبب لا الى شيء من الاسباب قال نسقى قراه ابن عامر وعاصم
بالياء على التذكير اي المذكور وقراة الباقون بتين بالتاء على التانيث اي الجنات
وما فيها بما واحد فتخرج اعصانها وثمراتها في وقت معلوم لا يتاخر عنه ولا يتقدم
والماء جسم رقيق مايع به حياة كل تام وقيل في حده جوهر سال به قوام الارواح

وتفضل بعضها على بعض في الاكل اي في الطعم واللون ما بين حلو وحامض
وغير ذلك وفي الشكل والرايحة والمنفعة وغير ذلك وذلك ايضا مما يدل على
القادر الحكيم فانها اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص
قادر مختار قال مجاهد وذلك مثل بني ادم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد
وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني ادم وكانت الارض
طبقة واحدة في يدي قدرة الرحمن فسطحها وصارت قطعا متجاورات
فينزل عليها الماء من السما فتخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها
وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بماء واحد وكذلك الناس
خلقوا من ادم فينزل عليهم من السما تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع
وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن
احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفا ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقرا وحمرة والكسائي
بالياء ليطابق قوله تعالى يدبر الامر والباقون بالنون وقرا نافع وابن كثير
بسكون الكاف والباقون بالرفع ان في ذلك اي الامر العظيم الذي ذكرناه لاية
اي ولالات لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم بالتدبر والتفكر في الادلة
الدالة على وحدانيته تعالى وبما ذكر تعالى الدلايل القاهرة الدالة على
معرفة المبدا ذكر بعده ما يدل على المعاد بقوله تعالى وان تعجب اي يا اكمل
الخلق من تكذيب الكفار لك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين
فعجب اي فحقيق ان يتعجب منه قولهم اي منكري البعث ايذا كنا ترابا
اي بعد الموت اينا لفي خلق جديد اي خلق بعد الموت كما كنا قبله ولم
يعلموا ان القادر على انشا الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على اعادة ثم
وقيل وان تعجب من اتخاذ المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم الهة يعبدونها
مع اقرارهم بان الله تعالى خلق السموات والارض وهو يضر وينفع وقدرة
قدرة الله تعالى وما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم لك والعجب تغيير
النفس بورود المستبعد في العادة وقال المتكلمون العجب هو الذي لا يعرف
سببه وذلك في حق الله تعالى محال لانه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه
خافية وقرا ابو عمرو وخلاد والكسائي بادغام الباء في الفا والباقون

بالاظهار

تنبيه هنا ايتان في كل منهما همزتان فقرا قالون بتحقيق الهمزة
الاولى وتسهيل الثانية ويدخل بينهما الف على الاستفهام وفي الاية الثانية
بهمزة مكسورة وبعدها نون مشددة على الخبر وورش كذلك الا انه
لا يدخل بين الهمزتين في ايذا الفا وينقل في الثاني على اصله وابن كثير
يقرا بالاستفهام فيهما من غير ادخال الف بين الهمزتين مع تحقيق الاولى
وتسهيل الثانية فيهما وابو عمرو كذلك مع ادخال بينهما وابن عامر في الاول
بهمزة مكسورة بعدها نا مفتوحة على الخبر وفي الثاني بهمزة مفتوحة
مخففة وهمزة مكسورة على الاستفهام وادخل هشام بينهما الفا بخلاف عنه
والباقون بهمزتين مخففتين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة ولا الف
بينهما في الموضعين فايدة جميع ما في القران من ذلك احد عشر موضعا في تسع
سور والاحد عشر مكررة تتصير اثنين وعشرين في هذه السورة موضع
والثاني والثالث في سورة الاسرا والرابع في المومنون والخامس في النمل
والسادس في العنكبوت والسابع في السجدة والثامن والتاسع في الصافات
والعاشر في الواقعة والحادي عشر في النازعات واذكران شا الله تعالى
في كل سورة من السور المذكورة في مذهبهم في محله اوليك اي الذين
جمعوا انواعا من البعد من كل خير الذين كفروا بربهم اي عطلوا ما يجب
اظهاره بسبب الاستهانة بالذي بدا خلقهم ثم ربا هم بانواع اللطف
فاذا انكروا معادهم فقد انكروا ابداهم واوليك البعدا البغضا الاغلال
يوم القيامة في اعناقهم بسبب كفرهم والغل طوق من حديد تقيد به
اليد في العنق وقيل المراد بالاغلال لهم وانقيادهم يوم القيامة كما
يقاد الاسير الذليل بالغل وقيل انهم مقيدون بالضلال لا يرجى فلاحهم
واوليك اي الذين لاخسارة اعظم من خسارتهم اصحاب النار هم فيها
خالدون اي ثابت خلودهم وابدا لا يخرجون منها ولا يموتون ولما كان
صلى الله عليه وسلم يهددهم تارة بعذاب يوم القيامة وتارة بعذاب
الدنيا والقوم كلما هددهم بعذاب يوم القيامة انكروا القيامة والبعث
والحشر والنشر وهو الذي تقدم ذكره في الاية الاولى وكلما يهددهم بعذاب
الدنيا قالوا له فجيبنا بهذا العذاب وطلبوا منه اظهاره وانزاله على سبيل التعنت

واظهار ان الذي يقوله كلام لا اصل له تزل ويستعجلونك اي استهزاء وتكذيبا والاستعجال طلب التعجيل وهو تقديم الشيء قبل وقته تقدر له بالسيئة اي العذاب قبل الحسنة اي الرحمة وذكر ان مشركي مكة كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم لتنبيه قوله قبل الحسنة فيه وجهان احدهما متعلق بالاستعجال ظرفاله والثاني انه متعلق بمحذوف على انه حال معتدة من السيئة قاله ابو البقاء وقد اي والحال انه قد خلت من قبلهم المثلات جمع مثلة بفتح الميم وضم المثلثة كصدقة وصدقات اي عقوبة امثالهم من المكذبين افلا يعتبرون بها وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والا لم يترك على ظهرها دابة كما قال تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة وقال ابن عباس معناه لذو تجاوز عن المشركين اذا اسلموا وان ربك لشديد العقاب للمصرين على الشرك الذين ماتوا عليه وقال مقاتل انه لذو تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب عنهم وتشديد العقاب اذا عاقب وطابين سبحانه وتعالى ان الكفار طعنوا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب طعنهم في الحشر والنشر اولا ثم طعنوا في نبوته بسبب طعنهم في صحة ما ينذرهم به من نزول عذاب الاستيصال ثانيا ثم طعنوا في نبوته بان طلبوا منه المعجزة والبينة ثالثا وهو المذكور في قوله تعالى ويقول الذين كفروا لولا اي هلا انزل عليه اي محمد صلى الله عليه وسلم اية من ربه اي مثل عصا موسى وناقة صالح وذلك لانهم انكروا كون القرآن من جنس المعجزات وقالوا هذا كتاب مثل سائر الكتب واتيان الانسان بتصنيف معين وكتاب معين لا يكون معجزا مثل معجزات موسى وعيسى عليهما السلام وكان صلى الله عليه وسلم راغبا في اجابة مقترحاتهم لشدة التفاته الى ايمانهم قال الله تعالى له انما انت منذر اي ليس عليك الا الانذار والتحويف وليس عليك اتيان الايات ولكل قوم هاد اي نبي يدعوهم الى ربهم بما يعطيه من الايات لانما يقترحون وقرا ابن كثير في الوقف بيا بعد الدال وفي الوصل بغير ياء وتنوين الدال والباقون بغير ياء في الوقف والوصل مع تنوين الدال ولما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله تعالى عن عظيم قدرته وكمال علمه بقوله تعالى الله يعلم ما تحمل

كل انثى

كل انثى منه ذكر وغيره وواحد ومتعدد وغير ذلك وما تغيض اي تنقص به الارحام من مدة الحمل وما تزداد اي من مدة الحمل قد تكون تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك رضي الله تعالى عنهم وقيل ان الفتحان ولو لستتين ويعمر بن جبان بقي في بطن احداربع سنين ولذلك سمي هرما وقيل ما تنقصه الرحم من الاولاد وتزيد امنهم يروى ان شريكا كان رابع اربع في بطن امه وقيل من ينقصان الولد فيخرج ناقصا والزيادة مما خلقته وقيل ما تنقص بالسقط عن ان يتم وما يزداد بالتمام وقيل ما ينقص بظهور دم الحائض وذلك انه اذا سال الدم في وقت الحمل فمن الولد وتنقص بمقدار حصول ذلك قال ابن عباس كل ما سال الحيض في وقت الحمل يوما رادين مثله الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر والاية تحتمل جميع ذلك اذ لا تنافي بين هذه الاقوال وبدله لذلك قوله تعالى وكل شيء من هذا وغيره من الايات المقترحات وغيرها عنده اي في علمه وقدرته بمقدار في كيفيته وكميته لا يجاوزه ولا يقصر عنده لانه تعالى عالم بكيفية كل شيء وكميته على الوجه المفصل البين تنبيه قوله تعالى عنده تجوز ان يكون مجرورا المحل نعتا لشيء او بر فوعة نعتا لكل او منصوبة ظرفا لقوله بمقدار او ظرفا للاستقرار الذي تعلق به الجار لوقوعه خبرا عالم الغيب وهو ما غاب عن كل مخلوق والشهادة وهو ما شاهدوه وقيل الغيب هو المعدوم والشهادة هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشهادة ما حضر بين الحس الكبير اي المعظم المتعال عن خلقه بالقهر المنزه عن صفات النقص فهو تعالى موصوف بالعلم الكامل والقدرة التامة وقرا ابن كثير في الوقف والوصل بيا بعد اللام والباقون بغير ياء وقفا ووصلا ولما كان علمه تعالى شاملا لجميع الاشياء قال تعالى سواء منكم اي بين علمه تعالى من اسر القول اي اخفى معناه بين نفسه ومن جهر به اي اظهره فعنده استوى في علمه تعالى المسر بالقول والجاهر به ومن هو مستخف اي مستتر بالليل اي بظلامه وساربه اي ظاهر لذهابه بين سربه بالنهار والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق

وقال ابن عباس ما اضمرته القلوب واظهرته الالسنة وقال مجاهد سواء
من يقدم على القبائح في ظلمات الليل ومن يأتي بها في النهار الظاهر على
سبيل التواري والضمير في له يعود الى من في قوله سواء منكم من اسر القول
ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل او للانسان معقبات اي ملايكة تعقبه
والذي عليه الجمهور ان المراد بالملايكة الحفظة وانما صح وصفهم بالمعقبات
اما لاجل ان الملايكة الليل تعقب ملايكة النهار وبالعكس واما لاجل انهم
يتعقبون اعمال العباد ويبقونها بالحفظة والكتبة وكل من عمل
عملا ثم عاد اليه فقد عقب ففي هذا المراد من المعقبات ملايكة الليل والنهار
روي عن عثمان انه قال يا رسول الله اخبرني عن العبد كم معه من ملك
فقال صلى الله عليه وسلم ملك عن يمينك للحسنات وهو امير على الذي على
الشمال فاذا عملت حسنة كتبت عشرا واذا عملت سيية قال الذي على الشمال
لصاحب اليمين اكتب قال لا لعله ان يتوب او يستغفر فيتاذن ثلاث مرات
فاذا قال ثلاثا قال اكتب اراحنا الله منه فبئس القرين نحن اقل مراقبته لله واستحيا
منا فهو قوله تعالى معقبات من بين يديه اي قدامه ومن خلفه اي ورائه
وملك قابض على ناصيتك فاذا تواضعت لربك رفعك وان تجبرت قصمك
وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة وملك على فيك لا تدع ان
تدع الحية في فيك وملك على يمينك فهذه عشرة املاك على كل ادمي ملايكة
بالليل وملايكة بالنهار فهم عشرون ملكا على كل ادمي وعن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون
فيكم ملايكة بالليل وملايكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة
العصر ثم يصعد الذين باتوا فيكم فيسالهم الله تعالى وهو اعلم بكم كيف
تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقال مجاهد ما من عبد
الا ولعبدك موكل يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته فان قيل
الملايكة ذكور فلم ذكر الهاء ذكروا في جمع الاناث وهو المعقبات اجيب بجوابين
الاول قال الفراء المعقبات ملايكة معقبة واحدها معقب ثم جمعت معقبة
بمعقبات كما قيل ابنات سعد ورجالات جمع ابناء ورجال والذي على التذكير
قوله تعالى يحفظونه والثاني وهو قول الاخفش انما انث لكثرة ذلك منها

تحو نسابة وعلامة وهو ذكر واختلفوا في المراد من قوله تعالى من امر الله على
اقوال احدها انه على التقديم والتاخير والتقدير له معقبات من امر الله
يحفظونه ثانيها ان فيه اضمارا اي ذلك الحفظ من امر الله اي مما امر الله
تعالى به فحذف الاسم وابقى خبره وثالثها ان كلمة من بمعناها الباء والتقدير
يحفظونه بامر الله وباعانته وقال كعب الاحبار لولا ان الله تعالى وكل بكم
ملايكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال
ابن جريج معنى يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات والسيات فان
قيل ما الفايدة في تخصيص هؤلاء الملايكة مع بني ادم وتسليطهم عليهم
اجيب بان الانسان اذا علم ان الملايكة تحصي عليه اعماله كان الى
الحذر من المعاصي اقرب لان من اعتقد جلالة الملايكة وعلو مراتبهم
فاذا حاول الاقدام على معصية واعتقد انهم يشاهدونه فانه يزجره
الحياء منهم عن الاقدام اليها كما يزجره اذا حضر من يعظمه من البشر واذا
علم ان الملايكة تحصي عليه تلك الاعمال كان ذلك ايضا رادعا له عنها
واذا علم ان الملايكة يكتبونها كان الردع اكمل ولما دل ذلك على غاية
القدرة والعظمة قال تعالى ان الله مع قدرته لا يغير ما بقوم
لا يسلبهم نعمته حتى يغيروا ما اي الذي بانفسهم من الاحوال القبيحة
الى الاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا اي هلاكا وعذابا فلا مرد
له اي لا يقدر احد لامته المعقبات ولا من غيرها ان يرد ما نزل به
من قضايه وقدره وما لهم اي ان اراد الله بهم سوءا من دونه
اي غير الله من والي يلي امرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم وقرا ابن كثير
في الوقف باثبات الياء بعد اللام دون الوصل والباقون بغير ياء بعد
اللام وقفا ووصلا ولما خوف الله تعالى بقوله واذا اراد الله بقوم
سوءا تبعه بذكر ايات تشبه النعم والاحسان من بعض الوجوه بقوله
تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا اي للمسافرين من الصواعق
وطمعا اي للمقيم في المطر وقيل ان كل شي يحصل في الدنيا يحتمل
الخير والشر فهو خير بالنسبة الى قوم وشر بالنسبة الى اخرين فكذلك
المطر خير في حق من يحتاج اليه في اوانه شر في حق من انتهى ضرره كذلك اما

اما بحسب المكان واما بحسب الزمان والبرق معروف وهو لمعان يظهر
ما بين السحاب **وينشئ** اي يخلق **السحاب الثقال** اي بالمطر تنبيه
خوفا وطمعا مصدران ناجرهما محذوف اي تخافون خوفا وتطمعون
طمعا ويجوز غير ذلك والسحاب قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
عز بال الماء وهو غيم ينشحب في السماء وهو اسم جنس جمعي واحدته سحابة
واكثر المفسرين على ان الرعد في قوله تعالى **ويسبح الرعد بحمده** علي انه
اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه ولا يرد
ذلك عطف الملايكة عليه في قوله **والملايكة** اي تسبحه **من خيفته** اي الله
لانه اورد بالذكر تشريفا لهما في قوله تعالى وملايكته ورسله وجبريل
وميكال قالت يهود علي النبي صلي الله عليه وسلم
فقالوا اخبرنا عن الرعد ما هو فقال ملك من الملايكة موكل بالسحاب
معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب قال ابن الاثير والمخاريق
جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا
وهي آلة تزجر بها الملايكة السحاب وتسوقه وقد جاء تفسير المخاريق
في حديث اخر وهو سوط من نور تزجر به الملايكة السحاب وعن ابن عباس
انه قال من سمع صوت الرعد فقال سبحان من يسبح الرعد بحمده والملايكة
من خيفته وهو علي كل شيء قدير فان اصابته صاعقة فعلي ديته وعن
عبد الله بن الزبير انه كان اذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال سبحان من يسبح
الرعد بحمده والملايكة من خيفته وفي بعض الاخبار يقول الله تعالى لو ان
عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت الشمس عليهم بالنهار ولم
اسمعهم صوت الرعد وفي رواية عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب
يسوقه حيث يومر وانه يجوز الماء في فوهة ايهامه وانه يسبح الله تعالى
اذا سبح لا يبقي ملك في السما الا رفع صوته بالتسبيح فعند هذا ينزل المطر
وعن الحسن ان الرعد خلق من خلق الله ليس بملك وقد اختلفت الرواية
في ذلك ففي بعضها انه ملك موكل بالسحاب وفي بعضها انه ملك ينفق بالغيث
كما ينفق الراعي بغنمه وفي بعضها انه ملك يسوق السحاب بالتسبيح الحادي
الابل بحدايه وفي بعضها انه ملك سمي به وهو الذي تسمعون صوته وقد مر

الاشارة

الاشارة الي ذلك في البقرة وقيل هو لا الملايكة اعوان الرعد جعل الله تعالي
له اعوانا فهم خايفون خاضعون طايعون وقيل المراد بهم جميع الملايكة
واستظهر وقوله تعالي **ويرسل الصواعق** جمع صاعقة وهي العذاب المهلك
تنزل من البرق فتحرق من يصيبه **فيصيب بها من يشاء** فيهلكه **وهم يجادلون**
في الله حيث يكذبون رسول الله صلي الله عليه وسلم والتكذيب الشديد
في الخصومة روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا الي
رسول الله صلي الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة وداره
اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالي علي اربد صاعقة فقتلته وري
عامر بغدة فمات في بيت سلولية فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت
سلولية فنزلت وعن الحسن انه قال كان رجل مت طواغيت العرب بعث
اليه النبي صلي الله عليه وسلم تفرايد عونه الي الله تعالي ورسوله صلي الله
عليه وسلم فقال لهم اخبروني عن ربي محمد هذا الذي تدعوني اليه من هو ان
ذهب او فضة او حديد او نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الي النبي
صلي الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتي علي الله
منه فقال صلي الله عليه وسلم ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم علي
مقالته الاولي وقال اجيب محمدا الي ربه لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا وقالوا
يا رسول الله ما زادنا علي مقالته الاولي واخبث فقال ارجعوا اليه فرجعوا
فبينما هم عنده يناقشونه ويدعونه وهو يقول لهذه المقالة اذ ارتفعت
سحابة فكانت فوق رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر
وهم جلوس فجاؤا يسعون ليخبروا رسول الله صلي الله عليه وسلم فاستقبلهم
قوم من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من
اين علمتم فقالوا اوحي الله الي النبي صلي الله عليه وسلم **ويرسل الصواعق فيصيب**
بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال واختلف المفسرون في قوله
تعالي وهو شديد المحال فقال علي شديد الاخذ وقال ابن عباس شديد
الحول وقال مجاهد شديد القوة وقال ابو عبيدة شديد القوة والمبالغة
واختلف في قوله تعالي **له** اي الله **دعوة الحق** فقال علي دعوة الحق التوحيد

وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله وقال الحسن الحق هو الله تعالى
وكل دعا اليه دعوة الحق والذين يدعون اي وهم الكفار من دونه اي
غير الله وهي الاصنام لا يستجيبون اي الاصنام لهم اي الكفار بشيء
مما يطلبونه من نفع او دفع ضر الا اي الا استجابة كباسط اي
كاستجابة باسط كفيه الى الماء اي على شفير البير يدعوه ليبلغ فاه
اي بارتفاعه من البير اليه وما هو اي الماء ببالغيه اي فاه ابدا لانه جماد
لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته فكذلك ما هم بمستجيبين لهم ابدا
لان اصنامهم كذلك وقيل شبهوا في قلة فايدة دعائهم لالهتهم بمن اراد
ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما كفاه ناشرا اصابعه ولم يصل
الى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من مشربه ثم انه تعالى عمم في انه لا يستجاب
لهم بقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ضياع لا منفعة
فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الهتهم لم تستطع اجابتهم وقيل
المراد بالدعاء في الحالين العبادة وقوله تعالى ولله يسجد من في السموات
والارض يحتمل ان يراد به السجود على حقيقته وهو وضع الجبهة وعلى
هذا فيكون قوله تعالى طوعا للملائكة والمومنين ومن المكلفين حال التي
الشدة والرخاء وقوله تعالى وكرها للكافرين والمنافقين الذين اكرهوا
على السجود بالسيف وان يراد به التعظيم والاعتراف بالعبودية فكل من
في السموات والارض معترف بعبودية الله تعالى كما قال تعالى ولئن سالتهم
من خلقهم ليقولن الله وان يراد به الانقياد والخضوع وترك الاستنكاف
وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى لان قدرته ومشيته
نافذة في الكل تنبيه قوله تعالى طوعا وكرها امفعول من اجله واما
حال اي طايعين وكارهين واختلف في تفسير قوله تعالى وظلالهم
بالغدو اي البكر والاصال اي العشايا اي تسجد فقال اكثر المفسرين
كل شخص سواء كان مومنا او كافرا فان ظله يسجد لله قال مجاهد ظل
المومن يسجد لله وهو طايع وظل الكافر يسجد لله وهو كاره وقال الزجاج
جاء في التفسير ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري
ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال عقولا وافهاما تسجد بها لله وتخضع

وقيل المراد من سجود الظلال ميلها من جانب الى جانب وطولها بسبب
انحطاط الشمس وقصرها بسبب ارتفاع الشمس وهي منقادة مسلمة
في طولها وقصرها وميلها من جانب الى جانب وانما خص الغدو والاصال
بالذكر لان الظلال انما تعظم وتكثر في هذين الوقتين تنبيه الغدو جمع
غداة كقاض وقضاة والاصال جمع الاصل والاصل جمع اصيل وهو
ما بين العصر الى غروب الشمس وما بين تعالى ان كل من في السموات والارض
ساجد لله تعالى عدل الى الرد على عبادة الاصنام بقوله تعالى قل يا
يا اشرف الخلق على الله تعالى لقومك من رب السموات والارض اي
من مالكهما وما بينهما ومدبرهما وخالقهما قل الله اي اجب عنهم بذلك
ان لم يقولوه ولا جواب لهم غيره ولانه اليقين الذي لا يمكنهم المرائية
ولعنهم الجواب به وروي انه لما قال للمشركين ذلك عطفوا عليه وقالوا
اجب انت فامره الله تعالى فاجاب بذلك ثم الزمهم الحجة على عبادتهم
الاصنام بقوله تعالى قل لهم افاتخذتم من دونه اي غير الله اولياء
اي اصناما تقيدون بها لا يملكون لانفسهم نفعا يجلبونه ولا ضرا
يدفعونه فكيف يملكون لكم ذلك وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال
في اتخذتم عند التاء والباقون بالادغام ثم ضرب الله تعالى مثلا للمشركين
الذين يعبدون الاصنام والمومنين الذين يعبدون الله فقال تعالى
قل هل يستوي الاعمى والبصير قال ابن عباس يعني المشرك والمومن
وانما مثل الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي
سبيلا ثم ضرب الله مثلا للايمان والكفر بقوله تعالى ام هل تستوي
الظلمات اي الكفر والنور اي الايمان الجواب لا وقرا شعبة وحمزة والكسائي
يستوي بالياء على التذكير والباقون بالتاء على التانيث واما اللام من هل
هنا فلا تدغم على القراءتين ام جعلوا لله شركاء والهمزة للانكار وقوله
تعالى خلقوا كخلقه صفة شركاء اي خلقوا سموات وارضين وشمسا وقمرا
وجبالا وبحارا وحيوانا وانسا فتشابه الخلق اي خلق الشركاء بخلق الله
عليهم من هذا الوجه فلا يدرون ما خلق الله وما خلق الهتهم فاعتقدوا
استحقاق عبادتهم بخلقهم وهذا استفهام انكاري اي ليس الامر كذلك ولا يستحق

العبادة الا الخالق والمالك من المعلوم قطعا ان جوابهم ان الخلق كله لله
لزمتهم الحجة فقال تعالى قل لهؤلاء المشركين الله خالق كل شيء اي مما يصح
ان يكون مخلوقا فعمت العموم الذي به الخصوص فلا يدخل في ذلك صفات الله
تعالى واذا كان لا خالق غيره فلا يشاركه في العبادة احد فوجب ان ينفرد
بالالهية كما قال تعالى وهو الواحد اي الذي لا يجانسه شيء وكل ما سواه
لا يخلو عن مماثل يماثله وايّ رتبة من يماثل من رتبة من لا مثل له القهار
الذي كل شيء تحت قهره فيدخل تحت قضايه ومشيته وارادته ثم ضرب
تعالى مثلا للحق والباطل بقوله تعالى انزل من السما اي السحاب او السما
نفسها ما اي مطرا فسالت اودية اي انهار جمع واد وهو الموضع الذي
يسيل الما فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للما الجاري فيه وتنكيرها لان
المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها اي بمقدارها الذي علم الله
تعالى انه نافع غير ضار او بمقداره في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا
رابيا اي عاليا عليه هو ما على وجهه من قذر ونحوه ومما توقدون
عليه في النار اي من جواهر الارض والذهب والفضة والنحاس والحديد
ابتغا اي طلب حلية اي زينة او متاع اي ينتفع به كالاواني اذا اذيبت
والة الحرب والحرث والمقصود من هذا بيان منافعها زبد مثله اي مثل
زبد السيل وهو خبثه الذي ينفيه الكير ومن للابتدا او للتبعيض وقرا
حفص والبزي بالياء على الغيبة على ان الضمير للناس واضافه للعلم
به والباقون بالتاء على الخطاب كذلك اي مثل هذا الضرب العلي الرتب
المتين السبب يضرب الله اي الذي له الامر كله الحق والباطل اي مثلهما
فانه تعالى مثل الحق في افادته وثباته بالما الذي ينزل من السما فتسيل به
الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع وعلك في الارض
بان تثبت بعضه في منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض فتي العيون
والتي والابار ومثل الباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدها وهو
قوله تعالى فاما الزبد اي من السيل وما وقد عليه من الجواهر فيذهب
جفا قال ابو حيان مضمحلا اي مثلا شيا لا منفعة ولا بقاء له وقال ابن
الانباري متفرقا وانتصابه على الحال واما ما ينفع الناس من الماء ومن

الجواهر

ومن الجواهر الذي هو مثل الحق فيمكث في الارض اي يثبت ويبقى لينتفع به
اهلها كذلك اي مثل ذلك الضرب يضرب اي يبين الله اي الذي له الاحاطة
الكاملة علما وقدرة الامثال فيجعلها في غاية الوضوح وان كانت في غاية
الغموض قال اهل المعاني هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل
وان علا على الحق في بعض الاوقات والاحوال فالله يمحقه ويبطله ويجعل
العاقبة للحق واهله كالزبد الذي يعلو على الما فيذهب الزبد فيبقى الما
الصافي الذي ينفع وكذلك الصفو من هذه الجواهر يبقى ويذهب العلو الذي
هو الكدر وهو ما ينفعه الكير مما يذاب من جواهر الارض كذلك الحق والباطل
وقيل هذا مثل للمومن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الما الصافي الذي
ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كمثل الزبد الذي لا ينتفع به
البتة ثم ان الله تعالى لما ذكر الحق والباطل ذكر ما لاهلهما من الثواب والعقاب فقال
تعالى للذين استجابوا لربهم اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من التوحيد
والعدل والنبوة وبعث الاموات والتزام الشرايع الواردة على لسان رسول
صلى الله عليه وسلم الحسنى اي اجابوه الى ما دعاهم اليه قال ابن عباس
وقال اهل المعاني الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة
عن شوايب المضرة الدايمة الخالصة عن الانقطاع المقرونة بالتعظيم والاجلال
ولم يذكر تعالى الزيادة هاهنا لانه تعالى ذكرها في سورة اخرى وهي قوله
تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة هذا ما لاهل الحق واما ما لاهل الباطل
فهو ما ذكره بقوله تعالى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة فلهم انواع
ثلاثة من العذاب والعقوبة فالنوع الاول قوله تعالى لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه لافتدوا به اي جعلوه فكاكا لانفسهم بغاية جهدهم
لان المحبوب بالذات لكل انسان هو ذاته وكل ما سواه فهو اما يحبه لكونه
وسيلة الى مصالح ذاته فاذا كانت النفس في الضر والالم والنقب وكان
مالكا لما يساوي عالم الاجناس والارواح فانه يرضى بان يجعله فداء
نفسه لان المحبوب بالعرض لابد وان يكون فداء للمكان محبوبا بالذات
والكناية في به عايدة الى ما في قوله ما في الارض والنوع الثاني من انواع
العذاب الذي اعده الله تعالى لهم ما دلوه بقوله تعالى اولئك لهم سوء

الحساب

وهو المناقشة فيه وعن الاتحفي بان يحاسب العبد بذنبه كله لا يغفر منه شيء
وانما نوقش الانهم احبوا الدنيا واعرضوا عن المولى فلما تابعوا الحور وبين
عن معشوقهم الذي هو الدنيا وبقوا محرومين عن الفوز بسعادة خدمة المولى
والنوع الثالث من عقوباتهم ما ذكره بقوله تعالى **وماواهم** اي مرجعهم و
جهنم وذلك لانهم كانوا غافلين عن الاشتغال بخدمة المولى عاشقين للذات
الدنيا فاذا ماتوا فارقوا معشوقهم فيحترقون على مفارقتها وليس عندهم
شيء اخر يجبرهم هذه المصيبة فلذلك كان ماواهم جهنم ثم انه تعالى وصف هذا
الماوى بقوله تعالى **وبئس المهاد** اي الفراش والمخصوص بالذم محذوف اي جهنم
ونزل في حمزة وابي جهل وقيل في عمار وابي جهل **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك**
الحق اي يؤمن به ويعمل بما فيه وهو حمزة او عمار **كمن هو اعمى** اي اعمى البصيرة
ولا يؤمن به ولا يعمل بما فيه وهو ابو جهل قال ابن الخازن في تفسيره وحمل الاية
على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من يبصر الحق ويتبعه
ومن هو لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما تشبه الكافر والجاهل بالاعمى لان الاعمى
لا يهتدي لرشد **انما يتذكر** اي يتعظ **اولوا الالباب** اي اصحاب العقول
الذين يطلبون من كل صورة معناها ويأخذون من كل نشرة لبابها ويعبرون من ظاهر
من كل حديث الى سره ولبابه **الذين يوفون بعهد الله** اي ما عاقدوه على
انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله تعالى عليهم في
كتبه **ولا ينقضون الميثاق** اي ما واثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى
وبينهم وبين العباد فهو تعميم بعد تخصيص **والذين يصلون ما امر الله**
به ان يوصل اي من الايمان والرحم وغير ذلك والاكثرون على انه اراد بصلة
الرحم عن ابي موسى ان عبد الرحمن بن عوف عاد بالدرداء فقال عبد الرحمن سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما يحكي عن ربه تعالى انا الرحمن وهي
الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او
قال بتته وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه
الله وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
من سره ان يبسط له في رزقه وان ينسأ له في اثره فليصل رحمه ومعنى ينسأ

الخ

يؤخر والمراد به تاخير الاجل وفيه قولان احدهما وهو المشهور انه يزاد في عمره
زيادة حقيقية والثاني يبارك له في عمره فكانه قد زيد فيه وعن ابي عمر
وبن العاصي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل
بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا انقطعت رحمه وصلها وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال تاتي يوم القيامة لها السنة ذلعة الرحم فتقول اي
رب قطعت والامانة تقول اي رب تركت تركت والنعمة تقول اي رب كفرت وعن
الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم فقالوا من
خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لواحسن كل ما
الاحسان وكان له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين **ويخشون ربهم**
اي وعيده عموما والخشية فوق يشوبه تعظيم **ويخافون سوء الحساب** خصوصا
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا **والذين صبروا** اي على طاعة الله تعالى
وعن معاصيه وفي كل ما ينبغي الصبر فيه وقال ابن عباس صبروا على امر الله
وقال عطاء على المصايب والنوايب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي
ومرجع الكل واحد فان الصبر الحبس وهو تجرع مرارة منع النفس عما تحب مما
لا يجوز فعله **ابتغاء** اي طلب **وجه ربهم** اي رضاه لا طلب غيره من جور او
سمعة او رياء او لغرض من اغراض الدنيا او نحو ذلك **واقاموا الصلاة** اي المفروضة
وقيل مطلق الصلاة فيدخل فيه الفرض والنفل **وانفقوا مما رزقناهم سرا**
وعلانية قال الحسن المراد به الزكاة فان لم يتم بترك الزكاة فالاولى ان يؤديها
سرا وان كان يتهم بترك اداءها فالاولى ان يؤديها علانية وقيل المراد بالسر
صدقة التطوع وبالعلانية الزكاة وقيل المراد بالسر ما يؤديه من الزكاة
بنفسه وبالعلانية ما يدفعه الى الامام **ويدرؤون** اي يدفعون **بالحسنة**
السيئة كالجهل بالحلم والاذى بالصبر روي عن ابن عباس قال يدفعون
بالصالح من العمل السيء من العمل وهو معنى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن
السيات وقوله صلى الله عليه وسلم اذا علمت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها
السر بالسر والعلانية بالعلانية وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان مثل الذي يعمل السيات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل
عليه درع ضيق قد خنقه ثم عمل حسنة فانفكت حلقة ثم عمل حسنة اخرى

فانفكت احرى حتى يخرج الى الارض وقال ابن عباس يدفعون بالحسنة
الكلام ما يرد عليهم من سوء غيرهم وعن الحسن اذا جربوا اعطوا واذا
ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعنه ابن عمر ليس الواصل من وصل ثم وصل
تلك مجازاة لكن من قطع ثم وصل وعطف من لم يصله وليس الحليم من ظلم
ثم حلم اذا هيج قوم اهتاج لكنه الحليم من قدر ثم عفا وعنه بن كيسان اذا
اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغييره وروي ان شقيق البلخي
وخل علي بن المبارك منكرا فقال له من اين انت فقال من بلخ فقال وهل
تعرف شقيقا قال نعم فقال وكيف طريقة اصحابه قال اذا منعوا صبروا واذا
اعطوا شكروا فقال بن المبارك طريقة كلابنا هكذا فقال شقيق فكيف ينبغي
ان يكون الامر فقال الكاملون هم الذين اذا منعوا شكروا وان اعطوا اثروا
اولئك اي العالوا الرتبة لهم عقبى الدار وبينها تعالى بقوله جنات عدن
اي اقامة لانفكاك لها يقال عدن بالمكان اذا اقام به ثم استانف بيان
تمكنهم بها بقوله تعالى يدخلونها وملكانت الدار لا تطيب بدون الاحبة
قال تعالى عاطفا على الضمير المرفوع ومن صلح من ابائهم اي الذين كانوا
سببا في ايجادهم فيشمل في ذلك الاباء والامهات وان علوا وازواجهم
وذرياتهم اي الذين تسببوا عنهم والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم
وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تتميما لبشاشتهم وتعظيما لشانهم ويقال ان من اعظم موجبات
سرورهم ان يجتمعوا فيتذكروا احوالهم في الدنيا فيشكرون الله تعالى
على الخلاص منها والفوز بالجنة ولذلك قال الله تعالى في صفة اهل الجنة
انهم يقولون يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين
وفي ذلك دليل على ان الدرجة تنالوا بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات
يقترن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في خلود الجنة زيادة في انعامهم
والتقييد بالصلاح زيادة على ان مجرد الانساب لا ينفع وفسر ابن عباس
الصلاح بالتصديق فقال يريد من صدق بما صدقوا وان لم يعمل مثل اعمالهم
قال الزمخشري قوله وازواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة
ولعل الاولى متمات عنها او ماتت عنه وما روي عن سودة انها لما هم الرسول
صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله احشر في جملة نسائك

كالدليل على

كالدليل على ما ذكرنا انفا وعلى هذا من تزوجت بغيره قيل انها تتخير بينهما
ثم زاد تعالى في ترغيبهم بقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم لان الاكثار
من تردد رسل الملك اعظم في الفخر واكثر في السرور والعز وملاكان اتيانهم
من الاماكن المعتادة مع القدرة على غيرها ادل على الادب واكرم قال تعالى
من كل باب قال بن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها
فرسخ لها الف باب مصاريعها من ذهب يدخلون عليهم من كل باب يقولون
لهم سلام عليكم اي فاضمر القول هنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم على
امر الله والباء للسببية اي بسبب صبركم او البدلية اي بدل ما احتملتم
من مشاق الصبر ومتاعبه فان قيل لم يتعلق قوله بما صبرتم قال الزمخشري
بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم وقال البيضاوي متعلق بعليكم او بمحذوف
لا بسلام فان الخبر فاصل مع ان الزمخشري قال ويجوز ان يتعلق بسلام اي
نسلم عليكم وننكرمكم بصبركم وهذا ظهر ورد الاول بان الممنوع منه انما
هو المصدر المؤول بحرف مصدري وفعل والمصدر هنا ليس كذلك وما
تم ذكر تسبب عنه قوله تعالى فنعم عقبى الدار وهي المسكن في قرار المهيا
بالابنية التي يحتاج اليها والمرافق التي ينتفع بها والعقبى الانتهاء الذي يؤدي
اليه الابتداء من خير او شر والمخصوص بالذم محذوف اي عقباكم ولما ذكر تعالى
صفات السعداء وذكر ما يترتب عليها من الاحوال الشريفة العالية اتبعها بذكر
احوال الاشقياء وذكر ما يترتب عليها من الاحوال المخزية المكربة واتبع الوعد
بالوعيد والثواب بالعقاب ليكون البيان كاملا فقال تعالى والذين ينقضون
عهد الله اي فيعملون بخلاف موجبه والنقض الفسخ على الذي ينفي تاليف البنا
من بعد ميثاقه اي الذي اوثقه عليهم من الاقرار والقبول ويقطعون
ما اي الذي امر الله به ان يوصل وذكر في مقابلة من قبل والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل فجعل من صفات هؤلاء القطع بالصد من ذلك الوصل
والمراد به قطع ما يوجب الله تعالى وصله اي ماله من المحاسن الجليلة والمحبة
هي عين الصلاح ويدخل في ذلك وصل الرسول صلى الله عليه وسلم بالمولات
والمعاونة ووصل المومنين ووصل الارحام ووصل سايرمن له حق ويفسدون
اي يوقعون الفساد في الارض اي في اي جزء كان منها بالظلم وتهييج الفتن

والدعا الى غير دين الله تعالى اولئك اي البعداء البغضاء لهم اللعنة اي الطرد والبعد ولهم سوء الدار والدار لهم هي جهنم وليس لهم فيها الا ما يسوء الصائر اليها والحاكم تعالى على من نقض عهده في قبول التوحيد والنبوة بانهم ملعونون في الدنيا ومعذبون في الاخرة فكانه قيل لو كانوا اعداء الله لما فاتح عليهم ابواب النعم واللذات في الدنيا فاجاب الله تعالى بقوله تعالى الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء ويقدر اي يضيقه لمن يشاء سوا في ذلك الطايع والعاصي ولا تعلق لذلك بالكفر والايمان فقد يوجد الكافر موسعا عليه دون المومن ويوجد المومن موسعا عليه دون الكافر فالدنيا دار امتحان ولما كانت السعة مظنة الفرح الاعند من وفقه الله تعالى قال الله تعالى وفرحوا اي كفار مكة فرح بطر بالحياة الدنيا اي بما نالوه فيها الفرح سرور بفضل الله والعافية عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الاخرة وما الحياة الدنيا اي بكمالها في الاخرة اي في جنبها الا متاع اي حقير متلاش يتمتع به ويذهب كعجالة الراكب وهي ما يتعجله من قيلولة او شربة ماسويق او نحو ذلك ويقول الذين كفروا من اهل مكة لولا اي هلا انزل عليه اي على هذا الرسول اية اي علامة بينة من ربه اي المحسن اليه كالعصا واليد لموسى والناقة لصالح لنهتدي بها فنومن بها به وامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل اي لهولا المعاندين ان الله يضل من يشا اضلاله فلا تعني عنه الاية شيا وان انزلت كل اية ويهدي اي يرشد اليه اي الى دينه من اناب اي رجع اليه كابي بكر الصديق وغيره ممن تبعه من العشرة المشهود لهم بالجنة وغيرهم ولو حصلت اية واحدة فلي تستقلوا بطلب الايات ولكنه تضرعوا الى الله تعالى في طلب الهداية وقوله تعالى الذين امنوا بدل من اناب او خبر مبتدا محذوف وتطمين اي تسكن قلوبهم بذكر الله اي انابته واعتماده عليه ورجاءه منه او بذكر رحمته ومغفرته لهو القلق والاضطراب من خشيته او بذكر دلايله الدالة على وجوده او بالقرانات الذي هو اقوى المعجزات وقال ابن عباس يريد اذا سمعوا القران خشعت قلوبهم واطمينت فان قيل فرق الله تعالى في سورة الانفال انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل ضد الاطمينان فكيف الجمع بينهما اجيب بانهم اذا ذكروا العقاب ولم يوصوا ان يقيموا على المعاصي فهناك يحيل الوجل

واذا ذكروا

واذا دعوه بالثواب والرحمة سكنت قلوبهم الى ربهم وحينئذ يحصل الجمع بينهما الا بذكر الله اي الذي له الجلال والاكرام لا بذكر غيره تطمين اي تسكن القلوب وثبت اليقين فيها وقوله تعالى الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى لهم واختلف العلما في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسنى لهم وقال الضحاك خير لهم وكرامة وقال سعيد بن جبير اسم الجنة بالحبشة قال الرازي وهذا القول ضعيف لانه ليس في القران الا العربي لاسيما واشتقاق هذا اللفظ من اللغة العربية ظاهر وعن ابي هريرة وابي الدرداء ان طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقاعيده بن عمير هي شجرة في جنة عدن اصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة غصن من انهار لم يخلق الله لونا ولا زهرة الا وفيها منها الا السواد ولا يخلق الله فاكهة ولا ثمرة الا وفيها منها ينبع من اصلها عينان الكافور والسلسبيل وقال مقاتل ورقة منها تظل امة عليها ملك يسبح الله تعالى بانواع التسبيح وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما طوبى قال شجرة في الجنة مسيرة ماية سنة ثياب اهل الجنة تخرج من اكمامها وعن معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وفي رواية عن ابي هريرة انه قال ان في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله تعالى لها تفتقي لعبدي عما يشا فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها عما يشا وقيل طوبى فعلى من الطيب قلبت ياوه واو الضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك وحسن ماب اي حسن المنقلب صرت خيرا وطيبا كذلك اي مثل الرسل الذي قدمنا الاشارة اليهم في اخر سورة يوسف وفي غيرها ارسلناك في امة اي جماعة كثيرة قد خلت من قبلها اي تقدمتها امم طال اذاهم لانبيايهم ومنانهم بهم واستهزاوهم بهم في عدم الاجابة حتى كانهم تواصوا بهذا القول فليس ببدع ارسالك اليهم لتتلو اي لتقرا عليهم اي على امتك الذي اوحينا اليك من القران وشرايع الدين وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن اي بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شي وقال قتادة هذه الاية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك ان سهيل بن عمرو لما جا للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح فقال النبي صلى الله عليه

وسلم لعلي اكتب ليهم الله الرحمن الرحيم فقال اي سهيل بن عمرو لا نعرف الرحمن الا صنعة
اليمامة يعني مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب يا سمك اللهم فحدا معنى قوله
وهم يكفرون بالرحمن اي انهم يكفرونه ويجحدونه قال البغوي والمعروف ان الاية
مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر
يدعو يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الله ويدعو الهاخر
يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية ونزل قوله
تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروي
الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى قل لهم يا محمد ان
الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت اي اعتمدت
عليه في امري كلها واليه متاب اي مرجعي ومرجعكم وروي ان اهل مكة قعدوا
في فناء الكعبة فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم واعرض الاسلام عليهم فقال له
عبد الله بن امية المخزومي سير لنا جبال مكة حتى تنفسح المكان علينا واجعل
لنا فيها انهارا لنزرع فيها واحي لنا بعض اموالنا لنسالهم احق ما تقول ام باطل
فقد كان عيسى يحيي الموتى وسخر لنا الريح حتى نركبها الى البلاد فقد
كانت الريح مسخرة لسليمان فلست باهون على ربك من سليمان فنزل
قوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال اي نقلت عن اماكنها او قطعت
اي شققت به الارض من خشية الله تعالى عند قراءته فجعلت انهارا
وعيونا او كلم به الموتى اي بان يحيوا وجواب لو محذوف اي لكان هذا القران
في غاية ما يكون من الصحة والتعني بمعرفة السامعين مراده وهذا معنى
قول قتادة قال الوقف هذا يقوان قبل قراءتكم لفعل بقراءتكم وقيل تقديره لما
امنوا ونقل عن الفراء ان جواب لو هي الجملة من قوله وهم يكفرون ففي الكلام
تقديم وتاخير وما بينهما اعتراض وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن لو ان
قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا
لما سبق منه علمنا يئسهم فان قيل لم حذفت التاء في قوله تعالى وكلم به الموتى وثبتت
في الفعلين قبله اجيب بانه من باب التغليب لان الموتى يشمل المذكر والمونث
بل لله الامر اي القدرة على كل شيء جميعا وهذا اضراب عما تضمنته لو من معنى

النفي اي بل الله

النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الايات لكنه الارادة لم تتعلق
بذلك لعلمه تعالى بانه لا يلين قلوبهم ويويد ذلك قوله تعالى افلم ييأس الذين
امنوا عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم
الذين امنوا ان اي بانه لو يشاء الله اي الذي له صفات الكمال لهدى الناس
جميعا اي الى الايمان من غير اية ولكنه تعالى لم يشا هداية جميع الخلايق ولا
يزال الذين كفروا اي جميع الكفار تصيبهم بما اي بسبب ما صنعوا قارعة
اي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا تارة بالجدب وتارة بالسلب وتارة
بالقتل وتارة بالاسر وغير ذلك واختلف في الكفار على قولين قيل اراد به جميع
الكفار لان الوقايع شديدة التي وقعت لبعض الكفار منذ ذلك اوجبت حصول
الغم في قلب وقيل المراد بالكفار من اهل مكة والالف واللام للمعهود السابق
ويدل لهذا قول ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم او تحل اي تنزل يا محمد انت نزولا ثابتا انت القارعة
قريبا من دارهم اي فتوهت امرهم وقيل معناه وتحل انت يا محمد بجيشك قريبا
من دارهم بمكة كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله اي بالنصر وهو رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودينه بفتح مكة او بالنصر على جميع الكفرة في زمن عيسى
عليه السلام فينقطع ذلك لانه لا يبقى على الارض كافر وقيل اراد بوعد الله
يوم القيامة لان الله يجمعهم فيه فيجازيهم باعمالهم ان الله لا يخلف الميعاد
لامتناع الكذب في كلامه تعالى ولما كان الكفار يسالون هذه الايات منه صلى الله
عليه وسلم على سبيل الاستهزاء والسخرية وكان ذلك يشق عليه ويتاذى منه
تلك الكلمات انزل الله تعالى تسلية له وتصبيرا له على سفاهة قومه ولقد
استهزئ برسل من قبلك كما استهزأ بك فاملیت للذين كفروا اي اطلت المدة
بتاخير العقوبة فكيف كان عقاب اي هو واقع موقعه فكذلك افعل بمن استهزأ
بك والاملاء الامهال بان يترك ملاة من الزمان في زاحة وامنة كالبهيمة على لها في
المرعى وهذا استفهام معناه التعجيب وفي ضمنه وعيد شديد لهم وجواب عن
اقتراحهم الايات على رسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستهزاء انه
تعالى اورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج وما يكون توبيخا لهم وتعجيبا
من عقولهم فقال تعالى افمن هو قايم اي رقيب على كل نفس بما كسبت اي عملت

من خير وشر وهو الله تعالى القادر على كل الممكنات العالم بجميع المعلومات منه
الجزئيات والكليات ولابد لهذا الكلام من جواب فاذا من موصولة صلتها
هو قايم والموصول مرفوع بالابتداء وخبره محذوف تقديره كمن ليس بهذه
الصفة وهي الاصنام التي لاتنفع ولا تضر دل على هذا المحذوف قوله تعالى
افمن شرح الله صدره للاسلام الاية تقديره كمن قسى قلبه يدل عليه قوله
فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وانما حسن حذفه كون الخبر مقابلا للمبتدا
وقد جامبينا لقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق وقوله تعالى قل سموهم
فيه تنبيه على ان هولا الشركا لا يستحقون انها والمعنى سموهم باسمايهم الحقيقية
فانهم اذا عرفت حقايقهم انها حجارة او غيرها علمت انها هو مركز الخجز ومحل القصور عن
ما هم عليه من سخافة العقول وركاكة الاراء ثم قل ارجعتم عن ذلك الى الاقرار بانهم
من جملة عبيده ام تنبيونه اي تخبرونه بما لا يعلم وعلمه محيط بكل شي في الارض
من كونها الهة ببرهان قاطع ام تسمونهم شركا بظاهر من القول اي بحجة اقناعية
تقال بالفم وكل ما لا يعلم فليس بشي وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي
على نفسه بالاعجاز وملكات النقد بر ليس لهم على شي من هذا برهان قاطع ولا
قول ظاهر يبنى عليه قوله تعالى بل زين اي وقع التزيين بامر من لا يرد امره على
يد من كان من شياطين الانس او شياطين الجن للذين كفروا مكرهم اي امرهم
الذي اراد وابه ما يراد يالمكر من اظهار شي وابطال غيره وذلك انهم اظهروا ان
شركاهم الهة حقا وهم يعلمون بطلان ذلك وليس بهم في الباطن الا تقليد الاباء
واظهروا انهم يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى ولتشفع لهم وهم لا يعتقدون
بعثا ولا نشورا فصار كل ذلك من تعلقهم فعل الماكر وصدوا غيرهم عن السبيل
اي طريق الهدى الذي لا يقال لغيره سبيل فان غيره عدم بل العدم خير منه فهم
لم يسلكوا السبيل ولا تركوا غيرهم يسلكه فضلوا واضلوا وليس ذلك بعجب فان
الله اضلهم ومن يضلل الله اي الذي له الامر يارادة اضلاله فما له من هاد وقرا
ابن كثير باثبات الياء بعد الدال في الوقف دون الوصل والباقون بغير ياء وقفا
ووصلا وكذلك من واق وكذا ولا واق ولما اخبر الله تعالى بتلك الامور المذكورة
بين انه جمع لهم بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة بقوله تعالى لهم عذاب في الحياة
الدنيا بالقتل والاسر والذم والاهانة واغتنام الاموال واللعن ونحو ذلك مما يعنيه

غيظهم

460

غيظهم ولعذاب الاخرة اشق اي اشد في المشقة بسبب القوة والشدة وكثرة
الانواع والدوام وعدم الانقطاع ثم بين تعالى ان احدا لا يقيهم من عذابه بقوله
تعالى وما لهم من الله من واق اي مانع يمنعهم اذا اراد بهم سوا في الدنيا
ولا في الاخرة والواقي فاعل من الوقاية وهي الخجز بما يدفع الاذية ولما ذكر تعالى
عذاب الكفار في الدنيا والاخرة اتبعه بذكر ثواب المتقين بقوله تعالى مثل
اي صفة الجنة اي هي مقرهم التي وعد المتقون واختلف في اعراب ذلك على
اقوال الاول قال سيبويه مثل الجنة مبتدا وخبره محذوف والتقدير فيما
قصصنا عليكم مثل الجنة والثاني قال الزجاج مثل الجنة جنة من صفتها كذا وكذا
والثالث مثل الجنة مبتدا وخبره تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد كرم
والرابع الخبر اكلها اي ما كولها دايم لانه الخارج عن العادة فعذ وصف الله تعالى
الجنة بثلاثة اوصاف الاول تجري من تحتها الانهار اي من تحت قصورها
واشجارها الانهار الثاني ان اكلها دايم لا ينقطع ابدا بخلاف جنة الدنيا والثالث
قوله تعالى وظلها اي دايم ليس كظل الدنيا لا تنسخه الشمس ولا تغيرها
اذ ليس فيها شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول ثم انه تعالى
لما وصف الجنة بهذه الصفات الثلاثة بين تعالى انها للمتقين بقوله تعالى تلك
اي الجنة العالية الاوصاف عقبى اي احر امر الذين اتقوا اي الشرك وكفروا
الوعيد للكافرين بقوله تعالى وعقبى اي منتهى امر الكافرين النار لا غير وفي
ترتيب النظمين الجماع للمتقين واقناط للكافرين واختلف في قوله تعالى والذين
اتيناهم الكتاب على قولين الاول انهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمراد
بالكتاب القران يفرحون بما انزل اليك من انواع التوحيد والعدل والنبوة
والبعث والاحكام والقصص ومن الاحزاب اي الجماعات من اليهود والنصارى
وساير الكفار من ينكر بعضه وهذا قول الحسن وقتادة فان قيل الاحزاب
منكرون كل القران اجيب بانهم لا ينكرون كل ما في القران لانه ورد فيه اثبات
الله تعالى واثبات علمه وقدرته وحكمته واقاصيص الانبيا والاحزاب لا ينكرون
كل هذه الاشيا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة وباهله الذين
اسلموا من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام واصحابه ومن لم يسلم من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية من اليمن واثنان وثلاثون من ارض

الحبشة وفرحوا بالقران لانهم امنوا به وصدقوه والاحزاب بقية اهل الكتاب
وساير المشركين وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القران في الابتدا فلما اسلم
عبد الله بن سلام ومن تبعه من اهل الكتاب ساءهم قلة ذكر الرحمن مع كثرة
ذكر في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكره في القران فرحوا به فانزل الله تعالى
والذين اتيناهم الكتاب يعرفون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر
بعضه يعني مشركي مكة حين كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب
الصلح لبسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعني
مسيلمة فانزل الله تعالى وهم يذكرون الرحمن هم كافرون ثم بين تعالى ما بين
هذا جمع كلما يحتاج المرء فيه من معرفة المبدا والمعاد وبينه بالالفاظ قليلة
فقال قل اي يا اكرم الخلق على الله تعالى انما امرت اي وقع الي الامر الجازم
الذي لا شك فيه والتغيير ممثله الامر كله ان اعبد الله اي وحده
ولذلك ولا اشرك به شيا اليه وحده ادعو واليه مابي اي مرجعي للخلا
الى غيره وكذلك اي كما انزلنا الكتب على الانبيا بلسانهم كذلك انزلناه
اي القران حكما والحكم فصل الامر على الحق عربيا بلسانكم
قومك وانما سمي القران حكما لان فيه جميع التكاليف والحلال والحرام والنقض
والابرام فلما كان سبب الحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وروي
ان المشركين كانوا يدعون النبي صلى الله عليه وسلم الى ملة ابايه فوعده
الله تعالى على متابعتهم في تلك المذاهب بان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله
تعالى عنها بقوله تعالى ولين اتبعت اهوائهم اي الكفار فيما يدعونك
اليه من ملتهم بعد ما جاءك من العلم اي بانك على الحق وان قبلتك هي الكعبة
ما لك من الله من ولي اي ناصر ولا واق اي مانع من عذابه قال ابن عباس
الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته ونزل لما عير النبي
صلى الله عليه وسلم الكفار بكثرة النساء ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجا اي نساء كحوهت فكان لسليمان ثلاثمائة امراة
وستمائة سرية وكان لداود عليه السلام مائة امراة وذرية اي اولادا
فانت مثلهم فكانوا يقولون ايضا لو كان رسولا من عند الله لكان له شي
طلبناه منه من المعجزات اتى به فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى وما كان

لرسول

لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي باراد ته لان المعجزة الواحدة
كافية في ازالة العذر والعلة وفي اظهار الحجة والبينة واما الزايد عليها فهو
مفوض الى مشيية الله تعالى ان شا اظهرها وان لم يشا لم يظهرها
لا اعتراض لاحد عليه في ذلك وما لكل وعد هم صلى الله عليه وسلم نزول
العذاب وظهور النصرة له ولعقبه وتاخر ذلك عنهم قالوا لو كان نبيا صادقا
لما ظهر كذبه فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى لكل اجل اي مدة كتاب
اي مكتوب قد اثبت فيه ان امر كذا يكون في وقت كذا من الثواب والعقاب
والاحكام والاتيان بالايات وغيرها اثباتا ونسخا على ما تقتضيه الحكمة
ولما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان محمدا يامر اصحابه
بامر اليوم ثم يامر بخلافه غدا وما سبب ذلك الا انه يقول من تلقا نفسه
فرد الله تعالى عليهم بقوله تعالى يمحو الله ما يشا اي محوه من الشرايع
والاحكام وغيرها بالنسخ فيرفعه ويثبت ما يشا اثباته من ذلك بان
يقره ويمضي حكمه كقوله تعالى ما ننسخ من اية الى قوله الم تعلم ان الله
على كل شي قدير وقرا ابن كثير وابن عامر وعاصم بسكون التا وتخفيف الياء
الموحدة والباقون بفتح التا وتشديد الباء الموحدة لتنبيه في هذه الاية
قولان احدهما انها عامة في كل شي كما يقتضيه ظاهر اللفظ وهذا مذهب
عمر وابن مسعود وغيرهما قالوا ان الله يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا
القول في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وروي عن عمر رضي الله
تعالى عنه انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل
السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبت علي الشقاوة فامحني واثبتني في اهل
السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشا وتثبت وعندك ام الكتاب ومثله عن
ابن مسعود وهذا التاويل رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي بعض الاثار ان الرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه
فيرد الى ثلاثة ايام والرجل يكون قد بقي من عمره ثلاثة ايام فيصل رحمه فيرد الى
ثلاثين سنة وروي ان الله تعالى ينزل اي امره في اخر ثلاث ساعات تبقى من
الليل فينظر في الساعة منهن في ام الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشا
ويثبت والقول الثاني ان هذه الاية خاصة في بعض الاشيا دون بعض واختلفوا

على هذا القول فقال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء ~~يثبت~~ الفريضة
والاجل والسعادة والشقاوة من الشرايع والفرايض فينسخه ويبدل ويثبت
ما يشاء منها فلا ينسخه وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت والاجل والسعادة
والشقاوة واستدل لهذا بما رواه حذيفة بن اسيد قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله ملكا
فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يارب اذكر ام انثى
فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقضي ربك
ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول يارب اشقي ام سعيد فيكتبان فيكتب عمله واثره
واجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد ولا ينقص وقال العطية عن ابن عباس
هو الرجل يعمل بطاعة الله تعالى ثم يرجع لمعصية الله فيموت على ضلالة فهو
الذي يمحو والذي يثبت يعمل الرجل بطاعة الله فيموت وهو في طاعته فهو الذي
يثبت وقال الحسن يمحو ما يشاء اي من اجاله يذهب به ويثبت من لم
يجي اجله الى اجله وعن سعيد بن جبير قال يمحو ما يشاء من ذنوب العباد
فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من الذنوب
بالتوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات كما قال تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت ما يشاء يعني الشمس
بيانه قوله تعالى فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة وقال الربيع
هذا في الارواح يقبضها الله تعالى عند النوم فمن اراد موته امسكه ومن اراد
بقاءه انتبه ورده الى صاحبه بيانه قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الاية
وقيل ان الله تعالى يثبت في اول كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما
اخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الاخرة وقيل ان الحفظة يكتبون
جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا
عقاب وقيل هذا في المحنة والمصايب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحيها بالدعاء والصدقة
وعنده تعالى ام الكتاب اصل الكتب والعرب تسمي كل ما يجري مجرى الاصل
للشيء اما ومنه ام الراس للدماغ وام القرى لمكة وكل مدينة فهي ام لما حولها
من القرى فكذلك ام الكتاب هو الذي يكون اصلا لجميع الكتب وفيه قولان الاول
اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وجميع حوادث العالم العلوي والسفلي مثبتة

عن النبي صلى الله عليه وسلم

عند النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح واثبت
فيه احوال الجميع الخلق الى قيام الساعة والقول الثاني ان ام الكتاب اصل الذي
لا يغير منه شيء وهو الذي كتب في الازل وقال ابن عباس في رواية عكرمة
هما كتابان كتاب سوى ام الكتاب يمحو ما يشاء منه ويثبت وعنده ام الكتاب
لا يغير منه شيء وعلى هذا فالكتاب الذي يمحو منه ويثبت هو الكتاب الذي
تكتبه الملايكة على الخلق وعن ابن عباس قال ان لله لوحا محفوظا مسيرة
خمسماية سنة درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء فيه في كل يوم ثلاثماية
وستون لحظة يمحو ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب وسئل ابن عباس
كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خالقه وما كان من مقترف
وطلباتهم استهزاء استعجال السيية مما توعدوا به وكانت النفس ربما تمنت
وقوع ذلك للبغض واثباته ليومت به غيره تقريبا لفصل النزاع قال تعالى
واما نرينك يا محمد واكده بتاكيد الاعلام بانه لا حرج عليه في ضلال من ضل
بعد ابلاغه بعض الذي نعدهم اي من العذاب وانت حي مما تريد او تريد
اصحابك قبل وفاتك فذلك شافيك من اعدايك والوعد الخير عن الخير
مضمون والوعيد الخير عن شر مضمون والمعنى ها هنا عليه وسماه وعدا
لتربيهم اياه في طلب نزوله منزلة الوعد او نتوفينك اي قبل ان نريك ذلك
فلا لوم عليك ولا عتب فانما عليك البلاغ اي ليس عليك الا تبليغ الرسالة
اليهم وليس عليك ان تجازيهم ولا ان تاتيهم بالمقترحات والبلاغ اسم اقيم
مقام التبليغ واما فيه ادغام نون ان الشرطية في ما الزايدة وعلينا الحساب
اي علينا ان نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم يا عمالهم فلا تحتفل باعراضهم
ولا تستعجل بعذابهم تنبيه قال ابو حيان هنا شرطان لان المعطوف على
الشرط شرط فيقدر لكل شرط ما يناسبه ان يكون جزاء مترتبا عليه والتقدير
واما نرينك بعض الذي نعدهم فذلك شافيك من اعدايك وان نتوفينك
قبل حلوله بهم فلا لوم عليك ولا عتب وقد مرة الاشارة الى ذلك ولما وعده
تعالى بنبيه صلى الله عليه وسلم بان يريه بعض ما يعده او يتوفاه قبل ذلك بين
تعالى ان اثار حصول تلك المواعيد وعلاماتها قد ظهرت وقويت بقوله تعالى
اولم يروا اي كفار مكة انا نات الارض اي نقصد ارض هولا الكفرة ننقصها

من الطرفين بما يفتح الله تعالى على المسلمين من ديار الشرك ايضا بعد ارض حوالي ارضهم هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وقال مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها وعن عكرمة قال هو قبض الناس وعن الشعبي مثله وعطا وجماعة تقتضي انها موت العلماء وذهاب الفقها ويويد هذا ما رواه عمر وبن العاصي انه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان الله لا ينقص العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلما حتي اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رووسا وجهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال علي اما مثل الفقها كمثل الانف اذا قطعت لم تعد وقال سليمان لا يزول الناس بخير ما بقي الاول حتي يتعلم الاخر واذا هلك الاول قبل ان يتعلم الاخر هلك الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمايهم ثم اثبت تعالي لنفسه امر الكيد فقال **والله** اي الملك الاعلي **يكيد** في خلقه بما يريد لانه **لا معقب** اي يراد لان التعقيب رد الشي بعد فصله **لحكمه** وقد حكم للاسلام بالاقبال وعلي الكفر بالادبار وذلك كاين لا يمكن تغييره وتنبيه محل جملة لا معقب لحكمه التغيب علي الحال كانه قيل والله يحكم نافذ لحكمه كما تقول جاني زيد لا عمامة علي راسه ولا قلنسوة تويد حاسرا **وهو** عز وجل مع عظام القدرة **سريع الحساب** فيجازيهم عما قليل في الاخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقال ابن عباس يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المومنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم الكلام في معني سريع الحساب قبل هذا او قوله تعالي **وقد مكر الذين من قبلهم** اي من كفار الامم الماضية قيل مكروا بانبيايهم مثل نمرود مكر بابراهيم وفرعون مكر بموسي واليهود مكروا بعيسي فيه تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم وقوله تعالي **فلله المكر جميعا** اي مكر جميع الماكرين حاصل بتخليقه وارادته لانه هو تعالي هو الخالق لجميع اعمال العباد فالمكر لا يضر الا بارادته ولا يوثر الا بتقديره فيه امان له صلي الله عليه وسلم من مكرهم فكانه قيل اذا كان حدوث المكر من الله وتاثيره في المكور به من الله وجب ان لا يكون للخوف الا من الله تعالي لا من احد من المخلوقين وذهب بعض المفسرين الي ان المعني فلله جزا الماكر وذكر الماكر لما مكروا بالمومنين بين الله تعالي

انه يجازيهم علي مكرهم قال الواحدي والاول اظهر القولين بدليل قوله تعالي **يعلم ما تكسب كل نفس** اي انكساب العباد معلومة لله تعالي وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فلا قدرة لعبد علي الفعل والترك فكان الكلام من الله في مجازاتهم علي اعمالهم وفي ذلك وعيد وتهديد للكفار الماكرين ثم انه تعالي اكد ذلك التهديد بقوله تعالي **وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار** اي العاقبة المحمودة في الدار الاخرة اللهم للنبي صلي الله عليه وسلم واصحابه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بالالف بعد الكاف علي الافراد والكاف مفتوحة والفا مكسورة مخففة والباقون بالالف بعد الفا علي الجمع فالكاف مضمومة والفا مفتوحة مشددة ثم قرا الافراد اراد الجنس كقوله تعالي ان الانسان لفي خسر ليوافق قراة الجمع وقال اعطا المستهزين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون وقال ابن عباس يريد ابا جهل قال الواحدي والاول هو الصواب اي ليوافق قراة الجمع كما مر وما تقدم قوله تعالي ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية عطف عليه بعد شرح ما استتبعه قوله تعالي **ويقول الذين كفروا لست مرسلا** اي لكونك لاتاتي بمقترحاتهم مع انه صلي الله عليه وسلم لم يقل يوما انه قادر عليها فكانه قيل ما اقول لهم فقال تعالي **قل كفي بالله** الذي له الاحاطة الكاملة **شهيدا** اي بليغ العلم في شهادته بالاطلاع علي ما ظهر وما بطن **بيني وبينكم** يشهد بتاييد رسالتي وتصحيح معالمتي بما اظهره من الاية واوضح من الدلالة بهذا الكتاب ويشهد بتكذيبهم باد عايكم القدرة علي المعارضة وتركهم لها فعجزا وهذا اعلا مراتب الشهادة لان الشهادة قول ينبيء غلبة الظن بان الامر كما شهد به والمعجزة فعل مخصوص يوجب القطع بكونه رسولا من عند الله واختلف في قوله تعالي **ومن عنده علم الكتاب** فروي العوفي عن ابن عباس انهم علما اليهود والنصاري اي ان كل من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصاري بالانجيل علم ان محمدا مرسل من عند الله لما يجد من الدلايل الدالة علي نبوته فيما شهد بذكره من شهد به وانكره من انكره منهم والثاني ان المراد شهادة اهل الكتب من الذين اسلموا عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري وقال الحسن ومجاهد والزجاج وسعيد بن جبير ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالي قال الحسن لا والله لا يعني الا الله والمعني كفي بالله الذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وهذا اظهر كما استظهره البقاعي وان كان عطف الصفة علي

على الموصوف خلاف الاصل اذ يقال شهد بهذا زيد الفقيه لا زيد والفقيه لانه
جايز في الجملة وقيل ان علم ان القران الذي جيتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر
لما فيه من الفصاحة والبلاغة والاخبار عن الغيوب وعن الامم الماضية فتعلمه
بهذه الصفة كان شهيدا بيني وبينكم والله اعلم بمراده وما رواه البيضاوي تبعا
للزمخشري وتبعهما ابن عادل من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الوعد اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة
وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله حديث موضوع هـ هـ هـ

سورة ابراهيم عليه السلام مكية

الا قوله تعالى الم تر الى الذين بدلوا الاية وهي اثنتان وخمسون اية وعدد
كلماتها ثمانمايه واحدى وثلاثون كلمة وعدد حروفها ثلاثة الاف واربعمايه واربعة
وثلاثون حرفا **الم** الله **الرحمن الرحيم** قوله تعالى الر تقدم الكلام عليها اول يونس
وهود وقوله تعالى **كتاب** خبر لمبتدا محذوف اي هذا القران كتاب او الر تلك
انها مبتدا والجملة بعده صفة ويجوز ان يرتفع بالابتدا وخبر الجملة بعده وجاز
الابتدا بالنكرة لانها موصوفة تقديرا تقديره كتاب اي كتاب يعني عظيما من بين
الكتب السماوية **انزلناه اليك** يا اشرف الخلق عند الله **لتخرج الناس** اي
عامة قومك وغيرهم بدعايدك اياهم **من الظلمات** اي الكفر وانواع الضلالة
الى النور اي الايمان والهدي قال الزاتي والاية دالة على ان طرق الكفر والبدع
كثيرة وان طريق الحق ليس الا واحدا لانه تعالى قال لتخرج الناس من الظلمات
وهي صيغة جمع وعبر عن الايمان والهدي بالنور وهو لفظ مفرد وذلك يدل
على ان طرق الجهل والكفر كثيرة وان طريق العلم والايمان ليس الا واحدا ثم انه
القايلون بان معرفة الله تعالى لا يمكن تحصيلها الا من تعليم الرسول احتجوا
بهذه وذلك يدل على ان معرفة الله تعالى لا تحصل الا من طريق التعليم واجيب
بان الرسول صلى الله عليه وسلم كما نبه واما المعرفة فهي انما تحصل من الدليل
وقوله تعالى باذن ربهم متعلق بالاخراج اي بتوفيقه وتسهيله ويبدل من
الى النور الى صراط اي طريق **العزيز** اي الغالب **الحميد** اي المحمود على كل حال هو
المستحق لجميع المحامد وفي قوله الله قرا ابن كثير ونافع وابن عامر برفع الهاء وصلا
وابتدا على انه مبتدا خبره **الذي له ما في السموات وما في الارض** اي ملكا وخلقا

وقرا الباقون بالجر على انه بدل او عطف بيان وما بعده صفة تنبيه وهو جاعة
من المحققين الى ان قولنا الله جاري مجري الاسم العلم لذات الله سبحانه وتعالى
وذهب قوم اخرون الى انه لفظ مشتق قال الزاتي والحق عندنا هو الاول لان
الامة لما اجتمعت على ان قولنا لا اله الا الله يوجب التوحيد المحض علمنا ان
قولنا الله جاري مجري الاسم العلم وقد قال تعالى هل تعلم له سميا اي هل تعلم
من اسمه الله غير الله وذلك يدل على ان قولنا الله اسم لذاته المخصوصة
ولذلك استشكل قراة الجر اذ الترتيب الحسن ان يذكر الاسم ثم يذكر عقيبه الصفة
كقوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور واما الخالق فلا يحسن واجيب عن ذلك
بانه لا يبعد ان تذكر الصفة اولا ثم يذكر الاسم ثم تذكر الصفة مرة اخرى كما يقال
مرة بالامام الاجل محمد الفقيه وهو يعينه نظير قوله تعالى صراط العزيز الحميد
الله الذي له ما في السموات وما في الارض والاية تفيد حصر ما في السموات وما في
الارض له لا لغيره وذلك يدل على انه لا مالك الا الله ولا حاكم الا الله وانه تعالى
خالق لاعمال العباد لانها حاصلة في السموات والارض فوجب القول بان افعال العباد
له بمعنى كونها مملوكة له والملك عبارة عن القدرة فوجب كونها مقدورة
لله وجب وقوعها بقدرة الله وقد ثبت انها مقدورة لله وجب وقوعها بقدرة الله
والا لكان العبد قد منع الله تعالى من ايقاع مقدوره وذلك محال ثم انه تعالى
لما ذكر ذلك عطف عليه الكفار بالوعيد فقال تعالى **وويل للكافرين** اي الذين تركوا
عبادة من يستحق العبادة الذي له ما في السموات وما في الارض وعبد وامن لا
يملك شيا البتة بل هو مملوك لله لانه من جملة ما في السموات وما في الارض وويل
مبتدا وجاز الابتدا به لانه دعا كالسلام عليكم وللكافرين خبره وقوله تعالى
من عذاب شديد اي يعذبهم في الاخرة متعلق بويل ولا يضر الفصل بالخبر
ثم وصفهم بقوله تعالى **الذين يستحبون** اي يختارون **الحياة الدنيا**
على الاخرة اي يوثرونها عليها **ويصدون عن سبيل الله** اي يمنعون الناس
عن قبول دين الله **ويبغونها** اي السبيل **عوجا** اي معوجة والاصل ويبغون
لها عوجا وميلا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير او **لئك** اي الموصوفون
بهذه الصفات **في ضلال بعيد** اي عن الحق واسناد البعيد الى الضلال اسناد
مجازي لان اصل الضلال ميلهم عن الباقي الى الفانين فذكر ما يجري مجري تكميل

وقرا الباقون بالجر

النعمة والاحسان في الوجهين بقوله تعالى وما ارسلنا من رسول اي في زمن
من الازمان الا بلسان اي لغة قومه اما بالنسبة الى الرسول فلانه تعالى بين
ان سايل الانبياء كانوا مبعوثين الى قومهم خاصة واما انت يا محمد فمبعوث الى عامة
البشر وكان هذا الانعام في حقك اكمل وافضل واما بالنسبة الى عامة الخلق
فهو انه تعالى ذكر انه ما بعث رسولا الا بلسان قومه ليكون القوم ليبين لهم
ما امروا به فيفهموه عنه بيسر وسرعة لان ذلك اسهل لفهمهم اسرار تلك الشريعة
والوقوف على حقايقها وابعد عن الغلط والخطا تنبيه تمسكت طايفة من
اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الاية على ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم
يرسل لغير العرب من وجهين الاول ان القران لما كان نازلا بلغة العرب
لم يعرف كونه معجزة بسبب ما فيه الفصاحة الا العرب وحينيذ لا يكون القران
حجة الا عليهم الثاني ان قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
المراد بذلك اللسان لسان العرب وذلك يدل على انه مبعوث الى العرب فقط
ورد عليهم بان المراد بالقوم اهل دعوته والدليل على عموم الدعوة قوله تعالى
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل ابي التقلين لان التحدي بكما وقع مع
الانس وقع مع الجن بدليل قوله تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان
ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ثم بين سبحانه
وتعالى ان الاضلال والهداية بمشيته بقوله تعالى فيضل من يشا اضلاله
ويهدي من يشا هدايته فانه تعالى هو المضل الهادي وليس على الرسل الا
التبليغ والبيان والله تعالى هو الهادي المضل يفعل ما يشا وهو العزيز
في ملكه فلا راد له عن مشيته الحكيم في صنعه فلا يهدي ولا يضل الا لحكمة
ثم بين تعالى انه انما ارسل محمدا عليه الصلاة والسلام الى الناس ليخرجهم
من الظلمات الى النور وذكر كما انعامه عليه وعلى قومه في ذلك الارسال وفي
ذلك البعثة اتبع ذلك بشرح بعثة سايل الانبيا الى اقوامهم وكيفية معاملة اقوامهم
لهم ليكون ذلك تصبيرا له صلى الله عليه وسلم على اذى قومه وارشادا له الى
كيفية مكالمتهم ومعاملتهم فذكر تعالى على العادة المالوفة قصص بعض الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فقال ولقد ارسلنا موسى باياتنا اي العصا واليد
والجراد والقمل والضفادع والدم وفلق البحر وانفجار الصيون من الحجر واظلال الغمام

والمن والسلوى وسايل معجزاته ان اخرج قومك اي بني اسرايل من الظلمات 465
اي الكفر والضلال الى النور اي الايمان والهدى تنبيه يجوز ان تكون ان
مصدرية اي بان اخرج والباقي باياتنا للحال وهذه للتقدية ويجوز ان
تكون مفسرة للرسالة بمعنى اي ويكون المعنى اي اخرج قومك من الظلمات اي
اي قلنا له اخرج قومك كقوله تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا وذكرهم
بايام الله قال ابن عباس بنعم الله وقال مقاتل بوقايع الله في الامم السالفة
يقال فلان عالم بايام العرب اي بوقايعهم وفي المثل من سر يوما ساره قال الواحدي
معناه من راى في يوم سروره بمصرع غيره راى غيره في يوم اخر بمصرع نفسه
وقال تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس والمعنى عظهم بالترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والترغيب والوعد ان يذكرهم ما انعم الله عليهم وعلى من قبلهم
ممن امنوا بالرسل فيما سلف من الايام والترهيب والوعيد ان يذكرهم بما نزل
وعذابه وانتقامه ممن كذب الرسل فيما سلف من الايام مثل ما نزل بعاد وثمود
وغيرهم من العذاب ليرغبوا في الوعد ليصدقوا ويحذروا من الوعيد فيتركوا
التكذيب وقيل بايام الله في حق موسى ان يذكر قومه بايام المحنة والبلاحين كانوا
تحت ايدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد
ان كانوا مملوكين ان في ذلك اي التذكير العظيم لايات على وحدانيته تعالى وعظمته
لكل صبار اي كثير الصبر على الطاعة وعن المعصية شكور اي كثير الشكر للنعم
وانما خص الصبور والشكور بالاعتبار بالايات وان كان فيها عبرة للكل لانهم المنتفعون
بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالايات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله تعالى
هدى للمتقين فان الانتفاع لا يمكن حصوله الا لمن يكون صابرا شاكرا اما
من لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة ولما امر الله تعالى موسى ان يذكرهم بايام الله
حكى عنه انه ذكرهم بها بقوله تعالى واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم وقوله اذ انجاكم من ال فرعون ظرف للنعمة بمعنى الانعام اي اذكروا
انعام الله عليكم في ذلك الوقت يسومونكم سوء العذاب بالاستعباد ويذ بحون
اي تذبحون كثيرا ابناءكم اي المولودين ويستحيون اي يستبقون نساءكم
احيا وذكر بعض المفسرين ان مولود ا يولد في بني اسرايل يكون سبب
زوال ملك فرعون فان قيل لم ذكر تعالى في سورة البقرة يذبحون بغير واو

يحون

وذكره هنا مع الواو اجيب بانها انما حذفت في سورة البقرة لانها تفسير
لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو وهنا دخل
الواو فيه لانه نوع اخر لانهم كانوا يعذبونهم بانواع من العذاب غير التذبيح
فليس تفسيرا للعذاب وفي ذلكم بلاء اي انعام وابتلاء من ربكم عظيم لان
الابتلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة فان قيل تذبيح الابناء فيه بلاء واما استحياء النساء فكيف يجعل ابتلاء
اجيب بانهم كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت ايديهم كالاماء فكان
ذلك ابتلاء وقوله تعالى واذ اي واذكروا اذ نادى ربكم فهو ايضا من
كلام موسى عليه السلام وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ
لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بني اسرائيل
بقيتي بالتوحيد والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاصانعنكم بما تتمنون
فان الشكر قيد الموجود وصيد المفقود والشكر عبارة عن الاعتراف بنعمة
المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه الطريقة ثم تقدير تقي العبد عن
تلك الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن الالتفات الى النعمة ولانك
ان منبع السعادات وعنوان كل الخيرات محبة الله تعالى ومعرفته واما الزيادة
في النعمة فهي على قسمين روحانية وجسمانية فالاولى هي ان الشاكر يكون
ابدا في مطالعة اقسام نعمة الله تعالى وانواع فضله وكرمه واما الثانية
فلان الاستقراء دل على ان كل من كانت اشتغاله بشكر نعم الله اكثر كان وصول
نعم الله اليه اكثر لان الله تعالى القيام بواجب شكر النعمة حتى يزيد ذلك من
فضله وكرمه واحسانه وليفعل ذلك باهلينا واحبابنا ثم انه تعالى لما ذكر هم
ما يستحقه الشاكر ذكر ما يستحقه مقابله بقوله تعالى ولئن كفرتم اي
جحدتم النعمة بالكفر والمعصية لاعذبنكم دل عليه ان عذابي لشديد
اي لمن كفر نعمتي ولا يشكرها ومن عادة الكرام الاكرمين ان يصرح بالوعد
ويعرض بالوعيد ولما بين موسى ان الاشتغال بالشكر يوجب تزايد الاحسان
في الدنيا والاخرة والاشتغال بكفران النعم يوجب العذاب الشديد وحصول
الامان في الدنيا والاخرة بين بعده ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود
الا الى صاحب الشكر وصاحب الكفران واما المعبود والمشكور فانه متعال

عن ان ينتفع

عن ان ينتفع بالشكر او يستضر بالكفران فلا جرم قال تعالى وقال موسى
ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض واكده بقوله تعالى جميعا
اي من الثقلين فانما ضرر ذلك يعود على انفسكم وحرمتموها الخير كله
فان الله لغني عن جميع خلقه فلا يزداد بشكر الشاكرين ولا ينتقص بكفر
الكافرين حميد اي محمود في جميع افعاله لانه فيها متفضل عادل وقوله
تعالى الم ياتكم يا بني اسرائيل نبا اي خبر الذين من قبلكم قوم نوح
وكانوا ملا الارض ونبا عاد قوم هود وكانوا اشد الناس ابدانا ونبا
ثمود قوم صالح وكانوا اقوى الناس على نحت الصخور ونبا العشيرة
يحتمل ان يكون من كلام موسى او كلام مبتدا من الله تعالى لقوم محمد صلى الله
عليه وسلم وهو استفهام تقرير وقوله تعالى والذين من بعدهم اي بعد
هولاء الامم الثلاثة لا يعلمهم الا الله فيه قولان الاول ان يكون المراد
لا يعلم كنه مقاديرهم الا الله تعالى لان المذكور في القرآن جملة فاما ذكر العدد
والقدر والكيفية والكمية فغير حاصل والقول الثاني ان المراد ذكر اقوام
ما بلغنا اخبارهم اصلا كذنوا رسلهم فلم نعرفهم اصلا ولا يعلمهم الا الله
ولذلك كان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون
علم الانساب الى ادم وقد نفى الله علمها عن العباد وعن ابن عباس انه قال
بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون ونظير هذه الاية قوله تعالى
وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا وقوله تعالى
منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وعنه صلى الله عليه وسلم
انه كان في انسابه لا يجاوز معد بن عدنان بن اد وقال تعلموا من انسابكم
ما تصلون به ارحامكم وتعلموا من النجوم ما تستدلون به على الطريق
قال الرازي والقول الثاني اقرب وما جاءتهم اي هولاء الاقوام الذين تقدم
ذكرهم رسلهم بالبينات اي الدلايل الواضحات والمعجزات الباهرات اتوا
باسرها او لها على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى فردوا اي الامم ايديهم
في افواههم وفي ذلك احتمالات الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم
عضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ
والثاني انهم لما سمعوا كلام الانبياء عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فعند

بكم

فعندذلك ردوا ايديهم في افواههم كما يفعل ذلك من غلبه الضاحك فيضع يده علي فيه والثالث انهم وضعوا ايديهم علي افواههم مشيرين بذلك الي الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث والرابع انهم اشاروا بايديهم الي السنتهم والي ما تكلموا به من قولهم منا الكفر كما حكي الله تعالي ذلك عنهم بقوله تعالي وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اي علي زعمكم ان هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره افتا لهم منا التصديق هذا هو الامر الثاني الذي اتوا به وقيل الضمير في ردوا راجع للرسل عليهم الصلاة والسلام وفيه وجهان احدهما ان الكفار اخذوا ايدي الرسل ووضعوها علي افواههم ليسكتوا ويقطعوا الكلام والثاني ان الرسل لما ايسوا عنهم سكتوا ووضعوا ايديهم علي افواههم افتسرهم فان من تكلم كلاما عند قوم وانكروه وخافهم فذلك المتكلم ربما وضع يده بنفسه علي فم نفسه وغرضه ان يعرفهم انه لا يعود الي ذلك الكلام البتة والامر الثالث قولهم وانا لفي شك مما اي شيء تدعونا ايها الرسل اليه اي منا الوحي مريب اي موجب الريبة اي موقع في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وان لا تطمئن الي الامر الذي تشك فيه فان قيل انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا لفي شك والشك دون الكفر اجيب بانهم لما صرحوا بكفرهم بالرسالة لهم حصل لهم منه توجب الشك لهم فقالوا ان لم ندع الجزم واليقين في كفرنا فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في صحة نبوتكم وعلي التقديرين فلا سبيل الي الاعتراف بنبوتكم ولما قالوا هذا الكلام للرسل ذلك قالت لهم رسلهم مجيبين افي الله شك اي هل تشكون في الله وهو استفهام انكاري اي لا شك في توحيده للدلائل الظاهرة عليه منها قوله تعالي فاطر اي خالق السموات والارض اي وما فيهما من الانس والارواح والارزاق وقال ابو عمرو ورسلهم هنا وفيما مر في حالهم ورسلهم باسكان السين والباقون بالرفع ولما اقاموا الدليل علي وجود الاله علي ذلك وصفوه بكمال الرحمة بقولهم يدعوكم اي الي الايمان ليغفر لكم اللام متعلقة بيدعوا اي لاجل غفران ذنوبكم كقوله . . . . . دعوت لما نابني مسورا . . . فلبي فلبي يدي مسور . . . . . ويجوز ان تكون معدية كقوله دعوتك لزيد والتقدير يدعوكم الي غفران ذنوبكم

وقولهم

وقولهم من ذنوبكم قال السيوطي من زايدة قال الاسلام يغفر به ما قبله او تبعيضية لاخراج حقوق العباد انتهي اي والمغفور لهم ما بينهم وما بين الله تعالي قال الرازي والعاقل لا يجوز له المصير الي كلمة من كلام الله تعالي بانها زايدة من غير ضرورة انتهي وقال في الكشاف ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المومنين ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما ينفك عنه الاستقرا وكان ذلك للتفرقة بين المخاطبين ولان لا يسوي بين المومنين في الميعاد انتهي قال الرازي واما قول الكشاف فهو من باب الظلمات لان هذا التبعيض ان حصل فلا حاجة الي ذكر هذا الجواب وان لم يحصل كان هذا الكلام فاسدا ويوخركم اي ولا يفعل بكم فعل من تعهدون من الملوك في المعاجلة في الاهلاك لمن خالفهم بل يوخركم الي اجل مسمي اي الي وقت قدسماه وبين مقداره يبلغكموه ان انتم امنتم به والاعاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ان انتم ما امنتم فان قيل ليس قال تعالي فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فكيف قال هنا ويوخركم الي اجل مسمي اجيب بان الاجل علي قسمين معلق ومبرم قالوا اي الامم مجيبين للرسل ان اي ما انتم ايها الرسل الا بشر مثلنا اي لا فضل لكم علينا فلم تخصوا بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الي البشر رسلا لجعلهم من جنس اي منا البشر في زعم القايلين افضل وقول الكشاف وهم الملايكة جار علي مذهبه تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباونا اي ما تريدون بقولكم هذا الا صدنا عن الهتنا التي كان اباونا يعبدونها فاتونا بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة علي صدقكم وعما حكي الله تعالي عن الكفار شبهاتهم في الطعن في النبوة حكي عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام جوابهم عنها بقوله تعالي قالت لهم رسلهم مجيبين لهم ان اي ما نحن الا بشر مثلكم كما قلتم تسلموا ان الامر كذلك لكن بينوا ان التماثل في البشرية لا يمنع من اختصاص بعض بمنصب النبوة بقولهم ولكن الله يمن اي يتفضل علي من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف كما قال الله تعالي الله اعلم حيث يجعل رسالته وما كان اي صح واستقام لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي الا بامره لانا عبيد مربوبون فليس لنا الاتيان بالايات ولا التسقيد به استطاعتنا حتي ناتيكم بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيية الله تعالي فله ان يخص كل نبي بنوع

من الايمان وعلي الله فليتوكل يامرهم المومنون اي يثقوا به فلا تخافن فتخوفكم
ولا تلتفت الي تهديدكم فان توكلنا علي الله واعتمادنا علي فضل الله فان الروح كانت
مشرقة بالمعارف الالهية مشرقة باضواء علم الغيب فلما تنالي بالاحوال الجسمانية
وقلما تقيم لها وزنا في حالتي السراء والضراء فلهذا توكلوا علي الله وعولوا علي فضله وتطعوا
اطماعهم عمن سواه وعمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصد وا به انفسهم تصد
اوليا الا تري قولهم وما لنا ان لا نتوكل علي الله اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه
وقد هدانا سبلنا اي وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد فان من فاز بشرف
العبودية ووصل الي مقام الاخلاص والمكاشفة يفتح عليه ان يرجع في امر من
الامور الي غير الحق وفي هذه الاية دلالة علي انه تنالي يعصم اولياءه والمخلصين
في عبوديته عن كيد اعدايهم ومكرهم وقرا ابو عمرو بسكون الباء والباقون
بالرفع وكذلك لو سلم سكن ابو عمرو والسين ورفعها الباقون ثم قالوا ولنصبرن
علي ما اذيتمونا فان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات والحق لابد وان يصير
غالبا قاهرا والباطل لابد وان يصير مغلوبا مقهورا ثم قالوا وعلي الله فليتوكل
المتوكلون فان قيل اي فرق بين التوكلين اجيب بان الاول لاستحداث ان
التوكل والثاني طلب دوامه اي فليثبت الموكلون علي ما استحدثوه من توكلهم
المسبب عن ايمانهم ولما حكي الله تنالي عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام انهم كانوا
في دفع شرور اعدايهم بالتوكل عليه والاعتماد علي حفظه وحياطته حكي عن
الكفار انهم بالغوا في السفاهة بقوله تنالي وقال الذين كفروا لرسلهم شبهتين
لمن قصروا التجاههم عليه لنخرجنكم من ارضنا اي التي لنا الان الغلبة عليها
او لتعودن في ملتنا اي حلفوا ليكونن احد الامرين اما اخراجكم ايها الرسل
واما عودكم الي ملتنا اي ديننا فان قيل قد علم هذا بظاهره انهم كانوا علي ملتهم
قبل ذلك اجيب بان العود ههنا بمعني الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة
فاشية لانكاد تسمعهم يتمللون صار وكلت عاد ما عاد تاراه عاد لا يكلمني
ما عاد لفلان مال وقد اجتمعت الامة علي ان الرسل من اول الامر انما نشاوا علي
التوحيد لا يعرفون غيره ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امنوا معه
فغلبوا الجماعات علي الواحد وقيل او لتعودن في ملتنا اي الي ما كنتم عليه قبل
ادعا الرسالة منا السكوت عند ذكر معايبه وعدم التعرض له بالطعن والقدح ولما ائسهم

الكفار هذا الكلام قال تنالي فاوحي اليهم اي الرسل ربهم وقوله تنالي
لنهلكن الظالمين اي الكافرين بن حكاية تقتضي اضمار القول او احر الايجا يجري
القول لانه ضرب منه ولنسكننكم الارض اي ارضهم من بعدهم اي بعد
هلاكهم ونظيره قوله تنالي واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق
الارض ومغاربها وقوله تعالي واورثكم ارضهم وديارهم قال الزمخشري وعن
النبي صلي الله عليه وسلم من اذي جاره ورثه الله داره قال ولقد عاينت هذا
في مدة قريبة كان لي جار يظلمه عظيم القرية التي انا فيها ويوذيني فيه فمات
ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الي ابنا خالي يتزدون فيها
ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلي الله عليه وسلم وحدثتهم به
وسجدنا شكرا لله تنالي ذلك اي النصر وايراث الارض لمن خاف مقامي اي
موقفي وهو موقف الحساب لان ذلك الموقف موقف الله الذي يقف فيه عباده
يوم القيامة ونظيره واما من خاف مقام ربه وقوله تنالي ولمن خاف مقام
ربه جنتان وقيل ذلك لمن خاف مقامي اي خافني والمقام مقحم مثل ما يقال
سلام علي المجلس العالي والمراد السلام علي فلان وخاف وعيد قال ابن عباس
ما اوعدت من العذاب وهذا يدل علي ان الخوف من الله غير الخوف من وعيده لان
العطف يقتضي المغايرة وفي تفسير قوله تنالي واستفتحوا قولان احدهما
طلب الفتح اي واستنصر والله علي اعدايهم وهو كقوله تنالي ان تستفتحوا فقد
جاكم الفتح والثاني الفتح الحكم والقضا اي واسالوا الله وسالوه القضا بينهم وهو
ماخوذ من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تنالي ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
فعلي القول الاول المستفتح هم الرسل لانهم استنصروا الله ودعوا علي قومهم
بالعذاب لما ايسوا من ايمانهم قال نوح رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا
وقال موسي ربنا اطمس علي اموالهم وقال لوط انصرني علي القوم المفسدين
وعلي القول الثاني قال الزجاج فالاولي ان يكون المستفتح هم الامم وذكرانهم قالوا اللهم
ان كان هو لا الرسل صادقين فعذبنا ومنه قول كفار قريش اللهم ان كان هذا هو الحق
من عندك فامطر علينا حجارة من السما وكقولهم اخر ين ايبتنا بعذاب الله ان كنت من
الصادقين وخاب اي خسر وهلك كل جبار اي متكبر عن طاعة الله وقيل هو الذي
لا يري فوقه احدا وقيل هو المتعظم في نفسه المتكبر علي اقرانه واختلفوا في قوله تنالي

الكفار هذا الكلام

عنيد فقال مجاهد معاند للحق ومجانبه وقال ابن عباس هو المعرض
عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يابى ان يقول لا اله
الا الله وقيل هو المتجبر بما عنده وما حكم تعالى على الكافر بالخيبة ووصفه
بكونه جبارا عنيدا وصف كيفية عذابه بامور الاول قوله تعالى من ورايه
اي امامه جهنم اي هو صاير اليها قال ابو عبيدة هو من الاضداد وقال الشاعر
٦٦ عسى الكرب الذي امسيت فيه ٦٦ يكون وراه فرج قريب ٦٦
ويقال ايضا الموت وراء كل احد وقال تعالى وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا
اي امامهم وقال تلمس هو اسم لما تواري عنك سواء كان خلفك ام قدامك وقال
ابن الانباري وراءه عني بعد قال الشاعر ٦٦ وليس وراء الله للمرء مذهب ٦٦
ومعنى الاية على هذا ان الكافر بعد الخيبة يدخل جهنم الامر الثاني ما ذكره تعالى
بقوله ويسقى اي في جهنم من ماء صديد وهو ما يسيل من جوف اهل النار
مختلطا بالقيح والدم جعل ذلك شرابا لاهل النار وقال محمد بن كعب هو ما يسيل
من فروج الزناة يسقاه الكافر فان قيل على هذا كان حق الكلام ان يقال
على محذوف تقديره من وراءه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد يجرعه
اي يتكلف ان يبتلعه مرة بعد مرة لمرارته وحرارته ونتنه ولا يكاد يسيغه
اي ولا يقدر على ابتلاعه قال الزمخشري كاد مما لفته يعني ولا بقاربه اذ يسيغه
فكيف تكون الاساغة كقوله تعالى لم يكد يراها اي لم يقرب منه رؤيتها فكيف يراها فان
قيل كيف الجمع على هذا الوجه بين يتجرعه ولا يكاد يسيغه اجيب بجوابين احدهما
ان المعاني لا يسيغ جميعه كانه يتجرع البعض وما اساغ الجميع والثاني ان الدليل
الذي فكر اعاد له على وصول ذلك الشراب الى جوف ذلك الكافر لان ذلك ليس باساغة
لان الاساغة في اللغة اجراء الشراب في الحلق واستطابة المشروب والكافر يتجرع ذلك
الشراب على كراهية ولا يسيغه اي لا يستطيبه ولا يشربه شربا بنزع واحدة وعلى
هذين الوجهين يصح حمل لا يكاد على نفي المقاربة الامر الثالث ما ذكره تعالى بقوله
تعالى ويأتيه الموت اي اسبابه المقتضية له من انواع العذاب من كل مكان
اي من سائر الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام
رجله وما هو بميت فيستريح وقال ابن جريج تتعلق نفسه عند حنجرته فلا
فلا تخرج منه فيموت ولا ترجع الى مكان من جوفه فتنفعه الحياة الامر الرابع

ما ذكره تعالى بقوله تعالى ومن ورايه اي ومن بين يديه بعد ذلك العذاب عذاب
غليظ اي شديد كل ومن يستقبله اشدهما قبله وقيل هو الخلود في النار
وقيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ولما ذكر تعالى انواع عذابهم
بين بعده ان سائر اعمالهم تصير باطلة ضايعة وذلك هو الخبر ان الشديد
بقوله تعالى مثل اي صفة الذين كفروا بربهم اعمالهم اي الصالحة كصدقة
وصلة رحم وفك اسير واقراء ضيف وبر والدين في عدم الانتفاع بها كرماد
اشتدت به الريح في يوم عاصف اي شديد هبوب الريح فجعله هباء
منثورا لا يقدر عليه كما قال تعالى لا يقدرون اي الكفار يوم الجزاء مما
كسبوا اي عملوا في الدنيا على شيء اي لا يجدون لهم ثوابا لفقد شرطه
وهو الايمان وقرأ نافع الرياح بالجمع والباقون بالافراد ذلك اشارة الى
ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد اي الخسران الكبير
لان اعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها فتنبيه في ارتفاع قوله تعالى مثل
اوجه احدها وهو مذهب سيبويه انه مبتدا محذوف الخبر تقديره فيما يتلى
عليكم مثل الذين كفروا او تكون الجملة من قوله تعالى اعمالهم كرماد والثاني وهو
مذهب الفراء التقدير مثل اعمال الذين كفروا بربهم كرماد فحذف المضاف اعتمادا
على ذكره بعد المضاف اليه وهو قوله تعالى اعمالهم ومثله قوله تعالى ويوم القيامة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة المعنى ترى وجوه الذين كذبوا على
الله وجوههم مسودة الثالث ان يكون التقدير صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد
كقوله صفة زيد عرفه مصون وماله مبذول الرابع ان تكون اعمالهم بدلا من
قوله مثل الذين كفروا والتقدير مثل اعمالهم وقوله تعالى كرماد هو الخبر وقيل
غير ذلك وقوله تعالى الم تر اي تنظر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على الالتفات ان الله خلق السموات هي عظمها
وارتفاعها والارض على تباعد اقطارها واتساعها وقوله تعالى بالحق اي
بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه متعلق بخلق وقرأ حمزة والكسائي بالالف
بعد الخاء وكسر اللام ورفع القاف وخفض الارض والباقون بغير الف بعد الخاء
وفتح اللام والقاف ونصب الارض ان يشا يذهبكم ايها الناس ويات بدلكم بخلق جديد

اطوع منكم رتب ذلك على كونه خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان
من خلق اصولهم ومايتوقف عليه تخليقهم قدران يبدل لهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه
كما قال تعالى وما ذلك على الله بعزيز اي بممتنع فانه تعالى قادر بذاته ولا اختصاص
له بمقدور دون مقدور ومن هذا شانه كان حقيقا ان يومن به ويعبد رجاء ثوابه
وخوفا من عقابه يوم الجزاء ولما ذكر تعالى اصناف عذاب هولاء الكفار وذكر عقبه
ان اعمالهم تصير محبطة باطلة ذكر كيفية مجادلتهم عند تمسكهم اتباعهم بهم وكيفية
انتضاحهم عندهم بقوله تعالى وبرزوا اي الخلايق من قبورهم لله جميعا
والتعبير فيه وفيما ياتي بالماضي وان كان معناه الاستقبال لتحقق وقوعه
لان كلما اخبر الله تعالى عنه فهو حق وصدق وكاين لا محالة فصار كانه قد حصل
ودخل في الوجود ونظيره ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار وتنبيه البروز
في اللغة الظهور بعد الاستتار وهو في حق الله تعالى محال فلابد من تاويله وهو
من وجهين الاول انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش
ويظنون ان ذلك خاف على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم
وعلموا ان الله تعالى لا تخفى عليه خافية الثاني انهم خرجوا من قبورهم فبرزوا لحكم
الله تعالى وحكمه ثم حكي الله تعالى عنهم ان الضعفا يقولون للروساء هل تقدرون
علي دفع عذاب الله تعالى عنا بقوله تعالى فقال الضعفا اي الاتباع جمع ضعيف
يريدون به ضعف الراي للذين استكبروا اي المتبوعين الذين طلبوا الكبر والترفع
فاستتبعوهم به حتى تكبروا على الرسل وقوله تعالى انا كنا لكم تبعا يصح ان يكون
مصدرا نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف وان يكون جمع تابع اي تابعين لكم
في تكذيب الرسل فكنتم سبب ضلالنا وقد جرت عادة الاكابر بالدفع عن اتباعهم
المساعدية لهم على الباطل فهل انتم اي في هذا اليوم مغنون اي دافعون
عنا من عذاب الله اي من انتقامه من شيء فان قيل ما الفرق بين من في عذاب
الله وبين من في شيء اجيب بان الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل
هل انتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو من بعض عذاب الله ويجوز ان يكون التبعيض
معا معنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله وعند هذا حكى الله
تعالى عن الذين استكبروا انهم قالوا لو هدانا الله اي الذي له صفات الكمال المتقدم ذكرها
اي لو ارشدنا الله تعالى لارشدناكم ودعوناكم الى الهدى ولكنه لم يهدنا فضللنا وانتم

لنا تبعا فاضللتمونا اي لما ذكر تعالى ان الملكان الموجب لقولهم هذا الجزع قالوا سواء علينا اي
نحن وانتم اجزعنا ام صبرنا اي مستويا علينا الجزع والصبر والجزع ابلغ في المضرة
لانه يصرف الانسان عما هو بصدده ويقطعه عنه ما لنا من محيص اي ما نجي
ومهرب مما نحن فيه من العقاب فتنبيه يحتمل ان يكون هذا من كلام المتبوعين
وان يكون كلام الفريقين ويويد الثاني ما روي انهم يقولون في النار يقال الواحد
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون ذلك وقال محمد
ابن كعب القرظي بلغني ان اهل النار استغاثوا بالخزنة كما قال الله تعالى وقال
الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة عليهم ادعوا وما دعاء
الكافرين الا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك
سالوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كالف
سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله انكم ماكثون فلما ايسوا مما عنده قال بعضهم
لبعض ذلك ولما ذكر تعالى المناظرة التي وقعت بين الروساء والاتباع من كفرة
الانس اردفها بالمناظرة التي وقعت بين الشيطان وبين اتباعه بقوله تعالى
وقال الشيطان الذي هو اول المتبوعين في الضلال ورأس المضلين والمتكبرين
لما قضي الامر اي حكم وفرغ منه وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اخذ
اهل النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قائما ليوضع
له منبر من نار فيجتمع اهل النار اليه يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله تعالى
بقوله ان الله وعدكم وعد الحق اي بالبعث والجزاء على الاعمال فصدقكم ووعد تكم
ان لا جنة ولا نار ولا حشر ولا حساب فاخلفتكم اي الوعد فلم افعل شيا لا كان
زيفا فاتبعتموني مع كوني عدوكم وتركتم ربكم وهو وليكم تنبيه في الاية اضمار
من وجهين الاول ان التقدير وان الله وعدكم وعد الحق فصدقكم كما تقدم تقديره
ووعدتكم فاخلفتكم وحذف ذلك لدلالة تلك الحالة على صدق ذلك الوعد
لانهم كانوا يشاهدونها وليس وراء العيان بيان ولانه ذكر في وعد الشيطان
الاخلاف فدل ذلك على الصدق في وعد الله تعالى الثاني ان قوله ووعدتكم فاخلفتكم
الوعد يقتضي مفعولا ثانيا وحذف هذا للعلم به والتقدير ووعدتكم ان لا جنة
ولا نار ولا حشر ولا حساب كما تقرر وما بين غروره وبين نهوله اغترارهم زيادة في تقدم

فقال وما كان لي عليكم من سلطان اي سلطان ما من مزيدة اي قوة وقدرة
اقهركم علي الكفر والمعاصي والحاكم علي متابعتي وقوله الا ان دعوتكم
استثناء منقطع قال النحويون لان الدعا ليس من جنس السلطان فمعناه
لكن دعوتكم فاستجبتم لي لمكمين الشهوات لان النفس تدعو الي هذه
الاحوال الدنيوية ولا يتصور كيفية السعادات الاخروية والكمالات
النفسانية والله يدعو اليها ويرغب فيها كما قال والاخرة خير وابقي قال
الرازي وعندي انه يمكن ان يقال كلمة الا هاهنا استثنا حقيقي لان
قدرة الانسان علي حمل الغير علي عمل من الاعمال تارة يكون بالقهر والقسر
وتارة يكون بتقوية الداعية في قلبه بالقا الوساوس اليه فهذا نوع
من انواع التسليط انتهي ثم قال لهم فلا تلوموني اي لان ما كان مني الا الدعا
والقا الوسوسة ولوموا انفسكم لانكم سمعتم داعي الله تعالي وجائكم
الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا الي ولا تسمعوا اقوالي فلما رجحتم
قولي علي الدلايل الظاهرة كان اللوم بكم اولي باجابتي ومتابعتي من غير
حجة ولا دليل فان قيل لم قال الشيطان فلا تلوموني وهو ملوم بسبب اقدامه
علي تلك الوسوسة الباطلة اجيب بانه اراد لا تلوموني علي فعلكم ولوموا
انفسكم عليه لانكم عدلتم عما توجبه من هداية الله تعالي ثم قال تعالي حكاية
عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم اي بمغيثكم فيما لم يخلصكم من العذاب
فاذيل صراخكم منه وما انتم بمصرخي اي بمغيثين فيما يخصني منه وقرا
ما عدا حمزة بفتح الياء من التشديد وقرا حمزة بكسر الياء من التشديد علي
الاصل في التقا الساكنين لان يا الاضراب ساكنة ويا المتكلم اصلها السكون فلما
التقيا كسرت لالتقا الساكنين قال البيضاوي وهو اصل مرفوض في مثله
لما فيه من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع حركة يا الاضافة انتهي فقوله اصل
مرفوض اي متروك عند النحاة والا فهو قراة متواترة عند القرا فيجب المصير
اليها الا تري ورود مثله في كلام رب العالمين علي لسان سيد المرسلين وقول الفراء لعلها
من وهم القرا فانه قل من سلم منهم من الوهم ممنوع فقد قال ابو حيان هي قراة
متواترة نقلها السلف وانتضي اثارهم فيها الخلف فلا يجوز ان يقال فيها انها خطا
او نبابة او رديئة وقد نقل جماعة من اهل اللغة انها لغة لكن قل استعمالها او نقض

علي انها لغة في بني مربوع ونصب علي انها صوات ابو عمرو بن العلا ما سيل
عنا والقاسم بن معن منذر وسا الكوفيين قال الله تعالي حكاية عن الشيطان
انه قال اني كفرت بما اشركتموني من قبل اي كفرت اليوم باشراكم اياي
من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله تعالي ويوم القيامة يكفرون بشرككم
ومعني كفره باشراكهم اياه تبروه منه واستنكاره له كقوله انا برا منكم
وبما تعبدون من دون الله كفرنا بكم روي البغوي بسنده عن عقبة
ابن عامر عن رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديث الشفاعة يقول ربي
ذلك النبي الامي فياتوني فياذن الله لي ان اقوم فيثور مجلسي من اطيب
ريح شمها احد حتي اتي ربي فيشفعني ويجعل في نورا من شعر راسي الحظ
قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المومنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون
ما هو غير الشيطان هو الذي اضلنا فياتونه فيقولون قد وجدنا المومنون
من يشفع لهم ثم انت فاشفع لنا فانك اضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه اطيب
ريح شمها احد ثم يعظم لهيهم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق الاية
قال الزجاج وقوله ان الظالمين اي الكاذبين لهم عذاب اليم اي مولم من كلام الله
تعالي ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكي الله تعالي ما سيقوله في
ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لابد
لهم من الوصول اليه وان يتصوروا بانفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه
الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم ولما بالغ سبحانه
وتعالي في شرح حال الاشقيا من الوجوه الكثيرة شرح احوال السعدا وما اعد
لهم من الثواب العظيم والاجر الجزيل وذلك ان الثواب منفعة خالصة دايمة مقرونة
بالتعظيم فالمنفعة الخالصة اليها الاشارة بقوله تعالي وادخل الذين امنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار وكونها دايمة اشير اليها بقوله تعالي
خالدين فيها وهو حال مقدرة والتعظيم حصل لهم من وجهين احدهما قوله تحيتهم
باذن ربهم لان تلك المنافع انما كانت تفضلا من الله تعالي وانعاما والثاني قوله تعالي
تحيتهم فيها سلام لان بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة والملايكة يحيونهم بها كما قال
تعالي والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والرب يحييهم ايضا بهذه الكلمة كما
قال تعالي سلام قولا من رب رحيم ويحتمل ان يكون المراد بهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع

افات الدنيا وجسرانها وفنون الامها واسقامها وانواع همومها وغمومها
لان السلام مشتق من السلامة ولما شرح سبحانه وتعالى احوال الاشقياء
واحوال السعداذكر مثلا يبين الحال في حكم هذين القسمين بقوله تعالى الم تر
اي تنظر والخطاب يحتمل ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره
وان يكون لكل فرد من الناس اي الم تر ايها الانسان كيف ضرب الله اي المحيط
بكل شيء علما وقدرة مثلا سيره بحيث يعم نفعه والمثل قول سائر يشبه فيه
حال الثاني بالاول لم بينه بقوله تعالى كلمة طيبة قال ابن عباس واكثر المفسرين
هي لا اله الا الله كشجرة طيبة قال ابن مسعود وانس هي النخلة وعن ابن
عباس هي شجرة في الجنة وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المومن شجرة فاخبروني ما هي قال عبد الله وقع
الناس في شجرة البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فنعاني مكانها فاخبرت
فقال له عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا انها النخلة قيل الحكمة في تشبيه الانسان بالنخلة من بين سائر
النخلة الاشجار ان النخلة اشبه بها به من حيث انها اذا قطع راسها يبست وسائر
الاشجار يتشعب من جوفها بعد قطع راسها وانها تشبه الانسان بحيث انها
لا تحمل الا بالتلقاح لانها خلقت من فضلة طينة ادم عليه السلام ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم اكرموا عمتكم قيل ومن عمتنا قال النخلة اصلها ثابت اي في الارض وفرعها
اي غصنها في السما اي في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل
طويل في السما تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اي تعطي اكلها اي ثمرها كل حين باذن
ربها اي بارادته والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير واختلفوا في مقدار
هذا فقال مجاهد الحين هنا سنة كاملة لان النخلة تثمر في كل سنة مرة وقال قتادة
ستة اشهر يعني من حين طلعها الى وقت صرامها وقال الربيع كل حين يعني غدوة وعشية
لان ثمر النخل يوكل ليلا ونهارا وصيفا وشتاء فوكل منها الجمار والطلع والبلح والخلال
والبسر والمنضج والرطب وبعد ذلك يوكل التمر اليابس الى حين الطري الرطب
فاكلها دايم في كل وقت قال العلما ووجه الحكمة في تمثيل كلمة الاخلاص بالشجرة ان
الايمان ثابت في قلب المومن كثبوت اصل هذه الشجرة في الارض وعمله يصعد الى السما

قال تعالى

اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فلذلك فرع هذه عال في السما
وتناله بركته وثوابه كل وقت فالمومن كلما قال لا اله الا الله صعدت الى السما
وجاءه بركتها وخيرها وثوابها ومنفعتها ولان الشجرة لا تكون شجرة الا بثلاثة
اشياء عرق راسخ واصل قايم وفرع عال كذلك الايمان لا يتم الا بثلاثة اشياء تصديق
القلب ونزل اللسان وعمل بالابدان ثم نبه تعالى على عظم هذا المثل ليقبل على
تدبره ليعلم المراد منه فيلزم فقال ويضرب الله اي الذي له الاحاطة الكاملة
الامثال للناس لعلهم يتذكرون اي يتعظون فان في ضرب الامثال زيادة افهام
وتذكير وتصوير للمعاني العقليه فيحصل الفهم التام والوصول الى المطلوب
ولما ذكر مثل حال السعد اتبعه بمثل حال الاعدا فقال ومثل كلمة خبيثة هي كلمة
الكفر كشجرة خبيثة هي الحنظل وقيل الثوم وقيل الكشوث بثلثة في اخره قال الجوهري
نبت يتعلق باغصان الشجر من غير ان يضرب بعرق في الارض قال الشاعر

هي الكشوث لا اصل ولا ورق ... ولا نسيم ولا ظل ولا ثمر

وقيل شجرة الشوك اجتثت اي استوصلت من فوق الارض اي عروقها قريبة منه
ما لها من قرار اي اصل ولا عرق فكذلك الكفر بالله تعالى ليس له حجة ولا ثبات ولا
قوة وعن عبادة انه قيل لبعض العلما ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها
في الارض مستقرا ولا في السما مصعدا الا ان تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها
يوم القيامة ولما وصف سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة في الاية المتقدمة اخبر بقوله
تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت انه تعالى يثبتهم بها في الحياة الدنيا
اي في القبر وقيل قبل الموت وفي الاخرة اي يوم القيامة عند البعث والحساب وقيل
في القبر على القول الثاني ولما وصف الكلمة الخبيثة في الاية المتقدمة اخبر بقوله
تعالى ويضل الله الظالمين اي الكفار انه تعالى لا يهديهم للجواب الصواب ويفعل
الله ما يشا اي ان شا هدى وان شا ضل لا اعتراض عليه روي عن البرا بن عازب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سيل في القبر يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت وروي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في القبر وتولى عنه
اصحابه يسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا
الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له

انظر الي مقعدك من النار فتزيد لك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلي الله
عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة ذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الحديث
انس قال واما المنافق والكافر فيقال له ماكنت تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري
كنت اقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من
حديد ضربة بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال شهدنا جنازة مع رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما فرغنا من
دفنها وانصرف الناس قال انه الان يسمع خفق نعالكم اتاه منكر ونكير فيقعدانه
تدور الفحاس وانيابهما مثل صياصي البقر واصواتهما مثل الرعد قاصف بلسانه فيسالانه
ما كان يعبد ومن نبيه فان كان ممن يعبد الله تعالي قال كنت اعبد الله ونبي محمد
صلي الله عليه وسلم جانا بالبينات والهدي فامنا به واتبعناه فذلك قوله تعالي يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة وفي الاخرة فيقال له علي اليقين حييت
وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الي الجنة ويوسع له في حفرته وان كان من
اهل الشك قال لا ادري سمعت الناس يقولون شيا فقلته فيقال له علي الشك
حييت وعليه مت وعليه تبعث ثم يفتح له باب الي النار ويسلط عليه عقاربه
وثعابين لو نفخ احدهم في الدنيا ما انبتت شيا فتنهشه وتومر الارض فتضم عليه
حتي تختلف اضلاعه فسال الله لنا الثبات ولوالدينا ولاحبابنا في الدنيا والاخرة
انه كريم جواد ثم انه تعالي عاد الي وعظ الكافرين فقال الم تر اي تنظر وفي المخاطب
ما تقدم الي الذين بدلوا والتبديل جعل الشي مكان غيره نعمة الله اي التي
اسبغها عليهم من كلمة التوحيد ومن جميع النعم الدنيوية ويسير الرزق وفسرت
بان جعلوا مكان شكرها كفرا وهم يدعون انهم اشكر الناس للاحسان واعلاها
هما في الوفا وابعدهم عن الجفا واحلوا اي انزلوا قومهم اي الذين تابعوهم
في الكفر باضلالهم اياهم دار البوار اي الهلاك مع اوعايهم انهم ادب الناس عند الجاد
نضلا عن الاهل روي البخاري في التفسير انهم كفار اهل مكة وقوله تعالي جهنم
عطف بيان يصلونها اي يدخلونها ويبس القرار اي المقر هي وجعلوا لله اي الذين
يعلمون انه لا شريك له في خلقهم ولا في رزقهم لان له الكمال كله انداد اي شركاء وقوله
تعالي ليضلوا عن سبيله اي دين الاسلام فيه قراءتان قرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء
من ضل يضل والباقون بضم الياء من اضل يضل وليس الضلال ولا الاضلال اليهم

في نسخ الادنى

في اتخاذ الانداد الكفر لما كان نتيجة جعل كالغرض ولما حكي الله تعالي عنهم هذا النوع
الثلاثة من الاعمال القبيحة قال لنبيه صلي الله عليه وسلم قل اي تهديدا لهم فانهم
لا يشكون في قولك وان عاندوا وتمتعوا بدنياكم قليلا فان مصيركم اي مرجعكم
الي النار في الاخرة ولما امر الله تعالي الكافرين علي سبيل التهديد والوعيد
بالتمتع بنعيم الدنيا امر المومنين بترك التمتع بالدنيا والمبالغة في المجاهدة
بالنفس والمال يقوله تعالي قل لعبادي نوصفهم باشرف اوصافهم واضافهم
الي ضميره الشريف تحبيبا لهم فيه ثم اتبع هذا الوصف ما يناسبه مناداعانهم
لسيدهم بقوله تعالي الذين امنوا اي اوجدوا هذا الوصف يقيموا الصلاة
وينفقوا ما رزقناهم فيه وجهان احدهما يصح ان يكون جوابا للامر محذوفا تقديره
قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا والثاني
يصح ان يكون هو امرا مقولا محذوفا منه اللام اي ليقيموا ليصح تعلق القول بهما
وانما حسن ذكرها هنا ولم يحسن في قوله ٥٥ محمد تغذ نفسك كل نفس ٥٥
اذا ما خفت من شيء تبالا ٥٥ اي تتبالي به اي تكترث به لدلالة قل عليه سرا
وعلانية اي ينفقون اموالهم في حال السر والعلانية وقيل المراد بالسر صدقة
التطوع وبالعلانية اخراج الزكاة الواجبة تنبيه في انتصاب سرا وعلانية وجوه
احدها ان يكون علي الحال اي ذوي سر وعلانية بمعني مسرين ومعلنين والثاني
علي الظرف اي وقت للسر وعلانية وثالثها علي المصدر اي انفاق سر وانفاق علانية
ولما امرهم تعالي باقامة الصلاة والانفاق اشار الي عدم التهاون بذلك بقوله من قبل
ان ياتي يوم اي عظيم جدا ليس كشي من الايام التي تعرفونها لا بيع فيه اي فيشتري
المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال اي مخالة اي صداقة
تنفع فيذكر اليوم قال مقاتل اغا هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة فكانه
تعالي يقول انفقوا اموالكم في الدنيا حتي تجدوا ثواب ذلك الانفاق في مثل هذا اليوم
الذي لا يحصل فيه مبايعة ولا مخالة ونظير هذه الاية قوله تعالي في سورة البقرة
لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة فان قيل كيف نفي تعالي المخالة في هاتين الايتين مع انه
تعالي اثبتها في قوله تعالي الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين اجيب بان الاية
الدالة علي نفي المخالة محمولة علي نفي المخالة بسبب ميل الطبع ورغبة النفس والاية الدالة
علي حصول المخالة محمولة علي حصول المخالة الحاصلة بسبب عبودية الله تعالي ومحبة الله

تعالي ولما اطال الكلام في وصف احوال السعداء احوال الاشقياء وكانت النعمة
العظمي والمنزلة الكبري في حصول السعادات معرفة الله بذاته وصفاته وفي
حصول الشقاوة فقدان ذلك ختم تعالي احوال الفريقين بقوله تعالي الله الي الملك
الاعلي المحيط بكل شيء ثم اتبعه بالدلايل الدالة علي وجوده وكمال علمه وقدرته وذكر
هنا عشر انواع من الدلايل اولها قوله تعالي الذي خلق السموات وثانيها قوله تعالي
والارض وهما اكبر خلقا منكم واعظم شانا وثالثها قوله تعالي وانزل من السماء ما
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس فتنبيه
الله مبتدا وخبره الذي خلق ورزقا مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويجوز
ان يكون المراد بالسماء هنا السحاب اشتقاقا من السمو والارتفاع وان يكون الجرم المعهود
فينزل من السماء الي السحاب ومن السحاب الي الارض وقد ذكرت ذلك في سورة البقرة
وفي غيرها ورابعها قوله تعالي وسخر لكم الفلك اي السفن لتجري في البحر اي بالركوب
بامره اي بمشيته وارادته وخامسها قوله تعالي وسخر لكم الانهار اي ذللها لكم تجرون منها
حيث شئتم لان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزرع والثمار ولا في الشراب فكان ذلك
نعمة من الله وسادسها وسابعها قوله تعالي وسخر لكم الشمس والقمر دايبين اي جاريين في فلكهما لا يفتران في سيرهما وانارتهما وتاثيرهما في انارة الظلمة
واصلاح النبات والحيوان الي اخر الدهر وهو انقضاء امر الدنيا وذهابها والشمس
سلطانها النهار وبها تفرق فصول السنة وهو افضل من القمر لكثرة نفعها والقمر للقمر
الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله تعالي وانعامه وثامنها وتاسعها
قوله تعالي وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان فيكم بالضياء والظلمة والزيادة والنقصان
وذلك من نعم الله تعالي علي عباده حيث جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليبتغوا
فيه من فضله وعاشرها قوله تعالي وآتاكم من كل ما سالتموه اي ملائما تحتاجون
اليه علي حسب مصالحكم فانتم تسالتموه بالقوة ولما ذكر سبحانه وتعالي بعض
ما انعم به علي عباده بين ان العبد عاجز عن حصرها وعدها بقوله تعالي
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تحيطوا بها ولا تطيقوا عدها وبلوغ اخرها
هذا اذا اراد وان يعدوها علي الاجمال واما علي التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه
الا الله تعالي ان الانسان اي الكافر وقال ابن عباس يريد ابا جهل لظلوم اي كثير
الظلم لنفسه كفار اي كفور لنعم ربه وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة

يجمع ويمنع فان قيل لم قال تعالي هنا ان الانسان لظلوم كفار وفي النحل ان الله
لغفور رحيم اجيب بكانه تعالي يقول للعبد اذا حصلت لك النعم الكثيرة فانت
الذي اخذتها وانا الذي اعطيتها فحصل لك عند اخذها وصفان وصما كونك ظلوما
كفارا ولي وصفان عند اعطايها وهما كوني غفورا رحيما والمقصود كانه يقول انك
ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم لعلم بعجزك وتقصيرك فلا اقابل تقصيرك
الا بالتوبيخ ولا اجازي جزاك الا بالوفاء ونسال الله حسن العاقبة والرحمة ولما
بين تعالي بالدلايل المتقدمة ان لا معبود الا الله سبحانه وتعالي وانه لا يجوز عبادة غيره
البتة حكي عن ابراهيم عليه السلام مبالغته في انكار عبادة الاثان بقوله تعالي
واذ اي واذكر لهم مذكرا ايام الله خبر ابراهيم اذ قال ابراهيم رب اي المحسن الي
باجابة دعاي اجعل هذا البلد اي مكة امنا اي ذا امن وقد اجاب الله تعالي
دعاه فجعله حرما لا يسفك فيه دم انسان ولا يظلم فيه احد ولا يصاد صيده
ولا يختلي خلاه فان قيل اي فرق بين قوله اجعل هذا بلد امنا وبين قوله اجعل هذا
البلد امنا اجيب بان المسيول في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يامن اهلها
ولا يخافون وفي الثاني ان يزيل عنها الصفة التي كانت حاصلة لها وهي الخوف ويحصل
لها تلك الصفة وهي الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله امنا فان قيل كيف اجاب الله تعالي
دعاه مع ان جماعة من الجبابرة قد اغاروا عليها واخافوا اهلها اجيب بجوابين احدهما
ان ابراهيم عليه السلام لما فرغ من بنا الكعبة دعا بهذا الدعا والمراد منه جعل مكة امنة
من الخراب وهذا موجود بحمد الله تعالي فلم يقدر احد علي اخراب مكة فان قيل يرد علي هذا
ما روي عنه صلي الله عليه وسلم انه قال يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة اجيب
بان قوله اجعل هذا البلد يعني الي قرب القيامة وخراب الدنيا وهو عام مخصوص بقصة
ذي السويقتين فلا تعارض بين الخبرين والجواب الثاني ان المراد جعل اهلها امنين كقوله
تعالي واسال القرية اي اهلها وهذا الجواب عليه اكثر المفسرين وعلي هذا فقد اختص
اهل مكة بزيادة الامن في بلدهم كما اخبر الله تعالي بقوله ويتخطف الناس من حولهم
واهل مكة امنون من ذلك حتي ان من التجا الي مكة امن علي نفسه وماله وحتي ان
الوحوش اذا كانت خارجت الحرم استوحشت واذا كانت داخلة الحرم استانست لعلمها
انه لا يهيجها احد في الحرم وهذا القدر من الامن حاصل بحمد الله بمكة وحرمها واجنابها
اي بعدني وبعدي ان اي عن ان نعبد الاصنام اي اجعلنا في جانب غير جانب عبادتها

فان قيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون فما الفايدة في قوله اجنبني
عن عبادة الاصنام اجيب بانه عليه الصلاة والسلام اغا سال ذلك هضما
لنفسه واظهارا للتجة والفاقة الي فضل الله في كل المطالب وفي ذلك دليل علي ان
عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالي وحفظه اياهم فان قيل كان كفار قريش من
ابنايه مع انهم كانوا يعبدون الاصنام فكيف اجيب دعاوه اجيب بان المراد من
كان موجودا حال الدعا ولا شبهة ان دعوته كانت مجابة فيهم او ان هذا الدعا
مخصوص بالمومنين من اولاده والدليل عليه انه قال عليه السلام في اخر الاية
فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد انه من لم يتبعه علي دينه فانه ليس منه ونظيره قوله
تعالي انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح والصنم الملحوت علي خلقة البشر وما كان
ملحوتا علي غير خلقة البشر فهو وثن قاله الطبري وكذا الماسل بن عيينة كيونجدة
العرب الاصنام فقال ما عبد احد من بني اسماعيل صنما واحج بقوله تعالي واجنبني
وبني ان نعبد الاصنام اغا كانت انصاب الحجارة لكل قوم قالوا البيت حجر الحيثها هو
نصبا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر اي يطوفون به اسابيع
تشبيها بالكعبة ويسمونه الدوار بضم الدال مشددة وقد تفتح قال الجوهري
دوارنا هم صنم وقد تفتح فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت
قال الزائري وهذا الجواب ليس بقوي لانه عليه السلام لا يجوز ان يريد بهذا الدعا
الا عبادة غير الله والحجر كالصنم في ذلك ثم حكي الله تعالي عن ابراهيم انه قال ربانهن
اي الاصنام اضللن كثيرا من الناس بعبادتهم لها تنبيه اتفق كل الفرق علي ان
قوله اضللت مجاز لانها جمادات والجماد لا يفعل شيا البتة الا انه لما حصل عند
عبادتها اضيف اليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا بها
ثم قال فمن تبعني علي التوحيد فانه مني اي فانه جاري مجري بعضي تقرطبي
اختصاصه بي وقربه مني ومن عصاني اي في غير الدين فانك غفور رحيم
وهذا صريح في طلب الرحمة والمغفرة لاولاد المعصاة واذا ثبت حصول هذه
الشفاعة في حق ابراهيم عليه السلام ثبت حصولها في حق محمد صلي الله
عليه وسلم لانه مامور بالاقتدا به كما قال تعالي واتبع ملة ابراهيم وقيل ان هذا
الدعا كان قبل ان يعلم ابراهيم ان الله لا يغفر الشرك وقيل انك قادر ان تغفر له
وترحمه بان تنقله عن الكفر الي الاسلام وقيل المراد من هذه المغفرة ان لا يعاجلهم

بالعقاب فلا يمهلهم حتي يتوبوا قال الرازي واعلم ان هذه الاوجه ضعيفة
وارتضي ما تقرر اولا وتنبيه حكي الله سبحانه وتعالي عن ابراهيم عليه السلام
في هذا الموضع انه طلب من الله تسعة امور الاول طلب من الله نعمة الامان
وهو رب اجعل هذا البلد امنا المطلوب الثاني ان يرزقه الله التوحيد ويصونه
عن الشرك وهو قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام المطلوب الثالث قوله
ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف
المفعول علي هذا القول وهم اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن
لاسكانهم بوادهو وادي مكة المشرفة لكونه في فضاء تتخلله بين جبال
تجري فيه السيول غير ذي زرع اي لا يكون فيه من الزرع قط فانه مجرى لا ينبت
كقوله تعالي قرانا عربيا غير ذي عوج بمعني لا يوجد فيه اعوجاج عند بيتك
المحرم اي الذي حرمت التعرض له والتهاون به وجعلت ما حوله حرما لمكانة او
لانه لم يزل ممتنعا عن نزالها به كل جبار كالشي المحرم الذي حقه ان يجتنب او لانه
محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكه او لانه حرم علي الطوفان اي منع منه كما سمي
عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه او لانه امن الصايرين اليه ان يجرموا علي
انفسهم اشيا كانت تحل لهم من قبل او لانه حرم موضع البيت حين خلق السموات
والارض وصفه بسبعة املاك وهو مثل البيت المعمور الذي بناه ادم فرفع الي
السما السادسة وروي ان هاجر كانت امة لسارة فوهبتها لابراهيم عليه السلام
فولدت منه اسماعيل فقالت سارة كنت اريد ان يهب الله لي ولدا من خليله
فنفيته ورزقه خادمتي وغارت عليهما وقالت لابراهيم بعدهما بني وناشدته
بالله ان يخرجهما من عندها فنقلهما الي مكة واسماعيل رضيع حتي وضعهما عند
البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلا المسجد وليس بمكة يومييذ احد وليس بها
ما فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ماء ثم قفي ابراهيم منطلقا
فتبعته ام اسماعيل وقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس
فيه انيس ولا شي فقالت له ذلك مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا
قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم حتي اذا كان عند الثنية
حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهولا الدعوات ورفع يديه وقال
ربنا اني اسكنت من ذريتي حتي بلغ يشكرون وجعلت ام اسماعيل ترضعه وتشرب من

حتي اذا قدما في السقا عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوي او قال
يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض
يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى منه احدا فلم تر احدا فعلت
ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلي الله عليه وسلم فلذلك سعي
الناس بينهما فلما اشرفت علي المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها
ثم تسمعت فسمعت ايضا فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك
عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتي ظهر الماء فجعلت تحوضه
وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف
قال ابن عباس قال النبي صلي الله عليه وسلم يرحم الله ام اسماعيل لو تركت زمزم
او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها
فقال الملك لا تخافوا الضيعة فان ها هنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه
وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية ياتيه السيل
فياخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتي مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت
من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فنظروا طايرا فقالوا ان
هذا الطاير ليدور علي الماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا
او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الماء فقالوا
اتاذنين لنا ان ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس
قالت ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الي اهليهم فنزلوا معهم
حتي اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم واعجبهم
حتي شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد
تزوج اسماعيل وتقدم تمام هذه القصة في سورة البقرة ثم قال ربنا ليقيموا
الصلاة اللام لام كي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي المقفر الذي
لا شيء فيه الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما
تقربه مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها علي البقاع هـ
مستعبدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف عند بيتك والطواف به
والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي اثرت بها اسكان حريمك وتكريم
النداء توسطه للاشعار بانهما المقصود بالذات من اسكانهم هناك والمقصود

من الدعاء تنبيهم

من الدعاء فيفهم لها فاجعل افيدة اي قلوبا محترقة بالاشواق من الناس
ومن للتبعيض والمعني واجعل افيدة بعض الناس تهوي اي تجنح اليهم
ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افيدة الناس لزحمتكم عليه فارس
والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لو قال افيدة الناس لحجت
اليهود والنصاري والمجوس ولكنه قال افيدة من الناس فهم المسلمون
وقال ابن عباس لو قال افيدة الناس لحنت اليه فارس والروم والناس كلهم
ولما دعا لهم بالدين دعا لهم بالرزق فقال وارزقهم من الثمرات ولم يقل
وارزقهم الثمرات وذلك يدل علي ان المطلوب بالدعا ايصال بعض الثمرات اليهم
ويحتمل ان يكون المراد بايصال بعض الثمرات اليهم ايصالها اليهم علي سبيل التجارات
كما قال تعالي يجبي اليه ثمرات كل شيء حتي توجد فيه الفواكه الصيفية والربيعية
والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من اية بعجب وان يكون المراد عمارة القري
بالقرب منها لتحصل تلك الثمار وعن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما انه قال كانت
الطايف من ارض فلسطين فلما قال ابراهيم ذكر دفعها الله فوضعها حيث وضعها
رزقا للحرم لعلهم يشكرون يدل علي ان المقصود للعاقل من منافع الدنيا ان
يتفرغ لاداء العبادات واقامة الطاعات فان ابراهيم عليه السلام بين انه انما طلب
تيسير المنافع علي اولاده الا لاجل ان يتفرغوا لاقامة الطاعات واداء الواجبات
ولما طلب عليه السلام من الله تعالي تيسير المنافع لاولاده وتسهيلها عليهم
ذكر انه لا يعلم عواقب الاحوال ونهاية الامور في المستقبل فانه تعالي هو العالم
بها والمحيط باسرارها فقال ربنا انك تعلم ما نخفي اي سرا وما نعلن وهذا
هو المطلوب الرابع والمعني انك اعلم باحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا فما قيل ما نخفي
من الوجد بسبب حصول الفرقة بيني وبين اسماعيل وما نعلن من البكا وقيل ما
نخفي من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يريد ما جري بينه وبين هاجر حين
قالت له عند الوداع الي من تكلنا قال الي الله الكلكم قالت الله امركم بهذا قالوا نعم قالت
اذا لا يضيعنا واختلفوا في قوله تعالي وما يخفي علي الله من شيء في الارض ولا في السما
فقيل من تتمة قول ابراهيم عليه السلام يعني وما يخفي علي الله الذي هو عالم
الغيب من شيء في اي مكان والاكثرون علي انه من قول الله تعالي تصديقا لابراهيم
فيما قال كقوله تعالي وكذلك يفعلون ولفظة من تفيد الاستغراق كانه قيل وما يخفي عليه

شيء ما ولما تم ابراهيم عليه السلام من دعائه اتبعه الحمد على ما رزقه من النعمة
بقوله تعالى الحمد لله اي المستجمع لصفات الكمال الذي وهب لي اي اعطاني على
الكبر اي وهب لي وانا كبير ايس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة مع
واظهارا لما فيه من المعجزة اسماعيل واسحاق ومقدار ذلك ليس غير معلوم من القرآن
وانما يرجع فيه الى الروايات فقال ابن عباس ولد اسماعيل لابراهيم وهو ابن تسع
وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة فان قيل ان ابراهيم
عليه السلام انما ذكر هذا الدعاء بعد ما اسكن اسماعيل وامه في ذلك الوادي وفي ذلك
الوقت ما ولد اسحاق فكيف يمكنه ان يقول ذلك اجيب بان هذا يقتضي ان ابراهيم
انما ذكر هذا الكلام في زمن متاخر لاعقب ما تقدم من الدعا قال الرازي ويمكن ايضا
ان يقال انه عليه السلام انما ذكر هذا الدعا بعد كبر اسماعيل وظهور اسحاق وان
كان ظاهر الروايات بخلافه انتهى تنبيه قوله على الكبر بمعنى مع كقوله ◦◦ ◦
اني على ما ترين من كبري ◦◦ اعلم من حيث توكل المتق ◦ ◦
وهو في موضع الحال وانما ذكر الدعاء على سبيل الرمز والتعريض لاعلى وجه الافصاح
والتصريح قال ان ربي اي المحسن الي لسميع الدعا اي لمجيبه فان قيل الله يسمع
كل دعا اجابه او لم يجبه اجيب بان هذا من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وقبله
ومنه سمع الله لمن حمده المطلوب الخامس من قوله رب اجعلني مقيم الصلاة اي معدلا
لها مواظبا عليها تنبيه في الاية دليل على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله
تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام يدل على
ان ترك المنهيات لا يحصل الا من الله تعالى وقوله رب اجعلني مقيم الصلاة يدل
على فعل المامورات لا يحصل الا من الله تعالى وذلك تصريح بان ابراهيم عليه السلام
كان مصرا على ان الكل من الله تعالى وقوله ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني
اي واجعل بعض ذريتي كذلك لان كلمة من في قوله ومن ذريتي للتبعيض لانه علم
باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته جمع من الكفار وذلك قوله تعالى لا ينال عهدي
الظالمين المطلوب السادس انه عليه السلام لما دعا الله تعالى في المطالب
المذكورة دعا الله تعالى في ان يقبل دعاه فقال ربنا وتقبل دعاي قال ابن
عباس يريد عبادتي بدليل قوله تعالى واعتزلكم وما تدعون من دون الله
وقيل دعاي المذكور المطلوب السابع قوله ربنا اي ايها المالك لامورنا المدبر لنا

اغفر لي

اغفر لي فان قيل ان طلب المغفرة انما يكون بعد سابقة ذنب اجيب بان المقصود
من ذلك الالتجا الى الله تعالى وقطع الطمع الا من فضله وكرمه ورحمته ثم اشركه
معه اقرب الناس اليه واحقهم بشكره فقال ولوالدي فان قيل كيف جاز ان يستغفر
لوالديه وكانا كافرين اجيب بوجوه الاول ان المنع منه لا يعلم الا بتوقيف فلعله لم
يجد منه منعا وظن كونه جائزا الثاني اراد بوالديه ادم وحوا الثالث كانت لكل
بشرط الاسلام وقال بعضهم كانت امه مومنة ولذلك خص اباه بالذكر في قوله
فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ثم دعا لمن تبعه في الدين من ذريته وغيرهم بقوله
وللمومنين اي الفريقين في هذا الوصف يوم يقوم اي يبدو ويظهر الحساب وقيل
اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند
السامع وهذا دعا للمومنين بالمغفرة والله تعالى لا يرد دعا خليله ابراهيم عليه
السلام وفيه بشارة عظيمة للمومنين بالمغفرة فسال الله تعالى ان يغفر لنا ولوالدينا
ولمشايخنا ولاحبابنا ولمن نظر في هذا التفسير ودعا لمن كان سببا فيه بالمغفرة
ولما بين تعالى دلائل التوحيد ثم حكى عن ابراهيم عليه السلام انه طلب من الله تعالى
ان يصونه عن الشرك وطلب منه ان يوفقه للاعمال الصالحة وان يخصه بالرحمة والمغفرة
في يوم بعوله تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل
الظالمون لان الغفلة معنى يمنع الانسان عن الوقوف على حقايق الامور وقيل
حقيقة الغفلة سهو يعتري الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى
محال والمقصود من ذلك التنبيه على انه ينتقم للمظلوم من الظالم ففيه وعيد وتهديد
للظالم واعلام له بانه لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا عنه وعن
سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فقد تعرض
وقال انما قاله من علمه فان قيل كيف يليق به صلى الله عليه وسلم ان يحسب الله موصوفا
بالغفلة وهو اعلم الناس به اجيب بوجوه الاول ان المراد به التنبيه على ما كان عليه
من انه لا يحسب الله غافلا كقوله لا تدع مع الله الها اخر والثاني ان المقصود منه بيان
انه لو لم ينتقم لكان عدم الانتقام لاجل تغفلته عن ذلك الظلم والثالث ان المراد ولا تحسبنه
معاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير
والرابع ان يكون هذا الكلام كان خطابا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر الا انه
يكون في الحقيقة خطابا مع الامة ثم بين تعالى انه انما يوخرهم اي عذابهم ليوم موصوف

بجنس صفات الصفة الاولى في قوله تعالى تشخص فيه الابصار اي ابصارهم
لانقر مكانها من هول ما ترى في ذلك اليوم الصفة الثانية قوله مهطعين اي مسرعين
الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا وقيل المهطع الخاضع
الذليل الساكت الصفة الثالثة قوله تعالى مقنعي رؤسهم اي رافعيها ذلا قناع
رفع الراس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم انهم رافعوا رؤسهم الى السما مخلوعين وهذا
بخلاف المعتاد لان من يتوقع البلا يطرق ببصره الى الارض وقال الحسن وجوه الناس
يوم القيامة الى السما لا ينظر احد الى احد والصفة الرابعة قوله تعالى لا يرتد اليهم
طرفهم اي بل تشبت عيونهم شاخصة لا يطرفون بعيونهم ولكن عيونهم مفتوحة
ممدودة من غير تحريك للاجفان قد شغلهم ما بين ايديهم الصفة الخامسة قوله تعالى
وافئدتهم اي قلوبهم هواء اي خالية من العقل لفرط الحيرة والدهشة وقال قتادة
خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج منه افواههم ولا تعود الى
اماكنها تنبيه اختلفوا في وقت حصول هذه الصفات فقيل انها عند المحاسبة
بدليل انه تعالى انما ذكر هذه الصفات عقب وصف ذلك بانه يوم يقوم الحساب وقيل
انها تحصل عندما يتميز فريق عن فريق فالسعداء يذهبون الى الجنة والاشقياء الى النار
وقيل يحصل عند اجابة الداعي والقيام من القبور قال الرازي والاول اولى وانذر
الناس يا محمد اي خوفهم يوم القيامة وهو قوله تعالى يوم يأتيهم العذاب اي
الذي تقدم ذكره وهو شخوص ابصارهم وكونهم مهطعين مقنعي رؤسهم فيقول
الذين ظلموا اي كفروا ربنا اخرنا اي بان تردنا الى الدنيا الى اجل قريب اي امد
واحد من الزمان قريب نجب دعوتك اي بالتوحيد ونتدارك ما فرطنا فيه ونتبع
الرسل فيما يدعوننا اليه فيقال لهم توبيخا اولم تكونوا اقسمتم اي حلفتم
من قبل وفي الدنيا ما لكم والكلام يعقوله من زوال اي ما لكم عن هذا القول والحالة
ولا منشور كما قال تعالى في اية اخرى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وكانوا يقولون لا زوال لنا من هذه الحياة هي حياة اخرى ومن هذه الدار الى دار
المجازات لانهم كانوا ينكرون ان يزولوا عن حياة الى موت او عن شباب او هرم او عن
غنى الى فقر ثم انه تعالى زادهم توبيخا اخر بقوله تعالى وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم بالكفر من الامم السابقة وتبين لكم كيف فعلنا بهم اي
وظهر لكم بما تشاهدون في منازلهم من اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم

وضربنا اي وبينا لكم الامثال في القرآن ان عاقبتهم عادت الى الوبال والحزن والنكال
مما يعلم به انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء او قادر على التعذيب المؤجل
كما يفعل الهلاك المعجل وذلك في كتاب الله تعالى كثير ولما ذكر تعالى صفة عقابهم اتبعه
بذكر كيفية مكرهم بقوله تعالى وقد مكروا مكرهم اي الشديد العظيم الذي استفرغوا
فيه جهدهم واختلفوا في عود الضمير في مكروا على وجوه الاول انه يعود الى الذين سكنوا
في مساكن الذين ظلموا انفسهم لان الضمير يعود الى اقرب مذكور والثاني الى قوم محمد
صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى وانذر الناس يا محمد وقد مكر قومك مكرهم وذلك
المكر هو الذي ذكره الله تعالى في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الى يثبتوك او يقتلوك او يخرجوك
وعند الله مكرهم اي ومكتوب عند الله فعلهم فهو مجازيهم عليه عكروا عظيمة وقيل
ان مكرهم لا يزيل امر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال وقد حكي
عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه في الاية قول اخر وهو انها نزلت في نمرود
الجبار الذي حاج ابراهيم في ربه فقال نمرود ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا اذن
اصعد الى السما فاعلم ما فيها ثم امر نمرود صاحبه فاتخذ لنفسه تابوتا وجعل له بابا
من اعلاه وبابا من اسفله وربط قوائمه الاربع باربعة نسور وكان قد جوعها
ورفع فوق الجوانب الاربع من التابوت عصيا اربعة وعلق على كل واحدة منها
قطعة لحم ثم انه جلس مع صاحبه في ذلك التابوت فلما ابصرت النسور تلك اللحوم تصاعدت
في جو الهوا فطارت يوما حتى بعدت في الهوا فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاسفل
وانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال اراي الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال
فطارت النسور يوما اخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال نمرود
لصاحبه افتح الباب الاعلى ففتح فاذا السما كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء
مظلمة وتوذي ايها الطاغي اين تريد قال لعكرمة كان في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب
فرمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بالدم يدم سمكة قذفت نفسها من بحر في الهوا وقيل
طار باصابه السهم فقال كفيت اله السما فنكس تلك العصي التي علق عليها اللحوم فنزلت
النسور وهبطت الى الارض فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت ان
قد حدث حدث في السماوات القيامة قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله تعالى
وان كان مكرهم اي من القوة والضخامة لتزول منه الجبال قال الرازي ولا حاجة في تاويل
الاية الى هذا فانه لم يجي فيه خبر صحيح معتمد انتهى والمراد بالجبال هنا قيل حقيقتها وقيل

مترايع الاسلام المشبهة بها في الغرار والثبات وقرا الكسائي بفتح اللام الاولى
ورفع الاخيرة والباقون بكسر الاولى وفتح الثانية والتقدير على القراءة الاولى
وان كان بحيث انه تزول منه وقيل ان نافية واللام لتاكيد النفي فلا تحسبن ايها
الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد امته مخلف وعده رسله منا النصر واعلاء
الكلمة واظهار الدين كما قال تعالى انا لننصر رسلنا وقال تعالى كتب الله لاغلبن
انا ورسلي فان قيل هلا قال مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول
اجيب بانه تعالى قدم ذلك ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله تعالى انا الله
لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليدل به على انه تعالى لعالم يخلف وعده احدا
وليس منه شائبة اخلاف المواعيد فكيف يخلق رسله الذين هم خيرته وصفوته
ان الله اي ذا الجلال والاكرام عزيز اي غالب يقدر ولا يقدر عليه ذو انتقام
اي عن عصاه وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض يبدل منه يوم
يا تيهم او ظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها
ارضا اخرى غير هذه المعروفة وقوله تعالى والسموات عطف على الارض
وتقديره والسموات غير السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقوله
بدلة الدرع دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين
وفي الاوصاف كقوله بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما ونقلها
من شكل الى شكل اخر ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
والاية محتملة لكل واحد من هذين المعنيين فعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما هي تلك الارض واما تغيرها فانشقاقها وتسييرها كثيب
وما الناس يا لناس الذي عاهدتهم ولا الدار يا الدار التي نتكلم
فتبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتستوي فلا ترى
منها عوجا ولا امتا وتبدل السماء بانتشار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف
قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة على ارض بيضاء عفر كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد اخرجاه
في الصحيحين العفر البياض المشربة وهي البيضاء الى حمرة ولهذا شبهها
بالقرصة النقي وهو الخبز الابيض الجيد الفائق المايل الى الحمرة وقوله ليس
فيها علم لاحد يعني ليس فيها علامة لاحد لتبديل هيئتها وصفتها وزوال الجبال

وجميع بنايها فلا يبقى فيها اثر يستدل به وعن ابن مسعود انه قال تبدل
الارض بارض كالفضة البيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها وقال علي
ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقال
محمد بن كعب وسعيد بن جبير تبدل الارض خبزة بيضاء ياكل المومن من
تحت قدميه وعن الضحاك ايضا من فضة كالصحايف وعن عايشة رضي الله
تعالى عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية فاين
تكون الناس يومييذ يا رسول الله فقال على الصراط اخرجه مسلم وروي
ثوبان ان حبرا من اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين تكون الناس
يوم تبدل الارض غير الارض قال هم في الظلمة دون الجسر قال الرازي واعلم
انه لا يبعد ان يقال المراد من تبديل الارض والسموات هو انه تعالى يجعل الارض
جهنم والسموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين
وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ويرزوا اي خرجوا من قبورهم
لله اي لحكمه والوقوف بين يديه تعالى للحساب الواحد اي الذي لا شريك له
القهار اي الذي لا يدافعه شيء عن مراده كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار وتاوصيف نفسه سبحانه وتعالى بكونه قهارا بين عجزهم وذلتهم بقوله
تعالى وترى يا محمد اي تبصر المجرمين اي الكافرين يومييذ اي يوم القيامة ثم
ذكر تعالى من صفات عجزهم وذلتهم امورا الصفة الاولى قوله تعالى مقرنين اي
مشدودين في الاصفاد جمع صفد وهو القيد قال الكلبي كل كافر مع شيطان في غل
وقال عطاء هو معنى قوله تعالى واذا النفوس زوجت اي قرنت فتقرن نفوس
المومنين بنفوس الحور العين ونفوس الكافرين بقرنايهم من الشياطين وقيل
هو قرن بعض الكفار ببعض فتضم تلك النفوس الشقية والارواح الكدرة الظلمانية
بعضها الى بعض لكونها متشاكلة متجانسة وتتادى ظلمة كل واحدة منها الى الاخرى
وقال ابن زيد قرنت ايديهم وارجلهم الى اعناقهم بالاغلال الصفة الثانية قوله
تعالى سرابيلهم اي قمصهم جمع سربال وهو القميص من قطران وهو شيء يتخذ
من شجر يسمى الابهل فيطبخ وتطلى به الابل الجرب فتحترق الجرب بحرارته وحدته
وقد تصل حرارته الى داخل الجوف ومن شانه ان يتسارع فيه اشتعال النار
وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يصير ذلك الطلاء كالسرابيل

فيحصل بسببها اربعة انواع من العذاب لدفع القطران وحرقته واسراع النار
في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح وايضا التفاوت بين قطران القيامة وقطران
الدنيا كالتفاوت بين النارين الصفة الثالثة قوله تعالى وتغشى اي تعلو وجوههم
النار ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب وقوله تعالى يوم يسحبون
في النار على وجوههم ولما كان موضع العلم والجهل هو القلب وموضع الفكر واللوم
هو الراس واثر هذه الاحوال تظهر في الوجه فلهذا خص الله تعالى هذين العضوين
بظهور اثار العقاب فيها فقال في القلب نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وقال
في الوجه وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ليجزي الله متعلق ببرز وكل نفس
ما كسبت ان الله سريع الحساب اي لا يشغله حساب نفس عن حساب اخرى ولا شان
عن شان وقوله تعالى هذا اشارة الى القرآن الذي يخرج الناس من الظلمات الى النور ونزل
منزلة الحاضر وقيل الى السورة بلاغ اي كفاية في الايصال للناس والموعظة
لهم وقوله تعالى ولينذروا به اي وليخوفوا به عطف على محذوف وذلك المحذوف
متعلق ببلاغ تقديره اي لينصحوا وليتذروا وقيل الواو مزيدة وليتذروا متعلق
ببلاغ وليعلموا اي بما فيه من الحجج على وحدانية الله تعالى انما هو اي الله اله واحد
فيستدلوا بذلك على ان الله واحد لا شريك له وليتذكر بادغام التاء في الاصل في الذال
اي يتعظ اولوا الالباب اي اصحاب العقول الصافية من الاكدار والافهام الصحيحة
فانه موعظة لمن انتفظ لتنبيه ذكر سبحانه وتعالى لهذا البلاغ ثلاث فوايد مستفادة
من قوله تعالى لينذروا به وتاليه والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس والكمال
القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هي التدرع
بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفايزين بها بمحمد واله وفعلة كل بوالدينا
واحبابنا وما رواه البيهقي وغيره من قرا سورة ابراهيم يعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعبدت لم
يعبد حديث موضوع قال العلامة بن جماعة في شرح منظومة ابن فرح التي اولها غراي
ما يجيء من غرايب الجويني يكفر واضع الحديث اي والمشهور عدم تكفيره

سورة الحجر مكية بالاجماع

وهي تسع وتسعون اية وستماية واربع وخمسون كلمة وعدد حروفها الفان
وسبعماية وستون حرفا بسم الله الملك الواحد القهار الرحمن الذي اسبغ فضله على سايل

بريته فجرت عن وصفه الافكار الرحيم الذي خص اهل ولايته بانجاتهم من النار
وقوله تعالى الر ذكر فيه الفتح والامالة اول يونس وقيل معناه انا الله اري وقد مضى
الكلام على اوايل السور في اول سورة البقرة وقوله تعالى تلك اشارة الى ايات
هذه السورة اي هذه الايات ايات الكتاب اي القران والاضافة بمعنى من
وقوله تعالى وقران مبين اي مظهر الحق من الباطل عطف بزيادة صفة وقيل
المراد بالكتاب هو السورة وكذا القران وقيل المراد بالكتاب التوراة والانجيل
وبالقران هذا الكتاب ثم بين سبحانه وتعالى حال الكفار يوم القيامة بقوله تعالى
ربما يود اي يتمنى الذين كفروا اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين في ذلك اليوم لو كانوا
مسلمين وقيل حين يعاينوا حال المسلمين عند نزول النصر وحلول الموت وربما
للتكثير فانه يكثر منهم تمنى ذلك وقيل للتقليل فان الاهوال تدهشهم فلا يفيقون
حتى يتمنوا ذلك الا في احيان قليلة فان قيل لم دخلت رب على المضارع وقد ابوا
دخولها الا على الماضي اجيب بان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي
المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود وقرا عاصم ونافع بالتخفيف بار بما
والباقون بالتشديد قال ابو حاتم اهل الحجاز يخففون ربما وقيس وبكر يثقلونها
وما عاد وائي طغيانهم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ذرهم اي دعهم عن اللهي
عن ما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وذرهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم
وتفنيد شهواتهم والتمتع التلذذ وهو طلب اللذة حالا بعد حال كالتقرب في انه
طلب القرب حالا بعد حال ويلههم الامل اي يشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة
الاحوال عن اخذ حظهم من السعادة وعن الاستعداد للمعاد وقرا ابو بكر وابن
الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي برفع الهاء والميم والباقون بكسر الهاء ورفع
الميم واما الوقف فالجميع بكسر الهاء والكلام على الهاء الثانية واما الهاء الاولى فمكسورة
للساكنين وقفا ووصلا وما كان هذا امر الا يشتغل به الاحمق تسبب عن التهديد
بقوله تعالى فسوف يعلمون اي ما يحل بهم يوم ما فسختالهم في زمن التمتع من
سوء صنيعهم وهذا مثل الامر بالوعيد لتنبيه في الاية دليل على ان ايثار التلذذ والتنعم
في الدنيا يودي الى طول الامل وليس ذلك من اخلاق المومنين وعد بعضهم التمتع في الدنيا
من اخلاق الهالكين والاخبار في ذم الامل كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم يهرم بن ادم
ويشب معه اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وعن علي رضي الله تعالى عنه انما

انما اخشى عليكم اثنتين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي الاخرة
واتباع الهوى يصد عن الحق وشاهدهم تعالى باية المنع والها الامل انتبعهما
يوكد الزجر بقوله تعالى وما اهلكنا من قرية اي من القرى واهل اهلها ومن
مزيدة الا ولها كتاب معلوم اي اجل مضروب محدود مكتوب في اللوح المحفوظ
لهلاكها تنبيه المستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو
كقوله تعالى الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف
كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب فايدة رسم كتاب هنا بالتاء
الالتزام بين تعالى الاية السابقة بقوله تعالى ما تسبق وكد الاستغراق بقوله لتاء
من امة وقيل من مزيدة كقوله ما جاءني من احد اي احد ويبعد ان المراد بالكتاب
الاجل بقوله تعالى اجلها اي الذي قدرناه لها وما يستاخرون اي عنه تنبيه
انث الامة اولا ثم ذكرها اخرا حملا على اللفظ في الاول وعلى المعنى في الثاني قال
البقاعي وانما ذكره ليلا يصرفوه الى خطابه صلى الله عليه وسلم تقدما وفي الاية
دليل على ان كل نسمات اوقتل فانما مات باجله وان من قال بجواز ان يموت قبل اجله
مخطي وبالغ تعالى في تهديد الكفار ذكر شبههم في انكار نبوته صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القرآن في زعمه انك لمجنون
انما نسبوه الى الجنون اما لانهم كانوا يستبعدون كونه رسولا حقا من عند الله لان
الرجل اذا سمع كلاما مستبعدا من غيره فربما قال به جنون واما لانه عليه الصلاة
والسلام كان يظهر عليه عند نزول الوحي حالة شبهة بالغشي فظنوا انها جنون
ويدل عليه قوله تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ثم انتبعوه ما زعموا انه
دليل على قولهم فقالوا لوما اي هلا تاتينا الملايكة اي يشهدون لك بانك رسول
من عند الله حقا ان كنت من الصادقين في دعاءك بالرسالة وان هذا القرآن
من عند الله وما كان في قولهم امر ان اجاب الله تعالى عن قولهم الثاني لانه اقرب بقوله
تعالى ما ننزل الملايكة الا بالحق اي الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة واحكمة في
ان اتيكم بهم عيانا تشاهدونهم ويشاهدون كلكم بصدق النبي صلى الله عليه
وسلم لانكم حينئذ مصدقون عند اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب وقراشعبة بفتح التا
مع فتح الزاي ورفع الملايكة وحفص وحمزة والكسائي بنونين الاولى مضمومة

والثانية مفتوحة وكسر الزاي ونصب الملايكة والباقون بالتا مفتوحة مع ضم
الزاي ورفع الملايكة وشدد التا البزي في الوصل واما الزاي فهي مشددة لجميع
من يفتح ومن يكسر وما كانوا اي الكفار اذا اي اذ تاتيهم الملايكة منظرين اي لزاعهم
الامهال وعدنوا في الحال ان لم يومنوا ويصدقوا وكان حينئذ يفوت ما قضينا به
من تاخيرهم واخراج من اراد ايمانه من اصلابهم ثم اجاب تعالى عن الاول بقوله تعالى
موكدا لتكذيبهم انا نحن بما لنا من العظمة والقدرة نزلنا اي بالتدريج على لسان
جبريل عليه السلام الذكر اي القرآن وانا له لحافظون اي من التبديل والتحريف
والزيادة والنقصان ونظيره قوله تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الاشياء كلها لا يقدر احد من جميع الخلق
من الجن والانس ان يزيد او ينقص منه كلمة واحدة او حرفا واحدا وهذا مختص
بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فانه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل
والزيادة والنقصان فان قيل فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد
وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله تعالى فلا حتوق عليه اجيب بان جمعهم القرآن
في المصحف كان من اسباب حفظ الله تعالى اياه فانه تعالى لما اراد حفظه فيضهم
لذلك قال اصحابنا وفي هذه الاية دلالة قوية على كون البسملة اية من اول كل سورة
لان الله تعالى قد وعد حفظ القرآن والحفظ لا معنى له الا ان يبقى مصونا من الزيادة
والنقصان فلو لم تكن البسملة اية من القرآن لما كان القرآن مصونا من التغيير ولما كان محفوظا
عن الزيادة ولو جاز ان يظن بالصحابة انهم زادوا جاز ايضا ان يظن بهم النقصان
وذلك يوجب خروج القرآن عن كونه حجة وقيل الضمير في له راجع الى النبي صلى الله عليه
وسلم والمعنى وانا لمحمد لحافظون ممن اراد به سوءا نحو قوله تعالى والله يعصمك من الناس
وما سمى الكفار عليه صلى الله عليه وسلم في الاول وخاطبوه بالسفاهة وقالوا انك لمجنون
وكان عادة هولا الجهال مع جميع الانبيا قال سبحانه وتعالى تسلية له على وجه يراد عليهم
ولقد ارسلنا من قبلك اي رسلا فحذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه وقوله تعالى
في شيع اي فرق الاولين من باب اضافة الصفة الى الموصوف كقوله تعالى حق اليقين
سموا شيعا لمتابعة بعضهم بعضا في الاحوال التي يجتمعون عليها في الزمن الواحد
والشيع جمع شيعة وهي الفرقة المجتمعة المتفقة كلمتهم على مذهب وطريقة وقال
الفرا الشيعة هم الاتباع وشيعة الرجل اتباعه وقيل الشيعة من يقتوي بهم الانسان

والثانية مفتوحة

وما يأتيهم عبر بالمضارع على حكاية الحال الماضية ان ما لا تدخل على مضارع
الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال والاصل
وما كانوا يأتيهم من رسول اي على اي وجه كان الا كاموا به جبلة
وطبعا يستهزؤن كما استهزأ قومك فتصبر وا فاصبر كما صبروا كذلك
اي مثل ذلك السلك نسلكه التكذيب في قلوب هؤلاء المستهزئين لا يؤمنون
به اي بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن وفي الاية دليل
على ان الله تعالى يخلق الباطل في قلوب الكفار والسلك ادخال
الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون ومنه
قوله تعالى ما سلككم في سقر وقيل الضميران نسلكه يعود للذكر
كما ان الضميرين به يعود اليه وجملة لا يؤمنون به حال من ذلك
به الضمير والمبين على هذا مثل ذلك السلك نسلك الذكر بين قلوب
المجرمين مكذبا غير مؤمن به حال البيضاوي وبه وهذا الاسناد لا يتبين
اذ لا يلزم من تقارن الضميرين توافقهما في المرجوع اليه انتهى وما عدة
الضمير عليه في ذلك هو ما قاله ابن الحارث وحربي عليه الجلال السيوطي
وقوله تعالى وقد خلت سنة الاولين اي سنة الله فيهم من تعذيبهم
بتكذيبهم انبياءهم وعيد شديد للكفار مكة بانه ينزل بهم مثل
ما نزل بالامم الماضية المكذبة وقال الزجاج قد مضت سنة الله في
ان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم قال الرازي وهذا اليق بظاهر
اللفظ وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بادغام ياء الثنائيث في السين
والباقون بالاظهار وقوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السما
الاية هو المراد في سورة الانعام في قوله تعالى ولو نزلنا عليكم
كتابا في قرطاس الاية اي انهم الذين يقولون لو ما انتينا بالملائكة
فلو انزلنا الملائكة فظلوا فيه اي فظلت الملائكة يعرجون اي
يصعدون في الباب وهم يرونها عيانا لقالوا انما سكرت
في الكفر انما سكرت ابصارنا اي سدت حتى لا ابصار بالسحر ومن
السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او جبرت من السكر
ويدل عليه قراءة ابن كثير الباقين بالتشديد بل نحن قوم مسحورون

اي قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات كانشقاق القمر
وما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن
والانس ان يأتوا بمثله وقيل الضمير في يعرجون للمشركين اي فظل المشركون
يصعدون في ذلك الباب فينظرون في ملكوت السموات وما فيها من العجايب لما
علموا ما هو العناد هم وكفرهم وقالوا انما سحرنا وقرأ الكسائي بادغام لام
بل في النون والباقون بالاظهار ولما اجاب الله تعالى عن شبهة منكري النبوة
والقول بالنبوة مفرع على القول بالتوحيد ودلايل التوحيد منها سماوية
ومنها ارضية بدأ منها بذكر الدلايل السماوية فقال معتمدا بحرف التوقع ولقد
جعلنا بما لنا من القدرة العظمة والقدرة الباهرة في السما بروجا قال الليث البروج
واحدها يرج منه بروج الفلك والبروج هي النجوم الكبار ماخوذة من الظهور
يقال تبرجت المرأة اذا اظهرت وزينتها والمنازل التي تنزلها الشمس والقمر والكواكب
السيارة وهي اثنا عشر برجا الحمل • والثور • والجوزاء • والسرطان • والاسد
والسنبلة والميزان • والعقرب • والقوس • والجدي • والدلو الحوت • وهي منازل
الكواكب السبعة السيارة المريخ وله الحمل والعقرب • والزهرة ولها الثور والميزان
وعطارد ولها الجوزاء والسنبلة • والقمر وله السرطان • والشمس ولها الاسد •
والمشتري وله القوس • والجدي ورجل وله الجدي والدلو وهذه البروج مقسومة
على الله ثلاثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في
كل سنة مرة وبها تتم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن
عباس في هذه الاية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازل لهما وقال عطية هي
قصور في السما عليها الحرس وقال مجاهد هي النجوم العظام قال ابو اسحاق يريد
نجوم هذه البروج وقرانها فيها وبين كثير وبين ذكرا وعاصم باظهار الذال عند الظا
والباقون بالادغام وزيناها اي السما بالشمس والقمر والنجوم والاشكال والهيات
البهية للناظرين اي المعتبرين المستدلين لها على توحيد خالقها ومبدعها وهو الله
الذي اوجد كل شيء وخلقه وصوره وحفظناها من كل شيطان رجيم اي مرجوم
وقيل ملعون قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها
ويسمعون اخبار الغيوب من الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام
منعوا من ثلاث سموات وقيل ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها فاما

من احد يريد استراق السمع الارمي بشهاب فلما صفوا تلك المقاعد ذكروا ذلك
لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث فبعثهم يتطرون فوجدوا رسول
الله صلي الله عليه وسلم يتلو القران فقالوا والله هذا حدث وقوله تعالي الا من
استرق السمع بدل من كل شيطان رجيم وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من استرق
السمع واستراق السمع اختلاسه قال ابن عباس يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان الشياطين
يركب بعضهم بعضا الي سماء الدنيا يستر قون السمع من الملايكة فيرمون بالكواكب كما قال
تعالي فاتبعه شهاب مبين وهو شعلة من نار ساطعة وقد تطلق للكواكب ايضا فينام
من البريق يقع يشبه شهاب النار فلا يخطي فمنهم من يقتله ومنهم من يحرقه
وجنبه ويده حيث شاء الله ومنهم من يجعله فيصير عقلا فيضل الناس في البوادي
روي ابوهريرة رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا قضي
الامر في السماء ضربت الملايكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة علي صفوان فاذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع
ومسترق السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه
فيسمع الكلمة فيلقيها الي من تحته ثم يلقيها الاخر الي من تحته حتي يلقيها الي لسان الساحر
او الكاهن وربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها
مايه كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا انه يصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السما
فان قيل اذا جاز ان يسمع الشياطين اخبار الغيوب من الملايكة خرج الاخبار عن الغيبية
عن كونه معجزا ليدل علي الصدق لان كل غيب يخبر عنه النبي صلي الله عليه وسلم
قام فيه الاحتمال وحينئذ يخرج عن كونه معجزا ليدل علي الصدق اجيب بانا اثبتنا
كون محمد صلي الله عليه وسلم رسولا بسائر المعجزات ثم بعد العلم بنبوته نقطع بان الله
تعالي يعجز الشياطين عن تلقف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الاخبار عن
الغيب معجزا ولما شرح الله تعالي الدلايل السماوية في تقرير التوحيد اتبعها بذكر
الدلايل الارضية وهي انواع النوع الاول قوله تعالي والارض مددناها قال ابن
عباس بسطناها علي وجه الماء قال البغوي يقال انها مسيرة خمسمائة سنة
في مثلها حيث منه تحت الكعبة فان قيل هل يدل ذلك علي انها بسيطة او كرة عظيمة
علي مايقوله اصحاب الهيئة اجيب بان ليس في الاية دلالة علي شيء من ذلك لان
الارض علي تقدير كونها كرة فهي في غاية العظمة والكرة العظيمة ترى كالسطح المستوي

وتقدم الكلام

وتقدم الكلام علي ذلك في سورة البقرة وسيأتي زيادة علي ذلك ان شاء الله
تعالي في سورة والنازعات النوع الثاني قوله تعالي والقينا فيها رواسي
اي جبالا ثوابت واحدها راسي والجمع راسية وجمع الجمع رواسي وهو كقوله
تعالي والقي في الارض رواسي ان تميد بكم قال ابن عباس لما بسط الله الارض
مالت باهلها كالسفينة فارساها الله تعالي بالجبال المثقال لكيلا تميد باهلها
وقيل ان الله تعالي خلقها لتكون دلالة للناس علي طرق الارض وهو يحيي لانها
كالاعلام فلا تميل الناس عن الجادة المستقيمة ولا يقعون في الضلال النوع
الثالث قوله تعالي وانبتنا فيها واختلف في عود ضمير فيها فقيل يعود الي الارض
لان انواع النبات المنتفع به يكون في الارض وقيل الي الجبال لانها اقرب مذكور
ولقوله تعالي من كل شيء موزون واغا يوزن ما ينبت من الجبال والاولي
عوده لهما واختلفوا في المراد بالموزون فقال ابن عباس اي معلوم وقال مجاهد
اي بمقدار معين تقتضيه حكمته وقال الحسن اعني به الشيء الموزون مثل الذهب
والفضة والرصاص والحديد ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن والاولي انه جميع
ما ينبت في الارض والجبال لان ذلك نوعان احدهما يستخرج منه المعادن وجميع
ذلك موزون والثاني النبات فبعضه موزون بالكيل وهو ترجع الي الوزن لان
الصاع والمد مقدار ان بالوزن وجعلنا لكم فيها اي انقاما منا وتفضلا عليكم معايش
وهي جمع صريحة من غير مد جمع معيشة وهي ما يعيش به الانسان مدة
حياته في الدنيا من المطاعم والملابس والمعادات وغيرها وجعلنا لكم منها لستم
له برازقين من العبيد والاغنام والدواب والطير فانكم تتنفعون بها ولستم
لها برازقين لان رزق جميع الخلق علي الله تعالي وبعض الجهلا يظنون في اكثر الامر
انهم هم الذين يرزقون العباد والخدم والعبيد وذلك فان الله هو الوزاق يرزق
المخدوم والخادم والمملوك والمالك لانه تعالي خلق الاطعمة والاشربة واعطي
القوة الغاذية والهاضمة والالم يحصل لاحد رزق فان قيل صفة من تختصه بمن
يقبل اجيب بانه تعالي اثبت لجميع الدواب الرزق علي الله حيث وعد في الاية
الاعلي الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها فقسمين يقبل علي غيره وحكي ان الماقد
قل بعض الادوية والجبال واشتد الحر فاذا بعضهم راية بعض تلك الوحوش رفعت راسها الي
السماء من اشتداد عطشها قال في اية النبوم قد اقبلت وامطرت واخضرت الارض

تنبيه قيل لا يجوز ان يكون ومن لستم له برازقين بجرور اعطفا على الضمير المجرور
لا يقال اخذت منك وزيد لانا نعيده الخافض كما في قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم ومنك ومن نوح والراجح الجواز كما قرئ قوله تعالى تساءلون به والارحام
بالخفض في القرات السبع وهذا اعظم دليل وما بين سبحانه وتعالى انه اثبت لهم
كل شيء موزون وجعل لهم معايش اشعر بذكر ما هو السبب لذلك فقال تعالى
وان اي وما من شيء اي مما ذكر وغيره من الاشياء الممكنة وهي لا تتناهي لها الا
عندنا خزائنه اي قادرون على ايجاده وتكوينه اختلاق ما وجد منه فضرب الخزائن
مثلا لاقتداره على كل مقدور وروي جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال في
العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر والخزائن جمع خزانة وهي اسم المكان
الذي يخزن فيه للحفظ وقيل المراد منها نفس الخزائن وقيل المطر لانه سبب الارزاق
لبني آدم والوحش والطير والدواب ومعنى عندنا اي في حكمه تعالى وتصرفه
وامره وتدبيره وما ننزله منها ينتفع العقرة الا بقدر معلوم اي على حسب المصالح
وقيل ان لكل ارض حدا ومقدارا من المطر يقال لا ينزل منه السماء قطرة مطر الا
ومعها ملك يسوقها الى حيث يشاء الله ولما تم ما اراد منها بقي السماء والارض وحفظه
يشمول قدرته لكل شيء اتبعه ما ينشأ عنها مما هو عينها مما هو مودع في خزائن قدرته
بقوله تعالى وارسلنا الرياح جمع ريح وهو جسم لطيف مميت في الحس سريع الحركة
لواقح اي حوامل لانها تحمل الماء الى السحاب فهي لاقحة يقال ناقة لاقحة اذا حملت الولد
وقال ابن مسعود يرسل الله الريح فتحمل الماء فتحمله في السحاب ثم تمريه فتمطره كما تدرم
اللقحة ثم تمطر فقال عبيد بن عمير يبعث الله تعالى الريح المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث
الله المولفة فتولف السحاب بعضه الى بعض فتجعله ركاما ثم يبعث الله اللواقح
تلقح الشجر وعن ابن عباس قال ما هبت ريح قط الا جثى النبي صلى الله عليه وسلم
على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها ريحا وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسئلك
خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر
ما ارسلت به وقرا حمزة بالافراد والباقون بالجمع فانزلنا اي بعظمتنا بسبب تلك
السحاب التي حملتها الريح من السماء اي الحقيقية او جهتها او السحاب لان
الاسباب المتراقية تسد الشيء تارة الى القريب منها وتارة الى البعيد ما وهو جسم

ما يمكن سيلان به حياة كل حيوان من مشابهة الاعتذاء فاسقيناكموه اي جعلناه لكم
سقيا يقال سقيته ما يشربه واسقيته اي مكنته منه ليسقي ما شيته ومنه
يريد ونفي سبحانه وتعالى عن غيره ما اثبته اولا لنفسه بقوله تعالى وما انتم
له اي لذلك الماء بخازنين اي ليست خزائنه بايديكم والخزن وضع الشيء في مكانه
رهيا للحفظ فثبت ان القادر عليه واحد مختار ومن دلايل التوحيد الاحياء
والاماتة كما قال تعالى وانا لنحن نحيي اي لنا هذه الصفة على وجه العظمة فنحيي
بهائم نشأتها الحيوان بروح البدن ومن الروح بالمعارف ومن النبات بالنمو وان
كان لحدها حقيقة والاخر مجاز الان الجمع جايز وعبيت اي لنا هذه الصفة فنميز
بهائم عظمتنا ما نشاء ونحن الوارثون اي الارث التام اذ اماتة الخلايق الباقون
بعد كل شيء كما كنا ولا شيء فليس لاحد تصرف بامانة ولا احياء فثبت بذلك الوحدانية
والفعل بالاختيار فلما ثبت بهذا كمال قدرته وكانت اثار القدرة لا تكون محكمة الا
بالعلم قال تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم وهو من قضينا بموته اولا من اراد
ادم فيكون في موته كانه يسارع الى التقدم اليه وان كان هو وكل من اهله مجتمعا بالهلاك
في تاخيره ولقد علمنا المستاخرين اي الذين نمد في اعمارهم فنوخر موتهم
حتى يكونوا كانهم يسابقون الى ذلك وان عالجوا الموت بشرب سم او نحوه او عالجه
لهم غيرهم بضروبهم بسيف او غيره نفرق من ذلك قطعا ان الفاعل واحد مختار
وقال ابن عباس المراد بالمستقدمين الاموات وبالمستاخرين الاحياء وقال عكرمة هو
المستقدمين من خلق الله والمستاخرين من لم يخلق وقال الحسن للمستقدمين
في الطاعة والخير والمستاخرين المستطيعون عنه وقيل المستقدمين من القرون
الاولى والمستاخرين امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المستقدمين في الصفوف والمتاخرين
فيها وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقتتن خلف الرجال فرجالات في الرجال منه قلبه
ريبة فيتاخر الجاخر صف الرجال ومنه الساءة في قلبها ريبة فتتقدم الى اول صف
النساء القرب من الرجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها
وشرها اخرها وخير صفوف النساء اخرها وشرها اولها تنبيه في سبب نزول هذه الاية
قولان احدهما ان امراة حسناء كانت تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم فكان بعضهم
يستقدم حتى يكون في اول صف حتى لا يراها ويتاخر بعضهم حتى يكون في اخر صف
فاذا ركع نظر من تحت ابطه فنزلت والثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم حض على الصف الاول

فارفضوا عليه وقالوا قوم بيوتهم قاصية عن المسجد لنبيعت دورنا ولنشتريت دورا
قريبة من المسجد حتى نذركما الصف المقدم فنزلت واذ ربك هو يحشرهم اي المستقدمين
والمستاخرين للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم
لاغيره وتصدير الجملة بان لتحقق الوعد والتنبيه على ان ما سبق منا دلالة على
كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم
اي باهر الحكمة متقن في افعاله عليم اي واسع علمه كل شيء ولما استدل سبحانه
وتعالى بتخليق الحيوانات على صحة التوحيد في الاية المتقدمة اردفه بالاستدلال
على هذا المطلوب بقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان قال الرازي والمفسرون اجمعوا
على ان المراد منه ادم عليه السلام ونقل في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قال
قد انقضى قبل ادم الذي هو ابونا الف الف ادم اوا كثر سمي انسانا لظهوره وادراكه
البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي منه صلصال اي من الطين اليابس
اليابس الذي لم تصبه نار اذا تفتته سمعت له صلصلة اي صوتا وقال ابن عباس
هو الطين اذا انصب عليه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن
واختاره الكسائي وقال الفراء هو طين خلط برمل فصار له صوت عند نقره وقال
الرازي قال المفسرون خلق الله تعالى ادم من طين فصوره وتركه في الشمس اربعين
سنة فصار صلصالا لا يدري احد ما يراد به ولم يرد اشياء من الصور يشبهه الا انه لم
فيه الروح من حما اي طين اسود منتن مسنون اي مصور بصورة الادمي وقال
ابن عباس هو التراب المبتل المنتن وقال مجاهد هو المنتن المتغير وقال البغوي وفي
بعض الاثار ان الله تعالى خمر طينة ادم وتركه حتى صار متغيرا اسود ثم خلق منه ادم
عليه السلام قال الخازن والجمع بين هذه الاقوال على ما ذكره بعضهم ان الله تعالى لما
اراد خلق ادم عليه السلام قبض قبضة من تراب الارض واليه الاشارة بقوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء وجعله طينا اسود
نتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله تعالى من حما مسنون ثم ان ذلك الطين الاسود
المتغير صوره كصورة انسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخل فيه الريح فيسمع له صلصلة
واليه الاشارة بقوله تعالى من صلصال كالفخار وهو الطين اليابس يفخر في الشمس
ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا ولما ذكر سبحانه وتعالى خلق الانسان ذكر ما خلقه قبله
الجان فقال تعالى والجان قال ابن عباس هو ابو الجن كما ان ادم عليه السلام ابو البشر وابليس

ابو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويشربون ويأكلون ويحيون ويموتون كبني
ادم واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس وقال وهب ان
من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن من هو عند الريح
لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين قال ابن الخازن والاصح ان الشياطين
نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار بسواجن التواريهم واستتارهم عن الاعين منه
قولهم جن الليل اذا استتر والشيطان هو العاتي المتمرد الكافر والجن منهم المومن
ومنهم الكافر وانتصاب الجان بفعل يفسره خلقناه من قبل اي قبل خلق الانسان
من نار السموم اي من ريح حارة تدخل مسام الانسان فتقتله من قوة حرارتها قال
الرازي فالريح الحارة فيها نار وربما فيح كما ورد في الخبر انها من فيح جهنم انتهى
ويقال السموم بالنهار والحرور بالليل وقال الكلبي عن ابي صالح السموم نار لا دخان
لها والصواعق تكون منها وهي فار تكون بين السماء وبين الحجاب فاذا احدث الله تعالى
امرا خرقت الحجاب فهوت الى ما امرت به فالهوت التي تسمون خرق ذلك الحجاب وعن
ابن عباس هذا السموم جزء ومن سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان وتلى هذه
الاية وعن الضحاك عن ابن عباس كان ابليس من حي من الملايكة يقال لهم الجن
خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار واما الملايكة
فخلقوا من النور وما ذكر الله تعالى حدوث الانسان الاول واستدل بذكره على وجود
الاله القادر المختار ذكر بعده وافقته بقوله تعالى واذ اي واذكر يا اشرف الخلق
قول ربك عز وجل اذ قال ربك اي المحسن اليك بتشريفك للملايكة اني خالق
بشرا اي حيوانا كثيفا يباشر ويلاقي والملايكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم
عن ايشار البشرة والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان وقوله تعالى من صلصال
من حما مسنون تقدم تفسيره فاذا سويته اي عدلته واتممته وهيأته لنفخ الروح
فيه من النفل ونفخت فيه من روحي اي خلقت الحياة فيه وليس ثم نفخ ولا منفوخ
وانما هو تمثيل واضاف الروح اليه تشريفا كما يقال لبيت الله وهو ما يصير به
العالم عالما حاشا وسيأتي الكلام على الروح ان شاء الله تعالى في سورة سبحان
عند قوله ويسئلونك عن الروح فقعوا اي اسقطوا له تعظيما لحال كونهم
ساجدين وتقدم في سورة البقرة الكلام على من المخاطب بالسجود وهل هو
كل الملايكة او ملايكة السموات او ملايكة الارض وهل هو سجود انحناء او غيره فليعد

الملايكة وقوله تعالى كلهم اجمعون قال سيبويه تاكيد بعد تاكيد وسيل المبرد عن ذلك فقال لو قال فسجد الملايكة احتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر انهم باسرهم سجدوا ثم عند هذا بقي احتمال وهو انهم سجدوا دفعة واحدة او سجد كل واحد في وقت اخر فلما قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة قال الزجاج وقال سيبويه اجود لان اجمعين معرفة فلا يكون حالا وقوله تعالى الا ابليس اجمعوا على ان ابليس كان مامورا بالسجود لادم واختلفوا في انه هل كان من الملايكة ام لا وقد سبقت هذه المسئلة على الاستقصا في سورة البقرة وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين اي لادم استيناف وتقديره ان قايلا قال اهل سجد فقيل ابى ذلك واستكبر عنه قال الله تعالى له يا ابليس مالك ان لا تكون اي ان تكون ولا مزيدة اي ما منعك ان تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن اسجد لبشر جيء باني كثيق واللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد وانا ملكي روحاني لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو احسن الصناعير وخلقتني من نار وهي اشرف منها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف تنبيه قال بعض المتكلمين انه تعالى اوصل هذا الخطاب الى ابليس على لسان بعض رسله وضعف لان ابليس قال في الجواب لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال فقوله خلقته خطاب الحضور لا خطاب الغيبة وظاهره ان الله تعالى تكلم مع ابليس بغير واسطة وان ابليس تكلم مع الله بغير واسطة فكيف يعقل هذا مع ان مكالمة الله بغير واسطة تنافي المناصب والطرف شرف المراتب فكيف يعقل حصوله لراس الكفرة ورييسهم وجيب بان مكالمة الله تعالى انما تكون منصبا عاليا اذا كانت على سبيل الاكرام والاعظام واما اذا كانت على سبيل الاهانة والاذلال فلا قال الله تعالى له فاخرج منها اي من الجنة وقيل من السموات وقيل من زمرة الملايكة وقد تقدم الكلام على ذلك ايضا في سورة الاعراف فانك رجيم اي مطرود ممنوع الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة اي هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين قال ابن عباس يريد يوم الجزا حيث يجازى العباد باعمالهم مثل قوله تعالى مالك يوم الدين فان قيل كلمة الى تفيد حصر انتهاء الغاية فهذا يفيد بان اللعن لا يحصل الا الى يوم الدين وعند القيامة يزول اللعن اجيب بجوابين الاول

ان المراد من التابيد وذكر القيامة ابعد غاية ذكرها الناس في كلامهم كقولهم ما دامت السموات والارض في التابيد والثاني انه مذموم مدعو عليه باللعن في السموات والارض الى يوم القيامة من غير ان يعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذب عذابا يفترق اللعن عنده فيه اللعن حينيذ كالزايل بسبب ان شدة العذاب تذهل عنه ولما جعله الله تعالى رجيما ملعونا الى يوم القيامة فكانه قايلا يقول لماذا قال فقيل قال رب فاعترف بالعبودية والاحسان اليه فانظرني اي اخرني والانظار تاخير المحتاج للنظر في امره والفا متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اي الناس او الذين نسمة في الاجزا وبخافة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث قال الله تعالى مجيبا للاول دون الثاني بقوله تعالى فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وهو المسمى فيه اجلك عند الله تعالى وهو النفخة الاولى وما يتبعها من موت كل مخلوق لم يكن في دار الخلد فان قيل كيف اجابه الله تعالى الى ذلك الامها لا جيب بانه انما اجابه لما تضمن زيادة في بلايه بشقايه وعذابه لا لاكرامه ورفع مرتبته والمجيب لذلك كانه قيل فماذا قال فقيل قال رب اي ايها الموجد والمدبر لي وقوله بما اغويتني اي خيبتني من رحمتك الباقية للقسم وما مصدرية وجواب القسم لازينن اي اقسم باغوايك اياي لازينن لهم في الارض جميع الدنيا ومعاصيك كقوله تعالى لازين لهم ما كانوا يعملون اي لاحسنن لهم اقسم بعزة الله وهي من صفات الذات وهنا اقسم باغوا الله وهي من صفات الافعال والفقها قالوا القسم بصفات الذات صحيح واختلفوا في القسم بصفات الافعال والراجح فيها الصحة ولاغوينهم اي بالاضلال عن الطريق الحميدة بالقا الوسوسة في قلوبهم والاحمزنهم اجمعين على الغواية وقوله الا عبادك منهم المخلصين قراها بن كثير كثير وابو عمرو وبن عامر بكسر اللام اي الذين اخلصوا دينك عن الشوايب وقراها الباقون بفتحها اي الذين اخلصهم الله تعالى بالهداية وانما استثنى ابليس المخلصين لانه علم انه كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه قال الرازي والذي حمله على هذا الاستثنا انه لا يصير كاذبا في دعواه فلما احترز ابليس عن الكذب علمنا ان الكذب في غاية الخساسة تنبيه قال روي الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عنه عوضا من الدارين ولا عوضا من الملكين وقال الجنيد الاخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله وذكر العشر هي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سالت جبريل عليه السلام عن الاخلاص ما هو قال سر استودعته قلب من احب من عبادي ولما ذكر ابليس انه يغوي بني ادم الا من عصمه الله بتوفيقه

وتضمن هذا الكلام تفويض الامور الى الله تعالى والى ارادته قال تعالى هذا اي الذي
ذكرته من حال المستثنى والمستثنى منه صراط اي طريق علي مستقيم اي لا انحرف عنه
لاني قضيت به وحكمت به عليك وعليهم ولو لم تقل انت وما قال ابليس لانبذلهم في الارض
ولاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اوهم هذا ان له سلطانا علي عباد الله
غير المخلصين فبين تعالى كذبه انه ليس له سلطان علي احد من عبيد الله سواء كانوا
مخلصين ام لم يكونوا مخلصين بل ومن اتبع منهم ابليس باختياره حاصرتباعه ولكن
تلك المتابعات ايضا ليس له علي احد لاجل ابليس واوهم ان له علي عباد الله سلطانا
فبين تعالى كذبه وذكر تعالى انه ليس لعدو علي احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا بقوله تعالى
ان عبادي اي المؤمنين كلام ليس لك اي بوجه من الوجوه عليهم سلطان اي لترجع كلهم
عما يرضيني ونظير هذه الاية قوله تعالى حكاية عن ابليس وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقال تعالى في اية اخرى ليس له سلطان علي الذين امنوا وعلى ربهم
يتوكلون انما سلطانه علي الذين يتولونه والذين هم به مشركون الا من اتبعك اي بتعمدك
ورغبة في اتباعك من الغاوين اي وماث من غير توبة فاني جعلت لك عليهم سلطانا تلقيهم
في ذنب يضيق عنه عفوي وقيل ان الاضافة للتشريف فلا تشمل الا المخلص فحينئذ يكون
الاستثناء منقطعا وفائدة سوقه بصورة الاستثناء علي تقدير الانقطاع التوغيب
في رتبة التشريف بالاضافة اليه والرجوع عن اتباع العدو والى الاقبال عليه لان
ذوي الانفس الابية والهمم العلية ينافسون في ذلك المقام ويرونه كما هو الحق اعلى مراتب
وانجهنم لموعدهم اي الغاوين وهم ابليس ومن تبعه اجمعين ثم بين تعالى انهم متفاوتون
فيها بقوله تعالى لها اي لجهنم سبعة ابواب اي سبع طبقات قال علي رضي الله تعالى عنه
اتدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع احدي يديه علي الاخري اي سبعة ابواب بعضها
فوق بعض وان الله تعالى وضع الجنان علي العرض ووضع النيران بعضها علي بعض قال
ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظي ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم
ثم الهاوية تنبيه تخصيص العدد لان اهلها سبع فرق وقيل جعلت سبعة علي وفق الاعضاء
السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيات
فكانت مواردها الابواب السبعة والجنان هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية
والنية من اعمال القلب فزادة الاعضاء واحدا فجعلت ابواب الجنان ثمانية قال تعالى لكل باب
اي منها منهم اي الغاوين خاصة لايشاركهم فيها مخلص جزء اي نصيب وقرأ شعبة بضم الزاي

والباقون بالكسر مقسوم اي معلوم ولكل دركة قوم يسكنونها قال الضحاك في الدركة
الاولي اهل التوحيد الذين ادخلوا النار بعد ما يقدر ذنوبهم ثم يخرجون وفي الثانية
النصاري وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابيون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة
اهل الشرك وفي السابعة المنافقون وذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل
من النار وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف علي امتي او قال علي امة محمد وللشرح تقال الطول
اهل العقاب اتبعه بصفة اهل الثواب بقوله تعالى مؤكدا لانكار المكذبين بالبعث ان
المتقين اي الذين اتقوا الشرك بالله سبحانه وتعالى كما قال جمهور الصحابة والتابعين
وهو الصحيح لان المتقي هو الاتي بالتقوي مرة واحدة كما ان الضارب هو الاتي بالضرب
مرة واحدة والقاتل هو الاتي بالقتل مرة واحدة فكما انه ليس من شرط صدق الوصف
صاربا او قاتلا كونه اتيا بجميع انواع الضرب والقتل ليس من شرط صدق الوصف
بكونه متقيا كونه اتيا بجميع انواع التقوي لان الاتي بفرد واحد من افراد التقوي يكون
اتيا بالتقوي لان كل فرد من افراد الماهية يجب كونه مشتملا علي تلك الماهية في جنات
اي بساتين قال الزاري اما الجنات فاربعة لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
ثم قال ومن دونهما جنتان فيكون المجموع اربعة وقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان يوكد
ما قلناه لان من امن بالله لاينفك قلبه من الخوف من الله تعالى وقوله ولمن خاف يكفي في
صدقه حصول هذا الخوف مرة واحدة وقوله تعالى وعيون قال الزاري يحتمل ان يكون
منها ما ذكره الله تعالى في قوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن وانهار من
لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفي ويحتمل ان يكون المراد
من هذه العيون منافع مغايرة لتلك الانهار فان قيل هل كل واحد من المتقين مختص بعيون
او تجري تلك العيون بعضها الي بعض اجيب بان كلا الوجهين محتمل فيجوز ان يختص
كل احد بعين ينتفع هو بها ومن يختص به من الحور والولدان ويكون علي ذلك قدر حاجاتهم
وعلي حسب شهواتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الي بعض لانهم يطهرون من الحقد والحسد
وقرأ نافع وابو عمرو وهشام وحفص برفع العين والباقون بالكسر وقرأ بكسر التنوين
في الوصل ابو عمرو وابن ذكوان وعاصم وحمزة والباقون بالضم والمكان المنزل لايحسن الا بالالف
والالف قال تعالى ادخلوها اي يقال لهم فلك بسلام اي سالمين من كل افة موحبا بكم امنين
من ذلك دايما والمكان لانس لايكمل الا بالجنس مع كمال المودة وصفا القلوب عن الكدر قال تعالى

ونزعنا اي بما لنا من العظمة والقدرة ما في صدورهم من غل اي حقد كامن في القلب
ويطلق على الشحناء والعداوة والحسد والبغضاء فكل هذه الخصال المذمومة خطة
في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المومنين يحبسون على باب الجنة فيقتص بعضهم
بعضا ثم يومر بهم الى الجنة وقد نقي قلوبهم من الغل والحقد والحسد حالة كونهم اخوانا
اي متصافيين حالة كونهم على سرر جمع سرير وهو مجلس مرفع موطنا للسرور وهو
ماخوذ منه لانه مجلس سرور قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد على سرر مذهب
مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين صنعا الى الحابية متقابلين لا ينظر
بعضهم قفا بعض فان التقابل التواجه وهو ينقيض التدابر ولا شك ان المواجهة اثبت
الاحوال وعن مجاهد رضي الله تعالى عنه تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في وجهه
احوالهم متقابلين تنبيه ليس المراد الاخوة في النسب بل المراد الاخوة في المودة والمخالطة
كما قال تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وعن الجنيد رضي الله تعالى
عنه انه قال ما طال الاجتماع مع الاصحاب وما مر الاجتماع مع الاضداد وقوله تعالى لا يمسهم
فيها نصب اي اعياء وتعب وجهد ومشقة استيناف او حال بعد حال او حالة الخبر وقيل
وقوله تعالى ومنها بمخرجين المراد به كونه خلودا بلا زوال وتقابلا فنا وكمالا بلا انتقاص وفوزا
بلا حرمان ولما ذكر تعالى احوال المتقين واحوال غيرهم اتبع ذلك بقوله تعالى نبي اي اخبر
يا افضل الخلق عبادي اخبارا جليلا اني انا وحدي الغفور اي للمومنين الرحيم بهم
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء من عبادي واني والياقوت بالسكون واما الهمزة
في نبيء يبدلها الاخوان في الوقف فقط وكذا الهمزة من نبيء ونقل عن حمزة كسرها في الوقف
وان عذابي اي وحدي للعصاة هو العذاب الاليم اي المولم تنبيه في هذه الاية لطيف الاولى انه سبحانه
وتعالى اضاف العباد الى نفسه وهذا تشريف عظيم الاترى انه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الثانية انه تعالى لما ذكر المغفرة بالغ في التاكيد اتى بالفاظ
ثلاثة اولها قوله تعالى اني وثانيها انا وثالثها ادخال حرف الالف واللام على قوله تعالى الغفور
الرحيم ولما ذكر تعالى العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك قال وان عذابي هو العذاب
الاليم الثالثة انه امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ اليهم هذا المعنى فكانه اشهد رسوله
على نفسه في التزام المغفرة والرحمة الرابعة انه لما قال نبي عبادي كان معناه نبي كل من كان
معترفا بعبوديتي وهذا كما يدخل فيه المومن المطيع كذلك يدخل فيه المومن العاصي وكل
ذلك يدل على تغليب جانب الرحمة ثم الله تعالى وعد ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعة
وتسعين وارسل في خلقه رحمة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من العذاب لم ياس من النار
وعن عبادة رضي الله تعالى عنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم
العبد قدر عفوه ما تورع من حرام ولو يعلم قدر عذابه نفسه الى قتلها وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه مر بنفر من اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وقد ذكر الجنة والنار بين اظهركم
فنزل اي جبريل عليه السلام على عباده اني انا الغفور الرحيم وما بالغ تعالى في تقرير المبدا ثم اردفه بذكر دليل
التوحيد ثم ذكر تعالى عقيبه احوال القيامة ووصف الاشقياء والسعداء اتبع ذلك بقصص الانبياء
ليكون سماعها مرغما في العبادة موجبة للفوز بدرجات الانبياء ومحذرا عن المعصية الموجبة
لاستحقاق درجات الاشقياء وافتتح من ذلك بقصة ابراهيم عليه السلام فقال تعالى ونبئهم
اي خبرهم يا سيد المرسلين عن عبادي عن ضيف ابراهيم وهم ملائكة اثنا عشر او عشرة او ثلاثة
منهم جبريل عليه السلام فان قيل الضيف هو المنعم الى غيره لطلب الثواب فكيف يجيب بان هولاء
سموا بهذا الاسم لانهم على صورة الضيف قلنا هو من دلالة التخمت وقيل ايضا انه من يرحل
دار انسان ويلتجي اليه يسمى ضيفا وانما ياكل اذا دخلوا عليه اي ابراهيم وكان يكني
ابا الضيفان كان لعمره اربعة ابواب لكيلا يفوته احد فقالوا سلاما اي سلم عليك سلاما
او سلمنا سلاما قال ابراهيم عليه السلام بلسان الحال او المقال انا اي انا ومن عندي منكم
وجلون اي خايفون وكان خوفهم لامتناعهم من الاكل اولانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت
والوجل اضطراب النفس لتوقعها ما تكرهه عليه قالوا لا توجل اي لا تخف انا رسل ربك يبشرك
بغلام اي ولد ذكر في غاية القوة ليس كاولاد الشيوخ ضعيفا وقرا حمزة بفتح النون وسكون الباء
وضم الشين مخففة والباقون بضم النون وفتح الباء وكسر الشين مشددة عليم اي ذي علم كثير وهو
اسحاق عليه السلام كما ذكر في هود وتقدم ذكر القصة هناك باسرها قال ابراهيم عليه
السلام ابشرتموني اي بالولد على ان مسني الكبر حال اي مع مسه اياي فان قيل كيف قال
فبم اي فباي شيء تبشرون اي بينوا لي ذلك بيانا شافيا مع انهم قد بينوا ما بشروا به وما فايدة
هذا الاستفهام اجيب بانه اراد ان يعرف ان الله تعالى هل يعطيه الولد مع بقايه على صفة الشيخوخة
او يقلبه شابا ثم يعطيه الولد والسبب في هذا الاستفهام ان العادة جارية بانه لا يحصل في حالة
الشيخوخة النامة وانما يحصل في حالة الشباب او انه استفهام تعجب ويدل لذلك قولهم قالوا
بشرناك بالحق قال ابن عباس يريدون بما قضاه الله تعالى والمعنى ان الله تعالى قضى ان
يخرج من صلبك ابراهيم اسحاق ويخرج من صلب اسحاق ذرية مثلما اخرج من صلبك ام وقولهم

فلا تفضحون اي بسبب تشهير نامنكم القانطين اي الايسين فهي لابراهيم عليه السلام عن القنوط ونهي الانسان عن الشيء لايدل على كونه فاعلا للمنهي عنه كما في قوله تعالى ولا تقطع الكافرين والمنافقين ثم حلى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام قال ومن يقنط اي ييأس من هذا اليأس من رحمة ربه اي الذي لم يزل احسانه عليه الا الضالون اي المخطيون طريق الاعتقاد الصحيح في ربهم من تمام القدرة وانه لا تضع معصية ولا تنفعه طاعة وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون والباقون بفتحها ولما تحقق عليه السلام البشرى ورأى اتيانهم مجتمعين على غير الصفة التي يأتي الملك للوحي وكان هو وغيره من العارفين بالله عالمين بانه ما ينزل الملك الا بالحق وكان ذلك سببا لان يسألهم عن امرهم لينزل وجله كله ولذلك قال عليه السلام فما خطبكم اي شأنكم قال ابو حيان والخطب لا يكاد يقال الا في الامر الشديد انتهى وقال الرماني انه الامر الجليل ايها المرسلون فانكم ما جئتم الا لامر عظيم يكون فصلا بين هالك وناج قالوا انا ارسلنا اي ارسلنا العزيز الحكيم الذي انت لعرف الناس في هذا الزمان به الى اهلاك قوم اي ذوي صفة مجرمين اي كافرين وهم قوم لوط وقوله تعالى الا ال لوطا فيه وجهان احدهما انه استثناء متصل على انه مستثنى من الضمير المتكلت في مجرمين يعني اجرموا كلهم الا ال لوط فانهم لم يجرموا ويكون معنى قوله انا لمنجوهم اجمعين اي لانجيهم انجاء اهلاكا اوليد واخراجا ولا والثاني انه استثناء منقطع لان ال لوط لم يندرجوا في المجرمين البتة ويكون قوله تعالى انا لمنجوهم اجمعين جرى مجرى خبر لكنت في انقاله بال لوط لان المعنى لكن ال لوط منجوهم وقرأ حمزة والكسائي بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون وتشديد الجيم وقوله تعالى الا امرأته استثناء ال لوط او من ضميرهم على الاول وعلى الثاني لئلا يكون الاستثناء من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اخرجناها وقوله تعالى قدرنا قرأ شعبة بتخفيف الدال والباقون بالتشديد انها لمن الغابرين اي الباقين في العذاب لكفرها تنبيه معنى التقدير في اللغة جعل الشيء على مقدار غيره يقال قدر هذا الشيء بهذا اي اجعله على مقداره وقدر الله تعالى الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية ويقرب التقدير بالقضاء فيقال قضى الله تعالى عليه وقدره عليه اي جعله على مقدار ما يكفي في الخير والشر وقيل معنى قدرنا كتبنا وقال الزجاج دبرنا فان قيل لم اسند للملائكة فعل التقدير الى انفسهم مع انه لله عز وجل اجيب بانهم انما ذكروا هذه العبارة لما لهم من القرب والاختصاص بالله تعالى كما تقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا والمدبر والامر هو الملك لا هم وانما يريدون بهذا الكلام اظهار ما لهم من الاختصاص بذلك الملك فكذا هنا ولما بشر الملائكة عليه السلام ابراهيم عليه السلام بالولد واخبروه بانهم مرسلون بعذاب قوم مجرمين ذهبوا بعد ابراهيم الى لوط وله وهذه هي القصة الثانية المذكورة في هذه السورة قال تعالى فلما جاء ال لوط المرسلون هاهنا همزتان مفتوحتان من كلمتين قرأ قالون والبزي وابو عمرو وبا سقاط واحدة منهما مع المد والقصر وقرأ ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدال الهاء من هاء مد والباقون بتحقيق الهمزتين وكذا وجا اهل المدينة قال لهم انكم قوم منكرون لانهم دخلوا عليه عجلا فاستنكرهم وخاف منه دخولهم لاجل ما يوصلونه اليه ولاجل انهم كانوا شبابا امرد حسان الوجوه فخاف ان يريدهم قومه على سبب طلبهم فقال هذه الكلمة وقيل ان النكرة عند المعرفة فقوله عليه السلام انكم قوم منكرون اي لا اعرفكم ولا اعرف انكم من اي الاقوام انتم ولا اي غرض دخلتم علي فعند ذلك قالوا اي الملائكة بل جئناك بما كانوا اي بالعذاب الذي كانوا اي قومك فيه يمترون اي يشكون في نزوله والجاهل يوصف بالشك وان كان مكذبا من جهة ما يعرض له من حيث انه لا يتيقن الى نفسه وفيما هو عليه ثم اكدوا ما ذكروه بقولهم واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا يشك فيه ثم اكدوا هذا التأكيد بقولهم وانا لصادقون اي فيما اخبرناك به فاسر يا هلك اي فاذهب بهم في الليل بقطع من الليل اي طائفة من الليل وقيل هو آخره قال الشاعر

انا بني الباب وانتظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

كأنه طال عليه الليل فخاطب صاحبته بذلك وكان يحب طول الليل للوصال وقرأ نافع وابن كثير بوصل همزة فاسر بعد الفاء من السرى والباقون بالقطع وهما بمعنى واتبع ادبارهم اي وكن على اثارهم احفظهم وسر خلفهم وتطلع على احوالهم ولا يلتفت منكم اي ليلا ترى اليم ما تؤول بهم من البلاء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من ال لوط وامضوا حيث تؤمرون اي الى المكان الذي امركم الله بالمضي اليه قال ابن عباس هو الشام وقال المفضل حيث يقول لكم جبريل وذلك ان جبريل امرهم ان يمضوا الى قرية معينة ما تحمل اهلها عمل قوم لوط وقيل الى الاردن وقيل الى مصر تنبيه حيث هاهنا على بابها من كونها ظرف مكان مبهم ولابهامها تفتقر الى العقل من غير واسطة وقضينا اي واوحينا اليه ولما ضمن قضينا معنى الايحاء تعدى بالى ومثله وقضينا الى بني اسرائيل وقوله تعالى ذلك الامر مؤكم تفسيره ان دابر هؤلاء مقطوع اي مستأصلون عن اخرهم

هذه العبارة قد نقلت

حتي لا يبقي منهم احد وقوله تعالي معجبين حال من هولا او من الضمير في مقطوع
وجهه للحمل علي المعني فان دابر هولا في معني مدبري هولا اي يتم استيصالهم في الهلاك
وجا اهل المدينة اي مدينة من مدائن قوم لوط وهي سدوم بين مهملة ودال
معجمة وخطي من قال بمهملة يستبشرون اي باضيافه لوط طمعا في فجورهم وليس في الاية دليل
علي المكان الذي جاوه الا ان القصة تدل علي انهم جاوا دار لوط وقيل ان الملايكة ملاكوا
في غاية الحسن اشتهر خبرهم حتي وصل الي قوم لوط وقيل امراة اخبرتهم بذلك قال الواحدي
وبالجملة فالقوم قالوا لم نر لوط بلوط ثلاثة من الرجال ما راينا قط اصبح وجها ولا احسن شكلا
منهم فذهبوا الي دار لوط طلبا منهم لا وليكن للرد والاستشار اظهارا للرد فلما وصلوا
اليه قال لهم لوط ان هولا ضيفي اي وحق علي الرجل اكرام الضيف فلا تفضحون
يلزم بقال فضحه يفضحه اذا الظهر منه امره ما يلزم به العار واذا قصد الضيف بسوء
كان ذلك اهانة لصاحب المحل ثم اكد ذلك بقوله واتقوا اي خافوا الله في امرهم ولا تخزون
اي ولا تجلوني بقصدهم اياهم بفعل الفاحشة من الخزاية وهي الحيا او لا تذلوني
بسببهم من الخزي وهو الهوان قالوا اي قومه في جواب قوله لهم اولم ننهك عن العالمين
اي عن اتاة تضيف احدا من العالمين وقيل اولم ننهك ان تدخل الغربا المدينة فانا نظلبه
منهم الفاحشة وقيل اولم ننهك ان تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا ينهرصون لكل احد وكان
لوط عليه السلام يمنعهم عنهم بتدرو سعه ع قال لهم هولا بناتي اي نسا القوم لان
كل امة او لاد نبيها رجالهم بنوه ونساوهم بناته فكانه قال لهم هولا بناتي فانكحوهن
وخلوا بيني فلا تفرصوا لهم ان كنتم فاعلين اي ما اقول لكم او تقضا الشهوة والكلام
في ذلك قد مر بالاستقصا في سورة هود وقرا نافع بفتح يا بناتي والباقون بكسرها
قال الله تعالي لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم علي لسان ملايكته لعمرك اي وحياتك
وما اقسم بحياة احد غيره وذلك يدل علي انه اكرم الخلق علي الله تعالي انهم لفي سكرتهم
اي شدة عقلتهم التي ازالت عقولهم يعمهون اي يتحيرون الخطاب للوط عليه
السلام قالت له الملايكة ذلك اي قليق يقلون قولك وليلتفتوت الي نصايحك تنبيه
لعمرك مبتدا محذوف الخبر وجوابا وانهم وما في خبره جواب القسم وتقديره لعمرك قسمي
او يميني انهم والعمر بالفتح والضم واحد وهو البقا الا انهم خصوا الفتح بالمفتوح
لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور علي السنتهم بالعمري ولعمرك فاخذتهم
الصيحة اي صايحة هايلة مهلكة وقيل هي صيحة جبريل عليه السلام قال الرازي

ليس في الاية دلالة

ليس في الاية دلالة علي ذلك فان ثبت بدليل قوي قيل به والا ليس في الاية دليل الا
انها جاتهم عظيمة مهلكة وقوله تعالي مشرقين اي داخلين في وقت الشروق وهو
بزوغ الشمس حالمن مفعول اخذتهم ثم بين سبحانه وتعالي ما تسببت عنه الصيحة
معقبا لها بقوله تعالي فجعلنا اي تمالنا من العظمة والقدرة عاليها اي
مدايتهم سافلها اي رفعها جبريل عليه السلام الي السما واسقطها مقلوبة
الي الارض وامطرنا عليهم اي اهل المدايتن التي قلبت المدايتن لاجلهم حجارة
من سجيل اي طين طبخ بالنار تنبيه دلت الاية الكريمة علي ان الله تعالي
عذبهم بثلاثة انواع من العذاب احدها الصيحة الهايلة المنكرة وثانيها انه
جعل عاليها سافلها وثالثها انه امطر عليهم حجارة من سجيل وتقدمت الاشارة
الي ذلك في سورة هود ان في ذلك اي المذكور من هذه الانواع لايات اي دلالات
علي وحدانية الله تعالي للمتوسمين اي للناظرين المعتبرين جمع متوسم وهو
الناظر في السمة حتي يعرف حقيقة الشي بسمته وانها اي هذه المدايتن لبسبيل
اي طريق قريش الي الشام مقيم اي لم يندرس بل يشاهدون ذلك ويرون
اثره افلا يعتبرون ثم قال سبحانه وتعالي مشيرا الي زيادة الحث علي الاعتبار
بالتاكيد ان في ذلك اي هذا الامر العظيم لاية اي علامة عظيمة في الدلالة علي
وحدانيته تعالي للمومنين اي كل من امن بالله وصدق الانبيا والرسل عرف ذلك اما كان
لاجل ان الله تعالي انتقم لانبيايه من اوليك الجهال اما الذين لا يومنون بالله فانهم
يجلونه علي حوادث العالم ووقايعه ثم ذكر تعالي القصة الثالثة وهي قصة
شعيب عليه السلام بقوله تعالي وان مخففة من الثقيلة اي وانه كان اي جبلة
وطبعا اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام وقد ذكر الله تعالي قصتهم في سورة
الشعرا والايكة الشجر الملتف وقيل النخل الملتف وقال ابن عباس هي شجر المقل
وقال الكلبي الايكة الغيضة اي غيضة شجر بقرب مدين لظالمين اي عريقين
في الظلم بتكذيبهم شعيبا عليه السلام فانتقمنا منهم اي بسبب ذلك قال المفسرون
اشتد الحر فيهم اياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا عن اخرهم وقوله تعالي وانهما
فيه قولان الاول المراد قري قوم لوط والايكة والقول الثاني ان الضمير للايكة ومدين
لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الاية دل بذكرها علي مدين فجا ضمير هما بالمامام
اي طريق مبين اي واضح والامام اسم ما يوتم به قال الفرا اغا جعل الطريق اماما لانه

يوم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصل الى الموضع الذي يريده
ثم ذكر تعالى القصة الرابعة وهي قصة صالح عليه السلام وصارهم بين المدينة الثرية
والشام كلهم المرسلين اي كلهم بتكذيب رسلهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك لان
الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع وهم
في اثبات الرسالة والمعجزة على حد سواء ثم اتبع ذلك قوله تعالى واتيناهم اي عاينا
من العظمة والقدرة على يدي رسولهم صالح عليه السلام اياتنا كالناقة او اياة الكتاب
المنزل على نبيهم او معجزات كالناقة وكان فيها اياة كثيرة كخروجها من الصخرة وعظم
خلقتها وقرب وارودها وغزارة لبنها وانما اضاف الايات اليهم وان كانت لنبيهم صالح
عليه السلام لانه مرسل منذر بهم اليهم بهذه الايات فكانوا عنها اي الايات معرضين
اي تاركين لها غير ملتفتين اليها لا يتفكرون فيها ثم اخبر تعالى انهم كانوا امثال هؤلاء
في الامة من العذاب والغفلة عما اراد بهم مع انهم كانوا اشد منهم فقال تعالى وكانوا
ينحتون والنحت قلع جزء بعد جزء من الجسم القوي على بل المسح من الجبال اي التي
تقدم انا جعلناها رواسي بيوتا امنين عليها من الانهدام وبقية اللصوص
وتخريب الاعداء وناقتها لا كبيوتكم التي لا يقاء لها على اديم رحبة وقزاوريش وابو عمرو
وحفص بكسر الفاء والباقون بضمها فاخذتهم الصيحة اي صيحة العذاب مصبحين
اي وقت الصبح فما اغنى اي ما دفع عنهم الضر والبلاء ما كانوا يكسبون اي يعلمون
من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاقوال والعدد وعن جابر رضي الله تعالى عنه
مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا
انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم ما اصابهم ثم زجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها وعاد ذكر تعالى هذه القصص تسلية لنبيه صلى الله عليه
وسلم فانه اذا سمع ان الامم السالفة كانوا يعاملون انبياء الله بمثل هذه المعاملة سهل
عليه تحمل تلك المشاق قال تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما اي ما بين
والارض على ما لهما من المنافع والغرائب وما بينهما من هؤلاء المشركين المكذبين وعذابهم
ومن البهائم والرياح والسحاب المسبعة للنبات وغير ذلك الا بالحق اي الا خلقا ملتبسا
بالحق مستقرا فيه من وفقه الله تعالى ليعلم المتأخرة بهذه الشاة الاولى
وان الساعة اي القيامة لاتية لا محالة فيجازي الله تعالى كلا احد بعمله ثم ان تعالى
لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفح فسلاه بقوله تعالى فاصفح الصفح

الجميل اي اعرض عنهم اعراضا لا جزع فيه ولا هلع بالانتقام منهم وهذا منسوخ بآية
السيف قال الرازي وهو بعيد لان المقصود من ذكره ان يظهر للخلق الحسن والصفح
والصفح فكيف يصير منسوخا انتهى والاولى جري عليه البغوي وجماعة من المفسرين
ثم علل تعالى هذا الامر بقوله انه ربك اي المحسن اليك الامر لك بهذا هو اي وحده الخلاق
اي المكثر منه هذا الفعل العليم اي البالغ العلم بكل المعلومات فليست اقوالهم وافعالهم
الا منه سبحانه وتعالى لانه خالقها وقد علمت انه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد عليه في اخذ
حقك فانه نعم المولى ونعم النصير ولما صبره الله تعالى على اذى قومه وامره ان يصفح الصفح
الجميل اتبع ذلك بذكر النعم العظيمة التي حفى الله تعالى افضل خلقه بها بقوله تعالى ولقد
اتيناك يا افضل الخلق بما لنا من العظمة والقدرة كما اتينا صالحا ما تقدم سبعا
يكون كل سبع منها كفيلا باغلاق باب من ابواب النيران السبعة وهي ام القرآن الجامعة
لجميع معاني القرآن التي امرنا باعادتها في كل ركعة زيادة في حفظها وتبيانا لكل
المعاني تخصيصا لها عند بقية الذكر الذي تكفلنا بحفظه والسبب في وقوع هذا الاسم على
الفاتحة لانها سبع ايات وهذا ما علمته اكثر المفسرين روي انه صلى الله عليه وسلم قرأ
الفاتحة وقال هي السبع المثاني روي ابو هريرة وقيل المراد سبع سور وهي الطوال
واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة واحدة لم يفصل بينهما
بآية البسملة وقيل الحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهي الاسباع وقوله تعالى من
المثاني صفة للسبع وهي جمع واحده مثناة والمثناة كل شيء يثنى اي يجعل اثنين من
قولك ثنيت الشيء تثنيا اي عطفيته وضممت اليه اخر ومنه يقال لركبتي الدابة
ومرفقيها مثانيها لانه يثنى بالفخذ والعضد ومثاني الوادي معاطفه انما سمي الفاتحة
بالمثاني فلوجوه الاول انها تثنى في كل صلاة بمعنى انها تقرأ في كل ركعة الثاني انها تثنى
بما بعدها فيما يقرأ معها الثالث انها نصفت من قسمين اثنين لما روي انه صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبادي نصفين والحديث
مشهور وقد تكررت في وجه تسميتها صلاة عند ذكرها الرابع انها قسمان اثنان ثناء وما
وايضا النصف الاول منها حق الربوبية وهو الثناء والنصف حق العبودية وهو الدعاء
الخامس ان كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا
الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم واما السور والاسباع فلما وقع فيها
من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك وعافيها من التناكا نها تثنى

الجميل اي اعرض

على الله تعالى بافعاله العظمى وصفاته الحسنى تنبيه من في المثاني اما للبيان او للتبعيض
اذا اريدت بالسبع الفاتحة او الطوال والبيان اذا اريدت الاسباع قال الزمخشري ويجوز ان تكون
كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه لما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها وقوله
تعالى والقرآن العظيم اي الجامع لجميع معاني الكتب السماوية المتكفل بخير الدارين مع
زيادات لا تحصى فيه اوجه احدها انه من عطف بعض الصفات على بعض اي الجامع
بين هذين النعتين الثاني انه من عطف العام على الخاص اذ المراد بالسبع اما الفاتحة
واما الطوال فكانه ذكر مرتين بجهة الخصوص ثم باندراجه في العموم الثالث ان الواو مقحمة
ولما عرف سبحانه وتعالى رسوله عظيم فهمه عليه فيما يتعلق بالدين وهو انا اتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم نهانا عن الرغبة في الدنيا بقوله تعالى لا تمدن عينيك
اي لا تشغل سرك وخاطرك بالالتفات الى ما متعنا به ازواجا منهم اي اصنافا من الكفار
والزوج في اللغة الصنف وقد اوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء قال ابو بكر
رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر
عظيما وعظم حقيرا وتأول سفيان عيينة هذه الاية بقول النبي صلى الله عليه
وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن اي لم يستغن وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تمدن
عينيك اي لا تشتهي ما فضلنا به احدا من متاع الدنيا وقيل انه نزل في بعض اليهود سمع قوارئ
قال اليهود قريظة والنضير فيها انواع البر والطيب والجوهر وسائر الاشياء فقال المسلمون
لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في طاعة الله تعالى فقال الله تعالى لقد
اعطيتكم سبع ايات هن خير من هذه القوارئ السبع وقرء الواحدي هذا المعنى
فقال انما يكون مد العينين الى الشيء اذا ادام النظر نحوه وادامة النظر على الشيء تدل
على استحسانه وحسده وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى ما يحزن من
متاع الدنيا روي انه نظر الى يتيم يبكي المصطلق وتدعوس في ابوالها وابعارها على اقتادها
اذا تركت من العمل ايام الربيع فتكثر شحومها ولحومها وهي احسن ما تكون وعن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من
هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو احدى لان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقوله
تعالى ولا تحزن عليهم تسلية له عن الالتفات اليهم ان لم يؤمنوا فيخلصوا القسم من
النار وما نهاه سبحانه وتعالى عن الالتفات الى اوليك الاغنياء من الكفار امره بالتواضع
لفقراء المسلمين بقوله تعالى واخفض جناحك اي الن جانبك للمؤمنين اي الفريقين فهذا

الوصف واصبر

الوصف واصبر نفسك معهم وارفق بهم وعلى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم بقوله تعالى وقل اني
انا النذير من عذاب الله ان ينزل عليكم ان لم تؤمنوا وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح
الياء والباقون بالسكون المبين اي البين الانذار وقوله تعالى كما انزلنا اي العذاب على
المقتسمين قال ابن عباس هم اليهود والنصارى سموا بذلك لانهم امنوا ببعض القرآن
وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم امنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة انهم
اقتسموا سور القرآن فقال واحد هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وانما
فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد اقتسموا كتبهم فامن بعضهم ببعضها وقال قتادة
اراد بالمقتسمين كفار قريش قال سموا بذلك لانهم اقتسموا في القرآن فقال
بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم بعضهم انها اساطير الاولين وقال
ابن الساب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا طرق مكة وذلك ان الوليد بن المغيرة
بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر وقيل اربعين وقال انطلقوا فتفرقوا على
طرق مكة حيث تمر بكم اهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه مجنون وليقل
بعضكم انه كاهن وليقل بعضكم انه ساحر وليقل بعضكم شاعر فذهبوا وقعدوا على
طرق مكة يقولون ذلك لمن يمر بهم من حجاج العرب وقعد الوليد بن المغيرة على باب
المسجد الحرام يصبو حكما فاذا جاوا سألوا عما قال اوليك فيقول صدقوا فاطلعهم
الله تعالى يوم بدر وقوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين نعت للمقتسمين وقال
ابن عباس هم اليهود والنصارى جزوا القرآن اجزاء فامنوا بما وافق التوراة وكفروا
بالباقي وقال مجاهد قسموا كتاب الله تعالى فرقوه وبددوه وقيل كانوا يستهزؤون به فيقول
بعضهم سورة البقرة لي ويقول بعضهم سورة الاعراف لي وقيل اقتسموا القرآن فقال
بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم اساطير الاولين وقيل هم
اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون
ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم
سحر وشعر واساطير الاولين بان غيرهم من الكفرة فعلوا فيه ذلك من الكتب نحو فعلهم
تنبيه عضين جمع عضة وهي الفرقة والتضعين الفرق وتقدم معنى جعلهم القرآن كذلك
وقيل العضة السحر بلغة قريش يقولون هو عضة وهي عاضهة وفي الحديث لعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة اي الساحرة والمستسحرة وقيل هو من العضه

وهي الكذب والبهتان يقال عضهها عضه عضا وعضيهه اي رماه بالبهتان وقيل جمع
عضو ماخوذ من قولهم عضيت الشيء اعضه اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك انهم
جعلوا القران اعضاء مفرقة فقال بعضهم سحر وبعضهم اساطير الاولين ثم اقسم
سبحانه وتعالى بنفسه على انه سالهم المقتسمين الذين جعلوا القران عضين
بقوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون فيكون الضمير عايدا
على المقتسمين لانه الاقرب ويحتمل ان يعود على جميع المكلفين لان ذكرهم تقدم
في قوله تعالى وقل اني انا النذير المبين اي لجميع الخلق قال جماعة من المفسرين يسالون
عن لا اله الا الله وقال ابو العالية يسالون عما كانوا يعبدون وما اجابوا المرسلين
فان قيل كيف الجمع بين قوله تعالى فوربك لنسالنهم اجمعين وبين قوله تعالى لا يسال
عن ذنبه انس قبلهم ولا جان اجيب بان النفي ينصرف الى بعض الاوقات والاثبات
الى وقت اخر لان يوم القيامة يوم طويل وفيه مواقف يسالون في بعضها ولا يسالون
في بعض اخر ونظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في اية اخرى ثم انكم يوم
القيامة عند ربكم تختصمون ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصدع اي اجهر
بعلو وشدة فارق بين الحق والباطل وقرا حمزة والكسائي باشمام الصاد الساكنة
قبل الدال والباقون بالصاد الخالصة بما اي بسبب ما تومر به امر النبي صلى الله
عليه وسلم في هذه الاية باظهار الدعوة روي عن عبد الله بن عبيدة قال كان مستخفيا
حتى نزلت هذه الاية فخرج هو واصحابه واعرض اي اعرض من لا يبالي عن
المشركين بالصفح الجميل عن الاذى والاجتهاد في الدعاء ولا تلتفت على لومهم اياك على اظهار
الدعوة قال بعض المفسرين كالبقوي وهذا منسوخ باية القتال قال الرازي وهو ضعيف
لان معنى هذا الاعراض ترك المبالاة بهم فلا يكون منسوخا وعلى كل حال هذا الصدع في غاية
الشدة عليه صلى الله عليه وسلم لكثرة ما يلقى فيه من الاذى خفف عنه سبحانه وتعالى
بقوله معللا له انا اي بما لنا من العظمة والقدرة كفيناك المستهزئين اي من الذين هم
غريقون في الاستهزاء وهم خمسة تقدمت روساء قريش الوليد بن المغيرة والعاص
ابن وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد المطلب والاسود بن عبد يغوث وصفوا بكثرة
وتقاهم لا بقوله تعالى الذين يجعلون مع الله الها اخر وقيل ليس بصفة بل مبتدا والجملة
معترضة بين الحال وذي الحال الذي هو فسوف يعلمون اي عاقبة امرهم في الدارين والتاكيد
سبحانه وتعالى ان توعده يستحقونه عليه ولاسيما اولئك المقتسمون قال الله تعالى ولقد نعلم

اي تحقق وقوع علمنا انك اي ما انت من الحلم وسعة البطان يضيق صدرك اي
يوجد ضيقه ويتحدد بما يقولون اي من الاستهزاء والتكذيب بك وبالقران لان
الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك فعند هذا قال تعالى فسبح ملتبسا
بحمد ربك اي نزهه عن صفات النقص وقال الضحاك قل سبحان الله وبحمده
وقال ابن عباس فصل بامر ربك وكن من الساجدين اي المصلين روي انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة وقدمت معناها في سورة البقرة
تنبيه اختلف الناس كيف صار الاقبال على الطاعات يزيل ضيق القلب والحزن
فقال العارفون المحققون اذا اشتغل الانسان بهذه الانواع من العبادات يتنور
باطنه ويشرق عليه وينفسح وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها
فلا يلتفت اليها وقال بعض الحكماء اذا نزل بالانسان بعض المكاره فعليه بالطاعة
فكانه يقول يا رب يجب على عبادتك سواء عطيتني الخيرات او الغيتني في المكاره وهات
فانا عبدك بين يديك ففعل بي ما تشاء واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال ابن
عباس يريد الموت ويسمى الموت يقينا لانه امر متيقن وهذا مثل قوله تعالى في
سورة مريم واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وروى البغوي بسنده عن عبد
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله الي ان اجمع المال واكون من
التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين فان قيل اي فايدة لهذا التوقيت مع ان كل احد يعلم انه اذا مات استراح
عن العبادات اجيب بان المراد منه واعبد ربك في جميع زمان حياتك فلا تخل لحظة
من لحظات الحياة بهذه العبادات وعن عمر رضي الله عنه قال نظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انظروا الى هذا قد نور الله قلبه لقد رايته بين ابوين يغذوانه بالطيب
الطعام والشراب ولعذر ابن عليه حلة ثمن شراكها او قال شراكان له جاء يتبختر بهم فدعاه
حب الله وحب رسوله الى ما ترون وساق رواه البيضاوي تنبيه الزمخشري عن انه صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار
والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

سورة النحل مكية

الى قوله تعالى واذ جاءتهم الى اخر السورة وحكي الاجماع عن بعضهم انها كلها مدنية وقال

وقالا الخمسة من اولها الي قوله كنت فيكون مدني وما سواه مكي وعن قتادة بالعكس
وسمي سورة النعم والمقصود من هذه السورة الدلالة علي انه تعالي تام القدرة
والعلم فاعل بالاختيار منزه عن شوايب النقص وادل ما فيها علي هذا المعنى
امر النحل لما ذكر من شانها في دقة الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وساير امورها من
اختلاف الوانها ما يخرج منها من اعسالها وجعله شفاء لكلها من الثمار النافعة
والضارة وغير ذلك من الامور وسمها بالنعم واضح وهي مائة وثمانية عشر اية
والغان وثمان مائة واربعون كلمة وعدد حروفها سبعة الاف وسبعمائة وسبعة احرف
بسم الله اي المحيط بدايرة الكمال بما شا فعل الرحمن اي الذي عمت نعمته جليل
خلقه وحقيره صغيره وكبيره الرحيم اي الذي خص من شا بنعمته النجاة مما
يسخطه عليه وقوله تعالي اتي امر الله فيه وجهان احدهما انه ماض لفظا لتحقق
معنى اذ المراد به يوم القيامة وانما ابرز به في صورة ما وقع واقتضي تحقيقه
ولصدق المخبر به والثاني انه علي بابه والمراد مقدماته واوايله وهو نصر رسوله
صلي الله عليه وسلم اي جا امر الله وضاق قرب فانه يقال في الكلام المعتاد اتاك فلان ووقع
اجر المايجب وقوعه مجري الواقع يقال لمن طلب الاعانة وقرب حصولها جاءك الغوث
اي اتي امر الله وعدا فلا تستعجلوه وقوعا قبل مجيئه فانه واقع لا محالة روي
انه صلي الله عليه وسلم قال بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه السبابة
والوسطي قال ابن عباس كان مبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم من اشراط
الساعة وتمام جبريل باهل السموات مبعوثا الي النبي صلي الله عليه وسلم قالوا الساعة
قامت الساعة وروي انه لما نزل اقتربت الساعة قال الكفار بعضهم لبعض اذ هذا اي
محمد صلي الله عليه وسلم يزعم ان القيامة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما يقولونه
حتي ننظر ما هو كاين فلما تاخرت قالوا ما نري شيا فنزل اقترب للناس حسابهم
فاشفقوا وانتظروا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نري شيا مما تخوفنا به فنزل
اتي امر الله فوثب رسول الله صلي الله عليه وسلم ورفع الناس رووسهم وظنوا انها
قد اتته حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمانوا فقال الكفار قد سلمنا لك يا محمد الا انا نعبد
هذه الاصنام لتشفع لنا عند الله تعالي وتخلصنا من هذا العذاب المحكوم به فاجابهم
الله تعالي بقوله سبحانه تنزيها وتعالي عما يشركون اي تبرا سبحانه وتعالي بالالوهية
الحميدة عن ان يكون له شريك في ملكه وقراحمزة والكساي اتي بالامالة وقرا ورش بالفتح

وبين اللفظين والباقون بالفتح وقراحمزة والكساي عما يشركون في الموضعين بالتا
علي وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء علي الغيبة علي تلوين الخطاب او علي
ان الخطاب للمومنين اولهم ولغيرهم ولما اجاب سبحانه وتعالي الكفار عن شبهتهم
بقوله تنزيها لنفسه عما يشركون وكان الكفار قالوا لو اهب ان الله تعالي قضي علي
بعض عبيده بالشر وعلمه خزينا بالخير والكنه كيف يمكنك ان تعرف هذه الامور
التي لا يعلمها الا الله تعالي وكيف صرت بحيث تعرف هذه الامور التي لا يعرفها الا
الله تعالي وكيف صرت بحيث تعرف اسرار الله تعالي واحكامه في ملكه وملكوته فاجابهم
الله تعالي بقوله ينزل الملايكة قال ابن عباس يريد يا ملايكة جبريل وحده قال
الواحدي يسمي الواحد بالجمع اذا كانة كالواحد ربيا وقرا ابن كثير وابو عمرو بتخفيف
الزاي والباقون بتشديدها والمراد بالروح الوحي او القران فان القلوب تحي به
من موت الجهالات وقوله تعالي من امره اي بارادته حالة من الروح علي من يشا
من عباده وهم الانبيا ان انذروا اي خوفوا الكافرين بالعذاب واعلموهم انه اي الشان
لا اله الا انا اي لا اله غيري وقوله تعالي فاتقون اي خافوني راجع حكمه الي المخاطبين
باهو المقصود تنبيه في قوله تعالي ان هي ان انذروا ثلاثة اوجه احدها انها المفسرة
لان الوحي فيه ضرب من القول والانزال بالروح عبارة عن الوحي قاله تعالي وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا الثاني انها المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان محذوف
الثالثة انها المصدرية التي من شانها نصب المضارع ووصلت بالامر كقولهم كتبت
اليه بان قم والاية تدل علي ان نزول الوحي بواسطة الملايكة وان النبوة عطاية وما
وحد سبحانه وتعالي نفسه ذكر الايات الدالة علي وحدانيته من حيث انها تدل
علي انه تعالي الموجد لاصول العالم وفروعه علي وفق الحكمة والمصلحة بقوله تعالي
خلق السموات اي التي هي السقف المظل والارض اي التي هي بساط المقل بالحق اي
اوجدها علي مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصها بحكمة تقتضيها
اي تعالي اذ الوضع عما يشركون فيه من الاصنام ولما خلق السموات والارض غيبا
لتقدمه وكان خلق الانسان علي هذه الصفة شهادة فتكون اقوي في الدلالة علي
وحدانيته تعالي قال تعالي خلق الانسان اي هذا النوع من نطفة اي ادم عليه
السلام من مطلق الماء ومن تفرع منه بعد من وجه حوا من ما مقيد بالدفق الي ان صيره
قويا شديد افاذا هو خصيم اي شديد الخصومة مبين اي بينها روي ان ابي بن خلف

خلق المجهي وكان ينكر البعث جا الي النبي صلي الله عليه وسلم بعظم رميم فقال اترعم
يا محمد ان الله تعالي يحي هذا العظم بعدما قد رم فنزلت هذه الاية ونزل فيه ايضا
قوله تعالي قال من يحي العظام وهي رميم قال الخازن في تفسيره والصحيح ان الاية
عامة في كل ما يمتنع فيه الحضوة في الدنيا وبعد القيامة وحملها علي العموم اولي ولما كان
اشرف الاجسام الموجودة في العالم السفلي بعد الانسان سائر الحيوانات واشرفها الانعام
ذكرها بقوله تعالي والانعام اي الازواج الثمانية الضان والمعز والابل والبقر ونصبه
بفعل يفسره خلقها قال الواحدي تم الكلام عند قوله والانعام خلقها ثم ابتدا فقال
لكم فيها دفء اي ما يدفئ به من اللباس والاكسية ونحوها المتخذة من الاصواف والاوبار
والاشعار قال ويجوز ايضا ان يكون تمام الكلام عند قوله والانعام خلقها لكم ثم ابتدا
فقال فيها دفء قال الزمخشري قال صاحبه النظم واحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله
تعالي خلقها والدليل عليه انه عطف عليه ولكم فيها جمال وما ذكر تعالي الانعام وكرها
انواعا من المنافع الاول قوله تعالي لكم فيها دفء في النوع الثاني قوله تعالي ومنافع اي ولكم
فيها منافع من نسلها ودرها وركوبها والحمل عليها وسايرها ينتفع به من الانعام وانما
عبر تعالي عند ذكر بلفظ المنفعة وهو اللفظ الدال علي الوصف لان الدر والنسل قد ينتفع
به في الاكل وقد ينتفع به في البيع بالنقود وقد ينتفع به بان يبدل بالثياب وساير الضروريات
فعبر عن جملة هذه الاقسام بلفظ المنافع ليتناول الكل النوع الثالث قوله تعالي ومنها
تاكلون فان قيل تقديم الظرف يفيد الحصر لان تقديم الظرف موذن بالاختصاص وقد يوكل
منه غيرها اجيب بان الاكل من هذه الانعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم واما
الاكل من غيرها كالدجاج والبط والاوز وصيد البر والبحر فليس بمعتد به في الاغلب
واكله يجري مجري التفكه به فخرج ومنها تاكلون مجري الغالب في الاكل من هذه الانعام
فان قيل منفعة الاكل مقدمة علي منفعة اللباس فلم قدمت منفعة اللباس عليه
اجيب بان منفعة اللباس اكثر من منفعة الاكل فلهذا قدمت علي الاكل ولكم فيها جمال
اي زينة حين ترجعون اي ترددونها من مراحها الي مسارحها بالعشي وحين تسرحون
اي تخرجونها بالغداة الي المرعي فان الانعام تتزين بها في الوقتين وتجمل اهلها في اعين
الناظرين اليها فان قيل لم قدمت الاراحة علي التسريح اجيب بان الجمال في الاراحة اظهر
اذ الفيلة ملا البطون حافلة الضروع ثم اوت الي الحظاير حاضرة لاهلها فيفرح اهلها بها
بخلاف تسريحها الي المرعي فانها تخرج جايعة البطون صامرة الضروع ثم ياخذ في التعرق والاقذار

الي المرعي في البرية

فليس في التسريح تجمل كما في الاراحة النوع الرابع قوله تعالي وتحمل
اثقالكم جمع ثقل وهو متاع المسافر الي بلد اي غير بلدكم اردتم السفر اليها لم تكونوا
بالغيه اي غير واصلين اليها علي غير الاجمال الا بشق الانفس اي الا بكلفة ومشقة
والشق بكسر الشين نصف الشي يكون تولا لبالغيه الا بفقدان قوة النفس وبعضها
وقال ابن عباس يريد من مكة الي اليمن والي الشام والي مصر قال الواحدي والمراد
كل بلد لو تكلفتم بلوغه علي غير ابل تشق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لان
متاجر اهل مكة كانت الي هذه البلاد فان قيل المراد من قوله تعالي والانعام خلقها
الابل فقط بدليل انه وصفها الي اخر الاية بقوله وتحمل اثقالكم الي بلد وهذا الوصف
لا يليق الا بالابل اجيب بان المقصود من هذه الايات تعديد منافع الانعام
فبعض تلك المنافع حاصلة في الكل وبعضها مختصة بالبعض والدليل عليه ان
قوله ولكم فيها جمال حاصلة في البقر والغنم مثل حصوله في الابل بتنبيه احتج منكرو
كرامات الاولياء بهذه الاية فانها تدل علي ان الانسان لا يمكنه الانتقال من بلد الي بلد
الا بشق الانفس وحمل الانتقال علي الابل ومثبتو الكرامات يقولون ان الاولياء قد
ينتقلون من بلد الي بلد اخر بعيد في ليلة واحدة من غير تعب وتحمل مشقة وكان
ذلك علي خلاف هذه الاية فيكون باطلا واذا ابطل القول بالكرامات في هذه الصورة
بطل القول بها في ساير الصور اذ لا قايل بالفرق واجاب المثبتون بان تخصيص عموم
هذه الاية بالادلة الدالة علي وقوع الكرامات ان ربكم اي الموجد لكم والمحسن اليكم
لرءوف اي بليغ الرحمة لمن يتوسل اليه بما سوى ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي
بفتح الهمزة والباقون بالمد رحيم اي بليغ الرحمة بسبب وبغير سبب وقوله تعالي
والخيل اي الصاهلة وهو اسم جنس لا واحد له كالابل والرهط والبغال اي المتولدة
بينها وبين الحمير والحمير اي الناهقة عطف علي الانعام اي وخلق هذه الحيوانات
لتركبوها اي لاجل ان تركبوها وفي نصب قوله تعالي وزينة اوجه احدها
انه مفعول من اجله وانما وصل الفعل الي الاول باللام في قوله تعالي لتركبوها
والي هذا بنفسه لاختلاف شرط في الاول وهو عدم اتحاد الفاعل فان الخالق هو الله
والراكب المخاطبون بخلاف الثاني انها منصوبة علي الحال وصاحب الحال اما مفعول لخلقها
واما مفعول لتركبوها فهو مصدر اقيم مقام الحال الثالث انه ينتصب بفعل مقدر
الزمخشري بقوله وخلقها زينة وقدره بن عطية وغيره بقولهم وجعلها زينة الوابعها انها

مصدر لفعل محذوف اي وتتزينوا بها زينة تشبيه احتج القائلون بحرمة
والحاكم وابو حنيفة ومالك بتحريم لحم الخيل بهذه الاية قالوا منفعة الاكل اعظم من
منفعة الركوب فلو كانت اكلها الخيل جائزا لكانت هذا المعنى اولى بالذكر فحيث لم يذكره
تعالى علمنا انه يحرم اكله لان الله تعالى خص الانعام بالاكل حيث قال ومنها تاكلون
وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا انها مخلوقة للركوب لا للاكل واحتج القائلون
باباحة اكل اللحم من الخيل وهم سعيد ابن جبير وعطاء وشريح والحسن والشافعي
بما روي عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنها قالت نحرنا على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة وبما روي عن جابر رضي الله تعالى
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية
اكلنا في زمن خيبر الخيل وحمر الوحشي ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي
هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية ابي داود قال دخلنا يوم خيبر الخيل والبغال
والحمير وكنا قد اصابتنا مخمصة فذهنا النبي صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير
ولم ينهنا عن الخيل واجابوا عن هذه الاية بان ذكر الركوب والزينة لا يدل على ان
منفعتها مختصة بذلك وانما خص هاتان المنفعتان بالذكر لانهما معظم المقصود ولهذا
سكت عن حمل الاثقال على الخيل مع قوله تعالى في الانعام وتحمل اثقالكم ويلزم من ذكر
حمل الاثقال على الخيل وقال الواحدي لو دلت هذه الاية على تحريم هذا الحيوان لكان
تحريم اكلها معلوما في مكة لاجل ان هذه السورة مكية ولكان الامر كذلك لكان قول عامة
المفسرين والمحدثين ان لحوم الحمر الاهلية حرمت عام خيبر اي وذلك في المدينة بالملا
لان التحريم لما كان حاصلا قبل هذا اليوم لم يكن لتخصيص هذا التحريم بهذه السنة
فايدة قال الرازي وهذا جواب حسن متين وقال ابن الخازن والدليل الصحيح المتفق
عليه في اباحة لحوم الخيل ان السنة مبينة للكتاب وبالكتاب خص الاية تقتضي ان
الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة كان الاكل مسكوتا عنه فزال الامر فيه على
الاباحة والتحريم فوردت السنة باباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فاخذنا به جمعا
بين النصين وبما ذكر سبحانه وتعالى في هذه الانواع من الحيوان ذكر باقيها على سبيل الاجمال
بقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون وذلك لان انواعها واصنافها واقسامها كثيرة خارجة
عن الحد والاحصاء ولو خاض الانسان في شرح عجايب احوالها لكان المذكور بعد
كتبه المجلدات الكثيرة كالقطرة في البحر وكان احسن الاحوال ذكرها الاجمال كما ذكر الله تعالى

في هذه الاية وروي عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين
العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل
منه جبريل كل سحر ويغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض
فيخلق الله تعالى من كل نفضة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم
سبعون الفا البيت المعمور وفي اللفظة ايضا سبعون الفا لا يعودون اليه الى ان
تقوم الساعة سبحان من له هذا الملك العظيم قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا
هو وفسر قتادة الاية بالسوس في النبات والدود في الفواكه وفسرها بعضهم
بما اعد الله تعالى لاهل الجنة في الجنة مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ولما شرح الله تعالى دلايل التوحيد قال تعالى وعلى الله اي الذي له الاحاطة بكل
شيء قصد السبيل اي بيان الطريق المستقيم اما ذكر هذه الدلايل وشرحها ازالة
للعذر وازالة للعلة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة والمراد بالسبيل
الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها اي السبيل جايرٌ اي حايد عن الاستقامة
وان قيل هذه الاية تدل على ان الله تعالى يجب عليه الارشاد والهداية الى الدين
وازاحة العلل والاعذار كما قالته والمعتزلة لانه تعالى وعلى الله قصد السبيل وكلمة على
للوجوب قال تعالى ولله على الناس حج البيت اجيب بان المراد على الله تعالى بحسب
الفضل والكرم ان يبين الدين الحق والمذهب الصحيح فان قيل لم غير اسلوب الكلام حيث
قال في الاول وعلى الله قصد السبيل وفي الثاني ومنها جايرٌ ولم يقل وعليه جايرٌ اجيب
بان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجاير انما جاء بالعرض ثم قال
تعالى ولو شاء لهداكم لهداكم الى قصد السبيل اجمعين فتهتدون اليه باختياركم
قال الرازي وهذا يدل على ان الله تعالى ما شاء هداية الكفار وما اراد منهم الايمان لان
كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره ولما ذكر تعالى منه على عباده بخلق الحيوانات لاجل
الانتفاع والزينة عقبه بذكر انزال المطر لانه من اعظم النعم على عباده فقال هو
اي لا غيره مما يدعى فيه الالهية الذي انزل اي بقدرته الباهرة من السماء ماء
نفسها او من غيرها او من جهتها او من السحاب كما هو مشاهد ما اي واحد يحسونه
بالذوق والبصر لكم منه اي من ذلك الماء شراب اي يشربونه وقد بين تعالى في اية اخرى
ان هذه النعمة جليلة فقال وجعلنا من الماء كل شيء حي فان قيل ظاهر هذا الشرب ليس
للنفس المطر اجيب بانه تعالى لم ينف ان يشرب من غيره وبتقدير الحصر لا يمتنع ان يكون

الماء العذب تحت الارض من جملة ما الماء سكنت هنا كدليل قوله في سورة المؤمنين
وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض ومنه اي من الماء شجر اي نبت به
والشجر هنا كل نبات من الارض حتى الكلا وفي الحديث لا تاكلوا ثمن الشجر فانه سحت
يعني الكلا فان قيل قال المفسرون في قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان والمراد من
النجم ما ينجم من الارض مما ليس له ساق ومن الشجر ما ليس له ساق اجيب بان عطف
الجنس على النوع وبالضد مشهور وايضا فلفظ الشجر يشعر بالاختلاط يقال تشاجر
القوم اذا اختلط اصواتهم بعضهم ببعض وتشاجرت الرماح اذا اختلطت وقال
تعالى حتى يحكموك فيما شجر بينهم ومعنى الاختلاط حاصل في القسب والكلا فجاز
اطلاق لفظ الشجر عليه ويصح ان يكون المراد بالشجر هنا ما له ساق لان الابل
تقدر على رعي ورق الاشجار الكبار وحينئذ فاطلاق الشجر على الكلا مجاز فيه
اي الشجر ترعون اي ترعون مواشيكم يقال اسمت الماشية اذا خليتها ترعى وسامت
هي اذا رعت حيث شاءت قال الزجاج اخذ ذلك من السومة وهي العلامة لانها تؤثر
في الارض برعيها علامات وقال غيره لانها تعلم الارسال في المرعى ولما ذكر تعالى
الحيوانات تفصيلا واجمالا ذكر في الثمار تفصيلا واجمالا بقوله ينبت اي الله
لكم به اي بذلك الماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات فبدا
بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير والارز لان به قوام
البدن وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الادم والدهن ويارك فيه وثلث بذكر
النخيل لان ثمرها غذاء وفاكهة وختم بذكر الاعناب لانه شبيه النخل في المنفعة من
التفكه والاغذية ثم ذكر تعالى سائر الثمار اجمالا ليتنبه بذلك على عظيم قدرته
وجزيل نعمته على عباده لان الحبة الواحدة تقع في الطين فاذا مضى عليها مقدار
معين من الوقت تفذ في داخل تلك الحبة اجزاء مترطوبة الارض وتداوتها فتفتح
الحبة فتنشق اعلاها واسفلها فيخرج من اعلا تلك الحبة شجرة صاعدة من داخل الارض
الى الهواء ومن اسفلها شجرة اخرى غائصة في قعر الارض وهذه الغائصة هي التي
يعرفها الفجرة ثم ان تلك الشجرة لا تزال تزداد وتنمو وتعلو ثم يخرج منها الاوراق
والازهار والاكمام والثمار ثم ان تلك الشجرة تشتمل على اجسام مختلفة الطبايع
مثل العنب فان قشره وعجمه باردان يابسان كثيفان ولحمه وماؤه حار رطب لطيف
والى ذلك الاشارة بقوله تعالى ان في ذلك لاية بينة على ان فاعل ذلك تام القدرة

يقدر على الاحياء

يقدر على الاعادة وانه مختار يفعل ذلك في الوقت الذي يريده وانما يحصل
معرفة ذلك لقوم يتفكرون فيما ذكر من دلايل قدرته ووحدانيته فيومنون
ثم ذكر سبحانه وتعالى ما يدل على انه الفاعل المختار بقوله تعالى وسخر لكم
اي ايها الناس لاصلاح احوالكم الليل للسكني والنهار للمعاش ثم ذكر اية النهار
فقال والشمس اي لمنافع اختصاصها ثم ذكر اية الليل والنهار والقمر لامور علقها
به والنجوم اي الايات نصبها لهم ثم نبه على تغيرها بقوله تعالى مسخرات اي
بانواع التغيير لما خلقها له على اوضاع دبرها بامره اي بارادته بما لصلاحكم
وصلاح ما به قوامكم دلالة على وحدانيته تعالى وفعله تعالى بالاختيار ولو شاء
تعالى لاقام اسبابا غيرها او اغنى عن الاسباب وقرأ ابن عامر برفع الاربع
وهي الشمس والقمر والنجوم ومسخرات على الابتداء والخبر وافقه حفص
في الاثنتين الاخيرين والنجوم مسخرات لاغير والباقون بالخفض اي بنصبين
بالخفض عطفا على ما قبله في الثلاث الاول وفي الرابع وهو مسخرات على
الحال ولما ذكر سبحانه وتعالى هذه الاشياء وجعلها مسخرة لمنافع عباده ختم
ذلك بقوله ان في ذلك اي التسخير العظيم لايات اي دلالات متعددة كثيرة عظيمة
لقوم يعقلون اي تدبروا فيعلموا ان جميع الخلق عن قدره وقدرته وتسخيره
لما اراده منهم وقوله تعالى وما ذرأ اي خلق لكم في الارض عطف على الليل اي
وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات وقيل انه في موضع نصب بفعل محذوف
اي وخلق هكذا مختلفا قدره ابو البقاء وكانه استبعد تسلط سخر على ذلك فقدر فعلا
لا يقال وقوله تعالى مختلفا حال منه وقوله تعالى الوانه اي في الخلقة والهيئة
والكيفية فاعلم ان في ذلك لاية لقوم يذكرون اي يتعظون تنبيه ختم تعالى الاية
الاولى بالتفكر لان ما فيها يحتاج الى تامل ونظر وختم الثانية بالعقل لان مدركها تقدم
عليه وختم الثالثة بالتذكر لانه يجتنبها تقدم وجمع الايات في الثانية دون الاولى
والثالثة لان ما نيط بها اكثر ولذلك ذكر بها العقل ولما استدل سبحانه وتعالى
على اثبات الاله اولا باجرام السموات والارض وثانيا ببدن الانسان وثالثا بعجايب
خلقة الحيوان ورابعا بعجايب النبات ذكر خامسا عجايب العناصر وبدا بالاستدلال
بعنصر الماء بقوله تعالى وهو اي لا غيره وقرا نافع وابو عمرو والكسائي بكسر الهاء والباقون
بضمها الذي سخر البحر اي ذلله وهيا لعيش ما فيه من الحيوان وتكون الجواهر وغير ذلك قال علما

الهيبة ثلاثة ارباع كرة الارض غايصة في الماء ذكر هو البحر المحيط وجعل في
هذا الرابع المسكون نسبة ابحر قال تعالى والبحر بعده مداده سبعة ابحر والبحر
الذي سخره الله تعالى للناس هو هذه البحار بعد تسخيرها الخلق ما مرت منه
جعلها بحيث يتمكن الناس من الانتفاع بها بالوكوب وبالغوص وبغير ذلك من منافع
البحار كثيرة وذكر سبحانه وتعالى فيما ثلاثة منافع الاولى قوله تعالى لتاكلوا منه
اي بالاصطياد وغيره من لحوم الاسماك لحما طريا لا تختانهم منه ولا الين وهو طبي
اللحوم فيسرع اليه الفساد فيبادر الى اكله عدبا ففي ذكره دلالة على قدرته تعالى
وذلك ان الحمد لو كان كله ما الحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري
لانه لما خرج من البحر المالح اللحم الطري في غاية العذوبة علم انه بخلق الله وقدرته
لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله تعالى قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة
الثانية قوله تعالى وتستخرجوا منه اي بجهدكم في الغوص وما يتبعه حلية اي اللولو
والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان تلبسونها اي نساؤكم وهن بعضكم
فكان اللايق انتم ولان زينة النساء الحلي انما هو لاجل الرجال فكانه ذكر زينتهم للتتمة
الثالثة قوله تعالى وترى الفلك اي الفت مواخر اي تمخر الماء شقه بجريها فيه اي مقبلة
ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين احداهما تقبل والاخرى تدبر بريح واحدة وقال
مجاهد تمخر السفن يعني انها اذا جرت يسمع لها صوت وقال الحسن مواخر يعني عاصفة
متتابعا وقوله تعالى ولتبتغوا اي لتطلبوا عطف على تاكلوا وما بينهما اعتراض
وقيل عطف على محذوف تقديره لتنتفعوا ولتبتغوا من فضله اي من سعة رزقه
من كونها للتجارة والوصول الى البلدان الشاسعة ولعلكم تشكرون الله على هذه
النعم التي انتم عاجزون عنها ولا تحصرونها ثم انه ذكر بعض النعم التي خلقها الله تعالى
في الارض بقوله تعالى والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد اي كراهة
ان تميد وتضطرب بكم وقيل ليلا تميل بكم والاول قدره البصريون والثاني قدره
الكوفيون وقد تقدم مثل ذلك في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا روي ان الله تعالى
خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملايكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارست
الجبال ولم تدر الملايكة ثم خلقت وقوله تعالى وانهارا عطف على رواسي لان الالقاء في
الخلق والجعل الاتي بانه تعالى قال في اية اخرى وجعل فيها رواسي من فوقها وقال تعالى
والقيت عليك محبة مني وذكر بعض الانهار بعد الجبال لان معظم عيوب الانهار وفصولها تكون من الجبال وجعل

لكم فيها سبلا اي طرقا مختلفة تسلكوا فيها في اسفاركم والتردد في حوايجكم من بلد
الى بلد ومن مكان الى مكان لعلكم تهتدون اي بتلك السبل الى مقاصدكم والى معرفة الله تعالى
فلا تضلون وجعل لكم فيها علامات اي من الجبال وغيرها جمع علامة تهتدون بها في اسفاركم
وعلامات الدلالة بالنجم اقطع الدلالات واوضحها بر او بحر الليلا ونهارا ومن علي عظمها بالالتفات
الى مقام الغيبة لاوهام المخاطب ليلا يظن ان المخاطب مخصوص والامر لا يقتضيه فقال تعالى
وبالنجم الجنس هم اي اهل الارض كلهم واولى الناس بذلك المخاطبين وهم قريش ثم العرب
كلها لعرفهم معرفتهم بالنجوم يهتدون وتقدم الجار لتنبيهها على ان الدلالة غيره بالنسبة
اليه ساقلة وقيل المراد بالنجم الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقيل الضمير لقريش
لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم ولما ذكرهم
سبحانه وتعالى من عجايب قدرته وبديع خلقه ما ذكر على الترتيب الاحسن والنظم الاكمل
وكانت هذه الاشيا المخلوقة المذكورة في الايات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله
ووحدانيته وانه تعالى المنفرد بخلقه جميعها قال على سبيل الانكار على من ترك عبادته
واشتغل بعبادة هذه الاصنام العاجزة التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء افمن يخلق
اي هذه الاشيا الموجودة وغيرها مما لا يخلق شيا منه ذلك على ايجاد شيء ما فكيف يليق
بالعاقل ان يشتغل بعبادة من لا يستحق العبادة وترك عبادة من يستحقها وهو الله تعالى فان
قيل ذلك الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها الهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل
الخالق فكان حق الالزام ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق اجيب بانهم لما جعلوا غير الله مثل
الله تعالى في تسميته بالهه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوها
بها فاقيم عليهم ذلك بقوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق فان قيل من لا يخلق ان اريد به جميع ما عبد
من دون الله كان وروحه واضحا لان العاقل يغلب على غيره فيعبر عن الجميع بمن ولو جي
ايضا بما جاز وان اريد به الاصنام فلو جي بمن الذي هو لاولي العلم اجيب بانهم سموها الهة
وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الاتي في قوله تعالى انهم والذين تدعون من دون الله
لا يخلقون شيا وهم يخلقون والى قول الشاعر

بكيت الى سرب القطا اذ مررن بي ٭ فقلت ومثلي بالبكا جدير
اسرب القطا هل من يعير جناحه ٭ لعلي الى من قد هويت اطير

فاوقع منه على السرب لما فيها معاملة العقلا وقيل للمشاكلة بينه وبين من يخلق ليس كمن لا يخلق
منه ولي العلم تكبيت عما لا علم عنده كقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها يعني الالهة حالهم بخلاف

من لهم ارجل وايد واذان وقلوب لان هولا احياء وهم اموات فكيف يصح لهم العبادة
الا انها لوصحت لهم هذه الاعضا لصح ان يعبدوا والملكات هذا القدر ظاهر غير خاف
على احد فلا يحتاج فيه الى تدقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لذلك قوله
تعالى افلا تذكرون بما تشاهدونه من ذلك وقولوا من بعض الوجوه
تتفكرون تنبيه احتج اهل السنة بهذه الاية على ان العبد غير خالق لافعال نفسه
لانه تعالى مين نفسه عن الاشيا التي يعبدونها بصفة الخالقية لان الغرض من
قوله تعالى الممن يخلق تمكن لا يخلق بيان تميزه عن هذه الاشيا بصفة الخالقية وانه
انما استحق الالهية والعبودية لكونه تعالى خالقا وهذا يقتضي ان العبد لو كان
خالقا لشيء لوجب كونه الها معبودا ولما كان ذلك باطلا علمنا ان العبد لا يقدر على
الخلق والايجاد ولما كانت المعبودات لا تكثر والكوها فهم على العبادة مذكرة لهم
بقولهم بخالقتهم قال امتنانا عليهم بالحاسة من غير سبب منهم وان تعدوا نعمة
الله اي لا تعلم الملك الاعظم الذي لا رب غيره عليكم من صحة البدن وعافية
وعافية الجسم واعطا النظر الصحيح والعقل السليم وبسط اليدين ومشي الرجلين
الى غير ذلك مما انعم به عليكم وما خلق لكم مما تحتاجون اليه من امور الدنيا حتى لو رام
احد حصر معرفة او في نعمة من هذه النعم لعجز عنها وعن معرفتها او حصرها فضلا عنها
يفوت الحصر والعد اي لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم مع كثرتها واعراضكم
جملة عن شكرها والعبد وان اتقن نفسه في القيام بالطاعات والعبادات وبالغ في
شكر نعم الله تعالى فانه يكون مقصرا لان نعم الله كثيرة واقسامها عظيمة وعقل الخلق
قاصر عن الاحاطة بعبادها فضلا عن غاياتها لكنه الطريق الى فلك ان يشكر الله تعالى على
جميع نعمه مفصلها ومجملها ان الله لغفور اي لتقصيركم في القيام بشكرها مع بقية النعمة
كما يجب عليكم رحيم بكم توسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي ثم
تعالى والله يعلم ما تسرون وما تعلنون فيه وجهان الاول ان الكفار مع كفرهم كانوا يعرفون
اشياء وهم كانوا يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون اي وما يظهرونه من ذلك
صلى الله عليه وسلم فاخبر الله تعالى بانه عالم بكل احوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه
خافية وادق وخفية الثاني انه تعالى لما ذكر الاصنام وذكر عجزها في الاية المتقدمة
ذكر في هذه الاية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان يكون عالما بكل المعلومات سرها وجهرها
وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف تعالى هذه الاصنام بصفات الاولى منها

في قوله تعالى والذين تدعون اي تعبدون من دون الله اي الاصنام وتعتقدون انها الهة
وقراءهم بالياء على الغيبة والباقون بالتا على الخطاب لا يخلقون شيا وهم يخلقون اي يصورون
من الحجارة وغيرها فان قيل قوله تعالى في الاية المتقدمة افمن يخلق كمن لا يخلق تدل على ان هذه
الاصنام لا تخلق شيا وهم يخلقون وهذا هو المعنى المذكور في تلك الاية المذكورة فما فايدة هذا
التكرار اجيب بان فايدته ان المعنى المذكور في الاية المتقدمة انهم لا يخلقون شيا فقط والمذكور
في هذه الاية انهم لا يخلقون شيا وهم يخلقون غيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فايدة
التكرار فكانه تعالى بدا بشرح نقصهم في ذاتهم وصفاتهم فبين اولا انهم لا تخلق شيا ثم
بين ثانيا انهم كما لا تخلق غيرها فهي مخلوقة كغيرها الصفة الثانية قوله تعالى اموات
اي جمادات لا روح لها غير احيا اذ الاله الذي يستحق ان يعبد هو الحي الذي لا يموت فان
قيل علم من قوله اموات انها غير احيا فما الفايدة في ذكره اجيب بان من الاموات ما يعقب
موته حياة كالنطف التي يخلقها الله تعالى حيوانا واجساد الحيوانات التي تبعث بعد موتها
ولما الحجارة فاموات لا يعقب موتها حياة وذلك معرف في موتها وقيل ذكر للتاكيد لان الكلام
مع الكفار الذين يعبدون الاوثان وهم في غاية الجهالة والضلالة ومن تكلم مع الجاهل
الغبي فقد يعبر عن المعنى الواحد بالعبارات الكثيرة وغرضه الاعلام بكون المخاطب في غاية
الغباوة في انه لا يفهم المعنى المقصود بالعبارة الواحدة الصفة الثالثة قوله تعالى وما
يشعرون اي الاصنام ايان وقت يبعثون اي وما تعلم هولا الالهة متى تبعث الاحياء كما
يعلمها الله ان شعور الجماد محال فكيف يشعر بما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه وتعالى
وقيل الضمير راجع للاصنام قال ابن عباس ان الله يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيومر بالكل الى النار وقيل المراد بقوله تعالى والذين تدعون من دون الله الملايكة
وكان ناس من الكفار يعبدونهم فقال الله تعالى انهم اموات اي لا بد لهم من الموت غير احيا
اي باقية حياتهم وما يشعرون اي لا علم لهم بوقت بعثهم وللمازني سبحانه وتعالى طريقة
عجيبة الاصنام وبين فاسد مذهبهم قال تعالى الههكم اي ايها الخلق جميعا المعبود بحق اله
اي متصف بالالهية على الاطلاق بالغة الى كل اوان وكل زمان وكل مكان واحد لا يقبل التعدد
الذي هو مثار النقص بوجه من الوجوه لان التعدد يستلزم امكان التمانع المستلزم للعجز
المنافي للعبودية فالذين اي وتسبب عن هذا ان الذين لا يومنون بالاخرة
اي دار الجزا ومحل اظهار الحكم الذي هو ثمرة الملك والعدل الذي هو مدار العظمة قلوبهم
منكرة اي جاحدة للوحدانية وهم اي والحال انهم بسبب انكارهم مستكبرون اي متكبرون

عن الايمان بها الاجرم اي حقا ان الله يعلم علما عجيبا وشاهدنا ما يسرون اي يخفون
مطلقا او بالنسبة الى بعض الناس وما يعلنون اي يظهرونه فيجازيهم بذلك والقرائن
في ذلك معنى التهديد على ذلك بقوله انه اي العالم بالسر والعلن لا يحب المستكبرين
اي على خلقه فما بالك بالمستكبر على التوحيد واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
ومعنى عدم محبتهم انه يعاقبهم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل
يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال
الكبر بطر الحق وغمص الناس ومعنى بطر الحق انه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله
ومعنى غمص الناس استقباحهم وازدراؤهم وما بالغ سبحانه وتعالى في دلائل التوحيد
واورد الدلائل القاهرة في ابطال مذهب عبدة الاصنام قال تعالى عاطفا على قولهم
منكرة واذا قيل لهم اي لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالاخرة وقوله تعالى ما استهامية رفعا
موصولة اي ما الذي انزل ربكم على محمد صلى الله عليه وسلم واختلف في قائل هذا القول
فقيل كلام بعضهم لبعض وقيل قول المسلمين لهم وقيل قول المقتسمين الذين اقتسموا
مداخل مكة يقفون عند سول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاهم وفود الحاج كما انزل
الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا ما كاذبين تأنيب القرآن هو اساطير
الاولين مع عجزهم بعد تحديهم عن معارضة اقصر سورة منه مع علمهم بانهم افصح
الناس وانه لا يكون متأخر من الناس متقدم او متأخر قولا الا قالوا البلغ منه فان
قيل هذا كلام متناقض لانه لا يكون منزلا منه ويساطير اجيب بانهم قالوا على سبيل
السخرية كقولهم ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون واللام في قوله تعالى ليحملوا
لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وذلك
لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم اي
ذنوب انفسهم وانما قال تعالى كاملة ليلا يتوهم انه يكفر عنهم شيء ببب البلايا التي
اصابتهم في الدنيا واعمال البر التي عملوها في الدنيا بل يعاقبون بكل اوزارهم يوم القيامة
الذي لا شك فيه ولا محيص عنه اتيانه قال الرازي وهذا يدل على انه تعالى قد يسقط
بعض العقاب عن المؤمنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص
هؤلاء الكفار بهذا التكميل فايدة ولم يحملوا ايضا من حسنات اوزار الجهلة الضعفاء الذين
يضلونهم وقوله تعالى بغير علم حال من مفعول يضلونهم اي يضلونهم حال كونهم
جاهلين

اومن الفاعل

اومن الفاعل وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان
عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل وانما حصل للرؤساء الذين
اضلوا غيرهم بقصدهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع لانهم دعوهم الى الضلال ثم
فاتبعوهم واشتركوا في الاثم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك
من اجورهم شيا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص
ذلك من اثامهم شيا اخرجه مسلم ومعنى الاية والحديث ان الرئيس والكبير اذا سن
سنة حسنة او سيئة قبيحة فتبعه عليها جماعة فعلموا بها فان الله تعالى يعطيهم
ثوابه وعقابه يكون ذلك الثواب والعقاب مساويا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع
الذين عملوا بتلك الحسنة او القبيحة وليس المراد بان الله يوصل جميع الثواب والعقاب
الذي استحقه الاتباع الى الرؤساء ويدل لذلك قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فتنبه قال الواحدي لفظة من في قوله
تعالى ومن اوزار ليست للتبعيض لانها لو كانت لذلك لنقص عن الاتباع بعض الاوزار
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا ينقص ذلك من اثامهم شيا لكنها للجنس كما قدرت ذلك
في الاية الكريمة اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع وقيل انها للتبعيض وهي
عليه البيضاوي تبعا للزمخشري الا ساء اي بئس ما يزرون اي يحملون حملهم
هذا وفي هذا وعيد لهم وتهديد فان قيل ان الله تعالى حكى هذه الشبهة عن
القوم ولم يجب عنها بل اقتصر على محض الوعيد فما السبب في ذلك اجيب بان السبب
فيه انه تعالى بين كون القرآن معجزا بطريقين الاول انه صلى الله عليه وسلم
تحداهم تارة بكل القرآن وثانيا بعشر سور وثالثا بسورة ورابعا بحديث واحد
معجزا عن المعارضة وذلك يدل على كونه معجزا الثاني انه تعالى حكى هذه الشبهة
بعينها في اية اخرى وهي قوله تعالى اكنة ان يفقهوه الاية وهي تمالي عليه بكرة واصيلا وابطلها
بقوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ومعناه ان القرآن يشتمل
على الاخبار بالغيوب وذلك لا يتأتى الا ممن يكون عالما باسرار السموات والارض
ولما ثبت كون القرآن معجزا بهذين الطريقين وتكرر شرح هذين الطريقين مرارا
كثيرة لا جرم اقتصر في هذه الاية على مجرد الوعيد ولم يذكر ما يجري مجرى الجواب عن
هذه الشبهة ثم انه تعالى بالغ في وصف وعيد هؤلاء الكفار بقوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم

اي بمذروا اثارهم ودخلوا في ديارهم فاتى الله اي امره بنيانهم من القواعد
اي من جهة النهد التي بنوا عليها مكرهم فخر اي سقط عليهم السقف من فوقهم
وصار سبب هلاكهم وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم
الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم واما الوقف فحمزة بضم الهاء على اصله والباقون
بالكسر واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون اي من جهة لا تخطر ببالهم وهذا
على سبيل التمثيل اي الشبه والتخييل لافادة ما ابوموه من المكر بالرسل فجعل
الله هلاكهم فيما ابوموه كما لو قدر بنو ابنيانا ومهدوه للاساطين فاتى البنيان
من الاساطين بان تصدعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه منحفر لاخيه جبا
وقع فيه منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل ليصعد الى السماء قال
ابن عباس كان طول الصرح في السماء خمسة الاف ذراع وقال كعب كان طوله وسخين
فاهب الله تعالى الريح فالقت راسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته قال البغوي
ولما سقط الصرح تبلبلت السنة الناس يومئذ من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا
فلذلك سميت بابل وكانت لسان الناس قبل ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى فاتى الله
بنيانهم من القواعد اي اتى امره فخرب بنيانهم من اصلها واصولها فخر عليه وعلى قومه
السقف اي على البيوت من فوقهم فهلكوا تنبيه قال ابن الخازن في قول البغوي وكان
لسان الناس قبل ذلك بالسريانية نظر لان صالحا عليه السلام كان قبلهم وكان يتكلم بالعربية
وكان اهل اليمن عربا منهم جرهم الذي نشا اسماعيل بينهم وتعلم منهم العربية وكان ببابل
من العرب طائفة قديمة قبل ابراهيم انتهى وقد يقال انه كان لسان اكثر الناس بالسريانية
فلا ينافي ذلك فان قيل ما فايدة قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم والسقف من فوقهم
اجيب بانهم قد لا يكونون تحته فلما قال تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم دل على انهم كانوا
تحته وحينئذ يفيد هذا الكلام لان الابنية قد تهدمت وهم ما توا تحتها ولما ذكر تعالى حال
المكر في الدنيا فكر حالهم في الاخرة بقوله تعالى ثم يوم القيامة يخزيهم اي يذلهم ويهينهم
بعذاب النار ويقول لهم الله تعالى على لسان الملايكة توبيخا اين شركاي اي في زعمكم
واعتقادكم الذين كنتم تشاقون تخالفون المومنين فيهم اي في شانهم وقرا نافع بكسر النون
والباقون بفتحها قال اي يقول الذين اوتوا العلم اي من الانبياء والمومنين وقال ابن عباس
يريد الملايكة ان الخزي اي البلا الذل اليوم اي يوم الفصل الذي يكون للفايز فيه
العاقبة المامونة والسواي كل ما يسوء على الكافرين اي المزيقين في الكفر الذين تكبروا

في غير موضع

في غير موضعه التكبر وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لا يكون
لطفا لمن سمعه تنبيه في الاية دلالة على ان ماهية الخزي وماهية السوء يوم القيامة
مختصة بالكافرين وهذا ينفي حصول هذه الماهية في حق غيرهم ويوكد هذا قول
موسى عليه السلام انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى ثم انه تعالى وصف
عذاب هولاء الله الكافرين من وجه اخر فقال سبحانه وتعالى الذين تتوفاهم الملايكة
اي يقبض ارواحهم ملك الموت واعوانه وقرا حمزة في هذه الاية وفي الاية الاتية بالياء
في الموضعين على التذكير لان الملايكة ذكور والباقون بالتاء على التانيث لان لفظ الجمع مونث
ظالمي انفسهم اي بان عرضوها للعذاب المخلد بكفرهم فالقوا السلم اي استسلموا وانقادوا
حين عاينوا الموت قايلين ما كنا نعمل من سوء اي شرك وعداوة فتقول لهم الملايكة بلى اي
بل كنتم تعملون اعظم السوء فرد تكذيبهم بقوله تعالى ان الله عليم بما كنتم تعملون اي فلا
فايدة لكم في انكاركم فنجازيكم به ولما كان هذا الفعل مع العلم ببالدخول اجرهم قال تعالى
فادخلوا اي ايها الكفرة ابواب جهنم اي ابواب طبقاتها ودركاتها خالدين اي مقدرين
الخلود فيها اي جهنم لا يخرجون منها وانما قال تعالى ذلك لهم ليكون اعظم في الخزي والنهم
وفي ذلك دليل على ان الكفار يعذبون اشد عذاب امة حيث قال تعالى فلبيس مثوى
اي ماوى المتكبرين عن قبول التوحيد وساير ما اتت به الرسل وما بين تعالى احوال
المكذبين ذكر احوال المصدقين بقوله تعالى وقيل للذين اتقوا اي خافوا عقاب الله
ماذا اي اي شيء انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وذلك ان احيا العرب كانوا يجتمعون
ايام الموسم حين ياتيهم خبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء سال الذين قعدوا على الطرق عنه
فيقولون ساحر كاهن كذاب مجنون ولم تلقه خير لك فيقول السايل انا شر وقد
رجعت الي قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة وبرى اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث من الله تعالى فذلك قوله تعالى وقيل للذين
اتقوا ماذا انزل ربكم الاية فان قيل لم رفع الاول وهو قولهم اساطير الاولين ونصب الثاني
وهو قولهم خيرا اجيب بانه ذكر ذلك للفصل بين جواب المقر وجواب الجاحد في ذلك انهم لما
سالوا الكفار عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السوال فقال
اساطير الاولين وليس هو من الانزال في شيء لانهم لم يعتقدوا كونه منزلا ولما سالوا المومنين
عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا وطابق الجواب عن السوال بما كان مشتركا
معقولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا ثم وقف تام ثم ابتدا بقوله تعالى

للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة اي حياة طيبة او ان للذين اتوا الاعمال
الصالحة الحسنة لهم ثوابها حسنة مضاعفة من الواحدة الى العشرة الى السبعماية الى
اضعاف كثيرة او انه تعالى بين ان اعترافهم بذلك احسان في هذه الدنيا حسنة اي جزا
لهم على احسانهم هل جزا الاحسان الا الاحسان ولما كانت هذه الدار سريعة الزوال
اخبر عن حالهم في الاخرة فقال ولدار الاخرة اي الجنة خير اي مما اعد الله لهم في الجنة مما
حصل لهم في الدنيا ثم مدحها ومدحهم بقوله تعالى ولنعم دار المتقين اي دار الاخرة لهذه
لتقدم ذكرها وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها للاخرة وقوله تعالى
جنات اي بساتين عدن اي اقامة خبر مبتدا محذوف ويصح ان يكون المخصوص بالمدح
يدخلونها اي تلك الجنات حالة كونها تجري من تحتها اي من تحت غرفها الانهار ثم
كان سايلا يسال فيما ذا تتمتع الثمار وغيرها فاجيب بان لهم فيها ما يشاءون اي ما تشتهي الانفس
وتلذ الاعين مع زيادات غير ذلك فهذه الاية تدل على حصول كل الخيرات والمبرات
وهي ابلغ من قوله تعالى وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين لان هذين القسمين وقعا
في قوله تعالى لهم فيها ما يشاءون مع اقسام اخرى وعلى ان الانسان لا يجد كل ما يريده
في الدنيا الا ان قوله لهم فيها ما يشاءون يفيد الحصر كذلك اي مثل هذا الجزا العظيم يجزي الله
اي الذي له الكمال كله المتقين اي الراسخين في صفة التقوى ثم حث تعالى على ملازمة
التقوى بالتنبيه على ان العبرة بحال الموت فقال الذين تتوفاهم الملايكة اي تقبض
ارواحهم وقوله تعالى طيبين كلمة مختصرة جامعة للمعاني الكثيرة وذلك لانه يدخل
فيه اتيانهم بكل ما امروا به واجتنابهم عن كل ما نهوا عنه ويدخل فيه كونهم موصوفين
بالاخلاق الفاضلة مبرين عن الاخلاق المذمومة ويدخل فيه كونهم مبرين من العلايق
الجسمانية متوجهين الى حضرة القدس ويدخل فيه انه طاب لهم قبض الارواح وانهالم تقبض
الا مع البشارة بالجنة حتى صاروا كانهم مشاهدون لها ومن هذا حاله لا يتالم بالموت
واكثر المفسرين على ان هذا التوفي هو قبض الارواح كما مر وان كان الحسن يقول
انه وفاة الحشر واستدل بقوله ادخلوا الجنة لانه لا يقال عند قبض الارواح في الدنيا
ادخلوا الجنة واجاب الاكثرون بما ياتي وادعى ابو عمرو الثاني في الحال بخلاف نحو ثم بين تعالى
ان الملايكة يقولون لهم عند الموت سلام عليكم قل عليهم او تبلغهم السلام من الله
تعالى كما روي ان العبد المومن اذا اشرف على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولي الله
الله يقرئ عليك السلام ويبشره بالجنة ويقال لهم في الاخرة هذا جواب الاكثرين ادخلوا

الجنة

الجنة بما كنتم تعملون او انهم لما بشروهم بالجنة صارت الجنة كانها دارهم وكانهم
فيها فيكون المراد بقولهم ادخلوا الجنة اي هي خاصة لكم كائنين فيها وما طعن الكفار
في القرآن بقولهم انه اساطير الاولين وذكروا انواع التهديد والوعيد ثم اتبعه بذكر
الوعد لمن وصف القرآن بكونه خيرا عاد الى بيان ان اولئك الكفار لا يتزجرون ولا
كفرهم واقوالهم الباطلة الا اذا جاءتهم الملايكة او اتاهم امر ربك فقال تعالى هل ينظرون
الملايكة الا ان تاتيهم لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء على التذكير والباقون بالتا
على التانيث وتقدم توجيه ذلك او ياتي امر ربك اي يوم القيامة وقيل العذاب وقيل
انهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل الله تعالى ملكا من السما يشهد على
صدقه في ادعا النبوة فقال تعالى هل ينظرون في التصديق بنبوتك الا ان تاتيهم الملايكة
شاهدين بذلك وعلى كلا التقديرين فقد قال تعالى كذلك اي مثل ما فعل هولا هذا
الفعل البعيد الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم السالفة كذبوا رسلهم فاهلكوا
وما ظلمهم الله باهلاكهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم وتكذيبهم للرسل
فاستوجبوا ما نزل بهم فاصابهم اي فتسبب عن ظلمهم لانفسهم ان اصابهم سيات اي
عقوبات او جزا سيات ما عملوا وحاق بهم اي نزل ما كانوا به يستهزءون تكبروا عن قبول
الحق فخاطبهم جزاوه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقرا حاق حمزة بالامالة والباقون بالفتح
وقال الذين اشركوا للنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين استهزاء منهما للبعثة والتكليف لو شاء الله
ما عبدنا نحن ولا اباونا لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك يمنع من
جواز بعثة الرسل وهو اعتقاد باطل فلذلك استحقوا عليه الذم والوعيد ثم قالوا لهم
ولا حرمنا من دونه من شيء اي من السوايب والبحاير والحامي فهو راجع به وشيئ
وحينيذ فلا فايدة في مجيئك وفي ارسالك وفي هذا عين ما حكاه الله تعالى عنهم في سورة
الانعام في قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله الاية قال الله تعالى كذلك فعل
الذين من قبلهم اي من تقدم هولا من الكفار من الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة
وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل كان قديما في الامم الخالية فقوله ذلك تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وكذلك في قوله تعالى فهل على الرسل الا البلاغ اي الابلاغ المبين اي البين
ليس عليهم هداية احد انما عليهم تبليغ ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه ثم بين تعالى انا بعثنا
امة رسولا بالدعوة الالهية في الامم كلها يبلغهم ما اراد اهتداءهم وزيادة لضلال من اراد ضلاله
كالغذا الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المزاج المنحرف ويفنيه بقوله تعالى ولقد

اي والله لقد بعثنا اي بما لنا من العظمة التي منها اعتراضكم في كلامه من
الامم الذين من قبلكم رسولا اي كما بعثنا فيكم محمدا صلي الله عليه وسلم ان اعبدوا الله
اي الملك الاعلي وحدوه وقرا ابو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي بكسر النون في الوصل
والباقون بالضم واجتنبوا الطاغوت اي الاثان ان تعبدوه فمنهم من هدي الله
اي وفقهم للايمان بارشاده ومنهم من حقت اي وجبت عليه الضلالة اي في علم الله
تعالي فلم يتفهم ولم يرد هداهم تنبيه في هذه الاية ابين دليل علي ان الهادي والمضل
هو الله تعالي لانه المتصرف في عباده يهدي من يشا ويضل من يشا لا معترض لهذا عليه
في ما حكم به لسابق علمه ثم التفتت سبحانه وتعالي الي مخاطبتهم الي انه لم يبق بعد
هذا الدليل القطعي في نظر البصيرة الا الدليل المحسوس للبصر فقال تعالي فسيروا
اي فان كنتم ايها المخاطبون في شك من احوال الرسل فسيروا في الارض اي جنسها
فانظروا بعين الاعتبار ومروا بديار المكذبين واثارهم ثم اشار تعالي بالامر الي ان
احوالهم مما يجب ان يسال عنه للاتعاظ به فقال كيف كان عاقبة اي اخر امر المكذبين
اي من عاد ومن بعدهم من الذين تلقيتم اخبارهم عنه من قلدتموهم في الكفر فهذه اسفاركم
لعلكم تعتبرون ولما كان من المحقق انه ليس بعد الايصال في الاستدلال الي الامر المحسوس
الا العناد اعرض عنهم ملتفتا الي الرسول تسكينا لقلبه الشفيق عليهم محمد صلي الله عليه وسلم فقال
مسليا له ان تحرص علي هداهم فتطلبه بغاية جدك واجتهادك وقد اضلهم الله تعالي
لا قدرة علي ذلك ثم قال الله تعالي فان الله لا يهدي من يضل اي من يرد ضلاله وهو
معين لمن حقت عليه الضلالة وقرا عاصم وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الدال والباقون
بضم الياء وفتح الدال علي البناء للمفعول قال البيضاوي وهو ابلغ ثم قال تعالي وما لهم
اي لهؤلاء الذين اضلهم الله وجميع من يضله من ناصرين اي وليس لهم احد ينصرهم فالدنيا
والاخرة عند مجازاتهم علي الضلالة لينتقدوهم مما يلحقهم عليه من الوبال كما فعل
بالمكذبين ممن قبلهم ثم حكي الله تعالي عن هؤلاء الحمقي انهم ينكرون الحق والشر بقوله
واقسموا بالله جهد ايمانهم اي غاية اجتهادهم فيها لا يبعث الله من يموت وذلك لانهم
قالوا ان الانسان ليس هو الاهذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبلي
امتنع عوده بعينه لان الشي اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فناية فكذبهم
الله تعالي في قولهم بقوله تعالي بلي اي ليبعثهم بعد الموت فان لفظة بلي اثبات لما
بعد النفي والجواب عن شبههم ان الله تعالي خلق الانسان واوجده من العدم ولم يكن شيا

فالذي اوجده

الاولي وقوله تعالي وعدا عليه حقا مصدران موكدان منتصبان بفعلهما المقدر
اي وعد ذلك وحققه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا علم لهم بوصلهم ذلك لانه
من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول اليه بغير ارشاد من الله تعالي ولا هم
يقبلون اقوال الدعاة اليه الذين ايدهم بروح منه لتقيدهم بما يوصل الي عقولهم
انها قاصرة علي عالم الشهادة لا يمكنها الترقي منه الي عالم الغيب بغير واسطة منه
سبحانه وتعالي فلذلك ترى الانسان منهم يابي ذلك استبعادا وهو خصيم مبين وقوله
تعالي ليبين لهم الذي يختلفون فيه يتعلق بما دل عليه بلي ان يبعثهم ليبين لهم
والضمير لمن يموت وهو عام للمومنين والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق
وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لو شا الله ما عبدنا من دونه من شي
وقولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا
اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا علي الضلالة قبله مفترين علي الله
الكذب ثم بين سبحانه وتعالي تيسر الاعادة بقوله تعالي انما قولنا اي بما لنا من العظمة والقدرة
لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون اي يتسبب عن ذلك القول انه
يكون تنبيه قوله تعالي قولنا مبتدا وان نقول خبرها فيكون وكن من كان التامة التي
بمعني الحدوث والوجود اي اذا اردنا حدوث شي فليس الا ان نقول له احدث فيحدث عقب
ذلك من غير توقف فان قيل قوله تعالي كن ان كان خطابا مع المعدوم فهو محال وان
كان خطابا مع الموجود فكان امرا بتحصيل الحاصل وهو محال اجيب بان هذا تمثيل
لنفوذ الكلام والقايات وخطاب مع الخلق بما يعقلون ليس هو خطاب المعدوم لان ما اراده
وهو كاين علي كل حال وعلي ما اراده من الاسراع ولو اراد تعالي خلق الدنيا والاخرة
عاجلهما من السموات والارض في قدر لمح البصر لقدر علي ذلك ولكنه خاطب تعالي العباد
بما يعقلون وعن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم يقول الله تبارك وتعالي يشتمني ابن ادم وما ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي
له اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه فيقول ليس يعيدني كما بدانني وفي
رواية كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن ينبغي له ذلك فاما تكذيبه اياي فيقول
لن يعيدني كما بدانني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فيقول اتخذ الله
ولدا وانا الله الاحد الصمد الذي لم ألد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقرا ابن عامر والكسائي

بفتح النون من يكون عطفا على يقولوا او جوابا للامر والباقون بالرفع وما حكى الله تعالى
عن الكفار انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم على انكار البعث والقيامة دل ذلك على انهم
عادوا في الغي والجهالة والجهل والضلال وفي هذه الحالة لا يبعد اقدامهم على ايذاء
المسلمين واثر الالف عليهم وحينئذ يلزم على المؤمنين ان يهاجروا من تلك الديار
والمساكين كي تبين تعالى حكم المهاجرة وما للمهاجرين من الحسنة في الدنيا
والاخرة بقوله تعالى **والذين هاجروا في الله** اي في حقه ولوجهه لاقامة دينه
من بعد ما ظلموا وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله تعالى
عنهم ظلمهم اهل مكة وعذبوهم الى ان هاجر منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة
فجمع الله تعالى بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة او المحبوسون المعذبون
بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعياش
وابو جندل وسهيل اخذهم المشركون بمكة فاخذوهم يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام
الى الكفر فاما بلال فكان اصحابه يخرجونه الى بطحاء مكة في شدة الحر ويشدونه ويجعلوا
على صدره الحجارة وهو يقول احد احد فاشتراه منهم ابو بكر رضي الله تعالى عنه واعتقه
واشترى بعمه ستة نفر اخرجوا واما صهيب فقال انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم
وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما راه ابو بكر قال له ربح البيع
يا صهيب وقال له نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخف
الله تعالى الا طاعته **لنبوئنهم** اي لننزلنهم **في الدنيا حسنة** وهو المدينة وقيل النصرة
اليهم في الدنيا بان يفتح لهم مكة وغيرها من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها وقيل المراد
بالحسنة في الدنيا التوفيق والهداية الى الدين **ولاجر الاخرة** وهي الجنة **اكبر**
الى وجهه الكريم **اكبر** اي اعظم **لو كانوا يعلمون** اي الكفار والمتخلفون عن المهاجرة
بالمهاجرين من الكرامة لواقفوهم وقيل انه راجع الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون
ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبروا وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدكم
في الدنيا وما ادخر لكم في الاخرة افتقر ثم يقرا هذه الاية وقوله تعالى **الذين صبروا**
اي على الشدائد وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله وعلى الجهاد في دينه وبذل
الاموال والانفس في سبيل الله محله رفع على هم او نصب على المدح ويجوز ان يكون بدلا
للموصول قبله نعتا او بيانا فمحله محله **وعلى ربهم يتوكلون** اي منقطعين اليه

متوضين الامور كلها اليه تنبيه ذكر الله تعالى في هذه الاية الصبر والتوكل وهما مبتدا
السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وترك
الطاعات واحتمال الاذى من الخلق واما التوكل فهو الانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه
الى الحق كما مر من الاشارة اليه فالاول هو مبدا السلوك والثاني هو اخر الطريق ومنتهاه
ونزل لما ان مشركو مكة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله اعظم واجل ان يكون
رسوله بشرا فهلا بعث ملكا الينا **وما ارسلنا من قبلك** يا محمد الى الامم من طوائف البشر
الا رجالا لا ملائكة بل ادميين هم في غاية الاقتدار على الصبر والتوكل الذي محط الرحال
يوحي اليهم بواسطة الملائكة فعادة الله جارية مستمرة من اول مبتدا الخلق
الى الان ان بعثة رسولا الا من البشر **فاسئلوا اهل الذكر** اي اهل الكتاب وهم اليهود
والنصارى وانما امرهم الله تعالى بسؤالهم لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل
الكتاب اهل علم وقد ارسل اليهم رسلا مثل موسى وعيسى عليهما السلام من البشر
وكانوا بشرا مثلهم فاذا سالوهم فلا بد ان يخبروهم ان الرسل الذين ارسلوا اليهم
كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك فربما زالت هذه الشبهة وقال ابن عباس يريد
اهل التوراة والدليل عليه قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني
التوراة والذكر هو التوراة وقال الزجاج معناه اسئلوا كل من يذكر علم وتحقيق
ولما كان عندهم احسن من ذلك سماع اخبار الامم قبلهم اشار اليه بقوله ان كنتم
اي جبلة وطبعا **لا تعلمون** ذلك فانهم يعلمونه وانتم الى تصديقه اقرب من تصديق
المبتدين بمحمد صلى الله عليه وسلم وقوله **بالبينات** متعلق بمحذوف اي ارسلناهم
بالحجج الواضحة وقيل التقدير ان كنتم لا تعلمون بالبينات **والزبر** اي الكتب فاسئلوا
اهل الذكر وقيل انه متعلق بمحذوف جوابا لو الا مقدرا كانه قيل بم ارسلوا فقيل
ارسلوا بالبينات وقوله تعالى **وانزلنا اليك الذكر** خطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم والذكر هو القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتذكير **لتبين للناس** كافة اي
لتعلمهم الله تعالى من التكليف الذي تعبدت به جميع الخلق واللسان الذي هو اعظم
الالسنة وافصحها وقد اوصلك الله تعالى فيه الى رتبة لم يصل اليها احد ما نزل اي
ما وقع بتنزيله **اليهم** من هذا الشرع المودي الى سعادة الدارين بتبيين المجمل وشرح
ما اشكل من علم اصول الدين الذي راسه التوحيد ومن البعث وغيره فان القران
فيه محكم وفيه متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل فيطلب بيانه

من السنة ولعلهم يتفكرون فيما انزل اليهم اذا نظروا اساليبه الغايقة ومعانيه
العالية الرايقة فيعتبرون فان قيل هذه الاية تدل علي ان المبين لكل التكاليف
والاحكام هو النبي صلي الله عليه وسلم فالقياس ليس بحجة اجيب بانه صلي الله
عليه وسلم لما بين ان القياس حجة فمتي رجع في تبيين الاحكام والتكاليف الي القياس
كان ذلك في الحقيقة رجوعا الي بيان النبي صلي الله عليه وسلم وقوله تعالي ام امن
الذين مكروا السيات فيه اضمار تقديره ام امن الذين مكروا السيات وهم كفار قريش مكروا
بالنبي صلي الله عليه وسلم واصحابه وبالقرآن في اذيتهم والمكر عبارة عن السعي
بالفساد علي سبيل الاخفاء ثم انه تعالي ذكر في تهديدهم اربعة امور الاول قوله
تعالي ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون واصحابه فاذاهم في بطنها
لا يقدرون علي نوع تقليب بمتابعة ولا غيرها الثاني قوله تعالي او يأتيهم العذاب
علي غير تلك الحالة من حيث لا يشعرون به فيأتيهم بغتة فيهلكهم كما قال يقوم لوط عليه
السلام الثالث قوله تعالي او يأخذهم اي الله بعذابه في حالة تقلبهم ومشاغلهم
حاضرة وقواهم مستجمعة وفي تفسير هذا التقليب وجوه اولها انه تعالي يأخذهم
بالعقوبة في اسفارهم فانه تعالي قادر علي هلاكهم في السفر كما انه قادر علي هلاكهم
في الحضر فما هم بمعجزين اي بفائتين العذاب بسبب ضربتهم في البلاد البعيدة بل
يدركهم الله تعالي حيث كانوا وثانيها انه تعالي يأخذهم بالليل والنهار وفي حال اقبالهم
وادبارهم ودهابهم ومجيئهم وثالثها ان الله تعالي يأخذهم في حال ما يتقلبون في قضايا
احكامهم فيحول الله بينهم وبين اتمام تلك الحيل وحمل لفظ التقليب علي هذا المعني
ماخوذ من قوله تعالي وقلبوا لك الامور فانهم اذا قلبوها فقد تقلبوا فيها الامر الرابع
قوله تعالي او يأخذهم علي تخوف وفي تفسير التخوف قولان الاول التخوف تفعل
من الخوف يقال خفت الشيء وتخوفته والمعني انه تعالي لا يأخذهم بالعذاب اولا
بل يخيفهم اولا ثم يعذبهم بعده وتلك الاخافة هو انه تعالي يهلك قرية فتخاف
التي تليها فيأتيهم العذاب والثاني التخوف بمعني التنقص اي انه تعالي ينقص
شيأ بعد شيء في انفسهم واموالهم حتي يهلكهم عن تخوفه اذا تنقصه روي ان
عمر رضي الله تعالي عنه قال علي المنبر ما تقولون في هذه الاية فسكتوا فقال شيخ
من هذيل هذه لغتنا التخوف التنقص فقال عمر هل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم قال نشدتك ابو كبير تخوف اي تنقص الرحل اي رجل ناقته منها تاما

فزد اي متراكما او مرتفعا وهو بسكون الراء تخوف عود النبعة السفن والنبعة
بالفم واحدة النبع وهو شجر يتخذ منه السفن والسفن بفتح السين والفا ما يخ
به الشيء وهو فاعل تخوف ومفعوله عود فقال لعمر عليكم بديوانكم قالوا وما
ديواننا قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم ومعني البيت
ان رجل ناقته تنقص سنامها المتراكم والمرتفع كما ينقص السفن عود النبعة
فان ربكم اي المحسن اليكم يا هلاكهم من يريد وابقاء من يريد وقوله تعالي لرؤف
قراه ابو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي بقصر الهمزة والباقون بالمد ومعناه بليغ
الرحمة لمن يتوسل اليه بنوع وسيلة وكذا من قاطعه اتم مقاطعة واليه اشار
بقوله رحيم اي حيث لم يعاجلهم بالعذاب وما خوفهم سبحانه وتعالي الماكرين
بالانواع الاربعة المذكورة من العذاب اردفه بذكر ما يدل علي كمال قدرته
في تدبير احوال العالم العلوي والسفلي وتدبير احوال الارواح والاجسام
ليظهر لهم ان مع كمال هذه القدرة القاهرة والقوة الغير المتناهية لا يعجز
عن ايصال العذاب اليهم علي احد تلك الاجسام الاربعة بقوله تعالي اولم يروا
الي ما خلق الله من شيء اي من الاجرام التي لها ظل كشجر وجبل تتفيوا اي
تتمثل ظلاله عن اليمين والشمايل جمع شمال اي عن جانبي كل واحد منهما
وشقيه قرا حمزة والكسائي بالتا قبل الخطاب علي نسق ما قبله والباقون باليا
علي الغيبة الي ما خلق اسقاده من يمين الانسان وشماله بجانبي الشيء اي
ترجع الظلال من جانب الي جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما يسخرها
له وقال قتادة والضحاك اما اليمين فاول النهار واما الشمايل فاخره لان الشمس
وقت طلوعها الي وقت انتهايها الي وسط الفلك تقع الاظلال الي الجانب الغربي فان
اخذت الشمس من وسط الفلك الي الجانب الغربي وقع الظلال في الجانب
الشرقي والاظلال في اول النهار ممتدة من يمين الفلك علي الربع الغربي من الارض
ومن وقت اخذ الشمس من وسط الفلك يبتدئ من شمال الفلك وقعت علي الربع
الشرقي من الارض فان قيل ما السبب في ذكر اليمين بلفظ الواحد والشمال بصيغة
الجمع اجيب باشيا الاول انه وحد اليمين والمراد الجمع ولكنه اقتصر في اللفظ علي
الواحد كقوله تعالي ويولون الدبر الثاني قال الفراء كانه اذا وحد ذهب الي واحد
من ذوات الاظلال واذا جمع ذهب الي كلها وذلك لان قوله الي ما خلق الله من شيء

لفظه واحد ومعناه الجمع علي ما مر فيجتمل كلا الامرين الثالث ان العرب اذا ذكرت
صيغة جمع عبرت عن احدهما بلفظ الواحد كقوله تعالي وجعل الظلمات والنور وقوله
تعالي ختم الله علي قلوبهم وعلي سمعهم تنبيه الهمزة للاستفهام وهو استفهام
انكار اي قدروا امثال هذه الصنايع عجابا لهم ان يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته
وقهره فيخافوه وما موصولة لابهامها بمعني الذي ومن شيء بيان لها فان قيل
كيف بين الموصول وهو مبهم بشيء بل ابهم مما اجيب بان شيأ قد تتضح وظهر وصفه
بالجملة بعده وهو تنقيص ظلاله وقيل بيان لما وقوله تعالي يسجد الله حال من
الظلال اجمع ساجد كشاهد وشهد وراكع وركع واختلف في المراد من السجود علي
قولين احدهما ان المراد منه الاستسلام والانقياد يقال سجد البعير اذا طاطأ
راسه ليركب وسجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل ويقال اسجد للقمر في زمانه اي
اخضع له وقال الشاعر ٦ ٦ ترى الاكم فيها ساجد للحوافر ٦
اي متواضعة والثاني ان هذه الاظلال واقعة علي الارض ملتصقة بها علي هيئة
الساجد فلما كانت الاظلال يشبه شكلها شكل الساجدين اطلق الله تعالي عليها هذا
اللفظ وكان الحسن يقول اما ظلك فيسجد لربك واما انت فلا تسجد لربك بئس
ما صنعت وعن مجاهد ظل الكافر يصلي وهو لا يصلي وقيل ظل كل شيء يسجد
سواء كان ذلك ساجدا ام لا قال الواحدي والاول اقرب الي الحقايق العقلية والثاني
اقرب الي التجوزات الظاهرة وقوله تعالي وهم داخرون اي صاغرون حال ايضا
من الظلال فينتصب عنه حالان وقيل حال من الضمير المستتر في ساجدا فهي
حال متداخلة فان قيل الظلال ليست من العقلا فكيف جاز جمعها بالواو والنون
اجيب بانه تعالي لما وصفها بالطاعة والدخول اشبهت العقلا او ان في جملة ذلك
من يعقل فغلب وايضا حكم علي الاظلال بما يليق باصحابها من جماد وحيوان وكان الحيوان
اشرف من الجماد ففي الحكم اليه بخصوصه فقال ولله يسجد ما في السموات وما
في الارض وقوله تعالي من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض
جميعا علي ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما تدب الاناسي في الارض وان
يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح
وان يكون بيانا لما في الارض ويراد بما في السموات الملايكة وكرر ذكرهم بقوله والملايكة
خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات

ملايكتهم وبقوله تعالي والملايكة ملايكة الارض من الحفظة وغيرهم فان قيل
ساجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن
النوعين بلفظ واحد اجيب بان المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم
وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله تعالي وانها غير متفقة عليها وكلا السجودين
جعلهما معني الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد فان قيل هلا
جيء بمن دون ما تغليبا للعقلا من الدواب علي غيرهم اجيب بانه لو جيء بمن
لم يكن فيه دليل علي التغليب فكانت متنا ولا للعقلا خاصة فجيء بما هو صالح
للعقلا وغيرهم ارادة للعموم وهم اي الملايكة لا يستكبرون علي عبادته تعالي
تخصيصهم بقوله تعالي دلالة علي انهم كغيرهم في الوقوف بين الخوف والرجا
يخافون ربهم اي الموجد لهم المدبر لامورهم المحسن اليهم خوفا مبتدا من فوقهم
اشارة الي علو الخوف عليهم وغلبته لهم او ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم او يخافونه
وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالي وهو القاهر فوق عباده وقوله تعالي وانا فوقهم
قاهرون والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف
الله لا يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون اي من الطاعة والتدبير وفي
ذكر دليل علي ان الملايكة مكلفون مدارون علي الامر والنهي والوعد والوعيد
كسايرالمكلفين بين الرجا والخوف كما مرت الاشارة اليه وانهم معصومون
من الذنوب لان قوله تعالي وهم لا يستكبرون يدل علي انهم منقادون
لما لزمهم وانهم ما خالفوا في امر من الامور كما قال تعالي لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون وبالجملة تعالي ان ما سوي الله تعالي كما انه من عالم الارواح
انه من عالم الاجساد فهو منقاد خاضع لجلال الله تعالي وكبريايه اتبعه بالنهي
عن الشرك وبالامر بان كل ما سواه فهو ملكه ومملكه وانه غني عن الكل بقوله
تعالي وقال الله فعبر لاجل تعظيم المقام بالاسم الاعظم الخاص لا تتخذوا اي لا تكلفوا
نظم تتكلم الاولي السلبية المجبولة علي معرفة ان الاله واحد اي ان تاخذوا في اعتقادها
الهين اثنين فان قيل انما جمع ابين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين
فقالوا عندي رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عارض الدلالة علي العدد
الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودات فيها دلالة علي العدد
فلا حاجة الي ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالي الهين اثنين

اجيب باجوبة اولها قال الرازي وهو الاقرب عندي ان الشي اذا كان مستقرا
مستقبحا من اراد المبالغة في التقبيح عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات
سببا للوقوف العقل علي ما فيه من القبح والعقل بوجود الالهين متساويين
في الوجود والقدم وصفات الكمال فالمقصود من تكرير اثنين تاكيد لتقرير
وتوقيف العقل علي ما فيه من القبح الثاني ان قوله تعالي الهين لفظ واحد
يدل علي امرين ثبوت الاله وثبوت التعدد فاذا قيل لا تتخذوا الهين لم يعرف
من هذا اللفظ ان النهي وقع عن اثبات الالهين او عن اثبات التعدد او عن
مجموعهما فلما قال لا تتخذوا انهي عن اثبات التعدد فقط فلا جرم الثاني في الاية تقديم
وتاخير والتقدير لا تتخذوا اثنين الهين الرابع ان الاسم الحامل لمعني الافراد
والتثنية دال علي شيئين علي الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريد تاكيد الدلالة
علي ان المعتبر به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فقال به
علي القصد اليه والعناية بها الا تري انك لو قلت انما هو اله ولم يولد بواحد
لم يحسن وقيل انكر تثنية الالهية لا الوحدانية ثم علل تعالي ذلك النهي
بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال تعالي انما هو اي الاله المفهوم من
لفظ الهين الذي لا يستحق غيره ان يطلق عليه هذا الضمير الا مجازا لان
لا يطلق الملا حقيقيا الا علي وجوده من ذاته اله اي مستحق هذا الاسم
الوصف علي الاطلاق واحد لا يمكن ان يثني بوجه ولا ان يجز القنايه المطلق
عند كل شي واحتياج كل شي اليه وما دلة الدلايل علي انه لا بد للعالم من اله
وثبت ان القول بوجود الهين محال وثبت انه لا اله الا هو الواحد الفرد الصمد
قال تعالي فاياي فارهبون اي خافوني دون غيري والرهب مخافة مع حزن
واضطراب وانما نقل الكلام من الغيبة الي خطاب الحضور وهو من طريقة الالتفات
لانه ابلغ في الترهيب من قوله فاياه فارهبون وبتان يجي ما قبله علي لفظ
المتكلم وعا ثبت بالدليل الصحيح والبرهان الواضح ان الاله العالم لا شريك له
في الالهية يوجب ان يكون جميع المخلوقات عبيده وفي ملكه وتصرفه وتحت
قوله وذلك قوله تعالي له اي الله واعاد الضمير في قوله تعالي له علي ان الله
الاسم العلم الجامع لجميع الاسماء الحسني ما في السموات والارض اي ما تعبد به
وغيره فكيف يتصور ان يكون شيء منه ذكر الها وهو ملكه مع كونه محتاجا الي الوهيته

والمكان وغيرها وله الدين اي الطاعة وقوله تعالي واصبا اي دايما حال من
الدين والعامل فيه ما في الظرف من معني الفعل قال ابن قتيبة ليس لاحد
يدان له ويطاع الا ان الفطع ذلك السبب في حال الحياة او بالموة الا الحق
سبحانه وتعالي فاطاعته واجبة ابدا وكونه المنعم علي عباده مالكا لهم فكانت
طاعته واجبة دايمة ابدا وقوله تعالي افغير الله اي الذي له العظمة كلها
تتقون استفهام انكار والمعني انكم بعد ما عرفتم ان اله العالم واحد وعرفتم
ان كل ما سواه محتاج في وقت دوامه وبقايه فبعد العلم بذلك كيف يعقل
ان يكون للانسان رغبة في غير الله او رهبة من غير الله وعا بين تعالي ان الواجب
علي العاقل ان لا يتقي غير الله بين انه يجب عليه ان لا يشكر احد الا الله تعالي
بقوله تعالي وما بكم من نعمة اي من نعمة الاسلام وصحة الابدان وسعة في الارزاق
وكل ما اعطاكم من مال او ولد او جاه فمن الله هو المتفضل علي عباده فيجب شكره
علي جميع انعامه لان الشكر انما يجب علي النعمة فثبت بهذا ان العاقل يجب عليه ان لا يخاف
وان لا يشكر الا الله تنبيه احتج اصحابنا بهذه الاية علي ان الايمان حصل بخلق الله
تعالوا الايمان نعمة وكل نعمة فمن الله ينتج ان الايمان من الله وايضا النعمة عبارة
عن كل ما يكون منتفعا به واعظم الاشيا في النفع هو الايمان فثبت ان الايمان نعمة
والملحدون مطبقون علي قوله الحمد لله علي نعمة الايمان والنعم اما دينية واما
دنيوية اما النعم الدينية فهي اما معرفة الحق لذاته واما معرفة الخير لاجل العمل
به والنعم الدنيوية اما نفسانية واما بدنية واما خارجية وكل واحد
من هذه الثلاثة جنس تحته انواع خارجة عن الحصر كما قال تعالي وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقصرت الاشارة الي ذلك عند ذكر هذه الاقسام
الخلاصة له مع اعدايهم الوهية غيره امر مستبعد اعبر باداة التراخي
والبعد في قوله تعالي ثم اذا مسكم اي اصابكم الضر بزوال نعمة ها التي تبه
عليكم وقال ابن عباس يريد الاسقام والامراض والحاجة فاليه اي لا الي
غيره تجيرون اي ترفعون اصواتكم بالاستغاثة لما ركز في فطر تكم الاولية ه
اللجية منه انه لا ملجا ولا منجي منه الا اليه ثم اذا كشف سبحانه وتعالي الضر
اي الذي مسكم عنكم وفيه علي مسارعة الانسان في الكفران فقال اذا فريق ه
اي جماعة هم اهل فرقة وضلالا منكم اي ايها العباد بربهم الذي تفزعون الانما

عليهم يشركون اي يوقعون الاشراك بعبادة غيره ليكفروا بما اتيناهم
اي من النعم تنبيه في هذه اللام وجهان الاول انها لام كي فيكون للمفتي علي
هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا الله عليهم في كشف الضر الثاني انها لام
العاقبة كما في قوله تعالي فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا والمعنى
عاقبة امرهم هو كفرهم بما اتيناهم من النعم وكشفنا عنهم الضر والبلاء ثم انه تعالي
توعدهم بعد ذلك بقوله تعالي فتمتعوا اي باجتماعكم علي عبادة الاصنام وهذا
لفظ امر والمراد التهديد كقوله تعالي قل امنوا به او لا تؤمنوا وقوله تعالي فمن شاء
فاليؤمن ومن شاء فاليكفر فسوف تعلمون عاقبة امركم وما يتزايد بكم من العذاب
وبالجملة تعالي بالدلايل القاهرة فساد قول اهل الشرك والتشبيه شرح تفاصيل
اقوالهم وبين فسادها بانواع الاول قوله تعالي ويجعلون اي للشركون مالا
يعلمون نصيبا مما رزقناهم من الحرث والانعام يقولهم هذا لله وهذا لشركائنا
تنبيه الضمير في قوله تعالي لما لا يعلمون عايد علي الاصنام اي ان الاصنام لا تعلم شيا
البتة لانها جماد والجماد لا علم له وقيل عايد الي المشركين ومعني لا يعلمون انهما
انهم يسمونها الهة فيستحقون بها جهالا ان مثل انها تنفعهم وتشفع لهم وليس
الامر كذلك ثم انه سبحانه وتعالي بين نفسه علي نفسه انه سالهم يوم القيامة
بقوله تعالي تالله لتسيلن سوال توبيخ وفيه التفات من الغيبة الي الخطاب
وهو من بديع الكلام ويليقه عما كنتم تفترون علي الله من انه امركم بذلك
تنبيه في وقت السوال احتمالان الاول انه يقع عند القريمت الثاني انه
يقع في الاخرة قال الرازي وهذا اولي لي النوع الثاني قوله تعالي ويجعلون لله
البنات ونظيره قوله تعالي وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن انثا كان ضراعه
وكنايه يقولون الملايكة بنات الله قال الرازي اظن ان العرب اغا اطلقوا لفظ الجمع
البنات علي الملايكة لاستازهم عن العيوب فاشبهوا النساء في الاستار فاطلقوا
عليهم البنات قال ابن عادل وهذا الذي ظنه ليس ببني فان الجنا يضا مستورون
عن العيوب ولم يطلقوا عليهم لفظ البنات وانما حكي الله تعالي عنهم هذا القول
قال تعالي سبحانه وفيه وجهان الاول ان يكون المراد تنزيه ذاته عن نسبة الولد
اليه الثاني تنجيب الخلق من هذه الامور الجهل الصريح وهو وصف الملايكة بالانوثة
ثم نسبتها بالولدية الي الله تعالي قيل في التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه

وانما ذكر الله تعالي ما جعلوا له مع الغنا المطلق بين ما نسبوا لانفسهم
مع لزوم الحاجة والضعف بقوله تعالي ولهم ما يشتهون من البنين وقد
كانوا يئدون اعدا اعدايهم ثم انه تعالي ذكر ان الواحد من هولا المشركين لا يرضي
بالولد البنت لنفسه كيف ينسبه لله تعالي فقال واذا بشر احدهم بالانثي
اي اخبر بولادتها ظل وجهه اي صار اول ايام النهار كله مسودا من الكابة
والحيا من الناس واسود الوجه كناية عن الاغتمام والتخييل كما ان
بياض الوجه واشراقه كناية عن الفرح والسرور وهو كظيم اي مملو مغيظا
علي المراة ولا ذنب لها بوجه والبشارة في اصل اللغة الخبر الذي يغير البشرة
من حزن او سرور ثم خص في عرف اللغة بالسرور ولا يكون الا بالخبر الاول
فالمراد بالبشارة هنا الاخبار كما مر وقول الرازي ان الطلاقه علي الخير
والشر داخل في التحقيق خلاف المشهور يتواري اي يستخفي من القوم
اي من الرجال الذي هو فيهم من سوء ما بشر به خوفا من التعيير وذلك
ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قرب ولادة زوجة احدهم توارى عن القوم الي
ان يعلم ما ولد له فان ولد له ذكرا فرح وبشر بذلك وظهر وان كانت انثي
حزن ولم يظهر اياما مترددا ماذا يفعل بذلك الولد ليمسكه اي يتركه بغير
قتل علي هون هو ان وذل ام يدسه في التراب وذكر الضمير في يمسكه ويدسه
نظر اللفظ الولد او لكون الادنب ولدا لما علم مما مر قال ابن سلق قال المفسرون
كانت المراة اذا اراد ت ولادها الخاض احتفرت حفرة وجلست بها علي شفيرها
فان وضعت ذكرا الطهرته وظهر السرور علي اهله وان وضعت انثي اسقتها
ستر ولدها فان شاء امسكها علي هون وان شاء امرها فالقتها في الحفرة وهرت
التراب عليها وهي حية لكمون انثي وعن قيس بن عاصم انه قال يا رسول الله
اني واريت ثمان بنات في الجاهلية فقال له صلي الله عليه وسلم اعتق عن كل
واحدة منهن رقبة فقال يا نبي الله اني ذو ابل قال اهد عن كل واحدة
منهن هديا وروي ان رجلا قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما
ما جد حلاوة الاسلام مذ قاسمت فقد كانت لي في الجاهلية ابنة فامرت
امراتي ان ترتمها فاخرجتها فلما امتهيت الي واد فيه بير بعيد القعر القيتها
فيها فقالت يا ابت قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شي فقال صلي الله عليه

ولم ما كان في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار
وكانوا في الجاهلية مختلفين في قتل البنات فمنهم من يجز الحجرة ويدفنها فيها الى ان
تموت ومنهم من يرميها من شاهق جبل ومنهم من يفوتها ومنهم من يذبحها
وكانوا يفعلون ذلك تارة للفقر والحمية خوفا من ان يطمع فيهن غير الاكفاء
وتارة خوفا من الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة وكان الذي منهم يريد ان
يحيي ابنته تركها حتى تكبر ثم يلبسها جبة من صوف او شعر ويحيلها ترعى الابل
والغنم في البادية قال الله تعالى الا ساء اي بئس ما يحكمون حكمهم هذا وذلك
لانهم في الاستنكاف من البنت الى اعظم الغايات فاولها امانة يسود وجهه وثانيها
انه يختفي من القوم من شدة تفرقته عن البنت وثالثها ان المولد محبوب بحسب
الطبيعة ثم انه بسبب تفرته عنها يعتدي علي قتلها وذكر يدل علي ان البغرة
وعن البنت والاستنكاف عنها فقد بلغ مبلغا لا يزاد عليه فكيف يليق بالعاقل
ه ان يثبت ذلك لاله عالم المقدس العالي عن مشابهة جميع المخلوقات وتنظير هذه
ه الاية قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ثم قال تعالى
للذين لا يؤمنون بالاخرة وهم الكفار مثل السوء اي الصفة السوء بمعنى
القبيحة وهي قتلهم البنات مع احتياجهم البهن للنكاح ولله المثل الاعلى
اي الصفة العليا وهو انه لا اله الا الله هو وانه له جميع صفات الجلال
والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدي وغير ذلك من الصفات التي
وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار وللمثل الاعلى شهادة
ان لا اله الا الله فان قيل كيف حاله المثل الاعلى مع قوله تعالى فلا تضربوا لله
الامثال اجيب بان المثل الذي يضربه الله تعالى حق وصدق والذي يذكره
غيره باطل وهو العزيز الحكيم الذي لا يوقع شيا الا في محله ولما حكي تعالى
عن القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين انه تعالى يمهل هؤلا الكفار ولا يعاجلهم
بالعقوبة اظهارا للفضل والرحمة والكرم بقوله تعالى ولو يواخذ الله الناس
بظلمهم اي بسبب كفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها اي علي الارض وانما اضمر ذكرها
من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة اي ان الله تعالى لو اخذ
بظلمهم لاهلك جميع الدواب التي علي وجه الارض فان قيل اسم الناس
جنس يشمل الكل فيدخل في ذلك الانبيا فيدل ذلك علي عدم عصمتهم

اجيب

اجيب بان ذلك عام مخصوص بقوله تعالى اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فالمذكور
في هذه الاية اما كل العصاة المستحقين العقاب او الذين تقدم ذكرهم من المشركين
ومن الذين اثبتوا لله البنات او جميع الكفار بدليل قوله تعالى ان شر الدواب عند الله
الذين كفروا وقال قتادة قد فعل الله تعالى ذلك في زمن نوح عليه السلام فاهلك جميع
الدواب التي علي وجه الارض الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام روي ان ابا هريرة
رضي الله تعالى عنه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بئس ما قلت ان الحبارى
تموت هزلا من ظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل تعذب في جحرها بذنب ابن ادم والجعل
بضم الجيم وفتح العين دويبة قاله الجوهري وقيل في معنى الاية ولو يواخذ الله الناس
بالظالمين بسبب ظلمهم لانقطع السبل ولم توجد الانبيا ولم يبق في الارض احد ولكن يؤخرهم
اي يمهلهم بفضله وكرمه وحلمه الى اجل مسمى اي الى انتها اجالهم وانقضا امهالهم
فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة عنه ولا يستقدمون اي لا يتاخرون
ساعة من الاجل الذي جعله الله تعالى لهم ولا ينقصون منه تنبيه
ها هنا همزتان مفتوحتان من كلمتين فقرا قالون والبزي وابو عمر وابن كثير
احدي الهمزتين مع المد والقصر وقرا ورش وقنبل بتسهيل الثانية وابدالها
حرف مد والباقون بتحقيق الهمزتين النوع الثالث من الاقاويل الفاسدة
التي كان يذكرها الكفار وحكاها الله تعالى عنهم بقوله ويجعلون لله ما يكرهون
لانفسهم من البنات والرذائل الاحوال والشركا في الرياسة ثم وصف الله تعالى
جراتهم مع ذلك بقوله تعالى وتصف اي تقول السنتهم الكذب اي مع ذكرهم انه
قول لا ينبغي ان يتخيله عقل ثم بينه بقوله تعالى ان لهم الحسنى اي عنده
اي الجنة كقوله تعالى ولئن رجعت الي ربي ان لي عنده للحسنى ولا جهل
اعظم ولا احكم سوا من ان تقطع بان من تحمل له ما يكره ان يجعل كما يحب فكانه
قيل ما لهم عنده فقيل لا جرم اي لا ظن ولا تردد في ان لهم النار اي هي جزا الظالمين
وقيل لا جرم بمعنى حتما وانهم مفرطون اي متروكون فيها او مقدمون اليها وقرا نافع
بكسر الراي مخففا وزون الحد والباقون بالفتح فان قيل انهم لم يقروا بالبعث
فكيف يقولون ان لنا الحسنى عند الله اجيب بانهم قالوا ان كان محمد صادقا
في البعث بعد الموت وان لنا الجنة وقيل انه كان في الكتب جمع يقرون بالبعث والقيامة

وانهم كانوا يرون البعير النفيس علي قبر الميت ويتركونه الي ان يموت ويقولون
ان ذلك الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه ثم بين تعالي مثل هذا الصنيع
الذي يصدر من مشركي قريش قد صدر من سائر الامم السابقين فحق
الامر المتقدمين بقوله تعالي تالله اي الملك الاعلي لقد ارسلنا اي
بما لنا من القدرة رسلا من الماضيين الي امم من قبلك كما ارسلناهم ولا
فزين لهم الشيطان اي المحترق بالغضب المطرود باللعنة اعمالهم الخبيثة
من الكفر والتكذيب كما زين لهمو لا فضلوا كما ضلوا فاهلكناهم وهذا اجري مجري
التسلية للنبي صلي الله عليه وسلم فيما كان ينالة من الهم بسبب جهالات القوم
والمزين في الحقيقة هو الله تعالي هذا مذهب اهل السنة وانما جعل الشيطان آلة بالاضافة
للوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة علي ان يضل احدا او يهدي احدا وانما
له الوسوسة فقط فمن اراد الله تعالي شقاوته سلطه عليه حتي يقبل
وسوسته فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها اي فهو
وليهم فيما كانوا يزين لهم او يوم القيامة علي انه حكاية حال ماضية او آتية اي لا ولي
لهم غيره وهو عاجز عن نصر نفسه فكيف ينصرهم وقيل الضمير لقريش اي زين الشيطان
للكفرة المتقدمة مالك اعمالهم وهو ولي امثالهم فهو ولي هؤلاء القوم ليضرهم ويغويهم وقيل
يجوز ان تقدر اضافة اي فهو ولي امثالهم والولي القرني وناصرهم فيكون نفيا لان
ضررهم علي ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم اي مولم في الاخرة ثم ذكر تعالي ان جمع
هذا الوعيد الشديد قد اقام الحجة وازاح العلة بقوله تعالي وما انزلنا
بما لنا من القدرة العظمة من جهة العلو عليك يا اشرف المرسلين الكتاب اي القرآن
الا لتبين لهم اي للناس الذي اختلفوا فيه من امر الدين مثل التوحيد
والشرك واثبات المعاد ونفيه فانه كان فيهم من ينكر البعث ومنهم من يؤمن
به وينكر عبد المطلب ومثل تحريم الحلال كالبحيرة والسائبة وتحليلهم اشياء
محرمة كالميتة فان قيل اللام في لتبين لهم تدل علي ان افعال الله تعالي معللة
بالاغراض كقوله تعالي كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس وقوله وما خلقت
الانس والجن الا ليعبدون اجيب بانه لما ثبت بالعقل امتناع التعليل وجب
صرفه الي التاويل وقوله تعالي وهدي ورحمة اي وكرامة بجميعه معطوفان
علي محل لتبين لانهما انتصبا علي انهما مفعول لهما فعلا الذي لم ينزل الكتاب

ودخلت اللام

ودخلت اللام علي التبيين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب
مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل وما كان ذكر هما سلبهم وهم علي
مثل حالهم نفاه بقوله تعالي لقوم يؤمنون ونظيره قوله تعالي في اول البقرة
هدي للمتقين وانما خص المؤمنين بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا به
كما في قوله تعالي انما انت منذر من يخشاها لانه انما انتفع بانذاره هذا
القوم فقط ولما اقتضي الدليل علي ان قلوبهم منكرة استكبارا وما يتعلق به
وختمه بما احيي به القلوب في الايمان والعلم بعد موتها بالكفر والجهل وكان
المقصود الاعظم من القرآن تقرير اصول اربعة الالهيات والنبوات والمعاد
واثبات القضا والقدر والفعل بالاختيار وكان اصل ذلك المقاصد الالهيات
شرع في ذكر الوحدانية والقدرة والفعل بالاختيار الملتزم للقدرة علي البعث
علي وجه غير المتقدم ليعلم ان اداة ذلك اكثر مما وراي الاشجار واجلا منه ضيا
الانهار فعطف علي قوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون قوله جامعا في الدليل
بين العالم العلوي والعالم السفلي والله اي الذي له الامر كله انزل من السما
في الوقت الذي يريده ماء المطر والثلج والبرد فاحيي به اي بذلك الماء الارض
باصناف النبات بعد موتها اي يبسها ان في ذلك المذكور لاية اي دلالة واضحة
علي كمال قدرته تعالي لقوم يسمعون اي سماع تدبر وانصاف ونظر لان سماع
القلوب هو النافع لا سماع الاذان فمن سمع ايات القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر
فيها انتفع ومن لم يسمع بقلبه فكانه اصم لم يسمع فلم ينتفع بالايات ومن الدلائل
المذكورة في هذه الاية الاستدلال بعجايب احوال الحيوانات وهو قوله وان
لكم في الانعام لعبرة اي اعتبارا اذا تفكرتم فيها وعرفتم كمال قدرتنا وقوله تعالي
نسقيكم مما في بطونه استيناف ببيان العبرة وانما ذكر الضمير لان لفظ الانعام
مفرد وضعا لافادة الجمع كالرهط والقوم ولامن اللبس والدلالة علي قوة المعني
الموجب لتانيث الضمير وانثم في سورة المومنون للمعني فان الانعام اسم جمع
ولذلك عده سيبويه في باب ما لا ينصرف في الاسما المفردة الواردة علي افعال
كقولهم توبة اكياش بياء تحتية وشين معجمة جزب من الثياب يقول لمرتين
ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس في جميعها
وقرا نافع وابن عامر وشعبة بفتح النون بقول سقيته حتي روي قال تعالي

وسقاهم ربهم شرابا طهورا والباقون بضمها منه قوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا وما كان في موضع الغيرة تخليص
له شرابا لقوله تعالى واسقيناكم ماء فراتا وما كان في موضع الغيرة تخليص
اللبن من غيره تقدم قوله تعالى من بين فرث وهو الثفل الذي نزل الى
الكرش فاذا خرج منه لم يسم فرثا ودم لبنا خالصا اي صافيا خلقه الله وسطا
بين الفرث والدم يكتنفانه وبينهما برزخ لا يبغي عليه احدهما
بلون او رائحة او طعم روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اذا اكلت
البهيمة العلف واستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فيجري اللبن
في العروق والدم في العروق ويبقى الفرث في الكرش فسبحان من اسما اعظم
قدرته واللطف حكمته لمن تفكر وتامل ودليل شفيق عن الاخلاص فقال
تعالى من بين الفرث والدم اي من بين متباينين فرث ودم سائغا للشاربين
اي سهل المرور في الحلق وقيل لم يغص احد باللبن قط تنبيه قال اهل التحقيق
اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع المختار فكذلك يدل على امكان
الحشر والنشر وذلك لان هذا العشب الذي ياكله الحيوان اغا يتولد لحمة الماء والارض
بخالق العالم ويدبر تدبيرا خر بقلبه ذلك الدم ابنا ثم يدبر تدبيرا اخر حتى تنشا منه ذلك
اللبن السمين والجبن فهذا الاستقراء يدل على انه تعالى قادر على ان يقلب
هذه الاجسام من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة فاذا كان كذلك لم يمتنع
ايضا ان يكون قادرا على ان يقلب اجزاء ابدان الاموات الى صفة الحياة والعقل
كما كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على ان البعث والقيامة
امر ممكن غير ممتنع وفي صدور اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها
يكون موافقا لتغذية الطفل مشتملة على حكمة عجيبة يشهد صريح العقل بانها
لا تحصل الا بتدبير الفاعل الحكيم المدبر وبيانه من وجوه الاول انه تعالى
خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء
او شرابا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شيء من ذلك المأكول والمشروب
الى ان يكمل انهضامه في المعدة وحدوث ما صفي منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك
حينئذ يتفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا من العجايب التي لا يمكن
حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت الحاجة الى خروج ذلك الجسم من المعدة

انفتح

انفتاح خصوص الانطباق تارة والانفتاح تارة اخرى بحسب الحاجة مما لا يتاتى
الا بتقدير الفاعل الحكيم الثاني عند تولد اللبن في الضرع يحدث الله تعالى في
حلمة الثدي ثقبا صغيرا ومسامات ضيقة وجعل بحيث اذا اتصل المص والحلب
بتلك الحلمة انفصل اللبن عنها وما كانت تلك المسام ضيقة جدا كان لا يخرج منها
الا ما كان في غاية الصفاء واللطافة واما الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج
من تلك المنافذ الضيقة في راس حلمة الثدي انها تكون كالمصفاة تقبل ما كان
لطيفا خرج وكل ما كان كثيفا احتبس في الداخل ولم يخرج فبهذا الطريق يصير
اللبن خالصا موافقا لبدن الطفل سايغا للشاربين الثالث انه تعالى الهم
ذلك الطفل الى المص فان الام كلما القمت الحلمة حلمة الثدي في فم الطفل فذكر
الطفل في الحال ياخذ في المص ولولا ان الفاعل المختار الرحيم الهم ذلك الطفل
الصغير ذلك الفعل المخصوص في الاوقات المخصوصة لما حصل الانتفاع بتخليق اللبن في الثدي
وقوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف تقديره ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم عليه وقوله
تعالى تتخذون منه سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء قال الواحدي الاعناب
والعنب نفسه غوة وليس له غوة اخرى ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس
والخل تنبيه في تفسير السكر وجوه الاول هو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا
وسكرا نحو رشد رشدا او رشدا فان قيل الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في معرض
الانعام اجيب عنه ذلك بوجهين احدهما ان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل
في سورة المايدة فكان نزول هذه الاية كائنا في الوقت الذي كانت الخمر غير محرمة
ومن قال بنسخها الحسن والشعبي الثاني ان الاية جامعة بين العتاب والمنة
بالنسبة الى الرزق الحسن الوجه الثاني ان السكر هو النبيذ وهو عصير العنب
والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة
رحمه الله تعالى الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام
لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من اثبت هذه الفايدة
قال انه النبيذ المطبوخ والوجه الثالث ان السكر هو الطعام قاله ابو عبيدة واحتج
عليه بقول الشاعر جعلت اعراض الكرام سكرا اي تتقلب باعراضهم بان جعلتها ثقلا
وقناعا لها والثقل ما يشتغل على الشراب قال البغوي واولى الاقاويل ان قوله تعالى تتخذون

منه سكرا منسوخا تنبي ويدل له قول الحسن ذكر الله نعمته في الخمر قبل
ان يحرمها عليهم وروي عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال السكر ما حرم
من ثمرها والرزق الحسن ما احل من ثمرها وروي عنه ايضا السكر حرامه
منه والرزق ربيبه وعنبه ومنافعه ثم قال تعالي ان في ذلك المذكور
لاية اي دلالة علي قدرته تعالي لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم
بالنظر والتامل في الايات فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر عليها الا الله
تعالي فيحتج بحصولها علي وجود الاله القادر الحكيم وما بين تعالي ان اخراج
الالبان واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب دليل
قاطع وبرهان ساطع علي ان هذا الفاعل الها قادرا مختارا حكيما ذكر الاخراج
العسل الذي جعله الله تعالي شفا للناس منه دابة ضعيفة وهي النحل
دليل قاطع وبرهان ساطع علي اثبات هذا المقصود بقوله تعالي واوحي
ربك الي النحل وحي الهام قال الضحاك الهمها ولم يرسل اليها رسولا والمراد
من الالهام انه تعالي قدر في نفسها بهذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها
العقلاء من البشر وبيانه من وجوه الاول ما ذكره الله تعالي بقوله ان اتخذي
اي بان اتخذي يجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معني القول من الجبال
بيوتا تاوين اليها وانما سمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الانسان
فتبين البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها علي بعض
بمجرد طبعها والعقلاء من البشر لا يمكنهم مثل تلك البيوت الا بالات وانظار دقيقة
الثاني انه ثبت في الهندسة ان تلك البيوت لو كانت مشكلة باشكال سوي
المسدسات كان كانت مدورة او مثلثة او مربعة او غيرها كان من الاشكال
فانه تبقي بالضرورة فيما بين تلك البيوت فرج خالية ضايعة فاهتدي ذلك
الحيوان الضعيف الي هذه الحكمة الخفية والدقيقة اللطيفة من الاعاجيب
الثالث ان النحل يحصل بينها واحد كالرئيس للبقية وذلك الواحد يكون اعظم جثة
من الباقي ويكون نافذ الحكم علي تلك البقية وهم يخدمونه ويحملونه عند تنقله
وذلك ايضا من الاعاجيب الرابع انها اذا انفردت عن وكرها ذهبت مع عدم
الجهة الي موضع اخر فاذا اراد اعودها الي وكرها ضربوا الطبول والالات الموسيقية
وبواسطة تلك الالحان يقدرون علي ردها الي اوكارها وهذا ايضا حالة عجيبة

فلما

فلما امتاز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة علي مزيد الذكاء والكياسة
ليس الاعلي سبيل الالهام وهو حالة شبيهة بالوحي والوحي قد ورد فوق
الانبيا كقوله تعالي وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب وفي حق الاولياء قال تعالي واذ اوحيت الي الحواريين وبعض الالهام
في حق البشر قال تعالي واوحينا الي ام موسي وفي حق ساير الحيوانات خاصة
قال الزجاج يجوز ان يقال سمي هذا الحيوان بحلا لان الله تعالي حلل اكله
العسل الذي يخرج من بطونها وقال غيره النحل يذكر ويونث وهي مونثة
في لغة الحجاز ولذلك انثها الله تعالي وكذلك كل جمع ليس بينه وبين واحده الا
الها والحذق اي من الشجر اي الصالحة بيوتا والحذي مما يعرشون
اي الناس فيبنون تلك الاماكن وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي
يسكن الجبال والشجر والكهوف ومنه اهلي وهو الذي يأوي الي البيوت
وتربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون النحل هذه
الاماكن حتي يأوي اليها وذكر ذلك بحرف التبعيض لانها لا تبقي في كل جبل
وكل شجر وكل ما يعرش من الكرم او سقف ولا في كل مكان منها وقرئ عرش
وشعبة بضم الواو والباقون بكسرها تنبيه ظاهر قوله تعالي الحذي من الجبال
امر وقد اختلفوا فيه هل هو للناس منه يقول لا بعد ان يكون لهذه
الحيوانات عقول ولا بدع ان يتوجه اليها من الله امر ونهي وقال الخرقي
بل المراد منه انه تعالي خلق فيها غرايز واطبايع وتوجه هذه الاحوال
وسيأتي الكلام علي ذلك ان شا الله تعالي في سورة النحل عند قوله
تعالي يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم ولما كان اهم شي بعد الراحة من
هم للعليل اكل شي ذكر به فقال ثم كلي من كل الثمرات اي من كل ثمرة
شئتي منها مرها وحلوها وذكر ذلك بحرف التراخي اشارة الي عجيب
الصنع في ذلك وتيسيره لها تنبيه لفطنة هذا التبعيض او لابتدا
الغاية وما اذن لها في ذلك كله وذلك من المعلوم عادة ان تفاحيه لا يكون
الا بمشقة عظيمة في معانات السير اليه تنبه علي خرقه العادة في تيسيره
لها بقوله تعالي فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك الله تعالي
ان تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمار وقوله تعالي ذللا جمع ذلول

حالا من السبل اي مسخرة لك فلا يعسر عليك وان توعرت ولا تضلي
عنها العود فيها وان بعدت وقيل من الضمير في اسلكي اي منقادة لارباعها
حتى انهم يتقلونها من مكان الي مكان اخر حيث شاؤا واراد والانسقصي
عليهم وقوله تعالى يخرج من بطونها فيه عدول عن خطاب النحل الي
خطاب الناس لانه محل الانتفاع عليهم والمراد من خلق النحل والبهائم
لاجلهم شراب اي عسل مختلف الوانه ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك
من الوان العسل وذلك على قدر ما تاكل من الثمار والازهار ويستحيل
في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من افواهها بيل كالقاء وقال
الرازي انه راي في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين
فينبع على الازهار واوراق الشجر فتجمعه النحل فياكل بعضه ويدخر
بعضه في بيوتها لانفسها ليتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء
اللطيفة شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول اقرب الى العقل لان
طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وايضا انا نشاهد ان النحل
يتغذى بالعسل واجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب ان كل ترنجبين
داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها اي من افواهها انتهى والاول
كما قال ابن الخازن وغيره اظهر لانا نشاهد ان العسل يوجد فيه طعم تلك الازهار
التي ياكلها النحل وكذا توجد لذاتها وريحها وطعمها فيه ايضا ويعضد هذا القول
بعضان زوج النبي صلى الله عليه وسلم له اكلت مغافير قالا قالت نشاهد
الريح التي اجد منك قال اسقتني حفصة شربة عسل قالت جرسة نحلة العرفط
والعرفط شجر الطلح له صمغ يقال له المغافير كريهة الرائحة حقتي حرمت
نحلة العرفط اكلت وروعت منه العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا ان
يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما ياكل النحل ولونه وريحه لما قاله الاطباء
من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وقوله كل ثمرات في داخل البدن
يسمى بطنا خلاف الظاهر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف
مثل بطن الانسان وغيره فيه شفاء للناس اي الشراب الذي يخرج من بطون النحل شفاء
للناس من الاوجاع كما قال ابن عباس وابن مسعود اما بعضها كما دل عليه
تنكير شفاء واما كلها بضميمته الى غيره اذ قل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء

فيه العسل

فيه العسل او بدونها بنيته وبهذا سقط ما قيل انه يضر باصحاب الصفراء
او يهيج الحرارة ويضر باصحاب المحرورين ويعطش قال ابن عباس شفاء من
كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور وفي رواية عنه عليكم بالشفاءين القرآن
والعسل وروي نافع ان ابن عمر ما كان قرحة ولا شيء الا طلح الموضع
بالعسل ويقرا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس وعن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال صلى الله عليه وسلم اسقه العسل فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه العسل فقد صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله وبرا فكان ما انشط منعقال
بقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه صلى الله
عليه وسلم علم بنور الوحي الالهي ان العسل الذي امر بشربه سيظهر بقعه
بعد ذلك فلما لم يظهر بقعه في الحال قال صدق الله يعني فيما وعده من ان فيه
شفاء للناس وكذب بطن اخيك يعني يا ستعجالكم للشفاء في اول مرة وقال مجاهد
الضمير في فيه يعود الى القرآن اي القرآن شفاء للناس راجع للقرآن لان فيه الشفاء من امراض الشرك والجهالة
والضلالة وهو هدى ورحمة للناس وعلى هذا تمت قصة تولد العسل من النحل
عند قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه ثم ابتدا وقال فيه شفاء
للناس اي في هذا القرآن قال الرازي وهذا قول ضعيف ويدل عليه وجهان
الاول ان الضمير في قوله تعالى فيه شفاء للناس يجب عوده الى اقرب المذكورات
وما ذاك الا قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه واما الحكم بعود هذا الضمير الى القرآن
مع انه غير مذكور فيما سبق فهو غير بعيد والثاني حديث ابي سعيد الخدري
المتقدم ثم انه تعالى ختم الاية بقوله تعالى ان في ذلك اي المذكور لاية لقوم
يتفكرون اي في اختصاص النحل بتلك الطعوم الدقيقة والطرائق الخفية
ومثل هذا البيوت المسدسة وغيرها لكن فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على
وحدانيتنا وقدرتنا وقد كثر في هذه السورة اضافة الايات الى المخاطبين
تارة بالافراد وتارة بالجمع ونوعها تارة بالعقل وتارة بالفكر وتارة بالذكر
وتارة بغيرها ثم انه تعالى لما ابتدا بتعظيم منة قدتهم وبنوهم على عظيم غفلتهم
ثنى ببعض ما في انفسهم من الادلة على ذلك فقال والله اي المحيط بكل

بكل شيء قدرة وعلما خلقكم اي اوجدكم من العدم واخرجكم الي الوجود
ولم تكونوا شيأ ثم يتوفاكم اي عند انقضاء اجالكم علي اختلاف الاناة
فلا يقدر الصغير ان يوخر ولا الكبير علي ان يقدم فمنكم من يعوت علي حال قوة
ومنكم من يرد الي ارذل العمر اي اخسه من الهرم والخرف قال بعض العلما
هم الانسان له اربع مراتب سن الطفولية وهو النمو وهو اول العمر الي
بلوغ ثلاث وثلاثين وهو غاية الشباب وبلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية
سن الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة الي اربعين سنة وهو غاية
القوة وكمال العقل والمرتبة الثالثة سن الكهولة وهو من الاربعين الي
الستين وهذه المرتبة يشرع الانسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر
ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الي اخر العمر خمسة
وستون سنة يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن ابي طالب
رضي الله تعالي عنه ارذل العمر خمسة وسبعون سنة وقال قتادة هو
تسعون وعن انس رضي الله تعالي عنه قال كان رسول الله صلي الله
عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والهرم والبخل واعوذ بك من
عذاب القبر وفتنة المحيا والممات وفي رواية عنه كان يقول اللهم اني اعوذ بك
من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات لكيلا يعلم
بعد علم شيأ اي ليصير الي حالة تشبه حال الطفولية في نقصان القوة
والعقل وسوء الفهم تنبيه هل ذلك عام في المسلم والكافر او مختص بالكافر
فيه قولان احدهما انه عام والقول الثاني انه مختص اذ المسلم لا يزيد بطول
العمر الا كرامة علي الله تعالي ولا يقال في حقه انه رد الي ارذل العمر قال الرازي
والدليل عليه قوله تعالي ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا
الصالحات ما ردوا الي اسفل السافلين وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر
الي هذه الحالة وقال في قوله تعالي الا الذين امنوا وعملوا الصالحات هم الذين
قرؤا القرآن وقال ابن عباس مولده ثم رددناه اسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثني
المومنين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وهذا بعيد لما روي ان النبي عليه
بمقاديرها لهم قدير بميت الشاب الشيخ ويبقي الهرم الفاني وفي ذلك تنبيه
علي ان تفاوت احوال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم مركب بنيتهم وعدد المزاجهم

علي قدر

علي قدر معلوم ولو كان مقتضي الطباع كما يقول الطبايعيون لم يبلغ التفاوت
هذا المبلغ ولما ذكر تعالي المفاوتة في الاعمال المادية بابطال الطبايع المؤثرة
للمسابقة الي الاعتبار لاولي الابصار لخوض كل لحظة من مصيبة الموت بالفنا وتة
في الارزاق فقال والله اي الذي له الامر كله فضل بعضكم ايها الناس علي
بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم مالك ومنكم مملوك كل ذلك بتقدير
العزيز الحكيم فيجعل الضعيف العاجز اغني من القوي المحتال العالم فيري
اكيس الناس واكثرهم عقلا يفني عمره في طلب القليل من الدنيا ولا يتيسر له ذلك
ويري احمق الخلق واقلهم عقلا ومنهمكا له ابواب الدنيا فكل شيء خطر ببال له
او دار في خياله فانه يحصل له بسهولة ولو كان الامر في ذلك هو جهد
الانسان وعقله لوجب ان يكون الاعقل افضل في هذه الاحوال فثبت لنا
ان الاعقل اقل نصيبا وان الاجهل الاخس وفر نصيبا علمنا ان ذلك بسبب
قسمة القسام كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا فاتقوا الله واجملوا في طلب الرزق واقبلوا في جميع قلوبكم علي
ما ينفعكم من الاستبصار وانشد سفيان بن عيينة يقول

كم من قوي قوي في تقلبه ∴ بمذيب الراي عنه الرزق منحرف
ومن ضعيف ضعيف العقل مختلط ∴ كانه من خليج البحر يغترف

وحكي ان سليمان المهلبي ارسل الي الخليل احد بماية الف درهم فردها الخليل
وكتب اليه هذه الابيات ابلغ سليمان اني عنه في سعة وفي غنى غير اني
لست ذا مال فسخي بنفسي انزلا اري احدا ∴ يموت جوعا ولا يبقي علي حال
فالفقر عند قدرها العجز ينقصه ∴ ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه ∴ ومثل ذاك الغنا في النفس لا المال

وقال الشافعي رحمه الله تعالي ومن الدليل علي القنا وكونه بوس اللبيب
وطيب عيش الاحمق تنبيه هذا التفاوت ليس مختصا بالمال بل هو حاصل
في الزكا والبلادة والحسن والقبح والعقل والحمق والصحة والسقم والاسم
الحسن والاسم القبيح وهذا بحر لا ساحل له قال الرازي وقد كنت مصاحبا
لبعض الملوك في بعض الاسفار وكان ذلك الملك كثير المال والجاه فكانت الخيايم
الكثيرة تقاد بين يديه وما كان يمكنه ركوب واحد منها وربما احضرت الاطعمة

الشهية والفواكه الكثيرة العطرة عنده وما كان يمكنه ان يتناول شيأ منها
وكان من الفقراء مع هو صحيح المزاج وقوي البنية كامل القوة وما كان يجد
ملا بطنه طعاما فذلك الملك وان كان يفضل هذا الفقير في المال الي ان هذا الفقير
كان يفضل ذلك الملك في الصحة والقوة وهذا باب واسع اذا اعتبره الانسان
عظم تعجبه فيه فقال الله تعالي ان بينتنا من فضله وان بر ضينا بما قسم لنا
انه كريم جواد ثم ضرب الله تعالي مثلا للذين جعلوا لله شركا بقوله تعالي فما
الذين فضلوا اي في الرزق وهم الموالي برادي رزقهم علي ما ملكت ايمانهم
اي بجاعل ما رزقناهم من الاموال وغيرها بينهم وبين مماليكهم فهم اي المماليك
والموالي فيه سوا اي شركا يقول الله تعالي هم لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم
فيما رزقناهم سوا فكيف يجعلون بعض عبيدي شركاي في ملكي وسلطاني
وقيل معني الاية ان الموالي والمماليك الله رازقهم جميعا فهم في رزقه سوا
فلا تحسن الموالي يردون ارزاقهم علي مماليكهم من عند انفسهم بل ذلك
رزق الله اجراه علي ايدي الموالي للمماليك والمقصود منه بيان ان الرازق
هو الله تعالي لجميع خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك الرزق سوا وان المالك
لا يرزق المملوك وانما ذلك رزق اجريته اليهم علي ايديهم فالرازق للمالك والمملوك
هو الله تعالي ولما قرر سبحانه وتعالي هذه الدلايل وبينها واظهرها بحيث
يفهمها كل عاقل كان ذلك انعاما عظيما منه علي الخلق فعند هذا قال افبنعمة الله
في تقرير هذه البيانات وايضاح هذه البينات يجحدون اي يكفرون وفي ذلك
انكار علي المشركين حيث جحدوا نعمته وعبدوا غيره وجعلوا له شركا يضيفون
اليهم بعض ما انعم به عليهم فيسوون بينهم وبينه في ذلك وقرا شعبة بالتاء علي
الخطاب والباقون بالياء علي الغيب ثم انه تعالي ذكر نوعا اخر من احوال الناس
ليستدل به علي وجود الاله المختار الحكيم وتنبيها علي انعام الله تعالي علي
عبيده بمثل هذه النعم بقوله تعالي والله اي الذي له تمام القدرة وكمال العلم
جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم منكم
تحلق حواء من ضلع ادم وساير النساء تخلقن من نطفة الرجال والنافي هو خطاب
عدم فتخصيصه بادم وحوا فقط خلاف الدليل والمعني انه تعالي خلق
النساء ليتزوج بهن الذكور ومن افضل النعم كثرة [illegible] فاقتلوا انفسكم فسلموا

علي انفسكم

515

فسلموا علي انفسكم اي بعضكم بعضا ونظيره قوله تعالي وجعل لكم
من ازواجكم بنين وحفدة والحفدة جمع حافد وهو المسرع بالخدمة
المسارع الي الطاعة ومنه قول القانت واليك نسعي ونحفد اي نسرع
الي طاعتك هذا اصله في اللغة واختلفوا فيه اقوال المفسرين فقال ابن
مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل علي بناته وعن ابن مسعود انهم
اصهاره نحو بعلي الاول وعلي هذا يكون معني الاية وجعل لكم من ازواجكم
بنين وبنات تزوجوهن فيحصل لكم بسببهن الاختان والاصهار وقال
الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من اعانك
فهو حفدك وقال عطاء هم الاولاد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقال
الكلبي ومقاتل البنين هم الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينون
الرجل الذين ليسوا منه اي اولاد المراة من الزوج الاول قال الرازي والاولي
دخول الكل فيه لان اللفظ محتمل للكل بحسب المعني المشترك قال الزمخشري
ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كانه قيل جعل لكم من انفسكم اولادا هم
بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين النتاج ومع هذا فالمشهور ان
الحافد ولد الولد من الذكور والاناث فايدة قال الاطباء واهل الطبيعة
المائي اذا انصب الي الخصية اليمني من الذكر ثم انصب منه الي الجانب الايمن
من الرحم كان الولد ذكرا تاما في الذكورة واذا انصب منه الخصية اليسري ثم
انصب الي الجانب الايسر من الرحم كان الولد انثي تاما في الانوثة واذا انصب
من الخصية اليمني وانصب منها الي الجانب الايسر من الرحم كان ذكرا في طبيعة
الاناث واذا انصب من الخصية اليسري ثم انصب منها الي الجانب الايمن من
الرحم كان هذا الولد انثي في طبيعة الذكور وحاصل كلامهم ان الذكور الغالب
عليها الحرارة واليبوسة والغالب علي الاناث البرودة والرطوبة وهذه
العلة ضعيفة فان في النساء من مزاجها في غاية السخونة وفي الرجال من مزاجها
في غاية البرودة فخالق الذكر والانثي الاله القادر الحكيم ولما ذكر تعالي انعامه
علي عباده بالمنكح وما نبه فيه من المنافع والمصالح ذكر انعامه عليهم بالمطعوم
الطيبة فقال ورزقكم من الطيبات سواء كانت من النبات وهي الثمار والحبوب
والاشربة او كانت من الحيوان والمراد بالطيب المستلذ او الحلال ومنه في الطيبات

للتبعيض لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها وقال
في تفسير قوله تعالي افبالباطل يومنون فقال بن عباس يعني باصنام
وقال مقاتل يعني بالشيطان وقال عطا تصدقون ان لي شريكا وصاحبة
وولدا وبنعمة الله هم يكفرون اي بان يضيفوها الي غير الله تعالي ويتركوه
اضافتها الي الله تعالي وقيل الباطل ما سول لهم الشيطان من تحريم البحيرة
والسايبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم من الطيبات وتحريم الخبايث فايدة
رسمت بنعمت هنا بالتاء ووقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون
بالتاء والكسائي يقرا بالامالة ولما شرح الله تعالي الدلايل علي صحة التوحيد
واتبعها بذكر اقسام النعم العظيمة اتبعها بالرد علي عبدة الاصنام فقال ويعبدون
من دون الله اي غيره ما لا يملك لهم رزقا اي تارة كين عبادة من يبيده جميع
الارزاق وهو ذو القوة المطلق الذي يرزق فهم من الطيبات ويعبدون غيره ثم
بين تعالي جهة الرزق بقوله تعالي من السموات والارض اما الرزق الذي
من جانب السماء فالمطر واما الذي من جانب الارض فالنبات والثمار التي
تخرج منها وقوله تعالي شيا فيه ثلاثة اوجه احدها انه منصوب علي المصدر
اي لا يملك لهم ملكا اي شيا من الملك الثاني انه بدل من رزقا اي لا يملك لهم
شيا قال ابن عادل وهذا غير مفيد اذ من المعلوم ان الرزق شيء من الاشيا
ويويد ذلك ان البدل لا ياتي الا لاحد معنيين البيان او التاكيد وهذا ليس
فيه بيان لانه اعم ولا تاكيد الثالث انه منصوب برزقا علي انه اسم مصدره
واسم المصدر يعمل عمل المصدر علي خلاف في ذلك وملكات مت لا يملك شيا فقد
يكون موصوفا باستطاعة ان يتملك بطريق من الطرق نفي الله تعالي عنهم
ذلك بقوله تعالي ولا يستطيعون اي وليس لهم نوع استطاعة اصلا فان قيل
انه تعالي قال ويعبدون من دون الله ما لا يملك فعبر عن الاصنام بعينة ما
وهي لغير العاقل ثم جمع بالواو والنون فقال ولا يستطيعون وهو مختص بمن يعقل
اجيب بانه عبر عنها ثانيا اعتبارا باعتقادهم انها الهة وفي تفسير قوله تعالي
فلا تضربوا لله الامثال وجهان الاول قال اكثر المفسرين لا تشبهوا لله خلقه
فانه واحد لا مثل له ولا شبيه ولا شريك من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه
فكيف يشبه الخالق بالمخلوق والرازق بالمرزوق والقادر بالعاجز الثاني ان عبدة

الاوثان كانوا يقولون ان الله العالم اجل واعظم من ان يعبده الواحد منا
بل كنا نعبد الكواكب او نعبد هولا الاصنام ثم ان الكواكب والاصنام عبيد
الاله الاكبر الاعظم كما ان اصاغر الناس يحدمون اكابر حفدة الملك واولئك
الاكابر كانوا يخدمون الملك فكذا هنا ان الله اي الذي له الامر كله ولا امر لغيره
يعلم اي خطا ما انتم عليه من ضرب الامثال له وانتم لا تعلمون ذلك وقيل
معناه وانتم لا تعلمون ما عليكم من العقاب العظيم بسبب عبادة هذه الاصنام
ولو علمتموه لتركتم عبادتها ولما ختم تعالي ابطال مذهب عبدة الاصنام ظهر
بسبب العلم الذي هو مناط السداد عزم اكد ذلك بضرب مثل بقوله تعالي
ضرب الله اي الذي له كمال العلم وتمام القدرة مثلا بالاحرار والعبيد
عبدا وقيده بقوله تعالي مملوكا ليخرج الحر لان العبد يطلق علي الحر بانية
الي الله تعالي وقيده بقوله تعالي لا يقدر علي شيء ليخرج المكاتب ومن فيه
شايبة حرية وهذا مثل بشركايهم ثم عطف علي عبدا قوله ومن اي وحرا
فهي نكرة موصوفة ليطابق عبدا رزقناه منا رزقا حسنا اي واسعا طيبا
فهو ينفق منه دايما وهو بمعني قوله تعالي سواء حر اي يتصرف فيه كيف
يشاء وهذا مثل الاله وله المثل الاعلي ثم بكتهم انكارا عليهم بقوله تعالي هل يستوون
اي هذان الفريقان الممثل بهما لان المراد الجنس فاذا كان لا يسوغ في عقل ان
يسوي بين مخلوقين احدهما حر مقتدر والاخر مملوك عاجز فكيف يسوي
بين مخلوق من صوان او غيره وبين الله تعالي الذي له القدرة التامة
علي كل شيء وقيل ذلك تمثيل للكافر المخذول والمومن الموفق لتنبيه جواب
هل يستوون وهي لا يستوون وقوله تعالي الحمد لله قال ابن عباس الحمد لله علي
ما فعل باوليايه واتم عليهم بالتوحيد وقيل المعني ان كل الحمد لله وليس شيء من الحمد
للاصنام ولانه لا نعمة لها علي احد لانها جماد عاجز اي انما الحمد لله لانه المنعم
علي جميع العباد حمد الله لانه تعالي اهل الحامد والثنا الحسن فكانهم قالوا لما
علم ذلك فقيل بل اكثرهم اي الكفار لا يعلمون لكونهم يسوون غيره ومن نفي عنه
العلم الذي هو اعلي صفات الكمال كان في عداد الانعام فهم لذلك يشبهون به ما ذكر
ويضربون له الامثال الباطلة ويضيفون نعمه الي غيره ثم انه تعالي ضرب لعبدة الاوثان
مثلا اخر بقوله تعالي وضرب الله مثلا ثم ابدل منه رجلين ثم استانف البيان لما اجمل

فقال احدهما وهو الذي ولد اخرس وليس كل اخرس ابكم وروي ثعلب عن ابن الاعرابي
الابكم الذي لا يسمع ولا يبصر وصف الله تعالي هذا الرجل بصفة ثانية بقوله تعالي
لا يقدر علي شيء لانه لا يفهم ولا يفهم وفي ذكر الاشارة الي العجز التام والنقصان
الكامل ثم وصفه تعالي بصفة ثالثة بقوله تعالي وهو اي ذلك الابكم العاجز كل علي
مولاه اي ثقيل علي من ولي امره وبقوله قال اهل المعاني اصله من الغلظ الذي
هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت شفرته فلم تقطع وكل اللسان اذا او
غلظ فلم يقدر علي الكلام وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينهض ثم وصفه
تعالي بصفة رابعة بقوله اينما يوجهه اي يرسله ويصرفه ذلك المولي لا يات بخير
لانه عاجز لا يحسن ولا يفهم قيل هذا مثل لمشركي مكة الذين هم عيال وو بال علي
عبدتهم ويجمع الله تعالي بقوله هل يستوي هو اي هذا الموصوف بهذه الصفات
الاربع ومن اي ورجل اخر علي ضد صفته فهو ناطق قادر عالم فطن قوي خير
مبارك ميمون يامر اي ورجل اخر يامر بما له من العلم والقدرة بالعدل اي يبذل
النصيحة لغيره وهو في نفسه ظاهرا وباطنا علي صراط اي علي طريق واضح مستقيم
اي عامل فيه بما يامر به قيل هذا مثال للعبود من حق الذي يكفي عابديه جميع
المؤن وهو دال علي كمال علمه وتمام قدرته وقيل المراد من هذا الابكم عبد الله
ابن عفان رضي الله تعالي عنه كان ذلك العبد يكره الاسلام وما كان فيه خير وسوله
وهو عثمان يامر بالعدل وكان علي الدين القويم والصراط المستقيم وقيل كل المراد كل
عبد موصوف بهذه الصفة المذمومة وكل حر موصوف بتلك الصفات الحميدة
وهذا القول كما قال الواحدي اولي من الاول لان وصفه تعالي اياها يكونهما رجلين
يمنع من حمل ذلك علي العرش وكذلك وكذلك بالكلم وبالكل وبالتوجيه في جهات النافع
وكذلك وصف الاخر بانه علي صراط مستقيم يمنع من حمله علي الله تعالي وايضا القصد
تشبيه صورة بصورة في امر من الامور وذلك الشبيه لا يتم الا عند كون احدي الصورتين
مغايرة للاخري واما القول الثاني فضعيف ايضا لان المقصود بانه التفرقة بين
رجلين موصوفين بالصفات المذكورة فذلك غير مختص بشخص معين بل انما حصل
التفاوت في الصفات المذكورة فانه يحصل المقصود ثم وصف سبحانه وتعالي نفسه بكمال
العلم بقوله تعالي ولله اي لا لغيره غيب السموات والارض وهو ما غاب بنفسه عن
العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل الغيب هنا هو قيام الساعة

فائدة

فان علمه غائب عن اهل السموات والارض ثم وصف سبحانه وتعالي كمال قدرته بقوله
تعالي وما امر الساعة وهو الوقت الذي يكون فيه البعث الا كلمح البصر اي الا كرجع
الطرف من اعلي الحدقة الي اسفلها او المعني وما امر اقيام الساعة في السرعة والسهولة
الا كلمح في العين والمراد منه تقرير كمال القدرة ومعني قوله تعالي او هو اقرب اي لمح البصر
عبارة عن انتقال الجسم المسمي بالطرف من اعلي الحدقة الي اسفلها ولا شك
ان الحدقة مؤلفة من اجزاء فلمح البصر عبارة عن المرور علي جملة تلك الاجزاء التي
منها تالف الحدقة ولا شك ان تلك الاجزاء كثيرة والازمان التي يحصل فيه لمح البصر
مركب من اثنين متعاقبة والله تعالي قادر علي اقامة القيامة في اي واحد من تلك
الازمان فلذلك قال او هو اقرب الا انه لما كان اسرع الاحوال والحوادث في عقولنا
وافكارنا هو لمح البصر لا جرم ذكره ثم قال او هو اقرب تنبيها علي ما مر ولا شبهة
في انه ليس المراد طريقة التمثيل والمراد اذا يل هو اقرب وقال الزجاج المراد به الافهام
علي المخاطبين لانه تعالي ياتي بالساعة اما بقدر لمح البصر او بما هو اسرع
وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخي فهو عند الله كالشيء الذي تقول له
فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة كقوله تعالي وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون ان الله اي الملك الاعظم علي كل شيء قدير فيقدر علي ان يحيي
الخلايق دفعة واحدة كما قدر علي احيائهم فانه تعالي انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له
ما يكون ثم انه تعالي عاد علي الدلايل الدالة علي وجود الصانع المختار فقال
علي قوله تعالي والله جعل لكم من انفسكم ازواجا قوله تعالي والله اي الذي
له الالهية كلها اخرجكم بقدرته وعلمه من بطون امهاتكم حال كونكم عند الاخراج
لا تعلمون شيأ من الاشياء قل ولا جل فالذي اخرجكم منها قادر علي اخراجكم
من بطون الارض بلا فرق قيل بطريق الاولي وقرا حمزة والكسائي بكسر الهمزة
والياقون بضمها وقرا حمزة بكسر الهمزة والياقون بفتحها ثم عطف علي اخرجكم
قوله تعالي وجعل لكم السمع والابصار والافيدة الآن لاحالة الجهل الذي
وقعت الولادة عليه وفتق مواضعها وسواها وعدلها وانتم في البطون
حيث لا تقبل اليه يد ولا يتمكن من شق شيء منه بالة فالذي قدر علي
اعادته في بطون الارض بطريق الاولي قال البقاعي ولعله تعالي جمعها اي
الابصار والافيدة دون السمع لان التفاوت فيها اكثر من التفاوت فيه يما لا

بما لا يعلمه الا الله تعالى والافيدة هي القلوب التي هيأها الله تعالى
للفهم واصلاح البدن بما اودعها من الحرارة اللطيفة للمعاني الدقيقة لعلكم
تشكرون لتصيروا بتعارف القلوب التي وهبكموها اذا سمعتم المواعظ
وابصرتم الايات في حالتين حين فيهما التكليف تشكرون لها افاض عليكم من نعايين
ضعفة بان تقرفوا اما لمعنى العلم والقدرة فانه انما انعم عليكم بهذه الامور
لتفعلوها بها في شكر من انعم بها عليكم فان قيل عطف وجعل لكم السمع على اخرجكم
يقتضي جعل السمع والبصر متاخرا عن الاخراج من البطون مع ان الامر
ليس كذلك اجيب بان حرف الواو لا يوجب الترتيب وايضا اذا حملنا
السمع على الاستماع والابصار على الروية زال السؤال ثم انه تعالى اذكر بالدلالة
اخر على كمال قدرته وحكمته بقوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات اي
مذللات للطيران في جو السماء اي في الهواء بين الخافقين مما لا يقدرون
عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم لها في السمع والبصر وزيادتكم عليها
بالعقول فعلم قطعا انه تعالى خلق الطير خلقة معها يمكنه الطيران فيها والا لما امكنه ذلك
لانه تعالى اعطى الطير اجنحة يبسطها مرة ويكرها مرة اخرى مثل ما يعمل السابح في الماء
وخلق الجو خلقة لطيفة فيه ولولا ذلك لما كان الطيران ممكنا ومع ذلك ما يمسكهن
في الجو عند الوقوع الا الله اي الملك الاعظم فان جسد الطير جسم ثقيل والجسم الثقيل
يمتنع بقاؤه في الجو معلقا من غير دعامة تحته ولا علاقة فوقه فوجب ان يكون
الممسك له في ذلك الجو هو الله تعالى وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على انه خطاب للعامة
والباقون بالياء على الغيبة ان في ذلك المذكور لايات اي دلالات لقوم يؤمنون
وخصهم بذلك لانهم هم المنتفعون بها وان كانت هذه الايات ايات لكل العقلاء ثم ذكر
تعالى نوعا اخر من دلايل التوحيد بقوله تعالى والله اي الذي له الحكمة البالغة
جعل لكم من بيوتكم واصل البيت المأوى ليلا ثم اتسع فيه سكنا اي موضعا تسكنون
فيه تنتيه البيوت التي يسكنها الانسان فيها على قسمين احدهما البيوت المتخذة من
الخشب والطين والاثاث التي بها يمكنه تستيف البيوت واليها الاشارة بقوله تعالى
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وهذا القسم من البيوت لا يمكن تنقيلها بل الانسان يتنقل اليها
والقسم الثاني القباب والخيام والفساطيط واليها الاشارة بقوله تعالى وجعل لكم
من جلود الانعام بيوتا المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر والصوف

واشعارها

والشعر فانها من حيث انها قابلة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها
تستخفونها اي تتخذونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم اي وقت
ترحالكم وعبر باليوم لان الترحال في النهار ويوم اقامتكم اي وقت الحضر او وقت
النزول وهذا القسم من البيوت يمكن نقلها وتحويلها من مكان الى مكان وقرأ
نافع وابن كثير وابو عمر وبفتح العين والباقون بالسكون واضاف قوله تعالى
ومن اصوافها واوبارها واشعارها الى ضمير الانعام لانها من جملتها قال
المفسرون واهل اللغة الاصواف للضان والاوبار للابل والاشعار للمعز
اثاثا اي ما يلبس ويفرش ومتاعا اي ما يتجر به وقيل الاثاث ما يكتسي به
ويستعمله في الفطا والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل ويتزين به واختلف
في معنى قوله تعالى الى حين فقيل الى حين يبلى وقيل الى حين الموت وقيل
الى حين بعد حين وقيل الى يوم القيامة تنبيه في نصب اثاثا وجهان احدهما
انه منصوب عطفا على بيوتا اي وجعل لكم من اصوافها اثاثا والثاني انه منصوب
على الحال واعلم ان الانسان اما ان يكون مقيما او مسافرا واما ان يكون غنيا
يستصحب معه الخيام اولا فالقسم الاول اشار اليه تعالى بقوله جعل لكم من
بيوتكم سكنا واشار الى القسم الثاني بقوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا واشار الى القسم الثالث بقوله تعالى والله اي الذي له الجلال والاكرام جعل
لكم اي من غير حاجة منه تعالى مما خلق من شجر وجبال وابنية وغيرها وقوله تعالى
ظلالا جمع ظل تتقون به شدة الحر وقوله تعالى وجعل لكم مع غناكم المطلق من
الجبال اكنانا جمع كن موضع تسكنون فيه من المهوف والبيوت المنحوتة فيها وجعل
لكم اي مما منه عليكم سرابيل جمع سربال قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال من قميص
او درع او حيوشن او غيره وسواء كان من صوف او كتان او قطن او غيرها تقيكم الحر
ولم يقل تعالى والبرد لتقدمها في قوله تعالى لكم فيها دفء وقيل انه اكتفى باحد المتقابلين
وقيل كان المخاطبون بهذا الكلام العرب وبلادهم حارة فكان حاجتهم الى ما يدفع الحر
فوق حاجتهم الى ما يدفع البرد كما قال تعالى ومن اصوافها واوبارها واشعارها
وساير انواع الثياب اشرف الا انه ذكر ذلك النوع لانه كان الغرض بها اشد واعتيادهم
للبسها اكثر ولما كانت السرابيل نوعا واحدا لم يكرر جعل فقال وسرابيل اي دروعا
من حديد وغيرها تقيكم باسكم اي حربكم اي في الطعن والضرب فيها وبما عدد الله تعالى

انواع نعمه قال كذلك اي كاتمام هذه النعمة المتقدمة **يتم نعمته عليكم** في الدنيا والدين
بالبيان والهداية لطرايق النجاة والمنافع والتنبيه علي دقايق ذلك **لعلكم** يا اهل
مكة **تسلمون** اي تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر علي هذه الافعلة
احد سواه وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع **فان تولوا** فلم يقبلوا
منك وانثروا الذات الدنيا ومتابعة الاباء والعادات في الكفر **فانما عليك** يا افضل
الخلق **البلاغ المبين** هذا جواب الشرط وفي الحقيقة جواب الشرط محذوف
اي فقد تمهد عذرك بعد ما ادين ما وجب عليك منا التبليغ فذكر سبب العذر
وهو البلاغ ليدل علي المسبب وذكر لان تبليغه سبب في عذره فاقيم السبب فيضمحل
عذره مقام المسبب وهذا قبل الامر بالقتال ثم انه تعالي ذمهم بانهم **يعرفون نعمة الله**
اي الملك الاعظم التي تقدم عد بعضها في هذه السورة وغيرها **ثم ينكرونها** بعبادتهم
غير المنعم بها وقال نعمة الله يعني محمد صلي الله عليه وسلم انكروه وكذبوه وقيل
نعمة الله هي الاسلام وهو اعظم النعم التي انعم الله تعالي بها علي عباده ثم ان كفار مكة
انكروه وجحدوه واختلف في معني قوله تعالي **واكثرهم الكافرون** مع انهم كلهم
كانوا كافرون علي وجوه الاول انما قال تعالي واكثرهم لانه كان فيهم من لم تقم عليه
الحجة ممن لم يبلغ حد التكليف او كان ناقص العقل فاراد بالاكثر البالغين الاصحاء الثاني
ان يكون المراد بالكافر الجاحد المعاند وكان فيهم من لم يكن معاندا بل كان جاهلا
يصدق الرسول ويظهر له كونه نبيا حقا من عند الله الثالث انه ذكر الاكثر
والمراد الجميع وهذا كقوله تعالي الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وما بين تعالي من
حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وذكر ايضا من حالهم ان اكثرهم كافرون
اتبعه بالوعيد فذكر حال يوم القيامة بقوله تعالي **ويوم** اي واذكر لهم يوم
او واذكر لهم يوم **نبعث** بعد البعث **من كل امة شهيدا** هو نبيها كما قال تعالي فكيف
اذا جيئنا من كل امة بشهيد وجيئنا بك علي هؤلاء شهيدا يشهد نبيها لها وعليها
يوم القيامة ليحكم تعالي بقوله اجر اللام وعلي ما يتعارفون وان كان تعالي عنيا
عن شهيد وقوله تعالي **ثم لا يؤذن للذين كفروا** فيه وجوه احدها لا يؤذن لهم
في الاعتذار كقولهم لله تعالي ولا يؤذن لهم فيعتذرون ثانيها لا يؤذن لهم في كثرة
ثالثها لا يؤذن لهم في الرجوع الي دار الدنيا والي التكليف رابعها لا يؤذن لهم في حال
شهادة الشهود بل يسكت اهل الجمع كلهم ليشهد الشهود فان قيل ما معني ثم ها هنا

اجيب

اجيب بان معناها انهم يمتحنون اي يبتلون بغير شهادة الانبياء عليهم الصلوة
والسلام بما هو لهم منها وانهم يمنعون الكلام فلا يوذن لهم في القاء معذرة ولا ادلا بحجة
ولا هم يستعتبون اي لا تزال عتابهم وهي ما يعتبون عليها ويلامون يقال
استعتبت فلانا بمعني اعتبته اي ازلت عتابه **واذا راي الذين ظلموا** اي
ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي **العذاب** اي عذاب جهنم بعد الموقف وشهادة
الشهداء **فلا يخفف عنهم** ذلك العذاب **ولا هم ينظرون** اي يمهلون وما بين تعالي
حاصل امرهم في البعث وما بعده وكان من اهم المهام امرهم في الموقف مع شركايهم
الذين كانوا يرجونهم عطف علي ذلك بقوله تعالي **واذا راي** اي بالعين يوم القيامة
الذين اشركوا شركاءهم اي الالهة التي كانوا يدعونها شركاء من الشياطين
وغيرها **قالوا ربنا** اي يا من احسن الينا ورباانا **هؤلاء شركاؤنا** اضافوهم
الي انفسهم لانه لا حقيقة لشركتهم تعسفا منهم لها الموجب لضررهم ثم بين المراد
بقولهم **الذين كنا ندعوا** اي نعبدهم **من دونك** ليقربونا اليك فالكرم منا
لاجلهم جر يا علي منهاجهم في الدنيا في الجهل والضلالة فخافوا شركاؤهم من عواقب هذا
القول والاقرار عليه بسطوات الغضب **فالقوا اليهم** اي المشركين **القول** اي
مبادرة وايه حتي كان اسراعه اليهم اسرع شيء ثقيل يلقي من علو واكدوا قولهم هو
فقالوا **انكم لكاذبون** في جعلنا شركاء وانكم عبدتمونا حقيقة وانما عبدتم اهواءكم
كقوله تعالي كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يبعد ان تنطق الاصنام بذلك يومئذ
في انهم حملوهم علي الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان
دعوتكم فاستجبتم لي **والقوا** اي الشركاء **الي الله** اي الملك الاعلي **يومئذ** اي يوم القيامة
السلم اي الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا **وضل** اي غاب **عنهم** اي الكفار
ما كانوا يفترون اي من ان الهتهم تشفع لهم وما ذكر تعالي وعيد الذين كفروا اتبعه
بوعيد من ضم الي كفره صد الغير عن سبيل الله بقوله تعالي **الذين كفروا وصدوا**
عن سبيل الله اي ضموا مع كفرهم انهم منعوا الناس عن الدخول في الايمان
بالله وبرسوله **زدناهم عذابا** لصدهم **فوق العذاب** المستحق بكفرهم **بما كانوا**
يفسدون اي بكونهم مفسدين وقيل زدناهم عذابا بحيات وعقارب كامثال
البخت يستغيثون بالهرب منها الي النار وعدهم من ذكر لكل عقرب ستماية نقرة في كل
نقرة ثلاثماية قلة من سم وقيل عقارب لها انياب كالنخل الطوال ثم كرر سبحانه وتعالي

التحذير من ذلك اليوم على وجه يزيد على ما افهمته الاية السابقة وهو ان الشهادة
تقع على الامم لا عليهم وتكون بحضرتهم فقال ويوم اي وخوفهم او واذكر لهم يوم
نبعث اي بعثا من العدة في كل امة من الامم والامة عبارة عن القرن والجماعة
شهيدا عليهم قال ابن عباس يريد الانبيا قال المفسرون كل نبي شاهد على امته
وهو عدل شاهد عليها من انفسهم اي منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذين
بعث اليهم ليشهد عليهم بما فعلوا من كفر وايمان وطاعة وعصيان وجينا بك
من العظمة بك ياخير المرسلين شهيدا على هولا اي الذين بعثناك اليهم وهم
اهل الارض واكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه وسلم ولذلك لم تعيد بعثة نبي
وقال ابو بكر الاصم المراد بذلك الشهيد هو انه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان
حتى انها تشهد عليه وهو الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان
قال والدليل عليه ما قاله في صفة الشهيد انه من انفسهم وهذه الاعضاء
لاشك انها من انفسهم ورد بانه تعالى قال شهيدا عليهم فيجب ان يكون غيرهم
وايضا قال من كل امة فيجب ان يكون ذلك الشهيد من الامة واحاد هذه
الاعضا لا يصح وصفها بانها من الامة ثم بين تعالى انه انزاح عللهم فيما كلفهم به
فلا حجة لهم ولا معذرة بقوله تعالى ونزلنا اي بعظمتنا بحسب التدريج والتنجيم
عليك ياخير خلق الله الكتاب اي القران الجامع للهدي تبيانا اي بيانا بليغا
لكل شي فان قيل كيف كان القران تبيانا لكل شي اجيب بان المعنى منه كل شي
من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه
باتباع النبي صلى الله عليه وسلم وطاعته وقد قال تعالى وما ينطق عن الهوى
وحثنا على الاجماع في قوله تعالى ويتبع غير سبيل المومنين وقد رضي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتدا بآثارهم وقد اجتهدوا وقاسوا
ووطيوا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد
مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شي وهدى من الضلالة
ورحمة لمن امن به وصدقه وبشرى بالجنة للمسلمين اي الموحدين خاصة
ولما استقصى سبحانه وتعالى في شرح الوعد والوعيد والرغبة والرهيب اتبعه
بقوله ان الله اي الملك المستجمع لصفات الكمال يامر بالعدل قال ابن عباس
في بعض الروايات العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان اداء الفرايض

وقال

وقال في رواية اخرى العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله كانك تراه
وان تحب للناس ما تحب لنفسك فان كان مومنا احببت له ان يزداد ايمانا
وان كان كافرا احببت له ان يكون اخاك في الاسلام وقال في رواية ثالثة العدل
هو التوحيد والاحسان هو الاخلاص فيه وقال اخرون يعني بالعدل هو
في الافعال والاحسان في الاقوال فلا تفعل الا ما هو عدل ولا تقل الا ما هو
احسان واصل العدل المساواة في كل شي من غير زيادة ولا نقصان فالعدل
هو المساواة في المكافاة ان خيرا فخير وان شرا فشر والاحسان ان تقابل الخير
باكثر منه والشر بان تعفو عنه وعن الشعبي قال عيسى بن مريم اعدل الاحسان
ان تحسن الى من اساا اليك ليس الاحسان ان تحسن الى من احسن اليك وقيل
العدل الانصاف والاحسان اعدل من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان
ان تحسن الى من اساا اليك وعن محمد بن كعب القرظي قال دعا ابن عمر بن عبد العزيز
قال صفوني العدل فقلت يح سالت عن امر جسيم كن لصغير الناس اباو لكبيرهم
ابنا وللمثل منهم اخا وللنساء كذلك وايتا اي وعد الاحسان ايتاء ذي القربى اي
القرابة القريبي والبعدي فيندب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن ذلك
فضل فدعا حسن وتودد وروي في الصحيحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان اعجل الطاعة ثوابا صلة الرحم انا هل هذا البيت ليكونون فجارا فتنمي
اموالهم ويكثر عددهم اذا وصلوا ارحامهم وبما امر تعالى بالمكارم نهى عن المساوي
بقوله تعالى وينهى عن الفحشا قال ابن عباس الزنا فانه اقبح احوال الانسان
واشنعها وقال غيره الفحشا ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وغيره من جميع
الاقوال والافعال المذمومة والمنكر قال ابن عباس الشرك والكفر وقال غيره المنكر
ما لا يعرف في شريعة او سنة والبغي هو الاستيلا على الناس والتجبر عليهم قيل
ان اعجل الناس عقابا البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر لدكه الباغي
ونص تعالى على البغي مع دخوله في المنكر اهتماما به كما بدا في الفحشا وقال ابو مسلم
في هذه الاية العدل استوا السر والعلانية والاحسان ان تكون سريرته خيرا
من علانيته والفحشا والمنكر والبغي ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال
بعض العلما ان الله تعالى ذكر من المامورات ثلاثة اشيا ومن المنهيات ثلاثة اشيا
فذكر العدل وهو الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشا

وهو ما قبح من الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو ان يعفو عمن ظلمه ويحسن
الى من اساء اليه وذكر في مقابلة المنكر وهو ان ينكر احسانه من احسن اليه وذكر
ايتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة عليهم وذكره
في مقابلة البغي وهو ان يتكبر عليهم او يظلمهم حقوقهم وملاكان هذا المذكور من
ابلغ المواعظ نبه عليه بقوله تعالى يعظكم اي يامركم بما يرق قلوبكم من مصلحة
الثلاثة الاول وهي العدل والاحسان وايتاء ذي القربى ومجانبة الثلاثة الاخيرة
وهي الفحشاء والمنكر والبغي لعلكم تذكرون اي لكي تتعظوا فتعملوا بما فيه رضا الله
تعالى وقرا حفص وحمزة والكسائي بتحقيق الذال والباقون بالتشديد وفيه ادغام
التاء في الاصل في الذال وروى الامام البيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود انه قال
اعظم اية في كتاب الله تعالى الله لا اله الا هو الحي القيوم الا هو الحي القيوم الله الا هو الحي القيوم
واجمع اية في كتاب الله للخير والشر الاية التي في النحل ان الله يامر بالعدل والاحسان
والكرامة في كتاب الله تعويضا ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
واشد اية في كتاب الله ر جائل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية
وقال اهل المعاني لما قال الله تعالى في الاية الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا
لكل شيء بين في هذه الاية المامور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال فما
من شيء يحتاج اليه الناس في امر دينهم مما يجب ان يوتى به او يترك الا وقد اشتملت عليه
هذه الاية وعن قتادة ليس من خلق حسن كان من الجاهلية يعملون به ويظهرونه
ويحثون الا امر الله به وليس من خلق سيء كانوا يتعايرونه بينهم الا نهى عنه
وعن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على الوليد بن المغيرة ان الله
يامر بالعدل والاحسان الى اخر الاية فقال له يا ابن اخي اعد علي فاعاد ها
عليه فقال الوليد والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر وما تقررت هذه الجمل التي جمعت محاسن
المامورات والمنهيات ما تضيق عنه الوفائر والصدور وتشهد لها العاندون
من بلغاء العرب انها بلغت عند البلاغة مبلغا يحصل به غاية السرور ذكر بعض
تلك الاقسام وبدا بما هو مع جمعه اهم وهو الوفا بالعهد بقوله تعالى واوفوا
اي اوقعوا الوفا الذي لا وفا في الحقيقة غيره بعهد الله اي الملك الاعلا الذي
عاهدكم عليه بادلة العقل من التوحيد والبيع والايمان وغيرها مما امرتم

الدين

الدين وفروعه اذا عاهدتم بتعهدكم له بادعائكم لامتثاله ولا تنقضوا الايمان
واحترز بلغو اليمين بقوله تعالى بعد توكيدها اي تشديدها فتحنثوا فيها
وفي ذكره دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين لانه اعم منه وقرا ابو عمرو بادغام الدال
في التا بخلاف عنه والحال انكم قد جعلتم الله اي الذي له العظمة كلها عليكم كفيلا
اي شاهدا ورقيبا وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان باظهار الدال قد عند الجيم والبا
بالادغام وعن جابر قال نزلت هذه الاية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم كان
من اسلم بايع على الاسلام فقال تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان
بعد توكيدها فلا تحملنكم قلة محمد واصحابه وكثرة المشركين ان تنقضوا البيعة
التي بايعتم على الاسلام ان الله اي الذي له الاحاطة الكاملة يعلم ما تفعلون
من وفا العهد ونقضه ثم ضرب الله تعالى لنقض العهد مثلا فقال ولا تكونوا اي
في نقض العهد كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته وهو مصدر بمعنى المفعول من
بعد قوة اي ابرام واحكام وقوله تعالى انكاثا جمع نكث وهو ما ينقض من القزام
والحبل قال مقاتل هذه امراة من قريش يقال لها ريطة وقيل ريطة وتلقب بجعوا
وكانت خرقا حمقاها وسوسة اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع
وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل من الصوف والشعر والوبر هي وجواريها
من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن وكان هذا ابها وقال السدي
كانت امراة بمكة تسمى خرقا مكة تغزل فاذا ابرمت غزلها نقضته وقال مجاهد نقضت
حبلها بعد ابرامها اياه وقال قتادة لو سمعتم بامراة نقضت غزلها من بعد ابرامه
لقلتم ما احمق هذه وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده وقال في قوله تعالى تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم خيانة وغدرا انتي والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد
وقيل الدخل والغش اذ يظهر الرجل الوفا بالعهد ويبطن نقضه وانما كانوا يفعلون
ذلك ان اي بسبب ان تكون اومخافة ان تكون وتكون يجوز ان تكون تامة فيكون امة
اي جماعة فاعلها وان تكون ناقصة فيكون امة اسمها وهي مبتدا واربى اي اكثر
منه امة خبره والجملة في محل نصب على الحال على الوجه الاول وفي موضع الجر على
الثاني وان هي ماخوذ من ربا الشيء يربو اذا زاد وهذه الزيادة قد تكون في العدد وفي
القوة وفي الشرف قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء يجدون من كان اعز منهم واكثر
فينقضون حلف الاولين ويحالفون هولاء الذين هم اعز فنهاهم الله تعالى عن ذلك و

انما يبلوكم الله الذي له الملك كله اي يختبركم به اي يعاملكم معاملة المختبر ليظهر
للناس تمسككم بالوفا واخلالكم عنه واعتماد اعلي كثرة انصاركم وقلة انصار
من نقضتم عهده من المومنين او غيرهم مع قدرته سبحانه وتعالي علي ما يريد فيشكر
ان يعاقب بالمخالفة فيضعف القوي ويقلل الكثير ويكثر القليل وليبلونكم اي اذا
تجلي لفضل القضا يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اي اذا جازاكم علي اعمالكم
بالثواب والعقاب فاحذروا يوم العرض علي مالك السموات والارض واذكروه
الحساب يهلك ولو شاء الله اي الملك الاعلا الذي لا اثر لاحد معه ان يجعلكم امة
واحدة لاختلاف بينكم في اصول الدين ولا فروعه لجعلكم امة واحدة اي متفقة
علي امر واحد وهو دين الاسلام ولكن لم يشا ذلك بل شا اختلافكم فهو تعالي
يضل من يشا عدلا منه تعالي لانه تام الملك ولو كان الذي اضله علي احسن الحالات
ويهدي بفضله من يشا ولو كان علي اخس الحالات والاحوال قيد ذلك تكونوا مختلفين
لا يسئل عما يفعل سبحانه وتعالي ولتسئلن عما كنتم تعملون في الدنيا فيجازي المحسن
باحسانه ويعاقب المسي بعدله تعالي وتاهب تعالي عن نقض العهد والايمان
مطلقا قال تعالي ولا تتخذوا ايمانكم دخلا اي فسادا ومكرا وخديعة بينكم ليس
المراد منه التحذير عن بعض مطلق الايمان والا لزم التكرار الخالي عن الفايدة
في موضع واحد بل المراد نهي اولئك الاقوام المخاطبين بهذا الخطاب عما بعض ايمان
مخصوصة اقدموا عليها فلهذا المعني قال المفسرون المراد بهم الذين بايعوا النبي
صلي الله عليه وسلم عن نقض العهد لان قوله تعالي فتزل اي فيكون ذلك سببا لان
تزل قدم هي في غاية العظمة بعد ثبوتها اي عند مركزها التي كانت به مستقيمة
او دنيا فلا يصير لها قرار فتسقط عن مرتبتها لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق
بنقض عهدي رسول الله صلي الله عليه وسلم علي الايمان به وبشرايعه تشبيه فتزل
مضوب باضمار ان علي جواب النهي ورزل القدم مثل يذكر للملامة وقع في بلاء
بعد عافية او سقط في ورطة بعد سلامة او محنة بعد نعمة وتذوقوا السوء اي الذاب
في الدنيا بما اي بسبب ما صددتم انفسكم ومنعتم غيركم بايمانكم التي ارديتموها
الافساد لاخفا الحق عن سبيل الله اي دينه وذلك ان من نقض العهد دل علي غيره
طرق نقض العهد فيمن به ولكم مع ذلك عذاب عظيم اي ثابت غير منفك اما لكم
علي ذلك ثم اكد سبحانه وتعالي هذا التحذير بقوله تعالي ولا تشتروا اي ولا تطلبوا

انفسكم لما جاوتركا النظر ان تاخذوا وتستبدلوا بعهد الله الذي له الكمال
كله ثمنا قليلا اي حطام الدنيا وان كنتم ترونه كثيرا ثم علل قلته بقوله تعالي
انما عند الله اي الذي له الجلال والاكرام من ثواب الدارين هو خير لكم ولا
يعدل عن الخير الي غيره الا المحجوج ناقص العقل ثم شرط علم خيريته لكونهم منزوي
بقوله تعالي ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتميز فتعلمون افضل
ما بين العوضين ثم بين ذلك بقوله ما عندكم اي من متاع الدنيا ولذاتها ينفد
اي يفني فصاحبه منغص العيش اشد ما يكون به اعتبارا بانقطاعه وما
عند الله اي الذي له الامر كله من ثواب الاخرة ونعيم الجنة باق اي دايم
روي عن ابي موسي الاشعري انه رسول الله صلي الله عليه وسلم قال من
احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقي علي ما يفني
وقرا ابن كثير باق في الوقف بالياء والباقون بغير ياء واما في الوصل فالجميع بالتنوين
ولنجزين الذين صبروا علي الوفا بما يرضيه في الاوامر والنواهي في الضرا
والضرا اجرهم اي ثواب صبرهم باحسن ما كانوا يعملون اي يجزا احسن من اعمالهم
او يجزيهم علي احسن اعمالهم وذلك لان المومن قد ياتي بالمباحات وبالمندوبات
وبالواجبات ولا شك ان المندوبات والواجبات مما يثاب علي فعلها الا علي فعل
المباحات وقرا ابن كثير وعاصم بالنون قبل الجيم اي ولنجزين نحن والباقون
بالياء اي وليجزين الله ثم انه تعالي رغب المومنين في الايمان بكل ما كان من شرايع
الاسلام بقوله تعالي من عمل صالحا من ذكر او انثي وهو مومن اذ لا اعتداد
باعمال الكفار في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها بالتحقيق العذاب فان قيل
من عمل صالحا يفيد العموم فما فايدة ذكر وانثي اجيب بانه ذكر نصا للتخصيص
باحد الفريقين واختلف في قوله تعالي فلنحيينه حياة طيبة فقال سعيد بن
جبير وعطا هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي القنوع في الطاعة وقال الحسن هي
القناعة لان عيش المومن في الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا
لان المومن ما علم ان رزقه من عند الله وذلك بتقديره وتدبيره تعالي وعرف ان الله
محسن كريم حليم يضع الاشيا في محلها فكان المومن راضيا بقضا الله وبما قدره
له ورزقه اياه وعرف ان مصلحته في ذلك القدر الذي رزقه فاستراحت نفسه
منا لكد والحرص خطاب عيش بذلك واما الكافر والجاهل بهذه الاصول الحرص علي

العلم

علي طلب الرزق فيكون ايذانا في حزن وقلق وعناء وحرص وكذلك في الدنيا
ولا ينال منه الرزق الا ما قدر له فظهر بهذا ان عيش المؤمن المتنوع الطيبة غير
وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من كدر
الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة هي الجنة لانها حياة بلا موت وغنا بلا فقر
وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فاثبت بهذا ان الحياة
الطيبة لا تكون الا في الجنة ولا مانع منا ان المؤمن الكامل يحصل جميع ذلك ثم ان الله
تعالى ختم الاية بقوله تعالى **ولنجزينهم اجرهم** اي في الدنيا والاخرة **باحسن ما كانوا**
يعملون اي من الطاعة وما قال تعالى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون
ارشد به الى العمل الذي به يخلص اعمالهم من الوسواس بقوله تعالى **فاذا قرأت**
القرآن اي اردت قراءته **فاستعذ** اي ان شئت جهرا وان شئت سرا قال الشافعي
رضي الله تعالى عنه والاسرار اولى في الصلاة وفي قول يجهر كما في يفعل خارج الصلاة
بالله اي سل الله الذي له الكمال كله ان يعيذك **من الشيطان** اي المحترق باللعنة
الرجيم اي المطرود عن الرحمة من ان يصدك بوساوسه عن اتباعه ويدخل
في جميع ذلك المرة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب
بني ادم باقدار الله تعالى على ذلك وقيل المراد ابليس خاصة والاستعاذة بالله
هي الاعتصام به والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من
امته وظاهر الاية وجوب الاستعاذة واليه ذهب عطا سواء كانت القراءة في الصلاة
ام في غيرها واتفق سائر الفقهاء على انها في الصلاة سنة وغيرها والصارف لهذا
الامر عن الوجوب احاديث كثيرة منها القراءة بدون ذكر نفوذ كحديث البخاري وغيره
عن ابي سعيد بن المعلا رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
ما منعك ان تجيبني قال كنت اصلي قال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم
ثم قال لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القرآن الحمد لله رب العالمين وفي رواية
الموطا انه صلى الله عليه وسلم نادى ابيا وانه قال له كيف تقرا اذا افتتحت الصلاة
قال ابي فقرأ الحمد لله رب العالمين حتى انتهيت الى اخرها وظاهر الاية تدل على ان
الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه واليه ذهب مالك وداود الطاهري قالوا الان قارئ
القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصل الوسواس في قلب القاري هل حصل له ذلك

التوبة ٩

ذلك الثواب فاذا استعاذ بعد القراءة ان حصلت تلك الوساوس بقي الثواب
مخلصا والذي ذهب اليه الاكثرون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من الائمة وفقهاء الامصار ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ويدل
الاية اذا اردت ان تقرأ القرآن فاستعذ بالله وتبعتهم على ذلك فلهذا قدر قبل ذكر
في الاية الكريمة ومثل ذلك قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم
ومثله من الكلام اذا اكلت فسم اي اذا اردت ان تاكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم
واذا سافرت فتاهب اي اذا اردت السفر فتاهب وايضا الوسوسة انما تحصل
في اثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه او لي
من تاخيرها عند وقت الحاجة اليها وما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يوهم ان للشيطان قدرة على التصرف
في انسان الا ان الله تعالى ذكر الوهم وبين انه لا قدرة له البتة الا على
بقوله تعالى **انه ليس له سلطان** اي تسلط بحيث لا يقدر المسلط عليه على الانفكاك
منه **على الذين امنوا** اي يتوكلون **وعلى ربهم** وحده **يتوكلون**
اي على اوليا المومنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يتقبلون منه ولا يطيعونه
فيما يريد منهم من اتباع خطواته وعن سفيان الثوري قال وليس له سلطان
على ان يحملهم على ذنب لا يغفر لهم ثم وصل تعالى بذكر ما فهمه من انه له سلطانا
على غيرهم بقوله **انما سلطانه** اي الذي يتمكن به غاية التمكين بامكان الله تعالى
له **على الذين يتولونه** اي يحبونه ويطيعونه **والذين هم به** اي بالله **مشركون**
وقيل الضمير راجع الى الشيطان والمعنى هم بسببه مشركون بالله وما كانا مشركون
اذا نزلت اية فيها شدة ثم نزلت اية ناسخة لها يقولون ان محمدا يسخر باصحابه هم
يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقول من تلقاء نفسه نزل **واذا**
بدلنا اي بتدريجنا بالنسخ **اية** سهلة كالعدة باربعة اشهر وعشر وقتال الواحد
من المسلمين لاثنين من الكفار او شاقة كتحريم الخمر وايجاب الصلوات الخمس فجعلناها
مكانها اية شاقة كالعدة بحول ومصابرة عشرة من الكفار وسهلة كالاباحة للتقمة
لاباحة الخمر والتبديل برفع الشيء ووضع غيره مكانه **والله** اي الذي له الاحاطة
الشاملة **اعلم بما ينزل** من المصالح بحسب الاوقات والاحوال بنسخ او غيره **قالوا**
اي الكفار **انما انت** يا محمد **مفتر** اي متقول على الله تعالى تامر بشيء ثم بيدو لك فتنهى عنه

الوسوسة

وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض والمعنى الله اعلم بما ينزل من الناسخ
والمنسوخ والتغليظ والتخفيف اي هو اعلم بجميع ذلك في مصالح العباد وهذا
توبيخ للكفار على قولهم انما انت مفتر اي اذا كان هو اعلم بما ينزل فما لهم يسبون
محمدا الى الافتراء لاجل التبديل والنسخ بل اكثرهم وهم الذين على الكفر لا يعلمون
حكمة فائدة النسخ والتبديل ولا يميزون بالخاء المعجمة الصواب فان الله تعالى اعلم
بمصالح العباد كما ان الطبيب يامر المريض بشربة ثم بعد مدة ينهاه عنها ويامره
بغيرها بحسب تلك التربة ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم
بقوله تعالى قل لهم واجههم بذلك منزله اي القرآن بحسب التدريج لاجل
اتباع المصالح لاحاطة علم المتكلم به روح القدس اي جبريل عليه السلام واضافة
الروح الى القدس وهو المطهر كما يقال حاتم الجواد وزيد الخير والمراد الروح المقدس
وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس من الملائم من ربك بالحق اي ملتبسا بالحكمة ليثبت
الذين امنوا اي ليثبت بالقرآن قلوب الذين امنوا فيزدادوا ايمانا ويقينا وهدى
اي بيانا واضحا وبشرى للمسلمين اي المنقادين لكن قيل ظاهر الاية ان
القرآن لا ينسخ بالسنة لقوله تعالى وانا ابدلنا اية مكان اية اذ مقتضاه ان الاية
لا تنسخ الا باخرى اجيب بان هذه الاية دلت على انه تعالى يبدل اية باية
ولا دلالة فيها على انه لا يبدل اية الا باية وايضا لجبريل عليه السلام ينزل بالسنة
كما ينزل بالاية ولما كان المشركون يقولون انما محمدا انما يتعلم هذه القصص
وهذه الاخبار من انسان اخر وهو اعجمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم
نزل قوله تعالى ولقد نعلم علما منه انهم يقولون انما يعلمه بشر واختلف
في البشر الذي قال المشركون ان النبي صلى الله عليه وسلم يتعلم منه فقيل هو
عبد لبني عامر بن لوي يقال له يعيش كان يقرأ الكتب وقيل عداس غلام عتبة
ابن ربيعة وقيل عبد الحضرمي صاحب كتب وكان اسمه جبر وكانت قريش
تقول عبد بني الحضرمي يعلم خديجة وخديجة تعلم محمدا وقيل كان بمكة نصراني
اعجمي اللسان اسمه بلعام ويقال ابن ميرة يتكلم بالرومية وقيل سلمان الفارسي
وبالجملة فلا فائدة في تعداد هذه الاسماء والحاصل ان القوم اتهموه بانه يتعلم
هذه الكلمات من غيره ثم انه يظهرها من نفسه وبين عمالة انما عرضها بالوحي وهو
كاذب فيه فاجاب الله تعالى عنه تكذيبا لهم فيما موايه رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم من الكذب بقوله تعالى لسان الذي يلحدون اي يميلون اليه او يشيرون
اليه اي انه يعلمه اعجمي اي لغة العرب وهو مع ذلك الكذب في التادية غير مبين
وهذا اي القرآن لسان عربي مبين اي وبيان وفصاحة فكيف يعلمه اعجمي
وروي ان الرجل الذي كانوا يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه انه الذين
لا يؤمنون اي لا يصدقون كل تصديق معتدا بها بايات الله اي الدالة لعظمة
كلها لا يهديهم الله اي لا يرشدهم ولا يوفقهم للايمان ولهم عذاب اليم اي مولم في الاخرة
ثم اخبر الله تعالى ان الكفار هم المفترون بقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بايات الله اي القرآن بقولهم هذا من قول البشر واولئك اي البعداء البغضاء هم
الكاذبون اي الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله اعظم من الكذب اولئك هم عادتهم
الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجم عنه مروءة ولا دين وما ذكر تعالى الذين لا يؤمنون
مطلقا انتهم صنفا منهم هم اشد كفرا بقوله تعالى من اي اي مخلوق وقع له انه كفر
بالله اي الذي له صفات الكمال بان قال او عمل ما يدل على الكفر من بعد ايمانه
بالله ورسوله صلى الله عليه الا من اكره على التلفظ بالكفر فيتلفظ به وقلبه مطمئن
بالايمان فلا شيء عليه لان محل الايمان هو القلب روي انه تعالى اكره عمارا هو
وابويه ياسرا وامه سمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وقالوا انك
اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيل في الاسلام واطاعهم عمار لبائنة
ما اراد واكرها وهو كاره بقلبه فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه كفر فقال صلى الله
عليه وسلم كلا ان عمارا ملئ ايمانا فامتزج قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فجاء الى
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه
ويقول ما لك ان عادوا لك فقل لهم مثل ما قلت فبين في الاية دليل على اباحة التلفظ
بالكفر وان كان الافضل ان يجتنب عنه اعزازا للدين كما فعل ابواه وبما روي ان مسيلمة
اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله فقال ما تقول في قال انت
ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما تقول
في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له واختلف
الائمة في وقوع الطلاق بالاكراه فقال الشافعي واحمد رحمهما الله تعالى لا يقع وقال
ابو حنيفة رحمه الله تعالى يقع واستدل الشافعي بقوله تعالى لا اكراه في الدين ولا يمكن

ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي اثاره المجلة اثره
ولاغيرة به وقال عليه الصلاة والسلام رفع عن امتي الخطا والنسيان وما استكرهوا
وقال ايضا لا طلاق في اغلاق اي اكراه وعند ابوحنيفة بقوله تعالى فان طلقها
فلا تحل له وهذا قد طلقها واجيب بان الاية مخصوصة بغير ذلك جمعا بين
الادلة ولكن من شرح بالكفر صدرا فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره
ورضي به فعليهم غضب اي غضب لم تبين جهة عظيمه لكونه من الله اي
الملك الاعظم ولهم اي بظواهرهم وبواطنهم عذاب عظيم في الاخرة لارتدادهم
على اعقابهم ذلك اي الوعيد العظيم بانهم اي بسبب انهم استحبوا اي احبوا
حبا غلبها الحياة الدنيا الكائنة الحاضرة الفانية فاثروها على الاخرة الباقية
الفاخرة لانهم رأوا منافع المؤمنين من الصنيق والكافرين من السعة واذ الله اي
الذي له الغنا المطلق لا يهدي القوم الكافرين اي لا يرشدهم الى الايمان ولا
يوفقهم للعمل اولئك اي البغضا البعدا الذين طبع الله اي الملك الذي لا امر لاحد
معه على قلوبهم اي ختم عليها واستوثق ولما كان التقاوت في السمع نادر اوحده بقوله
تعالى وسمعهم او بمعنى اسماعهم ليناسب قوله تعالى وابصارهم فصاروا
بعدم انتفاعهم بهذه المشاعر كانهم لا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون واولئك
اي الابا عد من كل خير هم الغافلون عما يراد بهم من العذاب في الاخرة لا جرم اي
لانتفاء نهم في الاخرة هم الخاسرون اي اكمل الناس خسارة لان الله تعالى
وصفهم بست صفات الاولى انهم استوجبوا غضب الله تعالى الثانية انهم استوجبوا
العذاب الاليم الثالثة انهم استحبوا الحياة على الاخرة الرابعة ان الله تعالى حرمهم من
الهداية الخامسة انه تعالى طبع على قلوبهم وسمعهم وابصارهم السادسة انه جعلهم
من الغافلين من العذاب الشديد يوم القيامة اذ كل واحدة من هذه الصفات من
اعظم الاحوال المانعة من الفوز بالجنان والعادات ومعلوم انه تعالى انما ادخل
الانسان في الدنيا ليكون كالتاجر الذي يشتري بطاعته سعادات الاخرة فاذا
حصلت هذه الموانع العظيمة عظم خسرانه فلهذا السبب حكم تعالى عليهم بالخسران
وما ذكر تعالى حال من كفر بالله من بعد ايمانه وحال من اكره على الكفر ذكر بعده
حال من هاجر من بعد ما فتن بقوله تعالى ثم ان ربك اي المحسن اليك للذين
هاجروا الى المدينة الشريفة بالولاية والنصرة وقوله تعالى من بعد ما فتنوا قرا

ابن عامر بفتح الفا والتا على اسناد الفعل الى الفاعل والباقون بضم الفا وكسر التا
على ما لم يسم فاعله ووجه القراة الاولى انه عاد الضمير على المؤمنين فالمعنى
فتنوا انفسهم بما اعطوا المشركين من القول ظاهرا وانهم لصابرون على هذا الشركين
فكانهم فتنوا انفسهم وان عاد على المشركين فهو ظاهر اي فتنوا المؤمنين لان اولئك
المفتونين هم المستضعفون الذين حملهم اقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان
فبين تعالى انهم هاجروا ثم جاهدوا وصبروا على الطاعة ان ربك من بعدها
اي الفتنة لغفور اي بليغ الاكرام رحيم فهو يغفر لهم ويرحمهم تنبيه خبران
الاولى لدلالة خبر الثانية عليه او متدى بما مر يوم اي اذكر يوم تاتي كل نفس
اي وان عظم جرمها تجادل اي تحاج عن نفسها لا يهم بغيرها وهو يوم القيامة
وان قيل ما معنى النفس المضافة الى النفس اجيب بانه يقال لعين الشي وذاته
نفسه وفي نفيض غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية
عينها وذاتها فكانه قيل يوم القيامة ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهتم
بشان غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم
هولا الذين اضلونا وما كنا مشركين وتوفى كل نفس صالحة او غير صالحة ما عملت
اي جزاه من جنسه وهم لا يظلمون نبتا وما هدد تعالى الكفار بالوعيد الشديد
في الاخرة هددهم ايضا بافات الدنيا وهي الوقوع في الجوع والخوف بقوله تعالى
وضرب الله اي الحميط بكل شي مثلا ويبدل منه قرية هي مكة والمراد اهلها
كانت امنة اي ذات امن ويامن به اهلها في زمن الخوف قال تعالى اولم يروا انا جعلنا
حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم والامن في مكة كان كذلك لان الرب كان
يغير بعضهم على بعض دون اهل مكة فانهم كانوا اهل حرم اليه والرب كانوا تجترونهم
ويخصونهم بالتعظيم والتكريم مطمينة اي قارة باهلها لا يحتاجون فيها الى بحصة
وانتقال بسبب زيادة الامن بكثرة العدد وقوة المدد وكف الله الناس عنها ووجود
ما يحتاج اليه اهلها فان قيل الاطمينان هو الامن فيلزم التكرار اجيب بان قوله
امنة اشارة الى الامن وقوله تعالى مطمينة لا يحتاج فيها الى بحصة كما مر وقيل
اشار تعالى بذلك الى الصحة لان هواذ كل البلد كان ملايما لامزجتهم فلذلك
اطمانوا اليه واستقروا واقالت العقلا ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية
ياتيها اي على سبيل التجدد والاستمرار رزقها رغدا اي واسعا طيبا من كل مكان

بروجر بتيسير الله تعالى وما كانت العير تجري البطر غالبا بنبه تعالى على ذلك بقوله
تعالى فكفرت بانعم الله اي الذي له الكمال كله وانما جمع نعمة قال الزمخشري على ترك
الاعتداد بالتاكد زرع واذرع وقال قطرب هي جمع نعم والنعم والنعمة يقال هذه
ايام نعم وطعم فلا تضموا وقيل جمع نعمة مثل بائس وابوس فان قيل الانعم
جمع قلة فكان تلك القرية كفرت بانواع قليلة من نعم الله فعذبها الله تعالى فلم يبق
تعالى كفرها بنعم عظيمة فاستوجبوا العذاب اجيب بان المقصود التنبيه
بالادنى على الاعلى فان كفر النعم القليلة لما اوجب العذاب فيكون ان النعم الكثيرة
اولى وبان الله تعالى انعم عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم
فكفروا به وبالقوا في ايذائه فاذاقها الله اي الحيط بكل شيء لباس الجوع بدل
عد العيش بسبع سنين وقطعت الضرب عنهم المبرة بامر رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة وقيل الكرة
غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل لمكة بكون غير مكة والخوف بسرايا النبي صلى الله
عليه وسلم تنبيه استعير الذوق لادراك الاثر الضرر والتباس لما غشيهم واشتمل عليهم
من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير عزة
غمز الردا اذا تبسم ضاحكا ٠٠ علقت لضحكته رقاب المال ٠٠
فانه استعار الردا للعرض لانه يصون عرض صاحبه صون الرداما يلقى عليه
واضاف اليه الغمز الذي هو وصف المعروف والمنوال لا وصف الردا نظرا الى المستعار له
ولو نظر الى المستعار لقال صاف الردا اي سابغه ومعنى البيت اذا ضحك الميسون فكانه
ايقنه السايل بذلك البتم استقلة رقاب ماله ويعطي بلا خلاف وقد يشطر الى المستعار له
كقوله يناز عني ردائي عبد عمرو ٠٠ رويدك يا اخا عمرو بن بكر ٠٠
الى النظر الذي ملكت عيني ٠٠ ودونك فاعتجز منه بشطر ٠٠
استعار الردا للسيف ثم قال فاعتجز نظرا الى المستعار له ولو نظر الى المستعار منه
لقال تعالى في الاية وكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير صافي الردا اذا تبسم
ضاحكا وهذا نهاية ما يقال في الاستعارة وقال ابن عطية ما بشرهم وكرصاكالبا
وهذا كقوله الاعشى
اذا ما الضجيع ثنى جيدها ٠٠ تثنت عليه فكانت لباسا ٠٠
ومثله قوله تعالى هن لباس لكم وانتم لباس لهن ومثله قول الشاعر

وقوله

وقد لبست بعد الزبير بجاشع لباس التي حاضت وطاب القتل الدما ٠
كان العار لما باشرهم والصق بهم كانهم نسوة وقوله تعالى ذق انك انت
العزيز الكريم ٠ دون ما جنيت فاحين ودق ونظير قول الشاعر
٠٠٠٠ دون ما جنيت فاحين ودق ٠٠٠٠
وقوله تعالى بما كانوا يصنعون يجوز ان تكون ما مصدرية اي بسبب
صنعهم او بمعنى الذي والعايد محذوف اي بسبب الذي كانوا يصنعونه والواو
في يصنعون عايد على اهل البلد وقيل قرية نظير قوله تعالى او هم قايلون
بعد قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها وما ذكر الله تعالى المثل ذكر الممثل
له فقال تعالى ولقد جاءهم اي اهل هذه القرية رسول منهم من نسبهم يعرفونه
باصله ونسبه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكذبوه فاخذهم العذاب قال
ابن عباس يعني الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل الذي كان يوم بدر وهم
ظالمون اي في حال التباسهم بالظلم كقوله تعالى الذين تتوفاهم الملايكة
ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرا نافع
وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند الجيم والباقون بالادغام
ثم قال تعالى فكلوا اي ايها المومنون مما رزقكم الله قال ابن عباس يريد من
الغنايم وقال الكلبي انزل وسامكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
جدبوا وقالوا عادت الرجال فما بال النساء والصبيان وكانت المبرة قد قطعت
عنهم فانزل في الحال عليهم محمل الطعام البرم فقال الله تعالى كلوا مما رزقكم الله
قال الرازي والقول ما قال ابن عباس يدل عليه قوله تعالى بعد هذه الاية
انما حرم عليكم الميتة يعني انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا وهو الغنيمة واتركوا الخبايث وهي الميتة والدم ولما امرهم تعالى باكل
الحلال امرهم بشكر النعمة بقوله تعالى واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون
اي تطيعون تنبيه رسمت نعمة بالتاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بالهاء والباقون
بالتاء والكسائي يقف بالامالة وتقدم تقرير قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله
غفور رحيم في سورة البقرة فلا فايدة في اعادة تقرير ذلك وقرا ابو عمرو وعاصم
وحمزة فمن اضطر في الوصل بكسر النون والباقون بالضم تنبيه حرم المحرمات

في هذه الاشياء الاربعة مذكورا ايضا في سورة الانعام عند قوله تعالى
قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الاية وفي سورة المايدة في قوله
تعالى احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم واجمعوا على ان المراد بقوله تعالى
الا ما يتلى عليكم هو قوله تعالى في سورة البقرة حرمت عليكم الميتة والدم
ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وقوله تعالى في المايدة والمنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة وما اكل السبع الا ما ذكيتم وهذه الاشياء داخلة في قوله تعالى
وما اهل به لغير الله فثبت ان هذه السور الاربعة سورتان مكيتان وسورتان
مدينتان فالسورة البقرة مدنية وسورة المايدة متاخرة ما انزل الله بالمدينة
فهذا تكرير التحريم في هذه الاربعة الا ما خصه الاجماع والدلايل العقلية
القاطعة كان في محل ان يخشى عليه لان هذه السورة دلت على ان حصر
المحرمات في هذه الاربعة كان مشروعا ثابتا في اول زمان مكة واخره واول زمان
المدينة وانه تعالى اعاد هذا البيان في هذه السور الاربعة قطعا للاعذار وازالة
الشبهة ويلاحظ تعالى المحرمات في هذه الاربع بالغ في تاكيد ذلك الحصر وتبين طريقة
الكفار في الزيادة على هذه الاربعة تارة وفي النقصان عنها اخرى بقوله تعالى
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لما لم يحلله الله ولم
يحرمه فانهم كانوا يحرمون البحيرة والسايبة والوصيلة والحام وكانوا يقولون
ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا فتذبح وان ولدت ميتة
وزادوا ايضا في المحللات انهم حللوا الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله
فبين الله تعالى ان المحرمات هي هذه الاربعة وبين ان الاشياء التي يقولون
هذا حلال وهذا حرام كذب وافتراء على الله تعالى فتبين في اقتضاب الكذب وجهان
احدهما قال الكسائي ما مصدرية والتقدير ولا تقولوا لاجل وصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام نظيره ان يقال لا تقولوا الكذب وكذا كذا وكذا فان قيل
حمل الاية على هذا يودي الى التكرار لان قوله تعالى لتفتروا على الله الكذب
عين ذلك اجيب بان قوله ما تصف السنتكم الكذب ليس فيه بيان انه كذب على الله
فاعاده ليحصل فيه هذا البيان ونظيره في القرآن كثير وهو انه تعالى يذكر كلاما
يبينه بعينه مع فايدة زايدة الثاني ان تكون ما موصولة والتقدير ولا تقولوا
للذي تصف السنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام وحذف لفظ فيه لكونه معلوما

وقيل في لتفتروا لام العاقبة كما في قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا فان قيل
ما معنى وصف السنتهم الكذب اجيب بان ذلك من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم
كانه عين الكذب ومحضه واذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته
بصورته كقولهم وجهها بصف الجمال اي هي جميلة وعينها تصف السحر اي هي
ساحرة فلما اراد المبالغة في وصف الوجه بالجمال ووصف العين بالسحر عبروا
بذلك ثم انه تعالى وعد المفترين بقوله تعالى ان الذين يفترون على الله
اي الذي له الملك كله الكذب منكم ومن غيركم لا يفلحون اي لا يفوزون بخير
لان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب فنفى عنه تعالى الفلاح لان الفوز بالخير
والنجاح ثم بين تعالى ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب بقوله تعالى
متاع قليل اي منفعة قليلة تنقطع عن قريب لنهايه وان امتد النوع ولهم بعد
عذاب اليم اي موجع في الاخرة ولما بين تعالى ما يحل ويحرم لاهل الاسلام اتبعه
ببيان ما يخص اليهودية من المحرمات بقوله تعالى وعلى الذين هادوا اي اليهود
حرمنا عليهم عقوبة لهم بعداوتهم وكفرهم على ربهم ما قصصنا عليك يا اكمل المرسلين
من قبل اي في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
الاية وما ظلمناهم اي بتحريم ذلك عليهم ولكن كانوا اي دايما طبعهم وخلقا مستمرا
انفسهم خاصة يظلمون بالبغي والكفر فضيقنا عليهم معاملة بالعدل وعاملناكم انتم
حيث ظلمتم بالفضل فاشكرتم والنعمة واخذتم واغويتم النعمة وما بين تعالى هذه
النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هي اكبر منها جدا استحلابا لكل ظالم وبين عظمتها بحرف
التراخي فقال ثم ان ربك اي المحسن اليك للذين عملوا السوء وهو ما يتناول كل ما لا
ينبغي فعله فيشمل الكفر وساير المعاصي بجهالة اي بسببها او متلبسين بها لعدم العلم
بالله وبقضايه وعدم التدبر في العواقب فكل من عمل سوءا مما يفعله بالجهالة اما الكفر
فلان احدا لا يرضى به مع العلم بكونه كفرا لانه لو لم يعتقد كونه حقا فانه لا يختاره
ولا يرتضيه واما المعصية فلان العالم لم يصدر عنه المعصية ما لم تقهر الشهوة غالبة
للعقل فثبت ان كل من عمل السوء فانما يقدم بسبب الجهالة ثم تابوا من بعد ذلك اي الذنب
ولو كان عظيما واقتدروا على ما اذن فيه خالقهم واصلحوا بالاستمرار على ذلك
ربك اي المحسن اليك بتسهيل دينك وتيسيره من بعدها اي التوبة لغفور اي بليغ
الترطا عما لمت السوء رحيم اي بليغ الرحمة محسن بالاكرام تفضلا منه ونعمة ولما

ولما ان دعاهم الله تعالى الى مكارم الاخلاق ونهاهم عن مساويها بعقبوله لمن اقبل
اليه وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام رئيس الموحدين لاجرم ذكره الله تعالى في آخر
هذه السورة ووصفه بتسع صفات الصفة الاولى قوله تعالى ان ابراهيم كان امة
اي لكماله واجتماعه فضايل لاتكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقول
القايل وليس لله اي من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد اي انه يجمع صفاتهم
في شخص واحد وقال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كانوا كفارا فلهذا
المعنى كان وحده امة واحدة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو
ابن نفيل يبعثه الله امة واحدة وعن ابن عوف لم تبق الارض الا وفيها بيت
عشر يدفع الله تعالى بهم عن اهل الارض الا زمن ابراهيم فانه كان وحده وقيل امة
فعلة بمعنى مفعول كالدخلة والاخبة من امه اذا قصده واقتدى به وان الناس كانوا
يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيره كقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما وقراهشام
ان ابراهيم وملة ابراهيم بالالف بعد الهاء فيهما واليا قون بالياء فيهما الصفة الثانية قوله
تعالى وانتا لله اي مطيعا له قايما بامره الصفة الثالثة قوله تعالى حنيفا اي
مايلا عن الباطل قال ابن عباس انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى هذه
الصفة الحنيفية الصفة الرابعة قوله تعالى ولم يك من المشركين اي انه عليه الصلاة
والسلام كان من الموحدين في الصغر والكبر وقد ابطل عبادة الاصنام والكواكب بقوله
لا احب الافلين ثم كسر تلك الاصنام التي آل الامر الى ان القوم القوه في النار وذكر دليل
اثبات الصانع مع مكذبي زمانه وهو قوله ربي الذي يحيي ويميت ثم طلب من الله تعالى
ان يريه كيف يحيي الله الموتى ليحصل له زيادة الطمانينة قال الرازي ومدونق
على علم القرآن علم ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام كان غزيرا في علم التوحيد الصفة
الخامسة قوله تعالى شاكرا لانعمه فان قيل لفظ الانعم جمع قلة وتعريف الله تعالى
على ابراهيم كانت كثيرة فلم قال شاكرا لانعمه اجيب بانه ذكر القلة للتنبيه على
انه كان لا يخل بشكر القليلة فكيف بالكثيرة وروي انه عليه الصلاة والسلام
كان لا يتغذى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غذاه فاذا هو بقوم من
الملايكة في صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له انهم جذامى فقال الان وجبت
مواكلتكم لشكر الله على انه عافاني وابتلاكم بهذا البلا الصفة السادسة قوله تعالى
اجتباه اي اصطفاه للنبوة واختاره لخلة الصفة السابعة قوله تعالى وهداه

الى صراط مستقيم اي هداه الى دين الاسلام لانه الصراط المستقيم والدين القويم
ونظيره قوله تعالى وانه هذا صراطي مستقيما فاتبعوه الصفة الثامنة قوله تعالى
واتيناه في الدنيا حسنة قال قتادة حببه للناس حتى ان ارباب الملل يتولونه
ويثنون عليه اما المسلمون واليهود والنصارى تظاهر واما كفار قريش وسايرالعرب
فلاخرلهم الابه وتحقيق القول ان الله تعالى اجاب دعاءه في قوله واجعل لي لسان صدق
في الاخرين وقال اخرون هو قول المصلي منا كما صلية على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
وقيل اولاد ابراهيم الى اعلى الكبر الصفة التاسعة قوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصا لحين
في الجنة فان قيل لم لم يقل تعالى في اعلا مقامات الصالحين اجيب بانه تعالى
حكى عنه انه قال رب هب لي حكما والحقني بالصالحين فقال تعالى وانه في الاخرة لمن
الصالحين تنبيها على انه تعالى اجاب دعاءه ثم ان كونه من الصالحين لا ينفي ان يكون
في اعلا مقامات الصالحين فان الله تعالى بين ذلك في اية اخرى وهي قوله تعالى
وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ولما وصف الله تعالى
ابراهيم بهذه الصفات العالية الشريفة امر نبيه صلى الله عليه وسلم في اتباعه عشيرا
الى علو مرتبته بحرف الزاي بقوله تعالى ثم اوحينا اليك يا اشرف الرسل وقيل اتى
بثم للتراخي اي لتراخي ايامه عن ايام ابراهيم عليهما الصلاة والسلام ان اتبع ملة
ابراهيم في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة بعد مرة اخرى
والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه ولا بعد في ان يفهم من ذلك الهجرة ايضا وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم مامورا بشريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا
ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقوله تعالى حنيفا حال من النبي صلى الله عليه
وسلم ويصح ان يكون من ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقوله تعالى وما كان من المشركين
كرر ذلك ردا على زعم اليهود والنصارى انهم على دينه وقوله تعالى انما جعل السبت على الذين
اختلفوا فيه فيه قولان الاول وهي الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى
بالجمعة وقال ان فرغ الله في كل سبعة ايام يوما واحدا وهو يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيا
من اعمالكم فابوا ان يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق
وهو يوم السبت فجعل عليهم السبت وشدد عليهم فيه ثم جاء عيسى عليه السلام ايضا بالجمعة
فقالت النصارى لا نريد ان يكون عيدهم اي اليهود بعد عيدنا فاخذوا الاحد وروي ابو
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلكم فاختلفوا فيه

وهدان الله له فهم لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غدا فان قيل
هل في النقل وجه يدل على ان الجمعة افضل من السبت والاحد فان اهل الملل
اتفقوا على ان الله تعالى خلق العالم في ستة ايام وبدا تعالى بالخلق والتكوين
في يوم الاحد وتم في يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم الفراغ فقالت اليهود
نحن نوافق ربنا في نزل الاعمال فصيروا يوم السبت لهذا المعنى وقالت النصارى
مبدء الخلق والتكوين يوم الاحد فيجعل هذا اليوم عيدنا فهذان الوجهان
معقولان لنا فما وجه جعل يوم الجمعة عيدا اجيب بان يوم الجمعة هو يوم التمام
والكمال وحصول التمام والكمال يوجب الفرح الكامل والسرور فجعل يوم الجمعة
يوم العيد اولى من هذا الوجه القول الثاني اختلافهم في السبت هو انهم حلوا
العيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة
واحدة وان ربكم اي المحسن اليكم بطواعية اصحابكم كذا ليحكم بينهم اي هؤلاء المختلفين
يوم القيامة وهو يوم اجتماع جميع الخلايق فيما كانوا فيه يختلفون فيحكم
للمحقين بالثواب وللمبطلين بالعقاب ولما امر الله تعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم باتباع ابراهيم عليه الصلاة والسلام بين الذي امره باتباعه فيه بقوله
تعالى ادع اي كل من تمكنت دعوته ممن بعثت اليه الى سبيل ربك اي المحسن
اليك بتسهيل السبيل الذي تدعوا اليه واتباعه هو الاسلام الذي هو الملة الحنيفية
بالحكمة اي المعاملة المحكمة وهو الدليل الواضح المزيل للشبهة والموعظة الحسنة
اي بالدعا الى الله تعالى بالترغيب والترهيب بالخطابات المقنعة والعبارات اللينة
والاولى لدعوى خواص الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوى عوامهم وجادلهم
اي وجادل معاندهم بالتي اي بالمجادلة التي هي احسن كالدعا الى الله تعالى بايانه
والدعا الى حجيه بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير
غلظ ولا تقسو فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وبلين شكيمهم وقيل المراد بالحكمة
القران اي ادعهم بالقران والموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وفي المجادلة
التي هي احسن الاعراض عن اذاهم وعدم التقصير في تبليغ الرسالة والدعا
الى الحق وعلى هذا القول قال بعض العلما التغيير هذا منسوخ بايات السيف وقيل
ان الناس خلقوا وجبلوا على ثلاثة اقسام القسم الاول العلما الكاملون وهم
اصحاب العلوم الصحيحة والبصاير الثاقبة الذين يطلبون معرفة الاشيا على ما هي

فهولاء

فهولاء المشار اليهم بقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة بالدليل القطعية
اليقينية حتى يعلموا الاشيا بحقايقها وينفعوا الناس وهم خواص العلما
من الصحابة وغيرهم القسم الثاني اصحاب العقول السليمة والخلقة الا صلية
وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان
فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله تعالى والموعظة الحسنة اي ادع
هولا بالموعظة الحسنة القسم الثالث اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهولا
المشار اليهم بقوله تعالى وجادلهم بالتي هي احسن اي حتى ينقادوا الى الحق
ويرجعوا اليه ان ربك المحسن اليك بالتحقيق عنك هو اعلم اي من كل من توهم
فيه علم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي فهو سبحانه وتعالى اعلم
بالفريقين فمن كان فيه خير كفاه الوعظ والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه
عجزت عنه الجبل وكانك تضرب في حديد بارد فما عليك الا البلاغ والدعوة
واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فليس ذلك اليك وهذا قبل
الامر بالقتال وذكر في قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اقوالا
احدها وهو قول ابن عباس في رواية عطا وابي بن كعب والشعبي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما راى عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدع انفه واذنه وقطعوا مذاكيره
وبقر ابطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم استرطبتها لتاكلها
فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها
لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيا من جسده النار فلما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه نظر الى شي لم ينظر الى شي قط اوجع لقلبه
منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك فاني ما علمتك الا فعالا للخيرات
وصولا للرحم ولو لا حزن من بعدك عليك لسرني ان ادعك حتى تحشر من افواج شتى
اما والله لئن ظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فنزلت فامسك رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما اراد وكفر عن يمينه فنزلت وقال المسلمون لئن اصبنا يوما
بقتلاهم يوم احد منهم لنربين عليهم في التمثيل والمثلة السية حتى لم يبق احد من قتلى المسلمين
الا مثل به الا حنظلة بن الراهب فان اباه ابا عامر الراهب كان مع ابي سفيان فتركوا
حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن ظفرنا عليهم لنزيدن عليهم بعني على
صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد القول الثاني ان هذا كان قبل الامر

بالسيف والجهاد حتى كان المسلمون تد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا يبتدؤا بالقتال
وهو قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا وهو هذه الآية
امر الله تعالى ان يقاتلوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا والقول الثالث ان
المقصود من هذه الآية نهي المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وهذا قول مجاهد
والنخعي وبن سيرين قال الرازي وحمل هذه الآية على قصة لا تتعلق لها بما قبلها
توجب حصول سوء الترتيب في كلام الله تعالى وهو في غاية البعد بل الاصوب
عندي ان يقال انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق الى الدين الحق
باحدى الطرق الثلاثة وهي الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالطريق الاحسن
ثم ان تلك الدعوة تتضمن امرهم بالرجوع عن دين ابائهم واسلافهم والحكم عليهم
بالكفر والضلالة وذلك مما يشوش قلوبهم ويوحش صدورهم ويحملهم على
قصد ذلك الداعي للقتل تارة وبالضرب ثانيا وبالشتم ثالثا فاذا كان الداعي المحق
اذا سمع تلك السفاهات لا بد وان يحمله طبعه على تاديب اولئك السفهاء تارة بالقتل
وتارة بالضرب فعند هذا امر المحقين في هذا المقام برعاية العدل والانصاف وتركه
الزيادة فهذا هو الوجه الصحيح الذي يجب حمل الآية عليه فان قيل فقد روي
روي انه عليه الصلاة والسلام ترك الفرض على ترك المثلة وكفر عن يمينه بسبب هذه
الآية اجيب بانه لا حاجة الى القدح في تلك الرواية لان تلك الواقعة داخلة في عموم
هذه الآية فيمكنه التمسك في تلك الواقعة بعموم هذه الآية وذلك لا يوجب سوء الترتيب
في كلام الله تعالى تنبيه امر الله تعالى برعاية العدل والانصاف في هذه الآية ورتب
ذلك على اربع مراتب الاولى قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به اي ان
رغبتم في استيفاء القصاص فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه فان استيفاء الزيادة ظلم
والظلم ممنوع منه في عدل الله تعالى ورحمته وفي قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتم به دليل على ان الاولى له ان لا يقتل كما انك اذا قلت للمريض ان كنت تاكل
الفاكهة فكل التفاح كان معناه ان الاولى بك ان لا تاكله فذكر تعالى بطريق الرمز والتعريض
ان الاولى تركه المرتبة الثانية الانتقال من التعريض الى التصريح وهو قوله تعالى ولئن
صبرتم لهو خير للصابرين وهذا تصريح بان الاولى تركه ذلك الانتقام لان الرحمة افضل من
القسوة والاشتفاء افضل من الانتقام وقرأ لهو قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء
والباقون بوقفها المرتبة الثالثة وهو الامر بالجزم بالترك وهو قوله تعالى واصبر لانه في

المرتبة

في المرتبة الثانية ذكر ان الترك خير واولى وفي هذه المرتبة الثالثة صرح بالامر بالصبر
في هذا المقام شديد اشفاقا ذكر بعده ما يفيد سهولته بقوله تعالى وما صبرك
الا بالله اي الملك الاعظم الذي شرع لك هذا الشرع الاقوم فذلك بتوفيقه ومعونته
وهذا هو السبب الكلي الاصلي ذكر ما بعده ما هو السبب الجزئي القريب بقوله تعالى
ولا تحزن عليهم اي في شدة كفرهم فتبالغ في الحرص الباخع للنفس ولا تكن في ضيق
ولو قرئ كما لوح اليه بتنوين التحقير مما يمكرون اي من اشتمار مكرهم بك واعدادهم لك
حتى يأتيك اليقين ولا تكن به وقد اتى فاصبر فان الله معزك ومظهر دينك وقرأ ابن كثير
بكسر الضاد والباقون بنصبها تنبيه هذا من الكلام المقلوب لان الضيق صفة
والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة والصفة
تكون ظرفا للمعنى ولا يكون الضيق ظرفا للانسان الفايدة في قوله تعالى ولا تك في ضيق
هو ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالانسان من كل الجوانب
وصار كالمتميز المحيط به فكانت الفايدة في ذكر هذا اللفظ هذا المعنى المرتبة الرابعة
قوله تعالى ان الله اي الجامع لصفات الكمال بلطفه وعونه مع الذين اتقوا اي وحد
منهم الخوف من الله تعالى واجتنبوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم والشفقة
على خلقه وهذا يجري مجرى التهديد لان في المرتبة الاولى رغبة في ترك الانتقام على
سبيل الرمز وفي الثانية عدل عنه الرمز الى التصريح وهو قوله تعالى ولئن صبرتم
لهو خير لصابرين وفي المرتبة الثالثة امر بالصبر على سبيل الجزم وفي هذه المرتبة الرابعة
كانه ذكر الوعيد على فعل الانتقام فقال ان الله مع الذين اتقوا عن استيفاء الزيادة
والذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فكانه تعالى قال ان اردت ان اكون معك
فكن من المتقين ومن المحسنين وهذه المعية بالرحمة والفضل والتربية وفي قوله
تعالى اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله وفي قوله تعالى والذين هم محسنون
اشارة الى الشفقة على خلق الله تعالى قيل لهرم بن حيان عند قرب وفاته اوص
فقال ان الوصية في المال ولا مال لي ولكن اوصيكم بخواتيم سورة النحل تنبيه
قال بعضهم ان قوله تعالى وان عاقبتم الى لهو خير للصابرين منسوخ بآية السيف
قال الرازي وهذا في غاية البعد لان المقصود من هذه الآية تعليم حسن الادب
في كيفية الدعوة الى الله وترك التعدي وطلب الزيادة ولا تعلق لهذه الاشياء بآية
السيف وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ

سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها
او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية حديث موضوع قال الزمخشري
في اخر هذه السورة يقول مصنف الكتاب الحق عزيز والطريق بعيد والمركب
ضنيق والقرب بعد والوصل هجر والحقايق معونة والمعاني في غيب الغيب مصونة
والاسرار فيما وراء الافكار الرزينة مخزونة وبيد الخلق القيل والقال والكال لله
ذي الجلال والاكرام والله سبحانه وتعالى اعلم سورة الاسرا وتسمى سبحان
وبني اسرايل مكية الا ان كانوا الايات الثمان مايه وعشر ايات او احدى عشرة والف
وخمسماية وثلاث وثلاثون كلمة وعدد حروفها ستة الاف واربعماية وستون
حرفا بسم الله الملك المالك لجميع الامر الرحمن لكل ما اوجده بعاريا الرحيم لمن خصه
بالتزام العمل بما يرضاه وقوله تعالى سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد
يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف للعلمية وزيادة الالف والنون
قال الاعشى في هدجه عامر بن الطفيل قد قلت لما جاني فخره
سبحان من علقمة الفاجر اي التعجب منه اذ يفخر والعرب تقول سبحان
من كذا اذا تعجب منه الشاهد في سبحان الله حيث جعله علما على التنزيه فمنعه
الصرف وعلقمة المذكور صحابي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شيخ
فاسلم وبايع واستعمله عمر ابن الخطاب على حوران فمات بها الذي اسرى بعبده هو محمد
صلى الله عليه وسلم الذي هو اشرف عباده على الاطلاق واحقهم بالاضافة اليه وقرا
ابو عمر وحمزة والكسائي اسرى بالامالة محضة وورش بين بين والباقون بالفتح
وقوله تعالى ليلا نصب على الظرف والاسرى سير الليل وفايدة ذكر الاشارة بتنكيره
الى تقليل مدته فكان هذا الامر الجليل في جزء يسير من الليل والى انه عليه الصلاة
والسلام لم يحج في الاسرى والعروج الى سدرة المنتهى وسماع الكلام من العلي الاعلى
الى رياضة بصيام ولا غيره بل كان مستعدا لذلك متاهلا له فاقامه تعالى من القرب الى القرب
من المسجد الحرام اي بعينه وهو الذي يدل عليه لفظ ظاهر القرآن وروي انه صلى الله
عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني
جبريل بالبراق وقيل كنت نايما في الحطيم وقيل في بيت ام هاني بنت ابي طالب قال
النقاعي وهو تلقي للجمهور واراد بالمسجد حينيذ الحرم لانه فنا المسجد الى المسجد
الاقصى اي بيت المقدس الذي هو ابعد المسافة حينيذ وابعد المسجدين الاعظمين مطلقا

من مكة

من مكة المشرفة بينهما اربعون ليلة يصلي بالانبيا كلهم ابراهيم وموسى ومن سواهما
على جميعهم افضل الصلاة والسلام وري اي من اياتنا الكبرى ما قدر تاله كما ياتي في حديث
المعراج ورجع الى بين اظهركم الى المسجد الاقرب منكم في ذلك الجزء اليسير من الليل وانتم تضربون
اكباد الابل في هذه المسافة شهرا ذهابا وشهرا ايابا نعم وصفه تعالى بما يقتضي تعظيمه
وانه اهل للقصد بقوله تعالى الذي باركنا حوله اي بالنامة العظيمة بالمياه والاشجار
وقال مجاهد سماه مباركا لانه مقر الانبيا ومهبط الملايكة والوحي ومنه يحشر الناس
يوم القيامة وموطن العبادات ومعدن الفواكه والارزاق والبركات وباركنا نتايج
حوله لاجله فما ظنك به نفسه فهو ابلغ من باركنا فيه ثم منه الى السموات العلى الى سدرة
الى ما لم ينله بشر غيره صلى الله عليه وسلم قال البقاعي ولعل حذف ذكر المعراج من
القرآن هنا لقصور فهومهم عن ادراك ادلته لو ذكروه بخلاف الاسرا فانه اقام دليله
عليهم بما شاهدوه من الاثرات التي وصفها لهم وهم قاطعون بانه صلى الله عليه وسلم
لم يرها قبل ذلك فلما بات صدقه بما ذكر من الامارات اخبر بيقين ذلك من اري الله تعالى
بالمعراج ثم ذكر سبحانه وتعالى الغرض من الاسرا بقوله تعالى لنريه بعيننا وقلبنا من آيا
اي عجايب قدرتنا السماوية والارضية كما اري ابانا الخليل عليه الصلاة والسلام
ملكوت السماوات والارض انه اي الله هو السميع لجميع الاقوال البصير اي العالم باحوال
عباده فيكرم ويقرب من يشا منهم وقيل انه اي هذا العبد الذي اختصصناه بالاسرا
هو اي خاصة السميع اي اقنا وقليا بالاجابة لنا والاذعان لاوامرنا البصير بصرا وبصيرة
بدليل ما اخبر به من الايات وصدقه من الدلالات حتى نعت ما سالوه منه من بيت المقدس
من امر غيرهم وغيرهما مما هو مشهور في قصة الاسرا واختلف هل اسري بروحه
او بجسده صلى الله عليه وسلم فعند عايشة رضي الله تعالى عنها انها كانت تقول ما فقد
جسد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن اسري بروحه والاكثرون على انه اسري
بجسده في اليقظة وتواتر الاخبار الصحيحة على ذلك منها قوله صلى الله عليه
وسلم اوتيت بالبراق وهو دابة ابيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره
عند منتهى طرفه فركبته فصار بي حتى اتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة
التي يربط فيها الانبيا ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاني جبريل باناء
من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اصبت الفطرة قال صلى الله
عليه وسلم ثم عرج بي الى السما الدنيا فاستفتح جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه

المنتهى

منا

قال قد ارسل اليه ففتح لنا فاذا انا بادم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الي
السما الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل قد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح فاذا انا بابني الخالة يحيى وعيسى
فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الي السما الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال قد ارسل اليه
ففتح لنا فاذا انا بيوسف واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الي السما الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل فقيل ومن
معك قال محمد فقيل وقد ارسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الي السما الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من انت فقال جبريل
فقيل ومن معك قال محمد فقيل قد ارسل اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الي السما السادسة فاستفتح جبريل فقيل من انت
قال جبريل فقيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه فاذا انا
بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الي السما السابعة فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بابراهيم فاذا هو مسند الي البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون
الف ملك ثم لا يعودون اليه ثم ذهب بي الي سدرة المنتهي فاذا ورقها كاذان الفيلة
واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان يصفها من حسنها قال صلي الله عليه وسلم فاوحي الي عبده ما اوحي وفرض
علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتي انتهيت الي موسي قال ما فرض ربك علي
امتك قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال ارجع الي ربك فاساله التخفيف فان
امتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني اسرايل وخبرتهم قال فرجعت الي ربي فقلت
له اي ربي خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الي موسي فقال ما فعلت فقلت
قد حط عني خمسا قال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الي ربك فاساله التخفيف
لان امتك لا تطيق ذلك قال فلم ازل اراجع بين ربي وبين موسي ويحط عني خمسا
خمسا قال يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة
ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم
يعملها لم تكتب فان عملها كتبت سيئة واحدة فنزلت حتي انتهيت الي موسي فاخبرته فقال

ارجع الي ربك فاساله التخفيف لامتك فان امتك لا تطيق فقلت قد رجعت الي ربي
حتي استحييت رواه الشيخان البخاري ورواه انه قال بعد ذلك ولكني ارضي واسلم
فلما جاوزت نادي مناد امضيت فريضتي وخففت عن عبادي ثم ادخلت الجنة
فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا تربها المسك رواه وروي انه لما وصل الي سدرة المنتهي فاذا
اربعة انهار نهران ظاهران ونهران باطنان فقلت ما هذان يا جبريل قال
اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم مضي الي البيت
المعمور ثم اوتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال
هي الفطرة التي انت عليها وامتك قال ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة يوم
وفرضت فمررت علي موسي وساق الحديث ومنها ما رواه الحاكم في المستدرك عن ابن
عباس قال رسول الله صلي الله عليه وسلم رايت ربي عز وجل قال هو رؤيا
عين اي يعني رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة اسري به الي بيت المقدس قال والشجرة
الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم ومنها ما رواه قتادة وغيره عن انس بن مالك رضي
الله تعالي عنه عن مالك بن صعصعة ان نبي الله صلي الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة
الاسراء قال بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال بين النايم واليقظان
وذكر رجلين واتيت بطست من ذهب مملوء حكمة وايمانا فشق من النحر الي مراق
البطن واستخرج قلبي فغسل ثم حشي ثم اعيد وقال سعيد وهشام ثم غسل البطن
بماء زمزم ثم ملي ايمانا وحكمة ثم اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل يضع حافره عند منتهي طرفه فركبت وساق بقية الحديث
ومنها ما روي انه صلي الله عليه وسلم كان نايما في بيت ام هاني بنت ابي طالب صلاة العشا
فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة علي ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت
بهم وقام ليخرج الي المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشي ان تكذبك
الناس وتومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج الي الملا وروي انه لما رجع صلي الله عليه
وسلم ليلة اسري به فكان بدئ طوي قال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك
ابو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعايشة عن رسول الله صلي الله عليه
وسلم لما كان ابو بكر بن فاصبحت بمكة فظعت بامري وعرفت ان الناس يكذبوني فقعد
انه عليه الصلاة والسلام تقدم معتزلا حزينا فمر عليه ابو جهل فجلس اليه فقال كالمستهزئ
هل استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة قال الي اين قال الي بيت المقدس ثم

اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فنتت
اليه المجالس فجاء واحتى جلسوا اليهما قال احدث قومك بما حدثتني قال نعم اني قد
اسري بي الليلة قالوا الي اين قال الي بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين ظهرانينا
قال نعم فمن بين مصفق وواضع يده علي راسه تعجبا وانكارا واي قد ناس
ممن كان امن به وسعى رجال الي ابي بكر فقالوا له هل لك في صاحبك يزعم
انه اسري به الليلة الي بيت المقدس قال اوقد قال قالوا نعم قال لئن كان قال ذلك
لقد صدق قالوا وتصدقه علي ذلك قال اني لاصدقه علي ابعد من ذلك اصدقه
علي خبر السماء في غدوة او روحة فمن اجل ذلك سمي الصديق قال وفي القوم من كان يا تي
المسجد الاقصي فقالوا فهل تستطيع ان تنعت لنا المسجد الاقصي قال نعم
قال فذهبت انعت وانعت فما زلت انعت حتي التبس علي قال فجيء بالمسجد وانا
انظر اليه حتي وضع دون دار عقيل فنعته المسجد وانا انظر اليه فقال القوم
ان النعت فوالله لقد اصاب ثم قالوا يا محمد اخبرنا عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت
منها شيا قال نعم مررت علي عير بني فلان وهي بالروحاء وقد اضلوا بعيرا لهم وهم
في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته كما كان هم
فليسوه هل وجدوا الماء في القدح فسئلوا الي ذلك فقالوا اما هذه اية قال ومررت بعير
وفلان وفلان هم اكبان فنفرت بعيرهما منه فوقي بفلان فانكسرت يده فاسئلوهما
عن ذلك قالوا وهذه اية قالوا فاخبرنا عن عيرنا متي تجيء قال مررت بها بالتنعيم
قالوا قد عددتها وما حملها وما احمالها ومتي ترها قال هي بهيئتها كذا وكذا وفيها فلان
وفلان يقدمها جمل ادرق عليه غرارتان محيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس
قالوا وهذه اية ثم خرجوا يشدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد
شيا وبينه حتي انتهوا الذاودكذا فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متي تطلع الشمس
فيكذبونه اذ قال قايل منهم هذه الشمس والله قد اشرقت فقال اخر والله وهذه
العير قد اقبلت يقدمها جمل ادرق كما قال محمد ثم لم يستووا وقالوا ما هذا الا سحر
مبين والادرق من الابل الذي في لونه بياض الي سواد وهو الفحيل الاجل هكذا قاله
الجوهري ومنها ما روي عن انس بن مالك قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم
غسله من ماء زمزم وجاء بطشت من ذهب ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري

ثم الطبقة

ثم اخذ بيدي وعرج بي الي السماء فلما جينا الي السماء الدنيا قال جبريل
لخازن السماء افتح قال ومن هذا قال جبريل قال هل معك احد قال نعم معي محمد
قال فارسل قال نعم ففتح فلما علونا السماء الدنيا فاذا رجل عن يمينه اسودة
فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكي فقال مرحبا بالنبي الصالح
والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة
عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين منهم اهل الجنة والاسودة
التي عن شماله اهل النار واذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكي
ثم عرج بي جبريل حتي اتي السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها
مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات
ادم وادريس وموسي وعيسي وابراهيم ولم يبين كيف منازلهم غير انه ذكر
انه وجد ادم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل
ورسول الله صلي الله عليه وسلم بادريس فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي
الصالح قال قلت من هذا قال انه ادريس قال ثم مررت بموسي فقال مرحبا
بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال موسي فقال ثم مررت
بعيسي فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت من هذا قال عيسي
ثم مررت بابراهيم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال فقلت من
هذا قال هذا ابراهيم قال ابن شهاب اخبرني ابن حزم ان ابن عباس كان يقول
كان النبي صلي الله عليه وسلم يقول ثم عرج بي حتي ظهرت لمستوي اسمع فيه
صريف الاقلام وروي معمر عن قتادة عن انس عن النبي صلي الله عليه وسلم
اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال جبريل ابمحمد
تفعل هذا فما ركبك احد اكرم علي الله منه فارفض عرقا وقال ابن زيد عن ابيه
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لما انتهيت الي بيت المقدس قال جبريل
باصبعه فخرق بها حجرا وشد به البراق وفي رواية انه جاء جبريل بالبراق الي النبي
صلي الله عليه وسلم وقال له يا محمد اركب فركب صلي الله عليه وسلم ومعه جبريل وطار به
البراق في الهواء فاخترق به الجو فعطش صلي الله عليه وسلم واحتاج الي الشراب
فاتاه جبريل باناءين اناء لبن واناء خمر وذلك قبل تحريم الخمر فنظر هما عليه فتناول
اللبن فقال له جبريل عليه السلام اصبت الفطرة اصاب الله بك امتك وذلك

كان صلى الله عليه وسلم يتناول اللبن بالعلم فلما وصلا الى السما الدنيا استفتح
الى ان قال ثم عرج بي الى سدرة المنتهى واخبره جبريل ان اعمال بني آدم تنتهي
الى تلك السدرة فانها مقر الارواح فهي نهاية لما ينزل مما هو فوقها ونهاية
لما يخرج اليها مما دونها وبها مقام جبريل عليه السلام فنزل صلى الله عليه
وسلم عن البراق وجي اليه بالرفرف وهو نظير المحفة عندنا فقعد عليه وسلمه
جبريل الى الملك النازل بالرفرف فسأله الصحبة ليأنس به فقال له لا اقدر
ولو خطوت خطوة لاحترقت فامتنا الاول له مقام معلوم وما منا الا له مقام
الا اليريك من آياته فلا تفعل فوقوعه وانصرف مع ذلك الملك والرفرف والملك
يمشي به الى ان ظهر لمستوى سمع فيه صرير القلم والاقلام في الالواح وهي
ما تكتب ما يجريه الله تعالى في خلقه وما تنسخه الملائكة من اعمال عباده قال
تعالى انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ثم زج به في النور زجة فاوقده الملك الذي
كان معه وتأخر عنه فلم يروا معه فعلم ان الرفرف ما تدلي الا لكون البراق هناك
لا يتعداه كجبريل لما بلغ الى المكان الذي لا يتعداه وقف وكذلك الرفرف لما
وصل الى مقام لا يتعداه وخرج زج به فجاء النور فتمزق النور من جميع نواحيه
واعطي علما آخر لم يكن يعلمه قبل ذلك عن وحي من حين لا يدري وجهته وذا
ابن هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني
وانا في الحجر وقريش تسألني عن بعض اشيا من بيت المقدس
لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط فرفعه الله لي لا نظر اليه فما سألوني عن شيء
الا انبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الانبيا فاذا موسى قايم يصلي فاذا رجل
جعد كانه من رجال شنوة واذا عيسى بن مريم قايما يصلي اقرب الناس بهيئتها
عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم قايما يصلي اشبه الناس به صاحبكم
يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فاممتهم فلما فرغت قال قايل يا محمد
هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام وعند جابر انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما كذبني قريش قمت الى الحجر فجلى الله لي
بيت المقدس وذكر الحديث وعند انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال اتيت موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قايم يصلي في قبره
فان قيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف تقبلي الانبيا

بعد الموت

بعد الموت وهم في دار الاخرة اجيب بان صلاته صلى الله عليه وسلم
بالانبيا عليهم الصلاة والسلام ببيت المقدس يحتمل ان الله تعالى جمعهم له ليصلي
بهم ويعرفون فضله وتقدمه عليهم ثم ان الله تعالى اراه اياهم في السموات على ما تقدم
وفضلهم واما مروره بموسى وهو قايم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل
انه كان بعد رجوعه من المعراج واما حكم صلاة الانبيا وهم في الدار الاخرة فهم في
حكم الشهدا بل هم افضل منهم وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا بل احيا فالانبيا بعد الموت اولى واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعا
وذلك من اعمال الاخرة قال تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وورد في الحديث
انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل ان الله تعالى خصهم بخصايص
في الاخرة كما خصهم في الدنيا بخصايص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه
وسلم اخبر انه رآهم يلبون ويحجون فلذلك الصلاة والله اعلم بحقايق الامور وروى
عن شريك بن عبد الله قال سمعت انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جا ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نايم
في المسجد الحرام فقال اولهم ايهم هو قال اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا
خيرهم وساق حديث المعراج بقصته قال فاذا هو في السما الدنيا بنهر يقال له
قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السما فاذا هو بنهر اخر عليه قصر من
لولو وزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك اذفر قال ما هذا يا جبريل قال هو الكوثر
الذي خبأ لك ربك وذكر في اخر حديثه انه صلى الله عليه وسلم قال في اخر الحديث
ثم علا بي حتى جاء سدرة المنتهى دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه كقاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه وذكر عايشة ان الذي دنى فتدلى جبريل عليه السلام وباقي
الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في صدر النجم فان قيل قوله تعالى لنريه من آياتنا
الكبرى يدل على انه تعالى ما اراه الا بعض الايات لان كلمة من تفيد التبعيض وقال
في حق ابراهيم وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض اي ملكهما فيلزم ان
يكون معراج ابراهيم افضل من معراج محمد اجيب بانه لما اضيفت تلك الايات
الى الله تعالى دل على انها افضل مما اراه ابراهيم بتنبيهات قال النووي في شرح مسلم
قد جاء في رواية شريك في حديثه اوهام انكروا عليه العلما فيها منها قوله وذلك قبل
ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه وان الاسرا قبل ما قيل هي انه كان بعد مبعثه

صلي الله عليه وسلم خمسة عشر شهرا وقال الحربي كان ليلة سبع وعشرين من مدى ربيع
الاخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان بعد مبعثه صلي الله عليه وسلم
بخمس سنين قال ابن اسحاق اسري به صلي الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام
بمكة والقبايل وقيل كان الاسراء في رجب ويقال في رمضان قال النووي
واشبه الاقوال قول الزهري وبن اسحاق ومما يدل علي انه اسري بجسده
صلي الله عليه وسلم قوله تعالي اسري بعبده ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح
والجسد وقوله صلي الله عليه وسلم اوتيت بالبراق وهو اسم للدابة وهي التي
ركبها رسول الله صلي الله عليه وسلم ليلة اسري به واشتقاقه من البرق لسرعته
او لخفة ضيايه وبياضه ولمعانه وتلالي نوره والخلقة بإسكان اللام ويجوز فتحها
والمراد بربط البراق بالحلقة الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك
لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد علي الله وقوله جاءني جبريل بإناءين خمر وانا
من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير قال لي اخترت فاخترت اللبن وقول
جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة
السليمة لكونه سهلا طيبا سايغا للشاربين وانه سليم العاقبة بخلاف الخمر فانها ام
الخبايس وجالبة لانواع الشر وقوله ثم عرج بي حتي اتي السما الدنيا فاستفتح
جبريل فقال من انت قال جبريل فيه بيان الادب لمن استاذن ان يقوله انا فقط
ولا يقول انا فقط فانه مكروه وفيه ان للسما ابوابا وبوابون عليها حرسا وقوله
بواب السما وقد ارسل اليه وفي الرواية الاخري وقد بعث اليه معناه للاستوا
وصعود السما وليس مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفي
عليه الي هذه المدة وقوله فاذا انا بادم وذكر جماعة من الانبيا فيه استحباب
للقا اهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام الحسن وان كان الزاير افضل
من المزار وفيه جواز مدح الانسان في وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره
من اسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابراهيم مسندا ظهره الي البيت المعمور
فيه دليل علي جواز الاستناد الي القبلة وتحويل ظهره اليها وقوله ذهب بي
الي السدرة المنتهي هكذا وقع في هذه الرواية بالالف واللام وفي باقي الروايات
الي سدرة المنتهي قال بن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملايكة
ينتهي اليها ولم يجاوزها احد غير رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال بن مسعود سميت

بذلك لكونه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله عز وجل
وقوله واذا ثمرها مثل القلال هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة
التي تسع قربتين او اكثر وقوله فرجعت الي رسي قال النووي معناه رجعت
الي الموضع الذي فاجيته منه اولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم ازل اراجع بين
موسي وبين ربي معناه بين موضع مناجاة ربي وقوله ففرض علي امتي خمسين
صلاة الي قوله فوضع عني خمسا وفي رواية شطرها وفي رواية عشرا ليس بين
هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف
واما رواية العشر فهي رواية بشر بن شريك وفي رواية الخمسي رواية قتادة وهو اثبت
من بشر بن شريك والمراد حط عني خمسا الي اخره ثم قال هن خمس وهن خمسون بعني خمسين
في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلما بهذا الحديث علي جواز نسخ
الشي قبل فعله وفي الحديث انه شق صدره ليلة المعراج وقد شق صدره في صغره
وهو عند حليمة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني زيادة التطهير لما يراد به
من الكرامة ليلة المعراج وقوله اتيت بطشت من ذهب قد يتوهم انه يجوز استعمال
الذهب او يكون هذا قبل تحريمه وقوله ممتلي حكمة وايمانا فافرغها في صدري قد يقال
الحكمة والايمان من المعاني والافراغ صفة الاجسام فما معني ذلك اجيب بانه
يحتمل انه جعل في الطشت شي يحصل به كمال الايمان والحكمة وزيادتهما تسمي
ايمانا وحكمة لكونه سببا لها وهذا من احسن المجاز وقوله في صفة ادم فاذا رجل
عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بانه
نسم بنيه يعني ارواح بنيه فان قيل ارواح المومنين في السما واما ارواح الكفار
فتحت الارض السفلي فكيف تكون في السما اجيب بانه يحتمل ان ارواح الكفار
تعرض علي ادم عليه الصلاة والسلام وهو في السما فوافق وقت عرضها علي ادم
مرور النبي صلي الله عليه وسلم فاخبر عما راي وقوله اذا نظر عن يمينه ضحك واذا
نظر عن شماله بكي فقيه شفقة الوالد علي اولاده وسروره بحسن حال المومنين منهم
وحزنه علي حال الكافر منهم وقوله في ادريس مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
قد اتفق المورخون انه اخنوخ جد نوح فيكون جد النبي صلي الله عليه وسلم
كما ان ابراهيم جده فكان ينبغي ان يقول يا النبي الصالح والابن الصالح كما قال
ادم وابراهيم واجيب بان قيل ان ادريس المذكور هنا هو الياس وهو من ذرية

ابراهيم فليس هو جد النوح قاله القاضي عياض وقال النووي ليس في هذا الحديث
ما يمنع كون ادريس ابا لنبينا صلى الله عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون
قاله تلطفا وتاديا وهو اخ وان كان ابنا لان الانبيا اخوة والمومنون اخوة انثى وانما
افلط في بيان ذلك لان الكلام مع الاحبة يحلو ولو احوج الملل ما اقتصرت علي ذلك
وقد قال بعض المفسرين لاعلم في الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصايصه التي فضل
بها كافة الانبيا ما تضمنته هذه ولكنه في هذا القدر كفاية لاولي الالباب وما ثبت
بهذه الخارقة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة وما
جاء صلى الله عليه وسلم من الايات البينات في هذا الوقت البراتبعه ما منح في ليلة
من مصر الي الارض المقدسة من الايات في مدد اطوال جد موسي عليه الصلاة والسلام
الذي كان اعظم الانبيا بركة علي هذه الامة ليلة الاسرا هل اد شد النبي صلى الله عليه
وسلم اليه لا من اجل ان الله تعالي في تحقيق الصلاة حتي رجعت من خمسين الي خمس
مع اجر خمسين فقال واتينا اي بعظمتنا موسي الكتاب اي التوراة وجعلناه اي الكتاب
بما لنا من العظمة هدي لبني اسرايل بالحمل علي العدل في التوحيد والاحكام واسرينا
بموسي عليه السلام ونبوته من مصر الي بلاد المسجد الاقصي فاقاموا صالحين اليها اربعين
سنة ولم يصلوا وما ان كل من خرج الا ملتين الموفيين بالعهد فقد بان الفضل بين الدارين
كما بان الفضل بين الكتابين فذكر الاسرا دليل علي حذف مثله اولا فالاية من الاحتباك
ثم نبه علي ان المراد من ذكر كلمة التوحيد اعتقادا وعبادة بقوله تعالي ان لا اي لئلا
يتخذوا علي قراءة ابي عمرو بالياء علي البقية وقراءه بالتا علي ان لا تتخذوا الكتوكلتبنه
اليه ان افعل كذا من دوني وكيلا اي يا تكلوت اليه امورهم وذلك هو التوحيد فلا
مدرج اعلا ولا درجة اشرف ولا نعمة اعظم من ان يصير المراعن يقاني في بحر التوحيد والتبتل
تقول قد امرت الامور الي الله تعالي فان نطق نطق بذكر الله وان تفكر تفكر في دلايل
تنزيه الله وان طلب طلب من الله فيكون كله لله وبالله والي الله وقوله تعالي ذرية
نصب علي الاختصاص في قراءة ابن عمرو وعلي النداء عند الباقين اي يا ذرية من حملنا
في السفينة بعظمتنا علي ظهر ذلك الما الذي طبق ما تحت اديم السما ونبه تعالي علي شرفهم
وعام نفعهم بقوله تعالي مع نوح فعني ذلك تذكير بانعام الله تعالي عليهم وانجا ايا هم من
الغرق بحملهم مع نوح في السفينة قال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح لانه كان معه
في السفينة ثلاث بنين سام وحام ويافث فالناس كلهم من ذرية اولئك قال البقاعي لان

الصحيح

الصحيح ان من كان معه من غير ذرية ماتوا ولم يعقبوا ولم يتزايد ذرية نوح ليعلم انهم
عقب اولاده المومنين فتكون تلك منة اخري ثم انه تعالي اثني علي نوح حثا علي الاقتدا
به في التوحيد كما اقتدي به ابراهيم في ذلك بقوله تعالي انه كان عبدا شكورا اي بما القا
في الشكر الذي هو حرف العبد جميع ما انعم الله تعالي به عليه مما لم يخلق له ري وبما انه عليه
الصلاة والسلام كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شا اجاعني وفي ري وفي رواية
انه يسمي اذا اكل ويحمد اذا فرغ واذا شرب قال الحمد لله الذي يسقاني ولو شا
اظمانني واذا اكتسي قال الحمد لله الذي كساني ولو شا اعراني واذا حتذي قال الحمد لله
الذي حذاني ولو شا احفاني واذا قضي حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه
في عافية ولو شا احبسه وفي ري وفي رواية انه كان يقول الحمد لله الذي اذاقني لذته وابقي
منفعته في جسدي واخرج عني اذاه وفي ري وفي رواية انه كان يقول اذا اراد الافطار
عرض طعامه علي من مر به فان وجده محتاجا اثره به ولما ذكر تعالي انعامه علي بني
اسرايل بانزال التوراة عليهم وبانه جعل التوراة هدي لهم بين انهم ما اهتدوا
بهداه بل وقعوا في الفساد بقوله تعالي وقضينا اي اوحينا الي بني اسرايل اي الي عبدنا
يعقوب عليه اللام الذي كان اطوع اهل زمانه وحبا مقطوعا منتبوتا في الكتاب اي التوراة
التي اوصلناها اليهم علي لسان موسي عليه السلام وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ
وقوله تعالي لتفسدن جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضا المثبوت مجري القسم
فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن في الارض اي ارض الشام قال ابو
اليوطي وقال الرازي ارض مصر ويوافق الاول قول البقاعي اي المقدسة التي كانها
لتزهاها هي الارض مرتين اي افسادتين قال في الكشاف اولاهما قتل زكريا عليه السلام
وحبس ارميا حين انذرهم يسخط الله تعالي والاخري قتل يحيي بن زكريا وقصد
قتل عيسي بنت مريم وقال البيضاوي الاولي مخالفة احكام التوراة وقتل شعيبا وقيل ايميا
وثانيهما قتل زكريا ويحيي وقصد قتل عيسي عليهم السلام ولتعلن اي يما صيرتم اليه من البطر
لبيان المنع علوا كبيرا بالظلم والتمرد لانه يقال لكل متكبر قد علا وتعظم فاذا جاوعد
اولاهما اي اولي مرتي الفساد وهو الوقت الذي حددنا لهم الانتقام فيه بعثنا عليكم
عبادا لنا اي لابد ان لكم بهم كما قال تعالي اولي باس شديد اي اصحاب قوة في الحرب
واختلف فيهم فقال في الكشاف سنجاريب وجنوده وقيل بخت نصر وعن
ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم

سبعين الفا وقال البيضاوي عباد الناحية نصر عامل الرهم اشتق علي يايل وحنوده
وقيل جالوت الحزري وهو يحافر اي مفتوحتين فر انسبة الي الحزري وهو ضيق
العين وصغرها وهو الذي قتله داود وجيل من الناس وذكر الواقدي في ذلك قولين
الاول ان الله تعالي سلط عليهم بخت نصر فقتل منهم اربعين الفا ممن يقرا التوراة
وذهب بالبقية الي ارض نفسه فبقوا هناك في الذل الثاني ان الله تعالي القي
الرعب من بني اسرائيل في قلوب المجوس فلما كثرت المعاصي فيهم ازال الله ذلك
الرعب عن قلوب المجوس فقصدوهم وبالغوا في قتلهم واقنايهم واهلاكهم واخرج
ابن ابي حاتم عن عطية قال افسدوا المرة الاولي فارسل الله عليهم جالوت فقتلهم
وافسدوا المرة الثانية فقتلوا يحيي بن زكريا فبعث الله عليهم بخت نصر وعزبن
مسعود قال كانت اول الفساد من قتل زكريا فبعث الله عليهم ملكا فقتله وعن
علي بن ابي طالب قال الاولي قتل زكريا والاخري قتل يحيي قاله الرازي ولعلم
انه لا يتعلق كثير غرض في معرفة اولئك الاقوام باعيانهم بل المقصود هو انهم
لما اكثروا في المعاصي سلط الله عليهم اقواما فقتلوهم واقتنوهم ثم قال الله تعالي
فجاسوا اي تردد والطلبكم خلال الديار اي وسطها للقتل والغارة قال البيضاوي
فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزله
لما منعوا تسليط الكافر علي ذلك اولوا البعث بالتخلية بالتخابية انتهي وفي ذلك
تعريض بالزمخشري فان قال في كشافه فان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة علي
ذلك ويسلطهم عليهم قلت معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم
علي ان الله عز وجل اسند بعث الكفرة عليهم الي نفسه فهو كقوله وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكان اي ذلك البعث ووعد العقاب به وعدا
مفعولا اي قضاء كائنا لا محالة لا شك في وقوعه ولا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة
اي الدولة والغلبة عليهم حين تبتم عن ذنوبكم ورجعتم عن الفساد في مدة داود
بقتله جالوت وذلك بعد مماية سنة وامددناكم باموال تستعينون بها علي قتال
عدوكم وبنين تقوون بهم وجعلناكم اكثر من عدوكم نفيرا اي عشيرة تنفرون معكم
عند ارادة القتال وغيره من المهمات والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل
جمع نافر وهم المجتمعون للذهاب الي العدو ولما حكي الله عنهم انهم لما عصوا سلط الله
عليهم اقواما قصدوهم بالقتل والنهب والسبي ولما تابوا ازال عنهم تلك المحنة واعاد عليهم

الدولة

الدولة فعند ذلك ظهر انهم ان اطاعوا الله فقد احسنوا الي انفسهم وان اصروا
علي المعصية فقد اساءوا علي انفسهم وقد تقرر في العقول ان الاحسان الي الغير
حسن مطلوب وان الاساءة اليها قبيحة فلهذا المعني قال تعالي ان احسنتم اي
بفعل الطاعات علي حسب الامر في الكتاب الداعي الي العدل والاحسان احسنتم
لانفسكم اي لان ثوابها لها وان اسأتم بارتكاب المحرمات والافساد فلها اي الاساءة
فان وبالها عليها قال النحويون وانما قال وان اسأتم فلها للتقابل والمعني فالها
او نفيلها كما مر مع ان حروف الاضافة يقوم بعضها مقام بعض كقوله تعالي
يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحي لها اي اليها بتنبيه قال اهل الاشارات
هذه الاية تدل علي ان رحمة الله غالبة علي غضبه بدليل انه تعالي لما حكي عنهم هذه
الاحسان وذكره مرتين فقال تعالي ان احسنتم احسنتم لانفسكم ولما حكي عنهم الاساءة
اقتصر علي ذكرها مرة واحدة فقال تعالي وان اسأتم فلها ولولا ان جانب الرحمة
غالب والا لما كان كذلك ثم قال فاذا جاء وعد الاخرة اي ثانية مرتي في الفساد
وهو الوقت الذي حددنا له الانتقام فيه ليسوءوا اي بعثناكم عليكم عباد النا
ليسوءوا وجوهكم اي يجعل اثار الاساءة باطنة فيها وحذف متعلق اللام لدلالة
الاول عليه وقرا الكسائي بعد اللام بنون مفتوحة علي التوحيد والضمير فيه
لله والباقون بالياء مفتوحة واما الهمزة التي بعد الواو والتي بعد اللين فقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وحفص بضم الهمزة ومدها والباقون بفتح الهمزة ولا مد
وقوله تعالي وليدخلوا المسجد عطف علي ليسوءوا والمراد بالمسجد الاقصي الذي
سفتاكم اليه من مصر في تلك المدد الطوال واعطيناكم بلادهم بالتدريج وجعلناه
محل عزكم وامنكم ثم جعلناه محلا لاكرام اشرف خلقنا بالاسراء اليه وجمع الارواح
النبيين فيه وصلاتهم وهذا تعريض بتهديد لقريش بانهم ان لم يرجعوا البدل
امنهم في الحرم خوفا وعزهم ذلا وادخل عليهم جنود الاقبل لهم بها وقد فعل ذلك
عام الفتح كلته فعل الكرام لا اهانة ببركة هذا النبي الكريم صلي الله عليه وسلم كما دخلوه
اي الاعداء اول مرة بالسيف وينهروا جميع جنودكم دفعة واحدة وليتبروا اي يهلكوا
ويدمروا ما علوه تتبيرا اي اهلاكا قال الزجاج وكل شيء جعلته مكسرا فقد تبرته
ومنه قيل تبر الزجاج وتبر الذهب لمكسره ومنه قوله تعالي انا هؤلاء متبر ما هم فيه

وباطل ما كانوا يعملون قال الرازي وهذه المرة الاخيرة هي اقدام على قتل
زكريا ويحيي عليهما السلام قال البيضاوي وذلك بان سلط عليهم القرن مرة
اخري فقتلهم ملك بابل من ملوك الطوابق اسمه جردون وقيل خردوس
قيل دخل صاحب الجيش فذبح قرابينهم اي جمع قربان فوجد دمها يغلي
فسالهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فتقبل عليه الوفا
منهم فلم يهدا الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا دم يحيي
فقال لملك هذا ينتقم ربكم ثم قال يحيي اي حقا بالدماء قد علم ربي وربكم ما اصاب
قومك من اجلك فاهدا باذن الله قبل ان لا يبقي احد منهم فهدا اي سكن
وقال الواحدي فبعث الله تعالي بختنصر البابلي المجوسي ابغض خلقه اليه
فسبي بني اسرايل وخرب بيت المقدس قال الرازي اقوال التواريخ هر
تشهد ان بختنصر كان قبل وقت عيسي ويحيي وزكريا بسنين متطاولة و
معلوم ان الملك الذي انتقم منه اليهود ملك الروم يقال له قسطنطين الملك
والله اعلم باحوالهم ولا يتعلق غرض من اغراض تفسير القرآن بمعرفة اعيان
هولا الاقوام الذين ولما انقضي ذلك كان كانه قيل هل بقي لهم نصرة علي عدوهم
فقال تعالي عسي ربكم ان يرحمكم يا بني اسرايل بعد انتقامه منكم فترد الدولة اليكم
ثم بعد ان اطمعهم فوعدهم بقوله تعالي وان عدتم اي الي المعصية عدنا اي الي صب البلا
عليكم في الدنيا مرة اخري قال الفقال واغا حملنا هذه الاية علي عذاب الدنيا لقوله
تعالي في سورة الاعراف فجراعت بني اسرايل واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الي يوم
القيامة من يسومهم سوء العذاب ثم قال وانهم قد عادوا الي فعل ما لا ينبغي وهو
بمحمد صلي الله عليه وسلم وكتمان ما ورد في التوراة والانجيل فعاد الله تعالي عليهم
بالتعذيب علي ايدي العرب فجري علي بني النضير وقريظة وهي بني قينقاع ويهود
خيبر ما جري منه القتل والجلاء الباقي منهم مقهورون بالجزية لا ملك لهم ولا سلطان
ثم قال تعالي وجعلنا اي بعد ذلك بعظمتنا جهنم اي تلقي داخلها بالتسجير والكراهة
للكافرين وذكر الوصف الظاهر موضع الضمير لبيان تعلق الحكم به علي سبيل الوسوح
سواء في ذلكهم وغيرهم وقوله تعالي حصيرا يحتمل ان يكون فعيلا بمعني الفاعل
اي جعلنا جهنم حاصرا لهم ويحتمل ان يكون بمعني مفعول اي جعلناها موضعا محصورا
لهم والمعني ان عذاب الدنيا وان كان شديدا قويا الا انه قد ينقلب بعض الناس عنه والذي

يقع

يقع في ذلك العذاب يتخلص منه اما بالموت واما بطريق اخر واما عذاب الاخرة
فانه يكون حاصرا للانسان محيطا به لا رجا في الخلاص عنه فهو لا الاقوام
لهم من عذاب الدنيا ما وصفناه ويكون لهم بعد ذلك من عذاب الاخرة ما يكون محيطا
بهم من جميع الجهات ولا يتخلصون منه ابدا وما بين سبحانه وتعالي كتابه هو موسي
عليه السلام الذي انزل عليه فيما بين مصر وبيت المقدس في تلك المدة المتطاولة
وجعله هدي لبني اسرايل صادقا الوعد والوعيد بين تعالي كتاب محمد صلي الله
عليه وسلم الذي عليه في نسب مسيره اليه في ذكر ووصفه بثلاثة انواع من الصفات
الاولي قوله تعالي ان هذا القران اي الجامع للحق والفارق بين كل ملتبس يهدي
للتي اي الي طريق التي هي اقوم اي اصوب من كل طريق فقوله تعالي للتي هي اقوم
نعت لموصوف محذوف كما تقرر ويصح ان يقدر الملة والشريعة التي هي اقوم الملل
والشرايع ومثل هذه الكناية كثيرة الاستعمال في القران كقوله تعالي ادفع بالتي هي
احسن وقيل الي الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله تنبيه
لفظ افعل قد جا بمعني الفاعل كقولنا الله اكبر اي الله اكبر كبيرا وكقولنا الاشج هو
والناقص اعدلا بين مروان فاقوم يحتمل ان يكون كذلك وان يبقي علي ظاهره الصفة
الثانية قوله تعالي ويبشر المومنين اي الراسخين في هذا الوصف ولهذا قيدهم بيانا
لهم بقوله الذين اي يصدقون ايمانهم بانهم يعملون اي علي سبيل التجديد والاستمرار
والتباعي العلم الصالحات من التقوي والاحسان ان لهم اجرا كبيرا هو الجنة والنظر
الي وجه الله تعالي وقرا حمزة والكسايي بفتح الياء وسكون الباء الموحدة وكر الثين
مشددة فان قيل قال هنا اجرا كبيرا وفي الكهف اجرا حسنا اجيب بوقوع ذلك
لموافقة الفواصل قبله وبعد في كل منهما الصفة الثالثة قوله تعالي وان الذين
لا يومنون بالاخرة اعتدنا اي احضرنا وهيانا لهم عذابا اليما وهو النار في الاخرة
وهي عطف علي ان لهم اجرا كبيرا والمعني انه تعالي بشر المومنين بنوعين من البشارة
بثوابهم وبعقاب اعدايهم نظيره قولك بشرت زيدا بانه سيعطي وبان عدوه سيمنع
فان قيل كيف يليق لفظ البشارة بالعذاب اجيب بان هذا مذكور علي سبيل
التهكم او انه من باب اطلاق احد الضدين علي الاخر كقوله تعالي وجزا سيئة سيئة
مثلها او علي بشري يا خمار يحيي فان قيل هذه الاية واردة في شرح احوال اليهود
وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالاخرة اجيب بان اكثر اليهود ينكرون الثواب

والعقاب الجسمانية وبان بعضهم قال لن تمسنا النار الا اياما معدودات فهم بذلك صاروا كالمنكرين للاخرة وبالجملة سبحانه وتعالي ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والانسان قد يقدم علي ما لا فايدة فيه بيشه تعالي بقوله تعالي ويدع الانسان بالشر عند ضجره علي نفسه واهله وماله دعاءه اي مثل دعايه بالخير ولو استجيب له حين في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك روي انه صلي الله عليه وسلم دفع الي سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل بان في الليل فقالت له مالك فبكي وشكي فرحمته فارخت كتافه فهرب فلما اصبح النبي صلي الله عليه وسلم دعي به فاعلم بشانه فقال صلي الله عليه وسلم اللهم اقطع يدها فدفعت سودة يدها تتوقع ان يقطع الله يدها فتقدم النبي صلي الله عليه وسلم وقال اللهم انما انا بشر اغضب كما يغضبون فمن دعوت عليه فجعل دعاي رحمة له وقيل المراد النضر بن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الي اخره فاجاب الله تعالي دعاءه وضربت رقبته يوم بدر صبرا وكان بعضهم يقول ايتنا بعذاب الله وانزل يقولون متي هذا الوعد ان كنتم صادقين وانما قالوا ذلك للجهل والاعتقاد ان محمدا كاذب فيما يقول وقيل المراد ان الانسان قد يبالغ في الدعا طالبا لشيء يعتقد ان خيره فيه مع ان ذلك الشيء ممتنع الشر وضرره وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء وانما قدم علي مثل هذا العمل لكونه عجولا مغترا بظواهر الامور غير متفحص عن حقايقها وكل ما كما قاله تعالي وكان الانسان اي الجنس عجولا اي يسارع الي كل ما يخطر بباله ولا ينظر الي عاقبته وقيل المراد ادم عليه السلام لما افتتي الروح الي سرته ذهب لينهض فسقط بتمييه حذفت واو يدع اي التي هي لام الفعل خطا في جميع المصاحف ولا موجب لحذفها لفظا في القرية لكنها لما كانت لا تظهر في اللفظ حذفت في الخط ونظيره قوله تعالي سندع الزبانية ويسوق يوت الله المومنين ويوم ينادي المنادي مكانا نكرا قال الفراء لو كان ذلك بالواو لجاز كان صوابا وقال الزجاج قوله هذا يدل علي انه سبحانه وتعالي قد عظم هذا القرآن المجيد عن التحريف والتغيير فان اثبات الواو والياء في كتابة الفاظ القرآن وعدم اثباتها في هذه المواضع المعدودة يدل علي ان هذا القرآن نقل كما سمع وان احدا لم يتصرف فيه بمقتضي فهمه وقوة عقله وبالجملة تعالي ما اوصلت بنو الدين وهو القرآن اتبعه بما وصل اليهم من نعم الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار ايتين دالتان علي تمام العلم وشمول القدرة اية الليل و

كالايات المتشابهة واية النهار كالمحكمة فكما ان المقصود من التكليف لا يتم الا بذكر المحكم والمتشابه فكذلك الزمان لا يتم الانتفاع به الا بهاتين الايتين فمحونا اي بظلمتنا الباهرة اية الليل اي طمسنا نورها بالظلام ليسكنوا فيه فجعلناها لا يبصر وفيها المبيان كما لا يبصر الكتاب اذا محي وجعلنا اية النهار مبصرة اي مبصرا فيها بالضوء فلا تزال هذه الدار الثانية ناقصة في تنقل من ضوء الي ظلمة ومن الظلمة الي النور كما ان الانسان يعجلته التي يدعو اليها طبعه وثانيه الداعي اليه عقله منه انتقال من نقصان الي كمال ومن كمال الي نقصان كما ان القمر الذي هو انقص من الشمس كذلك قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزا ونور القمر كذلك فمحي من نور القمر تسعة وتسعين جزا فجعلها مع نور الشمس وحكي ان الله تعالي امر جبريل فامر جناحه علي وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه النور وبقي فيه النور وسال ابن كوان عليا رضي الله عنه عن السواد الذي في القمر قال هو اثر المحو تنبيه المراد من الايتين بعض الليل والنهار فالاضافة للبيان اي انه جعلهما دليلين الخلق علي مصالح الدين والدنيا اما الدين فلان كل واحد منهما مضاد للاخر مغاير له مع كونهما متعاقبين علي الدوام من اقوي الدليل والدلايل علي انهما غير موجودين بذاتهما بل لابد لهما من فاعل يوجدهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا بالليل والنهار فلو لا الليل ما حصل الكون والراحة ولو لا النهار لما حصل الكسب والتصرف وقيل والنهار لتبصروا فيه الليل والنهار ظرفان والتقدير وجعلنا ايتين في الليل والمراد بالايتين علي هذا الشمس والقمر والمكوير هذا علي هذا وهذا علي هذا ثم ذكر تعالي بعض المنافع المرتبة علي ذلك بقوله تعالي لتبتغوا اي تطلبوا طلبا شديدا فضلا من ربكم اي المحسن اليكم بهما بضياء هذا تارة وبنور هذا اخري ولتعلموا بفصل هذا عن هذا عدد السنين والحساب لان الحساب يبني علي اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دون السنين وهي الشهور والايام والساعات وبعد هذه المراتب الاربعة لا يحصل الا بالتكرار كما تهم في تثنية العدد علي اربع مراتب الاحاد والعشرات والمايات والالوف وليس بعدها الا التكرار وبالجملة تعالي احوال ايتي الليل والنهار وهما متضادتان وجه دليلان قاطعان علي التوحيد ومن وجه اخر نعمتان عظيمتان منة الله تعالي علي اهل الدنيا وقد ذكر تعالي في ايات كثيرة منافعهما كقوله تعالي وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وكقوله تعالي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وشرح تعالي حالهما وفضل ما بينهما ومن وجوه الدلالة علي الخالق ومن وجوه النعم العظيمة علي المخلوق كان ذلك تفضلا منه وتبيانا كاملا فلا جرم قال تعالي وكل شيء

اي اكم اليه حاجة في مصالح دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا اي بيناه تبيينا وهو
كقوله تعالي ما فرطنا في الكتاب من شيء وكقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل
شيء وقوله تدمر كل شيء بامر ربها وانما ذكر تفصيلا لاجل توكيد الكلام وتقويته
فكانه قال فصلناه حقا وتبيين تعالي انه اوصل الي الخلق اصناف الاشياء النافعة
لهم في الدنيا والدين مثل ايتي الليل والنهار وغيرهما كانا منعما عليهم بوجود النعم
وذلك يقتضي وجود اشتغالهم بخدمته وطاعته فلاجرم كل من ورد عرصة القيامة
فانه يكون مسيولا عن اعماله واقواله كما قال تعالي وكل انسان الزمناه اي بعظمتنا
طايره اي عمله الذي قدرناه عليه من خير وشر لان العرب كانوا اذا ارادوا الاقدام
علي عمل من الاعمال واراد وا ان يعزموا ان ذلك العمل يسوقهم الي خير او الي عمل شر اعتبروا
احوال الطير وهو انه يطير بنفسه او يحتاج الي اثارعاجه واذا طار فهو يطير ضيا منا او
متياسرا او صاعدا الي الجو الي غير ذلك من الاحوال التي كانوا يفسرونها ويستدلون
بكل واحد منها علي احوال الخير والشر والسعادة والنحوسة فلما كثر ذكرهم لهذا
نفس الخير والشر بالطاير تسمية للشيء باسم لازمه بقوله تعالي وكل انسان الزمناه
طايره في عنقه اي وكل انسان الزمناه عمله في عنقه الذي هو محل التزين بالقلادة
ونحوها ومحل الشيء بالقل ونحوه فان كان عمله خيرا كان كالقلادة والحلي في العنق وهذا
بما يزينه وان كان عمله شرا كان كالغل في عنقه وهو عايشينه وقال مجاهد ما من
مولود يولد الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد قال الرازي والتحقيق
في هذا الباب انه تعالي خلق الخلق وخص كل واحد منهم بمقدار مخصوص من العقل والفهم
والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة والانسان لا يمكنه ان يتجاوز ذلك المقدار
وان كان يتحرك عنه بل لابد وان يصل اليه ذلك القدر بحسب الكمية والكيفية فتلك هي
الاشياء المقدرة كانها نظير اليه وتصير اليه فلهذا الميت لا يبعد ان يعبر عن تلك الاقوال
المقدرة بلفظ الطاير فقوله تعالي الزمناه طايره في عنقه كناية عن ان كل ما قدره
الله ومدني في عنقه حصوله له فهو لازم له واصل اليه غير منحرف عنه واليه الاشارة
بقوله صلي الله عليه وسلم جف القلم بما هو كاين الي يوم القيامة انتهي ملخصا ثم قال تعالي
ونخرج له يوم القيامة كتابا اي مكتوبا فيه عمله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
قال الحسن بسطت لكل صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذي عن
يمينك فيحفظ حسناتك واما الذي عن يسارك فيحفظ عليك سياتك حتي اذا انتهت طويتك

محيينك وجعلت معك في قبرك حتي تخرج لك يوم القيامة وقوله تعالي يلقاه
منشورا صفتان لكتابا وقرا ابن عامر بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف علي البنا
للمفعول من لقيته كذا اي استقبلته به والباقون بفتح الياء وسكون اللام
وتخفيف القاف واميال الا لف بعد القاف حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح
وبين اللفظين والباقون بالفتح ثم انه اذا القي كتابه يوم القيامة يوم العرض
قيل له اقرا كتابك اي بنفسك كفي بنفسك اليوم الذي تكشف فيه الستور وتظهر
فيه جميع الامور عليك حسيبا اي حاسبا بليغا فانك تعلم القدرة علي قراءته اميا
كنت او قاريا ولا ترتاب فيه زيادة ولا انقصان ولا تقدر ان تنكر منه حرفا وان
انكره لسانك شهدت عليك ايد يك وكانك هنا لهامن قدرة باهرة وقوة قاهرة ونصفة
ظاهرة قال الحسن عدل والله في حقك من جعلك حسيب مقسك وقال السدي
يقول الكافر يومييذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب
نفسي فيقال له اقرا كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا فان قيل
قد قال تعالي وكفي بنا حاسبين فكيف الجمع في ذلك اجيب بان المراد بالحسيب
هنا الشهيد اي كفي بشخصك اليوم شاهدا عليك او ان القيامة مواقف مختلفة
ففي موقف يكل الله تعالي حسابهم الي انفسهم وعلمه بحيطهم وفي اخر يحاسبهم
هو وقوله تعالي من اهتدي فانما يهتدي لنفسه لان ثواب اهتدايه له لا يتخطي غيره
ومن ضل فانما يضل عليها اي اثمه عليها فلا يدري في ضلاله سواه كما قال الكعبي دلالة
علي ان العبد متمكن من الخير والشر وانه غير مجبور علي عمل بعينه اصلا لان قوله
تعالي من اهتدي الي اخره انما يليق بالقادر علي الفعل المتمكن منه كيف شاء واراد اما
المجبور علي احد الطرفين الممنوع علي الطرف الثاني فهذا لا يليق به هذا مذهب اهل السنة
والجماعة فاتبعه تر شد ثم انه تعالي اعاد تقرير ان كل احد مختص باثر عمل نفسه بقوله
تعالي ولا تزر اي نفس وازرة اي اثمة اي لا تحمل وزر نفس اخري بل انما تحمل وزر هافقط
فان قيل ورد ان المظلوم ياخذ من حسنات الظالم فاذا لم يوف يوخذ من سيات
المظلوم وتطرح علي الظالم اجيب بان ذلك بسببه فهو كفعله فان قيل قد
ورد ان الميت يعذب ببكا اهله اجيب بان ذلك محمول علي ما اذا اوصي بذلك
وكان ذلك الفعل كقول طرفة بن العبد

اذا مت فانعيني بما انا اهله ... وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

وعليه حمل الجمهور الاخبار الواردة بتعذيب الميت علي ذلك فان قيل ذنب الميت
فيما اذا اوصي لا مزيد لكم فلا يحتاج عذابه بامتثالهم وعدمه اجيب بان الذنب
علي السبب يعظم بوجود المسبب وشاهده من سن سنة سيئة وقال الشيخ ابو حامد
انما ذكر محمول علي الكافر وغيره من اهل الذنوب ثم قال تعالي وما كنا اي بما لنا من العزة
معذبين احدا حتي نبعث رسولا يبين له ما يجب عليه ممن يبلغه دعوته فتواطروا
واتكبروا عن اتباعه فعذبناهم بما يستحقونه وهذا امر قد تحقق بارسال ادم عليه
السلام ومن بعده من الانبياء الكرام عليهم السلام في جميع الامم قال تعالي ولقد بعثنا
في كل امة رسولا وقال تعالي وان من امة الا خلا فيها نذير فان دعوتهم الي الله تعالي
قد انتشرت وعمت الاقطار واشتهرت فان قيل الحجة لا تتم قبل بعثة الرسول
لان معه ادلة العقل التي بها يعرف الله تعالي وقد اغفلوا النظر وهم مكلفون منه وملتقاهم
العذاب لاغفالهم النظر فيها معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرايع التي لا سبيل اليها الا
بالتوفيق والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان اجيب بان بعثة الرسول من
جملة التنبيه علي النظر والايقاظ من رقدة الغفلة ليلا يقولوا انا كنا غافلين فهلا
بعثة الينا رسولا ينبهنا علي دليل علي ان لا وجوب قبل الشرع فايدة في حكم
اهل الفترتين بين نوح وادريس وبين عيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم وهم ثلاثة
عشر قيما ستة سعد واربعة اشقيا وثلاثة تحت المشيئة فاما السعداء فقس وحده
تعالي بنور وحده في قلبه كقس بن ساعدة فانه كان يقول اذا سيل اهل لهذا العالم اله
البعوض تدل علي البعير واثر الاقدام يدل علي المسير وقس وحده الله تعالي بما تجلي لقلبه
من النور الذي لا يقدر علي دقه وقس التقي في نفسه واطلع من كثفه علي منزلة محمد
صلي الله عليه وسلم وامن به في عالم الغيب وقس اتبع ملة حق ممن تقدمه وقس طالع
في كتب الانبياء فعرف شرف محمد صلي الله عليه وسلم فامن به وقس امن بنبيه الذي ارسل
اليه وادرك رسالة محمد صلي الله عليه وسلم وامن به فله اجران واما الاشقياء فقس
عطل لا عن نظر بل عن تقليد وقس عطل بعد ما اثبت لا عن استقصاء بنظر وقس اشرك
عن تقليد محض وقس علم الحق وعانده واما الذي تحت المشيئة قس عطل فلم يقر بوجوده
عن نظر قاصر لضعف في مزاجه وقس اشرك عن نظر اخطأ فيه وقس عطل بعد ما اثبت لا عن
نظر بلغ فيه اقصي القوة هكذا قسم محيي الدين بن العربي في الباب الحادي عشر من الفتوحات ونقل
ذلك عنه شيخ وقته الشيخ عبد الوهاب الشعراني ونقل عن اليواقيت ان ابو عيسي النبي صلي الله عليه

وسلم

وسلم لم تبلغهم الدعوة والله تعالي يقول وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا وحكم من لم تبلغه
الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قال وهذا مذهب لا اخلاف فيه بين المحققين
من ائمتنا الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص علي ذلك الامام الشافعي
رضي الله عنه ويتبعه علي ذلك الاصحاب قال السيوطي وقد ورد في الحديث ان الله تعالي
احيا ابويه حتي امنا به وعلي ذلك جماعة من الحفاظ منهم الخطيب البغدادي وابو القاسم
بن عساكر وابو حفص بن شاهين والسهيلي والقرطبي وابن المنير وابن سيد الناس
وابن ناصر الدمشقي والصعدي وغيرهم والاولي لنا الامساك عن ذلك فان الله تعالي
لم يكلفنا بذلك ونكل الامر في ذلك الي الله تعالي ونقول كما قال النووي لما سيل عن طائفة
ابن عربن تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسلون عما كانوا يعملون ولما
اشار تعالي الي عذاب المخالفين قرر اسبابه وعرف انها بقدره وان قدره لا يمنع حقوق
العذاب بقوله تعالي واذا اردنا ان نحيي قرية الحياة الطيبة في الدنيا والاخرة العينا
في قلوب اهلها امتثال اوامرنا والتقيد بانباع رسلنا واذا اردنا ان نهلك قرية في الزمن
المستقبل امرنا اي بما لنا من القدرة التامة الشاملة مترفيها اي منعميها الذين لهم الامر والنهي
قال الاكثرون امرهم الله تعالي بالطاعة والخير علي لسان رسله ففسقوا فيها اي خرجوا
عن طاعة الله ورسوله وقال صاحب الكشاف ظاهر اللفظ يدل علي انه تعالي يامرهم
بالفسق فيفسقون الان هذا مجاز ومعناه ان يفتح عليهم ابواب الخيرات والراحات
عند ذلك يتمردوا ويطغوا ويبغوا قال والدليل علي ان ظاهر اللفظ يقتضي ما ذكرناه
ان المامور به انما حذف لان قوله ففسقوا يدل عليه يقال امرته فقام وامرته
فقر الا يلزم الان المامور به قياما وقراءة فكذا هنا لما قال امرنا مترفيها ففسقوا فيها وجب
ان يكون المعني امرناهم بالفسق ففسقوا الا يقال يشكل هذا بقولهم امرته فعصاني
وخالفني فان هذا الكلام لا يفهم منه اني امرته بالمعصية والمخالفة لانا نقول ان المعصية
منافية للامر ومناقضة له فيكون كونها مامورا بها مخالفا لهذه الضرورة فتركنا
هذا الظاهر انتهي قال الرازي ولقائل ان يقول كما ان قوله امرته فعصاني يدل
علي ان المامور به شيء غير المعصية من حيث ان المعصية منافية للامر ومناقضة
له فلذكر قوله امرته ففسق يدل علي ان المامور به غير الفسق لان الفسق عبارة عن
الاتيان به فكونه فسقا ينافي كونه مامورا به كما ان قوله معصية ينافي كونها مامورا بها
فوجب ان يدل هذا اللفظ علي ان المامور به ليس بفسق وهذا الكلام في غاية الظهور

ولم ادر لم اصر صاحب الكشاف على قوله مع ما فيه من فساده فثبت ان الحق
ما ذكر الكل وهو ان المعني امرناهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة فعوا
خالفوا ذكر الامر عنادا او اقدموا على الفسق فحق عليها القول اي الذي توعدناهم
به على لسان رسولنا فدمرناهم تدميرا اي اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها
وخص المترفين بالذكر لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الجماعة واقدر على التجبر
وقيل معناه كثرنا وروي الطبراني وغيره حديثا خير المال سكة مأبورة ومهرة
مأمورة اي كثيرة النتاج والسكة بكسر السين وتشديد الكاف الطريقة المصطفة من النخل
والمأبورة الملقحة وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيأتي امراء يستكثرونه ويستكثرونه
وعن ام المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل
عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر ما اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج
ومأجوج مثل هذه وحلق بين اصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله
انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث اي الشر وويل يقال لمن وقع في مهلكة هم
او اشرف ان يقع فيها وقوله تعالى وكم اهلكنا اي بما لنا من العظمة وبين مدلول كم
بقوله تعالى من القرون اي المكذبين من بعد نوح كعاد وثمود من الامم الماضية بخوة
به الكفار اي كفار مكة قال عبد الله بن ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة وقيل
مائة سنة وروي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني ان النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على راسه وقال يعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم فما زلنا
نعده حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقال الكلبي القرن ثمانون سنة وقيل الف سنة
ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وكفى بربك اي الحسن اليك بذنوب عباده خبيرا
بصيرا اي عالما ببواطنها وظواهرها فكم من انسان كنتم ترونه من اكابر الصالحين ثم استقر
عاقبته على خلاف ذلك وكم من شخص ترونه مجتهدا في العبادة فاذا اختلا بارتكابه
بالعظائم وتقديم الخبر لتقدم متعلقه وما تقرر انه سبحانه وتعالى عالم ببواطن
عباده وظواهرها قسمهم الى قسمين الاول قوله تعالى من كان يريد العاجلة اي الدنيا
مقصورا عليها همه عجلنا له فيها اي المعاجلة بان تفضلنا عليه من منافعها ما نشاء اي
من البسط والتقتير لمن نريد اي ان نفعل به ذلك فقيد تعالى الامر بقيدين احدهما
تقييد المعجل بارادته ومشيته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال في كثير

من هؤلاء

من هؤلاء ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منهم او كثير منهم يتمنون ذلك
البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الاخرة تنبيه لمن يريد
بدل بعض من كل من الضمير في له باعادة العامل تقديره لمن نريد تعجيله له
ويقال ان الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويقرون معهم ولم يكن
غرضهم الا مساهمتهم في الغنايم ونحوها وهذا هو المناسب لقوله تعالى
ثم جعلنا له جهنم يصلاها اي في الاخرة مذموما اي مفعولا به الذم مدحورا اي
مدفوعا مطرودا مبعدا وان ذكر البيضاوي بصيغة قيل ثم ذكر تعالى القسم
الثاني وشرط فيه ثلاثة شروط الاول قوله تعالى ومن اراد الاخرة
اي اراد بعمله ثواب الاخرة فانه ان لم ينو ذلك لم ينتفع بذكر العمل لقوله تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى وقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
الثاني قوله تعالى وسعى لها سعيها وذلك يقتضي ان يكون ذلك العمل من باب
القرب والطاعات وكثير من الضلال يتقربون بعبادة الاثان ولهم فيها تاويلات
احدها انهم يقولون اله العالم اجل واعظم من ان يقدر الواحد منا على اظهار
عبوديته وخدمته ولكن غاية قدرتنا ان يشتغل بعض المقربين من عباد الله
عن ان يشتغل بعبادة كوكب او ملك من الملايكة ثم ان الملك او الكوكب يشتغل
بعبادة الله تعالى فهؤلاء يتقربون الى الله بهذا الطريق وهذه طريقة فاسدة
فلاجرم انه لم ينتفع بها لانهم قالوا اتخذنا هذه التماثيل على صورة الانبيا
والاولياء والمراد من عبادتها ان تصير تلك الانبياء والاولياء شفعاء لنا عند الله وهذا
الطريق ايضا فاسد فلاجرم لم ينتفع بها ثالثها انه نقل عن الهند انهم يتقربون الى الله
بتقتيل انفسهم تارة وباحراق انفسهم اخرى وهذه الطريقة ايضا فاسدة فلاجرم
لم ينتفع بها وكذا القول في جميع الفرق المبطلين الذين يتقربون الى الله تعالى
بمذاهبهم الباطلة الثالث قوله تعالى وهو مومن لان الشرط في كون اعمال البر
مقتضية للثواب هو الايمان وان لم يوجد لم يحصل الشرط وما وعد به بعض المتقدمين
من لم يكن معه ثلاث لم يتقبل عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلاوة
هذه الاية ثم انه تعالى اخبر عند وجود هذه الشروط بقوله تعالى فاولئك كان
الاتية لجميع الشرايط الثلاثة كان سعيهم مشكورا اي مقبولا مثابا عليه بالتضعيف
وبعضهم يفتح له ابواب الدنيا مع ذلك كداود وسليمان عليهما السلام ويستعمله فيها عما

فيه من حنات الله تعالي وبعضهم يروي عنه كرامة له لا هو اثابه فربما كان
الفقر خيرا له واعون علي مراده فالحاصل انها ان وجدت عند المولي
لم تشرفه وان عدمت عنه لم تحقره واما التشريف وغيره عند الله تعالي بالاجمال
فتنبيه كل منه اني يفعل اما ان يقصد به تحصيل خيرات الدنيا واما
ان يقصد به خيرات الاخرة واما ان يقصد به مجموعهما واما ان يقصد
به واحدا منهما فان قصد به تحصيل الدنيا فقط او تحصيل الاخرة فقط فالله
ذكر حكم هذين القسمين في هذه الاية واما القسم الثالث فيقسم ثلاثة اقسام
اما ان يكون طلب الاخرة راجحا او مرجوحا ويكون الطلبان متقاومين فان كان
طلب الاخرة راجحا فهل يكون هذا القسم مقبولا عند الله تعالي فيه رايان احدهما
انه غير مقبول لقوله صلي الله عليه وسلم حاكيا عن الله تعالي انه قال انا اغني
الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري فتركته ومشركه وايضا طلب
رضوان الله اما ان يكون سببا مستقلا بكونه باعثا علي ذلك الفعل وداعيا اليه
واما ان لا يكون فان كان الاول امتنع ان يكون لغيره مدخل في ذلك الفعل
والدعا لان الحكم اذا اسند لسبب تام كامل امتنع ان يكون لغيره مدخلا فيه
وان كان الثاني فيكون الداعي الي ذلك الفعل هو المجموع وذلك المجموع ليس هو طلب
رضوان الله لان المجموع الحاصل من الشيء ومن غيره يجب ان يكون مغايرا
الطلب رضوان الله فوجب ان لا يكون مقبولا الراي الثاني انه مقبول لان
طلب الاخرة لما كان راجحا علي طلب الدنيا تقاوض المثل بالمثل فيبقي القدر الزايد
داعية خالصة لطلب الاخرة فوجب كونه مقبولا واما اذا كان طلب الدنيا وطلب
الاخرة متقاولين او كان طلب الدنيا راجحا فقد اتفقوا علي انه غير مقبول الا انه
علي كل حال خير مما اذا كان طلب الدنيا خاليا بالكلية عن طلب الاخرة واما القسم
الرابع وهو الاقدام علي الفعل من غير داعي فهذا مبني علي ان صدور الفعل منا
القادر هل يتوقف علي حصول الداعي ام لا فالذين يقولون انه متوقف علي
حصول الداعي قالوا هذا القسم ممتنع الحصول والذين قالوا لا يتوقف قالوا
هذا الفعل لا تاثير له في الباطن وهو محرم في الظاهر لانه عبث ثم انه تعالي قال
كلا اي من الفريقين مريد الدنيا ومريد الاخرة نمد اي بالعطاء ابدل من كلا
قوله هولا اي الذين طلبوا الاخرة نمد الدنيا نمد وهولا اي الذين طلبوا الاخرة

نمد

نمد من عطاء ربك اي المحسن اليك ان ضيق علي مومنا فبالحماية من الدنيا الفانية
التي انما هي لعب ولهو وان وسع فبالاستدراج فيها علي حسب ما يرضيه وما كان
عطاء ربك اي الموجد لك المديم لامرك محظورا اي ممنوعا في الدنيا عن مومن
ولا كافر بل هو ملا السهل والجبل من الذهب والفضة والحديد والنحاس والجواهر
والثمار واقوات الناس والبهايم وغير ذلك مما لا يحصيه الا الله تعالي حتي لو جمع
كل الناس علي جمعه ليلا ونهارا ولم يكن له شغل سوي ذلك لاعياهم ولم يقدروا
عليه فسبحان الجواد المعطي المانع ثم انه تعالي امر بالنظر في عطايه هذا علي
وجه مرغب في الاخرة مزهد في الدنيا بقوله تعالي انظر اي ايها الانسان كيف
فضلنا بعضهم علي بعض فاوسعنا علي مومن وقترنا علي مومن اخر هو
واوسعنا علي كافر وقترنا علي كافر اخر وبين سبحانه وتعالي وجه الحكمة في ذلك
في سورة الزخرف بقوله تعالي نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا
بعضهم فوق بعض درجات الاية وقال تعالي في اخر سورة الانعام ورفع بعضكم
فوق بعض درجات لنبلوكم فيما اتاكم فكيف نصيب اما علي التشبيه بالظرف واما علي الحال
وهي معلقة لانظر بمعني فكر او ابصر وما نيه تعالي علي ان ما نراه من التفضيل
انما هو بمحض قدرته اخبر علي ان ما بعد الموت كذلك بقوله تعالي ولا الاخرة اكبر
اي اعظم درجات واكبر تفضيلا من درجات الدنيا ومن تفضيلها فان نسبة التفاوت
في درجات الاخرة الي التفاوت في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الي الدنيا فان كان
الانسان تشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوي رغبته في طلب الاخرة
اقوي لان دار المقامة روي ان نفرا من الاشراف منهم وهم اجتمعوا يبابه عمر
رضي الله تعالي عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق علي ابي سفيان فقال
سهيل بن عمرو ما اغنا وقينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا فعي الي الاسلام فاسرعوا
وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الاخرة وما بين تعالي ان الناس فريقان
منهم من يريد بعمله الدنيا فقط وهم اهل العذاب ومنهم من يريد طاعة الله تعالي
وهم اهل الثواب ثم شرط في ذلك ثلاثة شروط تفصل تلك الجملات وبدا بالشرح
صيغة الايمان واشرف اجزاء الايمان هو التوحيد ونفي الشرك والاضداد بقوله
تعالي ولا تجعل مع الله اي الذي له جميع صفات الكمال الها اخر قيل الخطاب مع النبي
صلي الله عليه وسلم والمراد غيره والاولي انه للانسان فيكون خطابا عاما لكل من يصلح

ان يخاطب به فتفقد اي فتسب عن ذلك ان تفقد اي تصير في الدنيا قبل الاخرة
مذموما مخذولا لان المشرك كاذب والكاذب يستوجب الذم والخذلان ولانه
قد ثبت بالدليل ان لا اله ولا مدبر الا الله تعالي فحينئذ تكون جميع النعم حاصلة
من الله تعالي فمن اشرك بالله فقد اضاف بعض تلك النعم الي غير الله فاستحق
الذم والخذلان تنبيه قال الواحدي قوله تعالي فتقعد اي تصير لانه وقع
بعد الفاء جواب النهي وانتصابه باضمار ان كقولك لا تقطع عنا فتجفوك
والتقدير لا يكن منك انقطاع فيحصل ان تجفوك فما بعد الفاء متعلق بالجملة
المتقدمة بحرف الفاء وانما سماه النحويون جوابا لكونه مشابها للجزاء وان
الثاني مسبب عن الاول كما تقرر وبما ذكر تعالي ما هو الركن الاعظم في الايمان
اتبعه بذكر ما هو من شعايره الايمان وشرايعه وذلك انواع الاول ان يشتغل
الانسان بعبادة الله تعالي ويتحرز عن عبادة غيره وهذا هو المراد من قوله
تعالي وقضي اي امر ربك اي المحسن اليك وقوله تعالي ان لا تعبدوا اي انت
وجميع اهل دعوتك وهم جميع الناس الا اياه وفيه وجوب عبادة الله تعالي
والمنع من عبادة غيره لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل علي نهاية التعظيم
ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن له الانعام والافضال علي عباده ولا منعم الا الله
تعالي فكان هو المستحق للعبادة لا غيره تنبيه روي ميمون عن مهران عن
ابن عباس انه قال في هذه الاية كان الاصل ووصي ربك فالصقت احدي الواوين
بالصاد فقري وقضي ربك ثم قال ولو كان علي القضاء ما عصي الله احد قط لان
خلاف قضاء الله ممتنع وهذا القول كما قاله الرازي بعيد جدا اذ لو فتح هذا الباب
لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في
الدين ويدفع ما قاله بما قرر فيه وبما امر تعالي بعبادة نفسه اتبعه بالامر
ببر الوالدين بقوله تعالي وبالوالدين اي واحسنوا اي اوقعوا الاحسان
بهما احسانا اي بان تبروهما ليكون الله معكم فانه مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون تنبيه بان احدهما المناسبة بين الامر بعبادة الله تعالي والامر ببر
الوالدين من وجوه الاول ان السبب الحقيقي لوجود الانسان هو تخليق الله تعالي
وايجاده والسبب الظاهر هو الابوان فامر الله تعالي بتعظيم السبب الحقيقي ثم اتبعه
بالامر بتعظيم السبب الظاهري الثاني ان الموجود اما قديم واما محدث ويجب ان يكون

معاملة الانسان مع الموجود القديم بالتعظيم والعبودية ومع المحدث باظهار
الشفقة وهو المراد من قوله صلي الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة علي
خلق الله واحق الخلق بالشفقة الابوان لكثرة انعامهما علي الانسان فقوله تعالي
وقضي ربك ان لا تعبدوا الا اياه اشارة الي التعظيم لامر الله وقوله تعالي
وبالوالدين احسانا الي الشفقة علي خلق الله الثالث ان الاشتغال بشكر المنعم
واجب ثم المنعم الحقيقي هو الخالق سبحانه وتعالي وقد يكون بعض المخلوقين
منعما عليك وشكره ايضا واجب لقوله صلي الله عليه وسلم من لم يشكر الناس
لم يشكر الله وليس لاحد من المخلوقين نعمة علي الانسان مثل الابوين لان الولد
قطعة من الوالدين قال صلي الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وايضا شفقة
الوالدين علي الولد عظيمة وايصال الوالد الخير الي الولد منهما امر طبيعي واحترازهما
عن ايصال الضرر اليه امر طبيعي ايضا فوجب ان يكون نعم الوالدين علي الولد كثيرة
بل هي اكثر من كل نعمة مقبلة من الانسان الي الانسان وايضا حالما يكون الانسان
في غاية الضعف ونهاية العجز يكون انعام الابوين في ذلك الوقت واصلة الي
الولد واذا وقع الانعام علي هذا الوجه كان موقعه عظيما وايضا فايصال
الخير الي الغير قد يكون لداعية ايصال الخير اليه وايصال الخير الي الولد ليس
لهذا الغرض فكان الانعام فيه اتم واكمل فثبت بهذه الوجوه انه ليس لاحد من
المخلوقين نعمة علي غيره مثل ما للوالدين علي الولد فلهذا بدا الله بشكر نعمة الخالق
وهو قوله تعالي وقضي ربك ان لا تعبدوا الا اياه ثم اردفه بشكر نعمة الوالدين
وهو قوله تعالي وبالوالدين احسانا فان قيل الوالدان انما طالبا تحصيل
اللغة لا نفسهما فلزم منه دخول الولد في الوجود ودخوله في عالم الآفات
والمخافات فاي انعام للوالدين علي الولد حتي ان بعض المقتمين بالحكمة
كان يضرب اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني
للموت والفقر والعمي والزمانة وقيل لابي العلا المعري ماذا تكتب علي قبرك
فقال اكتبوا علي قبري هذا جناية ابي علي وما جنيت علي احد وقال في ترك
التزوج والولد وتركت فيهم نعمة العدم التي فيهم لقد سبقت نعيم العاجل ولو
انهم ولدوا لعانوا شدة تربي بهم في موبقات الاجل وقيل لاسكندر اي ذكر
اعظم نعمة عليك ام والدك فقال الاستاذ اعظم منه لانه تحمل انواع الشدايد عند تعليمي

فاوقفني في نور العلم واما الوالد فانه طلب تحصيل لغة الوقاع لنفسه فاخرجني
الي افاق عالم الكون والفساد ومن الكلمات المأثورة المشهورة خير الامانة علمك
اجيب بانه وان كان له في اول الامر طلب لغة الوقاع الا ان الاهتمام
بايصال الخيرات اليه ودفع الافات عنه من اول دخوله في الوجود الي وقته
بلوغ الكبر اليس انه اعظم من جميع ما يصل اليه من جهات الخيرات والمبرات هو
نستطيع هذه الشبهات التنبيه الثاني ان لفظ الاية يدل علي معان
كثيرة كل واحد منها يوجب المبالغة في الاحسان الي الوالدين منها انه تعالي
قال في الاية المتقدمة ومنا راد الاخرة وسعي لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا ثم اردفه بهذه الاية المشتملة علي الاعمال التي بواسطتها يحصل
الفوز بسعادة الاخرة وجعل من جملتها البر بالوالدين وذلك يدل علي ان هذه الطاعة
من اصول الطاعات التي تفيد سعادة الاخرة ومنها انه تعالي بدا بذكر الامر
بالتوحيد وثني بطاعة الله وثلث ببر الوالدين وهذه درجة عالية ومبالغة
عظيمة في تعظيم هذه الطاعة ومنها انه تعالي لم يقل واحسانا بالوالدين بل قال
وبالوالدين احسانا فتقديم ذكرهما يدل علي شدة الاهتمام بهما ومنها انه تعالي
قال احسانا بلفظ التنكير والتنكير يدل علي التعظيم اي احسانا عظيما كاملا لائقا
باحسانهما اليك قد بلغ الغاية العظيمة فوجب ان يكون احسانك اليهما كذلك ثم علي
جميع التقديرات لا تحصل المكافاة لان انعامهما عليك علي سبيل الابتداء وفي الامثال
المشهورة ان البادي بالبر لا يكافا وايضا كان سبحانه وتعالي عليما بما في الطباع من ملال
الولد لهما عند اخذهما في السن قال تعالي اما يوكد ما ادخال ما علي ان الشرطية لزيادة
التقرير للمعني اهتماما بشان الوالدين ويبلغن عندك الكبر اي كان يضطر اليك في
حالة الضعف والعجز فلا يكون لهما كافل غيرك فيصير اعندك في اخر العمر كما
كنت عندهما في اوله احدهما او كلاهما وقرا حمزة والكسائي بالف بعد الغين وكسر
النون فالالف ضمير الوالدين لتقدم ذكرهما واحدهما بدل منه وكلاهما عطف عليه
فاعلا او بدلا فان قيل هلا كان كلاهما توكيد الا بدلا اجيب بانه معطوف
علي ما لا يصح ان يكون توكيد الاثنين فوجب ان يكون مثله فان قيل لم لا يجوز
ان يكون احدهما بدلا وكلاهما توكيدا او يكون ذكر عطفا للتوكيد علي البدل اجيب
بان العطف يقتضي المشاركة فجعل احدهما بدلا والاخر توكيدا خلاف الاصل وقرا

الباقون بغير الف وفتح النون والاعراب علي هذا ظاهر وجميع القراء شددوا ون
النون ثم انه تعالي امر الانسان في حق والديه بخمسة اشياء الاول منها قوله تعالي
فلا تقل لهما اف اي لا تتضجر منهما قال الزجاج اف معناه التنن وهذا قول مجاهد
لانه قال معني قوله فلا تقل لهما اف اي لا تتقذرهما كما انهما كانا لا يتقذرانك حين كنت
تحري وتبول وفي رواية اخري عن مجاهد اذا وجدت منهما رائحة تؤذيك فلا تقل
لهما اف فلما قدم بالغ سبحانه وتعالي بالوصية بهما حيث شنع الاحسان اليهما بتوحيده
وبظلمهما في مسلك القضا بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتي لم يرخص في ادني كلمة
تتفلت من التضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل
صبر الانسان معها في الاستطاعة وقد قال صلي الله عليه وسلم اياكم وعقوق
الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يوجد ريحها عاق ولا قاطع
رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبر يالله رب العالمين وسيل التفضيل
ابن عياض عن بر الوالدين فقال لا يقوم الي خدمتهما عن كل وقر انافع وحفص بالتنوين
في الجامع الكسر وبن كثير وبن عامر بفتح الفا مت غير تنوين والباقون بكسر الفا
من غير تنوين الثاني قوله تعالي ولا تنهرهما اي لا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا
يعجبك يقال نهره وانتهره اذا استقبله بكلام تزجره قال تعالي واما السايل فلا تنهر
فان قيل المنع من التافيف يدل علي المنع من الانتهار بالاولي فما فايدة ذكره
اجيب بان المراد بالمنع من التافيف المنع من اظهار المخالفة في القول علي
سبيل الرد عليهما والتكذيب لهما الثالث قوله تعالي وقل لهما قولا كريما اي حسنا
جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه
هو ان يقول يا ابتاه يا اماه وسيل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو
قول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ وعن عطا انه قال هو ان يتكلم معهما بشرط
ان لا يرفع اليهما بصره ولا يشد اليهما نظره وذلك ان هذين الفعلين ينافيان القول
الكريم فان قيل ابراهيم الخليل عليه السلام قال لابيه اني اراك وقومك في ضلال مبين
مع انه عليه السلام من اعظم الناس ادبا وحلما وكرما اجيب بان حق الله تعالي
مقدم علي حق الابوين فاقدام ابراهيم علي ذلك لانه انما كان تقديما لحق الله تعالي
الرابع قوله تعالي واخفض لهما جناح الذل من الرحمة اي لاجل الامتثال للامر
وخوف العار فقط بل من اجل الرحمة لهما بان لا تزال تذكر نفسك بالاوامر والنواهي

وما تقدم لهما من الاحسان اليك والمقصود المبالغة في التواضع وهذه استعارة بليغة قال القفال وفي تقريره وجهان الاول ان الطاير اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية فكانه قال للولد اكفل والديك بان تضمهما الي نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك والثاني ان الطاير اذا اراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع واذا اراد ترك الطيران خفض جناحيه فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين فان قيل كيف اضاف الجناح الي الذل والذل لا جناح له اجيب بوجهين الاول انه اضيق الجناح الي الذل كما يقال خاتم الجود فكما ان المراد هناك خاتم الجواد فكذلك المراد هنا خفض لهما جناح ذل الثاني ان مدار الاستعارة علي الخيلاء وهنا تخيل للذل جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللبقرة زماما في قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... اذا اصبحت بيد الشمال زمامها

فاثبت للشمال يدا وللقرة زماما ووضع زمامها في يد الشمال فكذا هنا ومن طريق الحكمة ايا تمام لما نظم قوله

لا تسقني ماء الملام فانني ... صب قد استعذبت ماء بكائي

جاء رجل بقصعة وقال له اعطني شيا من ماء الملام فقال له حتي تاتيني بريشة من جناح الذل ير تدان هذا مجاز استعارة لذلك وقال بعضهم من اشي جناحي ثم بلوه بالماء ونام استطع مت جهم علي ايام الخامس قوله تعالي وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا اي لا منة تكتنف برحمتك عليهما التي لا يقالها وادع الله ان يرحمهما رحمة الباقية واجعل فلك جزاء رحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك هذا اذا كانا مسلمين فان كانا كافرين فان الدعا لهما بالرحمة متوخ في قوله تعالي ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربي بل يدعو الله لهما بالهداية والارشاد فاذا هداهما فقد رحمهما وسئل بعضهم عن بر الوالدين فقال لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا ترد امرهما مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداهما مت بعدهما لما ورد عنه صلي الله عليه وسلم انه قال من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه لما ورد عنه صلي الله عليه وسلم تنبيه قد ورد في بر الوالدين احاديث كثيرة منها ما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالي عنه انه قال جاء رجل الي النبي صلي الله عليه وسلم

فقال يا رسول الله

فقال يا رسول الله من احق الناس بصحبتي قال امك ثم امك ثم امك ثم ابوك ثم ادناك فادناك ومنها عنه ايضا انه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه او احدهما ثم لم يدخل الجنة ومنها ما روي عنه ايضا انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لن يجزي ولد والده الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ومنها ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال جاء رجل الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يستاذنه في الجهاد فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد ومنها ما رواه الترمذي انه صلي الله عليه وسلم قال رضي الرب في رضي الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين ومنها ما روي عن ابي الدرداء انه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم الوالد اوسط ابواب الجنة فحافظ ان شئت اوضيع ومنها ما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالي عنه انه قال سالت رسول الله صلي الله عليه وسلم اي العمل احب الي الله تعالي قال الصلاة في وقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله وسيل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال ذلك واصل اليه والاثنين انفع لهم من الاستغفار ولو كان شي افضل منه لامركم به في الوالدين ولو ذكرهما الله سبحانه وتعالي في كتابه العزيز الوصية بالوالدين ومنها ما روي انه صلي الله عليه وسلم قال رضي الله في رضي الوالدين وسخطه في سخطهما ومنها ما روي عن سعيد بن المسيب ان البار بوالديه لا يموت ميتة سوء ومنها ما روي انه رجلا قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم ان ابوايا يلغمان الكبر ان الي منهما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا قال فانهما كانا يفعلان وهما يجبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ومنها ما رواه ابو هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم رغم انف رجل اتي عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم انف رجل ادرك ابويه الكبر فلم يدخلاه الجنة ومنها ما روي ان رجلا شكي الي رسول الله صلي الله عليه وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعاه فاذا هو شيخ يتوكا علي عصي قاله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكي رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع لهذا الا بكي ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكي اليه اخر سوء خلق

امه فقال لم تكن سبية الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها نسبية الخلق قال
لم يكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها نسبية الخلق قال لم يكن كذلك حين لم ترقد
لك ليلها واظلمت لك نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت فابكيها قال فجعت بها على عينك
قال ما جزيتها وعن ابن عمر انه راى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول
انا لها مطية لا تذعرة اذا الركاب نفرت لا تفزره ما حملت وارضعتني اكثره
الله ربي ذو الجلال الاكبره تظنني جزيتها يا ابن عمر قال لا والله ولا زفرة واحدة
وما كان ما ذكر في حق الوالدين عرضا يحذر من التهاون به اشار بقوله تعالى
ربكم اي المحسن اليكم في الحقيقة فانه هو الذي عطف عليكم من يربيكم وهو الذي
اعانهم على ذلك اعلم اي منكل احد بما في نفوسكم من قصد البر بهما وغيره فلا
يظهر احدكم غير ما يبطن فان ذلك لا ينفعه ولا ينجيه الا ان يحمل نفسه على ما يكون
سببا لرحمتهما ان تكونوا صالحين اي متقين محسنين في نفس الامر والصلاح
استقامة الفعل على ما يدعو الدليل اليه واشار تعالى الى انه لا يكون ذلك الا
بمصالحة النفس وترجيعها كرة بعد كرة بقوله تعالى فانه كان للاوابين اي
الراجعين الى الخير مرة اثر مرة بعد جماح انفسهم عنه غفورا اي بالغ الستر بمحو
وقوع منه تقصير فرجع عنه فانه مغفور له والحاصل تعالى على الاحسان للوالدين
بالخصوص هم بالامر بالاحسان لكل ذي قرابة ورحم وغيره بقوله تعالى وآت ذا القربى
من جهة الاب او الام وان بعد حقه والخطاب لكل احد اذ يوتى اقارب به حقوقهم من
صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمعاضدة ونحو ذلك وقيل كانوا
محتاجين ومحاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليه عند ابي حنيفة وقال الشافعي
لا يلزم الا نفقة الولد على والده والولد على والده وقيل المراد بالقرابة قرابة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وآت المسكين حقه وان لم يكن قريبا وآت ابن
السبيل وهو المسافر المنقطع عن ماله ليكون متقيا محسنا وما رغب تعالى في
البذل وكانت النفس قلما يكون فعلها قواما بين الافراط والتفريط اتبع ذلك بقوله
تعالى ولا تبذر تبذيرا بتفريق المال في فاوهو بذله في ما لا ينبغي وقد كانت الجاهلية
تبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله تعالى بالنفقة في وجوه
مما يقرب منه ويزلف اليه وفي قوله تعالى تبذيرا تنبيه على ان الارتفاع تحو
مساحة التبذير اولى منه الهبوط الى مضيق البخل والتقتير والتبذير مرصد اليه في المال

علي حب الهوى وقد سئل بن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير
محله واما الجود وهو اتباع امر الله تعالى في حقوق المال وعن مجاهد لو انفق
الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد
انفق بعضهم نفقة في حيه فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف
في الخير وعن عبد الله بن عمر قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو
يتوضا فقال ما هذا السرف يا سعد قال اني الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر
جار ثم نبه تعالى قبح التبذير باضافته اياه الى افعال الشياطين بقوله تعالى
ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين على طريقتهم او هم اخوانهم واصدقاؤهم
لانهم يطيعونهم فيامرونهم به من الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل
الوعيد ثم انه تعالى بين صفة الشيطان بقوله تعالى وكان الشيطان اي هذا
الجنس البعيد من كل خير المحترق بكل شر لربه اي الذي احسن اليه بايجاده
وتربيته كفورا اي مستمرا على مرة من اياته الظاهرة ونعمته القاهرة مع الحجة
فلا ينبغي ان يطاع لانه لا يدعو الا الى مثل فعله قال بعض العلماء خرجت هذه
الاية على وفق عادة العرب وذلك لانهم كانوا يجمعون الاموال بالنهب والغارة
ثم كانوا ينفقونها في الخيلاء والتفاخر وكان المشركون من قريش وغيرهم ينفقون
اموالهم ليصدوا الناس عن الاسلام وتوهين اهله واعانة اعدائه فنزلت
هذه الاية تنبيها على قبح افعالهم في هذا الباب وقوله تعالى واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها تنزل في مهجع وبلال وصهيب وسالم وخباب
وكانوا يسالون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا
يجد نبي الله عنهم حيا منهم وعيل لانتظار رزق من الله تعالى يرجوه ان ياتيه
فيعطيه فقل لهم اي حالة الاعراض قولا ميسورا اي ذا يسر يشرح صدورهم
ويبسط رجاءهم لان ذلك اقرب الى طريق المتقين المحسنين قال ابو حيان روي
انه عليه الصلاة والسلام كان بعد نزول هذه الاية اذا لم يكن عنده ما يعطي
وسيل قال يقول يرزقنا الله واياكم من فضله انتهى وقد وقع هذه الاية
موضع العذر لان فاقد الرزق يبتغ له فكان العذر سبب الابتغاء والابتغاء سبب عنه
فوضع السبب موضع السبب ثم امر تعالى نبيه بما وصف له عبادة المومنين في الانفاق
في سورة الفرقان بقوله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك

قواما فقال تعالى ولا تجعل يدك اي بالبخل مغلولة اي كانها بالمنع مشدودة
بالغل الى عنقك اي لا تستطيع مدها اي لا تمسك عن الانفاق بحيث تضيق على
نفسك واهلك في وجوه صلة الرحم وسبيل الخيرات والمعنى لا تجعل يدك في انفاقا من
كالمغلولة الممنوعة من الانبساط ولا تبسطها بالبذل كل البسط فتبذر بحيث
لا يبقى في يدك شيء ذكر الحكماء في كتب الاخلاق ان لكل خلق طرفي افراط وتفريط
وهما مذمومان والمعتدل هو الوسط وعن جابر اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا اي قميصا ولم يكن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة
هذا منطق بمحذوف اي اخر سوالك من ساعة ليس لنا فيها درع الى ساعة يظهر
لنا فيها درع فقد اليها فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع
الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وترع قميصه فاعطاه وقعد عريانا
اي في ازار ونحوه فاذن بلال بالصلاة فانتظره فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل
عليه بعضهم فراه عريانا فانزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتعطي جميع ما عندك تنبيه ما ذكرته عن جابر تبعا للكشاف
والبيضاوي والرازي وغيرهم قال الولي العراقي لم اقف عليه وكذا قال الحافظ ابن
حجر وقد يقال من حفظ حجة على من لم يحفظ فتقعد اي توجد كالمتعد ملوما اي
يلومك الرسوخ فيما يلام بسببه عند الله لان ذلك مما نهى الله عنه تفسك وعند
الناس لانه يلوم نفسه واصحابه وايضا يلومونه على تضييع المال بالكلية
محسورا اي منقطعا بك لذهاب ما تقوي به قال الفقال شبه حال من انفق كل
ماله بمن انقطع في سفره بسبب انقطاع مطيته لان ذلك المقدار من المال كانه مطية
تحمل الانسان الى اخر الشهر والسنة كما ان ذلك البعير يحمله ويبلغه الى اخر المنزل فاذا
انقطع ذلك البعير بقي في وسط الطريق عاجزا متحيرا فكذلك الانسان اذا انفق مقدار
ما يحتاج اليه في مدة شهر بقي في وسط ذلك الشهر عاجزا متحيرا ومن فعل ذلك لحقته
اللوم من اهله والمحتاجين الى انفاقه عليهم بسبب سوء تدبيره وترك الجزم في امر
معاشه ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ان ربك اي المحسن اليك يبسط
الرزق اي يوسعه لمن يشا البسط دون غيره ويقدر اي يضيقه سوا قبض يده
ام يبسطها لان الرب هو الذي يربي المربوب بما يقوم باصلاح بهيمانه ويرفع درجاته

على مقتدر

على مقدار الصلاح في الصواب فيوسع الرزق على البعض ويضيقه على البعض
لان ذلك هو الصلاح قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
ولكنه ينزل بقدر ما يشا انه كان بعباده خبيرا اي بالغ الخبر بصيرا اي بالغ
البصر بما يكون من كل من القبض والبسط لهم مصلحة ومفسدة فالتفاوت
في انما هو لرعاية المصالح لا لمجرد البخل بل لاجل رعاية مصلحة لا يعلم بها الا الله فسبحان
المتصرف في عباده كيف شا وما اتم سبحانه وتعالى الوصية بالاصول وما يتبع ذلك
اوصى بالفروع بقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم فذكرهم بلفظ الواحد الذي
هو داعية الى الحنو والعطف خشية املاق اي فقر متوقع لم يقع بعد ثم وصل
بذلك استينافا فقوله تعالى نحن نرزقهم وايكم تعليل محذوف اي فلا تقتلوهم
مترقبا منهم الانفاق عليهم ثم علل تعالى ذلك بما هو اعم منه فقال تعالى ان قتلهم اي
مطلقا لهذه او لغيره كان خطا اي اثما كبيرا اي عظيما وقرا ابن كثير بفتح الطا وبعدها
بعدها الف متصلا وقرا ابن ذكوان بفتح الخا والطا ولا مد بعد الطا والباقون
بكسر الخا وسكون الطا قال الزمخشري الخطا بكسر ثم سكون لا يكون الا تعمد الجناية
الصواب والخطا اي محركا قد يكون من غير تعمد وانما وجب بر الاولاد لامور احدها
انهم في غاية الضعف ولا كافل لهم غير الوالدين واغا وجب بر الوالدين مكافاة
لما صدر منهما من انواع البر الى الولد الثاني ان امتناع الاباء من البر بالاولاد يفتح باب
خراب العالم الثالث ان قرابة الولادة قرابة الجزوية والبعضية وهي من اعظم
الموجبات للمحبة فلو لم تحصل المحبة دل ذلك على غلظ شديد في الروح وقوة
في القلب وذلك من اعظم الاخلاق الذميمة فرغب الله تعالى في الاحسان الى الاولاد
ازالة لهذه الخصلة الذميمة وغير تعالى بالاولاد ليشمل الاناث فان العرب كانوا
يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب اقدامهم
على النهب والغارة وايضا كانوا يخافون انهن بعد كبرهن تفقد الكفاوة فيحتاج جون
الى تكاهت من غير الكفا وفي ذلك عار شديد فنهاهم الله تعالى عن ذلك فان
الموجب للرحمة والشفقة هو كونه ولدا وهذا المعنى وصف مشترك بين الذكور
والاناث واما ما يخاف من الفقر في البنات فقد يخاف مثله في الذكور في حال الصغر
وقد يخاف ايضا في العاجزين من البنين وكما انه سبحانه وتعالى يفتح ابواب الرزق
على الذكور فكذلك على الاناث وملاك في قتل الاولاد خطا من البخل وفي فعل الزنا خاع

من الاسراف اتبعه به فقال تعالى ولا تقربوا الزنا اذ بين قرب ولو بفعل شيء من مقاماته وانما اتى تعالى بالقرب ان تعظيما له لما فيه من المفاسد الجارة الى القتل بالقتل وتضييع النسب والتسبب في ايجاد نفس باليا طل وغير ذلك ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله تعالى موكدا ابلاغا في التنفير عنه بما للنفس منه نزعة الداعية اليه انه كان فاحشة اي فعلة ظاهرة القبح زايدته وقد نبه الله تعالى عن الفحشاء في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء ومساء اي وبيس الزنا سبيلا اي طريقا طريقه ثم نهى سبحانه وتعالى عن القتل مطلقا عن التقييد بالاولاد بغير حق بقوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله بالاسلام والعهد الا بالحق وهو المبيح للقتل من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث رجل كفر بالله من بعد ايمانه وزنا بعد احصانه او قتل نفسا بغير حق ومثل انتقال المسلم من دين الاسلام الى دين الكفر انتقال الكافر من دين الى دين اخر سواء كان ذلك الدين يقر عليه ام لا ومن ذلك قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر وقوله تعالى انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا واختلف الفقهاء في اشياء غير ذلك منها ان تارك الصلاة كسلا هل يقتل فعند الشافعي يقتل بشروط معلومة وعند ابي حنيفة لا يقتل التارك كالزاني ومنها ان عمل اللواط هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجب قتل الفاعل كالزاني وعند ابي حنيفة لا يوجب ومنها ان الرامي اذا قال قتلت فلانا بسحري عمدا هل يوجب القتل فعند الشافعي يوجب وعند ابي حنيفة لا يوجب ومنها ان القتل بالمثقل هل يوجب القصاص فعند الشافعي يوجب وعند ابي حنيفة لا يوجب ومنها الامتناع من اداء الزكاة هل يوجب القتل اختلفوا فيه في زمان ابي بكر ومنها اذا اتيا ان البهيمة هل يوجب القتل فعند اكثر الفقهاء لا يوجب وعند قوم يوجب ولكل منهم ذكر ادلة يستدل بها رضي الله تعالى عنهم اجمعين ثم قال تعالى ومن قتل مظلوما اي باي ظلم كان من غير ان يرتكب ما يبيح قتله فقد جعلنا لوليه اي سواء كان قريبا ام بعيدا سلطانا اي امر متسلطا وقوله تعالى فلا يسرف في القتل قراءة حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب اي ايها الولي والباقون بالياء على الغيبة اي الولي وسمي الاسراف بوجوه الاول ان يقتل القاتل وغير القاتل وذلك ان اولياء المقتول كانوا اذا قتل واحد من قبيلة شريفة قتلوا خلقا من القبيلة الدنية

فنهى الله تعالى

قتلي الله تعالى عنه وحكم بقتل القاتل وحده فان الجاهلية كانوا يقصدون اشرف القبايل ثم يقتلون منهم قوما معينين ويتركون القاتل الثالث الاسراف هو ان لا يكتفي بقتل القاتل بل يقتله ثم يمثل به ويقطع اعضاءه قال القفال ولا يبعد حمله على الكل لان حمله على هذه المعاني مشتركة في كونها اسرافا واختلف في مرجع الهاء التي ما في قوله تعالى انه كان منصورا فقال مجاهد راجعة الى المقتول في قوله تعالى ومن قتل مظلوما اي ان المقتول منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الاخرة بتكفير خطاياه وايجاب النار لقاتله وقال قتادة راجعة لولي المقتول اي انه منصور على القاتل باستيفاء القصاص او الدية فليكتف بهذا القدر ولا يطمع في الزيادة وقيل راجعة الى القاتل الظالم اي ان القاتل يكتفي منه باستيفاء القصاص ولا يطلب منه زيادة لانه منصور من عند الله تعالى في تحريم طلب الزيادة منه او انه اذا عوقب في الدنيا بان يقتص منه فقد نصر في الاخرة وقيل راجعة الى الدم وقيل الى الحق ولما ذكر تعالى النهي عن اتلاف النفوس اتبعه بالنهي عن اتلاف الاموال لان اعز الاشياء بعد النفوس الاموال واحق الناس بالنهي عن اتلاف اموالهم هو اليتيم لانه لصغره وضعفه وكمال عجزه يعظم ضرره باتلاف ماله فلهذا السبب خصهم الله تعالى بالنهي عن اتلاف اموالهم بقوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم عبر بالقربان الذي هو قبل الاخذ تعظيما للمقام فهو ابلغ من قوله تعالى ولا تاكلوها اسرافا وبدارا وفي تفسير قوله تعالى الا بالتي هي احسن وجهان الاول الا بالتصرف الذي فيه صلاحه ويكثره الثاني روي عن مجاهد عن ابن عباس انه قال اذا احتاج الولي الى مال اليتيم اكل بالمعروف واذا ايسر قضاه فان لم يوسر فلا شيء عليه والولي فيبقي ولايته على اليتيم حتى يبلغ اشده وهو ايناس الرشد منه بعد بلوغه كما بين تعالى ذلك في اية اخرى وهو قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولما نهى سبحانه وتعالى عن ثلاثة اشياء وهي الزنا والقتل واكل مال اليتيم اتبعها بثلاثة اوامر الاول قوله تعالى واوفوا بالعهد اي اذا عاهدتم الله تعالى على فعل المامورات وترك المنهيات او الناس على فعل او قول جايز وفي تفسير قوله تعالى ان العهد كان مسئولا وجوه الاول ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسال القرية ثانيها ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من المعاهدات لا يضيعه ويفي ثالثها ان يكون هذا تخييلا كما كان يقال للعهد

لم نكثت وهلا او في بكره تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت وكقوله تعالى
لعيسى عليه السلام والانكار على غيره الامر الثاني قوله تعالى واوفوا الكيل
اذا كلتم اي لغيركم فان كلتم لانفسكم فلا جناح عليكم ان نقصتم عن حقكم ولم تفوا
الكيل الامر الثالث قوله تعالى وزنوا اي وزنا ملتبسا بالقسطاس اي ميزان العدل
الذي هو اقوم الموازين وزاد في تاكيد معناه فقال المستقيم دون شيء من الحيف تنبيه
القسطاس رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان الاعجمي اذا استعملته العرب
واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتصريف والتثنية ونحوها صار عربيا وقرا
حفص وحمزة والكسائي بكسر القاف والباقون بضمها ذكر اي الامر العالي الرتبة
الذي اختبرناكم به من الايفاء بالتمام والكمال خير لكم في الدارين الدنيا والاخرة من
التطفيف بالكيل او الوزن من حيث ان الانسان يتخلص بواسطة عن الذكر القبيح
في الدنيا والعذاب الشديد في الاخرة وان ترك اي لكم ان التطفيف واحسن تاويلا
اي عاقبة في الدارين اما في الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراز عن التطفيف عول الناس
عليه ومالت اليه القلوب وحصل له الاستغناء في الزمان القليل وكم رايناه من الفقراء
اشتهر واعتمد الناس بالامانة والاحتراز عن الخيانة انقلبت القلوب عليهم وحصلت
الاموال الكثيرة عندهم واما في الاخرة فالفوز بالثواب العظيم والخلاص من العقاب الاليم
والتاويل وهو تفعيل منا الاول وهو الرجوع وافعل التفضيل هنا لاستعمال النصفة
بارخا العنان اي على تقدير ان يكون في كل منهما خير فهذا المعنى الذي ذكرناه احق بان يختار
والعاقل لا يرضى لنفسه بالدون وما شرح الله تعالى الاوامر الثلاثة عاد الى ذكر النواهي
فنهى عن ثلاثة اشياء اولها قوله تعالى ولا تقف اي لا تتبع ايها الانسان ما ليس لك به علم
من قول او فعل وحاصله يرجع الى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوما وهو قضية كلية
يندرج تحتها انواع كثيرة واختلف المفسرون فيها فقال ابن عباس لا تشهد الا
بما رات عيناك وسمعته اذناك ووعاه قلبك وقال قتادة لا تقل سمعت ولم تسمع ورايت
ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل المراد النهي عن القذف وقيل المراد النهي عن الكذب
وقيل المراد نهي المشركين عن اعتقاداتهم وتقليدا سلافهم لان الله تعالى ينعم
في تلك التقاليد الى اتباع الهوى فقال تعالى ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقيل الفؤاد هو البيت
واصله من العقاد كانه يقال اخلفه وهو في معاني القنية قال صلى الله عليه وسلم من قتل عصفورا

بما ليس فيه حبسه الله تعالى في زعنة الجبال رواه الطبراني وغيره وزعنة
بكون الزاي وفتحها عصاة اهل النار وقال الكميت

ولا اقتفي رمي البرايا بغير ذنب ∴ ولا اقتفي الخواصين ان قضينا

بنا قضينا للمعقول والخواصين ان العقايق واللفظ عام يتناول الكل فلا
معنى للتقييد تنبيه يقال قفوته اثر فلان اقفوه اذا اتبعت اثره وسميت
قافية الشعر قافية لان البيت يعقو البيت وسميت القبيلة المشهورة بالقافية
لانهم يتبعون اثار اقفارهم او اثار اقدام الناس ويستدلون بها على احوال
الناس وقال تعالى ثم قفينا على اثارهم برسلنا وسمي العقاقير قافلة لانه موخر البذ لان
فان شيء تبعه ويقفوه فان قيل ان هذه الاية تدل على منع القياس فانه
لا يفيد الظن والظن مغاير للعلم اجيب بان ذلك عام دخله التخصيص
فان الحكم في الدين بمجرد الظن جايز باجماع الامة وبان المراد بالعلم هو الاعتقاد
الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعيا ام ظنيا واستعماله بهذا المعنى شايع
ذايع وقد استعمل في مسايل كثيرة منها ان العمل بالشهادة عمل بالظن ومنها الاجتهاد
في طلب القبلة ولا يفيد الا الظن ومنها قيم المتلفات وارش الجنايات لا سبيل فيها
الا بالظن ومنها بعث الحكمين في الشقاق قال تعالى وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها وحصول ذلك الشقاق مظنون لا معلوم ومنها الحكم
على الشخص المعين بكونه مومنا مظنون وبنيني على هذا الظن احكام كثيرة مثل حصول
التوارث ومنها الدفن في مقابر المسلمين ومنها الاعتماد على صدق الاحد قاوعداوة
الاعداكلها مظنونة وبنا الامر على تلك الظنون وقال صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر
والله يتولى السراير وذلك تصريح بان الظن معتبر فبطل قول من يقول لا يجوز بنا الامر
على الظن ثم علل تعالى النهي نحو فا بقوله تعالى ان السمع والبصر وعما طريقا الادراك هم
والفواد الذي هو آلة الادراك ثم عول تعالى الامر بقوله تعالى كل اولئك هذه الاشياء الوظيفة
العالية المنافع البديعة التكوين تنبيه اولى وجميع اسما الاشارة يشار بها للعاقل
وغيره كقول الشاعر

ثم المنازل بعد منزلة اللوى ∴ والعيش بعد اولئك الايام

يجوز في ثم فتح الميم وكسرها وضمها وقوله بعد منزلة اللوى اي بعد مفارقتنا والاضافة
في منزلة اللوى للبيان وهو محدود وكتب قصره هنا للضرورة والعيش عطف على المنازل

والايام صفة لاسم الاشارة فتطلق بيان له كان عنه اي يوعد لاخلق فيه مسيولا
بسوال يخصه تنبيه ظاهر الاية يدل على ان الجوارح مسيولة وفيه وجوه
الاول معناه ان صاحب السمع والبصر والفواد وهو المسيول لان السوال لايصح الا ممن
كان عاقلا وهذه الجوارح ليست كذلك بل العاقل الفاهم هو الانسان كقوله تعالى
واسيل القرية اي اهلها والمعنى انه يقال للانسان لم سمعت مالم يحل سماعه ولم
نظرت مالم يحل نظره ولم عزمت على مالم يحل لك العزم عليه الثاني ان تقدير الاية ان
اولئك الاقوام كلهم مسيولون عن السمع والبصر والفواد فيقال لهم لم استعملتم السمع فيما
ذا في الطاعة ام في المعصية وكذا القول في بقية الاعضاء وذلك لان الحواس الاة النفس
والنفس كالامير لها والمستعمل لها فيما فان استعملها في الخيرات استوجب الثواب
وان استعملها في المعاصي استحق العقاب الثالث ان الله تعالى يخلق الحياة في الاعضا
ثم انها تقال لقوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون
فكذلك لا يبعد ان يخلق العقل والحياة والنطق في هذه الاعضاء ثم انها تسال روي عن
شكل بن حميد قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا نبي الله علمني تعويذا
اتعوذ به فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر
قلبي ومن شر منيي قال فحفظتها فاسعد المعنى ماوة النبي الثالث قوله تعالى ولا تمش في الارض
اي جرها مرحا اي ذا مرح وهو شدة الفرح والمراد من الاية النهي عن ان يمشي الانسان
مشيا يدل على الكبر والعظمة قال الزجاج ولا تمش في الارض تختالا فخورا او تقدير
قوله تعالى في سورة الفرقان وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقال
تعالى في سورة لقمان واقصد في مشيك واغضض من صوتك وقال تعالى يزفون ولا
تمش في الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور ثم علل تعالى النهي عن ذلك بقوله
تعالى انك لن تخرق الارض اي تقطعها حتى تبلغ اخرها بكبرك ولن تبلغ الجبال طولا
اي تتطاول وهو تهكم بالمختال لان الاختيال احاقة مجردة لا يفيد شيا في الذي
وفي ذلك اشارة الى ان العبد ضعيف لا يقدر على خرق الارض ولا وصول الى جبال
تحوط به من فوقه وتحته بنوعين من المخلوقات وهو اضعف من ما بكبير والضعيف
المحصور لا يليق به التكبر كما قيل له تواضع ولا تتكبر فانك خلق ضعيف من خلق الله
محصور بين جارة وتراب فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل فكر ذلك لان مشي
خيلاء يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض

ان مشيت

ان مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا ان مشيت على صدور قدميك قال علي
رضي الله تعالى عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفا تكفيا كانما ينحط
من صبب وروي ابو هريرة رضي الله تعالى عنه قال ما رايت احسن من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري من وجهه وما رايت احد اسرع في مشيه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه غير مكترث
وقوله تعالى كل ذلك اشارة الى ما نهي عنه مما تقدم فان الذي تقدم من بيان وما مورات
وجملة ذلك من قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها الى هنا خمسة وعشرون وهاانا اسردها
لك ترسيلا عليك فاولها لا تجعل مع الله الها اخر وثانيها وثالثها وقضى ربك ان لا تعبدوا
الا اياه لاشتماله على تكليفين الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن عبادة غيره ورابعها
وبالوالدين احسانا خامسها فلا تقل لهما اف سادسها ولا تنهرهما سابعها وقل لهما قولا
كريما ثامنها واخفض لهما جناح الذل من الرحمة تاسعها وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا
عاشرها وات ذا القربى حقه حادي عشرها والمسكين ثاني عشرها وابن السبيل ثالث
عشرها ولا تبذر تبذيرا رابع عشرها فقيل لهم قولا بيسورا خامس عشرها ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك سادس عشرها ولا تبسطها كل البسط سابع عشرها ولا تقتلوا اولادكم
ثامن عشرها ولا تقتلوا النفس تاسع عشرها ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه
سلطانا عشرونها فلا يسرف في القتل حادي عشريها واوفوا الكيل ثالث عشريها وزنوا
بالقسطاس المستقيم رابع عشريها ولا تقف ما ليس لك به علم خامس عشريها ولا تمش في الارض
مرحا فكل هذه تكليفات بعضها اوامر وبعضها نواهي فالمنهي عنه هو الذي قال تعالى فيه
كان سيئة عند ربك مكروها اي يبغضه والعاقل لا يفعل ما يكرهه المحسن اليه وقرا
نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الهمزة وبالتاء منونة منصوبة وقرا الباقون بضم الهمزة
والهاء مضمومة من غير تنوين والمعنى على هذا ظاهر اي ان سيء تلك الاقسام يكون
مكروها واما على القراة الاولى فسيئة خبر كان وانث حملا على معنى كل ثم قال مكروها حملا
على لفظها وقال الزمخشري ان السيئة في حكم الاسامة له الذنب والاثم زال عنه حكم الصفة
فلا اعتبار بتانيثه ولا فرق بين سيئة وسيات الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول
المرقة سيئة فلا يفرق بين اسنادها الى مذكر ومونث وفي نصب مكروها اوجه احدها
انه خبر ثان لكان الثاني انه بدل من سيئة وضعف بان البدل بالمشتق قليل الثالث انه
حال من الضمير المستتر في عند ربك لوقوعه صفة لسيئة الرابع انه نعت لسيئة والمذكر

لان تانيثه تانيث موصوفه مجازي وردبان ذلك انما يجوز حيث اسند الي المؤنث
المجازي اما اذا اسند الي ضميره فلا نحو الشمس طالعة فلا يجوز طالع وقوله تعالي ذلك
اشارة الي الاحكام المتقدمة في الاوامر والنواهي مما اوحي اليك يا اشرف الخلق بكل
اي المحسن اليك منه الحكمة التي هي معرفة الخلق لذاته والحق للعمل به وانما سميت هذه
الامور حكمة لوجوه الاول ان حاصلها يرجع الي الامر بالتوحيد وانواع الطاعات و
والخيرات والاعراض عن الدنيا والاقبال علي الاخرة فالاتي بمثل هذه الشريعة لا يكون
داعيا الي دين الشيطان بل الفطرة الاصلية تشهد بانه يكون داعيا الي دين الرحمن الثاني
ان هذه الاحكام المذكورة في هذه الايات شرايع واجبة الرعاية في جميع الملل والاديان ولا
تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بين هذا الاعتبار الثالث ان الحكمة عبارة عن
معرفة الحق لذاته والخير للعمل به كما مر فالاشارة اليه فامر بالتوحيد عبارة عن
القسم الاول وسايد التكاليف عبارة عن تعليم الخيرات حتي يواظب عليها ولا يخرج عنها
فثبت ان الاشيا المذكورة من هذه الايات عين الحكمة وعن ابن عباس رضي الله تعالي
عنهما ان هذه الايات كانت في الواح موسي عليه السلام وجعل سبحانه وتعالي ما ختمها قوله
تعالي ولا تجعل مع الله الها اخر وختمها قوله تعالي فلا تجعل مع الله الها اخر فتلقي فيها ملوما
ان التوحيد مهد الامور ومنتهاه وان من قصد بعقله وترك غيره متاع سعيه
وانه راس الحكمة وملاكها ورتب عليه ما هو عايدة الشرك في قوله تعالي ولا تجعل
مع الله الها اخر في الدنيا وثانيا ما هو نتيجة في العقبي فقال فتلقي من الالقاء فيه وعدم
القدرة علي التدارك فعل من عال الحال كونك ملوما اي تلوم نفسك مدحورا
اي مبعدا من رحمة الله تنبيه ذكر سبحانه وتعالي في الاية الاولي بقوله تعالي
مذموما مخذولا وفي هذه ملوما مدحورا والفرق بين الذم واللوم هو ان يذكر له
ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح وهذا معني كونه مذموما ثم يقال له فعلت هذا
الفعل القبيح وما الذي حملك عليه فهذا هو اللوم فاول الامر يصير مذموما واخره يصير
ملوما والفرق بين المخذول والمدحور هو ان المخذول عبارة عن الضعيف يقال
خاذلت اعضاؤه اي ضعفت والمدحور هو المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف
والاهانة فكونه مخذولا عبارة عن ترك اعانته وتقويته اي نفسه وكونه مدحورا
عبارة عن اهانته فيصير اول الاوامر مخذولا واخره مدحورا وقوله تعالي افاصفاكم
ربكم بالبنين خطاب للذين قالوا الملايكة بنات الله والهمزة للانكار اي اخصكم ربكم علي

وجه الخلوص والصفا بافضل الاولاد وهم البنون ولم يجعل فيهم نصيبا لنفسه
واتخذ من الملايكة اناثا اي بنات لنفسه وهذا خلاف ما عليه معتقدكم وعادتكم
فان العبيد لا يستاثرون باجود الاشيا واصفيها من النوع ويكون ارذاها
وادنيها للسادات انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه لان اثبات
الولد يقتضي كونه تعالي مركبا من الاجزا والابعاض وذلك يقدح في كونه قديما
واجب الوجود لذاته وايضا فبتقدير ثبوت الولد فقد جعلوا الاشرف القسمين
لانفسهم واخس القسمين لله تعالي وهذا جهل عظيم وايضا جعلوا الملايكة
البنين من اشرف خلق الله الذين منهم من يقدر علي حمل الارض وقلب اسفلها
علي اعلاها اناثا في غاية الوقاحة والمكابرة في هذا من البيان ما لا يخفي علي انسان
ولم يرجعوا الاشارة الي ان لهم مثل هذا الاعراض عن امثال هذا البيان فقال تعالي
ولقد صرفنا اي بينا بيانا عظيما بانواع طرق البيانات من العبر والحكم والامثال
والاحكام والاعلام في فنون الوعد والوعيد والامر والزجر والمحكم والمتشابه
الي غير ذلك في هذا القرآن اي في مواضع منه من الامثال كما قال تعالي ولقد صرفنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل قيل لفظة في زايدة كما في قوله تعالي واصلح
لي في ذريتي ورد بان في لا تزاد وما ذكر متاول كما ياتي ان شا الله تعالي في الاحقاف
والتصريف لغة صرف الشي من جهة الي اخري ثم صار كناية عن التبيين قاله ابو حيان
وقوله تعالي ليذكروا متعلق بصرفنا وقرا حمزة والكسائي بسكون الذال ورفع الكاف
من غير تشديد من الذكر الذي هو بمعني التذكر والباقون بفتح الذال والكاف مع
تشديدهما وما يزيدهم اي التصريف الا نفورا اي تباعدا عن الحق وقلة طمانينة
اليه وعن سفيان كان اذا قراها قال زادني لك خضوعا ما زادا عدايك كفورا ثم قال
تعالي لنبيه صلي الله عليه وسلم قل اي لهولا المشركين ولاتباعهم من روسا قريش لو كان معه الهة كما تقولون من هذه الاقوال التي لو قالها اعظمكم في حق ادناكم وهو
يريد بها حقيقتها لصار ضحكة للعباد اذا لابتغوا اي طلبوا طلبا عظيما الي ذي العرش
اي صاحب العرش الاعظم المحيط الذي منه ناله كان متفردا بالتدبير سبيلا اي طريقا
سالكا يتوصلون به اليه ليقهروه ويزيلوا ملكه كما تفعل ملوك الدنيا بعضهم
مع بعض وليتخذوا عنده يدا يقربهم اليه وقرا ابن كثير وحفص بالياء علي الغيبة والباقون
بالتا علي الخطاب وادغم ابو عمرو الشين من العرش في السين بخلاف عنه ثم نزه سبحانه وتعالي

بنفسه فقال عز من قايل سبحانه اي تنزه التنزيه الاعظم عن كل شايبة نقص
وتعالي اي علا اعلا العلو بصفات الكمال عما يقولون اي من هذه النقايص التي
لايرضاها لنفسه احد من عقلا خلقه علوا اي تعاليا كبيرا اي متباعدا غاية
البعد عما يقولون فانه تعالي في اعلا مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقا
لذاته تنبيه جعل العلو مصدر التعالي ومصدره تعاليا كما قدرته فهو المراد
ونظيره قوله تعالي والله انبتكم من الارض نباتا فان قيل ما الفايدة في
وصف ذلك العلو بالكبير اجيب بان المنافاة بين ذاته وصفاته سبحانه
وبين ثبوت الصاحبة والولد والشركا والاضداد والاندادمنافاة بلغت في القوة
والكمال الي حيث لاتقبل الزيادة عليها الان المنافاة بين الواجب لذاته والممكن
لذاته وبين القديم والمحدث وبين الغني والمحتاج منافاة لاتقبل الزيادة عليها فلهذا
السبب وصف الله تعالي ذلك العلو بالكبير وقرا حمزة والكسايي بالتا علي الخطاب والباقون
بالياء علي الغيبة ثم استانف تعالي ببيان عظمة هذا التنزيه مقررا ومايا لوصف بالكمال
فقال تسبح اي يوقع التنزيه الاعظم له اي الاله الاعظم الذي تقدم وصفه بالجلال
والاكرام خاصة السموات السبع والارض اي السبع ومن فيهن من ذوي العقول وان
اي وما واغرق في النفي فقال من شيء اي ذي عقل او غيره الا يسبح بحمده اي يقول سبحان الله
العظيم وبحمده اي يقول سبحان الله وبحمده وقال ابن عباس وان من شيء حي الا يسبح
وقال قتادة يعني الحيوانات والنامیات وقال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة تسبح
وعن المعتمر بن علي الرازي يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح والورقة تسبح مادام من
جاريا علي الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح والماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد
ترك التسبيح والثوب يسبح مادام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح وقال السيوطي في جواب
سوال عن ذلك قد خصصت اية الاسراء بمنطوق وصف الحياة كوطيب الزرع والشجر
فيابس مات لاتسبيح منه كذا مازاد عنه موضع كالقطع للحجر وقال ابراهيم التيمي وان
من شيء جماد وحي الا يسبح بحمده حتي صرير الباب ونقيض الثلج وقال مجاهد
كل الاشيا تسبح لله حيوانا كان او جمادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده يدل علي ذلك
ما روي عن ابن مسعود كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله
صلي الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال صلي الله عليه وسلم اطلبوا فضلة من ماء فجاوا
باناء فيه ماء قليل فادخل يده صلي الله عليه وسلم في الاناء ثم قال حي علي الطهور المبارك

والبركة من الله فلقد راينا الماء ينبع من بين اصابعه صلي الله عليه وسلم ولقد كنا
نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل وعن جابر ابن سمرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
قال ان بمكة حجرا كان يسلم علي ليالي بعثت اني لاعرفه الان وعن ابن عمر انه صلي الله عليه
وسلم كان يخطب الي جذع فلما اتخذ له المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح يده عليه وفي
رواية فنزل فاحتضنه وساره بشيء تقي هذه الاحاديث دليل علي ان الجماد يتكلم وانه
يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوي العقلا
بلسان الحال حيث تدل علي الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكانها تنطق بذلك وتصير
لها بمنزلة التسبيح قال البغوي والاول هو المنقول عن السلف وقال ابن الخازن القول الاول
اصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف قال البغوي واعلم ان الله تعالي
علم في الجمادات لايقف عليها غيره فينبغي ان يوكل علمه اليه ولكن لاتفقهون اي تفهمون
تسبيحهم اي لانه ليس بلغتكم انه كان حليما غفورا ولما ذكر سبحانه وتعالي اثبات الالهية
اتبعه بذكر تقرير النبوة بقوله تعالي واذا قرات القران اي الذي لايدانيه
ولايساويه معهم وهو تبيان لكل شيء جعلنا اي بما لنا من العظمة بينك وبين الذين
لايومنون بالاخرة حجابا مستورا اي يجب قلوبهم عن فهم ما تقراه عليهم والانتفاع به قال
قتادة هو الاكنة والمستور بمعني الساتر كقوله تعالي كان وعده ماتيا مفعولا بمعني فاعلا
وقيل مستورا عن اعين الناس فلا يرونه وقرع يعقوب في النجاب عن الاعين الطاهرة
كما روي عن سعيد بن جبير انه لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت امراة ابي لهب ومعها حجر
والنبي مع ابي بكر فلم تره فقالت لابي بكر اين صاحبك لقد بلغني انه يهجاني فقال والله
ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جيت بهذا الحجر لارضخ به راسه
فقال ابو بكر ما رات يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني وبينها يستتر مني وجعلنا
اي بما لنا من العظمة علي قلوبهم اكنة اي اغطية كراهة ان يفقهوه اي يفهموا القران
حق فهمه وفي اذانهم وقرا اي شيا ثقيلا يمنع سماعهم وعن اسماء كانت رسول الله صلي الله
عليه وسلم جالسا ومعه ابو بكر اذا قبلت امراة ابي لهب ومعها فهر تريد الرسول صلي
الله عليه وسلم وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا فقال ابو بكر
يا رسول الله معها فهر اخشاها عليك فتلي رسول الله صلي الله عليه وسلم هذه الاية فجاءت
ولم تر رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالت اني راية قريبا قد علمت اني ابنة سيدها
وان صاحبك لمجاني فقال ابو بكر لا ورب الكعبة ورب هذا البيت ما يجاك وروي ابن عباس

ان اباسفيان والنضر بن الحارث واباجهل وغيرهم كانوا يجالسون النبي
صلي الله عليه وسلم ويسمعون حديثه فقال النضر يوما ما ادري ما يقول محمد
غير انني اري شفتيه يتحركان بشيء وقال ابو سفيان اني لا ارى بعض ما يقول
الا احقا وقال ابوجهل هو مجنون وقال ابولهب هو كاهن وقال حر بن خطيب بن عبد العزي
هو شاعر فنزلت هذه الاية وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا اراد تلاوة القرآن
قرأ قبلها ثلاث ايات وهي في سورة الكهف وجعلنا علي قلوبهم اكنة ان يفقهوه
وفي اذانهم وقرا وفي الفعل وليكه الذين طبع الله علي قلوبهم وفي خم الجاثية افرايت
من اتخذ الهه هواه الي اخر الاية فكان الله يحجبه ببركة هذه الايات عنه عيون المشركين
واذا ذكرت ربك اي المحسن اليك واليوم في القرآن وحده اي مع الاعراض عنه انتهى
كان قلت وانت تتلو القرآن لا اله الا الله تنبيه في نصب وحده وجهان
احدهما انه منصوب علي الحال وان كان معرفة لفظا لانه في قوة النكرة اذ هو
في معني منفردا والثاني انه منصوب علي الظرف ولوا علي ادبارهم نفورا
اي هربا من استماع التوحيد تنبيه في نفورا وجهان احدهما مصدر من
غير اللفظ موكد لان التولي والنفور بمعني والثاني انه حال من فاعل ولوا وهو
جمع نافر كقاعد وقعود وشاهد وشهود والضمير في ولوا يعود علي
الكفار وقيل يعود الي الشياطين وان لم يجر لهم ذكر قال المفسرون ان القوم
كانوا عند استماع القرآن علي اقسام منهم من كان يلهو عند استماعه روي
انه عليه الصلاة والسلام كان يوما يقرأ القرآن قام عتبة ويأره اخوان من ولد
قحي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار ومنهم من كان اذا سمع
من القرآن ما ليس فيه ذكر الله تعالي يعوا ميهوتين لا يفهمون منه شيأ ومنهم من
سمع ايات فيها ذكر الله وقد المشركين ولو نفورا وتركوا ذلك المجلس وملكا لو اريد بما
ادعوا السمع والفهم فشكوا بعضهم لم يرسخ ايمانه اتبعه تعالي بقوله تعالي نحن
اعلم اي من كل عالم بما يستمعون اي به الفوت في الاصغاء والميل كقصد السمع به من
الاذان والقلوب او بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اي يصغون
بجهرهم اليك اي الي قراءتك واذ اي حين هم ذو نجوي اي يتناجون اي يرفع كل منهم
بسره الي صاحبه بعد اعراضهم عنك الاستماع ثم ذكر تعالي ظرف النجوي بقوله تعالي اذ
وهو بدل من اذ يقول الظالمون وبقولهم ان اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا اي

مغلوبا

اي مغلوبا علي عقله روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم امر عليا ان يتخذ طعاما
ويدعو اليه اشراف قريش من المشركين ففعل ذلك ودخل عليهم رسول الله صلي الله
عليه وسلم وقرأ عليهم القرآن ودعاهم الي التوحيد وقال قولوا لا اله الا الله حتي تطيعكم
العرب وتدين لكم العجم فابوا عليه ذلك وكانوا عند استماعهم من النبي صلي الله عليه
وسلم القرآن والدعوي الي الله تعالي يقولون ان تتبعون الا رجلا مسحورا فان قيل
انهم لم يتبعوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فكيف يصح ان يقولوا ان تتبعون الا
رجلا مسحورا اجيب بان معناه وان اتبعتموه فقد اتبعتم رجلا مسحورا وقرأ
ابو عمرو وابن ذكوان وعاصم وحمزة بكسر النون في الوصل والباقون بالضم ثم قال تعالي
انظر كيف ضربوا اي هؤلاء الضلال لك الامثال التي هي ابعد شيء من صفتك من
قولهم كاهن وساحر وشاعر ومعلم ومجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا
اي فتسبب عنه ذلك انهم لا يستطيعون سبيلا اي وصولا الي طريق الحق وملاجرته
عادة القرآن باثبات التوحيد والنبوة والمعاد وقدم الدلالة علي الاولين وختم
باثبات جهلهم في النبوة مع ظهورها اتبع ذلك امرا جليا في ضلالهم عن السبيل في امر
المعاد وقرره غاية التقرير وحرره اتم تحرير فقال تعالي معجبا منهم وقالوا اي المشركون
المنكرون التوحيد والنبوة والبعث مع اعترافهم بان ابتداء خلقهم ومشاهدتهم في كل
وقت انما هي بخلق الارض بعد موتها وقولهم اذا استفهام انكاري كأنهم علي ثقة من عدم
ما ينكرونه والعامل في اذا فعل مدلول لفظ مبعوثون لا هو فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها
فالمعني ابعث اذا كنا اي بجملة اجسامنا كونا لا رميما عظاما ورفاتا اي حطاما مكسرا
مفتتا او غبارا وقال الزجاج الرفات التراب وهو قول مجاهد ويؤيده انه قد ذكر في القرآن
ترابا وعظاما ويقال للتبن الرفات لانه دقاق الزرع ايئنا لمبعوثون حال كوننا مخلوقين
خلقا جديدا تنبيه تقرير شبهة هؤلاء الضلال هي ان الانسان جثة اعضاؤه
وتنائرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت تلك الاجزاء بسائر اجزاء العالم فالاجزاء الترابية
المائية مختلطة بمياه العالم والاجزاء الترابية مختلطة بالتراب والاجزاء الهوائية مختلطة
بالهواء فكيف يمكن اجتماعها باعيانها مرة اخري هذا تقرير شبهتهم اجيب عنها بانها
لا تتم الا بالقدح في كمال علم الله تعالي وفي كمال قدرته فانه تعالي قادر علي كل الممكنات
فهو قادر علي اعادة التاليف والتركيب والحياة والعقل الي تلك الاجزاء باعيانها فمن سلم
كمال علم الله تعالي وكمال قدرته تنزه عنه هذه الشبهة بالكلية ولما كان كانه قيل

بماذا يقال لهم في الجواب فقيل قل لهم يا اشرف الخلق لا تكونوا بهذه الصفة فانا بل كونوا
اصلب التراب حجارة اي هي في غاية اليبس او حديدا اي تراب اعلى يبسا من الحجارة
لشدة اتصال الاجزاء النارية ليس المراد بهذا امر الزام بل المراد انكم لو كنتم كذلك
لما اعجزتم الله تعالى عن الاعادة وذلك كقول القائل اقطع في وانا غلام فيقول لكن
منك شئت كذا بين الخليقة فاطلب منك حقي او خلقا غير ذلك مما يكبر اي يعظم
عظمة كبيرة في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه ابعد شيء منها
فان الله تعالى قادر على اعادة الحياة اليها وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة والكثير
المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس بني ادم شيء اكبر منه الموت اي لو كنتم الموت
بعينه لاميتكم ولابعثتكم وقتل الصواعق والارض والجبال لانها من اعظم
المخلوقات فسيقولون تمادوا في الاستهزاء من يعيدنا اذا كنا كذلك قل الذي فطركم
اي ابتدأ خلقكم اول مرة ولم تكونوا شيأ يصيدكم بالقدرة التي ابتدأكم بها فكما
لم تعجز تلك القدرة عن البداءة فهي لا تعجز عن الاعادة فسينغضون اي يحركون
اليكم رؤسهم تعجبا واستهزاء كانهم في شدة حرصهم على غاية البصيرة من العلم بما
يقولون والنغض والانتفاض تحريك بارتفاع وانخفاض ويقولون استهزاء متى
هو اي البعث والقيامة قال الرازي واعلم ان هذا السؤال فاسد لانهم حكموا باستحالة
الحشر والنشر بناء على الشبهة التي تقدمت ثم ان الله تعالى بين بالبرهان الباهر كونه
ممكنا في نفسه فقولهم متى هو كلام لا تعلق له بالمباحث فانه لما ثبت بالدليل العقلي
كونه ممكن الوجود في نفسه وجب الاعتراف بامكانه فاما انه متى يوجد فذلك لا يمكن
اثباته من طريق العقل بل انما يمكن اثباته بالدليل السمعي فانه اخبر الله تعالى عن ذلك
الوقت المعين عرف والا فلا سبيل الى معرفته لانه تعالى بين في القرآن انه لا يطلع احدا
من الخلق على وقته المعين فقال تعالى ان الله عنده علم الساعة وقال انما علمها
عند ربي وقال تعالى ان الساعة اتية اكاد اخفيها فلا حرج قال تعالى قل عسى ان
يكون قريبا قال المفسرون عسى مني من الله واجب ومعناه انه قريب اذ كل ان قرب
وامال مني وعسى حمزة والكسائي امالة محضة وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح وقوله تعالى يوم يدعوكم بدل من قريبا والمعنى عسى ان يكون
البعث يوم يدعوكم اي بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة كما قال تعالى يوم ينادي
المنادي من مكان قريب وروي ان اسرافيل ينادي ايتها العظام البالية والاوصال
المتفرقة

المتفرقة عودي كما كنتي فتستجيبون اي تجيبون والاستجابة موافقة الداعي فيما
دعي اليه وهي الاجابة الا ان الاستجابة تقتضي طلب الموافقة فهي ابلغ من الاجابة
واختلف في معنى قوله تعالى بحمده فقال ابن عباس بامره وقال سعيد بن
جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لا بحمد وتهم حين لا ينفعهم الحمد وقال قتادة بمعرفته وطاعته وقال
اهل المعاني تستجيبون بحمده اي تستجيبون حامدين كما تقول جاء بقضه اي
جاء غضبانا وركب الامير بسيفه اي وسيفه معه وقال الزمخشري بحمده حال منهم
اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك طلعت تأره بركوب ما يشق عليه
فاي ومن يمتنع سيأتي ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر عليه
قسرا حتى انك تلبس لين المراجع الواعب فيه الحامد عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا
اي مع استجابتكم وطول لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض وعن قتادة تحاقرت
الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة وقال الحسن معناه تقريبا وقت البعث فكانك بالدنيا
ولم تكن وبالاخرة ولم تزل فهذا يرجع الى استقلال مدة اللبث في الدنيا وقيل المراد
استقلال مدة لبثهم في البرزخ القيامة لانه لما كان عاقبة امرهم الدخول في النار استقروا
لبثهم في البرزخ القيامة وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثا المثلثة عند التا المثناة
والباقون بالادغام ولما ذكر تعالى الحجة اليقينية في صحة المعاد وهو قوله تعالى قل الذي
فطركم اول مرة قال تعالى قل يا محمد لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد في اكثر ايات
القرآن مختص بالمؤمنين قال تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول وقال تعالى
فادخلي في عبادي وقال تعالى عينا يشرب بها عباد الله يقول الكفار الذين كفروا الله
يودعهم الكلمة التي هي احسن ولا يكافؤهم على مستهزئهم بل يقولوا لهم يهديكم الله
وكان هذا قبل الامر بالقتال وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمة بعض الكفار فامره
الله تعالى بالعفو وقيل امر المؤمنين بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي احسن وقيل
الاحسن قولوا لا اله الا الله ثم علل تعالى بقوله تعالى ان الشيطان اي البعيد عن الرحمة
المحترق باللعنة ينزغ بينهم اي يفسد ويغري بعضهم على بعض ويوسوس لهم ليقع
بينهم المنازعة والمشاقة واصل النزغ الطعن وهم غير معصومين فيوشك ان يأتوا بما لا
يناسب الحال ثم علل هذه العلة بقوله تعالى ان الشيطان كان اي في قديم الزمان واصل
الطبع كونا هو مجبول عليه عدوا اي بليغ العداوة مبينا اي بين العداوة ثم فسر تعالى

التي هي احسنها علمهم ربهم من القصة بقوله تعالى ربكم اعلم بكم فعلم ان قوله ان
الشيطان الى اخره جملة اعتراضية بين المفسر والمفسر وسكنة ابو عمرو والبيع واخفاها
عند الياء بخلاف عنه وكذا اعلم بمن هو اسناف تعالى اما يشا اي برحمتكم يرحكم اي
بهدايتكم او ان يشا بتعذيبكم يعذبكم اي باضلالكم فلا تحقروا ايها المؤمنون
المتكبرين فتقطعوا بانهم من اهل النار فيعيبوهم وهم يذكر فانه يجري الى غيظ القلوب
فلا فايدة لان الخاتمة مجهولة ولا تجاوزوا بهم ما امر الله به من قول وفعل ثم
رفي الله الخطاب لنبيه اعلاء لمنصبه وراس اهل الشرع ليكون منه دونه اولى بالمعنى منه
فقال تعالى وما ارسلناك اي مع ما لنا من العظمة الغنية عن كل شيء عليهم وكيلا
اي حفيظا وكفيلا تقهرهم على ما يرضي الله وانما ارسلناك على حين ما نامرك به
بتبشيرا وتنذيرا فلا تهتم بامرهم ومراعاتك بمدارتهم وقد مر ان هذا قبل الامر في القتال ولما
امرهم بان ينسبوا الاعلمية اليه تعالى اخبر بما هو اعم منه فقال قاصر الخطاب
على اعلم خلقه بقوله تعالى وربك اي المحسن اليك بات جعلك اكمل الخلق اعلم بمن
في السموات والارض فعلمه غير مقصور عليكم بل متعلق بجميع الموجودات
والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الارضين والسموات فيعلم تعالى حال كل
احد ويعلم ما يليق به من المفاسد والمصالح ويعلم اختلاف صنوفهم واديانهم
واخلاقهم واعمالهم وجميع ما هم عليه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه خافية فيفضل
بعض الناس على بعض على حسب احاطة علمه وشمول قدرته وبعض النبيين على بعض
كما قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين بعض النبيين سواء كانوا مرسلا ام لا
على بعض بعد ان جعلنا كل فضلا لتقوى كل منهم واحاطته فخصصنا كلا منهم بفضيلة
كموسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمد صلى الله عليه وسلم بالاسرا فلا ينكر احد من الذرية
او بني اسرائيل او غيرهم تفضيلنا لهذا النبي الكريم الذي صدرنا السورة بتفضيله
على جميع الخلايق فانا نفعل ما نشاء بما لنا من القدرة التامة والعلم الشامل وقرانا نبي
بالهمزة والباقون بالياء وورش على اصله بعد على الهمزة وبوسط وبقصر واتينا موسى
التوراة وداود زبورا وعيسى الانجيل فلم يبعد ايضا ان نوتي محمدا صلى الله عليه
وسلم القرآن ولم يبعد ان نفضله على جميع الخلق فان قيل ما السبب
في تخصيص داود عليه السلام بالذكر هنا اجيب بوجه الاول انه تعالى
ذكر انه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال واتينا داود زبورا يعني ان داود

اوتي ملكا

اوتي ملكا عظيما ثم انه تعالى لم يذكر ما اتاه من الملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان
الفضل الذي ذكره قبل ذلك المراد منه التفضيل بالعلم والدين بالمال الثاني انه تعالى كتب
في الزبور ان محمدا خاتم الانبياء وان امة محمد خير الامم قال تعالى ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وهم محمد صلى الله عليه وسلم وامته فان
قيل هلا عرفه كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور اجيب بان التنكير هنا يدل
على تعظيم حاله لان الزبور عبارة عن المزبور فكان معناه الكتاب وكان معنى التنكير
انه كامل في كونه كتابا ويجوز ان يكون زبورا علما فاذا دخلت عليه ال كقوله تعالى ولقد
كتبنا في الزبور كانت اللام الاصل كعباس والعباس وفضل والفضل الثالث ان كفار قريش
ما كانوا اهل نظر وجدل بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات واليهود كانوا
يقولون انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله تعالى عليهم كلامهم
بانزال الزبور على داود وروى البخاري في التفسير عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال خفف على داود القرآن فكان يامر بدابته لتسرج فكان يقرأ قبل ان يفرغ اي القرآن
قال البقاعي ومن اعظم المناسبات لتخصيص داود عليه السلام وزبور بالذكر هنا ذكر
البيت الذي هذا مقامه فيه مرجانا وكذا ذكر النار مع تلو التوراة عند ذكر اما البيت فلا ذكر
له فيها اصلا واما النار فلم يذكر شيء مما يدل عليها الا الجحيم في موضع واحد واما الزبور
فذكر فيه النار والهاوية والجحيم في غير موضع انذري وقرا حمزة بضم الزاي والباقون بالفتح
واختلف في سبب نزول قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم انهم الهة من دونه
اي من سواه كالملايكة وعزير والمسيح وقرانافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم
والكسائي بضم اللام من قل وكسرها عاصم وحمزة كل هذا في حال الوصل واما الابتدا فالجميع
ابتدا بهمزة مضمومة فلا يملكون كشف الضر اي اليوس الذي من شانه ان يمرض الجسم كله
عنكم حتى لا يدعو شيا منه ولا تحويلا له الى غيركم فقال ابن عباس انها نزلت في الذين
عبدوا المسيح وعزيرا والملايكة والشمس والقمر والنجوم وقيل ان قوما عبدوا نفرا
من الجن فاسلم النفر من الجن وبقي اولئك القوم متمسكين بعبادتهم فنزلت فيهم هذه الاية
وقيل ان المشركين اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم ليدعو لهم فنزل قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم انهم الهة من دونه
وليس المراد الاصنام لانه تعالى قال في وصفهم اولئك الذين يدعون اي يدعو تهم الكفار
ويتالهونهم يبتغون اي يطلبون طلبا عظيما الى ربهم اي الحضرة الوسيلة اي المنزلة

والدرجة والقربة لاعمالهم الصالحة وابتغاء الوسيلة الي الله تعالي لايليق بالاصنام البتة
وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة والكسائي بضم الهاء والميم وقرا الباقون بكسر الهاء
وضم الميم تنبيه اولئك مبتدا وخبره يبتغون ويكون الموصول نعتا او بيانا او بدلا
والمراد باسم الاشارة الانبياء والملائكة الذين عبدوا من دون الله والمراد بالواو العباد
لهم ويكون العايد علي الذين محذوفا والمعني اولئك الانبياء الذين يدعونهم المشركون الكفرة
هم يبتغون الي ربهم الوسيلة ايهم اقرب اي يبتغون بالاعمال الصالحة من يطلب
كل منهم ان يكون اليه اقرب ولديه افضل ويرجون رحمته رغبة فيما عنده ويخافون
عذابه فهم كغيرهم موصوفون بالعجز والحاجة فكيف يدعونهم الهة وقيل معناه ان
الكفار يظنون انهم اقرب الي الله تعالي فيتوسلون به ثم علل خوفهم بامر عام يقوله
تعالي ان عذاب ربك اي المحسن اليك برفع انتقام الاستيصال منه عنك
كان اي كونا لازما محذورا حقيقا بان يحذر لكل احد من ملك مقرب ونبي مرسل
فضلا عن غيرهم لما شوهد من اهلاكه للقرون الماضية ولما قال تعالي ان عذاب ربك
كان محذورا بين تعالي وان اي وما من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة
او معذبوها عذابا شديدا ان كل قرية اي اهلها لابد وان يرجع حالهم الي احد امرين
اما الاهلاك بالموت والاستيصال واما العذاب بالقتل وانواع البلاء وقال مقاتل
اما الصالحة بالموت واما الطالحة فبالعذاب وقال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا
والربا في قرية اذن الله تعالي في هلاكها كان ذلك اي الامر العظيم في الكتاب اي اللوح
المحفوظ مسطورا اي مكتوبا قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول ان اول ما خلق الله القلم فقال اكتب فقال وما اكتب قال القدر ما كان وما هو كاين
الي ابد الابد اخرجه الترمذي ولما كان كفار قريش قد تكرر اقتراحهم للايات وكان صلي الله
عليه وسلم لشدة حرصه علي ايمان كل احد يحب ان الله تعالي يجيبهم الي مقترحهم طمعا في ايمانهم
فاجاب الله تعالي بقوله وما منعنا اي علي ما لنا من العظمة التي اقترحوها الا ان نرسل بها
شيء وما منعها مانع ان نرسل بالايات اي التي اقترحوها كما حكي الله تعالي عنهم ذلك في
قولهم فاتينا باية كما ارسل الاولون وقال اخرون لنا قومك لك حتي تفجر لنا من الارض
ينبوعا الاية وقال سعيد بن جبير انهم قالوا ان كنت تزعم انه كان قبلك انبياء منهم من سخرت له
الريح ومنهم من احيي الموتي فاتنا باحد ممن هذه المعجزات فكان كانه لا ايات عندهم سوي
ذلك الا علمنا في عالم الشهادة بما وقع من ان كذب بها اي المقترحات الاولون وعلمنا في عالم

الغيب

الغيب ان هؤلاء مثل الاولين ان الشقي منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن بغيرها وانه يقول
بنظير ما قال في غيرها من انها سحر ونحو ذلك والسعيد لا يحتاج في ايمانه اليها فكم اجبنا امة اي
مقترحها فازداد ذلك اهل الضلالة الا كفرا فاحذرناهم لان سنتنا جرت انا لا نمهل بعد الاجابة
الي المقترحات من كذب بها قال ابن عباس سال اهل مكة النبي صلي الله عليه وسلم ان يجعل
لهم الصفا ذهبا وان يتنحي الجبال عنهم ليزرعوا تلك الاراضي فطلب صلي الله عليه وسلم
ذلك من الله تعالي فاوحي الله تعالي اليه ان شيت فعلت ذلك لكن بشرط ان لم يؤمنوا اهلكتهم
فقال صلي الله عليه وسلم لا اريد ذلك فيفضل الله برحمته هذه الامة وترتيبها علي الامم
الثالثة لعدم استيصالها لما يخرج من اصلاب كثير منها من خلص عباده فلهذا السبب الجامع
الله تعالي الي مطلوبهم فقال بل الساعة موعدهم والساعة ادهي وامر ثم ذكر تعالي
من تلك الايات التي اقترحوها الاولون ثم كذبوا بها الما ارسلنا اليهم فاهلكوا ما ذكره تعالي
بقوله تعالي واتينا ثمود الناقة حال كونها مبصرة اي مضيئة بينة جديدة بان يستبصر بها
كل من شاهدها فتستدل بها علي صدق قولك ذلك النبي فظلموا بها اي ظلموا انفسهم بتكذيبها
وقال ابن قتيبة تجحدوا بها من الله تعالي فاهلكناهم فكيف تمنا هؤلاء علي سبيل الاقتراح
والتحكم علي الله تعالي وحتم تعالي هذه الاية بالذكر لان اثارها اهلاكهم في بلاد العرب قرية من
حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم ثم قال تعالي وما نرسل بالايات اي المقترحات وغيرها
الا تخويفا للمرسل اليهم بها فان خالفوا نجوا والا اهلكتهم بعذاب الاستيصال من كذب بالايات
المقترحة وبعذاب الاخرة من كذب بغيرها كالمعجزات وايات القران فاوامر من بعد اليهم
موض الي يوم القيامة فان قيل المقصود الاعظم من اظهار الايات ان يستدل بها
علي صدق المدعي فكيف حصل المقصود من اظهارها في التخويف اجيب بانه لما
كان هو الحامل والحامل لغالب علي الرصديق فكانه هو المقصود ولما طلب القوم من النبي
صلي الله عليه وسلم تلك الايات المقترحات واجاب الله تعالي بان اظهارها ليس بمصلحة
صار ذلك سببا لجراة اولئك الكفار بالطغيان فيه وان يقولوا له لو كنت رسولا حقا عند الله
لاتيتنا بهذه المعجزات الفواقة حتي اهلكوا اتي به موسي وغيره من الانبياء فتدهدا قوي الله تعالي
تليه وبين له انه يبصره ويويده فقال تعالي واذكر يا اشرف الخلق قلنا لك ان ربك اي المتفضل
بالاحسان اليك بالرفق لامتك احاط بالناس علما وقدرة فهم في قبضته وقدرته لا يقدرون
علي الخروج من مشيته فلا يقدرون علي امر من الامور الا بقضايه وقدره وهو حافظك
وعاصمك منهم فلا تهتم باقتراحهم وامض فيما امرك به من تبليغ الرسالة فهو يظهرك ويقويك

علي ذلك كما وعدك بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقيل ان المراد بالناس اهل مكة
بمعنى انه يغلبهم ويقهرهم روي انه لما تراءى الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله
عليه وسلم في العريش مع ابي بكر كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج عليه
الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان صلى الله عليه وسلم يقول حين
ورد بدرا والله كاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان فسامعة قريش بما اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم عطف تعالى
علي ما انزل بالايات قوله تعالى وما جعلنا الرويا التي اريناك اي التي شاهدتها
ليلة الاسرا الا فتنة اي امتحانا واختبارا لانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة
الاسرا كذبوه وكفر به كثير ممن كان قد امن به وازدلوا المخاصوت ايمانا فهذا الذي كانت
امتحانا وروي البخاري في التفسير عن ابن عباس انه قال هي رويا عين اريها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به وتقدم انه قول الاكثر فمنهم سعيد بن جبير والحسن
ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وما قالوه يعضدهم متان الرويا تدل علي
انها رويا عينا ما ضيق اذ لا فرق بين الرؤية والرويا في اللغة يقال رايته بعيني رؤية
ورويا فايدة قال بعض العلما كانت اسرا انه صلى الله عليه وسلم اربعا وثلاثين مرة وكلها
بجسده والباقي بروحه ورويا اها قال ومما يدل علي ان الاسرا ليلة فرض الصلاة كانت
بالجسم ما ورد في بعض طرق الحديث انه صلى الله عليه وسلم استوحش لما زج به النور
ولم ير معه احدا ذلا سر والجا لا توصف بالوحشة ولا بالاستيحاش قال ومما يدل علي ان الاسرا
كان بجسمه ما وقع له من العطش فان الارواح المجردة لا تعطش ولما كان قد اخبر صلى الله
عليه وسلم ان شجرة الزقوم تنبت في اصل الجحيم وكان ذلك في غاية الغرابة ضمنها الي الاسرا
في ذلك بقوله تعالى والشجرة الملعونة في القرآن لان فيها امتحانا ايضا يل قال بعض المفسرين
هي علي التقديم والتاخير والتقدير وما جعلنا الرويا التي اريناك والشجرة الملعونة
في القرآن الا فتنة للناس واختلف في هذه الشجرة فالاكثرون قالوا انها شجرة
الزقوم طعام الاثيم فكانت الفتنة في ذكر هذه الشجرة من وجهين الاول ان ابا جهل قال
زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجارة حيث قال وقودها الناس والحجارة ثم يقول في الناس
شجرة والنار تاكل الشجر فليق يولد فيها الشجر والثاني قال الزبيري ما يعلم الزقوم الا
التمر والزبد فيرقوا منه فانزل الله تعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجر انا جعلناها
فتنة للظالمين الايات وما قدروا الله حق قدره قال ذلك فان الله تعالى قادر علي ان يجعل

الشجرة من جنس لا ياكله النار فهذا ابو السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل
اذا اتسخت طرحت في النار فتذهب الوسخ وتبقي سالما لا تعمل فيه النار وترى المنديل
تتلالا الجمر وتتلالا الحديد الجمر باجمار النار فلا تضرها شي اقرب من ذلك انه تعالى جعل
في الشجر نارا اخضر فقال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فان قيل
في القرآن لعنة هذه الشجرة اجيب عنه فلك بوجوه الاول المراد لعنة الكفار الذين ياكلونها
لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن علي الحقيقة وانما وصفت بلعنة اصحابها علي المجاز
الثاني ان الوصف تقول لكل طعام ضار انه ملعون الثالث ان اللعن في اللغة الابعاد ولما
كانت هذه الشجرة مبعدة عن صفات الخير سميت ملعونة وقيل ان الشجرة الملعونة في القرآن
هي اليهود لقوله تعالى لعن الذين كفروا وقيل هي ابليس وقيل ابو جهل وعن ابن
عباس هي الكشوث التي تنادي بالشجر تجعل في الثرابد وما ذكر سبحانه وتعالى انه يرسل
بالايات تخويفا قال هنا ايضا ونخوفهم فما يزيدهم اي الكافرين والتخويف بالقرآن الا طغيانا
كبيرا اي تجاوزا للحد هو في غاية العظم فمقتضى ان يظهر الله تعالى لهم المعجزات التي اقترحوها
لم يزدادوا بها الا عنادا في الجهل والعناد فاقتضت الحكمة ان لا يظهر الله لهم ما اقترحوه
من الايات والمعجزات فانهم قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب
الاخرة وشجرة الزقوم فما اثر فيهم خاف قوم هذه حالهم يا ربها لهم لما بقية حوت هذه الايات
ولما نازع القوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاندوه واقترحوا عليه الاقتراحات
الباطلة لامرين الكبر والحسد اما الكبر فلان تكبرهم كان يمنعهم من الانقياد واما الحسد
فلانهم كانوا يحسدونه علي ما اتاه الله من النبوة فبين تعالى ان هذا الكبر والحسد هما
اللذان حملا ابليس علي الخروج عن الايمان والدخول في الكفر بقوله تعالى واذ اي واذكر
اذ قلنا بالنامة العظيمة التي لا ينقض له الملايكة حين خلقتنا اباكم ادم وقلنا له
اسجدوا لادم اي امتثالا لامري فسجدوا الا ابليس اي ابي ان يسجد لكونه ممن
جفت عليه الكلمة ولم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله وعظمته وذكر معاني قوله تعالى
قال اي منكرا مستكبرا اسجد اي خضوعا لمن خلقه من حال كون اصله طينا فكر نسبته
لنا الي الجور متخيلا انه افضل من ادم عليه السلام من حيث ان الفروع ترجع الي
الاصول وان النار التي هي اصله اكرم من الطين الذي هو اصل ادم وذهب عنه
ان الطين انفع منه النار وعلي تقدير التنزل فالجواهر كلها من جنس واحد والله تعالى
هو الذي اوجدها من العدم يفضل بعضها علي بعض بما يحدث فيها من الاعراض وقد ذكر الله

هذه القصة في سبع سور وهي البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص والكلام
المتقصي فيها قد تقدم في البقرة ولعل هذه القصة انما كررت تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم فانه كان في محنة عظيمة في قومه واهل زمانه فكانه تعالى يقول الانبي اذا اول
الانبيا هو ادم عليه اللام ثم انه كان في محنة شديدة من ابليس وان الكبر والحسد
كل منها بلية عظيمة ومحنة عظيمة للخلق وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتحقيق الاولى
وتسهيل الثانية وادخل قالون وابو عمرو بينهما الفا ولم يدخل ورش وابن كثير بينهما
الفا ولورش ايضا ابدال الثانية واذا وقف حمزة سهل الثانية كقراة ابن كثير وقرا عاصم
بالتحقيق في الثانية والتسهيل وادخال الف بينهما وقرا الباقون بتحقيقهما مايلا ادخال ولما
اخبر تعالى بتكبره كان كانه قيل ان هذه الوقاحة عظيمة واجترا على الجناب الاعلا فهل كان
منه عنها ذلك قال ارايتك اي اخبرني وقرا نافع بتسهيل الهمزة بعد الرا ولورش وجه ثان
وهو ان يبدلها الفا واسقطها الكسائي والباقون بالتحقيق هذا الذي كرمت علي لم
كرمته علي مع ضعفه وقوتي فكانه قيل لعدائتي بالغاية في اساة الادب فما كان يدعو هذا
فقيل متمما لاجل استيفاء ان يجتري احد هذه الجراة على الملك الاعلا لين اخرتني اي
ايها الملك الاعلا تاخيرا ممتدا الى يوم القيامة حياما تمكنا وجواب القسم الموطا له باللام
لاحتنكن اي لاستولين عليهم استيلاء من جعل في حنك الدابة
الاسفل حبلا يقودها به فلانا بيي وقرا نافع وابو عمرو بزيادة يا بعد النون في اخرتني
عند الوصل وحذفها في الوقف واثبتها ابن كثير وقفا ووصلا وحذفها وقفا ووصلا اتباعا
للرسم ولما علم انه لا يقدر على الجميع قال الا قليلا وهم اولياؤك الذين حفظتهم مني كما قال
تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فان قيل كيف ظن ابليس هذا الظن الصادق
بذرية ادم اجيب باوجه الاول انه سمع الملايكة يقولون اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدما فقرر هذه الاحوال الثلثة انه رءى انه مركبة من قوة بهيمية شهوية
ان اولاده يكونون مثله في ضعف العزم الثالث انه رءى انه مركبة من قوة بهيمية شهوية
وقوة وهمية شيطانية وقوة عقلية ملكية وقوة سبعية غضبية ورءى ان بعض تلك القوى
تكون هي المستولية في بعض اول الخلقة ثم ان القوة العقلية انما تكمل في اخر الامر ومن
كان كذلك كان ما ذكره ابليس لازما ثم كانه قيل لقد طال عدو الله الاحمر اما قال له ربه بعد
ذلك فقيل قال محمد له اذهب اي امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت
له نفسه وتقدم في الحجر انما يوخر الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم ينفخ لانه يوخر الى يوم

القيامة

القيامة كما طلب وقرا ابو عمرو وخلاد والكسائي باد غام الباء الموحدة في الفا والظهار الباقون
ولما حكم تعالى بثقاوته وشقاوة من اراد طاعته له تسبب عنه قوله تعالى لمن تبعك منهم
اي اولاد ادم عليه اللام فان جهنم اي الطبقة النار التي يتجهم داخلها جزاوكم اي
جزاوك وجزا اتباعك جزا موفورا اي مكملا وافيا بما تحققون علي اعمالكم
الخبيثة ولما طلب ابليس اللعين من الله تعالى الامهال الى يوم القيامة لاجل ان يحتنك
ذرية ادم ذكر الله تعالى له اشيا الاول اذهب اي امض كما مر فانك امهلتك هذه المدة وليس
من الذهاب الذي هو ضد المجي الثاني قوله تعالى واستفزز اي استخف منهم استطعت منهم
ان تستفزه وهم الذين سلطناك عليهم بصوتك قال ابن عباس معناه بدعائك الى معصية الله
وكل داع الى معصية الله فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغنا واللهو واللعب
الثالث قوله تعالى واجلب اي صح عليهم من الحلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك واصلوا
في الخيل والرجل على اقوال الاول روي ابو الضحى عن ابن عباس انه قال كل راكب اوراجل
في معصية الله وعلى هذا فخيله ورجله كل من شاركه في الدعا الى المعصية الثاني يحتمل ان يكون
لابليس جيش من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل الثالث ان المراد منه ضرب المثل
كما يقال للرجل المجد في الامر جد بالخيل والرجل قال الواحدي وهذا قريب وقال الزمخشري
هو كلام ورد مورد التمثيل مثل في تسلطه على من يغويه بمقوار وقع على قوم فصوت
بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم ويقلقلهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة
ورجالة حتى استاصلهم والخيل تقع على الرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله
اركبي وقد تقع على الافراس خاصة وقرا حفص عن عاصم بكسر الجيم وسكنها الباقون جمع
راجل كصاحب وصحب وراكب وركب ورجل بالكسر والضم لغتان مثل حذر وجذر وهو
مفرد اريد به الجمع الرابع قوله تعالى وشاركهم في الاموال والاولاد اما المشاركة في الاموال
فقال مجاهد كل ما اصيب من حرام او انفق في حرام وقال قتادة هو جعلهم البحيرة والسايبة
والوصيلة والحام وقال الضحاك هو ما يذبحوت لالهتهم وقال عكرمة هو تبتيكهم اذان
الانعام وقيل هو جعلهم من اموالهم شيا لغير الله كقولهم هذا لله وهذا لشركايينا
ولا منافاة بين جميع هذه الاقوال واما المشاركة في الاولاد فقال عطاء عن ابن عباس هو
تسمية الاولاد بعبد شمس وعبد الزي وعبد الحارث وعبد الدار ونحوها وقال الحسن هو
انهم هودوا اولادهم ونصروهم ومجسوهم وروي عن جعفر بن محمد ان الشيطان يقعد على ذكر
الرجل فاذا لم يقل بسم الله اصاب معه امراته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل ويقال في جميع هذه

هذه الاقوال ايضا ما تقدم وروي ان رجلا قال لابن عباس ان امراتي استقطت وفي
فرجها شعلة نار قال فاكلمة وطي الجنة وفي الاثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب
اخرجتني من الجنة لاجل ادم فسلطني عليه وعلي ذريته قال انت مسلط قال لا استطيعه
الا بك فزدني قال استفزز من استطعت منهم بصوتك قال ادم يا رب بسلطت ابليس علي
وعلي ذريتي وانت لا استطيعه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظونه قال
زدني قال الحسنة بعشرة امثالها والسيئة بمثلها قال زدني قال التوبة مفروضة ما دام
الروح في الجسد فقال زدني فقال يا عبادي الذين اسرفوا الاية وفي الخبر ان ابليس
قال يا رب بعثت انبيا وانزلت كتبا فما قراني قال الشعر قال فما كتابي قال الوشم قال فما
رسولي قال الكهنة قال اين طعامي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر
قال واين مكنني قال الحمامات قال واين مجلسي قال الاسواق قال وما حنايتي قال انا
قال وما اذاني قال المزمار الخلس قوله تعالى وعدهم اي منه المواعيد الباطلة مما يتوهم
ويفهم من ذلك وعدهم بان لا جنة ولا نار ومن ذلك شفاعة الالهة والكرامة على الله بالانساب
الشريفة وتسويف التوبة وايثار العاجل على الاجل ونحو ذلك وقوله تعالى وما يعدهم
الشيطان من باب الالتفات واقامة الظاهر مقام الضمير ولو جري على سنن الكلام الاول
لقال وما نعدهم بالتاء فوق وقوله تعالى الا غرورا فيه اوجه احدها انه نعت مصدر
محذوف وهو نعته مصدر الاصل الا وعدا غرورا الثاني انه مفعول من اجله اي ما يعدهم
منها الا من اجل الكاذبة الا لاجل الغرور الثالثة انه مفعول به على الاتساع اي ما يعدهم الا
الوعد بالغرور والفرق بين الباطل بما يظن انه حق فان قيل كيف ذكر الله تعالى
هذه الاشياء لابليس وهو يعلم ان الله لا يامر بالفحشاء اجيب بان هذه على طريق
التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل اعمل ما شئت فسوف تري وكما يقال
اجهد جهدك فسوف تري ما ينزل بك ولما قال له تعالى له افعل ما تقدر عليه قال تعالى ان عبادي
اي الذين اهلتهم للاضافة الي فعاموا بحق عبوديتي بالتقوي والاحسان ليس لك عليهم سلطان
اي فلا تقدر ان تغويهم وتحملهم علي ذنب لا يغفر فانني وفقتهم للتوكل علي فكفيتهم لعبدك وكفي
بربك اي الموجد لك وكيلا اي حافظا لهم منك وما ذكر تعالى انه الوكيل الذي لا كافي غيره
انبه بعض افعاله الدالة علي ذلك بقوله تعالى ربكم اي المتعرف فيكم هو الذي يزجي اي
يجري لكم الفلك ومنها التي حملكم فيها مع ابيكم نوح عليه السلام في البحر لتبتغوا اي لتطلبوا
من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم ثم علل ذلك بقوله تعالى انه اي فعل ذلك

لانه

لانه كان اي ازلا وابدا بكم رحيما حيث هيأكم لما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يصعب
عليكم من اسبابه تنبيه الخطاب في قوله ربكم وفي قوله تعالى انه كان بكم علم
في حق الكل والارادة الرحمة منافع الدنيا ومصالحها واما قوله تعالى واذا مسكم
الضر اي الشدة في البحر ضل اي غاب عنه ذكركم وخوفكم
من تدعون اي تعبدون من الالهة الا اياه وحده فاخلصتم له الدعاء علما منكم انه لا ينجيكم
سواه فلما نجاكم من الغرق واوصلكم بالتدريج الى البر اعرضتم عن الاخلاص له ورجعتم
الى الاشراك وكان الانسان اي هذا النوع كفورا اي جحود النعم بسبب انه عند الشدة
يتمسك بفضله ورحمته وعند الرخاء والراحة يعرض عنه ويتمسك بقوله تعالى افامنتم
الهمزة فيه للانكار للتوطن على محذوف تقديره اخرجتم من البحر فامنتم ان يخسف بكم جانب البر فنفيكم في اي جانب كان منه لان قدرتنا على التقليبين في الما
على السواء فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله تعالى في جميع الجوانب او امنتم ان نرسل عليكم من جهة الفوق شيئا من امورنا حاصبا اي عصفا عليكم حجارة من السماء كما امطرناها
على قوم لوط قال الله تعالى انا ارسلنا عليهم حاصبا وقيل الحاصب الريح ثم
لا تجدوا ايها الناس لكم وكيلا يحفظكم من ذلك ومتعلقه محذوف اي تجدوا في البر وكيلا غيره
ام امنتم اي جاورتم بكم الغباوة حدها فلم تجوزوا ذلك ان يعيدكم فيه اي البحر الذي
يضطركم الي ذلك فتقرركم عليه وان كرهتم تارة اخري باسباب تضطركم الي ان ترجعوا
فتركبوه فنرسل عليكم قاصفا من الريح اي ريحا شديدة لا مر يشبي الاقطعة فتكسر
فلكم فنغرقكم في البحر الذي اوعدتكم فيه بقدرتنا على الكفر اي بسبب اشراككم وكفرانكم نعمة
الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم تنبيه تارة
بعد اخري مرة وكرة هي مصدر ويجمع على تير وتارات قال الشاعر

وانسان عيني يحسر الماء تارة ... فيبدو واحيانا يكف فيفرق

وقرا ابن كثير وابو عمرو وان تحسن او نرسل ان يعيدكم فنرسل فنغرقكم جميع هذه الخمسة
بنون العظمة والباقون بيا الغيبة والواو الاولي علي سبيل الالتفات من الغايب في قوله
تعالى ربكم الي اخره والواو الثانية علي سنن ما تقدم من الغيبة ثم ان الله تعالى ذكر نعمة
اخري رفيعة جليلة علي الانسان وذكر فيها اربعة انواع النوع الاول قوله تعالى ولقد
كرمنا اي بوجه من التكريم عظيما يبني ادم وحذف متعلق التكريم فلذلك اختلف المفسرون فيه
فقال ابن عباس كل شي ياكل بفيه الا بنات ادم فانه ياكل بيده وعن الرشيد انه احضر طعاما

عنده فدعي بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاني تفسير جدك بن عباس ولقد كرمنا
بني ادم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فوضعها واكل باصابعه وروي عن
ابن عباس انه قال بالعقل وقال الضحاك بالنطق والتمييز وقيل علي سائر الطين
بالعلو وعلي الثاني بالحياة وعلي سائر الحيوان بالنطق وقال عطا بتعديل القامة وامتداد ها
والاوابي منكسة علي وجوهها قال بعضهم وينبغي ان يشترط مع هذا شرط وهو طول القامة
مع اكمال القوة العقلية والحية والحركية والا فالاشجار الطوال قامة منة الانسان
وقيل الرجال باللحا والنا بالذوايب وقيل بان سخر لهم سائر الاشيا
وقيل بان الزم خير امة اخرجت للناس وقيل بحسن الصورة قال تعالي وصوركم فاحسن
صوركم ولما ذكر تعالي خلقة الانسان قال فتبارك الله احسن الخالقين قال الرازي
وان شئت فتامل عضوا واحدا من اعضا الانسان وهي العين فخلق الحدقة سوداء ثم
احاط بذلك السواد ببياض العين ثم احاط بذلك البياض سواد الاشفار ثم احاط بذلك كله
السواد ببياض الاجفان ثم خلق فوق بياض الجفنة سواد الحاجبين ثم خلق فوق ذلك
الواد ببياض الجبهة ثم خلق فوق ذلك الكل لبياض سواد الشعر وليكن هذا المثال
الواحد انموذجا لك في هذا الباب انتهي واستدل ايضا لشرف الانسان بان الموجود
اما ان يكون ازليا وابديا وهو الله تعالي واما ان لا يكون لا ازليا ولا ابديا وهو عالم
الدنيا مع كل ما فيه من المعادن والنبات والحيوان وهذا احسن الاقسام واما ان يكون
ازليا ولا يكون ابديا وهذا ممتنع الوجود لان ما ثبت قدمه امتنع عدمه واما ان لا يكون
ازليا ولكنه يكون ابديا وهو الانسان والملك ولاشك ان هذا القسم اشرف من القسم الثاني
والثالث وذلك يقتضي كون الانسان اشرف من اكثر المخلوقات النوع الثاني قوله تعالي
وحملناهم في البر علي الدواب وغيرها وفي البحر علي السفن وغيرها بهذه حملنه حملا اذا
جعلنا له ما يركبه او حملناهم فيها حتي لم تخسف بهم الارض ومع فقد هم في الما النوع الثالث
قوله تعالي ورزقناهم من الطيبات اي المستلذات من الثمرات والاقوات وذلك لان
الاغذية اما حيوانية واما نباتية وكل القسمين فان الانسان انما يتغذي بالطف
انواعها واشرف اقسامها بعد التنقية التامة والطبخ الكامل والنضج البالغ وذلك مما لا
يحصل الا للانسان النوع الرابع قوله تعالي وفضلناهم في انعام يا حان الكل
وفي صفاتهم بالعلم المتيح لمادة الداربين علي كثير ممن خلقنا اي بعظمتنا التي خلقناهم
بها واكد الفعل بالمصدر اشارة الي اقرارهم في التفضيل فقال تعالي تفضيلا تنبيه ظاهر

الاية

ظاهر الاية يدل علي تفضلهم علي كثير من خلقه لا علي الكل وقال قوم تفضلوا علي جميع الخلق
الا علي الملايكة وهو قول ابن عباس واختيار الزجاج علي ما رواه الواحدي في
بسيطه وقال الكلبي تفضلوا علي جميع الخلايق كلهم الا علي طايفة من الملايكة جبريل
وميكايل واسرافيل وملك الموت واشياههم وقال قوم تفضلوا علي جميع الخلق وعلي
الملايكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كقوله تعالي هل انبئكم علي من تنزل الشياطين
الي قوله تعالي واكثرهم كاذبون اي كلهم وروي جابر بن عبد الله قال لما خلق الله تعالي ادم
وذريته قالت الملايكة يا رب خلقتهم يأكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا
ولنا الاخرة فقال تعالي لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له
كن فكان والاولي كما قاله بعضهم بعض المفسرين كالبغوي وابن عادل ان يقال عوام
الملايكة افضل من عوام المومنين وخواص المومنين افضل من خواص الملايكة قال تعالي
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وروي عن ابن هريرة قال المومن
اكرم علي الله من الملايكة عنده رواه البغوي ورواه الواحدي في البسيط فان قيل
قال تعالي في اول الاية ولقد كرمنا بني ادم وقال في اخرها وفضلناهم فلا بد من الفرق
بين التفضيل والتكريم والجواب التكرار احسن بانه تعالي وضل الانسان علي سائر
الحيوانات بامور خلقية طبيعية وذاتية كالعقل والنطق والحظ والصورة الحسنة والقامة
المديدة ثم انه سبحانه وتعالي عوضه بواسطة العقل والفهم لاكتساب الفضايل الحقة
والاخلاق الفاضلة ولما ذكر تعالي انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاته
في الاخرة بقوله تعالي يوم اي اذكر يوم ندعوا اي ينادي كل اناس اي منكم بامامهم
الامام في اللغة من ايتم به قوم كانوا علي هدي او ضلالة فالنبي امام امته والخليفة امام
رعيته والقران امام المسلمين وامام القوم هو الذي يقتدون به في الصلاة وذكروا في تعيين
الامام هنا اقوالا احدها امامهم نبيهم روي ذلك مرفوعا ابو هريرة رضي الله تعالي عنه عن النبي
صلي الله عليه وسلم فيناديي يوم القيامة يا امة ابراهيم يا امة موسي يا امة عيسي يا امة
محمد صلي الله عليه وسلم فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبيا فياخذون كتبهم بايمانهم
ثم ينادي الاتباع يا اتباع عزير يا اتباع فرعون يا اتباع فلان وفلان منهم رؤسا الضلال وكابير
الكفر الثاني امامهم كتابهم الذي انزل عليهم فينادي في القيامة يا اهل القران يا اهل التوراة
يا اهل الانجيل الثالث امامهم كتاب اعمالهم قال تعالي وكل شي احصيناه في امام مبين فمن
الله تعالي هذا الكتاب اماما قال الزمخشري ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان التاء

يدعونهم يوم القيامة بامهاتهم دون ابائهم وان الحكمة فيه رعاية حق عيسى
واظهار شرف الحسن والحسين وان لا تفضح اولاد الزنا قال وليلة شوري انها ابدع
البديع امحت لفظ ام بها حكمة قال ابن عادل وهو معذور لان اما لا يجمع على امام
هذا قول من لا يعرف الصناعة ولا لغة العرب فمنهم اوتي اي من المدعوين كتابه اي
كتاب عمله بيمينه وهم السعداء اولوا البصائر في الدنيا فاولئك يقرؤن كتابهم
اي تباهيا وتبجحا بما يرون فيه من الحسنات ولا يظلمون بنقص حسنة او زيادة سيئة ظلما ما
فتيلا اي شيأ في غاية القلة والحقارة بل يزادون بحسب اخلاص النيات وطهارة
الاخلاق وزكاء الاعمال تنبيه الفتيل القشرة التي في شق النواة تسمى بذلك
لانه اذا رأى الانسان اخراجه انفتل وهذا مثل يضرب للشيء الحقير التافه ومثله النقير
وهو القلالة التي في ظهر النواة وروي مجاهد عن ابن عباس قال الفتيل هو الوسخ
الذي يفتله الانسان بين سبابته وابهامه فان قيل لم خص اصحاب اليمين
بتوتة كتابهم مع ان اهل الشمال يقرؤنه اجيب بانه اصحاب الشمال اذا طالعوا
كتابهم وجدوه مشتملا على المهلكات العظيمة والقبائح الكاملة فيستولي الخوف على قلوبهم
ويثقل لسانهم فيعجزون عن قراءة الكاملة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك
لاجرم انهم يقرؤن كتابهم على احسن ثم لا يتتعتعون بقراءتهم وحدهم بل يقول القارئ لاهل
المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه جعلنا الله وجميع احبابنا منهم ثم قال تعالى ومن كان منهم في
هذه اي الدار اعمى اي عما لا يعمل في الاقفال فعل الاعمال في اخذ الاعيان لا يهتدي الى
اخذ ما ينفعه وترك ما يضره ولا يميز بين حسن وقبيح فهو في الاخرة اعمى اي اشد عمى
ما كان عليه في هذه الدار لا يفيء له قصد ولا يهتدي لصواب ولم يقل تعالى اشد عمى
كما يقال في الخلق اللازمة لحالة واحدة مثل العور والحمرة والسواد ونحوها لان هذا اراد
به عمى الذي من شأنه التزايد والحدوث في كل لحظة شيأ بعد شيء واضل سبيلا لان
هذه الدار دار الاكتساب والترقي في الاسباب واما تلك فليس فيها شيء من ذلك وقال
عكرمة جاء نفر من اهل اليمن الى ابن عباس فسأله رجل عن هذه الاية فقال اقرب ما قبلها
فقاربكم الذي يزجي لكم الفلك الى قوله تفضيلا فقال ابن عباس من كان اعمى في هذه
النعم التي قدر اي وعاين فهو في الاخرة التي لم يعاين ولم ير اعمى واضل سبيلا وعلى هذا
فالاشارة في قوله هذه الى النعم المذكورة في الايات المتقدمة وحمل بعضهم العمى الثاني على
عمى العين والبصر كما قال تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا

قال كذلك

قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وقال لقائهم ونحشرهم يوم القيامة على
وجوههم عميا وبكما وصما وهذا العمى زيادة في عقوبتهم وما عدد تعالى في الايات المتقدمة
انعام نعمه على خلقه وانها بتذكر درجات الخلق في الاخرة وشرح احوال السعداء الذين
يجري مجرى تحقير السعداء الاغنياء يوسوسون اسرارهم بايات الضلال والاخداع بكلماتهم
المشتملة على المكر والتلبيس فقال تعالى وان كادوك اي قاربوا في هذه الحياة الدنيا الهمام
في انفسهم عن عصمة الله تعالى لك وما كانت انها هي المحققة من الفعيلة اتي باللام الفارقة
بينها وبين النافية بقوله تعالى ليفتنونك اي ليخالطونك مخالطة عليك في جهة وقصد
لكثرة خداعهم واختلف في سبب نزول هذه الاية فروي عطاء عن ابن عباس
قال نزلت هذه الاية في وفد ثقيف اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا يسكك
على ان نعطيك ثلاث خصال قال وما هن قالوا انك لا تحسبي في الصلاة بفتح الجيم والباء
الموحدة المشددة اي لا تحني فيها ولا تكسر اصنامنا الا بايدينا وان لا تمتعنا من اللات
والعزى سنة من غير ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع
فيه ولا سجود واما ان تكسر اصنامكم بايديكم فذلكم واما التاعية يعني اللات والعزى
فانا غير ممتعكم بها وفي رواية وحرم وادينا كما حرمة مكة شجرها وطيرها ووحشها فابى
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم فقالوا يا رسول الله انا نحب ان تسمع العرب
انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان حييت ان تقول الرب اعطيتهم ما لم نعطنا فقل الله امرني
بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم وطمع القوم في سكوته ان يقولهم ذلك فصاح عليهم
عمر وقال اما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امسك عن الكلام كراهة ما تذكرون فانزل الله
تعالى هذه الاية وقال سعيد بن جبير كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الاسود فمنعه
قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بالهتنا وعدتها فحدث صلى الله عليه وسلم نفسه ما علي ان
افعل ذلك والله يعلم اني لها كاره بعد ان يدعوني حتى استلم الحجر فانزل تعالى هذه الاية وروي
ان قريشا قالوا له اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت
وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا
لتفتري علينا غيره اي ما لم نقله واذا اي لو فعلت الي ما دعوك اليه لاتخذوك
اي بغاية الوغبة خليلا اي لوالوك وصافوك واظهروا للناس انك موافق لهم على
كفرهم وراض بشركهم ومن يكن خليل الكفار لم يكن خليل الله تعالى ولكنك ايها ترى شدك
فلزمنة امر الله واستمر واعلي عصمة الله اياك تفضيلا لك على كل المخلوق ولولا ان ثبتناك

اي على الحق بعصمتنا اياك لقد كدت اي قاربت تركن اي تميل اليهم اي الى الاعداء شيأ اي ركونا قليلا لمحبتك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكنا عصمناك فضلناك ان تقرب من الركون فضلا عمن اذ تركن اليهم لان كلمة لو لا تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره تقول لو لا زيد لهلك عمرو ومعناه ان وجود زيد منع من حصول الهلاك لعمرو فلذلك ها هنا قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم معناه لولا حصل تثبيت الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان تثبيت الله ما نفاه حصول قرب الركون وهذا صريح في انه عليه الصلاة والسلام ما هم بايجابهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا اي لو قاربت الركون الموصوف اليهم لاذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات اي مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والاخرة وكان اصل الكلام عذابا ضعيفا في الحياة وعذابا ضعيفا في الممات ثم حذف الموصول واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الاخرة وضعف الممات عذاب القبر والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقدام نعمة الله تعالى في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام اكثر فكانت دنوبهم اعظم فكانت العقوبة المستحقة عليها اكثر وتظيره قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين وقيل الضعف هنا اسم العذاب ثم لا تجد لك اي وان كنت اعظم الخلق واعلاهم مرتبة ونعمة علينا نصيرا اي مانعا يمنعك من عذابنا واختلفوا في نزول قوله تعالى وان اي وانهم كادوا اي الاعداء ليستفزونك اي ليميزونك بعداوتهم من الارض ليخرجوك منها فقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مسكن ابراهيم فلو خرجت الى الشام اتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك منا الخروج الا خوفنا الروم فان كنت رسول الله فالله يمنعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع له اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام فيدخلون في دين الله فنزلت هذه الاية فرجع وهذا قول الكلبي وعلى هذا فالاية مدنية والمراد بالارض ارض المدينة وقال قتادة ومجاهد الارض ارض مكة والاية مكية هم المشركون ان يخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكفهم الله تعالى عنه حتى امره بالهجرة فخرج بنفسه قال ابن عادل انتهى اللؤلؤي

وهذا

وهذه الاية بالاية لان ما قبلها اخبر عنها اهل مكة والسورة مكية وهذا اختيار الزجاج وكثير في التنزيل ذكر الارض والمراد منها مكان مخصوص كقوله تعالى او ينفوا من الارض اي من مواضعهم وقوله تعالى حكاية عن اخي يوسف فلن ابرح الارض يعني ارض التي كان قصدها لطلب الميرة فان قيل قال تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة منك قريتك التي اخرجتك يعني اهل مكة والمراد اهلها فذكر تعالى انهم اخرجوه وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها فكيف الجمع بينهما اجيب بانهم هموا باخراجه وهو صلى الله عليه وسلم ما خرج بسبب اخراجهم وانما خرج بامر الله تعالى وحينئذ فلا تعارض واذا اي واذ اخرجوك لا يلبثون خلفك اي بعد اخراجك لو اخرجوك الا زمنا قليلا وقد كان كذلك على القول الثاني فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وعلى القول الاول قتل منهم بني قريظة واجلي بني النضير بقليل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وشعبة بفتح الخاء وكون اللام والباقون بكسر الخاء وفتح اللام وبعدها الف قال الشاعر عتبة الدباس اي اندرست بسبب خلافهم اي خلفهم فكانها بسط الشواطيء بينهن حصير الشواطيء ان اللاتي يشققن الجريد ليعمل منه الحصير يصف دروس ديار الاحبة بعدهم وانها غير ملموسة كما يبسط فيها سعف النخل ولما اخبره بذلك اعلمه انه سنة في جميع الرسل بقوله تعالى سنة اي كسنة او سنتا بك سنة من قد ارسلنا قبلك اي في الازمنة الماضية كلها من رسلنا انا نهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم والسنة لله واضافتها الى الرسل لانهم من اجلهم ويدل عليه قوله تعالى ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا واما تقرير تعالى الالهيات والمعاد والنبوات اردفها بذكر الامر بالطاعات واشرف الطاعات بعد الايمان الصلاة فلذلك قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اقم الصلاة يفعل جميع اركانها وشرايطها بحيث تقهر كانها قائمة بنفسها فانها لب العبادة لما فيها من المناجات والاعراض عن كل غير فتناكل سوى ما اشرق من انوار الحضرة التي اضمحل اليها كل فان وفي ذكر اشارة عظيمة الى ان الصلاة اعظم ناصر على الاعداء الذين يريدون عكسهم استنزال الاولياء ولذلك كان صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ثم عين له الاوقات لقوله تعالى لدلوك الشمس في هذه اللام قولان احدهما انها بمعنى بعد اي بعد دلوك الشمس ومثله قوله تعالى فلما نفرقنا كاني وملكا اي لطول اجتماع لم تبت ليلة معا والثاني انها على بابها لانها انما تجب بزوال الشمس والدلوك مصدر دلكت الشمس وفيه اقوال احدها انه الزوال وهو قول ابن عباس وابن عمر وجابر واكثر التابعين ويدل لذلك

قوله صلي الله عليه وسلم اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلي بي الظهر وقول
اهل اللغة معني الدلوك في كلام العرب الزوال ولذلك قيل للشمس اذا زالت نصف النهار
دالكة والثاني انه المغرب وهو قول ابن مسعود وفقله الواحدي في البسيط عن علي
رضي الله تعالي عنه وبه قال ابراهيم النخعي والضحاك والسدي وهو اختيار الفرا
وكما يقال للشمس اذا زالت نصف النهار دالكة يقال لها ايضا اذا غربت فالكة لانها في الحالين
زايلة قال الازهري والثالث انه من الوذال الي الغروب وقال في القاموس دلكت الشمس
غربت او صفرت او مالت او زالت عن كبد السما فحينيذ في هذه اللفظة دلالة علي الظهر
والعصر والمغرب من استعمال المشترك في معانيه اما في الظهر والمغرب فواضح لما مر واما في الظهر
فلان اول وقتها اول اخذ الشمس في الاصفرار واول دليل علي ذلك انه تعالي عيا الاقامة
لوقت العشا بقوله تعالي الي غسق الليل اي ظلمته وهو وقت صلاة عشا الاخرة والغاية
ايضا هنا داخلة لما سبق وقد اجمعوا علي ان المراد من قوله تعالي وقران الفجر اي صلاة
الصبح وهو منصوب بفعل علي الاغراء اي وعليك بقران الفجر ورد بان اسم الافعال لا تتقدم معمولة
وقال الزاز انه منصوب بالعطف علي الصلاة في قوله تعالي اقم الصلاة والتقدير اقم الصلاة
واقم قران الفجر وحينيذ تدخل الصلوات الخمس في هذه الاية قال ابن عادل كرازي وحمل
كلام الله تعالي علي ما يكون اكثر فايدة اولي انتهي وسميت صلاة الصبح قرانا لاشتمالها عليه
لانه يطول فيها في القراة ما لا يطول في غيرها فالمقصود من قوله تعالي وقران الفجر الحث علي
طول القراة فيها اكثر من غيرها لان التخصيص بالذكر يدل علي كونه اكمل من غيره وعاد الكلام
عند المنام يشعر حال من عنبا مظهرا غير مضمرا ان المقام مقام تعظيم فقال ان قران الفجر كان مشهودا
اي تشهده ملايكة الليل وملايكة النهار ينزل هولا ويصعد هولا فهو في اخر ديوان الليل واول
ديوان النهار قال الرازي ثم ان ملايكة الليل اذا صعدت قالت يارب اتركنا عبادك يصلون
لك وتقول ملايكة النهار ربنا اتيناهم عبادك وهم يصلون فيقول الله تعالي للملايكة اشهدوا
بانني قد غفرت لهم وقال ابو هريرة رضي الله تعالي عنه سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول تفضل صلاة الجمع صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين درجة ويجتمع ملايكة الليل وملايكة
النهار في صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة رضي الله تعالي عنه اقرؤا ان شيتم ان قران الفجر كان مشهودا
وهذا يدل علي ان التغليس اولي من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها من اول الوقت ففي ذلك
الوقت ظلمة باقية فتكون ملايكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراة وتكثيرها
زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملايكة النهار واما اذا ايقعت هذه الصلاة في وقت التنوير فحينيذ

لم يبق احد من ملايكة الليل فلا يحصل المعني المذكور فقوله كان مشهودا يدل علي ان
التغليس افضل وايضا الانسان اذا شرع في صلاة الصبح من اول هذا الوقت وكانت
الظلمة القوية في العالم فاذا امتدت القراة ففي اثنا هذا الوقت يتقلب العالم من الظلمة
الي الضوء ومن الظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسبة للحياة والوجود فالانسان
لما قام من منامه فكانه انتقل من الموت الي الحياة ومن العدم الي الوجود ومن الكون
الي الحركة وهذه الحالة البديهية تشهد العقول بانه لا يقدر علي هذا التقليب الا الخالق
المدبر الحكيم العالم فحينيذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة ويتخلص من مرض قلبه
فان اكثر الخلق وقعوا في امراض القلوب وهي حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر
والتكاثر وهذه الدنيا مثل دار المرضي اذا كانت مملوة من المرضي والاطبا كالانبيا كالاطبا الحاذقين
والمريض اذا كان قد يقوي مرضه فلا يعود الي الصحة الا بعد الجانات قوية ورب ما كان المريض
جاهلا فلا ينقاد للطبيب ويخالفه في اكثر الاكلة لان الطبيب اذا كان مشفقا حاذقا فانه يسعي
في تقليله وفي تخفيفه فلما كان مرض الدنيا مستوليا علي الخلق ولا علاج له الا الادعوية
الي معرفة الله سبحانه وتعالي وخدمته وطاعته وهذا علاج شاق علي المفوسين وقل من
يقبله وينقاد له لاجرم ان الانبيا اجتهدوا في تقليل هذا المرض فحملوا الخلق علي الشروع
في الطاعة والعبودية من اول وقت القيام من النوم لانه مما يتقع في ازالة هذا المرض
ثم حثه سبحانه وتعالي علي التهجد لا فضليته وارشديته بقوله تعالي ومن الليل اي
وعليك او وقم بعض الليل فتهجد اي واترك الهجود للصلاة يقال هجد وتهجد ليلا وهجد
وتهجد بمعني فهو من الاضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجد قاله في الصحاح والتعميم في
لمطلق القران والمراد من الاية قيام الليل لصلاة النافلة فلا يحصل التهجد الا بصلاة نفل
بعد نوم وكانت فريضة علي النبي صلي الله عليه وسلم وعلي امته في الابتدا بقوله تعالي
يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخ بعافي اخرها ثم نسخ بعافي الصلوات الخمس وبقي قيام الليل
علي الاستحباب بقوله تعالي فاقروا ما تيسر منه وبقي الوجوب في حقه صلي الله عليه وسلم
بدليل قوله تعالي به نافلة لك اي زيادة لك مختصة بك وروي عن عايشة رضي الله تعالي
عنها ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ثلاث هن علي فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك
وقيام الليل والصحيح انه نسخ في حقه ايضا والدليل الخبر رواه مسلم وقد ورد احاديث
كثيرة في قيام الليل منها ما روي عن المغيرة بن شعبة انه قام صلي الله عليه وسلم حتي تفطرت
قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا

ومنها ما روي عن زيد بن خالد الجهني انه قال لارمقن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الليلة فتوسدت عتبته او فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم صلى ركعتين
طويلتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر
فذلك ثلاثة عشر ركعة فهذا قيل انه اكثر الوتر وهو احد قولي الشافعي والراجح عنده
ان اكثره احدى عشر ركعة لما رواه ابو سلمة انه سال عايشة رضي الله تعالى عنها
عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على
احدى عشر ركعة اي وتر ايصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا
فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي اربعا ثلاثا قالت عايشة رضي الله تعالى عنها
فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عايشة ان عيني تنام ولا ينام قلبي ومنها
ما روي عن انس بن مالك قال ما كنا ننثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل
مصليا الا رايناه وفي رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه
شيا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيا ثم قال تعالى عسى ان يبعثك ربك اي الهمه
اليك مقاما محمودا اتفق المفسرون على ان كلمة عسى من الله واجب قال اهل المعاني
لان لفظة عسى تفيد الاطماع وهذا اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله اكرم من
ان يطمع احدا في شيء ثم لا يعطيه ذلك واما المقام المحمود فقال الواحدي اجمع المفسرون
على انه مقام الشفاعة لما قال صلى الله عليه وسلم في هذه الاية هو المقام الذي اشفع فيه
لامتي وقال حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول من يدعو محمد صلى الله
عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير بين يديك والمهدي من هديته وعبدك بين يديك
وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فهذا
هو المراد من قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ويدل للاول احاديث منها
ما روي عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي دعوة مستجابة
واني اختبات دعوتي شفاعتي لامتي وهي نايلة منكم ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك
بالله شيا ومنها ما روي عن جابر انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القايمة اتِ محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة
ومنها ما روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع المومنون
يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون

ادم فيقولون انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملايكته
وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم
ويذكر خطيئته التي اصاب اكله من الشجرة وقد نهي عنها ولكن ايتوا نوحا اول
نبي بعثه الله الى اهل الارض فياتون نوحا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي
اصاب سوالة ربه بغير علم ولكن ايتوا ابراهيم خليل الرحمن فياتون ابراهيم فيقول
لست هناكم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ولكن ايتوا موسى عبدا اتاه الله التوراة وكلمه
وقربه نجيا فياتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب قتله النفس
ولكن ايتوا عيسى عبد الله وكلمته فياتون عيسى فيقول لست هناكم ايتوا محمدا
عبدا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فياتوني فاستاذن على ربي فيوذن
لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله ان يدعني فيقول ارفع راسك يا محمد
وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع راسي فاثني بثنا وتمجيد يعلمنيه ثم يحد لي
حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم اعود فاقع ساجدا فيدعني ما شاء الله ان
يدعني ثم يقول ارفع يا محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع راسي فاثني
على ربي بثنا وتمجيد يعلمنيه قال ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة
قال قتادة وسمعت انسا يقول في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي الا من حبسه القران اي وجب
عليه الخلود وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما مقاما محمودا يحمدك فيه الاولون
والاخرون وتشرف فيه على جميع الخلايق سل تعطه واشفع تشفع ليس احد الا
تحت لوايك والاخبار في الشفاعة كثيرة وفي هذا القدر كفاية لاولي البصاير جعلنا الله
واحبابنا من اهلها الداخلين تحت شفاعة سيد الانبيا والمرسلين امين واختلف
اهل التفسير في قوله تعالى وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق
فقال ابن عباس ولي ادخلني مدخل صدق المدينة واخرجني مخرج صدق مكة نزلت حين امره
صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقال الضحاك اخرجني مخرج صدق مكة امنا من المشركين
وادخلني مدخل صدق ظاهرا عليها بالفتح وقال مجاهد ادخلني في امرك الذي ارسلتني
به من النبوة مدخل صدق واخرجني من الدنيا وقد قمت بما فرض علي من حقها مخرج
صدق من حملة وقيل ادخالة القبر واخراجه منه سالما وقال ابو علي مدخل صدق
الجنة واخرجني مخرج صدق من مكة وقيل ادخلني في التبرز مدخل صدق او خارجا مرضيا
واخرجني منه عند البعث مخرج صدق ملقا مكتفا بالكرامة والجامع لهذه الاقوال ما جرى عليه
البقاعي في تفسيره بقوله في كل مقام فريدا حاليا فيه حسي ومعنوي دنيا واخرجني مدخل

صدق ويستحق الداخل فيه ان يقال له انت صادق في قولك وفعلك قال والاولى
لايكون عند الله وجيها واخرجني منه كل ما اخرجني منه مخرج صدق انتهى والمراد من
المدخل والمخرج اني الصدق مدخلا كانه سال الله تعالى ادخالا حسنا واخراجا
حسنا لايرى فيه ما يكره ثم سال الله ان يرزقه التقوية بالحجة وبالقوة والقدرة فقال
واجعل لي من لدنك اي عندك سلطانا نصيرا اي حجة بينة تنصرني بها على جميع من
خالفني وقد اجاب الله تعالى دعاءه واعلمه انه يعصمه من الناس بقوله تعالى والله يعصمك
من الناس وقال تعالى الا ان حزب الله هم الغالبون وقال تعالى ليظهره على الدين ووعده تعالى
ليزعزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب ابن اسيد
على اهل مكة وقال انظلق فقد استعملتك على اهل الله وكان شديدا على المريبين المنافقين
لينا على المومنين وقال والله لا اعلم متخلفا يتخلق عن الصلاة الا منافقا فقال اهل مكة يا
رسول الله لقد استعملت على اهل امه عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم
اني رايته فيما يوحي الي الليلة كان عتاب بن اسيد ابن باب الجنة فاخذ علقة الباب فقلعها فلما لاه
شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز الله الاسلام لمن قرنه المسلمين على من يريد ظلمهم فذكر اللطان
القشيري ثم امره الله تعالى ان يجتزي بالاجابة بقوله تعالى وقل اي لاولياءك واعدائك جاء الحق وهو
ما امرني به ربي وانزله الي وزهق اي اضمحل وبطل وهلك الباطل وهو كل ما يخالف الحق ثم
علل زهوقه بقوله تعالى ان الباطل اي وان اثر تقدمت له دولة وصولة كان في نفسه
بجبلته وطبعه زهوقا اي لايبقى بل يرفض على اسرع الوجوه وقتا واسرع رجوع وقضا
وقضاه الله تعالى منذ الازل روى البخاري في التفسير عن ابن مسعود قال دخل النبي صلى الله
عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما صنم كل قوم بجنبهم فجعل
يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فجعل الصنم ينكب لوجهه وعن ابن عباس كانت
لقبائل العرب اصنام مجبوبة اليها ومحرمة لها تسكن البيت الى الله تعالى فقال اي رب اني مني تتبدد
هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله تعالى الي البيت اني ساحدث لك توبة جديدة فانك
عذود اسحق ايد فون اليك دفوف النسور ويحفون اليك حنين الطير الى بيضها الهم يحج
حولك بالتلبية وبالقولة هذه الاية يوم الفتح جاء جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه
وسلم حدث تكم انها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكث بالمحجرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى اتاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من نحاس
صفرا فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد وحي به فكسره فجعل اهل

ملة يتعجبون ويقولون ما رايينا رجلا اسحر من محمد قال الزمخشري وشكاية البيت ولوحي
اليه تخييل وتمثيل والمباين سبحانه وتعالى الالهيات والنبوات والحشر والنشر واثبات القضا
والقدر ثم اتبعه بالامر بالصلاة وبنبه على ما فيها من الاسرار وكان القران هو الجامع لجميع ذلك
اتبعه ببيان كونه شفاء ورحمة بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمومنين اي
ما هو شفاء في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالادوية في المريض تتبيه في من
هذه ثلاثة اوجه احدها للبيان الجنس قاله الزمخشري والبيضاوي وابن عطية وابو البقاء وهو
عليهم ابو حيان بان للبيان لابد ان يتقدم عليه ما هو مبين لان يتقدم عليه وهنا قد وجد تقديمها
عليه الثاني انها للتبعيض وانكره الحوفي لانه يلزم ان لايكون بعضه شفاء واجاب ابو البقاء بان منه
ما يشفي من المرض وهذا قد وجد بدليل رقية بعض الصحابة سيد الحي الذي لدغ بالفاتحة
فشفي من المرض فيكون التبعيض بالنسبة للامراض الجسمانية والا فهو كله شفاء للابدان والقلوب
من الاعتقادات وغيرها الثالث انها لابتداء الغاية وهو كما قال ابن عادل واضح ومعنى التبعيض ان
هذا القدر الذي يزيد القائلين وهم الذين يضعون الشيء في غير موضعه باعراضهم عما يجب قبوله الاخسارا
اي نقصان لانه اذا جاءهم وقامت به الحجة عليهم اعرضوا عنه فكان اعراضهم ذلك زيادة في كفرهم
كما ان قبول المومنين له واقبالهم على تدبره زيادة في ايمانهم وفي الداري عن قتادة قال ما جالس
لهذا القران فقام عنه الا بزيادة او نقصان ثم قوله هذه الاية عم الله تعالى ذكر السبب الاصلي
في وقوع هولاء الجاهلين الضالين في هاوية الضلال ومقام الخزي والنكال وهو حب
الدنيا والرغبة في المال والجاه واعتقادهم ان ذلك ما يحصل بسبب جدهم واجتهادهم فقال تعالى
واذا انعمنا اي بالنعم العظيمة على الانسان اي هذا النوع هولاء وغيرهم وقال ابن عباس
ان الانسان هاهنا هو الوليد بن المغيرة قال الرازي وهذا بعيد بل المراد اي نوع الانسان اذا
انعمنا عليه اعرض اي عند ذكرنا ودعائنا اذ انسان نوع الانسان انعمنا افاز بمقصوده ووصل
الى مطلوبه باغتر وصار غافلا عن عبودية الله متمردا عن طاعة الله كما قال تعالى ان الانسان ليطغى
ان راه استغنى ونأى عنا ذكر الله بجانبه اي لوى عطفيه وبعد نفسه كانه مستغن بامره ويجوز
ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين ومعنى النأي في اللغة البعد والاعراض
ان يولي عرض وجهه وقرا ابن ذكوان بالف بعد الواو وقاخير الهمزة مثل جاء وفي هذا الفعاء
مخرجان احدهما من ناى ينوء اي نهض والثاني انه مقلوب من ناي فيكونان يعني قال ابن عادل
ولكنه متى امكن عدم القلب فهو اولى وقرا الباقون بالهمزة بعد الواو والف بعد همزة واما ال
الف بعد الهمزة السوسي وشعبة وخلاف محضة بخلاف عن السوسي واما الهاء وهي بين بين والف الهمزة

والنون محمد خلق والكاي وفتح الباقون واذا مسه الشر اي هذا النوع وان قل كان
يوسا اي شديد الياس عما عهده من رحمة ربه والحاصل انه ان فاز بالنعمة
والدولة اغتر بها ونسي ذكر الله وان بقي في الحرمان عن الدنيا استولى عليه الاسف والحزن
ولم يتفرغ لذكر الله فهذا المسكين محروم ابدا عن ذكر الله ونظيره قوله تعالى فاما الانسان
اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول
ربي اهانني وكذلك ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا
من عصمه الله وشرفه بالاضافة اليه فليس للشيطان عليه سلطان ثم قال تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل كل من الكافر والمؤمن يعمل على شاكلته اي طريقته التي تشاكل
وتشاكل طبيعته عليه من شر وخير فربكم اي فتسبيبه عنه ذلك ان الذي خلقكم وصوركم
اعلم من كل احد بمن هو منكم اهدى سبيلا اي اوضح طريقا واتباعا للحق فيثيب ويعين
احتسابا فيعطيه الثواب وبمن هو منكم اضل سبيلا فيخذله العقاب لانه يعلم ما طبعوا
عليه في اصل الخلقة وغيره تعالى انما يعلم امور الناس في طرايقهم بالتجربة وقد روي الامام
احمد لكن بسند منقطع عن ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا واذا سمعتم برجل تغير عن طبعه فلا تصدقوا
فانه يصير الى ما جبل عليه واختلف في سبب نزول قوله تعالى ويسيلونك اي تسئلهم
وانتحانا عن الروح فعن عبد الله بن مسعود قال بينما انا امشي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يتوكا على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض اسألوه عن الروح
وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء شيء تكرهونه فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال يا ابا
القاسم ما الروح فسكت فعلمت انه يوحى اليه فقمت فلما انجلى عنه قال ويسيلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا قال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه وقال ابن
عباس ان قريشا اجتمعوا فقالوا ان محمدا نشأ فينا بالصدق والامانة وما اتهمناه بكذب
وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم اهل كتاب فبعثوا
جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة اشياء فان اجاب عنها او لم يجب عن شيء منها
فليس بنبي واذا اجاب عن اثنين وتوانى في واحد فهو نبي فسألوه عن فتية فقدوا في الوقت الاول ما كان امرهم
فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشارق الارض ومغاربها وعن الروح فقالوا للنبي صلى الله
عليه وسلم فقال اخبركم بما سألتم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث الوحي قال مجاهد اثنى عشر ليلة
وقيل خمسة عشر يوما وقيل اربعون يوما واهل مكة يقولون وعدنا محمد غدا وقد اصبحنا

لا يخبرنا بأتي حتى حزن صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله اهل مكة
ثم انزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله
وقول في الفتية ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا وقول فيمن بلغ
المشرق والمغرب ويسيلونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وقول الواري ومن الناس من طعنت في هذه الرواية من وجوه وذكر من جملة
ذلك كيف يليق به ان يقول اني لا اعرف هذه المسئلة مع انها من المسايل المشهورة المذكورة
مع جمهور الخلق غير لائق يق لان ذلك كان علامة على نبوته قال الزمخشري فبين لهم الفصلين
ولم يهم امر الروح وهو بهم في التوراة فذهبوا على سوالهم الاول واختلفوا في الروح
الذي وقع السوال عنه فروي عن ابن عباس انه جبريل عليه السلام وهو قول الحسن وقتادة
وروي عن علي انه قال ملك له سبعون الف وجه لكل وجه سبعون الف لسان يسبح الله تعالى
بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بني ادم ايدي وارجل ورؤس وليسوا ملايكة ولا ناس
ياكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا اعظم من الروح غير العرش لو شاء الله
ان يبتلع السموات السبع والارضين السبع ومن فيهن بلقمة واحدة لفعل صورة خلقة على صورة
الملايكة وصورة وجهه على صورة وجه الادميين يقوم يوم القيامة على يمين العرش وهو
اقرب الخلق الى الله تعالى عند الحجب السبعين واقرب الى الله تعالى وهو عند يشفع لاهل التوحيد
ولولا ان بينه وبين الملايكة سترا من نور لاحترق اهل السموات من نوره وقيل الروح
هو القرآن وقيل المراد منه عيسى فانه روح الله تعالى وكلمته وعبده انه ليس كما تقوله
اليهود ولا كما تقوله النصارى وقال بعضهم هو الروح المركب في الخلق الذي يحيى به الانسان
قال البغوي وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم الانتوي ان الحيوان اذا مات
لا يموت الا الدم وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل انه يموت باحتباس النفس وقال
قوم عرض وقال قوم هو جسم لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم
والعلو البتا الانتوي انه اذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات
واذا خرج ذهب قال البغوي واقوى الاقاويل ان يوكل علمه الى الله تعالى عز وجل وهو
قول السنة قال عبد الله ابن بريدة ان الله تعالى لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
بدليل قوله تعالى قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي في جنب علم الله تعالى
تنبيه اختلف في المخاطب بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فقيل
هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل اليهود فانهم يقولون اوتينا التوراة وفيها العلم

الكبير وقيل عام روي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن خصوصيون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول هذا وساعة تقول فداوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذه افترلت والذي نفسي بيده ان التوراة في السموات السبع والارضين السبع وان بين كل ارض وارض مسيرة خمسمائة عام والبحر بهذه الآية قال الزمخشري وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة قياسا الى ما فوقه وبالكثرة قياسا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد حقير كثير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة وقيل كان النبي صلي الله عليه وسلم يعلم معاني الروح ولكنه لم يخبر به لان تركه اخبارهم كان علما للنبوة قال البغوي والاول اصح ان الله تعالى استاثر بعلمه انفرد وعن ابن بريدة لما مضى النبي صلي الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقال الواقدي قوله قل الروح من امر ربي من فعل ربي وهذا الجواب يدل على انهم سالوه ان الروح قديمة او حادثة فقال بل هي حادثة وانما حصلت بفعل الله وتكوينه وايجاده ثم احتج على احداث الروح بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا بمعنى الروح في عهدنا هذا تكون خالية عن العلوم والمعارف ثم يحصل المعارف والعلوم فهي لا تزال تكون في التغيير من حال الى حال وفي التبديل من نقصان الى كمال والتغير والتبدل من امارات الحدوث فقوله من امر ربي يدل على انهم سالوه ان الروح هل هي حادثة او قديمة فاجاب بانها حادثة واقعة بخلق الله تعالى وتكوينه وهو المراد من قوله قل الروح من امر ربي ثم استدل على حدوث الارواح بتغيرها من حال الى حال وهو المراد بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا فهذا ما نقوله في هذا الباب الواقي وهو يضن الطيف وما بين سبحانه وتعالى انهم ما اتاهم من العلم الا قليلا بين انه لو شاء ان يأخذ منهم ذلك القليل ايضا لقدر عليه بقوله تعالى ولئن شئنا اي وشئنا لاذهبن اقسم بشيء واللام موطية للقسم واجاب عن القسم بما اغنى عن جواب الشرط فقال لنذهبن اي بما انمنا العظيمة ذهابا محققا بالذي اوحينا اليك بان نمحو حفظه من القلوب وكتابته من الكتب وهذا وان كان امرا مخالفا للعادة الا انه تعالى قادر عليه ثم اي بعد الذهاب به لا تجد لك به علينا وكيلا اي لا تجد مدبرا تتوكل عليه في رد شيء منه واحادثة مسطورا محفوظا وقوله تعالى الا رحمة من ربك استثناء متصل لانه مندرج في قوله وكيلا والمعنى الا ان يرحمك ربك فيرده عليك او منقطع فتقدر لكن عند البصريين او بل عند الكوفيين والمعنى ولكنه رحمة من ربك او بل رحمة من ربك بتركه غير مذهوب به وهذا استثناء من الله تعالى ببقاء القرآن قال الواحدي وهذا تنبيه على ان الله تعالى على جميع العلماء من امته احد اسباب سهولة

ذلك العلم عليهم والتأتي لبقاء حفظه عليهم فعلى كل ذي علم ان لا يقصر عن هذين المقامين والقيام بشكرهما وعصمة من الله تعالى عليه بحفظ العلم وبرسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ فان قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله تعالى اجيب بان المراد محو ما في المصاحف واذهاب ما في الصدور قال عبد الله ابن مسعود اقرؤا القرآن قبل ان يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع قيل هذه المصاحف ترفع فكيف ما في صدور الناس قال يسري عليه ليلا فيرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا فينصون في الشر وعن عبد الله ابن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي تحت العرش كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول اتلي ولا يعمل بي وفي رواية لابن مسعود اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة ويصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا ويعلمه ابناؤنا وتعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسري عليه ليلا فيصبح الناس منه قفرا فترفع المصاحف وينزع ما في القلوب وقوله تعالى ان فضله كان اي ولم يزل عليك كبيرا فيه قولان احدهما المراد من ان فضله كان عليك كبيرا بسبب انه جعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين واعطاك المقام المحمود وقد انعم عليك ايضا بابقاء العلم والقرآن عليك وتزلحين قال الكفار للنبي صلي الله عليه وسلم لو شاء لتكلم بمثل هذا القرآن قل اي لهؤلاء البعد لين اجتمعت الانس الذين تتوفونهم وتقوونهم ما اوتوا من البلاغة والحكمة والذين لا تتوفونهم ولجنة الذين يأتون كهانهم ويعلمونهم ببعض الغيبات عنهم وغيرهم وتوكل الملائكة لانهم لا عهد لهم بشيء من التحصيل ولانهم كانوا وسائط على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم وكمال المعاني لا يأتون بمثله اي لا يقدرون على ذلك فالقرآن معجز في النظم والتاليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في اعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق ولو كان مخلوقا فاتوا بمثله تنبيه في قوله تعالى لا يأتون بمثله قولان احدهما اظهرهما انه جواب للقسم الموطاة باللام والثاني انه جواب للشرط واعتذر عن رفعه بان الشرط ماض فهو كقوله

وان اتاه خليل اي فقير يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم

لان الشرط وقع ماضيا وناقشه ابو حيان بان هذا ليس مذهب سيبويه ولا الكوفيين والمراد ان مذهب سيبويه في مثله الى الان التقديم ومذهب الكوفيين والمبرد انه على حذف الفاء وهذا مذهب ثالث قال به بعض الناس ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي معينا يعني اتوى ما في

الي اخوتي ماتي صاحبه تنبيه قدتقدم في سورة البقرة ان الله تعالي قال فاتوا
بسورة من مثله وقدمنا الكلام علي ذلك وفي لوجه كون القرآن معجزا قولان احدهما انه
معجز في نفسه والثاني انه ليس معجزا الا انه تعالي لما صرف دواعيهم عن الاتيان بمعارضته
وكان الدواعي متوفرة عن الاتيان بهذه المعارضة مع التقديرات المذكورة تكون نقضا
للعادة فيكون معجزا والقول الاول اظهر وقد صرفنا اي بينا بوجوه مختلفة زيادة
في التقدير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل اي من كل معنى هو كالمثل في غرابته وقوعه
متوقفا في الانفس وقيل امثاله من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد
والقصص وغيرها وقيل صفة لمحذوف اي مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا فابي
اكثر وهم مذمم في صورة الناس كلفار قريش وقد تسلبوا معانيهم الا كفورا اي جحودا فان
قيل كيف جاز فابي اكثر الناس الا كفورا صوبت الا زايد اجيب بان ابي
متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا ولم يرتضوا الا ايضاح المانعين بالدليل
اعجاز القرآن علي وفق دعوي محمد صلي الله عليه وسلم ولزمتهم الحجة وغلبوا الحذر ليتعللوا
باقتراح الايات فقل اليهود الجحود المتمرد فيما ذيال الحيرة وذكر امنه ذلك سته انواع من
المعجزات اولها وقالوا اي كفار قريش ومنه والاهم لن نؤمن لك حتي تفجر اي تتجبر اعتليها
لنا من الارض ينبوعا اي عينا غزيرة الماء شانها ان تنبع بالماء ولا ينضب ماؤها
وقراءاصم وحمزة والكسائي بفتح التاء والجيم مخففة والباقون بضم التاء وفتح الفاء وكسر
الجيم المشددة ثانيها قولهم او تكون لك اانت وحدك جنة من نخيل وعنب اي واشجار عنب
عبر عنه بالثمرة لان الانتفاع منه يفيدها قليل فتفجر الانهار الجارية خلالها اي وسطها تفجيرا
اي تشقيقا والتفجر شق الظلام عن عمود الصبح والتفجر شق جلباب الحيا بما يخرج اي
الفساد ثالثها قولهم او تسقط السما اي تنسها كما زعمت فيما تتوعدنا به علينا كسفا
اي قطعا جمع كسفة وهي القطعة وقرا نافع وابن عامر وعاصم بنصب السين مثل فقلة وقفع
وسدرة وسدر والباقون بسكونها مثل دمنة ودمن وسدرة وسدر وهو نصب علي
الحال في القراءتين جميعا كانه قيل او تسقط السما علينا مقطعة رابعها قولهم او تاتي معك
بالله اي الملك الاعظم والملايكة قبيلا اي عيانا ومقابلة تنظر اليه لا يخفي علينا منه شاي
وقال الفراء هو جمع قبيلة اي اصناف الملايكة قبيلة قبيلة قال ابن هانيء كفيلا اي يكفلون
ما تقول خامسها قولهم او يكون لك اي خاص بك بيت من زخرف اي ذهب كامل الحسن والزينة
سادسها قولهم او ترقي اي بصعد في السما درجة درجة ونحن ننظر اليك صاعدا ولن نؤمن

اي نصدقك

اي تصدقك مدعين لرقيك اي اصلا حتي تنزل وصفوا اصعدي كونه من السما بقولهم
علينا كتابا ومعني كونه في ورق او نحوه بقولهم نقرؤه بامر نافيه بانباعك ردي
عكرمة عن ابن عباس ان عتبة وشيبة بني ربيعة وابا البختري ابن هشام وعبد الله
ابن امية وامية بن خلف والوليد بن المغيرة وابا جهل بن هشام والعاص بن
وايل ونبها ومنبها بني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم
لبعض ابعثوا الي محمد فكلموه وخاصموه حتي تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف
قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلي الله عليه وسلم سريعا
وهو يظن انهم بدا لهم في امره بدا وكان عليهم حريصا يحب رشدهم حتي جلس اليهم
فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب ادخل
علي قومه ما ادخلت علي قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسفهت الاحلام
وشتمت الالهة وفرقت الجماعة فما بقي امر قبيح الا وقد جيئته فيما بيننا وبينك فان
كنت جيئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتي تكون اكثرنا مالا وان
كنت تريد الشرف سودناك علينا وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي
بك رايا تراه ودعلب عليك لا تستطيع رده بذلنا اموالنا في طلب الطب لك حتي نبرئك
منه او نعذر فيك فكانوا يسمون التابع من الجن الراي فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم ما بي مما تقولون ما جيئتكم به لطلب اموالكم ولا الشرف عليكم ولا
الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان اكون لكم بشيرا
ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والاخرة وان ترددوا
علي امر الله تعالي حتي يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا
عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا واشد عيشا منا فاسيل لنا ربك
الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت ويبسط لنا بلادنا وتفجر فيها انهارا
كانهار الشام والعراق ويبعث لنا من مضي من ابائنا وليكن من بقي قصي ابن كلاب فانه كان
شيخا صدوقا فنسالهم عما تقول احق ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال رسول الله
صلي الله عليه وسلم ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به وان تقبلوه فهو حظكم وان
ترددوا صبر لامر الله قالوا فان لم تفعل فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك واساله ان
يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما ترانا فانا نقوم بالاسواق
ونلتمس المعاش كما نلتمسه فقال صلي الله عليه وسلم ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا

وتذيرا قالوا فاسقط السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال وذاك الي الله ان شاء فعل
ذلك بكم فقال قايل منهم لن نؤمن لك حتي تاتي بالله والملايكة قبيلا فلما قالوا ذلك
قام رسول الله صلي الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن امية وهو ابن عاتكة بنت عبد
المطلب وقال له اعرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سالوك ان تجعل ما خوفهم به من
العذاب فلم تفعل فوالله لا اومن بك ابدا حتي تتخذ الي السماء سلما فترقي به وانا انظر حتي
تاتيها وتاتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملايكة يشهدون بذلك بما تقول وايم الله
لو فعلت ذلك لظننت ان لا اصدقك فانصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم الي اهله
حزينا لما راي من مباعدتهم فانزل الله هذه الاية وفيها اشارة الي انه ليس من شرط
كونه نبيا صاه قانواع المعجزات الكثيرة وتوالها اذ لو فتح هذا الباب لزم ان لا يتناهي
الامر فيه الي مقترح وكلما اتي النبي صلي الله عليه وسلم بمعجز اقترحوا عليه بمعجز
اخر ولا يتناهي الامر فيه الي حد ينقطع عنه عناد المعاندين وتعنت الجاهلين مع انه
صلي الله عليه وسلم اعطي من الايات والمعجزات ما اعيي عن هذا كله مثل القران وانشقاق
القمر وتفجير العيون من بين الاصابع وما اشبه ذلك وعلم تعنتهم وكان لسان الحال طالبا
من الله تعالي الجواب عنه امر الله تعالي بجوابهم بقوله تعالي قل اي لهولا البعداء والاشقياء
سبحان ربي اي تنجيا من اقتراحاتهم وتنزيها لله من ان يامر او يحكم عليه او يشاركه
احد في القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر بصيغة الماضي والباقون قل بصيغة الامر وهل
كنت الا بشرا لا يقدر علي غير ما يقدر عليه البشر رسولا كما كان من قبلي من الرسل
وكانوا لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله تعالي علي ايديهم بما يلايم حال قومهم ولم يكن
من الايات اليهم والهم ان يتحكموا علي الله حتي يتخيروها هذا هو الجواب المجمل واما التفصيلي
فقد ذكر في ايات اخر كقوله تعالي ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم ولو فتحنا
عليهم بابا وعروجا ذلك ولما امر بما تضمن انه كاحد من الرسل في كونه بشرا اتبعه قوله عطفا
علي فابي اوقالوا وما منع الناس اي قريشا ومن قال بقولهم لما لهم من الاحتراز ايمانهم
اي لم يبق لهم مانع من الايمان والحالة هذه مقول منع اذ جاءهم الهدي اي الدليل القاطع علي
الايمان وهو القران وغيره من الادلة وقرا ابو عمرو وهشام باد غام قال اذ عند الجيم
والباقون بالاظهار وامال الالف بعد الجيم حمزة وابن ذكوان محضة والباقون فتحة وقفة حمزة علي الجيم
سهل الهمزة مع المد والقصر الا ان قالوا فاعل منع ان قالوا اي منكرين عليه غاية الانكار
متعجبين منه مستعظمين ابعث الله بشرا رسولا لان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر

ولو بعث الله

ولو بعث الله رسولا الي الخلق لوجب ان يكون ذلك الرسول من الملايكة فاجابهم الله
تعالي بقوله تعالي قل اي لهولا المطرودين عن الرحمة لو كان في الارض ملايكة يمشون عليها
كالادميين مطمئنين اي مستوطنين فيها كاثرين لنزلنا عليهم من السماء مرة بعد مرة كما قلنا في تنزيل
جبريل عليه السلام علي الانبيا من البشر وحقق الامر بقوله تعالي من السماء ملكا رسولا يبلغهم
الخير ويهديهم المراشد لتمكنهم من التلقي منه لمشاكلتهم له بخلاف البشر كما هو مقتضي الحكمة
لان رسول كل جنس ينبغي ان يكون من جنسهم اذ التلقي عن شكله اتم وبه انس واليه جنوح له
الا من فضله الله تعالي بتقليب روحه علي نفسه وبتقليب عقله علي شهوته فاقدر
بذلك علي التلقي من الملك كالرسلين ثم اجابهم الله تعالي جوابا اخر بقوله تعالي قل كفي بالله
اي المحيط بكل شي قدرة وعلما واما الالف حمزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح شهيدا بيني وبينكم علي اني رسوله اليكم ليظهر المعجزات علي
وفق دعواي واني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم حين شهد الله علي صدقه فهو صادق
فيما ذلك قول القايل بان الرسول يجب ان يكون ملكا لا انسانا تحكم فاسد لا يلتفت فيه
تنبيه شهيد انتصب علي الحال او التمييز ثم انه تعالي ذكر ما هو كالتهديد والوعيد
بقوله تعالي انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم ظواهرهم وبواطنهم ويعلم من قلوبهم انهم
لا ينكرون هذه الا لمحض الحسد وحب الرياسة والاستنكاف منا الانقياد للحق ولما تقدم
انه تعالي اعلم بالمهتدي والضال عطف عليه قوله تعالي ومن يهد الله بان يخلق الهداية
في قلبه فهو المهتدي لا يمكن احد غيره ان يضله تنبيه اثبت نافع وابو عمرو اليا بعد
الدال مع الوصل دون الوقف وحذفها الباقون وقفا ووصلا ومن يضلل فلن تجد اي لهذا لين
اولياء يهدونهم من دونه ولا ينفعونهم بشي اذ الله تعالي غيره ولما كان يوم القيامة
يظهر الله فيه لكل احد ما كان يعمل تبه علي ذلك تعالي بقوله تعالي ونحشرهم بنون العظمة اي
بجمعهم يوم القيامة الذي هو محل الحكمة علي وجوههم مسحوبين عليها اهانة لهم وقيل
كلما يذلوها بالسحود لنا قال تعالي يوم يسحبون في النار علي وجوههم اي يمشون عليها
روي ابو هريرة قيل يا رسول الله كيف يمشون علي وجوههم قال ان الذي يمشيهم علي
اقدامهم قادر علي ان يمشيهم علي وجوههم قال حكما الاسلام ان الكفار احوالهم شديدة التعلق
بالدنيا ولذاتها وليس لها تعلق بعالم الاخرى وحضرة الاله سبحانه فلما كانت وجوه قلوبهم
وارواحهم متوجهة الي الدنيا لا جرم كان حشرهم علي وجوههم واما قوله تعالي عميا وبكما وصما
فقد استشكله شخص علي ابن عباس فقال قد قال الله تعالي واري المجرمون النار وقال تعالي

سمعوا لها تغيظا وقال تعالي وهو اهنا لك ثبورا وقال تعالي يوم تاتي كل نفس تجادل عن
نفسها وقال تعالي حكاية عن الكفار والله ربنا ما كنا مشركين فثبت بهذه الايات انهم يرون
ويسمعون ويتكلمون فكيف قال الله تعالي هاهنا عميا وبكما وصما اجاب ابن عباس
وتلامذته عنه من وجوه الاول قالوا ان عباس عميا لا يرون شيا يسرهم مما لا يسمعون شيا
يسرهم بكما لا ينطقون بحجة الثاني قال في رواية عطا عميا عن النظر الي ما جعله الله تعالي
لاوليايه وبكما عن مخاطبة الله ومخاطبة الملايكة المقربين صماعن ثنا الله تعالي عليهم
الثالث قال مقاتل انه حين يقال لهم اخسيوا فيها ولا تكلمون يصيرون عميا بكما صما
اما قبل ذلك فانهم يرون ويسمعون وينطقون الرابع انهم يكونون رايين سامعين ناطقين
في الموقف ولولا ذلك لما قدروا ان يطالعوا كتبهم ولا ان يسمعوا الالزام بحجة الله تعالي عليهم
الا انهم اذا اخذوا ايد ذهبوت من الموقف الي النار جعلهم الله تعالي عميا صما بكما قال الرازي
والجواب الاول اولي لان الاية السابقة تدل علي انهم في النار يبصرون ويسمعون ويصيحون
ثم بين تعالي مكانهم بقوله تعالي ماواهم جهنم تتسعر عليهم كلما خبت اي اخذ لهبها اي السكون
عند اكلها لحومهم وجلودهم زدناهم سعيرا توقدا باعادة الجلود واللحوم ملتهبة مسعرة
كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافنا جزاهم الله تعالي بان لا يزيل الواعلي الاعادة والافنا وقرا
نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر باظهار الثا الثانيث عند الزاي وادغمها الباقون ثم بين علة
تعذيبهم ليرجع منهم من قضي بسعادته بقوله تعالي ذلك اي العذاب العظيم جزاوهم بانهم
اي باجل الضلالة كفروا بايانا التراتية وغيرها وكانوا كل يوم يتعاودون كفرا وهم عازمون
علي الدوام علي ذلك ما يقوا وقالوا انكارا للقدرة ائذا كنا عظاما ورفاتا عمن قبرت في الارض
ثم كرر الانكار كانهم علي ثقة من امرهم هذا الذي يطرا ان وقع منه الشمس يقولهم ائنا لمبعوثون
خلقا جديدا فنخت نريهم جزاعلي هذا الانكار المكرر الخلق الجديد في جلودهم وحومهم مكررا
كالحفظة قال تعالي كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ثم اتبعه
بقاطع في بيان جهلهم بقوله تعالي اولم يروا اي يعلموا ابعيون بصايرهم ما قام عليه من
الدلايل بعكنة من الشواهد الجلايل ان الله الذي خلق السموات جمعها الماد لعلي ذلك
من الحت والمالم تكت الارض مثل ذلك اوردها مريد الجنس الصالح للجميع بقوله تعالي
والارض علي كبر اجرامها وعظم احكامها وقوله تعالي قادر علي ان يخلق مثلهم فيه قولان
الاول المعني قادر علي ان يخلقهم ثانيا بلفظة المعني فيرعد خلقهم ثانيا بلفظة المثل
كما يقوله المتكلمون ان الاعادة مثل الابتدا الثاني المراد قادر علي ان يخلق عبيدا اخرين

يوحدونه ويعترفون بكمال حكمته وقدرته ويتركون ذكر هذه الشبهات الفاسدة وعلي
هذا فهو كقوله تعالي ويات بخلق جديد وقوله تعالي ويستبدل قوما غيركم قال الواحدي
والقول هو الاول لانه اشبه بما قبله وبما بين الله تعالي بالدليل المذكور ان البعث والقيام
من الممكنات الوجود في نفسه اردفه ببيان ان لوقوعه في الوجود وقتا معلوما عند الله وهو
قوله تعالي وجعل لهم اجلا لا ريب اي لا شك فيه وهو الموت او القيامة فابي الظالمون
الا كفورا اي بعد هذه الدلايل الظاهرة ابوا الا الكفر والجحود وما قال الكفار لن نومن
لك حتي تفجر لنا من الارض ينبوعا فطلبوا اجراء الانهار والعيون في بلدتهم لتكثر اموالهم
ويتسع عيشهم بين تعالي انهم لو ملكوا خزاين رحمة الله لبقوا علي بخلهم وشحهم بقوله لكنا
قل اي لهولا التقتين لو انتم اي دون غيركم تملكون خزاين عبر بصيغة تتعالي الجموع لان
المقام جدير بالمبالغة رحمة ربي اي خزاين رزقه وسايرنعمه وذلك غير متناه اذ الامسكتم
اي لوقع عليكم الامساك عن الانفاق في بعض الوجوه اي التي تحتاجونها خشية اي مخافة
عاقبة الانفاق اي الوصل الي العدم فكان المعني انكم لو ملكتم منابع الخير والنعم خزاين لا تتناهي
لها لبقيتم علي الشح والدناة وهذا مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشح وقول البيضاوي
تبعا للزمخشري انتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده قال الزمخشري تقديره لو تملكون جري فيه
علي مذهب الكوفيين من ان لو يليها الفعل مضمرا كما يليها ظاهرا والبصريون يضعونه بعدها
مضمرا الاتي شذوذ كقول حاتم ٭٭ لو ذات سوار لطمتني ٭٭ واصل هذا المثل ان امراة عطلا من الحلي والهيئة لطمت حاتما علي خرم النافة وثالثة
له بقسوة اثار رحلك يقصدها والقصد عندهم ان يقطع عرق من عروق ثم يجمع دمها مع
فشوي وقيل اصله ان المراة المذكورة لطمت رجلا فقال لو ذات سوار لطمتني
لاحتملتها فصار مثلا يضرب لكرم بلطمه الدين ثم استدل علي صحة هذا المفروض بالشاهد من
مضمون قولهم وكان اي جبلة وطبعا الانسان اي الذي من شانه الاتس بنفسه فهو
لذلك لا يعقل الامور حق عقلها قتورا اي بخيلا تتبيه فتح الياء في ربي نافع وابو
عمرو وسكنها الباقون وهم علي مر ابوابهم في المد فان قيل قد يوجد في جنس الانسان
من هو جواد كريم اجيب من وجوه الاول ان الاصل في الانسان البخل لانه
خلق محتاجا والمحتاج لا بد وان يحسب ما يه يدفع الحاجة وان يمسكه لنفسه الا انه قد
يجوديه لاسباب منه خارج فثبت الان الاصل في الانسان البخل الثاني ان الانسان انما
يبذل لطلب الثناء والحمد وليخرج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما انفق الا لياخذ العوض

فهو في الحقيقة بحيل الثالث ان المراد بهذا الانسان المعهود السابق وهم الذين قالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا وما قدم سبحانه وتعالى ان اكثر الناس يجحد
الايات الكونية تعالى حكم بضلالهم ومن حكم بضلاله لا يمكن هداه شرع يسلي نبيه صلى الله
عليه وسلم بما التفق لمن قبله من الانبيا بقوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
اي واضحات واختلف في هذه الايات فقال ابن عباس والضحاك هي العصا واليد
البيضا والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وقلق البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والعصا واليد والسنون ونقص من الثمرات قال البقاعي وهي كما في التوراة الدما
ثم الدم ثم الضفادع ثم القمل ثم هوت البراميم ثم البرد الكبار التي انزلها الله تعالى مع النار المضطرمة
فكانت تلك تهلك كلما مرت عليه من نبات وحيوان ثم الجراد ثم الحوت الظلمة ثم موت الابكار من
الادميين وجميع الحيوان ثم قال وقد نظمها البهوت حفظها الله
عصبي قمل موت البهائم ظلمة ۞ جراد دم ثم الضفادع والبرد
وموت ذكور الادمي وغيره ۞ منة الحي اتاه الذي عز وانفرد
قال وكانة عد اليد مع العصا اية ولم يفرد اليد لانه ليس فيها ضرر عليهم وقال البيضاوي
هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر
ونتق الطور علي بني اسرايل وذكر محمد بن كعب القرظي الطمس والبحر بدل السنين
ونقص من الثمرات وقال ابن الرجل منهم مع اهله في فراشه وقد صار احجرين والمراة منهم
قايمة تختبز وقد صارت حجرا وقال يعقوب هي ايات الكتاب وهي احكام يدل عليها ما روي
عن صفوان ان يهوديا قال لصاحبه تعال بنسال هذا النبي فقال لا تقل نبي لانه
لو سمع صار له اربعة اعين فاتياه فسالاه عن هذه الاية ولقد اتينا موسى تسع ايات
بينات فقال لا تشركوا بالله شيا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تزنوا
ولا تاكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبري الى سلطان ليقتله ولا تقذفوا
المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبلوا يده
وقالوا نشهد انك نبي قال فما منعكم ان تتبعوني قالوا ان داود دعا ربه ان لا يزال في ذريته
نبي وانا نخاف ان اتبعناك ان تقتلنا اليهود وقال الزمخشري علم انه تعالى ذكر في القرآن اشيا
كثيرة من معجزات موسى عليه السلام احدها انه تعالى انزال العقدة من لسانه قيل في
التفسير ذهب اكثم وجاحظ صبي اتيا بها انقلاب العصا حية ثانيا تلقفت الحية حبالهم وعصيهم
مع كثرتها ابرها اليد البيضا وخمسة اخري وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

والعاشر شق البحر وهي قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر والحادي عشر الحجر وهي قوله تعالى
واذ قلنا اضرب بعصاك الحجر والثاني عشر اظلال الجبال وهي قوله تعالى واذ نتقنا الجبل
فوقهم كانه ظلة والثالث عشر انزال المن والسلوي عليه وعليهم وهو والرابع عشر والخامس
عشر قوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات والسادس
عشر الطمسة علي اموالهم حجارة من التبن والدقيق والاطعمة والدراهم والدنانير
روي ان عمر بن عبد العزيز سال محمد بن كعب عن قوله تعالى تسع ايات بينات فذكر
محمد بن كعب في جملة التسع حل عقدة اللسان والطمس فقال عمر بن عبد العزيز هكذا
يجب ان يكون الفقيه ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراد فاخرجه فنفضه فاذا ابيض مكسور
مكسور نصفين والجوز مكسور ونوم وعدس وحمص كلها حجارة وقوله تعالى فاسال
اي يا اعظم خلقنا بني اسرايل يجوز ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
غيره وقرا ابن كثير والكسايي بفتح السين ولا همزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة
مفتوحة بعدها ويجوز ان يكون الخطاب له خاصة وامره بالسوال لهم ليتبين له كذبهم مع
قومهم اي فسال بني اسرايل عامة الذين بنواقريشا عن السوال عن الروح في بعض
الروايات وعن اهل الكهف وذي القرنين عن حديث موسى عليه السلام والمومنين منهم كعبد الله
ابن سلام واصحابه اذ اي عن ذلك حين جاءهم اي جا اباهم فوقع له من التكذيب بعد ظهور
المعجزات الباهرات ما وقع لك فقال اي فذهب الي فرعون فامره يرسالهم معه فابين فاظهر
له الايات واحدة بعد اخري فنسب عن ذلك صدق ما يقتضيه الحال وهو ان قال له فرعون
عتوا واستكبارا اني لاظنك يا موسى مسحورا اي مخدوعا مغلوبا علي عقلك فكلما
يشاء عنك فهو من اثار السحر وهذا كما قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ان تتبعون
الا رجلا مسحورا وقال في موضع اخر ساحر وانهم ربما اطلقوا اسم المفعول مريدين
اسم الفاعل مبالغة لانه ابلغ من الفعل وفي الامر بسوال اليهود تنبيه علي ضلالهم وعالم
يومئذ فرعون علي تواتر تلك الايات وعظمها فكانه قيل فما قال موسى عليه السلام فقيل قال
لفرعون لقد علمت بفتح التا حمزة والكسايي وقرا الكسايي بضمها علي اخباره عن نفسه
ما انزل هولا اي الايات الا رب السموات والارض اي خالقهما ومدبرهما حال كون هذه الايات
بصاير اي بينات يبصر بها صدقي واما السحر فانه لا يخفي انه خيال لا حقيقة له ولكنك
قانط تنبيه قوله تعالى هولا الكلام عليه متجه الهمزتين كلا كلام علي هولا ان
كنتم في البقرة وقد تقدم الكلام علي ذلك ثم حكي الله تعالى ان موسى قال لفرعون وابتي واما

طننتني يا فرعون مسحورا لاظنك يا فرعون مثبورا اي ملعونا مطرودا ممنوعا من الخير
فاسد العقل فعارضه موسى بذلك وشتان بين الظنين فان ظن فرعون كذب صرف لفناه
رب العالمين لوضوح مكابرته للبصاير التي كشف عنها وبهاالعطافي اوضح من الشمس وظن
موسى عليه السلام قريب الى الصحة واليقين من نظايراماراته لان هذه الايات ظاهرة وحدة
المعجزات قاهرة ولايرتاب العاقل انها من عند الله وفي اتة تعالى اظهرها لاجل تصديقي وانت
مكره فلا يحملنك على هذا الانكار الا الحسد والعناد والغي والجهل وحب الدنيا ومتى كان
كذلك كان عاقبته الدمار والثبور فاراد اي فما تسبب عن هذا الذي هو موجب الايمان في
العادة الا ان فرعون اراد ان يستفزهم اي يستخفهم بموسى وبمن امن معه ويخرجهم فيكونوا
كالما اذا ارسال من الارض بالنفي والقتل المتمكن منهم كما اراد هو لا ان يستفزوكم من الله تمكن
بما هم عليه من الكفر والعناد ثم اخذ تعالى يحذرهم سطوته بما فعل بمن كان اكثر منهم واشد
بقوله تعالى فاغرقناه اي فتسبب عن ذلك ان رددنا كيده في نحره كما قال تعالى ولا يحيق المكر
السيء الا باهله اراد فرعون ان يخرج موسى من ارض مصر ليتخلص له تلك البلاد والله تعالى
اهلك فرعون وجعل تلك الارض خالصة لموسى ولقومه فادخله البحر حين ادخل بني اسرايل
فانجاهم واغرق فرعون ومن معه جميعا كما جرت به سنة الله تعالى فيمن عاند بعد ان رأى
الخوارق وكفر النعمة واقراطا في البغي بعد ظهور الحق فليحذر من هو لا مثل ذلك ولا سيما
اذا خرج رسولنا من بين اظهرهم ففي هذه الاية وامثالها بشارة له صلى الله عليه وسلم
في ان الله تعالى يسكنه به في النصرة والتمكن سبيل اخوانه من الرسل عليهم الصلاة والسلام
وقلنا من بعده اي الاغراق لبني اسرايل الذين كانوا تحت يده اذلة من العبيد لنقواهم
واحسانهم اسكنوا الارض اي التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء اي مجيا محققا وعلامة
اي القيامة بعد ان سكنتم الارض احياء وفتنتم فيها مواتا جميعا اي بما لنا من العظمة والقدرة
بكم منها لفيفا اي بعثناكم واياهم مختلطين لاحكم لاحد على اخر ولا دفع لاحد عن اخر على غير
الحالة التي كانت في الدنيا ثم مزيناها بفصلكم عنه بعض ثم عطف سبحانه وتعالى على قوله تعالى
وبالحق اي من المعاني الثابتة التي لا مرية فيها لا بغيره انزلناه نحن اي القرآن فهو ثابت
لا يزول كما ان الباطل هو الذاهب الزايل وهذا القرآن الكريم مشتمل على اشيا لا تزول وذلك
لانه مشتمل على دلايل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملايكة وتقرير نبوة
الانبيا واثبات الحشر والنشر والقيامة وكل ذلك مما لا يقبل الزوال ويشتمل ايضا على شريعة
باقية لا يتطرق اليها النقص والتغيير والتحريف وايضا هذا القرآن تكفل الله تعالى بحفظه عن

تحريف

تحريف الزايغين وتبديل الجاهلين كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وبالحق
لابنيوه نزل هو ووصل اليهم على لسانك بعد انزاله عليك كما انزلناه سواء عضا طريا محفوظا
لم يطرأ عليه طاري فليس فيه من تحريف ولا تبديل كما وقع في كتاب اليهود الذين سالهم
قومك ثم قال تعالى وما ارسلناك يا افضل الخلق بما لنا من العظمة الا مبشرا للمطيع
ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار لا ما يقترحونه عليك
من المعجزات فان قبلوا الدين الحق انتفعوا فيه والا فليس عليك من كفرهم بشيء ثم
ان الله تعالى اخبر ان الحكمة في انزال القرآن مفرقا بقوله تعالى وقرانا اي وفصلنا او انزلناه
قرانا وفرقناه اي انزلناه منجما في اوقات متطاولة قال سعيد بن جبير نزل القرآن كله ليلة
القدر من السما العليا الى السما الدنيا ثم فصل في السنين التي نزل فيها قال قتادة كان بين اوله
واخره عشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة والمعنى قطعناه اية اية وسورة
سورة ولم ينزل جملة لنقراه على الناس عامة على مكث اي مهل وتودة ليفهموه ونزلناه من
عندنا بما لنا من العظمة تنزيلا بعضه اثر بعض مفرقا بحسب الوقايع لانه انشق في فصلها
واعون على الفهم لطول التامل لما نزل من نجومه في مدة ما بين النجمين لقرآن ما فيه من المعاني
ثم ان الله تعالى هددهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل لهم او لا تصدقوا
امنوا به اي القرآن او لا تومنوا فالايمان غير محتاج اليكم ولا موقوف عليكم لانكم امنتم به
كان الحظ لكم والالم تقنطوا الا انفسكم فاختاروا ما تريدون فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده
كمالا وامتناعكم منه لا يورثه نقصانا وقوله تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اي من
قبل انزاله ممن امن به من بني اسرايل تعليل له اي ان لم تومنوا به وانتم اهل جاهلية
وشرك فان خيرا منكم واوفى وهم العلما الذين قرؤا الكتب وعلموا ما اوصي وما اشر ايهم
فامنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم اذا يتلى عليهم اي
القرآن يخرون للاذقان مثنى زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام
قال الزجاج الذقن مجمع اللحيين وكما يبتدا الانسان بالخرور الى السجود فاقرب الاشيا
منه وجهه الى الارض الذقن وقيل ان الاذقان كناية عن اللحى والانسان اذا بالغ عند
السجود في الخشوع والخضوع ربما مسح لحيته على التراب فان اللحية يبالغ في تنظيفها
فاذا عرضها الانسان بكل التراب في حوض المبالغة فقد ابى بغاية التعظيم وقيل ان الانسان
اذا استولى عليه خوف الله تعالى فربما سقط على الارض في معرض السجود كالمغشي عليه فيكون
حينئذ خروره على الذقن فقوله يخرون للاذقان كناية عن غاية ولهه وخوفه وخشيته

فان قيل لم قال يخرون للاذقان ساجدا ولم يقل يسجدون اجيب بان
المقصود من ذكر هذا اللفظ مسارعتهم الي ذلك حتي كانهم يسقطون فان قيل
لم يقل قال يخرون للاذقان ولم يقل علي الاذقان اجيب بان العرب تقول اذا خر الرجل
فوقع لوجهه خر للذقن ثم بين ان ذلك ليس سقوطا اضطراريا بل هو كالجبلة يقوله تعالي سجدا
اي يفعلون ذلك لما يعلمون من خيفته بما اوتوا من العلم السالف وما في قلوبهم من
الاذعان والخشية للرحمن ويقولون اي علي وجه التجديد المستمر سبحان ربنا ننزهه
له عن خلق الوعد ان اي انه كان اي كونا لا يتخلف وعد ربنا اي المحسن الينا بالايمان
وما تبعه من وجوه القرآن لمفعولا اي دون خلق ولابد ان يأتي جميع ما وعد به في الكتب
المنزلة ويبشر به من بعثة محمد صلي الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه ومن التوبيخ والتقريع
وهو تقريض بقريش حيث كانوا يستهزؤن بالوعيد في قولهم او تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا ونحوه مما في معناه الطعن في قدرة الله تعالي القادر علي كل شيء وقوله تعالي
ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد
والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله ويزيدهم اي
سماع القرآن خشوعا وتواضعا ولين قلب ورطوبة عين ولما طالت الكلمات في المناظرة
مع المشركين ومنكري النبوات والجواب عن شبهاتهم اتبعها ببيان كيفية يدعون الله ويطيعونه وكيف يذكرونه في وقت الاشتغال بالعبودية فقال تعالي لنبيه صلي الله
عليه وسلم قل لهم ادعوا الله او ادعوا الرحمن واختلف في سبب نزول هذه الاية فقال
ابن عباس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ذات ليلة وهو ساجد يا الله يا رحمن
فسمعها ابو جهل وهم لا يعرفون الرحمن فقال ان محمدا ينهانا ان نعبد الهين وهو يعبد الها
اخر مع الله تعالي يقال له الرحمن فانزل الله تعالي هذه الاية اي ان الاية اي ان شئتم فقولوا الله
وان شئتم يا رحمن وعن عائشة رضي الله تعالي عنها قالت كان النبي صلي الله عليه
وسلم يجهر بالدعا يقول يا الله يا رحمن فسمعه اهل مكة فاقبلوا عليه فانزل الله تعالي قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن الاية وعن ابن عباس ان ذكر الرحمن كان في القرآن قليلا في اول ما انزل وكان
الذين قد اسلموا من اليهود يسومهم قلة ذلك لكثرته في التوراة كابن سلام وابن يامين وابن
صوريا وغيرهم فسألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم ذلك فنزل قوله تعالي قل ادعوا الله
او ادعوا الرحمن فقال قريش ما بال محمد كان يدعو الها واحدا وهو الان يدعو الهين ما نعرف
الرحمن الا صاحب اليمامة فنزل وهم يذكرون الرحمن هم كافرون ونزل ايضا قوله تعالي قالوا وما الرحمن

وفرح مومنوا اهل الكتاب وهو قوله تعالي الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك
ومن الاحزاب اي حزبي قريش من ينكر بعضه وعن ابن عباس سئل رسول الله
صلي الله عليه وسلم عن قول الله تعالي قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الي اخر الاية
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم هو لما ان من الرقة فان رجلا من المهاجرين
تلاها حين اخذ مضجعه فدخل عليه سارق فجمع ما في البيت وحمله والرجل ليس
بنايم حتي اتي الباب فوجد الباب موردودا فوضع الكارة فتعمل ذلك ثلاث مرات
فضحك صاحب الدار فقال ان احصنت بيتي فان قيل اذا قال الرجل ادع زيدا
او عمرا فهم منه كون زيد مغايرا لعمرو فيهم كون الله تعالي غير الرحمن وحينئذ
تقوي شبهة ابي جهل لعنه الله اجيب بان الدعا ههنا بمعني التسمية لا بمعني
النداء او التسمية تتعدي الي مفعولين يقال دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه
فيقال دعوت زيدا والله والرحمن والمراد بهما الاسم لا المسمي واللام في قوله تعالي
ادعوا باسم الله او ادعوا باسم الرحمن اي اذكروه بهذا الاسم او اذكروه بذلك الاسم
فقوله ادعوا الله ينبه علي ما لزم في كرمه بحكم الوعد من افاضة الرحمة والكرم وايضا
تخصيص هذين الاسمين بالذكر يدل علي انهما اشرف من سائر الاسماء وتقديم اسم الله
علي اسم الرحمن يدل علي ان قولنا الله اعظم الاسماء وتقدم الكلام علي ذلك في تفسير بسم الله
الرحمن الرحيم والتنوين في قوله تعالي ايا ما تدعوا عوض عن المضاف اليه وما صلة للابهام
المؤكد والمعني ايا تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله تعالي فله الاسماء الحسني لانه
اذا حسنت اسماؤه كلها حسنت هذان الاسمان لانهما منها ومعني كونها احسن الاسماء
انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم وقد قدمنا ذكر الاسماء الحسني في الاعراف
عند قوله تعالي ولله الاسماء الحسني فادعوه بها وبعض الاحاديث الواردة في فضلها فليراجع
ورقق حمزة والكسائي علي الالف بعد الياء وقف الباقون علي الالف بعد اللام واختلف في
تفخيم ورقق قوله تعالي ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها فروي عن ابن عباس انه صلي الله عليه
وسلم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحي الله تعالي
اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون كيسبوا الله بانزله علم ولا تخافت بها فلا تسمع اصحابك
وابتغ بين ذلك سبيلا وروي انه صلي الله عليه وسلم طاف بالليل علي دور الصحابة فكان
ابو بكر يخفي صوته بالقراءة وكان عمر يرفع صوته فلما جاء النهار وجا ابو بكر وعمر فقال صلي الله
عليه وسلم لابي بكر لم تخفي فقال انا جي ربي وقد علم حاجتي وقال لعمر لم ترفع صوتك فقال

فقال ازجر الشيطان واقطع الوسنان فامر النبي صلي الله عليه وسلم ابابكر ان يرفع صوته
قليلا وعمر ان يخفض صوته قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها
وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل ان المراد
بالصلاة الدعاء وهذا قول عايشة رضي الله تعالي عنها وابي هريرة ومجاهد قالت عايشة
هي الدعاء وروي هذا مرفوعا ان النبي صلي الله عليه وسلم قال في هذه الاية اعاذك
في الدعاء والمسيلة قال عبد الله بن شداد كان اعراب من بني تميم اذا سلم النبي صلي الله
عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون فانزل الله تعالي هذه الاية والمخافتة
خفض الصوت والسكون يقال صوت خفيق اي خفيض ويقال للرجل اذا مات قد خفت
اي انقطع كلامه وخفت الزرع اذا زبل والمستحب من ذلك التوسط وهو ان يسمع نفسه
كما روي عن ابن مسعود انه قال امة لم يخافت لم يسمع اذنيه وقد مدح الله تعالي الموصفين
بقوله تعالي والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وامر الله تعالي رسوله
صلي الله عليه وسلم بذلك فقال عز من قايل ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل
البسط وبعضهم قال الاية منسوخة بقوله تعالي ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال الواحدي
وهو بعيد وما امر الله تعالي انه لا يذكر ولا ينادي الا باسمايه الحسني علم كيفية التحميد
بقوله تعالي وقل الحمد لله اي الملك الاعظم ثم ذكر سبحانه وتعالي من صفات الذات وهو
والجلال وهي السلوب ثلاثة انواع الاول قوله تعالي الذي لم يتخذ ولدا اي لكونه متصفا
بالصفات الحسني ولدا والسبب فيه وجوه الاول ان الولد هو الذي المتولد من جزء من
اجزاء ذلك الذي فكل من له ولد فهو مركب من الاجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج
والمحتاج لا يقدر علي كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد الثاني ان كل من له ولد فانه يملك
جميع النعم لولده فاذا لم يكن له ولد فاته تلك النعم علي عبيده الثالث ان الولد هو الذي
يقوم مقام الوالد بعد انقضايه وفنايه فلو كان له ولد لكان منقضيا ومنه كذلك لكنه
لم يتقدر علي كمال الانعام في كل الاوقات فوجب ان لا يستحق الحمد علي الاطلاق النوع الثاني
من الصفات السلبية قوله تعالي ولم يكن له شريك في الملك والسبب
في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك ليوشك حينيذ ان هذه النعم والمنافع حصلت منه
او من شريكه فلا يوثق كونه مستحقا للحمد والذكر النوع الثالث قوله تعالي ولم يكن له ولي
من الذل اي ولم يوالي من اجله مذلة به يدفعها بموالاته والسبب في اعتباره انه لو جاز
عليه ولي يلي امره كان مستوجبا الاعظم انواع الحمد ومستحقا الاقسام الشكر فنفي عنه

ان يكون

ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا او ما يعاونه
ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة عليه علي انه الذي يستحق جنسية الحمد لانه كامل
الذات المتفرد بالايجاد المنعم علي الاطلاق وما عداه فاما نقص مملوك منعم او منعم عليه ولذلك
عطف عليه قوله تعالي وكبره تكبيرا اي وعظمه تعظيما عاريا عن ايجاد الولد والشريك والذل
وكل ما لا يليق به وترتيب الحمد علي ذلك للدلالة علي انه المستحق لجميع المحامد لكمال ذاته
وتنزهه في صفاته روي الامام احمد في مسنده عن معاذ الجهني عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم انه كان يقول اية العز الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
الي اخر السورة وعن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم محمد
اول من يدعي الي الجنة يوم القيامة الذين يحمدون في السراء والضراء وعن عبد الله بن
عمر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده
وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان افضل الدعا الحمد
لله وافضل الذكر لا اله الا الله وعن عمرة بن جندب قال قال رسول الله صلي الله عليه
وسلم احب الكلام الي الله تعالي اربع لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله
لا يضرك بايهن بدات اخرجه مسلم روي ان قول العبد الله اكبر خير من الدنيا وما
فيها وعن عمرو بن شعيب قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا افصح الغلام
من بني عبد المطلب علمه وقل الحمد لله الاية يقال افصح الصبي في منطقه فهم ما يقول
وعن عبد الله بن كعب قال افتتحت التوراة بفاتحة سورة الانعام وختمت بخاتمة هذه
السورة واما ما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري وتبعهما ابن عادل ان رسول الله صلي الله
عليه وسلم قال من قرا سورة بني اسراييل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار
في الجنة والقنطار الف وقية ومايتا وقية فحديث موضوع

سورة الكهف مكية

الا واصبر نفسك الاية وهي ماية وعشر ايات والف وخمسماية وسبع وسبعون كلمة
وعدد حروفها ستة الاف وثلاثماية وستون حرفا بسم الله الذي لا كفو له ولا شريك
الوهية الذي اقام عباده علي اوضح الطرق بانزال هذا الكتاب الرحيم بتفضيل من اختصه
بالصواب وهو قوله تعالي الحمد لله تقدم الكلام عليه مستقصي في اول الفاتحة الذي
انزل علي عبده الكتاب اي القراني رتب تعالي استحقاق الحمد علي انزاله تنبيها علي انه
اعظم انعامه وخص رسوله صلي الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القران نعمة عليه علي الخصوص

وعلي سايرالناس علي العموم فلان الله تعالي اطلعه بواسطة هذا الكتاب الكريم علي
اسرار علوم التوحيد والتنزيه وصفات الجلال والاكرام واسرار احوال الملايكة والانبيا
واحوال القضا والقدر وتعلق احوال العالم السفلي باحوال العالم العلوي وتعلق احوال
عالم الاخرة بعالم الدنيا وكيفية توقل القضاعة عالم الغيب وكيفية ارتباط عالم الجسمانيات
بعالم الروحانيات ولاشك ان ذكر هذه اعظم النعم واما كون هذا الكتاب نعمة علينا فلانه مشتمل
علي التكاليف والاحكام والوعد والوعيد والعقاب وبالجملة فهو كتاب كامل في اقصي
الدرجات فكل احد ينتفع به بمقدار طاقته وفهمه فوجب عليه صلي الله عليه وسلم
وعلي امته ان يحمدوه علي هذه النعم الجزيلة وقال تعالي علي عبده لما في كل من الوصف
بالعبودية والاضافة اليه سبحانه وتعالي من الاعلام بتشريفه واشارة الي انه الذي
اسري به الي حضرات قدسه ليريه من اياته ثم انه تعالي وصف الكتاب بوصفين الاول
قوله تعالي ولم يجعل له اي فيه عوجا اي اختلافا وتناقضا كما قال تعالي ولو كان من عند
غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والجملة حال من الكتاب الموصوف الثاني قوله تعالي قيما
قال ابن عباس يريد مستقيما اي معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط قال الواحدي وهذا
عندي مشكل لانه لا معني لنفي الاعوجاج الا حصول الاستقامة فتفسير القيم بالمستقيم
يوجب التكرار بل الحق ان المراد من كونه قيما كونه سببا لهداية الخلق وانه يجري مجري
من يكون قيما للاطفال كالاب والام والقرآن كالقيم المشفق القائم بمصالحهم
وقال قبل ذلك كان الشيء يجب ان يكون كاملا في ذاته ثم يكون مكملا لغيره ويجب ان يكون
تاما في ذاته ثم يكون فوق التمام بان يفيض عنه كمال الغير فقوله تعالي ولم يجعل له عوجا
اشارة الي كونه كاملا في ذاته وقوله قيما اشارة الي كونه مكملا لغيره ونظيره قوله تعالي
في سورة البقرة في صفة لا ريب فيه هدي للمتقين فقوله لا ريب فيه اشارة الي كونه في
نفسه بالغا في الصحة وعدم الاخلال الي حيث يجب علي العاقل ان لا يرتاب فيه وقوله
هدي للمتقين اشارة الي كونه سببا لهداية الخلق ولكمال حالهم فقوله تعالي ولم يجعل
له عوجا قايم مقام قوله تعالي لا ريب فيه وقوله تعالي قيما قايم مقام قوله تعالي هدي للمتقين
واختلف النحويون في نصب قوله تعالي قيما علي اوجه الاول قال في الكشاف
لا يجوز حيله حالا من الكتاب لان قوله تعالي ولم يجعل له عوجا معطوف علي قوله تعالي
انزل فهو داخل في خبر الصلة وانه لا يجوز قال ولما ابطل هذا اوجب ان ينتصب بمضمر والتقدير
ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه تعالي انما نفي عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة قال فان

قلت

قلت فما فايدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غني عن الاخر قلت
فايدته التاكيد وربما مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من اوني عوج عند
البعض والتصفح الوجه الثاني انه حال ثانية والجملة المنفية قبله حال ايضا كما مر وتقدير
الحال الذي حال واحد جايز والتقدير انزله غير جاعل له عوجا الوجه الثالث انه حال
ايضا ولكنه يدل من الجملة قبله لانها حال وابدال المفرد من الجملة اذا كانت بتقدير مفرد
جايز ولما ذكر تعالي انه انزل علي عبده هذا الكتاب الموصوف بما ذكر اردفه ببيان ما
لاجله انزله بقوله تعالي لينذر اي يخوف الكتاب الكافرين باسا اي عذابا شديدا
من لدنه اي صادرا من عنده وقرا شعبة باسكان الدال وكسر النون والهاء وصلة لها
بياء والباقون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء وابن كثير علي اصله بضم الهاء في الوصل
بواو ويبشر للمومنين اي الراسخين في هذا الوصف وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء
التحتية وسكون الموحدة وضم الشين مخففة والباقون بضم التحتية وفتح الموحدة
وكسر الشين مشددة الذين يعملون الصالحات وهي ما امر به خالصا له وذلك الايمان
مفتاح الايمان ان لهم اي بسبب اعمالهم اجرا حسنا هو الجنة حال كونهم ماكثين فيه ابدا
بلا انقطاع اصلا فان الابد زمان لا اخر له وقوله تعالي وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
معطوف علي قوله تعالي لينذر باسا شديدا من لدنه والمعطوف يجب كونه مغايرا
للمعطوف عليه فالاول عام في حق كل كافر والثاني خاص بمن اثبت لله ولدا وعادة القرآن جارية
بانه اذا ذكر قضية كلية عطف عليها بعض جزييات تلك القضية تنبيها علي كونه اعظم جزييات ذلك الكلي
كقوله تعالي وملايكته ورسله وجبريل وميكال فكذا ها هنا هذا الاطلاق يدل علي ان قبح
انواع الكفر اثبات الولد لله تعالي تنبيه الذين اثبتوا لله ولدا ثلاث طوايف الاولي
كفار العرب الذين قالوا الملايكة بنات الله الثانية النصاري الذين قالوا المسيح ابن الله الثالثة
اليهود الذين قالوا عزير ابن الله ثم انه تعالي انكر علي القايلين ذلك منه وجهين الاول قوله
تعالي مالهم به اي القول من علم اي اصلا لانه ما لا يمكن ان يعلم العلم به لانه لا وجود له
ولا يمكن وجوده ثم قرر تعالي هذا المعني واكده بقوله ولا لابايهم الذين يقلدونهم
في الدين حتي في هذا الذي لا يتخيله عاقل ولو احطاوا في تصرف دنيوي لم يتيسر لهم فيه فان
قيل اتخاذ الله ولدا محال في نفسه فكيف قيل مالهم به من علم اجيب بانه انما نفي العلم
بالشيء قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد لا يكون لانه في نفسه محال لا يمكن تعلق العلم
به ونظيره قوله تعالي ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به الوجه الثاني كبرت اي عظم الذنب

كلمة اي ما اكبرها من كلمة وصور فظاعة اجترائهم على النطق بها بقوله تعالى تخرج من
افواههم اي لم يكتفوا خطورها في انفسهم وتردادها في صدورهم حتى تلفظوا بها وكان
صدورهم بها على وجه التكرير بما يسيء اليه التصريح بالمضارع تنبيه على سمية
هذه كلمة كما يسمون القصيدة كلمة ثم بين ما افهمه الكلام من انه كلامهم لا علم لهم بذلك
لا علم لاحد به اصلا لانه لا وجود له فقال تعالى ان اي ما يقولون الا كذبا اي قولا
لا حقيقة له بوجه من الوجوه ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الحرص على ايمان
قومه شفقة عليهم وغيرة على المقام الالهي الذي ملأ قلبه تعظيما حقض عليه سبحانه
وتعالى بقوله تعالى فلعلك ياخع اي قاتل نفسك من شدة الغم والوجد واشار
تعالى الى شدة غمهم وسرعة مفارقتهم وعظيم مباعدتهم بقوله تعالى على اثارهم
اي حين تولوا عن التوحيد وعن اجابتك ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القرآن
المتجدد تنزيله على حسب التدريج اسفا منك على ذلك والاسف شدة الحزن والغضب
فان قيل ذلك يدل على حدوث القرآن اجيب بانه محمول على الالفاظ
سبحانه وهي حادثة ثم بين تعالى علة ارشاده الى الاعراض عنهم بقدر ما يقدر عليه من التبليغ
للبشارة والنذارة بانهم لم يخرجوا عنه مراده تعالى وان الايمان لا يقدر على ادخاله
قلوبهم عزه بقوله تعالى انا اي انا لا نفقر ذلك لانا جعلنا ما على الارض من الحيوان
والنبات والشجر والمعادن وغيرة لك وقال بعضهم بل المراد الناس فهم زينة الارض
وبالجملة فليس في الارض الا الموالید الثلاثة وهي المعادن والنبات الشامل للشجر
والحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان زينة لها اي الارض قيل المراد اهلها
اي زينة لها لاهلها قال الواربي ولا يمتنع ان يكون ما تحتسن به الارض زينة لها كما جعل
الله السماء مزينة بالكواكب ولما اخبر تعالى بزينتها اخبر تعالى بعلته بقوله تعالى
لنبلوهم تعاملهم معاملة المختبر ايهم احسن عملا باخلاص الخدمة لربه وتصدير ما كانا
تعلمه منهم ظاهرا فان الله تعالى يعلم البر والفاجر ليقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه
بينهم بان من اظهر موافقة الامر فيما نال من الزينة حاز المثوبة ومن اجترأ على مخالفة
الامر بما اتاه منها استحق العقوبة فكانه تعالى يقول يا محمد اني خلقت الارض وزينتها واخرجت
منها انواع المنافع والمصالح والمقصود من خلقها بما فيها من المنافع ابتلاء الخلق بها ليظهر
ثم انهم يكفرون ويتمردون ومع ذلك فلا اقطع عنهم موارد هذه النعم فانت ايضا يا محمد لا ينبغي
ان تنهي في الحرب بسبب كفرهم الى ان تترك الاشتغال بدعوتهم الى الدين الحق ثم انه تعالى لما بين

انه انما زين الارض

انما زين الارض لاجل الامتحان والابتلاء لاجل ان يبقى الانسان فيها مستمتعا بها الى
ان خلد بينا بقوله تعالى وانا لجاعلون ما عليها من جميع تلك الزينة لا يصعب علينا
شيء منه صعيدا اي فتاتا جرزا اي يابسا لا نبت ونظيره قوله تعالى كل من عليها
فان وقوله تعالى فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتخصيص الاعلام
بما على الارض يوهم بقاء الارض الا ان سائر الايات على ان الارض ايضا لا تبقى كما قال
تعالى يوم تبدل الارض غير الارض ولما ان القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف
وسالوها النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتحان قال تعالى ام حسبت اي
ظننت ان اصحاب الكهف على ما لكم من العقل الرزين والراي الرصين ان اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا على ما لزم من تاويل السابقين من الكفرة من اليهود
والروم والواقع انهم كانوا من العجايب ليس ايجاده بالنسبة الى كرة ايانا فان من كان
قادرا على تخليق الحيوان والارض كان يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته حفظ
طايفة عدة ثلاثمائة سنة واكثر في النوم والكهف الغار الواسع في الجبل واختلف
في الرقيم فقيل هو اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت وليس بها الرقيم مجاورا لهم
وصيدهم وهو بكسر الصاد مفعول مجاورا اي فناؤهم والقوم في الكهف هجد اي نوم وقيل
هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم وقصصهم جعل على باب الكهف قال البغوي وهذا
اظهر الاقاويل وقيل ان الناس رقموا حديثهم في الجبل وقيل هو الوادي الذي
فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل اصحاب اقوام اخر وقد عثر على اصحاب الكهف الرقيم
كانوا ثلاثة يطلبون الكلا او نحوه لاهلهم فاخذهم المطر فاووا الى الكهف فانحطت صخرة
وسدت عليهم بابه فقال احدهم اذكر والله عمل حسنة لعل الله يرحمنا بذكره فقال واحد
استعملت اجيرا اذا ذات يوم فجاء رجل منهم وسط النهار وعمل في بقية مثل عملهم فاعطيته مثل
اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته في جانب البيت ثم بين نزر فاشتريت بقيلة
والقيلة ولد الناقة اذا انفصل عن امه فبلغت ما شاء الله فرجع الي يوما حين شيخا
ضعيفا لا اعرفه وقال ان لي عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت
فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع عنا الجبل حتى رؤا الضوء والصدع الشق
والصداع وجع الراس وقال اخر كان في فضل واصاب الناس شدة فجاءتني امراة تطلب
مني معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم جئت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها
فقال اجيبي واعيني عيالك فانت وسلمتي الى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت لها

مالك فقال اخاف الله تعالى فقلت لها خفيته في الشدة ولم اخفه في الرخاء فتركتها
واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلت لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى نظروا وقال
الثالث كان لي ابوان هرمان وكان لي غنم وكنت احلبها واسقيهما ثم ارجع الى غنمي
ذات يوم غيم فلم ارجع حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت محلبي فحلبت فيه ومضيت
اليهما فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما فوقفت حابسا محلبي حتى يديا حتى
ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا فرج الله
عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك النعمان بن بشير وقد قدمنا سبب نزول قصة اصحاب الكهف
عند قوله تعالى ويسئلونك عن الروح وذكر محمد بن اسحاق سبب نزول هذه القصة
مشروحا فقال كان النضر بن الحارث من شياطين قريش وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها احاديث رستم واسفنديار
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس مجلسا ذكر فيه الله تعالى وحذر قومه
ما اصاب من كان قبلهم من الامم وكان النضر يخلفه في مجلسه اذا قام وقال انا والله يا معشر
قريش احسن حديثا منه فهلموا فانا احدثكم احسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك
فارس ثم قال ان قريشا يدنوه ويسمعوا معه عقبة ابن ابي معيط الى احبار يهود بالمدينة
وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفته فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من العلم ما ليس
عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسالا احبار اليهود عن احوال محمد فقال
لهما اليهود سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول فان حديثهم عجيب وعن رجل طواف
قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح وما هي فان اخبركم فهو نبي
والا فهو متقول فلما قدم النضر وصاحبه مكة قالا قد جيناكم بفصل ما بيننا وبين محمد
صلى الله عليه وسلم واخبراهم بما قالته اليهود فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسالوه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن
فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة
لم ينزل وشق عليه ذلك ثم جاءه جبريل عليه السلام من عند الله بسورة اهل الكهف فيها
معاتبة الله تعالى اياه على حزنه عليهم وفيها خبر اولئك الفتية وخبر الرجل الطواف ثم
ابتدا الفتية فقال اتاني واذكر اذ اوى الفتية وهم اصحاب الكهف الميمون اعلامهم جمع فتى
وهو الشاب الكامل والشباب اقبل على الحق واهدى للسبيل من الشيوخ الى الكهف خارجين على
ايمانهم من قومهم الكفار واختلفوا في سبب مصيرهم الى الكهف فقال محمد بن اسحاق بن يسار

مرج اهل الاخيل وكثرت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا
للطواغيت وبقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل
ذلك من ملوكهم ملك منهم الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من
خالفه وكان يتركه قرى الروم فلا ينزل في قرية نزلها احد الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام
او يقتله ثم نزل قرية اهل الكهف وهي مدينة افسوس فلما نزلها كبر على اهل الايمان
فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه واتخذ شرطة من الكفار وامرهم ان يتبعوهم في اماكنهم
ويخرجوهم اليه فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام وثان والذبح للطواغيت فمنهم
من يرغب في الجنات ومنهم من يابى ويعبد غير الله تعالى فيقتل فلما راى ذلك اهل الشدة
في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ثم جعل ما قطع من
اجسادهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من ابوابها حتى عظمت الفتنة فلما
راى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والدعاء والتسبيح
وكانوا من اشراف المدينة ومن اشراف الروم وكانوا ثمانية نفر بكوا وتضرعوا الى الله تعالى
وجعلوا يقولون ربنا اكشف عنا عبادك المومنين هذه الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء حتى
يبلغوا عبادتك فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلى لهم ادركهم الشرط فوجدوهم ساجدين
على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى فقالوا لهم ما خلفكم عن امر الملك انطلقوا
اليه ثم خرجوا فوقفوا امرهم الى دقيانوس فقالوا لجمع الناس للذبح لالهتك وهولاء الفتية من
اهل بيتك يستهزءون بك ويعصون امرك فلما سمع ذلك بعث اليهم فاتي بهم فتيقن عينهم فدعا
بعنفهم وجوههم في التراب فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا
انفسكم اسوة بسوة اهل المدينة احتاروا ان تذبحوا الالهتنا واما ان اقتلكم فقال له
كبيرهم واسمه مكسلمينا ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه
الها ابدا له الحمد والتكبير والتسبيح من انفسنا خالصا ابدا اياه نعبد واياه نسال النجاة
والخير واما الطواغيت فلن نعبدها ابدا اصنع ما بدا لك وقال اصحابه مثل ما قال فلما
قالوا ذلك امر الملك بنزع لباسهم وحليه كانت عليهم من الذهب والفضة وقال اسقط عنكم
واخر عنكم ما وعدتكم من العقوبة وما ينبغي ان اعجل لكم ذلك الا اني لم ار لكم شبابا قد بشة
اسنانكم فلا احب لكم ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه وترجعون الي اعقولكم
في امورهم فاخرجوا من عنده وانطلق الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض امورها فلما راى
الفتية خروجه بادروا فقدموه وخافوا اذا قدم مدينتهم ان يذكرهم فاتبعهم رايتهم

ان ياخذ كل واحد نفقة من بين ابيه فيتصدق قوامنها ويتزود وا بما بقي ثم يرتحلوا الي
كهف قريب من المدينة فيمكثون فيه ويعبدون الله حتي اذا جاء فيانوس اتوه فقاموا
بين يديه فيصنع بهم ماشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتي منهم الي بيعة ابيه
فاخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا عامدين وابتعهم كلب كان لهم حتي اذا اتوا ذلك
الكهف فلبثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بالكلب فنبحهم فطردوه فعاد فتفعلوا ذلك
مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا جانبي اني احب احباب الله عز وجل
فناموا حتي احرسكم وقال ابن عباس هو بوليامنة دقيانوس وكانوا سبعة نفروا
بواع معه كلب فتبعهم علي دينهم وتبعه كليه فخرجوا من البلد الي الكهف وهو قريب
من البلد قال ابن اسحاق فلبثوا فيه ليس لهم عمل غير الصلاة والصيام والتسبيح والتمجيد
ابتغاء وجه الله تعالي وجعلوا نفقتهم الي فتي منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع ازوادهم
من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه
حسانا وياخذ ثيابا كثيابا لمساكين الذين يستطعمون فيها ثم ياخذ ورقة ويرتطل الي
المدينة فيشتري لهم طعاما وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكروا اصحابه بشيء ثم يرجع
الي اصحابه فلبثوا في ذلك ماشاء الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظيما اهلها
ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك اهل الايمان وكان تمليخا رئيسا لاهله صحابه طعاما
فرجع الي اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل واخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد
ذكروا والتمسوا من عظم المدينة فقرعوا لهم فقوا سجودا وبيضرعون ويبتهلون
من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارتفعوا وسلم واطمئنوا وتوكلوا علي ربكم فقاموا
وسلموا واعينهم تفيض من الدمع وظلموا ذلك مع غروب الشمس ثم جعلوا يتقلبون
ويتدارسون وينكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله علي اذانهم في الكهف وكلهم
باسط ذراعيه بباب الكهف فاصابهم ما اصابهم وهم مؤمنون موقنون وتفقدهم عندهم قالوا
فلما كانت من الغد تفقدهم دقيانوس فلم يجدهم فقال لبعض عظمائهم وعظماء المدينة
لقد سباني شان هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا اني بي غضبا عليهم لجلهم ما اجهلوا
من امري ما كنت لاجهل عليهم انهم تايوا وعبدوا الذي تقال عظم المدينة ما انت بحقيق ان
ترحم قوما بخرجة مردة عصاة لقد كنت احلت لهم اجلا ولو شاء لوجعوا في ذلك الاجل والكلام
لم يتوبوا فلما قال لوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم ارسل الي ابائهم فاتي بهم فسالهم عنهم وقال
اخبروني عن ابنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له اما تحت فلم نقضبك فلم نقتلنا يفقم مردة

قد ذهبوا

قد ذهبوا بابنائنا واهلكوها في اسواق المدينة ثم انطلقوا فارتقوا الي جبل يدعي بخلوس
فلما قالوا ذلك خلي سبيلهم وجعل مايدري ما يصنع بالعصبة فالقي الله تعالي في قلبه انه
باب الكهف عليهم وارا د الله تعالي ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستحلق من بعدهم وان
يبين لهم ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر فيانوس بالكهف
ان يسد عليهم وقال دعوهم كما هم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبورا
لهم وهو يظن انهم ايقاظ بعلموت ما يصنع بهم وقد توفي الله تعالي ارواحهم وفاة
النوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهما عشيهم يتقلبون ذات اليمين
وذات الشمال ثم ان رجلين مومنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما احدهما اسمه ان يكتب
شان الفتية وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت
في البنيان وقالا لعل الله يظهر علي هولا الفتية قوما مومنين قبل يوم القيامة فيعلم
من يفتح عليهم خبرهم حين يقرا الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم
مات وقومه وقرون بعده كثيرة وقد حكي الله تعالي عنهم انهم لما اووا الي الكهف فقالوا
اي عقب استقرارهم ربنا اتنا من لدنك اي من عندك رحمة توجب لنا المغفرة والرفق
والامنة من عدوك وهي لنا من امرنا اي من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا الرشد والرشد والرشاد نقيض الضلال وفي تغيير اللفظ وجهان الاول للتفنن
هي لنا امر ارشد اي حتي نصير بسببه راشدين مهتدين الثاني ليحصل امرنا
رشد اله كقولك رايت منك رشدا ولما اجابهم سبحانه وتعالي عبر عن ذلك بقوله
تعالي فضربنا اي عقب هذا القول علي اذانهم يمنع السماع اي اعدمناهم نومة لا تنبههم معها
الاصوات الموقظة فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال بني علي امراته يريدون
بني عليها القبة ثم بين تعالي انه انما ضرب علي اذانهم في الكهف اي المهود وهو ظرف مكان
وقوله تعالي سنين ظرف زمان وقوله تعالي عددا اي ذوات عدد يحتمل التكثير والتقليل
فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده كقوله تعالي لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج
اوائل الوقوم مقدار عدده فلم يحتج الي ان يعد واذا كثر احتاج الي ان يعد ثم يعثناهم
اي ايقظناهم من ذلك النوم لنعلم اي علم مشاهدة وقد سبق تقرير هذه الاية
في القران كثيرا منها ما سبق في سورة البقرة الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب
علي عقبيه وفي ال عمران ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقد بينا هناك علي انه لا يجوز في حاله
اي الحزبين اي الزنتين المختلفين في مدة لبثهم احصي لما لبثوا امدا واختلفوا في الحزبين

المختلفين فقال عطا عن ابن عباس المراد بالحزبين الملوك الذين تداولوا المدينة
ملكا بعد ملك ورأي اصحاب الكهف والملوك حزب وقال مجاهد الحزبان من القبيلة ان
اصحاب الكهف لما انتهبوا اختلفوا في انهم كم لبثوا ويدل له قوله تعالى قال قايل منهم كم
لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فالحزبان هما هذان وكان
الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول وقال القراظ ينتين من
المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم تنبيه احصى نقلا ما ضن
اي ايهم ضبط امر الاوقات لبثهم واما من جعله افعل تفضيل فقال في الكشاف ليس
بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحوه اعدى من الحرب
واقلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع فكيف به ثم قال الله اعلم
بمن اي بمدة امنهم العظيمة والقدرة الباهرة نقص عليك يا اشرف الخلق نبأهم اي خبرهم
العظيم فصلا لبسا يا الحق اي الصدق انهم فتية اي شباب امنوا بربهم اي الحسن
البهم الذي تزوف بخلوهم وبرزقهم ثم وصفهم الله تعالى بقوله ونزدناهم بعد ان امنوا
هدى بما قذفنا هم في قلوبهم من المعارف وربطنا على قلوبهم اي قويناها فصارت
ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدد فكانت حالهم في الخلوة حالهم في الخلوة اذ قاموا اي وقت
قيامهم بين يدي الجبابرة فيأتون من غير ميل الاتيه حين عابتهم على ترك عبادة الاصنام
فقالوا ربنا رب السموات والارض وذلك لانهم كانوا يدعون الناس الى عبادة الطواغيت
فثبت الله تعالى هؤلاء الفتية حتى عصوا ذلك الجبار واقروا بتوحيد الله تعالى وصرحوا
بالبراءة من الشرك والاضداد بقولهم لن ندعو من دونه الها لان ما سواه عاجز والله
لقد قلنا اذا اي اذا دعونا من دونه غيره شططا اي قولا ذا بعد عن الحق جدا وقال
مجاهد كانوا ابناء عظماء مدينتهم فخرجوا فاجتمعوا وهم المدينة من غير ميعاد فقال
رجل منهم صواكبر القوم اني لاجد في نفسي شيأ ما اظن ان احدا يجده قالوا وما تجد قال اجد
في نفسي ان ربي رب السموات والارض قالوا ونحن كذلك في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا
رب السموات والارض وقال عطا قالوا ذلك عند قيامهم من النوم قال الواحدي وهو بعيد
لان الله تعالى استانف قصتهم بقوله تعالى نحن نقص عليك وقال عبيد بن عمير كان
اصحاب الكهف فتيانا مطوقين مورين ذوي ذوايب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد
لهم عظيم في زي وهيئة وخرجوا منهم الى مجمع لهم يعبدونه وقد قذف الله تعالى في
قلوب الفتية الايمان وكان احدهم وزير الملك فامنوا واخفى كل واحد ايمانه فقالوا في النوم

تخرج من بين اظهرهم هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى اتى اي ظل
شجرة فجلس فيه ثم خرج اخر فصنع كما صنع الاول وحده فرجي ان يكون على مثل امره من غير ان يظهر
ذلك ثم خرج اخر فخرجوا كلهم جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم
صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا لا يخرج كل فتيين فيخلوا ثم يفشي كل واحد سره الى صاحبه
فتعاهدوا فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض هؤلاء
قومنا وان كانوا انسب منا واقوى واجل في الدنيا اتخذوا من دونه الهة اشركوهم
معه لولا اي هلا يأتون عليهم بسلطان اي دليل بين اي ظاهر منكر ما ياتين نحن على
تعذيب معبودنا بالادلة الظاهرة فنسبب عن عجزهم عنه دليل انهم اظلم الظالمين فلذلك
قالوا ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن افترى اي تعمد على الله اي الملك الاعظم كذبا بنسبة
الشريك اليه تعالى ثم قال بعض الفتية لبعض واذ اي وحين اعتزلتموهم اي قومكم وما
يعبدون اي واعتزلتم معبوداتهم وقوله الا الله يجوز ان يكون استثناء منه متصلا على
ما روي انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما كان اهل مكة وان يكون منقطعا وقيل
هو كلام معترض من اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا غير الله تعالى فاووا الى الكهف
اي الغار الذي في الجبل ينشر اي يبسط لكم ربكم ويوسع عليكم ربكم اي الحسن اليكم من رحمته
ما يكفيكم به الهم من امركم في الدارين ويهيئ لكم من امركم اي الذي من شانه ان يرفق بكم مرفقا
اي ما تنتفعون به اي تستفيدون وجزمهم بذلك لخلوص نيتهم وقوة وثوقهم بفضل الله وقرا
نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء والباقون بكسر الميم وفتح الفاء قال الفراء هما لغتان هـ
واشتقاقهما من الارتفاق وكان الكسائي لا يذكر في مرفق الانسان الذي في اليد الا كسر الميم
وفتح الفاء والمرفق بجزره في الامر وفي اليد وقيل هما لغتان الا ان الفتح اقيس واكثر
والخطاب في قوله تعالى وترى الشمس للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد وليس المراد ان من يرى
بهذا يرى هذا المعنى ولكنه العادة في المخاطبة تكون على هذا النحو ومعناه انك لو رايتهم
لرايتهم على هذه الصورة اذا طلعت تزاور اي تميل عن كهفهم ذات اليمين اي ناحية
وانا غربت تقرضهم اي تعدل في سيرها عنهم ذات الشمال اي فلا يقع شعاعها عليهم فتوذيهم
لان الله تعالى رواها عنهم وقيل ان باب ذلك الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت
الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على شماله وقرا السوسي بامالة الفا وترى المشغلية
بعد الراي الاصل بخلاف عنه والباقون بالفتح في الوصل وهم على اصولهم في الوقف وابو عمرو وحمزة
والكسائي بالامالة محضة وورش بين اللفظين والباقون بالفتح وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو

تزاور بتشديد الزاي وتخفيف الواو المضمومة وابن عامر بسكون الزاي ولا الف بعدها
وتشديد الواو على وزن محمر والباقون وهم عاصم وحمزة والكسائي بتخفيف الزاي والواو
ولا الف في ضم الواو والمالة تقدمي حفظهم من حر الشمس بين انها تشرق بروح الهواء والظلم
بسعة الموضع في فضاء الغار فقال تعالى وهم في فجوة منه اي في وسط الكهف ومتسع منا لهم
برد الريح ونسيمها ثم بين تعالى نتيجة هذا الامر الغريب في التنبيه بقوله تعالى ذلك
اي المذكور العظيم من ايات الله اي دلايل قدرته من يهد الله اي الذي له الملك كله
يخلق هذه الهداية في قلبه كاصحاب الكهف فهو المهتدي في اي زمان كان فلن تجد له
مضلا معونا وافقني ذلك اشارة الى ان اهل الكهف جاهدوا في الله واسلموا له وجوههم
فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالاية العظيمة
وان كل من سلك طريق التهتدين الراشدين فهو الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة
وقرا نافع وابو عمر وبزيادة ياء بعد الدال في الوصل دون الوقف والباقون بحذفها وقفا
ووصلا ومن يضلل اي يضله الله تعالى ولم يرشده كدقيانوس واصحابه فلن تجد له
وليا اي معينا مرشدا اي يرشده للحق ثم انه تعالى عطف على ما مضى بقية امورهم بقوله
تعالى وتحسبهم اي لو رايتهم ايها المخاطب ايقاظا اي منتبهين لان اعينهم مفتحة للهوا لانه
يكون ايقى لها جمع يقظ بكسر القاف وهم رقود اي نيام جمع راقد قال الزجاج لكثرة تقلبهم بين
انهم ايقاظ والدليل عليه قوله تعالى وتقلبهم اي في ذلك حال نومهم تقلبا كثيرا لحسبانهم
كما يكون النايم ذات اي في الجهة التي هي ناحية اليمين منهم وذات الشمال لينال روح النسيم جميع
ابدانهم ولا يتاثر ما يلي الارض منها بطول المكث تنبيه اختلف في مقدار مدة التقليب
فعن ابي هريرة انهم في كل عام تقليبتين وعن مجاهد يكثرون رقودا على ايمانهم تسع سنين ثم
يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا تسع سنين وقيل لهم تقليبة واحدة في يوم عاشوراء
قال الرازي وهذه التقديرات لا سبيل للعقل اليها ولعل القران لا يدل عليها وما جاء فيه في خبر
صحيح فكيف يعرف انوثي ولهذا قلت يجب ما يفهم وقال ابن عباس فايدة تقليبهم لئلا تاكل
الارض لحومهم ولا يثيابهم انتهى قال الرازي وهذا عجيب منه ذلك لانه تعالى لما قدر على ان يمسكه
حياتهم ثلاثمائة سنة واكثر فلم يقدر على حفظ اجسادهم ايضا من غير تقليب انوثي وهذا ليس
بعجيب لان الفترة صالحة لذلك واكثر يجب العادة واما اصحاب واحد فتوخرق للعادة فلا يقاس
عليه وكلبهم باسط ذراعيه اي يديه اي يلقيهما على الارض مبسوطتين غير مقبوضتين ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اعتدلوا في السجود ولا يبسط احدكم ذراعيه انبساط الكلب قال الكسائي

كان الكلب

كان الكلب يبسط قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليها تنبيه باسط اسم فاعل
ماض وانما عمل حكاية الحال والكسائي يعمله ويستشهد بالاية واكثر المفسرين على ان الكلب
من جنس الكلاب وروي عن ابن جريج انه كان اسدا ويسمى الاسد كلبا ويسمى فارس الذي
صلى الله عليه وسلم دعى على عتبة ابن ابي لهب فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاتته الاسد وقال ابن عباس كان كلبا اغر واسمه قطمير وعن علي اسمه ريان واختلف
في قوله تعالى بالوصيد فقال ابن عباس هو باب الكهف وقتيل العتبة قال السدي
والكهف لا يكون له باب ولا عتبة وانما اراد موضع الباب والعتبة وقال الزجاج الوصيد
فناء البيت وفناء الدار قال الشاعر

بارض فنا لا يسد وصيدها علي ومعروفي بها غير منكر

وقال مجاهد والضحاك الوصيد الكهف لو اطلعت عليهم بضم الواو وعلي اصل التقاء الساكنين
اي وهم على تلك لوليت منهم حال وقوع بصرك عليهم فرارا لما ألبسهم الله تعالى من الهيبة
وجعل لهم من الجلالة تدبيرا لمنعه لما اراد منهم حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله
ولملئت منهم رعبا اي فزعا واختلف في ذلك الوجه كان لما ذا فقال الكلبي لان اعينهم
مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وهم نيام وقيل منتوحة المكان وقيل
لكثرة شعورهم وطول اظفارهم وتقلبهم من غير حس كالمستيقظ وقيل انما الله
تعالى منعهم بالرعب حتى لا يراهم احد وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اغزونا
مع معاوية نحو الروم فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن
هؤلاء نظرنا اليهم فقال ابن عباس قد منع الله ذلك منه هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم
فرارا فبعث معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا
فاخرجتهم وقرا نافع وابن كثير بتشديد اللام بعد الميم والباقون بتخفيفها والوسيلة باليد
الهمزة يا علي اصله وقفا ووصلا وحمزة في الوقف فقط وقرا ابن عامر والكسائي رعبا بضم الباء
والباقون بالسكون وكذلك اي كما فعلنا بهم ما ذكرنا انه يستاهم اي ايقظناهم اية ليتساءلوا
بينهم اي ليال بعضهم بعضا عن احوالهم في نومهم ويقظتهم فيتعرفوا حالهم وما صنع
الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى وليستبصروا به امر البعث ويتذكروا
ما انعم الله به عليهم قال قايل منهم مستفهما عن اخوانه كم لبثتم نايمين في الكهف من ليلة
او نوم وهذا يدل على ان هذا القايل استكثر مستشعر طول لبثهم عنه ما راى من هيبتهم او
بزيادة كمن الامارات قالوا ليشا يوما او بعض يوم لانهم لما دخلوا الكهف طلوع الشمس

ويبعثوا الى النهار فلما رواالشمس باتية قالوا وبعض يوم فلما نقل والى طول اظفارهم
وشعورهم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فاحالوا العلم الى علي الله تعالى قال ابن عباس للتاويل
ذلك هو ربهم عز وجل يخبر وعلم ذلك الى الله تعالى وعلم ان مثل هذا التقييد لا يحصل الا في الايام
الطويلة وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثا المثلثة عند المثناة والباقون بالادغام
ثم لما علموا ان الامر ملتبس عليهم لا طريق لهم الى علمه اخذوا في امر اهم وقالوا فابعثوا
احدكم بورقكم هذه اي بفضتكم وقرا ابو عمرو وشعبة وحمزة بسكون الراء والباقون
بكسرها والورق اسم للفضة سواء كانت مضروبة ام لا ويدل عليه ما روي ان عرفجة اتخذ
انفا من ورق ويقال له الرقة وفي الحديث وفي الرقة ربع العشر الى المدينة اي التي
خرجتم منها وهي مدينة طرسوس وهذه الاية تدل على ان السعي في اموال الورثة
امر مشروع وانه لا يبطل التوكل على الله تعالى تهيئة الاسباب واعتقاد
ان لا مسبب للاسباب الا الله تعالى فحمل النفقة وما يصلح للمسافر هو راي المتوكلين
على الله دون المتوكلين على الاتفاقات على ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول
عايشة رضي الله تعالى عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك نفقتك
وما حكي عن بعض صعاليك العلما انه كان شديد الحب الى ان يرزق حج بيت الله وعلم منه
ذلك فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم قوم على حج اتوه ان يحجوا به والحوا عليه فيمنعهم
اليهم ويجد اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمنعه عنده ما لهذا الفز الاشيان شد الهيان
والتوكل على الرحمن فليتنفل ايها ازكى طعاما قال ابن عباس يريد ما حل من الدباح لان
عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وقيل قوم يخفون ايمانهم قال مجاهد كان ملكهم ظالما فقولهم
ازكى طعاما اي ايها ابعد عن الغصب وكل سيء حرام وقيل ايها اطيب والذ
وقيل ايها رخص قال الزجاج قولهم ايها مرتفع بالابتدا وازكى خبره وطعاما تمييز والهاء
هنا مة حذفت اي اي اهلها ازكى اي اجل وقيل لاحذق والضمير عايد على الاطعمة المدلول
عليها مما ياتيكم فليا تكم ذلك الاحد بورق منه لنا كل وليبتلطفاي وليكن في سوق وكان
في خول المدينة وشر الطعام حتى لا يعرف ولا يشعرن اي ولا يخبرن بكم احدا من اهل
المدينة انهم اي اهل المدينة ان يظهروا اي يطلعوا عليكم يرجموكم اي يقتلوكم
والرجم يجي في القتل كثيرا في القرآن كقوله ولولا رهطك لرجمناك وقوله لان لم تنته لنرجمنك
وقال الزجاج اي يقتلوكم بالرجم والرجم حيث انواع القتل او يعيدوكم في ملتهم اي ان لم تنتهم لهم
ولن تفلحوا اذا اي ان رجعتم الى ملتهم ابدا بل تكونوا خاسرين قال البعض العلما ولا خوف على

على المؤمن الفار بدينه اعظم من خوف احد الامرين احدهما فيه هلاك النفس وهو الرجم الذي
هو احيانا انواع القتل والاخر هلاك الدين فان قيل اليس انهم لو اكرهوا على الكفر جاز
اظهاره والكفر ليكن عليهم مضرة فكيف قالوا ولن تفلحوا اذا ابدا اجيب بانهم
خافوا انهم لو بقوا على الكفر مظهرين له فقد يميل بهم ذلك الى الكفر الحقيقي فكان خوفهم
بسبب هذا الاحتمال فان قيل ما النكتة في العدول عن واحدكم الى احدكم
وكل ذلك دال على الوحدة اجيب بان النكتة فيه ان العرب اذا قالوا احد
القوم اراد وابه فرد امنهم واذا قالوا واحد القوم اراد وابه بعضهم والمراد في الاية
اي واحد كان والقران الكريم نزل بلغتهم فرعي ما راعوا ولذلك اعيد مثل ما قلنا
ذلك الامر العظيم من الربط على قلوبهم والستر والحماية من الطالبين لهم والحفظ لاجسادهم
على ممر الزمان وتعاقب الحدثان وغير ذلك اعثرنا اي اطلعنا غيرهم عليهم يقال عثرت
على كذا اعلمته واصله ان من كان غافلا عن شي فنبه نظر اليه فكان العثور سببا
لحصول العلم فاطلق السبب على المسبب بقوله تعالى ليعلموا متعلق باعثرنا والكلام فيه
قيل يعود على مفعول اعثرنا المحذوف تقديره اعثرنا الناس وقيل يعود الى
اهل الكهف وهذا هو الظاهر ان وعد الله الذي له صفات الكمال باليعث للروح
والجثة معا حق لان قيامهم بعد نومهم تفكيك فيقا وثلاثمائة سنة مثل ما نام ثم بعث
قال بعض العارفين علامة اليقظة بعد النوم علامة البعث بعد الموت ولما كان من الحق
ما قد يدا خله شك قال تعالى وان اي وليعلموا ان الساعة اي اتية لا ريب اي لا شك
فيها تنبيه اختلفوا في السبب الذي عرف الناس واقفة اصحاب الكهف فقال محمد
ابن اسحاق انه ملك تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانية
وستين سنة فتحزب الناس في مملكته فكانوا حزبا ثم ازم من يومن بالله ويعلم ان الساعة
حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع الى الله تعالى وحزن حزنا
شديدا لما راى اهل الباطل يزيدون ويظهرون على اهل الحق ويقولون لا حياة الا الدنيا
وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وجعل الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا فيامرهم
ايمة في الخلق فلم يقبلوا منه وحملوا يكذبون بالساعة حتى كاد وايغرهم خوف الناس عن الحق
وملة الحواريين فلما راى ذلك الملك دخل بيته واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل يحثو
رماد الجلس عليه وداى ليله ونهاره زمانا يتضرع الى الله تعالى ويبكي اي ربه قد قوي اختلاف
هولا فابعث لهم اية تبين لهم ان الله تعالى الذي يكره ملكه عباده اراد ان يظهر على

على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شانهم ويجعلهم اية وحجة عليهم ليعلموا
ان الساعة اتية لا ريب فيها ويستجيب لعبيده تند وسيس ويتم نقمته عليه وان
يجمع من كان تبدد من الموتى والقى الله في نفس رجل من تلك البلد الذي فيه الكهف
ان يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني عليه حظيرة لغنمه فاستاجر عمالا يهدمون
فجعلا يثيران تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى نوعا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف
اذن الله تعالى دقيانوس والسلطان محمي الموتى الفتية اذ يجلسوا بين ظهري الكهف
فجلسوا فوجدوا مسرة وجوههم طيبة انفسهم فسلم بعضهم على بعض كانما استيقظوا
من مناعتهم التي كانوا يستيقظون لها اذا اصابحوا عند ليلتهم ثم قاموا الى الصلاة ع
فصلوا كالتي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا في ثيابهم شيء يكرهونه كهيئتهم
حين رقدوا وهم يرون ان ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لعلنا
صاحب نفقتهم اتينا بما قال الناس في شانا تاعشية امس عند الجبار وهم يظنون
انهم رقدوا بعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل اليهم انهم قد ناموا طول ما كانوا ينامون
حتى قالوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم هنا قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا
ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم يسيرا فقال لهم عليخا المتسمي بالمدينة وهو يريد
ان يوتي بكم اليوم فتذهبون للطواغية او يقتلكم فما شا الله بعد ذلك فعل فقال لهم
مكتلمين يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم
قال لعليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر عند دقيانوس
وتلطف ولا يشعرن بك احد وابتع لنا طعاما وترددنا على الطعام الذي جيئتنا به فقد
اصبحنا جياعا ففعل عليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه واخذ الثياب التي كان يتسكن بها
واخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كفافا
الدينار فانطلق عليخا حتى جا فلما مر بباب الكهف راى الحجارة متنوعة عن باب الكهف
فعجب منها ثم مر فلم يسأل بها حتى اتى باب المدينة مستخفيا يصد عن الطريق مخافة
ان يراه احد من اهلها فيعرفه ولا يشعر ان دقيانوس واهله قد هلكوا قبل ذلك بثلاثمائة
سنة فلما اتى عليخا باب المدينة رفع بصره فراى فوق ظهر الباب علامة تكون لاهل الايمان
اذ كان امر الايمان ظاهرا فلما عجب وجعل ينظر اليها مستحقيا وينظر يمينا وشمالا ثم ترك
الباب وحقر الباب اخرجت ابوابها فراى مثل ذلك فجعل يخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كان
يعرفها وراى ناسا كثيرا محدثين لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه

انه حيران ثم رجع الى الباب الذي اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت
شعري ما هذا الماعشية امس وكان المسلمون يخبئون هذه العلامة ويتحفون بها واما
اليوم فانها ظاهرة لعلي عالم ثم توهم انه ليس ببنائهم فاخذ بكماه فجعله على راسه ثم دخل
المدينة فجعل يمشي بين ظهري سوقها فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم فزاده
فرقا وراى انه حيران فقام مستند ظهره الى جدار من جدار المدينة ويقول في نفسه
والله ما ادري ما هذا الماعشية امس فليس على وجه الارض انسان يذكر عيسى بن مريم
الا قتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست
المدينة التي اعرف والله ما اعلم مدينة بقربها مدينة فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له
ما اسم هذه المدينة يا فتى قال اسمها افسوس فقال في نفسه لعل بي مسا او امر اذهب عقلي
والله يحق لي ان اسرع الخروج منها قبل ان اخزى فيها او يصيبني شر فاهلكه ثم انه فاق فقال
والله لو علمت الخروج من المدينة قبل ان يعلمني بي لكانا كيس فدنى من الذين يبيعون
الطعام فاخرج الورق التي كانت معه فاعطاها رجلا منهم فقال ليعي بهذا الورق طعاما
فاخذها الرجل فنظر الى ضوء الورق ونقشها فعجب منها ثم طرحها الى رجل من اصحابه
فنظر اليها ثم الى اخر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ثم جعلوا
يتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزا من كنوز الذين كانوا يخبئون في الارض منذ زمان
وهو طويل فلما راهم عليخا يتشاورون منه اخذه فوق فوقا شديدا وجعل يرتعد
وظنه انهم ظنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل
انا يسا اخرون يا تونه فيمر فونه فقالوا لهم وهو شديد الفرق اوقعلوا علي قد اخذتم
ورقي فامسكوها واما طعامكم فليس لي حاجة به ولا حاجة لي به فقالوا من انت يا فتى
وما شانك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه انطلق معنا وانا
وشانك كنا فيه نحق عليك ما وجدت وانك ان لم تفعل فانا نذهب بك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك
فلما سمع قولهم قال ما وجدت شيا وقال قد وقفت في كل شي احذر منه قالوا يا فتى
انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت فجعل عليخا لا يدري ما يقول لهم وخاف حتى انه
لم يرد عليهم جوابا فلما راوه لا يتكلم اخذوا كماه وطرحوه في عنقه وجعلوا يقودونه في
وسط المدينة حتى سمع منه فيما نقل اخذ رجل عنده كنزا وجتمع عليه اهل المدينة
صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل هذه المدينة
وما رايناه قط وما نعرفه فجعل عليخا ما يدري ما يقول فلما اجتمع عليه اهل المدينة وكاد

وكان متيقنا ان اباه واخوته في المدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سياتونه اذا سمعوا
به فبينما هو قائم كالحيران ينظر ماذا ياتيه بعض اهله فيخلصه منه بين ايديهم اذ التفتوا
وانطلقوا به الى رييس المدينة ومدبر امرها الذين يدبرون امورها وهما جلالان صالحان
اسم احدهما اريوس واسم الاخر اسيطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه ينطلق
به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون
من المجنون وجعل تمليخا يبكي ويرفع راسه الى السماء وقال اللهم اله السماوات والارض
افرغ الصبر علي صبرا واوزعني وحاسنك توبيدتي به عند هذا الجبار وجعل يقول
في نفسه فرق ما بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم ياتون فنقوم جميعا
بين يدي هذا الجبار فانا كنا نوافقنا علي الايمان بالله سبحانه وتعالي ولا نشرك به شيا
ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهي به الي الرجلين الصالحين ورايا انه لم يذهب به
الي دقيانوس افاق وسكن عنه البكاء فاخذ اريوس واسطيوس الورق فنظرا اليه وعجبا
منه ثم قال احدهما اين الكنز الذي وجدت يا فتي فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق
ابي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما دري ما شانه وما اقول لكم فقال احدهما
فانه قال تمليخا اما انا فكنت اري اني من اهل هذه المدينة قالوا فمن ابوك ومن يعرفك
بها فانبانهم باسم ابيه فلم يجدوا احدا يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تاتينا
بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول لهم غير انه نكس بصره الي الارض فقال بعضهم لبعض
هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يجحد نفسه محمد احتي لكي يتغفلنا
منكم فقال له احدهما وتقرا اليه نظرا شديدا انظر انا نرسلك ونصدقك فبان هذا مال
ابيك ونقش هذه الورق وضربها الثرمنة ثلاثمائة سنة وانت غلام شاب وتظن انك
تاكلنا وتسخر بنا ونحن شيوخ ونحط كما تري وحولك سواه هذه المدينة وولاة امرها
وخوانين هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وانت لا تطلبني
لاساير امريكه فتقدم بهذا ياشديد ثم اوثقك حتي نقترف بهذا الكنز الذي وجدته فلما
قال ذلك قال لهم تمليخا انتبوني عن شاني اسيلكم عنه فان فعلتم صدقتكم بما عندي
قالوا واسل لا فلتمك شيا قال ما قول الملك دقيانوس قالوا ليس نعرف اليوم علي وجه الارض ملكا
يسمي دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك منذ زمان وهو طويل وهلكت بعده قرون كثيرة
فقال تمليخا اذا الحيران وما هو بصديقي احدثكم الناس بما اقول لقد كنا فتية وان الملك
اكرهنا علي عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فتمنا فلما انتبهنا من جنة

لاشتري طعاما واتجسس الاخبار فاذا انا كما تروني فانطلقوا معي الي الكهف الذي فيه جبل
يا جلوس اريكم اصحابي فلما سمع اريوس ما يقول تمليخا قال يا قوم لعل هذه اية
من ايات الله تعالي جعلها الله تعالي للكم اية علي يدي هذا الغلام فانطلقوا اينما معه ليرينا
اصحابه فانطلق معه اريوس واسطيوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم
نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما راي الفتية اصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم
بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان ياتي فيه وظنوا انه قد اخذ وذهب به الي
ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويحققونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل
بصدده عندهم فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم لياتوا بهم فقاموا
الي الصلاة وسلم بعضهم علي بعض واوصي بعضهم بعضا وقال انطلقوا انا فانا
تمليخا فانه الان بين يدي الجبار وهو ينتظرنا حتي ناتيه فبينما هم يقولون ذلك
وهم جلوس علي هذه الحالة اذا هم باريوس واصحابه وقوف علي باب الكهف فسبقهم
تمليخا ودخل وهو يبكي فلما راوه يبكي قبلوا معه ثم سالوه عن حاله فقص عليهم
الخبر كله فعرفوا انهم كانوا نياما بامر الله ذلك الوقت الطويل وانما اوقظوا ليكونوا
اية للناس ويصدقا للبعث ويعلموا الناس ان الساعة اتية لا ريب فيها ثم دخل
علي اثر تمليخا اريوس فراي تابوت من نحاس مختوما بخاتم من فضة فقام بباب
الكهف ثم دعا جلة من عظماء اهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه لوحين
من رصاص مكتوب فيهما مكتوبنا ومحشلمينا عليخا وسطونس وكشطونس وبيرونس
وبيدرونس وبيطيوس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم
عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا
كتبنا اسماءهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤاه حمدوا الله
تعالي الذي اراهم اية البعث فيهم ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله تعالي وتسبيحه ثم دخلوا
علي الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه
ساجدون احمدوا الله تعالي الذي اراهم اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضا وانباهم
الفتية عن الذي لقوه من ملكهم دقيانوس ثم ان اريوس واصحابه بعثوا موريد الي
ملكهم الصالح تندوسيس ان عجل الملك تنظر الي اية من ايات الله جعلها الله تعالي علي
ملكه وجعلها اية للعالمين ليكون لهم نورا وضيا وتصديقا للبعث فاجعل علي فتية بعثهم
الله تعالي وكان قد توفاهم منذ اثنتي عشرة ثلاثمائة سنة فلما اتي الملك الخبر قام وركب اليه

عقله وذهب عنه فقال الحمد لك الله رب السموات والارض واعبدك واسبح لك فطولت
علي ورحمتني فلم يطن الغار الذي كنت جعلتني لاباي وللعبد الصالح فسطيطيوس
الملك فلما اتى به اهل المدينة ركبوا اليه وسار وامعه نحو الكهف حتى انتوا مدينة اقسوس
فتلقاهم اهل المدينة وسار وامعه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية تنزو سيس
توحوابه وخروا سجدا علي وجوههم وقام تنويس قدامهم ثم اعتنقهم وبكي وهم
جلوس بين يديه علي الارض يسبحون الله تعالي ويحمدونه ثم قالوا له نستودعك الله
السلام عليك ورحمة الله وبركاته وحفظك ملكك ونفيذك يا ملك من شؤ الانس والجن
فبينما الملك قايم اذ رجعوا الي مضاجعهم فناموا وتوفي الله انفسهم وقام الملك اليهم
فحمل ثيابه عليهم وامر ان يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما امسي وقام انتوه
في المنام وقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من تراب والي التراب نصير
فانزل لنا كما كنا في الكهف علي التراب حتي يبعثنا الله تعالي منه فامر الملك حينيذ بتابوت
من ساج فجعلوا فيه وحجرهم الله تعالي حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد
علي ان يدخل عليهم وقيل ان تمليخا لما حمل الي الملك الصالح قال له الملك متانة
قال انا رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس او منذ ايام وذكر منزله واقواما
لم يعرفهم احد وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمان الاول وان اسماءهم مكتوبة
علي لوح في خزانته فدعا باللوح فنظر في اسمايهم فاذ اسمه مكتوب في ذلك الاصغرين
فقال تمليخا هم اصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب هو ومن معه من القوم فلما اتوا باب
الكهف قال تمليخا دعوني حتي ادخل علي اصحابي حتي ابشرهم فانهم ان راوكم معي ارعبتهم
فدخل فبشرهم فقبض روحه وروحهم واعمي علي الملك واصحابه اثره فلم يهتد واعلم
ثم وقع التنازع في امرهم بين اهل المدينة كما قال تعالي اذ يتنازعون اي اهل المدينة بينهم امرهم
اي امر الفتية في البناء عليهم فقالوا اي الكفار ابنوا عليهم اي حولهم بنيانا ربهم فانهم كانوا
علي ديننا وقوله ربهم اعلم بهم يجوز ان يكون من كلام الله تعالي وان يكون من كلام
المتنازعين يومئذ قال الذين غلبوا علي امرهم اي امر الفتية وهم المومنون لنتخذن عليهم
اي حولهم مسجدا يصلي فيه وقد ذكر علي باب الكهف وقيل ان بعضهم قال الاولي ان
يسد باب الكهف عليهم ليلا يدعن احد عليهم ولا يقف علي احوالهم انسان وقاله الاخرون
بل الاولي ان يبني علي باب الكهف مسجدا وهذا القول يدل علي ان اولئك الاقوام
كانوا عارفين بالله ومعترفين بالعبادة والصلاة وقيل تنازعوا في مقدار المكان

وقيل في عددهم واسمايهم تنبيه بنيانا يجوز ان يكون مفعولا به جمع
بنيانه وان يكون مصدرا ولما ذكر اصحاب الكهف عند النبي صلي الله عليه وسلم
وقع الاختلاف في عددهم كما قال تعالي سيقولون اي الخايضون في قصتهم من اهل
الكتاب والمومنين فقال بعض اهل الكتاب ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال
ورابعهم كلبهم يانضمامه اليهم ويقولون اي بعضهم خمسة سادسهم كلبهم فهذان
القولان لنصاري نجران وقيل الاول قول اليهود والثاني قول النصاري فان
قيل لم جاء بين الاستقبال في الاول دون الاخرين اجيب بان في ذلك
وجهين ان تدخل الاخيرين في حكم الين كما تقول تداكرم وانتم تريد بعضي التوبيخ
في الفعلين جميعا وان تريد بيفعل معني الاستقبال الذي هو صالح له ولما كان قولهم
ذلك بغير علم كان رجما بالغيب اي ظنا في الغيبة عنهم فهو راجع الي القولين معا وينصب
علي المفعول به اي لظنهم ذلك ويقولون اي المومنون سبعة وثامنهم كلبهم قال الكثر
المفسرين هذا الاخير هو الحق ويدل عليه وجوه الاول انه تعالي لما حكي قوله ويقولون
سبعة وثامنهم كلبهم قال بعده قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع القولين
الاولين بقوله تعالي رجما بالغيب وتخصيص الشي بالوصف يدل علي ان الحال في الباقي
بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولان الاولان وان يكون القول
الثالث مخالفا لهما في كونه رجما بالغيب الوجه الثاني ان الواو في قوله تعالي وثامنهم
هي الواو التي تدخل علي الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل علي الواقعة حالا اعت
المعرفة في نحو فوكله جاني رجل ومعه اخر توكيد للوصف الصفة بالموصوف والدلالة
علي ان اتصافه بها امر ثابت مستقر فكانت هذه الواو دالة علي ان الذين كانوا في الكهف
كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقول محمد ابن اسحاق انهم كانوا ثمانية مردود فكان الله
تعالي حكي اختلافهم وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله
تعالي وثامنهم كلبهم والثامنة لا يكون الا بعد السبع وهذه الواو يسمونها واو الثمانية لان
الرقم قد تقول واحد اثنين ثلاثة اربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد
كان عندهم سبعة كما هو اليوم عند ناعشرة ونظير هنا في ثلاث ايات وهو قوله تعالي
والناهون عن المنكر وقوله تعالي حتي اذا جاوها وفتحت ابوابها الا ان ابواب الجنة
ثمانية وابواب النار سبعة وقوله تعالي ثيبات وابكارا قال الفقال وقولهم واو الثمانية
ليس بشي بدليل قوله تعالي هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن

العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر الواو في النعت الثامن انتهى وقد يجاب بان فلكرهي
على الوجه الغالب الوجه الثالث انه تعالى قال ما يعلمهم الا قليل وهذا يقتضي
انه حصل العلم ببعضهم لذلك القليل وكان ابن عباس يقول انا من اولئك العدد
القليل وكان يقول انهم سبعة وثامنهم كلبهم وكان علي رضي الله تعالى عنه يقول
كانوا سبعة قال الواحدي واسماؤهم مملیخا مكشلمينا مشليينا وهؤلاء الثلاثة كانوا
اصحاب يمين الملك وعن يساره مرنوش وديدنوش وشاذنوش وكان الملك يستشير
هؤلاء الستة ينصرف واحد منهم في مهماته والسابع هو الراعي الذي وافقهم لما هربوا من ملكهم
ويروي عن ابن عباس انه قال اسم مكشلمينا وعليخا ومرطونس وسرنوش وكشطوطونس
وهو الراعي واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس تنبيه في الآية حذف
والتقدير وسيقولون هم ثلاثة كما تقدم تقديره فحذف المبتدا لدلالة الكلام عليه
وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم اي ولا علم بذلك الا بي
قليل منهم واكثرهم على الظن ثم انه تعالى لما ذكر هذه القصة انبههم بان نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ثلاثة اما الاول فهو المراد بقوله تعالى
فلا تمار اي تجادل فيهم اي في شان الفتية الا مرا اي جدالا ظاهرا اي غير متعمق
فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن من غير ان تلزمهم في تعيين ذلك العدد ونظيره
قوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن واما الثاني عن الاستفتاء فقوله
تعالى ولا تستفت فيهم اي ولا تسال منهم اي من اهل الكتاب اليهود احدا عن قصتهم
سؤال متعنت لانه لما ثبت انه ليس عندهم علم في هذا الباب وجب المنع من استفتائهم
وفيما اوحي اليك متعلق بمحذوف تريد تفتيح السؤال عنه وتبين
ما عنده فانه يجل عن مكارم الاخلاق ولما سالت اهل مكة عنه عن اخبار اهل الكهف فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اخبركم به غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر
يوما وفي رواية اخرى اربعين يوما ولا تقولن لشيء اي لاجل شيء تعزم عليه اني
فاعل ذلك الشيء غدا اي فيما يستقبل من الزمان او لم يرد الغد خاصة الا ان يشاء الله
اي الا ملتبسا بمشيئة بان يقول ان شاء الله والسبب في ذلك ان الانسان اذا قال
سافعل الفعل الفلاني غدا لم يبعد ان يموت قبل مجيء الغد ولم يبعد ايضا ان يبقى حيا
ان يعيقه عن ذلك الفعل سائر العوائق فاذا لم يقل ان شاء الله صار كاذبا في ذلك الوعد
والكذب منفر لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام فلهذا السبب وجب عليه ان يقول

ان شاء الله

ان شاء الله حتى اذا تعذر عليه الوفاء بذلك الموعد لم يصر كاذبا ولم يحصل التنفير
تنبيه قال كثير من الفقهاء اذا قال الرجل لامرأته انت طالق ان شاء الله
لم يقع عليه الطلاق لانه لما علق وقوع الطلاق على مشيئة تعالى لم يقع عليه الطلاق
الا اذا علمنا حصول المشيئة ومشيئة الله تعالى غيب لا سبيل لنا الى العلم بحصولها
الى العلم الا اذا علمنا متعلق المشيئة وقع وهو الطلاق وعلى هذا لا يعرف حصول
المشيئة الا اذا وقع الطلاق ولا يعرف وقوع الطلاق الا اذا وقع عرفت
المشيئة فيتوقف العلم بكل واحد منهما على العلم بالاخر وهو دور فلهذا لا يقع الطلاق
وقيل المراد الا ان يشاء الله ان يأذن لك الله تعالى في ذلك القول والمعنى انه
ليس لك ان تخبر عن نفسك بانك تفعل الفعل الفلاني الا ان اذن لك الله تعالى في ذلك
الاخبار وقد احتج القائلون بان المعدوم شيء بهذه الاية لان الشيء الذي سيفعله
غدا معدوم في الحال فوجب تسمية المعدوم بانه شيء واجيب بان هذا الاستدلال
لا يفيد الا ان المعدوم يسمى بكونه شيئا في الحال كما قال تعالى اني امر الله فلا تستعجلوه
والمراد سيأتي امر الله واختلف في معنى قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت
فقال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء ثم ذكرته فاستثن وعند
هذا اختلفوا فقال ابن عباس لو لم يحصل التذكر الا بعد مدة طويلة ثم ذكر ان شاء الله
كفى في رفع الحنث وعن سعيد بن جبير بعد سنة او شهر او اسبوع او يوم وعن
طاوس لا يقدر على الاستثناء الا في مجلسه وعن عطا يستثني على مقدار حلب
ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا تأثير له في الكلام ما لم يكن موصولا واحتج ابن
عباس بان قوله اذا نسيت غير مختص بوقت غير معين بل هو متناول لكل الاوقات
وظاهره ان الاستثناء لا يجب ان يكون متصلا اما عامة الفقهاء فقالوا الوجوب يناقض ذلك
للزم ان لا يستقر شيء من الهود والايمان يحكى ان المنصور بلغه ان ابا حنيفة
خالف ابن عباس في الاستثناء المنفصل فاستحقره لينكر عليه فقال له ابو حنيفة هذا
يرجع عليك لانك تأخذ البيعة بالايمان افترضي ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا
عليك فاستحسن المنصور كلامه رضي الله تعالى عنه واستدل لهم بان الايات الكثيرة
دلت على وجوب الوفاء بالعقد والعهد قال تعالى اوفوا بالعقود وقال تعالى واوفوا
بالعهد فاذا اتى بالعقد او العهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه لاجل هذه الايات خالفنا
الدليل فيما اذا كان الاستثناء متصلا لان الاستثناء مع المستثنى منه كالكلام الواحد بدليل

ان الاستثناء وحده لا يفيد شيا وهو جار مجرى بعض الكلمة الواحدة فجملة الكلام
كالكلمة الواحدة المفيدة فاذا لم يكن متصلا افاد الالتزام التام فوجب الوفا
بذلك الملتزم وقيل ان قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت كلام مستانف
لا تعلق له بما قبله قال عكرمة واذكر ربك اذا غضبت وقال وهب مكتوب في الانجيل
ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب وقال الضحاك والذي هذا في الصلاة
المنسية قال الواحدي وتعلق هذا الكلام بما قبله يفيد اتمام الكلام في هذه القصة فان
يصير الكلام مبتدا منقطعا وذلك لا يجوز وفي قوله تعالى وقل عسى ان يهدين
ربي لاقرب من هذا رشدا وجوه الاول ان يكون قوله ان شا الله ليس بحسن تركه
وذكره اولى من تركه وهو قوله لاقرب من هذا رشدا المراد منه ذكر هذه الجملة الثاني
انه لما وعدهم بشي وقال معه ان شا الله وعسى ان يهدين ربي لشي احسن واكمل
مما وعدتكم به الثالث ان قوله عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا
اشارة الى قصة اصحاب الكهف اي لعل الله يوفقني من البينات والدلايل على
صحة نبوتي وصدقي في ادعا النبوة ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من قصة
اصحاب الكهف وقد فعل الله تعالى ذلك حين اتاه من قصص الانبيا والاخبار بالغيوب
ما هو اعظم من ذلك ثم شرع في اية اخرى هي اخر الايات المذكورة في قصة اصحاب الكهف
بقوله تعالى ولبثوا في كهفهم اي نياما ثلاثمائة اي مدة ثلاثمائة سنين قال بعضهم وهذه
السنون الثلاثمائة عند اهل الكتاب شمسية وتزيد القمرية عليها تسع سنين وقد ذكرت
في قوله تعالى وازدادوا تسعا اي تسع سنين لان التفاوت بين الشمسية والقمرية
في كل مائة سنة ثلاث سنين لان السنة الشمسية تزيد على السنة القمرية عشرة ايام وكسر
وعشرون ساعة وحتى تساعة فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية قال الواحدي
وهذا مشكل لانه لا يصح بالحساب هذا القول ويمكن ان يقال العلم بالاستكمالها
ثلاثمائة سنة قريب امرهم من الانتباه فانفقوا او كما وجب بقاؤهم في النوم بعد ذلك
تسع سنين وقرا حمزة والكسائي بغير تنوين في الوصل والباقون بالتنوين فسنين
عطف بيان لثلاثمائة لانه لما قال ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة لم يعرف انها ايام او شهور
او سنون فلما قال سنين صار هذا بيانا للقوله ثلاثمائة وكان ذلك عطف بيان له وقيل
هو على التقديم والتاخير اي لبثوا سنين ثلاثمائة واما وجه القراءة الاولى هو ان
الواحد في الاضافة ان يقال ثلاثمائة سنة الا انه يجوز وضع الجمع موضع الواحد

في التمييز

في التمييز كقوله تعالى بالاخسرين اعمالا وحذف مميز تسع لدلالة ما تقدم عليه
اذ لا يقال عندي ثلاثمائة درهم وتسعة الا وانه تقتضي تسعة دراهم ولو اردت
ثيابا ونحوها لم يجز لانه القائم ثم ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم اذا نازعوه
في مدة لبثهم في الكهف بقوله تعالى قل الله اعلم بما لبثوا اي هو اعلم منكم وقد
اخبر بمدة لبثهم وقيل ان اهل الكتاب قالوا ان المدة من حين دخلوا الكهف
الى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة سنين وازدادوا
تسع سنين فرد الله تعالى عليهم ذلك وقال الله اعلم بما لبثوا اي بقدر ما لبثوا اي قبض ارواحهم
الى يومنا هذا لا يعلمه الا الله له غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما وخفي
من احوال اهلها فالغيب ما يغيب عنك ادراكك والله عز ذكره لا يغيب عنه
ادراك شي فيكون عالما بهذه الواقعة لا محالة وقوله تعالى ابصر به واسمع كلمة
تذكر في التعجب اي ما ابصر الله تعالى بكل موجود وما اسمعه بكل مسموع ما لهم اي
اهل السموات والارض من دونه اي الله من ولي اي ناصر ولا يشرك في حكمه اي
قضايه احدا منهم ولا يجعل لهم فيه مدخلا لانه غني بذاته عن كل احد وقيل
الحكم هنا علم الغيب في علم غيبه احدا وقرا ابن عامر بالمثناة فوق قبل الشين
وسكون الكاف على نهي كل احد عن الاشراك والباقون بالتحتية وضم الكاف
تنبيه احتج اصحابنا رحمهم الله تعالى بهذه القصة على صحة القول
بالكرامة للاولياء وقد قدمنا معرفة الاولياء في سورة يونس عند قوله تعالى الا ان
اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فما يدل على كرامات الاولياء القران
والاخبار والاثار والمعقول اما القران فالمعتمد فيه عندنا ايات الحجة الاولى قصة
مريم عليها السلام وقد شرحناها في سورة ال عمران فلا نعيدها الحجة الثانية قصة اصحاب
الكهف وبقاؤهم في النوم سالمين من الافات مدة ثلاثمائة سنة وتسع سنين وان الله
تعالى كان يقلبهم من حر الشمس وعنه لناس من تمسك ايضا في هذه المسالة بقوله تعالى
قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك على انه غير السيد
سليمان والسيد جبريل واما الاخبار فكثيرة منها ما اخرج في الصحيح عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى ابن مريم وصبي في
زمن جريج وصبي اخر اما عيسى فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرايل
وكان له ام فكان ذات يوم يصلي اذ اشتاقت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلاة خير

ام ترويها ثم يصلي فدعته ثانيا فقال مثل ذلك حتى تم ثلاث مرات وكان يصلي ويديمها
فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكانت زانية في بني
اسرايل فقالت لهم انا افتن جريجا حتى يزني بي فاتته فلم تقدر على شيء وكان هناك
راع يأوي بالليل الى صومعته فلما اعيها جرح راود الراعي على نفسها فاتاها فولدت
ثم قالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرايل وكسروا صومعته وشتموه ثم تحنب الغلام
قال ابو هريرة كاني انظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده يا غلام من ابوك
فقال الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني لك صومعتك من
ذهب او فضة قال لا بل اعيدها كما كانت واما الصبي الاخر فان امراة كان مر بها راكب
لها ترضعه اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي
اللهم لا تجعلني مثله ثم مر بها امراة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل
ابني مثل هذه فقال الصبي اللهم اجعلني مثلها فقالت له امه في ذلك فقال ان الراكب جبار
من الجبابرة فكوهت ان اكون مثله واما هذه فقيل لها زنيت ولم تزن وقيل لها سرقت ولم
تسرق وهي تقول حسبي الله فاحببت ان اكون مثلها ومنها حديث الغار وهو مشهور
في الصحيح عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انطلق ثلاثة ترهط ممن كان قبلكم فاواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة
من الجبل فسدت عليهم باب الغار وقد ذكرت ذلك عند قوله تعالى كما قوامة ايانا
عجبا ومنها قوله صلى الله عليه وسلم ربا شفعت اعتق ذي طمرين لا يوبه به
لو اقسم على الله لابره ولم يفرق في شيء وشيء بما يقسم به على الله تعالى ومنها
ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما
رجل يسوق بقرة قد حمل عليها التفت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال
الناس سبحان الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امنت به هذا وابو بكر وعمر
ومنها ما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل سمع رجلا
وصوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال فتنحى الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم
فيها فقلت له ما اسمك قال فلان ابن فلان قلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا حصدتها قال اني
تسالني عن ذلك قلت لاني سمعت صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذ قلت قال
فاني اجعلها ثلاثا فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثا وانفق
عليها ثلثا واما الاثار فكثيرة ايضا ولنبدا منها ببعض ما نقل انه ظهر على الخلفاء الراشدين

من الكرامات ثم ببعض ما ظهر على بعض الصحابة اما ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن كراماته
انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ونودي السلام عليك يا رسول الله
هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح واذا بهاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى
الحبيب واما عمر رضي الله تعالى عنه فقد ظهرت انواع كثيرة من كراماته النوع الاول
ما روي انه لما بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى بسارية بن الحصين فبينما عمر يوم
الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر يا سارية الجبل الجبل قال علي ابن
ابي طالب كتبت تاريخ هذه الكلمة فلما قدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المومنين
عدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا
ظهرنا الى الجبل فهزم الله تعالى الكفار وغنمنا الغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت قال الراوي
قد سمعت بعض المذكورين قال كان ذلك معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم لانه قال الا ابن بكر
وعمر انتما مني بمنزلة السمع والبصر فلما كان عمر بمنزلة البصر لا جرم قدر على ان يرى من ذلك
البعد العظيم لمحمد صلى الله عليه وسلم النوع الثاني ما روي ان نيل مصر كان في الجاهلية يقف
في كل سنة مرة واحدة فكان لا يجري حتى تلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمر بن
العاص الى عمر فكتب عمر على خرقة ايها النيل ان كنت تجري بامر الله فاجر وان كنت انما تجري
بامرك لحاجة بنا اليك فالعيت تلك الخرقة في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك النوع الثالث لما
وقعت الزلزلة في المدينة ضرب بالدرة على الارض وقال اسكني باذن الله فسكنت وما حدثت
الزلزلة بالمدينة بعد ذلك الوقت النوع الرابع وقعت النار في بعض دور المدينة فكتب عمر
على خرقة يا نار اسكني باذن الله فالقوها في النار فانطفت في الحال النوع الخامس ما روي ان
رسول ملك الروم جاء الى عمر وطلب داره فظن ان داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له
ذلك وانما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضع درته تحت راسه
ونام على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال اهل الشرق والمغرب يخافون هذا الانسان
وهو على هذه الصفة ثم قال في نفسه ان وجدته غافلا فاقتله واخلص الناس منه
فلما رفع السيف اخرج الله تعالى من الارض اسدين فقصداه فخاف والقى السيف من
يده وانتبه عمر ولم يرشيا فسأله عن الحال فذكر له الواقعة واسلم قال الراوي واقول
هذه الواقعة رويت بالاحاد وهاهنا ما هو معلوم بالتواتر وهو انه مع بعده عن زينة
الدنيا واحترازه عن التكلفات والتهويلات ساس الشرق والغرب وغلب الممالك والدول
ولم تقدر في كتب التواريخ علمت انه لم يتفق لاحد منذ اول عهد عمر الى الان ما تيسر له فانه

مع غاية بعده عن التكليفات كيف قدر على تلك الرياسات ولا شك ان هذا من اعظم
الكرامات واما عثمان رضي الله تعالى عنه فاشياء كثيرة منها ما روي عن انس
قال سرت في الطريق فوقعت عيناي على امراة فنظر علي عثمان فقال ما الى تنظر
واثار الزنا ظاهرة عليكم فعلمت اجا الوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لا ولكن فراسة صادقة ومنها انه لما طعن بالسيف فاول قطرة من
دمه سقطت وقعت على المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم
ومنها ان خرجاه الفساري انتزع الفص من يد عثمان فكسرها على ركبته وقعت
الاكلة في ركبته واما رضي الله تعالى عنه فاشياء كثيرة ايضا منها ما روي ان
واحدا من الحدادين سرق وكان عبدا لاسود فاتي به الى علي فقال اسرقت فقال بلى
فقطع يده فانصرف من عند علي فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا
من قطع يدك فقال له امير المومنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول وزوج البتول
فقال له سلمان تقطع يدك وتمدحه فقال ويلك انما امدحه وقد قطع يدي بحق وخلصني من
النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه
بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السما انا رفع الرداء عن اليد فرفعناه فاذا اليد
قد برئت واما ما روي عن بعض الصحابة فشاي كثير ونذكر منها شيا قليلا منها ما روي
محمد بن المنكدر عن سفينة قال ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها وركبت لوحا
من الواحها فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الاسد الي يريدني فقلت يا ابا الحارث
انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتقدم الاسد الي ودلني على الطريق ثم هم
فظننت انه يودعني وهي همهمته ومنها ما روي ثابت عن انس ان اسيد بن حضير ورجلا
اخر من الانصار تحدثا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في حاجة لهما حتى ذهب من الليل
زمان ثم خرجا من عنده وكانت الليلة شديدة الظلمة وكان في يد كل واحد منهما عصية فاضاءت
عصاة احدهما لهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقت بينهما الطريق اضاءت للاخر عصاه فمشى
حتى بلغ منزله ومنها ما روي انه قيل لخالد بن الوليد انت في عسكرك مدة يشرب الخمر فتركب
فرسه ليلة وقالت يا لكم فلقيه رجل على فرس ومعه خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد هم
اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه فقال اتيتكم بخمر ما شربت الدهر مثلها فلما ذاقوا قالوا
هو خل فقالوا والله ما جيئتنا الا بخل فقال والله هذا دعا خالد بن الوليد اطل كلمات السم على
اسم الله وما ضره ومنها ما روي ان ابن عمر كان في بعض اسفاره فلقي جماعة وقفوا على الطريق

من خوف السبع وفراد السبع من طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن ادم ما يخافه ولو انه لم يخف الله
لما سلط عليه شي ومنها ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث العلا الحضرمي
في غزاة فحالا بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعى باسم الله الاعظم ومشوا على الماء في
كتب الصوفية من هذه البابة وايات متجاوزة عن الحد والحصر فمن اراد طالعها واما الدلايل
العقلية على جواز الكرامات فمن وجوه الاول انه صلى الله عليه وسلم قال جاكيا عن ربه العزة
من اذى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة فاعلم ان اولياء الله هم الذين وصفهم الله تعالى بقوله
تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقال في الحديث الصحيح ان الله
تعالى يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني واستسقيتك فما سقيتني استطعمتك فما
اطعمتني فيقول يا رب كيف افعل هذا وانت رب العالمين فيقول ان عبدي فلانا مرض فلم تعده
اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده وكذا في الخبز والاطعام فدلت هذه الاخبار
على ان اولياء الله يبلغون هذه الدرجات العالية والمراتب الشريفة فاذا اتصال العبد
الى هذه الدرجات فاي بعد ان يعطيه الله تعالى كرة خبزا او جرعة ماء او يسخر له كلبا
او دود الوجه الثاني انه صلى الله عليه وسلم قال عند ربي العزة ما تقرب الي عبد بمثل
ادا ما افترض عليه ولا يزال يتقرب الي بنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا
ولسانا وقلبا ويدا وهي جلا في يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يبطش وهذا الخبر يدل على
انه لم يبق في سمعهم نصيب لغير الله تعالى لما قال انا سمعه وانا بصره وهذا المقام اشرف ومن
تسخير الحية والسبع واعطاء ثمرة العنب او شربة من الماء فلما اوصل برحمة عبده الى
هذه الدرجات العالية فاي بعد في ان يعطيه رغيفا واحدا او شربة من الماء فهذه الوجه
الثالث لو امتنع اظهار الكرامة لكان ذلك اما لاجل ان الله تعالى ليس اهلا لان يعطيه هذه
العطية والاول قدح في قدرة الله وهو كفر والثاني باطل فان معرفة اسما الله تعالى ومحبته
وطاعته والمواظبة على ذكر تقديسه وتمجيده وتهليله اشرف من اعطاء عتيق واحد في مغارة
او تسخير حية او اسد فان اعطاه المحبة والذكر والفكر من غير سو لا يعطيه شربة ماء في
المغارة او في فاي بيد فيه واحتج المنكر للكرامات بوجوه الاول ان ظهور الدلالة والفعل الخارق
للعادة جعله الله دليلا على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة الوجه الثاني ان
الله تعالى قال وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والقول بان الولي ينتقل
من بلد الى بلد بعيد لا على هذا الوجه طعن في هذه الاية وايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يصل من مكة الى المدينة الا في ايام كثيرة مع التعب الشديد فكيف يعقل ان يقال ان الولي
ينتقل من بلد نفسه الى الحج في اليوم الواحد الوجه الثالث ان هذا الولي الذي يظهر عليه

الكرامات اذا ادعي علي انسان دين هما واحد انها يطلب بالبينة ام لا فان طالبناه بها
كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه يدل علي انه لا يكذب ومع الدليل القاطع كيف يطلب
الدليل الظني وان لم يطالب بها فقد تركنا قوله صلي الله عليه وسلم البينة علي المدعي
فهذا يدل علي ان القول بالكرامة باطل واجيب عن الاول بان الناس اختلفوا
هل يجوز للولي دعوي الولاية وقال قوم من المحققين انه لا يجوز فعلي هذا الفرق
بين المعجزة والكرامة ان المعجزة تكون مسبوقة بدعوي النبوة والكرامة لا تكون مسبوقة
بدعوي الولاية وعلي القول بالجواز الفرق بينهما ان النبي يدعي المعجزة ويقطع بها
والولي اذا ادعي الكرامة لا يقطع بها لان المعجز يجب ظهوره والكرامة لا يجب ظهورها
واجيب عن الثاني بان قوله تعالي وتحمل اثقالكم الي آخره محمول علي الكهوف
المتقاربة وكرامات الاولياء احوال نادرة فتصير كالمستثنيات من ذلك العموم المتعارف
واجيب عن الثالث بان التمسك بالامور النادرة لا يعول عليه في الشرع قال
ينافي ذلك قوله صلي الله عليه وسلم البينة علي المدعي ومع هذا فصاحب الكرامة يجب
ان يكون خائفا وجلا ولهذا قال المحققون اكثر ما حصل الانقطاع عن حضرة الله انما
وقع في مقام الكرامات فلا جرم ترى المحققين يخافون من الكرامات كما يخافون من انواع البلاء والذي يدل علي ان الاستيناس بالكرامة قاطع عن الطريق وجوه الاول
ان الكرامات اشياء مغايرة للحق سبحانه وتعالي فالفرح بالكرامة فرح بغير الحق والفرح
بغير الحق حجاب والحجاب عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور والوجه الثاني
ان من اعتقد في نفسه انه صار محققا للكرامة بسبب عمله حصل للعمله وقع عظيم
في قلبه ومن كان للعمله وقع عظيم كان جاهلا اذ لو عرف ربه لعلم ان كل ما عدا الله الخلق
في جنب جلاله تقصير وكل شكر في جنب الايه وتمايه قصور وكل معارفهم وعلومهم فهي في
مقابلة عزته حيرة وجهل وجدت في بعض الكتب انه قرئ في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق
قوله تعالي اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة علي ان الحق رفع
عملك ان لا يبقي عندك من بقي عملك في نظرك فان بقي عملك في نظرك فهو غير مرفوع وان
لم يبق عملك في نظرك فهو مرفوع مقبول الوجه الثالث ان صاحب الكرامات انما
وجد الكرامة لاظهار الذل والتضرع في حضرة الله تعالي فاذا توقع وتجبر وتكبر بسبب
الكرامات فقد بطل مايه وصل الي الكرامات فهذا طريق يودي بثبوته الي عدمه فكان مردودا
ولهذا المعني لما ذكر صلي الله عليه وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يعقبها في آخر كل واحد منها

والمجوز

والاخر

والاخر اي لا اخر بهذه الكرامات وانما اخر بالمكر والمعطي الوجه الرابع انه تعالي وصف
عباده المخلصين بقوله تعالي ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وقال في عبادنا
في وصالنا ورهبا من عقابنا قال بعض المحققين والاحسن ان يقال رغبا في عبادتنا ورهبا
عنا وفي هذا القدر كفاية لاولي الالباب جعلنا الله تعالي واحبابنا من
اهل ولاية محمد صلي الله عليه وسلم واله واصحابه ثم لما دل اشتمال
القرآن علي قصة اصحاب الكهف من حيث انها من الغيبيات بالاضافة الي النبي
صلي الله عليه وسلم علي انها وحي معجز امره ان يداوم درسه وبلازمة اصحابه
بقوله تعالي واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك اي القرآن واتبع ما فيه واعمل
بما فيه لا مبدل لكلماته اي لا احد يقدر علي تبديلها وتغييرها غيره ويعضد
قال مقتضي هذا ان لا يتطرق النسخ اليه واجاب بان النسخ في الحقيقة
ليس بتبديل لان المنسوخ ثابت في وقته الي وقت ظهور الناسخ فالناسخ كالغاية
لحكم يكون بتبديل وهذا لا يحتاج اليه مع التغيير المذكور ولن تجد من دونه
اي الله ملتحدا اي ملجا في البيان والاسرار وقيل ان لم تبلغ القرآن
ونزل في عيينة بن الحصين الفزاري لما اتي النبي صلي الله عليه وسلم قبل
ان يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان الفارسي وعليه شملة قد عرق فيها
وبيده خوص يشقه ثم يرمي به وقال له اما يوذيك ريح هؤلاء وبحذاك اذا
مضوا واشرافها فان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك الا هؤلاء اي
كما قال قوم نوح نؤمن لك واتبعك الارذلون فاجلسهم حتي نتبعك واجعل لنا
مجلسا ولهم مجلسا واصبر نفسك اي احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم وتظير
هذه الاية قد سبق في سورة الانعام وهو قوله تعالي ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي يريدون وجهه فتين تلك الاية نهي الرسول عن طردهم وفي هذه
الاية امر بمجالستهم والمصابرة معهم وفي قوله تعالي بالغداة والعشي وجوه الاول
انهم مواظبون علي هذا العمل في كل الاوقات كقول القايل ليس لفلان عمل بالغداة
والعشي الاشتم الناس الثاني المراد صلاة الفجر والعصر الثالث ان المراد ان الغداة
وهو الوقت الذي ينتقل فيه الانسان من الحياة الي الموت ومن اليقظة الي النوم
والانسان العاقل يكون في هذين الوقتين كثير الذكر لله تعالي عظيم الشكر لالاء الله
وتمايه وقرا ابن عامر بضم الغين المعجمة وسكون الذال ابدها والباقون في الصحف بالواو

هنا وفي سورة الانعام يريدون بعبادتهم وجهه تعالى اي رضاه وطاعته
لا شيأ من اعراض الدنيا ولا تعد اي تنصرف عيناك عنهم اي الى غيرهم وعبر
بالعينين عن صاحبهما فنهي صلى الله عليه وسلم ان يصرف بصره وقلبه لاجل
رغبته في مجالسة الاغنيا لعلهم يؤمنون وقوله تعالى تريد زينة الحياة الدنيا
في موضع الحال اي انك ان فعلت ذلك لم يكن اقدامك عليه الا لرغبتك في زينة الحياة
الدنيا وما يليه تعالى في امره في مجالسة الفقرا من المائين بالغ في النهي عن الالتفات
الى اقوال الاغنيا والمتكبرين بقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اي جعلنا
قلبه غافلا عن ذكرنا اي عيينة بن حصين وقل امية بن خلف واتبع هواه
اي طلب الشهوات وكان امره فرطا اي اسرافا وباطلا وهذا يدل على ان شر
احوال الانسان ان يكون خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوا من الهوى الداعي
الى الاشتغال بالخلق لان ذكر الله تعالى نور وذكر غيره ظلمة لان الوجود طبيعة
النور والعدم منبع الظلمة والحق تعالى واجب الوجود لذاته فكان النور الحق
هو الله تعالى وما سواه فهو ممكن الوجود لذاته والامكان طبيعة عدمية فكان
منبع الظلمة فالقلب اذا اشرق فيه ذكر الله فقد حصل فيه النور والقوة والاشراق
واذا توجه القلب الى الخلق فقد حصل فيه الظلم والظلمة بل الظلمات فلهذا السبب
اذا اعرض القلب عن الخلق واقبل على الحق تمحو الظلمة الخالصة التامة والاعراض
عن الحق هو المراد بقوله تعالى اغفلنا قلبه عن ذكرنا والاقبال على الخلق هو المراد
بقوله تعالى واتبع هواه روي ابو سعيد الخدري قال كنت جالسا في عصابة من
ضعفا المهاجرين وان بعضهم ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ من القرآن فجاء رسول
صلى الله عليه وسلم وقال ما الذي كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان واحد يقرأ
من القرآن ونحن نستمع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل
من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم ثم جلس وسطنا وقال ابشروا يا معاشر
المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل الاغنيا بمقدار خمسمائة سنة
ولما امر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بان لا يلتفت الى اولئك الاغنيا الذين
قالوا ان طردت الفقرا منا لك قال تعالى بعده وقل الحق اي وقل لهؤلا ولغيرهم هذا
الذي جيئتكم به في امر اهل الكهف وغيرهم من هذا الوجه الغريب العجيب عن العوج الظاهر
الاعجاز الباهر الحجج الحق كائنا من ربكم المحق اليكم في امر اهل الكهف وغيرهم من صابر

نفسي مع المؤمنين والاعراض عمن سواهم وغير ذلك لاما قلتموه في امرهم ويجوز ان
يكون الحق مبتدا وخبره الجار بعده فمن شا اي منكم ومن غيركم فليؤمن بهذا
الذي قصصناه عليكم وفي غيركم فهو مقبول مرغوب فيه وان كان فقيرا زري الهيبة
ولم ينفع الا تقيه ومن شا منكم ومن غيركم فليكفر فهو اهل لان يرد ويرغب عنه
وان كان اغنى الناس واحترم هيبة وان تقاعدت هيبته وهذا لا يقتضي استقلال
العبد بفعله كما تقول المعتزلة فقد ابن عباس في معنى الاية من شا الله له الايمان
امن ومن شا له الكفر كفر وقيل عنه على اية قال هذه الصفة تهديد ووعيد اي
في كقوله تعالى اعملوا ما شيتم فان الله تعالى لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يتضرر
بكفر الكافرين بل نفع الايمان يعود على المؤمن وعز الكفر يعود على الكافر كما قال تعالى
ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وما هدد السامعين على حاصله ليختار كل امرئ
لنفسه ما يجده عند اعتقاد الله اتبعه بذلك الوعيد والافعال الباطلة وبذكر الوعيد على
الايمان والاعمال الصالحة اما الوعيد فقوله تعالى انا اعتدنا اي هيأنا واعددنا
والاعتدا للظالمين اي لمن اتخذ عن قبول الحق لاجل ان الدين قبوله فقرا وما كين وكذا
كل من لم يؤمن نارا وهي الجحيم ثم وصف الله تعالى تلك النار بصفتين الاولى قوله تعالى
احاط بهم كلهم سرادقها اي نطافها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل هو الحجرة التي
تكون حول الفسطاط وقيل حايط من نار والمراد انه لا مخلص لهم منها ولا فرجة يتفرجون
بالنظر الى ما وراها من غير النار بل هي محيطة بهم من كل الجوانب وقيل هو دخان يغشاهم قبل
دخولهم النار يحيط بهم كالسرادق حول الفسطاط الصفة الثانية قوله تعالى وان يستغيثوا
اي يطلبوا الغوث يغاثوا بما ووصف الما بصفتين الاولى قوله تعالى كالمهل وهو كما في حديث
مرفوع دردي الزيت وعن ابن مسعود انه وقيل بيبس المال واخرج لقاعة كانت فيه واوقد
عليها النار حتى تزلال ثم قال هذا هو المهل وقال ابو عبيدة والاخفش كل شي اذبته من نحاس
او حديد او فضة فهو المهل وقيل انه الصديد والقيح وقيل انه متردد من الفعل ان
ثم يحتمل ان يكون هذه الاستغاثة لانهم طلبوا الماء الذي يغيثهم من هذا المهل قال تعالى
تصلى نارا حامية تسقى من عين انية ويحتمل ان يستغيثوا من حرها فيطلبوا ما
يصبونه على انفسهم للتبريد فيغاثون هذا ما قال تعالى حكاية عنهم انهم اذا رضوا عليهم انفسهم
وقال تعالى في اية اخرى سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار فاذا استغاثوا من حر
جهنم صب على رؤسهم الحميم ان الذي يصهر كل ما في بطونهم والصفة الثانية للما قوله تعالى يشوي

الوجوه اي اذا اوجه الي الفم الشراب فكيفي بالفم والوجوه ثم وصل تعالي بذلك دعته فقال تعالي
يبس الشراب اي ذلك الماء الذي هو كالمهل لان المقصود منه شرب الشراب تسكين الحرارة
وهذا يبلغ في احراق الانسان مبلغا عظيما ثم عطف عليه ذم النار المعدة لهم بقوله تعالي
وساءت اي النار وقوله تعالي مرتفقا تمييز منقول من الفاعل اي قبح مرتفقها وهو مقابل
لقوله تعالي الاتي في الجنة وحسنت مرتفقا والا فاي ارتفاق في النار وما ذكر تعالي وعيد
المبطلين اي وفيه بوعد المحقين فقال تعالي ان الذين امنوا ولما كان الايمان هو الاذعان
للاوامر عطف عليه ما يحقق ذلك بقوله تعالي وعملوا الصالحات ثم عظم اجرهم بقوله
تعالي انا لا نضيع اي بوجه من الوجوه اجر من احسن عملا وهذه الجملة خبر ان الاولي
وفيها اقامة الظاهر مقام المضمر والمعني اجرهم اي يثيبهم بما تضمنه او لئك لهم جنات
عدن اي اقامة فكانه قيل لهم فيها فقيل تجري من تحتهم اي من تحت منازلهم
الانهار وذلك لان افضل المساكن ما كان تجري تحته الانهار والا فكانه قيل ثم ماذا
فقيل يحلون فيها ويبني الفعل للمجهول لان المقصود وجود التحلية وهي لبسها
انما يوتي بها من الخارج فضلا منه تعالي وما كانت نعم الله لا تحصي نوع منها فقال
تعالي مبعضا من اساور جمع اسورة كاحمرة جمع سوار كما يلبس ذلك ملوك الدنيا من
جبابرة الكفرة في بعض الاقاليم كاهل فارس وقيل من زايدة وقيل للابتدا
ومن في قوله تعالي من ذهب للبيان صفة لاساور وتعطيها التنكير ما التعظيم حسا
من الاحاطة به وقيل للتبعيض وما كانت اللباس جزء اللحلي فكان موجودا عندهم
اسند الفعل اليهم فقال ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان والكرها طراوة
ثم وصفها بقوله تعالي من سندس وهو ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ
منه جمع بين النوعين للدلالة علي ان في هذا ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وفي اية
اخري بطائنها من استبرق فيكون الظهائر بطانة للوقيق ثم اتساق الوصف عن حال
جلوسهم فيها باية جلوس للملوك المتمكنين من النعيم فقال تعالي متكئين فيها اي
لانهم في غاية الراحة علي الارائك جمع اريكة وهي الكرسي او في الحجلة وهي بيت تزين
بالثياب والسرر للوصل ثم مدح هذا بقوله تعالي نعم الثواب اي الجنة لو لم يكن
لها وصف غير ما سمعتم فكيف ولها من الاوصاف ما لا يعلمه حق علمه الا الله تعالي
والي ذلك اشار بقوله تعالي وحسنت اي الجنة كلها وبين ذلك بقوله تعالي مرتفقا اي
معدا ومرتفقا ومجلسا ولما افتخر الكفار باموالهم وانصارهم علي فقراء المسلمين بين

الله تعالي

بين الله تعالي ان ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الفقير غنيا والغني فقيرا
وانما الذي يجب الافتخار به طاعة الله تعالي وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين
وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور بقوله تعالي واضرب لهم اي لهولاء الاغنياء المتجبرين
الذين يستكبرون علي المؤمنين ويطلبون طردهم لضعفهم وفقرهم مثلا لما اتاهم الله
من زينة الحياة الدنيا واعتمدوا عليه ولم يشكروا ما اتاهم اياه عليه بل
اداهم الي الافتخار والتكبر علي من زوي عنه اكثر ماله وصيانة عنه رجلين اي احرين
الاية واختلف في سبب نزولها فقيل نزلت في رجلين من اهل مكة من
بني مخزوم احدهما مؤمن وهو ابو سلمة وكان من زوج ام سلمة وقيل رسول الله
صلي الله عليه وسلم والاخر كافر وهو الاسود وهما ابنا عبد الاسد بن هلال وقيل
مثال لعيينة بن حصين واصحابه مع سلمان واصحابه شبههما برجلين من بني اسرائيل
اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل تمليخا والاخر كافر
واسمه قطرس وقال وهب قطون وهما اللذان وصفهما الله تعالي في سورة والصافات
وكانت قصتهما علي ما حكي عبد الله ابن المبارك عن معمر عن عطا الخراساني قال كان
رجلين نشريكين لهما ثمانية الاف دينار وقيل كانا اخوين ورثا منا ابا ثمانية
الاف دينار فاقتسما فاشتري احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا
قد اشتري ارضا بالف دينار واني اشتري منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها
ثم ان صاحبه بني دارا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا بني دارا بالف دينار واني
اشتري منك دارا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة فاتفق علي ما
الف دينار فقال هذا اللهم اني اخطب اليك من نساء الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه
اشتري خدما ومتاعا بالف دينار فقال هذا اللهم اني اشتري خدما ومتاعا من الجنة بالف
دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة شديدة فقال لو اتيت صاحبي لعل يواتيني منه بعض ما
فجلس علي طريقه حتي مر به في حشمه فقام اليه فنظر اليه الاخر فعرفه فقال له فلان قال نعم
قال ما شانك قال اصابتني حاجة شديدة فاتيتك لتعينني بخير قال فما ذا تريد منك فقال مالك وقال اشتمها
مالا اخذت شطره فنقص عليه فقته فقال وانك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيا
فطرده وروي انه لما اتاه اخذ بيده فجعل يطوف به ويريه اموال نفسه فقال ويحك ما فعلت بمالك
ثلاثي رجلين اي اذكر لهم خبر رجلين جعلنا لاحدهما جنتين اي بستانين من اعناب
متدبظهما من اعناب لانها من اشجار البلاد الباردة وتقيم علي الارض وهي فاكهة وقوته يا لعنبة

والوتيد والخل وغيرها غير انه تفاوت الجنتين بصفات الصنفين الاولى قوله تعالى الصفة الاولى
وحففناهما اي اطفناهما من جوانبهما بنخل لانها من اشجار البلاد الحارة وتقدير
علي الهي وربما سقت عن الاعناب بعض انساب الفاكهات وعمرها فاكهة بالرطب والزيتون
وقوبة بالتمر والخل فكان النخل كالاكليل منه ورد الكتب تنبيه الحفاف الجانب وجمعه
احفة يقال احق به القوم اي اطافوا بجوانبه الصفة الثانية قوله تعالى وجعلنا بينهما
اي اي الجنتين زرعا بعد شمول الافة لكل لان الزرع وان كان غير زاد عجيب
اثمار الشجر ومكانه وذلك هو المعدة في القوة فكانت الجنات اي صاحبة الجنتين الفاكهة
وافضل الاقوات وعامتها متواصلة متشابكة لم يتوسطهما ما يقطعها ويفصل
بينهما مع سعة الاصل اف وتباعد الاكناف وحتى الهيبات والاوصاف الصفة الثالثة
قوله تعالى كلتا اي كل واحدة من الجنتين المذكورتين اتت اكلها اي ما يطلب منها
وينال منه ثمر وحب كاملا غير منسوب شيء منها الي نقص ولا ذاة وهو معنى ولم
تظلم اي ولم تنقص منه شيئا يعهد في نساير البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص
في عام غالبا والظلم النقصان يقول الرجل ظلمني حقي اي نقصني تنبيه كل اسم
مفرد معرفة يؤكد به مذكور معرف وكلتا اسم مفرد ومعرفة يؤكد به مؤنث معرف
واذا اذا اضيفا الي المضمر كانا بالالف في الاحوال الثلاثة كقولك جاءني كلا اخويك ورايت
كلا اخويك ومررت بكلا اخويك وجاءني كلتا اختيك ورايت كلتا اختيك ومررت بكلتا
اختيك واذا اضيفا الي المضمر كانا في الرفع بالالف وفي الجر والنصب بالياء ويضمر يقول
مع المضمر بالالف في الاحوال الثلاثة ايضا فقوله تعالى اتت اكلها حمل علي اللفظ لان
كلتا لفظا مفرد ولو قيل اتتا اعتبارا علي المعنى لجاز الصفة الرابعة قوله تعالى وفجرنا خلالهما
نهرا اي وسطهما وبينهما ومنه قوله تعالى ولاوضعوا خلالكم ومنه يقال خللت القوم
وذلك ليدوم شربهما ويستغنيان عن المطر عند القحط وبين يديهما وهما الصفة الخامسة
قوله تعالى وكان له اي صاحب الجنتين ثمر اي انواع من المال سوي الجنتين قال ابن عباس
من ذهب وفضة وعن ذلك من ثمر ماله اذا كثر وعن مجاهد الذهب والفضة خاصة
اي كان مع الجنتين انشيا من الاموال ليكون متمكنا من العمارة بالاعوان والالات وجميع
ما يريد وقرا ابو عمرو وعرهتا وعمره الاتيان بكون الميم فيهما بعد ضم التاء المثلثة وقرا
عاصم بفتح المثلثة والميم فيهما والباقون بضم المثلثة والميم فيهما ذكي اهل اللغة ان الضم
انواع المال من الذهب والفضة وغيرهما والفتح حمل الشجر قال قطرب وكان ابو عمرو بن العلا

يقول

يقول المرء المال والولد واسند الحارثة بن جلدة . . . . .
ولست ادري ايه معايش اتدعني واما الاولادا ! ! وقال النابغة ممن اذكر الاتي الكلام
. . . . . وما اثمروا من مال ومن ولد
تقال اي هذا الكافر لصاحبه اي المسلم المجعول مثلا للفقراء المؤمنين وهو اي
صاحب الجنتين يحاوره اي يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع او تحاور اهليه
وتعبيرا لحاله بالنسبة اليه والنسبة يحاوله بالوعظ وتبشيع الكفر الي الدنيا
انا اكثر منك مالا الماء تري من جناتي وعماري وقرا نافع عبد الالف بعد النون والباقون
بالقصر هذا في الوصل واما في الوقف فبالالف للجميع وسكن قالون وابو عمرو والكسائي
ها وهو وصلها الباقون وفي قف وفي شيء يحاوره واعز نفرا اي ناسا يعتزون بي
في المهمات وينفرون عند الفزع وفي ان لا تذكر لانهم لكثرة المال غالبا وتري الكثرة الاعضبا
من المسلمين وان لم يطاوعوا يمثل هذا الالتزام فان السنة احوالهم ناطقة به منادية عليه
ودخل جنته يصاحبه يطوف به فيها ويتفاخر بها واوثر الجنة لارادة الجنس ودلالة
ما افاده الكلام منهما لاتصالهما كالجنة الواحدة او اشارة الي انه لا جنة له غيرها
لانه لا حظ له في الاخرة وهو اي والحال انه ظالم لنفسه لاعتماده علي ماله والاعراض
عنربه ثم استانف ببيان ظلمه بقوله تعالى قال ما اظن ان تبيد اي تنعدم هذه
الجنة ابد الطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهله ثم زاد في الطغيان والبطر
بتهم المقر علي الحاضر فانكر البعث بقوله وما اظن الساعة قايمة اي كاينة استلذاذا
بما هو فيه واخلادا اليه واعتمادا عليه وقوله ولئن رددت الي ربي المحسن الي
في هذه الدار في الساعة اقام منه علي انه اذ رد الي ربه علي سبيل الفرض والتقدير
وهو ما يزعم صاحبه ان الساعة قايمة لاجدن خيرا منها اي من هذه الجنة منقلبا
اي موجبا لانه لم يعطني الجنة في الدنيا الا ليعطيني في الاخرة افضل منها قال ذلك طمعا
وتمنيا علي الله اوعاكرامة عليه ومكانة عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه
واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسني لاوتين مالا
وولدا قال له صاحبه اي المؤمن وهو اي والحال انه ذلك الصاحب يحاوره اي يبين اجحه
منكرا عليه اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك آدم منه ثم اي لان خلق اصله
سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له ثم من نطفة متولدة من اغذية اصلها تراب هي مادة
التوليد ثم سواك اي عدلك رجلا اي كملك انسانا ذكرا

بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لانه منشأ الشك في كمال قدرة الله
تعالى ولذلك ترتب الانكار على خلقه اياه من التراب فانه متى قدر على بدء خلقه مرة
قدر على ان يعيده منه ولما انكر على صاحبه اخبر عن اعتقاده بما يضاد صاحبه
فقال مولدك الاجل انكار صاحبه مستندا كما لاجل كفرانه لكنا اصله لكنا نقلة حركة
الهمزة الى النون وحذفت النون ثم ادغمت التوت في مثلها كما قال القايل وتؤمنني
بالطرف اي انت مذنبي وتقلينني لكنني اي لكنني اقليك اي لا اقليك
ولما كان سبحانه وتعالى لا شيء اظهر منه ولا شيء ابطن منه اشار الى اذ ذلك
جميعا باقتماره قبل الذكر فقال هو اي الظاهر اتم ظهور فلا يخفى اصلا ويجوز ان
يكون الضمير الذي خلقك الله اي المحيط بصفات الكمال ربي وحده لم يحسن الي خلقا
وربي قال احد غيره وهذا اعتقادي في الماضي والحال وقرا ابن عامر باثبات الالف بعد
النون وقفا ووصلا لاتباع المرسوم والباقون باثبات الالف وقفا وحذفها وصلا فان
قيل قوله لكنا استدراك فما وجه ان اجيب بانه لقوله اكفرت فكانه قال لاخيه
اكفرت بالله الذي موجد موجد كما تقول زيد غايب لكنه مقيم وخاضن وذكر العقالي في قوله
الموجد ولا اشرك بربي اي المحسن الي في عبادي احدا وجوها احدها اني لا اراي الكفر
والغنا الامة فاحمده اذا عطى واصبر اذا ابتلي ولا اكفر عند ما يتقدم علي ولا اري في كثرة
الاموال والاعوان منك نقصي وذلك لان الكافر لما اغتر بكثرة المال والجاه فكانه
قد اثبت لله شريكا في اعطا الغنى والفنا وثانيها لعل ذلك الكافر مع كونه منكرا للبعث كان
عابدا صنما فبين هذا الموحد فاسد قوله باثبات الشركا وثالثها ان هذا الكافر لما عجز الله
تعالى عن البعث والحشر فجعله مساويا للخالق في هذا العجز واذا اثبت المساواة فقد اثبت
الشريك ثم قال الموحد للكافر ولولا اذ اي وهلا حين دخلت جنتك قلت عند اعجابك بكثرتها
ما يدل على تفويضك الامر فيها وفي غيرها الى الله تعالى وهو ما شاء الله اي الامر ما شا
الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة اي والذي شاء الله كان على انها شرطية وجوابها
محذوف اي اقول اي اشائها وما يزيدها بمشيية الله ان شا ابقاها وان شا اهلكها وقرا ابن
ذكوان وحمزة بالامالة والباقون بالفتح واذ وقف حمزة وهشام على شا ابدل الهمزة الفا
مع المد والتوسط والقصر واصلهم اذ عند الدال نافع وابن كثير وعاصم والباقون بالادغام
وهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على تفكك والقدرة لله وان ما يتيسر لكل منا عمارة
وتدبير امرها فبمعونة الله تعالى وافتداء اولا يقوى احد في يدنه ولا في ذلك الا بالله وفي

الحديث

وفي الحديث من اعطي خيرا من اهل او مال فيقول عند ذلك ما شا الله لا قوة الا بالله لم
يرفيه مكروها ثم ان المومن لما علم الكافر الايمان اجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال
ان ترني انا اقل منك مالا وولدا اي من جهة المال والولد ويحتمل ان يكون انا فصلا
وان يكون تاكيد المفعول الاول فعسى وقرا نافع وابو عمرو باثبات الياء وصلا وحذفها
وقفا وابن كثير باثباتها وصلا ووقفا والباقون بالحذف وقفا ووصلا وقوله تعالى
فعسى ربي اي المحسن الي ان يوتيني خيرا من جنتك اما في الدنيا
واما في الاخرة لايمانه جواب الشرط ويرسل عليها اي جنتك حسبانا جمع حسبانة
اي صواعق من السما تصير بعد كونها قوة للعين بما تهتز به منه الاشجار والخ وع
صعيدا زلقا اي ارضا ملسا باستيصال بنيانها واشجارها فلا يثبت عليها بنيان
ولا يثبت عليها قدم وقوله او يصبح ماوها غورا اي غايرا في الارض لا تناله الا
يدي والدلا مصدر وصف به كانوثق فلن تستطيع ان تراه له اي للماء الغاير طلبا يصير
بحيث لا تقدر على رده الى موضعه ثم انه اخبر الله تعالى انه حقق ما قدره هذا الموحد
فقال واحيط اي وقعت الاحاطة بالهلاك وبني للمفعول لان التاكيد حاصل باحاطة
الهلاك من غير نظر الى فاعل مخصوص والدلالة على هوانه بمره اي الى الجد المرتد واستعمل
ما لكاي في الهول وما في الجبل وما يصير منه على البر دو الحر وما لا يصير قال ابو حنيفة الدينوري
ان الله تعالى ارسل عليها نارا فاهلكتها وغار ماوها فاصبح يقلب كفيه ندما ويفرغ احداهما
على الاخرى تحسرا فتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا
لبطن كما يكني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد لانه في معاني الندم عدي بتعديته
كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي في عمارتها وغارها وهي خاوية اي ساقطة
على عروشها اي دعايمها التي كانت تحتها فسقطت على الارض وستقف هي فوقها وقوله تعالى
ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره او للتشبيه يتمني تمنيا لو دما فانه لحيرته
وذهول عقله ودهشته وعدم اعتماده على الله تعالى منه عاير اشراكه بالاعتماد على الغاني
لم اشرك بربي احدا كما قال له صاحبه فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط في الباقي
لاجرامه فانه على الدنيا لا حرص على الايمان لحصول الفوز في العقبى لقصور عقله وقرئ
مع المحسوسات المشاهدة فان قيل هذا الكلام يوهم ان جنته انما هلكت لشوم شركه وليس
مراد الاذن انواع البلا اكثرها انما يقع للمومنين قال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون وقال صلى الله

595

عليه وسلم حض البلا بالانبياء الاولياء الامثل فالامثل وايضا لما قال يا ليتني
لم اشرك بربي احدا فقد ندم على الشرك ورغب في التوحيد فوجب ان يكون مومنا
فلم قال تعالى بعده ولم تكن له فئة اي جماعة من تفرقه الذين اغتر بهم ولا من تعزهم
ينظم وفئة بما وقع فيه عند وقد الله عند هلاكها وما كان هو منتصرا بنفسه بل ليس
الامر في ذلك الا الله تعالى واجيب عنه الاول بانه لما عظمت حيرته
لاجل انه لما انفق عمره في تحصيل الدنيا وكان معرضا في عمره كله عن طلب الدين
فلما فاتت الدنيا بالكلية بقي محروما عن الدنيا والدين وعن الثاني
فانه انما ندم على الشرك لاعتقاده على انه لو كان موحدا غير مشرك لبقيت عليه جنة
فهو انما رغب في ذلك لاجل طلب الدنيا فلذلك لم يقبل الله توحيده وقرا حمزة والكسائي
يكن بالتحتية على التذكير والباقون بالفوقية على التانيث ولما انتج هذا المثل
قطعا انه لا امر لغير الله تعالى المرجو لنصر اوليائه بعد خذلهم ولا غنى لهم بعد فقرهم ولا
ذلال اعدائه بعد عزهم وكبرهم افتقارهم بعد اغنيائهم وحمدهم وان غيره انما كان كالجبال
لا حقيقة له صرح بذلك في قوله تعالى هنالك اي في مثل هذه الشدائد العظيمة الولاية
لله اي الذي له الكمال كله وقرا حمزة والكسائي بكسر اللام اي الملك والباقون بفتحها اي
النصرة وقوله تعالى الحق قرا ابو عمرو والكسائي برفع القاف على الاستيناف والقطع لتقليل
نبههما على ان في عموم في مثل هذه الامثلة من الاشكال ما يليه ودون غيره برهان قاطع على ان الحق وما سواه
باطل وان الغرض بالمثل زواله من اجهل الجهل وان المومنين لا يصيرهم فقر ولا ضعف طرا عليهم
لاجله وانه يوشك ان يعود فقرهم غنى وضعفهم قوة وقوله الباقون بخفضها على الوصف
اي الثابة الذي لا يحول يوما ولا يزول ولا يقل ساعة ولا يام ولا ولاية لغيره بوجه
هو خير ثوابا من ثواب غيره لو كان يثيب وخير عقبا اي عاقبة للمومنين وقرا عاصم
وحمزة بسكون القاف والباقون بضمها ونصب على التمييز ولما مثل الدنيا هم الخاصة بهم
التي افترتهم فكانت سببا لاشقيائهم وهم يحسبون انها عين اسعادهم ضرب لذلك الدنيا
العامة لجميع الناس في قلة نوائها وسرعة فنائها وان من تكبر كان اخس من نباتها فقال
واضرب اي صير لهم اي لهولاء الكفار المغترين بالوضع الفانين المفتخرين بكثرة الاموال
والاولاد وعزة النفر وقوله تعالى مثل الحياة الدنيا مفعول اول واذكر المثل بقوله تعالى
كماء وهو المفعول الثاني انزلناه بعظمتنا وقدرتنا وقال تعالى منا لما متنها على بليغ القدرة
في امساكه في العلو وانزاله في وقت الحاجة فاختلط اي فتعقب وتسبب عنه انزاله انه

اختلط

595

انه اختلط به نبات الارض اي الحق بسببه حتى خالط بعضه بعضا من كثرته
وتكاثفه كما قال تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وقيل اختلط ذلك الماء
بالنبات حتى روي واهتز وعا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض
لكنه لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه على المبالغة في كثرته ثم اذا انقطع
ذلك المطر عنه حتى ذلك النبات فاصبح هشيما اي يابسا متفرقة اجزاوه تذروه اي
تشتيره وتفرقه الرياح فمذهب به والمعنى انه تعالى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس
فتكسر فتفرقته الرياح حتى يصير عما قليل كانه بقدرة الله تعالى لم يكن وقرا حمزة والكسائي
بالتوحيد والباقون بالجمع وكان الله اي المختص بصفات الكمال على كل شيء من ذلك
وغيره انشاء وافناء واعادة مقتدرا اي لا يعجزه شيء تكوينه اولا وتتميمه وسطا وابطاله
اخرا فاحوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم تتزايد قليلا قليلا
ثم ياخذ في الانحطاط الى ان ينتهي الى الهلاك والفناء ومثل هذا الشيء ليس للعاقل ان يبتهج به
تنبيه قوله تعالى فاصبح يجوز ان يكون على بابه فان الكثير ما يطرق من الافات
صباحا كقوله تعالى فاصبح يقلب كفيه ويجوز ان يكون بمعنى صار من غير تقييد بصباح
كقول القائل

اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا

والباقيات الصالحات اي العمل الصالح ولاجله املك راس البعير ان نفرا
والباقيات سبحانه وتعالى ان الدنيا سريعة الانقراض والانقضاء مشوقة على الزوال
والبوار والفانين بقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا اذ المال هنا
الذي تحت الكلي فيتعقد به قياس من الانتاج وهو ان المال والبنون زينة الحياة
الدنيا وما كانت زينة الحياة الدنيا سريعة الانقضاء والانقراض ينتج انتاجا بديهيا
ان المال والبنون سريع الانقضاء والانقراض وما كان كذلك فانه ينبغي بالعقل ان
يعتنى به ويفرح بسببه او يعد له في نظره وزنا وهذا برهان باهر على فساد
قول اولئك المشركين الذين افتخروا على فقراء المومنين بكثرة الاموال ثم ذكر تعالى
ما يدل على بطلان اولئك الفخر على اولئك الفقراء من الاغنياء فقال والباقيات
الصالحات خير اي من الزينة الفانية لان خيرات منقرضة منقضية وخيرات الاخرة
دائمة باقية والدليل الباقي خيريته المنقرض المنقضي وهذا معلوم بالضرورة لا سيما وقد
ثبت ان خيرات الدنيا حقيرة خسيسة وان خيرات الاخرة نفيسة شريفة والمفروض
ذكر في الباقيات الصالحات اقوالا احدها انها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

والله اكبر ولا يضرهن ولا حول ولا قوة الا بالله والقرآني في تفسير عن الوثابة وجه لطيف فقال وفي ان من قال سبحان الله حصل له مئة الثواب عشرون فاذا قال والحمد لله صارت عشرين فاذا قال ولا اله الا الله صارت ثلاثين فاذا قال والله اكبر صارت اربعين وتحقيق القول فيه ان مراتب الثواب اعظمها هو الاستغراق في معرفة الله وفي محبته فاذا قال سبحان الله فقد عرف كونه منزها عن كل ما لا يليق به وكل ما لا ينبغي فحصول هذا القدر سعادة عظيمة وبهجة كاملة فاذا قال مع ذلك الحمد لله فقد اقر بان الحق سبحانه مع كونه منزها عن كل ما لا ينبغي هو المبتدأ بكل ما ينبغي ولا فاضة كل خير وكمال فقد تضاعفت درجات المعرفة فلا جرم قلنا بمضاعفة الثواب فاذا قال مع ذلك لا اله الا الله فقد اقر بان الذي تنزه عن كل ما لا ينبغي وهو المبتدي لكل ما ينبغي ليس في الوجود موجود هكذا الا هو الواحد فقد صارت مراتب المعرفة ثلاثة فلا جرم صارت درجات الثواب ثلاثة فاذا قال الحمد لله والله اكبر تعني انه اكبر واعظم من ان يصل العقل الى كنه كبريائه وجلاله فقد صارت مراتب المعرفة اربعة فلا جرم صارت درجات الثواب اربعة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان اقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر احب الي مما طلعت عليه الشمس وعن ابي سعيد الخدري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من الباقيات الصالحات قيل وما هن يا رسول الله قال التهليل والتكبير والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ثانيها انها الصلوات التي تاتي بها امتنا الطيبة من القول في ايامها وهو امرها واولها اعمال الخيرات التي تبقى ثمراتها ابد الآباد فيندرج في ذلك الصلوات وانواع الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله والكلام الطيب وغير ذلك من كل عمل وقول دعاك الله لمعرفة الله ومحبته وخدمته وما دعاك اليه من قول او عمل الى الاشتغال باحوال الخلق وهو خارج عن هذا كله لان كل ما سوى الحق هو فان لذاته فكان الاشتغال به والالتفات عليه باطلا وسعيا ضائعا واما الحق لذاته هو الباقي الذي لا يقبل الزوال لا يحوم كان الاشتغال بمحبته ومعرفته وطاعته وخدمته هو الذي تبقى بقاء لا يزول ولما كان اهم ما الى من حصل البقاء ليس لكفايته من يحفظها له لوقت حاجته قال تعالى عند ربك اي الجليل المواهب العالم بالعواقب وخير من المال والبنين في العاجل والآجل ثوابا وخير من ذلك كله املا اي من جملة ما يرجوه فيها من الثواب ويرجوه فيهما من الامل لان ثوابها الى بقاء املها كل ساعة في تحقق وعلى ان تقا واهل المال والبنين كان احوج ما يكون وعن قتادة كلما اريد به وجه الله

تعالى

تعالى خير ثوابا اي ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها تامل في الدنيا ثواب الله وتفسيره في الآخرة وما بين سبحانه وتعالى خاسة الدنيا وشرف الآخرة فاذا وقف يا حوال يوم القيامة وذكر فيها انواعا النوع الاول قوله تعالى ويوم اي واذكر لهم يوم تسير يا يسر امر الجبال عنه وجه الاخر من يوالي القدرة كما يسير بنات الارض من بعدنا صار هشيما تذروه الرياح كما قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب تنبيه ليس في لفظ الآية ما يدل على ان تسيير قال الرازي ويحتمل ان يقال ان الله يسيرها الى الموضع الذي يريده ولم يبين ذلك لخلقه والحق ان المراد ان الله تعالى يسيرها الى العدم لقوله تعالى ويسيلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولقوله وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا قرا ابن كثير وابو عامر وبهم التاء الفوقية وفتح الباء التحتية بعد الباء على فعل ما لم يسم فاعله وبرفع الجبال باسناد تسيير اليها كما في قوله تعالى واذا الجبال سيرت واقام ون بالنون المضمومة وكسر الباء التحتية بعد الباء باسناد فعل السير الى نفسه ونصب الجبال لكونه مفعولا سير والمعنى تحت نقل بها ذكر اعتبارا بقوله تعالى وحشرناهم والمعنى واحد لانها اذا سيرت فسيرها الى الا الله تعالى النوع الثاني قوله تعالى وترى الارض بارزة اي ظاهرة لا نبات فيها ولا صدع ولا جبل ولا نبات ولا شجر ولا ظل فبقيت بارزة ظاهرة لي عليها ما يستر ها وهو المراد من قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقيل انها بارزة مما في بطنها وقد قرئت المبنيين للمفعول بين فيها فاذا هي بارزة الجوف والبطن فحذف ذكر البطن لدلالة الحرف كما قال تعالى والقت ما فيها وتخلت وقال تعالى واخرجت الارض اثقالها النوع الثالث قوله تعالى وحشرناهم اي الخلايق من الوقت الذي ينكشف فيه المخبيات وتظهر الخفايا والمغيبات ويقع الحساب فيه على النقير والقطمير والفاقد فيه بصير فلم نغادر اي نترك منهم اي الاولين والاخرين احدا الا اثبتناه ولا بجزء ونظيره قوله تعالى قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم فان قيل لم اجلي بحشر انام ما ضيا بعد سير وتوني اجيب بان ذكر يقال للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والفظاع كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك وانما ذكر تعالى حشرهم وكان من المعلوم انه للعرض ذكر كيفية ذلك العرض فقال بانيا الفعل للمفعول على طريقة كلام القادر بين تولان المحرق العرض لا لكونه منه معين وعرضوا على ربك اي المحسن اليك بوضع اوليائك

وخفض اعدايك وقوله تعالى صفا حال اي مصطفين واختلف في تعيين
على وجوه الاول ان تؤخذ الخلق كلهم صفا واحدا الاتباع الانبياء ظاهرين
لا يحجب بعضهم بعضا لانهم لا يبعد ان يكونوا صفا يحق بعضهم وهي بعض مثل
الصفوف المحيطة بالكعبة التي يكون بعضها خلف بعض وعلى هذا فالمراد بقوله
تعالى صفا صفوفا كقوله تعالى يخرجكم طفلا اي اطفالا الثالث المراد بالصف القيام
كما في قوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها صوافي اي قياما وقيل كل امة صف
ويقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة اي فرادى حفاة عراة غرلا الاولى
المراد حصول المساواة من كل وجه لانهم خلقوا صغارا ولا عقل لهم ولا تكليف
عليهم بل المراد بامور ويقال للمنكرين البعث بل زعمتم ان اي انا لن نجعل لكم موعدا
اي مكانا ووقتا يحكم فيه هذا الجمع فنجزيكم ما وعدناكم به على السنة رسلنا
فلم تؤمنوا بنا ولم تطيعونا فالان قد تركتم الاموال والانصار منكرين البعث والقيامة
حتى روى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم موعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا
اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين الا وان اول خلق يكسى يوم القيامة
ابراهيم عليه السلام الا انه سيجاء برجال من امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول
فاقول اي رب اصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فاقول كما قال العبد الصالح
وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم الى قوله الرؤف الحكيم قال فيقال اني انهم لم يزالوا
مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم وفي رواية فاقول سحقا سحقا لمن قوله غرلا اي
قلفا الغرلة القلفة التي تقطع من جلد الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا اي
بعدا قال بعض العلماء المراد بهم ولاة الدين اي تنحوا بعده من الزيغ وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس
حفاة عراة غرلا فقلت الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال الامر اشد من
ان يهمهم ذلك زاد النسائي في رواية كلهم يومئذ شأن يغنيه وعن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس على
ثلاث طوائف راغبين راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة
على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم

حيث

حيث اصبحوا وعشي معهم حيث امسوا ووضع بعد الرق المستعقب للجمع بادئ اشارة
الكتاب المضبوط فيه دقايق الاعمال وجلايلها على وجه بين لا يخفى على قاري
ولا غيره شيء منه وتوضع كتاب كل انسان في يده اما في اليمين واما في الشمال والمراد
الجنس وهو صحف الاعمال فترى المجرمين مشفقين اي خائفين خوف العقاب من الحق
وخوف الفضيحة من الخلق عاينه من قبايح اعمالهم وسيء افعالهم واقوالهم ويقو
عند معاينتهم ما فيه من السيآت وقولهم يا للتنبيه ويلتنا اي هلكتنا وهو مما
لا عقل له من لفظه كناية على انه لا ينبغي لهم ان يدعوا الا الهلاك ما لهذا الكتاب اي اي
شيء له حال كونه على غير حال الكتب في الدنيا لا يغادر اي يترك صغيرة ولا كبيرة
من ذنوبنا وقال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير
اللمم والمسيس والقبل والكبيرة الزنا الا احصاها اي عدها واثبتها في هذا الكتاب
ونظيره قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقوله تعالى
انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون تنبيه ادخال التاء في الصغيرة والكبيرة على
تقدير ان المراد الفعلة بالصغيرة والكبيرة قال بعض العلماء احتجوا بامة الصغاير قيل
الكباير لان الصغاير هي التي جرتهم الى الكباير واحترزوا بامة الصغاير حدثنا امية اذ يعقوبا
في الكباير وعن عبيد بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم ومحقرات الذنوب
فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فاججوا
خبزهم وان محقرات الذنوب لو تؤخذ ووجدوا ما عملوا حاضرا اي مثبتا في كتابكم ولا يظلم
ربك اي الذي يارك يخلق القرآن احدا منهم ولا من غيرهم في كتاب ولا عقاب ولا ثواب بل
يجازي الاحد بما يستحقونه تعذيبا لهم ويجازي اولياء الذين عادوهم بما يستحقونه تنعيما
لهم روى الامام احمد في المسند عن جابر ابن عبد الله انه سافر الى عبد الله بن انيس الى
مسيرة شهر فاستأذن فاستأذن عليه قال فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته قلت
حديثا بلغني عنك انك سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم في القصاص
فخشيت ان تموت قبل ان اسمعه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر
الله عز وجل الناس او قال العباد حفاة عراة بهما قلت وما بهما قال ليس معهم شيء ثم
ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب انا الملك انا الديان لا ينبغي لاحد من
اهل النار ان يدخل النار وله عند احد من اهل الجنة حق ولا ينبغي لاحد من اهل الجنة
ان يدخل الجنة ولاحد من اهل النار حق حتى اقصه منه حتى اللطمة قال فقلنا كيف وانا

لون

تاتي حفاة عراة بهما قال بالحسنات والسيات وروي الوالبي عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب الله الناس في القيامة على ملة يوسف
وايوب وسليمان فيدعو الملوك فيقال ما يشغلك عني فيقول جعلني الله عبدا لادبي
فلم يزغني فيدعو يوسف فيقول كان هذا عبدا امتلك فلم يمنعه ذلك ان عبد ربه
فيؤمر به الى النار ثم يدعى المبتلى فيقال ما شغلك فيقول ابتليت بالبلاء فدعا ايوب فيقول قد ابتليت
هذا ما اشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي ثم يأتي بالملك في الدنيا مع ما اتاه
الله تعالى من الغنى والسعة فيسأل ما عملت وما ابتيت فيقول شغلني الملك عن
ذلك فيدعو سليمان فيقول هذا عبدي ابتيته اكثر مما ابتيتك فلم يشغله ذلك عن
عبادتي اذهب فلا عذبك ويؤمر به الى النار وعن معاذ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لن تزول قدم العبد يوم القيامة حتى يسأل عن
اربع عن جسده فيما ابلاه وعن عمره فيما افناه وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه
وعن علمه كيف عمل به ولما كان المقصود من ذكر الايات المتقدمة الرد على القوم الذين
افتخروا باموالهم واعوانهم على فقراء المسلمين وهذه الاية المذكورة في قوله تعالى واذ
اي واذكروا اذ قلنا للملايكة الذين هم اطوع شيء لاوامرنا المقصود من ذكرها عين هذا
المعنى وذلك لان ابليس اعتكبر على ادم لانه افتخر باصله ونسبه وقال خلقتني من
نار وخلقته من طين وانا اشرف منه في الاصل والنسب فكيف اسجد
له وكيف اتواضع له وهؤلاء الشريفون عاملوا فقراء المسلمين بمعنى هذه المقابلة
فقالوا كيف نجالس هؤلاء الفقراء انا اناس من انساب شريفة وهم انساب باذلة ونحن
اغنياء وهم فقراء ذكر الله تعالى هذه القصة تنبيها على ان هذه الطريقة هي بنفسها
طريقة ابليس حين امره الله تعالى في جملة الملايكة بقوله تعالى اسجدوا لادم
سجودا خاليا عن الوضع جبهة تحيته له فسجدوا الا ابليس كان من الجن
قيل هم نوع من الملايكة فالاستثناء متصل وقيل هو منقطع وابليس ابو
الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملايكة لا ذرية لهم وكررت هذه
القصة لهذا المقصود المذكور قال البيضاوي وهذا مذهب كل مكرر في القرآن
اي انما يكرر لمناسبة ذلك المحل الذي يذكر فيه فسجد اي خر بتركه
السجود عن امر ربه اي سيده ومالكه المحسن اليه والفاء للسببية وفيه دليل
على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان خبيثا في اصله

والكلام

والكلام المستقصى فيه تقدم في سورة البقرة ثم انه تعالى حذر عن
اتباعه بقوله تعالى افتتخذونه الخطاب لادم والهاء هنا وفيما سيأتي لابليس
والهمزة للانكار والتعجب اي يقبح باستغفاركم فنظرائه لاجلكم فيكون ذلك
سببا لان تتخذوه وذريته شركائي اوليائكم من دوني تطيعونهم بدل طاعتي
وقوله تعالى وهم لكم عدو اي اعدى الاعداء وما كان هذا الفعل اجدر شيء بالذم
وصل به قوله تعالى بئس للظالمين بدلا من الله ابليس وذريته وكان
الاصل لكم وكتبه ابن النضر لتعلق اللام بالوصف لافادة التعميم روي مجاهد عن
الشعبي قال اني لقاعد يوما اذا قبل جمال فقال اخبروني هل لابليس زوجة
قلت ان ذلك لعرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى افتتخذونه
وذريته اولياء من دوني فعلمت ان لا يكون ذرية الا من زوجة فقلت
نعم وقال قتادة بيتوا الدبوا كما يتوالد بنوا ادم وقيل انه يدخل ذنبه في دبره
فيبيض فتتعلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذريته ابليس
لاقيس ووليهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومره وبه يكنى
وزلينبور وهو صاحب الاسواق يزين الايمان اللغو والكاذبة ومدح الكلب
وينبز وهو صاحب المصايب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب
والاعور وهو صاحب الزنا ينبغ في احليل الرجل ويعجز المراة ومطوس وهو صاحب
الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلا واسم وهو الذي اذا
دخل الرجل بيته ولم يسم الله ولم يذكر الله دخل معه واذا اكل ولم يسم الله اكل معه
قال الاعمش ربما دخلت البيت اذكر الله ولم اسم فرايت مطرحة فقلت ان فقوا خاسئ
ثم اذكر فاقول واسم واسم وعن عثمان ابن العاص قال قلت يا رسول الله ما لي لا ازال
قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها علي فقال ذاك شيطان يقال له خنزب
ذلك شيطان يقال له حرد فاذا احسسته فتعوذ بالله وانفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت
ذلك فاذهب الله عني وعن ابي ابن كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للوضوء شيطان
يقال له الولهان فاتقوا وساوس الماء وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة
يجيء احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يجيء احدهم فيقول ما تركته
حتى فرقت بينه وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه قال فيلتزمه

واختلفوا في عود الضمير في قوله تعالى ما اشهدتهم على وجوه احدها وهو الذي
ذهب اليه الاكثرون ان المعنى ما اشهدت الذين اتخذوهم اولياء خلق السموات والارض
ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله تعالى فاقتلوا انفسكم فعلى
احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل
على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله تعالى وما كنت متخذ المضلين اي
الذين يضلون الناس ووضع الظاهر موضع المضمر اظهارا لاضلالهم وعقابهم عضدا
اي اعوانا وثانيها قال الواحدي وهو الاقوى عندي ان الضمير عايد الى الكفار الذين
قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان لم تطرد عن مجلسك هؤلاء الفقراء عندك فلا
نؤمن بك فكانه تعالى قال ان هؤلاء الذين انوا بهذا الاقتراح الفاسد والتفسة الباطل
ما كانوا اشركائي في تدبير العالم اني ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم ولا اعتضدت
بهم في تدبير الدنيا والاخرة بل هم قوم كساير الخلق فلم اقدموا على الاقتراح الفاسد قال
والذي يوكد هذا ان الضمير يجب عوده الى اقرب المذكور اذ في هذه الاية المذكورة والاقرب
هو اولئك الكفار وهو قوله تعالى يلبس للظالمين بدلا والمراد بالظالمين اولئك الكفار وثالثها
ان يكون المراد من قوله ما اشهدتهم اني اخرته دون هؤلاء الكفار جاهلين بما يجري به العلم في الازل
من احوال العاقبة والشقاوة فكانه قيل لهم العبد من حكم الله بسعادته والشقي من حكم الله
بشقاوته في الازل وانتم غافلون عن احوال الازل فانه تعالى قال ما اشهدتهم اني اخرته واذا
جهلتم هذه الحالة فكيف يمكنكم ان تحكموا لانفسكم بالرفعة والعلو والكمال وتحكموا بالذل
والدناءة لباقي عباد الله في الدنيا والاخرة على العكس مما حكمتم به وما قرر تعالى ان القول
الذي قالوه في الاغترار على القرآن افتراء واقيه بان يليس عاد بعده الى التهويل باهوال القيامة
فقال ويوم نقول نادوا شركائي الذين زعمتم انهم شركاء لي في الالهية فدعوهم فلم
يستجيبوا لهم اي فلم يغيثوهم اصلا بوجه من الوجوه ولم يدفعوا عنهم شيئا من العذاب
ووضعوا موبقا اي مهلكا يشتركون فيه وقيل وادي في جهنم يهلكون فيه جميعا وهو منقول عن ابن عباس
انه قال هو واد عميق فرق الله به يوم القيامة بين اهل الهدى واهل الضلال وقال الحسن البصري

عداوة اي يوبقهم الى الهلاك والتلف كقول عمر رضي الله تعالى عنه لاياكون حيك كلفا
ولا بغضك تلفا اي لا يكون حبك يجر الى التلف ولا بغضتك يجر الى التلف وقيل
الموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بين هؤلاء الكفار وبين الملايكة وعيسى برزخا
بعيدا يهلك فيه السايري لعوط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلا الجنان والله اعلم
سبحانه وتعالى بما لهم مع شركايهم ذكر حالهم في استماع اي جهلهم فقال تعالى ورا المجرمون
اي العريقون في الاجرام النار من مكان بعيد فظنوا ظنا انهم مواقعوها اي مخالطوها
في تلك الساعة من غير تاخير وهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها وزفيرها
قال تعالى اذا رايتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فان محا الله الذي
لغيره اذا كانت قوية تامة يقال لها مواقعة ولم اي والحال انهم لم يجدوا عنها مصرفا
اي مكانا ينصرفون اليه لان الملايكة تسوقهم اليها والموضع موضع التحقق والكنه
ظنهم جريا على عادتهم في الجهل كما قالوا اتخذ الله ولدا بغير علم وما ظن ان تبيد هذه
ابدا وما ظن الساعة قايمة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين مع قيام الادلة
التي لا شك فيها وقيل الظن هنا بمعنى العلم واليقين وما افخر واهول امر
الكفار على قوة المسلمين بكثرة اموالهم وابنايهم وبين الله تعالى الوجوه الكثيرة
ان قولهم فاسد وشبههم باطلة ذكر في هذه المتلين المتقدمين ثم قال بعده ولقد صرفنا
واظهرنا وقرئ وابن كثير وابن ذكوان وعاصم الذال واد غمها الباقون في هذا القرآن من
اي القبيل الذي لا عوج فيه من جهة المعاني للناس اي المنزلين والنايبين منه كل مثل
صفة لمحذوف وفي اي مثال من جنس كل مثل ليتعظوا وانا حولنا الكلام وصرفناه في كل
وجه من وجوه المعاني والبسناه من الحيا ان الرايقة والاساليب المتناسقة
ما صار به في غرابة كل مثل يتعلله كل من يسمعه ويضرب به اباطيل الابل في سايل البلاد بين العباد
فتشمر به قلوبهم وتلج به الشبهم فلم يقبلوه ولم يزكوا المجادلة الباطلة كما قال تعالى
وكان الانسان اكثر شي تاتي عليه الجدال وعين الاكثرية بقوله تعالى جدلا اي خصومة
قال بعض المحققين والاية دالة على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام جادلوهم في الدين
لان المجادلة لا تحصل الا من الطرفين ولهذا قيل اراد بالانسان الكافر وقيل الاية
على العموم قال ابن الخاتون وهو الاصح ولذا قال البغوي نزلت في علي رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرق وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله
تعالى عنها ليلة فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله فاذا شا ان يبعثنا يبعثنا

فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع الي شيء ثم سمعته
وهو مولي يقرب فخذه وهو يقول وكان الانسان اكثر شيء جدلا وقال ابن عباس
اراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن وقال الكلبي اراد به خلف الجمحي وما بين
سبحانه وتعالي اعراضهم بين موجبه عندهم فقال تعالي وما منع الناس اي الذين
جادلوا بالباطل الايمان هكذا كان الاصل والكلية عبر عنه بهذا الموصول الثاني بقوله
ان يؤمنوا لبعيد التجديد وحتم علي الترك انافي حين جاءهم الهدي اي القرآن
علي لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطف علي الموصول الثاني معبرا بمثل
ما مضي لما مضي قوله تعالي ويستغفروا ربهم اي لما منع لهم من الايمان والامر الاستغفار
والتوبة ولما كان الاستثناء من غاية الفاعل فقال الا ان اي طلب ان تاتيهم سنة
الاولين اي سنتنا فيهم وهي الاهلاك المعذي عليهم او طلب ان ياتيهم العذاب قبلا
اي مقابلة وعيانا وهو القتل يوم بدر وقيل عذاب الاخرة وقرا الكوفيون بضم
القاف والباء الموحدة ولما كان ذلك ليس الي الرسول وانما هو الي الله تعالي نبه بقوله
تعالي وما نرسل المرسلين الا مبشرين بالثواب علي امتثال الطاعة ومنذرين بالعقاب
علي افعال المعصية فيطلب منهم ما ليس اليهم ويجادل الذين كفروا اي
يجيدون الجدال كلما اتاهم امر من قبلنا بالباطل مثل قولهم لما انهم لا يبشر مثلنا ولو كنتم
صادقين لاتيتم بما نطلب منكم مع ان ذلك ليس لذلك اذ ليس لاحد غير الله من الامر شيء
ليدحضوا اي ليبطلوا بجدالهم به الحق اي القرآن والمعجزات المبينة لصدقهم واتخذوا
اياتي اي القرآن وما انذروا اي وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا اي
استهزاء وقرا حفص بالواو وقفا ووصلا وسكن الواو حمزة وروي فيها الياقوت وحمزة في الوقف
ايضا النقل وما حكي الله تعالي عنه الكفار احوالهم الخبيثة وصفاتهم بما يوجب الحزن يقوله تعالي
ومن اظلم اي لا احد اظلم وهو استفهام علي سبيل التقرير ممن ذكر بايات ربه الحسن اليه
بها وهي القرآن فاعرض عنها اتي كما يعرض من تلك العلامات المحمية وما يوجب ذلك الاحسان
من الشكر ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها ثم علل تعالي ذلك
الاعراض بقوله تعالي انا جعلنا علي قلوبهم اكنة جمع كنان جعلنا الي اسلوب واخذوا ايات لانه
انتظم كل واحد كنة اي اغطية مستقلة عليها استقلالا يدل لسياق العظمة علي انه لا يدع
شيئا من الخير يصل اليها هي لا تعي شيئا من ايات وحد تذكيرا للضمير وافراده علي ان المراد بالايات
القرآن فقال ان اي كراهة ان يفقهوه اي يتفهموه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا فهم لا يسمعون حق السمع

ولا يعودون حق اوعي وان تدعهم اي تكرر دعاءهم كل وقت الي الهدي لتجيبهم
بما عندك من الحرص والجد علي ذلك فلن يهتدوا اي بسبب دعائك اذا اي اذا
دعوتهم ابدا الان الله تعالي حكم عليهم بالضلال فلا يقع منهم ايمان ثم قال تعالي
وربك مسبغ ابهة الاسم الي ما اقتضاه حال الوصف من الاحسان الغفور اي
اي البليغ المغفرة الذي يستر الذنوب اما محوها واما بالحلم عنها الي وقت اخر ذو الرحمة
اي الموصوف بالرحمة الذي يعامل وهو قادر مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالاكرام
ثم استشهد تعالي علي ذلك بقوله تعالي لو يؤاخذهم اي هؤلاء الذين عادوك وهو عالم
انهم لا يؤمنون او يعاملهم معاملة المؤاخذة عاكسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب
اي في الدنيا بل لهم موعد وهو اما يوم القيامة واما في الدنيا وهو يوم بدر وسائر
ايام الفتح لن يجدوا من دونه اي الموعد موئلا اي ملجا يلجؤن منه فاذا جاء موعدهم
اهلكناهم نبه بالواو علي ظلمهم واخره وقوله تعالي وتلك مبتدا وقوله تعالي القري اي
الماضية من عاد وثمود وعدين وقوم لوط واشكالهم صفة لان اسماء الاشارة توصف
باسماء الاجناس والخبر اهلكناهم والمعني وتلك اصحاب القري اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا
لمهلكهم موعدا اي وقتا معلوما لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون وقرا شيبة
بفتح الميم واللام اي لمهلاكهم وقرا حفص بفتح الميم وكسر اللام والباقون بضم الميم وفتح
اي لاهلاكهم ثم عطف سبحانه وتعالي علي قوله تعالي واذ قلنا للملائكة واذ اي واذكر لهم حين
قال موسي لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه الصلاة والسلام وانما قال فتاه لانه
كان يخدمه ويتبعه وقيل كان ياخذ منه العلم وقيل فتاه عبده وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي تنبيه اكثر العلماء علي ان موسي المذكور
في هذه الاية هو موسي بن عمران صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعب
كعب الاحبار انه موسي بن ميشا بن يوسف ابن يعقوب وهو قد كان نبيا قبل موسي بن عمران قال
البغوي والاول اصح واحتج له القفال بان الله تعالي لم يذكر في كتابه موسي الا الذي اوتي التوراة قال
وقد اطلق هذا الاسم يوجب الانصراف اليه ولو كان المراد شخصا اخر يسمي موسي غيره
لوجب تقييده بصفة توجب الامتياز وان الة البرهة كما انه لما كان المشهور في الوقف عند ابي
حنيفة هذا الوجل المعين فلو ذكرنا هذا الاسم واردنا انه جيلا سواه لقيدناه مثل ان نقول
قال ابو حنيفة الديني وعب سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان
نوفا البكالي يزعم ان موسي صاحب الخضر ليس هو موسي بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله

وحمزة بالواو وقفا لا وصلا صح

فهم

ولا يعودون

ونوف البكالي هو نوف بن فضالة الحميري الشامي البكالي ويقال انه دمشقي وكانت
امه ذات وجه كعب الاحبار نقله ابن كثير وحجة الدين قال الواسوحي عن هذا صاحب التوراة
فانه يقال بعد ان انزل عليه التوراة وكلمه بلا واسطة وخصه بالمعجزات الباهرة
العظيمة التي لم يتفق مثلها لاكبر الانبياء بعد ان يبعثه بعد ذلك الى التعلم هو
والاستفادة واجيب بانه لا يبعد ان يكون العالم الكامل في كثرة العلوم
يجهل بعض العلوم فيحتاج الى تعلمها الى من هو دونه كما ورد في الصحيح
حديث ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم قال انا فعتب الله
تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله تعالى ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك
قال يا رب فكيف لي به قال تاخذ حوتا فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ
حوتا فجعله في مكتل ثم قال لا يوشع اي لا اكلفك السير في طلب العبد الذي علمني بفضله
حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقى بحر الروم وبحر فارس مما يلي الشرق قاله قتادة اي المكان
الجامع لذلك فالقاه هناك او امضي حقبا اي دهرا طويلا في بلوغه ان لم اظفر به بمجمع البحرين
الذي جعله لي موعدا لي في لقائه والحقب قال في القاموس ثمانون سنة او الكثير والدهر
والسنة والسنون انتهى فسارا وترك حوتا مشويا في مكتل كما امر به فكانا ياكلان منه
الى ان بلغا المجمع كما قال تعالى فلما بلغا مجمع بينهما اي بين البحرين قال لفتاه اذ افقد تالحوت
فاخبرني ونائما واضطرب الحوت في المكتل وخرج فسقط في البحر فلما استيقظا نسيا حوتهما
اي نسي يوشع حمله عند الوحيل ونسي موسى عليه السلام تذكيره وقيل الناسي
يوشع فقط وهو على حذف مضاف اي نسي احدهما كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
فاتخذ الحوت سبيله في البحر اي جعله يجعل الله موبا اي مثل السرب وهو الشق الطويل
لانفاذ له وذلك ان الله تعالى امسك عن الحوت جري الماء فانجاب عنه فبقي كالكوة لميليتم وصل
ماخته وقد ورد في حديث في الصحيح ان الله تعالى احياه وامسك عنه موضع جريه فلما
فصار طاقا لا يلتئم وكان المجمع كان عمدا قطن عليه السلام ان المطلوب امامه او ظن المراد بمجمع
البحرين آخر فسارا فلما جاوزا ادرك الملك ذا السير بقيه يومهما وليلتهما واستمر الى وقت
الغداة من ثاني يوم قال موسى عليه السلام لفتاه اتنا اي احضر لنا غداءنا وهو ما يوكل اول النهار
لنتقوى به على ما حصل لنا من الاعياء ولذلك وصل به قوله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
اي تعبا ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي امره الله تعالى به فقوله هذا اشارة
الى الزمان الذي وقع بعد مجاوزتهما الموعد او مجمع البحرين ونصبا مفعول بلقينا قال له فتاه اي ايت

اي

اي مادها في وقرا تا قع بتسهيل الهمزة التي بين الكلمة ولورش وجه اخر وهو ابدالها واوا مع
مد واسقاطها الكسائي والباقون بالتحقيق اذ اوينا الى الصخرة التي بمجمع البحرين فاني اي
نسيت الحوت اي نسيت ان اذكر لك امره ثم علل عدم ذكره بقوله وما انسانيه الا
الشيطان بوسواسه وقرا حفص بضم الهاء والباقون بالكسر في محصنة ورش بين
بين وبالفتح والباقون بالفتح وقوله ان اذكره لك في محل نصب على البدل من هاء انسانيه
بدل اشتمال اي انساني ذكره واتخذ سبيله اي طريقه الذي ذهب فيه في البحر عجبا
وهو كونه كالسرب معجزة لموسى او الخضر وذكره له الان مانع من ان يكون للشيطان
عليه سلطان على ان هذا النسيان ليس معفوا للطاعة بل فيه توبيخ لهما في مراجعة المقام
العالية لوجدان التعب بعد المكان الذي فيه البغية وحفظ المامور به على طول الزمان
وغير ذلك من الايات الظاهرة وقوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه متعلق بالسلطان
المحمل على المعاصي وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعترض بين المعطوف والمعطوف
عليه وقد كان في هذه القصة خوارق من احياء الحوت ومن ايجاد ماء كالنهر
منه ومن امساك الماء عند محله وقد اتفق لنبينا صلى الله عليه وسلم نفسه او لبنا
يركة مثل ذلك اما عادة ما لا من الحوت المشوي وهو جنبه فقد روى البيهقي في اخر
دلايل النبوة عن اسامة ابن زيد رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم اتي بشاة
مشوية فقال لبعض اصحابه ناولني ذراعها وكان احب الشاة الي رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقدم لها ثم قال ناولني ذراعها فناوله ثم قال ناولني ذراعها فقال يا رسول الله
انما هي اذراع وقد ناولتك فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو سكت
ما زلت تناولني ذراعا ما قلت لك ناولني ذراعا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه
لو سكت اوجد الله تعالى ذراعا ثم ذراعا وهكذا واما حياة الحوت المشوي ففي قصة
الشاة المشوية المسمومة ان ذراعها اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه مسموم فهذا
اعظم من عود الحياة من غير نطق وكذا اخبار الجذع وتسليم الحجر وتسبيح الحصا ونحو ذلك
اعظم من عود الحياة اي ما كان حيا وروى البيهقي في الدلايل عن عمرو بن سواد
قال قال الشافعي ما اعطى الله تعالى نبيا ما اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم قلت اعطى
عيسى عليه السلام احيا الموتى فقال اعطى محمد صلى الله عليه وسلم الجذع الذي كان يخطب
الى جنبه حتى هيء له المنبر وحن الجذع حتى سمع صوته هذه الكرة ذلك انتهى وقد
روى اشياء كثيرة من احياء الموتى له صلى الله عليه وسلم ولبعض امته وروى عن انس

رضي الله تعالى عنه انه قال كنا في الصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتته امراة
ومعها ابن لها فاضاف المراة الى السما وقال ايتها الينا فلم يلبث ان اصابه وبالمدينة
مخرض اياما فقبض فغضنه المرئي صلى الله عليه وسلم واخرجها فلما راى ذلك ان تغسله قال
ايت امه فاعلمها فجاء حتى جلست عند قدميه فاخذت بهما فقالت اللهم اني اسلمت
لك طوعا وخلعت الاوثان زاهدا وهاجرت اليك رغبة اللهم لا تشمت بي عبدة
الاوثان ولا تحملني من هذه المصيبة ما لا طاقة لي بحملها قال فوالله ما انقضى كلام
المراة حتى حرك قدميه والقى الثوب عن وجهه وعاش حتى قبض الله رسوله صلى الله
عليه وسلم وحتى هلكت امه واما اية الماخر فجرها الى صلابته ولا فرق بين جلوده بعد
الالتيام بعد الاخراق وبين جموده وصلابته بالامتناع منا الاخراق وقد جهز عمر
رضي الله تعالى عنه جيشا واستعمل عليه العلا بن الحضرمي فحصل لهم حر شديد وجهدهم
العطش قال بعض الجيش فلما مالت الشمس كورتها صلى بنا ركعتين بمشد يديه وما في السما
شيا ما احط يديه حتى بعث الله سحابا فاغاثت حتى ملات الغدران والشعاب
فشربنا وسقينا واستقينا ثم اتينا عسكرنا وقد جاوزنا خلجانا في البحر الى جزيرة فوقف علي
الخليج وقال يا علي يا عظيم يا حليم يا كريم ثم قال اجيزوا بسم الله فاجزنا ما يبل حوافر دوابنا
فاصبنا الغد وعليه فتلنا واسرنا وسبينا ثم اتينا الخليج فقال مثل مقالته فاجزنا ما يبل الا
حوافر دوابنا والاخبار في ذلك كثيرة وما قال قتادة ذلك كائنة قيل فما قال موسى عليه السلام
حينئذ قال له ذلك اي الامر العظيم منه فقد الحوت ما كنا نبغ اي نريد من هذا الامر المتعب
عنا فان الله تعالى جعله موعدا في لقا الخضر وقرا نافع وابو عمرو والكسائي باثبات الياء
وقفا لا وصلا وابن كثير بيثبتها وقفا ووصلا والباقون بالحذف فارتدا على اثارهما اي
فرجعا في الطريق الذي جاءا منه يقصانها قصصا اي يتتبعان اثرهما اتباعا او مقتصين
حتى يا في الصخرة قال البقاعي يدل على ان الارض كانت ملاى علما فيها فالظاهر والله
اعلم انه مجمع النيل والملح عند دمياط او رشيد من بلاد مصر ويويده نقل المقدسي في البحر
الذي كتب في سفينته للتقدية كما في الحديث فان الطير لا يشرب منه الملح وعند الشرورى في
بلاد رشيد ان الامر كان عندهم وان عندهم سمكا ذا هب الثوب يتوقون اكله من تسلط تلك
المملكة والله اعلم انتهى وتقدم عن قتادة انه ملتقى بحر الروم وفارس وقال محمد بن كعب
طنجة وقال ابن كلب افريقية وقيل البحران موسى والخضر لانهما كانا بحري علم قال ابن
عادل وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين اللفظين فان صح في الخبر الصحيح شيء فذاك

والاقال الاولى

والاقال الاولى في السكوت عنه انتهى ثم استمرا يقصان حتى انتهيا الى موضع فقد الحوت
فوجدا عبدا من عبادنا مضافا الى حضرة عظمتنا قيل كان ملكا من الملايكة
والصحيح الذي جا في التواريخ وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه الخضر واسمه
اليليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل كان من بني العباس وقيل من ابنا
الملوك الذين يتوهمون انهم ولوا الدنيا والخضر لغة نبت سمي بذلك لانه جلس على فروة بيضا
فاذا هي تهتز تحته خضرا وقيل سمي خضرا لانه
كان اذا صلى اخضر ما حوله وروي ان موسى عليه السلام راى الخضر مسجى موكا فسلم عليه
فقال الخضر وانى بارض سلام قال انا موسى اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا وفي رواية
لقيه مسجى بثوب مستلقيا على قفاه بعض الثوب تحت راسه وبعضه تحت رجليه
وروي ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي
بني اسرايل فقال موسى ما عرفك هذا فقال الذي بعثك الي وكان الخضر في ايام افريدون
وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال
ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال
الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى فقال اي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى
علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك افضل
مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة
قال كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل حيث فقدته فهو هناك اتيناه برحمة
من عندنا اي وحينا ونبوة وكونه نبيا هو قول الجمهور وقيل انه ليس بنبي
قال البغوي عند اكثر اهل العلم اي فعندهم انه ولي وعلمناه من لدنا اي مما اجرى على
قولين العادة ان علي انه ليس بمستقر عند اهل الاصطفا علما قد فناه في قلبه بغير واسطة
واهل التصوف يسمى العلم بطريق المكاشفة العلم اللدني فاذا سعى العبد في الرياضات
بتزيين الظاهر بالعبادات وتخلي النفس عن الهلايق وعن الاخلاق الرذيلة بتحليها
بالاخلاق الجميلة صارت القوى الحسية والخيالية مضيئة فاذا اضعفت قوية القوى
العقلية واشرقت الانوار الالهية في جوهرة العقل وحصلت المعارف وكملة العلوم من
غير واسطة سمي وطلب في التفكر والتامل هذا هو المسمى بالعلوم اللدنية ثم اوحى سبحانه
وتعالى القصة على طريق الاستيناف على تقدير سوال سايل عن كل كلام يرشد اليه ما قبله
وذلك انه من المعلوم ان الطالب للشخص اذا لقيه كلمه لكنه لا يعرف عين ذلك الكلام فقال

لمنه كان سالا عن ذلك قال له موسى طلبا منه على سبيل التادب والتلطف باظهار
ذلك في قالب الاستيذان هل اتبعك اي اتباعا بليغا حيث توجهت والاتباع الاتيان
بمثل فعل الغير لكونه اتيانه وبين انه لا يطلب منه غير العلم بقوله على ان تعلمني
اثبت الياء نافع وابو عمرو وصلا لا وقفا وابن كثير وصلا ووقفا والباقون بالحذف
وزاد في التلطف بالاشارة الى انه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جزءا
مع منه يسترشد بها الى باقيه فقال مما علمت وبناه للمفعول للعلم المتخاطبين بكونه
منه المخلصين بان الفاعل هو الله تعالى والاشارة الى سهولة كل امر الى الله تعالى رشدا
اي علما يرشد من الى الصواب فيما اقصده وقرا ابو عمرو بفتح الراء والشين والباقون بضم
الراء وسكون الشين ولما امر موسى عليه اللام العيارة عن الوفاء قال له الخضر عليه
اللام انك يا موسى لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه
من التاكيد كانها لا تفي ولا تستقيم وفتح الياء من صبرا في المواضع الثلاثة
هنا خفص وسكنها الباقون ثم علل عدم الصبر معه واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر
يا موسى على علم لم تحط به خبرا اي وكيف تقدر على امور وانت نبي ظاهرها منكرة
والوجه الصالح لا يتمالك ان يصبر اذا راى اي ذلك بل يبادر وياخذ في الانكار وخبرا
مصدر لمعنى لم تحط به اي لم تخبر حقيقة قال له موسى عليه اللام ايتا بنهاية من
التواضع لمنه هو اعلم منه اي شاء الله ما يشاء في طلب العلم ي جانب سبيل الله له التتبع
به ستجدني واكد الوعد بالتيين ثم اخبر تعالى انه قوي تاكيده بالتبرك بذكر الله تعالى
لعلمه بصعوبة الامر على الذي تقدم الحث عليه في هذه الحرية في قوله تعالى ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ليعلم انها من مناهج الانبياء فقال ان شاء الله الذي له
صفات الكمال صابرا على ما يجري الصبر عليه ثم زاد التاكيد بقوله عطفا بالواو على
صابرا لبيانة التمكن في كل من الموضعين ولا اعصي اي وغير عاص لك امرا تامرني
به غير مخالف لظاهر امر الله تنبيه دلت هذه الاية الكريمة على ان موسى عليه اللام
ي اعلى المراتب الكثيرة من الادب واللطف عند ما اراد ان يتعلم من الخضر منها انه جعل
نفسه تبعا له بقوله لهل اتبعك ومنها استاذنه في اتباعه التبعية كانه قال هل تاذن لي ان
اجعل نفسي تبعا لك وهذه مبالغة عظيمة في التواضع ومنها قوله صلى الله عليه وسلم
على ان تعلمني وهذا اقرار منه على نفسه بالجهل وعلى استاذه بالعلم ومنها قوله مما علمت
وضنية منه للتنغيص وطلب منه تعليم بعض ما علم وهذا ايضا اقرار بالتواضع كانه يقول

لا اطلب

لا اطلب منك ان تجعلني مساويا لك في العلم بل اطلب منك ان تعطيني جزءا مما اجزا
ما علمت ومنها ان قوله ما علمت اعتراف منه بان الله علمه ذلك العلم ومنها
قوله ي رشدا الطلب منه الاي رشاد والهداية ومنها قوله ستجدني ان شاء الله
صابرا ولا اعصي لك امرا ومنها انه اثبت بالاخبار الوحي الذي كلمه الله منه غير
واسطة وخصه بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم ان عليه اللام مع هذه المناصب
الرفيعة والدرجات العالية الشريفة اتى بهذه الانواع الكثيرة من التواضع وذلك
يدل على كونه عليه اللام آتيا في طلب العلم باعظم ابواب المبالغة في التواضع وذلك يدل
على ان هذا هو اللايق به لان كل من كانت احاطته بالعلوم التي علم ما فيها منا البهجة
والعادة التي كان طلبه لها اشد فكان تعظيمه لاي باب العلم اكمل واي شد وكل ذلك
على ان الواجب على المتعلم اظهار التواضع بكل الغايات واما المعلم فان ي اي ان في التغليظ
على المعلم ما يفيد نفعا واي شاد الى الخير فالواجب عليه ذكره فان السكوت عنه
يوقع المتعلم في الوزر وذلك يمنعه منه المعلم ورويي ان موسى لما قال هل اتبعك على
ان تعلمني مما علمت ي شدا قال له الخضر كفى بالتوراة علما وبني اسرائيل شغلا فقال
له موسى الله امرني بهذا قال له الخضر فان اتبعتني اي صحبتني ولم يقل اتبعني ولكنه
جعل الاختيار اليه الا انه شرط شرطا فقال فلا تسالني عن شيء اقوله او افعله حتى
احدث لك منه ذكرا اي حتى ابدا ك بوحيه صوابه فاني لا اقدم على شيء الا
وهو صواب جاز في نفس الامر وان كان ظاهره غير ذلك فقيل موسى شرطه ي غاية الادب
المتعلم من العالم والمستثنى طاوتي اضيا على الشرط تسبب على ذلك قوله تعالى فانطلقا
اي موسى والخضر عليهما اللام على الساحل فاقتربا الى موضع احتاج فيه الى ركوب السفينة
فاذا لا يطلبان سفينة يركبان فيها واستم حتى اذا ركبا في السفينة التي مرت بهما
واجاب الشرط بقوله خرقها اي اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحا او لوحين من
الواحها منه جهة البحر المابلة اللجة ولم يعترض خرق بالفا لانه لم يكن مسببا عن الركوب
ثم استانف قوله قال اي موسى عليه اللام منكرا لذلك لما في ظاهره من الفساد باتلاف المال
المفضي الى فساد اكبر منه يا اهلاك النفوس ناسيا لما عقد على نفسه عليه اللام انه لو لم يشا
لم يتوك الانكار كما قيل عند قتل الغلام لان مثل ذلك غير داخل في الوعد لان المستثنى شرطا
كالمستثنى وقطع اخرقتها وبين عذره في الانكار لما في غاية الخوف من الغرق فقال
لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرا حمزة والكسائي

بالياء التحتية مفتوحة وفتح الواو وفي اللام من اهلها والباقون بالتاء الفوقية
مضمومة وكسر الواو وتشديد لام اهلها ثم قال له موسى والله لقد جيت شيأ امرا
اي عظيما منكرا قال الخضر الم اقل انك يا موسى لن تستطيع معي صبرا فذكره
بما قال له عند الشرط قال موسى لا تاخذني يا خضر بما نسيت اي غفلت عن
التسليم لك وترك الانكار عليك قال ابن عباس انه لم ينس ولكنه من معاريض
الكلام اي وهي التوراة يالتي عنك الي وفي المثل ان في المعاريض لمندوحة عن
الكذب اي سعة فكانه نسي شيأ اخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان
الترك وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت الاولى من موسى نسيانا
والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني من امري عسرا اي لا تكلفني مشقة
يقال ارهقه عسرا اذا حمله مشقة عسر الاي كلفتني ذلك تقول لا تقتصني علي امري ولا
تعسرني بعتك وسيرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وعاملني باليسر ولا تناقشني
بالعسر وعسرا مفعول ثان لترهقني من رهقه كذا اذا حمله اياه وغشاه به ومعاني بما
نسيت مصدرية او بمعني الذي والعايد محذوف وروي ان الخضر لما خرق السفينة
لم يدخلها الماء وروي ان موسى لما راي ذلك اخذ ثوبه فحشي به الخرق وروي ان الخضر
اخذ قدوما فنزع به خرقا السفينة فان قيل قول موسى عليه السلام
اخرقتها لتغرق اهلها ان كان صوابا ففعله كذلك علي صدور الذنب منه وان كان
كان نبيا وان كان كما دل ذلك علي صدور الذنب منه موسى وايضا فقد التزم موسى ان
لا يعترض عليه وجوب الوفاء بالعهود المذكورة يدل كل منها انه خالف تلك العهود وذلك ذنب
اجيب بان كلا منهما صادقا فيما قال فموسى بحسب ما عنده اما موسى عليه السلام
فانه ما خطر له قط ان يشاهد علي ان لا يراعي بما يشاهده منكرا واما الخضر فانه عقد علي
ما في نفس الامر انه لا يقدم علي منكر فانطلقا بعد ترقيهما من السفينة وسلامتهما
من الغرق والعطب حتي اذا لقيا غلاما قال ابن عباس لم يبلغ الحنث فقتله حين لاقيه
كما دلت عليه الفاء الداخلة علي الشرط قال البغوي في القصة انهما خرجا من البحر
يمشيان فرا بغلمان يلعبون فاخذ غلاما ظريفا وفي الوجوه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين
قال الذي كان احسنهم وجها كان وجهه يتوقد حسنا قال البغوي وروينا انه اخذ
براسه فاقتلعه بيده وروي عبد الرزاق هذا الخبر واشار بيده باصابعه الثلاثة يعني
الابهام والسبابة والوسطى وقلع راسه وروي انه رفع راسه بالجزرة وقيل ضرب راسه

بالجدار فقتله وكونه لم يبلغ الحنث هو قول الاكثرين وقال الحسن كان رجلا قال
شعيب الجبائي وكان اسمه جيسور وقال الكلبي كان قرية يقطع الطريق وياخذ
المتاع ويلجئ الي ابويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد وتاذي منه ابواه
وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الغلام الذي قتله
الخضر طبع كافرا ولو عاش لارهق ابويه طغيانا وكفرا قال الواحدي وليس في القرآن
كيف لقياه هل كان يلعب مع جمع من الغلمان او كان منفردا او هل كان مسلما او كافرا
او هل كان بالغا او صغيرا وكان اسم الغلام بالصغير الیق وان احتمل الكبر الا ان
قوله بغير نفس الیق بالبالغ منه بالصبي لان الصبي لا يقتل وان قتل قال البغوي
الا ان يكون شرعهم لا يشترط البلوغ وقال ابن عباس ولم يكن نبي الله يقتل
الا نفسا بغير نفس الا وهو صبي قال الواحدي ايضا وكيفية قتله هل قتله بان خزه
او بان ضربه براسه بالجدار او بطريق اخر فليس في القرآن ما يدل علي شيء من هذه
الاقسام انتهي ثم اجاب الشرط بقوله مشيرا بان شروعه في الانكار في هذه المسئلة
قال موسى اقتلت يا خضر نفسا زاكية بغير نفس قتلها لكونه قتلها قودا وقرا
نافع وابن كثير وابو عمرو بالف بعد الزاي وتخفيف الياء التحتية والباقون بغير الف بعد
الزاي وتشديد التحتية قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعني هذه الظاهرة وقال
ابو عمرو والزاكية التي لم تذنب والزكية التي اذنبت ثم تابت ثم استانف قوله لقد
اظهر الدال نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم وادغمها الباقون جيت في قتلك اياها
شيأ وصرح بالانكار في قوله نكرا لانه مبالغة الخرق بسبب ولهذا قال ابو عبيدة
النكر اعظم من الامر الفظيع لان قتل الغلام اعظم من خرق السفينة لان يمكن ان لا
يحصل الغرق واما هنا فقد حصل الاتلاف قطعا والنكر ما انكرته العقول وفوته
منه المنفوس فهو ابلغ في الفظيع من الامر وقيل الامر اعظم لان خرق السفينة
يودي الي اتلاف نفوس كثيرة وهذا القتل ليس الا اتلاف شخص واحد وقرا
نافع وابن ذكوان وشعبة برفع الكاف والباقون بسكونها ولما كانت هذه ثانية
قال له الخضر الم اقل لك انك يا موسى لن تستطيع معي صبرا وهذا عين ما ذكره
في المسئلة الاولي الا انه هنا زاد لفظة لك فان قيل لم زادها هنا اجيب
بانه زادها صائحة بالعتاب علي ترك الوصية وتسميا بعلة الصبر والثبات لما
تكرر منه الاشمئزاز والاستكبار ولم يوعوا بالمذكر اول مرة قال ابن الانباري

المكافحة والمضاربة والاشتمال ان من اشتمال الرجل اذا انقبض قلبه قال النبوي
وفي القصة ان يوشع كان يقول لموسى يا نبي الله اذكر العهد الذي انت عليه
قال موسى حياءه لما افاق بتذكيره ما حصل من فرط الوجد لامر الله تعالى
فذكر انه ما تبعه الا بامر الله ان سألتك عن شيء بعدها اي بعد هذه المرة
واعلم بشدة نذمة على الانكار وبقوله فلا تصاحبني اي لا تتركني اتبعك
بل قاربني ثم علل ذلك بقوله قد بلغت واشار الى ان ما وقع منه من الاخلال
بالشرط من اعظم الجوارح التي اصطفى الله فقال من لدني اي من قبلي عذرا
باعتة اخذي موتتين واحتمالك لي فيهما وقد اخبر الله بحسن حالك في غزاك عالمك
فمدحه بهذه الطريقة من حيث احتمله مرتين اولا وثانيا مع قرب المدة روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله اخي موسى استحى فقال ذلك ولو ثبت
مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وعن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى ولكان اذا ذكر احد من الانبياء بدا بنفسه
لولا انه عجل لراى العجب ولكنه اخوه من صاحب ذمامه اي حياء واشفاقا فقال
ان سألتك الى اخره وقرا نافع بضم الدال وتخفيف النون وقرا شعبة كذلك الا انه يشم الاول
فتصير ساكنة وقرية من القهم والباقون بضم الدال وتشديد النون فانطلقا اي موسى
والخضر يمشيان لينظر الخضر او ينفذ فيه ما عنده من علمه وروي بلفظ الكلام
في لفظ انطلقا على اصله بعد قتل الغلام حتى اذا اتيا اهل قرية قال ابن عباس
هي انطاكية وقال ابن سيرين هي الايلة وهي ايلياء رض الله من الشام وعن عنا
بالقرية دون المدينة لانه ادل على الذم وقيل برقة وعن ابي هريرة بلدة
بالاندلس استطعما اهلها اي طلبا من اهل القرية ان يطعموهما وفي الحديث انهما كانا
يمشيان على مجالس اولئك القوم يستطعمانهم فابوا ان يضيفوهما اي يتزلوهما
ويطعموهما يقال اضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاق السهم عن الرشق
وضيفه واضافه انزله وجعله ضيفا فان قيل الاستطعام ليس من عادة
الكرام وكيف قدم عليه موسى والخضر وقد حكى الله تعالى عن موسى انه قال عنه
وهو ما محمد بن سيرين اني لما انزلته الي من خير فقير اجيب بان اقدام الجائع
على الاستطعام امر مباح في كل الشرائع بل هي بما وجب ذلك عند الخوف من الضرر الشديد
فان قيل لم قال حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها استطعامهم اجيب بان

بان النكرة قد يكون للتاكيد كقول الشاعر . . . .
ليت الغراب غداة ينعب دائبا ... كان الغراب مقطع الاوداج
وعن قتادة تنش القرية التي لا تضيق الضيف فاسدة قال الزاهدي وفي كتب
الحكايات ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية اسا بحيوا وجاوا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحمل من ذهب وقالوا يا رسول الله جيناك بهذا الذهب لتقيم
لنا ناحية تقيم القراة هذا فانوا ان يضيفوهما اي اتيانهم لاجل الضيافة حتى
يندفع عنا هذا اللوم فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تغيير هذه
النقطة يوجب دخول الكذب في كلام الله تعالى وذلك يوجب القدح في الالهية فعلمنا
ان تغيير النقطة الواحدة من القراة يوجب بطلان الربوبية والعبودية ولما ابوا
ان يضيفوهما انفرقا فوجدا فيها اي القرية ولم يقل فيهم ايذانا بان المراد وصف القرية
بسوء الطبع جدارا اي حايطا مايلا مشرفا على السقوط ولذا قال مستقيم لما لا يعقل
صفة من يعقل يريد ان ينقض اي يسقط وهذه من مجازات كلام العرب لان الجدار لا ارادة
له وانما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب داى ينظر الي داى فلان اذا كان
تقابلها فاستقام الارادة المشارفة كما استقام لها الهم والعزم في قوله
يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقوله اذ هو اليق صدري بحمل لو ما ان يرام بالاحيان فني البيت الاول دليل على استعارة
الارادة للمشارفة وفي الثاني دليل استعارة الهم لها وحمل اسم محبوبة يقول ان دهوا
يجمع بيني وبينها فان قصده الاحسان لا الاساءة وتقدير ذلك من القراة ان قوله تعالى
ولما سكت عن موسى الغضب وقوله تعالى ان تقول لكن فيكون وقوله تعالى قالتا
اتينا طائعين قال الزمخشري ولقد يلقبني ان يعرض المحرفين لكلام الله تعالى عما لا يعلم
كان يجعل الضمير للحفر وقيل ان الله تعالى خلق للجدار حياة وارادة كالحيوان
فاقامه اي سواه وفي حديث ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم بيده فاقامه
وقال ابن عباس هدمه وقعد يبنيه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده
فاستقام وذلك من معجزاته وقال السدي بل طينا وجعل يبني الحايط فشق ذلك
على موسى عليه السلام فان قيل الضيافة من المندوبات وترك المندوب قد
يتاب وبوذلك غير منكر فكيف يجوز من موسى عليه السلام مع علو منصبه ان
غضب عليهم الغضب الشديد الذي لاجله ترك العهد الذي التزمه في قوله ان

اى سالتك عن شيء يوهما فلا تقصاحبي وايضا مثل العتب لاجل توك الاكمل في كل
ليلة واحدة لايليق بادون الناس فضلا عن كليم الله اجيب بان
تلك الحالة كانت حالة اضطرار واضطرار الى الطعام فلاجل تلك الضرورة نفي موسى
عليه السلام ما قاله فلاجرم قال موسى لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي لطلبت
على عملك اجرة تقربها في تحصيل المطعوم وتحصيل سايرالمهمات وقرأ ابن كثير
وابو عمرو بتخفيف التابعد اللام وكسر الخاء واظهر ابن كثير الذال عند التاء على اصلها
وادغمها ابو عمرو والباقون بتشديد التاء وفتح الخاء واظهر حفص الذال على اصله
وادغمها الباقون ولما كان كلام موسى هذا متضمنا للسوال قال له الخضر هذا اي هذا
الانكار على توك الاجر فراق بيني وبينك وقيل ان موسى عليه السلام لما شرط
انه ان سأله بعد ذلك سوالا اخر حصل به الفراق حيث قال ان سالتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني فلما ذكر هذا السوال فارقه وهذا فراق بيني وبينك اي هذا
الفراق المعهود الموعود فان قيل كيف ساغ اضافة بين الى غير متعدد اجيب
بان سوغ ذلك تكريره بالعطف بالواو الاترى انك لو اقتصرت على قولك المال بيني لم يكن
كلاما حتى تقول بيننا او بيني وبين فلان ثم قال له الخضر سانبيئك اي ساخبرك
يا من قبل قراءتك بتاء وبل اي بتاويل جميع مالم تستطع عليه صبرا لان هذه المسايل
الثلاثة مشتركة في شيء واحد وهو ان احكام الانبياء عليهم الصلاة والسلام
مبنية على الظواهر كما قال صلى الله عليه وسلم انما نحكم بالظاهر والله يتولى السراير
والخضر ما كانت اموره واحكامه مبنية على ظواهر الامور بل كانت مبنية على
الاسباب الخفية الواقعة في نفس الامر وذلك لان الظاهر في اموال الناس
وفي اراضيهم انه يحرم التصرف فيها والخضر تصرف في اموال الناس وفي اراضيهم
في المسيلة الاولى وفي الثانية من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف لان الاقدام
على خرق السفينة وقتل الانسان من غير سبب ظاهر يبيح ذلك التصرف محرم
والاقدام على اقامة ذلك الجدار المايل في المسيلة الثالثة تحمل للتعب والمشقة
من غير سبب ظاهر ثم اخذ الخضر في تاويل ذلك مبتدا بالمسيلة الاولى بقوله اما
السفينة اي التي خرقتها فكانت لمساكين عشرة اخوة خمسة منهم
وخمسة يعملون في البحر اي يواجرونها ويكتسبون واحتج الشافعي رضي الله تعالى
عنه بهذه الاية على ان حال الفقير اشد في الحاجة والفقر من حال المسكين لان الله

تعالى سماهم مساكين مع انهم كانوا يملكون تلك السفينة فاردت ان اعيبها اي ان اجعلها
ذات عيب بان تقوت منفعتها بذلك ساعة من نهار وتكلف اهلها الوحا والوحين
يسمد وبها بذلك اخف عليهم من ان تفوتهم منفعتها بالكلية كما يعلم من قوله
وكان وراءهم اي امامهم لقوله تعالى ومن ورايهم برزخ وقيل خلفهم وكان
طريقهم في مجيء عليه ملك كان كافرا واسمه الهدد وقال محمد ابن اسحاق
اسمه نسوله بن خليد الازدي وقيل اسمه هدد ابن بدد ياخذ كل سفينة
اي صالحة وحذف التقييد بذلك للعلم به غصبا من اصحابها ولم يكن عند
اصحابها علم به فاذا مروا به تركها لعيبها فاذا جاوزته صلحوها فانتفعوا بها
قيل سدوها بقار وزفت وقيل بالقاي فان قيل قوله فاردت
ان اعيبها مسيء عند خوف الغضب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم
عليه اجيب بان النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغضب
ليس هو السبب وحده ولكنه مع كونها للمساكين فلما كان كل من الغضب والمسكنة
سببا للفعل قدمها على الغضب اشارة الى ان اقوى السببين الحاملين على فعلة الواقعة
بالمساكين ثم شرع في تاويل المسيلة الثانية بقوله واما الغلام الذي قتله فكان
ابواه مومنين التثنية للتغليب يريد اياه وامه فغلب المذكر وهو شايع ومثله
كثير فان قيل ان ذلك الغلام كان بالغا وكان يقطع الطريق ويقدم على الافعال
المنكرة وكان ابواه محتاجان الى دفع شر الناس عنه والتعصب له وتكذيب من يرميه
بشيء من المنكرات وكان يصير سببا لوقوعهما في الضيق وربما قاد ذلك الى الكفر وقيل
انه كان صبيا الا انه علم منه انه لو صار بالغا لحصلت فيه هذه المفاسد وفي الحديث
انه طبع كافرا ولو عاش لارهقهما ذلك كما قال فخشينا اي خفنا والخشية خوف يشوبه
تعظيم ان يرهقهما اي يغشيهما ويلحقهما طغيانا وكفرا اي لحبهما له يتبعانه في ذلك
فان قيل هل يجوز الاقدام على الانسان بمثل ذلك اجيب بانه اذا اوحى الله
ذلك بوحي منه جاز وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف قتله اي
كيف قتل الخضر الغلام وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب
اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل وراه بمعناه مسلم
وما ذكرنا يلزم على تقدير بقايه من الفساد سيب عنه قوله فاردنا اي بقتله هو
واردت هنا من شوه ان يبدلهما ربهما اي الحسن اليهما باعطايه واخذه قال مطرف فرح

به ابواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فليرض كل امرئ
بقضاء الله تعالى فان قضاء الله تعالى للمؤمن فيما يكره خير له مت قضائه فيما يحب
ولهذا ابدل لهما الله تعالى **خيرا منه زكاة** اي طهارة وبركة مت الذنوب
والاخلاق الرديئة وصلاحا وتقوى **واقرب رحما** اي رحمة وعطفا عليهما
وقيل هو من الرحم والقرابة قال قتادة اي اوصل للرحم وابر للوالدين وقال
الكلبي ابدلهما الله تعالى جارية فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدى
الله تعالى على يديه امة من الامم وعن جعفر ابن محمد عن ابيه قال ابدلهما
جارية ولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج ابدلهما بغلام مسلم وقرا نافع وابو
عمر وان يبدلهما بفتح الباء الموحدة وتشديد الدال والباقون بسكون الموحدة
وتخفيف الدال وقرا ابن عامر رحما برفع الحاء والباقون بالسكون ثم شرع
في تاويل المسئلة الثالثة بقوله **واما الجدار** اي الذي اثبت باخذ الاجر عليه
فكان لغلامين ودل على كونهما دون البلوغ بقوله **يتيمين** وكان اسم احدهما
اصرم والاخر صريم وكانت القرية لاتناقي التسمية بالمدينة وكان التعبير
بالقرية اولا اليق عليها لانها مشتقة من معنى الجمع فكان اليق بالذم في ترك
تلك الضيافة ولما كانت المدينة بمعنى الاقامة عبر بها فقال **في المدينة** فكان
التعبير بها اليق للاشارة به الى ان الناس يعلمون فيها فينهدم الجدار وهم
مقيمون فياخذون الكنز كما قال **وكان تحته كنز لهما** فلذلك امتنع ان يكون احتسابا ولتعلق
في ذلك الكنز قيل ابي الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان ذهبا وفضة
رواه البخاري في تاريخه والترمذي والحاكم وصححه والذم على كنزهما في قوله
تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يودي زكاتهما وما يتعلق بهما
من الحقوق وعن سعيد بن جبير قال كان الكنز صحفا فيها علم رواه الحاكم وصححه
وعن ابن عباس قال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح
عجبا لمن ايقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن يرى
بالحساب كيف يغفل عجبا لمن ايقن بزوال الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله
محمد رسول الله وفي الجانب الاخر مكتوب انا الله لا اله الا انا وحدي لا شريك لي
خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير واجريته على يديه والويل كل الويل لمن
خلقته للشر واجريته على يديه قال البغوي وهذا اقوال اكثر اهل التفسير روى وفي

ايضا ذلك

ايضا ذلك مرفوعا قال الزجاج الكنز اذا اطلق ينصرف الى كنز المال وفي التعبير
ان يقال عنه لكن علم بهذا اللوح كان جامعا لهما وقوله **وكان ابوهما صالحا** فيه
تنبيه على ان سعيه في ذلك كان اصلاحيا قيل اسمه كاسح وقيل كان سباحا
واسمه كاسح قال ابن عباس حفظا بصلاح ابيهما وقيل كان بينهما وبين الاب
الصالح سبعة اباء قال محمد ابن المنكدر ان الله تعالى يحفظ بصلاح العبد ولده
وولد ولده وعشيرته واهل دويرات حوله فما زالوا في حفظ الله ما دام فيهم
قال سعيد بن المسيب اني اصلي فاذكر ولدي فازيد في صلاتي وعن الحسن
انه قال ليضغ الخوارج في كلام جرى بينهما يحفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما
قال فابي وجدي خير منه قال قد انبانا الله انكم قوم خصومة وذكر ايضا ان
ذلك الاب الصالح كان من الذين تضع الناس الودايع عنده فيردها اليهم فاراد ربك
ان يبلغا اي الغلامان **اشدهما** اي الحلم وكمال الراي **ويستخرجا كنزهما** لينتفعا به هم
وينفعا الصالحين بسببه اسند الارادة في قوله فاردت ان اعيبها الى نفسه
لانه المباشر للتعييب وثانيا في قوله فاردنا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك
الغلام وايجاد الله تعالى بدله وثالثا في قوله فاراد ربك الى الله وحده لانه
لا مدخل له في بلوغ الغلامين اولا نه الاول في نفسه ثم والثالث خير والثاني
عن ثم اولانه لما ذكر التعييب اضافه الى ارادة نفسه ولما ذكر القتل عبر عن
نفسه بلفظ الجمع تنبيها على انه من العظماء في علوم الحكمة فلم يقدم على هذا القتل
الا بحكمة عالية ولما ذكر عاية مصالح اليتيمين لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله
تعالى لان التكفل بصلاح الابناء لوجاية حق الاباء الى الله تعالى اولا اختلاف
حال العارف في الالتفات الى الوسايط فان قيل اليتيمان هل احد منهم عرف
حصول الكنز تحت ذلك الجدار واذا كان الثاني فان كان الاول امتنع ان يتركوا
سقوط ذلك الجدار واذا كان الثاني فكيف يكلفهم بعد البلوغ استخراج ذلك الكنز
ومعرفته والانتفاع به واجيب لعلهما كانا جاهلين به الا ان وصيهما
كان عالما به ثم ان ذلك الوصي غاب واشرف ذلك الجدار في غيبته على السقوط
ولما قرر الخضر هذه الجوابات قال **رحمة من ربك** اي انما فعلت هذه الافعال هو
لغرض ان يظهر رحمة الله لانها باسرها ترجع الى حرف وهو تحمل الضرر الادنى لدفع
الضرر الاعلى كما تقرر **وما فعلته** اي شيا من ذلك **عن امري** اي عن اجتهادي

نقله

وي رأيي بل امر من له الامر وهو الله تعالى تنبيه احج من ادعى نبوة الخضر
باموري احدها قوله تعالى اتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي النبوة قال تعالى
وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك والمراد من هذه الرحمة
النبوة قال الرازي وتعالى ان يقول مسلم ان النبوة رحمة ولكن لا يلزم ان
يكون كل رحمة نبوة الثاني قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وهذا يقتضي ان
الله تعالى علمه بلا واسطة تعليم معلم واي شاد مرشد وكل من علمه الله تعالى
بلا واسطة البشر وجب ان يكون نبيا يعلم الامور بالوحي من الله تعالى قال
الرازي وهذا الاستدلال ضعيف لان العلوم القدرية تحصل ابتداء من الله
وذلك لا يدل على النبوة الثالث ان موسى عليه السلام قال هل اتبعك على ان
تعلمني مما علمت رشدا والنبي لا يتبع غير نبي في العلم قال الرازي وهذا ايضا ضعيف
لان النبي لا يتبع غير نبي في العلوم التي باعتباري هي صار نبيا اما عن تلك العلوم
فلا الرابع انه اظهر على موسى التوقف حيث قال وكيف تصبر على ما لم تحط به
خبرا واما موسى فانه اظهر له التوقف حيث قال ولا اعصي لك امرا وهذا
يدل على انه كان فوق موسى ومتى لا يكون نبيا لا يكون فوق نبي قال الرازي
وهذا ايضا ضعيف لانه لا يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا تتعلق
بنبوته على الخامس قوله وما فعلته عن امري وفي المعاني في عقلة يوحى من
الله وهذا يدل على النبوة قال الرازي وهذا ايضا ضعيف ظاهر الجهة الرابع
ما روي ان موسى عليه السلام لما وصل اليه قال السلام عليك قال وعليك
السلام يا نبي بني اسرائيل فقال موسى من عرفك هذا قال الذي بعثك الي وهذا
يدل على انه انما عرف ذلك بالوحي والوحي لا يكون الا مع النبوة قال الرازي
ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون ذلك من باب الكرامات والالهامات انتهى
وبالجملة فالجمهور على انه نبي كما مر واختلفوا اهل هو حي او ميت فقيل ان
الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم قال البغوي وكان سبب حياته فيما
يحكى انه شرب من عين الحياة وذلك ان ذا القرنين دخل الظلمة ليطلب عين الحياة
وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فشرب واغتسل وشرب وشكر الله
تعالى واخطأ ذو القرنين الطريق وذهب آخرون الى انه ميت لقوله تعالى وما
جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى الشاة الليلة

ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر
الارض احد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده وما بين موسى وبين ذلك القضا
قال له ذلك اي هذا التاويل العظيم تاويل ما لم تسطع يا موسى عليه صبرا وحذف
تا الاستطاعة هنا تخفيفا فان استطاع واسطاع بمعنى واحد تنبيه
من فوائد هذه القصة ان لا يعجب المرء بعمله ولا يبادر الى انكار ما لم يسغ منه
فلعل فيه سرا لا يعرفه واذا بدا لوم على المتعلم وينبغي للعالم ويراعي الاحب فالاحب
في المقال وان ينبه المعلم على جزمه ويعفو عنه حيث يتحقق اضطراره
ثم بما جوزي وروي ان موسى لما اراد ان يفارق الخضر قال له اوصني قال لا تطلب
العلم لتحدث به واطلبه للعمل به ولما فرغ من هذه القصة التي حاصلها انها طوافان
في الارض لطلب العلم عقبها بقصة تمت طواف الارض لطلب الجهاد وقدم الاول
اشارة الى علو درجة العلم لانه اساس كل سعادة وقوام كل امر وفعال عاطفا
على ويجادل الذين كفروا بالباطل ويسئلونك اي اليهود وقيل مشركوا
مكة يا اشرف الخلق عن ذي القرنين وذكر وافي تسميته بذلك وجوها الاول
قال ابو الطفيل سئل علي رضي الله تعالى عنه عن ذي القرنين اكان نبيا ام
ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا احب قومه بتقوى الله تعالى
فضربوه على قرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى فسمي فالقرنين فيكم مثله يبقى
نفسه الثاني انه انقرض في وقته قرنان من الناس الثالث انه كان صفحتا راسه
من نحاس الرابع كان على راسه ما يشبه القرنين الخامس كان له قرنان السادس
انه طاف قرني الدنيا شرقها وغربها السابع كان له قرنان اي طفيتان الثامن ان الله
تعالى سخر له النور والظلمة فاذا سري بهما يرى النور امامه وعند الظلمة من
ورائه التاسع انه لقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لانه ينطح باقرانه
العاشر انه رأى في المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس وقرنها اي طرفيها
جانبيها فسمي بذلك لهذا السبب الحادي عشر انه كان له قرنان تواريهما العمامة الثاني
عشر انه دخل النور والظلمة وذكر وافي اسمه ايضا وجوها الاول اسمه مرزبان
اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح الثاني اسمه اسكندر بن فيلقوس الرومي
الشهير في كتب التواريخ انه بلغ ملكه اقصى المشرق والمغرب واسمه حتى انتهى الى البحر
الاخضر ثم عاد الى مصر وبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه الثالث شهر بن ذي يزن

ابن افريقيس الحميري وهو الذي بلغ ملكه مشارق الارض ومغاربها وافتخر به
احد الشعراء حميرحيث قال

ملكا على الارض غير مفسد ... ملكا على الارض غير مفسد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... اسباب ملك من كريم سيد

واختلفوا في نبوته مع الاتفاق على ايمانه فقال بعضهم كان نبيا واحتجوا
على ذلك بوجوه الاول قوله تعالى انا مكنا له في الارض وحمل على التمكين في الدنيا
والتمكين الكامل في الدين هو النبوة الثاني قوله تعالى واتيناه من كل شيء سببا
وهذا يدل على انه تعالى اتاه من النبوة سببا الثالث قوله تعالى يا ذا القرنين
اما ان تعذب والذي يتكلم الله معه لابد ان يكون نبيا ومنهم من قال انه كان عبدا
صالحا ملكه الله تعالى الارض واعطاه الله سبحانه وتعالى الملك والحكمة والهيبة
وقد قالوا ملك الارض مومنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبختنصر
ومنهم من قال انه كان ملكا من الملائكة عند عمر رضي الله تعالى عنه انه سمع رجلا
يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم
باسماء الملائكة والاكثر على القول الثاني ويدل له قول علي رضي الله تعالى عنه
المتقدم تنبيه قدمنا ان اليهود امروا المشركين ان يسالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن قصة اصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن
الروح والمعتمد من قوله تعالى ويسالونك عن ذي القرنين هو فلك الوالد ثم قال الله
تعالى قل اي لهولاء المقتنين سانلوا اي اقص قصا متتابعا في مستقبل الزمان
اعلمني الله به عليكم ايها البعداء المغير في قوله تعالى منه لذي القرنين وقيل
لله ذكر اي خبرا كافيا لكم في تعرف امره جامعا مع ذكره انا مكنا له في الارض
اي مكنا له امره من التعرف فيها ممكنة تما يصل به الى جميع مسالكها ويقهر به اهلي سايرها
ملوكها واتيناه بعظمتنا من كل شيء يحتاج اليه في ذلك سببا اي وصلة توصله
اليه من العلم والقدرة والالة فاتبع سببا اي سلك طريقا نحو المغرب قال البقاعي
ولعله يدل له لان باب التوبة فيه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو واتبع في المواضع هـ
الثلاثة بتشديد التا الفوقية ووصل الهمزة قبل الفوقية والباقون بقطع الهمزة
وسكون التا الفوقية واستمر متبعا له حتى اذا بلغ في ذلك السير مغرب الشمس
اي موضع غروبها وجدها تغرب في عين حمية اي ذات حمأة وهي الطين الاسود

اي بلغ

اي بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شيء من العمران وجد الشمس كانها تغرب في
وهدة مظلمة وغربها في راي العين كما ان راكب البحر يرى الشمس كانها
تغرب في البحر اذا لم ير الشط وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر والا فهي اكبر
من الارض مرات كثيرة فليس يعقل دخولها في عين من عيون الارض
قال البيضاوي ولعله بلغ ساحل المحيط فراى كذلك اذ لم يكن في مطمح بصره
غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقرا شعبة وحمزة
والكسائي وابن عامر وابن بعد الحا مفتوحة بعد الميم عن ابي ذر قال كنت رديف
رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فراى الشمس حين غابت فقال اتدري
يا اباذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامية
وقرا الباقون بغير الف بعد الحا وبعد الميم همزة مفتوحة واتفق ابن عباس كان
عند معاوية فقرا معاوية حامية فقال ابن عباس حمية فقال معاوية لعبد الله
بن عمرو كيف تقرا قال كما يقرا امير المومنين غرجه الى كعب الاحبار وساله كيف تجد
الشمس تغرب قال في ماء وطين كذلك تجده في التوراة ووجد عندها اي عند
تلك العين على الساحل المتصل بها قوما اي امة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر
الف باب كولا مجيج اهلها لسمعت وصية الشمس حين تجب اي تغرب فيها كان
لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما يلفظه البحر كانوا الكفار فخيره الله بين ان
يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكي ذلك بقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين اما
بواسطة الملك ان كان نبيا او بواسطة نبي زمانه ان لم يكن او باجتهاد في شرعه
اما ان تعذب بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ اي بغاية جهدك فيهم حسنا
بالارشاد وتعليم الشرايع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة
القتل ويويد الاول قوله قال اما من ظلم اي باستمراره على الكفر واما من تاب
تاسر منه ثم نقتله والى ذلك اشار بقوله فسوف نعذبه بوعد الاخلاق فيه
بعد طول الدعاء والترفق وقال قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب
المنكر ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا اي شديدا اجد اي النار
وتقدم في نكر سكون الكاف وتشديدها واما من امن وعمل صالحا تصديقا
لما اخبر به من تصديقه فله في الدارين جزاء الحسنى اي الجنة وقرا حفص وحمزة
والكسائي بفتح الهمزة بعد الزاي منونة ويكسر في الوصل لالتقا الساكنين قال الفرا

نصبه على التفسير اي لجهة النسبة وقيل منصوبا على الحال اي قلة
المثوبة الحق بجزايها والباقون بضم الهمزة من غير تنوين فالاضافة للبيان
قال المغربون والمعنى على قراءة النصب فله الحق جزا كما يقول له هذا الثواب
هبة وعلى قراءة الرفع وجهان الاول فله جزا الفعلة الحق والفعلة الحق
هي الايمان والعمل الصالح والثاني فله جزا المثوبة الحق واضافة الموصوف الى
الصفة مشهورة كقولك ولدار الاخرة ولهال الفعلى الحق بحمزة والكسائي محضة وابو
عمرو بين بين وورش بالفتح والامالة بين بين وسنقول لهم عن لا خلاف فيه
بما اختياره بالاعمال الصالحة له اي لاجله من امرنا اي ما امرنا به يسرا اي
قولا غير شاق من الصلاة والزكاة والخراج والجهاد وغيرها وهو ما يطيقه
ولا يشق عليه مشقة كثيرة ثم اتبع لاجل طلوع مشرق الشمس سببا
من جهة الجنوب بوصله الى المشرق واستمر فيه لا يعدل ولا تقليه امة من عليها
حتى اذا بلغ في مسيره ذلك مطلع الشمس اي الموضع الذي تطلع عليه
اول امة المعهود من الانس من وجدها تطلع على قوم قال الجلال المحلي
هم الزنج وقوله تعالى لم نجعل لهم من دونها اي الشمس سترا فيه دليل ان
الاول انه لا شيء لهم من سقف ولا جبل يمنع منه وقوع الشمس عليهم
لان اي قوم لا تحمل بنيانا قال الرازي ولهم سراب ينبسطون فيها عند طلوع
الشمس ويظهر ذلك عند غروبها فيكونون عند طلوع الشمس يتقدى عليهم
البقر في المعاش وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمات المعاش وحالهم
بالضد منه احوال سايل الخلق وقال قتادة يكونون في اسراب لهم حتى اذا ان
الشمس عنهم خرجوا فرعوا الى بهايمهم والثاني ان معناه لا ثياب لهم ويكونون كما يولد
الحيوانات عراة ابدا وفي كتب الهيئة ان اكثر حال الزنج كذلك وحال كل من سكنت
البلاد القريبة من خط الاستوا كذلك قال الطيبي هم عراة يفرش احدي اذنيه
ويلتحف بالاخرى وقال الزمخشري وعن بعضهم قال خرجت حاجا فمررت
العين فسألت عن هؤلا القوم فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم
واذا احدهم يفرش احدي اذنيه ويلبس الاخرى فلما قربت طلوع الشمس سمعت
صوتا كهيبة الصلصلة ففشي علي ثم افقت فلما طلعت الشمس فاذا هو قوم كالما
كهيبة الزنبور قد خلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار جعلوا يهطادون الحمار

ويطرحونه في الشمس فينضج وعن مجاهد منه لا يلبس الثياب من السودان
عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض وقوله تعالى كذلك فيه وجوه الاول
ان معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها الثاني ان امره كما ومضيا في رفعة
المكان وبسطة الملك قال البغوي والصحيح ان معناه كحكم في القوم الذين هم
عند غروب الشمس كذلك في القوم الذين هم عند مطلعها وقد احطنا بما لديه
اي عند ذي القرنين من الآلات والجند وغيرهما خبرا اي علما تعلق بظواهره
وخفاياه والمعنى ان كثرة ذلك وبلغت مبلغا لا يحيط به الا علام اللطيف الخبير ثم ان
ذا القرنين لما بلغ المغرب والمشرق اتبع سببا اخر من جهة الشمال في ارادة ناحية
السد مخرج يأجوج ومأجوج واستمر آخذا فيه حتى اذا بلغ في مسيره ذلك بين
السدين اي بين الجبلين وهما جبلان اي مبنية واذربيجان وقيل جبلان في
اواخر الشمال وقيل هذا المكان في مقطع بلاد الترك مما يلي ارمينية ومأجوج
قال الرازي والاظهر ان موضع السد في ناحية الشمال سد الاسكندر ما بينها كما ظاهر
سيأتي وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحفص بضمتين والباقون بضم فسكون وهما لغتان بمعنى
واحد وقال عكرمة ما كان من صنع بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله
فهو بالضم وقاله ابو عبيدة وقيل بالعكس وجد من دونهما اي بين يديهما من الجانب
الذي هو ادبر منهما الى الجهة التي اتى منها ذو القرنين قوما اي امة من الناس لفرط
في غاية البعد من لغاتهم بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد وهم كذلك
اي لا يقربون يفقهون اي يفهمون قولا ممن مع ذي القرنين فهما جيدا لاختلافهم غيرهم
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف والباقون بفتحهما
وقال ابن عباس لا يفقهون كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم واستشكل بقولهم قالوا
يا ذا القرنين واجيب بانه تكلم عنهم من جمع عنهم هو حيا وهي هم ويفهم كلامهم
ان يأجوج ومأجوج وهما اسمان اعجميان يقبيلتين فلم ينصرفا وقرأ عاصم بهمزة
ساكنة بعد الياء والميم والباقون بالالف فيهما وهما لغتان اصلهما من اجيج النار وهو
ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من اولاد يافث بن نوح عليه السلام
قال الضحاك هم جيل من الترك قال الذي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فغزت
ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم اثنان وعشرون
قبيلة بني ذو القرنين السد على احدي وعشرين قبيلة وبقيت قبيلة واحدة منهم

فهم الترك سموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التواريخ اولاد نوح عليه
السلام ثلاثة سام وحام ويافث فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة
والزنج والنوبة ويافث ابو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج وقال
ابن عباس في رواية عطاء عشرة اجزاء ولد ادم كلهم جزء وفي رواية عنه حذيفة
مرفوعا ان يأجوج امة ومأجوج امة وكل امة اربعمائة الف امة لا يموت الرجل
منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد ادم بسار ون
في خراب الارض وقال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طوله
عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة وهؤلاء
لا تقوم لهم الجبال ولا الحديد وصنف منهم يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى
لا يمرون بفيل ولا وحش ولا اخضر يابس الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه متدفئين بأثامهم
وساقتهم بحر افسان يشرب ونهر انهار المشرق وبحيرة طبرية ومنهم ان نبت لهم مخاليب
في اظفارهم وانياب كأنياب السباع وعن علي رضي الله تعالى عنه
انه قال منهم من طوله شبر ومنهم من طوله مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة
في ولد ادم وذكر ان ادم احتلم ذات يوم وامترجت نطفته بالتراب فخلق الله
من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الاب دون الام وذكر وهب
بن منبه ان ذا القرنين كان ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله
اني باعثك الى امم مختلفة الستهم منهم امتان بينهما طول الارض احدهما عند مغرب الشمس
يقال لها ناسك والاخرى عند مطلعها يقال لها منسك وامتان بينهما عرض الارض احدهما
في القطر الايمن يقال لها هاويل والاخرى في قطر الارض الايسر يقال لها تاويل وامم في
وسط الارض منهم الجن والانس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين باي قوة اكالؤهم
وباي لسان اناطقهم قال الله تعالى اني سأطوقك وابسط لك لسانك واشد عضدك فلا
يهولك شيء واليسك الهيبة فلا يروعك شيء واسخر لك النور والظلمة واجعلهما من
جنودك يهديك النور من امامك وتحفظك الظلمة من ورائك فانطلق حتى اتى مغرب
الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى فكاثوهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان
واحد فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من امن ومنهم من كفر ومنهم من صد عنه
فمضى الى الذين تولوا عنه وادخل عليهم الظلمة فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في
دعوته فيمن دخل من اهل المغرب فمن اعفيناه وانطلق بقودهم والظلمة تسوقهم حتى اتى هاويل

فعل فيهم

فعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى اتى الى منسك عند مطلع الشمس فعل فيها
وجد فيها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى فكاثوهم بالنور حتى جمعهم في مكان
واحد فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من امن ومنهم من كفر ومنهم من صد عنه
فمضى الى الذين تولوا عنه وادخل عليهم النور فدخلت اجوافهم وبيوتهم فدخلوا في
دعوته فيمن دخل من اهل المغرب ثم اخذ بناحية الارض اليسرى فاتى تاويل
فعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عمد الى الامم التي وسط الارض فلما كان بينه وبين
الترك نحو المشرق قالت له امة صالحة من الانس ياذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا
اشباه البهائم اي وهم يأجوج ومأجوج مفسدون في الارض يعني تسوق الدواب
والوحوش والسباع ويأكلون الحياة والعقارب وكل ذي روح خلق الله في الارض
وليس من ولد خلق كزيادتهم فلا يشك انهم سيملكون الارض ويظهرون عليها
ويفسدون فيها وقال الطيبي فسادهم انهم كانوا يخرجون ايام الربيع الى اي منهم فلا
يدعون شيئا فيها اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وادخلوه اي منهم وقد بالغوا
والقوا منهم اذى شديدا وقتلا وقيل فسادهم انهم كانوا يأكلون الناس
وقيل معناه انهم سيفسدون في الارض بعد خروجهم فهل نجعل لك خرجا
اي جعلا مت المال وقرأ حمزة والكسائي بفتح الواو والتي بعدها والباقون بسكون
الواو والتي بعدها فقيل هما بمعنى وقيل الخرج ما يتبرع به والخراج ما يؤدى
على ان تجعل في جميع ما بيننا وبينهم من الارض التي يمكنك توصلهم الينا منها بالتراكم
الله من المكنة سدا اي حاجزا بين هذين الجبلين فلا يصلون الينا وقرأ نافع
وابن عامر وشعبة بضم السين والباقون بالفتح قال لهم ذو القرنين ما مكني
فيه ربي اي المحسن الي بما رزقني من الاموال والرجال والتوصل الى جميع
المكنة للمخلوق خير من خرجكم الذي تريدون بذله كما قال سليمان عليه السلام
فما اتاني الله خير مما اتاكم وقرأ ابن كثير بنون مفتوحة بعد الكاف وبعدها نون
مكسورة والباقون بنون واحدة مكسورة مشددة فاعينوني بقوة اي اني
لا اريد المال بل اعينوني بأبدانكم وقوتكم وبالآلات التي اتقوى بها في فعل ذلك
فان ما معي انما هو للقتال وما يكون من اسبابه لا لمثل هذا اجعل بينكم اي بين
ما تخافون به وبينهم ردما اي حاجزا حصينا هو فوق السد طولا وعرضا
التلاصق والتلاحم وهو اعظم من السد اي من قولهم ثوب مضاعف رديء اذا كان
رقاع فوق رقاع قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء قالوا
وما تلك الآلات قال آتوني اي اعطوني زبر الحديد اي قطعه وهو جمع زبرة كغرفة
وغرف قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة فأتوه به وبالحطب حتى ملأ الاساس

حتي بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد
بترسا على الحطب والنفخ حتى اذا ساوى اي بذلك البناء بين الصدفين اي بين
جانبي الجبلين اي سوى بين طرفي الجبلين سميا بذلك لان تما يتصادفان اي يتقابلان
من قولهم صادفت الرجل لاقيته وقابلته وقرئ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بوضع
الصاد والدال وشعبة برفع الصاد وسكون الدال والباقون بنصب الصاد
والدال ثم وضع المنافخ واطلق النار في الحطب والنفخ وقال اي للعملة اتوني افرغ
فنحاس حتى اذا جعله اي الحديد نارا اي كالنار قال اتوني اي اعطوني افرغ
عليه قطرا اي اصب النحاس المذاب على الحديد المحمي فصبه عليه فدخل
في خلال الحديد مكان الحطب لان النار اكلت الحطب حتى لزم الحديد النحاس
فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا قال الزمخشري قيل
ما بين السدين مائة فرسخ وقيل ان عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه
مائتين وقيل اربعين وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا وفي رواية عن رجل من اهل
المدينة قال يا رسول الله قد رايت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد
المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وهذه معجزة عظيمة ان كان نبيا او كرامة ان
لم يكن لان هذه الوثوقة الكبيرة اذا تخيلها حتى صارت بالراي لم يبق في الحيوان
ان يقرب منها فكانه تعالى صرف تلك الجزيرة العظيمة عن ابدان اولئك الناهضين
حتى يمكنهم العمل فيها تنبيه وقطرا هو المتنازع فيه وهذه الآية
اشهر امثلة النحاة في باب التنازع وبها تمسك البصريون على ان اعمال الثاني
من العاملين المتوجهين بخو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول اتوني
به لاضمر بعد قوله افرغ حذرا من الالباس ثم قال تعالى فما اي فتسبب عن ذلك
انه لما اكمل عمل الردم واحكمه ما اسطاعوا اي يأجوج ومأجوج وغيرهم
ان يظهروه اي يعلوا ظهره لعلوه وملاسته وقرأ حمزة بتشديد الظاء والباقون
بالتخفيف وما استطاعوا له نقبا اي خرقا لصلابته وسمكه وزيادة التاء
هنالك لعلي ان العلو عليه اصعب من نقبه لان تفاوته وصلابته والحاحه بعضه
ببعض حتى صار كسبيكة واحدة من حديد ونحاس في علو الجبل فانهم لو اجتالوا
بينا وحي من جانبهم او وضع وقاء حتى ظهروا لم يتهيأ لهم ذلك لانهم لا حيلة لهم على
النزول من الجانب الآخر ويؤيده انهم اعتاضوا عنه في آخر الزمان بنقبه لا بظهوره

ولا ينافي

ولا ينافي في نفي الاستطاعة لنقبه ما رواه الامام احمد والترمذي في التفسير
وابن ماجه في الفتن عن ابي رافع عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون
شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه
كاشد ما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله تعالى ان يبعثهم على الناس
حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا
ان شاء الله تعالى واستثنى فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرون
ويخرجون على الناس الحديث وفي حديث الصحيحين عن زينب بنت جحش
عن النبي صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا
وحلق بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه عن ابي هريرة وفيه مثل
هذا وعقد تسعين لان هذا في اخر الزمان ثم انه قيل لما قال حين فرغ من بنائه
قيل قال هذا اي السد اي الاقتدار عليه رحمة اي نعمة من ربي اي الحض
الى بابه اي علي وضع القادرية فاذا جاء وعد ربي بقرب قيام الساعة او بوقت
خروجهم جعله دكا اي مدكوكا مبسوطا اي انهم يخرجون على الناس فيتبعون
المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم الى السماء فترجع
مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الارض وعلونا من في السماء قسوة وعلوا
اي غلظة وقساوة فيبعث الله تعالى نغفا في اقفيهم فيهلكون قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان دواب الارض
لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا اخرجه الترمذي قوله قسوة وعلوا اي غلظة وقساوة
وتكلا والتقوق دود يخرج في انوف الابل والغنم وقوله وتشكر من لحومهم شكلي
يقال شكر الشاة شكلا حين امتلأ ضرعها لبنا والمعنى انها تملأ اجسادها لحما وسمنا
وعن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال
فاعداه تخفض فيه ورفع حتى ظننناه في طائفة من النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك
فينا فقال ما شانكم قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت
حتى ظننناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا
حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وانه
شاب قطط اي شديد الجعودة وقيل حسن الجعودة عينه طافئة اي بارزة وقيل

المخسوفة كاني اشبهه بعبد العزي بن قطن من ادركه منكم فليقل اعليه فواتح سورة
الكهف انه حاي ج حلة بين الشام والعراق فعاث اي افسد يمينا وعاث شمالا
يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول الله وما مكثه في الارض قال اربعون يوما
يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وساير ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك
اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره اي والبوم
الثاني والثالث كذلك وسكت عن ذلك للعلم به منه الاول قلنا يا رسول الله م
وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فياتي على القوم فيدعوهم
فيومنون به ويستجيبون له فيامر السما فتمطر والارض فتنبت وتروح عليهم
سارحتهم اطول ما كانت ذري واسبغه ضروعا واملاه خواصر ثم ياتي القوم م
فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم
شي من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فيتبعه كنوزها كيعاسيب
النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية
الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح
ابن مريم فينزل عند المنارة البيضا في دمشق بين مهرودتين اي حلتين واضعا
كفيه على اجنحة ملكين اذا طاطا راسه قطر واذا رفعه انحدر منه مثل جمان كاللولو
فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه حتى يدركه بباب
لد قرية بالشام قريبة من الرملة فيقتله ثم ياتي عيسى بن مريم قوما قد عصمهم الله
منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله
تعالى الى عيسى اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور
ويبعث يا جوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوايلهم على بحيرة
طبرية فيشربون ما فيها ويمر اخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله
واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم
فيرغب نبي الله عيسى واصحابه الى الله تعالى فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم
وهو بالتحريك دود يكون في انوف الابل والغنم كمامر واحدتها نغفة فيصبحون
فرسى اي قتلا الواحد قريب من صاحبه نبي الله واصحابه الى الارض
فلا يجدون في الارض موضع شبر الا ملاه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله
عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله

تقاعس

تقاعس يرسل الله تعالى مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل
الارض حتى يتركها كالزلفة وهي بالتحريك جمع زلفة مصانع الملوك
ويجمع علي الارض القي ايضا اي فتصير الارض كانها مصنعة من مصانع الملوك
وقيل كالمراة وقيل الزلفة الروضة وقيل بالقاف ايضا
ثم يقال للارض انبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من
الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الوسل وهو بتحريك الواو واللبن
من الابل والفئام من عشرة الى خمسة وعشرين حتى ان اللقحة من الابل لتكفي
القبيلة من الناس وهو بمعنى الجماعة الكثيرة واللقحة من البقر لتكفي
الصبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم
كذلك اذ بعث الله عليهم ريحا طيبة فتاخذ تحت آباطهم فتقبض روح
كل مومن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم
تقوم الساعة وكان وعد ربي الذي وعد به في خروج يا جوج وماجوج
واخراجهم الارض وافسادهم لها قرب قيام الساعة حقا كائنا لا محالة فلذلك
اعان تعالى علي هدمه هذا الحاجز حكاية ذي القرنين وفي القصة ان ذا القرنين
دخل الظلمة فلما جمع توفي بشاطئ وادي وذكر بعضهم ان عمره كان سبعا وثلاثين
سنة سبحان من بيده ملكوت كل شي وهو يحيي ويميت وهو حي لا يموت
فقد بان امر ذي القرنين اي بيان وصدق في قوله فاذا جاء وعد ربي فانه
اذا جاء وعد ربي جعله دكا جعلناه لعدى ثنا التي نونتها ليا جوج وماجوج دكا فاخرجناهم
علي الناس بعد خروج الدجال وتركنا بعضهم اي يا جوج وماجوج يومئذ
اي حين يخرجون يموج كموج البحر اي يموج بعض الخلق في بعض فيضطربون م
ويختلطون انسهم وجنهم حيارى دهشا يبوده ونفخ في الصور اي الترة الثانية
الثانية لقوله تعالى فجمعناهم اي الخلايق في مكان واحد يوم القيامة قال
البقاعي ويجوز ان يكون هذه الفا الفصيحة فيكون المراد النفخة الاولى اي
ونفخ فماتت الخلايق كلهم فبليت اجسامهم وتفتتت عظامهم كما كان منذ قدرهم
ثم نفخ الثانية فجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه وتفرقهم في اقطار الارض
بالبول والرياح وغير ذلك جمعا فاستاهم دفعة واحدة كلمح البصر وحشرناهم
الى الموقف للحساب ثم الثواب والعقاب وعرضنا اي اظهرنا جهنم يومئذ اي اذا

جعناهم لذلك **للكافرين عرضا** ظاهر اي لهم كل ما فيها من الاهوال وهم لا يجدون
لهم عنها مصرفا ومنعهم بما اوجب لهم ذلك بقوله تعالى **الذين كانت** كونا
كانه جبلة لهم **اعينهم** وهو بدل من الكافرين **في غطاء عن ذكري** اي عن
القران فهم لا يهتدون به وبما جعلنا على الارض من زينة دليلا على الساعة
بافنائه ثم احيائه واعادته بعد ابدائه **وكانوا** ايما جعلناهم عليه **لا يستطيعون**
اي لا يقدرون ان يسمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما يتلو عليهم
بغضا له فلا يعبؤون به وبما بين تعالى امر الكافرين انهم اعرضوا عن الذكر
وعن استماع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اتبعوه بقوله تعالى **افحسب**
الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من الاحياء كالملائكة وعزير والمسيح
والاموات كالاصنام **من دوني** وقوله تعالى **اولياء** اي اربابا مفعول ثان
لاتخذ والمفعول الثاني لحسب محذوف والمعنى اتظنون ان الاتخاذ المذكور
ينفعهم ولا يضيرني ولا اعاقبهم عليه كلا وقرا نافع وابو عمر وبفتح الياء
والباقون بسكونها وهم على مواليهم في المد ولما كان الامر في الاستفهام
الانكاري ليس الامر كذلك حسن جدا قوله تعالى موكدا لاجل انكارهم **انا**
اعتدنا اي هيأنا **جهنم** التي تقدم انا عرضناها **للكافرين** هؤلاء وغيرهم **نزلا** اي
هي معدة لهم كالمنزل المعد للضيف وهذا على سبيل التهكم ونظيره قوله تعالى
فبشرهم بعذاب اليم ثم ذكر تعالى ما فيه تنبيه على جهل القوم فقال تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم **قل** لهم **هل ننبئكم** اي اخبركم وادغم الكسائي لام هل في النون
والباقون بالاظهار **بالاخسرين اعمالا** اي الذين اتعبوا انفسهم في عمل هو
يوجون به فضلا وقرا فقالوا هلاكا وبورا واختلفوا اي الذين اتعبوا انفسهم
واختلفوا فيهم فقال ابن عباس وسعد بن ابي وقاص هم اليهود والنصارى وهو
قول مجاهد قال سعد بن ابي وقاص اما اليهود فكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم
والنصارى فكفروا بالجنة فقالوا لا طعام فيها ولا شراب انتهى قال البقاعي
وكذا قال اليهود لان الفريقين انكروا الحشر الجثماني وحصروه بالروحاني وقيل
هم الرهبان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع **تنبيه** اعمالا تمييز للاخسرين
جمع عمل وان كان مصدرا للتنوع اعمالهم ثم وصفهم تعالى بقوله ما يدعونه
لانفسهم من نجاح السعي واحسان الصنع فقال تعالى **الذين ضل** اي ضاع وبطل

سعيهم في الحياة الدنيا الكفرهم **تنبيه** محل الموصول الجر نعتا او بدلا
او بيانا او النصب على الذم او الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال
ومعنى حسن انهم انهم مثلهم كمثل بيشتري سلعة يوجد فيها ما يخالفه وخاب
سعيه كذلك اعمال هؤلاء الذين اتعبوا انفسهم مع ضلالهم فبطل جدهم واخبأ
في الحياة الدنيا **وهم يحسبون** اي يظنون وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
بفتح الياء والباقون بالكسر **انهم يحسنون صنعا** اي عملا يجازون عليه
لاعتقادهم انهم على الحق بين تعالى السبب في بطلان سعيهم بقوله **اولئك**
اي البعد البغيض **الذين كفروا بايات ربهم** اي بدلايل توحيده من القران
وغيره **ولقائه** اي رؤيته لانه يقال لقيت فلانا اي رأيته فان قيل
اللقاء عبارة عن الوصول قال تعالى فالتقى الماء على امر قد قدر وذلك
في حق الله تعالى محال فوجب حمله على لقاء ثواب الله كما قال بعض المفسرين
اجيب بان لفظ اللقاء وان كان عبارة عن الوصول الا ان استعماله
في الرؤية مجاز ظاهر مشهور والذي يقول ان المراد لقاء ثواب الله قال
لا يتم الا بالاضمار وحمل اللفظ على المجاز المتعارف المشهور اولى من حمله
على ما يحتاج الى الاضمار قال تعالى **فحبطت** اي فسبب جحدهم الدلايل بطلت
اعمالهم فصارت هباء منثورا فلا يثابون عليها وقوله تعالى **فلا نقيم لهم يوم**
القيامة وزنا فيه قولان احدهما انا نؤدي بهم وليس لهم عندنا وزن
ومعناه ان تعول الرب ما للانسان عندي وزن اي قدر لحسنته وروي ابو هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة
فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقال اقرؤوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
الثاني لا نقيم لهم وزنا لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين
ليتميز مقدار الطاعات ومقدار السيئات وقال ابو سعيد الخدري يأتي الناس باعمالهم
يوم القيامة عندهم في التعظيم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك
قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ولما كان هذا السياق في الدلالة على
ان لهم جهنم اوضح من الشمس قال تعالى **ذلك** اي الامر العظيم الذي بيناه من وعيد
جزاؤهم عم بين ذلك الجزاء بقوله تعالى **جهنم** وصرح بالسببية بقوله تعالى **بما كفروا** اي
بما وقع التغطية للدلايل **واتخذوا** اي بانيا الدلالة على وحدانيتنا **ورسلي** المؤيدين

بالمعجزات الظاهرات هزوا اي مزوا بها فلم يكتفوا بالكفر الذي هو طعن
في الالهية حتى ضموا اليه الهزو الذي هو اعظم احتقار ولما بين سبحانه وتعالى
ما لاحد قسمي اهل الجمع تنفير اعنهم بين ما للاخرين على تقدير الجواب لسوال
يقتضيه الحال ترغيبا في اتباعهم والاقتداء بهم بقوله تعالى ان الذين امنوا
اي باشروا الايمان وعملوا تصديقا لايمانهم الصالحات من الخصال كانت لهم
اي في علم الله قبل ان يخلقوا اينما لهم على الاساس جنات اي بساتين
الفردوس اي اعلا الجنة واوسطها والاضافة اليه للبيان روي عن ابي
هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سالتم
الله تعالى فاسيلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلا الجنة وفوقه عرش الرحمن
ومنه تفجر انهار الجنة وقال كعب ليس في الجنان جنة اعلا من جنة الفردوس
فيها الامر بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس هو
بستان الجنة التي فيه الاعناب وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال هو
الزجاج هي بالرومية منقول الى لفظ العربية وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش
وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الاشجار نزلا اي مزلا كما كان البر والافضال
لاوليك نزلا وقوله تعالى خالدين فيها حال مقدرة لايبغون اي لايريدون
ادنى ارادة عنها حولا اي تحويلا الى غيرها قال ابن عباس لايريدون ان يتحولوا
عنها كما يتحول الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى ولما ذكر تعالى في هذه
السورة انواع الدلايل والبيان وشرح فيها اقاصيص الاولين بنه على حال
كمال القران بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل يا ايها الخلق للخلق لو كان البحر
اي ماوه على عظمته عندكم مدادا وهو اسم لما يمد به اي الشي كالحبر للدواة
والسليط للسراج لكلمات اي لكتب كلمات ربي اي المحسن الي لنفد اي نفي مع
الضعف فما الاتراك له البحر لانه جسم متناه قبل ان تنفد اي تفنى وتقرع
كلمات ربي لان معلوماته غير متناهية والمتناهي لايفي البتة بغير المتناهي
وقراءة والكاي بالياء التحتية على التذكير والباقون بالفوقية على التانيث
ولما لم يكن احد غيره يقدر على امداد البحر قال تعالى ولو جينا بمثله اي بمثل
البحر الموجود مددا اي زيادة ومعونة ونظيره قوله تعالى ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله واختلف

في سبب

في سبب نزول هذه الاية فقال البغوي وابن عباس قالت اليهود تزعم
يا محمد انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا فانزل الله تعالى هذه الاية
وقال البيضاوي وسبب نزولها ان اليهود قالوا في كتابكم ومن يوت
الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرى وما اوتيتم من العلم الا قليلا انتهى
وقال في الكشاف يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله هو
وقيل لما نزل قوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالت
اليهود اوتينا التوراة وفيها علم كل شي فانزل الله تعالى هذه الاية ولما
كانوا يعاقبون اذا قالوا مالك لاتحدث من هذه الكلمات بكل ما سالناك عنه قال الله
تعالى قل يا خير الخلق لهم انما انا في استبداد القدرة على ايجاد المعدوم
والاختبار بالغيب بشر مثلكم اي لا امر لي ولا قدرة الا ما يقدرني ربي عليه
ولكنه يوحى الي اي من الله تعالى الذي خصني بالرسالة كما يوحي الي الرسل
قبلي انما الهكم الذي يجب ان يعبد اله واحد لاينقسم بمجانسة ولا غيرها
قادر على ما يريد لا يمانعه فلم يوجد جواب ما سالتموني عنه مذ عجز ولا جهل
هذا الذي يعني كل احد علمه وما سالتم عنه في امر الروح والفتيان نفيتا
لي فامروا جهلتموه ما منكم جهله فمن اي فتسبب عن وحدته المستلزمة
لقدرته انه من كان يرجوا لقاء ربه اي يخاف المصير اليه وقيل
يومل رويته ربه والرجا يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر

ولا كل ما ترجو من الخير كاين ٭٭ ولا كل ما ترجو من الشر واقع ٭٭

فليعمل عملا صالحا ولو قليلا صالحا بين تقنيه الله ولا يشرك
اي وليكن ذلك العمل مبنيا على الاساس وهو ان لا يشرك ولو بالرياء بعبادة
ربه احدا فاذا عمل ذلك فاز فحاز علوم الدنيا والاخرة روي ان جندب
ابن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعمل العمل لله فاذا
اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا روي انه
قال لكذا جزان اجر الرواجر العلانية وذكر اذا قصد ان يعبدني به روي
انه صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشرك الاصغر قال الرياء وعن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

Exod cf.
P1
512.1

يقول عن الله تعالى انا اغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري
فانا منه بري هو للذي عمله وعن سعيد بن فضالة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله تبارك وتعالى الناس في يوم لا ريب
فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عمله لله فليطلب ثوابه منه فان الله
تعالى اغني الشركاء عن الشرك والاية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد
والاخلاص في الطاعة خاتمة روي في فضايل سورة الكهف
احاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي وغيره من قراها عند مضجعه كان
له نورا يتلالا في مضجعه الى مكة حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى
يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من مضجعه الى البيت المعمور
حشو ذلك النور ملايكة يصلون عليه حتى يستيقظ وروي ابو الدرداء
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف
عصم من فتنة الدجال وقال البيضاوي وعنه عليه السلام من قرا سورة الكهف
من اخرها كانت له نورا من فوقه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا ما
بين الارض الى السماء وروي البغوي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا اول
سورة الكهف واخرها كانت له نورا من فوقه الى راسه ومن قراها كلها كانت له
نورا ما بين الارض الى السماء فسال الله تعالى ان ينور قلوبنا وان يقوينا وان يقوي لاننا ولا
يواخذنا بسوا فعالنا وان يعفو ذلك بوالدينا واولادنا واقاربنا واصحابنا
ومشايخنا وجميع اخواننا المسلمين واحيائنا اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دايما
الى يوم الدين وقد تم هذا الجزء المبارك على يد الفقير الى الله تعالى
ابراهيم عاشور بن المرحوم سيد احمد عاشور غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولمن
علمه وللمسلمين اجمعين في سنة عشر من شعبان المكرم الذي هو من شهور عام
سنة اى بوين وماية والف من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم